حياتنا الجديدة

تقدمة هذا الجزء من الهلال

جعلنا لهذا الجزء الخاص عنواناً شاملاً هو « حياتنا الجديدة » ، فما الذي نقصد بهذا العنوان ؟

ان مجرى التاريخ متصل غير منفصل برغم ما يبدو لمن يقلب صفحاته متنقلاً بين عصوره ادثه ورجاله ، اذ يجد حروباً غيرت وجه الارض فأقامت ممالك على انقاض ممالك ، ويجد ت هدت معالم الاجتماع ، فجعلت العالي سافلاً والسافل عالياً ، ويجد طائفة من العباقرة السياسة والعلم والأدب برزوا على معاصريهم ، وصبغوا الحضارة بصبغة جديدة هي صبغتهم حة ، الى آخر ما يجد من التغييرات الجسيمة التي تتألف منها فصول التاريخ

ولكن هذه التغييرات – بل الانقلابات – لم تكن يوماً منفصلة عما تقدمها . فالحادث ير ما كان ليحدث لولا ما سبقه من الظروف المنبئة به ، وما اكتنفه من الاحوال المهيئة له . نتيجة عوامل كثيرة بعضها بطيء خفي الفعل وبعضها راهن ظاهر الاثر . والاتصال بين الحادث ومقدماته وثيق متين لو نفذ نظر الباحث الى باطن الامور : فبين روسيا البلشفية وروسيا القيصرية مثلاً روابط وصلات قوية ، وكذلك بين عهد محمد علي وعهد المماليك ، وبين الثورة الفرنسية ومملكة البوربون – وقس على ذلك سائر حوادث التاريخ مهما تكن مفاجئة لظاهر

فمجرى الحضارة اذن مستمر يمتزج فيه القديم بالجديد كما يمتزج الماضي بالحاضر . وانما لمح المؤرخون على تخير بعض الحوادث وبعض الرجال وأفاضوا فيها وفيهم الكلام لأن هؤلاء المؤرخين اقتصروا في الغالب على ذكر ما بدا للعيان وما طفا على السطح ، ولم يدركوا غير النزر من العوامل العميقة التي تصنع التاريخ . فما زال التاريخ كتاباً مغلقاً لم يطلع الانسان إلا على قليل من حواشيه

وعلى هذا قد لا يكون من الصواب وصف عصر من العصور بكونه « جديداً » أو أن

يقال « هنا يختم عهد ، ويبدأ عهد » . فالتجدد متواصل لا يقف يوماً ولا ساعة . فكل يوم جديد في نظر التاريخ وكل ساعة فيها تجديد

غير ان التاريخ وان يكن متصل الحوادث ـ كما ذكرنا ـ فان مجراه يختلف شدة وضعفاً كما يتفاوت سرعة وبطئاً . ففيه أحقاب هادئة وفيه فترات صاخبة ، فيه سنون كأنها أيام ، وأيام كأنها سنون بل قرون

وهذا الزمن الذي نعيش فيه أشد أزمان التاريخ اضطراباً . فقد اختلطت فيه الامور أيما اختلاط ـ اختلطت الاجناس والشعوب والافكار والاهواء والمصالح والنزعات ، حتى كاد يتعذر الاهتداء في وسط هذه التيهاء

ومع اقتناعنا بأن حياتنا الحاضرة وثيقة الاتصال بما تقدمها ، فقد تغلغل في طياتها من العوامل والعناصر ما باعد بينها وبين ألوان الحياة السالفة ، بل ما يخيل الى الناظر أنه يفصل فصلاً . فبهذا الاعتبار أسميناها « حياتنا الجديدة » وربما كان الأولى أن نسميها « حياتنا المتجددة » لأنها تتجدد بلا انقطاع

ولئن تعذر على الانسان أن يحول الحوادث عن مجراها فنى استطاعته أن يقيم حول ذلك المجرى بعض السدود وأن ينشىء بعض المصارف والاقنية . وهذا ما حدانا الى تخصيص عدد من « الهلال » بحياتنا الجديدة دون أن نغفل لحظة عن ضيق المجال الذي يتاح للمصلحين أن يبذلوا فيه جهودهم المتواضعة

* * *

من يتأمل في حياتنا الراهنة يجد أنها ترجع الى ثلاثة مصادر رئيسية استمدت منها عناصرها ، وهى :

أولاً — تراث السلف ، أي مجموع ما خلفه من عادات وتقاليد وأنظمة

ثانياً — قرن النهضة ، أي منذ عهد محمد على الى الحرب العظمى

ثالثاً — زمن الحرب وما بعد الحرب ، أي العشرون سنة الماضية

تولى محمد على الحكم فنفث الحياة في جميع النواحي وأخذ يقتبس من الحضارة الغربية كل ما اعتقد فيه النفع والصلاح . ومن ثمَّ ابتدأ الصراع بين الحضارتين وما زال قائماً حتى اليوم وان اتخذ ألواناً شتى وصوراً مختلفة

وقد كان اشتباك الحضارتين واحتكاك الذهنيتين باعثاً على التأمل إذ أخذ المفكرون يتساءلون هل من الصواب اقتباس النظم الجديدة ، وهل يوافق الشرقيين اصطناع المدنية الاوربية وما الذي يجوز أخذه عنها وما الذي يجب استبعاده ، ونحو ذلك من الأسئلة التي ما زال فريق يرددها حتى الآن

على أن التطور قل أن يقف على رغبة فئة من الناس أو ينشأ عن آراء طائفة منهم ، فهو كالقضاء يدفع الناس دفعاً وهم لا يكادون يشعرون . فأصبحنا وإذا بنا قد حاكينا الغرب في كثير من شؤونه وقلدناه في معظم أحواله ـ وبعبارة أخرى أصبحنا أمام واقع لا مناص منه

وهذا المقام يضيق عن سرد جميع ما أخذنا عن الشعوب الغربية ، أو بالحري حصر تلك المناطق التي لم تتطرق اليها نزعات الغرب وأساليبه . فقد تغلغلت في كل طبقة وفي كل ناحية ، في ذهنيتنا وفي تربيتنا وفي آدابنا فضلاً عن اللباس والمسكن والطعام وسائر مظاهر العمران

***

على ان التطور العام الذي نساق في تياره قد زاد شدة وسرعة منذ نشوب الحرب الكبرى ، إذ تواجهت الامم وتداخلت الحضارات وتنبهت الأذهان وتشعبت المصالح وقربت المسافات . وها نحن أولاء نشهد هذه العوامل جميعاً تختلط وتتصادم بعنف كأنها في مرجل تغلي وكأن العالم يتمخض عن عالم آخر

ولقد صار من الشاق علينا أن نتبيَّن طريقاً نسلكه مطمئنين . فكل يوم يأتي بمذهب يخالف ما علمناه وما تعلمناه . فان جانباً غير يسير مما اقتبسناه عن الغرب أو اقتبسه أهل الجيل المتقدم وعددناه في منزلة القضايا الثابتة والحقائق المقررة قد أصبح اليوم موضع شك وريبة

ففي العلم مثلاً قد تبدلت النظريات حتى إن من تلقى أصول العلوم الطبيعية في أوائل هذا القرن إذا ما تصفح المؤلفات الحديثة لا يكاد يفقه شيئاً ، بل يخيل اليه أنه يطالع علوماً غير تلك التي تلقاها . ثم إن النزعة المادية في البحث العلمي قد ضؤلت في حين اتسع مجال النظر في القوى النفسية الظاهرة والباطنة . وعلى الاجمال نرى علماء اليوم أكثر حذراً وتواضعاً من علماء القرن التاسع عشر الذين توهموا أنهم قبضوا على حقائق الكون الاولية

وفي ميدان الاقتصاديات نشهد الآن من التجارب البعيدة الغور والمدى ما لم يحلم به مفكرو القرن الماضي أو ما حصروه في حيز البحث النظري . ففي روسيا وفي أميركا ـ ونقتصر على هذين المثلين ـ قد قلب النظام الاقتصادي رأساً على عقب . فما الذي تسفر عنه تلك

التجارب ؟ . هـذا ما يجب علينا ترقبه عن كثب لكي نعي ما تلقيه علينا الامم والأيام من عظات . ومهما يكن من مصير هـذه التجارب فلا شك في أن العالم يتجه الى تنظيم الانتاج والاستهلاك وفقاً لخطط معينة مرسومة فلا تترك أرزاق الناس ألعوبة في أيدي القـدر . . . أو أيدي فئة ضئيلة من ملوك الاعمال وغيلان الاموال

والحكم واصوله وأساليبه ؟ . لا بد لنا في هذا الميدان أيضاً من تنقيح الكثير من آرائنا ومذاهبنا . أين ديمقراطية اليوم من ديمقراطية القرن التاسع عشر ؟ . إن من الصعب في المسائل الاجتماعية إصدار أحكام مطلقـة شاملة فما يصلح لأمة فى دور من حياتها قد لا يصلح لسواها أو لا يصلح لها نفسها في دور آخر . على أن المتأمل في التطور السياسي في الشعوب الغربية يجد أن النظام البرلماني الذي كان أساس الديمقراطية كما عهدناها قبل الحرب آخذ في الاضمحلال ، إذ قد عجز عن حل المشاكل التي يتخبط فيها البشر الآن . ولذا قـد أبدلت به كثير من الامم نظماً أخرى أو أبقته مع تعديلات شوهت صورته تشويهاً

و إذا نظرنا إلى المرأة ومكانتها في المجتمع وجـدنا تحولاً يبدو غريباً أول وهلة لأنه أشبه شيء بالتقهقر . فبعد أن ملأت الآذان صيحات المطالبين بمساواة الجنسين ، و بعد أن رأينا المرأة تزامل الرجل بل تنافسه في الحرف التي احتكرها منذ القدم ، وبعد أن رأيناها تنزل ميـدان السياسة وتحوز حقوق الانتخاب وتعين في المناصب العليا ــ بعد ذلك نشهد تراجعاً يبدو واضحاً لكل من تتبع الأحوال الاجتماعية في السنوات الأخيرة . فالمرأة في ايطاليا وفي المانيا ــ على الخصوص ــ قد عادت الى الحيز الذي رسمه لها التطور الطبيعي والتاريخي ــ وليس عليها من غبن فى ذلك إذا ما أدركت أن شأنها فى حيزها لا يقل عن شأن الرجل فى حيزه

* * *

أجل . إن العالم يتطور سريعاً ومطامحه ومثله العليا تتغير باستمرار : فى الاجتماع والاقتصاد والدين واللغة والأدب والفن ، وفى كل ميدان من ميادين السعي الانساني . وعلينا أن نكون يقظين نبصر ما يجري حولنا ونفقه مداه وأثره . وأول ما نحتاج اليه قادة وزعماء يفكرون بعقول أعدت لهـذا الزمن لا عقول أعدت لأزمان مضت وعفت . حتى لا تختلط عليهم ــ وعلينا جميعاً ــ حقائق اليوم بحقائق الأمس

اميل زيدان

نهضتنا الادبية وما ينقصها

للاستاذ الدكتور طه حسين

لست اخاف على نهضتنا الادبية شيئا كما اخاف عليها الغلو فى إكبارها والاعجاب بها والاطمئنان اليها. ولعلى من أجل هذا الخوف اكره التفكير فيها والوقوف عندها وتناولها بشيء من الدرس والتحليل. فهى نهضة قوية من غير شك، لها من الخصب حظ عظيم، تناولت آدابنا القديمة فاحيتها ثم لم تقف عند هذا الاحياء بل اضافت الى تلك الآداب القديمة آدابا حديثة لم يعرفها القدماء ولم يفكروا فيها. وهي ماضية في احياء الادب القديم وانشاء الادب الحديث، يصيبها الفتور من حين الى حين ويدركها الضعف من وقت الى وقت، ولكنها لا تلبث أن تخلص من هذا الفتور وتبرأ من هذا الضعف وتمضى فى طريقها نشطة قوية لا تلوى على شيء. وهي من هذه الجهة خليقة بالاكبار والاعجاب حقا

> **اظهر مواضع الضعف في نهضتنا :**
>
> *** اتصالنا بادبنا العربي القديم ضعيف لم يبلغ ما ينبغي له من القوة**
>
> * ثقافة ادبائنا من الادب الاجنبي ثقافة محدودة
>
> * ادباؤنا لا يحسنون الآداب الاجنبية القديمة التى انشأت الادب الاجنبي الحديث
>
> * لا يحفل ادباؤنا بالعلم ولا يأخذون انفسهم بدرسه والالمام بطائفة منه

فليست قصيرة هذه الطريق التى قطعناها منذ أواسط القرن الماضى. وليس قليلا هــذا الجهد الذى بذلناه منذ أول هذا القرن، وليس يسيراً هذا التوفيق الذى ظفرنا به منذ وضعت الحرب الاخيرة أوزارها. وليس من شك فى ان هذا كله خليق ان يثير فينا شيئا من الرضى يوشك ان يبلغ التيه وان يدفعنا كارهين الى ان نلقى على المرآة نظرة لا تخلو من حب للنفس وثقة بها

ولكنى على ذلك — أو قل لذلك — اكره هذه النظرة لانى اخاف ان تفتننا وتستهوينا وتضطرنا الى حب المرآة واطالة النظر فيها والانصراف الى هذه الصورة التى تعكسها لنا عن الطريق البعيدة التى لا بد من ان نمضى فيها حتى نصل الى غايتها ان كانت، وما أظن ان لها غاية تنتهى اليها. ومن ذا الذى يستطيع ان يجد الطريق التى يسلكها الطامحون الى مثلهم العليا؟ ثم انى لست واثقاً بأن الصورة التى ستعكسها لنا المرآة ان نظرنا فيها جميلة كل الجمال محببة الى النفوس من جميع نواحيها،

ولعلى واثق بأن بعض نواحيها لا يخلو من عيب شديد بغيض ، وأنا أخشى ان وقفت ابصار الناظرين فى المرآة عند هذه العيوب ان تسوأهم وتلقى فى نفوسهم شيئاً إلا يكن يأساً فليس بعيداً من اليأس . لذلك احببت وما زلت أحب للادباء أن يمضوا فى طريقهم محبين للادب القديم ، منشئين للأدب الحديث ، دون ان يقفوا أو دون ان يطيلوا الوقوف ، ودون أن ينظروا فى المرآة أو دون أن يطيلوا النظر فى المرآة ، لعلهم يأمنون شر الفتنة بقوتهم وشر اليأس من ضعفهم . فهم فى حقيقة الامر معرضون لهذين الشرين جميعا

ولكن « الهلال » تحب دائماً أن تتعرف الى أى حد بلغت النهضة والى أى حد انتهى نشاط الادب والادباء ، وهي بذلك تضطرنا الى هذا الوقوف الذى لا احبه والى هذا النظر فى المرآة الذى اكرهه للأدباء . ولكن اذا طلبت « الهلال » الينا ان نقف أو ان ننظر فى أنفسنا . فهل نستطيع ان نأبى عليها أو أن نخالف ما تريد ؟

ومن يدرى لعل « الهلال » موفقة الى الصواب حين تطلب الينا من وقت إلى آخر أن ننظر الى الطريق التى قطعناها لعلنا نجد من طولها وعرضها وخصبها ما يبعث فينا قوة ويجدد فينا نشاطاً ويدفعنا الى ان نمضى امامنا لا كسلين ولا يائسين

ولست أدرى لماذا طلبت « الهلال » الى أن ابين ما ينقص نهضتنا من أسباب القوة ولم تطلب الى أن أبين ما يزين هذه النهضة من مظاهر الكمال ، بل لست أدرى لم اختارت الهلال أن تجعلنى ترجماناً عن العيب مصوراً لمواضع الضعف ، وآثرت غيرى من الكتاب بموضوعات أخرى يسرهم أن يدرسوها ويكتبوا فيها ويسر غيرهم من الناس أن يقرأوا درسهم إياها وتصويرهم لها ؟ . أهو مكر من « الهلال » بى وكيد لى أم هو ثقة وحسن ظن ؟ فان تكن الاولى فانى خليق أن ألقى مكراً بمكر وكيداً بكيد ، وان تكن الثانية فانى خليق أن أشكر للهلال حسن رأيها فى وحسن ظنها بى

وأكبر الظن ان « الهلال » قد جمعت بين المكر وحسن الظن فلأمكر بها كما مكرت بى ولأجزل لها الشكر كما أحسنت بى الظن

ولأسجل قبل كل شىء لأرد على « الهلال » مكرها ان نهضتنا آية من آيات هذا العصر الحديث يكاد فهمها وتفسيرها يكون أبعد من أن تناله العقول ويظفر به التفكير الطويل ، فقد خلقنا أنفسنا خلقا جديداً واكرهنا العالم الاوربى لا على ان يعترف بنا ويؤمن لنا بالحياة الخصبة المنتجة فحسب ، بل على أن يحسب لنا حسابا ، ويستيقن بأن العالم الحديث لن يستطيع أن يعيش بغير جهودنا ، ولا أحد يستغنى عن مشاركتنا فى احتمال هذه الاعباء الثقال التى تفرضها الحضارة على الشعوب الراقية .

ويكفى أن تقرأ ما يكتبه المستشرقون عن جهودنا فى الاحياء والانشاء لتوافقنى على أننا لم نبق كما كنا من قبل شعوبا لا يفكر فيها الغربيون إلا من حيث إنها أدوات تستغل وتستذل وتسخر فى سبيل المنافع والمآرب التى يسعى اليها الاستعمار. وانما نحن شعوب قد استيقنت الامم الغربية بأنها قد افلتت من يدها وآمنت بنفسها وحقها. فهذه الامم الغربية لا تكاد تعزى عن افلاتنا من يدها، ولكنها مع ذلك تحاول ما استطاعت أن تجد الوسيلة لا لاذلالنا واستغلالنا فلم يبق الى هذا من سبيل، بل لتنظيم الصلة بينها وبيننا على أحسن وجه يلائم منافعها واغراضها وآمالها فى الحياة. كل ما تقرأه فى كتب المستشرقين وفصولهم الطوال التى تنشرها المجلات والتى تتناول حياتنا الحديثة وآدابنا الحديثة انما تمهد لهذا اليوم الذى لابد من أن يجيء ومن ان يجيء فى وقت أقصر مما نظن ويظنون، والذى سيجد الغرب فيه نفسه أمام شرق قوى عزيز كله خصب وكله انتاج وكله أمل وكله عمل. ولا بد من ان تنظم معه صلات قوامها الاحترام والسلام

فمن ظن ان هذه النهضة التى انتهت بنا الى هذه المنزلة والتى ستنتهى بنا بعد قليل الى حيث ينظر الينا الغرب كما ينظر الند الى الند والنظير الى النظير — اقول من ظن ان هذه النهضة يسيرة او ضئيلة فهو مسرف فى الطمع لا يعرف لآماله حداً تقف عنده أو تنتهى اليه. وأنا احد هؤلاء المسرفين الذين يرضون عما وصلنا اليه من الرقى، ولكنهم مع ذلك يأبون ان يقنعوا به أو يطمئنوا اليه أو يروه لائقاً بما نستحق وبما نستطيع من التقدم والرقى. فأنا راض ساخط معا! ومن هذا الرضى وهذا السخط يأتلف لى مزاج فيه الابتسام والعبوس وفيه التفاؤل والاشفاق. ولعلك ان سألتنى عما يسخطنى ويبعث فى نفسى الخوف والاشفاق بعد ان عرفت ما يرضينى ويبعث فى نفسى الامل والرجاء، لم تجد عندى جواباً يقنعك، ولكنه يقنعنى انا ويدعونى لا الى اليأس ولا الى الوقوف، بل الى الامل والى الجهاد الذى لا يعرف مللا ولا فتوراً

فنهضتنا على كل هذا الفوز الذى ظفرت به تنقصها أشياء اساسية لا بقاء للنهضة من دونها. وليس الغريب اننا لم نكمل هذا النقص أو لم نتبينه، وانما الغريب أننا نهضنا ومضينا فى نهضتنا برغم هذا النقص حتى انتهينا من الرقى الى حيث نحن الآن. ولكننا فيما اظن قد بلغنا طورا من حياتنا الادبية لا يمكن ان نعدوه إلا اذا تبينا مواضع الضعف فى حياتنا، وبذلنا ما نملك من قوة وجهد لاصلاحها والتخلص من آثارها السيئة

وأظهر مواضع الضعف فى نهضتنا الادبية الخالصة اربعة فيما اظن:

(الاول) ان اتصالنا بادبنا القديم ضعيف لم يبلغ ماينبغى له من القوة. فكثير جدا من ادبائنا

يعرفون من الادب الاجنبي أكثر مما يعرفون من الادب العربي . فالذين يأخذون بحظ من الثقافة اللاتينية يحدثونك فى تفصيل دقيق واطالة ممتعة عن الادباء اللاتينيين وآثارهم وخصائصهم ، فاذا سألتهم عن ادبائنا القدماء فقليل منهم ـ استغفر الله ـ قليل جداً بينهم من يستطيع أن يطيل معك الحديث. وقل مثل ذلك فى أدبائنا الذين تثقفوا بالادب السكسونى . وقد فرغ الناس من اثبات أن كل حديث لا قيمة له ولا غناء فيه اذا لم يعتمد أصدق الاعتماد على الادب القديم . فنحن فى هذه الحال التى نحن فيها الآن نبنى فى الهواء ونقيم ادبنا الحديث على غير اساس . ولا بد من مضاعفة النشاط فى احياء الادب القديم ونشره وتوثيق الصلة بينه وبين الادباء المحدثين حتى يشعروا شعوراً قويا بأنه ادبهم هم لا أدب آبائهم واجدادهم ، وبأنهم محتاجون الى أن يستمدوا منه القوة والحياة

« الثانى » أن ادباءنا لم يوفقوا الا الى ثقافة محدودة من الادب الاجنبي نفسه . فهم بين متأثر بالأدب اللاتينى لا يكاد يعدوه الى غيره ومتأثر بالادب السكسونى لا يكاد يعدوه الى غيره . وذلك نقص قبيح لابد من اكماله والتخلص من شره ــ هو نقص لانه يضيق افق الثقافة والمعرفة ، وهو نقص لانه يوشك أن يفنى شخصية الاديب وقرائه فى هذا الادب اللاتينى أو السكسونى الذى يتأثره ويكاد يفنى فيه . والاديب الخليق بهذا الاسم جدير ان يأخذ باعظم حظ ممكن من الثقافات الادبية المختلفة ليتم بذلك شخصيته ويوسع بذلك افقه ويعصم بذلك نفسه من الفناء والغلو فى التقليد

« الثالث » ان ادباءنا الذين يحسنون الادب الأجنبي الحديث يحسنونه طولا وعرضا ولا يحسنونه عمقاً ــ ان صح هذا التعبير الغريب ــ فهم يجهلون الآداب القديمة التى انشأت هذا الادب الاجنبي الحديث . يجهلون الادب اليونانى واللاتينى كما يجهلون الادب العربى أو أكثر مما يجهلون الادب العربى . فهم يستطيعون على كل حال ان يقرأوا آثار العرب فى لغتها ، ولكنهم لا يستطيعون ان يقرأوا آثار اليونان والرومان الا فى التراجم ، وقليل منهم من يقرؤها فى التراجم . ولست ادرى لماذا أعجز كل العجز عن أن اصدق ان انسانا يستطيع ان يتقن شيئاً من الاشياء اذا لم يتقن اصله الذى نشأ منه وينبوعه الذى فاض منه . وانا اعلم حق العلم ان فى اوربا قوماً ممتازين لا يحرصون على درس الادب القديم ، ولكنى احب ألا يخدع ادباؤنا بهذا الميل الظاهر عند هؤلاء الاوربيين . فهم لا يريدون ان تكون الآداب القديمة واللغات القديمة فرضاً على كل المثقفين كما كانت من قبل . ولكنهم لا يستطيعون أن يتصوروا أديباً خليقاً بهذا الاسم إلا إذا أحسن هذه الآداب القديمة وأتقن درسها والعلم بها . وأنا أبعد الناس عن أن أفكر فى فرض الآداب القديمة على طلابنا جميعا أو على

المثقفين عندنا جميعا ، ولكنى أحرص الناس على أن يأخذ أدباؤنا المنتجون من هذه الآداب القديمة بحظ معقول

(الرابع) أن أدباءنا لا يحفلون بالعلم ولا يأخذون أنفسهم بدرسه والالمام بطائفة حسنة منه. ومن جهل العلم — ولا سيما بعض العلم — فقد جهل الحياة. ولست أدرى كيف يستطيع الأديب أن يكون أديبا حقا دون ان يكون ادبه صورة من صور الحياة. ولست ادرى كيف يستطيع الاديب ان يصور الحياة وهو يجهلها ولا يعرف من أسرارها ودقائقها ولا من ظواهرها وقوانينها شيئا

ولعل هذه الانواع التى اشرت اليها من الضعف هي التى تعلل ما نشكو منه جميعا وما يأخذنا به المستشرقون من أن ادبنا الحديث مصنوع غير مطبوع ، ومتكلف غير مصور لحياتنا. فلو قد عظم حظنا من العلم بالادب العربى القديم ولو قد عظم حظنا من العلم بأنواع الادب الحديث على اختلافها ، ولو قد عظم حظنا من العلم بالاصول الاولى لهذا الادب الحديث ، ولو قد أخذنا من العلم الخالص بحظ معقول ، لو قد كمل لنا هذا كله لما استطاعت الحياة ان تمر بنا — أو لما استطعنا نحن أن نمر بالحياة — ونحن عنها غافلون. لو كمل لنا هذا كله لحينا حقا ولتأثرنا بالحياة حقا ، فاحسسنا ما فيها من لذة وألم ومن عظة وعبرة وما يدعو الى البحث والتفكير. ولو قد احسسنا هذا كله لما استطعنا أن ننصرف عن تصويره وأن نبلغ من ذلك ما نريد

فانت ترى اننا رغم هذه العيوب القبيحة قد استطعنا أن ننهض وان نحدث لأنفسنا ادباً معاصراً خليقا بالاكبار والاعجاب! فكيف بنا لو محونا هذه العيوب وأكملنا هذا النقص ووضعنا أنفسنا من أدباء الغرب بحيث وضعوا أنفسهم وأبينا أن نلقاهم فنعجز عن فهمهم إذا قالوا وعن التحدث اليهم اذا انتظروا منا الحديث ؟

بديع ان نبلغ ما بلغنا على نقص الاسباب وضعف الوسائل وقصور الادوات ، ولكن أبدع من هذا وأروع أن نشعر بما فى نهضتنا من الضعف فنزيله ونضع مكانه القوة والخصب والنشاط. وكم أتمنى أن نأخذ فى أسباب ذلك منذ الآن. وكم أتمنى بعد أن تمضى أعوام غير طوال أن تعود الهلال فتعرض على مثل هذا الموضوع. اذن لا أتهمها بالمكر ولا أخاف منها الكيد ولا أتحرج من أن أجيبها إلى ماتريد سعيداً باجابتها اليه مغتبطاً بتسجيل ما نكون قد وفقنا اليه من فوز لا يذكر بجانبه ما نسجله الآن

طه حسين

التجديد في الشعر

بقلم الاستاذ خليل مطران

أردت التجديد فى الشعر منذ نعومة أظفارى ولقيت دونه ما لقيت من عنت ومناوأة. وليس هنا محل وصف للآلام التى عانيتها ولا للبواعث التى انبعثت منها نوازع الذين حاولوا قطع السبل عليّ بضع سنين

أردت التجديد فى الشعر وبذلت فيه ما بذلت من جهد عن عقيدة راسخة فى نفسى، وهى أنه فى الشعر - كما فى النثر - شرط لبقاء اللغة حية نامية. على أننى اضطررت مراعاة للاحوال التى حفت بها نشأتى ألا افاجىء الناس بكل ما كان يجيش بخاطرى، وخصوصاً ألا افاجئهم بالصورة التى كنت اوثرها للتعبير لو كنت طليقاً، فجاريت العتيق فى الصورة بقدر ما وسعه جهدى وتضلعى من الاصول واطلاعى على مخلفات الفصحاء، وتحررت منه - وأنا فى الظاهر أتابعه - بنوع خاص من الوصف والتصوير ومتابعة الغرض الخ. وبهذه الطريقة مهدت للجديد قبولا فى دوائر كانت ضيقة ثم أخذت تتسع الى ما وراء ظنى، وستستمر فى الاتساع بحكم العصر وحاجاته والعلم ومقتضياته والفن ومستحدثاته

والآن بعد أن علت سنى وطال مدى اختبارى أريد التجديد أكثر مما أردته فى كل آن. أريده ولا اكيفه، ولكننى اشيم له بوارق تدل على ملامحه الكبرى من وراء مجهودات طائفة تتكاثر يوماً فيوماً، طائفة من النابغين أو النابهين الجارين على آثارهم فى مصر وفى سائر أقطار الشرق العربى. ففى كثير مما يضع هؤلاء الموضعون فى طليعة النهضة أجد التفكير بمعناه البعيد الغور الثقيل التكاليف الذى هو منبع الابتكار - أجد ذلك التفكير يحل تدريجاً محل الخيال المشتت الذاهب فى تشتيت الذهن ضروب المذاهب، الخيال الذى لا يصدر عن الحقيقة غالباً مع مصدر كل جمال ثابت، ولا يرجع اليها الا بخيوط دقيقة أحياناً من أطرافه النائية

ولست ابتئس لأن أفراداً من تلك الطائفة لا يستمسكون بأهداب ما تقررت فصاحته من الفاظ اللغة استمساك المتشددين المتنطسين، ولا أغضب لأن آخرين من أفراد الطائفة يحيروننا فى معان يأتون بها ولما تمهد لها مطالعات الكتب المتداولة تمهيداً يجلوها لنفوسنا من غياهب التساؤل والارتياب!

وأفرح بالجزئيات التى ترضى مطالعيها، ولا أحزن للكليات التى لا ترضى من بادى الرأى ففى زعمى أن كل هذه بوادر التجديد وعوامل قوية لصورة رائعة بديعة سيثبتها القبول

وسيجعلها درجة من درج التكامل الذى لا نهاية له فى البيان كما فى العلم كما فى الفن كما فى كل شيء قائم من أشياء الحياة الصحيحة

تلك العقول المولدة جميعاً تأتى بطرائفها وتعرضها على الناس . وليس من همى أن يكون ما وجد منها حتى الساعة هو الذى يقره الناس أو غيره هو الذى يقرونه

وانما أنا مقتنع كل الاقتناع وعلى ذلك متمن كل التمنى أن تصبح لغتنا فى شعرها وفى نثرها صالحة لضروب التعبير السليم قاطبة . أريد ألا أعتذر الى نفسى - وبالأحرى الى غيرى - أن هذا وذاك من انواع البيان غير ميسور الآن فى اللغة التى كانت - وما أجدرها ان تبقى - أم اللغات أو أشرف اللغات كما نقول متباهين

أريد أن أستطيع تصوير كل دقيق وجليل من معانى النفس أتعميماً كان أم تخصيصاً

أريد أن أستطيع الكتابة الى عميلى فى أى بلد عربى ، أصف له بلسانى العربى أداة أو نسيجاً أو مادة بسيطة أو مركبة من أى جنس ومن أى لون أو من أى مزيج من الأجناس والالوان واجزائها فيفهمه بعينه ويبعث به إلى ان كان تاجراً أو يستصنعه لى ان كان مستصنعاً

وفى الشعر خصوصاً أريد أن أخرج من الابتذال وأن أغنى عن طرق ما طرق الف مرة ، لاعيش به عيشى فى زمانى وأبارى أو أجارى اسمى ما تضعه قرائح أعاظم الادباء من الاجانب الذين أصبحت على اتصال روحى وذهنى دائم بل غير منقطع دقيقة واحدة بينى وبينهم

الزمان لا يقف لواقف ويدور ويجدد ويبدع ويخلق آلافاً مؤلفة كل يوم من مبتكرات علوم النفس وعلوم الطبيعة ومن منتجات لا تحصى فى الزراعة والصناعة والمعاملات المختلفة . وأنا أريد ان تكون لغتى شريكتى رؤية وسماعاً وشعوراً تلقاء كل مايجد ، وان تتناوله وأن تعيننى على الافصاح عنه

أريد ألا أشهد الآيات الباهرات يتحفنى بها عصرى وأنا كأنى بمعزل عنه ، ولا شغل لى ازاءها الا أن ارجع بعقلى الى ما كان لالفسنة خلت وأن أحس كما أحس القوم فى تلك الحقب . وألا اكون اذا أقدمت وادمجت شيئاً من محدثات ايامى فى كلامى المصبوب بقوالب تلك الايام كمن جرؤ جرأة شبيهة بالكفر وكمن يكلف الامة العربية من الهمة لمجاراة زمنها ما هو ضد طباعها

وخلاصة مذهبى فيما اريده - وهو لا يختص بالشعر بل يتناول ضروب البيان بل يشمل ضروب وسائل المعاش بمعنى المعاش الراقى البالغ غاياته من جهة سمو الاخلاق وبدائع الطرف الحسية والمعنوية التى نستمتع بها فعلا وينكر بياننا أن لنا بها أدنى صلة - خلاصة مذهبى اذن هى ان تتعلم أيها القارىء أولا لغتك ، وأن تتمكن منها كل التمكن ، وان تستذكر منها كل ما فى مفرداتها وتراكيبها وأساليبها السليمة الفصيحة من شائق ورائق ومطرب وجميل ، وان تمثل هذه المادة تمثيلا ثم تحملها وهى مصهورة الى معملك الاسمى وهو ذهنك ، فتفكر وتبتكر وتحدث سبباً

صحيحاً كريماً لتكليفك الناس أن يقرأوا شعرك ونثرك . وإلا فان لم تكن إلا محاكياً فما حاجتهم اليك والسابقون افصح منك لساناً وابلغ بياناً وأقدر على التصرف فى لغتهم الطبيعية التى أخذوها بالرضاع؟

ثم ان لم تكن إلا ناقلا مترجماً أو مقتبساً كما يقولون أو مختلساً من روائع لغة اجنبية تظنها مجهولة كما يفعل غير واحد من متأدبى هـذا الوقت ، فما اغنى امتك عن هذه المحاولات التى تشف رقعها المتعددة المتناكرة عن الخديعة لها فى أمرك دون اى نفع لها من تلك المختلسات

ثم ان لم تكن الا غريبا فى زمنك وليست لك ـ شعراً أو نثراً ـ نوازع انسانية سامية ولا اريحيات وطنية ، ولا نفائس غير مسبوقة تصف بها أحساب قومك أو مجد آبائك وأجدادك ، ولا روايات تمثيلية أو كتابية ولا ولا ، فلا رعاية ولا حرمة لغربتك عند الذين يعقلون . ولو تبينت ما فى طوايا نفوسهم لوجدتهم يعدونك من عوامل التأخر والانحطاط والجمود

أريد ان يكون شعرنا مرآة صادقة لعصرنا فى مختلف أنواع رقيه

أريد ـ كما تغير كل شيء فى الدنيا ـ ان يتغير شعرنا مع بقائه شرقياً مع بقائه عربيا مع بقائه مصرياً . وهذا ليس باعجاز

وقبل ان اختم هذه الكلمات التى ارسلتها على عواهنها كما مرت بالخاطر لا أرى بدأ من الاجابة عن مسئلة سيخطر للمطالع القارئها على وهى قوله : « هذا الجديد الذى تنصح به وتشدد فى الدعوة اليه لماذا لم تكيفه ؟ »

فجوابى عن هذه المسئلة هو أن التجديد كائنا ما كان لا يحيط بالمدى الواسع الذى يتشعب اليه التجديد ، بل هناك مجال للعقل المبتكر والفكر المولد والتصور البارع يستطيع الاديب أو المتأدب أن يجيل بصره فى لبابه او فى اطرافه متى قارن عن تدبر وروية بين ما كان عليه البيان فى ازمنته الاولى وما صار اليه بعدها فى حقبة حقبة . فهو بمثل هذه المقارنة سواء أكانت فى مخلفات العرب ام فى مخلفات الغربيين يتبين من الوجوه والسبل ما لا تبينه له التعاريف الموجزة او المفصلة . وفى الانحاء المتعددة من ذلك المجال وفى أشواطه التى يظهر من اختلافها الاختلاف فى التقدير والتعبير بين ردح وآخر من الدهر ـ يجد العون الذى تستعين به قريحته على اختيار مذهب تنطلق فيه خالصة من الزحام مرموقة الاثر بين آلاف من القرائح التى جرت الى مثل غايتها

فالسبيل ان تطالع فى ادبنا وفى ادب غيرنا كل ما تستطيع مطالعته بلا سأم ولا انقطاع وان تحفل للجزئيات والكليات وان تتبين المناحى وخصوصاً مواقع التباين بين عصر وعصر فى صوغ اللفظ وسوق المعنى وخلق المذهب بعد المذهب

وبعد أن تأخذ من كل ما تطالعه مادة عملك ووسائل تعبيرك ترجع الى ما تؤثره سجيتك ويوحيه قلبك ويمليه عرفانك ويهذبه نقدك . وعندئذ تعرف كيف يكون المثال من امثلة تلك الكيفية التى يشعر بضرورتها ويتخيل جمالها وروعتها ولكن لا تستطاع صنعتها

هل يصبح لنا أدب عالمي ؟

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

سألني الهلال الاغر : هل يصبح لنا أدب عالمي ؟ وجوابي عن سؤاله : نعم ! يصبح لنا أدب عالمي وربما كان لنا الآن أدب صالح للذيوع فى لغات العالم ، لو تيسرت له وسائل الذيوع

وأول ما يخطر على البال أن الادب العالمي لا بد ان يكون أرقى وأحفل وأفضل من الادب القومي المحصور فى أمة واحدة . لان الادب العالمي يعرف فى أمم عديدة ولا يعرف الادب القومي الا فى أمة دون غيرها . وهذا وهم فى الحقيقة . لان كل أدب ذاع فى أنحاء العالم انما كان قبل ذلك مقصوراً على البلد الذى نشأ فيه ، فاذا كانت له مزية نفيسة فهذه المزية مستقرة فيه ملازمة له ، وليست هي بالمزية التى تطرأ عليه عندما يترجم وينقل بالترجمة إلى لغات كثيرة

كذلك يشتهر الشاعر او الكاتب أو الاديب فى سنة من السنين ، ولكن القدرة الادبية لا تخلق له فى تلك السنة التى اشتهر فيها وانما هي مخلوقة فيما كتب عندما جادت به قريحته قبل أن يعرف الناس قدره وقدر آثاره

فالادب العالمي ليس مرتبة من مراتب السمو يرتفع اليها الكتاب والكاتب ، ولكنها حالة من الحالات تتيسر أسبابها فتظهر ، وتخطئها هذه الاسباب فتخطئها الظهور

وقد كان للفرس شعراء عالميون ولم يقل أحد إن الادب الفارسي أغنى بالذخائر الشعرية من أدب العرب أو أدب المصريين . وكل ما فى الامر ان شعراء الفرس العالميين ظفروا بالمترجم الذى أذاع آثارهم فى اللغات الاوربية لمناسبة عارضة وجدت فى وقت من الاوقات . وكان من السهل ألا توجد فيبقى أولئك الشعراء مغمورين

وكثيراً ماتنال الصبغة العالمية بمزية لا علاقة لها بالنفاسة والرجحان فى نوع الادب أو فى مقدرة الادباء . فاذا كان الادب « خاصاً » غريباً يشعر المترجم أنه يفاجيء به الاذواق الاوربية فتقبل عليه من باب الاستطلاع والاستغراب — فهذه المزية كفيلة بترويج ذلك الادب « الخاص » الغريب فى لغات كثيرة . ولا يلزم من ذلك أن يكون خيراً من الادب الذى لا مفاجأة فيه لأذواق الاوربيين

وقد تكون الصلة قريبة بين الامة الشرقية وبين المترجمين والناشرين فى أوربا وأمريكا فتكون هذه المزية من دواعي الاذاعة والاهتمام

وأحسب أن الامة المصرية وحدها قد حرمت هذه المزايا العرضية التى أتيحت لغيرها فحال هذا بين أدبها الحاضر وبين نصيبه من الصبغة العالمية . ولكى لا يقع هذا القول موقع الاستغراب

من بعض القراء نستعرض حالات شتى من الامم المختلفة ، لنبين هنا كيف فات الامة المصرية ما لم يفت تلك الامم من أسباب « الصبغة العالمية »

فالبلجيك مثلا أمة صغيرة ضعيفة ولها مع ذلك أدب عالمي معروف وأدباء عالميون مقروءون . فهل يفهم من ذلك لزاماً أن ادباءها قدروا على صفات و كفاءات يعجز عنها الادباء المصريون ؟ كلا ! فقبل أن نصل إلى هذا الحكم ينبغي أن نذكر أن فريقاً كبيراً من أدباء البلجيك يكتبون باللغة الفرنسية وهي لغة عالمية ، وينبغي أن نذكر أيضاً أن عدد القراء بين البلجيكيين أضعاف عددهم بين المصريين ففي طاقة هؤلاء القراء أن يزودوا كتابهم وشعراءهم بوسائل الاستقرار التي تعينهم على الانتاج والاشتهار

والهند أمة شرقية يقل فيها التعليم ، ولكن المتعلمين فيها أكثر من المتعلمين في الامة المصرية لكثرة العدد هناك . ويضاف إلى هذا أن الصلة بين الهند وشركات النشر البريطانية قريبة عريقة الاصول ، وان للغة الانجليزية وحدها قراء في الهند يكتفي بهم الاديب الهندي اذا لم يكن له غيرهم من قراء اللغات الاوربية

والروس قد عرفت لهم روايات ومصنفات في أوربا وهم في دور الجهالة والخمول ، ولكنهم ما كانوا ليظهروا في ميدان الادب العالمي لو لم يكن لهم ادباء قادرون على الانتاج المنتظم ، ولم يكن في قدرة ادبائهم ان يثابروا على الانتاج المنتظم لولا أن قراء اللغة الروسية كثيرون يعدون بمئات الالوف إن لم نقل بالملايين

وبولونيا ومثلها بعض الشعوب البلطيقية الصغيرة انما لفت النظر اليها تزاع الدول عليها والدعايات الوطنية التي دارت حولها فترجمت لها روايات ومصنفات قليلة

وقس على ذلك أحوالا شتى منوعة تيسرت لامم أخرى وحرمتها الامة المصرية جميعاً . وقد يبدو ذلك غريباً في النظرة العاجلة ولكنه هو الواقع الذي لاريب فيه

فالقراء المصريون قليلون . وقراء العربية أكثر بعض الشيء ولكنهم موزعون في بلاد مختلفة الحكومات والمعاملات فلا يسهل على شركات النشر أن تنظم فيها معاملاتها الا اذا كانت من أقوى الشركات وأغناها . وكيف تقوم شركات النشر القوية الغنية بين قراء قليلين ؟

والآن هب هذه الشركات الكبرى قامت في مصر — فما الفرق الذي يحدثه قيامها في مجال الشهرة العالمية ؟

الفرق أن هذه الشركات الكبرى ترى من مصلحتها أن تعاقد مثيلاتها في الغرب والشرق على ترجمة مطبوعاتها ومبيعاتها . والفرق من جهة اخرى أنها تعين الادباء على تنظيم الانتاج الادبي فتتسع فروع الادب عندنا وتبرز فيه جميع الخصائص القومية والعالمية التي تحول الانظار اليه

فالادب العالمى إذن ليس بالمرتبة العليا التى تسمو اليها الآداب القومية . وانما هو كما قلنا حالة من الحالات لها أسبابها ووسائلها . وفى مقدمة هذه الاسباب والوسائل أن تستقر صناعة الادب وينتظم إنتاج الادباء

ولسنا نعنى ان أدب مصر لن يكون أدباً عالميا قبل قيام الشركات الطابعة والناشرة فى الديار المصرية . كلا ! لسنا نعنى ذلك ، فقد يساق الى هذا الادب مترجمون ينقلون بعض آثاره لسبب طارىء كالسبب الذى دعا فتزجرالد الى نقل رباعيات الخيام . وينبغى قبل كل شىء ان يكون هؤلاء المترجمون ادباء يطلبون الادب ولا يكونوا مبشرين او دعاة مذاهب اجتماعية يقيسون الابداع فى آدابنا المصرية بمقياس المساس بالدين والغايات المذهبية . فاذا تهيأت وسائل الترجمة على هذا المنوال فليس ثمة ما يحول بين الادب المصرى والصبغة العالمية

عباس محمود العقاد

قطرات

للمرحوم قاسم بك امين

من سجايا الحر أن يكون صبره على استصلاح من دونه أكثر من صبره على استعتاب من فوقه ، واحتماله ممن ضعف عنه أكثر من احتماله ممن قوى عليه

* أسرع الاشياء الى انحلال النفس تجرع المغايظ وتصور العادات ورد النصيحة وتضاحك ذوى البخوت بذوى العقول

* ينبغى للعاقل ألا يكتسب إلا بأزيد ما فيه ولا يخدم الا المقارب له فى خلقه

* اذا خدمت رجلا رئيسا فتبين ما يحتاج اليه فان المستخدم اما ان يكون انقص منك فيما استخدمك فيه واما ان يكون أزيد منك فيه . والناقص عنك محتاج الى ان تقبل تفويضه ولا تترك شيئا من أموره بغير تامل . والزائد عليك ينبغى ان تطلعه على ما عملت به وتحرزا لحجة عنده فى كل ما اتيته فانه انما يقيمك مقام حافظ له

* لا تستوف شرائط الاعمال وما يوجبه لها العدل فى الازمان المضطربة فيضيع سعيك وتنسب الى التخلف فيما تعانيه ، ولكن ناسب بعملك طبيعة الزمان مالم يقدح ذلك فى مروءتك ودينك واخلاقك ، فاذا بلغ هذه الثلاثة فخل عما فى يدك منها والا خسرت من نفسك اكثر مما تربحه فى ذات يدك

* لا ترغبن الى من قصرت همته عن همتك وزاد حرصه على حرصك وكانت حيلته اوسع من حيلتك

الشعر والنقد

للشاعر الفيلسوف
جميل صدقي الزهاوي

ما الشعر الا نغم / يجيد فيه الملهم
يشدو به المحزون وال / مفتون والمتيم
لقد بكى سامعه / فدمعه منسجم
كما بكى قائله / إبان كان ينظم
لا يعرف المؤلم في ال / حياة إلا المؤلَم
ابك فان عبرة ال / باكين سلوى لهم
أليس ثغر الدمع في / وجه الحزين يبسم
ألف يعيش بائساً / وواحد منعم

الشعر لا وزن ولا / قافية تلتزم
بل هو معنى ثائر / قد قيدته الكلم
تكاد من ثورته / قيوده تنجذم
والشعر في الافراح وال / أتراح شاد ملهم
والشعر موسيقي يهزّ / النفس منها النغم
فتارة يبسطها / وتارة يلملم
وتارة يبني المنى / وتارة يهدّم
وهو لقوم عضّهم / صرف الزمان مأتم
وهو لرهط أعرسوا / قيثارة ترنم
وهو لمن قد عوجت / اخلاقه مقوّم
الاولون ابتدأوا / والآخرون تمموا

وهو سماء قد علت تضيء فيها الأنجم
وهو شعور لشعو ر السامعيه يضرم
وهو بألوان الخيا ل في الحياة مفعم
وهو اذا خطب عرا بصدقه يعتصم
إن ذكر الآداب فهـ و وحده المقدَّم

oo

والشاعر الفحل له من نفسه معلّم
همومه له ترو ض والحياة تلهم
حتى اذا الشعور جا ش مثلته الكلم
يعجبني من الهزا ر الشدو والترنم
وهو على غصن من الـ دوح وريق يجثم
اني بشدوك الشجي يا هزار مغرم
فأنت عما في فؤا دي من أسى تترجم

oo

الشعر في أوطانه قد غيظ وهو يكظم
هنالك ثلة تقو ل فيه ما لا تعلم
والنقد بالأغراض في اكثره متهم
ورب ناقد يمجُّ السم فهو أرقم
وما بمطفيء أوا ر حقده إلا الدم
لو حكم النقد بعد ل فهو نعم الحكم
لكنه يجور في احكامه ويظلم
وانما النقد النزيـ ه نفعه مسلَّم
ورب شعر حسن له بقبح وصموا

قد جحدوا جماله كأنهم عنه عموا

٥٥

والشعر قد يثور غضـ بان وقد ينتقم
ويل لمن يصيبه شواظه المضطرم
اذا رمى الشعر فلا تطيش منه الاسهم
يومئذ يود كل ناقد لو يسلم
ويعقب العرس الذى أفرح قوماً مأتم
ان الذى ينقده بصخرة يصطدم
خير له ان يؤثر الـ فرار فهو أسلم
الشعر لا يرقب نقـ داً سيفه منثلم
لا ناره نار ولا خميسه عرمرم
لا خير في نقد امرىء حديثه مرجم
لا يستوى الباطل والـ حق لدى من يفهم
هذا نهار مشرق وذاك ليل مظلم
الصدق يكفي حرمة والكذب لا يحترم
قالوا لقد مات القريـ ض بعد من تقدموا
قد كذبوا فالشعر حيٌّ بالنشاط مفعم
عش أيها الشعر فانـ ك الزعيم الأعظم
تحت لوائك القلو ب اجتمعت تزدحم
فهي اذا مشيت تمـ شي أو جثمت تجثم
وأنت في الحياة لي يا شعر دين قيم

بغداد جميل صدقي الزهاوى

الفنون الرفيعة

وأثرها في حياة شرقنا العربي

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

شهدت لبنان فى الخريف الاخير جدالا لا يخلو من عنف قام بين فيلسوف الفريكة الاستاذ أمين الريحانى وبين الشاعر الكبير الاستاذ بشارة الخورى. وكان مثار هذا الجدل قصيدة بشارة التى يقول فيها:

الهوى والشباب والأمل المنـ شود ضاعت جميعها من يديا

فقد نعى الاستاذ الريحانى على الكتاب والشعراء هذا النوع الباكى من الادب وقام فى ذلك بحملة شديدة جمعها بعد ذلك فى كتاب نشره أخيراً بعنوان «أنتم الشعراء». وكانت حملته هذه ترمى الى حمل الشباب على هجر الادب الباكى لما فيه من اضعاف العزيمة وتلوين الحياة أمام النظر بلون قاتم، بينما فى الحياة مباهج كثيرة يجدر بالانسان ان يصل اليها ـ طواعية ان سلست اليه نفسها، أو كرهاً عنها وأخذاً اياها اذا هى استبدت عليه وحاولت مقاومته. أما الاستاذ بشارة فقد كان رده على هذه الحملة ان الشعر مصدره الشعور. فاذا كان الشعور باكياً كان الشعر باكياً، واذا كان الشعور ضاحكا كان الشعر ضاحكا، وان الدموع انهمرت من عيون أكبر الشعراء وأكثرهم على الزمان خلوداً وأجدرهم بتقديس الانسانية بمثل تقديسها للشعراء الذين فاضت عنهم الحماسة أو فاضت عنهم أية عاطفة غيرها. وحمل الشاعر على ان يقول غير ما يفيض به شعوره حمل له على ان يحطم قيثارة الشعر، وان يقول كلاماً لا تفيض به عنده عاطفة ولا ينبض له به قلب

مثل هذا الجدل يمكن ان يقوم فى شأن الفنون الجميلة جميعاً. وهو جدل بين الفن كما توحى به البيئة وتلهمه الطبيعة المحيطة بنا، والفن كما يوحى به المثل الأعلى الذى يجب ان تتطلع اليه. وفى رأينا انه جدل لن ينتصر فيه أحد الرأيين على الآخر. فكلا الرأيين فى طبيعة الوجود، فالوجود يوحى بهما جميعاً. وانما الفن خلاصة وحى الوجود. ولو استطاع أديب ان يجمع بين الناحيتين وان يصدر فى ذلك عن عاطفة فياضة والهام صادق لبلغ من الفن مكانة يتطلع اليها رجال الفن جميعاً

وانما أوحى بهذا الجدل فى اعتقادى ما تأثر به فنوننا الجميلة فى الوقت الحاضر بحكم مايصيب

الشرق العربي من هوان سياسي وانحلال اجتماعي . واذا كان الشعراء يبكون في قصائدهم بمقدار العشر منها فان فن الغناء عندنا يكاد - في هذه الظروف الاخيرة - يكون بكاء كله . استمع إلى عبد الوهاب ، استمع الى أم كلثوم ، استمع الى غيرهما ، بل استمع الى صالح عبد الحي نفسه ، تجد النغمة المحزونة تسود كل الاغاني الا قليلا . وهي تسود الاغاني اليوم أضعاف ما كانت تسودها قبل الحرب . وهذه النغمة المحزونة هي التي تستهوي الجماهير في الشرق كله استهواء يجعلها تهرع الى سماعها وتطرب أشد طرب لها . وان عبد الوهاب وصالح عبد الحي وأم كلثوم ليستقبل احدهم حيث نزل من بلاد الشرق العربي جميعاً استقبال الفاتح واكثر من استقبال الفاتح . والسر في ذلك ان هذه النغمة المحزونة تجد لها في النفوس صوتاً يحرك فيها أشجانها ، ثم ان لها ما تشاء من حرية البكاء في أمة تفيض بهذه الاشجان . ولو أن ألحان حماسة حركت الجماهير فأرادت ان تنفس عن حماستها بمظهر من المظاهر الخارجية - كما يفعل الفرنسيون حين يسمعون المارسيليز ، او الالمان حين يسمعون نشيد : المانيا فوق الجميع - لكبح هذا الاحساس نفوسهم ولزادهم ذلك هما وشجناً يزيد في ميلهم للانغام المحزونة . وقد أصبح تقدير الفن ونجاحه رهناً في زمننا الحاضر بحكم الجماهير عليه حكما يدر المال على صاحبه . ولم يبق رهناً بنقد الناقدين ذوي العلم والمعرفة في فن من الفنون ، لان الانسانية مسوقة منذ الحرب بسليقتها الفطرية البحتة اكثر مما هي مسوقة بحكم العقل الناضج وميوله

والنقش في الشرق العربي كالغناء وكالادب ، اكثر ما يروج في هذه السنين الاخيرة منه المناظر الطبيعية الصامتة ، أو الطبيعة الميتة على حد تعبير الفرنسيين . وأنت اذا استثنيت الفنون الزخرفية - ولست أدري بأي مقدار تحسب هذه من الفنون الجميلة - رأيت روح الأسى والهم ظاهراً في النقش أيضاً . وما عسى توحي به الطبيعة الصامتة او الطبيعة الميتة اذا لم يعمل الانسان ليهبها من حياته حياة ومن عواطفه حباً واقداماً وحماسة وفروسية ، وما إلى ذلك مما يحرك الميت وينطق الصامت ويدفع الوجود الى السير في طريق المثل الأعلى الذي اضطربت أمام انسانية هذا الجيل صورته ، وهي في شرقنا اليوم أشد - مع الشيء الكثير من الاسف - اضطرابا

هذه حال غير طبيعية ، أو بالأحرى هي حال غير سليمة . وقد اصيبت الفنون بما اصيبت به تبعاً لظروف الحياة التي يخضع الشرق العربي والتي تخضع الانسانية من بعد الحرب لها . ولا يكون علاجها بانكار ما للدموع وما للشجن من اثر في الحياة . وانما يكون علاجها بان تبعث الدموع وان يبعث الشجن النفس إلى التماس المثل الاعلى ، كما تدفعها الحماسة وتدفعها النجدة والمروءة الى التماسه . ولو ان ارباب الفن في الادب والغناء والنقش وسائر الفنون الرفيعة وضعوا هذا المثل امام أنظارهم لارجعوا الى الفن حياة اقوى بكثير من حياته اليوم ولما كان الجدل الذي ثار في هذا الصيف الاخير بين امين الريحاني وبشارة الخوري . ومن ارباب الفن

من يتوخى هذه الوجهة فى الظروف الحاضرة ، لكنها ليست ظاهرة ظهوراً واضحاً . وهى بعد ليست مذهباً يلتف جماعة ارباب الفن حوله . فليعمل العاملون على ان تكون مذهباً وليجاهد الذين يتوخون هذه الوجهة فى فنهم الى الدعوة اليها بقوة وحرارة . هم بذلك يضاعفون فى الفن حياته ويرتفعون بالفن إلى حكم ذوق الجمهور وتكوينه ، بدلا من ان يهبط الفن لاجابة رغائب الجمهور وشهواته

ماذا عسى أن يكون المثل الأعلى ؟ أعتقد أن الشرق قد ضل طريقه فى هذه العصور الأخيرة متأثراً بتعاليم الغرب فأصبح مثله الأعلى مادياً ، يحسب الحرية التى تسمو بها النفس إلى المكان الأرفع أن ينال الجسم وأن تنال الشهوات كل مبتغاها . وقد يكون للبيئة الطبيعية فى الغرب ما يدفع إلى التطلع إلى هذا المثل الأعلى . لكن بيئة الشرق الطبيعية وتاريخه منذ العصور الاولى ، وتاريخه بنوع خاص منذ انتشرت الحضارة الاسلامية فى ربوعه ، يجعل هذا المثل الأعلى الذى يتخذه الغرب إمامه دون ما تتطلع اليه النفس الشرقية . فهذه النفس تؤمن بوحدة الوجود وترى فى هذه الوحدة والاتصال بها والفناء الروحى فيها غاية ما ترجو . ولذلك كانت أمثال هذا الشرق تجرى بأن من اعتز بغير الله ذل ، ومن افتقر لغير الله هان . ولا تعرف شيئاً فى الحياة يعادل تقوى الله . أفيمكن أن يصور الفن هذه المعانى وأن يصل بها من درجات السمو إلى ما يجب ان يصل اليه الفن ؟

هل نستطيع فى الغناء وفى النقش وفى الموسيقى وفى الادب أن نطبع هذه الفنون بروح تصل من السمو إلى هذا المدى وتخلق فى الحياة صوراً شعرية أو أدبية أو موسيقية أو غنائية يتجلى فيها هذا المثل الأعلى واضحاً بقوة الفن وضوحاً يأخذ الرجل عن نفسه حين يشهدها أو يستمع اليها أو يقرأها ؟

ليكن فى الفن بعد ذلك دموع أو لتكن فيه حماسة . هو ما صبا إلى هذا المثل الأعلى حقق غاية إذا وصلت اليها الانسانية بلغت غاية ما ترجو

محمد حسين هيكل



هل يتاح للشرق ان يستعيد مجده ؟

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

المجد الشرقي القديم هو مثل النسب الشريف الذي يتغنى به العظاميون لا يجلب لاصحابه منفعة ولا يدفع عنهم ضراً ما لم يتعهدوه باسباب الحياة ويغذوه بالعناصر التي تنميه وتبعث فيه روح الارتقاء . وكما يكون التحدث عن شرف الارومة وطيب المحتد في الاسرة العظامية الخاملة التي فقدت كل شيء سوى التشدق بعظم الآباء وفخر الجدود ، سبباً للسخرية والازدراء ، كذلك الطنطنة بذكر المجد الشرقي الرائع والبطولة الشرقية الخالدة مع بقاء الشرقيين في ربقة الذل واغلال الجمود هو مدعاة الى الاشمئزاز أيضاً

ثم إننا اذا ذكرنا المجد الشرقي القديم فأي مجد نعني ؟ أنعني مجد الحثيين والفراعنة والاشوريين والبابليين والكلدانيين والفينيقيين ومن حذا حذوهم ، وكلها أمم قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ؟ . ولا أدل على زوالها من ان اللغات التي نطقت بها أصبحت حشو لفائف البردي وتحت أنقاض الطابق أو رهن التحقيقات الاثرية . واللغة هي الصوت الملعلع الدال على تفجر الحياة . والامة تكون حية على قدر حياة اللغة التي تنطق بها

أم نعني مجد التبت وكوريا والصين ؟ وهذه أمم بعيدة عنا ولم تتغير في نظري كثيراً عما كانت عليه منذ ألوف السنين ، فاذا كان لها مجد غابر فانما هو بالنسبة الى ما كانت عليه الامم الاخرى . والمجد الذي لا يجري مع الزمن هو مجد متراجع لان دستور الحياة أن الذي لا ينمو يموت . وفوق ذلك فالطوارىء التي تطرأ على مدنيتها لا تؤثر في مجتمعنا مباشرة

وفي الشرق امم أخرى غير من ذكرنا إما أنها ليس لها مجد غابر فتستعيده او كان لها مجد ولكنه ليس من وضعها ولا مطبوعاً بخاتمها . فلم يبق والحالة هذه سوى مجد الثقافة العربية ، وهذا ما أظنكم تقصدون في السؤال الذي اقترحتموه ، وهو مجد تلك الثورة التي انبثقت في القرن السابع للميلاد وانتشرت ألويتها في أقل من قرن من المحيط الى المحيط . فهذه الثقافة ثقافة حية ، نعيش في اجوائها ونمرح في اهوائها ونهتدي بانوارها . وكلما حاول أناس من المبشرين أو المستعمرين أو المتعصبين أو الهدامين أن يطفئوا هذه الانوار بالدعوة الى العربية العامية رأوا من حرص المتمسكين بالفصحى على الجامعة العربية ما يقف سداً منيعاً في وجوههم ويرد كيدهم الى نحورهم

إن هذه الثقافة هي دوحة ريانة جذورها ثابتة في تربة القرون الوسطى وأغصانها تتمايل في سماء القرن العشرين

ثم ما هو مقياس المجد يا ترى ؟ هل هو العلوم والمعارف والاخلاق والحضارة وحدها وقد رأينا أهل سويسرة والبلاد السكندناوية مثلا ينالون الشطر الاوفر منها وهم مع ذلك فى هذا المجد دون الامة الايطالية التى لم تبلغ من اسباب الارتقاء شأوهم ؟ ويتجلى هذا التباين فى تقدير المجدين بما للطليان من المقام الدولى المحمود بالنسبة اليهم ، فلا يحلم أحد من السويسريين أو السكندناويين أن يكون فى تلك الهيئة الدولية التى تدعى « عصبة الامم » سيداً نافذ الكلمة مثل زميله الايطالى ، والسبب فى ذلك ان المدنية الاوربية لسوء الحظ اعتدت بما تشهر الامم من مشرفيات لحز الرقاب أكثر مما تقبض على مشارط لبط الاوجاع ، وبما تحمل من بنادق لخرق القلوب أكثر مما ترفع من مصاحف لشرح الصدور ، وبما تنصب من الغام لاغراق المدرعات اكثر مما تشيد من منائر لهداية السفن ، وبما تنشر من غاز خانق اكثر مما تلهم من وحى منعش ان الناس فى المشارق والمغارب يحسنون الاصغاء الى ازيز المقذوفات اكثر من همس الضمائر

فاذا كان مقياس المجد عند الدول حتى فى القرن العشرين لا يزال الحديد والنار فالسبيل الوحيدة الى المجد هى ويا للأسف اتقان فن الذبح على عيار واسع . ومن سوء حظ الشرقيين - أو من حسن حظهم - ان معظمهم لا يزالون يذبحون على الطريقة القديمة بالسيوف وينحرون بالخناجر . وهذه طريقة شاقة قليلة الجدوى لا تأتلف مع الارتقاء الفنى الحاضر . لذلك اصبح مجدهم مثل آلاتهم عتيقاً . وما لم يتعلموا على الطريقة الحديثة فيدكوا بفرقعة واحدة قصراً وبلغم واحد سفينة ويقتلوا بقنبلة واحدة ألفاً - ما لم يتعلموا أن يستخدموا احدث الآلات المتقنة التى تعطى أطيب محصول بأقل مجهود ، انكرت عليهم أوربا ليس حق المجد فقط بل حق الحياة

ولكن الشرقيين أخذوا اخيراً يتعلمون بشراهة ، لان سنى الشدة التى عاشوا فيها ردحاً من الزمن نبهت قابليتهم ، حتى ان اشد المتعصبين للغرب ممن يقولون بالسلالة الآرية وحدها وان من بعدها كذب النسابون ، وممن ينصبون الحواجز الجنسية عالية لئلا تدنس السلالة الآرية بالاتصال بالسلالات الاخرى ولو كانت آرية شرقية - ان اشد المتعصبين لمثل هذه السخافات البالية مرغمون على الاعتراف بأن المجد لم يعد وقفاً على ابناء جلدتهم ، وان الشرقيين حتى الموغوليين منهم يستطيعون - اذا شمروا عن ساعد الجد - ان يساهموا فى هذا المجد . وحسبنا ان نضرب على ذلك مثلا بما عمله اليابانيون فى بداءة القرن الحاضر وهم من صميم الموغول ، وما عمله الترك عقب الحرب العالمية وهم من السلالة الطورانية ، لنبين ان السلالات الشرقية - حتى التى لا تمثل أرقى النماذج ، أو التى لا تمت الى الثقافات المشهورة بعرق عريق - فى مقدورها ان تنازع الغربيين مجدهم وان تفل حديدهم بالحديد الذى طبعته على غرارهم

اليابان

مما يدلك على الهمجية التى كان عليها اليابانيون إلى عصر متاخر ان الذين كانوا يلبسون الزرد

منهم لا يزالون على قيد الحياة ، ولم ينقرض بعد جميع أفرادهم من الدهماء الذين كان عليهم إذا مر الشريف من امامهم ان يسجدوا له والا مزقهم حراسه من طبقة (الساموراى) شر ممزق

وقد بقيت اليابان إلى سنة ١٨٦٦ - وهى سنة تغلب الميكادو على حكم الاقطاع وامرائه - تتخبط فى خزعبلات القرون الوسطى وتتنازعها أيدى الشقاق الداخلى والثارات للدماء المسفوكة ويتحكم فيها نفر من اهلها لا يتجاوزون الخمسة فى المائة مؤلفون من الاشراف وبطانتهم (الساموراى) وهم المحاربون الذين يقومون بحراستهم

لكن اليابان أصبحت بعد الحرب العالمية احدى الدول الخمس العظمى القابضة على ناصية الدنيا بأجمعها ، وهى التى حسب لها أكبر حساب فى مؤتمر واشنطن البحرى من بعد أميركا وانكلترا فقط ، وأصبح ممثلوها يترأسون فى بعض الأحيان مجلس عصبة الامم فى جنيف أو يديرون لها ظهرهم مدبرين اذا رأوا منها قلة اكتراث بمطالبهم التوسعية والغارات التى ينوون شنها على جوارهم ، فما الذى حدث يا ترى ؟ وأى حديث عن الجان كما تساءل (جارفن) أو أية خرافة من الخرافات تفوق هذه الاعجوبة التى تمت فى زماننا ؟

ان الذى حدث فحمل المتعصبين للمدنية الغربية على تعديل نظريتهم فى الشرق أن اليابان حاربت الصين فى سنة ١٨٩٤ فقهرتها وهى لا تكاد تبلغ السدس من سكانها . واذا كان هذا البرهان ناقصا لان الحرب وقعت بين شعبين شرقيين موغولين لا يكسب الظافر منهما فيها اكليل المجد فهل يستطيع هؤلاء المتعصبون أن يحرموا اليابان منه من بعد اعلانها الحرب على الروسيا فى سنة ١٩٠٤ وما قدمت فيها من براهين قاطعة على انها لا تفوق الصينيين الشرقيين فقط فى حز الرقاب وبقر البطون وهدم المدن بل تفوق الأوربيين انفسهم كما هو ظاهر من المعارك الثلاث الآتية (الاولى) « لياو - يانغ » والاربعون الفا من القتلى والجرحى الروس الذين ذهبوا فيها (الثانية) معركة « موكدن » والالوف المائة الروس الذين سقطوا فى الميدان بعد انهزام قائدهم « كوروباتكين » شر هزيمة (الثالثة) معركة « تسوشيما » البحرية واضمحلال الاسطول الروسى بتاتاً فما سلم منه من الغرق جره الاميرال « طوغو » بسلاسل الاسر . وكان هذا الانتصار اليابانى أعظم انتصار بحرى وقع منذ معركة نلسن فى « الطرف الاغر »

وليس فى مقدور أمة شرقية أن تدلى بحجة أقوى من هذه الحجة أو الحجج على حقها فى المجد ، حتى إن كاتبا أوربيا اشتراكى النزعة يكره الحرب وما تجره من ويلات مثل (اتش . جى . ولز) اعترف لها بهذا المجد مرغما بقوله ما خلاصته : « ما رأينا قط فى التاريخ أن امة قطعت شوطا بعيداً مثل الشوط الذى قطعته اليابان . فقد كانت فى سنة ١٨٦٦ أمة « قروسطية » أو صورة هزلية وهمية لأشد النظم الاقطاعية تطرفا فاصبحت بعد جيل واحد فقط على مستوى أرقى الدول الاوربية . وهى تفوق الروسيا الى مدى بعيد . وقد قضت قضاء

مبرماً على تلك الاسطورة الخرافية التى تزعم ان آسيا لن تبلغ شأو أوربا ، بل ان اليابان أظهرت للملأ أن الارتقاء الذى تتدرج عليه أوربا هو ارتقاء بطىء وكانه لا يزال فى دور التجربة »

ويهم العالم العربى المتحفز للنهوض ان يعرف شأن الرجل البارز فى تكوين الامة وكيف أن فردا واحدا من افراد الامة اليابانية يعود اليه الفضل الاكبر فيما بلغته أمته من المجد الطريف . وهذا الفرد هو البرنس « ايتو » المتوفى سنة ١٩٠٩ فقد كان الروح الملهمة والقوة المحركة التى دفعت باليابان الى الامام ، ويتصل نسبه بطبقة « الساموراى » التى ذكرناها وهى طبقة الجنود حراس الاشراف وهو فرد من افرادهم العاديين ، وقد أدرك منافع المدنية الغربية من أوائل امره ، واضطر الى مغادرة بلاده والسفر الى انكلترا مع أربعة آخرين فراراً من الموت . وحسبه شرفاً أن بلاده كانت كلما وقعت فى ورطة أو شعرت بحاجة الى بعثة حكيمة تتطلب الحزم والعزم والبذل وبعد النظر ودقة التنقيب . كان اليابانيون يشيرون اليه « اشارة غرقى الى الساحل »

ومن المشهور أن « الشنتوية » هى عقيدة اليابانيين الدينية الاصلية قبل دخول الكونفوشيوسية الى بلادهم ، وهى مزيج من عبادة أرواح السلف وتعظيم الملوك . ولا يجوز أن تعد ديناً بالمعنى الذى نفهمه لانها خلو من الفكرة الاخلاقية ، ويحافظون عليها محافظة القبائل البدوية فى بلاد العرب على عاداتهم . فمن التقاليد اليابانية التى كان لها أثر ماض فى تدرجهم الوطنى الحديث عقيدة عملية تدعى « البوشيدو » واليها يرجع الفضل الاعظم فيما اظهروه من بطولة خالدة فى حربهم مع الروس . وهى قائمة على شعور عميق بالاباء وبالواجب الذى يقتضيه الشرف ، وتتطلع الى الفقر بدلا من الغنى ، والى التواضع بدلا من الكبرياء ، والى الكتمان بدلا من الثرثرة والتنطع ، والى البذل بدلا من الانانية ، وترفع مصلحة الدولة فوق مصلحة الفرد ، وتذكى نار الحماسة فى الافئدة وتبعث على الشجاعة وتقابل الموت وجها لوجه . وشعارها « النار ولا العار » وتتطلب تدريبا رياضيا وعقلياً دقيقا ، وتنمى روح الجندية ، وتوصى بالاقدام والامانة والعزم وكبح جماح النفس ، وتدرب المسالمين كما تدرب المحاربين ، وتربى النساء كما تربى الرجال

هذه هى « البوشيدو » التى تتفق والشىء الكثير مما ورثناه من تقاليد «الفروسية» العربية منذ الازمنة الخالية ، وهى تقاليد لاينقصنا الا تنميتها والضرب على نغمتها حتى ترسخ فى الاذهان

هذه هى اليابان وهى لا تمثل أرقى السلالات الشرقية . وقد ضربناها مثلا واحداً من مثلين على ما يمكن أن تبلغه أمم الشرق متى شمرت عن ساعد الجد وغيرت اتجاهها فى فهم الدنيا فاهملت المباحث العقيمة التى لاتوصل الى شىء وانصرفت الى ملاحظة الشؤون العملية ودرستها درساً تجريبياً قابلا للتطبيق . أما المثل الآخر فهو سلالة شرقية أيضا قامت باخطر الادوار بعد الحرب العالمية . على انها ليست لها ثقافة خاصة مطبوعة بطابعها القومى بل كانت ثقافتها فى معظم النواحى عربية ، وهذه السلالة هى تركيا الطورانية الحديثة

تركيا

ليس القراء بحاجة الى من يذكرهم بتركيا قبل الحرب ولا الى العصر الحميدى وجواسيسه وجهالته وترهاته، حتى صارت إدارته مثلا شروداً فى الفساد. ونحن الذين رأينا رأى العين شواهد على أعماله تضحك الثكلى لا نزال على قيد الحياة. وفى العصر الحميدى كان الأجانب فى المملكة يتمتعون بامتيازات أجنبية جعلتهم سادة البلاد مستقلين كل الاستقلال يفعلون ما يشاءون ولا منازع لهم، ولكن بطش السلطان كان مطلقاً فى الرعية لا حد له. وغلطة واحدة فى الكلام أو فى الطبع كافية لالقاء صاحبها فى غياهب السجن. ومع ذلك فمثل هذا السلطان كان يدعى من على سدد المنابر «سلطان البرين وخاقان البحرين ظل الله فى الأرض»!

ثم جاء الدور الاتحادى فتربعت على دست الحكم عصبة من الأغرار جهلت أصول الادارة الابتدائية، لانها بدلا من أن تصرف جهدها لاسترضاء العرب وهم يتجاوزون نصف المملكة حاولت تتريكهم وأن تعلمهم لغتهم العربية فى عقر دارهم بكتب تركية!. فكان ما كان من ابتداء ذلك التصدع المريع فى بناء الدولة إلى أن أتمه أحمد جمال باشا وأعوانه من السفاحين بنصب المشانق للنخبة المنتخبة من أبناء العرب. وهذه أخطاء فى الادارة لا يرتكبها صبيان الأزقة. وقصارى القول ان أفراداً من هذه العصبة تآمروا على سلامة الدولة فساقوها رغم أنفها إلى حرب سنة ١٩١٤، ويدلنا على مقدار الشر الذى أصاب الترك منها قبول الخليفة محمد السادس وحكومته والمجلس الأعلى الذى عقده فى ختامها معاهدة (سيفر) القائمة على الأسس الآتية:

(١) تخفيض الدولة العثمانية من ٥٠٠ ٦١٣ ميل مربع و٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠ نسمة فى سنة ١٩١٤ إلى ٠٠٠ ١٧٥ ميل و٠٠٠ ٠٠٠ ٨ من السكان (٢) ألا يبقى للترك فى أوربا غير القسطنطينية مع شقة رقيقة لحمايتها (٣) السماح لليونان بالاستيلاء على الجهة الاوربية من الدردنيل وإدارتها باسم لجنة خاصة (٤) السماح لليونان بالاستيلاء على أزمير وداخليتها إلى أن يقرر مجلس عصبة الأمم ضمها إلى اليونان نهائياً (٥) منح الأرمن استقلالهم وتأليف دولة فى الاناضول منهم (٦) ألا يكون لتركيا أسطول بحرى أو جوى وأن يخفض جيشها إلى شرطة فقط (٧) أن تعود الامتيازات الاجنبية إلى سالف عزها قبل الغائها فى أوائل الحرب (٨) أن تؤدى تركيا غرامة باسم تعويضات وغيرها من الاعباء المالية والاقتصادية مما يجعلها فى الرق إلى الابد

وأمضت فى تلك الغضون انكلترة وفرانسة وإيطاليا اتفاقا لحماية مصالحهن الخاصة قسمن فيه ما بقى من تركيا إلى مناطق نفوذ!!!

وتمت الموافقة على معاهدة سيفر هذه فى اليوم العاشر من أغسطس سنة ١٩٢٠ ووضعت أسسها موضع التنفيذ منذ شغل اليونانيون فى تلك السنة خط بورصة - عشاق على نهر المندريس حيث ساعدهم الايطاليون بجيوشهم عند الجناح الايمن. ثم سقطت أدرنة وأنزل الاسطول

البريطانى قوة بحرية معها جيش يونانى فى رودستو فى تراقيا وباندرمه فى آسيا الصغرى . وفى شهر يوليو من السنة التالية وهى سنة ١٩٢١ استولى اليونانيون بمعونة انكلترة أيضاً على أفيون قره حصار وكوتاهية واسكى شهر وواصلوا زحفهم إلى نهر صقارية وكوك صو

ولكن بطل تركيا الحديثة ومنقذ شرفها الحربى من العار الغازى مصطفى كمال باشا كان قد أعلن فى الثلاثين من يناير سنة ١٩٢٠ أن حكومة أنقرة هى وحدها الحكومة المسئولة عن الشعب التركى . لا جرم أن الوطنيين الترك تنفيذاً لميثاقهم الوطنى المقدس أعلنوا أنهم لن يرضوا بمعاهدة سيفر ولن يخضعوا لشروطها . أما ما حدث من تقدم اليونانيين وحلفائهم فلم يفت فى عضدهم ولم يضعف ايمانهم بحق الحياة . وزادهم لهباً أن تستعين انكلترة بشعب كالشعب اليونانى بقى خاضعاً لتركيا مئات السنين لارغام أنفهم . وهذه خطيئة فى السياسة تعد من الدرجة الاولى

واذا أراد شرقى أن يعرف كيف يستطيع الشرق أن يستعيد مجده فليقرأ بانعام نظر تاريخ الحرب التى استعرت فى الاناضول بين الكماليين واليونان وكيف برهن الترك على انهم أهل للمجد والاحترام بما أتوه من ضروب البطولة والاستماتة فى الدفاع عن الاوطان ، الى أن اضطرت أوربا وعلى رأسها انكلترة الى الاعتراف بالأمر الواقع وأخذت الدول ذات المصالح المتباينة تأتى الى الترك تخطب ودهم . فمن ذلك ان الفرنسيين لما شعروا بموقفهم الحرج فى سورية وحاجتهم الى الجنود فى اخضاعها اسرعوا فسحبوا من كليكيا جيوشهم التى ساقوها على الترك لانشاء الدولة الارمنية . ومن ثم عقد لهم المسيو فرانكلن بويون معاهدة انقرة فى ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢١ فتخلت بموجبها فرانسة عن كليكيا جميعا بعد ماذاقت الوان العذاب ، وعن حلفائها الارمن وعن الدولة التى حلموا بها ، بل لم تنبس ببنت شفة لما طردهم الكماليون من الاناضول طرداً لا رجوع بعده . وكانت بطولة الترك الوطنيين هذه هى التى فتحت عيون الفرنسيين الى رؤية مصالحهم الخاصة والاعتراف بأنها لا تتفق مع مصالح بريطانيا وطمعها فى الاستانة ومضايقها . وكان سرور ايطاليا عظيما أيضاً ان تعقد فى تلك السنة اتفاقا مع الترك اخرجها من الورطة التى القتها اطماعها فيها . واعترف الكونت « سفورتزا » وزير خارجيتها بان مصلحة ايطاليا الخاصة أن تجد لها فى تركيا السلمية سوقا لتجارتها ومجالا لمشروعاتها ، وقد تعهدت ايطاليا فى هذا الاتفاق أن تؤيد السلطان القومى التركى تأييداً تاماً وأن تعيد الى قبضة يده تراقيا فى اوربا وازمير فى آسيا الصغرى . وكذلك عقد الكماليون فى تلك السنة اتفاقا مع البولشفيك على أساس الاعتراف بحق المصير

بقى اليونانيون يتطوحون فى الاناضول بتشجيع بريطانيا الى ان وصلوا الى « صقاريه » و « كوك صو » كما ذكرنا ، فكر عليهم الترك وحملوا عليهم تلك الحملات الصادقة التى كان لها دوى هائل الى أن جرفوهم جرفاً وارجعوهم بقضهم وقضيضهم الى احضان الملك قسطنطين فى اقل من ثلاثة اسابيع . فلم يبق شك من بعد تلك الدماء اليونانية المهراقة فى حق تركيا فى المجد . لا جرم

ان الحلفاء فى اليوم الثالث والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٢٢ دعوا انقرة للمفاوضة فى عقد معاهدة على الأسس الآتية : (١) اعادة تراقيا الشرقية الى الترك (٢) انسحاب الحلفاء من القسطنطينية (٣) ضمانة حرية المضائق (٤) حماية الاقليات القومية والدينية (٥) دخول تركيا فى عصبة الامم وغير ذلك

قال الاستاذ (فيليب برون) : « وهكذا نرى الترك بعد مرور أربع سنوات على هدنة (مودروس) المزرية التى عقدوها فى اليوم الثلاثين من اكتوبر سنة ١٩١٨ قد خرجوا ظافرين فى هدنة (مودانيا) »

ولما عقد المؤتمر الرسمى فى لوزان فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ لبحث هذه الأسس واعادة السلم الى نصابه كان الكماليون قد استولوا على أهم المواقع الحربية وكانوا هم وحدهم ـ كما قال الاستاذ برون ـ مستعدين للحرب اذا اقتضت الحالة للدفاع عن القواعد الاساسية . لذلك وقف عصمت باشا مندوبهم كالجبال الراسيات فى الدفاع عن الميثاق القومى . وحاول اللورد كرزن بكل ما اوتيه من قوة سياسية ـ بالتهديد تارة وبالاستعطاف تارة اخرى ـ ان يحمله على اعادة الامتيازات الاجنبية الى تركيا فلم يلاق غير الخيبة لان تركيا الحديثة لا يسمح لها شرفها ان تحقر فى عقر دارها ـ لقد قبل الوطنيون الترك ان يكون الاوربيون اساتذتهم ولكنهم لم يقبلوهم ان يكونوا اسيادهم ، وقد سمحوا لهم ان يكونوا ضيوفهم ولكنهم لم يسمحوا لهم ان يمتلكوا بيوتهم ، وقد رضوا ان يستدينوا منهم ولكنهم أبوا ان يسجدوا لهم . وقد برهنوا لكل أمة تطلب الحياة على ان درهما واحداً من العمل خير من قنطار من الثرثرة

هؤلاء هم الترك الذين عشنا وإياهم قروناً متوالية . وكثيراً ما كنا نفتخر عليهم بلغتنا وثقافتنا وعلمائنا وتفوق أبنائنا فى نفس مدارسهم الحربية والملكية والفنية . ولئن سبقونا اليوم فى مضمار العمل فقد برهنوا لضعفاء الايمان منا على أن فى طاقتنا إذا بذلنا أن نستعيد مجدنا

وإنى أرى بوادر مجد العالم العربى قد بدرت فى غير قطر واحد من أقطاره . وإذا كان أحد من أبناء العربية فى شك من المقام الرفيع الذى سيشغله عالمهم فى النشوء الدولى المقبل فليتذكر أن الغرب يحسب حساب العرب منذ الآن . قال الأستاذ (أوسكار بروتنج) : « يسيطر الأوربيون اليوم مباشرة أو بالواسطة على ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ، ولكن خصمهم اللدود هو العرب وسكان آسيا الشرقية فقط »

عبد الرحمن شهبندر

(١) A History of the Modern World, P. 840

الفرصة الضائعة

بقلم الاستاذ ابراهيم المازنى

أفلتت الفرصة . . . !

« وسيظل هذا الطاغية حيا ليمضى عزمه على طردى وحرمانى من الرزق وتجويع أبنائى ! وأين أجد عملا لمثلى فى هذه الايام ؟ ولو أراد الله بى خيراً لألهم يدى أن تدفع هذا المفتاح الى الوراء . . . قيراطاً واحداً . . . لا أكثر . . . إذن لدارت الآلة وهو بين قطعها يدخل شريط الورق من هنا ويخرجه من هنا . . وقد كانت رقبته تحت السكين لما هممت بأن أدفع المفتاح ، ولو فعلت لحزتها السكين فى مثل لمح البصر ، ثم تمزقت اشلاؤه ونجوت . واذن لعزيت ميتته الى القضاء والقدر . فما سمعه أحد وهو ينذرنى بالطرد بعدهذه الليلة ويخبرنى أنى من الغد مفصول . ولماذا ؟؟ لا لذنب جنيته ، بل لأنه جشع شره لايشبع ، وليس يكفيه ما يخرج به من الربح فهو يريد أن يستغنى عنى ليصبح الأجر الذى أتقاضاه ربحاً آخر له . وان أجرى لزهيد . وإنه لأقل من أن يكفينى أنا وأولادى ، وانهم لضامرو الأجسام عجاف معروقون وانهم لمهلهلو الثياب فى هذا الشتاء القارس ، ولكن هذا القليل الضئيل يمسكنا أن نموت جوعاً . فالآن . . . من الغد . . . سنفقد أيضا هذا القليل . ولا يبقى شىء يقينا غائلة الجوع والموت . . . وستمضى الشهور وتكر واحداً فى أثر واحد ، وهو ينعم بالزيادة التى أضافها الى ربحه بطردى ، وأنا أشقى وأتضور . . . أنا وأولادى . . . أطلب العمل فلا أجده . . . واشتهى الكدح والتعب فتبخل الدنيا بهما على ، وتأبى المقادير التى تجرى بالنحس إلا أن أبتطل . . . وليت لى مدخراً . . . ولكن ماذا عسى أن يدخر عامل لاينيله أجره الكفاف ؟ هذا ثوبى ماغيرته من عامين . وابنائى دار عليهم العام وليس على أبدانهم ـ فى الصيف والشتاء ـ سوى هذه الخرق البالية . وانه ليعرف هذا معرفته ، ولكنه مع ذلك يطردنى ولا يدركه عطف على صغارى ! فلو انى قتلته لما ظلمته . . ولقد سنحت لى الفرصة . . وأى فرصة ؟ . . »

ومسح العرق المتصبب ، وكان صوت الآلة يغرق لغط العمال وهم واقفون حيث تخرج الجريدة مطوية . . . نسخة فى أثر نسخة ـ مائة وثلاثا وثلاثين نسخة فى الدقيقة الواحدة ـ والعمال يتلقونها ويعدونها ويربطونها ويلقون بها الى الصبيان ، ليرتبوها ويهيئوا لكل منطقة ما هو لها ـ هذه الآلاف للقاهرة ، وتلك للوجه البحرى والاسكندرية ، وهذه الأخرى للوجه

القبلى، وهكذا . والباعة من وراء الحاجز يصخبون ويتضاحكون ، ولا يتكلمون وانما يصرخون لأن الأصوات تضيع فى ضجة الآلة . .

وانه لغارق فى هذه الخواطر السوداء ، واذا باصوات تصرخ وتصيح به : « وقف . . . وقف . . . . »

فقد انقطع شريط الورق ولا بد من كف الآلة عن الدوران حتى يوصل ما انقطع ، فجذب المفتاح فامتنع تيار الكهرباء وخفت الدورة وصار صوت الآلة خفيفاً ثم وقفت وصارت اصوات العمال عالية مستنكرة . فصاح بهم كبيرهم أن يسكتوا أو يخافتوا بها . ودخل فى جوف الآلة بين شقيها - لانتزاع الورق الممزق وتخليص العجلات والتروس منه ، فانتعش الأمل وتجدد فى نفس صاحبنا وهو واقف الى جانب المفتاح ينتظر الأمر بدفعه لتدور الآلة مرة أخرى . وحمد الله على أن أتاح له هذه الفرصة الثانية وآلى أن يغتنمها كائنة ما كانت العاقبة . وخيل اليه أن الاقدار تغريه بالقتل وتحمله عليه وتسوقه اليه . وبدا له كأن عدل الله يأبى أن يفلت هذا الظالم من العقاب الذى يستحقه

ورفع كفه الكبيرة الخشنة الملطخة ليمسح العرق مرة أخرى . وفى هذه اللحظة أدار كبير العمال عينه فوقعت عليه ، ورأى العرق الذى يقطر به جبينه ، والكف التى تمسحه ولم تخف عليه آيات الوجوم والسهوم فى هذا الوجه الظامى . . فرق قلبه له وجاشت نفسه بالحدب والمرثية ، فحول وجهه عنه ورد عينه الى شريط الورق وشرع يلحمه بالنشا بعد أن مده الى حيث ينبغى أن يكون . وفى نيته بعد أن ينتهى العمل أن يبلغ صاحبنا عدوله عن طرده

ولكن صاحبنا لم يكن يعرف هذا . وأنى له أن يطلع على ما فى ضمير الفؤاد ؟ ؟ ولقد لمح على وجه رئيسه ابتسامة خفيفة توهمها من السرور بما وفق اليه من اقتصاد أجره بعد طرده . فشاعت النقمة عليه فى نفسه ، وامتلأ صدره حقداً وصديداً وامحى من ضميره كل ما كان يبعثه على التردد والاحجام عن القتل ، واستقرت نيته على الفتك . فوقف جامداً كالصخرة متربصا كالنمر ناظراً الى رئيسه نظرة الثعبان الى العصفور ويده ترعش وتهم بان ترتفع الى المفتاح . ولكن الرئيس لا يزال على مسافة شبر من السكين وقد لا يعود - كما حدث فى المرة السابقة - الى دس عنقه تحت حدها فتضيع الفرصة مرة أخرى . . . ولكن لا ! لن تضيع هذه المرة . واذا كان هذا الظالم لا يضع عنقه تحت مهبط السكين . فان فى وسعه مع ذلك أن يطحن له جسمه ويفتته ويعجن لحمه بعظمه بين التروس والعجلات . . . كلا . لن ينجيه شىء فى هذه المرة ولن يخرج من هذا المكان حتى يراه - بعينيه هاتين - فطيرة معجونة بزيت العجلات . ولماذا يتركه يحيا وقد أنذره أن يقطع عيشه ؟ ؟ أى حق له فى تجويعه وتجويع أولاده ؟ ؟ ماذا جنى حتى ينزل به هذا

البلاء العظيم ؟ ؟ إنه ليقضى ليله - كل ليلة - فى أشق الاعمال .. فى حمل الصفحات الثقيلة الى المكبس ، ثم فى ردها حارة حامية تكوى جسمه على الرغم مما يلفها به من اللباد السميك ثم فى كسر الاخشاب عن لفافات الورق ، وفى دحرجة هذه اللفافات الضخمة الى حيث تعلق على جانبى آلة الطباعة ، ثم فى تنظيف الآلة وتزيتها ، ثم يقضى ساعتين واقفاً على قدميه الى جانب هذا المحرك الكهربائى وهذا المفتاح الذى يدير الآلة ويقفها ... يفعل كل هذا بستة قروش ليس غير ... ستة قروش له ولاولاده الثلاثة لاتكاد تكفى ثمناً للخبز بغير إدام .. ومع ذلك يأبى هذا النذل إلا أن يستغنى عنه ليشرده ويجيعه ويجيع صغاره ! أفمن كان مثله يستحق رحمة ؟ ؟ وماذا عليه لو قتله ؟ ؟ ان الآلة هى التى ستقتله وتمزق أوصاله لا هو . ولن يفعل هو شيئاً سوى أن يدفع المفتاح قبل الأوان بثانية واحدة ... لا بل بثالثة ... ولن يتهمه أحد ، لانه مامن أحد يعرف سر نقمته عليه ... ومتى مات فلن ينقطع رزقه هو ... ولن يجوع ابناؤه . ولن يعرف هو ذل البطالة ...

« دور ! دور ! »

وانتبه على صياح العمال به من كل مكان : « دور » !

أفلتت الفرصة مرة أخرى ... وخرج الرجل من بين شقى الآلة وهو شارد يحدث نفسه حديث الانتقام ويسوغ لضميره ووجدانه ماياْبى له الله أن يجترحه !

وطفرت العبرة من عينه ، وراحت الدموع تتسابق على خديه . . أبكته مرارة الخيبة لغفلته بعد أن صح منه العزم ، وأبكاه هول ماينتظره فى غده بعد أن يؤوب الى حجرته ، وأبكاه الغيظ والألم والشعور بالضعف والتضعضع

ولم يرفع يده ليدفع المفتاح فما بقيت فى ذراعه أعصاب ، وخار جسمه كله حتى لكاد يقع ، ودارت الأرض به وصارت الآلة الضخمة الرازحة تعلو وتهبط وتميل فيما يرى يمنة ويسرة كأنها على أرجوحة . واذا بالآلة تدور وحدها فيما يعلم . واذا بكف غليظة تلمس كتفه وصوت بعيد جدا فيما يحس يقول له :

« هون عليك . لقد عدلت عن اخراجك رحمة بصغارك . فامض فى عملك »

* * *

وعاد الرجل الى ابنائه فى البكرة المطلولة يحمد الله على ضياع الفرصتين

ابراهيم عبد القادر المازني

هل صحت احلام المصلحين ؟

استفتاء طائفة من المفكرين

ماذا كان يحلم به المصلحون والزعماء فى مصر ؟

وماذا تحقق من أحلامهم ؟

وماذا ينتظر تحقيقه منها فى المستقبل ؟

هذا ما أجابنا عنه طائفة من المفكرين وأصحاب الرأى عندنا . وقد تناولوا كبار المصلحين والزعماء الذين ظهروا فى مصر وكان لهم أثر بارز فى حياتها الجديدة من النواحى السياسية او الاجتماعية أو الدينية . وقد درسوا أحلام هؤلاء القادة وماذا كان مداها والى أى الغايات اتجهت ونحن ننشر هذه الاجابات فى الصفحات التالية :

محمد علي باشا والخديو اسماعيل	—	بقلم الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعي
السيد جمال الدين الافغاني	—	« الدكتور يحيي احمد الدرديرى
الشيخ محمد عبده	—	« السيد محمد رشيد رضا
مصطفى كامل باشا	—	« حافظ بك رمضان
قاسم بك أمين	—	« ابراهيم بك الهلباوى
سعد باشا زغلول	—	« الدكتور احمد فريد رفاعي

محمد على باشا والخديو اسماعيل

بقلم الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعي

١ - محمد على باشا

لا جدال فى أن محمد على باشا هو من عظماء الرجال ومن كبار مؤسسى الدول والممالك . وحسبك أنه أسس ملكا عريضاً وهو ملك مصر

كان الأمل الاكبر لمحمد علي أن ينشىء الدولة المصرية المستقلة ، وقد تحقق هذا الأمل العظيم . فبعد ان كانت مصر ولاية من ولايات السلطنة العثمانية يتعاقب عليها الولاة كل سنة أو سنتين أصبحت دولة مستقلة قوية البأس عزيزة الجانب ذات ملك واسع الارجاء ، تمتد حدوده من جبال طوروس شمالا الى أقاصي السودان جنوباً ، وتشمل مصر وسورية وبلاد العرب وجزيرة كريت وقسماً من الاناضول . ولئن تراجعت حدود الدولة المصرية بعد ان تألبت عليها انجلترا وتركيا وأوربا سنة ١٨٤٠ فقد بقيت حدودها الأصلية سليمة اذ شملت استقلال مصر والسودان وتحققت بذلك وحدة وادى النيل السياسية والقومية . ومهما نالت الاحداث من هذا الملك العظيم فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، فان الدولة المصرية المستقلة التى أسسها محمد على قائمة الى اليوم والى ماشاء الله آخذة بأسباب التقدم والرقى

اقترن أمل محمد على من هذه الناحية بأمله فى تأسيس اسرة مالكة يكون الملك فيها لشخصه ثم لذريته من بعده . وكان هذا لزاما لتأسيس الدولة وبقائها واستقرارها على الزمن . ولولا ان تحقق هذا الأمل لتبدد الملك الذى انشأه والاصلاحات التى قام بها وعادت مصر ولاية عثمانية يسودها التأخر والفوضى . وقد عمل على توطيد دعائم الدولة التى اسسها بانشاء حكومة نظامية وقوة حربية ونشر لواء العلم والحضارة فى البلاد . وتحققت آماله فى هذا الصدد . فأسس حكومة ذات نظم ولوائح وقوانين ودواوين على غرار الحكومات الاوربية . وانشأ جيشا مصرياً قوياً منظما على احدث طراز . وبنى الحصون والقلاع . واسس اسطولا ضخما رفع علم مصر فوق ظهر البحار . وكانت آماله السياسية معقودة بقوة مصر الحربية والبحرية اذ كان يعتقد انها السياج المنيع للدولة الفتية التى اسسها . وقد بقى استقلال مصر سليما ما بقى للجيش قوته ومنعته

وتحقق أمله فى نشر لواء العلوم فى مصر بانشاء المدارس النظامية الحديثة وإيفاد البعثات العلمية الى اوربا . فكانت تلك المدارس والبعثات قوام النهضة العلمية والادبية التى سطع نورها فى عهده . وهى الاساس لنهضة مصر الحاضرة فى العلوم والآداب والفنون

ووفق أيما توفيق فى تحقيق آماله من الناحية العمرانية فى الزراعة والتجارة والصناعة . فاحيا ثروة مصر الزراعية بمنشآت الرى التى أسسها وإدخال الزراعات الحديثة . وحسبك فى هذا الصدد انه ادخل فى مصر زراعة القطن الحديث الذى اصبح اساس ثروة مصر الزراعية . ومن ناحية التجارة انشأ لمصر اسطولا تجاريا كان له الفضل الكبير فى نهضتها التجارية . وقد تبدد اسطول مصر التجارى فى عهد الاحتلال ثم تجدد الأمل فى احيائه فى عصرنا الحاضر

ومن الوجهة الصناعية كانت آماله متجهة الى احياء الصناعات الكبرى. فانشأ كثيرا من المعامل والمصانع التى تدار بالآلات . ونجح نجاحاً عظيما فى انشاء معامل الاسلحة والبنادق والمدافع والبارود ومعامل الحديد والنحاس ، وفى تأسيس مصانع الغزل والنسيج فى مختلف المدن والعواصم . ولئن اصيب بعض هذه المصانع بالبوار فى اخريات عهده بسبب احتكار الحكومة لها وانعدام الادارة الحرة فيها فان هذه التجربة كانت سببا لظهور الصناعات الكبرى فى مصر ونواة للنهضة الصناعية التى اخذت مصر باسبابها فى العصر الحاضر

وصفوة القول ان آمال محمد على قد تحققت الى ابعد مدى فى عهده . واستمر معظمها من بعده حقيقة ثابتة . فالدولة المصرية المستقلة ، والاسرة المالكة ، والحكومة ، والنهضة العلمية والادبية ، وعمران مصر وتقدمها فى الزراعة والصناعة والتجارة - كل هذه الحقائق والمنشآت اصبحت ثابتة مستقرة مطردة النمو والتقدم ، وهذا يدلك على رسوخ البناء الذى شاده محمد على . أما الجيش والاسطول فهما العاملان اللذان اصابهما التراجع ثم الاضمحلال من بعده بما أدى الى تصدع بناء الاستقلال . واذا اتيح لهما أن يستردا مكانتهما فسيكون هذا احياء للأمل الذى حققه محمد على الكبير

٢ - الخديو اسماعيل

كان الخديو اسماعيل مشغوفاً بالمدنية الغربية الى أقصى مدى ، راغباً فى ان تنال مصر على عهده أكبر قسط من هذه المدنية . وقد حقق كثيراً من آماله فى هذه الناحية ، فبعث النهضة العلمية والادبية من مرقدها ، واعاد عهد البعثات العلمية ، وانشأ المدارس العالية التى كانت واستمرت من بعده قوام انتشار المعارف وارتقاء الافكار وتقدم الثقافة الى عصرنا الحاضر . ونهض بعمران مصر بما انشأه من الترع والقناطر وسائر منشآت الرى التى كان لها الفضل الكبير فى اتساع نطاق الاراضى الزراعية ، وعنى بعمران المدن وخاصة القاهرة والاسكندرية . وكان يبغى ان يجعل العاصمة باريساً ثانية بما انشاه فيها من الاحياء الجديدة والشوارع والميادين والمتنزهات والقصور والجسور (الكبارى) وقد تحقق أمله فى هذه النواحى الى مدى بعيد . ومن الجهة الاجتماعية يصح ان يسمى عهده عهد التجديد الاجتماعى لان الهيئة الاجتماعية

المصرية بتأثير الخديو اسماعيل أخذت تتطور نحو الرقى وتقتبس أساليب المجتمع الاوربى وعاداته فى انماط الحياة وطرائق التفكير والتهذيب . وهذه النهضة ماضية فى سبيلها إلى اليوم

وكان يأمل من الوجهة السياسية أن يكمل الاستقلال الذى وطد محمد على دعائمه ويصل به إلى الاستقلال التام . فألغى معظم القيود التى قيدته بها الفرمانات السابقة . وأكمل فتح السودان وضمه إلى حظيرة الوطن . وتحقق أمله فى هذا الصدد إلى أبعد مدى إذ وصل بحدود مصر الى منابع النيل وشواطىء المحيط الهندى وبسط نفوذها فى مديرية خط الاستواء ومملكة أونيورو ومملكة أوغنده وسلطنة هرر وسواحل السومال ، وهذا العمل يعد من مفاخر اسماعيل . وكاد يتحقق أمله العظيم فى إنشاء أمبراطورية مصرية وطيدة الاركان باقية على الزمن تشمل وادى النيل بأكمله من منبعه إلى مصبه لولا أنه أسرف فى عقد القروض الاجنبية وبالغ فى حسن ظنه بالدول والبيوت المالية الاوربية ، فانقلبت هذه الديون اداة للتدخل الاجنبى وتأثر لها كيان الاستقلال فى أواخر عهده بما كسبته الدول من الحقوق والمزايا ، كتأسيس المحاكم المختلطة وإنشاء صندوق الدين وفرض الرقابة الثنائية على مالية مصر وتعيين لجنة تحقيق أوربية لفحص شؤون الحكومة المالية والادارية وتعيين وزيرين اجنبيين فى الوزارة المصرية لهما حق « الفيتو » أى وقف كل عمل تشريعى وتنفيذى للحكومة . وقد كانت هذه القيود عقبة فى تحقيق آمال اسماعيل ، وما يزال بعضها إلى اليوم عقبة فى سبيل الاستقلال التام

السيد جمال الدين الافغانى

بقلم الدكتور يحيى احمد الدرديرى

قال رينان على أثر المناقشات التى دارت بينه وبين جمال الدين الأفغانى فى باريس فى العلم والاسلام : « كنت أتمثل أمامى ـ عند ما كنت أخاطبه ـ ابن سيناء أو ابن رشد أو واحداً من أساطين الحكمة الشرقيين »

هذا هو جمال الدين العالم ، فأما جمال الدين الرجل فقد وصفه تلميذه أديب إسحق بقوله : « إنه أسمر ربعة ممتلىء ، قوى البنية ، جذاب النظر ، نافذ اللحظ ، خفيف العارضين ، مسترسل الشعر ، بجبة وسراويل تنطبق على الكاحلين ، وعمامة صغيرة بيضاء على زى علماء الاستانة ، عزب عفيف النفس ، قانت ، كثير القيام ، لا ينام إلا الغلس إلى الضحى ، ولا يأكل غير مرة واحدة فى اليوم ، على أنه يكثر من شرب الشاى والتدخين ، قوى العارضة ، طويل الحجة ، واسع المحفوظ ، نبيه يكاد

يكشف حجب الضمائر ، ويهتك أستار السرائر . ولكنه على فضله لا يسلم من حدة المزاج »

وقال عنه الامير شكيب ارسلان : « إنه كان يعظم نفسه عن الشهوات ، ولا يرى من اللذات إلا اللذة العقلية العالية . وقد حاول السلطان عبد الحميد أن يعلق قلبه بالمال والبنين ويشغله بزينة الدنيا وراوده على الزواج فأبى وأعرض . وكان ينظر الى المال نظره الى التراب فلا يدخره ولا يتناول منه إلا ما هو ضروري للحياة . وحاول السلطان أن يعطيه رتبة علمية - كرتبة «قاضي عسكر» - مثلا فأبى أن يقبل الرتبة وأن يلبس كسوتها المزركشة بالقصب . وكذلك رفض قبول وسام مهما كان عالياً »

هذا هو جمال الدين الرجل ، فاما جمال الدين المثل العالى فقد وصفه أعظم تلاميذه فابدع فى تصوير نفسيته ، قال :

« هو هش بش عند اللقاء . وفاه الله من كمال خلقه ما ينطبق على كمال خلقه . أما أخلاقه فسلامة القلب سائدة فى صفاته . وله حلم عظيم يسع ما شاء الله أن يسع ، الى أن يدنو منه أحد يمس شرفه أو دينه فينقلب الحلم الى غضب تنقض منه الشهب . فبينما هو حليم أواب ، اذا هو أسد وثاب . وهو كريم يبذل ما بيده ، قوى الاعتماد على الله ، لا يبالى ما تأتى به صروف الدهر ، عظيم الأمانة ، سهل لمن لاينه ، صعب على من خاشنه ، طموح الى مقصــــده السياسى ، اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه ، وكثيرا ما كان التعجل علة الحرمان . وهو قليل الحرص على الدنيا ، بعيد عن الغرور بزخارفها ، مولع بعظائم الأمور ، عزوف عن صغارها ، شجاع مقدام ، لايهاب الموت كأنه لايعرفه ، إلا أنه حديد المزاج ، وكثيراً ما هدمت الحدة مارفعته الفطنة »

هذا جمال الدين « المثل العالى » فلننظر ماذا كان جمال الدين السياسى

قال الاستاذ الامام : « إنه كان يسعى لانهاض احدى الدول الاسلامية من ضعفها ، وتنبيهها للقيام على شؤونها ، حتى تلحق بالدول القوية ، فيعود للاسلام شأنه ، وللدين الحنيف مجده . ويدخل فى هذا تنكيس دولة بريطانيا فى الاقطار الشرقية ، وتقلص ظلها عن رءوس الطوائف الاسلامية . وله فى عداوة الانجليز شؤون يطول بيانها »

فلنبدأ من النهاية ، لنبدأ بمطمحه الاسمى وأعنى به الجامعة الاسلامية ، وسنترك جمال الدين نفسه يحدثنا عن اخفاق فكرته تلك فى حياته ويأسه من تحقيقها بعد وفاته

قال فى سنة ١٨٩٢ ، أى قبيل وفاته بخمس سنوات : « ان المسلمين قد سقطت هممهم ، ونامت عزائمهم ، وماتت خواطرهم ، وقام شىء واحد فيهم ، وهو شهواتهم »

إلا أن جمال الدين إذا كان قد أخفق فى تحقيق مثله العالى فقد حقق لأمم الشرق مثلا عليا

عديدة . وما أخفق فى واقع الامر إلا لأن ما ابتغاه صعب المنال عسير المرتقى فى وقت طمع فيه الغرب فى الشرق وألب عليه الأحن والأحقاد ودس ساسته السم فى نواحى العالم العربى الاسلامى . وهو بالذات كان يطارده الاستعمار أينما حل وسار

على أن هذا المصلح الكبير قد نجح فى حياته ونجح بعد وفاته وكان نجاحه متعدداً كثير النواحى شهى الثمرات

نهضت شخصية الأفغانى على دعائم من نور العلم وقدسية الحرية وديموقراطية الشورى

ففى ناحية الفكر الحر نجده بذر بذوراً صالحة أينعت بسرعة خارقة للعادة ! فما انبشر بتعاليمه فى مصر حتى أقبل يرتشف من منهله العذب صفوة من طلاب الازهر فى رأسهم محمد عبده وسعد زغلول وابراهيم الهلباوى ، وورد منهله الصافى من مفكرى الاسكندرية عبد الله نديم وأديب اسحق وسليم نقاش ، واستفاد من واسع علمه وجليل تفكيره وصائب رأيه جماعة من أهل المناصب والجاه : منهم محمود باشا سامى البارودى ، وعبد السلام باشا المويلحى حامل لواء المعارضة فى مجلس شورى النواب على عهد اسماعيل ، وابراهيم بك المويلحى الكاتب المشهور ووالد محمد بك المويلحى صاحب «حديث عيسى بن هشام» ، وعلى بك مظهر والشاعر الزرقانى وأبو الوفا القونى

هؤلاء الاعلام هم تلاميذ السيد جمال الدين فى مصر ، ولا بد انه قد تتلمذ عليه جهابذة فى سائر البلاد الشرقية التى هبط اليها حاملا مشعل الحرية والفكر والجرأة على الاستبداد والنضال ضد التدخل الأجنبى والاستعمار !!

ومن ذلك يسهل عليك ادراك ان جمال الدين الأفغانى هو احد بواعث الثورة العرابية وهو من اكبر دعاة الحركة الدستورية لا فى مصر وحدها بل فى تركيا وايران ، فاننا نعلم ان السلطان عبد الحميد كان قد منح الدستور لتركيا ثم سحبه ، لكن الشعب التركى ما برح يطالب به ويسعى اليه حتى حصل عليه فى سنة ١٩٠٨ ، وكذلك الشعب الايرانى حصل على الدستور فى سنة ١٩٠٦ أى بعد وفاة الأفغانى بسنوات تعد على أصابع اليد

وعندى ان جمال الدين كان قدوة طيبة ، والقدوة أفعل أثراً من الفكر ومن العلم ومن فصاحة اللسان ومن الدعاية النشطة الواسعة النطاق

لقد كان الأفغانى جريئا فى ابداء رأيه ، لايعبأ بما تجره الصراحة فى الحق من عواقب وخيمة . ولقد طورد طوال حياته فما اشتكى ولا تململ ولا فترت عزيمته . ولقد كان ثائراً على اخلاق الضعف من ملق ودس وحسد واستخذاء ونفعية . وكان مع الثوار العمليين ، يضرب المثل ويتقدم بنفسه فى الطليعة . وان نظرة واحدة الى سيرته لتبعث فى النفس سموا وترفع المرء إلى ذروة الأخلاق الفاضلة . فتأثير الأفغانى فى رفع المستوى الخلقى هو فى نظرى أجل آثاره

يأتى بعد ذلك تأثيره الفكرى والأدبى ، وان فى تلاميذه لدليلا محسوساً على أن هذا التأثير لا يقل عمقاً عن تأثيره الخلقى

هذا بالاختصار مجمل الرأى فى السيد جمال الدين الأفغانى كرجل قد سعى لتحقيق أمنية جليلة فات دونها لكنه حقق أمنيات غيرها . . وقد كان أمله اكبر من عزمه وفكرته أقوى من وسيلته فصرع شهيداً لمبدئه وفياً لأمنيته . . ومثل الأفغانى سائر العظماء وكبار المصلحين العالميين

الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

بقلم الاستاذ السيد محمد رشيد رضا

اني قد نشرت في الجزء الأول من « تاريخ الاستاذ الامام » ما كتبه الاستاذ بيده في بيان ما دعا اليه من الاصلاح ، وهو ينحصر في ثلاث دعوات جامعة لعدة مقاصد ما عدا الوسائل ، وهي :

١ — الاصلاح العقلى الذى يجمع بين هداية الدين ومنافع العلم

وقد عرفه بقوله : « الأول تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع فى كسب معارفه الى ينابيعها الأولى ، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من خلطه وخبطه ، لتتم حكمة الله فى حفظ نظام العالم الانسانى ، وانه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم باعثاً على البحث فى أسرار الكون ، داعياً الى احترام الحقائق الثابتة ، مطالباً بالتعويل عليها فى أدب النفس واصلاح العمل ، كل هذا أعده أمراً واحداً » الخ . فهذا الأمر الواحد يجمع حرية الدين ، وحرية العلم ، واستقلال الفكر ، والترغيب فى هداية الدين وترقى الدنيا

هذا هو الاصلاح الاعظم الذى عنى به ، وله فى بيانه بالقلم « رسالة التوحيد » المشهورة وهى مجملة موجزة . وأما تفصيله له بالاطناب التام فقد كان فيما قرره فى دروس تفسير القرآن الحكيم فى الازهر الشريف . وقد فصلته فى الاجزاء الخمسة الاولى من تفسير المنار تفصيلا . وجريت عليه فى سائر أجزاء التفسير وفى جميع مجلدات المنار الى الآن . وقد اقتنع به فى عهده قليل من تلاميذه ، وكثر المهتدون به من بعده ، حتى صار لهم جمعيات ومصنفات ، ودعاة وأنصار فى جميع الاقطار الاسلامية

وكان يرى ان أقرب الوسائل اليه اصلاح التعليم فى الجامع الأزهر وملحقاته . وجهاده فى

اصلاح الازهر معروف . وهو لم يتحقق كما كان يريد ولكن لا يقال إنه قد خاب سعيه له ، بل وجد من وسائله التي رسمها له : النظام ، والتخصص ، والعلوم العصرية ، وتحضير الدروس في الاقسام العالية بدلا من المناقشات اللفظية في عبارات المتون والشروح والحواشي . ووجد فيه نابتة من تلاميذه وتلاميذهم ومتبعي خطته في استقلال الفكر والتفصي من قيود التقليد للمؤلفين الميتين ، هم وسط بين حزب الجمود والخرافات القديم وحزب التفرنج الذي حدث بعده . وعندنا طائفة تؤيد حزب الجمود والخرافات ، وتسلس لحزب التفرنج وتضطهد حزب الاصلاح الجامع بين هداية الدين وترقى العلم العصرى

٢ - اصلاح اللغة العربية

كان من أول نشأته يرى أن ارتقاء الأمة متوقف على ارتقاء لغتها . وكان له في اصلاح اللغة العربية مراحل :

(أولها) طريقته في التعليم والتدريس في مدرسة « دار العلوم » اذ كان من أساتذتها الاولين عند انشائها ، وكان له رأي فيه مع صديقه المرحوم « علي باشا مبارك » مؤسسها . ومن أنفع محاضراته فيها ما كان يلخص به مقدمة ابن خلدون وينتقدها . ومن أشهر تلاميذه فيها محمد صالح باشا الذي صار مستشاراً في القضاء الاهلي وحفني بك ناصف الشهير

(ثانيها) عمله في ادارة المطبوعات ورياسة تحرير جريدة الحكومة الرسمية « الوقائع المصرية » الذي كان له به من السلطان على الجرائد وعلى الحكومة مالم يعهد له نظير في العالم ، فانه انشأ في الجريدة قسماً أدبياً كان ينتقد فيه كل مايراه منتقداً من أعمال الحكومة ولغة دواوينها ومصالحها ، بله انتقاد الاخلاق والعادات العامة في الأمة والحكومة معاً . وكان من تأثير انتقاده للغة الدواوين أنه الجأ جميع الكتاب فيها الى دراسة اللغة في مدرسة ليلية انشئت لذلك ، كما شرحت ذلك في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام . وكان من اشهر تلاميذه في هذه المرحلة ربيبه ومريده الشهير سعد باشا زغلول

(المرحلة الثالثة) الأزهر . وكان عمله في اصلاح اللغة فيه نوعين : أحدهما إلقاء دروسه كلها باللغة الفصحى الممتازة برشاقة التعبير وبلاغة التأثير ، فكان فيه الأسوة العملية العليا . ثانيهما قراءته فيه لأعلى كتب البلاغة وأنفعها : اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لواضع فنها الاول الامام عبد القاهر الجرجاني وانهما لهما الكتابان الجامعان لقواعد علم المعاني والبيان وفلسفتهما من علم النفس ، ولبلاغة العبارة وروعة البيان المفقودتين من كتب السعد التفتازاني ومن دونه من فرسان هذا الفن

وتلاميذه فى هذه المرحلة كثيرون، منهم جهابذة المدرسين فى دار العلوم الذين صاروا من بعده اساتذة فى مدرسة القضاء الشرعى وفى الجامعة المصرية (١) ومن نوابغ الأزهريين الخلص منهم الاساتذة الشيخ مصطفى عبد الرازق، والشيخ عبد العزيز البشرى، والشيخ عبد الرحمن البرقوقى، والمرحوم السيد مصطفى المنفلوطى. وقد وجد من بعده كثير من الكتاب المجيدين فى الازهر لا يعلمون من أين جاءهم هذا الاصلاح. ولم يكن قبله فى الازهر عالم ولا مجاور يعد كاتباً مجيداً

وكان الاستاذ الامام يرأس فى كل سنة لجنة امتحان طلاب دار العلوم، ويرشد الطلبة فى أثناء الامتحان إلى ما ينفعهم فى اكتساب ملكة البيان فله الفضل الاكبر الأعم فى جميع معاهد نهضة اللغة العصرية، وكان راضياً عن سيرها وراجياً لها بلوغ الكمال. وسأنقل كلمته فى هذا

٣ - الاصلاح السياسى المصرى فالاسلامى

كان الاستاذ الامام فى هذا النوع من الاصلاح ناصراً ومؤيداً لداعيته الأول وواضع أسسه، وهو استاذه موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغانى، ولذلك عبر عنه بقوله:

« وهناك أمر آخر كنت من دعاته، والناس جميعاً فى عمى عنه وبعد عن تعقله، ولكنه الركن الذى تقوم عليه حياتهم الاجتماعية، وما اصابهم الوهن والذل إلا بخلو مجتمعهم منه. وهو حق الحكومة على الشعب وحق الشعب على الحكومة، والاعتقاد بأن الحاكم وان وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم، وانه لا يرده عن خطئه، ولا يقف طغيان شهوته، إلا نصح الأمة له بالقول والفعل

« جهرنا بهذا القول والاستبداد فى عنفوانه، والظلم قابض على صولجانه، ويد الظالم من حديد، والناس كلهم عبيد له أى عبيد! »

هذه إشارة إلى عمله السياسى بمصر حين أسس مع السيد جمال الدين الحزب الوطنى الأول فى عهد اسماعيل باشا وهو خاص بمصر. ثم كان له معه سعى آخر للاصلاح السياسى الاسلامى الراقى العام، وتأسيسهما جمعية العروة الوثقى السياسية التى أصدرا باسمها جريدة « العروة الوثقى » فى باريس. وقد فصلنا كل ذلك فى تاريخه

ثم صرح بأنه ترك العمل السياسى لأنه ثمرة لتربية الأمة تربية خاصة، فالواجب الأول العناية

---

(١) قال أحدهم المرحوم الشيخ محمد مهدي لنا بعد الخروج من الدرس الاول من دروس كتاب اسرار البلاغة: اننا في هذه الليلة قد كشفنا معنى كلمة « علم البيان » وكان الشيخ مهدي مدرساً في دار العلوم فمفتشاً في وزارة المعارف فمدرساً للبلاغة وآداب اللغة في مدرسة القضاء والجامعة المصرية فوكيلا لمدرسة القضاء، ومنهم خلفه في الوكالة الشيخ حسن منصور (ر ح)

بهذه التربية ، وانه لايزال يدعو إلى الاصلاح الديني ولم يذكر أنه تحقق شيء منه . قال : « وأطالب باتمام الاصلاح فى اللغة وقد قارب »

وكان كل رجائه فى الاصلاح الديني منوطاً بالمنار وتفسير المنار ، كما صرح بذلك لكثير من الناس ، وأشار اليه فى الأبيات التى انشدها قبيل وفاته . رحمه الله وجزاه أفضل الجزاء عن أمته ووطنه ، وعن مريده ومحبي علمه وذكره

مصطفى باشا كامل

بقلم الاستاذ حافظ رمضان بك

« لقد قام مصطفى كامل بكل ما يمكن أن يحلم به انسان و يرغب فيه ، ليوجه قومه فى طريق المطالبة بحقوقهم المشروعة

« لقد كتب كل ما كتب عن مصر تحت تأثير تلك القوة المزدوجة التى كانت بالغة عنده درجة هائلة وهى : الشعور بمفاخر عنصر مجيد فى تاريخه القديم ، والامل العظيم بما يمكن الوصول اليه فى المستقبل

« فاذا تمكن الوارثون لتراثه الوطني من السير فى الطريق التى رسمها والتى يمكن تلخيصها فيما يأتى : وراثة الاسلاف فى صفاتهم ، والجرأة فى العمل ، والمهارة فى اسلوب ذلك العمل فانهم يضيفون حجراً فى هيكل الوطنية المصرية الذى كان مصطفى كامل مهندسه النابغة »

هذا هو حكم « مدام جوليت آدم » فى مصطفى كامل ، نبي الوطنية المصرية ، بعثت به الى ضمن خطاب ، رداً على سؤالى اياها عن رأيها فيه بعد سنوات قليلة من وفاته

عرفت مصطفى كامل ولما أزل طالبا فى الحقوق ، وهو فى فجر حياته السياسية ـ عرفت فيه الفصاحة معقودة بلسانه ، والحماسة مكونة فى جسمه النحيل ، والوطنية الصادقة ملء قلبه الكبير

كان لهذا الرجل الكبير فؤاد لا كالأفئدة ، وشعور أعلى مما يتصوره الانسان . ولقد عهدت فيه حباً جماً واحتراما عظيما لهذه الأمة ، لم أعهده فى غيره ممن وقعت عليهم عيني

دب الى جسمه الضئيل دبيب المرض ، فنصحه أطباؤه أن يتقى الله فى نفسه فلا يحملها فوق طاقتها من العناء ، وطلب اليه أصدقاؤه أن يتقى الله فى أمته فلا يحرمها من وجوده حتى يتم مهمته التى وقف عليها حياته ، ولكنه عند ما أحس بضعف القوى ، وشعر بأن أيامه فى الحياة

معدودات ، أسرع الخطى وضاعف المجهود وأخذ العدة فى تنظيم الحزب الوطنى ، وألقى بالاسكندرية فى ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٠٧ خطبته المأثورة التى أعلن فيها مبادىء الحزب الوطنى فاهتزت لها البلاد ، وانهالت طلبات الانضمام التى تعد بمئات الالوف

ثم أخذ يسابق الزمن ، والمرض يلاحقه ، وآثر أن يضحى حياته لاتمام العمل الذى بدأه ، فألقى خطبة الوداع يوم ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ وهى آخر خطبه ، ثم عاد الى غرفته ولم يفارقها إلا محمولا على الاعناق ، تشيعه زفرات الباكين وعويل المنتحبين من جميع طبقات الأمة ـ مات ذلك الذى كان يهز أعصاب القلوب بصلصلة صوته الرهيب وصرير قلمه الجرىء . مات ذلك الذى كان يجوب الاقطار ليبدد ظلمات الباطل بنور وطنيته الساطع ، ويحاول أن يجمع قلوب العالم حول مصر ، يقارع الحجة بالحجة ، وكانت أبلغ حججه يوم لبى نداء ربه ـ ذلك أنه ايقظ بموته وهو حى الاموات ، أموات الاحياء

فلا عجب اذا كان قاسم امين قد سمع قلب مصر يخفق يوم شيعنا مصطفى الى مثواه الاخير . أجل ، لقد كانت وفاة مصطفى وما أحدثته من لوعة ومن فراغ دليلا محسوساً على أن نبى الوطنية أدى رسالته ، فأثمرت وآتت أكلها من كل زوج بهيج

وحسبه ذلك عملا جليلا وتوفيقاً فى تحقيق جوهر الفكرة قل أن يوفق اليه قادة الشعوب

ما أشبه مصطفى كامل بالزعيم الايطالى مازينى ، كلاهما أثار شعباً مجيداً من رقدته وحفزه للعظائم . وما يضير مصطفى أن الجلاء لم يتحقق حتى اليوم ، لأن جهاد الامم قد ينتظم حياة الافراد جيلا فجيلا ، على نحو ما وقع لبولونيا ، ولم يقل أحد إن « كافور » خير من « مازينى » ولا قال أحد ان « جاريبالدى » خير من صاحبيه « كافور » و« مازينى » ، وانما قالوا : ان مازينى ذهب بمعجزات النبوة الوطنية وجعل حب الوطن ايماناً وعقيدة عند الطليان ، ونجح كافور فى تحقيق سيادة وطنه من الناحية السياسية ، بينما راح جاريبالدى بفخر النضال الدموى لتحرير بلاده

وكان من أثر الدعاية التى بثها مصطفى كامل فى اوربا ضد الاحتلال البريطانى ، ان قال المسيو فريسينيه المؤرخ الفرنسى السياسى المشهور :

« لا بد من يوم تخرج فيه مصر من قبضة انجلترا وتعود للسلطان ، أو تبقى على الحياد تحت ضمانة اوربا . . . وان حلول هذا اليوم أمر محتم ، لا لانه مقصود بمقتضى المعاهدات الكتابية بل لأنه فى طبيعة الأحوال نفسها »

قال مسيو فريسينيه هذا ، بعد وفاة مصطفى وبعد أن استقر فى تقديره ان الوطنية المصرية حقيقة رائعة ليس الى نكرانها وتهوين شأنها من سبيل

اختزلت المنية عمر مصطفى ، فاختزلت بوفاته جهوده ، ولك أن تتصور ماذا كان يفعله ذلك الزعيم النارى فى عام ١٩١٤ أو عام ١٩١٩ ، لو انه كان حياً

على انى لا أتردد فى توضيح نقطة من برنامج مصطفى كامل غمض فهمها على الناس . هذه النقطة هى رأيه فى علاقة مصر بتركيا . . دعنى أقول عن علم ان مصطفى كان يتكىء على المعاهدات الدولية التى تربط مصر بتركيا ليتخلص من الاحتلال البريطانى . ولا ضير وقتئذ على مصر أن تتبوأ المركز الذى كانت تتبوؤه بافاريا وغيرها من دويلات المانيا فى البناء الشامخ الذى شيده بسمارك بدهائه وعزيمته الحديدية ، والذى نعرفه باسم الامبراطورية الألمانية وعلى رأسها ملك بروسيا

فلا يغض أحد من فكرة مصطفى كامل الاستقلالية !! لقد كان يريد التخلص من الانجليز أولا . . . وانى لأسأل : هل كانت سيادة تركيا قبل الاحتلال إلا وهما لا وجود له ، وهل كانت علاقتنا بها الا كالشعرة تربط العضو بالجسم ؟ وفى كل يوم توشك الشعرة أن تنقطع

أما نضاله ضد الاحتلال البريطانى فقد بدأ بصورة رائعة فى حادث دنشواى ، واستمر حتى اشتد واضطرم فى سنة ١٩١٩ . ولن تلقى مصر سلاح النضال المشروع حتى تسترد حريتها وحقوقها وسيادتها التامة على وادى النيل

فمصطفى كامل علمنا الوطنية وجعلها عقيدة فى نفوس المصريين ، ومصطفى كامل جاهد الاحتلال والمحتلين ، وما زال يناضل حتى سقط فى الميدان ـ ذهب الى الدار الباقية وضرب لنا بموته المبكر مثلا فى التضحية جليلا . والتضحية كفيلة بتحقيق ما كان يصبو اليه ، لأن مصطفى لم يمت . وكيف يموت وقد خلف فى مصر أربعة عشر مليون مصطفى كامل ؟!

قاسم بك امين

بقلم الاستاذ ابراهيم بك الهلباوى

لما طلب منى « الهلال » أن أكتب عن قاسم رأيت من الواجب على أن أرجع الى بعض زملائه الذين عاشروه أيام الدراسة . وقد كان فى مخيلتى قبل الرجوع اليهم أن قاسماً كان أيام دراسته دائماً فى مقدمة الناجحين فى الامتحان . ولكنى علمت مع الدهشة من طلعت باشا أن قاسماً كان يؤدى امتحانه فى أغلب السنين بدرجات متوسطة وقل ان كان بين الأوائل اللهم إلا فى السنة الاخيرة التى نال فيها الشهادة العليا سنة ١٨٨١ فقد كان فى امتحان الليسانس أول الناجحين

قلت لطلعت باشا : « ان خاصة الذين عرفوا قاسماً بنبوغه وفرط ذكائه كانوا يظنون أنه كان دائماً فى طليعة زملائه فى الامتحان » فقال : « نعم ولكنه ألف من صغره أن يوزع مجهوده بين دروسه وبين قراءة كتب الأدب الفرنسى والتاريخ الفرنسى . فكان يحصل ضعف ما يحصله

الزملاء في الدرس وفي المعارف العامة . وقد بقى ذلك شأنه لا يكتفى بعمل واحد في الحياة بل يجمع بين الاعمال والدراسات حتى كان في القضاء قاضياً وعلامة ومؤلفاً ومحرراً للمرأة ومنشئاً للجامعة ومؤسساً للجمعية الخيرية الاسلامية وغير ذلك من جلائل الأعمال ،

أما مؤلفه في الرد على رسالة الدوق « داركور » وكتاباه « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة » وأما اشتغاله بالجمعيات واشتراكه في تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية والجامعة المصرية ، فقد كانت كلها آيات ناطقة بمبلغ نشاط هذا الرجل الفذ

فرده على الدوق أمر يستحق الالتفات ، فهو وإن كان يتعلق بمشكلة اجتماعية فرجع البحث فيه إلى مسائل دينية اسلامية محضة . ونحن قد تعلمنا أن الذين يضيفون الى تربيتهم المصرية تربية أوربية يعودون الينا أقل عناية بالمسائل الدينية . فاشتغال قاسم بهذا الموضوع يدلك على أن شخصيته الدينية الاسلامية كانت ما تزال مرتبطة بعزته القومية وشرف وطنه

بحثه في هذه الرسالة جره الى البحث في مسألة المرأة المسلمة ، فهي من أهم المسائل الاجتماعية المحبوبة . وقبل بيان أهمية هذا الموضوع أذكر أن رجلا قسيساً من فرنسا كان يرى امكان اتحاد الاديان بعضها ببعض وجعلها دينا واحداً ، وهو القس (لوازون) جاء الى مصر مع زوجته حوالى سنة ١٨٩٨ والقى محاضرة في هذا الموضوع بالاوبرا . وقد قوبل بكل حفاوة ممن عرفه وتعرفت زوجته بزوجات كثير من العائلات التي زارها . ولما كنت من بين من تعرفوا به ذهبت الى داره مرة في ضواحي باريس مع محمود بك سالم والمرحومين مصطفى كامل ومحمود بك أبو النصر . وعندما استقبلتنا زوجته قالت للمرحوم مصطفى : « لقد دخلت وأنا أقرأ فيك » فقال : « لعلك راضية عما قرأت » فقالت : « كلا » ثم التفتت الى فسألتني رأيي فيما كتب مصطفى فقلت لها : « لم أطلع عليه » فقالت هي : « إنه حديث مع جريدة (لاباترى) سأله المكاتب: ما شأن المصريين الآن مع الانجليز ؟ فقال : كلما طال عهد احتلالهم كثرت كراهة المصريين لهم » ثم قالت : « ما فائدة هذا البيان هل يوجد أحد يتوهم أن هناك أمة ترضى بالاستعمار ؟ » ثم قالت بين حديث طويل : « ذهبت مع زوجي لمصر ولأتصل بنساء مصر لعلي أجد بينهن جريحاً يتألم من وجود الاجنبي في ديارهن فأشاركهن في هذا الشعور . وذلك لأني وان كنت فرنسية بحكم زواجي من فرنسي فانا امريكية ضحيت من عائلتي خمسة رجال استشهدوا في حرب الاستقلال ضد انجلترا . ومن الأسف أني تعرفت بكثيرات منهن فوجدتهن لاهيات عن الامر الذي ابحث عنه فعدت بخفي حنين . كل ذلك لانكم أيها الرجال حلتم بين نسائكم وبين التمتع بحق كل كائن في الحرية حتى صرن كالتحف في المنازل . وكلكم تعلمون أننا جميعاً في هذه الحياة نسير الى غرض هو أمل الجميع في الشرق أو الغرب . ولكن المصرى يمشي وامرأته على كتفه والاجنبي يمشي وامرأته بجواره فهل السائرون خفافاً كالسائرين ثقالا ؟ »

من يدرك هذا المثل من هذه السيدة فى سنة ١٨٩٨ يعلم مقدار ما كانت حاجتنا الى تحرير المرأة وتعليمها ، ويعلم ان قاسماً ان كان طرق هذا الباب فى ذلك العصر فهو قد تقدم اليه فى ابانه وبخير الذرائع

صلة قاسم بسعد جعلته الى حد ما بعيداً عن جو السراى والآراء التى تعطف عليها لأن السراى كانت تقليدية رجعية فى هذه المسألة

ولهذا جاء مذهب قاسم فى تحرير المرأة من أشد المذاهب بغضاً واستحقاقا للمحاربة من كل الرجال الذين يستقون افكارهم من ذلك الينبوع ، ولذلك لم يكن غريباً أن يكون فى مقدمة من حملوا الحملة الشعواء على مذهب قاسم هم اصحاب اللواء والمؤيد . وقد قابل قاسم هذه الحملات بما له من الشجاعة والاستخفاف بالأذى . والذين لم يكونوا متصلين بحوادث ذلك الزمن لا يدركون خطر ما يلحق من كان فى مركز قاسم من العنت والاضطهاد . لم يكن من تقاليد السراى ان تقفل بابها فى وجه رجل من كبار رجالات الدولة كقاسم ، ولكنها فعلت ذلك لأن حنقها كان شديداً حتى احتقرت تلك التقاليد واقفلت بابها فى وجه قاسم العظيم

هذا العنت الظاهر أفقد صاحبنا صبره وقتاً ما . وأذكر اننا كنا ذات ليلة فى حفلة زواج عطية هانم الفلكى بالدكتور صالح صبحى ، وكانت الحفلة تجمع صفوة رجال مصر وفى صدرهم قاسم . فاذا بأكبر امراء البيت الحاكم وأخو الخديو الشقيق يدخل فى تلك الحفلة ويقوم له كل من بالسرادق اجلالا واكباراً ، إلا رجلا واحداً كان موضع انظار الجميع لم يقف لذلك الامير الذى وقف له الجميع ، وكان الرجل قاسم امين . . .

لم يكن يدخر مجهوداً للدفاع عن عقيدته . عرض رأى فى الجمعية الخيرية الاسلامية لايقاف كل ماتملك على الوجوه الخاصة بنفقات الجمعية . ولما كان قاسم يرى أن الوقف كثيراً ما يعطل على اصحاب الشأن فيه حرية التصرف بما تقتضى الحاجة والظروف التى لا يمكن الاحاطة بها ، عارض معارضة شديدة ، وكانت الاغلبية ترى غير ذلك ، فبقى قاسم مصراً على رأيه قائلا : وان هذه مسألة من المسائل الاساسية التى لا يمكننى أن أخضع فيها لحكم الاغلبية ، بل واجبى فى هذه الحالة يقضى على بالاستقالة من خدمتها ». فتراجع الجميع وسلموا برأيه ومات قاسم واتقينا خطر استقالته وبقيت الجمعية من سنة ١٩٠٨ ولم يفكر أحد من اعضائها الى اليوم فى الخروج عن رأى قاسم

أما أثره فى الجامعة فلم يكن أقل جلالا من آثاره فى المسائل الاخرى ، فقد قام قاسم بالدعوة الى انشاء هذه الجامعة . وتقارير كرومر السنوية تنطق بأن رغبة الانجليز فى تعليم الشبيبة المصرية يجب أن ينتهى الى حد تعليم الناشئة مقدار ما يراه الانجليز لاستخدامهم . فانشاء الجامعة كان اعتراضا صارخا على مبادىء المستعمرين فى قتل ثقافة المصريين . وأكبر دليل على هذا أن المرحوم سعد باشا لما دعى لتولى وزارة المعارف فى أواخر سنة ١٩٠٦ لم يجد مما يتفق

مع سياسة ذلك العصر أن يكون وزيراً للمعارف ورئيساً أو وكيلا أو عضواً فى لجنة الجامعة فاستقال منها . ولكن قاسماً لم يكن من بدء حياته إلى منتهاها إلا مفاخراً بأنه يقوم بما يستطيع من خدمة وطنه أرضى الغير أم أغضبه

يخطىء من يظن أن قاسما كان بعيداً عن السياسة ، لأن ذلك إن صح يناقض أنفته المعروفة عنه . فالسياسة فى مصر أخص صورها الشكوى من وجود المستعمر والعمل لتحرير الأمة منه . ولن يستطيع من يقدر قاسماً أن يقول إنه كان بملهى عن ذلك

ولعل الكتاب ظنوا أنه كان بعيداً عن السياسة ، وذهبوا إلى ذلك لأن اسمه لم يقترن بحركة من الحركات السياسة . فهذا مرجعه إلى أن قاسماً كان يعمل ولا يتكلم ، كان يحب الوحدة والعزلة ويكره الشهرة ، ولكنه كان من أوائل المرافقين لاخوانه فى بث الشكوى ومدافعة الاحتلال فى مصر . كان يفكر ونحن نكتب ، كان يشير ونحن نعلن . كذلك كان شأن قاسم بين الشيخ محمد عبده وسعد زغلول ولطيف سليم وعلوى باشا وابراهيم بك مصطفى وحسن عاصم وعلى فخرى وغيرهم من الرجال الذين قضوا كل حياتهم فى هذا السبيل

كان قاسم مشغولا بفن الأدب وخاصة بالفنون الجميلة ، أكثر الناس تقديراً للفنانين ، مصورين وشعراء وموسيقيين . ولذلك تراه الرجل الوحيد من طبقته الذى سار وراء نعش المرحوم عبده الحامولى اول المغنين المصريين المجددين

ولا أظن أحداً يسألنى بعد ذلك عن شخصية ذلك الرجل الفذ ، فهى ظاهرة فى تلك المواقف التى سردتها والتى تنطق جميعها بمقدار القوى التى كانت كامنة فى ذلك الرجل العظيم

أما طباعه وسجاياه ورقة حاشيته ، فانك كنت تكاد تحسبها الدماثة والرقة صورت رجلا فصارت انساناً كاملا ، بل كنت تكاد تحسبها طباع ملاك هبطت إلى إنسان

ولقد كانت بغية قاسم أمين وأمنية حياته تحرير المرأة المصرية - أو بالأحرى إطلاق المرأة من سجن الحريم والحجاب . ولم يرض لها الجهل مع الحرية فشدد فى وجوب تعليمها . . . كل ذلك ضمنه كتابيه : تحرير المرأة والمرأة الجديدة

فأما ما تحقق من أحلامه فيقظة المرأة فى مصر وما وصلت اليه من تحطيم كثير من القيود ومزاحمة الرجل فى شتى مناحى النشاط الحيوى . هذا هو الذى تحقق من هذا الحلم . والزمن كفيل بتحقيق ما بقى ، والطلائع كلها تبشر بان دعوته إلى تحرير المرأة وتعليمها وجعلها من الأسس التى تنهض عليها دعائم القومية المصرية وحشدها مع الرجل فى ميدان الجهاد الوطنى لاحراز الاستقلال بكل ما يحمله من معان سامية - إن دعوته تلك أقرب إلى أن تفعل فعلها الكامل وتأتى بثمراتها الناضجة من أية دعوة إصلاحية أخرى . ولست

أنكر أن قاسماً مات ولما يتحقق من برنامجه شيء يذكر ، لكن المعول فى صيحات الاصلاح هو على النتيجة البعيدة لا الاثر القريب ـ فقاسم أمين مصلح موفق بلا ريب . فرحمه الله وألهمنا العمل بما رسم

سعد باشا زغلول

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعى

حقاً انى لفى حيرة ! ماذا أقول عن « سعد زغلول » ؟

أقول كثيراً وكثيراً جداً . . .

شخصية حبتها الطبيعة المواتية حكمة واعتباراً ونبوغاً وابتكاراً ، وسمواً فى غير استكبار وعظمة فى غير ازورار ، مع كياسة فى غير ضعف ، ورياسة فى غير ما عنف ، وسياسة فى غير ملق ولا دهان ، وعقلية جبارة فى اتئاد وحكمة ، وتقوب بصيرة فى دماثة وظرف ، ولين عريكة فى رجولة مستكملة . كلها نضج ، وكلها حزم ، وكلها إرادة ، وكلها عزم ، وكلها يقظة ، وكلها انتاج

عظمة سعد روعة كلها ، وحياة سعد مفاخر كلها ، وبطولة سعد خليقة بالدرس والامعان . ولست ارتاب أن الوقت لم يحن بعد لانصاف سعد لان زمن تقديره لم يأت بعد . . .

على أن سعداً قد نجح فى مهماته التى بعث لها وبعث بها ، والتى خلق لها وخلق بها ، والتى بذ فيها الاقران والانداد . بل نجح نجاحاً ليس إلى تقديره من سبيل ، وكادت تلك البذور الحية الخصبة تظلنا جميعاً بدوحاتها المشمخرة الفينانة . . .

ارجع البصر كرتين أوثلاثاً ، واذكر جهوده الجبارة فى افتتاح الكتاتيب ، واذكر خطاباته الثرة الهتانة فى الحض على الزامية التعليم ، ثم اذكر وقفاته « لدنلوب » فى البرامج التعليمية ، ثم اذكر مناصرته للغة العربية . ولا تنس أنه وليد الثورة العرابية ، وانه من مناصرى الاستاذ الامام ، ومن مؤيدى « قاسم امين » ومن باعثى الحياة فى الجمعية التشريعية والحياة الصحفية ، ومن مشجعى الأدباء . . .

ولا تنس أيضاً نصيب سعد فى القضاء ولا أثر سعد فى المحاماة ولا ضلع سعد فى الجامعة المصرية ، ولا مؤازرة سعد فى تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية . . . ولا . . . ولا . . .

ولست أشك ذرة أنك واجد أصبعه فى شتى مرافق حياتنا المصرية إذا ما تغلغلت فى أمانة الباحث المستقصى لأرومة كل شيء

والحق ان حياتنا الجامعية مدينة لسعد ، والحق أن حياتنا التفكيرية المنطقية مدينة لسعد ، والحق أن لهجاتنا الخطابية الحماسية مدينة لسعد ، والحق ان دربتنا البرلمانية مدينة لسعد . . .

لقد آن لى أن أقرر لك شيئاً سمعته باذنى من صديق الحياة والممات ، المغفور له ثروت باشا الذى كان يقدر سعداً حق قدره ، والذى كان يكبره فى خصومته كل الاكبار . .

قال لى : « علم الله انى ما تقويت على « النبى » ، وانتزعت منه ما انتزعت ، إلا بتخويفه بمعارضة سعد . لقد كنت أقول له دائماً : إن سعداً أمامى ، وان البلد من ورائه . . . »

وهكذا كانت البلاد تستفيد من سعد سلبياً وإيجابياً . . . وهكذا كانت البلاد تستفيد من سعد فى الوزارة وخارج الوزارة . . . وهكذا تدر الشخصيات البارزة على أوطانها بافاويق النفع والافادة . . .

على أنك سائلى : ماذا حقق سعد ، بعد أن علمت ماذا أفاد . . ؟ !

ولكنى ألفت نظرك الى أن الأسس الوطيدة ، والبذور الصالحة ، والجهود المثمرة ، والتعاليم المبثوثة ، والصيحات المذكورة — هذه كلها التى الى سعد مرجعها ، ومن سعد متفجرها — لا بد واصلة بنا حتما الى بغية الجميع فى الاستقلال والحرية . . .

« أما بعد » فاذا ما ذكرت « الرينيسانس » فانك ذاكر إيطاليا و « بوكاسيو » و « مديتشى » . وانك لذاكر قطعاً حين ذكراك للنهضة فى مصر فى مختلف نواحيها سعداً ، وسعداً فى الطليعة — فى اللغة ، فى الصحافة ، فى المحاماة ، فى القضاء ، فى البرلمان ، فى التشريع ، فى الاجتماع ، فى الكفاح ، فى السياسة . . فى كل هذه المناحى تستطيع — من غير ريب — أن تكتب فصولا طوالا ، وان تجد لمتسع القول مجالا . .

ومهما حاول خصوم العظمة ، وخصوم المعدلة والبطولة ، الغض من الآثار العملية التى وصلت اليها البلاد بفضل سعد وشخصيته وتعاليمه — مهما قالوا لماذا رفض مشروع ملنر أو مشروع الدمنيون ، فانهم لا يستطيعون أن يقولوا إن يقظة مصر وفورتها وقضية مصر ونهضتها ، لم تخدم من سعد ، ولم تظهر بفضل سعد ، ولم تضطرم جذوتها من روح سعد . . .

وإذا ما قيل إن الاستقلال يتطلب طيلة زمان ، وطيلة كفاح ، وطيلة جهود ، فان لنا من روح سعد ، ومن الأمة المؤمنة بتعاليم سعد الايمان الوطيد ، نبراساً يهدينا لتحقيق مطامحنا السياسية . وعندنا رجاء خير رجاء فى نضج شتى النواحى المدينة لسعد من حياتنا الثقافية والاجتماعية والبرلمانية والحزبية . تلك كلمة ألممنا لك بها إلمامة تحتملها مجلة سيارة فى ظروف كلها ملالة وسآمة . . .

شبابنا الجديد : آماله واحلامه

بقلم الدكتور علي العناني

الابناء بالنسبة الى آبائهم هم فلذات أكبادهم ومتجه عواطفهم ومحل محبتهم ومعقد آمالهم. ومن أجل الابناء يكد الآباء ولاسعادهم يعملون وفى تهذيبهم يجتهدون وحول نفعهم فى العموم يفكرون مم يفكرون. وهم بالنسبة الى الوطن ذخيرته الحاضرة وروضته الناضرة وعدته فى مستقبله القريب

والآباء بحكم الأبوة وبعامل الوطنية وشعور القومية هم معلمو الابناء وأساتذتهم. وبمقدار ذكاء المعلم وغزارة مادته ونوع ثقافته تكون قيمة التعليم ويكون مدى نجاحه. والنتيجة اللازمة لذلك أننا إذا أردنا أن نعرف نجوى شبابنا المصرى الآن، ونوع ما يجيش فى نفسه من أمل وجب علينا أن نلقى نظرة عامة على مابين الآباء والأبناء فى مصر من صلة عقلية هى صلة التربية والتهذيب، أو هى جماع حياتنا العقلية وصورة ثقافتنا الحاضرة فى العموم

كل جيل من الاجيال يتكون حتماً ـ وعلى الاقل ـ من الاجداد والآباء والابناء والاحفاد. والاجداد اساتذة الآباء، والآباء بدورهم أساتذة الابناء كما تقدم، والابناء بدورهم أيضاً أساتذة الاحفاد. والحياة العقلية لأية أمة من الامم فى اقصر أدوارها هى التى تشترك فيها هذه الطبقات الاربع. وطبقة الابناء تتكيف بالكيفيات العقلية التهذيبية التى تصل اليهم من طبقة الآباء. وهم يكيفون بها طبقة الأحفاد. وهكذا مع ما يتابع ذلك من طبيعة الرقى المرتكز على مجهود الأمة نفسها، أو المرتبط بتقليدها للامم الحية الراقية، وبالاقتباس من مجهوداتها العقلية والعملية فى القديم المجهول والجديد الغريب، أو مع ما يتابع ذلك أيضاً فى بعض الظروف من عوامل التدهور والانحلال

وإذا كان الأب معلم أبنائه والابن تلميذ آبائه فالمدرسة الحقيقية التى تكون الناشئين وتكيف عقلياتهم بحكم الطبيعة ليست هى المدرسة النظامية فقط التى تلقى فى حجرها الدروس وتلقن العلوم طبق خطط موضوعة ومناهج مكتوبة وقوانين للتعلم والتعليم مشترعة، بل هى أيضاً تلك المدرسة العامة التى لا ينصرف عنها الطالب آناء الليل وأطراف النهار مطلقاً. وتلك المدرسة فى القرية هى الدار والحقل وندوة السامر وسوق المتجر. وهى فى المدينة البيت والشارع والمقهى والمسرح والملهى والملعب والمسجد والمعبد والمصنع والمتجر والمربع والمتنزه. وهى فى المدينة أيضاً دور الاحزاب ونوادى الجمعيات والاتحادات والصحيفة والمجلة والرواية

والكتاب والدرس والمحاضرة . هى كل ذلك وما اليه من جميع نواحى البيئة وانواع الاجتماع فى هذه المدرسة العامة والبيئة الجامعة يخرج الآباء الابناء ويهذب الابناء الاحفاد . والشباب يستقر فى عقليته ونزعاته ويستريح لحياته الحاضرة ومستقبله إذا كانت الأمور كلها فى هذه المدرسة العامة والبيئة الجامعة مستقرة والحياة فيها منظمة ومدعمة وطريق المستقبل بها معبداً لا التواء فيه ولا تعريج ، والعكس بالعكس

والامة التى تتنبه فى حياتها وتدرك وجودها وتجل نفسها وتسمو فى رغباتها وترنو إلى التقدم فى صفوف الامم الحية الراقية تعرف ان سبيلها الاول الى ذلك ـ ولا شك ـ الرقى العلمى والتهذيب الاجتماعى فتقلد غيرها فى ذلك ، وتنتج هى أيضاً بعقلها وتفكيرها الخاص بها ، وتعين روح ثقافتها فى حدود قوميتها ، وتحدد مثلها الاعلى الذى به تمتاز . وهى فى كل ذلك ربما توفقت ووصلت الى النهاية فى المكانة القصوى باسرع ما يكون أو بعد طويل من الزمن ، وربما تخبطت وسارت على غير هداية فلا تقطع شوطاً ولا تتقدم شبراً ، وكثيراً ما تؤوب الى الوراء بصفقة المغبون

وفى الحالة الأولى يكون الشباب وثاباً فى وداعة وحكمة فيهتدى ، وناهضاً فى هدوء واستقرار فينجح ، وعاملا فى ابتهاج وحبور فيفلح . وفى الثانية يعدو فى اضطراب وقلق فيضل ، ويسرع فى حيرة واندفاع فيعثر ، ويتحمس فى طيش ونزق فيخطىء ، وينشط فى وجل وكدر فيخيب ويخسر . واذن فتوفيق الشباب وسروره واستقراره او اخفاقه وكدره وحيرته ـ لا شك كل ذلك راجع الى حالة بيئته الجامعة ونوع مدرسته العامة وعقلية الآباء اساتذتها وما تنتجه هذه العقلية من أثر يكيف نوع الحياة ويصور حالة الاجتماع

فى هذه المدرسة العامة ـ أو البيئة الواسعة الجامعة والمرآة الشفافة الواضحة ـ نلمح الشباب المصرى من جهة مضطرباً فى حيرة لانها مضطربة متناقضة ، وهيمان صاديا لانها جافة وجامدة . ونراه من جهة أخرى مملوءاً بالحماسة والنشاط لانها راغبة ومرغبة فى الحرية وشاعرة بالعظمة القومية وطافرة الى الرقى والنهوض . ودين الشباب فى مصر الحرية وشعاره العظمة القومية ومطمحه التقدم والرقى . ولقد ورث هذا بالطبع عن الآباء وغالى فيه بتأثير روح الوقت والنهوض العام . لذلك هو متشبع بالحماسة وشاعر بالعظمة ومملوء بالنشاط

ما تزال التربية العلمية فى مصر ـ برغم كل علاج فيها حتى الآن لاصلاحها ـ متشعبة متضاربة لا تفرق بين المروى الموروث والاسطورى القديم والعلم التجريبى الحديث . بل ما يزال التعليمان الدينى والاهلى فيها لا يلتقيان عند حقيقة واحدة وعقلية متحدة عامة . وانما عقليتنا ـ وهى نتيجة هذه الجهات المختلفة كلها ـ ما زالت مختلفة الألوان والنزعات والمبادىء والرغبات .

وكل هذا ـ ولا شك ـ من عوامل الاضطراب والقلق المحض . وماذا ننتظر من الشباب المثقف بمثل هذه الثقافة إلا الحيرة الواسعة وعدم الاستقرار

* * *

تصدر فى مصر فريق غير ناضج فى الثقافة العامة مدعياً معرفة كل شىء وناصباً نفسه إلى الارشاد فى كل شىء أو بعبارة عامة الى القيادة الفكرية . ولا يتورع هذا الفريق ـ مع الاسف الشديد ـ عن التعرض لما لا يعرف ويقرر حكمه فيه

والامثلة على ذلك كثيرة جداً نذكر من بينها تلك الدعوة العجيبة الى اشتغال الشباب المصرى بأدب قومى مصرى وما يتبع ذلك من اهمال جانب الادب العربى العام . وبربك خبرنى : أين هذا الادب القومى المصرى ؟ أهو أدب الفراعنة أم أدب العرب المصريين ؟ وفى أية لغة على كل حال قد دون هذا الادب ؟ أفى اللغة الهيروغليفية ؟ أم فى لغة مصرية أخرى موهومة ؟ أم فى لغة العرب ؟

وإذا كان هذا الادب القومى المصرى مدوناً فى لغة العرب فأدب هذه اللغة هو أدب اللغة العربية العام منذ نهضتها الجاهلية الاولى حتى الآن . وغاية ما فى الامر أن مصر لها ذوق خاص فيه كما لسورية وفلسطين والعراق واليمن ونجد والحجاز وبلاد افريقية الشمالية وأقطار الأندلس من الاذواق الادبية المختلفة . وكل واحد منها متوقف طبعاً فى فهمه واستساغته على فهم الاذواق العربية الادبية الاخرى فى جميع أقطارها المترامية

وبالجملة فهذه الفكرة الزائفة والدعوة الموجهة اليها ـ مع مافيها من قول خلاب ونزعة وطنية ظاهرية براقة ـ ليس فيها سوى إغراء الشباب ضد الحضارة العربية والتضليل به فى هذا السبيل . وماذا تكون عقليته وعواطفه مع هذا الاغراء والاضلال فيما يختص بالدين وأمه ومجد الساميين ؟

* * *

بعض الصحف اليومية وبعض المجلات تنهش الاعراض نهشاً قاسياً ، وتقذف فى الزعماء والقادة قذفاً فاحشاً . وهذا القذف وذاك النهش ـ وهما واقعان على آباء الناشئين ومعلميهم ـ كارثة فادحة وجريمة قومية مضاعفة تضر بأخلاقنا وبقوميتنا وشرفنا ووحدتنا (المرجوة طبعاً) وهى كما تسىء الينا وتضربنا فى كل هذه النواحى تسىء أيضاً الى أبنائنا الشبان فى كل ذلك

وبأى شىء يذعن الشباب والحالة هذه ؟ أبالسباب أم بالدفاع ؟ أم بهما معاً ؟ أم بأحدهما تارة وبالآخر أخرى ؟. أم يميل الى نبذ السباب والمتسابين ؟. انه فى النهاية من جراء ذلك لفى اضطراب وأسف وفى نفرة واختلاف وفى شقاق ونضال . وبئس النضال نضال الدفاع عن الرذيلة !

مبدؤنا واحد فى السياسة والاجتماع سواء فى ذلك الافراد والجماعات والاحزاب ، ولكن عملنا مختلف أشد الاختلاف فيهما ومتنافر كل التنافر فى هذا الباب : ننادى بالمصلحة القومية

العامة وتعمل للصالح الفردى الخاص . ويرى الشبان ذلك وأى شىء يفقهون ؟ أيصدقون القول ؟ أم يقتنعون بالعمل ؟ . إنهم فى الواقع لفى حيرة وفى قلق . وانهم لفى اضطراب وضيق ذرع . وانهم فى النهاية لفى تنافر ومخاصمة وعداء

فى كل عام يتخرج الآلاف من الطلبة . وفى كل عام يتقدم الآلاف للتعلم من الاطفال . وفى كل عام يتنقل الآلاف تلامذة وطلبة من سنى الدراسة المختلفة الى التى تليها . وفى كل عام فى النهاية تزيد النسبة فى كل ذلك عنها فى العام السابق . ومع ذلك فمستقبل الجميع ليس باسما وعبوسه يشتد ويبعد مداه . وماذا يكون فكر الشباب والحالة هذه سوى الحيرة والابتئاس والحنق على الزمان والمكان !!

• • •

فكروا ياقادة الامة وولاة أمورها ، ويا أجداد الآباء وآباء الابناء فى شباب مصر ، فى آباء الاحفاد ومعلميهم . فكروا فيهم وتبينوا نجواهم واعرفوا انواع آمالهم ـ لهم ولبلادهم ـ وتساندوا جميعاً فى رعاية مدرسة الشباب العامة وبيئته الجامعة . وكونوا منه أساتذة مثقفين مدربين نافعين حقاً لتربية الاحفاد والعمل لخير الوطن

إنكم إذا فعلتم ذلك بحيطة وعناية وتدبير صالح حكيم تكونون قد أديتم الامانة وقمتم بالواجب عليكم نحو أنفسكم ونحو أبنائكم وأحفادكم ونحو بلادكم موطن أجدادكم السالفين وعز خلفكم الباقى تحت سماء مصر وعلى ضفاف النيل السعيد

واعلموا جميعاً أن آمال الشباب ـ وهى رغبة الوطن ـ هى التهذيب النافع العام والثقافة الحقة وحرية الوطن ـ وإيثار المصرى فى مصر وفتح أبواب العمل فى وجهه وارشاده اليها

ومن أكبر آماله : الاتحاد وتقدير العامل واحترام الافراد واجلال الشخصيات البارزة العاملة والتمسك بالفضيلة وتقديس الدين

وجماع كل آمال الشباب المصرى يرجع فى النهاية الى شىء واحد هو ايثار الوطن ومصلحته العامة على الفرد ومصلحته الخاصة . ففى سعادة الوطن تتحقق السعادة الكاملة للافراد من الاجداد والآباء والابناء والاحفاد جيلا بعد جيل . والوطنى الصادق هو الذى يعمل لتحقيق هذه الآمال

علي العناني

أيها نقدم :

الرابطة الشرقية أم الاسلامية أم العربية ؟

بقلم الاستاذ محمود عزمي

أيها نقدم . . . . . . ؟

يتردد هذا السؤال بين المفكرين وفي الاوساط الاجتماعية بمصر وشقيقاتها من البلاد العربية ، بل انه ليتصل بالمستشرقين في اوربا واميركا ، وبالقادة ومن اليهم من اهل الهنـد والصين واليابان . وستجد في هذا المقال موازنة بين الروابط الثلاث وآراء طريفة في أي الروابط أولى بالتقديم

يجتاز العالم الآن مرحلة من مراحل التفكير والتكوين تقع وسطاً بين الفردية الضيقة والجماعية الواسعة . فهو يدرك من ناحية ان « الخندقة » وراء الحدود السياسية لمختلف الامم لم تعد تتفق وما يمتاز به العصر من سهولة الاتصال وسرعته ، وتضامن الجهود وتبـادل آثارها . وهو يحس من ناحية اخرى ان الخلق البشري لما يبلغ من التحلل من قيود التقاليد ما يستطيع معه الانسان ان يؤاخي النـاس جميعاً ، وان يطلق مساواته بالناس جميعاً ، وان يمازج مصلحته ومصلحة أمته بمصالح الناس والامم جميعاً . ومن اجل ذلك الموقف الوسط بين الناحيتين ومن اجل تلك الحيرة بين الطريقين اخذ الناس ــ امهم ودولهم ــ يتلمسون مخرجاً فيما اصطلح على تسميته بالغرب ، خلال « الاحلاف » وما اليها من أنواع الروابط التى تؤلف بين المتفاعلين جنساً أو حضارة أو منفعة . واخذوا يطلعون بما طلعوا به فى النصف الثانى من القرن الماضى وبما لا يزالون يعالجونه فى هــذا الثلث الاول من القرن الحالى من « لاتينيـة » و « انجلوسكسونية » و « سلافية » و « جرمانية » و « آرية » و « سامية » و « طورانية » و « بلقانية » و « تحالف صغير » و « اوربية » و « برنانية » و « دانوبية » ، ثم أخذوا يتساءلون عن أثر ذلك الاتجاه فيما اصطلح على تسميته بالشرق

واذا كان هذا التلمس للمخرج يصدر بالفعل عن اهل أوربا واميركا ، وهما القارتان القابضتان الآن على نواصى الحضارة العالمية والسياسة الدولية ، فانه من الطبيعي المحتوم ان يكون له صدى عند أهل افريقيا وآسيا وهما القارتان العامرتان بآثار الحضارات السابقة وبمظاهر النهوض والتوثب الى ما هو جدير بهما فى الحلبة البشرية من مكان ومكانة . بل ان ذلك التلمس قد كان بالفعل ديدن أهل القارتين منـذ فجر القرن التاسع عشر إذ طلعت « العربية » فى عهد محمد على وابراهيم ، وبدت « الافريقية » فى عهـد اسماعيل ، ولاحت « الاسلاميـة » أيام الكواكبي

والافغانى وعبد الحميد ، وبزغت « الشرقية » أبان الحرب الكبرى ، واشرقت « الاسيوية » ينادى بها اليابانيون هذه السنوات ، وعاودت « العربية » فى حزم وعزم هذه الايام

على ان « الاسيوية » اليابانية التى تستند الى ما كانت تستند اليه « العربية » المحمدية الابراهيمية و « الافريقية » الاسماعيلية من روح الفتح ووسائل القهر ، لا يمكن اعتبارها تياراً من التيارات العامة التى يصح اعتبارها حادثاً اجتماعيا له من النتائج الخطيرة ما يجعله جديراً بالبحث والتحقيق اللذين ينبغيان للشرقية والاسلامية والعربية الحديثة ، وهي عندنا مذاهب اجتماعيـــة حقيقة ، لها مظاهرها العمرانية الواقعة بما نراه فى بلادنا من مراكز وفروع لمختلف جماعات « الرابطة الشرقية » و « الشبان المسلمين » و « الثقافة العربية » وما اليها من اندية وانظمة

الرابطة الشرقية

واقعية اذن تلك الثلاثية فى السؤال الذى يتقدم به « الهلال » الاغر والذى احاول الاجابة عنه اجابة اريد أن تستند الى الواقع أيضاً ، سواء أكان واقعاً فكرياً أم واقعاً مادياً

والدافع الفكرى والمادى معاً ان المرء لا يستطيع ان يحدد « الشرقية » تحديداً علمياً ولا ان يعرفها بالتالى تعريفاً اجتماعياً يصح الاطمئنان اليه · فتقسيم الـكرة الارضية الى شرق وغرب وتقسيم أهل هذه الـكرة الى شرقيين وغربيين انما هو تقسيم استبدادى لا يستند الى قاعدة جغرافية ولا يرجع إلى نظرية عمرانية . فليس هناك خط جغرافى يعتبر هو الفاصل بين الشرق والغرب بل أنه ليس هناك فى الحقيقة اتفاق على قائمة البلاد الشرقية ومجموعة البلاد الغربية فى ذات كل من الفريقين .

ذلك أن من العمرانيين من يريد أن يعتبر القارة الاوربية كلها غربية ، ومنهم من يريد اعتبار الغربية فى اوربا واقفة عند حدود روسيا والبلقان ، ومنهم من يذهب الى حد اعتبار بولونيا غير داخلة فى البيئة الغربية ايضا . ثم إن منهم من يقسم الغرب الى غرب قديم يقف به عند قارة اوربا نفسها ــ ضاقت ام اتسعت ــ وإلى غرب بعيد ينصب على الامريكتين ، لـكنهم فى الوقت عينه يخرجون من « الغربية » البعيدة اهل الاقاليم «السوداء» فى القارة الجديدة . وكذلك الحال فيما يختص بالشرق الذى يقسمونه الى « أدنى » يضم دول البلقان وتركيا والى « أوسط » يتسع لمصر وما جاورها شرقا وغرباً إلى الخليج الفارسى ، ثم الى اقصى لا يدخلون فيه الهند وفارس والافغان وما اليها ، كما لا يدخلون بلاد القارة الافريقية جنوبى مصر وما جاورها الى مراكش فى واحد من الشرقين الاوسط والادنى

وان هذا العرض الجغرافى لنظرية الشرقية ليدل دلالة واضحة على درجة التخبط فيها وعلى مبلغ الاصطناعية التى تراد لها ، وان كان للشرقيين الذين يرتضون لانفسهم هذه التسمية نوع من التحديد المتعارف عليه فيما بينهم . ويلوح لى ان الاستناد الى اعتبارات الاجناس البشرية المصطلح عليها

هو وحده الذى يساعد على تكييف ذلك التحديد ، فان « الشرقيين » يضمون الاجناس الثلاثة التى يرضى علماء البشرية بوجود اثنين منها اجماعا ويترددون فى تقرير قيام الثالث تقديراً : الجنس الاصفر والجنس الاسود والجنس الاسمر . كما أن الغربيين يعتبرون انفسهم قاصرين على الجنس الابيض ، وان الفريقين مصطلحان على جعل الجنس الاحمر مستقلا عنهما مكوناً له وحدة خاصة

وإن هذا التقسيم الذى وصلنا اليه ليصيح بخطئه من الوجهة الاجتماعية اذ أن الروابط التى تربط - أو التى يجب ان تربط - بين أجزاء الشرق جميعاً تكاد تكون منعدمة فى بعض نواحيها ، ذلك أن العلاقات التاريخية والاجتماعية لم تكن يوما من الايام بين الجنس الاصفر والجنسين الاسمر والاسود بحيث يحكم بينهما الاتصال وتتفاعل الحوادث فتتكون الوحدة أو تتكيف . فلست أدرى ماذا يصح أن يكون حادثاً اجتماعياً بالمعنى العلمى للحوادث الاجتماعية يصح ان يكون صاهراً ومازجاً بين العناصر اليابانية والصينية من ناحية وعناصر آسيا الغربية وافريقيا الشمالية من ناحية أخرى ، وليس بين الفئتين تقارب لغوى ولا تفاهم دينى ولا تشابه عمرانى ، بل إن بين الاسلام المنتشر فى الفئة الاخيرة والمسيحية التى تعم أوربا وبلاد الغرب من التقارب وبين ثقافة الفريقين المطلين معاً على البحر الابيض المتوسط الذى كان ميداناً لتفاعل الحوادث الاجتماعية الصحيحة منذ القدم من التفاهم - بين دين هؤلاء وأولئك من التقارب ، وبين ثقافة هؤلاء وأولئك من التفاهم ما يصح ان يكون داعيا الى التوحيد بينهما والمزج مع تمييزهما فى الشرقية والغربية اكثر مما يريد الاصطلاح أن يميز به بين اهل الشرق الاقصى وأهل الشرق الاوسط والمغرب الاقصى

واذا تقرر هذا الذى نتقدم به من حيث الاعتبارات التى تقوم عليها « الشرقية » عند الداعين اليها ، فليس بمستغرب أن يكون مصير الجماعات التى قامت لنصرة تلك الفكرة والعمل لتحقيقها هو المصير الذى نعرفه تفرقا وتشتتاً . فقد أنشئت فى مصر بالفعل « رابطة شرقية » أراد نظامها أول تأسيسها أن يشمل كل تلك الاعتبارات « الشرقية » الواسعة الفسيحة ولكن صدور اعضائها لم تتسع لكل تلك الفسحة فضيقوا منهاج العمل فيها ، فاخذوا يقسمونها شعباً ثم أخذوا يحصرون النشاط فى الشعبة أو الشعبتين المتصلتين بالبلاد العربية والامم الاسلامية وحدها . واخال « الرابطة الشرقية » ومجلتها - ان كانت لا تزال تصدر إلى اليوم - لم تعن يوما ببحث شؤون اليابان والصين والهند الصينية ، وشؤون السودان وما اليه من أقاليم فى القارة السوداء ، اللهم إلا اذا كان ذلك البحث متصلا باعتبار عربى أو اسلامى

واذن فالشرقية فى نظرى ابهام لا يمكن الاستناد فى تحديده الى قاعدة علمية ، وخيال لا يتكىء على واقع ، ومحاولة لن يكون نصيبها غير الفشل بما يقتضيه النظر إلى القضية من تشتيت للجهود وقسر للعقول على ما لا قبل لها بفهمه واحتماله

الرابطة الاسلامية

أما « الاسلامية » فعلى النقيض من الشرقية أنما تستند إلى حادث اجتماعي ثابت والى فلسفة عمرانية مقررة والى منشآت قائمة تنطق بأن النظرية قد تغلغلت فى النفوس تغلغلا وانها ربطت بالفعل بين أمم وشعوب ربطاً وانها وحدت بينها توحيداً . ولذلك فقد كان طبيعياً أن يظل « الاسلام » زمناً طويلا رمزاً لروح خاص وعقلية خاصة وحضارة خاصة أيضاً ، وأن تكون رابطته رابطة متينة قوية لا تقوى عليها الا رابطة تستند الى اعتبار أشد يدفعه تيار جارف

وأحسبنى غير مبالغ إذا أنا قلت إن العوامل الدينية كانت فى بلادنا الى سنوات معدودة هي أشد العوامل فعلا فى التكييف الاجتماعي والمصير العمرانى ، ولا سيما اذا نحن ذهبنا ببصرنا الى ما وراء حدود بعض الامم منا ووقفنا نشاهد ما يفعله فى الكيان القومي تشتت الفئة الدينية الواحدة الى طوائف ومذاهب متعددة

ولقد كان للرابطة الاسلامية فى بعض العصور التى ما تزال ذكراها قائمة فى أذهاننا المحل الاول من اهتمام الناس ونشاطهم ، إذ ذهبوا فى سبيلها إلى حد صبغ النهضات القومية بصبغتها ، وإذ حاولوا استغلال ما تكتنفه من احساس ديني استغلالا وطنياً على الرغم من المخاطر التى كان يقيمها ذلك الاستغلال فى طريق النهضة الوطنية ذاتها

حدث ذلك كله فى الماضي ، لكن الاعتبارات الحديثة التى تتكيف بها العقل الحديث وتتمشى على قواعدها الاصلاح الحديث والنهوض القومي الحديث ، كان من شأنها أن ترجع بالاحساس الدينى الى الصف الثانى تتكيف به علاقة الانسان بربه ، وان تقدم عليه الاحساس القومي تتكيف به علاقة الانسان بوطنه . أضف الى هذا ان السنوات الاخيرة كانت فى بلادنا جميعاً سنوات جهاد فى سبيل التحرر والاستقلال ، وهو جهاد يستدعى تضامن جميع الجهود وتراصها ، فكان محتوماً أن يقضى على كل مظهر من مظاهر التفرقة بين عناصر البلد الواحد ، ولم تكن غير المذاهب الدينية مظهراً لتلك التفرقة بيننا ، فكان حتما على السائرين بالنهضة فينا أن يعملوا معولهم فى ذلك الحصن العتيق الذى كان التفكير العام يستند اليه الى سنوات

على أن شيئاً من رد الفعل قد جاء يطفو ، وهرول رجال الدين ومن اليهم وقد هالهم أن يوضع الاعتبار الدينى فى النهضات القومية فى غير الصف الاول فوهموا أن الدين قد يتأثر بذلك الفعل فهبوا يبدون نشاطاً ويؤسسون جماعات وينادون كذلك برابطة أو روابط

وعندى أن هؤلاء القوم ومن اليهم لو عرفوا كيف يميزون بين العقيدة الدينية والفلسفة الدينية أى بين الاسلام و « الاسلامية » لاطمأنوا وهدأوا كثيراً من روعهم ولم يدفعوا بأنفسهم فى تيار قد

يسيء الكثيرون تفسير اندفاعهم فيه ، فيصيبهم ويصيب تعاليمهم من جرائه شيء من السوء أو غير الخير

ذلك بأن الاسلام عقيدة أنما هو من غير اختصاص العاملين للنهضات القومية بمختلف نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية أيضا . أما « الاسلامية » وهي ناحية النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فى الاسلام ، فانما هي مبدأ يخضع له جميع العاملين فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى بلادنا مهما كانت عقيدتهم عقيدة المسلمين أو المسيحيين أو اليهود أو الملحدين . ذلك بأن بلادنا قد غمرتها « الاسلاميــة » بالمعنى الذى نفهمه . وذلك بأن أى مصلح أو راغب فى سبيل الاصلاح يجب عليه أن يعتبر الامر الواقع وأن يعتبر التطور التاريخي وأن يستند فى حركة اصلاحه ــ كى تمشى فى غير قلق ــ الى اعتبار هذا التطور التاريخي

لكن الداعين الى « الاسلامية ورابطتها » لا يفهمونها على النحو الذى نفهمه ، بل انهم ليفهمونها على النحو الشامل الجامع بين العقيدة والنظام الاجتماعي . فهم ينظرون اليها رابطة « بين المسلمين » لا رابطة بين « الاسلاميين » الذين يضمون فى نظرى المسلمين والمسيحيين واليهود والملحدين فى البلاد التى انتشرت فيها تعاليم الاسلام وأصول حكمه وقواعد أنظمته الاقتصادية والاجتماعية . وعلى هذه القاعدة المنتشرة لا يمكن أن تقوم رابطة منتجة فى هذه الايام ولا فيما يجيء بعدها من عصور . فان اختلاف الاديان فى المجموع الواحد يجعل دقيقا أن يسند المرء عملا اصلاحيا قوميا ــ وفوق قومي كعمل الرابطة التى يجب أن تربط بين أكثر من شعب وأكثر من دولة ــ الى اعتبار دينى خاص ، وان الدعوة الى الرابطة الاسلامية على النحو الذى يفهمه أصحابها لمن نتائجها المحتومة أن تعيد الى صفوفنا شيئا من الانقسام الذى كان فاشيا فيما مضى والذى تنفسنا جميعا الصعداء حين جاءت الحوادث تتداعى فى سبيل القضاء عليه قضاء حسبناه مبرما . وضرر هذا الانقسام محقق اذ ينفث سموم البغضاء والشحناء فى الصفوف فينال منها الضعف ولا تصبح قادرة على المضى فى أى عمل عام ولا فى تحقيق رابطتها الاسلامية ذاتها

على ان فهم « الاسلامية » بالمعنى الذى افهمه انا لايعاون هو الآخر على اتخاذ « الاسلامية » رابطة يصح الاستناد اليها فى سبيل اصلاح اجتماعي أو نهوض قومي . ذلك بان البلاد « الاسلامية » بهذا المعنى الفلسفى الاجتماعى لايربطها جميعاً من الاواصر المحكمة ما يصح الاستناد اليه فى اقامة وحدة أو منطقة نفوذ متماسكة . وها هي تركيا « الاسلامية » بمعناها الجديد تتباعد بتياراتها جميعاً عن غيرها من البلاد التى كانت ترتبط وإياها برباط الاسلام . وهي لن تلبث طويلا حتى تكيف حياتها الاجتماعية بنوع جديد من التكيف ، الذى اذا لم ينجح فى ان يكون هو التكيف الاوربى الصرف فلن يكون على أى حال هو التكيف الاسيوى أو الافريقى أو الشرقى أو الاسلامى بحال . ومثل هذا القول قد ينطبق ــ ان لم يكن الآن ففى القريب العاجل ــ على فارس ايضاً

الرابطة العربية

واذن فقد بقيت « الرابطة العربية » وهى ــ فى نظرى ــ امتن الروابط التى يصح أن تقوم عليها مساعينا فى سبيل التكيف الجديد المتمشى مع حوادث العصر الحديث ، بل انها هى الرابطة الوحيدة التى يجب ان يستند اليها تطورنا المحتوم

ومعنى الرابطة العربية انها تلك التى تستند الى حوادث التاريخ التى وحدت بين نوع التفكير ونوع الحياة وأساليب الحكم وقواعد الاقتصاد فى تلك الكتلة المتصلة من المحيط الاطلنطى الى الخليج الفارسى . فالثقافة الغالبة فى تلك الكتلة جميعاً انما هى ثقافة اللغة العربية التى ينطق بها الاهلون جميعاً لغة أصيلة لهم جميعاً . والحضارة الغالبة فى تلك الكتلة نفسها انما هى الحضارة « الاسلامية » يأخذ بها فى الحياة اليومية وفى السلوك الاجتماعى اهل تلك الكتلة كلهم مهما اختلفوا ديناً أو عقيدة . والمطمح الاعلى الذى يشخصون اليه جميعاً انما هو مطمح الاستقلال والتحرر . والثقافة والحضارة والمطمح الأعلى انما هى العناصر الفعالة فى توحيد الاتجاه وتوجيه العمل فى هذا الاتجاه . واذا كان محتوماً كما قررنا فى بدء هذا المقال ان تجتمع من أقوام الارض فى هذا العصر « احلاف » تتمشى بهم بين الفردية الضيقة التى انقضى عصرها والجماعية الواسعة التى لا يدرى احد مصيرها وسبيل تحقيقها ، فان الرابطة العربية هى التى يجب أن يتذرع بها العاملون فى بلادنا العربية للسير فى طريق ذلك « الحلف » الذى يجب ان يكتنفنا بين الاحلاف التى نشاهد تكونها حوالينا . واذا كانت هذه الاحلاف التى تتكون فى الغرب ليس لديها مثل ما فى الحلف العربى من عناصر التوحيد الثقافى والتاريخى فان توافر هذه العناصر جميعاً عندنا مما يجب أن يشجع القائمين بالامر فينا على المضى فى سبيل الرابطة العربية المحققة الموفقة . وهى انما تقوم على واقع جغرافى وعلى واقع اجتماعى يؤيدهما واقع روحى عظيم ايضاً . وهى امور لم تتوافر للرابطة الشرقية ولا للرابطة الاسلامية على نحو ماقدمنا من تدليل

هى الرابطة العربية التى ادين بها اذن . وهى التى اوثرها على سواها من الروابط الشائع امرها فى بلادنا . وهى التى يجب ان نقدمها على غيرها من تلك التى سألنى عنها «الهلال» الأغر

محمود عزمي



الاصلاح الاجتماعي كما اريده

بقلم الاستاذ فكري أباظه

* تربية الرجولة ...
* حاجتنا الى زعامة تقود الجماهير
* لتسقط السياسة ...
* وجوب تأليف حزب اجتماعي
* قميص اجتماعي رسمي
* تشجيع فرق الكشافة
* تحطيم الامتيازات الاجنبية
* تشريع ملحوس ... من قوانين جديدة
* احلال الشباب محل الشيوخ

تمهيد

سيتضح لك بعد أن تقرأ كلمتي هذه أن النسبة مفقودة بين عنوان الموضوع الضخم وبين الموضوع نفسه تماماً، كالنسبة بين « فينا » العاصمة الضخمة والنمسا المملكة الضئيلة ... وهكذا نحن الكتاب في مصر، لا نملك أن نفيض وان نطلق العنان لاقلامنا ولافكارنا لاننا ان فعلنا لم نجد الحبر والورق اللازم إلا « على حسابنا »، وحسابنا كما تعلمون متواضع « عيان ». وإن وجدنا الحبر والورق لم نجد الا القارىء الذي خلقت منه الازمة والمشاغل الدنيوية قارئاً عصبياً ملولا يعشق الايجاز ويمقت الاطناب والتطويل ...

أمرنا لله: إذن لنكبح جماح القلم والفكر، ولنحاول أن نخلق للقراء فناً جديداً اسمه « فن الاختزال الادبي » والمسئولية عليكم لا علينا ...

هذا موضوع خطير يستغرق مساحة « الهلال » كلها. ولكن « الهلال » أكبر مني وارفع فلأتقمص، ولأتقمص، ولأنسخط، ولأنسخط، حتى أظفر بصفحتين فقط أو بثلاث صفحات! ...

عنصر الرجولة

هذا الوطن المصري في حاجة إلى عنصر الرجولة ... الرجولة متوافرة والحمد لله، ولكن اريدها من نوع رجولة موسوليني، وهتلر، ومصطفى كمال ... رجولة من النوع

الذى لا يتملق الجماهير ولا يداهن الشعب ولا يجرى وراء الرأى العام ، وإنما من النوع الذى يجرى وراءه الجماهير ويخضعهم لارادته ويبهرهم بحزمه وشجاعته فى رأيه وعقيدته ولو تراءت للناظرين والسامعين فى بادىء الامر غريبة ، سخيفة ، تزقة ، مثيرة للدهشة والعجب ! . . .

الزعامة فى مصر تتبع الناس ولا يتبعها الناس . والاصلاح الاجتماعى ميدانه غير ميدان السياسة . السياسة تعيش على الخداع والتغرير واستجداء الثقة . ولكن الاصلاح الاجتماعى يصادم القلوب والآراء والتقاليد والعادات . فمهمة الزعامة الاجتماعية أشق من مهمة الزعامة السياسية لأنها فى ميدان الاجتماع « عمل » وفى ميدان السياسة هذيان وشقشقة لسان . . .

فدلونى أولا على الرجل الذى ينكر ذاته ويتجمل بالشجاعة والاقدام أرسم لكم وله برنامجى الاصلاحى الاجتماعى وأدله على السبيل . . .

لتسقط السياسة !

افرضوا ــ جدلا ــ أننى أنا ذلك الرجل ! . . . من باب الخيال والأمانى . . .

أول ما أفعله أن أقضى قضاء مبرماً على « السياسة » مدة عامين متواليين على الاقل . لقد أنهكتنا السياسة فعزلت القوى المفكرة بعضها عن البعض الآخر . أوجدت بين الشخصيات العظيمة الثارات والحزازات فغدت شخصيات عديمة الجدوى ، غير منتجة ، عقيمة . . .

سقطت هذه الشخصيات كقوة عملية ، وسقط معها الوطن ! . . .

هذه الامة عانت كثيراً فتعبت . أصبحت فى حاجة ماسة للراحة وللاستشفاء ، والجو السياسى يضنيها ولا يشفيها ! . . .

والسياسة الانكليزية تلمح هذا الوضع وتلحظه . فهى تطول وتسوف وتمد فى حبل المشكلة السياسية لتضمحل القوة المعنوية وتحتضر ؟!

لهذا أحس احساسا قوياً بأن العلاج الوحيد هو ترك « السياسة » لمدة طويلة كافية أقدرها بعامين . لأن الأمانى السياسية فى نظرى قد بلغت درجة اليأس فى الوقت الحاضر . فاذا ما اتفقت الاحزاب واتفق الزعماء على نظرية « الاضراب السياسى » أتيحت للأمة الفرصة للتوجه كتلة واحدة لوجهة « الاصلاح الاجتماعى » . وفى هذا الميدان الفسيح الرحب الخصب لا تعيش الحزازات ولا الثارات ولا الاهواء ! . . .

ويعمل الكل متآزرين لمجد الوطن فى ماليته . وعائلته . وأخلاقه التى تدهورت فى الجيل الاخير !

ال Uniform :

قد يبدو غريباً سخيفاً ماسوف اقوله تحت هذا العنوان . ولكن العقيدة الراسخة فى ذهنى

أصبحت كالجبل الضخم لاتتزعزع ولا تتزحزح . وهي خطتي التي زرعتها ورويتها في رأسي المجنون الطائش والتي ستنبت نبتها في رسائلي واحوالي واقوالي . ومن يدري فقد يحتوي تاريخي المقبل مغامرات ومجازفات . وبالاختصار وبالصراحة أصبحت كمصري لا أطيق الموقف الحاضر . ان زياراتي للخارج غرست في نفسي غرس الثورة الجامحة . ولكنها بحمد الله ثورة بعيدة عن طائلة قانون العقوبات . لانها ثورة لا تمس السياسة ولا السياسيين . هي ثورة اجتماعية اصلاحية في ظل القانون وفي ظل الشريعة وفي ظل الملك . . . بعد هذه المقدمة الطويلة نوعا افهم جيداً ما أقول :

لا بد من تأليف حزب اجتماعي في انحاء القطر بأسره . بعيد عن السياسة وعن الاحزاب . يكون برنامجه الوحيد الاصلاح الاجتماعي وحده . ويجب أن يعنى هذا الحزب ـ ما دام يعمل في دائرته المرضى عنها من الجميع ـ بالحصول على مؤازرة « الحكومة » له ومؤازرة جميع الاحزاب السياسية . ولن يقيم الانكليز في طريقه العقبات ما دام عمله لا يمس السودان ولا قنال السويس ولامطامعهم في البلد ، لان هذا الواجب ملقى على عاتق السياسيين والحزب الذي ادعو اليه لا علاقة له بالسياسة ! . . . .

لا بد لهذا الحزب الاجتماعي من لباس رسمي ـ من (Uniform) يميز أنصاره واعضاءه عن غيرهم من الناس . ويجمعهم في دائرة واحدة تتلقى أوامر زعماء الحزب وتنفذها بشجاعة وجلد واقدام !

هذه « التقليعه » اللباسية لها أثرها الفعال في الامم وفي الشرق بنوع خاص . سائلوا انفسكم ماذا فعل « القميص الهتاري » في المانيا ، « والقميص الفاشستي » في ايطاليا و « القميص الازرق » في ايرلندا ؟ !

لماذا لجأ هؤلاء الزعماء العقلاء الحكماء للباس الرسمي ، للـ (Uniform) ، فالبسوه الباساً لانصارهم وابنائهم ؟ !

لانهم يعلمون ان الطبائع الانسانية من نفسها ، ومن سليقتها ، تميل للنظام والمظهر وللروح العسكرية أو شبه العسكرية . ولهذا راجت « مودة » اللباس الرسمي الحزبي قبل أن تروج المبادىء والعقائد ، وسهل على العضو في الحزب ان يميز زميله العضو في الحزب من غير تعارف ، وأوجد اللباس الرسمي العلاقة والرابطة بمجرد « التقليد » حتى جاءت العقيدة فاحتلت مكانهـا في نفوس الآلاف والملايين ! . . .

ونفث اللباس الرسمي في نفوس لابسيه روح النظام الحزبي العسكري الدقيق فخضع الانصار للزعماء خضوعاً من القلوب لا من الالسنة فنجحت الدعوة ونجحت خطط الاصلاح ووسائل الاصلاح ! . . .

« اللباس الرسمي » يخلق من الصبي والفتى رجلا مكتمل الرجولة ، لانه حين يلبسه وحين

يقسم يمين الاخلاص يشعر انه قد اندمج فى نظام عسكرى مقدس وانه يحمل على جسمه شارة الشرف والاخلاص لحزبه ولمبادىء حزبه . . .

مبادىء الحزب

اذا استقام الامر وشجعت « الحكومة » هذه الفكرة الاصلاحية البحتة البعيدة عن السياسة . استطاع الحزب أن يجوب القطر كله داعياً لخططه ولمبادئه واستطاع أن يجمع « رأس مال » كاف متواضع بطرق ووسائل غير مرهقة . فاذا ماتقوت ناحيته المالية اقتحم ميدان التنفيذ

واليك برنامجا اجماليا تمثيليا لمبادئه القومية المصرية البحتة :

(أولا) تشجيع فرق « الكشافة » فى بلاد القطر وقراه ونفث روح الرجولة فى الاولاد بتلقينهم مبادىء الكشافة الانسانية العالمية . وتربيتهم تربية خشنة عسكرية اساسها الكبرياء والاعتداد بالنفس وتكوين الشخصية ! . . .

لقد ادرك جلالة الملك بثاقب نظره هذه الحاجة الماسة لرفع الروح المعنوية من فوضاها الحاضرة الى مستوى التربية الاعدادية فنصب « ولى العهد » العزيز على رأس هذه النهضة الفتية ولبس رجاله العظماء لباس الكشافة وساروا فى المقدمة .. فما بال مجالس المديريات نائمة وما بال المديرين لا يقتدون فى الارياف بهذا المثل العالى ؟ !

أيخشى هؤلاء المديرون ناحية أخرى ؟ قولوا بصراحة ما الذى يسكتكم والتاج فى المقدمة ؟ ! حسب هذه المجلة هذه الاشارة الخفيفة وسأعود لهذه الحركة المباركة باطناب فى صفحات اخرى

(ثانياً) الامتيازات : هذا هو قيد الذل يجب أن نحطمه تحطيا ونهشمه تهشيا . . . هذا هو الغرض الاساسى من حزبى الاجتماعى الاصلاحى . . . لم يعد مصرى واحد يطيق أن يعيش تحت تأثير نير الامتيازات . أبداً أبداً أبداً ! ! ! عبارة ينفجر بها صدر الموظف والمحامي والتاجر والطفل والشيخ والمرأة والرجل ! . . . لن ينقض حزبى بقميصه على المتاجر الاجنبيـة فيهشم واجهاتها الزجاجية ولن يحدث ضرراً باحد ! انما سينشر دعوته السلمية فى أنحاء القطر ، حتى تنطق الحجارة بأن بقاء هذا النظام مستحيل ! . . . مصر المتمدنة الزاحفة لن تكون وحدها ـ فى هذه الدنيا العامرة ـ الذليلة التى تقدم خيرها للغريب فيلتهمه التهاماً ، فاذا جاء الغرم انصب وحده على رءوس الابناء . . .

هنا تظهر بوضوح وطنية « الحكومة » القائمة . وليس من شأنها إلا مراعاة النظام واحترام القانون . وثقوا أنهما سيكونان مكفولين لا يمسهما أذى . . . أعدكم أيها المواطنون أننى سأكرس

نشاطى كله لعداوة الامتيازات . وخذوها منى كلمة اسخروا منها ما شاءت لكم السخرية . وسيقول المستقبل كلمته ان شاء الله . . .

(ثالثاً) التشريع « الملحوس » : لا بد من أن يصاحب هذه الحركة تشريع من نوع « التشريع الملحوس » الذائع اليوم فى الامم الغربية الناهضة . والتشريع « الملحوس » هو ذلك النوع من التقنين الذى تدهش له الأذواق القضائية العادية ، والذى يفاجيء بغرابته الرأى العام لاول وهلة . تشريع فيه عنصر ثائر طائش من وجهة النظر الرزين ، ولكنه مفيد كل الفائدة فى الامم التى لا تصلح نفسها ولا يصلحها الدهر . . .

انظر إلى تشريعات اليوم فى « المانيا » الجديدة أليست كلها غريبة ومضحكة ؟ . ولكنها فى الوقت نفسه معمرة ؟ ! انظر إلى « موسولينى » كيف فرض ضريبة العزوبة ، وكيف حرم على الناس التصييف فى الخارج ، وكيف منع السيدات من التبرج والتبهرج والخلاعة ؟ ! وانظر الى « تركيا » كيف عبثت بالمهر فى الزواج ، وكيف حددت ليالى العرس وقيمة الجهاز ، وكيف حرمت على الاجانب احتراف صناعات معينة لتشجيع صناعتها الوطنية حتى تترعرع بدون مزاحمة أجنبية ؟ !

على هذا الغرار أريد أن أصدر تشريعات من النوع « الملحوس » واليك نماذج لبعض القوانين التى أقترحها :

قانون بعدم هجر الاعيان للريف المصرى المسكين ــ قانون بقطع دابر نوادى القمار بأنواعه ــ قانون بتحريم شرب الخمور على الفتيان والفتيات لسن معينة ــ قانون بفرض ضريبة قاسية على العزوبة ــ قانون بتقديم الموظف المتزوج على الاعزب فى الترقيات والعلاوات والتنقلات ــ قانون بتحريم الادوار والمواويل و الطقاطيق المزدحمة بالآهات والتحسرات والوصل والصد ــ قانون بمعاقبة الذين يطلقون نساءهم لاسباب غير جدية وغير وجيهة ــ قانون بمجازاة موظفى الارياف المقيمين فى القاهرة ــ قانون بتحريم السفر إلى الخارج لمجرد النزهة لا للدراسة ولا للصحة ــ قانون بمقاسمة الحكومة للوارثين فى ميراثهم الضخم ــ قانون لحماية الموظف من أوامر رئيسه الخارجة عن القانون ــ قانون بانشاء العزب على طراز صحى يحمى الفلاحين البؤساء وأولادهم ــ قانون بفرض ضريبة قاسية على الكماليات كالمجوهرات والسيارات والموبيليات الفاخرة ... الخ الخ ! !

(رابعاً) استبعاد الاسماء العتيقة من سلك الوظائف وتوظيف الشبان فى الوظائف الكبيرة . اصبحت الاسماء الضخمة نكبة على الامة . والشيخوخة فى مصر تسير فى حكمها على نمط قديم موروث خال من الشجاعة ، والكرامة ، والنشاط ، والابتكار . . .

أرأيت الى « احمد عبد الوهاب » ، وكيف يفعل فى وزارة المالية ؟؟ الى « حسين سرى » ، وكيف

فعل فى مصلحة المساحة ؟؟ والى « شاكر العظيم » وكيف فعل فى مصلحة السكة الحديدية . . . هذا المثل الاخير الحى قريب الى الذهن والى القلب فانظر أى تطور واية ثورة أدار بهما المصلحة العتيدة فى عهدها الاخير ؟!

لقد اختلست من « الاستاذ الحضرى » وهو أحد مرءوسيه تفاصيل رائعة عن جلده وحماسته وغيرته وفتحه كل باب لكل رأى جديد وتفرغه للابتكار حتى استطاع فى عدة شهور أن يفعل ما لم يفعله أسلافه فى أجيال ؟!!

فكرة إحلال الشبان محل الشيوخ فكرة اختارها « موسولينى » لوطنه فنجحت التجربة كل النجاح ... هؤلاء وزراء ايطاليا كلهم فى ربيع العمر وكلهم كفء بارع وكلهم نار متقدة ولهيب مستعر . هؤلاء هم الجديرون بأن يحكموا « مصر الجديدة » إن اردتم لها النجاح ! . . .

(خامساً) الجيش ذو اللباس الرسمى . سيكون قوة منظمة لارشاد الناس بقوة التأثير الادبى . وسيكون سلاحه سلاح الرأى العام المنظم الذى يقول للمسىء أسأت ، وللمحسن احسنت . والذى يتولى توجيه الجماهير الى تشجيع البضاعة الوطنية ، والتجارة الوطنية والذى يرغم الاجانب على الاذعان لعدالة صرخاتنا القلبية ، حتى اذا رضخوا فرضت عليهم الضرائب فتضاعفت ميزانية الحكومة ففتح الاصلاح ذراعيه للمشروعات المعطلة لسبب قلة المال ! . . .

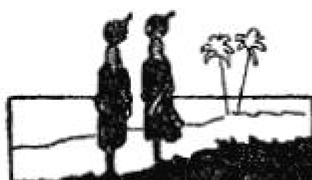
☆☆☆

هذا هو رسم وتصوير « هيكلى » للاصلاح الاجتماعى الذى أريده . وعندى مجموعة وافية من الخطط العملية التى اتبعتها الأمم الاوربية الناهضة . سترى آثار دراستها فيما سوف أقوله وأكتبه فى المستقبل

والخلاصة أن خطتى المقترحة تقوم على هذه القاعدة :

لا تطلب الى الحكومة ان تفعل — ولا الى الامة ان تعمل — وانما ادفع الجماهير الى العمل بنفسك — واقنع من الحكومة بالوقوف على الحياد

فكري اباظه
المحامى



الرياضة البدنية كتربية وثقافة

بقلم احمد بك حسنين

الأمين الأول لجلالة الملك

« . . . نحن في حاجة الى استاذ رياضي عليم بشؤون النفس ، خبير بميولها ومنازعها ، واقف على حقيقة الجانب السري من حياة النشء . هذا الاستاذ هو الذي ننتظر أن يؤدي وظيفته الكبرى في المدرسة ، وهو الذي نرجو أن نراه يلقن الطالب رسالة الفضيلة والخلق الكريم ، ويعرف كيف يفيد عقول التلاميذ من رياضة البدن . . . »

« العقل السليم فى الجسم السليم »

مثل يتذرع به الفتى الرياضى النابغ فى الرياضة المولع بها المنصرف اليها إذا ما لامه ولى أمره على إهماله وتقصيره فى تحصيل دروسه

وهذا المثل عينه يتذرع به الطالب النابغ فى دروسه الذى وهب عقلا غنياً وميلا غريزياً الى الدرس والتحصيل مع ضعف جسمه واعتلال صحته ، لينقض انطباقه على الواقع ، وليثبت أن العقل السليم لايحتاج لجسم سليم

وتكاد تكون حجة هذا الأخير اعتقاداً شائعاً فى نفوس كثير منا ، حتى ليدهشنا فى اغلب الاحيان ان نرى رجلا فى صحة كاملة وجسم سليم قد اشتهر فى الوقت نفسه بذكاء نادر وتفوق باهر على زملائه فى المسائل العقلية

ولئن كان هذا هو الواقع فى بلادنا فى كثير من الاحوال ، إلا انه يدل على نقص فى طريقة ادماج الالعاب الرياضية فى حياة الطالب . ولن يمس هذا صحة المثل ، إذ اعتاد مدربو الرياضة فى المدارس أن يختاروا لفرق الالعاب الرياضية الطلبة ذوى الاجسام القوية والصحة الجيدة لتدريبهم واعدادهم للمباريات ، وأن يهملوا فى الوقت نفسه ذوى الاجسام الصغيرة وهم هم الذين يجب أن يعنى باجسامهم وصحتهم قبل الأولين

وتلك هى الطريقة التى تدفع الطالب ذا الجسم القوى الى اهمال دروسه والانصراف الى الألعاب الرياضية والتفوق فيها ، وهى التى تدفع من جهة أخرى الطالب ذا الجسم الضعيف الى الانصراف الى تمرين ذهنه وتقوية عقله والتفوق فى دروسه

سنة الشباب الطموح الى المثل الاعلى والتفوق فى ناحية من نواحى الحياة

ويظهر أن هذا المثل الشائع المأثور قد أول بغير المقصود منه ، وفهم على غير معناه الدقيق . والواقع الذى لاريب فيه انه لم يقصد منه سوى ان العقل السليم لايمكن أن يستخدم اقصى مجهوده وينتج أحسن انتاج إلا اذا سكن جسما سليما صحيحاً . وليس من اللازم أن العقل السليم لايسكن إلا الجسم السليم فقط ، ولا أن الجسم السليم من وظيفته ان يلد عقلا سليما ، وانما المسألة مسألة نسبة وقياس . فالقاعدة ان كل ثمرة نتيجة غرسها ، وبقدر العناية تكون الثمرة . واذن فالطالب الذى أوتى عقلا غنياً وذهنا خصبا يستحيل عليه أن يستخدم أقصى مجهوده ويجنى أحسن ثمرة لهذه القوة الذهنية إلا اذا كان ناضج الجسم صحيح الاعضاء متمتعاً بصحة كاملة

كما أن الطالب الذى نضج جسمه ، واكتمل بناؤه ، واستخدم قواه الذهنية ، ولكنه لم ينبغ ولم يتفوق ، فقد وصل الى أقصى ما سمحت به موهبته وما وسعت قواه الذهنية أن تهيئه له . ولو كان جسمه ضعيفاً وبناؤه معتلا لما وصل الى ماوصل اليه من الانتفاع بقواه الذهنية الى هذا الحد

أما الطالب الموفور الصحة الممتلىء القوة الذى أقبل على الرياضة اقبالا تاماً ، وأعرض عن دروسه اعراضاً تاماً فانه مستثنى من هذه القاعدة النسبية ، لأنه لم يستخدم قواه الذهنية حتى تكون هناك صلة بين جسمه وعقله

ولهذا وجب علينا أن نساعد الطلبة لانتاج أقصى ما يمكن انتاجه من مجهودهم العقلى بان نسهل لهم الوصول الى حالة جسمية كاملة أو أكثر كمالا تساعد عقل كل منهم ليصل الى أسمى ما يمكن من الكمال

وما أكثر ما يجهد المعلم نفسه فى سبيل تلقين طلابه كريم الاخلاق ورفيع الفضائل . إنه لينفق ساعات غير قصار يحدثهم فيها عن الاخلاق يوماً بعد يوم ، ويظلون يتذوقون منطقها أسبوعاً بعد أسبوع ، ويستمر الشأن بين المعلم وطلابه على هذا النحو : المعلم ينفق غاية ما يملك من قوة وجهد فى سبيل تلقين طلابه محاسن الاخلاق ورفيع الفضائل ، ويحتال عليهم ما شاء ابتغاء هذا القصد الشريف ، تارة يزينها لهم تزييناً ، وتارة يحسنها لهم تحسيناً ، يرغبهم فيها ويحضهم عليها ، وهو فى ذلك يضرب الامثال ، امثالا من التاريخ ، وامثالا من الايام التى يعيشون فيها

أما الطلاب فيستمعون الى هذا كله ، كما يستمعون لدرس غير مقرر عليهم وغير مطالبين بالامتحان فيه ، فان اعجبتهم منه سيرته فبقدر ، وان تذوقوا منطقه فالى حين

فاذا استقرأنا حياة الطالب الدراسية بعد أن يترك درسه ويغادر مدرسته ، وأخرجنا الدور الذى لعبته الرياضة البدنية منها ، لوجدنا فى الحق شيئاً عجباً ، وجدنا أن الطالب لم يمر بظروف عملية بل لم يمر بظروف نظرية تمكنه من الأخذ بهذه الفضائل التى طالما سمعها ، والتأدب بآدابها التى طالما القيت عليه ، والتوفق الى فهمها كما يجب أن تفهم ، وادراك وجوه الرأى فيها كما يجب أن تدرك ، ومعرفة صلتها بنفسه كما يجب أن تعرف

هو اذن قضى سنى دراسته يسمع عن هذه الفضائل وتصبو نفسه الى التحلى بها ، وقد يشعر بأنه وفق الى ما أراد ، غير ان هذا شعور غير صادق ، شعور اوحت به الرغبة فيه ، شعور إلهامى ذاتى . فاذا ما احتواه المجتمع وشمله معترك الحياة تلمس هذه الفضائل فاذا هى قد تبخرت ، وافتقد هذه السجايا فاذا هى دخان فى الهواء . لا يتأثر الانسان بشىء إلا إذا خبره ، ولا يسيغه إلا إذا ذاقه وبلاه . كيف اذن يتأثر الطالب بفضيلة لم يتهيأ لها ولم يروض نفسه عليها ؟ كيف اذن ينطبع على خلق كل ما أعده له من زاد أذن سمعت به والاعتماد على الاذن فى تربية الاخلاق واه لا نتيجة له ؟

إن كل ما ظن أنه قد حصل عليه من درس الاخلاق واستوعبه من حديث الفضيلة لايلبث أن تعصف به الصدمة الاولى من صدمات الحياة . والصدمة الاولى هى أيسر ما ادخرته الايام من صدمات ، هى دعابة فكهة من دعابات الدهر

لزام علينا أمام هذا كله أن نتخذ من الالعاب الرياضية دعامة من اوسخ الدعائم التى تعتز بها المدرسة فى سبيل التربية الصادقة . لزام علينا أن نعنى بفن الرياضة البدنية ، لا كمادة ثانوية أو سبب من أسباب اللهو أو طريقة لاضاعة الوقت بل كغاية رئيسية ووسيلة من الوسائل التى تؤدى مباشرة الى الغرض المرجو من التربية الحقة

وما سبيل ذلك فى التوفق الى مدربين لتلك الالعاب ، فسألتهم فرعية بالقياس الى جوهر الأمر الذى نحن بصدده ، فالطريق الى اولئك المدربين سهل ميسور ، ومجال عملهم معلوم محدود وتأدية وظيفتهم من الناحية الفنية البحتة شىء غير ذى خطر . اما السبيل السوى الذى يسدد خطانا نحو الغاية الرئيسية التى ننشدها من التربية الصحيحة فهو التوفق الى استاذ رياضى للأخلاق

هناك مدرب للالعاب الرياضية ، وهناك استاذ . وقد ألمعنا بطرف الى مدرب الالعاب الرياضى ، فماذا عسى ان يكون هذا الاستاذ الذى يعنى من الرياضة البدنية بالاخلاق ؟

الجسم السليم تربة خصبة صالحة لان تغرس فيها الاخلاق الفاضلة . وليس معنى ذلك ان الرياضة البدنية تبث فى نفس صاحبها من تلقاء نفسها أحسن السجايا وخير الخلال ، بل انها تمهد السبيل لهذا النبت الصالح وتعين على نموه وانعاشه ، شأن الارض ذات التربة الخصبة المعدة لان تنبت الورود العطرة ، فهى صالحة لان تنبت هذه الازهار ، ولكن ليس معنى ذلك ان طبيعتها اللينة تنتج من تلقاء نفسها الازهار الذكية ، وانما لكل شىء ظرفه الذى يهيئه للانتاج . وكما ان هذه الارض الخصبة اللينة تحتاج الى « بستانى » يعدها لانتاج الورد الجميل ، كذلك الجسم الرياضى يحتاج الى معلم خبير يروضه على الاخلاق الفاضلة

نحن اذاً فى حاجة الى استاذ رياضى عليم بشؤون النفس ، خبير بميولها ومنازعها ، واقف على

حقيقة الجانب السرى من حياة النشء . هذا الاستاذ هو الذى ننتظر ان يؤدى وظيفته الكبرى فى المدرسة ، وهو الذى نرجو أن نراه يلقن الطالب رسالة الفضيلة والخلق الكريم ، ويعرف كيف يفيد عقول التلاميذ من رياضة البدن ، وكيف تستطيع تلك الرياضة ان تلهب العقل كما تملأ النفس الحية بجميل الخصال

أى صنف من اساتذة المدارس هذا الصنف يكون ؟

نرجو أن يكون رجلا اضطلع باسباب هذا النوع من العلم وانقطع له وتأثر به الى حد بعيد ، نرجو ان يكون رجلا واسع العلم غزير المعرفة كثير التجارب ملماً بطبائع الناس ، كانت الحياة نفسها عنصراً بين العناصر التى كونته من الكتب والمدرسة والمجتمع

مثل هذا المربى يسهل عليه ان يقف على ميول طلابه واهواء نفوسهم واقدار عقولهم . فيتمكن من طبائعهم ويبلغ من نفوسهم ويملك ازمتهم لا يعسر عليه منهم شىء . فكأن بيده مصباحاً يضىء له من حياة الطالب ما استغلق على سواه من ابيه وذويه وصحبه ومدرسيه . ولا اكون مسرفاً إذا قلت ما من مدرسة غربية كبيرة وما من كلية فى اوربا مهما كانت نزعتها العلمية الا لها هذان العنصران : مدرب للالعاب الرياضية واستاذ رياضى للاخلاق . مهمة الاول فنية بحتة ومهمة الثانى خلقية قبل أى شىء . ولذلك نرى دور العلم فى البلاد الغربية تبذل جهداً عظيما فى سبيل التوفق الى هذا الاستاذ ولن ترخص له بالعمل الا بعد ان تستوثق منه وقد تتخيره من عدد كبير بعد عناء طويل

وفى حياة الرياضة البدنية تبدأ وظيفة من حيث تنتهى وظيفة أخرى . فوظيفة المدرب الفنى تنتهى عند اختصاص كل طالب باللعبة التى توافق جسمه ويطمئن لها هذا الجسم والتى يرتاح لها ميله ولا تضجر منها نفسه . وتنتهى أيضا بعد ما يعلم طلابه مواقف العابهم الفنية ويجعلهم يمارسون العابهم الى حد أنهم يستطيعون فى يوم ما أن يبذلوا فى سبيلها غاية ما يملكون من جهد جسمى

ولا تكاد تنتهى وظيفة المدرب الفنى ـ وهى تنتهى غالباً عند هذا الحد ـ حتى تبدأ الوظيفة الأخرى ، وظيفة استاذ الرياضة ، وهى فى الحق وظيفة دقيقة شاقة هامة تعوزها مزايا وتعوزها صفات وتعوزها مؤهلات . فمن مزاياها الرجولة وسعة الصدر وبعد النظر وصدق الحكم على غوامض الاشياء . ومن صفاتها صفاء الخاطر وحضور الذهن وقوة الارادة . ومن مؤهلاتها سعة الثقافة ومعرفة فن التربية وسلامة المنطق

يجىء بعد ذلك كله أو قبل ذلك كله أمران لا غنى لاستاذ الاخلاق الرياضى عنهما :

(أولهما) ان يكون هو نفسه مثلا أعلى لطلابه ، جديراً بأن يتخذوه اماماً لهم يقتدون به راغبين غير مكرهين فى سائر نواحيه المادية والمعنوية والنفسية

(ثانيهما) أن يكون مرناً على الاندماج فى الطلاب ، ملماً بشؤونهم المدرسية، عليما بما يستقر فى كل منهم من مواطن الضعف ، سواء أكان هذا الضعف خلقياً أم ذهنياً، فليس غيره يستطيع أن يفهم هذه النقائص ، وليس غيره يستطيع ان يعود بالشىء إلى أصله أو يعالج الداء بما يملك من دواء

وصفوة القول أنه ما من أحد غيره يمكنه ان يقوم من خلقهم ما اعوج ، وان ييسر من دروسهم ما عسر ، وأن ينير من نفوسهم ما أظلم ، وأن يعد منهم رجالا خيرين نافعين

ومن طبيعة الحياة الرياضية الصحيحة أنها تستدعى فضائل جمة ، أو تكسب تلك الفضائل الجمة .وهى فضائل تمس حياة الانسان العامة ، كالشجاعة والاقدام والجرأة فى سبيل الحق والواجب أو الانسانية ، والاعتماد على الذات وضبط النفس ورياضتها على المشاق وتعويدها الجوع والظمأ والحرمان وترغيبها عن كل ما استحال

ثم هى تستدعى فضائل غير هذه الفضائل وسجايا غير هذه السجايا ـ تستدعى انكار الذات أى انفاق غاية الجهد الفردى ابتغاء صالح الجماعة ، وتتطلب رياضة النفس على الايمان بالنظام وتقديره حق قدره ، وتلتمس السبيل الذى تتلقى منه الأوامر كما تلتمس السبيل الذى تعطى منه الأوامر ـ تلتمس توحيد الأيدى والاخلاص فى العمل وصدق النية والتضامن فى المسعى ابتغاء النجاح

فاذا أخطأ فى الرياضة النجاح لا يجزع ولا ييأس ولا يفر من المسئولية ، بل يوطن نفسه على أن تأخذ ما تستحق من نقد وتدفع ما يجب من ثمن ، يفعل هذا فى شىء من الثبات والصراحة . ولا يهون عليه الأمر انه أبدع فى لعبة كل الابداع ، أو أنه وفق فى جولته غاية التوفيق

هذه بعض الفضائل التى يجب أن يتحلى بها الفتى الرياضى ، والتى تستطيع أن تخلقها الرياضة فيه خلقاً إذا أخذ بها أخذاً نظامياً بين مدرب الرياضة ، واستاذ الاخلاق الرياضى

وإذا نظرنا إلى الالعاب الفردية كالعاب الجمناز وحمل الاثقال وما اليها ، ووضعناها موضع البحث النفسى والدرس الخلقى اهتدينا فيها إلى فضائل كبيرة ، فهى فوق ما تكسب الجسم صحة وقوة وتناسباً فى الاعضاء وانسجاماً فى الشكل ، تروض نفس الطالب ترويضاً مباشراً على فضيلة ذات شأن عظيم ، هى فضيلة ضبط النفس ، فان فى ممارسة هذه الالعاب تكتسب النفس شيئين : الصبر على المشاق فى غير ضجر ، وبذل غاية ما تملك من قوة لتصل بالتفوق إلى ما تصبو اليه من حظ تعجز عنه جهود الآخرين

غير أنى من الآخذين بفكرة الالعاب المشتركة ، أى أرى أن يمارس كل طالب لعبة يشترك فيها مع غيره ، ففى حركة الاحتكاك بالغير ومنازلته ترويض على الحياة القوية ، واعداد للتنافس الشريف ، وتهيئة صالحة لسائر ما تنشده النفس الشابة من تفوق وخلق كريم

أستطيع إذن أن أقول إن تربية مدرسية خالية من الالعاب الرياضية التى يشترك فيها المدرب والاستاذ ، لهى تربية خاملة لا قيمة لها ولا خير فيها ، فاذا انتظرنا الغد وترقبنا مصير أبنائنا الذين ربيناهم هذه التربية الخاملة ، وجدنا أنهم خلو من الفضائل لانها كانت خلواً منهم ، وأنهم بعيدون عنها لأنها كانت بعيدة عنهم . ولا عجب فالحياة مقدمة ونتيجة أو غرس وثمر ، فنحن لم نهيئهم لهذه بالأمس ، ولم نمهد لهم سبيلا اليها . فكيف ننتظر منهم غداً أن نلتمس لها أثراً فيهم ؟ أو كيف نرقب لها عندهم صدى فى يوم من الأيام ؟

سبقت انجلترا سواها من البلدان فى العناية بالالعاب الرياضية ، ولم تذهب هذا المذهب عفواً عن غير قصد بل إنها ادركت ما لهذا الفن الحيوى من فضائل خلقية وجسمية . وعماد التربية عند الانجليز هو « الاخلاق » فقد يضحون فى كثير من الاحيان بشؤون علمية فى سبيل تفوقهم فى الشؤون الرياضية وقد يكون دافعهم الى ذلك أن من طبيعة التقاليد عندهم أن يقرنوا الى النبوغ الرياضى أقصى ما يستطاع من فضائل الرجولة . فهم يحتمون على الرياضى المتفوق ان يكون حائزاً لقسط كبير منها ، حتى إنه لا يجرؤ أن يظهر بشىء من مظاهر النقائص وإن مالت نفسه اليها ، لا خوفاً من انتقاد قارص ، بل خضوعاً للتقاليد الموروثة التى تحتم عليه أن يقترب ما أمكن من المثل الاعلى . ولهذا كان شعار الرياضى الانجليزى هو كمال الرجولة . ومن الطبيعى بعد ذلك أن يستطيع الرياضى الانجليزى المتفوق ان يستهل حياته العملية اعظم صلاحية من غيره واكمل استعداداً من سواه

وإن أذكر مصر الرياضية فلا أستطيع أن أنسى أسوأ عصر رياضى اجتازته ـ ذلك العصر الذى كان الرياضى الممتاز فيه هو ذلك الشاب الضخم الجسم ، العريض الاكتاف ، الموفور القوة ، المعربد المشاكس الشرير . واحمد الله اذ مضت تلك الايام الى غير عود . وها نحن الآن نخطو خطوات أولى فى مرحلة رياضية أخرى . وهذه الخطوات وان كانت وئيدة فهى موفقة بعض التوفيق ، كما ان تلك المرحلة وان كانت قصيرة جداً فهى صالحة مباركة

والحق ان الروح الرياضية عندنا انما هى روح أولية ـ روح وليدة ناعمة ناشئة تعوزها التربية الواسعة الناضجة ، تلك التربية التى توحى الى نفس الفتى خير ما ننشده من الفضائل العلوية . ومثل هذه التربية لا يقدر على الاضطلاع بها الا أساتذة الاخلاق الرياضيون

هنالك مسألة من مسائل الحياة الرياضية ، مسألة هامة خطرة ، لا أظننى أخطىء فى التعبير عنها إذا قلت إنها نقص شائع فى التربية الرياضية عندنا وعند سوانا من البلاد الحديثة العهد بالرياضة البدنية

تلك هى الاشادة بالفائز والاحتفاء به والتغنى باسمه وتخويله كل لون من ألوان التكريم والتمجيد ، ثم التحامل فى الوقت نفسه على غير الموفق واغفال شأنه والمضى فى تجريحه والتشهير

به جزاء خذلانه أو فشله وعدم توفيقه ، كأنه أجرم فهو يعاقب على جرمه أو أذنب فهو يؤخذ بذنبه

نقف من الغالب هذا الموقف ونقف من المغلوب ذاك ، وغاب عنا فى الحالين الغرض المقصود من الرياضة ، وما هو فى الحق الا بذل غاية مايمكن اللاعب ان يبذل من جهد ، وانفاق اقصى ما يستطيع ان ينفقه من حيلة . وما دام كل من اللاعبين قد ادى هذا الواجب كأحسن ما يمكن ان يؤدى ، فيجب علينا ان نحمد لكليهما المجهود الذى بذله

الفشل هنا فشل شريف . والفشل الشريف فى طبيعته كالنجاح الشريف سيان . ولكن هناك شخص واحد من اللاعبين يجب ان تنحى عليه بلاذع اللوم ، وتنظر اليه بعين الازدراء — هذا الشخص هو ذلك الفاشل فى ميدان اللعب لجبن اصابه أو خور أدركه ، او لنقص غير طبيعى فى ناحية من نواحى حياته الرياضية . هذا اللاعب الفاشل هو الجدير بالمؤاخذة والتثريب . اما الاول فلا جناح عليه لانه ادى واجبه وسعى فى الوصول الى مراده

ولعل تلك النقيصة البغيضة ، نقيصة اخذ الفاشل الشريف بالشدة والتشهير هى التى تسول لكثير من الطلاب سواء فى شؤونهم المدرسية أم فى شؤونهم الرياضية ان يخرجوا على فضيلة الشرف ويلجأوا الى الغش والحيلة غير المشروعة فى سبيل النجاح خشية ان يصيبهم ما يصيب زملاءهم — اذا هم فشلوا — من عيب وتشهير

وقد يكون من اسباب التنفير من تلك النقيصة ان تفرغ عليها صبغة الذنب ، فينال كل من حدثته نفسه أن يفوز فى الالعاب الرياضية من طريق غير شريف عقاب صارم يزجره عن العودة الى التسامح فى فضيلة من اجل الفضائل ، وهى فضيلة الاعتماد على النفس وتحمل المسئولية من غير حرج ، ويكفه عن التورط فى سيئة من احط السيئات ، وهى سيئة الغش والاحتيال الوضيع

° ° °

تكلمنا عن الرياضة البدنية كوسيلة لتربية الاخلاق وتثقيف النفس ، وابنا ما أبناه من فضائلها التى يجب ان يكون الرياضى متحليا بها ، والتى تخلقها الرياضة فيه خلقاً . غير ان هناك فضيلة انسانية عظيمة لايستطيع الانسان ان يكتسبها بنفسه وانما يسهل نوالها من طريق الرياضة البدنية ، تلك هى الديمقراطية

الرياضة البدنية معلم ديمقراطى محبوب ، والميادين الرياضية مدارس للديمقراطية وثيقة العرى . فاختلاط النشء بعضهم ببعض على تباين بيئاتهم المنزلية واحتكاك التلاميذ فى سائر جوانب الحياة الرياضية — هذا كله جدير بان يمحو مابينهم من الفوارق العائلية والاجتماعية ،

قمين بان يسوى بينهم سبيل الحياة ، كفيل بأن يؤلف بين قلوبهم ويلقى فى نفوسهم اجمعين المبادىء الانسانية الصالحة

نعود الآن الى مابدأنا به فنتساءل : وهل لتلك النواحى الخلقية جميعاً أثر فى تنمية العقل حتى يستقيم المنطق فى مثلنا الشائع المأثور « العقل السليم فى الجسم السليم » ؟ . ومن الغريب اننا لانعرف جواباً عن هذا السؤال غير : « نعم »

فالنفس الصافية الهادئة ، والخلق الرفيع المستقيم يستحيل عليهما أن يجاورا عقلا بليداً أو عقلا ناقصاً

يجب أن نلاحظ أن التجانس المعنوى مفروض فى كل انسان أو فى غالبية الناس على الاقل ، وان تربية الجسم وتهذيب النفس أمران لايخلو العقل من المساهمة فيهما والتأثر بهما ، وان صفاء النفس وصحة الجسم يساعدان العقل على أن ينضج ويصفو ، وليس الشأن كذلك من جانب العقل ، فان حدته وذكاءه قد لا يؤثران تأثيراً ما فى صحة الجسم وصفاء النفس . واذن فالجسم الكامل والخلق الكامل لايستقيان مع عقل غير كامل والكمال هنا نسبى

احمد محمد حسنين

كيف ينهض الشرق

للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

انما ينهض بالشرق مستبد عادل ــ مستبد يكره المتناكرين على التعارف ويلجىء الاهل الى التراحم ويقهر الجيران على التناصف يحمل الناس على رأيه فى منافعهم بالرهبة ان لم يحملوا انفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة ــ عادل لا يخطو خطوة إلا ونظرته الاولى إلى شعبه الذى يحكمه فان عرض حظ لنفسه فليقع دائماً تحت النظرة الثانية فهو لهم اكثر مما هو لنفسه . . يكفى لابلاغهم غاية لا يسقطون بعدها خمس عشرة سنة وهى سن مولود يبلغ الحلم يولد فيها الفكر الصالح وينمو تحت رعاية الولي الصالح ويشتد حتى يصرع من يصرعه . خمس عشرة سنة يثنى فيها اعناق الكبار الى ما هو خير لهم ولاعقابهم ويعالج ما اعتل من طباعهم بأنجع أنواع العلاج ومنها البتر والكى اذا اقتضت الحال . وينشىء فيها نفوس الصغار على ماوجه العزيمة نحوه ويسدد نياتهم بالتثقيف . . . خمس عشرة سنة تحشد له جمهوراً عظيما من أعوان الاصلاح من صالحين كانوا ينتظرونه وناشئين شبوا وهم ينظرونه وآخرين رهبوه فاتبعوه وغيرهم رغبوا فى فضله فجاروه . .

هل يعدم الشرق كله مستبداً عادلا فى قومه يتمكن به العدل ان يصنع فى خمس عشرة سنة ما لا يصنع العقل وحده فى خمسة عشر قرناً ؟ !

صاحبة الجلالة الصحافة

أعظم قوة تقود الجماهير والحكومات

بقلم الاستاذ عبد القادر حمزه

زميلي صاحب الهلال الاغر

اقترحتم على ان أكتب للهلال كلمة في « الصحافة كأعظم قوة تقود الجماهير » . فاقترح أنا عليكم أن تكون كلمتي في « الصحافة كأعظم قوة تقود الجماهير والحكومات » وأرجو ألا تجدوا ضيراً في هذه الزيادة التي قد ترى طفيفة ولكنها ضرورية

لقبت الصحافة فى أوربا بصاحبة الجلالة دلالة على أنها ارتفعت بنفوذها إلى مرتبة الحكام الجالسين على العروش . وسجل لها مسيو استيفان لوزان رئيس تحرير «الماتن» هذا اللقب فوضع منذ سنوات قليلة كتابا فى الصحافة جعل عنوانه« Sa Majesté la Presse » . وقد كانوا يصفون الصحافة الى بضع سنوات بأنها السلطة الرابعة فى الدولة، يريدون بذلك أنها بجانب السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية سلطة رابعة . فاما الآن فان الذين يلقبونها بصاحبة الجلالة لا يكتفون بأن تكون إحدى السلطات ، بل يريدون لها أن تكون فوق جميع السلطات

وفى الواقع أن الصحافة يجب أن تكون فوق جميع السلطات لأنها رقيبة عليها . وهى لا تصل الى هذه الرقابة من طريق إدارى كالطريق الذى بين موظف رئيس وموظف مرءوس ، بل تصل اليها من طريق الايعاز بالفكرة إلى الرأى العام . فان كانت الفكرة سليمة وكانت قائمة على دعائم تجعلها مقبولة من الرأى العام فهذا الرأى يقتنع بها ، وحينئذ لا تجد الحكومة بسلطاتها الثلاث — ان كانت هذه الحكومة ديمقراطية — مناصاً من الخضوع لها . أما الحكومة الدكتاتورية فانها لا تخضع خضوع الحكومة الديمقراطية ، ولكنها مع ذلك لا تستطيع أن تمنع نفسها من أن تشعر — فى بعض الاحيان على الاقل — بان الصحافة متأهبة لانتقادها وتجنيد الرأى العام ضدها ، وهذا الشعور يكفى لان يصدها عن كثير من الاعمال

فالصحافة على هذا تستمد قوتها من الانتقاد ومن توجيه الرأى العام . فهى اذن العامل الاول الذى يحرك الامة ، والامة هى مصدر جميع السلطات . ولهذا لم يكن عجيباً — ولن يكون عجيبا — أن توضع الصحافة فى مرتبة الحكام الجالسين على العروش وأن تلقب بصاحبة الجلالة

لا بل إن الصحافة راقبت حتى الحكام الجالسين على العروش وأشعرتهم سلطانها عليهم فى كثير من البلاد وفى كثير من الاحيان

وبديهي ان الصحافة التي توصف بهذا الوصف هي الصحافة في مجموعها لا الصحيفة الواحدة ولا الصحيفتان . وبديهي أيضا أن سلطة الرقابة التي تستعملها الصحافة ليست كالسلطة الادارية تظهر في أوامر تصدر وقرارات تنفذ في ساعات أو أيام . بل هي كما قلنا تحريك للرأي العام بعد اقناعه بالفكرة . ولهذا يتيسر للحكام في كثير من الاحيان أن يقفوا باردين غير عابئين امام الفكرة حينما تلقى . وقد يتيسر لهم أن يسخروا منها ويشوشوا عليها . ولكن اذا كان الحكم ديمقراطيا وكانت الفكرة قوية وكانت التربة صالحة لها ، فالصحافة تغلبهم مهما يكن عنادهم . وهي تغلبهم أيضا في الحكم الدكتاتوري ولكن بعد زمن يطول او يقصر ، وبعد متاعب تطول أو تقصر ، تبعا للظروف

وهذه الصحافة التي اردتها هنا هي صحافة الآراء السياسية . أما الصحافة العلمية والادبية والفنية فقوتها في قيادة الجماهير ليست محل نزاع . وذلك أن هذه الصحافة صارت الآن جامعة الثقافة التي يواصل المتعلمون فيها مابدأوه في مقاعد الدرس . اذ المدارس لاتخرج غير رجال صاروا مستعدين لأن يفهموا . فهؤلاء الرجال اما أن يهملوا انفسهم بعد ذلك فينطفىء استعدادهم ، واما أن يستمروا على تعهدها بالبحث والدرس فتنضج مداركهم وتتسع معلوماتهم . وسبيلهم الى ذلك هو الكتب والصحف . فاما الكتب فانها وان جرت مع التقدم العلمي لامناص لها من أن تقف في هذا الجرى عند حد . واما الصحف فانها تجرى مع التقدم يوما فيوما . فهي لهذا اقدر من الكتب دائما على تغذية العقل بالجديد من المباحث والآراء . والكتاب فوق ذلك بحث جاف في موضوع واحد ، على حين أن الصحيفة متنوعة البحوث طلية الاسلوب تبذل عناية لايبذلها الكتاب في الترويح عن القارىء وتفتيح ذهنه لما تريد أن تبثه فيه

* * *

والآن فلنضرب مثلا ، وليكن هذا المثل الصحافة المصرية التي نعرفها والتي ما تزال في أول أدوار نهوضها ، لاصحافة بلاد اخرى

اذا نحن اقتصرنا على أن يكون موضوع بحثنا ان الصحافة قوة تقود الجماهير ثم سألنا هل هذا الوصف ينطبق على الصحافة المصرية ، كان البحث في نظرى تافها لايستحق الحبر الذى يكتب به . أما موضوع البحث الذى أرى أنه يستحق ان يكتب فهو « هل الصحافة المصرية ذات جلالة أم لا ؟ » وهذا السؤال هو الذى أجيب هنا عليه

لا ريب في أن الصحافة المصرية لم تعرف طول الستين عاما التي مضت غير التعطيل الادارى وغير قوانين قيدتها وما زالت تقيدها بأثقل القيود . وقد كانت رغبة الحاكم هي التي أوجدت هذه القيود ليضعف بها صوت الصحافة من جهة ولينتقم لنفسه منها من جهة أخرى . فهو هنا يظهر قوياً عايها قادراً على أن يتصرف في مصيرها . وهي تظهر ضعيفة امامه خاضعة لعنته عاجزة

عن أن يكون لها عليه سلطان . ولكنى أزعم مع ذلك انها قوية ، وأن لها سلطاناً اقوى من سلطانه ، وان لها عليه هو كل السلطان ، وانها لذلك استحقت وتستحق لقب « صاحبة الجلالة »

ازعم ذلك وبعض دليلى عليه نفس هذه القيود التى قيدت بها الصحافة ، ونفس أوامر التعطيل التى عطلت بها الصحافة ، ونفس هذه الحرب المستمرة التى يعلنها الحاكم على الصحافة

لماذا يشعر الحاكم بأن عليه أن يقيد الصحافة ويعطلها ؟ . . . . . . لانه يخافها . . . . فهو اذن يعرف ان لها سلطانا يجد أثره فى نفسه . . . . وهذا الاثر هو الخوف ممزوجاً بالحذر

ولقد حارب الحاكم هذه الصحافة التى يخافها ويحذر منها ، فهل نجح وفاز عليها ؟ . . . كلا ، بل هى التى نجحت وفازت عليه . بدليل انها ما تزال قائمة لم تمت . وبدليل انها تنمو يوما بعد يوم . وبدليل ان نفوذها على الجماهير يتسع يوما بعد يوم

وهذا الحاكم الذى يحارب الصحافة ، أتراه استطاع أن يستغنى عنها ويزهد فى أن يلجأ اليها ؟ . كلا ، وهو اذ يحارب الصحافة لايقصد بهذه الحرب غير بعض منها . وهو فى الوقت نفسه يلجأ الى بعضها الآخر . فهو امام الصحافة موزع بين عاطفتين : واحدة هي عاطفة الخوف من بعض وثانية هي عاطفة الالتجاء الى بعض . وليس فوق هذا سلطان للصحافة على الحاكم والحكومة

وانظر بعد ذلك نظرة اجمالية فيما مافعلته الصحافة المصرية فى نصف هذا القرن الذى مضى . سل نفسك : أى شيء كان ينتج جهاد المغفور له مصطفى كامل باشا اذا فرض ان خلت البلاد من كل ما يسمى صحافة ؟ وسل نفسك أيضا : أى شيء كان ينتج تأليف الوفد المصرى فى سنة ١٩١٨ إذا فرض ان خلت البلاد من كل ما يسمى صحافة ؟ . . . . سل نفسك هذين السؤالين فهل ترى أن الحركة الوطنية التى بعثها مصطفى كامل باشا والحزب الوطنى كانت توجد ؟ . . . . أو هل ترى أن مصطفى كامل باشا نفسه كان يوجد ؟ .... ثم هل ترى أن ثورة سنة ١٩١٩ والحوادث السياسية التى توالت وما زالت تتوالى الى اليوم كانت توجد ؟ أو هل ترى ان الوفد نفسه كان يوجد ؟

وسؤال آخر : اذا فرض ان خلت البلاد من كل ما يسمى صحافة . فهل ترى ان نهضتنا الفكرية فى السياسة وفى العلم كانت تصل الى هذا الحد الذى وصلت اليه ؟ أو هل ترى ان شيئاً يسمى نهضة فكرية كان يوجد ؟

فالصحافة المصرية قد كسرت اذن كل قيودها ، وتغلبت على كل العقبات التى فى طريقها ، واستطاعت أن تحصل على كل السلطان الواجب لها ، وان تؤدى كل رسالتها

فهى اذن صاحبة جلالة حقاً . ومهما يتعب الحاكم نفسه فى حربها فسلطانها عليه نافذ ، وقيادتها له وللجماهير هي قيادة قوة صاحبة جلالة

عبد القادر حمزه

مهمة رجل الدين في الوقت الحاضر

بقلم الاستاذ الشيخ محمود ابو العيون

فى مصر الآن حركة انقلاب شديدة ، هى الخروج على الاخلاق والآداب التى ظللنا عليها أجيالا ونحن نحتفظ بها وندخر فيها القوة والصرامة ، فأصبحنا فى حياة جديدة خالية من روح النظام ومن شعارات نمتاز بها عن سائر الاقوام ، فهى خليط من الفوضى ، أساسها حب المحاكاة فيما لاغناء فيه والتشبث بالمدنية الزائفة والعاطفة الهوجاء

أفضت بنا الحياة الجديدة إلى فقدان الحياة القومية التى تسرى روحها فى الروابط الاجتماعية بين أفراد الأمة الواحدة ، فتوحد عناصرها وتجعل لها كياناً معنوياً ومناعة حصينة تدفع عنها التلاشى والاضمحلال

فتنا بمظاهر المدنية الغربية ، وترامينا فى أحضانها ، وأهدرنا آدابنا الموروثة فى سبيلها ، واستحوذ علينا الجهل بحقيقة ديننا ومصالح دنيانا ، حتى كدنا نؤثر الاباحة المطلقة على كل ما يقيد نزوات النفوس من دين وآداب وأخلاق

كذلك قل عن العقيدة ــ العقيدة فى الله ــ والايمان بالحق واطمئنان النفس للعدل الالهى ، كل ذلك قد خلت منه الافئدة ، واذا تزعزعت العقيدة فى الله ، واذا تجردت النفوس من فضيلة الايمان بالحق ، واذا لم تستروح لقضاء الله فيها ، فقد ذلت وهانت وأصبحت مركبا ذلولا للشهوات وعبادة الأوهام

حقاً ان الالحاد قد انتجع من نفوس أهل هذا الجيل مكانا خصيباً وظهرت طلائعه وكتائبه فى كل مكان ــ فى دور العلم ، فى النوادى الادبية ، فى المحافل الخاصة ــ وظهرت فى الصحف والمجلات وفى المؤلفات الحديثة على أشكال متنوعة وصور مختلفة . ومن وراء هذه القوى المتسلطة عصابة من السوء تمدها بالكفاية والمعونة

ان الظاهرة الجديدة التى استرعت الانظار فى الوقت الحاضر هى الكتابة والمحاضرات والمناظرات حول طهارة الفطر الدينية وقداسة الايمان ، بقصد التشكيك ومناهضة التعاليم الدينية وزعزعة العقائد الصافية وتحقيق مبادىء المدرسة الحديثة « التى يزعمونها طليعة النهضة الجديدة والرقى الفكرى » فى النابتة الاسلامية واعداد نفوسهم لبذر الفتنة والضلال وليكونوا أداة هدم وتدمير

إن الالحاد الذى يكون أساسه التشكيك حرب على الفضيلة وعلى الحق وعلى الانسانية وعلى

الاديان كلها وعلى الخير من جميع نواحيه وعلى كل معنى من المعانى السامية . معناه هدم كل شيء من اعتقاد وأدب وتشريع

ومن تلك الظاهرة ما هو عجيب وغريب ، فان بعضاً من المتأدبين فينا يحاول نشر مذهب جديد يسميه الأدب المكشوف . وفى الادب المكشوف مخجلات منديات ، واستهتار بالادب نفسه ، ودعاية للاباحة الزارية بالفضيلة والاخلاق . أنما يقصد بالادب المكشوف إغراء النفوس بالاشتهاء المادى وامتاعها بذكر اللذات الجسدية . واذا لم تكن حياة الامة مذخورة بالحياء والعفاف ، وتصون الاقلام والالسنة عن ذكر الهفوات الخفية ، وتصوير المعانى والخيالات المثيرة للشهوات ، وابرازها فى ثوب الفتنة والاغراء — اذا لم تكن الامة كذلك فانها تعيش كما تعيش الامم السادرة فى الهمجية والسذاجة الاولى . ان فكرة العرى فى بعض ممالك اوربا المتحضرة ترجع فى منشئها الى الادب المكشوف . وفى اعتقادى أن انصار ذلك المذهب لا يحجمون عن الدعاية لتلك الفكرة اذا استقام لهم الامر وأمكنتهم الفرصة

لو شئنا أن نبرز حياتنا الجديدة كما هي ، فاننا نبرزها فى صورة المرأة الهلوك ، تشين وتعر ، ولا تتأثم عن قبيح ومنقصة

ليس من المنكور أن لدينا نصيباً موفوراً من الحضارة وتقدما نسبياً فى العلوم والفنون ، ولكن حضارتنا مادية محضة ، أساسها الكذب والملق والأثرة والخداع والعدوان . والعلوم والفنون ضيقة ومحصورة فهى غير كافية لجعلنا سعداء فى حياتنا الدنيا ولا حياتنا الاخرى

لقد نفذ التحطط الخلقى والانحلال الادبى الى كل الجماعات والطبقات فعمت البلوى واستعصى الداء . فأينا يكون الهادى وأينا يكون المهتدى ؟ ان العناصر الرشيدة التى كانت تتزعم الاقوام وكانت مصدراً للفضيلة ومبعث هدى وقدوة للخلق الكريم اصبحت وقد تنكبت الطريقة المثلى وشاركت الطبقة الدنيا فيما يصدر عنها من المشاين والمثالب . وليس لها من ذلك عاصم لان النفوس نشأت قاحلة من أصول التربية والتعاليم الصحيحة

إننا فى حالة لا تساعد على تربية نشء عف متسلح بسلاح العصر يحمل اعباء الحياة الجديدة ببسالة واقدام . إننا فى حياتنا أحوج مانكون الى شباب يغامر فى سوح الكفاح والجلاد ويفتح مغاليق المستقبل ويرسم لجيله قوس النصر والفلاح ويعيد تراث اجداده العظام ومجد تاريخهم الغابر

إن أنصار الفضيلة وحماة الاخلاق ليضعون أيديهم على قلوبهم اشفاقا على البلاد من المصير المجهول . وليس أعود بالخير وأرجى للفائدة من اللجوء الى هداية الدين واتباع سننه فى هذه الطخية العمياء . فانه العلاج الوحيد والعامل المجدى لاصلاح الشأن ورأب الصدع ، وهو الجامع

لكل ما تحتاج اليه الشعوب من السعادة الدينية والدنيوية

ومن الخير لهذا البلد أن يكون فيه « رجل دين على جانب كبير من الذكاء وسعة الاطلاع وطلاقة اللسان . وان يكون ذا ثقافة وتعليم لائقين بمقتضيات عصر العلوم والمعارف والمدنية وملما بفلسفة الاديان وبالمجادلات الكلامية وبكثير من اللغات الحية » . ومهمته فى الوقت الحاضر شاقة ومجهدة ، فلقد مضى الزمن الذى كان يهيب فيه الزعيم الدينى فتعنو له الوجوه وتخضع له القلوب ، وحسبه من الدين أن يتسم بسمته ويأخذ الناس بعظته . فقد كانت مظاهر الحياة فى ذلك الزمن محدودة . وكانت عقول الشعوب والجماهير مأخوذة بما يلقى عليها من التعاليم التى اختص بها اولئك الائمة والقادة من رجال الدين .وكان الحكام والملوك يحتضنونهم ويؤيدون سلطتهم ويصغون لنصائحهم لانهم كانوا خير الناس فى زمانهم وكانوا قدوة صالحة وهداة مرشدين

روى انه لما ولى عمر بن هبيرة الفزارى العراق وأضيفت اليه خراسان — وذلك فى أيام يزيد ابن عبد الملك — استدعى الحسن البصرى ومحمد بن سيرين والشعبى فقال لهم : « ان يزيد خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ عليهم الميثاق بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة . وقد ولانى ماترون فيكتب الى بالامر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الامر فماترون ؟ » فقال ابن سيرين والشعبى قولا فيه تقية . فقال ابن هبيرة : « ما تقول يا حسن ؟ » فقال : « يا ابن هبيرة خف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله . إن الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله . وأوشك ان يبعث اليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة الدهر الى ضيق القبر ثم لا ينجيك الا عملك . يا ابن هبيرة إن تعص الله فانما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده ، فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله ، فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »

وروى أن الخليفة المنصور قال يوما لعمرو بن عبيد المتوفى سنة ١٤٤ هـ : « هل من حاجة؟» قال : « لا تبعث الى حتى آتيك » قال : « اذن لن تلقانى » قال : « هى حاجتى » ومضى فأتبعه المنصور طرفه وقال :

كلكم يمشى رويد كلكم يطلب صيد
غير عمرو بن عبيد

ورثاه المنصور بقوله :

صلى الاله عليك من متوسد قبرا مررت به على مروان
قبرا تضمن مؤمنا متمنعا صدق الاله ودان بالعرفان
لو أن هذا الدهر ابقى صالحا أبقى لنا عمرا أبا عثمان

ولم يسمع بخليفة يرثى من دونه سواه

وقدم الخليفة هرون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك ، وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة . فاشرفت أم ولد لامير المؤمنين من برج الخشب فلما رأت الناس قالت: « ما هذا ؟ » قالوا : « عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك » ، قالت : « هذا والله الملك لاملك هرون الذى لا يجمع الناس حوله الا بشرطة وأعوان »

أرأيت كيف كانت منزلة رجال الدين وعلماء الملة فى نفوس الحكام والملوك ؟ أرأيت أن منزلتهم كانت تنقطع دونها منازل أولئك الملوك مع احاطتهم بمظاهر الملك وابهة السلطان ؟

لهذا ولغيره كانت عظاتهم بالغة وارشاداتهم نافذة واقوالهم مطاعة

هذه الصفات المثمرة هى التى يجب أن تكون فيمن أقام نفسه للزعامة الدينية والاضطلاع بدراسة الشؤون الاسلامية وأخذ الناس بها على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم

هذا هو رجل الدين الذى نعنى به فى حديثنا والذى أشرنا اليه فيما مضى من القول . هو من نصب نفسه لنفع الناس وهو عنهم مستغن لا يعمل رغبة فى دنيا ولا يسكت رهبة من عقاب فعله الحق وقوله الصدق وهديه الرشد وسبيله الطريق السوى ، ان قام بأمر قعد به وان أمر بشىء كان ألزم الناس له وان نهى عن شىء كان أترك الناس له »

مهمة رجل الدين فى الوقت الحاضر شاقة ومجهدة كما قلنا ، فان نجاحه فى ان يتصل بالجماهير المختلفة ويبين لهم حقيقة الدين فى وضوح تعاليمه ورسوخ براهينه وظهور آثاره فى طبائع الاكوان وحقائق الوجود

ويبين لهم أن الدين يساير العلم ولا يأباه وليس بينه وبين العقل عداء وأن الميزة العليا للعقيدة الدينية هى ألا تتنافى مع نتاج العلم الصحيح وان ترتكز على العقل السليم وتعتصم بالبرهان الحق

ويبين لهم ما انطوى عليه هذا الدين من ضروب التعليم والتربية « سواء أ كان فى تربية النفوس على التزام العبادة أم فى تعويدها الاخلاق الفاضلة أم فى تنفيرها من الرذائل » مما يسمو بها فى اتجاهاتها إلى المثل العليا ويضعها فى المنزلة اللائقة بكرامة الانسانية وشرف الحياة

يبين لهم ان الله غنى عن العالمين وانه إنما وضع هذا الدين ليكون قانونا منظما لحياة البشر تعليما وارشادا وتربية وتهذيباً وصالحاً لكل الامم فى جميع الأزمنة والامكنة ، وان هذا القانون تضمن الدعوة إلى التراحم والتعاطف فيما بين الناس والدعوة الى الترابط بين المؤمنين وشد أزر بعضهم بعضا وأنهم متكافئون فى دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم . وأنه أمر بالعدل والاحسان . وتضمن الحض على التواصى بالحق وبالصبر وعلى طلب العلم ورفع درجات العلماء على غيرهم والمحافظة على النفس والعقل والمال والعناية بامر الاعراض والأمومة واليتامى . ونهى عن كل ما يشين الانسانية الكاملة والخلق الفاضل . وأنه وضع نظام المعاملات ونظام الاقتصاد ونظام الانساب ونظام الاسرة

ونظام الارث . وساوى بين الرجل والمرأة فى الحقوق والمعاملات وفى العقائد والعبادات إلا فى النزر اليسير . ودعا الى المصالح العامة والى الوفاء بالعهد وإلى عمل الخير واسداء البر للاقارب والاباعد . وحث على الحلم والاناة والصفح والعفو والكرم والسخاء والاخذ فى الاسباب وبين أنها أسباب عادية لنوال المقصود

وحث الدين على حب الوطن ورفع رايته والدفاع عن بيضته وعلى تعبئة الجيوش وسد الثغور واحكام الربط وقضى على الفوارق الجنسية والابعاد الاقليمية معتبراً أن أهله ملة واحدة وقومية واحدة ووطن واحد

وضع هذا القانون السماوى رحمة للناس . فانه جمع من أسمى الفضائل ما فيه تطمين النفوس وراحة القلوب وسعادة بنى الانسان

يشرح رجل الدين هذا القانون للناس مترسما فى ذلك سيرة السلف الصالح من الدعوة إلى هذا الدين بسيرتهم وأخلاقهم قبل ان يكونوا دعاة بأقوالهم كما أسلفنا

ويأخذهم بالنصيحة والعظة والتذكرة ويحثهم على تربية أبنائهم تربيـة صحيحة تتفق مع تقاليدنا الصالحة وبيئاتنا الشرقية السليمة من العلل والامراض وتتناسب مع سماحة ديننا التى لا تشوبها شوائب الضعف ولاتنال منها طوارىء الاخلال او التغيير، ويبين لهم القواعد والاصول الاجتماعيـة والاخلاقية والاحكام العملية التى تضمنهـا كتاب الله تعالى وما خلفته الرسل الكرام من الاحكام والوصايا والارشادات ، ويكشف لهم عن مفاسد المادة ومظاهر المدنية الحديثة التى تفاقم شرها فى هـذا العهد ، ويصور الحاضر لهم تصويراً مرعباً مخيفاً على حقيقته الواقعية مرة بالكتابة وأخرى بالمحاضرات ، مبينا لهم فى غضون ذلك سنن الماضين فى طاعتهم ومعصيتهم ومصيرهم فى الحالتين على اشرطة الخيالة (السينما) مرتقباً فى كل ذلك الفرص والظروف الملائمة

ونحن نعتقد مخلصين ان رجل الدين اذا بلغ حكم الله وأدى الرسالة التى ورثها عن الانبيـاء والرسل وصبر كما صبروا وساندته من خلفه صحافة قوية مخلصة وحكومة رشيدة عاملة وقامت بجانبه معاهد التربية والتعليم الدينى فى دور العلم ــ فان الامل فى اصلاح الحال يكون قوياً والرجاء عظيماً

محمود ابو العيون



عهد جديد للعلم والفلسفة

تغلب العلم على المذهب المادى

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى

المذهب المادى فلسفة لا علم، وفرق كبير بينهما . فالعلم يرود بوسائله مجاهيل هذا الوجود الضخم، ويدون العلاقات الموجودة بين ظواهره منها، ويضم الاشياء الى نظائرها، ثم يبذل وسعه ليجد النواميس العاملة فى كل طائفة منها . وهو يحلل المواد ليعرف عناصرها الاولية، ولكنه يعترف بان ما يسميه عناصر أولية قد تكون مركبة من عناصر أدق منها، لم تمكنه ذرائعه الناقصة من العثور عليها . ألم يكن العلم الى عصر « لافوازييه » فى القرن الثامن عشر يقرر بأن العالم المادى يقوم على أربعة عناصر، الهواء والماء والنار والتراب، فلما اتفق لهذا الكيميائى تحليل الهواء الى عنصريه الاوكسيجين والازوت امتنع علماء وقته عن التسليم بما أدته اليه التجربة، ابقاء منهم على صرح العلم الذى قام على هذه العناصر الاربعة ان ينهار . فظل خمسا وعشرين سنة يدعوهم الى تجربة ما يدعيه فيأبون، حتى قضت عليهم الاحوال بقبول اقتراحه فسلموا بعد التى والتيا بأن الهواء مركب من عنصرين، وما كادوا يفعلون

ولعلك تسألنى : ماحال كيمياء كان لايعرف فيها الأوكسيجين ؟ فاجيبك : هكذا كانت الحال وأنت حر بعدها فاما أن تجمد على ما وصلت اليه العلوم فى عصر من العصور وإما أن تفتح ذهنك لتلقى كل اكتشاف جديد يتحقق فيه شرطا العلم من التحليل والتركيب، وركناه من المشاهدة والتجربة

هذا هو العلم . اما الفلسفة فهى جهاد من العقل وراء ادراك الحقيقة الكلية للوجود . وقد دخلت من عهد نشوئها الى اليوم فى اطوار كثيرة . فبعد أن كانت تعتمد على العقل وحده أصبحت اليوم تعتمد عليه وعلى العلم أيضا . ومن هذا الطريق وصلت الفلسفة التى وصفت نفسها بالطبيعية — وهى التى يعتمد عليها المذهب المادى — الى الحكم بان الوجود مادة محضة، ومحكوم بنظام آلى لا يتخلف . وان ما يسمى عقلا وروحاً وعواطف حالات راقية من المادة وليس لها وجود خاص تستمده من ينبوع سواها

ولكن العلم فى الخمسين سنة الاخيرة — عقب اكتشافات خطيرة فى قوى المادة الكامنة، وفى خصائص البروتوبلاسما، أى المادة الاولية للخلية، وفى الاحياء الميكروسكوبية، ومن احتمال وجود أدق منها مما شوهدت آثارها ولم يعثر على اشخاصها، ومن الاشعة المعتمة وما اليها — دخل فى

طور جديد من التشكك دفع باقطابه أن يضعوا يقينياته في الميزان من جديد ، فنظروا فيها نظرات انتقادية لم يكونوا لينظروها من قبل . وتغيرت لهجة ممثليه فأصبحوا يكثرون من قولهم : ان الوجود مشحون بالمجاهيل حتى فيما ندعي اننا قد فرغنا من بحثه . فالى القارىء كلمة قيمة في هذا الباب لعالم من اشهر علماء الارض هو « جوستاف لوبون » أتى بها في مقدمة كتابه « تحول المادة » قال :

« كان إذا اتفق ان فيلسوفاً من المنصرفين الى درس الموضوعات ذات الحدود المبهمة والنتائج غير المحققة – كعلم النفس والسياسة والتاريخ – قرأ منذ عدة سنين كتاباً في العلم الطبيعي ، كان يدهش من وضوح التحديدات فيه ، ومن صحة البراهين وضبط التجارب ، إذ كان يرى كل ما في ذلك الكتاب متسلسلا بعضه يشرح بعضاً بدقة ، وكان يرى أن بجانب كل ظاهرة طبيعية مهما بلغت من التركب تفسيراً يبين غامضها ويوضح مبهمها

« فاذا حمل حب الاطلاع هذا الفيلسوف نفسه على ان يبحث عن الاصول العامة لهذه العلوم المضبوطة الى هذا الحد ، كان لا يتمالك نفسه من التعجب من بساطتها المدهشة ، ومن عظمتها المهيبة ، فيجد في قاعدة علم الكيمياء نظرية (الجوهر الفرد) التي لا يقبل الانقسام . ويجد في قاعدة علم الطبيعة (القوة) التي لا تتلاشى . ويرى معادلات علمية ولدتهـا التجربة أو العقل المحض تشمل في نظريات صارمة العناصر الاساسية الاربعة للاشياء وهي : الزمان والفضاء والمادة والقوة ، ويعرف ان جميع الجواهر الوجودية – من الكوكب العظيم الدائر في الفضاء دورانه اللولبية الابدية ، الى ذرة الغبار الحقيرة التي يظهر أن الرياح تذروها اتفاقاً – تخضع كلها لنواميس سائدة عليها

« كان العالم يختال بهذا العلم الذي هو ثمرة جهود بذلت في عدة قرون ، وكانت الوحدة والبساطة سائدتين بفضله في كل مكان ، حتى إن بعض العقول المغرمة بالنظريات كانت تعتقد امكان تبسيط العلم أكثر مما هو عليه بعدم اعتبار شيء غير العلاقات الرياضية بين الظواهر الطبيعية . فان هذه الظواهر كانت تتراءى لهم كأنها مظاهر لموجود واحد وهو القوة . وكان يخيل لهم ان تكون بعض المعادلات الفرقية تكفي لتفسير جميع الحوادث التي تقع تحت المشاهدة . وكانوا يظنون أن الغرض الاول للعلم هو كشف نظريات جديدة تعتبر على الفور كأنها نواميس عامة يجب أن تخضع لها الطبيعة

« فكان الفيلسوف المتقدم ذكره لا يسعه إلا الانحناء أمام هذه النتائج الفخمة ، معترفاً بأنه إن عدم اليقين في البيئة الفلسفية التي هو فيها ، فمن الممكن الحصول على ذلك اليقين في مجال العلم المحض

« كيف يعقل أن يشك في ذلك ؟ أما كان يرى أن أكثر العلماء كانوا من الوثوق ببراهينهم بحيث لا تتطرق أخف الشكوك اليهم ؟ وانهم بتسلطهم على التيار المتحول للاشياء ، وعلى فوضى الآراء المتغيرة والمتناقضة ، يسكنون هذا الجو الصافي من الاطلاق الذي تتلاشى فيه جميع الشكوك وتشرق فيه أنوار الحقيقة النقية الآخذة بالابصار ؟ . . .

« دامت هذه العقيدة فى المقررات الكبرى للعلم العصرى حافظة لقوتها الى أن حدثت فى الايام الاخيرة مكتشفات غير منتظرة قضت على الفكر العلمى أن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه الى الابد . فان الصرح العلمى ــ الذى كان لا يرى صدعه الا عدد قليل من العقول العالية ــ تزعزع فجأة بشدة عظيمة ، وصارت المتناقضات والمستحيلات التى فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث لا تكاد تبلغها الظنون

« أدرك الناس على عجل أنهم كانوا مخدوعين . وأسرعوا يتساءلون : هل الاصول التى كانت مؤلفة للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن إلا فروضاً واهية ، تحجب تحت غشائها جهلا لايسبر له غور ؟ فحدث إذ ذاك فى المقررات العلمية مثلما حدث قبل ذلك فى العقائد الدينية عندما شرعوا يناقشونها الحساب . فكان دور الانحطاط ثم تلاه دور الزوال والنسيان

« لا مشاحة فى أن الاصول التى كان العلم يختال بها اختيالا لم تزل كل الزوال أمداً طويلا فى نظر الدهماء كحقائق مقررة . وستستمر الكتب الابتدائية على نشرها ، ولكنها قد فقدت ما كان لها من الاجلال فى نظر العلماء الحقيقيين

« تلك المكتشفات التى نوهت بها آنفاً قد كشفت اللثام عن الظنيات التى بدأت تفضحها الكتب الحديثة . وبذلك دخل العلم نفسه فى دور من الفوضى كانوا يظنون أنه قد سلم منه الى الابد . وأصبحنا نرى أصولا كان يظن أنها ذات قاعدة رياضية محققة صارت موضوعا للنزاع بين العلماء الذين من وظائفهم تعليمها والدفاع عنها . وقد صدرت كتب على مثال الكتاب القيم المسمى « العلم والافتراض » لهنرى بوانكاريه تأتينا بالبرهان على ما نقول فى كل صفحة من صفحاتها . ولقد أرانا هذا الرياضى المشهور أننا نعيش وسط الافتراضات والاتفاقات حتى فى مجال العلوم الرياضية

« وقد بين لنا زميل كبير له فى مجمع العلماء ــ وهو العالم الرياضى « اميل بيكار » فى بعض مؤلفاته ــ مقدار تنافر الاصول الحالية لعلم الميكانيكا ، وهو العلم الاساسى الذى يتطاول الى تصور النواميس العامة للكون . فاليك ما قاله فى هــذا الموضوع : « فى آخر القرن الثامن عشر كانت أصول علم الميكانيكا تظهر فوق متناول كل نقد . وكانت أعمال مؤسسى هذا العلم تؤلف كتلة ظن الناس أنهــا تكافح الزمان ، ولكن منذ ذلك الحين أخذ التحليل العلمى الدقيق يبحث القواعد التى يقوم عليها هذا البناء بمساعدة الزجاجات المكبرة . وقد أفضى ذلك إلى أننا نصادف الآن عقبات صعبة التذليل حيث كان لا يتخيل أمثال العالمين (لا جرانج) و (لابلاس) إلا بسائط وممهدات . ولقد شعر كل من تكلفوا تعلم بدامات الميكانيكا بعد قليل من التروى بمبلغ تنافر اصولها التقليدية إذا أريد عرضها على الناظرين »

« وقد أبدى الاستاذ (ماتشى) فى كتاب علم الميكانيكا الذى نشره حديثاً رأيا من هذا القبيل.

فقال : « إن الاصول الميكانيكية التى تظهر أبسط الاصول هي فى الواقع من طبيعة تعتبر غاية فى التركب ، فانها أسست على تجارب لم تتحقق ولا يمكن تحقيقها . وعليه فلا يمكن بأية وسيلة من الوسائل أن تعتبر كلها حقائق مثبتة »

« إننا نملك الآن ثلاثة مذاهب لعلم الميكانيكا يصم كل منها الآخر بالبطلان . فاذا لم يكن واحد منها يستحق هذا الوصف فيمكن أن تعتبر جميعها ناقصة للغاية . ولا يمكن أن تعطينا إلا قليلا من التفسيرات المقبولة عن حوادث الكون

« وقد كتب المسيو (لوسيان بوانكاريه) من جهة يقول : « إنه لا توجد لدينا نظريات كبيرة الآن يمكن قبولها قبولا تاماً ، ويجمع عليها المجربون إجماعاً عاماً ، بل يسود اليوم على عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى . وقد اتسع المجال للاجتهادات الممكنة ، ولم يظهر أن ناموساً من النواميس يعتبر ضرورياً ضرورة مطلقة . فنحن نشهد فى هذه الآونة أعمالا هى بالهدم أشبه منها باقامة بناء نهائى . فالآراء التى كانت تظهر لمن سبقنا كأنها تأسست تأسساً ثابتاً صارت اليوم لدينا موضوعاً للمناقشة . وقد رفض اليوم على وجه عام الرأى القائل بأن كل الظواهر الطبيعية تقبل تفسيرات ميكانيكية ، فان أصول علم الميكانيكا نفسها صارت مشكوكا فيها . وقد شوهدت حوادث جديدة زعزعت عقائدنا المتعلقة بالقيمة المطلقة للنواميس التى اعتبرت أساسية الى اليوم » انتهى كلام الاستاذ لوسيان بوانكاريه . ثم ختم العلامة الاستاذ (جوستاف لوبون) مقدمته بهذه الكلمات :

« من حسن الحظ أنه لا شيء أحسن ملاءمة للترقى العلمى من هذه الفوضى ، فالوجود مفعم بمجهولات لا نراها ، والحجاب الذى يحجبها عنا منسوج غالباً من الآراء الضالة أو الناقصة التى توجبها علينا تقاليد العلم الرسمى ، فلا يمكن عمل خطوة للامام إلا بعد تفكك عرى الآراء السابقة . والاشد خطراً على تقدم العقل الانسانى هو تقديم الظنيات للقراء لابسة حلل الحقائق المقررة على نحو ماتفعله كتب التعليم ، والتطاول لوضع تخوم للعلم ورسم حدود لما يمكن معرفته كما كان يود ذلك (اجوست كومت) » . انتهى

وقال العلامة الجليل الاستاذ (شارل ريشيه) المدرس بجامعة الطب الباريزية والعضو بمجمع العلماء الفرنسى من مقدمة كتبها لكتاب « الظواهر النفسية » للدكتور ماكسويل قال :

« لماذا لا نصرح بصوت جهورى بأن كل هذا العلم الذى نفتخر به إلى هذا الحد ليس فى حقيقته إلا إدراكاً لظواهر الاشياء . وأما حقائقها فتفلت منا ولا تقع تحت مداركنا . والطبيعة الصحيحة للنواميس التى تقود المادة الحية والجامدة تتعالى عن أن تلم بها عقولنا . مثال ذلك أننا إذا ألقينا حجراً فى الهواء نراه يسقط إلى الارض . فلماذا سقط ؟ يجيبنا (نيوتن) سقط بجذب الارض إياه جذباً مناسباً لكتلته وللمسافة التى سقط منها . ولكن ما هو هذا الناموس ان لم يكن مجرد تحصيل

حاصل ، والا فهل فهم أحد تلك الذبذبة الجاذبة التى تجعل الحجر يسقط على الارض ؟ ان ظاهرة سقوط حجر على الارض من الشيوع بحيث لا تدهشنا ، ولكن الواقع أنه لا يوجد عقل انسانى يفهم ذلك . ان هذه الظاهرة عادية وعامة ومقبولة ، ولكنها غير مفهومة ككل ظواهر الطبيعة بغير استثناء (تأمل)

« نرى البيضة تلقح فتصبح جنيناً . ونرانا نصف أدوار هذه الظاهرة ونحن بين مخطئين ومصيبين ، ولكن هل فهمنا رغماً عن وصفنا الدقيق لها سرذلك التحول الذى يحدث فى البروتوبلاسما الحلوية فيقلبها الى كائن حى عظيم ؟ وبأى معجزة تحدث تلك التجزؤات ؟ ولماذا تتجمع تلك التحيات هنالك ؟ ولماذا تتهادم هنالك لتعيد تكونها فى مكان آخر ؟

« اننا نعيش فى وسط ظواهر تتوالى حولنا ولا نفهم سر واحدة منها فهماً يليق بدرجتها ، حتى إن أكثرها سذاجة لا يزال سراً من الاسرار المحجوبة كل الاحتجاب . فما معنى اتحاد الايدروجين بالاوكسيجين ؟ ومن الذى استطاع أن يفهم ولو مرة واحدة معنى هذا الاتحاد ، وهو يفضى الى ابطال خواص الجسمين المتحدين وايجاد جسم ثالث مخالف للاولين كل المخالفة ؟ ان العلماء لم يتفقوا للآن حتى على طبيعة الجوهر الفرد الذى وصف بأنه غير قابل للوزن وهو مع ذلك يصير قابلا له متى اجتمع عدد كبير منه

« فالاولى بالعالم الحق أن يكون متواضعاً وجريئاً فى آن واحد ، متواضعا لان علومنا ضئيلة وجريئاً لان مجال العوالم المجهولة مفتوح أمامه »

وقال العلامة الكبير (وليم كروكس) من أعضاء المجمع العلمى الملكى الانجليزى من خطبة له وقد أسندت اليه رئاسة هذا المجمع كما ورد فى صفحة ٨ من مجموع خطبه :

« من بين جميع الصفات التى عاونتنى فى مباحثى النفسية وذللت طرق اكتشافاتى الطبيعية — وكانت تلك الاكتشافات أحيانا غير منتظرة — قلت من بين تلك الصفات عندى اعتقادى الراسخ بجهلى . وأكثر الذين يدرسون الطبيعة يستحيل أمرهم عاجلا أو آجلا الى اهمالهم الكلى لجانب عظيم من رأس مالهم العلمى المزعوم ، لانهم يرون أن رأس مالهم هذا وهمى محض »

وقال الاستاذ الجليل والفيلسوف الطائر الصيت (هربرت سبنسر) فى كتابه « الاصول الاولية صفحة ٢٤٧

قال بعد أن سرد الاصول التى يحاول بها فهم الوجود :

« أى وظيفة تؤديها هذه الاصول فى تكوين هذا الفهم ؟ هل يستطيع واحد منها أن يعطينا وحده فكرة عن هذا الوجود ، أعنى عن مجموع ظواهر الموجود الذى لا يستطاع ادراكه ؟ وإذا اعتبرناها مجتمعة فهل تستطيع أن تعطينا فكرة تساوى جلالة هذا الوجود ؟ واذا رتبت وجعلت

مذهبا فهل تستطيع أن تكون لنا هذه الفكرة المرجوة ؟ . ليس لنا على كل هذه المسائل الا جواب واحد وهو : لا ،

قلنا ان المذهب المادى يستمد وجوده من الفلسفة الطبيعية . فهل سلمت هي الاخرى من النقد ؟ وهل لا يزال ينخدع بها ممثلوها فى أعلم بقاع الارض ؟ ليس لنا فى الجواب على هذا السؤال الا استشهاد أحد كبار ممثليها ، وهو العلامة (أندريه كريسون) مدرس الفلسفة فى جامعة ليون فى كتابه « قواعد الفلسفة الطبيعية » فقد قال فى صفحة ١٧٠ منه :

« العلم لايعطينا على الوجود فى جلته إلا معارف مبهمة للغاية . فانا لا نعلم العدد الحقيقى للنجوم ولا للكواكب التى تحيط بالشموس البعيدة . فابداء فرض والحالة هذه على تركيب مجموع الكون لايمكن أن يكون الا تحكما . فالفلاسفة الطبيعيون المتحفظون يرفضون أن يبنوا من النظريات مايمكن ان يسمى بالقصة الخيالية للسماء ، فهم لذلك يفضلون القيام على أرض ثابتة اقرب الى روح العلم

الى ان قال :

« ما هى الفلسفة الطبيعية اليوم فى الواقع ان لم تكن إيمانا بالغيب فوق متناول العلم ؟ هل يقتصر الطبيعى على قول ما يعرفه ؟ وهل يمتنع عن الحكم على الاشياء التى يجهلها ؟ لا ، فان مذهبه يكبر ويمتد لانه فى كل خطوة من خطواته يحمل العلم ما ليس عنده ، فتراه يؤكد لك تصريحاً أو تلميحاً بأنه سيحل مسائل لم يحلها العلم ، وانه سيبت فيها من ناحية معينة . أحقق الكيميائيون التركيب الحيوى واثبتوا امكان التولد الذاتى ؟ أفسر أحد منهم أصل التمثيل الوجدانى ؟ أأصبحت اصول فلسفة النشوء والارتقاء تامة ، وتنزهت عن كل إعضال ؟ أقامت نظرية المادة والقوة على حالة نهائية ؟ أتفق العلماء على جميع المسائل التى يبحثونها ؟ أصار مما لاجدال فيه ان جميع ما فى الوجود خاضع لنظام محدد لا يتغير ؟ ألا يوجد عالم اطلاق تتخلف فيه النواميس فى ناحية اخرى ؟

« يستطيع العالم المدقق أن يجيب على هذه الاسئلة بانه ربما كانت له على هذه المسائل عقائد مؤسسة على المرجحات ، ولكنه لايستطيع ان يبت فيها بالقول الفصل الذى يتطلبه العلم . ومع ذلك فالفيلسوف الطبيعى يتنكب هذا التحفظ ويبنى مذاهب وهو هادىء البال ، فعل من يعتقد ان الاستكشافات المقبلة لن تكذبه !

الى ان قال :

« فالذى يغتر بنتائج الفلسفة الطبيعية لايجوز له ان ينسى ان هذه النتائج لم تثبت ثبوتا مطلقاً ، ولا يمكن ان تصل الى هذه الدرجة ابداً . فهى تفوق جهد العلم العصرى بما لايقدر ، ولا يمكن ان تعلن صحتها بدون التسليم بهذا الفرض الخطير وهو : ان الشىء الذى لا يستطيع عقلنا ان يشك فيه هو مظهر الحقيقة الواقعة . فلنقل بايجاز ان الفلسفة الطبيعية ملأى بعقائد غير مثبتة ولا تقبل الاثبات » انتهى

نقول فاذا بقى للمذهب المادى من مصدر علمي يستمد منه وجوده بعد أن أعلنت الفلسفة الطبيعية نفسها انها غير قائمة على أساس يقيني؟ وليت الأمر قد وقف بها عند هذا الحد، فان كبار الماديين المعاصرين قد صرحوا على رءوس الاشهاد بان مذهبهم قد تصدع الى حد انه لا بد له من أدخال عنصر روحانى فى بنائه ليستطيع أن يقوم كمذهب يأخذ على عاتقه تفسير قيام الكون بنفسه، ومتى سمح بقبول هذا العنصر الروحانى فيه استحال الى فلسفة روحانية، وأصبح ضربة قاضية على الفكرة الالحادية التى انتدب المذهب المادى لنشرها بين الناس .

قال الفيلسوف (جيو) فى كتابه « عدم التدين فى المستقبل » فى طبعته السادسة وهو كما ترى من ألد اعداء الاديان :

« أن الافتراض الذى مؤداه إن الجوهر الفرد لايقبل الانقسام ولا التجزؤ يعتبر من الناحية الفلسفية من الآراء الطفلية . فقد اثبت طومسون وهلمو لتز أن الجواهر الفردة زوبعات متشابهة التركيب مكونة من الابخرة (كبخار كلوريدرات الامونياك مثلا) . فقالا ان كل حلقة زوبعية منها تتألف من جزيئات واحدة ولا يمكن فصل احداها عن سائرها . فلكل منها والحالة هذه شخصية ثابتة

« اذا وسع المذهب المادى وجب عليه أولا نسبة الحياة الى العنصر العام بدلا من ان يفترضه مادة عمياء . قال الفيلسوف سبنسر: « كل جيل من الطبيعيين يكتشف فى المادة المسماة عمياء قوى ما كان يحلم بوجودها أعلم علماء الطبيعة قبل ذلك بسنين معدودة » . فاننا لما رأينا اجساما جامدة تحس رغما عن جمودها الظاهر بتأثير قوى لايحصى عددها ، ولما انبأتنا آلة التحليل الطيفى (السبكترسكوب) بأن الذرات الارضية تتحرك بالاتفاق مع الذرات الموجودة فى الكواكب ، ولما اضطررنا الى ان نستنتج من ذلك ان ذبذبات لا يحصى لها عدد تخترق الفضاء فى كل وجهة وتحركه — لما رأينا ذلك كله وجب علينا ان ندرك كما يقول سبنسر (ان الوجود ليس بمؤلف من مادة ميته ، ولكنه وجود حى فى كل ناحية من نواحيه، حى بأعم معانى هذه الكلمة ان لم يكن بأخص معانيها) . . .

« الاصلاح الثانى الذى يحتاج اليه المذهب المادى — لكى يفى بحاجة البحث عن العلل الاولية — هو أن يفترض أن للمادة مع الحياة جرثومة روحانية . ولما كانت هذه المادة الأولية هي عبارة عن قوة صالحة للحياة وللفكر معاً فليس هذا ما يفهم عقليا بل ولاعلميا من معنى المادة ، فضلا عما يفهم من معنى الايدروجين (الذى يظن البعض انه المادة الاولية) . فالمادى البحت الذى يلمس بيديه كرة الدنيا معتمدا على الحاسة الغليظة وهي حاسة اللمس يصيح قائلا : الكل مادة . ولكن المادة نفسها تستحيل فى نظره الى قوة . والقوة ليست الاصورة أولية من صور الحياة. وعلى هذا يستحيل المذهب المادى الى مذهب روحانى . وتجده مضطراً امام الكرة الارضية الدائرة لان يقول إنها حية

واذ ذاك يتدخل شخص ثالث يضرب هذه الكرة برجله كما فعل « غاليليه » ويقول : نعم هي قوة ، هي حركة ، هي حياة . نقول ومع ذلك فهي ايضاً شيء آخر لانها تفكر في" وتدرك ذاتها » »

ثم قال :

« اذا كان المذهب المادى الذى يدعى انه علمى محض لا يقبل ان الطبيعة تعطى بقدر ما يدرك العقل ، واذا انكر وجود الفكر والطبيعة معا ، كان بذلك منكرا انطباق الطبيعة على أحكام العقل وهو الأصل الذى تعتمد عليه كل فلسفة تدعى انها علمية محضة »

ثم قال :

« اننا عوضا عن ان نحاول أدماج المادة فى العقل والعقل فى المادة يجب ان نعتبر الاثنين معا فى هذا التركيب وهو الحياة ، وهذا التركيب اضطر العلم نفسه فى تنزهه عن الغرض ــ سواء أكان أدبيا أم دينيا ــ للاعتراف به . فالعلم يوسع كل يوم دائرة الحياة حتى صار لا يوجد خط انفصال ثابت بين العالم العضوى والعالم غير العضوى » . انتهى

لا مشاحة بعد هذا فى أن العلم نفسه قد أتى على المذهب المادى من أساسه الذى يقوم عليه ، واذا اضفت الى هذا فتوحات علمية أخرى وفق اليها العلم نفسه فى مجال المباحث النفسية ، ادركت أن دولة ذلك المذهب قد دالت ، وان عهداً جديداً قد بدأ يظهر تتمثل فيه حاجة العقل وحاجة الروح على أسلوب علمى محض ، فيزول النزاع القديم بينهما زوالا ابديا ويزول بزواله مذهب سمم العقول والقلوب آماداً طويلة ، وكاد يدفع بالناس الى اباحة حيوانية لا يعرف غير الله ماذا كانت تجنيه عليهم

وان اليوم الذى يعلن فيــه العلم ان الاصل الروحانى ضرورى لبنــاء مذهب يحل معضلات الــكون لهو أجل يوم فى تاريخ العقل البشرى ، وأول عهد الانسانية بمدنية فاضلة تصل بها الى ما لا يتخيله التصور من الجلال والكمال

محمد فريد وجدى



مدنية العقل ومدنية الخيال

اني ارى خيال الشرق
يطل على العالم من جديد

بقلم الاستاذ ميخائيل نعيمه

الشرق اليوم ضعيف
لكنما الغرب اضعف

فى الغرب مدنيات لا مدنية ، لكنها تنضوى كلها تحت لواء واحد هو العقل . والعقل هو المصباح الذى تسكب فيه الحواس زيوت اختباراتها . فعلى قدر ما تكون تلك الاختبارات غزيرة أو شحيحة يكون مصباح العقل نيراً أو ضئيلا ، إلا انه – نيراً كان أم ضئيلا – لا هداية فيه لمن يطلب الوصول الى ضمير المحسوسات

وفى الشرق مدنيات لا مدنية ، لكنها تسير كلها خلف حاد واحد هو الخيال . والخيال هو الشمس التى تنير فى طرفة عين ما ليس تنيره ربوات من المصابيح فى ربوات من السنين ، أو هو السلم السحرى الذى نرق به من المحسوس فينا الى غير المحسوس . والعقل درجة من درجاته

اذا ماقلت ان مدنية الغرب هي مدنية العقل فلست اعنى انها مارقة من الخيال بل ان عقلها يسوق مركبة خيالها . وكذلك عندما انعت المدنية الشرقية بمدنية الخيال لا اعنى انها طاهرة من العقل بل ان خيالها يقود عقلها

منذ المقابلة التى جرت بين الحية وحواء فى جنة عدن والخيال والعقل يتنازعان قيادة البشرية . فقد كان من ذلك الحديث القليل الكلام البعيد الأصداء ، الذى دار بين أم الانسانية وشيطانها ، ان استيقظ الاله الهاجع فى حواء ، فادركت ان سر الالوهية فى المعرفة – معرفة الخير والشر – وبعين خيالها رأت نفسها ورفيقها آدم إلهين مثيلين ليهوه . ولو أنها وقفت عند ذلك الحد لكان لهما ما تخيلته ولكانت وآدم الهين قابضين على كل اسرار الوجود . غير أنها ما تنبه الاله فيها – وهو خيالها – حتى تنبه معه الانسان وهو عقلها . والعقل الذى يستمد كل نوره من الحواس الخارجية يستحيل عليه ان يسلم بوجود شيء إلا اذا خبره بواسطتها . لذلك مد يده الى الثمرة ليتلمس فيها الله بيديه ويتأمله بعينيه ويتذوقه بلسانه ويسحنه باسنانه ويهضمه فى معدته . وإذ ان الله لا يبصر ولا يلمس ولا يؤكل ولا يهضم ، لم يحصل العقل من « اختباره » على شيء إلا على ذاته . لقد شاء أن يلمس النبطة القصوى فلم يلمس سوى الوجع الاقصى ، وان يبصر المعرفة الوهاجة فلم يبصر سوى الجهل الدامس ، وان يتذوق حلاوة الخلود فلم يتذوق إلا مرارة الموت . لقد شاء أن يجد الله فى الانسان فلم يجد سوى الانسان فى الله ، وان يعرف بالفناء عدم الفناء فلم يعرف سوى الفناء

عندما « أكل » الانسان الله أكل الموت الانسان ، لانه حاول ان يحصر خياله الذى لا يحد فى

حظيرة عقله المحدود . فكان كالضفدع تنتفخ لتزدرد الثور فتنفجر ويبقى الثور حيا ، وكالشمعة تحاول أن تحصر فى فتيلها نور الشمس فتذوب وتظل الشمس شمساً وسيبقى الانسان ميتاً بعقله ، حيا بخياله إلى ان يذعن العقل للخيال . غير ان العقل عنيد لانه جاهل ، وليس « يؤمن » بالخيال فينقاد اليه إلا متى صار الخيال « معقولا » اى محسوساً . فما اشبهه من هذا القبيل بتلاميذ الناصرى الذى كان يحدثهم عن أبيه السماوى فيقولون له : « أرنا الآب » ، وعن « ملكوت الله » فيتآمرون فيمن سيكون الوزير الاول فيه ! . بل ما أشبه العقل بذلك التلميذ توما الذى اخبره رفاقه غير مرة عن قيامة معلمهم فظل يجيبهم : « ان لم اعاين أثر المسامير فى يديه . . . واضع يدى فى جنبه لا أومن » وما اجمل ما قاله له يسوع : « لانك رأيتنى يا توما آمنت ! طوبى للذين لم يروا وآمنوا »

لقد بلغ من عناد العقل وخيلائه أنه أصبح يسخر من الخيال فيدعوه وهماً ويدعو كل ما ليس « ينطبق على العقل » خرافة ، مع انك لو تفقدت امنع الحصون التى يلجأ اليها العقل لوجدتها قائمة على الخيال ، وامنع حصونه هى علومه الرياضية . فانت لو سألت أحد الرياضيين ان يحدد لك « الواحد » الذى تبدأ وتنتهى به كل الرياضيات لأجابك بأن لاوجود له الا فى خيالك . ولو سألت عالماً فى الهندسة ان يدلك على « النقطة » التى تتكون منها الخطوط ، ومن الخطوط المقاييس الثلاثة التى نعرفها حتى الآن ــ الطول والعرض والعمق ــ لأجابك بأن لا وجود لها الا فى خيالك

ولئن مدد العقل بصره بالمكروسكوبات والتلسكوبات يظل ضريراً عن كل ما لا تبصره عين الخيال . ولئن عزز سمعه بالتليفون والراديو يبقى أطرش عاجزاً عن أن يسمع باذن التليفون والراديو ما ليس تسمعه الا اذن الخيال . ولئن اتخذ لرجليه أجنحة من الريح يظل مقعداً وقاصراً عن ارتياد آفاق الوجود التى يرتادها الخيال بلحظة

يجهل العقل مسالك الخيال فينفر منه . ويعرف الخيال سبل العقل ، فيعطف عليه و يماشيه ليقوده اليه . لذلك « يتجسد » الخيال كيما يجعل من جسده عبارة للعقل . فما المسكونة بكل ما فيها من محسوس سوى أجساد مختلفة للخيال الواحد ، وان شئت فقل هى رموز ذلك الخيال ، وما القصد منها الا مساعدة العقل على التخلص من ذاته ، فان هو أحسن قراءة الرموز صار خيالا وتغلب على الموت والانحلال ، وان هو أساء قراءتها فاتخذ الرمز بديلا من المرموز اليه بقى فى قبضة الالم والفناء ، لان الرموز تتحول وتتبدل ، أما الذى ترمز اليه فواحد لا يتغير ولا يتحول

لو كان لنا ان نستفتى الناس كلهم فى ايهما أفضل : العقل أم الخيال ؟ لوجدناهم شرقاً وغرباً ــ ما خلا أفراداً قلائل ــ ينتصرون للاول دون الثانى ، لانهم ــ بقطع النظر عن اجناسهم وطبقاتهم ــ لا يزالون مقيدين بحواسهم . فهم يفهمون أو يحسبون أنهم يفهمون « الحجر » ولـكنك لو قلت لهم إن الحجر خيال تجمد وإنهم لن يعرفوه حتى يعرفوا خياله ، لظنوك تكلمهم بالطلاسم والاحاجى .

وهم يعرفون — أو يعتقدون أنهم يعرفون — الله لأنهم جعلوه انساناً على صورتهم ومثالهم . الا انك عندما تقول لهم ان الله خيال مجرد مطلق وانه تجسد فيهم لينتهي بهم اليه ، يفغرون أفواههم ويحملقون بعيونهم كبدوي في الصحراء تسأله ان يحدد لك مبدأ النسبية

لقد تسلق الشرق بخياله ذرى شاهقة أطل منها على الحياة بمجموعها لا بأجزائها ، فرآها جميلة بكالها كاملة بجمالها . ورآها روحاً أو خيالا واحداً لا يتجزأ ولا ينقسم . فعلى طور سينا سمع ذلك الخيال يقول له ان لا حقيقة إلا ه : « أنا هو الرب الهك . . . لا يكن لك اله غيري » وينهاه عن الاستسلام للعقل الذي لا « يؤمن » الا بالمحسوسات : « لا تصنع لك تمثالا ولا صورة ما» وفي « الاوبانيشاد » الهندية ، لا سيما في تلك المحاورة العلوية التي تدور بين الامير « اوجونا » والاله « كريشنا » والتي تعرف باسم « البهاجفاد جينا » (الجيم مصرية) تلمح أعلى قمة أدركها الخيال اذ رأى الحياة ذاتاً واحدة لا كيان لذات أخرى الا فيها ولا وصول لانسان اليها الا بنكران ذاته الحسية المنفردة — وهي عقله — والاعتصام بذاته الكلية الشاملة — وهي خياله — مثل تلك القمة تلمحها في كرازة بوذه عن « الذات العالية » و « النرفانا » . وفيما تبقى لنا من جولات لاوتسو في عالم « الطاو » و « التيه » . وفي بشارة يسوع « بالآب » و « الملكوت » . وفي شهادة محمد بأن « لا اله الا الله » . وفيما اتصل بنا من آثار اشور وبابل . وفي ذلك السفر الغريب المعروف « بكتاب الاموات » الذي انتشله العقل الغربي المنقب — وتلك منة نحمدها له — من بقايا انقاض المدنية المصرية ، وفي الاهرام وابي الهول ، وكلها رموز الخيال المصري الى الخيال الاعلى (رع) . أو ما ترى الاهرام تنتهي كلها « بنقطة » في الفضاء ؟ هي رمز الخيال اللامتناهي . وقواعدها هي العقل وحواسه المؤدية الى الخيال . أم لا ترى أبا الهول ونصفه الاول حيوان — أو العقل وحواسه — ينتهي برأس انسان ذي خيال ؟ فما بالك تستعظم فكرة جاءك بها في الزمان الاخير رجل غربي اسمه دارون وتنسى أبا الهول ؟

في ظلال تلك القمم واخواتها الاصغر منها — التي ادركها عدد كبير من الانبياء الثانويين — عاش الشرق اجيالا طويلة . فكان اذا تطلع اليها بعين عقله رآها ضباباً ، أو بعين خياله ابصرها شموسا ملتهبة . غير انه — سواء تطلع اليها بعين عقله ام بعين خياله — كان يشعر ابداً بهيبتها وجلالها . فاذا ما نسج ثوباً أو حاك طنفسة او جبل ابريقاً من طين او نقش رسما على لوحة او في حجر أو نظم قصيدة أو بنى معبداً أو نظم ملكا ودرب جيشاً — تسرب شعوره هذا إلى كل اعماله . فكان — من حيث لا يدري — يعبد خياله بعقله . ومن حيث لا يدري كان يجر خياله من شاهق علوه لينزل به الى مستوى عقله . والخيال لا يعبد الا بالخيال . وهكذا اختلط عليه امره وأصبحت عبادته مزيجاً غريباً من عبادة البطن والروح ومجموعة من التقاليد والطقوس والرموز المتحجرة التي يتلهى بها العقل عن الخيال . فانت لا تكاد تمر بحي من مدينة شرقية فحة حتى تسمع اسم الله الف مرة —

باسم الله وحق الله وإكراماً لوجه الله الخ — الا انك لو فتشت عن الله فى الذين يتلفظون باسمه لوجدته اما كلمة على شفاههم او فلساً فى جيوبهم أو لقمة فى بطونهم

لقد ضاع الشرق ما بين عقله وخياله فاصبح من السهل على الغرب المنصرف الى عقله دون خياله ان يسطو عليه فيستعمره ويستغله ويمتهنه، لكنه لا يستطيع أن يستعمر أو يستغل أو يمتهن من غير عقله. اما خياله فلا ولن يصل اليه لا بتلسكوبه. ولا بطيارته ولا بمدرعاته. ولا بدباباته. لعمرى لو قلت اليوم لبوذه: «اننا يا غوتاما قد اخترعنا آلة نطير بها الى قمة افرست» فماذا عساه يقول لك؟ انه ليجيبك: «ما شأنى وشأن آلتك هذه؟ فانا قد طرت الى قمة الحياة — الى النرفانا — بجناحين ليسا من خشب ولا من حديد. ولا محرك لهما الا خيالي» أو لو قلت ليسوع: «اننا يا ابن مريم قد اكتشفنا أشعة نبصر بنورها موضع الداء فى داخل الجسم البشرى فنداويه» لأجابك: «ما لى ولأشعتكم هذه؟ فانا ابصر الداء وأداويه بأشعة غير منظورة — هى أشعة خيالى» أو لو قلت لمحمد: «ها نحن يا رسول الله نتكلم اليوم فى دمشق فيسمعنا فى الحال بالراديو من هم فى مكة» أوما كان يجيبك: «اما انا فاسمع بأذن خيالى صوت جبريل من غير راديو. وفى صوته أسمع صوت الله. وفى صوت الله كل أصوات الحياة»؟

لا تعرف المدنية الغربية من أبى الهول الا طرف ذنبه حتى كتفيه. أما رأسه الحامل سحر الخيال ومقدرة الوصول إلى الله فيكاد لا يعنيها منه شىء على الاطلاق، بل هى تنكره على أبى الهول الا متى توصلت اليه بالعقل وبراهينه. وانى لأشفق على ابى الهول لو هو عرض على الغرب قبل ان يعطيه الشرق رأسه. ترى أى شكل من الرءوس كان يلبسه الغرب؟ بل كم كان يبدل له من رءوس بين يوم وأخيه حسبما تقضى «فحوصه واستقصاءاته وبراهينه العلمية»؟ ولعله بعد جهود طويلة مضنية كان يمن عليه برأس ثعلب! وقل مثل ذلك فى ثور اشور وجناحيه

جل ما فعلته المدنية الغربية حتى اليوم — مثل كل ما سبقها من مدنيات عقلية — هو أنها وسعت نطاق المحسوسات. وبذلك اكثرت من شهوات الجسد وحاجاته الى حد أن الحصول عليها أصبح مقتلة للروح والجسد معاً. فهى ما أكثرت خيرات الارض حتى اكثرت البطون الفارغة منها باكثار البطون المتخمة بها. وهى ما اطالت متوسط العمر سنة حتى اطالت شقاءه سنين. ولا قربت المسافات بين تخوم الامم فرسخاً حتى ابعدتها بين قلوبها فراسخ. ولا نشرت العلم حتى نشرت الجهل. لانها فى كل ما تعلم لا تستعلم الا العقل الذى لا يعلم وليس بامكانه ان يعلم. وهى ما عززت الفنون الا لتجعل ما فيها من روح مطية لما فيها من مادة. ولا قصرت ساعات العمل حتى مددت ساعات الطيش والرذيلة والفحشاء. فلا عجب ان يكون لها فى كل يوم ازمة اقتصادية، أو مشكل سياسى، أو صدمة تسيل فيها دماؤها وتمزق لحومها وتتقطع أمعاؤها

قال لي احد الادباء الشرقيين وقد سمعني أبسط مثل هذه الافكار : « ان قناعة الشرق بخياله قد اوصلته الى ماهو فيه اليوم من فقر وضعف وعبودية . اما الغرب الذي لا يعرف للقناعة معنى فغني وقوي وعات . وهو زاحف علينا بسياراته وطياراته ودباباته ، وبمدارسه وفوارسه ومبشريه ، وبزيته النباتي وسمنه النباتي وحريره النباتي . وبعيون « كواكبه » المكحلة وافخاذهن العارية . وبسواعد مصارعيه وقبضات ملاكميه . واخشى — ان تفشت افكارك في الشرق — ألا يبقى هنالك من شرق » وأنا اعيد هنا ماقلته لذلك الاديب : —

الفقير من اشتهى الغنى ولم تكن له المقدرة على الوصول اليه . والغني من توافرت له المقدرة دون الشهوة . أما الفقير المدقع هو من توافرت له الشهوة والمقدرة دون الخيال الذي يميت الشهوة واوجاعها ويستخدم المقدرة للوصول الى ما هو ابقى من الغنى . الشرق اليوم فقير . اما الغرب فمدقع

والضعيف من اعتقد أن بامكانه نيل حق بالقوة ولم تكن له القوة . والقوي من توافرت له القوة ومعها الخيال العارف بان الحق لا يؤخذ ولا يرد بالسيف . لذلك يترفع عن امتشاق السيف . أما الضعيف الضعيف من كانت له القوة دون المعرفة بان الحق لا رأس له يكسر بالفأس ويجبر بالمدفع . الشرق اليوم ضعيف . لكنما الغرب اضعف

والعبد من انقاد لمشيئة يحسبها غير مشيئته ولا قوة له على ردها . والحر من اذا استسلم لمشيئة جعلها مشيئته . أما عبد العبد هو سيد العبد . الشرق اليوم عبد . أما الغرب فعبد العبد

ان مقاومتك العقل بالعقل كضربك الصخر بالصخر — الاثنان يتفتتان ان لم يكن اليوم فغداً . أما مقاومتك العقل بالخيال فكمقاومتك السيف بالهواء — تكل يد الضارب ويصدأ السيف ويبقى الهواء طليقاً لا جرح في صدره ولا خوف في قلبه ولا انة بين شفتيه

ستغمر امواج المدنية الغربية وجه المعمور شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً . لكنها عندما تبلغ اقدام قمم الخيال الشرقي ستتفقأ عليها غاضبة ثم يائسة ثم نادمة ثم تغسلها مستغفرة وترتد عنها وقد تكسرت في زبدها أشعة الجمال الملتهب فوقها

اني أرى خيال الشرق يطل على العالم من جديد . والذي سيحمل مشعاله نبي عزيمة الارض في رجليه وقوة السماء في ساعديه وبهاء الحق في ناظريه ووداعة المعرفة في لسانه وحلاوة المحبة في قلبه

وسيمشي هذا النبي بين الناس شرقا وغرباً فيتبعه بعض من هم أشد تصلباً للعقل ومحسوساته . ويهرب منه الكثير ممن يحسبون انفسهم في رأس ابي الهول وهم ما يزالون في ذنبه

وسيحمل هذا النبي قلبه على كفه طعاماً لكل جائع . فيأكلون منه في الغرب ويتسممون . ويتناولون منه في الشرق ويحيون . ولن يصلب

ميخائيل نعيمه

المجددون بين امس واليوم

بقلم الاستاذ احمد امين

> الشرق الآن في مفترق الطرق في كل شأن من شؤون الحياة : في اللغة ، في الادب ، في نظام الاسرة ، في نظام المجتمع ، في السياسة ، في الاقتصاد . وهو في كل شيء من ذلك في اشد الحاجة الى حداة مصلحين مجددين ، وظيفتهم وضع الاساس في هذا الموقف الحرج ، وفي يدهم انتشال الجيل الحاضر ، ووضع الحجر الاول للجيل القادم

كل الدلائل عندى تدل على أن العالم سائر الى الامام دائماً . قد ترقى أمة ثم تنحط ويصبح أمسها خيراً من يومها . وقد تنحط بعض الاخلاق وتكون فى الماضى خيراً منها فى الحاضر، ولكن العالم — ككل — فى رقى أبدا ويومه خير من أمسه دائماً وغده خير من يومه على كل حال

وللعالم قوانين فى الرقى يخضع لها كقوانين الطبيعة وان كانت اكثر تعقداً وأشد غموضاً وأبطأ فى الاستكشاف ، ولكنها قوانين ثابتة تخضع لها كل الامم وتمر فى أدوارها

من هذه القوانين التى لها مساس بموضوعنا ان الامة فى كل شأن من شؤونها الاجتماعية تمر بأدوار ثلاثة : فهى فى أول أمرها مسيرة بالغرائز ، محكومة بعوامل بيولوجية . ثم تنتقل من ذلك الى دور تحكم فيه بالخيالات والاوهام وتسود فيها الفوضى والاضطراب . وبعد ذلك تدخل فى دور تميل فيه الى تنظيم ماهى فيه من فوضى بحكم العقل مسترشدة فى ذلك بتجاربها الماضية واخطائها السابقة . ويمكن تطبيق هذه الادوار على كل مرفق من مرافق الحياة الاجتماعية كالاسرة والسياسة والاقتصاد

وليست تنتقل الامة من دور من هذه الادوار الى دور آخر الا بمجهود شاق وفى عصور طويلة ومنازعات قاسية تؤدى غالباً الى دماء تسفك وأرواح تزهق وحرب عوان بين القديم والجديد ونزعات لبقاء القديم على قدمه ونزعات للأخذ بالجديد والانتفاع به

ولكل دور مصلحون ومجددون ميزتهم أنهم ابعد نظراً من أهل عصرهم واكثر شعورا واحساساً بضرر ما عليه قومهم وأشد تطلعاً لان يحل الصالح الذى يرونه محل الفاسد الذى يعيش الناس فيه

يبدأ المصلحون أو المجددون بدعوتهم وهم يدعمونها — عادة — بحججهم وبراهينهم فيتصدى لهم أنصار القديم وهم عادة من المحافظين ، وهؤلاء المحافظون يتبعهم الدهماء لانهم عباد ما ألفوا . وكثيراً ما يتمكن المرض من الجسم حتى يعسر البرء منه وحتى يصبح المرض هو المألوف - وحتى لا يفكر المريض فى طريق علاجه بل لا يشعر بانه مرض

ويلتف حول المصلح أو المجدد قوم اكثر ما يكونون من الشباب لان المرض لم يتمكن من نفوسهم ولانهم — عادة — ينظرون الى الامام والى المستقبل كما ينظر الشيوخ الى الوراء والى الماضي. يكون أنصار القديم وانصار الجديد جيشين متحاربين بالحجج والبراهين أحيانا وبالدسائس والمكايد أحياناً بل وبالسيف أحياناً

وقد يبدأ المصلح برأيه فى هدوء ورزانة ولكنه يرى مهاجمة عنيفة فيضطره ذلك الى العنف أيضاً ويحمسه لفكرته ورأيه ويخرجه عن هدوئه الى وضع خطط يصد بها غارة الجامدين. وكثيراً مايضطره ذلك الى الغلو فى رأيه والافراط فى مطالبه

كثيرا ما يضطهد أصحاب الرأى الجديد ويرمون فى عقلهم ودينهم وتسفه احلامهم ولكنهم يكسبون من اضطهادهم كما يكسبون من مسالمتهم ولا يزال رأيهم يفشو وأتباعهم يزيدون حتى يكون هو الرأى السائد وهو المألوف وهو الذى عليه الناس ويستمر العمل به الى أن يظهر رأى جديد آخر يحاربه ويحل محله

هذا تاريخ الجديد والقديم منذ خلق الله الانسان وهذا قانونه لا يتغير — حدث فى الماضى ويحدث بيننا الآن وسيحدث فى المستقبل

* * *

ويظهر أن الاصلاح كان أكثر ما يكون دينياً ثم كان أكثر ما يكون سياسياً ثم صار أكثر ما يكون اجتماعياً واقتصادياً. وسبب ذلك أن الاصلاح تابع لحياة الناس ونظراتهم فاذا ساد الدين فى قوم رأيت أكثر دعاة الاصلاح يأتون باصلاحهم من ناحية الدين، فاذا انغمسوا فى السياسة وشؤونها كان دعاة الاصلاح من السياسيين غالباً، حتى اذا استقرت الشؤون السياسية نوعا ما رأيت الاصلاح يتجه الى الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بل رأيتها هي التى تسير السياسة وتحدد اتجاهها

وهذا ما حدث فى الشرق فقد كان أكثر المصلحين أو كلهم رجال دين اذ كان الدين هو السائد، باسمه تصدر الاحكام وبه تنظم شؤون الدولة وبه يعيش الناس فى بيوتهم ومعاملاتهم. والعاطفة الدينية هي التى تسير ذلك كله. فكان طبيعياً أن يأتى المصلحون دينيين. وظل هذا الى عهد قريب حتى جاءت موجة السياسة وعمت نزعة الوطنية فرأيت دعاة الاصلاح سياسيين لا ينادون باصلاحهم من ناحية الدين ولكن من ناحية الوطن وتنظيم الشؤون السياسية وما اليها

وأظن أن الدور الثالث لم يغمر الشرق بعد وهو دور الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى فليس منه إلا بصيص ضئيل. وسبب ذلك أن سياسته لم تستقر بعد حتى يبنى عليها الاصلاح الاجتماعى. ولست أعنى أن كل دور من هذه الادوار يقتصر فيه الاصلاح على ناحية خاصة وأنه فى دور الاصلاح الدينى — مثلا — لا يكون هناك اصلاح سياسى ولا اقتصادى. وانما أعنى أن كل دور فيه

احدى هذه النزعات هي المظهر الواضح والاتجاه البين وان كان فى كل دور توجد النزعات الثلاث على اختلاف فى أقواها وأوضحها وأشملها

☆☆☆

والمجددون فى الشرق الآن أدق موقفاً وأحرج مركزا وأشد عناء من أمثالهم فى الغرب. وذلك يرجع الى اسباب :

(١) أن الحرية لم تستقر بعد فى الشرق استقرارها فى الغرب فليس لكل فرد أن يقول ما يعتقد ويدعو الى نوع الاصلاح الذى يرى من غير أن يتعرض لكثير من المقت والمحاربة — ولست أعنى محاربة الرأى ودحض الحجة بالحجة فذلك حسن ولا بد منه، وهو فى الغرب على خير ما يكون. ولكن أعنى المحاربة فيما وراء رأيه وليس يستقبل قوله ورأيه بنوع من السماحة وليس يعد مجتهداً بذل جهده حتى وصل الى رأى قد يخطىء فيه أو يصيب ، ولكنه يقابل بكثير من المجابهة والعنف . وهذا ما يدعو كثيراً من ذوى الآراء القيمة أن يحبسوا آراءهم فى انفسهم وأن يحتقنوها فى أدمغتهم وإذا صرحوا بها فلخاصة أصدقائهم إذ ليس كل ذى رأى مستطيعاً أن يجهر برأيه ويحتمل ما وراء ذلك من تضحية

(٢) أن مهمة المصلح فى الشرق أدق وأصعب ، لان دعوته الى التجديد والاصلاح يجب أن تسبق بدراستين عميقتين كل العمق : دراسة المسألة التى يتعرض لها من ناحية شرقيته وتاريخ أمته وعقليتها وقابليتها وأثر الاصلاح فيها وما الى ذلك . ودراسة المسألة فى الغرب وكيف نشأت وتطورت وأثرت ، ذلك أن للشرق تاريخاً خاصاً يخالف تاريخ الغرب وله كذلك عقلية ومدنية قديمة وأنماط فى الحياة تخالف ما للغرب — وقد بدأ الشرق ينتبه وإذا الغرب قد قطع فى تقدمه أشواطاً . ولكن الغرب نما نمواً طبيعياً وكان نموه داخلياً من نفسه فحاول قوم من المصلحين غير الناضجين أن يأتوا للشرق بكثير مما للغرب فكان نموا خارجياً لا من نفسه وكان أثر ذلك مستهجنا فى بعض الاحيان . فالمصلح الشرقى — حقا — هو من يفتح احدى عينيه على أمته وماضيها ويفتح الأخرى على ما للغرب وتاريخه ثم يتخير وينتخب ويعدل ثم يدعو دعوته الى الاصلاح

(٣) ومما يجعل الاصلاح فى الشرق عسيراً أن الحياة فيه أكثر تعقداً وليس هناك بين افراده وحدة مشتركة . ولنضرب لذلك مثلا — التفكير بين افراده . فمنهم جامد فى منتهى الجمود وآراؤه فى منتهى الانحطاط ، ومنهم حر فى منتهى الحرية وآراؤه فى منتهى التقدم . نعم قد يكون ذلك فى كل أمة ولكنه فى الشرق أبين منه فى الغرب لان الثقافة العامة فى الغرب أوجدت وحدة ما بين افراد الامة . فهناك قدر مشترك من القراءة والكتابة وقدر مشترك من العلوم الطبيعية ان لم يتلقها فى المدرسة تلقاها فى البيت أو فى الشارع أو فى الاحاديث العامة أو فى الصحافة السهلة أو نحو ذلك .

وهذا قد جعل الفروق بين أفراد الامة الواحدة فى الغرب أقل منها فى الشرق. وقس على ذلك سائر الشؤون الاجتماعية — فنظام الاسرة الفقيرة فى المأكل والمشرب والمعيشة لا يختلف كثيرا فى الغرب عن نظام الاسرة الغنية فيه. نعم يختلف فى أنواع الصحاف ونوع المأكول والمشروب ولكن الاساس فى كل متقارب، وعلى العكس من ذلك فى الشرق. والامثلة على ذلك كثيرة. وهذا يجعل مهمة المصلح شاقة اذ حيث توجد وحدة مابين الافراد يسهل توجيهها وحيث لا وحدة يصعب الاصلاح

☆☆☆

وعمل المجددين يختلف باختلاف الامم ويتنوع بتنوع موقفها. وكلما كثرت المدنية تعقدت الحياة وتركبت واحتاجت فى كل لون من الوانها الى الاصلاح. وهذا هو موقف الشرق اليوم — كانت حياته قبل اليوم بسيطة ساذجة فكان المصلحون يكادون يكونون من واد واحد، وتكاد تعد المجددين سلسلة واحدة متصلة الحلقات أغلبهم مصلح دينى أو داع الى رقى خلقى من ناحية المدنية. أما اليوم فكثرت مشاكله وتعددت الوانه واختلفت مناحيه فصارت كل ناحية تتطلب مصلحا بل مصلحين، وكان شأن الاصلاح شأن الصنائع والعلوم. قد كان العالم عالماً بكل شيء ولكل شيء. وكانت الفلسفة طباً وطبيعة وكيمياء ورياضة وماوراء المادة. وكان الطبيب طبيب كل شيء — طبيب عيون وآذان وأمراض باطنية للرجال والنساء والاطفال. ثم انتقل العالم الى التخصص فصار عالم للطبيعة فقط بل عالم للمغناطيسية فقط وصار الطبيب طبيب عيون فقط بل جزء من العيون وهو سائر الى تخصص التخصص. وكان طبيعيا أن يجرى هذا القانون على الاصلاح والمصلحين والتجديد والمجددين لان المصلح لا يكون مصلحا حقاً حتى يتخصص فى مادته بل فى فرعه بل فى جزء من الفرع، ويقتله بحثا وتحقيقاً حتى يدرك عيوبه ويتطلب اصلاحها. من اجل هذا تنوع الاصلاح وتعددت نواحيه فكان عندنا مصلحون فى الادب ومصلحون فى السياسة ومصلحون فى الدين ومصلحون فى الاجتماع. واذا تقدم الشرق تقدم التخصص فتقدم التخصص فى الاصلاح، فلا ترى مصلحاً فى الادب على العموم وانما ترى مصلحا فى الشعر ومصلحاً فى النثر، كما أنك سوف لا ترى مصلحاً اجتماعياً على الاطلاق وانما سترى مصلحاً للاطفال فى المعامل ومصلحاً لماء الشرب فى القرى ومصلحاً يدعو الى النظافة ومصلحاً لحفى الارجل ومصلحاً لغطاء الرأس. وسترى كل مصلح يعكف على موضوعه يدرسه من جميع نواحيه حتى يكون فيه حجة فاذا تكلم تكلم عن علم واسع وخبرة تامة وتكلم عن ايمان صادق وخصص حياته لموضوعه ووسائل الدعوة اليه ورسم خطة السير فيه حتى يصل الى غرضه

☆☆☆

ولعل الشرق الآن أحوج الى دعاة الاصلاح منه فى أى زمان. ذلك لانه بدأ يتنبه بعد سبات عميق ويفتح عينه بعد أن طال العهد باغماضها وشعر بآلامه وقصوره وضعفه ونقصه. والشعور

بالنقص بده الكمال — بدأ يتنبه فرأى له ماضياً من تاريخ وحضارة ، وهذا الماضى منه الجيد ومنه الرديء ، منه ما يصلح لزمنه ومنه ما لا يصلح ومنه ما يصلح بعد تعديل وتحوير . ورأى نفسه أمام مدنية غربية معقدة ملتوية منها السم الناقع ، ومنها الترياق النافع ، منها ما ينفع الغربى لانه يلتئم مع تاريخه وماضيه وعقليته ودرجتــه فى الحضارة ، ولا ينفع الشرقى لانه لا يلتئم مع تاريخه وماضيه وعقليته ودينه ، منها ما يمكن الشرقى أن ينتفع به كما هو ومنهـا ما لا ينفع إلا بضرب من التعديل والتغيير يختلف كثرة وقلة

والشرق الآن فى مفترق الطرق فى كل شأن من شؤون الحياة — فى اللغة ، فى الادب ، فى نظام الاسرة ، فى نظام المجتمع ، فى السياسة ، فى الاقتصاد . وهو فى كل شيء من ذلك فى أشد الحاجة الى هداة مصلحين مجددين وظيفتهم وضع الاساس فى هذا الوقت الحرج وفى يدهم انتشال الجيل الحاضر ووضع الحجر الاول للجيل القادم . والنجاح فى وضع الاساس لا تقدر قيمته للاجيال المستقبلة . والخيبة فيه سيئة الوقع بعيدة الأثر لا يعلم مدى ضررها إلا الله . وليس يتسنى لهم ذلك النجاح إلا بما اشرت اليه قبل من تخصص بجزئية من جزئيات الاصلاح ودراسة عميقة للمسألة التى يتعرض لها ومعرفة دقيقة بتاريخها فى أمته وبحث مفصل لحالتها فى المدنية الغربية وما أدخلوه فيها من اصلاح وتقدير صحيح لصلاحية هـذا فى الشرق أو عدم صلاحيته ، وهو مطلب عسير لا يصل اليه إلا الخاصة ، وقليــل ما هم . والزمن فى كل عصر لا يسمح بأمثالهم إلا بقدر — هم كالملكة فى مملكة النحل ، يمتازون بعقلهم وقوة نفوسهم وصبرهم على احتمال المشاق ، لا يعبأون بمال ولا يعبأون بعذاب ولا يعبأون فى الوجود إلا بتحقيق ما يدعون اليه ، هو كل أملهم وهو مصدر سرورهم ، هاموا به هياما واستعذبوا العذاب فى سبيله وآمنوا به إيمانا وصل الى أعماق نفوسهم وسويداء قلوبهم

☆☆☆

ومما ألاحظه — مع الاسف — أن عصرنا هذا مع كثرة متعلميه لم يحظ بزعماء تجديد يتناسبون فى رقيهم مع رقى الاوساط وان الجيل الماضى — حتى الماضى القريب — مع جهله وقلة العلم فيه حظى من الزعماء بما لم يحظ به — كان الاستاذ جمال الدين الافغانى ومحمد عبده دعاة اصلاح دينى فلما فقدا لم تر منهما عوضاً . وكان قاسم أمين مصلحاً اجتماعياً لم نجد له فيما بيننا خلفاً . وقبلهم كان رفاعة رافع ومدرسته فى الترجمة والتأليف ومتابعة النهضة الاوربية لم تعوض الى اليوم ، بل بالامس القريب مات شاعرا الشرق حافظ وشوقى فظل مكانهما خاليا . وكان الظن أن انتشار التعليم واتساع أفقه واختلاف مناحيه يمنحنا قادة ومجددين أرقى ممن قبلهم تكون نسبتهم الى جمهرة متعلمينا كنسبة السابقين الى جمهرة متعلميهم ، فضاع الأمل وخاب الظن

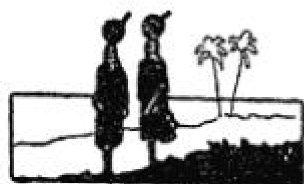
لقد أبديت هـذه الملاحظة لاستاذ لى أدرك أكثر من سميت من الزعماء وخالطهم وأخذ

عنهم ، فلم يسلم لى بها وقال : « ان اكثر من سميت كانوا زعماء لزمنهم وان القدم أسبل عليهم كثيرا من العظمة والاكبار ، وان عصرنا ملىء بمن هم أعلم منهم وأقدر على الاصلاح ، وان الايام غطت أخطاءهم وأبقت محاسنهم وأعظمتها ، وانهم لو كانوا فى زمننا هذا لقل شأنهم بجانب عظمائنا وقادة الرأى والعلم والادب فينا »

لم أقنع بهذا الرأى كثيراً ، فربما كان صحيحاً ان لدينا من هم اكثر منهم علماً وأصح رأياً ، ربما كان صحيحاً انهم لو كانوا بيننا الآن لعددنا آراءهم اليوم عادية مألوفة ، وهكذا الشأن فى كل الزعماء ، فقوانين نيوتن فى الجذب يعرفها وأكثر منها تلاميذ المدارس اليوم ، ولكن دعواى التى لا أزال أراها صوابا أن ليس لنا قادة اليوم يتناسبون مع رقينا وليس لنا مجددون فى الدين والادب والعلم والاجتماع كالذى يتطلبه موقفنا . وليس العلم والنضج فيه كافيين لتكوين الزعامة فى التجديد ، فقد يكون من الحق أن لدينا علماء فى كل فرع من فروع الحياة وان لم يبلغوا المدى الذى تتطلبه ، ولكن الزعامة تتطلب فوق ذلك حماسة فى الدعوة تنتج عن اخلاص تام وايمان صادق وتتطلب رجلا يهب حياته لنظريته

لعل السبب فيما ابديت من ملاحظة أن التعليم عندنا فى الازهر ونحوه كان فوضى وكان شاقا مضنياً لا يستطيع ان يتحمل فوضاه وعناءه الا القليل . وكان من نبغ من هذه الفوضى إنما ينبغ بعد جهد واعتماد على النفس بالغ غايته . وهذا وذاك هما اللذان يكونان المرء ويعدانه للزعامة والقيادة . أما التعليم اليوم فمهد سهل هين لين ، سهلت وسائله وبسطت كتبه ونظمت مناهجه وحددت مراحله . وهذا كله يسهل سبيل العلم ويكثر عدد المتعلمين ولكنهم متعلمون نصف تعليم أو ربع تعليم ، أما المتعلمون تعليما كاملا فوطنهم الجامعات وما تهيء من نضج وما تلقى من أشعة على طلبتها وعلى ما حولها وما تعلم من طريق بحث وجد فى عمل ورغبة صادقة فى العلم . ونحن الى الآن قريبو عهد بجامعة لم نألف مناهجها ولم نتذوق طعمها ولم نتشرب روحها . ويوم يكون ذلك يكون المصلحون والمجددون

احمد امين



مزايا الادب البليغ

للاستاذ أنيس الخوري المقدسي

استاذ الادب العربى بجامعة بيروت

> ان الفن الادبى لا يقوم على التلاعب بضروب الكلام ، بل على ما تراه فى الكاتب من خيال موح ، وفكر منير ، وعاطفة صادقة مجلوة لنا فى أفضل العبارات

مهما كان اعجابنا ببلاغة القدماء ، ومهما حاولنا أن نعظم من شأن السلف الصالح ، فلا محيص لنا عن القول بأن نظرهم الى الادب يختلف عن نظرنا وان مقاييس البلاغة عندهم غير مقاييسها عندنا . ارجع قليلا الى الماضى وراجع أيا شئت من كتب البلاغة أو النقد فهل تجد عادة إلا احكاما مقررة لما يجب أن تكون المفردات أو التراكيب ولما يجب أن ترفل به من حلل البيان والبديع ؟ . وكل ذلك حسن لا يستغنى عنه باحث فى خصائص الأدب . على أن الأدب الحقيقى شىء غير اداته - هو جوهر نفسانى (عاطفة أو فكر أو خيال) يتجلى لنا فى حلل الالفاظ والتراكيب . والفرق بين النظر القديم والنظر الحديث أن الأول ينصرف الى أساليب التحلى فى الأدب دون خصائصه الذاتية . ومن هنا ما تراه فى الجرجانى والباقلانى والسكاكى وابن الاثير والعسكرى وسائر النقادين ، من التوافر على نقد الالفاظ والجمل وحصر البلاغة فى الصناعة البيانية . ولا يغرنك ما قد تشاهده من ظواهر التجدد فى العصر العباسى وما يذهب اليه بعض النقدة من المغالاة فى وصف أدب المترسلين ، فانك لن تجد فى ذلك على العموم ما نفهمه نحن اليوم من النظر الى الحياة أو الطبيعة نظراً يتناولهما بالوصف والتحليل أو يبرز لنا منهما صورة الوحى والجمال

ان الادب القديم قد انصرف الى الشخص ومقدرته على التعبير اللغوى وأهمل ما تقدمه له الطبيعة والحياة على انواعها من مواضيع هى اليوم متجه الأدب الحديث . نعم ان للمقدرة على التعبير أهميتها الكبرى وان الأدب العالى لا ينفصل عن حسن الأداء ، ولكن ذلك لا ينفى أن مادة الأدب غير اداته . ومن الخطأ حسباننا أن الفرق بين القديم والحديث قائم على ضعف الأسلوب أو متانته ، ففى كليهما تجد الضعيف وفى كليهما تجد المتين . وانما الفرق فى ان ما يعتبره الأول غاية يعتبره الثانى وسيلة الى غاية ، فتراه لذلك أوسع نظراً فى الكون وأدق إحساساً بخفايا الألهام

ومن أحب أن يطلع على آراء الأقدمين فى الأداة الكلامية فليراجع اقوالهم فى كتب البلاغة ، وحبذا لو اتسع المقام لاثباتها هنا . وانى اشهد انهم قد بلغوا فى ذلك من الاتقان ما لم يبلغه سواهم وتركوا لنا من دقيق مباحثهم ما يضعهم بحق فى مراتب الأئمة . على انى سأحاول فى هذا البحث الوجيز ان أحلل مزايا الادب البليغ متبعاً آراء احدث النقاد . وسأحصر الكلام الآن فى نوعين من خصائصه الذاتية مرجئاً البحث فى سواهما الى فرصة أخرى

أركان الفن الادبي

للفن الأدبي أربعة أركان هى : العاطفة والخيال والفكر والاسلوب . ويراد بالعاطفة تلك القوة الداخلية التى تؤثر فى نفوسنا فتثيرها . على انه ليس كل مايثير النفس داخلا فى باب الأدب الحقيقى . ألا ترى أن بعض الشعراء والخطباء يعرفون اميال العامة فيتلاعبون بشعورهم إذ يضربون على أوتارهم الحساسة ببعض الفاظ تروقهم كالوطنية والمجد الحربى والحرية وحقوق الشعب واللغة القومية ؟ فاذا جردت كلامهم من مثل تلك الالفاظ لم يبق فيه ما يصح أن نسميه أدبا . وانما غايتهم استهواء الجمهور لكسب استحسانهم ، فاذا زالت نوبة الاستهواء طويت اقوالهم وأدرجت لساعتها فى مدارج الاهمال . أما العاطفة التى يمتاز بها الادب البليغ فلها روعة فنية قائمة على مزايا راهنة أهمها الصدق والاتقاد والنشاط والسمو

ولننظر فى كل من هذه المزايا لنتحقق ماهيتها ومعنى البلاغة فيها :

الصدق

وذلك أن يكون للعاطفة أساس حقيقى . فلماذا نكره التشابيه الباردة والأوصاف التافهة والمبالغات المتكلفة ؟ لان صاحبها يتكلف عرض عواطف مزيفة ـ يحاول أن يثير فى نفوسنا ما لا يشعر به حقيقة فتتمرد طباعنا عليه وتنفر نفوسنا من أدبه . الأدب البليغ لا يقوم على الوهم أو الكذب كما قد يتوهم البعض . خذ الغزل فى أدبنا العربى مثلا ـ فمنه الصادق الذى يمس القلوب ويرتفع الى ذروات الجمال كقول ابن زريق فى قصيدته التى مطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

ففى هذه القصيدة من البلاغة الأدبية (أى صدق العاطفة) ما كان وسيبقى مؤثراً فى النفوس مثيرا لخوالج الحب والحنان . ومثلها فى أدبنا كثير ، ومنه ما هو متصنع كأكثر المقدمات الغزلية التى كان الشعراء يصطنعونها تمهيداً لمدائحهم . وإنك لقد تجد فى هذه المقدمات من الفن اللفظى والبيانى مايذكره لهم علماء اللغة والأدب ، ولكنك لاتجد عادة فيها العاطفة التى تحرك عواطفك . فهى على جمالها احياناً رسوم لا حياة فيها وليس جمالها عند التحقيق بشىء من الأدب العالى . تناول ماشئت من غزل البحترى أو أبى تمام أو المتنبى واضرابهم فانظر فيه وقابله بغزل المحبين

كجميل والعباس بن الاحنف وابن زريق وابن زيدون وسواهم فيتضح لك مانحن بصدده . وعلى سبيل المثال ننقل لك هذه القطعة الغزلية من شعر البحتري - وهو من المعروفين برقة الكلام وجماله - قال فى احدى مدائحه للمتوكل :

قل للسحاب اذا حدته الشمال وسرى بليل ركبه المتحمل
عرج على حلب فحى محلة مأنوسة فيها لعلوة منزل
لغريرة ادنو وتبعد فى الهوى وأجود بالود المصون وتبذل
وعليلة الالحاظ ناعمة الصبا غرى الوشاة بها ولج العذل
احنو اليك وفى فؤادى لوعة واصد عنك ووجه ودى مقبل
وأعز ثم أذل ذلة عاشق والحب فيه تعزز وتذلل

فأنت ترى فيها كلاماً فى الحب كل ما يقال فيه انه حسن الرصف والوصف ولكنه خال من العاطفة التى تمس القلب وتلذه إذ تثير فيه شعور المحبين واختباراتهم . وأين هذا الغزل المتكلف من قول ابن زيدون :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لبينكم أيامنا فغدت سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا غصون الانس دانية قطوفها فجنينا منه ماشينا

فهنا تلمس شعورا صادقاً - نفثات محب أثاره الشوق الى حبيب ملك فؤاده فجرى شعره بشعوره وكان منه هذا الكلام الرقيق يتلألأ بنور الشباب رغم الكدر ويفيض ببهجة الحب رغم الألم

ومثل الغزل الرثاء ، فمنه ما هو صنعة كلامية جميلة لا يشعر القارىء فيه بصلة روحية بين الراثى والمرثى ومنه ما خرج من قلب مسه الحزن وعرف قدر الفقيد فكان صادقاً فى التعبير عن نفس صاحبه . وكذلك قل فى كل ماله علاقة بحياة الفرد والمجموع - فى المديح والفخر والوصف - فى الوطنية والمكارم الانسانية ومجالى الحياة العمرانية . فالادب الحقيقى عاطفة صادقة . والناقد البصير من يستطيع التميز بينها وبين العاطفة المزيفة التى قد يخدع بها غير الأديب

الاتقاد

قد تجد شاعراً أو ناثراً جميل التأمل ولكنه لا يستطيع ان يحمل سواه على التأثر بجمال تأملاته . وذلك لان عواطفه على صدقها لم تبلغ من الاتقاد درجة عالية . وهذا الاتقاد قد يتوقف

على نوع الموضوع الموحى . على أن ذلك لا يبنى عليه حكم ، فان من المواضيع ما هو بطبيعته نارى تلهب فيه العواطف كالوطنية أو الحب او الحزن او البطولة ، ومنها ماهو هادىء يكثر فيه التفكير والتروى كالتأملات الفلسفية والوقفات التاريخية والنظرات العمرانية . والاديب البليغ هو الذى يستطيع ان يثير رغبة القارىء فى اى موضوع يتناوله لا لصدق عاطفته فقط ولكن لشدة تأثره به ولانصراف نفسه الى ما فى موضوعه من جمال خلاب . ولقد يختلف الادباء فى ذلك فترى لشاعر من الاتقاد مالا تراه لسواه . واذا دققت النظر وجدت ذلك راجعاً بالاكثر الى ما ذكرنا من طبيعته الشعرية ومبلغ تأثره او اقتناعه بما يعرضه على الجمهور . قابل « يسوع بن الانسان » لجبران « بحياة يسوع » لرنان . فبينا ترى رنان يصور حياة المسيح تصوير المؤرخ - وبالتالى يحاول ان يبسط التاريخ بسطا أدبياً يقبله العقل ، ترى جبران ينظر الى تلك الحياة نظرة شعرية - نظرة تخترق حجب التاريخ لكى تصل الى نفسية ابن الانسان . وانما دفع جبران الى ذلك شغف بشخصية المسيح - شغف اوقد عواطفه فجاء كلامه موقداً لشعور القارىء . فالفرق بين مسيح رنان ومسيح جبران ان الأول يصوره « مفكر كبير » يحاول ان يجمع فيه بين العلم والأدب ، والثانى يصوره « شاعر كبير » تتقد عاطفته فيظهر تأججها بين سطوره . وعلى ذلك تقابل رسالة الغفران للمعرى بالرواية الالهية لدانتى - كلتاهما لشاعر كبير ، ولكن الشاعر فى الاولى يقف موقف المحدث ثم يحملك بالخيال الى الجنة والى الجحيم ويعرض عليك مشاهدهما ، ولكنه يفعل ذلك دون ان تشعر باتقاد فى نفسه او اشراق فى تخيله - دون ان ترى نفسه تتأجج بما يملأها من ايمان او شك - يحدثك عن أدباء العرب ويريك مصيرهم ويسير بك فى منعطفات الآخرة فترى غرائب وعجائب ، ولكنك لا تشعر بعاطفة الشاعر الذى يحدثك ولا ترى فى أبطاله الا نادراً من يوقد نيران صدرك . وأنى له ذلك وهو منصرف عن تصوير الحياة ومصيرها الى ذكر نكات لغوية يعلق بها غفران الله لاصحابها . وأما دانتى فمع جريه مجرى المعرى فى الآخرة يشحذ قوة الخيال فيك فيصور لك عاقبة الأيام ويرسم لك بطريقته الخاصة رسوما ناطقة بخوالج نفسه ، مشرقة بانوار ايمانه ، متقدة بنيران حياته

وهذا هو الفرق بين الرحلتين الالهيتين - الأولى على جمالها ودقة صاحبها خالية من الاتقاد العاطفى الذى يميز الثانية ويضعها فى أعلى طبقة من روائع الاجيال

النشاط

لكل كاتب أو شاعر أويقات تهبط فيها عواطفه من الأنيق الرائع الى المبتذل التافه . وقد أدرك نقاد العرب هذا النقص ، ولذلك عابوا على أبى نواس قوله :

جن على جن وان كانوا بشر ... فكأنما خيطوا عليها بالابر

فهو فى الشطر الأول يصف الفرسان بالمهارة والثبات حتى كأنهم الجن على خيولهم . وفى ذلك - إذا اعتبرنا نظر العرب إلى الجن - مافيه من روعة وعظمة ، ولكن الشاعر فى الشطر الثانى هبط إلى تشبيه تافه فذهب بروعة الكلام وانقلب عليه القصد من الوصف . ومثل ذلك عيبهم لمن رثى المتوكل بقوله : « مات الخليفة أيها الثقلان » قالوا جيد ، نعى الخليفة الى الجن والانس فى نصف بيت . ثم قال : « فكأننى أفطرت فى رمضان » فضحكوا منه . وما ذلك إلا لانقطاع العاطفة وعدم استوائها فى النشاط . على انه لا يراد بنشاط العاطفة ان تجرى على وتيرة واحدة تملها النفس فان ذلك مغاير لأصول البلاغة

وقد تناول ذلك الاستاذ ضومط فى كتابه فلسفة البلاغة فقال : « ان على الكاتب التحول فى كتابته والانتقال من صورة إلى صورة فى سائر ما ياخذ به من ضروب الهيئات الكلامية ، فتشاكل العاطفة (أو استمرارها على وتيرة واحدة) كهبوطها مضعف للبلاغة . وعلى الكاتب حفظا لنشاط النفس ان يتفنن حتى تستجم النفس قواها وتستطيع عندها ان تتابع الكلام وتبقى على تأثرها منه إلى النهاية . وهذا التشاكل الممل فى الادب قد يكون فى الاسلوب كأن يستخدم الكاتب لغرضه السجع أو البديع فيطيل فيه ويقسر النفس عليه ، وقد يكون فى المعنى كما يفعل بعض الروائيين فى الوصف فيتعلقون بأشياء يشغلون فى وصفها بضع صفحات فيشعر القارىء من جراء ذلك بفتور فى عزيمته - أو كما كان يفعل بعض الشعراء الاقدمين فى الوقوف على غرض لهم كوصف الفرس أو الناقة او الحبيب فيطيلون حتى تضعف العاطفة فتتراخى او تموت

فنشاط العاطفة اذن يقتضى شيئين : جودة الغرض الادبى والتفنن فى توجيه نفس القارىء اليه . ولا شك فى ان ذلك اهون فى الشعر الغنائى او الوجدانى منه فى سواه . وسببه قصر القصائد الغنائية وعدم ارتباطها بغاية واحدة . على اننا عند التحرى نرى الملاحم العظيمة قد استطاع ناظموها أن يحافظوا على جمال العواطف فيها محافظة قد لا تراها فى كثير من القصائد الغنائية . وهذه الملاحم صعبة المرتقى لا يعرف قيمتها الادبية إلا الذين عرفوا معنى الادب الحقيقى

السمو

هل فى الادب سام وسافل ؟ سؤال يختلف فيه الناس . فبعضهم يرى السمو فى كل عاطفة فيه مهما كان مصدرها ، وعلى ذلك يجعلون لأهل المجون والعبث مكاناً فى الادب البليغ . ويخالفهم البعض الآخر فيفرقون بين العواطف السامية والعواطف السافلة ، ويريدون بالاولى تلك التى تصدر عن نزعات الطبيعة الانسانية الشريفة كالشجاعة والتضحية والصبر والكرم ، أو عن مقتضيات العمران كالاخاء والحرية والتعاون والصداقة والحب ، وبالثانية تلك التى تنشأ عن الاهواء البهيمية الهدامة كالجشع والتعدى والشهوة والنهم والبخل وما شاكل . ولا يتسع المقام

للخوض فى هذه المسألة وتبيان حقيقتها . ومما لا ريب فيه ان البلاغة درجات وان البلاغة العليا متصلة أبداً بتلك الرزانة العليا التى تسمو بالنفس الى أعالى الوجود والتى تجمل الحياة وتساعد الانسان وتدفعه فى سبيل النشوء الى غاياته العليا

الخيال في الادب

للخيال فى الأدب مقام خاص إذ هو يتعلق بما يثير العاطفة ويذكيها فى النفوس . نقرأ فى جريدة خبر طوفان حدث فى الصين مثلا وأن ألوفاً أصبحوا بلا مأوى فلا تتحرك لذلك كثيراً لأن الخبر الذى قرأناه لم يرسم أمام أعيننا رسما نشاهده أونحس به ، فى حين أننا إذا قرأنا رواية موضوعة شعرنا بميل خاص إلى بطلها وأصبحت نفوسنا تتأثر بكل ما يصيبه . وما ذلك إلا لأن الكاتب استطاع بحسن تخيله أن يؤثر فى مخيلتنا وتمكن بطريقته الاخاذة من أن يسوقنا إلى محبة بطله والاهتمام به . وليس الفرق بين الخبر البسيط نمر به فى جريدة يومية وبين قصة تروى لنا بأسلوب أدبى شائق إلا فرقاً بين كاتبيهما فى درجة التخيل . ولايضاح المراد من الخيال الأدبى نعرضه فى ثلاثة أنواع :

١ ـ الخيال المبدع

وهو الذى يتناول المدركات ويصورها بشكل لم يسبق اليه . وقد تناول ذلك ابن الاثير فى « المثل السائر » وسماه المعنى المنتزع من غير شاهد الحال وجاء منه بعدة أمثلة فليرجع الباحث اليها . وأجتزىء منها بالمثل التالى وهو من قول ابن بقى الاندلسى :

بأبى غزالا غازلته مقلتى ... بين العذيب وبين شطى بارق
حتى إذامالت به سنة الكرى ... زحزحته شيئاً وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه ... كى لاينام على وساد خافق

والشاهد فى البيت الأخير ، والجمال فيه تخيل الشاعر صدر المحب وساداً مضطرباً لخفقان القلب تحته وأنه طلباً لراحة الحبيب النائم أبعد رأسه عن ذلك الوساد الخافق (برغم ما فى نفسه من شديد الشوق اليه)

والذى يفهم من كلام ابن الاثير وسائر نقاد العرب أن الابداع منحصر فى الكلام المجازى من تشبيه واستعارة ، وكل أمثلتهم من هذا القبيل . ولا يزال شعراء البلدان العربية حتى هذا اليوم ينزعون الى ذلك

على أن الخيال المبدع قد يتناول أيضاً ما هو أهم من ذلك ، أعنى موضوع الكلام والسبيل التى يسلكها اليه . وبذلك نحكم اليوم على الملاحم الشعرية من فروسية أوقصصية وعلى المصنفات النثرية من روايات أو رسائل أو سواها ، بل بذلك نتذوق طيبها وتنكشف لنا أسرارها . خذ

مثلا «رسالة الغفران» للمعرى واسأل نفسك لماذا أجعلها فى مصاف الآداب الخالدة برغم ما فيها من تكلف لفظى ووهن فى العاطفة . فاذا تحريت ذلك وجدت الجواب أن فيها خيالا يتجلى فى تصور الشاعر النعيم والجحيم ومن يسكنهما من رجال الادب وما كان لبعض أقوالهم من تأثير فى إقامتهم هناك . وقس على ذلك كثيراً من الملاحم وكتب الادب . وبينا ترى العرب قد تقدموا كثيراً فى إبداع المعانى المجازية (التشبيه والاستعارة) ترى أدباء الافرنج قد أضافوا إلى ذلك الابداع فى المواضيع والاساليب . وليس عليك إلا أن تطالع دواوين شعرائهم وكتب أدبائهم لترى ما تقصد اليه . واليك مثلا صغيراً من ذلك وهو قصيدة انكليزية أنقل للقارىء فحواها :

يتخيل فيها الناظم عظماء الارض يسعون نحو السعادة ويمثل السعادة بمدينة لها أسوار عظيمة ولكن بابها ضيق واطىء جداً ، يقصدها أحدهم وهو رجل حرب فتح الممالك وقهر الاعداء فيصل إلى باب السعادة وقد لبس بزته العسكرية فتألقت عليها النياشين وحمل سلاحه متفاخراً ولكنه يقف هناك حائراً لأن الباب أضيق من أن يتسع له ولما عليه من الالبسة والسلاح ، ثم يصل عظيم آخر وهو رجل عالم وقد وضع عليه لباسه العلمى الضافى وحمل مؤلفاته الضخمة ، ومثل الاول يقف أمام الباب الضيق لا يستطيع الدخول ، ثم يأتى آخر وآخر من كبار أهل المال أو السياسة ويقف الجميع حائرين لا يدرون ما يفعلون ، وبينا هم فى حيرتهم تأتى فتاة صغيرة تطفر مرحاً فتجد الباب فتدخل منه ثم تخرج وتقول لهؤلاء العظماء : لماذا لا تدخلون وترون ما فى داخل المدينة من جمال ؟ فيشيرون إلى ضيق الباب فتقول لهم : اخلعوا ما عليكم من الالبسة وانزعوا ما معكم من حطام الدنيا فيسهل عليكم ذلك . فيلتفت بعضهم إلى بعض مترددين محجمين وتلح عليهم الفتاة فيتقدم أحدهم ويخلع ما عليه من شارات العظمة ويرمى ما بيده من كنوز الدنيا فيدخل ويفعل فعله الآخرون فيفوز الجميع بالدخول إلى مدينة السعادة . وهنا جمال القصيدة ـ تخيل الشاعر معنى السعادة وتخيله السبل اليها هو ما نعنيه بالخيال المبدع . ولجبران خليل جبران من ذلك ما يعد فى الطبقة الاولى من الفن

٢ ـ الخيال المصور

وهو المنتزع مما يشاهده الاديب ويختبره بنفسه . ومن أمثلته أن تشاهد بركان بزوف ينفث دخاناً بالقرب من خرائب بومباى فتتخيله غضب الطبيعة أو الآلهة من ترف الرومان ، أو ترى كما رأى الانبارى فاضلا مصلوباً فتتخيل ما تخيله وتقول معه :

ولما ضاق بطن الارض عن أن يضم علاك من بعد الوفاة
أصاروا الجو قبرك واستعاضوا عن الاكفان ثوب السافيات

أو ترى جثة توتنخ آمون وما أحدثته من الضجة فى مصر والخارج فتتخيل مع شوقى أنها

كانت حديث عصبة الامم فى جنيف فتخاطبه وتبين له حالة مصر السياسية وعلاقتها بسياسة أوربا (راجع قصيدته « قفى يا أخت يوشع خبرينا ») أو تشعر بالحمى كما شعر المتنبي فتتخيلها زائرة ذات حياء تجيء تحت ستر الظلام ثم يطردها الصباح فتجرى مدامعها - وأمثال هذه التخيلات لا تحصى . وهى تختلف عن الاوهام فى أن لها أساساً معقولا وأنها صورة لحقيقة مشاهدة . أما الوهم فليس له أساس معقول ، ولذلك لا يدخل فى باب الادب الصحيح

٣ - الخيال المفسر

وهو الذى يرى فى الاشياء قيما روحية أو أدبية فيخترق المشاهد المادية إلى تلك القيم الخفية ثم يبرزها فى معرض التأمل . ومن ذلك الوقفات التاريخية أو الفلسفية ، كأن تشاهد نهراً كنهر الفرات أو النيل مثلا فتتجلى لك فيه الحوادث التى مرت عليه وتتراءى لك على صفحاته عبر الوقائع المرتبطة به . ومثل ذلك إذا وقفت أمام أعمدة بعلبك أو الكرنك أو تدمر أو قبور بيترا . أو على قمة حصرون والمقطم وجبل الزيتون وما إلى ذلك مما يثير فى نفسك ذكريات الماضى فيحملك الخيال على التأمل عندها والنظر . وقلما حاول ذلك العرب فى أدبهم القديم . وأقرب ما رأيته إلى ذلك قصيدة البحترى فى إيوان كسرى وهى معروفة . فلم يكن للعرب مع ميلهم الشعرى الشديد ذلك الخيال الذى يرفعهم عن المشاهدات المادية إلى ما وراءها من عبر تاريخية أو أدبية أو اجتماعية . وقد خطا أدبنا الحديث فى ذلك خطوة جديدة وأخذنا نرى بعضاً من أدبائنا المفكرين يعنون بهذه الوجهة الرفيعة من الفن ويخرجون لنا من هذه الوقفات الشعرية والنثرية ما يحق أن نفاخر به . ويدخل فى ذلك القصص التى تمثل لنا تاريخنا القومى أو حياتنا الاجتماعية ، والسير الشخصية التى تجلو لنا عبر الحياة فى حياة شخص من الاشخاص ، والنقد الاخلاقى والاجتماعى الذى يحاوله بعض أدبائنا ويفتنون به افتناناً يدخله فى باب الأدب الراقى . وهم يحاولون فيه أن يفسروا الحياة المثلى وما تتطلبه من مزايا خلقية . وليس ذلك بمستحدث فى الادب ، ولكن الاسلوب الخيالى الذى يجرون عليه جديد يلفت النظر

والخلاصة أن بلاغة الأدب كما نراها اليوم قائمة على ما فى الادب من عاطفة وخيال وفكر يعرضها الاديب بما يناسبها من الحلل اللفظية . وأن الفن الادبى لا يقوم على التلاعب بضروب الكلام بل على ما نراه فى الكاتب من خيال موح وفكر منير وعاطفة صادقة مجلوة لنا فى أفضل العبارات وأروعها وأقربها إلى معانى الكلام

انيس الخوري المقدسي

التجديد في اللغة العربية

بقلم الدكتور بشر فارس

إذا قال قائل فى نفسه : ما اللغة ؟ رأى على نحو ما يرى سواد الناس انها أداة يعبر بها الخلق عما يجول فى ضمائرهم ويقع تحت حواسهم . وان هو تدبر اللغة فجردها من الغاية التى تجرى اليها أدرك أنها وضع من الاوضاع الاجتماعية بينها وبين أحوال الجماعة وذهنيتهم وأساليب نطقهم أسباب ثابتة

أما أن اللغة وضع اجتماعى فشاهد ذلك أن الانسان يجدها موضوعة مستقرة فى مكانها ، فيأخذها اعتياداً كالصبي يسمع أبويه وغيرهما أو تلقناً كالتلميذ يتخرج على استاذه . وكلاهما لا يقوى فى الحالتين إلا أن يتلقاها على هيئتها ، ذلك انها تفرض عليه فرضاً — بقى أنه من البعيد أن يخطر للانسان ارتجال لغة جديدة ، فان اللغة ناشئة عن حاجة الناس الى التفاهم

ثم انك لتتوسم أحوال الجماعة فى اللغة عندما تفطن الى أن ملازمة العرب للابل والرمل فى زمن الجاهلية قد دفعتهم الى وضع الفاظ — لا تعيها الحافظة بل لا يحصرها العد — فى مختلف شؤون الابل والرمل

وأما أن اللغة تمت الى ذهنية الجماعة بسبب فدليل ذلك ان أوضاع اللغة انتقلت من جانب الفطرة ومحاكاة الطبيعة الى جانب المواضعة عندما استطاع الانسان أن يسلخ من كلامه خصائص العاطفة من صياح وتنهد وتأوه وترنم ، فراح يعد اللغة مجموعة رموز بينها وبين ما تعبر عنه صلة متواطأ عليها (١)

وأما أن اللغة منقادة الى أساليب نطق الجماعة فحسبك أن تعلم أن العرب قد أهملوا ما لا يجوز ائتلاف حروفه فى كلامهم مثل جيم تؤلف مع كاف أو عين مع غين ، وأن ليس فى اللسان العربي بعض حروف اللغات الاوربية نحو حرف P و V والعكس بالعكس

* *

---

(١) ولرب معترض يقول : ان اللغة لا تنهض الا على المنطق ، وحجته في ذلك أن النحو يعلل أوضاعها . والتحقيق ان كلامنا كثيراً ما يجري على بديهة الذهن ، ومن سنن تلك البديهة تجاذب الافكار والاعتياد ثم القياس والحمل والمجاز — فاين المنطق فى قولهم : « خمسة رجال وخمس نساء » ثم اين هو فى قولهم : « ثلاث شخوص » والصواب « ثلاثة » استناداً الى قاعدة العدد المعروفة ، ولكنهم حملوا الشخوص على أنهن نساء — واين هو فى قولهم : « اعوذ بك من السامة واللامة » والوجه « الملمة » ، ولكنهم اتوا بها على وزن السامة محاذاة — واين هو في اجرائهم « فعولة » على « فعيلة » في النسبة ، لمشابهتها اياها — واين هو في قولهم للديغ « سليماً » ، تفاؤلا — ثم اين هو في « التقديم والتأخير » وضروب « المجاز » ؟

غير أن أحوال الجماعة وذهنيتهم وأساليب نطقهم ما تنفك تتحول عن مواضعها على مرالقرون ، فتتحول اللغة معها جميعاً . والسبب فى ذلك التحول يرجع الى عوامل كثيرة : منها لغوية فيدخل تحتها القياس . ومنها تاريخية فيندرج فيها علاقات الجماعات بعضهم ببعض بين فتح وجلاء ومتاجرة . ومنها سياسية بين تقدم لهجة على اخواتها واتحاد الامة او تفرقها . ومنها حضرية بين انبساط مذاهب العمران واتساع ألوان الترف وانتشار العلوم والصناعات ونشوء المدارس والصحف . فضلا عن الاسباب المقصورة على النطق وأجلها شأناً ميلنا الى ارسال الكلام فى أقل جهد باجتناب ما يثقل على اللسان

وخلاصة القول أن اللغة ليست قائمة برأسها ولا جامدة فى مكانها . فما هى توقيف كما يزعم فريق من أئمة اللغة العربيةونفر من علماء الغرب، وانما هى تواضع اجتماعى يرجع الى ثلاثة أصول : احوال الجماعة وذهنيتهم وأساليب نطقهم . فاذا كان الامر هكذا فما عسى أن تكون اللغة العربية لهذا العهد ؟

⁂

إن حياتنا قد اتسعت حسا ومعنى إذ هجم عليها من جانب الفرنجة ضروب من المعيش ووجوه من التفكير لم يكن لاجدادنا عهد بها ، فعجزت اللغة عن الاعراب عنها لان جل تلك الضروب والالوان نبتت ثم نمت فى أرض غير ارضنا . على انه لا بد من تدارك ذلك العجز فى سبيل انزال العربية منزلة اللغة الحديثة الوافية . وهنالك مسالك تتسع اللغة بها لاحوال هذا العصر . وهذه المسالك على وجهين : نقلى وعقلى . أما النقلى فقوامه مطالعة تصانيف العرب المختلفة . وأما العقلى فعمدته تحدى العرب فى وضع كلامها مع الاعتداد بذهنيتنا وأساليب نطقنا

⁂

مسلك النقل

اذا قيل إن العرب لم يكونوا أول أمرهم على شيء من الحضارة فما لا مجال فيه للشك أنهم كانوا قوماً يشعرون ويتعاملون . فكان لهم مسميات معنوية وأخرى حسية نصيبها فى أشعارهم وأخبارهم ثم فى القرآن والحديث ثم فى دواوين الادب والمعجمات المتداولة والمعجمات المرتبة على المعانى نحو كتب الخيل والابل والطير والسلاح وخلق الانسان وغيرها مثل « المخصص » لابن سيده و « فقه اللغة » للثعالبى

وإن أنت تأملت تلك المسميات رأيت فيها عدداً غير قليل بنا حاجة ماسة اليه . منها « الجمة » للشعر المستعار « Perruque » (ارجع الى « الاغانى » ج ١ ص ٩٧) . و « الابزن » (على وزن أفعل) وهو حوض من نحاس يستنقع فيه الرجل (ارجع الى « لسان العرب ») (١) والعامة تعبر عنه اليوم بلفظة « بانيو » الايطالية . و « العقبة » (بضم العين وتسكين القاف) وهو ما تعتقبه بعد الطعام من

(١) تأمل مشابهة هذه اللفظة للفظ الانجليزي خاصة « basin »

حلواء « Entremets » (عن « المحيط ») . و « إلال الحرب » وهي جميع أدواتها « Armements » . و « المنامة » وهو ثوب ينام فيه « Pyjama » (عن « لسان العرب »)

وبالاطلاع على تلك التصانيف نتوصل الى التنبيه على أوهام اهل هذا العصر . ومثال ذلك قولهم : « أعلنه بالحرب » . والعرب تقول « آذنه بها » — وقولهم « نشال » لمن يشق الجيوب وغيرها عن النقود . والوجه ان يقال « طرار » (عن « فقه اللغة ») لان « النشل » لفظ عام يفيد السرعة فى نزع الشيء ، ومتى ورد اللفظ الخاص استغنى به عن اللفظ العام فى الكلام « الحقيقى »

إلا أنه ينبغى لمن يتطلب إحياء بعض الالفاظ المطوية أن يتحرى فى الاخذ عن الثقات وأن يميز الصحيح من المصنوع والمفتعل ، وأن يهمل الوحشى والغريب والمبتذل ، وان يغترف مما تواتر من كلام العرب (١)



على أنه من القصور أن نقف عند ما دار على ألسنة العرب الاولى ، لان القوم كانوا اهل رعاء وغزو فى الغالب ولان كلامهم لم يقع الينا الا أقله ولربما اشكل علينا بعضه . ومن اجل ذلك لا مندوحة عما أحدثه المولدون وعربوه من الالفاظ اللاحقة بمرافق الحياة وحاجات العيش وصنوف الفنون

وانك لتصيب المولد والمعرب فى المعجمات ودواوين اللغة والمؤلفات الموقوفة على الالفاظ الدخيلة ، مثل « المعرب » للجواليقى و « شفاء الغليل » للخفاجى و « الالفاظ الفارسية المعربة » لادى شير و « تكملة المعجمات العربية » للمستشرق (دوزى) . واما مصطلحات الفنون والعلوم فمكانها فى مصنفات محبوسة عليها ، ومن اجلها شأنا : « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوى و « التعريفات » للجرجانى و « الكليات » لابى البقاء و « مفاتيح العلوم » للخوارزمى ، الى غير ذلك مما يتعلق بالتصوف والفلسفة والطب والهندسة وغيرها

وقد عول على مثل تلك المصنفات المستشرق « ماسينيون » فى « معجم الصوفية » و « معجم الفلاسفة » (٢) والدكتور احمد بك عيسى فى « معجم النبات » والدكتور شرف فى « معجم العلوم الطبيعية » والفريق امين المعلوف باشا فى « معجم الحيوان »

هذا وان بدا لأحد أن يستخرج اصطلاحات الموسيقى قال للصوت المفرح « البسطى » والصوت الحزين « القبضى » (عن « رسالة الكندى ») ، ولشد الأوتار « البض » وللاوتار المختلة « المشوشة » (عن « الاغانى ») ، وفى ترتيب اجناس الاصوات اللينة « الناظم فاللونى فالراسم » وللسلم الموسيقى التام

(١) هذا واننا اذا تبصرنا فى الالفاظ العامية — وجلها يرجع الى اصل فصيح — انتهينا بها بعد تخليصها من التحريف والقلب والابدال والزيادة والنقصان الى مسميات يحسن استعمالها اليوم . ومن قبيل ذلك قول عامة مصر « جرصه » والاصل « جرس به » ، وهلم جرا

(٢) ما يزال مخطوطاً

« الجماعة » او « الجمع »(١) (عن « كتاب الموسيقى الكبير » للفارابى) ، ولنقر الأوتار بالسبابة والأبهام دون المضراب « الجس » Pizzicato (عن « مفاتيح العلوم ») ، ولمصاحبة آلة آلة اخرى فى العزف او النفخ أو النقر « المساوقة » accompagnement (عن « مقدمة ابن خلدون ») ، الى غير ذلك مما لا يتسع المكان لسرده

✡ ✡

بيد أن ذلك التراث ــ مهما جل قدره ــ لا يغنى عنا الابعض الشيء . ذلك بأن مرافق الحياة وحاجات العيش ما فتئت تتسع وان العلوم والفنون جعلت تنتقل من موضع الى موضع آخر . والنتيجة انه لا بد من توليد الفاظ تسد الخلل

مسلك العقل

ان لوضع الالفاظ العربية اصولا ننتهى اليها عند الفحص عن سنن العرب فى مآخذ كلامها . وهذه الاصول لاتعدو سبعة فيما يظهر لى ، ودونكها : الصياح الطبيعى كالتأوه والنداء ــ وحكاية الاصوات الخارجية مع مايتوهم فيها من الهمس والجهر والضغط والمد والتقطيع ، مثل قولهم : « حف الشجر وسقسق العصفور » ــ وحكاية الحركات الخارجية بلفظ يمثلها نحو قولهم : « ارتعد المحموم وانتفض العصفور » ــ والاشتقاق ــ والمجاز ــ والنحت ــ والتعريب

ولا حاجة الى تبيين قواعد هذه الاصول ولا بسط مايتفرع عنها ، فكتب اللغة مشحونة بها . ومما يحسن ذكره فى هذا المكان ان أهل هذا العصر وضعوا الفاظاً كثيرة معولين فى وضعهم لها على بعض تلك الاصول . فما اشتقوه « البـاخرة والمجهر والصحافة والاستفتاء » ــ ومما وضعوه من باب المجاز « القطار » (من قطار الابل ، اذا جاءت على نسق واحد) ، و « الانتاج » (من انتاج الناقة) ، و « الحوذى » لقائد عجلة الخيل (وهو من باب اطلاق العام على الخاص ، لان الحوذى فى الاصل هو الطارد المستحث على السير) ــ ومما نحتوه من كلمتين عربيتين « برمائى » (وهو حيوان يستطيع أن يعيش فى البر والماء معاً) ، ومن كلمتين اعجميتين « كرنته » فى « كرانتينه » (ارجع الى الجبرتى والطهطاوى) و « تلفزة » فى Télévision (ارجع الى « المقتطف ») ــ ومما عربوه « البنطلون » و « البطارية » و « والقصفور » و « الشبترى »

✡ ✡

تلك هي المسالك التى تصير بنا الى الزيادة فى متن اللغة . والحاصل أن حاجتنا الى التعبير عماطرأ

(١) تأمل مشابهة هاتين اللفظتين للفظ الفرنسي Gamme (جمع) واللفظ الذي جرى قبله ثم مات Gamma'ut (جماعة). الا أن هناك تأويلا يرد هذين اللفظين الى اصل غير عربي والله اعلم

علينا تدفعنا الى احياء الفاظ فتوليد اخرى فتعريب ما ليس من كلامنا . الا انه ينبغي لنا ان نراعي في ذلك كله ذهنيتنا وأساليب نطقنا على ما مر بك

أما الذهنية فمجاراة ما صارت اليه أذهان خاصة أهل هذا العهد من عدول عن الالفاظ المركبة الى البسيطة ، والمحسوسة الى المعنوية ، والشعرية الى الوضعية ، والتخيلية الى التفكيرية ، والاحساسية الى الرمزية ، و « التحليلية » الى التركيبية ، والملتاثة الى الدقيقة ، والخاصة الى العامة

وأما اساليب النطق فالمسألة على قسمين :

اما ان تكون اللفظة عربية فالمستحسن ان تنزل إلى حكم السنة التي اشرت اليها في مقدمة هذا المقال — تلك السنة البديهية التي تبعثنا على ارسال الكلام باقل كلفة في النطق . وعليه فالخير في ان نؤثر استعمال الثلاثي على الرباعي والخماسي لخفته على اللسان في ضروب تصاريفه ، وان ننصرف عن الاوزان المركبة نحو ما يجيء على « سمعنة » (بتشديد النون) و « خدلجة » (بتشديد اللام) و « عبدقن » (بتشديد النون) ، وان نعرض عن الحروف المتنافرة نحو ما في « أنط » و « قع » والاصوات المنكرة نحو ما في « زبعبق » و « صمحمح » و « لعموظ »

هذا واما أن تكون اللفظة معربة فلك فيها وجهان : أن تجريها مجرى الكلام العربي وتلحقها بأبنيته ، أو تبقيها على صيغتها الاعجمية مع شيء من التحريف والابدال . والوجه الاول يحسن في اسماء الاجناس واصطلاحات الفنون لقابليتها جميعا للاشتقاق والاعراب والتصريف . حالة ان الوجه الثاني يحسن في اسماء الاعلام والوان النبات وانواع الحيوان الى ما شاكل ذلك مما لا حاجة بك الى تصريفه ولا اعرابه ولا اشتقاقه . ومما لا مفر منه في كلا ذينك الوجهين أن ننطق بالحرف الاعجمي ونؤدي الامالة الاعجمية بما يقارب كلا منهما في مخارج حروفنا وأصواتنا ، وللعرب في ذلك قواعد (١)

☆☆☆

بيد أن اللغة ليست بمحبوسة على المتن ما دام وراءه الاسلوب . وأسلوب اللغة العربية اليوم على عدة ضروب : فكاتب يعارض كتبة القرن الثالث والرابع . وكاتب يجري على مذهب الافرنج في الانشاء . وكاتب يستقل بقلمه عن هؤلاء واولئك . والذي يلوح لمن يتدبر احوال هذا الجيل من الناس ان اسلوب العصر ما كان سريع العبارة ، سهل المنال ، واضح الطريقة ، دقيق الاداء ، متجاوب المعاني ، مطرد التنسيق ، مقسم الجمل (حتى بالترقيم Ponctuation) ، بعيدا عما يتصل بالعاطفة من تنهد ودعاء الى ما يلي ذلك من الجمل المؤلفة في مد ولي وعطف كأنها لحن من الالحان .

(١) الا ان العرب درجت على استبدال حرف V بالواو وحرف P بالفاء ، ونحن اليوم نستبدل الاول بالفاء فنقول « فولتير » والثاني بالباء فنقول « اوربا » . ثم ان العرب عربت الحروف الاعجمية بغير واحد من حروفها ، فاستبدلت ما بين الكاف والجيم — مثلا — بالجيم او الكاف او القاف ، والذال اليونانية بالدال والذال . فيجدر بنا اليوم ان نتدارك هذا الخلط ، فنستبدل الحرف الاعجمي بحرف واحد متواضع عليه

وحقيق باسلوب هذا العصر أن يختلف باختلاف فنون الانشاء : فتارة يكون أدبيا وتارة علمياً واخرى مبتذلا لافهام العامة . ثم انه ليجدر بصاحب اسلوب هذا العصر أن يرغب عن التعابير والتشابيه والاستعارات التى مضت مع من وضعها ، فيعتاض عنها ما يسلخه من الاشياء المحيطة به وما يقتبسه من بيان العامية على أن يبقى على الفصحى البقاء الذى لا غبار عليه

☆☆☆

على أن اللغة تنهض بمتنها وأسلوبها من ناحية العمل . وأما من ناحية العلم فانها تضم بين مكاسرها فنوناً شتى تدخل اليوم فى طور جديد . ومما لا يثلج الصدر ان فريقاً من اللغويين لهـذا العهد يظنون ان الاشتغال باللغة مقصور على فن التخريج والمناظرة فى الصرف والنحو والمتن . والحقيقة ان العناية باللغة على هذا الشكل لا تغنى من الخبر شيئاً بل تدل على ذهنية مستمسكة بالنقليات مولعة بالسفسطة

وأحر بمن يعنى باللغة فى هذا العهد ان يعالج أمرين : الاول عملى ، والثانى علمى

ان الامر العملى لينهض على تهذيب القواعد وتشذيب اللغة . اما تهذيب القواعد فلا مندوحة عن تقويم ما فيها من المتشعبات والمرتبكات والملتبسات والمستعصيات . وأما تشذيب اللغة فلا بد من تنزيهها عما يشوبها من اللغات الضعيفة والرديئة والمتروكة ، ولا منصرف عن اطلاقها مما يثقلها من النوادر والشوارد والغرائب والوحشى والالفاظ المتشابهة والالفاظ المماتة عندنا . والغرض من ذلك كله تسهيل منالها لطالبها المشغول بعلوم أخرى ، وتقريب موردها للمنشىء والقارىء معا ، فكلاهما لا يعدها الا اداة شأنها الافصاح عما يجول فى الضمائر ويقع تحت الحواس

وأما علوم اللغة التى ترجع الى العلم المحض فأجلها شأناً ما يبحث فى أساليب النطق من اخراج الحروف وتقطيع الصوت ، وفى منشأ اللغة وصيغة الالفاظ وتاريخها وتأليف الجمل وتاريخه وسنن الكلام بين نطقية وذهنية واجتماعية ، وفى مقارنة اللغة بغيرها من اللغات اجنبية عنها كانت أم أخوات لها

☆☆☆

وختاماً ان اللغة العربية تنتقل فى هذا العهد من طور ولى زمنه الى طور يصدر عنه وينهض عليه . والذى يدفع اللغة (متنها واسلوبها وعلومها) فى هذا الطور الجديد ما يكتنفنا من الاحوال الطارئة على ما يتصل بالحس والمعنى ، ثم ذهنيتنا وأساليب نطقنا . ولقد حاولت ان ابين ذلك ، ولـكننى بالغت فى الايجاز والايماء . ولو فسح لى من المكان فوق ما لدى لاطنبت حيث يحسن الاطناب واستدللت حيث يجب الاستدلال

بشر فارس
دكتور فى الآداب من السوربون

سر الحياة

لشاعر الشباب احمد رامي

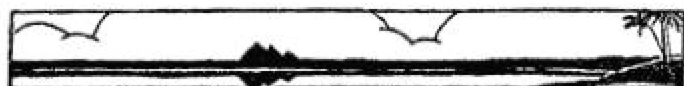
من للضلول الذي ضاعت أمانيه   بمن يضيء سبيل العيش يهديه
أظل أخبط في طخياء داجية   من ترهات وتضليل وتمويه
كأنني طائر أصماه قانصه   فضل في دوحة شعراء كالتيه
لى مطمح في حياتي قد كلفت به   يفوت شأو الدراري في تعاليه
وكيف أدركه والنفس قد سكنت   من هيكل الجسم سجناً لا تخليه
لو أن لى من ضياء النجم خافية   أطلقت نفسي طلاباً خوافيه
وطالب المثل الأعلى مشعبة   آماله مشرئبات مراميه
يكلف النفس أمراً عز مطلبه   ويسأل الدهر شيئاً ليس يعطيه
يرى السهى بعيون حار ناظرها   كأنها فكرة في رأس مشدوه
غريبة بين أهليه طبائعه   إن العظيم غريب بين أهليه
يقيم فيهم ولكن روحه اتصلت   بعالم ليس يدري ما أقاصيه

***

كم أسأل البدر لم تصفرّ صفحته   أللزمان وما تجنى دواهيه
وأسأل النجم لِمْ ترفضّ مقلته   أللبكاء على آلامنا فيه
وأسأل الرعد إما مدّ قهقهة   أساخر بالذى بتنا نرجيه
في عيشة غر هذا الناس ظاهرها   كما يغرّ سراب البيد رائيه

ان الحياة فلاة أنت قاطعها ... وكل مرحلة يوم تقضيه
وأنت بالعمر طاويها على عجل ... لابد للقفر من تعريس طاويه
والناس صنفان ريان أخو شبع ... منضر الوجه غض الجسم حاليه
ونضرة الوجه مرُّ العمر يذبلها ... وزاهر الثوب طول العهد يبليه
وآخر ضامر من طول مسغبة ... عريان لكن له خبر بحليه
ومطرف الخلق الأسنى اذا انصرمت ... به السنون أجلت روح كاسيه
وربما عمر المكسال تحسبه ... نعاه في ساعة الميلاد ناعيه
وربما اختصر الدآب قد ملأت ... صحف الخواطر والاسفار أيديه
لاشيء يبقى سوى ذكر نردّده ... اما جميل نثت عطراً غواليه
أو سيء ذاع بين الناس فانتشرت ... منه روائح تبغيض وتكريه
فعاشر الناس بالحسنى وكن مرحاً ... جذلان والقلب قد عزت أواسيه
فرب ضاحك سن وهو مكتئب ... كيانع الدوح فيه الدود يذويه
وعز نفسك لاتحزنك نائبة ... ونم منام رخي البال هانيه
ان الحياة بنعماها وأبؤسها ... بطل وكذب الاماني كل ترفيه

احمد رامي



تقدم العلم والعالم

متى عرف الانسان النار

فى سنة ١٩٣٠ عثر العلماء على جمجمة انسان بالقرب من مدينة بايبنج بالصين فسموها جمجمة إنسان الصين ، وهى من أقدم آثار الانسان فى هذا العالم . وعثروا أيضاً بجانبها على آثار قطعة خشب محروقة مدفونة فى طبقة من الأرض يرجع تاريخها إلى العصور الجيولوجية الحالية ، وهى دليل على أن الانسان فى تلك العصور عرف النار واستخدمها . والعلماء يدرسون الآن هذه القطعة الخشبية لتحديد تاريخها ومعرفة علاقتها بجمجمة إنسان الصين . وهم يعتقدون أن عمر الجمجمة لا يقل عن مليون سنة

مصدر جديد للقاح الجدري

توصل العلماء إلى اكتشاف مصدر جديد للقاح الواقى من الجدرى هو بيض الدجاج الاعتيادى . وتقول إحدى المجلات العلمية الاميركية : إن الدكتور بطلر الانجليزى مدير معمل اللقاح البريطانى تمكن من صنع لقاح يكفى « لتطعيم » سبعة آلاف شخص من ثمان وعشرين بيضة فقط . ويمتاز هذا اللقاح عن النوع الاعتيادى بأنه مقاوم للبكتيريا ويمكن حفظه مدة طويلة

لمقاومة الزلازل

كلما وقعت زلزلة فى جهة من جهات الولايات المتحدة أوفدت اليها الحكومة الاميركية فريقاً من العلماء لدرس تأثير الزلزلة فى الابنية التى فيها . ولما حدثت الزلزلة الاخيرة فى ولاية كاليفورنيا - وكانت من أشد الزلازل التى عرفتها تلك الولاية - درس المهندسون والعلماء تاثيرها ، فثبت لهم أن البيوت المبنية بالاسمنت المسلح والحديد تقوى على مقاومة الزلازل ، وأن البيوت التى لا يعتنى بموادها لا تقوى عليها . ومما يجدر بالذكر أنه ما من بناية من البنايات الاميركية الشاهقة المعروفة بناطحات السحاب تأثرت أى تأثر بالزلازل التى وقعت فى اميركا منذ أول القرن الحاضر بل منذ أول بدء إنشاء تلك البنايات

خلق المادة

يزعم بعض العلماء الآن أن دقائق المادة تنشأ من أمواج النور ومن الاشعة الكونية التى اكتشفها الدكتور مليكان الاميركى منذ بضع سنوات والتى لم يتفق العلماء حتى الآن على تحديد مصدرها . ويؤخذ من التجارب التى قام بها فريق منهم فى انجلترا واميركا أن نشوء المادة

على الوجه المذكور يتم باستمرار ليس فى فضاء الكون فقط بل على سطح كرتنا الارضيــة نفسها . وإذا صدقت هذه النظرية كان نشوء المادة وانحلالها عمليتين مكملة كل منهما للاخرى ولا وجود لاحداهما من دون مكملتها . ذلك لان كل عنصر من عناصر المادة يشع ، وهذا الاشعاع هو مظهر من مظاهر انحلال المادة إذ ليس الاشعاع الا احتراق دقائق وتفتتها وانطلاقها فى الفضاء لتتحد مع غيرها من الجواهر التى تصادفها فتتكون من اتحادها عناصر جديدة

فاذا لم يكن هذا دليلا على خلود المادة فأى شيء يمكننا أن نتخذه دليلا على ذلك ؟

سرعة الارض

اذا قابلنا سرعة الكرة الارضية بسرعة أسرع الطيارات الحديثة بدت لنا الطيارة كالقوقعة (الحلزون) بسبب بطء سيرها . فالارض تدور حول الشمس بسرعة الف ومائة ميل فى الدقيقة . وتسير مع مجموعة الاجرام المعروفة « بالنظام الشمسى » (وهى عضو فى ذلك النظام) بسرعة تسعة آلاف ميل فى الدقيقة . ويقول علماء الفلك إن جميع النظم الفلكية تدور على نفسها أى على جرم فلكى مركزى يعتبر بمنزلة محورلها وان رصد السدم اللولبية وغيرها يدل على أن كل مجموعة منهـا تدور على نفسها بسرعة تفوق حد التصور ، وان سرعة الاجرام القريبة من المركز هى اقل من سرعة الاجرام الخارجية ، وهو شيء طبيعى فى كل جرم يدور على نفسه فان الجزء القريب من المركز هو اقل سرعة من اجزاء المحيط

عزل ميكروب الجذام

فى سنة ١٨٧٢ اكتشف أحد علماء البكتيريولوجيا النروجيين ميكروباً قيل انه ميكروب الجذام . ولكن لم يستطع أحد منذ ذلك اليوم عزل هـذا الميكروب واستيلاده بالطريقة العلمية . وقد قرأنا الآن فى احدى المجلات العلمية الاميركية ان معهد « ليونارد وود التذكارى » (Leonard Wood Memorial) أعلن أن أحد العلماء المنتمين اليه قد تمكن من عزل هذا الميكروب واستيلاده خارج الجسم . وقد اكتشف بعضهم أيضاً طريقة يتاح بهـا استيلاد سلالات جديدة منه فى كل وقت من أنسجة الجذام . وعليه فقد قوى الامل الآن بالتغلب على داء الجذام العضال

في أعماق الاوقيانوس

أعماق الاوقيانوسات هى ظلمات بعضها فوق بعض . وفيها حيوانات مائيـة مفترسة يأكل بعضها بعضاً ولا تبصر النور ولا تصعد الى طبقات الماء التى يصل اليها النور . وقد انقرض بعض أنواعها وكانت فتاكة هائلة ولم يبق منها إلا آثار نادرة . وتقول إحدى المجلات الاميركية العلمية إن المعهد السميثسونى أوفد بعثة علمية إلى إحدى جهات الاوقيانوس فتمكنت من الحصول على بعض آثار تلك الحيوانات من قاع الاوقيانوس بطريقة لا يتسع هذا المجال لشرحها

دم الانسان والجو

يقول الاستاذ جيمس باركروفت من علماء الفيسيولوجيا الانجليز إن دماغ الانسان يتحكم فى دمه تحكماً من شأنه أن يجعل الانسان قادراً على احتمال عوامل البرد والحر مهما اشتدت وقويت . أما الحيوانات السفلى فقد قضى ناموس التطور بان ينشأ كل فريق منها فى الجهات التى يلائمه جوها . وناموس الانتخاب الطبيعى هو الذى يساعد تلك الحيوانات على تكييف معيشتها بموجب بيئتها . فالدب مثلا لايعيش إلا فى البلاد الباردة . والفيل لايعيش إلا فى البلاد الحارة . وهكذا قل فى بقية حيوانات العالم فهى تعتاد بيئتها بمرور الزمن وكلما نشأ منها جيل جديد كان اقوى على احتمال عوامل بيئته الى أن يصبح لايستطيع العيش فى غير تلك البيئة . أما الانسان فبفضل تحكم دماغه فى دمه يستطيع احتمال أشد عوامل الحر والبرد على السواء

نشوء الجبال

أحدث النظريات العلمية فى نشوء الجبال هى أنها تنشأ عن تقلص قشرة الارض . وهذا التقلص ناشىء عن برودة نواة الكرة الارضية برودة تدريجية . ويقول الدكتور تيرا أحد العلماء الجيولوجيين الاميركان : ان جبال الهملايا فى شمال الهند (وهى أعلى جبال العالم) نشأت بهذه الكيفية ، وهى حديثة العهد بالنسبة الى غيرها من جبال العالم ولا يقل عمرها عن مائة مليون سنة

حرارة باطن الارض

يستطيع العلماء تقدير حرارة باطن الأرض بطريقة علمية حسابية بسيطة . ذلك أن هذه الحرارة تزداد درجة بمقياس فهرنهيت عن كل ستة عشر ياردا ، ولايخفى ان اعمق منجم للفحم فى العالم هو منجم كيلنجورث بانجلترا حيث تبلغ درجة الحرارة عند الفوهة (أى عند مدخل المنجم) ٤٨ بمقياس فهرنهيت وعلى عمق أربعمائة يارد سبعين درجة . واذا اعتبرنا عوامل الضغط وخلافها والقاعدة التى تقول ان الحرارة تزداد درجة واحدة لكل ستة عشر ياردا أمكننا أن نحكم على حرارة بطن الارض على اعماق مختلفة كما يمكننا أن نعرف عمق أى نبع حار من درجة حرارة مائه

أقدم كائن حي

هو بلا شك شجرة من السرو فى قرية من قرى هنود اميركا تبعد بضعة أميال عن مدينة اوكساكا بالمكسيك . ويقول الدكتور فان شرنك انه فحص هذه الشجرة فحصاً علمياً دقيقاً فاتضح له أن عمرها لا يقل عن أربعة آلاف سنة . وكان هذا العالم قد سبق منذ ثلاثين سنة ففحص هذه الشجرة وقدر عمرها يومئذ بمثل ما قدرها به فى المرة الثانية

والى جانب هذه الشجرة شجرة سرو اخرى لا يقل عمرها عن الف سنة وارتفاعها نحو ١١٧ قدماً . أما الشجرة الاولى فيبلغ ارتفاعها مائة واربعين قدماً

لغات العالم

فى العالم ثمانمائة وستون لغة من اللغات الكبرى فضلا عن خمسة آلاف لهجة مختلفة. وهذه اللغات موزعة كما يأتى:

١٢٣ لغة فى آسيا
١١٤ لغة فى افريقيا
١١٧ لغة فى اميركا
٤١٧ لغة فى جزائر الباسفيك والاوقيانوس الهندى
٨٩ لغة فى اوروبا
٨٦٠ المجموع

ولعل أعظم نابغة فى اللغات ظهر فى العالم هو جوسيبى كاسبار ميزوفانتى الذى ولد فى روما سنة ١٧٧٤ وتوفى سنة ١٨٤٩ وأتقن ١١٤ لغة ولهجة

اعمق نقطة في الباسفيك

هى نقطة بالقرب من جزائر اليابان يزيد عمقها على ثلاثة وثلاثين الف قدم أى انها تنقص قليلا عن اعمق نقطة معروفة فى العالم وهى بجوار جزائر الفيلبين، ويبلغ عمقها ٣٤٢١٠ اقدام. ولا يخفى ان أعلى قمة فى العالم هى قمة جبل افريست ويبلغ ارتفاعها ٢٩٠١٢ قدما. وبناء عليه تكون المسافة بين أعلى نقطة وأعمق نقطة فى العالم نحو اثنى عشر ميلا

أول سفينة بخارية

استغرقت سفرة اول سفينة بخارية عبر الاوقيانوس الاتلانتيكى خمسة وعشرين يوما

في عالم الفلك

يؤخذ من احدى النظريات الفلكية أن جميع المجاميع الفلكية السابحة فى فضاء هذا الكون - من نجوم وسيارات وأقمار وغيرها - كانت منذ نحو خمسة آلاف الف مليون سنة متجمعة فى موضع واحد من الفضاء. ثم وقع حادث فلكى غير معروف تماماً أدى الى انفصالها وتشتتها فصارت كل مجموعة منها - كالمجرة والنظام الشمسى والجزائر الكونية والسدم الاولية السحيقة - مستقلة بنفسها تتألف من ملايين لا تحصى من النجوم والاجرام الفلكية المختلفة. ويقول الاستاذ دى سثير العالم الفلكى الهولندى المشهور ان جميع المجرات، أو المجاميع والنظم المذكورة كانت تشغل فى البدء حيزاً لا يزيد على الحيز الذى تشغله اليوم مجموعة واحدة فقط منها (وهنالك ملايين من هذه المجاميع) وانه لو أعدنا تلك المجاميع الى مكانها الاصلى لوسعها بكل سهولة وبقى بين كل جرم فلكى وآخر مسافة لا تقل عن بضعة ملايين من الاميال. فتأمل فى سعة هذا الكون المدهشة!

محطة راديو قوية

شرع الانجليز فى إقامة محطة قوية جداً للراديو ستكون من اقوى محطات الراديو فى العالم وربما أغنت عن كل محطة أخرى فى الجزائر البريطانية. وستكون قوتها مائة الف كيلواط

اقدم نسخة خطية للانجيل

في المعهد السميثسوني بالولايات المتحدة نسخة خطية قديمة من الانجيل يرجح الخبيرون انها كتبت في القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس للميلاد . وهذه النسخة هي مجموعة الاناجيل الاربعة. وقد اشتراها احد السياح من تاجر من تجار العاديات بالقاهرة سنة ١٩٠٦ . وهي مملوءة بالاغلاط النسخية . وسببها على ما يظهر ضعف الناسخ في فن الكتابة وعدم معرفته اصولها . والمظنون ان هذه النسخة ظلت مدفونة في جهة من جهات الصحراء بمصر مدة الف عام أو اكثر وانها منقولة عن نسخة انطاكية أو عن احدى النسخ اللاتينية التي كانت شائعة في الكنيسة الغربية في اوائل العهد المسيحي

ومما يجدر بالذكر أن في هذه النسخة بضع آيات غير موجودة في أية نسخة معروفة من نسخ الانجيل الخطية . وهي في الاصحاح الأخير (السادس عشر) من بشارة مرقس وتصف قيامة المسيح . وقد جاء فيها ان التلاميذ خاطبوا السيد المسيح بعد قيامته فقالوا له ما ترجمته :

« فأجابوا قائلين ان هذا الجيل الملتوي وغير البار هو تحت سلطان ابليس الذي لا يأذن لاولئك الذين تنجست قلوبهم بالارواح الشريرة أن يدركوا حق الله وقوته . فاعلن اذن برك الآن . فاجابهم يسوع قائلا : ان نهاية سني سلطة الشيطان قد كملت ، ولكن ثمة اموراً اهول قد اقتربت ولقدمت من أجل الذين اخطأوا لكي يتوبوا ويرجعوا الى الحق ولا يخطئوا فيما بعد ، فيرثوا مجد البر الروحي الذي لا يفنى والذي هو في السماء ، ولكن اذهبوا الى العالم واكرزوا بالانجيل »

وهذه النسخة من الانجيل معروضة لجميع الزائرين لكي يتسنى لهم فحصها

الاختراعات البسيطة

يؤخذ من عدة احصاءات ان الاختراعات البسيطة هي التي تدر على اصحابها المكاسب الطائلة وان الكثيرين من الذين اخترعوا الاختراعات العظيمة الخطيرة ماتوا من دون أن ينتفعوا بثمرة عملهم

فقد ربح مخترع دمية من الدمى البسيطة في اميركا عدة آلاف من الدولارات . كانت تقدر بنحو مائة الف دولار في كل سنة من عمر المخترع . وربح مخترع مزلاج « الباتيناج » نحو مليون دولار . وربح مخترع رباط الحذاء مليوني ريال ونصف مليون . وربح مخترع المظلة الواقية من المطر عشرة ملايين ريال . وربح مخترع ريش الكتابة (الصلب) عدة ملايين من الدولارات . وربح مخترع الحديدة التي تسمر الى كعب حذاء الولد الصغير نحو مليوني دولار في السنة . واخترعت إحدى نساء جنوبي افريقيا مهداً مريحا للاطفال فكانت تكسب من اختراعها نحو عشرة آلاف جنيه في السنة . واخترعت سيدة اخرى مكواة تجعيد الشعر فربحت من اختراعها نحو ثمانية آلاف جنيه في السنة .

ثلاثة رجال بأقلام ثلاثة كتاب

١ – الملك فيصل

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر وزير خارجيته السابق في سورية

أترك للهاشميين أن يندبوا الابن النبيل، وللثورة في الحجاز أن تبكي المجاهد الجليل، وللجيش المنقذ أن يجزع لفقد القائد المحنك، ولديار الشام أن تخشع لموت الثائر المدرَّب، وللبلاط في بغداد أن يستكين لسيده الحلاحل، وللعراق أن يهلع لمليكه الرَّاحل. وأندب باسم العروبة خادماً أميناً من خدمة العروبة، وبطلاً كريماً من أبطالها

يكون الرجل وطنياً ولا يكون مجاهداً، ويكون وطنياً ومجاهداً ولا يكون حكيماً. ولكن فيصل بن الحسين جمع الثلاثة فكان وطنياً ومجاهداً وحكيماً

المرء عظيم بقدر الغاية السامية التي يضعها نصب عينيه، وعالم بقدر ما يستكشف لها من قوى يدفع بها أهل تلك الغاية الى الامام، وعامل بقدر ما يضع النظر موضع العمل والخيال على محز التطبيق. وكان المليك الرَّاحل عظيماً لأنه وضع نصب عينيه إنقاذ شعوب بحذافيرها، وعالماً لأنه استكشف ما فيها من قوَّة معنوية وثيقة تربطها بعضها ببعض، وعاملاً لأنه عرف كيف يضع تصوراته موضع التنفيذ

***

ثم ما هي الزَّعامة يا ترى ؟

الزَّعامة سلطة شخصية تجمع العدد الوافر من الخلق تحت لواء واحد لتأييد حق من الحقوق، مادية كانت أم معنوية. فالزعيم في العلم هو الذي يقود العقول ليحررها من الجهل ويعطيها مكانها من بحبوحة البحث. والزعيم في الدين هو الذي يقود النفوس لينقذها من السخافات ويطهرها في الأخلاق والأعراق. والزعيم في الوطنيَّة هو الذي يقود الشعب لينجيه من براثن العبودية ولعنة الذل والصغار

فهل كان فيصل زعيماً ؟

لقد كنا قبل هذه اليقظة القومية الحديثة متفرقين متشتتين ، حتى أصبحنا غرضاً نرمى بالقذائف في بلادنا وتشن علينا غارات الاضطهاد في عقر دارنا ، فلما لعلع صوت فيصل قالت له الامة لبيك وسعديك ، ثم أتته من كل فج عميق لتجتمع تحت اللواء الهاشمي الذي ارتفع هذه المرة لغاية قومية شاملة كما ارتفع منذ أربعة عشر قرناً لغاية إنسانية عالمية ، فسار وسار الخلق وراءه تحقيقاً لما لا ينازعهم فيه منازع من حق في الحياة الحرة المستقلة . ومضت هذه الجموع حتى قطعت شوطاً بعيداً تارة بالعنف والشدة ، وأخرى باللين والموادة إلى أن بلغت بعض الأقطار العربية مكاناً محموداً . ففيصل كان زعيماً لأنه قاد حركة برمتها في سبيل النجاة وعمل عمل الجبابرة لانقاذ شعب كامل من الأسر ووصمة الاستعمار . وما أغمض عينيه حتى كان لصوته هزة ترددت في العالم العربي الشاسع من المحيط إلى المحيط . أفلا يستحق الرجل الذي يرفع عن قومه ذل العبودية أن يدعى في سجل أقدارها زعيمها الجبار ؟

***

إن اسلوب فيصل في الحياة هو الاسلوب الذي يطلق عليه في الأدب كلمة « السهل الممتنع » فمن يتتبع سيرته في بيته وفي عشيرته وفي بلاطه ومع وزرائه وفي رحلاته وفي مقابلاته الداخلية والخارجية وأعماله الخاصة والعامة ـ لا يجد تقعراً ولا تعقيداً ، وهو بعيد عن الحوشي والمهجور ، ولا محل في سيرته للمماطلة ، بل يسيل في طرق الحياة كما يسيل الماء الزلال في الساقية خالياً من الكدرات والشوائب ليسقى الزرع ويستدر الضرع . وقد يبدو العمل الواحد من أعماله بمفرده هيناً ليناً ليس فيه مثار للدهشة أو الاستغراب ، ولكن متى انضمت أعماله بعضها الى بعض فهنالك الاعجاز والسحر الحلال !

قال فيصل وهو يجود بنفسه على فراش الموت : « إنني أموت مرتاحاً » وقد صدق ، لأن القائد الكبير المثخن بالجراح في ساحة الوغى لا يشعر بغصص الموت ، فالغاية العظيمة التي يزجي الفيالق لبلوغها هي أكبر من أن تدع للألم إلى فؤاده سبيلاً . وقد مات فيصل وهو عائم بتحقيق خطة عالمية غرضها إنقاذ ثمانين مليوناً من البشر يتكلمون لغة تدعى العربية ويعانون مرضاً يدعى الاستعمار . فاضطراب قلبه وضغط صدره وحشرجة الموت ـ كل ذلك كان أصغر من أن يلفت نظره عما وضع نصب عينيه من الهدف الأسمى

***

الموت مصيبة تعظم في عين الصغير الذي لاهمّ له إلاّ التمتع بملاذ الحياة البهيمية . ولكنه حادث طبيعي عند المشغول بالشؤون الكبرى . فكما تكون الولادة ظاهرة طبيعية لكل مولود كذلك الموت ظاهرة طبيعية للرجل الكبير

ليس حقاً أن كل من حمل على النعش وسار إلى المقبرة على أعناق الرجال وتوارى فى ظلمة اللحد انقطع عمله . إن الذي ينقطع عمله هو الصعلوك في نفسه الفقير في عقله والذي أمضى حياته على سطح الأرض أنانياً بالمعنى الاعتيادي الحقير ، هو الذي يسمن على هزال إخوانه ، ويثري على فقر بلاده ، ويرتقي على جماجم أبناء وطنه . ولكن فيصلاً كان قوياً في نفسه ، غنياً في عقله ، عاش لغيره لأنه هزل جسمه لسمن إخوانه وافتقر ماله لثروة بلاده وارتقى فى سلم المجد ولكن على جماجم أعداء العروبة . لذلك ما توارى في ظلمة اللحد حتى هبّت روحه من جديد تبعث الحياة في المبدأ الذي مات في سبيله . وما هذه المآتم التي تقام له في المشارق والمغارب إلاّ شهادة الشعوب العربيّة بخادم العربيّة الأمين . هذا هو الميت الحي وهذه هى أعمال الخالدين

وفى الصفحات الأولى من علم الطبيعيات أن القوة خالدة لا تتلاشى ، وإنما تتحول الى شكل آخر من الحركة والاهتزاز ، تتحول إلى صوت أو حرارة أو نور أو كهرباء أو غير ذلك ولكنها لا تندثر . وكذلك القوة الروحية ـ فهي تغيب عن الأبصار ولكنها لا تتوارى عن البصائر ، وهى تموت بالمعنى العامى ولكنها تتحول بالمعنى العلمي . ولئن انقطعت حياة فيصل المادية ولم تعد قائمة على الهواء والماء والغذاء فحياته المعنوية يقظى لن تموت ، لأنها تحولت إلى اهتزازات روحية تتغلغل فى صدور الملايين وعشرات الملايين من البشر . إنها لقوة هائلة لأنها استطاعت أن تقرب شعوباً متناكرة بعضها من بعض . وإنها لجذّابة ساحرة لأنها جمعت بلداناً متنائية حول مركز واحد هو الحياة العربية المستقلة . إنها لشمس من تلك الشموس الساطعة التي تسبح في فضاء اللانهاية وتتغلغل في أركان الأزل

هذا هو الخلود العلمي الذي يقيم لصاحبه تذكاراً من الانسانية وينحت له تمثالاً من الدّهر

عبد الرحمن شهبندر

٢ ـ عدلي باشا يكن

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

كان أول اتصالى بالمغفور له عدلى باشا فى سنة ١٩٢٠ عند ما قدمت لجنة ملنر الى مصر . فى ذلك الظرف أعلنت الامة المصرية مقاطعة اللجنة الانكليزية وأراد عدلى باشا ان يقف على ميول الشباب المصرى المتعلم . وكان صديقى الاستاذ محمود عزمى على اتصال من يومئذ بعدلى باشا وزملائه فى ذلك الحين : رشدى وثروت وصدق . وكان صدق باشا اشبه ما يكون بما يسمونه بالانجليزية ضابط اتصال بين العظماء الثلاثة عدلى ورشدى وثروت وبين الشباب المصرى المتعلم . وكنت أنا يومئذ وصديقى عزمى عضوين بالحزب الديمقراطى وقد عرفت منه أنا نستطيع ان نقف على معلومات فى السياسة تفيد فى توجيهات حزبنا إذا نحن اتصلنا عن طريق صدق باشا باقطاب الوزارة التى تكون الوفد المصرى سنة ١٩١٩ فى ظلالها . وضرب لى وله بالفعل موعداً مع صدق باشا فى كلوب محمد على . وتقابلنا وتحادثنا فى الامر وفى موقف مصر من لجنة ملنر . ثم اخبرنا صدق باشا ان عدلى باشا يسره ان يرانا . واقبل الرجل فرأيته لأول مرة بقوامه المشوق وطلعته البشوش فى وقار وهيبة ، ونظراته الحادة المملوءة ذكاء وروية ، وجلس الرجل ينصت الينا اكثر مما يحدثنا ، وبدا عليه الاقتناع بأن مقاطعة مصر للجنة ملنر كيما يكون الوفد المصرى هو وحده الذى يحادثها اكفل لسلامة الوحدة القومية

وسافر عدلى باشا بعد ذلك الى اوربا ووصل ما بين الوفد المصرى ولجنة ملنر وحضر محادثاتهما وكان له من التأثير ما يعرفه الذين تتبعوا حوادث ذلك الوقت . فلما انتهت المحادثات الى مشروع ملنر طلبت انكلترا الى عظمة السلطان إذ ذاك أن توفد حكومته وفداً يتفاوض لأقامة علاقة بين الدولتين غير الحماية . لجرى الحديث فى إسناد الوزارة التى تقوم بالمفاوضات الى المغفور له مظلوم باشا . وقد رأى جماعة منا يومئذ من أعضاء الحزب الديمقراطى أن اسناد المفاوضات لمن لم يكن لهم ضلع ظاهر فى النشاط السياسى الذى أدى بانكلترا الى طلب المفاوضة لا مصلحة لمصر فيه ، وأن عدلى باشا هو الرجل الذى يجب أن تسند له الوزارة . وقد خاطبه بعضنا برأينا فأراد أن يتحدث الينا وضرب لنا موعداً بمنزله بقصر الدوبارة . وكنا يومئذ عشرين أو ثلاثين أكثرنا من الشبان المتعلمين أو الذين أتموا تعليمهم فى أوربا . وجعل الرجل ينصت الينا اكثر مما يحدثنا وكل همه أن يقتنع بأن الشباب المتعلم يؤيده فى مهمته ، ايماناً منه بأن الشباب المتعلم نزيه القصد ، وبانه هو الذى يوجه تيار الرأى العام . ولعله يومئذ كان يخشى ـ إذا انتهت المفاوضات الى معاهدة ـ أن تثور فى البلاد عناصر متطرفة تطرفاً لا يستند الى قوة حقيقية تشد أزره ، ولكنها

تستطيع مع ذلك أن تشوه مقاصد المعاهدة التي تعقد ، فاراد عدلي أن يطمئن الى وقوف الشباب المثقف في صفه ليوجه الرأى العام لمصلحة مصر توجيهاً يجنبها طغيان التطرف الطائش ، وما يجره التطرف الطائش من سوء النتائج

وكنت مؤمناً بأن سعد باشا والوفد المصرى يجب أن يظل بعيداً عن المفاوضة الرسمية واقفاً منها موقف الرقيب ليوجه الرأى العام فى امرها التوجيه الذى تقضى به مصلحة البلاد . فلما اختلف سعد وعدلى لم أتردد فى الوقوف فى صف عدلى وقوفاً هيأ لى مقابلته بضع مرات قليلة قبل سفره على رأس الوفد الرسمى للمفاوضة . وكانت مرات قليلة لكثرة مشاغل الرجل من ناحية ، ولما فى طبعى من الحياء ، حياء يحول بينى وبين الاكثار من التردد على من لا تربطنى بهم أواصر أدنى الى الصداقة منها الى أى شىء آخر . فى هذه المرات القليلة كنت أرى الرجل كثير التفكير فى الموقف الذى نشأ عن خلاف سعد معه ، وكنت أراه محاطاً دائماً برشدى وثروت وصدقى ، حتى كان - اذا دخلت اليهم فى غرفة رئاسة الوزارة - يدع مكتبه وينتحى وإياى جانباً من الغرفة الفسيحة الى مقعد عند إحدى نوافذها . وكان فى هذه المرات أيضاً قليل الكلام كثير الانصات ظاهر القلق ، لا على مصير وزارته ، ولكن على مصير المفاوضات التى يوشك أن يتولاها . وقد علمت أنه فكر يومئذ فى الاستقالة لولا ما أعلن المغفور له سعد باشا من أنه ثائر على الحكومة المصرية ، ولولا خوف عدلى ، إذا تنحى هو عن الوزارة فأسندت الى غيره فاختلف هذا الغير مع سعد ، أن يلجأ فى تصرفاته الى وسائل لا يرعى فيها من الحكمة النصيب الذى تقضى به المصلحة الوطنية ، فتؤدى الأمور فى تلك الآونة الدقيقة الى نتائج غاية فى الخطورة

لم تنجح المفاوضات فعاد عدلى واستقال وبقيت الحكومة المصرية بغير وزارة من ٨ ديسمبر سنة ١٩٢١ الى أول مارس سنة ١٩٢٢ حين الف ثروت باشا وزارته بعد أن اعترفت انكلترا من جانبها بمصر دولة مستقلة ذات سيادة مع الاحتفاظ بالمسائل الأربع المعلقة فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ لمفاوضات مقبلة . وكأثر لسياسة التصريح الفت وزارة ثروت باشا لجنة لوضع دستور لمصر يهىء الجو لعقد معاهدة مع انكلترا . فلما وضع مشروع هذا الدستور بدت فى الجو ظاهرات تدل على أن صدوره لن يكون سهلا ، فألف عدلى باشا حزب الأحرار الدستوريين واتفق على انشاء جريدة السياسة لتكون لسان حاله وطلب إلى أن أكون رئيساً لتحريرها . من ذلك الوقت ازدادت صلاتى بعدلى مما جعلنى أزداد له معرفة ولصفاته تقديراً . عرفته رجلا عف اللسان نزيه القصد أبياً لا يتعلق قط بالصغائر ويسمو بنفسه عن أن يوجه الحقد تفكيره . لا يبطره الظفر ولا يدعوه الى الاندفاع لما بعد الغاية التى اليها يقصد ، ولا تفجعه الهزيمة أو تدعوه للنزول عن رأى من آرائه . تولت وزارة توفيق نسيم باشا فى أول ديسمبر سنة ١٩٢٢ لتكون صلة مابين القصر والوفد فابعدت من كانوا يلقون من وزارة ثروت باشا عضداً . فلما

أبلغت انكلترا انذارها الخاص بنص السودان من نصوص الدستور ، وتراجعت وزارة نسيم باشا و بدت عليها بوادر الهزال الذى يسبق الاستقالة جاء عدلى باشا الى دار السياسة حيث كانت بنمرة ١٠ فى شارع المبتديان ، فاستقبلته أول ما اقبل ووقفت واياه فى الشرفة المطلة على حديقة الدار ، فاخبرنى أن الوزارة قدمت استقالتها أو أوشكت وأظهر لى أنه يسره أن تقابل السياسة هذه الاستقالة بكل قصد واعتدال . ودعى رحمه الله ليؤلف الوزارة التى تعقب وزارة نسيم فوضع برنامجاً نشرته السياسة أياماً متكررة اساسه عود وحدة البلاد . ومع أن الأمر ظل بين يديه اسبوعين كاملين أبدت مصر خلالهما ميلا الى تحقيق هذه الوحدة فان ظروفاً خاصة جعلته يتنحى عن تأليف الوزارة مما دل على أن الظفر السياسى الذى فاز به الأحرار الدستوريون حين استقالت وزارة نسيم باشا لم يجعل عدلى يسارع الى الحكم متأثراً بهذا الظفر حريصاً على الحكم لذاته . وفى أواخر سنة ١٩٢٣ أثناء المعركة الانتخابية الأولى التى أعقبت صدور الدستور القى الأستاذ محمد على علوبه باشا خطاباً انتخابياً بفناء السياسة (١٠ شارع المبتديان) وجه فيه أموراً معينة للمغفور له سعد زغلول باشا تردد بعض اعضاء الحزب فى صواب نشرها . فذهبت فقابلت عدلى باشا بداره بقصر الدوبارة وعرضت عليه الفقرات موضع الاعتراض فى النشر . فسألنى رأيى . فقلت إن عبارة واحدة تتعلق بصاحب العرش وما دار فى محادثات ملنر عنه هى التى تقتضى الحكمة الاشارة اليها دون ذكر نصها . أما ما سوى ذلك فقد قاله سكرتير الأحرار الدستوريين بحضرة الفين أو يزيدون فلا يمكن اغفال نشره . وتحادثنا فى الأمر فابدى هو بعض ملاحظات على رأيى فاصررت عليه ، وخرجنا معاً الى الكلوب محمد على فوجدنا صدقى باشا به فعدنا نتحدث فى الأمر . وانضم صدقى باشا الى ملاحظات عدلى باشا وتمسكت أنا برأيى ، فسأل عدلى عن ثروت فقيل إنه غادر منزله حاضراً الى الكلوب . ولن أنسى قط دخوله الينا فى غرفة استقبال الزائرين وجلوسه على الكنبة فى صدر المكان و مشاركته إيانا الحديث وطلبه منى أن اطلعه على الفقرات موضع الاعتراض ووضعه منظاره على عينيه وتلاوته الفقرات وهو يرفع النظارة الى جبينه حيناً ويهبط بها الى عينيه حيناً ثم تأييده أن خطابا ألقى بالحزب لا يمكن عدم نشره لأن كرامة الحزب مرتبطة بهذا النشر . فلما اشار عدلى باشا الى الفقرة الخاصة بالجالس على العرش والى ما اقترحت انا من الاكتفاء بالاشارة اليها تردد ثروت فى قبول رأيى تردداً رأيت عدلى باشا يكاد ينضم له . لكنهم آثروا آخر الأمر مراعاة اللياقة فى هذا المقام وحده . وكذلك كفت الاشارة الى كرامة الحزب ليتنازل عدلى عن ملاحظاته الأولى وأذن بأن ينشر الخطاب كما هو مع الاشارة الى الفقرة الخاصة بالعرش

ولما تمت تلك الانتخابات فى ١٢ يناير سنة ١٩٢٤ وفاز فيها سعد فوزاً اسندت اليه الوزارة بعده رأى عدلى ظاهرة كانت الأولى من نوعها ، أو كانت على الأقل واضحة وضوحاً لم يسبق مثاله .

فجماعة من النواب الذين انتخبوا أحراراً دستوريين ، و بعضهم متعلم التعليم العالى ، وبعضهم غنى طائل الغنى ، و بعضهم عضو بمجلس ادارة الأحرار الدستوريين ، ما فتئوا أن رأوا سعداً تولى الحكم وعزل بعض المديرين وأخذ بسياسة الشدة فى الحكم حتى تركوا صفوفهم فى الاحرار الدستوريين واعلنوا انضواءهم تحت لواء سعد. ولما كان النضال العنيف مما لا تسيغه نفس عدلى فانه رأى فى هذه الظاهرة ما زاده رغبة عن النضال وميلا الى اعتزال الحياة الحزبية . وقد ترك رئاسة الأحرار الدستوريين بالفعل فى ذلك الظرف ولم يعد من بعد اليها ، وإن بقى حراً دستورياً طوال أيامه ، وإن بقى طوال أيامه حريصاً على فكرته الأساسية ، وهى أن وحدة الأمة وحدة صادقة نزيهة القصد بعيدة عنشوائب الاغراض الذاتية هى وحدهاوسيلة النجاح فى تحقيق غاياتها

بقى حراً دستورياً طوال أيامه . كان كذلك أيام وزارة الائتلاف فى سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٧ ، وبقى كذلك فى ظرف حسبه الاحرار الدستوريون قد تغير عليهم كل التغير . ذلك حين تولى الوزارة لاجراء الانتخابات فى سنة ١٩٢٩ بعد استقالة وزارة محمد محمود باشا . فى ذلك الظرف أخذ الأحرار الدستوريون عليه أنه خالف سياسة وزارة الأحرار الدستوريين بما أجرى من نقل المديرين ومن دعوته الوفديين دونهم الى مأدبة ١٩ اكتوبر عقب توليته الوزارة مباشرة ومن بعض أمور أخرى قد يراها الانسان اليوم صغيرة ولكنها تبدو جسيمة فى ظرفها . وقت فى السياسة بحملة حول الأمر الملكى الذى صدر فى ١٩ يوليه سنة١٩٢٨ أول قيام وزارة محمد محمود باشا وطلبت الى الوزارة أن تبدى رأيها فيما اذا كان هذا الامر باطلا أم غير باطل . إذ ذاك دعانى عدلى باشا لمقابلته بالاسكندرية فرأى اخوانى الأحرار الدستوريون أن يحملونى اليه عتبهم عليه . فلما سردت أمامه مواضع العتب ناقشها واحدة واحدة فى سكينة وهدوء ، ثم قال : وهل تحسب أنت او يحسب الأحرار الدستوريون أن يكون عطفى يوما ما مع غيرهم ؟

وبقى حراً دستورياً طوال أيامه . فلما عرضت فكرة الوزارة القومية وأشار اليه مندوب انكلترا السامى بصددها فى أواخر سنة ١٩٣١ وحدثت مناقشتها فى سنة ١٩٣٢ كان تفكيره فيها حراً دستورياً . لكنه كان يختلف مع الأحرار الدستوريين فى أنه كان عزوفا عن النضال الذى يحبون ، وكان لا يرضى التقدم الى العمل السياسى إلا فى الجو المطمئن . وميله عن النضال العنيف وعدم حرصه على تولى الحكم الا حيث يصفو الجو جعله من المصريين القلائل الذين تستطيع أن تتبع آراءهم وحياتهم فتراهم متفقين دائماً ، وترى بينهم وحدة متصلة رغم كل التطورات ، وحدة اوضح مافيها نزاهة القصد وسمو الكرامة

محمد حسين هيكل

٣ - داود بركات

بقلم صديقه الاستاذ خليل مطران

هذه أول مرة أخط بها اسمه بعد وفاته. سألتمونى أن أقول كلمة فى رثائه وغير يسير ما سألتمونى. أأعكف بصرى على قلبى وفيه جرح متسع كاتساع القبر؟. أأنبش منه ذكريات كلها دام وكلها أليم؟. أقبل الاندمال وقبل أن يفعل الزمن فعله فى تسكين سورة النوازع يتأتى لى أن اخرج صورة لداود وهى الصورة البهية الرائعة التامة التى أعرفها له، الصورة المعدة للخلود فوق اعراض الحياة - فوق الحوادث والأهواء، فوق العوامل الوقتية التى تتنكر معها الاعلام؟ لقد كلفتمونى ما لا تعين عليه الساعة

أخط اسم داود بركات واطرق كثيراً وأفكر ملياً فى ذلك الذى ملأ باسمه الاسماع والابصار فى الشرق طيلة أربعين عاماً، يوماً بيوم، ثم سجا متواريا بالحجاب تاركا ذلك الاسم يدوى فى الحنايا أو تنطلق به الالسنة أو تعود اليه الاذهان فى التماس حكمة توحى أو نور يقتبس أو سنن يستن لحل المعاضل أو لدرء المكاره أو للذود عن الحقوق أو لدفع المظالم والمغارم أو لتوخى الاصلح والاجدى للناس فى كل حال، أفكر ثم افكر وأعود ملتزماً جانب الاجمال لان التفصيل يسومنى ما لا قبل لى به الآن

أربعون سنة عرفت داود فيها وصادقته وماشيته الى غاية كانت الغاية التى توافقت امانينا لادراكها فى خدمة مصر خاصة والاقطار العربية عامة، أربعون سنة لم أزدد فيها إلا حباً له واعجاباً به، من لى بان يسكن روعى ويصفو ذهنى ابان فجيعتى لاستخلص منها ما يمثله تمثيلا يفى بعض الوفاء بما يجب

ترون ياقرائى الكرام اننى احوم حول الموضوع ولا اجرؤ على طرق بابه والدخول فيه، فامنحونى عذراً وحسبكم منى أن أصف جانباً منه وهو جانب الصحفى بكلمات تتضمن كل منها حقيقة لم يفت علمها أحدا منكم

داود صحفياً

كان رحمه الله على استعداد فطرى للجد فى كل عمل يتولاه. فلما احترف الصحافة ونفسه انزع اليها وأكلف بها لم يضن عليها بكل جهده وكل وقته ولم يأذن لامر غير عالق بها ان يشغله عنها، فعنى بالكثير والقليل من شؤونها ورقب الصحف الغربية الكبرى فى اطوار تكاملها

المصطلح الشريف أو نظم «البروتوكول» في الدول الاسلامية المصرية

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

تنظم العلائق الدبلوماسية فى عصرنا بين مختلف الدول وفقاً لعهود واجراءات خاصة ، يرجع بعضها إلى أحوال القانون الدولى العام التى أقرتها الامم الغربية فى العصر الحديث لتكون حكماً بينها فيما يمس علائقها ومصالحها الخارجية ، ويرجع البعض الآخر الى ما جرت عليه الدول من رسوم وتقاليد خاصة أدمجت مع الزمن فى قوانين ولوائح خاصة . ومن هذه الرسوم والتقاليد ما يعرف فى اصطلاح الدبلوماسية الحديثة « بالبروتوكول » ، وهى كلمة اشتقت من اليونانية ، ومعناها فى الاصل المسودة أو الصورة الاولى لماهدة أو وثيقة أو مكاتبة سياسية . وتطلق أحياناً على بعض العهود والاتفاقات الدولية ، ولكنها تطلق بالاخص على الرسوم والاجراءات التى تجرى عليها دولة من الدول فى تنظيم علائقها الخارجية ، سواء فى اجراء المفاوضات السياسية أم فى عقد المعاهدات ، اومخاطبة الدول الاخرى أو استقبال ممثليها ومعاملتهم ومجاملتهم أو تحرير المكاتبات الدبلوماسية . وتتفق معظم الدول المتمدنة فى تنظيم « البروتوكول » على أصول وقواعد مماثلة ، وان كانت تختلف فى كثير من التفاصيل التى ترجع إلى التقاليد الخاصة

وقد عرفت الدول الاسلامية نظم « البروتوكول » فى عصر متقدم جداً ، كما عرفت نظم التمثيل السياسى . فالعلائق الخارجية والمفاوضات السياسية والمكاتبات الدبلوماسية والاستقبالات الملوكية ، كانت تجرى فى الدول الاسلامية وفقاً لقواعد وتقاليد خاصة تراعى فيها ظروف الدولة أوالامير الذى تعقد معه العلائق أو تجرى معه المفاوضة او المراسلة ، ومدى سلطانه ومنزلته من القوة والنفوذ ، ومدى الاشتراك فى المصالح بين الدولتين . وكان أمر هذه العلائق والمفاوضات والمراسلات يرجع بالاخص إلى ديوان الكتابة والرسائل أو ديوان الانشاء . ولهذا الديوان أهمية خاصة فى نظم الدولة الإسلامية ، ولا سيما فى عصورها المتأخرة ، فقد كان مجمع العلائق والمخاطبات السلطانية ، ومصدر الاوامر والمراسيم السلطانية ، ومرجع العلائق والمكاتبات الدبلوماسية . وفى هذا الديوان نشأت

أصول « البروتوكول » وتقاليده فى الدول الاسلامية . وقد تأثرت هذه الاصول والتقاليد الدبلوماسية فى البداية بتقاليد الدولة البيزنطية ، التى كانت أعرق الدول القديمة نظما وحضارة ، ولكن الدول والقصور الاسلامية استطاعت قبل بعيد أن تنشىء لها نظما ورسوما خاصة تتميز بطابعها الاسلامى . وبلغت هذه النظم والرسوم فى دول السلاطين المصرية اوج الدقة والفخامة والبهاء ، خصوصا مذ خاضت مصر غمار الحروب الصليبية وتولت زعامة الاسلام فى المشرق ضد النصرانية ، واشتبكت فى خصومات ومحالفات وعلائق دبلوماسية لانهاية لها ، مع معظم الدول النصرانية وأصبحت كعبة العلائق بين الاسلام والنصرانية

وكانت مجموعة الرسوم والاجراءات التى تجرى عليها دولة السلاطين المصرية فى هذا الميدان تعرف « بالمصطلح الشريف » أو تكون جزءاً منه لان « المصطلح الشريف » كان يشتمل أيضاً فضلا عن رسوم العهود والمفاوضات ورتب المكاتبات السلطانية الداخلية والخارجية ، على اجراءات المناشير والمراسيم والتوقيعات . والمصطلح الشريف فى الدول الاسلامية يقابل فى عصرنا نظم « البروتوكول » تقريباً ولو أنه أوسع مدى . وكان لهذه النظم فى البلاط المصرى فى العصور الوسطى أصول وتقاليد راسخة ، تثير الدهشة والاعجاب بدقتها وروعة تنسيقها . ويكفى ان نستعرض طرفا من المكاتبات والمراسلات الدبلوماسية التى كانت تجرى بين البلاط المصرى وبين مختلف الدول النصرانية لنرى الى أى حد كان البلاط المصرى عليما بنظم هذه الدول وتقلباتها السياسية ، وسير علائقها الدبلوماسية . وكانت هذه الدول عديدة منذ الدولة البيزنطية إلى الدول والامارات الايطالية ، ثم الدول الغربية الاخرى التى ازدادت مصر بها معرفة وعلائق منذ الحروب الصليبية كفرنسا والمانيا وانكلترا . وكان البلاط المصرى يتتبع شؤون هذه الدول وأحوالها بمنتهى الدقة ، ولها فى قلم « المصطلح الشريف » بديوان الانشاء ملفات ووثائق خاصة

واليك نماذج موجزة من هذه المكاتبات والمراسلات الدبلوماسية الشهيرة التى كان البلاط المصرى يوجهها الى مختلف الدول النصرانية :

(١) لبثت الدولة البيزنطية مدى عصور زعيمة الدول النصرانية فى نظر الاسلام . وكان قيصر قسطنطينة لذلك يوضع على رأس أمراء النصرانية فى ترتيب المصطلح الشريف ويخاطب على النحو الآتى : « ضاعف الله تعالى بهجة الحضرة العالية المكرمة حضرة الملك الجليل الخطير الهمام الاسد الغضنفر الباسل الضرغام المفرق الاصيل الممجد الاثير الاثيل البلالاوس الريد أرغون ضابط الممالك الرومية جامع البلاد الساحلية ، وارث القياصرة القدماء ، محيي طرق الفلسفة والحكماء ، العالم بأمور دينه

العادل فى ممالكه معز النصرانية مؤيد المسيحية أوحد ملوك العيسوية مخول التخوت والتيجان حامى البحار والخلجان آخر ملوك اليونان ملك ملوك السريان رضى الباب بابا رومية ثقة الاصدقاء صديق المسلمين أسوة الملوك والسلاطين .... (فلان) » الخ أو يلقب بعد النعوت السابقة بما يأتى : « الضوقس الانجالوس الكمنينوس البالالوغوس (١) صديق الملوك والسلاطين .... » الخ (٢)

(٢) وكان البابا زعيم النصرانية الدينى يخاطب بما يأتى : « ضاعف الله تعالى بهجة الحضرة السامية الباب الجليل القديس الروحانى الخاشع العامل بابا رومية عظيم الملة المسيحية قدوة الطائفة العيسوية مملك ملوك النصرانية حافظ الجسور والخلجان ملاذ البطارقة والاساقفة والقسوس والرهبان تالى الانجيل معرف طائفته التحريم والتحليل صديق الملوك والسلاطين .... الخ » (٣)

(٣) وكانت الدول والامارات الايطالية المختلفة برغم اختلاف مراتبها وتباين زعامتها ونظمها تعرف جيداً فى ديوان الانشاء المصرى . وتدرس وترتب فى المصطلح الشريف بدقة . فكانت المكاتبة الى جمهورية البندقية توجه الى رئيسها الدوجى أو الدوج على النحو الآتى : « وردت مكاتبة حضرة الدوج الجليل المكرم الخطير الباسل الموقر المفخم مركريادو فخر الملة المسيحية جمال الطائفة الصليبية دوج البندقية والمانسية دوج كرال دين بنى المعمودية صديق الملوك والسلاطين .... » الخ

والمكاتبة إلى رؤساء جمهورية جنوم على النحو الآتى : « صدرت هذه المكاتبة إلى حضرة البودشطا والكبتان الجليلين المكرمين الموقرين المبجلين الخطيرين ... والمشايخ والاكابر المحترمين أصحاب الرأى والمشورة الكمون بجنوه أمجاد الامة المسيحية أكابر دين النصرانية أصدقاء الملوك والسلاطين ... » الخ (٤)

وكانت جنة أو جوانا ملكة نابولى « نابل » تخاطب بما يأتى : « صدرت هذه المكاتبة الى الملكة الجليلة المكرمة المبجلة الوقورة المفخمة المعززة « فلانة » العالمة فى ملتها العادلة فى مملكتها كبيرة

---

(١) الضوقس هي Dux اللاتينية ومعناها الزعيم أو القائد . وكمنينوس Comnenus وبالالوغوس palaeologus من القاب الاسر التي تولت عرش قسطنطينية : الاولى في أواسط القرن الحادى عشر ، والثانية منذ أواخر القرن الثالث عشر

(٢) راجع صبح الاعشى ج ٨ س ٤٤ و ٤٥

(٣) صبح الاعشى ج ٨ س ٤٣

(٤) صبح الاعشى ج ٨ س ٤٦ و ٤٧ والبودشطاهوال Podesta كبير القضاة في بعض الجمهوريات الأيطالية فى العصور الوسطى . والكبتان Capitane مقدم الجيش أو الاسطول وكان على رأس جمهورية جنوة في العصر الذى نتحدث عنه . والكمون Commune شكل حكومة جنوة حينا

دين النصرانية نصيرة الامة العيسوية حامية الثغور صديقة الملوك والسلاطين . . . » الخ

هذه نماذج قليلة من مجموعة حافلة انتهت الينا من هذه المكاتبات والوثائق الدبلوماسية التى كان ديوان الانشاء المصرى يجرى فى وضعها على أصول وتقاليد خاصة ، ويدخل فى هذه الوثائق بالطبع صور المعاهدات والعهود والامانات والمراسيم الخارجية المختلفة مما لا يتسع المقام لنقله . وكانت المكاتبات والوثائق المختلفة تصاغ بصور وأساليب مختلفة من حيث البداية والنهاية طبقا لاهميتها أو مقام الطرف المخاطب فيها . كذلك كان نوع الورق الذى تكتب فيه وحجمه وقطعه مما يختلف باختلاف الاشخاص والظروف

وقد انتهى الينا فى هـذا الموضوع أثران فى منتهى الاهمية والطرافة أولهما كتاب « التعريف بالمصطلح الشريف » لشهاب الدين بن فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م وصاحب الموسوعة الجغرافية الشهيرة « مسالك الابصار فى ممالك الامصار » . والثانى كتاب « صبح الاعشى » لابى العباس القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ هـ ١٤١٨ م وهو موسوعة عظيمة حافلة . وكان العمرى على رأس ديوان الانشاء والرسائل أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون فنهض به وملأه بآثاره واستحدث فيه كثيراً من الرسوم والصيغ . وكتب كتابه « التعريف بالمصطلح الشريف » يشرح فيه رتب المكاتبات واجراءات العهود والتقاليد والتفاويض والمراسيم والمناشير وصيغها ، ويقدم الينا نماذج عديدة من الوثائق والمكاتبات الرسمية والدبلوماسية ، وقد تناول العمرى فوق ذلك أحوال الممالك النصرانية فى عصره ونظمها الحكومية فى فصـل خاص فى موسوعته « مسالك الابصار » عنوانه « أمر مشاهير ممالك عباد الصليب فى البر دون البحر (١) » وأما « صبح الاعشى » فهو موسوعة أدبية تاريخية جغرافية كبيرة . وقد عنى صاحبه بالاخص بموضوع الانشاء والرسائل وأفاض فى نظمها واجراءاتها وتطورها فى مختلف العصور والدول الاسـلامية وأورد لنا نماذج عديدة من المكاتبات السلطانية والدبلوماسية . وبه مئات من الوثائق التى تلقى اكبر الضياء على تاريخ مصر السياسى وعلائقها الدبلوماسية فى العصور الوسطى

محمد عبد الله عنان
المحامى

---

(١) نشر المستشرق الايطالى اماري هذا الفصل مقرونا بترجمة ايطالية بعنوان : Condizioni delgi Stati cristiani delle Occidente (سنة ١٨٨٣) . وأما كتاب « مسالك الابصار » فلم ينشر منه سوى جزء واحد نشرته دار الكتب . وبالدار نسخة فتوغرافية كاملة منه في عشرين مجلداً كبيراً

شخصيات الشهر

(سيتناول هذا الباب الكلام على الشخصيات الشرقية والغربية التي يتردد ذكرها في خلال الشهر . ولم يتناول الكاتب الكلام اليوم عن الملك فيصل وعدلي يكن باشا وداود بركات ، اذ قد تكلم عنهم ثلاثة كتاب أفذاذ في أول هذا الجزء)

الملك غازي

ورث المغفور له الملك فيصل عن والده الملك حسين الهاشمي روح البداوة واخلاقها مع الاقدام والذكاء والشجاعة ، ثم صقل هذا كله باقامته فى الاستانة سنوات قبل الحرب العظمى ، وبسفره الى أوربا بعد ذلك غير مرة ، حتى اذا ارتقى عرش سورية أولا ثم عرش العراق عرف كيف يجمع بين التقاليد والعادات العربية ومقتضيات الحضارة والعمران فى العصر الذى يعيش فيه . ولم يعمر ملكه فى سورية لكى تظهر آثاره فيها، ولكنها تجلت فى العراق حيث أتيح له أن يحقق جانباً كبيراً من مشروعاته الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ، مع انهما كد بحل قضية البلاد السياسية ، وقد أظهر فى حلها حنكة وبراعة اكسبته منزلة خاصة فى نفوس العرب قاطبة . فانه لما عقد المعاهدة الاولى مع انجلترا قابلها العراقيون بالاستهجان والاستنكار واتهمه الناس بمشايعة السياسة الانجليزية وتنفيذ أغراضها فى حين أنه لم يكن يشايعها بل كان يسايرها ، ولم يكن ينفذ اغراضها بل كان يتفادى اضرارها ، رغبة منه فى اكتساب ثقة الانجليز ، حتى إذا اكتسبها جاء لبلاده بمعاهدة ثانية حلت محل الاولى ثم ألغيت الثانية بدورها وامضيت معاهدة ثالثة . وكذلك ظل فيصل يخطو خطوة ويجتاز طريق الاستقلال مرحلة مرحلة الى أن فاز بالغاء الانتداب ونال اقراراً باستقلال العراق عزز بقبوله عضواً فى جمعية الامم . وعندئذ عرف العراقيون والعرب حقيقة فيصل فأكبروه وكأن العناية لم تشأ أن ينتقل إلى جوار ربه قبل ان يثبت للعالم ما وصل اليه العراق على يده فوقعت فتنة الاشوريين فأخمدها الجيش العراقى بما دعم استقلال البلاد . وليس هذا الجيش سوى اثر من آثار فيصل فى العراق

وكانت وفاة الملك فيصل فى سويسرا فما كاد نعيه يصل الى بغداد حتى نودى بوحيده « غازى » ملكا على العراق خلفاً له وهو فى العشرين من عمره

وقد تلقى جلالة الملك غازى علومه الاولية فى الحجاز . وقيل انه سمى « غازى» لأن والده كان يغزو حين ولادته . ولما جلس الملك فيصل على عرش العراق جاء لولى عهده بمعلمين يعلمونه العربية والانجليزية والعلوم الرياضية والتاريخية والجغرافية ، حتى اذا بلغ الثالثة عشرة أرسله الى انجلترا وألحقه بكلية من أشهر كلياتها فخبر المدنية الافرنجية وزار أشهر العواصم الاوربية

وكأن الفقيد العظيم كان يشعر بان أجله قصير فما كاد ولى عهده يمضى فى انجلترا نحو ثلاث

سنوات حتى اعاده الى العراق لينشأ نشأة قومية وادخله المدرسة الحربية العراقيه فأفادته السنوات الثلاث التى مكثها فيها فائدة عظيمة لاسباب شتى ، اهمها اختلاطه بنخبة من الشبان العراقيين ووقوفه على حقيقة امانى الشعب ومراميه

وكان جلالته ينتهز كل فرصة تسنح له فى خلال تلك السنوات الثلاث فيزور مقاطعة عراقية دارساً أحوالها . ولما تخرج فى المدرسة الحربية منذ نحو سنة عينه والده ياوراً عنده ليكون على مقربة منه وليشركه فى ادارة شؤون المملكة . ولما سافر رحمه الله الى اوربا فى الصيف الماضى اقامه نائباً عنه . وفى أثناء توليه العرش بالنيابة اندلعت نار فتنة الاشوريين فاثبت بشجاعته وحزمه انه ابن فيصل وأحبه الشعب وتعلق به

وما كاد جلالته يعتلى العرش حتى عقد خطبته على ابنة عمه كريمة جلالة الملك على ملك الحجاز السابق ، فقابل العراقيون هذا النبأ بارتياح لما اشتهر به الملك على من مكارم الاخلاق

ويبدو غازى لمن يعرفه ضعيف البنية ولكنه فى الحقيقة قوى البنية. وقد تشرفت بالاجتماع به ومحادثته غير مرة ، سواء كان ذلك فى القاهرة أم فى بغداد ، فوجدته دائماً صورة لابيه العظيم فى بساطته

نادر شاه وظاهر شاه

يرى السائر فى «كابل» عاصمة افغانستان نصباً تاريخياً قائماً فى ميدان من اكبر ميادينها لتخليد ذكرى فوز افغانستان بتحقيق استقلالها بعد حرب دامية دارت رحاها بينها وبين الانجليز فى عهد الملك امان الله . وقد كتب على هذا النصب انه «شيد لتخليد النصر الباهر الذى احرزه المرشال نادر خان على الانجليز فى حرب الاستقلال»

وليس «المرشال نادر خان» الذى يعده الافغان بطل استقلالهم سوى الملك نادر شاه الذى نعته الينا التلغرافات أخيراً قائلة انه اغتيل بيد طالب افغانى اثيم

ولم يكن جلالته دخيلا على العرش فانه كان يمت للعائلة المالكة بصلة القرابة والنسب من زمان طويل . وانتظم فى سلك الجيش وهو لايزال فى ريعان الشباب ، ولما دارت رحى الحرب بين الافغان والانجليز كان جلالته القائد العام للجيش الافغانى ، وخيل الى الملك أمان الله يوماً ان الانجليز سيتغلبون على جيشه ، فكتب الى قائده العام نادرخان يستشيره فى الشروط التى يشترطها الانجليز لعقد الصلح ، وكانت هذه الشروط تنطوى على بسط حماية مقنعة على افغانستان ، فرد عليه قائلا : إنه مادام فى الافغان عرق واحد ينبض فمن العار عليهم ان يسلموا بتلك الشروط ، ومضى فى منازلة الانجليز الى ان تغلب عليهم واضطرهم الى عقد صلح شريف مع مليكه

ولكن الملك أمان الله لم يعرف كيف يستفيد بهذا النصر العظيم وأخذ يسير على غير إرادة الشعب فنبهه نادر خان الى خطئه ، فلم يتنبه ، فاعرب له حينئذ عن رغبته فى الرحيل عن البلاد ، فعينه سفيراً لافغانستان فى باريس فتقلد هذا المنصب فترة من الزمن ، ثم استقال منه أيضاً لمخالفته

لامان الله فى كل أعماله واجراءاته واعتزل الحياة العامة فى بقعة هادئة فى فرنسا

وظل نادر خان مقيما فى فرنسا الى أن تنازل امان الله عن العرش وقبض اللص « بجه سقا » على زمام الحكم فى افغانستان وبالغ فى ظلمه وفساده ، فقرر نادر خان عندئذ أن يعود الى بلاده بالرغم من اعتلال صحته لينقذها من شر « بجه سقا » فعاد اليها عن طريق قنال السويس والهند وما كاد يطأ أرض وطنه حتى التفت حوله جموع كثيرة فألف منها جيشاً قوياً قاوم به جيش « بجه سقا » الى أن تغلب عليه ودخل « كابل » ظافراً فأبى « بجه سقا » مع ذلك ان يستسلم وظل يحارب الى ان أسره رجال نادر خان وزجوه فى السجن

ونادى الافغان بنادر خان ملكا عليهم فقبل العرش بعد إلحاح شديد منهم ، وكان أول ماعمله أن تنازل عن حقوقه فيما يتعلق « ببجه سقا » ولكن زعماء القبائل ورؤساء العشائر أبوا أن يتنازلوا عن حقوقهم من جهتهم وأعدموه بانفسهم

وانصرف الملك نادر شاه بعد اعتلائه العرش الى تنظيم الحكومة فنظمها على القواعد الحديثة ثم أعاد تنظيم الجيش وانشا مجلساً تمثيلياً للامة ومحكمة لفض المنازعات التجارية ومجلساً لترقية الجيش وجمعية لاحياء اللغة الافغانية ، وهذا علاوة على تعبيد الطرق وانشاء الملاجىء وبناء المستوصفات والمستشفيات

وبينما كان الافغان والشرقيون يعلقون آمالا واسعة على هذا الملك العظيم فوجئوا بنبأ اغتياله ولم ينقض على جلوسه على العرش أكثر من أربع سنوات ، وليس له من العمر أكثر من خمسين سنة

* * *

وحذا الافغان حذو العراقيين فما كاد نبأ مصرع ملكهم ينتشر بينهم حتى بايعوا وحيده « محمد ظاهر شاه » ملكا عليهم بدلا منه . وقيل فى بادىء الأمر إن اشقاء الملك الراحل لم يبايعوا الملك الشاب الجديد وان بعضاً منهم يطمع فى العرش ، ولكن الاخبار الرسمية مالبثت أن جاءت بأن المبايعة شملت جميع الطبقات بما فيها طبقة الامراء وأشقاء الملك الراحل

وما يزال الملك الجديد فى العشرين من عمره ، وقد اقام مع والده فى فرنسا أربع سنوات أو أكثر قليلا ثم عاد معه الى افغانستان وانتظم فى سلك المدرسة الحربية فى كابل وتخرج فيها فى السنة الماضية بعدما تخصص فى البيادة والمدفعية الخفيفة ، فعينه جلالة والده وكيلا لوزارة الحربية ثم عينه وكيلا فخرياً لوزارة المعارف ، وكان الغرض من هذين التعينين تدريبه على تصريف شؤون الدولة . والملك الجديد متزوج وله أولاد

وقد كان أحد عمومته رئيساً للحكومة فى عهد والده فاحتفظ بهذا المنصب

كاظم الحسيني باشا

كان من نتيجة اضطهاد اليهود فى المانيا انهم اخذوا يفدون على فلسطين وكانت كل باخرة ترسو فى يافا أو فى حيفا فى الصيف الماضى تنزل اليها بضع مئات من مهاجريهم ، فهال ذلك الوطنيين واحتجوا عليه لدى الحكومة فلم تعر احتجاجهم التفاتاً ، فقررت اللجنة التنفيذية للمؤتمر

الفلسطيني - وهى الهيئة الوطنية الكبرى فى البلاد - ان تقام كل اسبوع مظاهرة كبيرة فى مدينة من المدن الفلسطينية بالتعاقب ، الى أن تجيب انجلترا الشعب الفلسطيني الى مطالبه الجوهرية ، وهى أولا وقف الهجرة اليهودية وثانياً منع بيع الاراضى لليهود ، وثالثاً انشاء مجلس نيابى فى البلاد ينتخب اعضاؤه انتخاباً حراً

واقيمت المظاهرة الاولى فى القدس يوم ١٨ اكتوبر الماضى فحاول البوليس قمعها بالقوة فقتل بعض الاهلين وجرح آخرون ، ولكن الحوادث الدامية حدثت فى مظاهرة يافا وقد اقيمت بعد ذلك التاريخ باسبوع ، اذ لجأ فيها بعض الضباط الانجليز للقسوة فهاج الشعب هياجاً عظيما لافى يافا وحدها بل فى جميع انحاء فلسطين

وليس من شك فى انه كان لما اظهره اعضاء اللجنة التنفيذية من روح التفانى والبذل والاقدام أثر كبير فى اذكاء نار الحماسة والوطنية فى قلوب الاهلين ، ولا سيما اذ رؤى عطوفة كاظم الحسيني باشا رئيس اللجنة وزعيم فلسطين يسير فى طليعة المتظاهرين فى القدس وفى يافا

وكاظم باشا عميد اسرة الحسينية من أكبر عائلات فلسطين ان لم يكن أكبرها ومنها سماحة الحاج امين الحسيني المفتى الاكبر ورئيس المجلس الاسلامى الاعلى

ولما أصيب عطوفته برضوض فى مظاهرة يافا أحاط به كثيرون يهنئونه بنجاته وينوهون بوطنيته وبسالته ، فقال لهم : « أنا لست سوى جندى من جنود الوطن أزحف الى حيث ينادينى الواجب الوطنى » . وعطوفته فى العقد الثامن من عمره !!

هتلر

لما قابلت الهر هتلر فى مصيفه فى الصيف الماضى (اواخر يوليو) كان اهم ما استوقف نظرى فى حديثه معى صراحته فى كلامه ، وهى صراحة لا تعهد فى رؤساء الحكومات عادة ، وكان أهم ما قاله لى يومئذ : « ان المانيا تطلب المساواة فى السلاح ، فاما ان ترفعنا الدول العظمى الى مستواها أو تنزل هى الى مستوانا . . وأنا اتكلم باسم ألمانيا كلها . . . المانيا الفتية ، المانيا الناهضة » ثم شفع ذلك بقوله : « واذا كان التهديد قد نفع مع بعض الحكومات الالمانية السابقة فانه لن ينفع معنا بعد الآن »

وقد نفذ هتلر ما قاله . . فانه لما رأى ان الدول العظمى لا تجيبه الى طلبه انسحب من مؤتمر نزع السلاح ومن جمعية الأمم ، وحل مجلس الرخستاج واجرى انتخابات جديدة ليقول الشعب الالمانى كلمته فيما عمله ، وقد تقدم لها ٩٤ فى المائة من مجموع الناخبين واعطى ٩٣ فى المائة منهم اصواتهم للهر هتلر وحكومته ، فاثبت زعيم النازى للعالم انه يتكلم ويعمل باسم المانيا كلها !!

وقد قوبلت نتيجة هذه الانتخابات باهتمام عظيم فى اوربا بوجه خاص . ومع أن موقف دولها الكبرى تجاه المانيا الجديدة لم يظهر بعد الا ان جميع الدلائل تدل على انها ستسعى لخطب ود هتلر وحكومته ، ولا سيما بعدما عقدت المانيا غداة الانتخابات الاخيرة معاهدة عدم الاعتداء مع بولوندا ، لتقيم الدليل على انها لا تطلب الحرب وانما تطلب المساواة

كريم ثابت



لم يعرف تاريخ الرقص طوراً أشد حدة من الطور الذى هو فيه اليوم. فقد بلغ الغاية من التقدم، ولكنه على شىء عظيم من الاضطراب. فبينما تتطور المظاهر القديمة تتجاذبها النزعات الحديثة. واكبر دليل على أهمية الرقص فى عصرنا انه توطن فى المسارح المختلفة الميول. وأصبح يتأثر بالرياضة البدنية، كرقص «البنات الاميركيات»، وتموج الجسم الافريقى والامريكى، ومن هذا القبيل ما اطلق عليه اسم «الرومبا» و «البيجين». وقدكان لذيوع «الجازبند» تأثير كبير فى انتشار الرقص السودانى المملوء زواناً الحامل بين جنبيه آثار البربرية القديمة. وهناك مظاهر اخرى موزعة بين تفنن الروس والاسبان والكامبودجيين والهنود والصين. ولنعرض هنا الى بعض تلك النواحى

الرقص الروسي

كان الرقص الروسى منذ عشرين سنة يسحر الناس وكان من أعلى مظاهر الفن، ولكن كسدت سوقه اليوم وهوى نجمه، ولم يصبح له المحل الاول فى المسرح، بل صار عماداً للموسيقى ووسيلة من وسائل عرض الروائع التى تزين المسرح بين أثاث وملبس. وقد شابه الحركات المتعمدة التى تشير الى مختلف الاحساسات والعواطف، فنشأ عن ذلك التكلف والتصنع اللذان يشوهان الفن. الا ان الرقص الروسى ظل زماناً قائماً على اساس الرقص (الكلاسيك) ولكن اصحابه أرادوا أن يستحدثوا فادخلوا عليه ما خرج عن الاتزان وصار

به إلى ماهو أقرب الى البهلوانية والتمثيل الصامت . والراقص فى كل هذا لا تنطلق جوارحه وينقاد لايقاع الموسيقى الانقياد كله . وكيف للفن ان ينهض إذا كانت مظاهره مسيرة ؟

أنا بافلوفا

وقد تخلص الرقص الروسى اليوم أو كاد من تلك الشوائب بفضل الراقصة الشهيرة «أنا بافلوفا» التى زارت مصر منذ ١٢ سنة . فقد طافت (بافلوفا) فى انحاء العالم والناس معجبون بها مسحورون ، ونقاد الفن لا يستطيعون ان يجدوا الالفاظ التى يعبرون بها عن روعة رقصها . وجل ما يقال فى (بافلوفا) ان رقصها ضرب من العجائب إذ يحرك فيك شتى الاحساسات وكأنه يردك شخصاً آخر . ففى رقصها تمتزج الروح بالجسم امتزاجاً قوياً فيؤثر كل منهما فيك . فكل حركة من حركاتها تشير الى كل فكرة ، وكل انعطاف من انعطافات جسمها يثير التلذذ

ومما يذكر ان (بافلوفا) تمثل المشهد الفاجع فى كثير من الألم والتوجع ، والمشهد الفرح فى كثير من الانشراح والطلاقة . وكأن رقصها داء يعدى كل من اراد مشاهدته . والذى



الراقصة الروسية انا بافلوفا فى رقصة البجعة


الراقصة ازادورا دونكان

يزيد فى جمال رقصها انه لا كلفة فيه ولا تصنع

ومن يتأمل رقص (بافلوفا) لا يعرف السر فى تأثيره ، ولكنه يشعر بأن روحه تلتهب وجسمه ينتفض ونفسه تتساقط من بين جنبيه . ولا يستطيع الناقد أن يحلل ذلك الرقص لانتشار عقله أمام وحدتها المتماسكة الاطراف . ومجمل القول ان ميزة بافلوفا ليست فى براعتها البهلوانية ولا فى خفتها ولا فى حذقها، ولكن فى تهيؤ جسمها الى الرقص كأن أعضاءه قد خلقت لتتلوى وتنعطف وتمتد وتنقبض على انغام الموسيقى . فرقص (بافلوفا) سر من اسرار الكون لا مظهر من مظاهر الفن

ازادورا دونكان

ان سيرة هذه الفتاة الاميركية عجيبة حقاً ! فقد غادرت منذ ثلاثين سنة وطنها وساحت فى اوربا لتذيع فى الناس ضرباً جديداً من الرقص تؤمن بجماله الايمان كله . وكانت لا تقل حماسة فى ايمانها وفى عزمها على اذاعة رقصها عن رجل يدعو النّاس الى دين أو مذهب . وكان رقصها لا يعبأ بتقاليد الرقص الكلاسيكى . فقد كانت (دونكان) ترقص انطلاقاً كما يرنم الطير ، منقادة الى اندفاع قلبها واضطراب جسمها ووحى الساعة . فكأن لها شيطاناً على شاكلة شيطان الشاعر

وقد خلعت (ازادورا) اللباس الملتصق بالجسم (maillot) ولم ترتد وهي ترقص الا ما يكاد يستر خصائص المرأة ، لان الرقص عندها شيء طبيعي كالغناء . فلا بد له من ان يكون حراً طليقاً . وليس عريها مظهراً من مظاهر الدعارة ، بل لوناً من ألوان الغبطة الفردوسية البعيدة عن الخير والشر معاً



الارجنتينا الراقصة الاسبانية

ماتت (ازادورا) وذكراها ما تزال تشغل القلوب ، لأنها اطلقت الرقص من قيود الجمود والتحمد واقامته على انطلاق الطبيعة وبثت في هيئاته شيئاً من الايمان بالفن الأعلى ، ورفعت نفوس الجمهور ، فأصبح الرقص عنده مظهراً من المظاهر السماوية . ولكنها لم تؤسس مدرسة لأن فنها لم يكن لينهض على طريقة عقلية ولا على نظام حراكي ، ولكنه كان منبعثاً منها محبوساً على نبوغها

الرقص الاسباني

ان اصول الرقص الاسباني تكاد تكون مطوية ، فن المتعسر على الناقد ان يلم بتاريخها . وماتراه فيها من تضال بين الوداعة والحماسة ناشيء عن ذلك الصراع الذي طالما نازع النفس الاسبانية ـ

صراع العنصر الشرقي والعنصر الغربي ، صراع العرب والقوط . ففي الرقص الاسباني هيجان الدم الاندلسي وعنف عزيمة اهل (كاستيليا) ، وفيه ترى الطريقة العربية والطريقة الافرنجية . فهذه تبسط الايدي والارجل وتبرز الصدر وتنشر الاعضاء في حين ان تلك تقبض الايدي والارجل وتحرك العضلات من تحت الجلد وتجمع الاعضاء الى اجذاعها

تلك خصائص الرقص الاسباني . ولكنه مازال على حاله حتى مله الناس ثم قيض الله له فتاة تدعى (الارجنتينا) فبعثته من مرقده ونفثت فيه روحا استمدتها من أنظمة الرقص العلمية . فانها قد هذبت تلك الحركات المستديرة والتموجات المفرطة والخطوات المشتبكة وجعلتها تخضع لقوانين انتقال الاقدام وبسط الاذرع في شكل متسق متزن . وكأنها خلصت تلك الانعطافات الاندلسية مما يشوبها من الجسمانية وابرزت ما فيها من روحانيات تدخل الى النفس توا كأنها ضرب من ضروب الرقية



الراقصة الزنجية جوزفين بيكر في احدى رقصاتها

الرقص السوداني

ان الرقص السوداني اقرب شيء إلى مظاهر البربرية . فكله ضجيج وجلبة ولكنه لا يعجز عن ان يبلغ أعلى درجات الفن . وقد بلغها اليوم مع الراقصة الشهيرة

(جوزفين بيكر) فلا شك ان تفكك اعضائها وانتفاض حركاتها واختلاج عضلاتها يصب فى نواحى جسمها شيئاً من الخبط الشيطانى ، وفى ذلك الخبط روعة تملك العقل وإن لم تحل فى العين . ثم ان ملامح وجه (جوزفين بيكر) ما تنفك تنقبض وتنطلق وتلتوى وتنبسط جريا على تموجات جسمها ونبرات (الجازبند) وفى هذا ما يجعل المشاهد يحس باحساسها ، وان ضحك اغرابة هيئتها تأثر باطنا وربما بلغ به التأثر كل مبلغ . وان معظم الهيئات التى تتخذها (جوزفين بيكر) تمثل لنا اشكال النحت والرسم عند الامم السودانية على ما فيها من اغراب وافراط واهتمام بالاعضاء التناسلية

الرقص الشرقي

ان رقص (اوراى شنكر) خير مثال للرقص الهندى . وهذا الراقص طويل القامة ، رشيق ، نحيف ، مستطيل العضلات ، منسرق الاكتاف . واغرب ما فيه ليونة عمود ظهره ورشاقة اضلاعه ، وأما يداه فكأنهما ريشتا رسام تخطان فى الفضاء تهاويل واشكالا عجيبة . وكأن فى اصابعه سراً من اسرار الالوهية ، فاذا انتشرت هنا وهناك ارسلت معنى خفياً يخفر به السحر من كل جانب



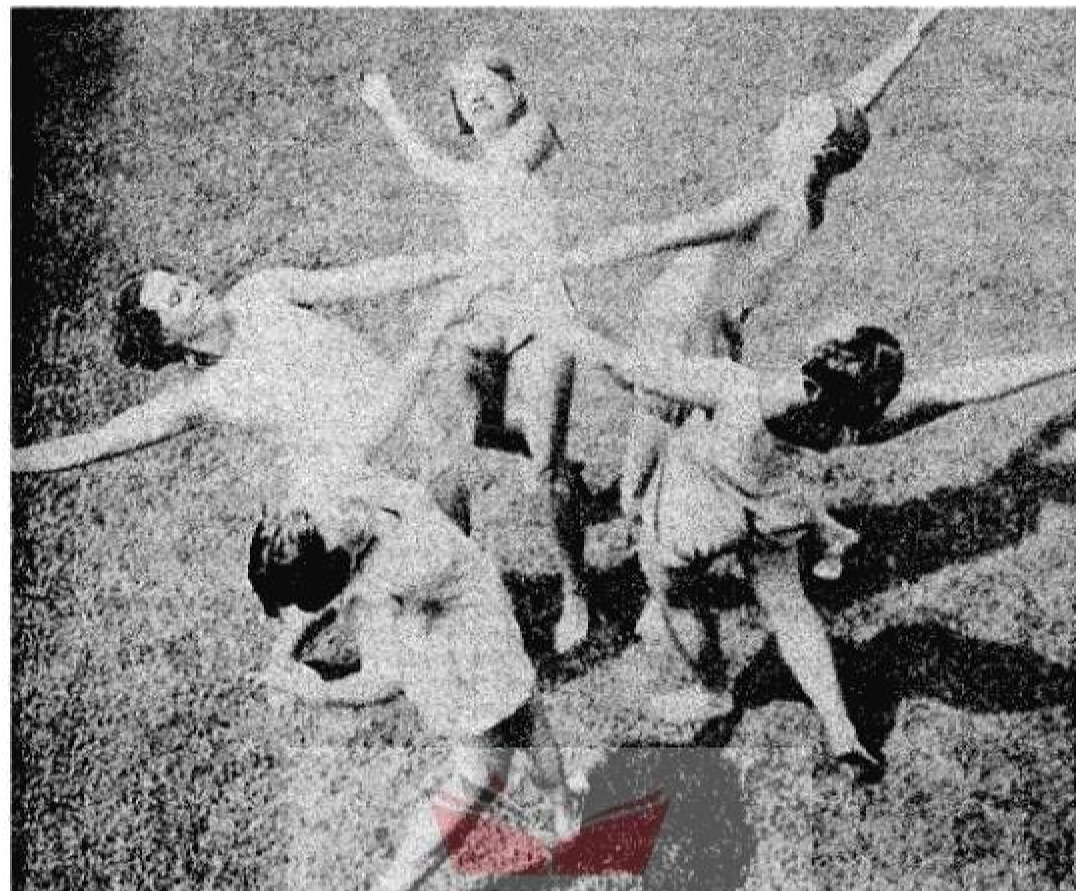
راقص يابانى

وأما رقص أهل السنجال فهيهات ان يرتفع عن مرتبة الفطرة . فهو يظهر بمظاهر الضرب والطعن أو مظاهر الحماسة . والذى يزيد فى هذا الشكل ما يرتديه الراقصون ـ فمن خوذ واساور ونطق لها جميعها صلصلة الاسلحة . ويجرى الرقص على ايقاع طبلة تؤثر فى الراقصين إلى حد يبلغ بهم التهوس ويردهم جماعة من الجن يتسكعون ويلتوون

وأما الرقص اليابانى فانه يناقض الرقص الافرنجى كل المناقضة . فبينما الرقص الافرنجى يحاول ان يخط دوائر ويقيم بحركات الارجل زوايا مستقيمة إذ نرى الرقص اليابانى يجتهد جهده فى ان يخط



الراقص الهندي اودي
شنكر في احدى رقصاته



فتيات المانيات يرقصن رقصاً ايقاعياً

خطوطاً حلزونية أى خطوطاً مستديرة تتباعد شيئاً فشيئاً عن نقطة مصدرها وهى تلتوى حواليها. والذى يساعد الراقص اليابانى على احداث هذا الشكل أكمام ردائه الواسعة ، فى حين أن المروحة تمد المعصم وهى تتداخل أو تنبسط شيئاً أو تنتشر مرسلة فى الفضاء. خطوطاً معوجة لا عدد لها

الرقص الالمانى

اصبح الرقص يعلم فى المانيا فى جملة العلوم المدرسية . وأصبحت الحكومة تشرف عليه وترقيه. وصاحب الرقص الحديث فى المانيا يرقص مع شىء من الثقل لأنه يتعمد تحريك كل جسمه ثم لايبالى بان يناسب بين مختلف حركاته . وغرضه محصور فى التهويل على الجمهور. فهو يمثل فى رقصه مشاهد قائمة على الفزع أو القلق أو الجنون

وإنك لتجدن فى الرقص الالمانى تلك الضخامة المقصودة التى تلمحها فى معظم المظاهر الالمانية ، إلا أن فى هذا الرقص بقايا من الفنون . الكلاسيكية . وشيئاً من هيئات الرقص الروسى ، وهى

تأخذ الآن فى التضاؤل بل فى الاضمحلال . وليست الموسيقى للرقص الالمانى إلا اداة معاونة فلا تسوق اقدام الراقص ولا تلهم يديه حركاتهما ، ولكنها تخرج من حين إلى حين صوتاً من الاصوات نغماً او نقراً أو عزفاً لا دلالة له ولا تاثير

ويلى تلك الضروب من الرقص رقص المسارح . فتارة يفتن الراقصون فى الابتداع ، وتارة يقفون حركاتهم على اشكال الرياضة البدنية كسرب « الفتيات الامريكيات » ، واخرى ينصرفون الى اعمال بهلوانية . وقد بين ذلك ناقد بارع فى الرقص يقال له (لوفنسون) (١)

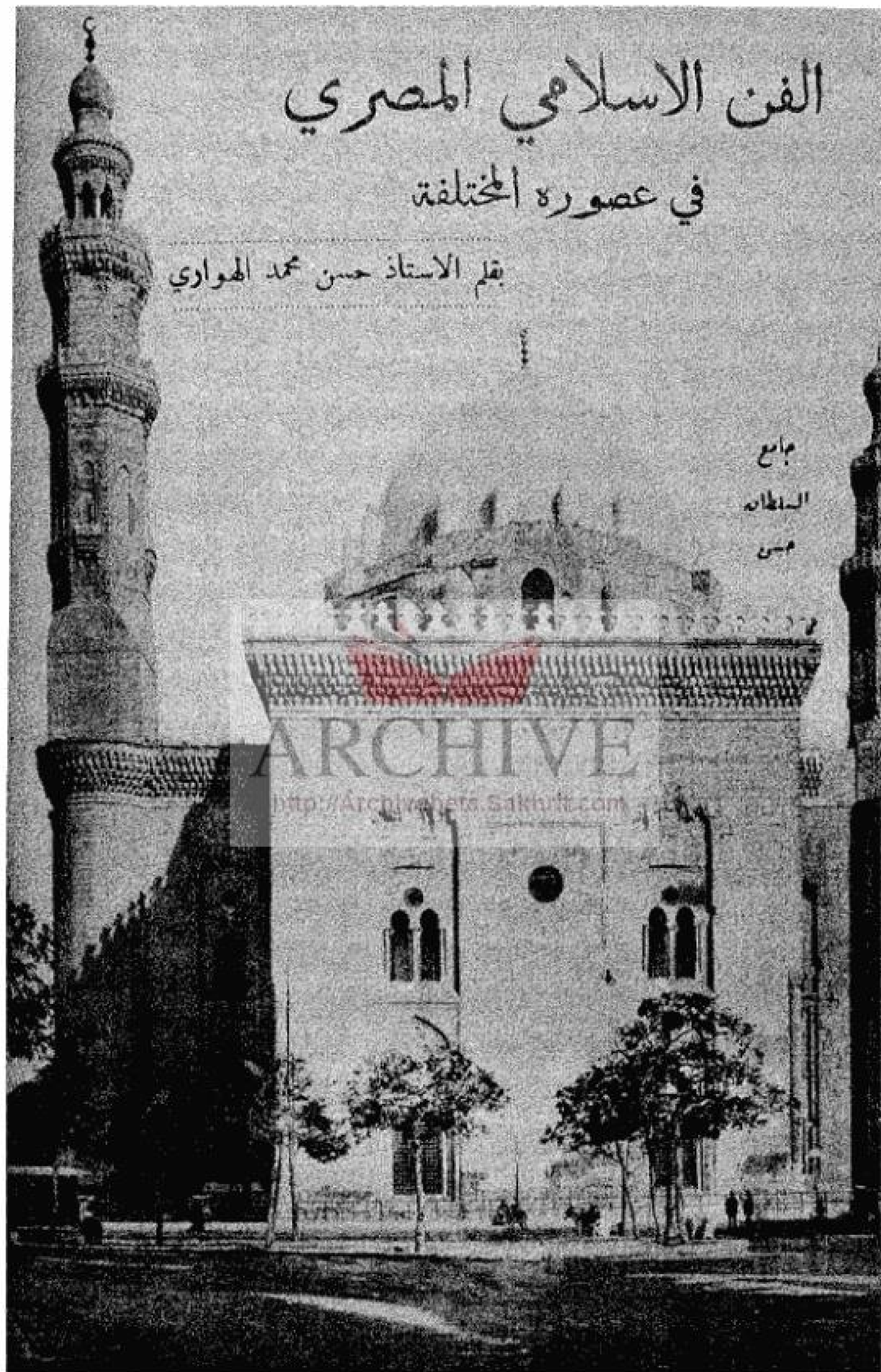
وصفوة القول أن الرقص الغربى الحديث موزع فى اشكاله ، ولم يأخذ بعد شكلا واحداً . ولاندرى أيظل على النظم « السكلاسيك » أم يستلهم هيئات الرقص الروسى أو الشرق أو السودانى . ولا شك ان اختلافه خير من اتحاده ، لأن الناس يجدون فى مختلف مظاهره مايكيفون به شتى نزعاتهم

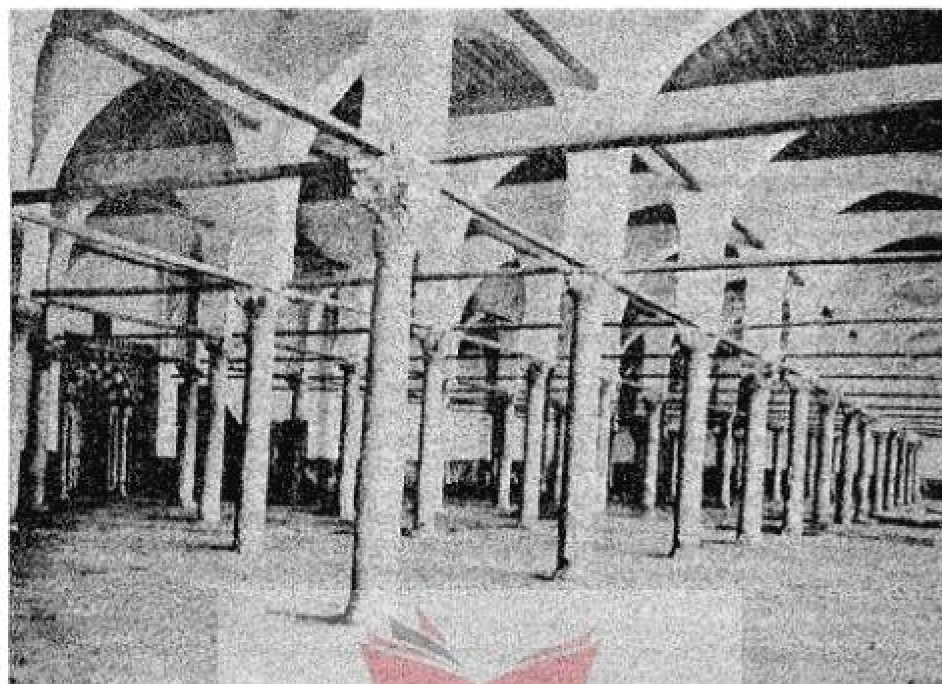
ف .

(1) André Levinson, La Danse d'Aujourd'hui, Editions Duchartre, Paris



مثال آخر من الرقص الايقاعى الألمانى


الفن الاسلامي المصري
في عصوره المختلفة
بقلم الاستاذ حسن محمد الهواري
جامع
السلطان
حسن



الإيوان الشرقي بجامع عمرو بن العاص

كان نصيب مصر من الحضارة الاسلامية موفوراً اجتاح امامه مدنية المصريين العريقة فى القدم . فمصر التى ظلت متمسكة بمدنيتها الفرعونية ، زهاء أربعين قرنا والتى كانت تطوى كل فاتح تحت جناحها وتصبغه بصبغتها الفرعونية ، انصبغت بالمدنية الاسلامية فناً ودينا ولغة ، واندفعت مع تيارها الغالب تتسابق فى مضمار الفنون والاجادة فيها حتى صارت فى طليعة الشعوب الاسلامية

وقد حفظت مصر سلسلة متصلة الحلقات من المدنية العربية من الفتح الاسلامى الى وقتنا هذا ، مع تغيير بسيط يوافق كل عصر قامت فيه

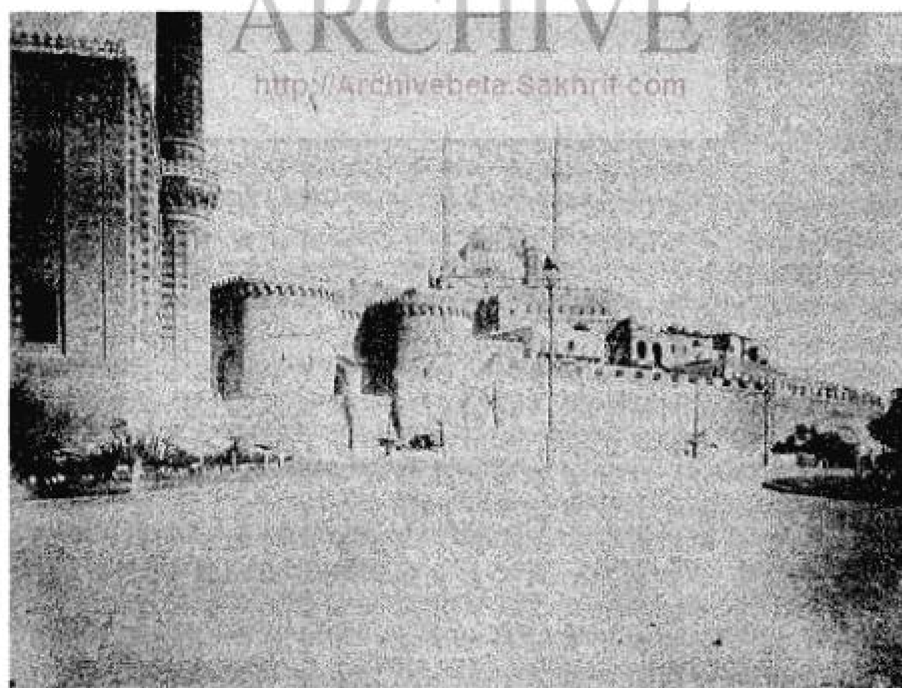
وتاريخ الفنون والصناعات فى مصر مقترن بالتاريخ السياسى وادواره ، فكلما تغيرت سياسة الدولة تطورت الصناعات تبعاً لذلك . واننا لا نجد فى المدنيات الاخرى مثيلا للمدنية الاسلامية فى مصر ، فقد حفظت كل دولة لنفسها شخصية خاصة وطبعت مبانيها وصناعاتها بطابع يباين ماقام قبله وما لحقه . وقد كان لتغيير المذهب الدينى ايضاً أثر فى فنونهم وصناعاتهم . فالفاطميون كانوا شيعة وانفصلوا عن الخلافة الاسلامية ، وجاء صلاح الدين فمحا قصورهم ورسومهم ، ولكل منهم فن ممتاز . وكذلك الفرق بعيد بين صناعات المماليك والاتراك . لذلك نرى تقسيم الادوار التى تقلبت فيها الفنون والصناعات فى مصر إلى سبعة عصور :

الدور الاول – عصر الولاة من قبل الخلفاء

من سنة ١٨ إلى سنة ٢٥٦ الهجرية

فتح عمرو بن العاص مصر فى العام الثامن عشر من الهجرة فى خلافة امير المؤمنين عمر ابن الخطاب وتعاقب على حكمها أكثر من مائة وال فى نحو قرنين ونصف . وإذا استثنينا عمرو ابن العاص الذى انشأ أول جامع عرف فى مصر بمدينة الفسطاط فاننا لانجد غيره من الولاة له منشآت يذكر بها. ولم يتغير الحال فى مصر بقيام الدولة الاموية فى دمشق ولا الدولة العباسية فى بغداد بل ظل هذا العصر عقيما من الابنية العظيمة ولم يبق لنا التاريخ من آثاره إلا النزر اليسير . وهاك مابقى من آثار هذا العصر :

(١) جامع عمرو – الذى شيده عمرو بن العاص بعد الفتح مباشرة سنة ٢١ الهجرية ووقف على تحرير قبلته جماعة من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد طرأت عليه تقلبات عدة من توسيع وتخريب وتعمير وترك وهجران، بين صعود تارة وهبوط اخرى حتى اصبح على حالته الراهنة ،وليس فيه مايذكرنا بنشأته ويرجع بنا الى ايامه الاولى سوى موضعه الاصلى الذى اختطه يد الفاتح العظيم



جامع محمد على بالقلعة


الجامع الأزهر

(٢) مقياس النيل بالروضة - الذى بناه اسامة بن زيد الملقب بالتنوخى فى عهد الخليفة الاموى سليمان بن عبد الملك فى سنة ٩٦ الهجرية وأتمه فى سنة ٩٧ الهجرية . فقد اتفق مؤرخو العرب على أن العمود الموجود به الآن هو العمود الذى وضعه اسامة ، وكذلك الكتابات الكوفية المحيطة بجدرانه فان بعضها من زمن الخليفة العباسى المتوكل ويرجع عهدها إلى سنة ٢٤٧ الهجرية

(٣) اطلال مدينة الفسطاط - وقد كان من نتائج الحفر فى السنين الاخيرة فى التلال القائمة بالجهة الشرقية لمصر القديمة كشف قطعة من مدينة الفسطاط تزيد مساحتها على خمسين فدانا ، خطت شوارعها وازقتها ودروبها فاصبحت مثالا من تخطيط المدن الأسلامية فى القرون الوسطى . وقد كانت متعرجة غير مستقيمة ضيقة المساحة طلبا لتوفير الظل ، يتفاوت عرضها بين متر ونصف وستة أمتار . وفى قلب المدينة حيث جامع عمرو تقوم الاسواق والمصانع والحمامات والخانات ونحوها من أسباب العمران . وبين هذه الاطلال ظهرت نحو خمسين دارا قائمة على الصخر مباشرة وهى حسنة التنسيق مختطة على نظام هندسى يجلب لها الهواء والضوء ويكفل حرمة الجوار ويكف نظر من بظاهرها عن رؤية من بداخلها . ولا تخلو دار فيها من حديقة فيحاء ونافورة ماء ، ومعظم هذه الدور مبنى بالآجر

هذا ما بقى من آثار ذلك العصر الذى يدل على بدء تغلغل المدنية الاسلامية فى كافة الصناعات

الدور الثانى - عصر الدولة الطولونية

من سنة ٢٥٧ الى سنة ٢٩٢ الهجرية

تبتدىء الصناعات الاسلامية من عهد الدولة الطولونية ، إلا أن ما كان فى العصر الاول من الزخارف التى على الشواهد والاخشاب التى عثر عليها فى مقابر عين الصيرة واسوان مما يرجع عهده إلى قبيل الطولونيين - يدل على تمكن الروح البيزنطية فى أول سنى الفتح ، ولكن لم تلبث تلك الروح ان طغت عليها المدنية الاسلامية وجرفتها امامها بطراز اسلامى محض

وجامع ابن طولون يعد مفخرة فى حكم هذه الدولة بل فى الدولة الاسلامية جمعاء . وهو الذى اختطه وسط القطائع فوق جبل يشكر سنة ٢٦٣ الهجرية

وهذا الجامع هو الوحيد الذى بقى منذ أحد عشر قرنا لم يغيره كر الدهور والاعوام . وبه الى الآن بقايا صالحة لم تعبث بها يد الزمان ويستدل منها على ان الفنون والصناعات الاسلامية بلغت شأنا عظيما فى هذه الدولة

ويشبه هذا الجامع جامع عمرو وهو يتألف من صحن مكشوف تحيط به بوائك من جهاته الاربع أكثرها عددا فى جهة المحراب

وليس بالجامع اعمدة من رخام غير عمودى المحراب . وقد استعيض عن الاعمدة بالدعائم المبنية بالآجر . وحليت العقود بزخارف جصية مشبكة غاية فى الابداع والاتقان . وسقف الجامع مصنوع بالخشب وقد بقيت بعض أجزائه الاصلية . هذا ماتخلف من آثار هذا العصر الذهبى . أما آثارهم المنقولة فلم يبق منها الزمن الا مجموعة من قطع الخزف ذى البريق الذهبى محلاة بالزخارف والصور البديعة ، وهى ما تزال تشهد بتبريزهم فى صناعة الخزف التى كانت فى مهدها

وفى عهد خمارويه بن احمد بن طولون بلغ الترف والزخرف فى القصر والميدان شأواً عظيما فكانا آية العصر واعجوبة الدهر ، وظلا فى طليعة التحف الفنية العجيبة الى ان دمرهما محمد بن سليمان بأمر الخليفة العباسى ليمحو آثار الطولونيين . وقد طلى خمارويه جدران ذلك القصر بالذهب الخالص ورسم عليها صور حظاياه بحجمها الطبيعى . وكانت تكتب الاشعار بالنباتات المختلفة على بساط بستانه الذى كان جنة لا مثيل لها

عود الى عهد الولاة من قبل الخلفاء

من سنة ٢٩٢ الى سنة ٣٢٢ الهجرية

وبعد انقراض الدولة الطولونية خضعت مصر للخلافة العباسية مرة أخرى واصبحت عقيمة فترة من الزمان من كل اثر للفن أو مظهر للصناعة ولم يترك لنا هذا العهد شيئاً ما



صحن جامع احمد بن طولون . وتظهر فيه المنارة ذات السلم الخارجى

الدولة الاخشيدية - من سنة ٣٢٢ الى سنة ٣٥٨ الهجرية

ولكن لم يلبث عهد الولاة من قبل الخلفاء العباسيين الا القليل، فزالت سلطة الدولة العباسية كما زالت دولة بني طولون من قبل. وفى عهد هذه الدولة حالت الحروب الداخلية دون ترقي الصناعة، ولذلك لم يصلنا شيء من آثارها لنهتدي به فى معرفة حالة الفنون والصناعات فى عهدهم ومما ذكره التاريخ اصلاحهم لجامع عمرو فى سنة ٣٢٤ هـ. وفى دار الآثار العربية مجموعة من الخزف الذى عثر عليه فى اطلال الفسطاط، زخارفها بين الطولونية والفاطمية وقد رؤى اعتبارها من مصنوعات هذا العهد

الدور الثالث - عصر الدولة الفاطمية

من سنة ٣٥٨ الى سنة ٥٦٧ الهجرية

وفى سنة ٣٥٨ الهجرية دخلت مصر فى دور جديد حيث خضعت لدولة الفاطميين وانتقلت السلطة من العباسيين اليهم. وكان الفاطميون لتمذهبهم بمذهب الشيعة مبغضين للعباسيين وقد كان لمذهب الشيعة أثر فى فنونهم وصناعاتهم. ويعتبر عصر الفاطميين بحق عصر النهضة. ولأن الفاطميين شيعة أباحوا التصوير فلئت مصنوعاتهم بصور الآدميين والحيوانات والطيور وبلغت الزخارف النباتية فى عهدهم حد الاتقان والاعجاب

(١) مابقى من القصور الفاطمية - بعد ان فرغ جوهر من الفتح أسس عاصمة جديدة



جامع قايتباى الشهير بمنارته وقبته المزخرفة

سماها « القاهرة » أحاطها بالاسوار وشيد فى وسطها قصراً لمولاه المعز . ولما جاء العزيز بنى القصر الصغير الغربى ، وكان بينهما ميدان فسيح ، ويتصل أحدهما بالآخر بنفق تحت الارض يسع الخليفة راكباً بغلته وامامه غلمانه وجواريه . وقد اطلقوا على قصورهم القصور « الزاهرة » ، ولكن الزمن لم يبق من هذه القصور شيئاً الا أفاريز من خشب عثر عليها فى موقع القصر الغربى وهى الآن محفوظة بدار الآثار العربية وبها زخارف محفورة تمثل مناظر مختلفة للصيد والرقص والموسيقى ، ومملوءة بصور الغزلان والطيور والجمال تحمل الهوادج . وهذه النماذج التى تمثل حياتهم العامة ترينا مبلغ تسامحهم وحبهم فى الرسم والزخرف اللذين بلغا حد الكمال والاتقان

ولئن كانت قصورهم قد انمحت آثارها فقد بقى من مساجدهم العدد الكثير وهى طرائف سامية المقدار ، وكلها ذات صحن مكشوف وايوانات كجامع ابن طولون ، نذكر منها :

(٢) الجامع الازهر — وهو اقدمها ، بناه فى سنة ٣٥٨ هـ جوهر الصقلى على نسق جامع ابن طولون من حيث مسقطه الافقى ، ولكن هذا المسقط قد تغير وتبدل حتى أصبح الجامع بحالته الراهنة يتألف من مجموعة جوامع بنيت فى عصور مختلفة

ومن مميزات الجامع الاصلى عقوده التى من الطراز المسمى بالعجمى ، وهى عقود يظهر ان المبتدع لها فى مصر هم الفاطميون . وهذه العقود مبنية بالآجر المجلل بالجص . وما تزال منها الى اليوم بقية صالحة مزخرفة بزخارف بديعة تحيط بها الكتابات الكوفية المشجرة بزخارف نباتية بسخاء واتقان

(٣) الجامع الانور — أو جامع الحاكم بأمر الله وشكل عقوده من الطراز الستينى وهى العقود الوحيدة المستثناة التى على هذه الوتيرة من عهد الفواطم

وسقف جامع الحاكم محمول على دعامات مشابهة لما فى جامع احمد بن طولون . وقد حليت هذه الدعامات بعمد من اصل البناء لاصقة فى الاركان وزينت العقود بالكتابات الكوفية المشجرة الجميلة

ومن مميزات هذا الجامع منارتاه ذات القواعد الحجرية . وقد كانت هذه المنارات موضع بحث لان الزلزال الذى حصل بمصر فى سنة ٧٠٢ الهجرية كان قد أتى على قممها فدكها ، ثم اعاد بناءها بيبرس الجاشنكير وشيد حولها القواعد المربعة الحالية لتقويتها وعمل لها قمماً من طراز عصره

(٤) الجامع الاقمر — بنى فى عهد الخليفة الآمر باحكام الله . وفى هذا الجامع حاول المعمار لاول مرة ان ينشىء واجهة مزخرفة منمقة ، ففى هذه الواجهة زخارف تشهد لصانعها بالبراعة والسبق فى ذلك المضمار

(٥) الجامع الافخر — وفى سنة ٥٤٣ هـ بنى الخليفة الظافر جامعاً بالسكرية كان يعرف

بالجامع الافخر ، ويعرف الآن بجامع الفكهانى . تخرب هذا الجامع وأعاد بناءه الامير احمد كتخدا الخربوطلى فى سنة ١١٤٨ هـ وليس به من الجامع القديم سوى مصاريع أبوابه وهى منقوشة نقشاً بديعاً غاية فى الاتقان

(٦) جامع الصالح طلائع بن زريك - بناه الوزير الملك الصالح طلائع بن زريك فى سنة ٥٥٥ هـ

ومن مميزات هذا الجامع الطبقة السفلى التى كان فيها عدة حوانيت وهى الاولى من نوعها . وكذلك واجهاته المبنية بالحجر المنحوت

ويلاحظ فى الدولة الفاطمية استعمال جديد للقباب ، فبعد ان كانت تبنى فوق الجزء من المسجد الذى به المحراب اخذوا يشيدونها فوق مشاهد اولاد « الامام على » تعظيما لشأنهم واحتراماً لأجدادهم

وقد بقى من هذه القباب قبتان :

(١) قبة الجيوشى - قبة جامع الجيوشى الذى بناه الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالى على سفح المقطم فى سنة ٤٦٨ هـ وتحت هذه القبة محراب يحيط به زخارف جصية ابدع فيها الصانع واتقن وزخرفها وزينها وحسن فيها . وللجامع على صغره منارة وهى الأولى من نوعها الباقية على حالها إلى الآن ...

(٢) قبة السيدة رقية - اما قبة مشهد السيدة رقية بنت « الامام على » رضى الله عنهما فكان بناؤها سنة ٥٢٧ هـ فيها زخارف وكتابات متقنة . وقد كان بهذا المشهد محراب من الخشب محفوظ الآن بدار الآثار العربية ، ومكتوب عليه ما يفيد انه عمل بناء على امر زوجة الخليفة الفاطمى الآمر باحكام الله ، وهو تحفة فنية فريدة فى بابها

وفى دار الآثار العربية وكثير من متاحف اوربا تحف عدة تعزى الى هذه الدولة مصنوعة من المهو والزجاج والخزف والشبهان والمنسوجات والخشب المنقوش ، وهى دليل على ما كان للفواطم من ذوق حسن

وبدار الآثار العربية مجموعة من الخزف ذى البريق الذهبى تشهد لهم بالتبريز فى هذه الصناعة ، وقد رسم على احداها صورة المسيح وعلى الاخرى صورة ابى طالب . وعثرنا من عهد قريب فى الفسطاط على تمثال راقصة من البرونز تكاد تكون عارية وعلى رأسها هيئة إكليل مرصع

وقد وصف المؤرخون قصور الفواطم وصفاً أقرب إلى الخيال منه الى الحقيقة

فالفاطميون كانوا رسل الفن الجميل فى العالم الاسلامى . وقد كان بلاطهم يرفل بحلل الفخامة والبهاء فى اعيادهم ويحفل بمواكب العظمة والفخار ، ولكن هذه الحياة الهنيئة لم يصحبها ادارة

طية ، فقاست البلاد ازمات اقتصادية مروعة وشاخت الدولة الفاطمية وأصبح خلفاؤها لعبة فى ايدى وزرائهم ولم يبق لهم من الخلافة إلا اسمها وانقرضت الدولة وراحت قتيلة الوزرا.

الدور الرابع - عصر الدولة الايوبية

من سنة ٥٦٧ إلى سنة ٦٤٨ هـ

جا. صلاح الدين ليكون وزيراً للخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين ، ولكنه ما لبث ان خلعه واعاد السنة فى مصر ونادى فى الخطبة باسم الخليفة العباسى . وكانت ايامه وايام من خلفه - وهم أول من تلقبوا بالسلاطين - أيام اضطراب وفتن فى داخل البلاد وخارجها لما وقع فيها من الحروب الكثيرة التى تفجرت ينابيع الدماء فيها وهى الحروب الصليبية

وكان صلاح الدين رجل حرب يميل الى العمارات الحربية . ولتقدم فن العمارة لم ير من اللائق الاكتفاء بقصور الفواطم فطلب الى وزيره بهى الدين الخصى (قراقوش) - ومعناه النسر الاسود - أن يبنى مسكناً فوق المقطم فبنى له قلعة الجبل وهى القلعة الحالية ثم نقش على أحد جدرانها صورة نسر وهو رمز اسمه

ولم تقتصر همة بنى أيوب على الابنية العسكرية بل أنشأوا المدارس الكثيرة لتدريس المذاهب الاربعة

ومن المدارس التى شيدت فى عهد هذه الدولة المدرسة الكاملية ، بناها السلطان الكامل فى سنة ٦٢٢ هـ وهى الآن خراب ولم يبق منها شىء . ومن آثار هذه الدولة القباب الجميلة التى حليت زواياها بالمقرنصات . وأشهر القباب التى بقيت من هذا العصر :

(١) قبة الصالح نجم الدين أيوب - بناها الصالح نجم الدين أيوب بجوار مدارسه وكسا جدرانها بالرخام

(٢) قبة الامام الشافعى - انشأ هذه القبة المباركة الملك الكامل فى سنة ٦٠٨ الهجرية . والتابوت الخشبى الموضوع فوق ضريح الامام الشافعى يعد آية من آيات الفن الاسلامى ، فهو أنفس طرف الصناعة الخشبية فى هذه الدولة

(٣) قبة الملكة شجرة الدر - وفى سنة ٦٤٨ هـ بنت الملكة شجرة الدر مقبرة لها أثناء حياتها ، ومن مميزاتها الفسيفساء الجميلة التى تحلى محاربها التى يدخل فى صنعها الزجاج المذهب

وقد كان للانقلاب الدينى تأثير عظيم على الفنون ، فبينما كان الفنان فى العصر الفاطمى الشيعى يرسم ما شاء وما شاءت اهواؤه من صور آدمية وصور طيور وحيوانات ومن مجالس انس وطرب ، أصبح فى العصر الايوبى السنى وقد حرمت عليه هذه الاشياء لحصر مقدرته الفنيـة فى الزخرفة فقط فظهرت عليها علامات الدقة الفائقة التى لا مثيل لها

الدور الخامس – عصر المماليك البحرية

من سنة ٦٤٨ هـ – سنة ٧٨٤ هـ

كان المماليك يجلبون الى مصر ليباعوا الى كبرائها . وكان هؤلاء يدربونهم على القتال ويتخذونهم حرساً لهم . لذلك تراهم وان كانوا أرقاء اسما كانوا يتصرفون تصرف الاحرار فعلا

ولئن كانت مصر فى عهدهم مسرحاً للفوضى والاضطراب إلا انهم تركوا أكبر معرض يحوى أكثر عدد من الآثار الفخمة .وكانت قصورهم وجوامعهم وكافة مبانيهم مزخرفة منمقة مفروشة ارضها مكسوة جدرانها بالفسيفساء الدقيقة من الرخام المختلف الالوان وسقوفها مموهة بالذهب ، واحجارهم الداخلة فى المبانى منقوشة بالزخارف الهندسية والنباتية والكتابات البديعة المتقنة ، واثاثاتهم منقوشة بالزخارف ومكسوة بالسن والابنوس والصدف وغيرها مما يدل على جمال التفنن وحسن الابتكار

وتعد آثار المماليك اخر الآثار الباقية من القرون الوسطى . ولقد كان لهم ذوق فائق واختيار حسن نشاهده بجلاء فى الاخشاب المنقوشة بالحفر وأوانيهم النحاسية المحلاة بالذهب والفضة والزجاج المطلى بالميناء والمموه بالذهب

وينقسم عهد المماليك البحرية من حيث آثارهم الباقية الى اربعة عصور :

أولا : عصر السلطان الملك الظاهر بيبرس – حكم من (٦٥٨–٦٧٦ هـ) صد المغول وحارب الصليبيين ونصب خليفة عباسياً فى مصر وجعل من القاهرة عاصمة لامبراطورية عظيمة .ومن آثاره الباقية جامع الظاهر بيبرس تم بناؤه سنة ٦٦٧ هـ . ومسقطه كجامع ابن طولون والحاكم ويمتاز بواجهاته الاربع المشيدة بالحجر الملون .وهو يشعر بأنه متأثر بعمائر الصليبيين فى الشام ، وهذا ظاهر بوضوح فى ابوابه الضخمة وشرفاته المسننة

وبنى بيبرس مدرسة بجوار مسجد الصالح نجم الدين ايوب . وما يزال من اعماله ذات المنفعة العامة قنطرة ابى منجا عليها صور سباع متتابعة وهى رمز بيبرس

ثانياً : عصر السلطان قلاوون – مات بيبرس العظيم بالشام ودفن بدمشق وأراد أن يولى ابنه العرش فكتب بولاية عهده له بعد وفاته ، وزوجه بنت قلاوون أحد امرائه الاشداء الذين كان يخشى بأسهم

ولكن قلاوون بالرغم من ذلك أصبح سلطانا لمصر بعد أن تنازل السعيد بن الظاهر عن الحكم وسلامش بن بيبرس

حكم قلاوون من سنة ٦٧٨ – ٦٨٩ هـ ومات موتا طبيعياً ورد المغول وبنى فى القاهرة

الجامع والقبة والمارستان . وتمتاز القبة بجدرانها المكسوة بالفسيفساء الدقيقة الداخل فى صنعها الصدف البراق الذى أعطاها رونقاً وبهاء

ثالثاً : عصر الناصر ـ حصلت بعد وفاة قلاوون اختلافات بين المماليك ولكن بالرغم من ذلك فان الحكم استمر فى اولاد محمد الناصر بن قلاوون مدة طويلة . وقد تولى الناصر الحكم بعد أبيه ثلاث مرات أطولها مدة المرة الاخيرة . وأشهر اعمال الناصر جامع القلعة وهو على نظام المدارس ذات الاعمدة ، وجامعه بالنحاسين وهو على نظام المدارس ذات الاربعة الألونة . وبمنارات جامع القلعة انواع من القاشانى وهى أقدم انواع القاشانى بمصر . وباب جامع النحاسين يلفت النظر وقد احضره من كنيسة القديس حنا بعكا

رابعا : عصر السلطان حسن ـ وجامع السلطان حسن يعد عروس الآثار الاسلامية فى مصر فقد جمع بين الضخامة والفخامة . ويعزى بناؤه الى اثنين من امرائه صرغتمش وشيخون . وهذا الجامع أحسن مثال للمدرسة ذات الاربعة الألونة . ولضخامته استعمله المماليك عدة مرات كقلعة يتحصنون بها . وقد تحصن به طومان باى عندما طارده العثمانيون . وتحصن فيه المماليك عندما هاجمهم نابليون . ويمتاز هذا المسجد بكبر عقود ايواناته ومنبره الرخام ومقرنصات واجهته

الدور السادس ـ عصر المماليك الشراكسة

من سنة ٧٨٤ - ٩٢٣ هـ

ضاقت القاهرة فامتدت إلى الجهة الغربية التى تركها النيل حتى ساحل بولاق وعمرت القرافة الشرقية بكثير من المساجد والقباب التى تسمى بقباب الخلفاء خطأ وحقيقتها « مقابر المماليك » . وكثر بناء الفنادق فى هذا العصر نظراً لموقع مصر الجغرافى ورواج التجارة

وفى عهد هذه الدولة صغرت مساحة المساجد وصاروا يسقفون صحونها ولكنها تمتاز بانتشار الزخارف فى جميع اجزائها

وينقسم عهد المماليك الشراكسة من حيث آثارهم الباقية إلى خمسة عصور :

اولا : عصر برقوق الذى حكم من سنة ٧٨٤ الى سنة ٨٠١ هـ ـ وله مدرسة بالنحاسين وخانقاه بالقرافة الشرقية ، وهذان الاثران غريبان فى بابهما ، فالمدرسة ذات إيوانات متعامدة ، إلا أن ايوانها الشرقى به صفا اعمدة ، والخانقاه لها صحن مكشوف وحواليها اعمدة بوائكها مسقوفة بقباب صغيرة

ثانياً : عصر المؤيد شيخ الذى حكم من ٨١٥ الى ٨٢٤ هـ ـ بنى جامعه بجوار باب زويلة (باب المتولى) وشيد منارتيه على دعامتى الباب وهماتمثالان رشيقتان . واخذ باب جامع السلطان

حسن المصفح بالنحاس والمشغول بدقة فائقة وركبه على بابه . ويمتاز المسجد بجدرانه المكسوة بالفسيفساء الدقيقة وبمحرابه ومنبره

ثالثاً : عصر بارسباى - حكم من سنة ٨٢٥ الى ٨٤٢ هـ . وامتاز عصره باحتلال جزيرة قبرص ، وقد بقيت قبرص بعد أن احتلها فى ايدى المصريين حتى سنة ٩٢٣ هـ عندما خضعوا للأتراك

وللأشرف بارسباى جامعان : احدهما فى مدينة القاهرة بالاشرفية وهو من الطراز ذى الايوانات المتعامدة ، والآخر ببلدة الخانقاه شمالى القاهرة وهو ذو صحن مكشوف وايوانات ذات أعمدة

رابعاً : عصر قايتباى - حكم من سنة ٨٧٢ الى سنة ٩٠١ هـ . وهو اطول المماليك حكماً بعد محمد الناصر بن قلاوون . وفى عهده انتعش فن العمارة ، وأكثر من بناء المساجد فى مصر والشام وأصلح كثيراً من المساجد التى كانت فى حاجة الى الاصلاح ، فقل ان تجد أثراً لايحمل اسم قايتباى دليلا على ما قام به نحو حفظه وصيانته . ومن اشهر آثاره جامعه الذى بالقرافة ذو المنارة الرشيقة والقبة المنمقة الانيقة المشيدة بالحجر المزخرف البديع

خامساً : عصر الغورى - حكم من سنة ٩٠٦ الى سنة ٩٢٢ هـ . وفى زمنه فتح سليم مصر وضمها إلى املاك الدولة العثمانية ، واشهر آثاره جامعه بالغورية والقبة المقابلة للجامع التى شيدها لتضم رفاته ، وهما اثران جليلان يكونان معاً مجموعة متزنة متناسقة

الدور السابع - عصر الدولة العثمانية

من سنة ٩٢٣ هـ الى استقلال محمد على باشا بمصر

وعندما دخل العثمانيون مصر أدخلوا الفن البيزنطى وامتزجت الصناعة التركية التى خضعت للمدنية البيزنطية بالصناعة العربية ونشأ عن هذا الامتزاج ضعف لم تقم للفن الاسلامى بمصر بعده قائمة

وأصبح للجامع طراز آخر جديد . وأهم شىء دخل فى وضعه اتخاذ القباب . وهذه البدعة المخالفة للتقاليد القديمة صارت هى الاساس الذى عليه المعول فى زمن الترك . وأصبحت تتخذ فى وسط الجامع بعد ان كانت اشارة للأضرحة والمقابر فيما سبق ذلك من الآثار . ويتضح هذا الطراز بجلاء فى جامع محمد على الذى يمتاز بجدرانه المكسوة بالمرمر الشفاف وبمناريته الرشيقتين اللتين تناطحان السحاب

حسن محمد الهواري

تورجنيف ✫ العاشق الصامت

[فى شهر سبتمبر الماضى احتفل ادباء فرنسا بمرور خمسين سنة على مولد الكاتب الروسي تورجنيف، الذي تجلى نبوغه تحت سماء فرنسا والذي قضى نحبه في بوجيفال ، في ٣ سبتمبر سنة ١٨٨٣ . والاستاذ حبيب جاماتي يرسم لنا في هذا المقال ناحية من نواحي حياة تورجنيف ، وهي الناحية الغرامية ، التي كان فيها ذلك الاديب الروسي العظيم أنموذجاً للعاشق الصامت في حبه العذرى]

أراد الكاتب الفرنسى اندريه موروا أن يصف الاديب الروسى الكبير ايفان سرجفتش تورجنيف Tourgueniev فى كلمات قليلة فقال : « ان تورجنيف يقطع شجيرات صغيرة بيضاء لكى يشيد بها مساكن كبيرة ! » ويعنى موروا بذلك أن الاديب الروسى يعالج الحوادث التافهة فيجعل منها وقائع رائعة ، ويتناول موضوعاً بسيطاً فيجعل منه قصة طريفة . وهذا ما يمتاز به ذلك القصاص الروسى الماهر ، والكاتب الذى اختلج صدره بانواع الشعور على اختلافها وتباينها ، فقد ساهم بقسط وافر فى الذخيرة الادبية التى تركها الجيل الماضى ، وسوف تظل اقاصيصه وقصصه درراً فى جيد الادب العالمى ، ما بقيت فى قلوب القراء عواطف تحركها بساطة التعبير وسمو المعانى والروح الشاعرة الحساسة

يعود الفضل إلى تورجنيف وحده دون سواه فى اذاعة الادب الروسى ونشر اسلوبه وتعريفه إلى قراء الامم الاوربية الاخرى فى الجيل الماضى . فقد كان تورجنيف أول اديب روسى هجر بلاده واستوطن باريس وهى فى اوج مجدها ، وكان أول من حمل ادباء فرنسا على الاهتمام بزملائهم الروس ، ونقل نفثات اقلامهم ونتاج قرائحهم إلى اللغة الفرنسية ، فى انتظار اليوم الذى يقدم فيه اولئك الادباء الروس على اتخاذ اللغة الفرنسية اداة لنشر آرائهم وافكارهم. فتورجنيف يعد بلا شك فاتح الطريق أمام تولستوى ودوستويفسكى وغيرهما من ادباء روسيا ومفكريها وإذا كانوا قد وجدوا السبيل ممهداً ، وباب الشهرة والذيوع مفتوحاً امامهم على مصراعيه ، فانهم مدينون بذلك إلى تورجنيف وحده ، الذى اساء إلى نفسه من حيث لا يدرى ، إذ أن شهرة تولستوى ودوستويفسكى ما لبثت ان اكتسحت شهرته ، فراح ذلك الاديب النبيل ضحية خدمة اسداها إلى مواطنيه !

ولم تكن علاقاته مع ادباء عصره من الروس على شىء من الصفاء والوئام . فان دوستويفسكى كان يكرهه كرهاً شديداً ولا يكتمه ذلك بل يحمل عليه حملات شعواء . وكان تولستوى ايضاً يحقد عليه ويسعى الى الحاق الضرر المادى والادبى به كلما وجد إلى ذلك سبيلا . وبلغ تحدى تولستوى فى وقت من الاوقات حداً لا يطاق ، فاضطر تورجنيف أن يدعوه للمبارزة مرتين

متواليتين ، ولو لم يتدخل زملاؤهما الفرنسيون لاصلاح ذات البين لوقعت المبارزة بين الاديبين الكبيرين

ومع ذلك فان تورجنيف الذى كان مواطنوه يضمرون له الشر ويدسون له فى الخفاء أو يحاربونه علناً - تورجنيف الطيب القلب المسالم - تورجنيف الذى لم يفكر فى الحاق الأذى بأحد ، لم يكن يحقد على اولئك الحقودين ، ولم يقابل قط الدس بالدس والشر بالشر ! وكان دائماً يقول : « لقد غفر السيد المسيح لاعدائه وجلاديه وهو معلق على الصليب ، أفلا يجمل بى - انا الاديب التعس الشقى - ان أغفر لاعدائى وجلادى ؟ »

وكان يقول عن تولستوى : « انه كاتب هذا العصر ونبي القومية الروسية . فاحترامه واجب على ، ان لم يكن حباً له ، فحباً لروسيا التى اعبدها ! » وكان يقول عن دوستويفسكى : « انه عدوى ولا يحبنى ولكنه كاتب عظيم ومفكر بليغ واديب بائس ، وقد يفطن يوماً من الايام الى خطئه فلننتظر ! »

* * *

ذلك هو تورجنيف ، وذلك كان شعوره نحو خصومه واعدائه . وحديثنا اليوم لا يتناول آثاره الادبية ، بل ناحية من نواحى حياته ، هى الناحية الغرامية . وما تبسطنا فى مقدمة البحث إلا لكى نصف ما كان عليه ذلك الاديب البائس من سمو الخلق ، ومن الترفع عن الدنايا والاحقاد والعوامل الشخصية فى علاقاته بزملائه الادباء

كان تورجنيف عاشقاً ، ولكنه من اولئك العشاق الصامتين ، الذين لا أمل لهم فى وصال لأنهم يعلمون قبل الانصراف الى غرامهم انه غرام مقيم لاعزاء فيه للجسم البشرى ولا نصيب فيه للحواس ! غرام تلعب فيه العاطفة البريئة دورها ، ويذوب فيه القلب ذوباناً يؤدى عاجلا أو آجلا الى ذوبان الجسم ايضاً ، فيذهب العاشق الصامت شهيد ذلك الحب العذرى ، الذى يغذى الروح ويقتل الجسد !

وقد وجد تورجنيف فى غرامه الصامت - طول حياته - غذاء وسعادة لروحه السامية ، وموتاً بطيئاً ، وشقاء لاحد له لجسده الفانى

فى أول نوفمبر سنة ١٨٤٣ شاءت الاقدار ان تدفع امرأة فاتنة ساحرة فى طريق الاديب الشاب . ومنذ ذلك اليوم كتب لتورجنيف فى صفحات القدر المصير الذى سير حياته إلى ان وافاه الأجل بعد اربعين سنة من ذلك اليوم

ففى أول نوفمبر ١٨٤٣ عرف تورجنيف « مدام فياردو » Viardot وكان ذلك فى مدينة بطرسبرج ، عاصمة روسيا فى ذلك الوقت ، حيث كانت مدام فياردو تغنى فى الاوبرا الايطالية بصوتها الذى ظل العالم عشرات السنين تحت تأثير سحره

رأى تورجنيف تلك المرأة فأحبها ، وكانت أول نظرة منها « انقضاض الصاعقة » كما يقول الفرنسيون . وقال تورجنيف للشخص الذى كان صلة التعارف بينه وبين مدام فياردو : « لقد طوقت عنقى بفضلك ، وخدمتنى خدمة عظيمة ، ولكنك اتيت عملا سوف يكون له أبعد أثر فى حياتى ! »

ولكن مدام فياردو كانت متزوجة ، وكانت تحب زوجها وتخلص له الحب وتحترمه . واسم ذلك الزوج « لويس فياردو » وكان فى ذلك الوقت مديراً للاوبرا الايطالية بباريس

أدرك تورجنيف أن حبه سيبقى عقيما ، وان لا أمل له فى الوصال مع امرأة هذا شأنها . ولكنه مضى فى حبه وهو عالم انه سيكون حباً صامتاً راضياً ، وانه لن يخرج عن الدائرة الروحية وعن حدود العاطفة البريئة

واذا كان تورجنيف قد اختار الاقامة فى باريس ، وانتهى به الأمر ان استوطن فرنسا ، ومهد السبيل فيها لذيوع الادب الروسى ، وكان أول من فتح ابوابها لزملائه الروس ، وعلى رأسهم تولستوى ودوستويفسكى - اذا كان تورجنيف قد فعل ذلك فالفضل كل الفضل يرجع فى عمله هذا الى غرامه الصامت ، والى تلك النظرة التى انطلق سهمها من مقلتى مدام فياردو ، فى أول نوفمبر سنة ١٨٤٣ ، بمدينة بطرسبرج

أصبح تورجنيف صديق اسرة فياردو ، وعزم على اللحاق بالمرأة الفاتنة التى أحبها الى حيث تذهب . ولم يفارقها الى اليوم الذى فارقته فيه الحياة . وقد لفظ نفسه الاخير بعد اربعين سنة وهو يتحدث عنها

قال يوماً لاحد اصدقائه : « لو خيرت بين امرين : ان اصبح اعظم عبقرى فى العالم على شرط ان أحرم من رؤية مدام فياردو وزوجها ، أو أن أصبح بواباً أمام بيتهما فى بقعة نائية فى اطراف العالم ، لاخترت الامر الثانى ، ولآثرت ان أكون بواباً على أن أكون عبقرياً ! »

وكتب اليها مرة يقول : « فى استطاعتى أن أؤكد لك ان العاطفة التى اشعر بها نحوك ، عاطفة لم يعرفها العالم الى الآن : فهى عاطفة لم يشعر ولن يشعر أحد بمثلها ! »

وكان أصدقاؤه الفرنسيون - وعلى الخصوص الادباء منهم الذين كان تورجنيف يقضى اوقاته معهم - يسخرون منه احياناً بسبب ذلك الغرام الصامت والحب العذرى . وكان تورجنيف يتألم لتلك السخرية ويصيح بهم قائلا : « ألا تفهمون ان للحب مقراً فى النفس ومقراً آخر فى الجسد ؟ ألا تفهمون الحب الا مقروناً بما حرمت منه أنا فى حبى ؟ ألا تفهمون أن الروح شىء والمادة شىء آخر ، وان العاطفة شىء والحواس شىء آخر ، وان فى استطاعة الرجل أن يرضى بهذه دون تلك ، أو بتلك دون هذه ؟ »

ولم يفهمه أحد من اولئك الذين كان يقضى حياته الادبية معهم ، غير زميل واحد هو

جوستاف فلوبير ، فهو الوحيد الذى كان يوافقه على المضى فى غرامه الصامت ، مادام يجد فى ذلك الغرام غذاء لروحه . وامتنع تورجنيف عن الزواج ، وهو يعلم أن شيخوخته ستكون شديدة الوطأة عليه ، لأنه وحيد فى هذا العالم . ومع ذلك فانه لم يفكر قط فى الزواج ، قائلا انه يؤثر عليه حبه الروحى واخلاصه لمدام فياردو

وكثيراً ما كان تورجنيف ينصح الشبان بتجنب الزواج والامتناع عنه ، ولكنه فى اواخر حياته عدل عن هذا الرأى ، وكتب يقول : « تزوجوا أيها الشبان ولا تصغوا الى النصائح التى اسديتها اليكم من قبل فقد كنت مخطئاً ، ولا يمكنكم ان تتصوروا مبلغ التعس الذى يعانيه الرجل فى شيخوخته ، وما أشد وطأة هذه الشيخوخة عند ما يضطر الرجل - بالرغم من ارادته - ان يجلس على طرف عش رجل آخر ، ويتلقى التعطف كما يتلقى الاحسان ، ويعيش كالكلب الهرم الذى يوشك صاحبه ان يطرده لو لم يكن قد ألفه واشفق عليه ! »

وهذه الكلمات تصف وصفاً دقيقاً تاماً حياة تورجنيف فى أيامه الاخيرة ، فقد قضاها ذلك العاشق الصامت القنوع على طرف سرير رجل آخر ، بجوار امرأة احبها اربعين سنة ، وظل مخلصاً لها فى حبه ، والزوج عالم بتلك العاطفة التى خفق بها قلب تورجنيف طول تلك المدة ، وبقيت حية فى صدره بعد ان حطت عليه الشيخوخة باثقالها ، وبعد ان تكلل جبين المرأة المحبوبة بالبياض !

وعند ما دنت ساعة تورجنيف الاخيرة ، وشعر بالفناء يدب اليه صاح قائلا : « ان الموت لشىء قبيح ، ولو كان الموت يقتلنا فجأة وبضربة واحدة لما حق لنا ان نشكو ، فان كل شىء ينتهى عند هذا الحد . ولكن الموت ينساب الينا من الوراء انسياب السارق ، فيأخذ من الرجل روحه وذكاءه وحبه لكل ما هو جميل ، فهو يسطو على خلاصة الانسان البشرى ، فلا يبقى منه غير الغلاف ! » . ثم قال هذه الكلمات : « نعم ان الموت هو الكذب المجسم ! »

وعندما دخلت مدام فياردو - المعشوقة المعبودة - الى الغرفة التى كان الاديب الكبير يعالج فيها سكرات الموت ، نظر اليها نظرة اخيرة ، ورفع رأسه وارتسمت على فمه ابتسامة الرضى والارتياح ، بل ابتسامة الفرح والغبطة ، وتمتم قائلا : « هذه ملكة الملكات . ما أكثر الخير الذى صنعته فى هذا العالم ! »

وانكبت مدام فياردو على رأس العاشق الصامت ، واغمضت عينيه يدها . ولا شك فى انها تذكرت فى تلك اللحظة الرهيبة - فى ٣ سبتمبر ١٨٨٣ - تلك الليلة البعيدة ، التى رآها فيها تورجنيف للمرة الاولى ، فى بطرسبرج ، فى اول نوفمبر ١٨٤٣ . ولا شك أيضاً فى أنها أكبرت اخلاص ذلك الرجل النبيل ، الذى اخلص لها الحب مدة اربعين سنة ، راضياً بعطفها ، مكتفياً بسحر عينيها وبابتسامة اخوية كان يجد فيها الغذاء والعزاء !

حبيب جاماتي

انقلاب

قصة مصرية * بقلم الاستاذ محمود تيمور

(خطاب من سعاد المقيمة فى القاهرة والمتزوجة من سامح بك القاضي الى صديقتها سمية المقيمة في باريس والمتزوجة من عادل بك أحد رجال السلك السياسي)

القاهرة فى ١٨ يناير سنة ١٩٢٩

عزيزتى سميه :

لم أكتب لك منذ أمد طويل بعد أن كانت رسائلى تصلك كل أسبوع . وهذا تقصير شنيع لا أغتفره لنفسى . وها أنت ذى قد قطعت عنى خطاباتك بعد يأسك منى . وأرسلت تسألين الأقارب والصديقات عما دهانى . وما زلت احمل فى محفظتى كتابك الأخير الذى ملأته تعنيفاً . يحق لك يا صديقتى أن تغضبى ، ولكن لو علمت ما أنا فيه لعذرتنى

هأنذا أخرج من صمتى وأفتح لك عن مكنونات قلبى . إننى فى حاجة الى الكلام بعد هذا الصمت الطويل ، إلى الكلام مع شخص مثلك يفهمنى وأفهمه . . إذن اسمعى :

لعلك تعجبين إذا قلت لك أول وهلة وبالرغم من كل الظواهر التى تكذب قولى : إن حياتى الزوجية التى كنت تعتقدين انها مثال السعادة والهناء لم تكن فى الواقع كذلك . هذا اعتراف جاء متأخراً ولكنه جاء فى حينه . ستة اعوام عشتها مع سامح وأنا أشعر بفراغ هائل يحيط بى فيخيل لى أنى اعيش فى قصر من القصور الخربة الموحشة التى يخيم عليها الصمت والظلام ، فكنت ارتجف مذعورة ابحث عن نور اضىء به ظلمة نفسى وعن ضجة املأ بها فراغ حياتى . أراك الآن تنظرين الى متعجبة حائرة وتسائليننى فى جزع : هل تسمعين حقاً هذا الكلام من صديقتك سعاد ، الزوجة التى يحسدها الكل على زوجها . أليس سامح هذا هو ذلك الزوج الطيع الكريم العفيف اللسان النزيه الذى يشبه قلبه فى صفائه وطهارته قلب الطفل البرىء؟ أجل ياسمية هو كذلك وأكثر . وإنى لأعجب من نفسى كيف لم أحس لذلك الزوج الكامل بأكبر حب فى الوجود . انه لم يكن يستحق منى أقل من ذلك . ولكن واأسفاه ! كنت أشعر نحوه ببرود غريب لا افهم له سببا ! ولا اغالى إذا قلت إن ذلك البرود كان ينقلب بعض الأحيان الى شىء من الكره . يالله ! كيف استطيع أن أقول ذلك عن سامح؟

وكثيراً ما را نى صامتة منطوية على نفسى اجتر همى الغريب فيأتى الى مبتسما فى هدوء ويلاطفنى فى عذوبة ويسألنى عن سبب صمتى وهل انا متضايقة من شيء. فكنت اصرخ فى وجهه متسائلة : هل يحق لى ان أصمت برهة من الزمن ؟

فينظر الى مبهوتاً ثم ينسحب خجلا . ولا ألبث أن استدرك غلطتى فأقوم اليه اسأله العفو معتذرة بأنى مريضة وانى اشكو صداعا وأن حى له لايقدر !

ثم أحتضنه واقبله . ولكن أى قبلات هذه التى كنت اطبعها على جبينه ؟ كنت انتزعها من فمى انتزاعا ، وعندما انفرد بنفسى فى حجرتى كنت اترك العنان لدموعى

وما رأيك ياسمية فى أننى كنت أخاصمه أياما بلا سبب مطلقا ! واشعر فى داخلية نفسى بنوع من السعادة الوحشية عندما كنت آراه متحيراً مهموما . وكان يحاول عبثاً ارضائى فى مذلة وخضوع . . آه . لقد كانت هذه المحاولات مما تزيد فى غيظى منه وسخطى عليه

وكانت صويحباتى يحدثننى عن خيانة ازواجهن لهن ويروين لى قصص حياتهن القلقة المتألمة ويغبطننى على حياتى السعيدة مع زوجى الوفى ، فكنت أعجب لنفسى لماذا لا أشعر أنا بهذه السعادة التى يغبطننى عليها ! وعندما كنت انفرد بزوجى كنت اسائله :

ـــ احقا لم تخنى يا سامح ؟

فينظر الى مبهوتا ويجيب :

ـــ وهل تشكين فى ذلك ياسعاد ؟

ـــ حتى ولا مرة واحدة ؟

ـــ مامعنى ذلك ؟ انك بلا ريب تريدين إغضابى !

واميل عليه وبى احساس غامض غريب واقول له هامسة :

ـــ حدثنى عن شيء من ماضيك

ـــ ماضى ؟ !

ـــ أجل ماضيك قبل الزواج وعلاقاتك مع عشيقاتك . ارو لى دقائق هذه الاسرار .

فينظر الى متحيراً ويقول :

ـــ ماذا تقولين ياسعاد ؟ أنت مجنونة !

واطوقه بذراعى وأقول له :

ـــ اريد ذلك . لاتخش بأساً . .

ـــ ليس لدى ماض اورويه لك . هذا شيء لايصح أن يتحدث به الزوجان

فأقوم ثائرة وأرميه بالوسادة وأهرع الى غرفتى الخاصة وأقفل بشدة بابها على

هذا فيما مضى . أما اليوم فأمرى عجب ! اصغى الى جيداً . منذ بضعة أشهر بدأت ألاحظ

على سامح شيئاً من التغير ـ تغير كان يزداد على توالى الأيام . لاحظت عليه أولا ميله إلى الموسيقى بعد ما كان يهرب من الحجرة التى كنت أدير فيها الفونوغراف . وأصبح يحرضنى على سماع الراديو كل ليلة حتى منتصف الليل ، وهو الذى كان يغلق عليه باب مكتبته ولا يتركها إلا حوالى الفجر منهوك القوى من بحوثه القانونية . ووجدته يعتنى بملابسه ويدقق فى انتخاب القميص والكرافت اللذين يوافقان البدلة . ثم أخذ يملأ خزانة التوالت بالعطور ولا يخرج من المنزل إلا كالزهرة العبقة تملأ الجو حولها أرجا جيلا . ورأيته يطيل النظر فى عينى وهو يبتسم فى غموض . وكنت ألاحظ أن قوة حارة تنبعث من شفتيه . فاذا ما اقترب منى يريد تقبيلى شعرت باسترخاء وتخاذل واغمضت عينى فى استسلام لذيذ

وقال لى مرة إنه سيتغدى مع رشدى بك ابن عمه . وحوالى الساعة الثالثة دق التليفون وكان رشدى بك هو المتكلم . وعلمت أن سامح كذب على . يالله ! أول كذبة فى حياتنا الزوجية . وشعرت كأن أتوناً حامياً قد اتقد دفعة واحدة فى قلبى . وقضيت الوقت انتظره وأنا اروح واجىء فى الردهة كالثمرة الهائجة . وفى الساعة السابعة حضر . دخل يغنى ويهز سلسلة ساعته . وما كاد يخطو بضع خطوات حتى برزت له ووقفت امامه وجهاً لوجه ، وقلت له :

ـــ لم تتغد مع رشدى بك اليوم . لا تحاول أن تنكر

فنظر الى برهة نظرة فاحصة . ثم اندفع يقهقه . فامسكت يده وشددت عليها وقلت :

ـــ كيف تجرأ ان تكذب على يا خائن ؟

فقلل من ضحكه وهو ينظر الى نظرات عميقة ملأى باحساسات حارة وقال فى هدوء :

ـــ يالله ! يدك باردة . . . .

ـــ اخبرنى أين كنت ؟

ـــ كنت عند صديق لا تعرفينه

ـــ سمه لى

ـــ بما أنك لا تعرفينه فيمكنك ان تسميه أنت كما تشائين !

ـــ أنت وغد . . .

ـــ بدأنا نتشاجر الآن حقاً

ـــ لماذا كذبت على ؟ .. أجب

ـــ لماذا كلمة « أجب » . وأنا سأجيب بالطبع ؟

ـــ كذاب منافق خائن

ـــ أحقاً أنا كذلك ؟

ـــ وأكثر

ـــ شكراً

ـــ أجب لماذا كذبت على ؟

ـــ لم أكذب عليك مطلقاً . كان فى نيتى أن اتناول الغداء مع رشدى بك فغيرت رأيى وذهبت عند غيره . أليس الانسان حراً ؟

ـــ وقد شربت معها كثيراً من الشمبانيا !

ـــ ان حاسة الشم عندك يا سعاد اصبحت تفوق حاسة الشم عند القطط

ـــ كفى يا فاجر . ولكننى سأريك . . . سأريك

واندفعت اضربه بكلتا يدى على صدره . وقطعت له ازرار صداره . وشددت سلسلة ساعته ورميت بها على الارض.وكنت أضرب الارض وأنا اصيح وألعنه.ولم يحرك ساكناً بل تركنى افعل ما اريد . وكان يبتسم . وبغتة امسكنى بقوة وأخذ يحدقنى بنظره القوى وقال متمتما :

ـــ كم انت رائعة فى غضبك يا سعاد ! دعينى أتأملك

ثم أقبل على يقبلنى فى وحشية غريبة . فى عنقى فى عينى فى فمى . . فى كل موضع تقع عليه شفتاه . يا الله ! كم كانت لذة هذه القبلات العنيفة . لن استطيع أن أصف وقعها فى نفسى !

. . . ومرت الأيام . وازدادت حياة سامح غموضاً . وأصبح لغزاً لا استطيع الوصول الى حله ، وكانت ابتسامته الغريبة هى كل ما عنده من جواب على حيرتى

ومرة عند ما كنا ندخن بعد طعام الافطار باغته بقولى :

ـــ سامح ، انى سأخونك

فنظر الى مبتسما وقال :

ـــ تحسنين صنعاً

ـــ أقسم بالله سأخونك

ـــ وما الذى يمنعك عن ذلك ؟

ـــ لايستطيع أن يمنعنى أحد . اصغ الى . ان لى عشيقاً

ـــ شيء ظريف . . !

ـــ وانى أعبده

ـــ ألاحظ ذلك

ـــ ما رأيك ؟

ـــ الطبيعة لا تنافى وجود العشاق

ـــ هذا كل ما عندك ؟ ـــ طبعاً
ـــ ألا تريد أن تعرف اسمه ؟ ـــ كلا
ـــ لانك تغار منه ؟ ـــ بل لانى أعرفه
ـــ أحقاً ؟ ومن هو ؟
ـــ ماد منا نعرفه نحن الاثنين فلا داعى لذكر اسمه
ـــ أقسم بالله أنك متضايق
ـــ أتلاحظين ذلك ؟ ـــ كل الملاحظة
ـــ اذن أنا متضايق !
ـــ . . وسأخرج مع هذا العشيق الليلة
ـــ على ضوء القمر
ـــ فى قارب يمخر بنا عباب النيل
ـــ ومعكما عازف يضرب على العود
ـــ وسنكرع من الشمبانيا ما نشاء
ـــ يا لها من نزهة تذكرنا بأيام الرشيد !

وغمرنا الصمت برهة . ثم قام بعد ذلك سامح الى التليفون وسمعته يكلم شخصاً ويقول .

ـــ جهز لنا قاربا نظيفاً بجوار « سميراميس » واحضر معك زين الدين العواد وبضع زجاجات من الشمبانيا الفاخرة . . فى الساعة التاسعة

وقمت اليه وأنا منفعلة وقلت :

ـــ لا أفهم شيئاً

فوضع سماعة التليفون فى هدوء واقترب منى . ثم أمسك برأسى وأحدق فى طويلا بعينيه المتقدتين ثم قبلنى قبلة طويلة عميقة تجمعت فيها لذائذ الحياة كلها !

. . . . وفى الساعة التاسعة مساء خرجت معه الى سميراميس وركبنا القارب وأمضينا وقتاً من أشهى الاوقات

. . . . والآن ياصديقتى بعد ما أطلعتك على الجانب المهم من أسرار حياتى الحاضرة لعلك تريدين أن تسألينى قائلة : « ما الذى تشعرين به نحو سامح اليوم ياسعاد؟ » ، وهنا أقف أمامك بلا جواب ، ولكنى أعترف لك بأن هذا الزوج الغريب أصبح اليوم يشغل أكبر حيز فى حياتى !

وختاما أرسل لك قبلاتى الحارة المخلصة سعاد

محمود تيمور

ماذا يقرأ العامة

للأستاذ أمير بقطر

العامة بأوسع معانى الكلمة هم الأغلبية الساحقة فى كل أمة . وسيكون الكلام فى هذا المقال مقصوراً على الأمم المتمدينة ، أو نصف المتمدينة ، أو الشبيهة بها . إن الطبقة الممتازة من الافراد المهذبين المثقفين – على ضآلة عددهم – تنزل إلى مستوى الرعاع فى فترات معلومة من حين إلى حين وتطرح جانباً الكتب والمجلات والصحف الراقية والعلم الصحيح والأدب العالى والثقافة السامية وتهوى إلى القرارات ، فتقرأ الأوراق الصفراء ، وتتصفح الكتب البذيئة ، وتلجأ إلى المجون والخلاعة فى القصص والروايات ، وتبحث عن أحط الأخبار فى الصحف التى تلعب بعواطف الجمهور وأعمق أسرار البيوت وخفايا الأسر والأزواج التى تستهوى بها المجلات قلوب القتيان ، وفضائح العظماء والأمراء وربات الخدور وأخبار المسارح ودور الرقص ورجال الفنون الجميلة ونسائها ، التى تحرك بها الصحافة والمطابع طيات الافئدة ودفين المشاعر ، نثراً وشعراً وتصويراً

وقد لا نعجب كثيراً إذا رأينا العامة يحجمون عن قراءة الكتب العلمية والادبية والمقالات الراقية التى تستند على حقائق هامة وآراء اجتماعية خطيرة ، لان معلوماتهم الضئيلة لا تمكنهم من فهم الاسرار العلمية أو إدراك المرامى الادبية أو الاجتماعية ، فلا بد لهم إذاً من الخضوع للفطرة والاستسلام للطبيعة الانسانية الساذجة ، التى تتطلب الاشباع أينما وجدت مصادره

ولكننا نعجب أن نرى مهذباً وافر التهذيب ، ومثقفاً عميق الثقافة يتسفل إلى مستوى الرعاع ، فيطالع من الكتب والمقالات ما يطالعون ، ويستمع إلى الاغانى والاناشيد التى اليها يستمعون ، ويحضر من الروايات المسرحية والسينمائية ما يحضرون ويمتع نظره بصور الخلاعة ورسوم الفجور التى بها يتمتعون

غير أننا إذا رجعنا إلى طبيعة الانسان ، واستأنسنا بآراء الثقات من علماء النفس ، أدركنا أن هذه الطبائع الانسانية وتلك الغرائز البشرية لا تزال نزاعة إلى الفطرة ميالة إلى السذاجة القديمة التى ورثناها من أسلافنا منذ عشرات الالوف من السنين ، حينما كانوا يتسلقون الاشجار ويأوون الادغال والاجمات . ومن الغريب أن هذا الجنوح إلى الطبيعة الفطرية الموروثة ما يزال مشاهداً فى الافراد ، مهما كان نصيبهم من المدنية ومهما صقلتهم التربية وعملت فيهم أيدى التهذيب . ويؤكد لنا العلماء أن ما نال الطبائع الانسانية من الصقل والتهذيب فى خلال العشرين الف سنة الماضية ، لا يعد شيئاً فى جانب ما لا نزال عليه من الخشونة والسذاجة والنزوع إلى الحيوانية .

وإذا كان تقدمها يسير بهذه الخطى الثقيلة فلا بد أن ننتظر مئات الألوف من السنين ــ إن لم يكن مليون سنة ــ قبل أن تبلغ درجة عظيمة من الرقي والتهذيب الصحيح

ولا أريد أن ينسى القارىء أننا نتكلم الآن عن الطبيعة الانسانية وما تشمل من خوف وقتال وحب وبغضاء وجوع وميل جنسي وغير ذلك . ولا نتكلم عن الرقى المادى فى الصناعة والزراعة والاختراع وطرق العيش والمواصلات

وربما لا يغيب عن الاذهان أن معظم المقالات والكتب والصور المبتذلة ، التى تنشر للعامة إنما يقوم بتأليفها أو تصويرها أو نشرها جماعة من غير العامة ومن طبقة يقال عن أفرادها على الاقل إنهم مثقفون ، وقد اتخذوا الكتابة للعامة صناعة والضرب على أوتار العامة حرفة ، بعد أن فهموا نفسياتهم ووزنوا عقلياتهم ، وعرفوا كيف تؤكل الكتف وكيف تستنبز الاموال وتستهوى العقول



وهنا نعود إلى السؤال الذى اتخذناه عنواناً لمقالنا ، وهو : « ماذا يقرأ العامة ؟ »

أولا ــ يقرأ العامة كل ماله صلة بغريزة المحافظة على النفس . ويدخل فى ذلك أخبار التعدى والضرب ، وجنايات القتل ، وقصص الانتحار ، والروايات الجاسوسية ، وحكايات اللصوص والعصابات المسلحة . ولعل الصحف المصرية ــ خصوصاً اليومية منها ــ أقل اهتماماً بهذه من أى صحف أخرى فى العالم . فالجرائد الاميركية والانجليزية والفرنسية تسهب فى وصف الوقائع الجنائية المثيرة للعواطف وتجعل رءوس مقالاتها بارزة ضخمة ، وعناوين أخبارها أخاذة جذابة لايسع القارىء إلا تفضيلها على سواها من المسائل الهامة العامة

وإذا تصفحت الجرائد اليومية الرسمية أو الشبيهة بالرسمية تجدها تغاير بقية الجرائد فى وضع المسائل العامة فى المنزلة الاولى وإحلال الاخبار الجنائية المشار اليها المحل الثانى . فجريدة الطان فى فرنسا لا تفسح إلا القليل من أعمدتها لحوادث القتل ، ولا تجعل لها عناوين بارزة ، فى حين أن بقية الجرائد كالجورنال وبتى جورنال وبارى سوار وبارى مدى وانترانسيجان ، وحتى جريدة الماتن ــ تملأ أظهر مكان فيها بهذه الاخبار . ويشاهد أن صحيفة البتى باريزيان وهي شبيهة بالرسمية لا تغالى كالصحف التى ذكرنا فى تفصيل حوادث القتل ، ولا تهملها أو تقلل من أهميتها كما تفعل جريدة الطان

كذلك صحيفتا نيويورك تيمس والصن (Sun) مثلا لا تسترسلان فى هذه الاخبار ، بل تشيران اليها فى مكان غير ظاهر ، وتخصصان أهم صفحاتهما للاخبار الدولية والمسائل العامة من المالية والتجارة الاميركية ، فى حين أن عدداً كبيراً من بقية الصحف الاميركية تجعل الاخبار المثيرة

للعواطف شغلها الشاغل وتبعث بمكاتبيها ومصوريها إلى الاماكن التي حدثت فيها هذه الوقائع . فيسهبون في الوصف ويستقصون خفايا الحوادث ويصورونها بطرق تجعل الجمهور يقبل بلهفة على قراءتها ، وكأنهم يساقون اليها سوق الأغنام

وكنت أعتقد الى عهد قريب أن الصحف الاميركية اكثر انغماساً في التلاعب بعواطف الجمهور والضرب على الاوتار التي تحرك مشاعرهم من غيرها من صحف العالم . غير ان ما نشاهده في الصحف الانجليزية منذ بضع سنوات — فيما عدا التيمس — غير في هذا الاعتقاد . وكنت في خلال عدة عطلات صيفية أطالع الصحف الفرنسية بكثرة ، خصوصاً في صيف هذا العام حيث قضيت اكثر من ثلاثة أشهر في قرية فرنسية . وقد أصبحت الآن أميل الى الاعتقاد أن معظم الجرائد الفرنسية يمكن ان يقال عنها إنها لا تقل مقدرة على التهليل والتكبير والاغراق في استهواء العامة عن الجرائد الاميركية

ثانياً — يقرأ العامة كل ما له صلة بالعلائق الجنسية ، من أخبار الزواج وقصص الحب والطلاق ، وحوادث هتك العرض والفسق واللواط والسحاق والفعل العلني الفاضح ، والجرائم الناتجة عن الغيرة ومواقف الغرام وما الى ذلك . وهذه لا تحتاج الى بيان ، فما عليك الا أن تلقى نظرة واحدة على المجلات المرصوصة في مواقف باعة الصحف في مدن العالم الكبرى ، حتى تدرك مقدار الصور والمقالات التي تخصص لهذا الغرض ، وما عليك إلا أن تبتاع جريدة صباحية أو مسائية في نيويورك أو لندره أو باريس ، حتى تجد الحوادث النسائية والوقائع الغرامية محبوكة في لغة تثير النفوس وتدفع القارئ الى متابعتها يوماً بعد يوم

ثالثاً — يقرأ العامة كل ما له صلة بأخبار المخاطرة والمجازفة والمسابقات الرياضية ، وغرائب المخترعات والاكتشافات ، والمطامح الجسيمة ، والنجاح الفجائي في جميع مظاهر الحياة ، وما شاكل ذلك

ويفهم مما سبق أن السواد الاعظم قليلو الاهتمام بأخبار الميزانيات والضرائب ونزع السلاح والمنافع العامة وأعمال البلديات ، إلا في أحوال استثنائية أو لاسباب محلية ، كما في الضرائب عند الانجليز مثلا لأن لها أهمية خاصة ، إذ يدفع الانجليزي ثلث دخله تقريباً تسديداً لها على اختلاف أنواعها . ولذا لا نلوم معظم الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية إذا أغرقت صفحاتها المقالات المفصلة عن حوادث القتل والسرقة والغرام والحريق والغرق والملاكمة والمصارعة وفضائح البيوت العريقة ، وأخبار الملوك والزعماء وقادة الرأي وأصحاب الملايين واشتعال لهب الثورات ، وتنافس الاحزاب السياسية وتطاحن الهيئات النيابية ، والمفاجآت الغريبة في عوالم الاختراع والصناعة ، وبالاجمال كل ما يستفز العواطف ويشبع الطبيعة الانسانية

ولما كانت الصحف تعيش من قرائها فانها تتجنب أحياناً أهم الاخبار إذا علمت أن قراءها

لا يجدونها طلية جذابة . وقد تنشر الاخبار التافهة عديمة الاهمية اذا توافرت فيها الشروط التى تجذب اليها القراء . فقد يضطر رئيس التحرير أن يقنع الجمهور برأى فى لهجة شديدة ولغة محشوة عباراتها بالبارود والديناميت ، وهو بعيد عن الاخذ بهذا الرأى بعد الارض عن السماء . ومثله مثل الراقص أو المغنى يطرب الجمهور ويلهو معهم فى ظروف قد يكون فيها مثقلا بالهموم والاحزان

وصاحب الجريدة يعلم أنه إذا نشر خبراً عن كلب كلب عض رجلا ، فقلما يهتم بهذا الخبر قارىء . أما إذا نشر أن امرأة أو رجلا عض كلباً ، فان هذا الخبر يصبح حديث المائدة فى كثير من البيوت والاندية والمجتمعات

وقد يندفع العامة وراء تيار خاص منشؤه جريدة ساقطة . ويلاحظ فى بادىء الامر أن الصحف الراقية تمتنع عن تغذية هذا التيار ، ولكنها تتدرج اليه مدفوعة برغبات العامة ومطالب السواد الاعظم من القراء ، فتنشر أمهات الجرائد سخافات يسخر بها صاحب الجريدة فى سره ، ويهزأ بها رئيس التحرير ، ولكنه لا يجرؤ على العوم والسباحة ضد التيار ويصبح مثله مثل جاليليو الذى أرغم على الاعتراف ساجداً أن الارض لا تدور حول الشمس . ولما ان انتهى من اعترافه نهض من سجوده وهو يقول بصوت منخفض مبتسما : « ومع ذلك فالارض تدور حول الشمس يقيناً »

ومن أفكه ماقرأت من هذا القبيل مقال طلى نشرته صحيفة مصرية مشهورة شاء رئيس تحريرها أن يذيله بتعليقات أو مقال آخر بقلم أحد قراء صحيفته ، وكان مما يسترعى الانظار فى هذا المقال وملحقاته أن الكاتب الاصلى عالم متقف ، استعان فى بحثه بنظريات بيولوجية فى النشوء والارتقاء ومبادىء سيكولوجية عميقة فى الطبيعة البشرية ، وأن الكاتب « الملحق » استند فى تعليقاته على ما يشبه التعاويذ وقراءة الكف وضرب الرمل ، وبرهن على جهله المطبق بالحقائق العلمية الحديثة . وكان لاشك موضع السخرية من قراء الجريدة من غير العامة

ولا بد أن رئيس التحرير — بعد قراءة هذه التعليقات التى استمد الكاتب حكمتها من العصور «المظلمة» — أخذ يوازن بينها وبين المقال الاصلى الذى استمد الكاتب حقائقه من نور القرن العشرين . ثم ابتسم بسمة المنتصر وهو يضغط كرسى مكتبه إلى الوراء إلى أقصى ما يؤدى به اللولب ، لانه استطاع أن يغذى العامة بالسفاسف التى يريدون ، وأن يتجنب غضبهم مما جاء فى المقال الاصلى

ومن ألطف ما رأيت من الصور الهزلية (كاريكاتور) رسم يمثل امرأة أوربية ، يستوقفها أحد الصبية من باعة الجرائد فى منتصف طريق عام فى إحدى المدن الكبرى ، ويعرض عليها شراء واحدة من جريدتين . وقد أمسك باليد اليمنى جريدة كتب على الصفحة الاولى منها بخط كبير بارز « فتاة فاجرة تقتل خليلها رمياً بالرصاص » وباليد اليسرى الجريدة الاخرى ، وقد كتب عليها

بخط كبير أيضاً « انفجار فى مصنع يدمر عشرين بناية » فتتناول السيدة « المونوكل » وتضعه على عينيها ، ولا يكاد يقع نظرها على الصحيفتين حتى تختطف الاولى من يد الصبي ، وهي تقول له : « أفضل القتل على الانفجار »

وولع الجمهور بقراءة أخبار القتل وتفاصيل حوادثه باسباب يرجع كما ذكرنا الى طبيعة الانسان الاصلية فى المحافظة على النفس ، كما أن رغبة جمهور القراء فى مطالعة أخبار الالعاب الرياضية والملاكمات والمصارعات وغيرها — خصوصاً الدولية منها — يعود الى غريزتى القتال والتنافس . وقد كان سكان فرنسا هذا الصيف يرقبون نتيجة مسابقة التنس الدولية وإحراز كأس ديفز بفارغ الصبر ، حتى ان الكبار والصغار والاسياد والخدم والصناع والعمال والتجار ظلوا ينصتون الى الراديو ساعات طويلة إلى أن أعلنت نتيجة الحكم

واتفق منذ عهد قريب ان التأم فى نيويورك مؤتمر كبير للتربية حضره نحو عشرين الفاً من جميع بلدان العالم ، تحت إشراف جمعية للتربية مشهورة هناك تعرف باسم «N.E.A.» وأعضاؤها يربون على مائتى الف — اتفق انعقاد هذا المؤتمر الجليل فى يوم أقيمت فيـه أيضاً حفلة ملاكمة . أيدرى القارىء نصيب مؤتمر التربية من النشر عنه فى الصحف الاميركية فى جانب نصيب حفلة الملاكمة ؟ هاك الارقام نقلا عن احصاء قام به أحد أعضاء المؤتمر : —

(١) كان مجموع الاعمدة التى خصصتها ثمانية الجرائد الـكبرى فى نيويورك لحفلة الملاكمة بقدر ما خصص لحفلة المؤتمر باربع عشرة مرة

(٢) فى أهم جرائد شيكاغو لم يزد كل ما كتب عن المؤتمر عن بوصتين (٥ سنتيمترات) فى حين أن ما نشر عن الملاكمة بلغ أكثر من ١٣٥٣ عموداً

(٣) فى فيلادلفيا لم تذكر الصحف كلمة واحـدة عن المؤتمر ، وملأت صفحاتها بأخبار وتفاصيل الملاكمة

(٤) ولم تشذ عن هذه القاعدة الا جريدة واحدة مشهورة يظهر أنها ضربت صفحاً عن رغبات العامة فنشرت ٢٦٧ بوصة عن المؤتمر ولم تذكر كلمة واحدة عن الملاكمة

☆☆☆

واذا تساءلنا هل يضمن الـكاتب أو المحرر نجاح المقالة أو الرواية أو الكتاب ، بعـد أن أدركنا ما يستهوى الجمهور أو العامة ، حرنا فى الجواب ، لان الواقع يدلنا على أن ابرع الـكتاب قد تفشل كتبهم ومقالاتهم ، برغم أنها فى نظرهم أثمن ما خطته أقلامهم . ومخرجو الروايات التمثيلية والاشرطة السينمائية ، مع ما مر عليهم من صنوف الروايات وما خبروه من أميال الجمهور ، قد تصل إلى أيديهم روايات يخيل اليهم أنها من أينع ثمرات العقول ، فيحملهم هذا الاعتقاد الى الانفاق عليها بسخاء ، ومتى جاء يوم الامتحان ورفع الستار قابلها النظارة بالفتور أو الاشمئزاز ،

وأحياناً بالاستهجان والتصفير وماتت وهي فى المهد صبية

وبعكس ذلك قد يترددون فى قبول رواية ، ويحكمون بالاجماع على أنها سخيفة ، وأن مصيرها السقوط ، ويشحون فى الانفاق عليها ، ولا تكاد تعرض على العامة حتى تقابل بزوبعة من الاستحسان ويستمر تمثيلها يومياً سنتين أو ثلاثاً أو اكثر . وقد اعترف بهذه الحقيقة مديرو المسارح الاميركية وشركات الصور المتحركة فى هوليوود ، وقالوا إجابة عن أسئلة وردت اليهم من بعض أساتذة علماء النفس إنهم لا يدرون نشر ما يعجب الجمهور إلا بطريقة اجمالية ، وإن جل ما يعلمون فى هذا الشأن أن الروايات كالكتب والمقالات تنجح اذا ما توافرت فيها شروط التسلية ، وتفشل فعلا اذا ما كانت لمجرد الثقافة أو العلم ، ولا يستثنى من ذلك إلا القليل

وكثيراً ما يظن أن مؤلفاً خاصاً يغضب الجمهور لانه لا يتفق مع تقاليدهم وعاداتهم أو عقائدهم، ومع ذلك يدلنا الواقع على العكس . فها هي الرواية المعروفة باسم « المراعى الخضراء » فى أميركا ، كان ثمة ما يحمل على الاعتقاد بأنهـا لا تصادف نجاحاً لسببين : أولا لان موضوعها يجرح الشعور الدينى العام ، والمعروف عن سكان الولايات المتحدة الاميركية أنهم يحترمون هذا الشعور ويقدرونه . فبطل الرواية « الله » وبقية أشخاص الرواية أعلام التوراة والانجيل . ووجه الشذوذ فيها أن واضعها صور الله والانبياء والملائكة كالبشر فى مشاعرهم وحياتهم وأقوالهم . فترى « الله » جالساً الى مكتبه كأنه أحد رجال الاعمال ، وأمامه سكرتيره الخاص ، وهو أحد الملائكة الذين يتقنون الاختزال واستعمال الآلة الكاتبة ، وتجد الملاك جبرائيل يقدم له لفافة من التبغ من النوع الجيد لتدخينها ، وتسمع الله يشكو لوكيله جبرائيل سوء حال البشر وكثرة الاعمال ويكاد يعتزل وظيفة الالوهية ، وهو يقول فى ضجر وأسف : « حتى الالوهية ليست فراشاً من الورد » Even to be a God is no bed of roses . وترى الخدم وهم من الملائكة يتحدثون عن التأثر البادى على وجه الله والهموم التى تساوره من عدوان بنى الانسان وشرهم . وترى فوق جناح الملك الخادم الخرقة التى يستعملها لتنظيف أثاث المكتب

أراد المؤلف فى الرواية أن يصور الذات العلية فى صورة انسان بشرى ، يسر ويحزن ، ويجذل ويتألم ، ويرضى ويغضب ، حتى يقربه الى الافهام ولكن هناك نقطة ثانية حساسة جاءت فى تمثيل الرواية وهي أن فرقة الممثلين التى وضعت الرواية خصيصاً لها من الزنوج (السود) . فكنت ترى على المسرح الذين يقومون بدور الله والملائكة والانبياء كلهم من لزانوج . كذلك الفتيات اللاتى كن يمثلن أدوار السكرتيرة ، التى تكتب على الآلة الكاتبة والخادمات كلهن من الزنجيات فى شكل ملائكة ذوى اجنحة

كان ينتظر أن تسقط هذه الرواية أو يقاطعها الناس ، ولكنها صادفت نجاحاً لم يسبق له مثيل الافى أقوى الروايات . فقد أراد كاتب هذه السطور حضورها فى نيويورك فقيل له انه لا يستطيع

شراء تذكرة لهذا الاسبوع ولا يمكنه حضورها قبل مرور ثلاثة أسابيع ، مع العلم أنه كان قد مضى عليها سنتان وستة أشهر ، كانت تمثل فى خلالها مرتين يوميا « ماتينيه » و « سواريه » وقد غادرت نيويورك وهي ما تزال تمثل فيها . وقد قرأت أخيراً أن الفرقة الآن فى شيكاغو تقوم بتمثيلها هناك

ومن المدهش أن انجلترا — وهي أكثر تسامحاً من أميركا فيما يتعلق بمسألة الاجناس « الملونة » — رفضت ان تمثل فرقة زنجية رواية تستمد حوادثها من التوراة والانجيل . وقال أولو الشأن إن الجمهور قد يتعدون على الممثلين وتهيج خواطرهم اذا شاهدوا زنجياً يمثل الله وزنجياً يمثل المسيح . واذا علم القارىء مقدار المشاكل التى تجرها المسألة الجنسية اللونية فى امريكا والعزلة التامة التى يجبر العبيد على اتخاذها هناك — عجبنا كيف ان رواية كهذه تنجح هذا النجاح . واول ما خطر ببالى بعد مشاهدتى هـذه الرواية مع شدة اعجابى بها انه اذا ترجمت الى العربية ومثلت فى مصر سواء أكان الممثلون والممثلات من السود أم من البيض . فان النظارة يقضون على افراد الفرقة قبل نهاية الفصل الاول

ومن الروايات التى كان سقوطها منتظراً مأساة وضعها حديثاً أونيل (O' Neil) الروائى الاميركى الذائع الصيت ، على نمط روايات الكاتب اليونانى سوفكليس مؤلف رواية « أوديب الملك » المعروفة . وكان ينتظر سقوطها لأمرين : أولا لانها مفعمة بالوقائع المخيفة المفزعة ملأى بالحوادث المفجعة ، حتى ان ثمانية من أبطالها لقوا حتفهم إما انتحاراً أو قتلا . وهناك فصل كامل تقع حوادثه فى غرفة ميت راقد فى تابوته وظاهر للجمهور . ومن المعلوم أن الانجلوسكسونيين — بعكس اللاتينيين — يستهجنون الروايات والقصص المحزنة ، خصوصا التى يكثر فيها القتل أو الموت . وثانيا ان هذه الرواية طويلة جداً حتى ان تمثيلها يستغرق خمس ساعات . وقد جعلت فترة الاستراحة بعد النصف الأول من الرواية طويلة حتى يتمكن فيها النظارة من تناول العشاء . غير أن معظمهم كان يحضرها على دفعتين . وقد احتاطت الادارة لذلك فاصدرت تذكرتين بدلا من تذكرة واحدة ، يستطيع حاملها ان يحضر بالواحدة الجزء الاول — واظنه ستة فصول — ثم يستريح يوماً أو اكثر . ويحضر بالتذكرة الثانية الجزء الثانى وعدد فصوله ايضا ستة

أما الاقبال على هذه الرواية فقد فاق حد المعقول ، لان كاتب هذه السطور ابتاع تذكرة ثمنها خمسة ريالات ، وكان نصيبه بالقرب من أعلى « التياترو » لان الزحام كان شديداً ، وقد عاد آخر الليل وهو ساخط على موضوع الرواية وطولها وجرائمها المروعة ، وشخصياتها المكروهة ، ونام مثقلا بكابوس الاحلام من قتل وجثث مضرجة بالدماء

ولست أدرى سبب الاقبال على تلك المأساة سوى ان واضعها مشهور . وقد أذيع هناك بعد مرور عدة شهور على تمثيلها ان سبب نجاحها ان العامة يندفعون وراء التيار أحياناً ، حتى يقال

عنهم انهم يقــدرون الروايات « الـكلاسيكية » ، كما يهرع بعضهم (أو معظم الناس) الى الاوبرا ويجلسون في ملابس السهرة ، حتى يقال عنهم انهم مثقفون ، مولعون بالموسيقى ، وهم لا يفهمون فيها شيئاً

ويشتد اقبال العامة على قراءة مؤلف اذا ما صادرته السلطة المختصة بدعوى انه خطر على الآداب أو السياسة العامة ، مثال ذلك كثير . وربما يذكر القراء الـكتاب المعروف « The Well Loneliness » الذى منع بيعه فى انجلترا ، فطبع فى فرنسا وبيعت النسخة الواحدة منه بجنيه وستة شلنات ، مع أنه لا خطر فيه على الاخلاق ، وليس فيه ما يستحق العناية لان موضوعه ينحصر فى ان امرأة تؤثر النساء على الرجال فى حياتها الجنسية . وقــد بلغ من شغف العامة الانجليز به أن فرقة انجليزية وضعت الـكتاب فى قالب رواية تمثيلية وظلت تعرضها فى فرنسا على انجليز كانوا يرحلون من انجلترا إلى باريس خصيصاً لحضورها

ومن الغريب أن العامة فى مصر لم يغضبوا ، وأن قلم المطبوعات لم يتوقع غضبهم ، عند ما ترجمت الرواية الاخيرة لبرنارد شو الى العربية ، لان فيها تهكماً جلياً على الاديان . وكثيراً ما يقبل العامة على قراءة شىء أو حضور خطبة لان الموضوع جذاب فى ذاته . فاذا ما قرأوا المؤلف أو سمعوا الخطيب وكان الاسلوب علمياً والمادة علمية حنقوا وسخطوا . وانى أذكر محاضرات علمية نفيسة فى الطيران ألقيت فى القاهرة منــذ سنوات قليلة . ولما ان أعلن عنها ضاقت القاعة بالمستمعين من العامة فى أول محاضرة ، ونقص العــدد الى الثلث فى الثانية ، وكاد المـكان يكون قاعاً صفصفاً فى الاخيرتين . ولا يعجبن القارىء اذا قلت له ان العامة كانوا يتوقعون أن يشاهدوا طيارة فى قاعة المحاضرات أو ما يماثلها

فى ولايات أميركا المتحدة يقرأ الناس كل يوم ٦٦ مليون نسخة من الجرائد (اليوميــة) . ويقرأون أيضاً ١٨٧ مليون نسخة من المجلات (كل أسبوع أو شهر بحسب مواعيد صدورها) و٣٩٢ مليوناً من الـكتب . وإن ٩٧ فى المـائة من الاسر الاميركية تقرأ كل أسرة منها مجلة دورية على الاقل . ومعظم ما يكتب طبعاً للعامة . فان مجلة واحدة تصدر ثلاثة ملايين نسخة كل اسبوع فى حين أن عشر مجلات شهرية وأسبوعية تصدر كلها مليونى نسخة . وإن مجلة أسبوعية خليعة مبتذلة تبيع كل أسبوع مليونى نسخة أيضاً . وفى مصر لا يعد قراء الهلال والمقتطف شيئاً بجانب قراء بعض المجلات الاخرى التى تنشر لغرض التسلية . وهذا دليل على أن معظم الطبقة التى نسميها المتعلمة عندنا من العامة

أمير بقطر

قيمة العملة والسلع والاجور

تسير على ناموس النسبية

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

لا يندر ان تحدث مناقشة بين اصحاب الاعمال المترددين بين الاخذ والعطاء والبيع والشراء كالمناقشة التالية :ـ

قال احدهم : ارتفع الفرنك اليوم ارتفاعاً كبيراً . كان الجنيه امس يساوى ١٠٠ فرنك فاصبح اليوم يساوى ٩٨

فاجاب الآخر : الفرنك لم يرتفع بل الجنيه انخفض . لانه كان أمس يساوى ١٠٠ فنزل اليوم إلى ٩٨ . أفلا يكون هو المنخفض ؟

ـــ لا بل الفرنك هو المرتفع لان السلعة الواردة من فرنسا بثمن ١٠٠ فرنك مثلا كنا أمس ندفع ثمنها جنيها مصرياً ، وأما اليوم فلم يعد الجنيه كافياً بل يجب ان نضيف اليه نحو قرشين لكى يكفى . أليس الفرنك ارتفع ؟

ـــ ان هذا الذى تقوله هو البرهان الدامغ على ان الجنيه هو الذى هبط لا أن الفرنك هو الذى ارتفع . لان ما كنت تشتريه بمائة فرنك ما زال ثمنه ١٠٠ فرنك . ولكن كنت تدفع ثمنه ١٠٠ قرش فاصبحت تدفع ١٠٢ فاذن الجنيه هبط

ـــ ولكن الجنيه لم يزل جنيها يساوى مائة قرش . وبالجنيه أشترى اليوم ما كنت اشتريه به أمس وأول أمس من خبز ولحم واجرة منزل واجرة عامل الخ

ـــ نعم لم يزل الجنيه جنيهاً عندنا يساوى مثل قيمته من اشيائنا . ولكنك لم تعد تستطيع أن تشترى به من البضاعة الفرنسية المعروضة فى اسواقنا نفس المقدار الذى كنت تشتريه أمس بل أقل

ـــ زه . زه . اراك رجعت الى نظريتى وهى ان البضاعة الفرنسية ارتفعت قيمتها عندنا لأن الفرنك ارتفعت قيمته

وهنا انبرى ثالث وقال : كل منكما مصيب فى قوله : الفرنك مرتفع والجنيه منخفض . وكلاكما مخطىء فى اطلاق القول بالارتفاع أو الانخفاض . ولكن لكى يكون القول سديداً يجب ان يقترن بالنسبة الى المكان والزمان . فالفرنك ارتفع بالنسبة إلى مصر ولكنه لم يزل على قيمته

فى فرنسا . وهكذا الجنيه انخفض بالنسبة إلى فرنسا ولكنه لم يزل يساوى ١٠٠ قرش فى مصر أى لم يزل هنا على قيمته

فقال الاول : اذن . كيف نعرف الحقيقة فيما إذا كان الفرنك هو الذى ارتفع أو الجنيه هو الذى انخفض ؟ !

فقال الثالث : لا حقيقة مطلقة . فمهما تغلغلنا فى المسألة لانصل إلى حقيقة مطلقة . الحقيقة نسبية أيضاً فى كل حال

فقال الثانى : ولكن اذا وسعنادائرة المقابلة نكتشفايهما الاصوب : نزولالجنيه أمارتفاع الفرنك . نرى الجنيه المصرى والجنيه الانجليزى والريال الاميركى ما تزال متوازنة كما كانت أمس . وان الفرنك وحده هو الذى شذ عن هذه الموازنة إذ ارتفع عنها جميعاً . فاذن هو المرتفع لا هى المنخفضة

ـــ حسن فلنوسع دائرة المقابلة ايضاً فنجد ان الليرا الطليانى والمارك الالمانى والفرنك السويسرى والبلجيكى والاسبانى و و الخ . لم تزل متوازنة مع الفرنك كما كانت أمس . فهل يصح القول انها ارتفعت جميعاً وان الجنيه المصرى والانكليزى والريال الاميركى لم تزل حافظة مركزها ؟

فقال الثانى : اذاً تنظر إلى المسألة من وجه عام ونرى العملة التى شذت عن ذلك التوازن العام فنقول بهبوطها او بارتفاعها . كانت جميع العملات متوازنة أمس . واليوم خرج الجنيه والريال عن هذا التوازن هبوطاً فنقول انهما هبطا

فقال الثالث : مهما حاولت فلا تستطيع ان تقرر هبوطاً مطلقاً أو ارتفاعاًمطلقاً . تقول ان الجنيه هبط عن توازن أمس . فهل كان توازن أمس مطلقاً أى ثابتاً ؟ ألم يكن توازن امس شذوذاً عن توازنالشهر السابق أو العام السابق ؟ أليس توازن هذا العام غير توازن العام السابق والعام الاسبق والعام القادم ؟ فالتوازن الذى تشير اليه نسبى أيضاً

فقال الاول : لماذا « تعب القلب » هذا ؟ لماذا لا نعود إلى قيمة الذهب ونجعلها قيمة ثابتة مطلقة فى كل زمان ومكان ونرى ما قيمة كل عملة منه فنعلم ايها ارتفع وأيها انخفض ؟

ـــ حسن ! فلنر

قيمة الذهب نسبية

أصبح جوهر الموضوع هو : هل قيمة الذهب ثابتة فى كل مكان وزمان حتى إذا نسبت اليه قيم الاشياء والاعمال كانت النسبة بين الاشياء والاعمال ايضاً ثابتة ؟ أم ان الذهب هو كسائر الاشياء يختلف قيمة ايضا فى المكان والزمان ؟ فاذا كان الامر الثانى هو الواقع فهل ثمت

شيء آخر ثابت القيمة يمكن ان تنسب اليه الاشياء ومن جملتها الذهب ايضاً ؟ أم ان قيمة الاشياء نسبية ونسبتها تختلف باختلاف المكان والزمان ؟ فلنر

وزن الجنيه الاسترليني ٨ جرامات . فاذا كانت ثمانية جرامات من الذهب الخالص تساوى قبل الحرب جنيهاً استرلينيا و ½ ٩٧ قرشاً مصرياً و٢٥ فرنكاً و٥ ريالات اميركية إلا ½ ١٢ سنت و٢٠ ماركا المانيا - إلى غير ذلك من عملات الممالك الاخرى مما يطول شرحه ، وكانت السلع تسعر بالنسبة الى الذهب فترتفع الاسعار أو تنخفض على هذه النسبة تبعاً للعرض والطلب ، وكذلك كان شأن الاجور . فكأن الذهب يعتبر قاعدة التسعير ، أى ان اسعار الاشياء والاجور تنسب اليه باعتبار ان قيمته ثابتة لا تتغير ، حتى إذا كانت الاسعار والاجور تعلو او تهبط عن قيمة الذهب ، عزى هذا التذبذب فى الاسعار والاجور إلى تغير قيمتها لا إلى قيمة الذهب . فهل هذا حقيقى ؟

بعد الحرب اضطرب التوازن الذى كان بين عملات الدول . فالمارك الالمانى جعل يتسفل رويداً الى أن بلغ الصفر . والفرنك تنازل حتى بلغ خمس قيمته ، وكذلك الليرا الايطالى وغيرهما من عملات كثير من الدول . وباضطراب هذا التوازن بين العملات اضطربت الاسعار والاجور أيضاً اضطراباً عظيماً فكانت كالبحر الهائج المتلاطم الامواج لا تستقر على مستوى واحد . فهل يمكن ان نقول حينئذ ان الذهب الذى كان يعتبر قاعدة التسعير بقى على قيمته أم ان قيمته اضطربت ايضاً وتذبذبت بين صعود ونزول ؟

ان شرح هذه المسألة فى مطلق الزمان والمكان يكاد يكون مستحيلا لأن اسعار الاشياء بنسبة بعضها الى بعض فى المملكة الواحدة - وبين مملكة وأخرى - اضطربت ايضاً وفقدت توازنها المعهود فى أيام السلم والطمأنينة . لذلك نقتصر على شرح المسألة فى مملكة واحدة فقط تفادياً للتعقيد ، ونختار مصر مثلا حيث الاضطراب كان أخف منه فى أى مملكة اخرى

كان الجنيه المصرى الورق منذ سنتين يساوى قيمة ٨ جرامات ونيفاً من الذهب الخالص . ونحو ١٢٥ فرنكا و٥ دلارات الخ . فلما هبط مع هبوط الجنيه الاسترليني لأنه مستند الى هذا أصبح يساوى نحو ٦ جرامات من الذهب وأقل من ١٠٠ فرنك ومن ٤ دلارات الخ . ولكن نسبته الى السلع المحلية لم تتغير . بقينا نشترى حاجتنا اليومية بأثمانها المعتادة بالعملة المصرية . ما شعرنا بفرق فى الاسعار الا فى اسعار بعض الواردات الاجنبية . فما معنى هذا ؟ احد أمرين : إما ان جميع سلعنا هبطت اسعارها عن سعر الذهب (أو بالاحرى عن قيمته) هبوطاً متناسباً بحيث انها بقيت متوازنة . أو ان سعر الذهب ارتفع . فاى القولين هو الاصح أو الاصوب ؟

إذا اصررنا على القول ان الذهب ما يزال قاعدة التسعير الثابتة وان اسعار الاشياء بالنسبة اليه هبطت فكان الواجب ان اسعار الواردات الانكليزية تهبط أيضاً عن سعر الذهب كما هبط

سعر الاسترليني عنه ، مادام الاسترليني والجنيه المصرى قد هبطا معاً وبقيت النسبة بينهما كما كانت قبلا ، والحال فى انكلترا وفى مصر واحدة . ولكن الواقع غير ذلك فان الواردات الانكليزية ارتفعت لان المنتج الانكليزى الذى يستورد مواده الخام من الخارج باسعار العملة الاجنبية (أى بأغلى ثمناً بسبب هبوط الاسترلينى) لم يعد فى امكانه ان يبيعنا بالسعر السابق . فاذن ارتفاع اسعار الواردات الانكليزية بمقدار هبوط النقدين الانكليزى والمصرى بحيث يبقى موازناً لسعره السابق يدلنا على ان الذهب لم يزل موازناً لقيمة الواردات الانكليزية كما كان قبلا ، ولكنه ارتفع قيمة بالنسبة الى منتجاتنا المحلية . فهو اذن مرتفع فى ناحية ولم يزل على قيمته فى ناحية أخرى . وإذن لم تعد قيمته ثابتة كما نظن ولا يعتبر قاعدة ثابتة للتسعير . فهو كسائر الاشياء مذبذب القيمة

ذلك بيان جلى لتذبذب قيمة الذهب فى مكان واحد وزمن واحد . فاذا ادخلنا اعتبار اختلاف الزمان فى المسألة انجلى لنا ان الذهب غير ثابت القيمة بل ان قيمته نسبية كسائر الاشياء . . .

فى آخر القرن الماضى أى منذ ٤٠ سنة تقريباً كان رطل اللحم يساوى نحو قرشين (أى جزءاً من الجنيه) وكانت اجرة الفاعل نحو ٥ قروش . ثم ارتفعت قيمة اللحم حتى بلغت الى ٦ قروش واجرة الفاعل الى عشرة قروش ، وكانت اجرة المنزل ذى الخمس الغرف فى شارع متوسط ٣ جنيهات أو أقل ثم ارتفعت الى ٧ و ٨ جنيهات . وقس على ذلك سائر المواد والاجور . وكانت النسبة بينها مرتبطة بقيمة الذهب بنسبة ثابتة تقريباً . فلما ارتفعت الاسعار اختل هذا الارتباط وتغيرت نسبتها بعضها الى بعض تغيراً عظيماً . فهل يصح القول ان الذهب بقى على قيمته ولكن الاشياء كلها ارتفعت اسعارها ؟

لم تزل اللحمة التى كنا نأكلها منذ ٤٠ سنة هى كاللحمة التى نأكلها اليوم . ولم يزل الفاعل يعمل العمل الذى كان يعمله الفاعل منذ ٤٠ سنة . فما عضل الفاعل اليوم بأشد من عضل الفاعل فى ذلك الزمان . ولم يزل المنزل الذى سكناه منذ ٤٠ سنة إياه نفسه . فهذه المذكورات وجميع حاجات الحياة لم تزل على حالها . فما ارتفعت قيمتها ولا ازدادت فائدتها ولا تضاعفت ثمرة استعمالها . فلماذا إذن نقول إنها غلت ثمناً او ارتفع سعرها وان الذهب لم يزل حافظاً قيمته ؟ أليس الاصح ان نقول ان قيمة الذهب نفسها هبطت ، أو بعبارة أصح ان النسبة بين الفريقين تغيرت

اذن الذهب لا يعتبر قاعدة ثابتة لتسعير الاشياء والاجور بل هو كسائر الاشياء قيمته عرضة للهبوط والصعود . لا بأس فى ان يصطلح على تعيين الذهب قاعدة للاسعار فتنسب اليه قيمة الاشياء ، ولكن هذا التعيين لا يجعل قيمته ثابتة فى كل مكان وزمان كما رأيت . وانما يكون هذا التعيين اعتباريا اصطلاحياً لا حقيقياً . فهو كاعتبار الفلكى الارض ثابتة والشمس وسائر

السيارات والنجوم متحركة بالنسبة اليها . وهو يحسب حساباته الفلكية بناء على هذا الاعتبار . فاذا جاءت حساباته صحيحة فلا يكون المعنى ان الارض ثابتة حقيقة

إذاً يفضى بنا البحث إلى هذا السؤال : إذا كان الذهب غير ثابت القيمة ولا تعتبر قيمته قيمة مطلقة ، تقاس بها سائر قيم الاشياء وتنسب اليها فاين اذن الشيء الثابت القيمة الذى يصح ان يعتبر قاعدة للتسعير ؟ وهل هناك شيء آخر يمكن ان يكون له هذا الشرف الذى منح للذهب بغير حق كما رأيت ؟

قيمة العمل نسبية أيضا

ربما لاح فى بال القارىء أن عمل العامل يليق أن يكون قاعدة للتسعير لأنه هو مصدر كل إنتاج ، حتى إن الذهب نفسه هو ثمرة عمل المعامل ، لان القوة التى يستطيع أن يبذلها العامل عضلية أو عقلية لاتختلف فى زمان عنها فى زمان آخر ولا فى مكان دون مكان اختلافاً يذكر . نعم إن عامل اليوم لايبذل من الجهد أكثر مما كان يبذله عامل الامس ، بل بالعكس ربما كان عامل اليوم يبذل جهداً أقل من هذا . وانما نتيجة جهد عامل اليوم أعظم جداً من نتيجة جهد عامل الامس ، بفضل الآلات والمخترعات المتنوعة وبفضل ارشادات العلم الحديث . ولذلك يتمتع انسان اليوم باضعاف ما كان يتمتع به اسلافه . (واذا كان ما يزال يشعر بتعاسة فلأن نظم المجتمع لم ترق مع رقى العلم والاختراع رقياً معادلا لها) فاذن بالرغم من أن جهد الانسان الطبيعى باقياً كما هو فان قيمة هذا الجهد اليوم أعظم جداً من قيمة جهد السلف ، مع أن الجهد المبذول اليوم لم يزد بل قل . واذن لايمكن أن يعتبر عمل العامل قاعدة لتثمين الاشيا

يستفاد مما تقدم أن قيمة عمل العامل تختلف فى زمان ما عنه فى زمان آخر . على أن هذا الاختلاف لايقتصر على الزمان فقط بل يطلق على المكان أيضا ، أى أن أجر عمل العامل فى مكان يختلف عنه فى مكان آخر . كان متوسط كراء الفاعل الشرقى قبل الحرب نحو عشرة قروش . فكان الشرقى اذا هاجر الى الولايات المتحدة يتقاضى هناك عن قيمة عمله نحو ٥٠ قرشاً على الاقل مع أنه لايبذل مجهوداً أعظم . والآن يتقاضى هنا أجراً أقل جداً مما كان يتقاضاه قبلا . فاذن قيمة العمل تختلف باختلاف المكان كما تختلف باختلاف الزمان . ولذلك لايصلح العمل قاعدة للتسعير والتثمين . فاين نجد هذه القاعدة ؟

كلما فكرنا فى المسألة انجلى لنا أنه لايمكن أن نجد شيئاً ذا قيمة ثابتة يمكن أن تنسب اليها قيم الاشياء الاخرى وتسعر بها بل بالاحرى نكتشف أن قيم الاشياء جميعاً من ذهب وسلع وجهد الخ نسبية بعضها الى بعض غير ثابتة القيمة يرتفع بعضها عن بعض ويهبط بعضها دون بعض باختلاف الزمان والمكان . فليس ثمة فى عالم الاقتصاديات شيء ذو قيمة ثابتة مطلقة

لا ينتسب الى شيء آخر ذى قيمة أخرى . فمن يتدبر هذا المقال وينعم النظر فيه جيداً يفهم معنى نظرية النسبية التى ضبط نواميسها آنشتين . فكل شيء فى الوجود نسبي يختلف مقامه باختلاف مواقع الناظرين اليه

واذا جئنا نفاضل بين الذهب والجهد فى العمل لنعلم أيهما أفضل ليجعل (اصطلاحاً) قاعدة لتقدير قيمة السلع والامور وسائر الاشياء ، فبقليل تفكير نجد أن جهد العامل أولى بهذه الوظيفة وأن الذهب لاقيمة له البتة . وربما كان أحط قيمة من الرصاص والحديد والنحاس ، لان هذه أفيد استعمالا فى حاجات الجنس البشرى ، واستخراجها يكلف أقل عناء جداً من العناء فى استخراج الذهب . وما جعل للذهب قيمة الا انه كان للزينة ثم تعين (اصطلاحا) وسيلة للمقايضة ثم قاعدة للتسعير ، فاكتسب هذه الاهمية . على أنه لم يعد فى هذا العصر صالحاً كوسيلة للمقايضة لان المقدار الموجود منه لم يعد كافيا لاجل حركة المعاملة التى استفحلت فى هذا العصر فاستعيض عنه بالورق وجعل هو سنداً من وراء الورق . مع ذلك لم يستطع اسناد الورق فانضمت اليه الثقة بالحكومة لاسناد الورق . مع ذلك بقى الورق مزعزعا . وأصبحنا اليوم نرى ان رسوخ قيمة العملة الورقية لايتوقف على وجود الذهب بل على ما للحكومة التى تسندها من ثقة الناس . فاذا تزعزعت هذه الثقة هبط الورق ولو كان وراءه نصف ذهب العالم كما هو الآن فى الولايات المتحدة

ويظن بعض الناس انه لو كانت الدول التى تكنز الذهب تخرجه نقداً الى الاسواق للمعاملة لكانت الازمة تنفرج

وفى رأى هذا العاجز: أنه لو نزلت الى الاسواق اضعاف الذهب المكنوز ولكن لاثقة فى المعاملات فلا يفعل الذهب شيئاً فى تخفيف الازمة لانه بذاته لا قيمة له . رطل الدقيق فى بعض الاحوال يكون أكثر قيمة من الجنيه الذهب كما كان فى لبنان فى عهد جمال باشا الطاغية

شبرا — مصر **نقولا الحداد**



قلنا إن حكم الشورى ليس حديثاً فى العالم بل قد كان للانسان عهد به منذ أوائل العمران وبمرور الأحقاب طرأت عليه ضروب من التغيير والتبديل فكان كل جيل يختار ما يلائمه من أساليبه . فاذا تفشت فيه العيوب عدل عنه الى الحكم المطلق . كذلك وقع لليونان والرومان وغيرهم فكانوا ينقلبون من الشورى الى الاستبداد ثم يعودون الى الجمهورية ، فاذا أنسوا من الحاكم نزوعاً الى الظلم نقموا منه ذلك وثاروا عليه

وفى الواقع أن حكم الشورى ـ كالحكم المطلق ـ لم يخل فى زمن من الأزمان من الشوائب . والنظم الديمقراطية الحاضرة لا تسلم من تلك الشوائب ، وهى اذا لم تبرأ منها فلن تقوم للشورى قائمة

ولقد يخيل إلى البعض أن الديمقراطية تنافى تعدد طبقات الامة وان وجود هذه الطبقات لايتفق مع مبدأ المساواة . وهذا خطأ شائع لان تعدد فرق الناس لازم لقيام الاجتماع وليس للعمران مندوحة عنه . وانت تعلم أن اختلاف الصور من مستلزمات الجمال وأن تباين الاشياء فى ملاكها ومظهرها متمم لشروط الاجتماع . بيد أن هذا لا يستلزم أن يكون ثمة فرق فى موقف الطبقات حيال القانون فان القانون وضع لمعاملة الجميع بالعدل والمساواة ولاعطاء كل ذى حق حقه

ومن دواعى الاستبداد الشورى كثيراً ما كانت توطئة لانهيار صرح الدولة كما وقع فى الجمهوريات القديمة التى أسسها اليونان والرومان والجرمان وغيرهم . وفى مقدمة أسباب ذلك الانهيار أن جماعة تدعى النيابة عما يسمونه الكثرة ـ والكثرة فى كل أمة هى العامة لا الخاصة ـ كانت تغتصب مقاليد السلطة وتتحكم فى الرعية فتوجهها بحسب أهوائها الجامحة . فكانت المظالم ترتكب باسم الديمقراطية والديمقراطية بريئة منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، فيفضى ذلك إلى الفوضى والفساد

* * *

ورب سائل يسأل وكيف تصلح الديمقراطية وما هى الشوائب التى يجب ازالتها ؟

فالجواب عن ذلك أن إصلاح الديمقراطية لن يجىء فجأة بل سيتدرج بما يلائم مقتضيات الزمان والمكان . ولعل أشنع ماترمى به الشورى هذا التعدد فى الرأى والتباين فى الاهواء مما يحسبونه مظهراً من مظاهر الحرية وهو فى الحقيقة أشد ما يبعث الخلل والفساد فى الدولة ويمنعها من الاستقرار . وقد روى المؤرخون عن بطرس الاكبر عاهل الروس أنه لما زار بلاد الانجليز ورأى فى ندوتها ذلك الحشد الكبير من النوب (١) فى نقاش ومشادة قال للذين معه :

(١) النوب النواب

« وما عمل هؤلاء . وما نفع مناقشاتهم ؟ لقد كان عندى رجلان فى مملكتى شنقت أحدهما وأنا ذاهب لانظر فى أمر ثانيهما »

وليس ذلك كل ماتؤاخذ به الشورى بل هنالك شوائب أخرى لاتقل عنها شناعة وأهمها عدم استقرار السلطة للحاكم ووقوعها تحت اهواء النوب وجعلها مسؤولة أمام جماعات مختلفة تسمى لجنات (جمع لجنة) وسعى كل حزب من أحزاب الدولة الى الاستئثار بالحكم والانفراد به ، وما يستلزمه ذلك من الدسائس وأساليب الحيل والخداع ، وما الى ذلك مما لايتفق مع مصلحة الامة بل يلائم أهواء شيعة معينة منها فقط

ولا حاجة الى القول إن انفراد حزب واحد من الاحزاب بالحكم دون غيره لايرضى إلا أفراد ذلك الحزب . ومن الطبيعى أن يسعى هؤلاء الى تحقيق أغراضهم قبل أغراض خصومهم . وهذا وايم الحق ليكفى نقصاً للديمقراطية . وقد سعى الكثيرون من علماء القانون الى استنباط وسيلة لازالته فلم يوفقوا الى ذلك لان طائفة كبيرة من تلك الشوائب مرجعها الى طبائع الناس فليس من السهل اجتثاثها

اذن كيف تصلح الشورى وعلى أية صورة يجب أن تكون اذا أريد بقاؤها ؟

يجب قبل كل شيء أن تزول منها الروح الحزبية التى تتغلغل فيها بعض الاحيان . فالشورى فى روسيا مثلا تلازمها تلك الروح ويتخللها الاستبداد المقنع القائم على الطمع فى الحكم لاشباع شهوة النفس لا للسهر على مصالح الرعية . وهذا شر انواع الحكم لانه ظلم وطغيان مقنعان . ولا شك أنه اذا أريد أن تتغلغل روح الشورى فى الأمة وتدوم فيها وجب تنشئة الأمة عليها احقاباً طويلة حتى تصبح خلقاً فيها . كما يجب أيضا إزالة شوائبها وتطهيرها من كل ماتؤاخذ به

وقد حاولت الدول أن تستنبط نظاماً نيابياً يخلو من العيوب فلم توفق الى ذلك . تشهد بهذا الأساليب التى سارت عليها الحكومات المختلفة فى تأليف اندينها النيابية ، وضروب الاقتراع الـ.. تتبعها لاشتراك الأمة جمعاء فى اختيار اسلوب الحكم . ومما يدلك على نقص النظام النيابى انك اذا أخذت مرشحين من حزبين مختلفين فاقترع على أولهما خمسة آلاف من الانصار وعلى ثانيهما أربعة آلاف فاز الأول على الثانى وانتخب نائباً وبقى انصار المرشح الثانى بلا نائب

هذه شائبة يكاد يتعذر تلافيها لانها ملازمة لملاك النظام النيابى . فاذا امكن إزالتها زال سبب من أقوى أسباب الشكوى من ذلك النظام

ويجب أيضا كبح جماح الاحزاب وجعل تنازعها قائماً على مصلحة الجماعة لا على مصلحة الفرد أو مصلحة الحزب ، وذلك بحرمان الحزب الذى يولى الحكم قضاء أية مصلحة حزبية ، وبحرمان الذين يولون السلطان قضاء أية مصلحة فردية . ولقد يكون فى ذلك صعوبة كبيرة ،

ولكن يجب تدبير علاج ناجع لهذا الداء والا تفشى الفساد فى الدولة ودب الضعف فى جميع انحائها

ومن شوائب الشورى أيضا تعدد مصادر السلطان وتشعبها على وجه تضيع معه المصلحة ويتعذر استقرار الحكم وتتفشى الدسائس والمحاباة وتتعطل شؤون الدولة ويتطرق اليها الخلل والفساد . والوجه فى معالجة هذا الداء مزج الشورى بيسير من السلطان المطلق لمصلحة المجموع دون الفرد وتخويل حكام الولايات المختلفة حق الفصل فى كثير من الشؤون التى يراجع فيها مقر الحكم وهو مايعبر عنه بلغة المولدين « باللامركزية »

على أن وجوه هذا الاصلاح متعذرة إلا اذا طرأ على العمران الحاضر تغيير يتناول جميع مناحيه المادية والمعنوية من علم ومال وأدب وسياسة ودين وصناعة واجتماع . فاذا لم يقع هذا الاصلاح فلا رجاء للشورى فى المستقبل ولا قيام لها على الاطلاق

ولايضاح ذلك نضرب لك بعض الامثلة على وجوه الاصلاح المنشودة لتكون على بينة مما تقول :

فن الوجه السياسي لابد للدولة من نبذ فكرة العصبية القومية لتحل محلها فكرة أسمى وأشرف وهى روح المصلحة العامة أو العالمية المعبر عنها بروح العصبية الدولية Esprit d'internationalisme والمراد منها انضمام بعض الدول الى بعض بحكم الجوار والمصلحة وتكوين عصب من الحكومات أشبه بما يسمونه ولايات متحدة، كأن يكون هنالك الدول المتحدة الاوربية والدول المتحدة الاميركية والدول المتحدة الاسيوية والدول المتحدة البريطانية وهلم جرا

ولا بد فى هذه الحالة من إعادة النظر فى تخطيط البلدان وتقويم التخم الجغرافية على وجه يلائم أساليب الانتقال الحديثة فى البر والبحر والهواء . فقد قضت هذه الاساليب على التخم الجغرافية فقصرت المراحل وسخرت من الزمن وجعلت الناس يدركون أنهم أمة واحدة وان ترامت بهم البلاد وفرقتهم الامصار

وستتغير نظم الاقتصاد وأساليب التجارة وقيود العمل بحيث ينظر دائما الى مصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد . وتقيد المصانع والمعامل بقيود مشتركة حتى لا يزيد ما تنتجه على حاجة الجماعة ـ ولا بد فى هذه الحالة من انشاء لجنة للمراقبة العامة تقدر حاجة الجماعة وتوصى المعامل والمصانع بان لاتفرط فى مقدار ماتنتجه من السلع والحاجات المختلفة

وستتغير نظم التعليم أيضا بحيث يعنى بالجانب العملى منه ولا يضاع الوقت فى النظريات الخيالية . وسيطرأ تبدل على الدين أيضا فيشعر الناس بان الدين الحقيقى ليس هو التظاهر بالتقوى الكاذبة والقيام بالفروض والشعائر الظاهرة بل هو حسن المعاملة والتحلى بالاخلاق

الطيبة والمكارم العالية ونبذ الصفات القديمة الذميمة ، وما الى ذلك من المحامد

وسيكون أهم ما يشغل بال العلماء ازدحام البشر ووجوب تقييد التناسل بحسب ماتستلزمه مصلحة العمران . وستتفشى الدعوة الى تقييد النسل واختيار الاصلح وإهمال غير الصالح حتى يكون الجيل القادم ممن اشتهر آباؤهم بسمو الادراك وارتقاء القوى العاقلة . وفى ذلك توطئة لما يسمونه جيل « السوبرمان » أو « الانسان المتفوق » . ولهذا بحث ليس هذا مجاله

وستظهر فى المستقبل علوم جديدة لاوجود لها الآن إلا فى مخيلة نزر يسير من العلماء . وستتغير شروط العمران وقيود الاقامة بالمدن ووسائل المعيشة فيها . وسيجىء كل ذلك تدريجاً ويؤثر فى نظام العمران من جهة السياسة والاجتماع بحيث تكون أسس الشورى مختلفة كل الاختلاف عما هى اليوم ، أى مزيجاً من العلم والسياسة والادب والاجتماع ، ولا تقصر على الوجه السياسى فقط من شؤون الحياة

ولعل نظام الحكم فى المستقبل سيكون أقرب الى الاستبداد المقرون بالعدل منه الى الشورى التى قد كثرت شوائبها وعمت الشكوى منها كما مر بك . وفى الواقع أن هنالك قرائن تنذر بذلك وتدل على أن العالم قد بدأ يسأم نظريات الديمقراطية الخيالية ويدرك أن الاستبداد المقرون بالعدل خير منها . ففى ايطاليا وتركيا والنمسا وفارس وروسيا وغيرها ترى الديكتاتورية العادلة ناشرة سلطانها والناس مرتاحين اليها مخلدين الى السكينة . وهم اذا قابلوا ديمقراطيتهم الماضية بديكتاتوريتهم الحاضرة أدركوا فضل هذه على تلك ورأوا أن البون بين الشورى والفوضى قد لايزيد على خطوة واحدة . لهذا ترى الشعب الايطالى يسير وراء ديكتاتوره ويؤيده فى جميع أعماله وخططه . وكذلك يفعل غيره من الشعوب الذين ملوا مساوىء الشورى فقلبوا لها ظهر المجن وعادوا الى الحكم المطلق يلتمسون السعادة فى ظلاله

وفى الواقع اننا اذا نظرنا الى العالم نظرة اجمالية لم تخف علينا هذه الحركة العامة التى تحاول أن تعود بالعالم الى ذلك النظام الطبيعى وهو الحكم المطلق المقرون بالعدل الذى كان اساس الاجتماع منذ أول نشأته والذى لم ينقلب عليه الناس إلا لان مساوىء طارئة علقت به ومرجعها الى طبائع البشر

وسيظل العالم يتقلب بين الحكم المطلق وحكم الشورى متكيفاً بموجب ظروف المكان والزمان فيختار من الحكم الاسلوب الذى يلائمه منه الى أن يستقر نظام الاجتماع على أساس أقرب الى الديمومة من كل ماتقدمه

سليم عبد الاحد

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

سر الحياة الغامض

(ملخصة من كتاب للاستاذ جوردون جرابيديان)

(عن مجلة ريدرز دیجست)

ما من أحد إلا وقد خطرت بباله هذه الأسئلة وهي : ماهو المرض ؟ ولماذا يهرم الانسان ؟ ولماذا يموت ؟ وما هي الحياة ؟

لقد عنى العلماء فى هذا العصر بدرس الحياة وخصائصها . ومنذ عهد قريب أخذ بعضهم يسعى لخلق الحياة أو الخلية الحية فى المعامل الكيميائية . والنتائج التى قد انتهوا اليها حتى الآن تقوى فيهم الأمل بالنجاح . ومنهم من يعتقد اليوم أن الموت حادث طارىء وليس أمراً طبيعياً

وقد ثبت الآن أن الانسان إذا مات بقيت أعضاء جسمه حية عدة ساعات . فاظافر اليد مثلا تظل تنمو بعد الموت لان الخلايا التى تتألف منها تظل حية . ومن أخبار روسيا العلمية أن الاستاذ تشنهولين قام بعملية جراحية غريبة ، فانه قطع رأس كلب وتمكن من ابقاء الرأس حياً مدة تزيد على ثلاث ساعات . وتمكن الدكتور كوبليا كو الروسى أيضاً من ابقاء قلب انسان حياً ينبض مدة ثلاثين ساعة متوالية بعد إخراجه من جسم صاحبه

وأثبت الدكتور وودروف من أساتذة جامعة يابل أنه ليس من الضرورى أن تموت الحيوانات المؤلفة من خليات مفردة ، وأن الخلية المعروفة باسم باراميسيوم (Paramecium) تتوالد بلا انقطاع . وقد راقبها مرة مدة طويلة حتى ولدت ثمانية آلاف وخمسمائة جيل (نحو ربع مليون سنة من حياة الانسان) وهذا دليل آخر على خلود الخلية

وهنالك عدة تجارب علمية تؤيد هذا القول . ومنها تجارب قام بها الدكتور الكسيس كاريل مدير معهد روكفلر بمدينة نيويورك ومن أشهر علماء الجراحة فى العالم . ولا يخفى أن متوسط حياة الدجاجة نحو خمس سنوات . وفى معمل الدكتور كاريل المذكور خلايا مأخوذة من قلب جنين

دجاجة وهذه الخلايا ما تزال حية منذ أكثر من عشرين سنة . وقد تمكن هذا الطبيب أيضاً من استحياء خلايا أنسجة مأخوذة من جرذ وفئران وخنازير وأجسام بشرية منذ سنين كثيرة . أما خلايا الدماغ فلا تعيش طويلا . فيؤخذ من ذلك أن الخلايا الحية فى جسم الانسان إذا أمكن فصلها بعناية تامة ووضعها فى البيئة الملائمة لها امكنها أن تحيا وتتوالد الى الابد . والغريب أنها عندما تتحد معاً لتكوين الجسم الانسانى تموت ولا تعيش كثيراً . فما سبب ذلك ياترى ؟

يعتقد الدكتور كاريل أن الخلية المفردة عند ما تحفظ فى بيئة نصف سائلة (وهى البيئة الاعتيادية التى تربى فيها الخلايا) تفرز سماً تتلقاه البيئة فينصرف ويزول وتظل الخلية حية . أما فى جسم الانسان أو غيره من الحيوانات ، فان السم الذى تفرزه يتجمع ولا يجد له مصرفاً فيسبب الموت والفناء

ومن العجائب التى صنعها الدكتور كرايل مدير عيادة كليفلند بالولايات المتحدة أنه تمكن من احياء المادة بعد موتها . وليس ذلك فقط بل تمكن من إيجاد خلايا فيها كثير من خواص الحياة . ذلك أنه اخذ أنسجة من دماغ حيوان مقتول حديثاً وحولها رماداً بواسطة الكهربائية ثم استخرج من هذا الرماد بعض الاملاح والعناصر الاخرى وأضاف اليها قليلا من البروتايين ومن مواد كيميائية أخرى ، فنشأ من ذلك مزيج هلامى له خواص المادة الحية . فكان يستهلك الاوكسجين ثم يطرده عنه فى حالة ثانى أوكسيد الكربون (كربون ديوكسيد) كما تفعل المخلوقات الحية تماماً . وليس ذلك فقط ، بل كان المزيج يتحرك ويتغذى وينمو فى الحجم ويتوالد !

ويعتقد الدكتور كرايل أن الحياة هى الكهربائية عينها أو هى على الاقل شديدة العلاقة بها . ومن أقوى الادلة على أن الومضة الكهربائية هى شرارة الحياة بعينها أو على الاقل هى قوام الحياة أن الدكتور كرايل فحص كتلة من « الاميبا » بآلة كهربائية دقيقة ، فوجد ان بها قوة كهربائية تعادل جزءاً من ستين من الفولت ، فلما أطلق عليها تياراً كهربائياً موجبا يكفى لافناء التيار السالب ماتت تلك الكتلة ولم يبق بها أثر للحياة . وقد ثبت من هذه التجربة أن « الاميبا » تعيش لاذا زادت قوتها الكهربائية أونقصت ، ولكنها تموت إذا تعادلت (neutralized)

وهذا يدل على أن فى النباتات والحيوانات تيارات كهربائية مستمرة — الامر الذى يحمل العلماء على القول بأن كل خلية من خلايا الجسم هى بطارية كهربائية . وتختلف القوة الكهربائية المستولدة من كل خلية باختلاف حجمها . فهى قوية فى الخلايا الكبيرة وضعيفة فى الصغيرة ومعدومة فى الميتة . وزوالها اما أن ينشأ عن سم او اصابة أوفناء تدريجى . وهذا هو سر الموت فى نظر الدكتور كرايل . فما دام الانسان مشبعاً بالكهربائية فهو حى ، فاذا عدم التيار الكهربائى منه حصلت الوفاة

أزمة الاخلاق

(من مقالة للاستاذ جيمس ادمس البسيكولوجي الاميركي)

(عن مجلة هاربر)

نشهد اليوم فى اميركا ثلاث ازمات عامة : اقتصادية ، وسياسية ، وخلقية . وقد مل الجمهور سماع حديث الازمتين الاوليين ، ولكنه لم يسمع عن حديث الأزمة الثالثة الا القليل . ومع ذلك فان لازمة الاخلاق تأثيراً بعيد الغور لابد أن يستمر حتى بعد ان تسترد البلاد رخاءها

وتجد أعراض هذه الازمة فى عدم وجود زعماء يركن اليهم ، وفى الفساد المتفشى بين جميع الطبقات ، وفى افتقار البلاد الى زعماء مصلحين

سئل مرة فريق من التجار الاميركيين : ماهي أبرز الصفات التى يرونها فى الشعب الاميركى؟ فكان جوابهم : إنها الخيلاء ، فالغرور ، فاشتهاء مال الغير ، فالحسد ، فحب الظهور ، وهلم جراً

ولا شك أن عوامل جديدة قد طرأت على خلق الرجل الاميركى فى خلال السنوات الاخيرة ، وفى مقدمة أسبابها على الارجح ظهور اختراعات كثيرة . ولا شك ان هذه الاختراعات قد أثرت فى الاخلاق عن طريقين . فقد كانت مقدرة الناس على شراء وسائل الراحة منذ بضعة عقود من السنين محدودة ، فكان أهم ما يستطيع الرجل المتوسط ان يقتنيه هو بيته وأمتعته وثيابه وكتبه ، وفى بعض الحالات كان يقتنى مركبة يجرها جواد أو جوادان . وبازدياد الرخاء زاد ما صار يشتريه من وسائل الرفاهية ومن الادوات المنزلية لضمان راحته وراحة أسرته ، فكثرت أبواب الانفاق . وكلما ظهر اختراع جديد صار يسعى لاقتنائه . وصار باعة هذه الاختراعات يستعملون جميع ضروب الترغيب والتملق ليستثيروا رغبته فى الحصول على تلك الاشياء . وبمرور الزمن اشتدت حاجته الى المال واشتدت عزيمته للحصول عليه بكل طريقة

وكان للاشياء والاختراعات التى اشتراها تأثير يذكر فى أخلاقه . ولايضاح ذلك نقول :

ان تدفئة البيوت مثلا تتم اليوم بأجهزة كهربائية . وكانت تتم منذ بضع عشرات من السنين بواسطة الفحم أو الحطب ، فكان الرجل يستيقظ فى الصباح ويوقد النار لتدفئة غرف المنزل ثم يشرع فى عمله اليومى . وكان ذلك ينشطه ويعوده الاستيقاظ باكراً والاقبال على عمله بكل همة ونشاط . أما اليوم فانه يظل نائماً أو مضطجعاً على سريره لانه بضغطه زراً كهربائياً موضوعاً الى جانب مخدعه يستطيع تسخين جهاز التدفئة ، ومثل هذا العمل مدعاة الى الكسل ولا بد أن يؤثر فى الاخلاق والطباع

وانظر الى مثل آخر – كان الرجل أو الفلاح الاميركى الذى يقتنى حصاناً يستيقظ كل يوم مبكراً للعناية بالحصان ولتقديم العلف اللازم له . فكان (كموقد النار فى المثل السابق) يروض نفسه على النهوض باكراً ويبدى جميع ضروب النشاط منذ أول النهار . أما اليوم فقد حل الاوتوموبيل محل الحصان ، والاوتوموبيل لا يحتاج الى علف ولا الى النهوض باكراً ولا الى ابداء الهمة والنشاط بل هو بالعكس مشجع على الكسل

فترى من المثلين المقدمين – وقد ضربناهما على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر – أن الاختراعات الحديثة قد أثرت فى حياة الفرد من حيث انها قد قللت الاعمال البدنية التى كانت تستلزم همة ونشاطاً ، ومثل هذا الامر لا بد أن يؤثر فى الاخلاق تأثيراً معيناً

ويظهر أن الصفة الغالبة اليوم على الشعب الاميركى هى رغبته فى كثرة الانفاق . وأبواب الانفاق أمامه كثيرة لا تحصى . فهنالك لوازم معيشته ومعيشة أسرته وتعليم أولاده وأجرة انضمامه الى ناد أو عدة أندية ومستلزمات راحته وراحة أهله ووسائل لهوه وتسليته وما الى ذلك من وجوه الانفاق . ولا تنس العلاقات الادبية بين الأسر والافراد وما تستلزمه من ضروب الانفاق على الولائم والحفلات وما فى حكمها مما لا يتسع له هذا المجال

ان الواجب يقضى على الاشخاص المعهود اليهم فى تربية الجيل الحديث بأن يغرسوا فى أذهان الطلبة أن الحياة البسيطة قد تكون أقرب إلى السعادة من الحياة المندفعة بتيار مقتضيات الاجتماع الحديث ، وأن من دواعى الاسف أن يعتاد أولئك الطلبة – وهم بعد فى طور التلمذة – كثرة الانفاق والاندفاع فى سبيل التبذير باقامتهم بغرف مستوفاة وسائل الراحة ورفاهة العيش وبانفاقهم على ثيابهم ووسائل لهوهم وتسليتهم أكثر مما كان أسلافهم ينفقونه قديماً

ترى هل يتعذر ايجاد حل لهذه المعضلة ؟ لا نعتقد ذلك . فاخلاق الامة هى مجموعة أخلاق الفرد ، فاذا أصلحنا أخلاق الفرد – وليس ذلك بمستحيل – تسنى لنا اصلاح أخلاق الامة

انظر إلى خلق الشعب البريطانى – لقد كانت النقائص فى انجلترا متفشية حتى أوائل عصر الملكة فكتوريا فى جميع دوائر الحكومة . أما اليوم فان دوائر الحكومة الانجليزية لا تفوقها دوائر أية حكومة فى العالم فى النزاهة والامانة والاستقامة . ولا يدرى أحد كيف وقع هذا التغيير العظيم ! وقد ابتدأ فى أميركا أيضاً فقد تحسنت الاداة الحكومية عما كانت عليه من قبل مع وجود شوائب كثيرة ما تزال متفشية هنالك

وثمة حقيقة لابد لنا من التسليم بها وهى أننا اذا أردنا اصلاح خلقنا القومى لم يكن لنا بد من اصلاح أخلاق الفرد . ومثل هذا الاصلاح لا يتأتى بواسطة تأليف الجمعيات واللجنات بل يجب ان يأتى من الداخل وذلك بان يطرأ على قلب المرء تغيير خفى

نهاية العالم : سنة ١٨٩٣ أم سنة ١٩٣٣ ؟

(مقتطفة من مقالة للاستاذ دوفوس)

(عن مجلة سكريبنر)

سواء أصدق القول بأن فى الضائقات المالية عاملا بسيكولوجيا أم لم يصدق ، فان هناك ما يصح تسميته ببسيكولوجيا الضائقات . ذلك أن موجة من موجات هستيريا اليسر والرخاء تطمو على هستيريا الضيق والكساد كما يبدو من درس أطوار الضائقة التى اجتاحت العالم من سنة ١٨٩٣ الى سنة ١٨٩٧ . ولنقتبس فيما يلى أقوال بعض الخطباء والكتاب فى ذلك العهد

ففى ١ يوليه سنة ١٨٩٣ ألقى المستر اوليفر برى مدير بنك التجار بمدينة نيويورك خطبة جاء فيها ما يأتى : « يلوح لى أن هذه البلاد (يقصد الولايات المتحدة) قد اجتازت أسوأ أطوار الازمة وان نهايتها قد باتت قريبة »

وفى ٢٧ يوليه من تلك السنة عينها ألقى المستر فلور محافظ ولاية نيويورك خطبة جاء فيها :

« انى أعتقد أن هذا اليوم هو الحد الفاصل بين مرحلتى الفزع والرجاء فى تاريخ هذه الازمة وان دور التحسين قد بدت طلائعه . وانى واثق بأننا قد اجتزنا أسوأ أطوار الازمة واننا منذ هذا اليوم سنرى الثقة تعود واليسر والرخاء يتجددان »

وفى ٨ سبتمبر من تلك السنة كتب المستر بلمونت الزعيم الاميركى يقول :

« ان الاحوال الحاضرة تسوغ لنا التعلل بعودة دولاب الاعمال ، وإن لم يدر هذا الدولاب بالنشاط منذ أول الامر »

وفى أواخر اغسطس من السنة التالية (١٨٩٤) نشرت احدى كبريات صحف نيويورك مقالة جاء فيها : « يشعر التجار فى كل مكان بأن الازمة قد انقضت ويتوقعون أن يبدأوا بجنى المكاسب »

ترى هل كانت هذه الاقوال صحيحة ، وهل كانت صفحة الضائقة قد انطوت ؟

الحقيقة أن الازمة يومئذ كانت فى بدء شدتها . وقد بدأ الطور الثانى من أطوارها بعد ذلك بقليل وبلغ من شدته أن زعم الجميع ان اركان النظام العمرانى قد تقوضت وان الاجتماع مقضى عليه بالفناء . ومع ذلك فقد ظل بعض الزعماء يستمدون من الخوف شجاعة ويحملون ضمائرهم ما لا يصدقونه من الاقوال ويفعلون ما يفعله الولد الصغير وهو سائر فى الظلام اذ يصفر بفمه ليس لانه لا يخاف ، بل لانه يستمد من خوفه شجاعة

وفى أوائل سنة ١٨٩٤ ألقى المستر دالزيل نائب ولاية بنسلفانيا خطبة فى مجلس النواب الاميركى جاء فيها قوله : « ان هذه الازمة من أشد ما عرف فى تاريخنا الاقتصادى فقد اجتاحت جميع دوائرنا

الاقتصادية وشلت تجارتنا الداخلية والخارجية فاستولى الخوف على جميعنا وها نحن نسير اليوم متلمسين طريقنا فى الظلام »

وجاء فى جريدة « واشنطون تيمس » بتاريخ يناير سنة ١٨٩٠ : « ان فى هذه البلاد عدة ملايين من العمال لا يجدون ما يعملونه وهم يتضورون جوعا . وقد أصيبت التجارة والصناعة بشلل وأصبحت المصانع معطلة وهبطت الاجور الى ادنى مستوى عرفته هذه البلاد »

وفى جزء فبراير سنة ١٨٩٥ من مجلة لبنكوت ما يأتى : « سيظل زراع هذه البلاد فقراء معدمين فى الخمسين سنة القادمة وسيعملون فى مزارع لا يملكونها . وسيكون جانب قليل منهم ملاكا يملكون مساحات صغيرة من الاراضى يأكلون من غلتها ما لا يستطيعون بيعه »

وفى مجلة « بلا كوود » بتاريخ ٤ ابريل سنة ١٨٩٥ مقالة بقلم احد كبار رجال الاقتصاد فى ذلك العهد نقتطف منها العبارة التالية :

« تدل الاحصاءات على استمرار الهبوط فى الاعمال . ويجب ان نتوقع منذ الآن وفى المستقبل ازمات اقتصادية أطول وأشد تتخللها أدوار رخاء قصيرة . ونحن نعيش الآن فى دور انتقال خطير تخفق فيه القلوب لاننا لا نعلم ما يخبئه لنا المستقبل »

هذه بعض الامثلة مما كان يكتب ويقال فى ذلك العهد . ولا شك ان هذه الاقوال كانت تفيد فى تخفيف لوعة الناس كما أن البكاء كثيراً ما يخفف لوعة الحزن

وأخيرا جاء الفرج المزعوم . وكان يقوم على امرين (اولهما) سك نقود فضية بلا قيد بنسبة ١٦ الى واحد (وثانيهما) الاعتماد على الذهب واصلاح نظام العملة . وبعد زمن وصلت الازمة الى نهايتها وانقشعت السحب . وساعد على ذلك انتخاب المستر ما كنلى رئيسا للجمهورية ورخص الذهب على أثر استنباط طريقة « السيانيد » لاستخراجه . وعادت الثقة الى النفوس وانتعش نظام « الرأسمالية » وظلت الامور جارية فى مجراها الطبيعى الى ان تجددت الازمة فى سنة ١٩٣٠ وزعزعت اركان العالم مرة اخرى

ان التاريخ يعيد اليوم نفسه ولكن العويل والمناداة بالثبور اللذين نسمعهما اليوم ليسا أشد مما كنا نسمعه منذ اربعين سنة . واذا كان قد طرأ على العالم أى تغير بسيكولوجى منذ ذلك الحين فقد نشأ عن اعتقاد الناس ان العوامل المؤدية الى العمل او البطالة ليست خارجة عن سلطة الانسان وان هنالك ميلا متزايداً الى وجوب الاكثار من العمل والاقلال من الكلام

وان من يقرأ صحف سنة ١٨٩٠ ويتتبع بسيكولوجيا النفوس تردد بين الامل واليأس وتنتقل من اليأس الى الرجاء لا يسعه الا الازدراء بضعف الانسان وسرعة تأثره بالعوامل الباعثة على اليأس واضطرابه بين اليأس والرجاء

وقود المستقبل

(من مقال للاستاذ هكسلى العالم الانجليزي الشهير)

(عن مجلة العصر الحي)

يستمد الانسان ثلاثة ارباع القوة التى يستخدمها من الفحم والزيت . والمعروف عند العلماء ان الزيت الموجود فى بطن الكرة الارضية سوف ينضب بعد زمن غير طويل . أما الفحم فهو أغزر فى بطن الارض وسيكفي الانسان مدة أطول ولكن استخراجه من مناجمه سيكون أصعب فأصعب ، فاذا اردنا أن نكون دائماً مزودين بالقوة اللازمة لادارة آلاتنا ومصانعنا فلا بد لنا من البحث عن مصادر جديدة للقوة . لاننا اذا اعتمدنا على الفحم والزيت فقط فاننا نستنفد رأس مالنا المتجمع فى جوف الكرة الارضية منذ أحقاب طويلة

ومما يجدر بالذكر ان أقل من عشر القوة التى يستخدمها العالم مستولد من الماء المتساقط . ومع انه فى الامكان زيادة هذا المقدار فهو لا يسد الا جزءاً يسيراً من حاجة العالم . وفى الواقع انه يستحيل الانتفاع بقوة الماء الا اذا استعملنا آلات كهربائية عظيمة لنقل تلك القوة من مكان توليدها الى حيث تدعو الحاجة الى استعمالها . ففى المانيا آلات من هذا القبيل تبلغ قوتها اكثر من مائتى الف فولت . وهذه الآلات الكبيرة تسمح بنقل القوة الى مدى يزيد على اربعمائة ميل . ومن المحتمل جداً أن نتمكن فى المستقبل القريب من صنع آلات ذات نصف مليون « فولت »

وهنالك حركة المد والجزر وهي من المصادر التى يمكن استمداد القوة منها . وقد يبلغ ارتفاع المد فى بعض الاماكن خمسين قدما فى اليوم . على ان حركة الماء هذه لا تفيد الا فى مساحات محدودة

والهواء ؟ . . .

ان الهواء أيضا مصدر للقوة ولكن مهبه غير منتظم بحيث لا يمكن الاعتماد عليه . نعم فى الامكان اقامة رحى هوائية تدفع الماء الى ارتفاع عال يهبط منه فى أنابيب لتوليد القوة الكهربائية ، ولكن احسن الاماكن لتوليد القوة من الهواء هي الصحارى الجافة المكشوفة

وحرارة الشمس ؟

أقام بعضهم آلات لتوليد القوة من هذه الحرارة فى كاليفورنيا بالولايات المتحدة . وقيل إن آلات شبيهة بها اقيمت فى مصر ايضا فى مكان بحلوان تبلغ مساحته ثلث فدان . واخترع الدكتور لانج الالمانى « خلية شمسية » اذا وقعت عليها أشعة الشمس انشأت فيها تياراً كهربائياً تتولد منه القوة ، ولكن مثل هذا المشروع صعب التحقيق من الوجه العملى

وهنالك أيضا مشروع يرمى الى استيلاد القوة من اختلاف درجة الحرارة بين سطح البحر وقاعه. وقد جرب الاميركيون هذه الطريقة فى مكان يبعد قليلا عن جزيرة كوبا، ولكن التجربة لم تسفر عن نجاح عملى وان تكن الفكرة التى يقوم عليها المشروع صحيحة من الوجه العلمى

أما استغلال القوة التى فى الجوهر الفرد فالقرائن تدل على انه لا يتوقع تحقيق هذه الامنية فى القريب العاجل. وقد يكون هذا لخير العمران لان العالم غير مستعد لاستعمال مثل هذا الاستنباط. ولا يخفى ان فى قطرة واحدة من الماء قوة اذا أطلقت من عقالها تكفى لنسف مدينة لندن كلها. وفى الواقع ان استعمال قوة كهذه خطر على العمران بل هي لعنة لا يعرف اذاها الا الذين يعرفون هول القوة الكهربائية الكائنة فى الجوهر الفرد

ترى مما تقدم ان معظم المصادر المشار اليها لا يمكن أن تفيد العالم فى القريب العاجل. ولو فرضنا اننا استطعنا استغلال تلك المصادر (ما عدا القوة الكامنة فى الجوهر الفرد) فانها لا تسد اكثر من نصف حاجة العالم.. اذن على أى مصدر يمكننا ان نعتمد؟

يظهر ان النبات هو احسن مصادر القوة. فالنباتات المتعفنة والمطمورة فى جوف الارض منذ الاحقاب الجيولوجية الخالية قد كانت حتى الآن أهم مصدر للقوة التى نستعملها. وكذلك ستكون مصدر القوة التى سنحتاج اليها فى المستقبل لاننا سنضطر على الارجح الى استعمال الكحول. وفى الامكان استخراج الكحول من النباتات بكل سهولة وبطريقة لا تتطلب نفقات تذكر، فضلا عن ان الكحول من افضل انواع الوقود فى العالم. وقد وفق أحد علماء الكيمياء حديثا الى اكتشاف علمى يمكننا من الحصول على الكحول النقى (٩٩و٩ فى المائة) من دبس العنب او من البطاطس. وكنا منذ عشر سنوات نقنع بالحصول على الكحول الممزوج بالماء بنسبة ٤ فى المائة وكان وجود هذه الكمية الضئيلة من الماء يحول دون استعمال الكحول وقودا عاماً

ومما يجدر بالذكر أن مركبات «الاوتوبيس» بباريس تستعمل اليوم وقوداً مركباً من الكحول والغازولين (نصفه من هذا ونصفه من ذاك) وفى بلاد أسوج وألمانيا وأوستراليا وغيرها قاطرات تستعمل وقوداً يدخل الكحول فى تركيبه. ومن المحتمل جدا ان يتمكن الناس فى المستقبل القريب من الاقلال من شراء الوقود اللازم لبيوتهم ولاعمالهم باستخراجهم الكحول من نباتات يزرعونها فى بيوتهم لهذا الغرض خاصة. على ان المناطق الاستوائية ستكون اغزر ينابيع الكحول فى المستقبل لكثرة ما فيها من النباتات التى تصلح لاستخراج هذا الوقود. بل ان فى المناطق الحارة فى الوقت الحاضر نباتات يكفى الكحول الكامن فيها لسد حاجات العالم كله. والارجح ان الانسان سيبنى بقرب خط الاستواء فى المستقبل مصانع عظيمة لاستخراج الكحول وتوزيعه من هنالك على أنحاء العالم المختلفة. وسيعم استعماله وينتشر انتشاراً عظيما. وسيعرف ذلك العصر بعصر الكحول

تقدم العلم والعالم

انقراض الحوت

يقول الدكتور رادكليف مدير مصلحة المصايد فى أميركا إن حيتان البحار قد أخذت فى الانقراض وإنه إذا لم تتخذ الحكومات الاحتياط اللازم فلن ينقضى ردح من الزمن حتى يزول هذا الحيوان البحرى من الوجود. نعم إن هنالك معاهدة قديمة قد وقعتها بعض الدول لهذا الغرض ولكن عدد الدول الموقعة لها قليل وهي لا تحافظ عليها محافظة دقيقة إذ ما تزال صيد الحيتان جارياً على سواحل الاوقيانوس الباسفيكى كما كان قديماً. وقد بلغ عدد الحيتان التى صادتها شركة واحدة فى السنة الماضية ٢٦٩ حوتاً نتج منه ٦٠٩٦٦٣ جالوناً من زيت كبد الحوت و٣٢٣ طناً من اللحم المقدد

المادة المنومة

يقول الدكتور هنرى بيرون من أطباء باريس المشهورين إن الانسان عند ما يغمض عينيه لينام تبدأ مادة تسمى ايبنو توكسين تتكون فى دماغه. وقد تمكن هذا الطبيب من عزل هذه المادة من الدماغ بطريقة دقيقة جداً. وقد جرب تأثيرها فى بعض الاشخاص لحقنهم بها، فكانت النتيجة أن النعاس استولى عليهم فى الحال. وحقن بها أيضاً أشخاصاً قد استيقظوا من نوم طويل فعادوا وناموا مرة أخرى

الطرق المعبدة

كانت الطرق المعبدة الموصلة بين مدينة وأخرى شائعة فى بلاد الفرس منذ القرن الخامس قبل الميلاد

الزجاج الحديث

ما تزال المواد المستعملة فى صناعة الزجاج هى المواد التى كانت تستعمل فى هذه الصناعة فى العصور المتوسطة، مما يدل على ان هذه الصناعة قد بلغت أوج اتقانها

حفظ البيض

تدل التجارب على أن البيض إذا وضع فى جو بارد أمكن حفظه من الفساد طويلا وأنه إذا كانت حرارة الجو المحيط به الخامسة فوق الصفر أمكن حفظه نحو شهرين من الفساد

للوقاية من الدفتيريا

لا يخفى أن للدفتيريا لقاحاً خاصاً يجب أن يلقح به المرء ثلاث مرات لكى تتم له المناعة من هذا المرض طول العمر. وقد قرأنا الآن فى احدى المجلات العلمية الاميركية أن الدكتور ليون هيفنس (Dr. L. C. Havens) الطبيب بمعمل مكتب الصحة بولاية الاباما قد اكتشف لقاحاً جديداً للوقاية من الدفتيريا تكفى حقنة واحدة منه لاحداث المناعة طول العمر. وتقول

المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر إن اللقاح الجديد مأخوذ من اللقاح المستعمل فى الوقت الحاضر

كبريت جديد

اخترع أحد الاميركيين كبريتاً جديداً لا يفنى اذ يمكن استعماله ألوفاً من المرات من دون أن ينفد . وهو ثقاب معدنى معالج بمواد كيماوية تجعله يشتعل كثقاب الكبريت تماماً وبعد استعماله يطفأ ويوضع جانباً لكى يشعل مرة أخرى عند الحاجة

أخطار الحريق

كثيراً ما يموت البعض عند حصول الحريق ويذهبون ضحايا النيران . وقد أثبتت التجارب التى قام بها بعض العلماء بمعهد بروكلين الصناعى ان ضحايا الحريق يموتون فى الغالب بسبب اختناقهم بالدواخن (جمع دخان) المتصاعدة من الثياب المحترقة ومن الخشب ومن المواد المصنوعة من السليولويد فان غازات سامة تنبعث من تلك المواد المشتعلة وفى مقدمتها غاز أول اوكسيد الكربون وغاز ثانى اوكسيد الكربون وكلاهما سم قاتل . أما الغازات التى تنبعث من احتراق الزيوت وأمثالها من المواد الدهنية فأقل خطراً

من فوائد الخل

من الامور المعروفة أن الاكثار من أكل المواد التى يدخلها الخل تحول دون السمانة . ولعل الخل من أهم المواد المنزلية وأنفعها فانه اذا خفف بالماء وأضيف اليه قليل من الملح الاعتيادى كان منه أحسن مادة لتنظيف الادوات المعدنية والزجاجية . واذا أضيف قليل من هذا المحلول الى مواد لزجة قد نشفت أو كادت تنشف فانه يلينها ويجعلها سهلة للاستعمال

ناطحات السحاب

الابنية المعروفة بناطحات السحاب لا توجد الا فى الولايات المتحدة . ولا تجد فى أوربا بناء للسكن يزيد ارتفاعه على عشر طبقات . الا أن أهالى جنوى مسقط رأس كولمبوس قد عزموا على تشييد بناية من ناطحات السحاب ستكون مؤلفة من عشرين طبقة وستكون أعلى بناية فى أوربا

مصنع قديم للزجاج

اكتشف الاميركيون آثار فرن قديم بالقرب من مدينة جيمستون بولاية فرجينيا . والمظنون أن هذا الفرن كان لصنع أدوات زجاجية

للاهتداء الى السمك

من الامور المعروفة لدى الصيادين أن بعض الطيور التى تحوم فوق البحار تتبع السمك فى اتجاهه وكلما صعدت سمكة انقض عليها الطير لاقتناصها . لذلك يراقب الصيادون تلك الطيور ليهتدوا بواسطتها الى الجهات التى يكثر فيها السمك

الصواعق في منطقة القطب

يقول العلماء انه قلما تحدث صواعق فى منطقة القطب الشمالى وان الصواعق التى تقع هنالك لا تزيد على صاعقة واحدة فى كل عشر سنوات

من عقائد الاشوريين

فى متحف شيكاجو الحالى لوح من الخزف قد نقشت عليه بالكتابة الاشورية القديمة (المعروفة بالمسمارية) عبارة مؤداها ان تسوس الاسنان ناشىء عن ديدان صغيرة تدخل الفم وتتربى على فضلات الطعام التى تتخلل الاسنان

لتسجيل الوفيات

فى سنة ١٩٠٢ ــ أى منذ أكثر من واحد وثلاثين عاماً ــ أنشأت الحكومة الاميركية مصلحة خاصة لاحصاء الوفيات التى كانت تشمل فى أول الامر بعض الولايات ثم انضمت اليها سائر الولايات بالتدريج آخرها ولاية تكساس . وهذه المصلحة تجمع احصاءات دقيقة عن الوفيات وتسجل المعلومات الوافية الخاصة بها كعمر المتوفى وجنسه وصناعته وأسباب وفاته وعلاقة الوفاة بالوراثة الى غير ذلك من المعلومات الدقيقة

الحجة المقنعة

تدل التجارب الكثيرة التى قام بها فريق من أساتذة المدارس الجامعة فى اميركا على ان اقناع الخصم بالحجة شفهاً أسهل من اقناعه كتابة وان المرأة أسرع الى الاقتناع من الرجل وان اقناع كل فرد وحده أسهل من اقناع جمهور كبير معاً

السيار التائه

لا يخفى أن هنالك عدة سيارات صغيرة تدور حول الشمس ولا يدرى بها الا علماء الفلك . ومن هذه السيارات سيار صغير يعرف عند علماء الفلك باسم زرلينا . ومنذ مدة توارى هذا السيار عن الابصار ولم يعلم أحد بمكان وجوده ، الى أن عثر عليه فى الشهر الفائت الدكتور كاربنتر أستاذ علم الفلك بجامعة آريزونا

الازمة العالمية والعلم

تدل الاحصاءات الموثوق بها على أن الازمة الاقتصادية التى اجتاحت العالم منذ ثلاث سنوات لم تؤثر فى العلم تأثيراً سيئاً كما كان متوقعاً بل بالعكس زادت عدد المتعلمين فى جميع أنحاء العالم حتى لقد غصت المدارس بطلاب العلم . وفى سنة ١٩٢٩ ــ وهى السنة التى تقدمت الأزمة ــ كان عدد الذين حازوا شهادة الدكتوراه فى العلوم المختلفة فى الولايات المتحدة الفاً وخمسة وعشرين وفى صيف هذا العام بلغ عددهم ١٣٤٣ وهم كما يلى :

٤١٧	نالوا الدكتوراه فى الكيمياء				
١٢٣	»	»	»	»	علم الحيوان
١٠١	»	»	»	»	البسيكولوجيا
٧٩	»	»	»	»	النبات
٧٨	»	»	»	»	الرياضيات العليا
٧٥	»	»	»	»	الهندسة

ونال الباقون شهادات الجيولوجيا والفسيولوجيا والزراعة والباتولوجيا والانتروبولوجيا والفلك والجغرافيا والطب والجراحة وعلم جبرا

جو الكرة الارضية

إذا درس الانسان بيانات رصد الاحوال الجوية وقابل بعضها بالبعض الآخر وتتبع تقلب تلك الاحوال على مدى السنين ثبت له أنها أشبه

بدائرة يستغرق دورانها مدداً معينة من الزمن يقول بعض العلماء إنها لا تزيد على سبع وستين سنة . ومعنى ذلك أن الأحوال الجوية فى قطر من أقطار العالم تتكرر كل سبع وستين سنة . فاذا اشتد الحر أو البرد فى سنة من السنين فان شدة ذلك الحر أو البرد تتكرر فى ذلك المكان عينه بعد سبع وستين سنة . على أن هنالك عوامل طبيعية تطرأ على الكرة الأرضية فى أثناء سيرها حول الشمس وهذه العوامل تؤثر فى دورة السبع والستين سنة . فقد تمر الكرة الأرضية فى فلكها بسدم أو لطخ سحابية تحول دون وصول أشعة الشمس إلى الأرض . وهذا هو أحدث تعليل للعصر الجليدى الذى مرت به الكرة الأرضية غير مرة ، فان سحباً من السدم حالت دون وصول أشعة الشمس الى الارض مدة بضعة ألوف من السنين . فانقرض معظم العالم الحيوانى ولم ينج إلا من كان أصلح للبقاء

الزائدة الدودية

مر الآن خمسون سنة تماماً على الزمن الذى اكتشف فيه اثنان من الاطباء الاميركيين سبب المرض المعروف بالتهاب الزائدة الدودية . وفى أحدث الانباء العلمية أن اثنين من الاطباء الفرنسيين اكتشفا « لقاحاً » لشفاء المصابين بهذا الداء من دون التجاء الى سكين الجراح

الصواعق في العالم

يقول العلماء ان نحو أربعة وأربعين الف صاعقة تحدث فى جو الكرة الارضية فى كل أربع وعشرين ساعة . وأكثر هذه الصواعق تقع فى المناطق المعتدلة وأقلها فى منطقتى القطب الشمالى والقطب الجنوبى . وهنالك عدد غير يسير من هذه الصواعق يقع فى المناطق الاستوائية أيضاً

حجر اللازورد

فى متحف فيلد بالولايات المتحدة أكبر حجر من اللازورد فى العالم يبلغ حجمه قدمين طولا وقدماً واحدة عرضاً وثمانى بوصات ثخانة . وقد عثر المنقبون على هذا الكنز فى أثناء قيامهم بأعمال الحفر فى مكان ببلاد بيرو فيه قبور ملوك الانكا الذين اشتهروا بالغنى فى أميركا الجنوبية فى العصور الخالية

الكريات الحمراء

فى كل ملليمتر مكعب من دم الانسان نحو ستة ملايين كرة من كريات الدم الحمراء . أما كريات الدم البيضاء فأقل من ذلك بكثير

في عالم الطيور

بعض الطيور تنام على أغصان الاشجار معلقة من سيقانها . وبعضها تنام معلقة من مناقيرها . أما النسر والصقر فانهما ينامان وهما واقفان على سيقانهما

فئران غريبة

فى بعض صحارى اميركا الجنوبية فئران كبيرة لها وبر شائك يشبه أشواك القنفذ . وهى تدافع به عن نفسها عند ما تهاجمها الاعداء

السكر والفيتامين

من الامور التى ادهشت العلماء انهم لم يعثروا حتى الآن على أثر لاية مادة من مواد الفيتامين فى السكر، مع ان من الامور الثابتة ان السكر لازم لجسم الانسان. وقد كان الاعتقاد الشائع حتى الآن أنه من احسن المواد الغذائية، حتى ان بعض الناس الذين يصومون مدة طويلة يستغنون عن جميع المواد الغذائية ويكتفون بالماء والسكر فقط ويعيشون طويلا

ضعف البصر

تدل المباحث العلمية الاخيرة على ان من أهم اسباب ضعف البصر فى الانسان نقص مادة الكلسيوم من غذائه. فان هذا النقص يؤثر فى عصب البصر تأثيراً يؤدى عادة الى فقد حاسة البصر بتمادى الزمن

اطول الحيوانات عمراً

المعروف بين الناس ان الحيتان هى من اطول الحيوانات اعماراً. إلا ان المباحث العلمية الاخيرة تدل على ان التماسيح قد لا تقل عنها فى طول العمر، وهى على الارجح أطول أعماراً من السلاحف التى كان يظن أنها تلى الحيتان فى طول العمر

أجنحة الذبابة

لا يخفى أن الصوت هو تموجات هوائية. فرنين الاوتار مثلا هو تتابع أمواج هوائية تضعف رويداً رويداً كلما ابتعدت عن مركز الصوت. وقد تمكن العلماء من احصاء عدد الامواج الصوتية التى تسبب طنين الذبابة الاعتيادية وهى ثلثمائة وثلاثون موجة فى الثانية الواحدة

الحشرات في العالم

يقول أحد علماء الحيوان إن نصف حشرات العالم مؤذ للانسان والحيوان والنبات على وجه الاجمال والنصف الآخر نافع لها

علاج الروماتيزم

كان بعض أطباء القرن السادس عشر يعالجون المصابين بالروماتزم بزيت مستخرج من بعض ديدان الارض، كانوا يدلكون به أعضاء الجسم المصاب بالروماتزم

الاسنان في المستقبل

يتوقع الكثيرون من العلماء انقلاباً كبيراً فى صناعة حشو الاسنان فى المستقبل فستحشى هذه الاسنان بمواد غير معدنية لا تنشىء تفاعلات كيميائية ولا تؤثر فى سلامة الجسم بوجه الاجمال

الراوند

الراوند بالاعتبار العلمى نبات له قوة غذائية تعادل قوة بعض البقول المعروفة. ويقول أحد علماء النبات إنه لازم لغذاء الانسان لزوم الفواكه له ولذلك يحسن الاكثار من استعماله

بين الهلال وقرائه

البكتريا

(طنطا ـ مصر) ع . ب طالب بالمدرسة الثانوية

المعروف عن البكتريا انها جراثيم أو ميكروبات مؤذية . ولكنى قرأت فى كتاب ان البكتريا كثيراً ماتكون ضرورية للحياة . فهل هذا صحيح ؟

« الهلال » نعم فليست جميع انواع البكتريا مؤذية بل منها ماهو مفيد جداً وهى لازمة لتربة الارض الزراعية بل لحياة نباتات كثيرة . ويعتقد بعض العلماء أن البكتريا تساعد الانسان ايضاً على هضم بعض المواد الغذائية . وبعض الصناعات (كدباغة الجلود وغيرها) لاغنى لها عنها كما ان البكتريا ضرورية لحصول الاختمار

نبات غريب

(طنطا ـ مصر) ومنه

قرأت فى مجلة علمية ان هنالك نباتاً يزهر مرة كل مائة سنة . فهل هذا صحيح ؟

« الهلال » الارجح انكم تشيرون الى النبات المعروف بالانجليزية بنبات القرن (Century Plant) والمعروف عنه انه يورق ويزهر مرة كل خمسة وعشرين أو ثلاثين عاماً

الوحي وموسى الكليم

(القاهرة ـ مصر) ج . مسعوده

كيف نزلت التوراة على موسى الكليم ؟ هل نزلت آية آية بحسب الحوادث أم مرة واحدة ؟

« الهلال » للمسيحيين فى مسألة الوحى نظريات مختلفة أكثرها شيوعاً وأقربها إلى العقل ان الله لم يقيد موسى (وغيره من كتاب اسفار العهد القديم) باحرف والفاظ معينة بل أوحى اليهم بتدوين ما دونوه تاركا لهم حرية اختيار الالفاظ والعبارات المؤدية الى المعنى المطلوب . وعليه فان اصحاب هذه النظرية يقولون بأن الفاظ التوراة وعباراتها غير موحى بها وان الوحى لايتناول إلا الفكرة الاساسية التى تنطوى عليها . وليس من المهم ان نعلم هل نزل الوحى متقطعاً أو مرة واحدة لأن العبرة بجوهر المعنى وروحه لا بالالفاظ التى وضع بها ؟

علوم حديثة

(القاهرة ـ مصر) ومنه

ما هى الفسيولوجيا . والبيولوجيا والميكولوجيا . والبكتيريولوجيا . والميتورولوجيا

« الهلال » الفسيولوجيا كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين معناهما البحث فى وظائف

أعضاء الاجسام الحية . والميكولوجيا مركبة من كلمة ميكيس اليونانية ، ومعناها فطر ، ولوجوس اليونانية ومعناها كلام أو بحث . فالميكولوجيا علم الفطريات . والبكتيريولوجيا (يونانية أيضاً) علم يبحث فى خواص البكتيريا أو الخلايا الحية المفردة المستطيلة الشكل . والميترورولوجيا مركبة من كلمتين يونانيتين معناهما البحث فى العوامل الجوية

سمك لا يبصر

(ايه جان ـ ساحل العاج) حسن جابر

قرأت فى كتاب لمؤلف أسبانى ان فى بعض أنحاء الولايات المتحدة مستنقعات وبحيرات داخل كهوف ومغاور مظلمة لا يصل اليها نور الشمس وفيها أسماك لا تبصر لانها لم تعتد رؤية نور الشمس ، وان بعض العلماء نقلوا تلك الاسماك وعرضوها لنور الشمس فلم تبصر فى أول الامر ولكنها ابصرت بمرور الزمن . فهل تصدقون خبراً كهذا ؟

﴿ الهلال ﴾ أما القول بوجود أسماك تعيش فى الظلام ولا تبصر نور الشمس بتاتاً فهو قول صحيح معروف عند العلماء منذ أقدم الازمنة . ففى قيعان الاوقيانوسات أسماك وحيوانات كثيرة تولد وتموت فى الظلام ولا ترتفع الى سطح البحر أو الى طبقات الماء التى يصل اليها نور الشمس . ولا يخفى أن قيعان البحار عميقة جداً ومظلمة لأن أشعة الشمس لا تصل اليها . أما نقل الحيوانات التى فيها إلى مناطق أو طبقات من الماء تستطيع رؤية نور الشمس فيها فما يصعب تصديقه . واذا استطاعت تلك الحيوانات ان تعيش فى مكان تصل اليه أشعة الشمس فليس ذلك برهاناً على انها تستطيع أن تبصر ، ولا سيما انها بمقتضى ناموس الانتخاب الطبيعى ليس لها اعين تبصر وليس العمى طارئاً عليها بل هو صفة ملازمة لنوعها

عدد العرب

(ايه جان ـ ساحل العاج) ومنه

ذكرتم فى جواب عن سؤال لأحد المشتركين فى جزء مايو من « الهلال » ان عدد العرب على ما جاء فى دائرة المعارف البريطانية الاخيرة يبلغ نحو سبعة ملايين ببلاد اليمن وعسير والحجاز وعمان وحضرموت . ولم تذكروا شيئاً عن سوريا ولبنان . فهل سكان هذه الانحاء ليسوا عرباً ؟

﴿ الهلال ﴾ هم عرب باعتبار لغتهم وان اختلطت بهم أجناس أخرى . ومع ذلك فاننا اذا أضفناهم الى عرب اليمن وعسير والحجاز وغيرها لم يزد عدد العرب على ما قدرتهم به دائرة المعارف البريطانية

العلامات الحسابية

(كفر الدوار ـ مصر) محمد عبد الغفار

ان العلامات المستعملة فى عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة فى الحساب هى هى فى اللغات العربية والافرنجية . فأية لغة أخذتها عن الاخرى ؟

﴿ الهلال ﴾ هذه العلامات حديثة العهد لم تكن معروفة عند الاقدمين الذين كانوا يستعملون بدلا منها الالفاظ التي هي رمز اليها . أما الارقام العددية نفسها فقد أخذها العرب عن الهنود وأخذها الغربيون عن العرب

الجذام

(طنطا - مصر) زكريا محمود البدوى

لى قريب مصاب بالجذام ذهبنا به الى أطباء عديدين والى مستشفيات كثيرة فقيل لنا انه لا أمل بشفائه لان هذا المرض ليس له دواء . فماذا تنصحوننا ؟

﴿ الهلال ﴾ كان الجذام وما يزال من أشد الامراض استعصاء ولكن تقدم الطب الحديث يجعلنا نثق بان العلم سوف ينتصر نهائياً عليه . وفى الواقع ان طرق معالجته قد ارتقت كثيراً فصار فى الامكان شفاؤه شفاء أكيداً فى ادواره الاولى . وقد قوى الامل بالانتصار عليه فى الادوار المتقدمة ايضاً . وفى اوربا واميركا والهند والفيلبين وغيرها من انحاء العالم مستشفيات خاصة بمرض الجذام يعزل فيها المرضى لمنع عدواهم ويعالجون فيها بالحقن . ولا يسعنا ان نسهب فى وصف علاج هذا الداء وانواع المواد التى يحقن بها المصاب بين العضلات وفى مقدمتها بعض مركبات الاتيل . وكان الاخصائيون يحقنون المصاب حتى عهد قريب باملاح الصوديوم وغيره . ويظهر أن احدث طرق المعالجة هى طريقة الدكتور موير الشائعة فى مستشفيات الهند وهى حقن المصاب بمادة جديدة تسمى « صوديوم هيدروكاربات » (Sodium hydrocarpate) وقد نجحت هذه الطريقة نجاحاً عظيماً ويعتقد الكثيرون أن الطب سوف ينتصر على الجذام بهذه الحقنة او بما يماثلها

وهنالك مواد أخرى ما يزال بعض الاطباء يستعملونها ولا يتسع المجال لوصفها . والافضل مراجعة طبيب اخصائى يمكنكم الاعتماد عليه

الخنثى

(عكا - فلسطين) كامل بشاره

كيف تعللون انقلاب الفتاة شاباً ؟

﴿ الهلال ﴾ فى بعض الاشخاص تكون أعضاء الانوثة والرجولة موجودة معاً فى حالة غير تامة . وبمرور الزمن - أو بواسطة عملية جراحية - تتغلب أعضاء الانوثة أو أعضاء الرجولة فيصبح ذلك الشخص الشاذ شخصاً طبيعياً . أما سبب هذا الشذوذ من الوجه الفيسيولوجى فما يصعب بسطه فى هذا المجال . وهو على كل حال شذوذ نادر قد لا يزيد على واحد فى المليون

غياب الشمس

(عكا - فلسطين) ومنه

الشمس تغيب كل يوم فى الساعة الثانية عشرة مساء صيفا وشتاء بحساب الساعة العربية وهى تختلف عن الساعة الافرنجية . فلماذا هذا الاختلاف ؟

﴿ الهلال ﴾ من قال لكم إن الشمس تغيب دائماً فى الساعة الثانية عشرة صيفاً وشتاء ؟

إن مواعيد غيابها تختلف باختلاف أيام السنة . وما عليكم إلا أن تراجعوا أى تقويم فلكى حتى يتضح لكم أن الشمس فى الشتاء تغيب قبل ميعاد غيابها فى الصيف وأن نهار الشتاء أقصر بكثير من نهار الصيف

أما اختلاف الساعة الافرنجية عن الساعة العربية فسببه أنه يبدأ بحساب الوقت (بمقتضى الساعة الافرنجية) بعد منتصف الليل . أما الوقت العربى فالمفروض فيه أنه يبدأ من شروق الشمس . ومع ذلك فان مواعيد انتصاف الليل وشروق الشمس وغروبها ليست متعادلة على مدار السنة

عبور المحيط الباسفيكى

(سان باولو - البرازيل) أحد القراء

قرأت فى إحدى الصحف أن هنالك دلائل على أن الانسان عبر المحيط الاطلانطى منذ نحو خمسة آلاف سنة . فما رأيكم فى هذه الخرافة ؟

﴿ الهلال ﴾ ولماذا تسمونها خرافة ؟ وبماذا تعللون وجود الانسان فى القارة الامريكية منذ الوف السنين ؟ هل ذهب الى تلك القارة من أوربا وآسيا سباحة ؟ أم خلق الله الانسان هنالك فجأة من دون أن تكون ثمة أية علاقة بينه وبين الانسان فى سائر أنحاء المعمور ؟ . وفى الواقع أن الأدلة على أن الانسان عبر المحيط الباسفيكى الى القارتين الامريكيتين منذ آلاف السنين كثيرة متوافرة ، وهى ترجح أن الذين ذهبوا لاستيطان أمريكا فى العصور الخالية ذهبوا من منشوريا الى كمشتكا براً أو بحراً ، ومن هنالك الى جزائر آلوشيا ومنها الى سواحل آلاسكا فى سواحل أمريكا الشمالية

وهنالك قرائن أخرى تدل على أن غير هؤلاء اتخذوا فى نزوحهم الى القارة الامريكية طريقاً آخر من جزائر الفيلبين شمالا شرقياً ثم الى جزائر مارشال وهاياواى فسواحل كاليفورنيا . واتخذ غيرهم طرقاً أخرى غير هذه . وكلها دليل على ان الانسان عبر المحيط الباسفيكى - بل جميع بحار العالم - منذ اقدم الازمنة

ابرة الملاح

(سان باولو - البرازيل) ومنه

من هو مخترع ابرة الملاح المعروفة عند العامة بالبوصلة ؟

﴿ الهلال ﴾ ادعاها كثيرون وكان المعروف حتى عهد قريب أن رجلا ايطالياً يسمى جويا (عاش حوالى سنة ١٣٠٠ بعد الميلاد) هو الذى اخترعها . ولكن المباحث التى قام بها أخيراً الدكتور برتولد لاوفر مدير قسم الانتربولوجيا بمتحف التاريخ الطبيعى بأمريكا قد أثبتت أن البوصلة (كغيرها من الاختراعات الكثيرة) هى من ابتكار الصينيين وانها كانت معروفة عندهم من حوالى سنة ١١١٥ قبل الميلاد ، وعنهم أخذها العرب والفرس ، وعن هؤلاء أخذها الملاحون الاسبان فى العصور الوسطى

الصابون والنبات

(خربا - حوران) فريد عزام

هل يضر ماء الصابون بالنبات ؟

﴿ الهلال ﴾ يختلف تركيب الصابون باختلاف أنواعه . وفى أكثره مواد تضر معظم النباتات ولا سيما الصودا الكاوية التى فيه

مراحل الهلال

عن الجزء الثالث والرابع من السنة الرابعة : صدرا في أكتوبر سنة ١٨٩٥

ما هو الانسان

عرف المنطقيون الانسان تعاريف مختلفة لا ينطبق واحد منها عليه انطباقاً جامعاً مانعاً ، فقالوا مثلا : « حيوان ضاحك » فوجدوا بعض أنواع القردة يضحكون ، فعدلوا عن هذا التعريف ، وقالوا انه « حيوان اجتماعى » أى أنه يمتاز بميله إلى الاجتماع فوجد بعض أنواع الحيوان كالكراكى وغيرها تجتمع مئات وألوفاً فى أماكن معلومة فى أزمنة معينة كأنها تجتمع إلى مؤتمر أو مجمع سياسى أو ندوة علمية ، فقالوا « هو حيوان منتصب القامة » ثم وجدوا بعض القردة تنتصب مثل انتصابه ، فقالوا هو « حيوان صانع » ثم رأوا بين أنواع الحيوان ما يستطيع أن يقوم بصناعات يعجز هو عنها ، فقالوا : « إنه حيوان كاتب » فاعترض عليها بأن الكتابة ليست صفة لازمة للانسان ، فقالوا إذن هو : « حيوان ناطق » . وهو تعريف لا نرى أقرب منه إلى الحقيقة إذا اعتبرنا النطق شاملا للوازم التكلم من الاجتماع والتعقل ، وما شاكل ذلك . لان الانسان من حيث تركيب جسمه طبيعياً وكيمياوياً ، وبالنظر إلى تناسب أعضائه وأنواع غذائه وكيفية الاعمال الحيوية فيه ، وكل ما يتعلق بذلك حيوان كسائر الحيوانات ، لكنه يمتاز عنها ببعض الظواهر العارضة ، كما تختلف سائر أنواع الحيوان بعضها عن بعض . أما المنطق فلا يراد به مجرد التكلم أو التفاهم إذ قد يكون بين بعض أنواع الحيوان لغة يتفاهم بها أفراده . وما أدرانا لعل نباح الكلب ومواء الهر وخوار الثور وصهيل الفرس ونهيق الحمار وتغريد الطير ونقيق الضفدع — لغات يتفاهم بها أفراد كل نوع منها فيما بينها ، اذ لا يشترط فى اللغة أن تكون أصواتها مقطعية

على أن أصوات الانسان اذا امتازت بتقطعها ، ففى بعض أنواع الحيوان خصائص صوتية يقصر عنها الانسان كاصوات بعض الطيور والهوام . فامتياز أصوات الانسان بالمقاطع لا يجعلها منفردة ، ولا يمنع وقوع التفاهم بين سائر أنواع الحيوان

فالنطق الذى ميزنا به الانسان هو غير اللفظ وربما صح تعريفه بأنه القوى الخاصة بالمتكلمين أو هو القوى المنطقية التى يدركون بها الاحكام المنطقية كالقياس والبرهان وما جرى مجرى ذلك . على أننا لا نستطيع الجزم بأن الحيوان الاعجم خلو من هذه القوى أو بعضها أو ما يقاربها أو

يشا كلها.ومن رأى بعض العلماء أن القوى العاقلة في الحيوان انما تختلف عن القوى العاقلة في الانسان بالمقدار وليس بالنوع ، أي أن للحيوان عقلا كعقل الانسان ولكنه يختلف عنه بالكمية فقط ، كأنهم يقولون ان عقل الحيوان قد يبلغ مبلغ عقل الانسان وهو قول العلماء الطبيعيين ولا سيما القائلين بالارتقاء الطبيعي أنصار المذهب الداروني ، وأما علماء العقليات والادبيات فعندهم أن عقل الانسان يختلف عن عقل سائر أنواع الحيوان بالنوع وليس بالمقدار ، وبعبارة أخرى ان عقل الحيوان مهما ارتقى لا يمكنه ادراك عقل الانسان . وما يزال الخلاف قائما بين الفئتين وربما وجدت فئة ثالثة تقول غير قوليهما

الزواج بين الاخوة والاخوات

(من رد على سؤال)

لا ريب في أن عقد النكاح بين الاخوة والاخوات وسائر الاقارب الاقربين كان أمراً اعتيادياً في الازمنة الغابرة قبل نزول الشريعة الموسوية.وأما الشريعة التي جوزت ذلك النكاح فهي عدم وجود الشريعة التي تمنعه . أما الحامل عليه فهو الضرورة في أول عهد الانسان . وقد كان نكاح آدم أول حامل على ذلك فانه تزوج امرأة هي ضلع من أضلاعه ولحم من لحمه فهي أقرب اليه من الاخت . وأولاده تزوج الذكور منهم الاناث بحكم الضرورة اذ لم يكن الزواج على غير هذه الكيفية ممكناً . واقتدى بذلك سائر الآباء بين آدم وموسى . فابراهيم تزوج أخته من أبيه ، وأخوه ناحور تزوج أخت أخيه حارام أو هي ابنة أخته . ويعقوب تزوج امرأتين أختين في وقت معاً . ولم يكن ذلك مقصوراً على آباء اليهود ولكن الامم القديمة كانت تجيز الزواج بالاقارب الاقربين أيضاً . فالاثينيون كانوا يجيزون الاقتران بالاخوات من الأب ، والسبارطيون أجازوه بالاخوات من الام . والآشوريون والمصريون القدماء كانوا يجيزون الاقتران بين الاخوة والاخوات من الاب والام. وهكذا يقال في كثير من الامم الاخرى قبل دخول الشرائع الالهية فيما بينهم . وأول شريعة وضعت للزواج حدوداً الشريعة الموسوية ثم الشريعة المسيحية ثم الاسلامية حتى بلغت ما هي عليه الآن فترون مما تقدم أن الاقتران بالاخوة والاقارب الاقربين لا يوجب الاستغراب بل هو طبيعي ضروري كما رأيت ، ولكن منعه حادث بحدوث الشرائع ولا يمكن الحكم في الزمن الذي أبطلت فيه تلك العوائد فان لكل أمة تاريخاً خاصاً من هذا القبيل . فاليهود مثلا أبطلوه عند نزول شريعتهم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وأما المصريون فانهم ما زالوا عليه حتى اعتنقوا الديانة المسيحية ، فان الملكة كليوبترا التي تولت سلطان مصر في القرن الاخير قبل الميلاد تزوجت أخاها. وهكذا يقال في سائر الامم القديمة . على أن الزواج بالاخوات والاقارب الاقربين جار الآن بين كثير من القبائل المتوحشة في أواسط افريقيا واميركا واوستراليا وجزائر المحيط جرياً على الطبيعة اذ لم يتعلموا شريعة تحظر عليهم ذلك

طعام الامم القديمة

كان المصريون يأكلون السمك نيئاً مجففاً بالشمس أو منقوعاً فى الماء الملح ، ويتعـاطون كثيرا من اللحوم نيئة كالسلوى والبط وبعض أنواع الطيور بعد تمليحها،وبعضهم كانوا يأكلون السمك مجففاً بحرارة الشمس فقط

وكانوا يتناولون طعامهم على أنغام الموسيقى ويجعلون على موائدهم تماثيل صغيرة تمثل أجساماً محنطة كأنهم يريدون بذلك كبح جماح الشهوات بتذكير أصحاب المائدة ان نعيم الدنيا زائل . وقد يطوفون بتمثال جثة محنطة حول المنزل يغنون الاغانى ويقولون كل واشرب وتمتع بملاذ الدنيا قبل أن يدركك الموت

والبابليون ومن قطن بين النهرين كانوا كالمصريين فى الاكثار من أكل الاسماك . ولكنهم كانوا يزيدون على المصريين انهم يجففون السمك جيـداً ويدقونه بالهاون ثم ينخلونه بقماش ناعم ويصنعونه أقراصاً ويخبزونه كالخبز ويتناولونه

والفرس كانوا يأكلون قليلا من اللحم ويتناولون الأثمـار كميات قليلة على دفعات متعددة وكان من أمثالهم : « إن الاغريق يأكل ليسد جوعه لانه لو قدم له ما طاب أكله بعد الطعام وقد انقطع عن الاكل لا كله » وكانوا يكثرون من شرب الخمر

وكان اليونان فى أكثر أزمانهم يقتاتون على ثمر الارض ويشربون الماء القراح ، ولم يعتـادوا تناول اللحوم الا فى أوائل تمدنهم ثم أخذوا يتوسعون فى الترف والتأنق بتوسع سلطانهم وانتشار نفوذهم . على أن كثيرين من فقرائهم كانوا يقتاتون على الجنادب والفراش وأطراف أوراق الشجر . أما أغنياؤهم فكانوا منغمسين فى الترف مكثرين من تناول اللحوم

وهكذا كان الرومانيون فى أول أيامهم ، كانوا يقتاتون على ألبان الماشية والبقول ونوع من الحلوى يصنعونه من الدقيق والماء فلما قامت دولتهم واتسعت سطوتهم تأنقوا فى المـآكل والمشارب وأكثروا من أكل اللحوم وأنواع المطبوخات والمعجونات ، وبالغوا فى أيام جمهوريتهم فى الاكثار من أكل الطيور،وكان بعض أغنيائهم وولاة أمورهم لايرضون بالمائدة الا اذا كان عليها شىء كثير من رءوس الببغاء وأدمغة بعض الطيور الصغيرة النادرة الوجود

وكان العرب فى جاهليتهم على جانب من شظف العيش لقحولة بلادهم . وقد ذكر ابن خلدون أنهم كانوا يأكلون العقارب والخنافس ويفاخرون بأكل العلهز وهو وبر الابل يموهونه بالحجارة ويطبخونه فى الدم . أما طعامهم الاعتيادى بالاجمال فهو اللبن والتمر وبعض أنواع الحبوب ، وكثيراً ما كانوا يطبخون دقيق الحنطة أو الذرة باللبن أو اللحم أو ما شاكل فيصطنعون من ذلك أنواعاً من الاطعمة تعـد عندهم بالعشرات . وأنواع الحلوى تصنع عادة من الدقيق والعسل أو السمن والعسل أو الحليب والسمن والعسل اوما شاكل ذلك

قصة رأس العام

الشمعة تحترق

بقلم الآنسة مي

وضعتْ الأُخت يولندا فنجان اللبن الحليب على الطاولة الصغيرة القائمة الى جانب السرير من ناحية الرأس ، وحَنَتْ على الرجل النائم تقول بصوتٍ خافت :

— صباح الخير ، يا قبطان

فتح الرجلُ عينيه بشيء من الدهشة لأنَّهُ لم يشعرْ بدخول أحدٍ عليه . وتململ يحاول الجلوس وهو يبتسم قائلاً :

— صباح الخير ، يا أختاه

— أما زلت نائماً ونحن في الساعة العاشرة ؟

حرّك يدهُ اليسرى مشيراً إلى الصحيفة التي كان يطالعها :

— لستُ نائماً . وإنما تعبت من القراءة ومن ضوضاء التلغرافات والأخبار المنشورة في الجريدة ، فأغمضتُ عينيّ طلباً للراحة

ثم استدرك بصوتٍ كصوت الأطفال إذ يحملهم الاستياء على العصيان :

— أو بالحري ما زلتُ نائماً لأن ملكي الحارس لم يوقظني في هذا الصباح أيضاً . كان لي ملك حارس يعنى بي فأهملني الآن ونسيني ، ويقظتي ورقادي عنده سيان

— ملكنا الحارس لا يفارقنا ، يا قبطان . هو دائماً معنا . ولكن علينا نحن أن نبحث عنه بعين الروح لنراه

— أنا ، يا أختاه ، لا أرى إلاَّ بعين الجسد

— ليست هي عين الجسد التي نعاين بها وجه الله ، يا قبطان

— أما أنا فحسبي من عين الجسد أنها تبصر بعض ملائكة الله على الأرض ، يا أختاه

أسبلت الراهبة جفنيها على عينيها الدعجاوين ، وكانت أهدابها من الطول والكثافة

بحيث ألقت ظلاً على أعالي خديها . وقالت بصوتها الرءوف :

— أتيتكَ بالحليب الذي اعتدتَ شربه كلَّ صباح في مثل هذه الساعة . فهلاَّ شربت؟

— أجل . أشرب

قال هذا ومدَّ يده اليسرى تعاون يدَها على حمل الفنجان في توازن . غير أنه لم يشرب . بل ظلَّ ينظر إلى وجهها صامتاً يتذوّق في سرّه على مهل ما يحسه من السرور . ثم سأل :

— علامَ لم تأتي لايقاظي من النوم في هذا الصباح ، ولا أمس ، ولا أمس الأول ، ولا الأمس الذي سبقه ؟ علامَ جاءتني راهبة غيرك ، وحملت لى اخرى طعام الافطار ؟

أجابت تشرح في بساطة ومن غير ما تودُّد :

— لا أزور في الساعة المبكرة إلا المرضى . والمرضى عندنا كثير في هذه الأيام . والاطباء صارمون في أوامرهم ، فلا بدَّ لى من تنفيذها شخصياً ، أو الرقابة الدقيقة على تنفيذها لأتمكن من تقديم تقريرى عن حالة المرضى جميعاً عند وصول الاطباء فى الصباح . اما وأنت فى دور النقاهة من الحمى التي اصابتك على أثر الجرح فأىُّ احدٍ يستطيع أن يقوم لديك بالخدمة البسيطة

— إذاً ليت جرحي لم يندمل !

ولمس مكان الجرح من ذراعه اليمنى وقال :

— أأفتحه لتعاودني الحمّى فأستحق العناية من جديد ؟

ابتسمتْ بتلك التحفُّظ الذى هو دستور حياة الراهبات وقالت :

— الحمد لله على سلامتك . ثم لدي فى هذا الاسبوع مشاغل اخرى - وبخاصة اليوم - فنحن نقوم بتنسيق الكنيسة وبالباسها حلل الزينة لتكون جميلة يوم غد عيد رأس السنة . وسيغادر المستشفى اليوم اكثر الناقهين فينصرفون الى منازلهم ليقضوا الأعياد بين ذويهم . أما العمل في الكنيسة فيظل متتابعاً حتى اليوم السادس من يناير . وهو يوم عيد الغطاس . فهذا الاسبوع موسم الاعياد كما تعلم

— انا ابقى هنا الموسم كلّه لأن عائلتي بعيدة ولا اصدقاء لى في القاهرة . اتقبلونني ، يا اختاه؟

— حسناً تصنع بالبقاء هنا اياماً اخرى ، يا قبطان ، لان المعيشة في المستشفى اتم تنظيماً وتوقيتاً ووقايةً منها في الخارج حيث قد تعرِّض صحتك للانتكاس . وانت بعد لن تشعر

بالضجر. لاننا نعدُّ لمرضانا حفلات صغيرة لطيفة يلهون فيها ويسرُّون بغير ما غلوّ ولا إرهاق.
اوَلا تشرب الحليب ؟

— اشربهُ، اشربهُ

وإذ همَّ بتعديل جلوسهِ لم يتمالك من التأوُّه وإرسال صيحةٍ مفاجئة فأقصت الفنجان عنه قليلاً وسألت :

— اي شيء ؟ أتتألم ؟

— ألماً لا يذكر، كلّما حركت ذراعي اليمنى بدون انتباه، ساعة انسى انها جريح، فلا احملها على الاستعداد للحركة بشيء من المداورة

— هذا يزول مع الوقت . وهل نمت نوماً حسناً ؟

— حسناً جداً . انام كالطفل، واستيقظ كالطفل، وكالطفل اعيش نهاري انظر الى الحياة بعينين جديدتين . حسنٌ ان يمرض الجنديُّ احياناً ليشعر بعطف الناس عليه، بدلاً من ان يروا فيه دواماً القسوة والجفاء والتأهُّب للمهاجمة والإيلام فيقابلوه بالمثل . أليس كذلك ؟

— لكلٍ منا واجبه يؤديه في امانة تحت رقابة العناية الالهية، أية كانت النتيجة . أوَلا تشرب يا قبطان ؟ وبعدئذٍ تذهب الى الحديقة لرياضتك الصباحية فيتيسر للخدم ان ينظفوا غرفتك ويصلحوا سريرك . انظر الى هذا النهار ما أجمله ! الن تجد في غير مصر شمساً كهذه مشرقة فى مثل هذا الفصل . لكأننا فى قلب الربيع ! اشرب واسرع في النهوض

استوى جالساً في سريره ومدَّ يدهُ اليمنى يعاون يدها على إدناء الفنجان من شفتيه. وكانت يدُها تتحركُ في بطءٍ رفقاً بيده المريضة . وعند ما لمس الفنجان شفتيه لم يشرب هذه المرة ايضاً . ظلَّ ناظراً الى وجهها المنحني عليه . ظل متأمّلاً في جفنيها المسبلين على حدقتين تخفيان أسرارها . ظل ينظر صامتاً ويتأمل صامتاً . ثم زحزح يدهُ وأدار بها في تريُّث على معصم الراهبة، وأصبعاً بعد أصبع لمست اصابعه يدَها كأنَّما هو يجرِّب عليها قوَّتهُ . ولما شعر بأن القوة لا تنقصهُ ضغط بحرارةٍ على اليد التي لم تتحرَّك خوفاً من دلق الحليب ورفقاً بيده المريضة

رعشةٌ طفيفة دبَّت في اهدابها المسبلة . ولكن وجهها ظل ساكناً مطمئنَّ الملامح كأن شيئاً لم يحدث . وبصوتٍ هادىء على عادته قالت :

— اشرب، يا سيدي

— ما اعذب العذوبة في وجهك ، يا اختاه ! أأنت اكتسبتها بممارسة الصبر في حياتك الرهبانية ، حياة الحرمان والزهد والتقشف والانخطاف الروحي ؟ ام هي نجمت عن تجلدك في حضور العمليات الجراحية وتعودك العطف على المرضى ومواساتهم ومخاطبتهم رجالاً ونساء كباراً وصغاراً بمثل ما يخاطب به الرضيع المحتاج إلى العناية والمحبة ؟ ام هذه العذوبة منحة من الله لك ؟

— ليس لدى الانسان شيء إلا وهو من منح الله ، يا قبطان . اشرب وسارع الى حيث تبهجك اشعة الشمس . سأسأل الأطباء ان يوافوك إلى هناك . لقد باشروا التطواف اليومي بالمرضى في الساعة العاشرة ، ولا يطول حتى يجيء دورك فيوافوك الى الحديقة

***

خرجت بخطوات لا وقع لها كأنما هي تحتذي خفًا من القطن . وما سارت في البهو قليلاً حتى ابصرت الجندي « مراسلة » الضابط يقبل عليها متجهاً إلى الغرفة التي غادرتها

— صباح الخير ، يا اختاه . هل لي ان ادخل على قبطاني ؟

— ماذا انت حامل بيدك ؟ إن القبطان على احسن حال . بيد أن تشديد الاطباء في وجوب احتفاظه بهدوء الاعصاب لم يتغير . وعلى ذلك خير ألا تقدم له هذه الرسائل التي قد تحمل اخباراً مزعجة

— خطابان لا غير ، يا اختاه . اما هذا [وعرض ظرفاً كبيراً اصفر] فمخاطبة رسمية من مركز القيادة . والمخاطبات الرسمية التي توجه إلى ضابط جريح عليل لا تكون عادةً مزعجة . هذا ان لم يكن فيها ما يبهج . واما هذا الخطاب [وعرض ظرفاً ازرق طبع عليه اسم فندق بالاسكندرية] فواردٌ اليه ممن يُسر بتلقي اخبارهم . [قال هذا وحرك « المراسلة » جانباً من وجهه حركة ذات مغزى]

— اذهب اليه إذن قبل ان يغادر غرفته الى الحديقة

استأنفت طريقها متمهلة . وظهرت الكآبة على وجهها اذ هي ترنو الى اليد التي لمستها يده منذ حين مناجية نفسها : لماذا لمسني بهذه الكيفية ؟ ليس هو اللمس الذي الفته من المرضى عند ما يتوجعون و يشكون طالبين تخفيف الوجع ، متوقعين كلمات الرجاء . ولا هو لمسني من قبل هكذا . لمسه اليوم كان فيه أمر وكان فيه ابتهال أيضاً . أهذا لمس الرجل الذي تحذرنا من شره أمنا الكنيسة المقدسة الرومانية الرسولية الكاثوليكية ؟ أكذلك يلمسُ الرجالُ النساء

في حياة المجتمع ؟ يا إلهي اغفرْ لي لأني لم أُبد استياءً ولم أشعر باستياء ! أعف عن الغبطة الرحيبة التي غمرت قلبي ! انها لغبطةٌ أثيمة . . . يالهُ من شاب فتان ! يالنظره الطويل العميق ولشفتيه المليئتين حينما تسارعان الى الشرب كأنهما تغرقان في اللبن كلماتٍ تحومُ عليهما ! شيء منه يلتصق بيدي . يدهُ القتْ في يدي شرارةً . يا يسوع الطفل ، طهِّر يدي من الوصمة العالقة بها واقصِ عني هذه التجربة ! . . .

***

مرَّت الساعة الحادية عشرة والاخت يولندا رئيسة الممرضات تقوم بعديد واجباتها من محادثة الاطباء وتلقي اوامرهم ، الى زيارة المرضى والاستماع الى شكاياتهم ، الى تقديم الدواء لبعضهم ، الى رقابة الخدم في تنظيف الغرف المتغيب أصحابها في الحديقة او على الشرفات . وعند ما وصلت الى غرفة القبطان وجدت الخدم فيها فأمرت بتبديل ملاآت السرير واخذت تنزعها بيدها عن الفراش . عندئذ عثرت على الرسالتين تحت الوسادة . فأدركت ان القبطان فضها وقرأها قبل الخروج فتركهما تحت الوسادة مفتوحتين . حملتهما لتلقي بهما على الطاولة دون تعمُّد قراءتها . ولكن نظرها استقر عليهما عرضاً . وإذ تلت الكلمات الاولى في الرسالة الزرقاء نسيت أنها راهبة وأنها امرأة مهذبة لا يجوز لها الاطلاع على الرسائل الشخصية ولو وجدتها مفتوحة . وجرى نظرها على السطور يلتهمها فقرأت ما يلي :

« عزيزي موريس

« كنت دواماً تقول عن خطيبتك هذه انها صاحبة سياسة بارعة . وأنا الآن اوافقك على رأيك فيّ وأصارحك بأني أستحقهُ . ذلك لأني أفلحت في اقناع اميلي ابنة خالتي بزيارة مصر خلال عطلة الموسم مع زوجها بدلاً من الذهاب الى « الريفيرا » على عادتها . ولا يهمني من امر عطلتها إلاَّ التمكن من مرافقتها في السفر لاصل إليك فأراك ولو يوماً واحداً قبل عودتك الى المعسكر

« أتستطيع أن تتخيل مبلغ قلقي وعذابي كل هذه المدة منذ أن علمتُ أنك جريح عليل ؟ أحدِّثك الآن عما قاسيت لاني اعلم انك شفيت . أعلم ذلك بفضل قنصلنا في القاهرة الذي تلقينا منه قبل سفرنا ما ينبيء بقرب خروجك من المستشفى

« وصلنا الاسكندرية في هذا الصباح بالباخرة « ماريت باشا » ، وغداً عند ما تتلقى أنت

هذه الرسالة نكون نحن على أهبة السفر بقطار الظهر الى القاهرة . فنصلها حوالى الساعة الرابعة ، على ما يقولون لنا ، ونذهب تواً الى القنصلاتو لنسأل عن مكان إقامتك . فليتنا نلتقي بك بدار القنصلاتو في تلك الساعة لتتم سعادتنا !

« ولكن حسبي سعادةً أني سأراك غداً في صحة تامةً ، فأقضى معك آخر يوم من السنة الراحلة وأول يوم من السنة الجديدة ! حسبي سعادة أن سيتيسر لي أن أخدمك وأدللك وأجعلك تشعر بشيء من حبي لك !

« ألمس عن بعدٍ ذراعك الجريح في شوقٍ ولهفة ، وإلى غد !

ميمي »

. . . .

الكنيسة هادئة في أواخر الليل ، ونور المصابيح ناعس كعينين أضناهما السهر . وعلى الهيكل شمعة تذوب ولم يبق منها إلا القليل . شمعة وضعتها الراهبة الممرّضة على نية الضابط الذى مضى يجتمع بخطيبته ، فاشترك لهيبُ الشمعة مع الراهبة في الابتهال الى الله أن يشمل القبطان وخطيبته بعنايته ، وأن يجعل حياتهما هنيئةً سعيدة .

لم تشأ الراهبة أن تلبي طلب القبطان الذى ألحّ في استدعائها ليشاهدها ويودعها ويشكرها قبل مغادرة المستشفى . كيف تودّعه وتسمع منه كلمات الشكر ؟ بل كيف تجرؤ على مجرّد النظر اليه ؟ لا ! هى تشتغل في الدير حيث هو لا يستطيع الوصول اليها . . .

وها هى ذي قد قضت الليل كلَّه في الكنيسة جاثيةً على ركبتيها تخفي وجهها باليد التي حرقها لمسهُ ، وتصلّي قائلة : لقد وهبتكَ حياتى دفعةً واحدةً ، يا إلهي ، فيدى لك وليست لمخلوق . وأقلعتُ عن سبل العالم لأسير في سبيلك . وتركت ملذات الدنيا وأفراحها لاطلب الآلام والاوجاع التي تدنيني من طهرك . قدّمت حياتى شمعة تحترق عند قدميك احتراق هذه الشمعة الصغيرة على الهيكل . فما هذه العاصفة التي عصفت بي ؟ أفتغتفر لى ضعفى ، ايها الإله الرحيم ؟ أتصفح عني لأني وجدتُ فى لمس الرجل الاثيم حلاوةً لم أجد مثلها ، يا يسوع الطفل ، في حبك وعبادتك ؟

« مَيّ »

في ثلاثة كتب

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الاعاصير * تأليف الاستاذ رشيد سليم الخوري

مجموعة من القصائد الوطنية الحماسية نظمها الشاعر الفاضل رشيد سليم الخورى أو « الشاعر القروى » كما يعرفه قراء قصائده الكثيرة التى تذيل بهـــذا التوقيع ، وهو من أدباء السوريين المعدودين فى أقطار الهجرة الامريكية

وقد وقف هذه المجموعة على المعانى الوطنية وقال فى مقدمتها : « لم أخصها بالنشر على مافيها من شدة وعرام – قبل مختلف المواضيع التى يشتمل عليها ديوانى – إلا لاعتقادى اننا الى مايبعث فينا الاثرة ويقوى العصبية أحوج منا الى مايزيدنا حباً للانسانية وإصلاحا للبشرية »

ثم قال : « انى لم اسم هذه المجموعة « بالاعاصير » إلا لما كان يعصف بين جوانحى عند نظمها من العواطف الزاخرة بالحماسة والغضب والالم والتنهدات والدموع . ولعمرى ماحاق بالبلاد العربية عامة من البلاء فى العقدين الأخيرين ، وما توالى على وطنى لبنان خاصة من ضربات الحرب والوباء والجوع والهوان مما لم يعهد له فى تاريخ هذه الأمة نظير – لخليق بان يخلق لها شاعراً بل شعراء تشكو بهم ضيمها وتنضح عن حقها فينفسون بصيحاتهم كروبها ويخففون آلامها ويبعثون آمالها ويستنهضون هممها ويشددون عزمتها »

وهذه النزعة العاصفة التى يحسها القارىء من هذه الكلمات تسرى فى كل قصيدة من القصائد وكل بيت من الابيات ، فتغلب فيها النخوة الوطنية على كل شعور وترتفع على أوهام العصبيات البائدة والاحقاد الدينية المغرضة والعداوات العنصرية التى تذل جميع العناصر وتسلم زمام الرابح والخاسر منها لعدوهم اجمعين . ولا سبيل الى الاختيار بين قصيدة وقصيدة فى هذا المعنى ، فكلها على نمط واحد فى الشدة والعرام ، يقبلها من ينحون نحو الشاعر فى الوطنية الصارمة ولا يأخذ عليها المخالفون إلا الغلو الذى يؤخذ على كل حماسة ، ولا سيما حماسة المغبون المهضوم

أما القصائد من حيث هى شعر ومطلب فنى فانت لاتخطىء فى واحدة منها تلك النار التى تبعث العواطف وتحييها ، وفيها أبيات بارعة قوية فى الوصف والتخييل كقوله فى قصيدة « مآسد لا مراعى » :

فدون حماك أبطال العوالى مؤزرة بابطال اليراع
رماح كالافاعى مشرعات واقلام كأنياب الافاعى
اطلى واشهدى منهم هجوما ترى وثب القلاع على القلاع

وقوله فى قصيدة « عيد الاستقلال » يخاطب الوطن :

حسب الحزن عليك انك مائت قد عيدت احبابه لماته
شقوا له الاعلام من أكفانه وتبادلوا الانخاب من عبراته
أعلام اذلال كأن خفوقها فى جوه لطم على وجناته
ملفوحة بتحسرات سراته خفاقة بتنهدات هداته
مادت رواسيه لثقل ظلالها وعلا دخان الغيظ من قناته

ويتفاوت حظ الابيات من الصياغة وبلاغة الأداء فيتفق له فى القصيدة الواحدة أن يجمع بين نقيضين فى العلو والهبوط

فبينما يقول هذه الابيات السلسة المنغومة الماضية فى قصيدة « لبنان وثورة حوران » :

وكيف الوم فى وطنى الزمانا ومنا ذله لا من سوانا
ألسنا قد اهناه فهانا وقلنا كن فرنسياً فكانا
إذن فليهنا نيل المراد

اذا به يقول فى تلك القصيدة عينها :

بلى ! انى سمعت بكل ماحل بقطر بعد سالف عزه ذل
فلم اشتم ولم اشمت به بل ورمت لاهله الموت المعجل
بحد السيف من أيدى الاعادى

وعلى هذا المثال يتردد التفاوت فى قصائد أخرى

وينبغى ألا يفهم من وقف المجموعة كلها على الدعوة الوطنية أن الموضوع فيها مكرر غير منوع . فانها قد جمعت اغراضاً شتى « كتحية الاندلس » و « عيد الاضحى » و « وعد بلفور » و « هذيان شاعر » و « سلطان باشا الاطرش والتنك » وغير هذه الاغراض ، والقصيدة الأخيرة منظومة فى موضوع قليل النظير بين مأثورات البطولة فى جميع الامم . فالشاعر يصف بها كما قال « زحف سلطان باشا الاطرش برجاله على السويداء لانقاذ الأسير الذى قبضت عليه السلطة الافرنسية فى بيت سلطان . . . والتقاء البطل العربى بالتنك - الدبابة - وهجومه عليها تحت وابل من الرصاص وتعطيلها بعد هبر قبطانها ومعاونه »

وهذا موضوع جدير بالملاحم الهورية وما اليها ، فحبذا لو خصه الشاعر بقصيدة مطولة يوفى بها حق هذا الحادث من جوانبه النفسية والشعرية والوطنية ، فان البطولة حقيقة بالتخليد والتمجيد فى كل عصر ، ولا سيما العصر الذى ينعاها فيه النعاة مخطئين أو مصيبين

الفلسفة فى كل العصور * تأليف الاستاذ حنا خباز

عندما يكتب الشرقى تاريخا للفلسفة - ولاسيما الفلسفة فى كل العصور - ينبغى أن يصرف النظر

عن دعوى الغربيين احتكار الفلسفة والشوق الى المعرفة وزعمهم أن اليونان الاقدمين هم أول من بحث فى أصول الاشياء حباً للعلم وإيثاراً للاطلاع دون الانتفاع. فهذه الدعوى تناقض الحقيقة وتناقض الفلسفة نفسها، إذ المشاهد أن حب الاستطلاع متأصل فى الطبيعة البشرية من عهد الطفولة على اختلاف الاجناس والاجيال. وانما ظهرت حرية التفكير فى اليونان لانهم أمة بغير دولة وبغير كهانة قوية، فالبحث فى أصول الاشياء عندهم مباح لمن يشاء وليس بالمحصور فى كهان الهياكل الذين يتوارثون العقائد ويتقيدون بالمراسيم ويحظرون البحث فى هذه الشئون على الناس كافة. أما فى مصر وبين النهرين والهند حيث تجرى الانهار ويتسع المجال لتأسيس الدول الموطدة وقيام الكهانات القوية، فليس من السهل أن يترك البحث فى حقائق الوجود وأصول الاشياء حراً مفتوحاً لمن يشاء، ومن هنا نشأ الفرق فى التفكير بين اليونان والشعوب الشرقية العريقة، ولم ينشأ كما زعموا من تفاوت فى الطبيعة ورجحان لعقول الغربيين على عقول الشرقيين

والى جانب هذه الحقيقة ينبغى أن يلاحظ الشرقى حقائق أخرى فى تحرى الاصول الفلسفية والرجوع بها الى مناشئها الأولى. فمن ذاك أن فلاسفة اليونان الاسيويين سبقوا فلاسفة البلاد التى تعرف الآن باسم بلاد اليونان. ومن ذاك أن بعض الاساتذة الذين أسسوا المدارس الفلسفية اليونانية كانوا شرقيين فى الجنس والمولد

ومن ذاك أن اليونان اقتبسوا آراءهم الاولى وعقائدهم فى أصول الاشياء من المصادر الشرقية كما يظهر من أسماء الارباب والكواكب وخصائص الايام والعهود

ويدل على أن الشرقيين لم يصبغوا آراءهم الفلسفية بالصبغة الدينية عجزاً عن التفكير الصحيح ـ أنهم طلبوا العلم حباً للعلم حين نشأت بينهم دول لا تقيدها الكهانة والهياكل كما حدث فى عهد العباسيين وعصر الامويين بالاندلس. ويدل كذلك على أن الغربيين لم يجردوا تفكيرهم من الصبغة الدينية لعلوهم فى الفكر ورجحانهم فى طبيعة المنطق ـ أنهم فقدوا هذا التجريد حين نشأت فيهم الكهانة القوية واستأثر رجال الدين بالمعرفة والدراسة

فهذه الحقائق ينبغى أن يذكرها الكاتب الشرقى حين يؤرخ الفلسفة لانها تصحيح للتفكير الفلسفى من جهة، ثم هى من جهة أخرى تدفع عنا وصمة وتبرئنا من مذمة

ولهذا كنا نود ان نرى لها مكاناً فى هذا الكتاب الذى الفه الاستاذ حنا خباز عن الفلسفة فى كل العصور، ولا نزال نود ان نرى لها هذا المكان فى أجزاء تالية أو فى طبعة أخرى من الكتاب

أما عذر المؤلف فى تاريخ الفلسفة على هذا النحو فهو أنه اعتمد على المراجع الاوربية فى تلخيصه، وقصر اعتماده عليها حتى فيما كتبه عن المشارقة وفيما ترجمه من المصطلحات، وهو عذر يشفع لحسن النية ولا يشفع للتحقيق والاستقصاء

ويقول المؤلف فى تمهيده: واعتمدت فى تأليف هذا الكتاب بضعة عشر كتاباً لمؤلفين معروفين

وقد وضعت اسم المؤلف فى أول ما أخذته من تأليفه ، ولا يعنى ذلك انى نقلت من كتابه حرفياً ، لانى فى بعض المواضع التزمت التلخيص ، وفى بعضها الجمع بين جمل متقطعة من صفحات عديدة ، على ان كل ما فى الكتاب - تقريباً - هو مقتبس من تلك الكتب ، وبعد ما انهيت جمع المواد التزمت فى ترتيبها فهرس جوهان ادوارد اردمن الالمانى المعروف ولم أخالفه إلا جزئيا »

ولزيادة الايضاح نقول ان الاستاذ المؤلف جرى فى تأليفه على طريقة حسنة لمن يطلبون المراجع ويرغبون فى الالمام بمواضع التفصيل ، فيبدأ مثلا « بماهية الفلسفة ووظائفها » فينقل عن الثقات نحو عشرين تعريفاً موجزا فى هذا الموضوع ، أو ينظر نظرة عامة فى الفلسفة اليونانية فينقل فى هذا الصدد أقوال دربر وثلى وروجرس واردمن وجانيه وسيال ، على النمط الذى أجمله فى التمهيد المتقدم ، وهكذا يتدرج فى العصور على حسب الفهرس الذى اتبعه اردمان كما قال ، فيخرج منه القارىء بخلاصة طيبة واجمال صالح ، ويعرف المبتدىء المستقصى اين يلتمس المزيد اذا احتاج اليه . على أننا نلاحظ هنا ملاحظة لا بد منها لانها تمس اللباب وان كانت لا تتناول غير العنوان ، فاردمان الذى اعتمد الاستاذ على فهرسه قد وضع كتاباً تقع ترجمته الانجليزية فى نحو ألفى صفحة كبيرة فسماه « تخطيطا للفلسفة » وسماه مترجموه « تاريخا للفلسفة » ولم يرد هو ولا مترجموه أن يقولوا إنه تاريخ الفلسفة الجامع أو انه « الفلسفة فى كل العصور »

وهذه دقة فى التسمية تناسب المباحث الفلسفية ، لانها تدل القارىء على حدود الموضوع وتدفع الاعتراض على طريقة المؤلف واسلوبه . اذ أن الاعتراض كائنا ما كان لا ينفى ان يسمى الكتاب تخطيطاً يبنى الآخرون على اساسه اولا ينفى أنه يسمى تاريخا للفلسفة بطريقة اردمان . ومن ثم نقترح على الاستاذ المؤلف أن يلحظ هذا المعنى فى تسمية كتابه . لان القول القائل ان الكتاب يعرف من عنوانه كثيرا ما يصيب

ابن خلدون * تأليف الاستاذ محمد عبد الله عنان

قل بين المؤرخين الكبار من تعد حياته هو نفسه تاريخاً يدرس ويولى دارسه المتعة والعبرة ، ومن هؤلاء المؤرخين القليلين ابن خلدون الذى يصح ان يقال فيه انه تاريخ مجسم قضى حياته كلها يصوغ التاريخ ويصاغ على يديه ، لانه فضلا عن كونه إمام الفلسفة التاريخية غير مدافع قد عاش واشترك احياناً فى مصارع الدول بين الاندلس والمغرب ومصر والشرق القريب والشرق البعيد . فلو كتبت سيرته مفصلة محللة لكانت هى بعينها سيرة خمسين أو ستين دولة حدث فى قيامها وسقوطها من المساعى والدسائس واختلاف الاساليب والدعايات ما يكفى للاحاطة باسرار الدول فى الزمن كله . وكأنما خلق ابن خلدون مرشحاً للاستفادة من هذه العبر المتعاقبة بوراثته وخلائقه الفطرية فى وقت واحد ، فهو سليل بيت من بيوت الرآسة القديمة ، فمن هنا كان مدفوعاً

إلى المغامرة في السياسة والتطلع الى المناصب والمشاركة في مصائر الدول التي تقبل وتدبر من حوله، وهو رجل نشأ في حجر الرآسة المفقودة دون الرآسة الموجودة، فمن هنا كان اقرب الى رجال الدرس والتحصيل منه الى رجال العمل والتنفيذ، فله من حظوظ الدولة حظ المساعد المفكر، وليس له منها حظ المقتحم المدبر، وبهذا وذاك رشحته الايام لامامة الفلسفة التاريخية ولم تستغرقه في حوادث السياسة العملية

ويندر ان ترى في تكوين نفسه صفة ظاهرة إلا امكنك ان تردها الى شيء له علاقة بالتاريخ والسياسة، فهو مداور قليل الوفاء مشغوف بالمنصب. وهكذا كان المؤرخون الذين عاشوا في زمان مثل زمانه ونشأوا في بيئة مثل بيئته، فمن درس ترجمة يوسفيوس الاسرائيلي وميكيافلي الايطالي لم ير كبير فرق بينهما وبين ابن خلدون في هذه الخلال خاصة. وسبب ذلك انهم يطلعون على خفايا الدول في زمن لاحق فيه لمنازع على منازع إلا بالطمع والغيلة واغتنام الفرصة، فلا يتقيدون بالوفاء ولا يؤمنون بمكارم الاخلاق، بل لايرون لانسان قيمة ما لم يكن على صلة بالمناصب ومظاهر الرآسة، ولا يرون له سلامة في غير الحيطة والروغان والمسارعة الى الاقبال مع المقبلين والاعراض عن المدبرين. وقد تكون لهم من وراء ذلك نفوس طيبة وخلائق مرضية كما ظهر من اخلاص يوسفيوس في خدمة قومه واخلاص ابن خلدون في قضائه واخلاص ميكيافلي في نصحه. ولكنهم لايبلغون من القوة ان يصمدوا لمساوىء العصر ولا يبلغون من الجهل ان يغفلوا عن حكمة العصر واسباب النجاح فيه، فهم يأخذون بأيسر الامرين ويمشون في اسهل الطريقين

وقد أحسن الاستاذ محمد عبد الله عنان في تأليفه الكتاب الذي عرض فيه لحياة ابن خلدون وتراثه الفكري، لان خلو اللغة العربية من كتاب في هذا الغرض لا يليق بنا بعد ما استفاض من بحث الاوربيين فيه. ويبدو لنا من اسماء المراجع الكثيرة التي ذكرها الاستاذ عنان انه احاط بمعرفة الاصول التي يستند اليها من يؤلف في هذا الباب. فظهرت آثار هذه الاحاطة في الفصل الرابع من الكتاب الثاني الذي افرده للكلام على « ابن خلدون والنقد الحديث »، وهو في الحقيقة اقوم الفصول. ومن مزايا كتاب الاستاذ عنان انه حسن التقسيم واضح الاسلوب على هفوات قليلة في اللغة لا تخل بمزية الموضوع، ولا شك انه يمهد بين يدي القارىء مادة حسنة لدراسة ذلك المؤرخ الكبير، ففيه فصل عن نشأة ابن خلدون واسرته وفصل عن ابن خلدون في افريقية والاندلس وفصل عن ابن خلدون في مصر وابن خلدون وتيمورلنك، وفصول شتى عن دراساته ودراسات سابقيه. وحبذا لو اضيف الى الكتاب فصل مطول عن « شخصيته » وعناصر تكوينها في معيشته وحوادث زمنه ووراثته عن اسلافه، فمثل هذا الفصل لا غنى عنه في سيرة ابن خلدون خاصة وفي سير جميع المترجمين

عباس محمود العقاد

هل اللغة العربية في حاجة إلى الإصلاح

تتردد على الالسنة في هذه الآونة مسألة الاصلاح اللغوى بمناسبة تأليف مجمع اللغة العربية الجديد ، وقد تضاربت الآراء وتباينت في نواحي الاصلاح وفي الحاجة اليه ، وفي الوجه الذي يجب ان يكون عليه . ولهذا رأينا ان نستفتي في هذا الموضوع كلا من : الدكتور طه حسين ، والدكتور منصور فهمي ، والاستاذ محمد كرد على ، والاستاذ الشيخ احمد ابراهيم وكيل كلية الحقوق ، والاستاذ على عبد الرازق ، فاجابنا حضراتهم بما يلى :

رأي الدكتور طه حسين

« ليست اللغة العربية وحدها فى حاجة إلى الاصلاح ، بل ان كل لغة حيـة فى حاجة دائماً الى الاصلاح . وهذا يختلف باختلاف النواحى التى ينظر اليها الانسان

« فاللغة فى حاجة الى الاصلاح من حيث استعمال الالفاظ فيما تدل عليه من المعانى، سواء أكان ذلك فى الحديث ، أم فى الانشاء نثراً أو شعراً

« وهذا النوع من الاصلاح يتصل بمرونة اللغة وقدرتها على أن تؤدى المعانى التى تجول بنفوس المتكلمين والمنشئين مهما دقت . وذلك لا يمكن أن يتعمد ، ولا أن يهيأ فى المكاتب ، ولا أن ينظم بقانون . وانما هو نتيجة لازمة لحياة الذين يصطنعون اللغة . فهم الذين يرقون ، فيرقون اللغـة ، ويمرنونها — إن صح هـذا التعبير — و يمكنونها من أن تصل الى أعماق النفوس ، وتصور تصويراً صحيحاً ما يثور فيها من أنواع الخواطر والشعور والآمال

« هذا الاصلاح اذن أثر طبيعى لرقى العقل فى أى شعب من الشعوب ، والذين يصطنعون اللغة من الادباء ، والعلماء ، والمفكرين والمتحدثين منزلتهم فى هـذه الناحية منزلة الشعوب فى الحياة السياسية ، فهم مصدر السلطة كما أن الشعوب هى مصدر السلطة السياسية ، وهم الذين يفرضون الالفاظ على العلماء فرضاً . ولا يمكن بحال من الاحوال ان يتلقوا اللغة من هيئة من الهيئات مهما تكن

« والآن تضطرنى الى ان أذكر ناحية أخرى من نواحى الاصلاح ، وهى الناحية التى تنشأ لها المجامع اللغوية وتنظم لها الهيئات العلمية وتبذل فيها جهود الافراد ، وهى ناحية التسجيل والتنظيم فمن الخير أن ترقى اللغة بفضل أصحابها ، ولكن من الواجب أن يسجل رقيها ، وتقيد نتائج هـذا الرقى ، وتستنبط منها الاصول والقواعد التى يخضع لها تطور اللغة . فالذين يضعون المعاجم على

اختلافها ليسوا الا مسجلين لما يوفق اليه أصحاب اللغة على تباين صناعاتهم من نجاح فى ترقيتها وتهذيبها

« ومن هنا يظهر لك أن الذين يظنون أن المجامع اللغوية تستطيع ان تضع للناس الفاظاً أو اصطلاحات يستعملونها فى أغراضهم المختلفة ، لايفهمون عمل هذه المجامع على وجهه

« انما عمل المجامع اللغوية هو ان تسجل تطور اللغة ورقيها فيما تضعه من المعاجم ، وفيما تؤلفه من كتب النحو . وقد تعمل المجامع للترقية الادبية فى اللغـة حين تقترح موضوعات على الكتاب والشعراء ليعالجوها

« وعلى هذا فالمجامع اللغوية ليست فى حقيقة الامر إلا هيئات تقوم من المتجبن فى اللغة والادب مقام السكرتير الذى يسجل ما يملى عليه

« وليس عملها هينا ولا نافلة ، بل هو عسير جداً ، واجب أشد الوجوب ، لانه هو الذى يضمن نقل أطوار اللغة إلى الاجيال المختلفة ويحول بينها وبين الضياع . ومن المحقق أن لغتنا العربية ترقى فى هذه الآونة رقياً قوياً مطرداً سريعاً ، وان هذا الرقى بحاجة شديدة الى أن يسجل فى المعاجم وكتب النحو التى تلائمه ملاءمة صحيحة ، بعد ان ظهر ظهوراً واضحاً جداً أن معاجم القدماء وما تركوا من كتب النحو بعيدة عن أن تلائم لغة المحدثين ومذاهبهم فى الكلام

« والواقع أن الادباء والعلماء ليسوا فى حاجة الى الفاظ يضعها المجمع وتضعها لهم أية هيئة أخرى ، فانهم هم الذين يستعملون الالفاظ ، فاذا ألفها الناس واستساغوها كان من وظيفة المجمع أن يسجلها . وكذلك قل فى أسلوب الكلام ، فقد نشأت عبارات جديدة لم تكن فى العهد القـديم . وهذه العبارات اما متأثرة بالثقافة الفرنسية أو الانجليزية أو غيرهما من اللغات الاجنبية . فاذا ألفها الناس واستساغوها كان من مهمة المجمع أن يسجل هـذه العبارات باعتبارها من المعجم اليومى أو المعجم الحديث الذى تتطور اليه اللغـة . فان لدينا معجما يومياً ، وهو الذى يتناول شئوننا الحاضرة ويسجلها ، ولدينا معجم تاريخى ، وهو المعجم الذى ينقل الينا اللغة على صورتها كما استعملها الناس فى العصور السالفة . ويختلف المعجم اليومي عن التاريخى بأن فيه الفاظاً لا يعرفها المتقدمون ، لانهـم لا عهد لهم بمدلولاتها كالمخترعات والمكتشفات ومصطلحات العلوم الحديثة . وأظن انى لست بحاجة الى أن اقول ليس فى وسع مجمع أو عـدة مجامع أن يفرضوا على المخترعين والمكتشفين ورجال هذه العلوم الجديدة الفاظاً من عندهم أو يضعوا لهم اصطلاحات خاصة لا تنطبق على الحقيقة ، وان هي تمشت على النحو القديم »

رأي الدكتور منصور فهمى

« جئت تسألنى الرأى فى أمر من الامور المتصلة بهذه الحسنة الكبرى من حسنات العصر

الفؤادى . وودت لو استأخرت حاجتك حتى يجتمع أعضاء هذا المجمع الملكى ويتبينوا الروح التى تسيطر على جماعتهم وتؤثر فيما يسوقونه للجمهور من ثمرات جهودهم . لكنكم معشر الصحافيين ترون أن تستعجلوا الانباء ، ومهما يكن الامر فى أن يكون الخير فيما وددت أو ان يكون على ماترى ، فانى أذكر لك الآن الرأى العاجل الذى لا يغلى بثقيل الاغلال ولا يقيد أحداً

« أرى أن اللغة العربية لا يعوزها سبب من الاسباب التى ترفع بها الى كمال اللغات ، فهى تقبل التصريف فى الالفاظ والنحت منها والاشتقاق ، وقد وجدت فيها عبارات تصور أدق المعانى . وهى ككل لغة من اللغات التى تتأثر برقى متكلميها تخضع لناموس التقدم العام ، فلا بد أن المعانى والمكتشفات الجديدة والتشبيهات التى تأتى بها سنن الرقى والتحضر قد تحتم على اللغة العربية الفاظاً وأساليب غير ما عرف منها وما الف فيها . على انى لا اقصد بذلك التيسير لكل دخيل من الالفاظ أو من الاساليب من غير قيد ولا شرط . انما الذى أقصد اليه قبول مالا يتسع له باب التعريب أو النحت وما يقبله ذوق الزمن من التشابيه والاوضاع والاساليب

« والمجمع لن يكون مثله — على ما أظن — مثل المسجل لكل لفظ يساق أو أسلوب يدس ، إنما لعل مثله سيكون مثل ذلك الفنان الذى يتأثر بجمال حوله فيصوره ويروض الناس على تذوق هذا الجمال . فالمجمع قد يسجل ما يحسب أنه أهل للتسجيل من الالفاظ أو الاساليب ويعمل على تقويته وشد أزره

« يذهب رينان الى أن مهمة المجامع العلمية « حراسة النهج القويم » والنهج القويم الذى يذكره رينان إنما هو فى الذوق السليم والفكر المستقيم واللفظ الكريم . وانى فى ذلك على رأى رينان، ويخيل إلى أن أول المجامع ذات المكانة التى أنشئت فى أواخر النصف الاول من القرن السابع عشر كان همها خدمة اللغة فى أساليبها والفاظها ثم تطورت المجامع بعد ذلك الى خدمات أخرى . ومن الطبيعى أن يكون المجمع الاول المصرى يعنى كأول المجامع باللغة وأساليبها ثم يصيبه ما أصابها من التطور على مرور الايام

« ولا شك أن المجمع قد يخلو من الكثيرين من أهل الفضل والعلم ، لكن المجامع لا تتسع لكل أهل الفضل وأهل العلم . فأعماله فى داخله وأعمال علماء اللغة والادباء الذين ليسوا من أعضائه — كل ذلك سيكون ذا أثر حميد يسجل لنهضة هذا العصر البارزة ان شاء الله »

رأى الاستاذ محمد كرد على

« كل من عانى التدريس فى العلوم المختلفة ولاسيما الطب والهندسة والميكانيكا والكيمياء والاقرباذين والاقتصاد والاجتماع والمالية والزراعة وغيرها ، يدرك كل الادراك أن اللغة العربية ينقصها كثير من الالفاظ والمصطلحات لا تعد بالمئات ، بل بعشرات الالوف

« واللغة اذا لم تكن لغة علم قبل كل شيء كانت لغــة أدب وشعر فقط . وهذا لا تنهض به لغة ولا ترتقي به أمة

« فاللغة اذن في حاجة الى وضع مصطلحات والفاظ كثيرة ، إما بالاخـذ مما خلفه العرب في مدوناتهم من المعاجم وغيرها أو بالنحت أو بالاقتباس على الصورة التي جرى عليها العرب القدماء يوم تمثلوا المدنية الرومية والفارسية . واللغة لا يضيرها أن تأخذ مصطلحات والفاظاً ومعاني لم يكن للعرب أيام حضارتهم عهد بمثلها . والفرق ظاهر بين القرن الرابع من الهجرة والقرن الرابع عشر

« فالعلم يسير بسير الايام والليالي . وإذا نظرنا الى العلم من عهد جليله وكوبرنكوس وليبنز ، حتى انشتين الآن ، نجده انقلب رأساً على عقب بحيث أن من نظر اليه في صورته الاولى ورآه في صورته الراهنة يتمثل له هذا القلب والابدال الذي لا يكاد يصدق . فكيف بالعلم في عهد العرب في القرن الرابع وفي عهدهم في هذا القرن ؟

« وهذا الاصلاح لا ينهض به في الحقيقة غير مجمع لغوي يؤلف من رجالات اللغة والادب والعلم على اختلاف أمصارهم . ومصر أحق البلاد بذلك ، لان ما تقرره مصر ــ ولو كان بمعزل عن الاقطار الاخرى ــ يكون له موقع من القبول ، فما بالك اذا اتفق فئات من مختلف الاقطار على اقرار اللفظ الواحد والمصطلح الواحد ، فانه عند ذلك يسير سير الكهرباء . ويدخل في التدريس والصحافة والادب وغيرها من نواحي النهضة »

رأي الاستاذ احمد ابراهيم وكيل كلية الحقوق

« للاجابة عن سؤالك يجب أن أرجع الى سنة ١٩١٧ حينما تألف المجمع اللغوي الذي دعا اليه وقتئذ الاستاذ احمد لطفي السيد بك . وعقد له عدة جلسات بدار الكتب

« فقد ضم هذا المجمع طائفة من العلماء والادباء أذكر منهم معالي حلمي عيسى باشا والمرحوم عاطف بركات باشا ، والمرحوم حفني بك ناصف ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمرحوم احمد باشا تيمور ، والاستاذ احمد السكندري

« وكان من رأينا جميعاً أن اللغة العربية في حاجة الى الاصلاح ، واتفقنا على وجوب توحيد الترجمة فلا يسمح بالاختلاف في الالفاظ التي تنقل من اللغات الاجنبية الى اللغات العربية كأن يقول واحد مثلا : اميركا ، والآخر يقول امريكا ، والثالث أمريقة الخ . ولـكن اختلفنا في وضع اسماء المخترعات والمبتكرات الحديثة ، فقال فريق ، منه الاستاذ الشيخ السكندري ، وحفني بك ناصف ، بوجوب وقف التعريب الى القرن الثاني الهجري ، فلا يسمح بدخول لفظة اجنبية في اللغة العربية ، بل يجب أن يبحث لمبتكرات العلوم والفنون عن الفاظ عربية صرفة إما باحياء الالفاظ المماتة أو بواسطة المجاز

«وقال فريقنا وفيه الاستاذ لطفى السيد بك والمرحوم عاطف بركات انه يجب أن تنقل ألفاظ المستحدثات العلمية والفنية وغيرها كما هى إلا اذا أمكن وضع الفاظ عربية بطريق الاشتقاق أو المجاز . لان العرب كانوا فى عهد جاهليتهم يسافرون الى بلاد الفرس والروم ، ويبادلونهم فى تجاراتهم ويأخذون عنهم الفاظاً لمسميات لاعهد لهم بها ولكنهم عرفوها بعد اختلاطهم بهم . وفى اللغة العربية والقرآن الكريم شواهد على ذلك . واللغة لاتخرج عن كونها اداة للتبادل . وحركة العمران قائمة على هذا التبادل

« وكان من رأى الفريق الاول أن نبحث في اللغة عن الالفاظ المماتة ، فنضعها لمستحدثات العلوم . وقد رددنا عليهم بأنه ليس من الرأى ان نلبس الاحياء أكفان الموتى ، فضلا عن ان العربى اذا أحييته من قبره وسألته عن معنى اللفظ المهجور لما عرف إلا المعنى الذى وضع له لا الذى تضمه له

« ثم لاتنس مافى التنقيب والبحث من إضاعة الوقت فى عصر يهتم الناس فيه أولا بالغايات والمقاصد ، لا بالوسائل والادوات . واللغة لم تخرج عن كونها وسيلة لاغاية . وقومية اللغة انما هى فى اسلوبها وقواعدها

« أما الالفاظ فهى أدوات تقبل التبديل دون أن يضر ذلك بالجوهر أو يضيع الشكل ، مثال ذلك إذا أردت أن تبنى بيتاً عربياً ، فاستحضرت مواد بنائه من روسيا وفرنسا وانجلترا وايطاليا ، ثم ألفت من هذه المواد بيتاً عربيا على أجمل طراز عربى ، فهل اذا رأى انسان هذا البيت يقول عنه انه روسى أو فرنسى مثلا ؟ أو يقول إنه عربى ؟

« ثم اذا أتيت بمواد عربية ، فبنيت من هذه المواد بيتاً على الطراز الفرنسى أو الانجليزى ، فهل تظن أن يقول عنه انسان إنه عربى ؟

« فاللغة كما قلت باسلوبها وقواعدها ، وليس من الحكمة وحصافة الرأى أن نجعل مهمتنا فى هذا العصر ان نضيع الوقت فى وضع الالفاظ فى حين ان الغربيين يكتسبون هذا الوقت فى الاكتشافات والمخترعات والابداع والاتقان فى فنون الاعمال والعمران . وقد كتبت كلمة وافية بهذا المعنى وطبعتها ووزعتها على الاعضاء جميعاً وقتئذ »

رأى الاستاذ على عبد الرازق

« اللغة العربية كائن من الكائنات . وكل كائن فى حاجة الى الكمال . ولا يعرف الكمال المطلق إلا الله وحده . واللغة العربية بطبيعة الحال قابلة للكمال الذى نسميه الاصلاح ، بل هى محتاجة الى الاصلاح ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من اللغات الاخرى ، فما لاشك فيه ان اللغة الانجليزية والفرنسية والالمانية وسواها من اللغات الاوربية قابلة للاصلاح ومحتاجة اليه

« فاذا نحن قلنا ان اللغة العربية فى حاجة الى الاصلاح لا يكون معنى هذا انها بوجه من الوجوه أقل من غيرها من اللغات الراقية

« والاصلاح الذى تحتاج اليه أية لغة من اللغات لا أعتقد أن له معنى أكثر من أن هذه اللغة تصبح صالحة لأن تؤدى جميع الحاجات التى تشعر بها الأمة فى حياتها اليومية وفى حياتها العامة والخاصة وفى جميع مرافقها العلمية والادبية والسياسية وغيرها

« ونحن لا نشك فى ان اللغة العربية قد مرت عليها اطوار ازدهار واطوار ذبول ، وانها كانت فى جميع الاطوار التى مرت بها صالحة كل الصلاح لاداء ما كانت تشعر به الامة العربية من حاجات مختلفة فى جميع مرافق الحياة

« واذا نحن نظرنا الى حالة اللغة العربية فى هذا الطور الذى نحن فيه نكاد نشعر بانها لم تساير التطور العنيف الذى تطورت اليه حياتنا الحاضرة ، فنقلتنا فجأة الى ألوان من الحياة ، وانواع من العلوم والمخترعات اضعاف ما كان يعرف آباؤنا الاقربون وما كانوا يشعرون به ويتحدثون عنه

« ومعنى هذا اننا فى عصر كثرت فيه المخترعات والمستحدثات ، وهذه تحتاج الى اسماء جديدة لم تعرفها اللغة ، واستحدثت فيه أيضاً مباحث جديدة فى الفلسفة والتشريع والفنون وغيرها ، وكل هذه امور نشعر بحاجتنا الى التعبير عنها ، لاننا لا نجد فى اللغة التى وصلت الينا طرقاً موروثة للدلالة عليها . فنحن من هذه الجهة بحاجة الى مايكفل للامة العربية التعبير عن هذه الامور الجديدة فى حياتها

« وهناك جهات أخرى للاصلاح ، فقد تكون اللغة محتاجة الى الاصلاح فى قواعد الاملاء وطرق الكتابة وقواعد النحو والبلاغة ، وفى مباحث اللغة . ومعنى حاجتها الى الاصلاح فى هذه الابواب ونحوها ان الناس أصبحوا فى العصر الحاضر يلتمسون السهولة فى كل شىء ، والاقتصاد فى كل شىء . فهم يريدون أن تكون اللغة العربية سهلة الكتابة ، سهلة الطباعة ، سهلة التحصيل ميسرة تمكن الاحاطة بقواعد نحوها وبفنون بلاغتها ومعانى مفرداتها فى اسرع وقت وبأيسر طريقة لاننا فى عصر يتطور سريعاً ويمتاز بالسرعة فى جميع نواحيه

« هذه هى بعض الوجوه التى يخطر لى بادى الرأى انها قد تكون مثلا من أمثلة الاصلاح الذى تحتاج اليه اللغة العربية

« وانى أعتقد ان اصلاح اللغة لايمكن ان تقوم به هيئة من الهيئات حكومية أو غير حكومية ، ولا فرد من الافراد كبيراً أو صغيراً . وانما يكون اصلاح اللغة باصلاح الامة التى تتكلم بها ، وبانتشار أسباب الثقافة والعلم فيها ، فان الامة الناهضة المثقفة هى التى تستطيع أن تلين ما جمد من لغتها ، وان تفتح ما استغلق منها ، وان ترد العسير منها يسيراً »

الحكمة الهندية

بقلم الاستاذ الدكتور على العناني

تنقسم الحياة العقلية الهندية إلى قسمين كبيرين يرجع الاول منهما إلى الوثنية الأولى عند الهنود . ويكون ثانيهما المجهود الفلسفى الحكيم الذى قد نشأ عن القسم الأول وتفرع إلى عدة فروع أساسية عرفت بالمذاهب الفلسفية الهندية . وهى مذهب البراهمة ، وفلسفة السنكيا ، وحكمة الفيزاشيكا ، والمذهب المادى ، وتعاليم بوذا أو بودها

الوثنية الهندية الاولى

والحياة الوثنية الهندية ترجع فى أسسها إلى تقديس الهنود الآريين ـ منذ ألفى سنة قبل الميلاد تقريباً ـ القوى الطبيعية لما رأوا فيها من التأثير المملوء بالخير فى بعضها ، والشر فى البعض الآخر ، فاعتقدوا بوجود آلهة فيها كانت على اختلافها من حيث التأثير أصل عقيدتهم ومحل احترامهم ومرجع تقديسهم ومحور طقوس عبادتهم . وكان قدماء الهنود يأملون الوصول بوساطتها الى التخلص من شرور الطبيعة وآلامها المحدقة بهم . وقد تأصل فى نفوسهم هذا الامل منذ بدء هذه العقيدة الوثنية . وفى جميع أدوار الحياة العقلية الهندية دينية كانت أم فلسفية منذ القدم الى الوقت الحاضر نرى أيضا ميل الهنود إلى التفكير العميق فى الانقاذ من الشرور والتخلص من الألم . ولهذا يمكننا أن نحكم بأن المجهود الفكرى الهندى على تشعبه وتعدد فروعه كان بأكمله يدور منذ نشأته حتى الآن حول هذه النقطة الوحيدة الاساسية التى هى : الألم والانقاذ

ومن هذا الينبوع الوثنى الأول نشأت الحكمة الهندية والمذاهب الفلسفية الكثيرة عند الهنود كما قلنا . وهى فى هذه النشأة ليست كلها راجعة فى تكوينها من النظر الوثنى إلى طبيعة واحدة بل اختلفت معه كل الاختلاف فى بعض المواطن . ووصلت فى مواطن أخرى إلى حد التضاد . وإذا نظرت إلى الحكمة الهندية من هذه الجهة فانك ترى بعضها يتصل بالوثنية الأولى عند الهنود القدامى اتصال تحوير وتهذيب لها . وهذا ما نراه فى حكمة البراهمة . بيد أن بعضا آخر منها قد أخذ له طريقا خاصا . ويتجلى ذلك فى مذهبى السنكيا والفيزا شيكا . وهناك قسم ثالث يرجع إلى المذهب المادى وتعاليم بودها اللذين كانت علاقاتهما بالمبادىء الوثنية الاولى علاقات النضال والتضاد

حكمة البراهمة

وفلسفة البراهمة أو الفلسفة الفيدية هي التفكير الديني الفلسفي الذي تشتمل عليه أسفار الفيدا الاربعة. وهي كتاب الريغفيدا المحتوي على الاغاني الدينية. وكتاب السامافيدا وفيه الاناشيد والادعية المأثورة، وكتاب الياجور فيدا ويشتمل على الادعية والصلوات المستعملة عند تقريب القرابين. وكتاب الاذرفافيدا وهو عبارة عن أدعية وتسابيح وتعاويذ وعن كل ما يرجع الى السحر من تمائم وعزائم وطلاسم وتحاويط

والفلسفة الفيدية أوحكمة البراهمة هي الفلسفة المكونة لمذهب البانتسم ـ أو وحدة الوجود ـ تكوينا نظريا سريا (تصوفيا). وقد نشأ هذا المذهب متصلا بالوثنية الهندية الاولى فقد أخذ كهنتها يعتقدون بوجود اله جديد بجوار الآلهة المعروفين لهم من قبل، أناطوا به مهمة تنظيم الطقوس الدينية في أداء أنواع العبادات المختلفة باختلاف الآلهة، وأسندوا اليه تدبير شئونها بقوة من عنده حسب طبيعة كل إله. وقد أطلقوا على هذا الاله الجديد اسم ابراهما (عبادة). وأنت ترى من مهمة هذا الاله المبتكر انه في مركز ثانوي بالنسبة للآلهة الأقدمين أو انه في منزلة الخادم لهم

لم يستمر هذا الاله طويلا يعمل في هذه المهمة لان كهنة الوثنية الهندية قد ثار ثائرهم ضد الآلهة ووصلوا بتفكيرهم الفلسفي الى محوهم وإزالتهم من الوجود مع استبقاء ابراهما خادمهم وحده، ولكن ليس بمعنى الخادم ومنظم طقوس العبادات، بل بمعنى الواحد الأحد الذي لا يوجد سواه. واذاً فهو عندهم الكل، وهو الكون العام (أي أن كل موجود هو ابراهما. وما ليس بابراهما فليس بموجود بل عدم على الاطلاق) وهكذا يكون الحظ! ارتفاع من الخدمة إلى السيادة والتفرد حتى في عالم الآلهة الموجود في خيال الانسان!!

وتصف حكمة البراهمة إلهها الأوحد ابراهما بأنه القوة التامة اللانهائية، المنفرد بالوجود الحقيقي الصحيح، الذي كل ما عداه ليس بموجود

واذا كانت كائنات الكون العام تظهر عديدة ومتغايرة بالنسبة الى نفسها من جهة، وبالنسبة الى ابراهما من جهة أخرى فان ذلك ـ على ما يقولون ـ ليس سوى غلط حسي لا يطابق الحقيقة في شيء. واذا كان من الممكن أن يعتقد الانسان ان هذه الكائنات المحسة صادرة عنه بمحض ارادته وبتأثير قوته فان ذلك يؤدي إلى الحكم بأن ابراهما محدود وغير تام لأن هذه الكائنات المدركة المتغايرة محدودة به. وينتج من هذا أنه هو أيضاً محدود بها. وهذا يبطل مبدأ اللانهائية والتمام المطلق فيه وهو محال

واذا صح أن يقال إن العالم حادث ومخلوق ومتغير فمعنى ذلك بروز ابراهما في صور متعددة ومتعاقبة إذ هو السبب الفعال والعنصر المادي اللذان يرجع اليهما هذا الوجود. وهذا لا يغير

من تمامه ووحدته . ومثل ابراهما فى تعدد صوره وتعاقب أعراضه مع وحدته وتمامه كمثل اللبن يتحول إلى زبد وسمن وسويق ، وحقيقته فى الجميع واحدة . وكمثل الماء يكون سائلا وزبداً وبرداً وجليداً ، وجوهره الحقيقى واحد لا اختلاف فيه

وإذا كان العنكبوت ينسج له بيتاً من مادته فكذلك ابراهما قد أبرز العالم بأكمله من جوهره أوظهر هو بصوره المختلفة فى كائنات هذا العالم . وإذاً فالعالم المحس هو ابراهما وابراهما هو نفس هذا العالم . والتغير والحدوث المستمران فى المادة وما يتبعهما من كون وفساد فى الطبيعة العامة إنما هى كلها مظاهر ابراهما وصوره وأعراضه المختلفة اختلافا لا يؤثر فى جوهره من حيث هو جوهر . فهو تام . وهو جليل فى تمامه المطلق . وهو فوق كل الحوادث . وهو الكل وليس من الكل فى شىء

وبما أن وجود ابراهما يظهر متغيراً بدون أن يمسه هذا التغير بشىء فى حقيقته وفى تمامه فكذلك يؤوب اليه كل كائن دون أن يحدث فيه زيادة ما مطلقاً

والذى ينتج من كل ذلك أن ليس الخلق وليست الخليقة سوى العاب إلهية هى العاب ابراهما مع ابراهما . وما مادة الوجود العام فى هذه الالعاب الالهية سوى خطأ حسى ، أو طيف خيال من وجود ابراهما الازلى الابدى يبدو ويستتر وهكذا إلى ما لا نهاية . وانك لتدرك ـ من هذا الايجاز ـ السر فى تسمية هذا المذهب بمذهب وحدة الوجود الذى تفسر به قول الحلاج : « أنا الله وما فى الجبة إلا الله »

وهذا المذهب الذى أخذ نشأته الاولى عند الهنود هو غير مذهب الحلول الذى كانت نشأته الاولى عند قدماء المصريين

النفس الانسانية عند البراهمة

اهتمت حكمة البراهمة بعد بحوثها العميقة فى مذهب وحدة الوجود وتدعيم هذا المذهب بالنظر الحكيم ، اهتماماً عظيما بايضاح حقيقة النفس الانسانية وشرح أعراضها واتجاهاتها بما يلائم عقيدة وحدة الوجود وبما يجعل الانسان سعيداً وصائراً إلى الخلود السعيد

ويتلخص ماتراه حكمة البراهمة فى النفس الانسانية فى أنها نشأت من القوة التامة اللانهائية الخالدة (ابراهما) نشوء الشرارة من النار المتأججة ، فهى بذلك عين تلك القوة الخالدة ، ولا تقع تحت تأثير كون أو فساد ، وإذاً فهى غير حادثة ولا فانية . وصلاتها بالجسم بناء على ذلك هى صلات ألم وعذاب ، لان الجسم من عالم الغلط الحسى ، عالم المادة المظلمة ، فهو سجنها ولكنها متعلقة به ، وهى بهذا كله قد فقدت ما كان لها من دعة وهناءة بطبيعتها ، وصارت تحت سلطان الحركة المادية الظاهرية وما فيها من عناء وألم

وبما أن ابراهما فى نفسه وبنفسه مطمئن وسعيد إلى الأبد فمصير النفس الانسانية الناشئة من

جوهره لا شك واصل إلى الاطمئنان الكلى والسعادة المطلقة بعد خلاصها من سجن المادة وظلام الجسم وتحللها من العمل الدنيوى الذى وقعت فيه رغم إرادتها .

وينتج من ذلك كله أن غرض النفس الاسمى وواجبها الاخلاق نحو كيانها إنما هو العمل المتواصل لانقاذها من آلام الحمل الثقيل الملقى على عاتقها بهبوطها من الملأ الأسمى (ابراهما) إلى حضيض الجسم المادى ، وأن تجد وتجتهد فى رجوعها إلى أصلها الذى نشأت منه لتتحد معه وتمتزج به كما كانت من قبل . ويجب أن تكون هذه الغاية القصوى أو الغرض النهائى الأسمى مرجعاً وأصلا لكل المجهودات الانسانية ، وأساساً يرتكز عليه عمل الانسان ليصل إلى الانقاذ من الألم والتمتع بالغبطة الكبرى فى ملأ الاسعاد

و يرى البراهمة أن تحقيق عملية تحرير النفس من الجسد ، وانقاذها من ظلامه إنما يحصل بالمعرفة وهى : اليقين بابرهما الواحد التام اللانهائى وبان النفس الانسانية منه ، وهما معاً واحد وكل لا يتجزأ إلى الحد الذى يجعل الانسان يقول : « هذا هو أنا » أو « أنا ابراهما »

وهذه المعرفة لا يصل اليها الانسان بحث أو وصف وإنما تأتى اليه مباشرة من نور البصيرة ورفع الحجب التى تعوق دون الالهام الحق والشهود الكامل . أضف إلى ذلك أيضاً اليقين بوحدة الاشباح جميعها مع ابراهما ، وأنها مظاهره وأعراضه التى يتجلى فيها هذا الاله . ومعنى ذلك أن الوجود المحس هو تجلى ابراهما ، فهو نفس ابراهما ، وابراهما هو نفس هذا التجلى . وليس سوى ذلك فى هذا الوجود العام

هذه المعرفة وإن كانت لا تحصل فى النفس ببحث أو وصف وإنما تأتى للانسان إلهاماً ونوراً تنكشف عنه الحجب ، فانها فى مقدور الانسان إذا سلك سبيل الوصول اليها بالتوبة والاقلاع عن الشهوات وتقريب القرابين والزهد فى المتاع الزائل والتجافى عن العالم المحسوس الظاهرى ، عالم الخطأ والغرور

وما دامت النفس تعيش فى أسر المادة وفى صورها الظاهرية فلا سبيل الى الانقاذ والخلاص . أما اذا انحصرت فى ذاتها بعد الهامها بالمعرفة المتقدمة والتغلب على شهواتها بالزهد والتجافى عن عالم المادة ، فانها بعد اجتياز هاتين المرحلتين تصل الى مرحلة ثالثة تعرف بمرحلة (الاطمئنان الالهى) ومعنى ذلك أن تطمئن النفس فى جوهرها اطمئنانا لا يجعل لاى كائن آخر تأثيراً فيها ، بل تسكن الى ذاتها فى ذاتها وتصير بذلك إلهية لا يشجيها سوى ابراهما ولا تعرف وجوداً سواه

واذا وصلت النفس الانسانية إلى هذه المرحلة الثالثة التى تصير فيها قوة إلهية محضة أشرق أمامها نور اليقين من جميع جوانبها وظهر صفاؤها لامعاً وضاء ممتزجاً بضوء ابراهما وبحقيقته النورانية ، وتكون معه وحدة لا تتجزأ . وحينئذ تتاح لها معرفة حقيقتها وجوهرها ، وتدرك

أنها عين الذات (ابراهما) وان الوجود وأشباحه وأرواحه على ما فيه من كون وفساد وتغير وتعاقب متحد مع ابراهما وواحد بالحقيقة والجوهر

وفى الحالة التى تصل فيها النفس إلى هذه المعرفة التامة الكاملة لا تعد جوهراً عارفاً بل تكون نفس ابراهما وابراهما هوبنفسه المعرفة فتكون هى نفس المعرفة كالنهر يجرى فى المحيط ولا يبقى نهراً فى المحيط بل يمتزج بهويكون معه كلامتصل الاجزاء . وهناتكون النفس - وهى ذات المعرفة - قد ربحت السعادة الكبرى والغبطة الخالدة والهناء الذى لا تقدر على نعته لغة ولا يقوى على وصفه جنان انسان

والانسان الذى تصل روحه الى الامتزاج بابراهما ليس فى أعماله خطيئة مطلقاً . فهو حر من قيود الفضيلة وأوامر القوانين الاجتماعية لانه جليل ولأنه فى مكانة أسمى من التقيد بالفضيلة وأمر القانون . وكل ما يكون قد اقترفه من ذنب قبل الوصول الى هذه الغاية السامية يسقط عنه ببلوغه اياها ويعود بهامعصوماً فى مستقبله لايقع منه الا الخير وماهو فى حدود الخير ، حتى ولو فرض انه فى الظاهر قد انغمس فى رجس وارتكب خطيئة فهو بعيد عنها بطبعه ولا تناله بشىء كما لا يبلل الماء ورقة (اللوتوس) اذا انغمست فيه

وفى العموم ان ذلك الانسان قد تطهر من الخطيئة ، وانتزعت منه شهوات الاثم فهو بطبيعته معصوم لا سبيل مطلقاً الى اقترافه أى الذنوب . وليفعل صاحب هذه النفس الممتزجة بابراهما مايشاء ان يفعل فلاتأثيم ولا حرج عليه . ولهذا لا يتقيد بقانون ولا يؤخذ بفضيلة يجب عليه أن يتبعها ولا تحدد له رذيلة يفرض عليه تجنبها ، وما ذلك على الأخص الا لان القانون قيد والفضيلة قيد والرذيلة قيد ، وشر هو القيد أياً كان نوعه ، وأياً كانت مادته . وبأى كيفية يصاغ اذ لا فرق بين قيد يسبك من العسجد وآخر يصنع من الحديد . والمعرفة المكتسبة بالطريقة المتقدمة ، والحرية المترتبة عليها لا تقبلان معاً الاغلال حتى ولو كانت من الذهب الابريز

وكما ان ذلك الانسان الواصل لا يتقيد بقانون ولا فضيلة ولا يقع عليه اثم فهو غير معاقب وغير مثاب اذ لا ثواب اكبر مما وصل اليه من سعادة خالدة فى ملأ الغبطة والاطمئنان

وتقرر حكمة البراهمة ان الارواح إذا فارقت الاشباح الانسانية تنتقل الى دار الخلود . ولكنها فى سبيل الوصول اليها تختلف حالتها باختلاف ما كانت عليه فى الاجساد . فالنفوس العارفة تصل مباشرة الى اصل نشأتها ، الى الملأ الاعلى ، الى ابراهما ، وهى لا تسأل عما فعلت فى حياتها الدنيا . والنفوس الجاهلة التى لم تتح لها فرصة المعرفة تعاق عن السمو الى ما تصل اليه النفوس الصافية المتقدمة ، فتقع فى التناسخ . وهواستقرارها فى كائن بعد كائن ، وهكذا دواليك ، حتى تتاح لها فرصة المعرفة . وحينئذ تدرك السبيل الى ابراهما وما فى رحابه من سعادة وغبطة وما الى ذلك من هناء خالد وحبور مستديم

(للبحث بقية) علي العناني

شخصيّات الشهر

[تناول الكاتب في هذا المقال أهم شخصيات الشهر بالنسبة للاعمال العظيمة التي عملوها أو يعملونها . وبهذه المناسبة نقول إنه سيتكلم كل شهر عن أهم الشخصيات العالمية من ناحية أعمالهم التي تكون موضوع حديث الناس في خلال الشهر]

السنيور موسوليني ومجلس نوابه الجديد

لما قابلت السنيور موسولينى لاول مرة فى سنة ١٩٢٩ قال لى فى حديثه معى : « اذا كان النظام البرلمانى الشائع قد نجح فى انجلترا مثلا فليس معنى ذلك أنه من المحتم أن ينجح فى اليونان أو بلغاريا مثلا . وقد وجدت النظام الملائم لايطاليا ولكن ليس من الضرورى أن يلائم بلاداً أخرى ، فلكل شعب مزاجه وأحوالهوتقاليده . ولذلك يتعين على كل شعب أن يبحث عن النظام الذى يلائمه »

قال لى زعيم ايطاليا هذا الكلام على أثر تعديل نظام الانتخابات فى بلاده على قاعدة إعداد المجلس الفاشستى الأعلى كشوفاً باسماء الذين يرشحهم لعضوية مجلس النواب ثم يطلب الى الناخبين أن يقترعوا عليها كشفاً كشفاً ، ولكى يترك لهم بعض الحرية كانت تلك الكشوف تحوى ضعفى العدد المطلوب لعضوية المجلس ، فكان فى استطاعة الناخبين أن ينتخبوا النصف ويبعدوا النصف الآخر

واستمر هذا النظام قائما الى أن كان الشهر الماضى فقرر السنيور موسولينى الغاءه واحـلال نظام آخر محله أوفى — فى رأيه — بالغرض من وجود النظام التمثيلى

ولكى يدرك القارىء روح النظام الجديد لابد من الاشارة الى أن الحكومة الفاشستية انشأت لكل صناعة فى ايطاليا نقابة بل نقابتين : احداهما للعمال والاخرى لاصحاب العمل ، وأنشأت الى جانب هاتين النقابتين نقابة مشتركة بين الفريقين اسمها « كوربوراسيون » وأوجدت وزارة خاصة لهذه الهيئات سمتها وزارة « الكوربوراسيون » وبنت لها داراً من أفخم دور روما . ومهمة هذه الوزارة الاشراف على انتظام سير العمل فى جميع الصناعات ، والتحقق من أنه يسير طبقاً للمبادىء الفاشستية ، وفى مقدمتها أنه لا يجوز للعمال أن يضربوا عن العمل كما أنه لا يجوز لاصحاب المصانع والمعامل أن يقفلوا مصانعهم ومعاملهم بدون أن يرجعوا الى الحكومة فى ذلك

فالسنيور موسولينى قد أراد أن يقوم مجلس نواب ايطاليا الجديد على أساس مجموع النقابات المشتركة الموجودة فى ايطاليا الآن ، وهى تمثل مصالح البلاد الحقيقية . ومن مزايا هـذا النظام أن يكون جميع أعضاء مجلس النواب من الفنيين المحيطين بالموضوعات التى يدور عليها البحث ، فاذا دار

البحث على سكة الحديد مثلا وجد من يبحث فيها بحث الفنى الخبير بالموضوع الذى يعالجه ولا يترك مثل هذا الموضوع للاطباء أو المحامين مثلا وهلم جرا

وفاجأ السنيور موسوليني العالم فى الشهر الماضى أيضاً بمفاجأة أخرى تتعلق بالسياسة الخارجية ونعنى مذكرته للدول العظمى بوجوب تعديل ميثاق جمعية الامم أو بعبارة أخرى المبادىء التى قامت عليها هذه الجمعية . وحجته فى ذلك أن بقاء الجمعية على حالتها الحاضرة لا يحقق الاغراض التى أنشئت من أجلها لانها تقسم الدول فى اوربا الى قسمين : قسم الغالبين وقسم المغلوبين . ومعنى هذا أن تظل السيطرة فيها لانجلترا وفرنسا . فالسنيور موسوليني يريد تعديل ميثاق الجمعية لكى يحررها من قيود معاهدات الصلح التى وضعت بعد الحرب العظمى وفى مقدمتها معاهدة فرساي . ومعنى ذلك أنه يرمى الى تعديل تلك المعاهدات لانه يرى أن ظروف أوربا الحالية تقضى بتعديلها وهو حريص على أن يتم هذا التعديل سلمياً بمفاوضات تدور بين الدول المختصة بدلا من أن تعدل بحد الحسام

وهكذا أصبح موسوليني فى منزلة من يملى ارادته على الدول وهى تحسب لآرائه واقتراحاته أكبر حساب ، بعد ما كانت تصفه بالغرور والحماقة

الشاه رضا بهلوي واتصاله بالشعب مباشرة

كنت قبل أن ازور ايران فى ابريل سنة ١٩٣٢ أسمع أن « تيمور طاش » وزير البلاط هو كل شىء فى بلاد فارس وأنه صاحب الامر والنهى فى كل كبيرة وصغيرة وأنه هو الذى يدير جلالة الشاه رضا بهلوى ويحركه حتى ان بعضهم كان يلقبه بالشاه غير المتوج

ولما وصلت الى طهران كان « تيمور طاش » أول من عرفته من عظمائها فألفيته على أعظم جانب من الذكاء وتوقد الذهن وسرعة الخاطر ولين العريكة . وكان الحديث يدور بيننا بالفرنسية فكان يخاطبنى بعبارات فصحى كأنه متخرج فى أرقى مدارسها . وأتيح لى أن أرى شيئاً من مظاهر نفوذه فى المرة الاولى التى اجتمعنا فيها ، وكان ذلك فى استقبال جلالة الملك فيصل عند وصوله الى طهران ، فانه بينما كان جلالة الشاه جالساً مع المغفور له الملك فيصل كان « تيمورطاش » شبه حركة دائمة ... ينادى هذا ثم يصرفه ويقرب اليه ذاك ويصغى اليه ثم يشير اليه اشارة فيعود من حيث أتى . . . ورأيت الوزراء والكبراء الذين يحادثونه يقفون أمامه باحترام واجلال

وانتظرت بعد ذلك أن ارى الشاه وتيمور طاش واقفين جنباً الى جنب فلم ألبث ان رأيتهما وقد وقف تيمورطاش أمام مليكه كما يقف الجندى أمام قائده ، ولما أراد تيمور طاش فى مساء ذلك اليوم أن يقدمنى للشاه رأيته يخاطبه كما يخاطب العبد سيده

وبعد أشهر جاءت الاخبار من طهران بأن « تيمور طاش » اوقف . ثم جاءت أخبار أخرى

بانه سيحاكم بتهمة قبول الرشوة ، ثم أذيع انه حكم عليه بالسجن وبمصادرة أملاكه ، ثم اعلن انه توفى فى سجنه ! . ودلت الدلائل بعد ذلك على ان « الرشوة » لم تكن السبب الوحيد الذى ادى الى سقوط تيمورطاش ، وان السبب الاكبر كان شعور جلالة الشاه بأن وزير بلاطه يحجب عنه الحقيقة فى امور كثيرة ويحول بينه وبين رغبات شعبه فى مسائل عديدة فنقم عليه ، ومن ثم قرر الغاء منصب وزير البلاط . ولم يكتف جلالته بذلك بل امر بتأليف لجان تحقيق تجوب انحاء ايران وتستطلع « الفضائح » التى ارتكبت فى عهد تيمور طاش وتحقق مع الموظفين المسئولين وتسمع شكاوى الناس وتقف على رغباتهم لترفعها الى جلالة الشاه

ويظهر ان بعض زعماء قبائل البختاريين اعترضوا على عمل تلك اللجان فأمر جلالة الشاه باعتقالهم ، ويظهر كذلك انه كان لهؤلاء الزعماء صلة بأسعد خان وزير الحربية ومن زعماء البختاريين كذلك ، فأمر بوقفه مع انه كان من احب الناس اليه ، وما ذلك كله سوى دليل على ان جلالة الشاه يريد معرفة ما يجرى فى بلاده مهما يكلفه الامر

وما دام الجيش الايرانى فى قبضة جلالة الشاه رضا بهلوى فهو ذو سلطان كبير ، لان القوة فى تلك البلاد هى لمن يسيطر على الجيش ، وقد عرف جلالته بعد ارتقائه العرش كيف يحافظ على صلته بالجيش الذى نشأ فيه ، حتى انه بنى قصره امام المدرسة الحربية ليكون قريباً منها

الرفيق لتفينوف وتغيير سياسة روسيا الخارجية

عدل الرفيق لتفينوف وزير خارجية روسيا سياسة السوفيات الخارجية تعديلا عظيما فى المدة الاخيرة ، بل قضى على اهم غاية كانت ترمى اليها روسيا السوفياتية وابدل بها غاية اخرى

فقد كان السوفيات — ولا سيما فى عهد نفوذ تروتسكى — انما يرمون الى بذر بذور الثورة فى جميع انحاء العالم لاشعال نار ثورة عالمية تقضى على الرأسمالية فى كل مكان وتشيد دعائم النظم البلشفية على انقاض المجتمع الحالى

ولكن الرفيق لتفينوف رأى — ووافقه على رأيه ستالين رئيس جمهوريات السوفيات — ان فى الاستمرار فى تلك السياسة الفاشلة اخطاراً عظيمة تهدد روسيا ولا سيما من ناحية اليابان

وزاد توجس الرفيق لتفينوف من تلك الاخطار بعد قيام النظام الهتلرى فى المانيا لما هو معروف عن مناوأته للنظام الماركسى الذى تقوم على اساسه الدولة السوفياتية

وعندئذ قرر الرفيق لتفينوف وجوب تغيير الخطط فى السياسة الخارجية فطوى صفحة المساعى لاشعال الثورة العالمية وعمل على انشاء علاقات طبيعية مع الدول التى ترغب فى هذه العلاقات

ورأى ان يبدأ بخطب ود بعض الدول الصغيرة وهى بولندا ورومانيا وتشكوسلوفاكيا ، فعقد

معها معاهدات سياسية واقتصادية شتى أهمها معاهدة « عدم الاعتداء » . وأدرك جنابه ان هذه الدول المتحالفة مع فرنسا والتى تعتبر مشمولة بحمايتها لاتقدم على التفاهم معه مالم تكن فرنسا راغبة فى هذا التصافى ، فسعى للتقرب منها ودعا المسيو هريو الى زيارة روسيا حيث اكرموا وفادته واحتفلوا به احتفالا عظيما . ولم يكن من المعقول ان يقوم المسيو هريو بهذه الزيارة لو لم تنظر حكومته اليها بارتياح لانه رجل مسئول ، وان كان خارج الوزارة الآن إلا انه رئيس أكبر حزب فى فرنسا ، وقد تقلد رئاسة الوزارة ووزارة الخارجية غير مرة . وعلى أثر عودة المسيو هريو الى بلاده سافر المسيو كوت وزير الطيران الفرنسى الى روسيا ، فكانت هذه الزيارة أكبر مظهر لتوطيد الصداقة بين فرنسا وروسيا . ولم يقنع الرفيق لتفينوف بما تقدم بل سافر الى الولايات المتحدة للاجتماع بالرئيس روزفلت والبحث معه فى العلاقات الروسية الاميركية ، ومع انه يقال ان المفاوضات التى دارت بينهما لم تسفر عن نتيجة عملية إلا أن فى رحلة وزير خارجية السوفيات الى الولايات المتحدة مظهراً من مظاهر السياسة الجديدة التى تريد روسيا انتهاجها

ولا يفوتنا أن نذكر بهذه المناسبة ان الحكومة الروسية أهدت أخيراً اربع طيارات كبيرة الى الحكومة التركية بمناسبة احتفالها بانقضاء عشر سنوات على انشاء الجمهورية التركية

ابن سعود والامام يحيي

هل فى الجزيرة العربية حرب وقتال ؟

ان المعلومات التى لدينا عند كتابة هذا المقال لا تؤيد وقوع القتال ، غير ان الفريقين يستعدان للحرب ويتأهبان لها

ومحور الخلاف فى الظاهر هو بلاد عسير أو امارة عسير . فابن سعود يريد الاحتفاظ بسيطرته عليها بحجة ان أميرها وزعماءها هم الذين دعوه الى بلادهم وطلبوا بسط نفوذه عليها . والامام يحيي يريد منه ان يجلو عنها لكى تسترد استقلالها وتكون حداً بين الاثنين

ويقول ابن سعود ان الامام يحيي يريد منه ان يجلو عن عسير لكى يحتلها هو

ويرد الامام يحيي على ذلك بانه لا يطمع فى عسير بدليل انه مستعد لضمان استقلالها

هذا هو محور الخلاف فى الظاهر ، أما محور الخلاف الحقيقى أو الباطنى فهو طموح الملكين ، فكلاهما يريد التوسع وكلاهما يبغى السيادة ، ولكن ابن سعود يفتقر الى المال ، والحرب خارج نجد وخارج الحجاز تكلفه مالا طائلا غير متوافر لديه الآن . والامام يحيي عنده المال ولكنه يضن به ، ثم انه على خلاف مع انجلترا بشأن عدن وبعض المناطق الاخرى التى يريد ضمها الى مملكته ، وهو يعلم ان حرباً تنشب بينه وبين ابن سعود تضعفه تجاه الانجليز فهو لذلك يتردد !

أما العرب فيقولون لعاهلى الجزيرة : لا تجازفا باستقلال الجزيرة وبأرواح العرب ومصالحهم فى مغامرة لا يستفيد منها فى آخر الامر إلا الاجنبى . فهل يسمعان ! ؟

الرئيس روزفلت وتجاربه المالية والاقتصادية

لما اصيب المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة بالمرض الذى اقعده زمناً وصف له اطباؤه دواء غريباً ليعالج به قدميه بعدما عجزت العقاقير عن شفائه، وهو ان يضع رجليه فى الماء كل يوم ويظل كذلك الى ان يتعب . فما كان منه إلا أن رحل الى جهة بالقرب من بحيرة وأخذ يتردد يومياً على هذه البحيرة ويقضى نهاره غائصاً فيها حتى ركبتيه . ولكيلا يسأم هذه الحال كان يحمل معه بعض الكتب التى تلذ له مطالعتها ، وظل دائباً على هذا العلاج الى ان استردت رجلاه بعض قواها واصبح قادراً على المشى مستعيناً بعكازين ، فقيل فى ذلك الحين انه تغلب على مرضه بقوة ارادته . ويلوح الآن من اعماله وتصرفاته ان قوة الارادة التى تجلت فيه فى شبابه عادت فتجلت الآن فى التدابير والاجراءات الحازمة التى يتخذها لمعالجة الازمة الاقتصادية فى بلاده ، غير مكترث للعقبات التى يصادفها فى طريقه وغير مبال بالحملات التى يحملها عليه خصومه من كل جانب

وقد اتجه هم الرئيس روزفلت فى بادىء الامر الى السيطرة على « الدولار » ليروج المصنوعات الاميركية فى الخارج من جهة وليحسن حال الطبقات العاملة فى اميركا من جهة أخرى ، ولكن لما كانت اسعار الحاصلات الزراعية فى اميركا منخفضة بسبب زيادتها على الحاجة ، أدى تحسين حال العمال الى توسيع شقة التفاوت بينهم وبين الزراع ، ولذلك اصبح الرئيس روزفلت فى المدة الاخيرة مهتماً بتحسين حال الزراع ورفع مستوى اسعار الحاصلات الزراعية

وفى مقدمة المسائل التى يعنى ببحثها مسألة تخفيض الديون الفردية فى الولايات المتحدة فهو يريد أن يقنع الدائنين بالتساهل مع مدينيهم ، ولا سيما الزراع منهم ، لان الاحوال اليوم ليست كما كانت بالامس ، بمعنى ان الزارع الذى كان يحتاج أمس الى بيع مائة قنطار من القطن أو الحلبة لتسديد مبلغ كذا من المال ، يحتاج اليوم الى بيع مائتى قنطار أو أكثر لتسديد المبلغ عينه . فاذا نجح الرئيس روزفلت فى حل هذه المسألة اسدى خدمة جليلة الى طبقة الزراع فى بلاده

ولا غرو أن يكون الرئيس روزفلت موضع انتقاد من بعض صحف اميركا وهيآتها العمومية والسياسية ، فما من رئيس من رؤساء الولايات المتحدة الذين تعاقبوا منذ الحرب العظمى نجا من مثل هذه الحملات ، بل ان بعضهم ارتقى الى الرياسة والبلاد كلها تصفق له ثم غادر « البيت الابيض » والبلاد كلها تسخط عليه — وما عهد الدكتور ولسن ببعيد

كريم ثابت

النصوص التاريخية بمشهد الامام الشافعي

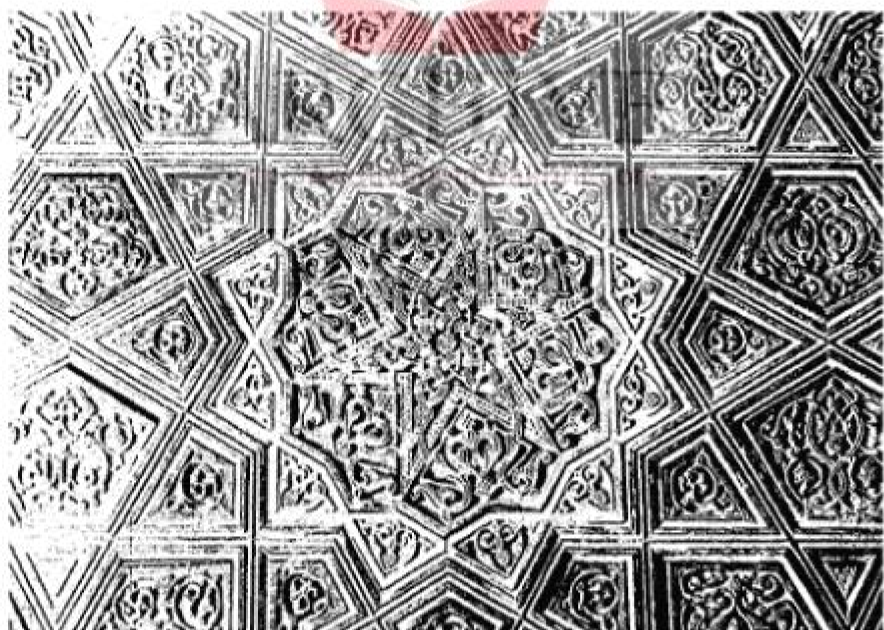
بقلم الاستاذ جاستون فييت [1]

(نقلها الى العربية من الفرنسية ملخصة الاستاذ حسن محمد الهوارى)

تشغل المدافن الاسلامية لمدينة القاهرة ومصر القديمة الجزء القائم بين الساكن وجبل المقطم . وكانت في القرون الأولى من الهجرة مجاورة للفسطاط من الجهة الشرقية ، وكانوا يطلقون عليها اسم القرافة نسبة إلى بنى قرافة قبيلة من العرب

وبالرغم من امتداد المدافن الاسلامية فيما بعد الى شمالي مدينة القاهرة ، فقد ظلت القرافة الجنوبية محل الاعتبار والاجلال لما فيها من أضرحة لاهل بيت رسول الله والاولياء الذين ظلوا على مر السنين محل اعجاب الاتقياء من الجماهير

وهذه المنطقة حافلة بالاضرحة التي يهرع اليها الناس تيمناً وتبركا . وقبة الامام الشافعي اظهرها وأعظمها قدراً . وقد اعتنى الامراء والسلاطين والملوك في مصر عناية خاصة بهذه القبة التي تضم



في تابوت الامام الشافعي

---

(١) ألقى الاستاذ جاستون فييت مدير دار الآثار العربية هذه المحاضرة في المجمع العلمي المصري بتاريخ ٦ فبراير سنة ١٩٣٣

رفات مؤسس المذهب السني السائد في مصر . وقد بحث صديق المسيو هوتكير الادوار المعمارية التي مرت على قبة الشافعي، فاحيل من يريد بياناً وافياً في هذه الناحية الى كتاب «جوامع مدينة القاهرة» أما ما سأبحثه الآن فهو النصوص التاريخية المنقوشة في قبة الشافعي من عصور مختلفة

قال المسعودي : « وفي خلافة المأمون كانت وفاة الشافعي في رجب ليلة الجمعة وذلك سنة أربع ومائتين ودفن صبيحة الليلة وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السري بن الحكم أمير مصر يومئذ . ودفن الشافعي نحو قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم وبين قبورهم . وعند رأسه عمود من الحجر كبير وكذلك عند رجليه وعلى العالي الذي عند رأسه حفر قد كتب فيه في ذلك الحجر : « هذا قبر محمد بن ادريس الشافعي امين الله »

يدل ذلك على البساطة المتناهية التي كان عليها ضريح الشافعي. وقد أيد المسعودي كتاب آخرون وبقي الضريح بسيطاً إبان دولة الاخشيديين والفاطميين

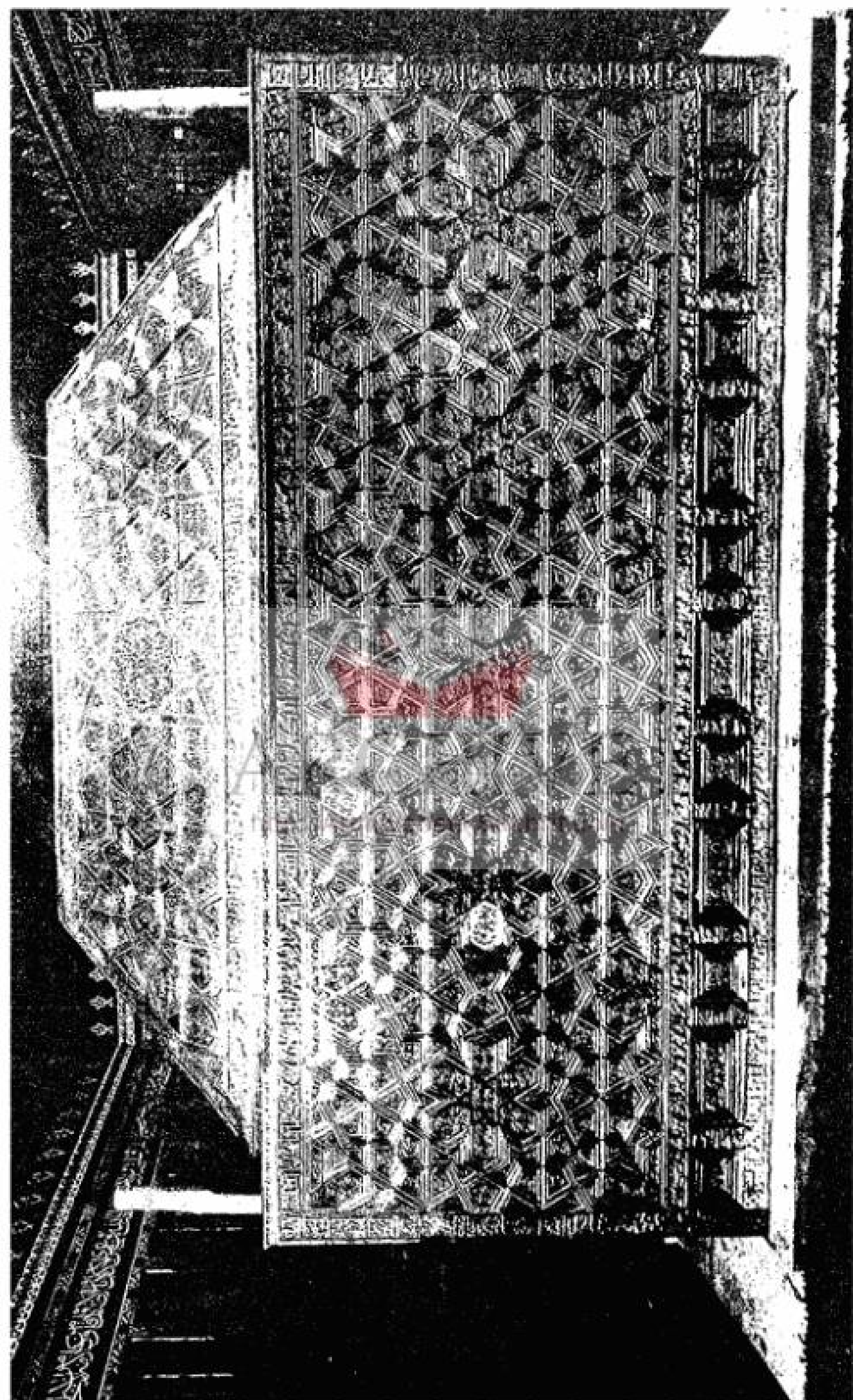
ويقول المقريزي إن الوزير نظام الملك لما بنى المدرسة النظامية في بغداد أراد ان ينقل الامام الشافعي من مقبرته في مصر إلى مدرسته في بغداد وكتب الى بدر الجمالي بذلك . ولما نبش القبر هاجت الناس وثارت وهموا برجم أمير الجيوش فطردت العامة والغوغاء من حوله ونبش القبر مرة ثانية فخرج من اللحد رائحة عطرة اسكرت من حضر فوق القبر حتى وقعوا صرعى فاعادوا ردم القبر وكتبوا لنظام الملك بذلك فارسل الكتب الى الامصار فزاد قدر الامام الشافعي

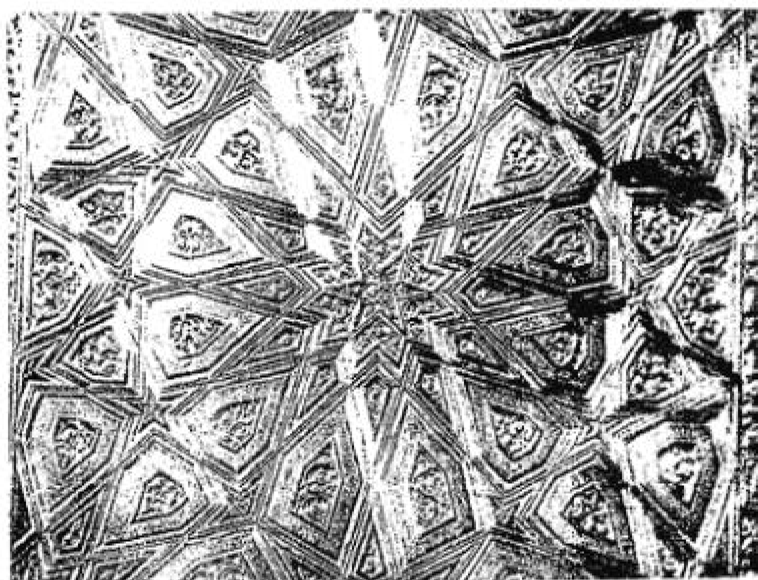
ولما جاء صلاح الدين مصر قبل انقراض الدولة الفاطمية انشأ مدرسة شافعية بجوار جامع عمرو . وعندما أصبح سلطان مصر أمر في سنة ٥٧٢ ﻫ (١١٧٦ – ١١٧٧) ببناء مدرسة اخرى بالقرب من مشهد الامام الشافعي. وتم بناء هذه المدرسة بعد مضي ثلاث سنوات من بدء العمل كما يتبين ذلك من النص التذكاري المنقوش على لوح من الرخام محفوظ الآن بدار الآثار العربية

وأنشأ صلاح الدين مشهداً لضريح الامام الشافعي فسيح الارجاء عظيم القدر. يؤيد ذلك ما قاله الرحالة ابن جبير عند ما وصف الاعمال الجارية في المدرسة الشافعية وقوله إن مشهد الامام الشافعي من المشاهد العظيمة احتفالا واتساعاً وقد بقي من آثار صلاح الدين بمشهد الشافعي تابوت فاخر من الخشب شكله منشور مستطيل يعلوه جزء هرمي، وقبل أن نصفه وصفاً مسهباً أرى تفسير الكتابات التاريخية المنقوشة عليه

وأول هذه الكتابات كتابة منقوشة على حشوة كبيرة بمقدمة التابوت في أربع أسطر بخط كوفي جميل نصها : « (١) بسم الله الرحمن الرحيم وان ليس للانسان إلا ما سعا (كذا) وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى (٢) هذا قبر الفقيه الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان ابن شافع بن السائب بن عبيد بن (٣) عبد يزيد بن الهاشم بن المطلب بن عبد مناف . ولد رضي الله عنه سنة خمسين ومائة وعاش الى (٤) سنة أربع ومائتين ومات يوم الجمعة آخر يوم من رجب من السنة المذكورة ودفن من يومه بعد العصر »

الى اليسار :
تابوت الامام الشافعي





جانب من تابوت زوجة السلطان الملك العادل ابي بكر بن ايوب وهي مدفونة داخل قبة الامام الشافعي

ومنقوش فى نهاية الجزء الهرمي سطران من كتابة نسخية بارزة نصهما :

١ « عمل هذا الضريح المبارك للامام الفقيه أبي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف رحمه الله. صنعت (كذا) عبيد النجار (٢) المعروف بابن معالى عمله في شهور سنة أربع وسبعين وخمسمائة . رحمه الله ورحم من ترحم عليه ودعا له بالرحمة ولجميع من عمل معه من النجارين والنقاشين ولجميع المؤمنين »

وجميع وجوه هذا التابوت مكونة من أطباق عربية كثيرة منقوشة بزخارف نباتية دقيقة من غصون مفرعة وأوراق مفرقة في مجاميع متماثلة يتخللها أشكال نجمية ومثلثة محبة ويحيط بهذه الحشوات اطارات محلاة بكتابات كوفية ونسخية بارزة على أرضية مشجرة. وأهمية هذه التحفة الفريدة فى اشتمالها على نصين تاريخيين بنوعين مختلفين من الكتابة

وصناعة جمع الحشوات الخشبية وتعشيقها كانت معروفة في مصر في القرن الرابع الهجرى . ويعتبر الباب الذى عليه اسم الحاكم بامر الله والذى عمل خصيصاً للجامع الازهر أقدم أنواع التعشيق ولو أنه لم يحتو على حشوات كثيرة الاضلاع . أما أقدم تحفة بها حشوات كثيرة الاضلاع فهي منبر جامع حبرون المؤرخ سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) وحشواته محلاة بفروع نباتية دقيقة الصنع وجمعها وتعشيقها بالغان حد الاتقان حتى إن السدايب التى تحبسها محلاة أيضا بزخارف نباتية . ويأتي بعد هاتين التحفتين المحرابان الشهيران وهما : محراب السيدة نفيسة ، ومحراب السيدة رقية ، فمنبر جامع قوص ، الذي يرجع عهده الى منتصف القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) أى قبل تابوت الامام الشافعي بربع قرن . والسدايب الحابسة لحشوات تابوت الامام الشافعي محلاة بخطوط متوازية محفورة أظهرت ما للحشوات من حسن رونق وجمال تفنن . وهذه القاعدة اتبعت في منبر الجامع الاقصى الذى صنع فى حلب سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ - ١١٦٩ م) وقد شرح « فان برشم » السبب الذي دعا صلاح الدين

انقل هذا المنبر من حلب الى بيت المقدس تنفيذا لرغبة نور الدين محمود بن زنكي. وذكر هذه الحادثة مفيد لنا في بحثنا لأن هذا المنبر ممهور بامضاء عدة صناع من بينهم من يدعى سلمان بن معالى . مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بان صانع تابوت الامام الشافعي والذى مهره باسمه عبيد المعروف بابن معالى هو احد أفراد عائلة سلمان بن معالى وقد يكون صنعه بناء على أمر صلاح الدين

وامام هذا التابوت عمود من الرخام عليه كتابة طويلة نرى انها من عهد صنع التابوت نظراً للجمل الواردة في نصها وشكل حروفها القديم ، فهي من سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) بلا نزاع . وهذه الكتابة منقوشة بالخط النسخ البارز في ستة عشر سطراً ونصها يشابه النص المنقوش على التابوت نفسه.

***

احترم السلاطين الايوبيون الذين جاءوا بعد صلاح الدين مشهد الامام الشافعي وخطوه بعنايتهم . ودفن السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين بجوار الامام الشافعي، وكذلك امه الملكة شمسة ، إلا ان موضع قبريهما داخل المشهد ما يزال غير معروف الى الآن

وبمشهد الشافعي تابوت آخر منشوري الشكل سطوحه الاربعة مكونة من حشوات كحشوات تابوت الامام الشافعي ومنقوش على هذه السطوح نصوص بالخط النسخ الايوبي المشجر وهي مقسمة الى ثلاث مناطق: الوسطى ارتفاعها اربعة امثال كل من العليا والسفلى وبها اطباق نجمية مختلفة مرتبة بالتماثل كل اثنين معاً. والحشوات الصغيرة محلاة بزخارف نباتية . وقد ضاع أغلب المنطقة العليا وكانت تحوي كتابة كوفية مربعة كبيرة الحجم على سطح من خرط ميموني دقيق . أما المنطقة السفلى فهي مكونة من حشوات كبيرة مربعة ومستطيلة محلاة بزخارف نباتية تفصل بعضها عن بعض قوائم بها كتابات رأسية

والجانبان الكبيران للتابوت وأحد الجانبين الصغيرين تحوى نصوصاً قرآنية. أما النص التاريخي فمنقوش على الجانب الرابع بالقلم النسخ الايوبي وهو باسم والدة الملك الكامل ومؤرخ سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ م) . ونرى ان هــذا التابوت كان محاطاً بدرابزين مكون من عدة حشوات من نوع حشوات التابوت لانه بدار الآثار العربية اجزاء اصلها من مشهد الامام الشافعي عليها بقية كتابة تاريخية باسم والدة الملك الكامل

ويقول المؤرخون ان الملك الكامل رأى لمناسبة دفن امه بضريح الامام الشافعي ان يشيد فوقه قبة عظيمة وان نفقات ذلك بلغت ٥٠٠٠٠ دينار أي حوالى ٢٥٠٠٠ الف جنيه

وقد وصف ابن بطوطة مشهد الامام الشافعي عنـد زيارته مصر في رحلته المشهورة وكان ذلك بعد انشاء القبة فقال : ان مشهد الشافعي من عجائب المنشآت بقبته العظيمة وبنائها المتين وعلوها الكبير . وهـذا الوصف يبين السبب الذى جعل السلطان بيبرس شديد الرغبة في بناء قبة في مسجده شبيهة بقبة الامام الشافعي

وتذكارا لتشييد الملك الكامل لهذه القبة نقش على العتب الخشبي للشباك البحري من الخارج سطران بالخط النسخ الايوبى نصهما :

١ « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذه القبة المباركة مولانا السلطان الملك الكامل محمد ابن مولانا السلطان الملك العادل ابي بكر

٢ « بن ايوب خليل امير المؤمنين خلد الله ملكه وذلك في يوم الاحد لسبع خلون من جمادى الاولى من سنة ثمان وستمائة (كلمة ممحوة) الله (كلمة أخرى ممحوة) »

وكتابة هذا النص ممحوة في بعض اجزائها. وفي هذا العهد لم يكن محمد الكامل سلطانا لمصر بل كان والده الملك العادل هو السلطان

وتاريخ نهاية العمل في القبة منقوش على بابين بخط نسخ أيوبي مشجر : احدهما ما يزال في قبة الامام الشافعي ومكتوب عليه في اربع حشوات ما نصه :

« الشافعي امام الناس كلهم في العلم والحلم والعلياء والباس »
« له الامامة في الدنيا مسلمة كما الخلافة في اولاد عباس »
« اصحابه خير اصحاب ومذهبه خير المذاهب عند الله والناس »
« وذلك لسبع خلون من جمادى الاولى سنة ثمان وستمائة »

والباب الآخر نقل الى جامع الامام الليث ومنقوش عليه الاشعار السابقة مع تغيير بسيط في التاريخ

« وذلك لعشر خلون من جمادى الاولى سنة ثمان وستمائة »

***

. بقيت هذه القبة ثلثمائة عام سليمة . ولم يرد ذكر لاصلاحها في كتب التاريخ لمتانتها ولانها مقامة على ارض صلبة لا يتسرب اليها مياه رشح النيل

وفي أواخر القرن التاسع الهجري اصلحها قايتباي وثبت لوحين من الرخام بالجدارين الشرقي والغربي على ارتفاع مترين من الارض نقش عليهما تاريخ هذا التجديد

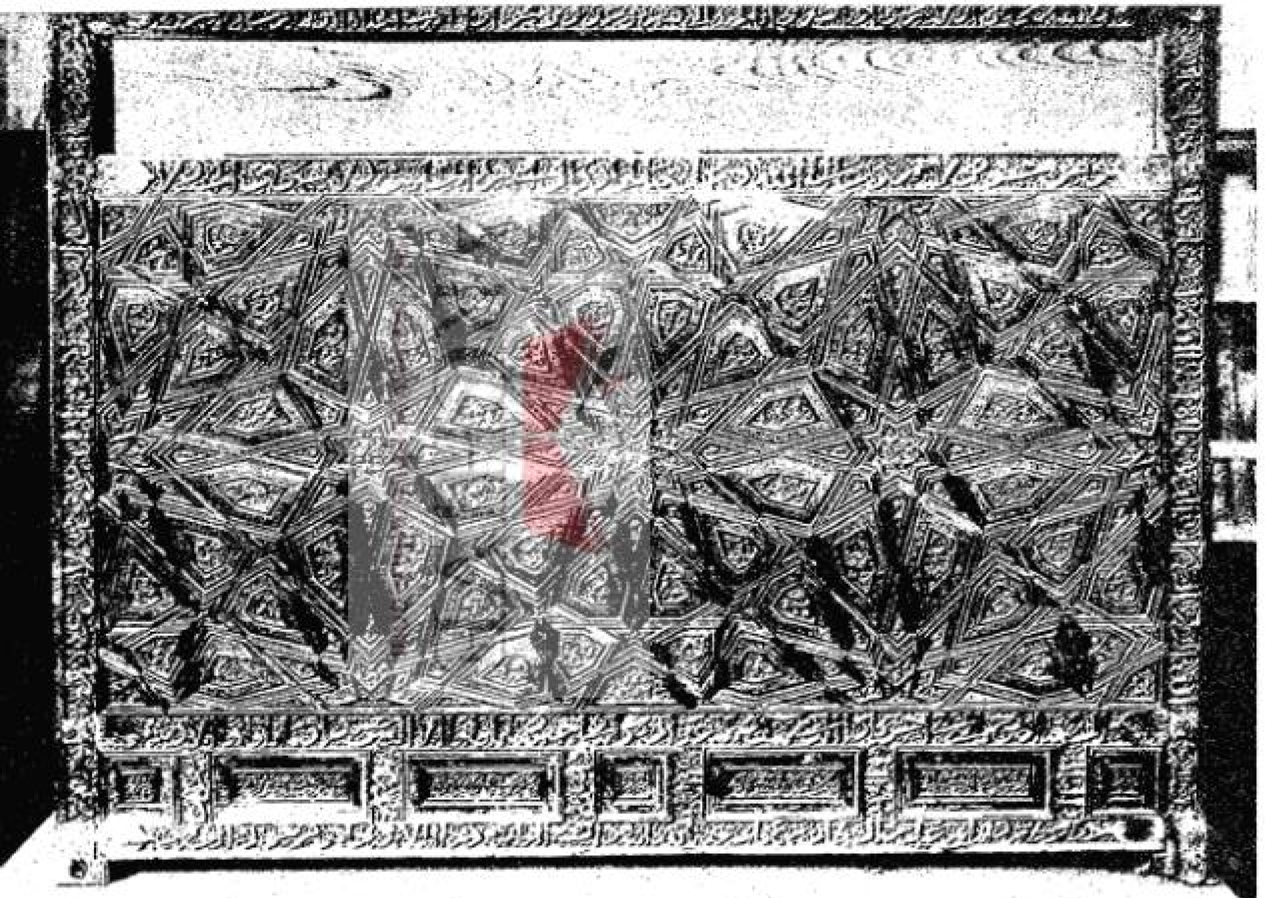
ويقول المؤرخون ان قايتباي عندما ارتقى عرش مصر في سنة ٨٧٢ هـ (١٤٧٨م) زار مشهد الشافعي وبعد هذه الزيارة بثلاثة عشر عاما أمر بتجديد القبة كما يتضح ذلك من النصوص التاريخية ولكن لم توضح لنا هذه النصوص ولا ابن اياس المؤرخ المعاصر لقايتباي ماهية هذا التجديد .وأمر الغوري بتجديد القبة كما يستدل على ذلك من لوح رخام ملصق على أحد جدران القبة من الداخل

***

بقي نص تاريخي واحد بقبة الامام الشافعي وهو سطر بالخط النسخ المنقوش بالبوية بلون ذهبي على أرضية خضراء قائمة يحيط برقبة القبة من الداخل. ونصه بعد البسملة وبعض آيات قرآنية هو :

« أمر بتجديد هذه القبة المباركة على التخصيص وتشييد افنان وضعها بفنون النقش والترصيص عزيز مصر وحاكمها من ثبت احكامه في اقاليمها ومعالمها المتوكل على الله مولانا القائم في الرعية بما يحبه ويرضاه على الاسم والقدر والجاه الحاكم بامر الله . ايد الله بالنصر لواءه وخلد عزه وبقاءه وخذل اضداده وأعداءه وبلغه قصده ورجاءه . انه الملك اللطيف ببركة صاحب هذا المقام الشريف. وذلك في افتتاح سنة ست وثمانين ومائة والف من الهجرة . ادام الله عزه ونصره . »

وهذا النص التاريخي هو أهم نص باق من العصر التركي وهو يوضح لنا شخصية عظيمة لما حواه



أحد جوانب تابوت
زوجة الملك العادل
أبي بكر

من ألقاب تدل على القدرة والفتوة والانتقام من الاعداء بنصر من عند الله. وقد اختفى الأمر بالجديد الذي نقشت من أجله هذه الالقاب اسمه بظرف وكياسة ولكنه ذكر التاريخ . وعلى كل حال فذكر التاريخ لا يفيدنا كثيرا لان هذا العهد كان حافلا بشخصيات كثيرة مثل على بك الكبير ومحمد بك ابو الذهب وأحمد باشا الجزار . وقد أنار لنا سبيل البحث ما كتبه الجبرتي عن هذا العصر فاليه يعزى الفضل في اثبات أن التجديد والنص عملا بامر من علي بك . ولسنا نريد انتهاز الفرص لنسرد تاريخ علي بك باجمعه بل نرى أنه ليس من العبث ان نثبت هنا تقدير الجبرتي لعلي بك ـ وهو مؤرخ معاصر له ـ ذلك التقدير الذي يفسر لنا بجلاء ما حواه النص التاريخي من عظمة وتفخيم .

قال الجبرتي عن علي بك : « إنه كان رجلا قوى المراس شديد الشكيمة عظيم الهمة لا يرضى لنفسه بدون السلطة العظمى والرياسة الكبرى لا يميل لسوى الجد ولا يحب اللهو ولا المزح ولا الهزل ويحب معالى الامور من صغره حتى انه قال مرة لمريديه « أنا لا أتقلد الامارة الا بسيفي » وكان يطالع كتب الاخبار والتواريخ وسير الملوك المصريين ويقول لبعض خاصته إن ملوك مصر كانوا مثلنا مماليك الاكراد مثل السلطان بيبرس والسلطان قلاوون وأولاده وكذلك ملوك الجراكسة وهم مماليك بني قلاوون إلى آخرهم كانوا كذلك وهؤلاء العثمانية أخذوها بالتغلب ونفاق أهلها

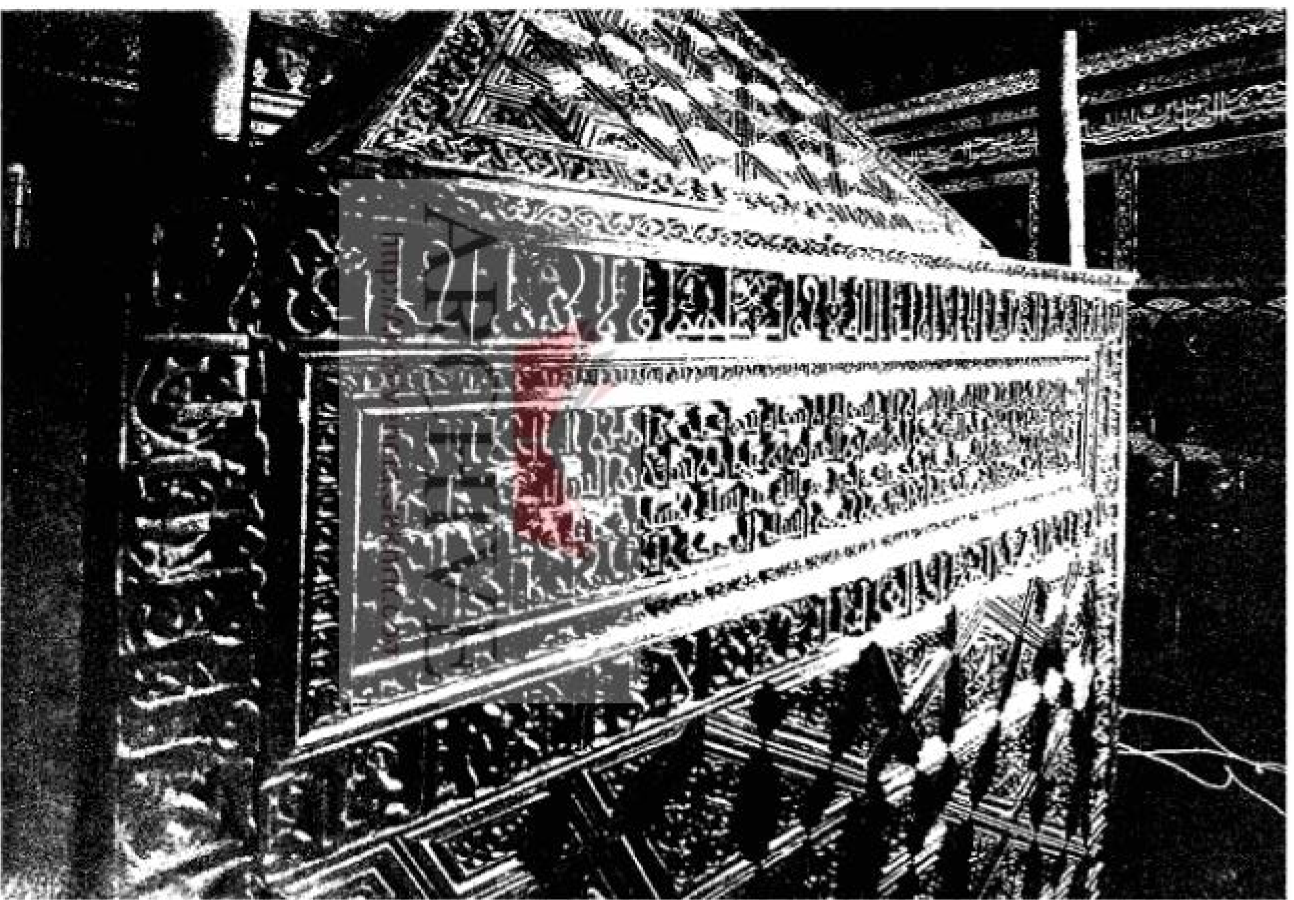
« وكان علي بك عظيم الهيبة اتفق لأناس ماتوا فرقا من هيبته. وكثيرا ما كانت تأخذهم الرعدة بمجرد المثول بين يديه . ولم يزل منفردا في سلطنة مصر لا يشاركه مشارك في رأيه ولا في احكامه »

وكتب الجبرتي فقرة أخرى تزيد الأمر ايضاحا قال فيها : « وإن على بك جدد قبة الامام الشافعي رضى الله عنه وكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الايوبي في القرن الخامس وقد صدىء لطول الزمان فجدد ما تحته من خشب القبة البالي بغيره من الخشب النقي الحديث ثم جملوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة وهو عمل كثير . وجدد نقوش القبة من الداخل بالذهب واللازورد والاصباغ وكتب بافريزها تاريخا منظوما بخط صالح افندى »

* * *

هذه هي البيانات القيمة التي وضحتها لنا النصوص التاريخية المنقوشة في قبة الامام الشافعي. ونرى تلخيصها لنستعرض ما ورد فيها من أسماء عظماء تاريخ مصر الاسلامي

فعند ما مات الشافعي دفن في مقبرة بني عبد الحكم الذين منهم أول مؤرخ لمصر الاسلامية . والبناء الحالي يذكرنا بصلاح الدين محيي السنة والمجاهد ضد الصليبيين الذين يشيدون بذكره اعجابا وتقديرا. ويذكرنا بالملك الكامل الايوبي وما جرى بينه وبين فردريك الثاني وفرنسوا. ثم يذكرنا بقايتباي الالمعي الميمون اسعد ملوك الجراكسة حظا واطولهم عهداً وابقاهم ذكرا. فقانصوه الغوري الذي بالرغم من شيخوخته تولى قيادة جيشه وهو ابن سبعين سنة وعرض حياته للخطر ايضمن أمان ملكه. وأخيراً يذكرنا بعلي بك الكبير ذي المطامع الواسعة والجهود الجبارة للاستقلال بمصر. وهو خير درس ومثال احتذاه محمد علي باشا الكبير فيما بعد . وكان علي بك رجلا فذا ينقصه تعليم آخر ومسرح أوسع لسياسته ومطامعه ليدهش العالم بحنكته ويبهره بكياسته



جانب من تابوت الامام
الشافعي عليه أربعة
سطور بالخط الكوفي
المشجر البارز تتضمن
نسب الامام الشافعي
وتاريخ وفاته



تغيير خارطة العالم
وخلق قارة جديدة

أهر سورجيل صاحب مشروع « اتلانتروبا » جالساً في مكتبه بعد المدة لاقامة المعرض الخاص بمشروعه لوصل اوربا بأفريقا . وقد كان الجزء الشمالي من قارة افريقا في عهد الرومان من اخصب بقاع العالم الى مدى سبعمائة ميل جنوباً من ساحل البحر الابيض . ويقول الثقات ان في الامكان تعمير ما مساحته ثلاثة ملايين كيلو متر مربع من قارة افريقا بالوسائل الحديثة وان هذا التعمير سيؤثر في جو تلك القارة ويجعله ملائماً للعمران

لو عددنا المشروعات الخطيرة التى أخرجها المهندسون إلى حيز الوجود منذ أقدم الازمنة حتى الآن ـ ومن أحدثها حفر ترعتى السويس وبناما ـ ماوجدنا بينها مايوازي المشروع الخطير الذي نحن بصدده الآن والذى إذا أخرج الى حيز الوجود سيحدث أكبر انقلاب أحدثه عقل الانسان في الكرة الارضية عمرانياً واجتماعياً واقتصادياً

ولطالما سمعنا بمشروعات انفتقت عنها مخيلة الانسان ثم أهملت ودفنت في زوايا النسيان ، كمشروع نفق المانش ومشروع نفق جبل طارق وغيرهما . وقد تكون العقبات المالية هي الحائل دون انجاز أمثال هذه الاعمال ، ولكن الاعتبارات السياسية أو الحربية كثيراً ما تكون هي الحائل الحقيقي وأمامنا الآن مشروع هندسى عظيم يقضي بتغيير شكل الكرة الارضية وجغرافيتها وبخفض قاع



صورة مجملة لمشروع « اتلانتوربا » ترى منها ان انخفاض مستوى البحر الابيض المتوسط يؤدي الى ظهور أراض جديدة في جنوبي اوربا وشمالي افريقيا فيخف الضغط عن تلك وتكثر وسائل العمران في هذه . ويظن الهر سورجل واضع أساس المشروع ان المانيا ستقوم بنصيب عظيم من العمل وتستفيد من المشروع فائدة عظيمة جداً

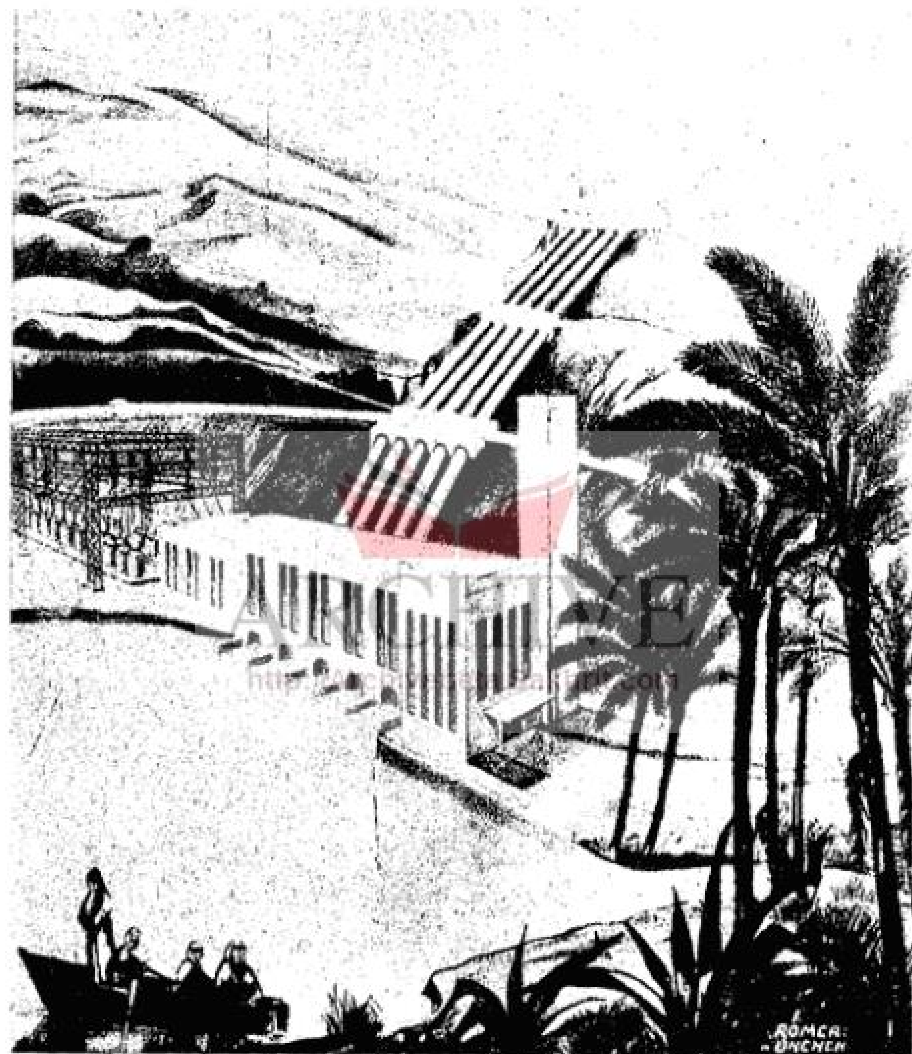
البحر الابيض المتوسط ووصل قارتي أوربا وافريقا عند بوغاز جبل طارق وبالقرب من جزيرة صقلية ومدينة تونس لكي يتسنى توسيع قارة أوربا وتكبير مساحتها لان خفض قاع البحر الابيض المتوسط يجعل الماء ينحسر فتنكشف الارض عن مساحات جديدة يمكن تعميرها وتخفيف الضغط الواقع على اوربا المزدحمة بالسكان

تبلغ زيادة عدد السكان في آسيا نحو عشرة ملايين نفس كل سنة . أما في اوربا فان الزيادة ضئيلة جداً نسبياً ، بل يكاد يصح القول بانه ليس ثمة أية زيادة في عدد سكانها . وسبب ذلك شدة ازدحام القارة الاوربية وعدم وجود متسع لأية زيادة . وفي الواقع ان متوسط الزيادة في الشعوب الشرقية توازي خمسة أضعاف متوسط الزيادة في الشعوب الغربية ، وشعوب افريقا من أكثر الشعوب الشرقية توالداً . ومع ذلك فان في القارة الافريقية مجاهل وصحارى لو عمرت لزادت موارد العالم الاقتصادية والمالية . وهذا الاعتبار وحده يكفي لحمل علماء الاقتصاد على التفكير في تعمير افريقا

ومما يجدر بالذكر أن الدلائل العلمية ، كبقايا النباتات والحيوانات المتحجرة وطبيعة الطبقات الجيولوجية في كلتا أوربا وافريقا ، تدل على ان هاتين القارتين كانتا في العصور الجيولوجية الخالية متصلتين معاً . وكانت القارة الافريقية في تلك العصور من أخصب بقاع العالم وأطيبها جواً وأكثرها نماء وأغناها موارد . وفي عهد الامبراطورية الرومانية كان شمال افريقية من سواحل البحر الابيض المتوسط إلى مدى سبعمائة ميل جنوباً ـ من أغنى البلاد وأكثرها خصباً . وتدل المباحث الدقيقة التي



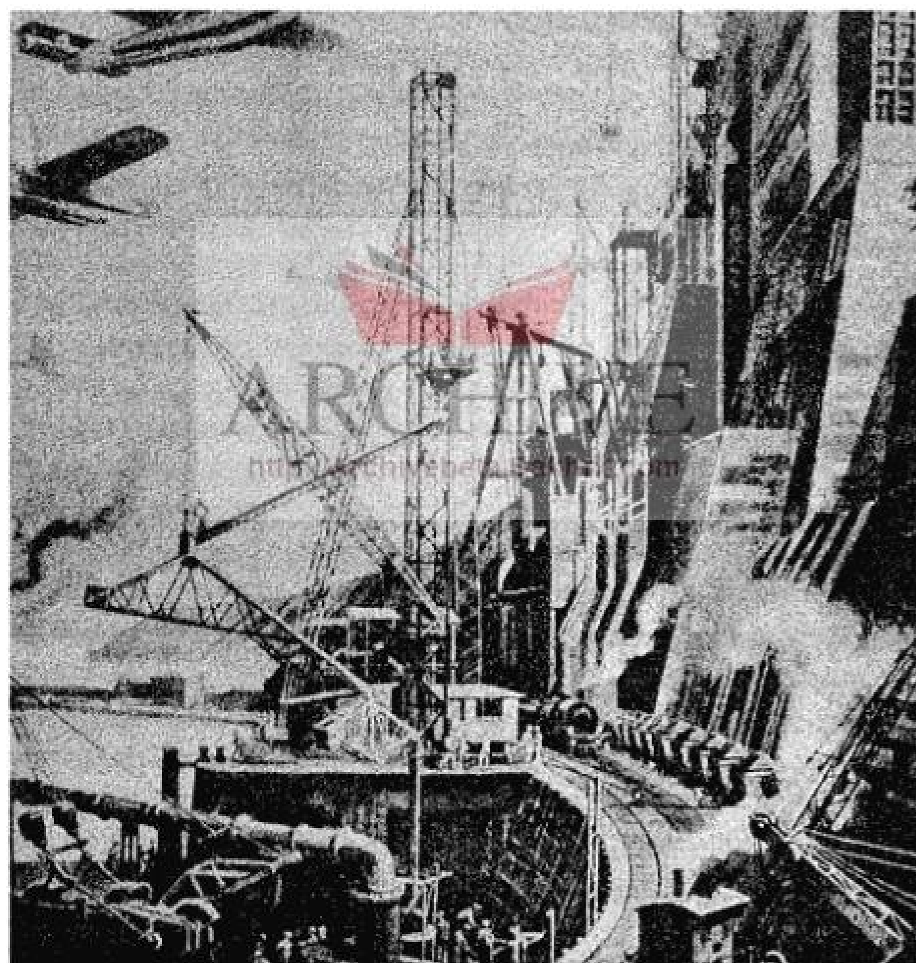
« تصميم » السد المراد انشاؤه لوصل قارتي اوربا وافريقا عند بوغاز جبل طارق . وبواسطة هذا السد والسد الآخر المراد انشاؤه بين جزيرة صقلية ومدينة تونس يستطيع الانسان أن يسافر من أية جهة في اوربا براً الى مدينة الكاب من دون أن يركب البحر دقيقة واحدة



طبوغرافية افريقا المقبلة بعد اتمام مشروع « اتلانتوربا » وترى فى هـذه الصورة الانابيب الهائلة التي يصب بواسطتها ماء البحر الابيض المتوسط في صحارى افريقا وقفارها فيكسبها خصباً ونماء بما ينشىء فيها من البحيرات وغيرها

قام بها فريق من علماء الاقتصاد على أن في الامكان استغلال نحو ثلاثة ملايين كيلو متر مربع من القارة الافريقية بالوسائل الزراعية الحديثة . ويؤكد الثقات أن في الامكان التحكم في جو تلك القارة وجعله معتدلا وملائما لتعمير مجاهلها حتى تزيد المساحات الصالحة لسكنى البشر

وليس في وسعنا ان نشرح تفاصيل المشروع الذي نحن بصدده ، وانما نقول على سبيل الايجاز ان واضعه شاب مهندس الماني يدعى هرمان سورجل وهو من اهالي مدينة ميونخ ، ويعاونه في مشروعه اربعون مهندساً من أشهر مهندسي العالم . وقد ألفوا شركة مركزها مدينة جنيف بسويسرا بقصد نشر الدعوة لهذا المشروع واخراجه الى حيز الوجود . وسيقام هنالك معرض لهذا المشروع . وقد

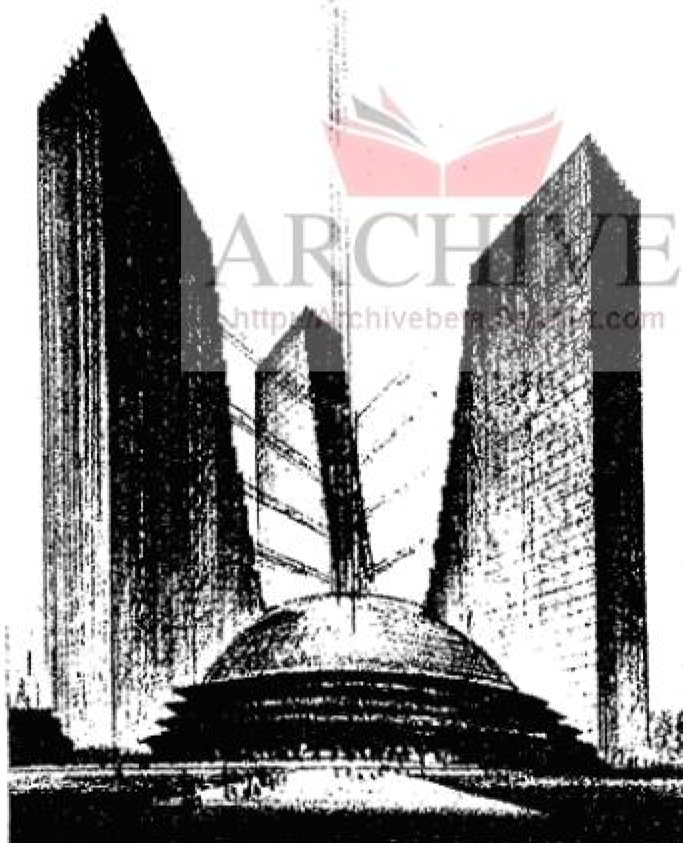


صورة معدة لمعرض « اتلانتوريا » الذي سيقام في مدينة جنيف . وهي تمثل السد المراد انشاؤه فوق بوغاز جبل طارق

اطلق عليه اسم مشروع « اتلانتوربا » - مختصر كلمتي اتلانتيك واوربا - ويعتقد انصاره ان في امكانهم الشروع في تنفيذه بعد زمن وجيز

يبلغ اتساع بوغاز جبل طارق نحو اربعة عشر كيلومتراً وربع كيلومتر عند نقطة تقابل اسبانيا ومراكش. وينوي الاستاذ سورجل انشاء سد كبير يصل قارتي اوربا وافريقا عند هذه النقطة بحيث يمر في السد ثمانية وثمانون الف متر مكعب من ماء الاوقيانوس الاتلانتيكي الى البحر الابيض المتوسط في كل ثانية على ان يحول هذا الماء وجانب من ماء البحر الابيض المذكور الى القارة الافريقية فتنشأ فيها البحيرات وتنقلب صحاريها اراضي خصبة ويؤثر في جوها تأثيراً كبيراً بحيث يجعلها صالحة للمعيشة

وسيحتوي السد المراد انشاؤه على محطات كبيرة لاستيلاد قوة كهربائية تكفي حاجات صحراء افريقا ولتنظيم ري القارة كلها



صورة أخرى معدة لمعرض « اتلانتوربا » الذي سيقام في مدينة جنيف وهذه الثلاثة الابراج تمثل أجتماع الفن والاقتصاد والسياسة في مشروع « اتلانتوربا »



خارطة بارزة لمدينة مسينا وما يحتمل أن تكون عليه من الشكل الطوبوغرافي بعد انخفاض مستوى البحر الابيض المتوسط وانحسار الماء عن الارض . وتعادل كل طبقة بارزة في هذه الخارطة ارتفاع خمسين متراً عن مستوى البحر

وسينخفض مستوى البحر الابيض المتوسط فيتقلص الماء وتنكشف اراض جديدة على سواحل اوربا وسواحل افريقيا وتظهر إلى الوجود اراض يمكن تعميرها وانشاء مدن كبيرة فيها . ويقول اصحاب المشروع ان هذه الاراضى ستكون من أخصب بقاع العالم واكثرها عمرانا وان في الامكان انشاء مدن فيها تضم الملايين من السكان

ولن يكون توحيد اوربا وافريقا في مصلحة العمران فقط ، بل في مصلحة النظم الاقتصادية والسياسية القويمة أيضا إذ يتسنى بواسطة هذا العمل مقاومة البلشفية التى يخشى أن تجرف اوربا من جهة الشرق وان يطغى سيلها على العالم أجمع

ومن فوائد هذا المشروع انه سيمكن الانسان من السفر من اوربا الى مدينة الكاب رأساً بطريق البر من دون أن يسافر بالبحر دقيقة واحدة ، وفى ذلك اختصار عظيم لطريق البحر الذى تجتازه السفن اليوم فى عدة اسابيع اذ هي مضطرة أن تسافر عن طريق رأس الرجاء الصالح

أضف الى ذلك ان القيام بمثل هذا المشروع يخفف من وطأة الضائقة المالية التى تجتاح اليوم العالم إذ يوجد عملا لمئات الالوف من العمال - لا للعمل فى انشاء السد فقط بل لصنع الآلات واستيراد المواد اللازمة للمشروع

وقد قلنا ان المشروع يقضى بوصل اوربا بافريقيا عند نقطتين هما بوغاز جبل طارق ونقطة تقابل جزيرة صقلية ومدينة تونس . وترى بعض تفاصيل ذلك في الصور المنشورة هنا

اثر المدنية العربية القديمة
في ثقافة مصر الحديثة
تتمة محاضرة الأستاذ محمد كرد على

نشرنا في العدد الماضي الجزء الاول من هذه المحاضرة القيمة . وهي اولى المحاضرات التي ألقاها الاستاذ الكبير محمد كرد على في قاعة يورت بالجامعة الامريكية بالقاهرة . وقد ألم في هذا الجزء بموضوع الفتح العربي وصلات العرب بمصر ، وتناول البحث عن روح الفاتح العربي وعن حالة البلاد المصرية في ذلك الوقت ، وعن سياسة الفتح التي ادت الى سرعة انتشار تلك الثقافة التي حملها العرب الفاتحون الى مصر . وفيما يلي الجزء الثاني من هذه المحاضرة

أصبح سكان مصر فى القرن الرابع أخلاطاً من الناس مختلفى الاجناس من قبط وروم وعرب وبربر وأكراد وديلم وتتر وأرمن وحبشان وغير ذلك من الأصناف والاجناس وجمهورهم القبط . واختلطت الانساب واقتصروا من الانتساب على ذكر مساقط رءوسهم . وفى هذا القرن كان القبط يتحدثون بالقبطية على رواية المقدسى . ولهم كما قال ابن حوقل البيع الكثيرة وهم أهل يسار وبهم قلة شر وكثرة خير . ويقول الظاهرى فى القرن التاسع ان بالصعيد من الكنائس والديورة قريب الف وغالب اهله نصارى أى اقباط

اذا عرفنا هذا فليس ما يمنع من القول ان بوتقة مصر فى الدول الاسلامية كانت تتمثل فيها العناصر الغريبة فتصبغها بصبغتها وتحيلها مصرية صرفة بعد جيل أو جيلين . وساعد على مزج الدخيل والاصيل فيها ورود النهى عن التفاخر بالجنسية والقومية وعدم التفاضل بين العربى والاعجمى الا بالتقوى . ومن مصطلح العرب ان كل من أقام ببلد ولو مدة وجيزة ثم مات فيه عد من اهله ونسب اليه . ولما كان ابن وادى النيل لبدأ بطبعه مولعاً بمائه وهوائه صعب عليه ان يهجره الى أقطار اخرى ليكثر سواد شعب غير شعبه . والمصرى منذ القديم لا يبغى عن مصر حولا فهو مغتبط بنيله عاشق تربته راض بما قسم له . فكأن مصر منذ عهد الفراعنة الاولين بلد استيراد أكثر مما هو بلد استصدار . ولولا فريضة الحج فى الاسلام ما خرج المصرى الى الحجاز ايضاً يفارق ما فى داره من النعيم المقيم

وكانت مصر فى الدول العربية بارباب الرحلات من المحدثين والفقهاء والادباء والعلماء اكثر اتصالا فكرياً بالاقطار الاخرى من معظم الامصار لتوسطها بين البلدان العربية ، وترسل الى الامصار الاخرى ما لا يكلفها حمله كبير عناء من بضائع علمها وفنها وتفكيرها . واذا هاجر أحد ابنائها فهجرته مؤقتة . والغريب قد تفتنه فيتخذها سكناً دائماً . وقد كثرت هجرة العلماء

اليها من اقطار الارض بعد القرن الثالث لان الفتن اندلع لسانها ولا سيما فى العراق والشام ، والعلماء احوج الناس الى السلام . وكانت مصر ساكنة هادئة بفضل من استولوا عليها فى ذاك الدور . ولما خرب المغول بغداد فى القرن السابع رحل العلماء منها الى مصر على نحو ما جرى لما استولى الاتراك على الاستانة فى القرن التاسع فرحل منها الى ايطاليا بعض علماء اليونان وكانوا من عوامل نهضتها . وفى رحلات المرتحلين من مصر واليها ضرب من ضروب تبادل الافكار . وكانت الجوامع تؤوى هذه الطبقات قبل ان تنشأ المدارس فى القرن السادس ، وما خلت بيوت العلية من الناس فى كل محلة ومنزلة من قبول النزلاء على الرحب والسعة ، والكرم ما انقطع من مصر فى دور من أدوارها ، ذلك لان المصرى كالعربى يعد الشح مثلبة وأى مثلبة

وفى قصة المرأة القبطية المشهورة مثال من هذا الكرم الفطرى . ذلك أن الخليفة المأمون مر بقريتها « طاء النمل » لما وافى مصر فسألته أن يقبل قراها ، ولما اعتذر بكت بكاء كثيراً وقالت : « لا تشمت بى الأعداء ولا تحرمنى هذا الشرف الذى توليتيه وعقبي » فنزل عليها برجاله وجيشه فاطعمتهم من فاخر الطعام ولذيذه وبعثت الى الخليفة فى الصباح بعشر وصائف مع كل وصيفة طبق فى كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وامرها باعادته فقالت: « والله لا أفعل » فتأمل المأمون الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال : « هذا والله أعجب وربما يعجز بيت مالنا من مثل ذلك » فقالت : « يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحتقر بنا » فقال : « إن فى بعض ما صنعت لكفاية ولا نحب التثقيل عليك فردى مالك بارك الله فيه » فاخذت قطعة من الارض وقالت : « يا أمير المؤمنين هذا (وأشارت الى الذهب) من هذا (وأشارت الى الطين) ثم من عدلك يا أمير المؤمنين وعندى من هذا شىء كثير » فامر به فاخذ منها وأقطعها عدة ضياع وأعفاها من بعض خراج أرضها

رأينا العرب ينقلون من دار اعرابيتهم أساس الثقافة العربية على نحو ماجروا عليه فى كل قطر فتحوه فيشخص اليها رجال القرآن والفقه والرواة من الحجاز واليمن وفيهم الجهمى والفهرى والتميمى والتنوخى والمخزومى والمزنى والعبسى واللخمى والقرشى والخزاعى والقضاعى والأزدى والحضرمى . ثم صار يغشاها الجرجانى والنيسابورى والمروزى والشيرازى والدينورى والسمرقندى والخوارزمى والبستى والطبرى والهمـــذانى والطوسى والجوينى والتبريزى والشهرزورى والقزوينى والغزنوى والهروى والخراسانى والنسائى والبلخى والبيهقى والاصطخرى والاهوازى والسيرافى والبغدادى والاربلى والكوفى والبصرى والموصلى والحرانى والواسطى والمصيصى والاسعردى والجزرى والماردينى والطرسوسى والتفليسى ، والدمشقى والحلبى والحمصى والبعلبكى والحموى والطرابلسى والنابلسى والصفدى والمقدسى والعسقلانى والصنعانى . ثم الغرناطى والقرطبى والقيروانى والفاسى والتونسى والسوسى والصفاقسى والصقلى والميورقى

والصنهاجي والتلمساني . فكان علماؤها والممتازون من رجالها من أصول عربية أو من المستعربة . وبعد حين صرت تسمع باسم الاسكندارنى والدمياطي والرشيدى والتنيسى والمحلى والاسيوطى والبويطى والاسوانى والطحاوى والطنطاوى والصدفى والبلقينى والبوصيرى والاخميمى والسخاوى والقلقشندى والاسنوى والاسنائى والصعيدى والقوصى والبحيرى والقليونى والطوخى والبيجورى والديروطى والشرقاوى والجيزى والجيزاوى والجرجاوى والدشناوى والدمنهورى والفيومى والقفطى والارمنتى والزنكلونى والمناوى والمنياوى والبلبيسى والابيارى والادفوى والحوفى والشنطوفى والقنائى والبهنساوى أو البهنسى والاشمونى والسمنودى ، الى غيرهم من الرجال الذين نسبوا الى مساقط رءوسهم ، فادركنا لأول وهلة انهم من صميم المصريين ؟

عرفنا أن الثقافة التى انتشرت فى مصر جمعت بين القرآن والسنة والشعر والأدب . ولما تعينت المذاهب انتشر فقه المالكى والشافعى ثم فقه أبى حنيفة والفقه الحنبلى ثم الفقه الاسماعيلى مذهب الفاطميين من آل البيت ، وانقرض هذا الفقه الشيعى فى أوائل عهد دولة بنى أيوب . وانتشر التصوف أكثر من الفلسفة وصرف الناس هممهم الى الدينيات وعدوا من فروعها التصوف ونابذ الفقهاء الفلاسفة . ولكن الامصار ما خلت فى عصر من الاعصار من مفتنين وحكماء لو وقع الينا كل ما دون فى هذا الشأن لعرفنا طبقة كبيرة من هذه الاصناف . فعندنا طبقات المفسرين والمحدثين والحفاظ والشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة والادباء والشعراء والاطباء والحكماء والصوفية ، وما سقطنا فى تركة السلف على طبقات المصورين والنقاشين والمهندسين والموسيقاريين ، بل عرفناهم بالشىء القليل الذى جاء عرضا فى الكتب الباقية التى ما كسرت عليهم . ولو كتبوا هم بانفسهم عن أبناء فنهم لاطلعنا من مخلفاتهم على أسرار فى هذه المدنية التى نمت عليها مصانعهم وتجلت بها هندستهم الجليلة وتراتيبهم التى ماخلت من ابداع ، وتم بذلك تاريخ التهذيب العربى وما انتج من بدائع وروائع . ولا يعقل ألا يترجم المفتنون لرجالهم . والغالب ان مدوناتهم فقدت فى جملة ما فقد من ثروتنا العلمية والادبية فى الفتن والثورات والعوامل الارضية والسماوية

ولو وقع الينا مادونه أرباب الصنائع والفنون كما انتهى الينا مادونه علماء الشريعة والادب والتاريخ لعرفنا جمهوراً نجهله . وكم من علم اندفن فى صدر ومن فن ماقدره الناس قدره فزهد الناس فيه . وهذه المصانع التى أبقت الايام على رسومها فى الفسطاط والقطائع وما فى جوارها من القاهرة المعزية من المدارس والجوامع والرباطات والمستشفيات ـ شاهدة بما ابدعت تلك العقول والانامل التى حملت شيئاً كثيرا من العلم والعمل . وقد اشتركت الطوائف الدينية الثلاث فى إخراجها للناس وكان سواد الاطباء والمنجمين والمهندسين من غير المسلمين وخاصة من اليهود

بادىء بدء ، فاصبح سوادهم الاعظم من المسلمين فى الادوار التى كثر فيها من انتحلوا الاسلام

أخذ القوم فى القرن السادس ينشئون المدارس ينزلون فيها كل من يحب طلب العلم ويغدقون على الدارسين والمدرسين مايقوم بهم على حد الكفاية ، بدعة حسنة ابتدعها عقل صلاح الدين بن يوسف بن أيوب صاحب مصر والشام ، وكثرت المدارس بعد ذلك حتى لاتكاد تخلو منها الحواضر الصغيرة ، وضاع كثير من أخبارها فى جملة ما اتت عليه الايام . فقد كان فى قوص فى القرن السابع ستة عشر مكانا للتدريس وبأسوان ثلاثة وباسنا مدرستان وبالاقصر مدرسة وبارمنت مدرسة وبقنا مدرستان . لاجرم انه كان فى المدن الاخرى كالاسكندرية وبلبيس ودمنهور وغيرها مجالس ومدارس لطلاب العلم الدينى ، وعلوم العربية تابعة له ومعينة على تفهمه .

وانشأ الحاكم بامر الله الفاطمى فى سنة ٣٩٥ دار العلم أودار الحكمة فى القاهرة فجلس فيها القراء والفقهاء والمنجمون والنحاة وأصحاب اللغة والاخبار ورتب فيها قوما يدرسون الناس العلوم وسبل عليهم خزانة فيها كتب عظيمة فيها من كل فن خبر . وكان من جملة مايعلم فيها الطب والرياضيات والمنطق وبقيت نحو ١٧٥ سنة عامرة . وعاد الافضل فى آخر أيام العبيدين فاسس دار العلم سنة ٥٧١ واستخدم فيها مقرئين ولم تزل عامرة الى انقراض الدولة الفاطمية . وكان القائد جوهر الصقلى فاتح مصر باسم الفاطميين انشأ الازهر فاصبح منذ عهدهم الى اليوم مصدر العلوم الشرعية ومباءة الآداب . انشأوه لنشر التشيع وظل على ذلك طول أيامهم ، وكان غرامهم كثيراً فى الدعوة لمذهبهم تقرأ على رئيسه ـ ويسمونه داعى الدعاة ـ كتبهم بدار العلم وطبيعى أن يتبع تعليم المذهب تلقين العربية على اصولها

وغبر الناس فى مصر يستفيدون من كل ماتأتيهم به الدولة الحاكمة . والواقع ان كل دولة حكمت مصر ولوحقبة صغيرة من الدهر ابقت اثراً من آثار غيرتها على العلوم والصنائع وعنيت بنشر الآداب . يتراءى ذلك من النظر الى المصانع والآثار وما دون المدونون من تاريخ وأخبار . وكان غرامهم ظاهراً بانشاء المساجد . وقد ضاقت مرة بيوت الاموال من مال الخمس فى مصر فصدر أمر الخليفة ببناء المساجد واستغنى الناس أيام كافور الاخشيدى ولم يجد أرباب الاموال من يقبل منهم الزكاة فأمرهم أن يبنوا بها المساجد ويتخذوا لها الاوقاف . وما كانوا يغفلون مع هذا عن بناء القناطر والجسور والعمائر النافعة لجلب السعة الى المصريين ولئلا يقل الارتفاع اذا اهمل امرها . وبعد فمن كان يظن ان دولة الايوبيين التى خلقت وماتت فى الحروب الصليبية وبها كانت الشام ومصر فى أمر مريج ـ تعنى أيضا بالعلوم والصناعات واعمال العمران ؟ هذا والدولة فى حالة تقلقل عظيم لدفع صائل أهل أوربا عن هذا القطر والديار الشامية

وقد وصف ابن جبير فى القرن السادس مفاخر الاسكندرية وعد منها المدارس والمحارس أى الابراج الموضوعة فيها لاهل الطلب والتعبد يفدون من الاقطار النائية فيلقى كل واحد منهم

مسكناً يأوى اليه ومدرساً يعلمه الفن الذى يريد تعلمه. قال : « واتسع اعتناء السلطان أى صلاح الدين بن أيوب بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى امر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا الى ذلك ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم » وقال فى كلامه على مصر والقاهرة : « وما منها جامع من الجوامع ولا مسجد من المساجد ولا روضة من الروضات المبنية على القبور ولا محرس من المحارس ولا مدرسة من المدارس إلا وفضل السلطان يعم جميع من يأوى اليها ويلزم السكنى فيها تهون عليه فى ذلك نفقات بيوت الاموال وانه امر بعمارة محاضر الزمها معلمين لكتاب الله عز وجل يعلمون ابناء الفقراء والايتام خاصة وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم » وذكر غيره انجامع مصر كان غاصاً بينالعشاءين بحلق الفقهاء وأئمةالقراء وأهل الادب والحكمة، ولا ترى اجل من مجالس القراء به وان هذه المجالس كثيرة وربما لايكاد يخلو مسجد كبير من مجلس يسمع فيه الناس علماً وحكمة وعظة. ويقول المقدسى فى الفسطاط : انه ليس فى الاسلام أكبر مجالس منجامعه وانه معدن العلماء وان نغمة أهل مصر بالقرآن حسنة

بل من كان يظن ان دولتى المماليك البرجية والبحرية ـ وفى ادارتهما بعض العهدة ـ تعنيان بالآداب والمعارف على مثال الدول العربية السالفة، حتى كثرت فى ايامهم المدارس والجوامع والترب كثرة عجيبة وارتقى فن البناء وظهرت علائم الترف وكثر المؤلفون والباحثون وزادت علاقات مصر بدول الغرب وعلاقاتها بدول الشرق. نعم فى ايامهم تنافس الامراء فى تشييد الزوايا وكانت كل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقراء. وفى عهد بعض ملوكهم تنافس الامراء والكبراء فى بناء المساجد وزادوا وغلوا لأن أمير الوقت كان يغلب عليه الصلاح، وحبيب الى قلبه ان يرى ذلك من رعيته ورجاله، والناس على دين ملوكهم. وما نراه فى بعض الاحياء القديمة فى القاهرة من قيام الجامع الى جانب أخيه هو أثر من آثار هذه العناية ولو كان اجتمع جماعة على بناء الجامع الواحد بدل اختصاص كل فرد بعمله لجاء العمران فى مصر وغير مصر صورة عظيمة من صور التضامن الاجتماعى ولكتب البقاء للمصانع الكبرى أكثر من غيرها

وأكثر ما نفع مصر فى علها وجعل لمعظم مظاهر العقل فيها مظهراً خاصاً انها تمتعت من العهد الاموى والعباسى بأجمل ايامهما، وكان لها ابداً شبه إدارة خاصة، ولطالما نزعت الى الاستقلال الجزئى أو الكلى. وباستقلال ابن طولون بها عمرت عمرانا غريباً ما عهدته منذ قرون. ومن أهم ماحفظ لمصر شخصيتها وأبقى عليها آثارها قيام صحراء التيه فى طريقها الى بلاد الشرق، فتحامى كثير من الفاتحين اقتحامها من البر وكان من الصعب اقتحامها من طريق البحر فى عصور سفن الهواء. ومن سعادة مصر أن بيت المقدس بعيد عن حدودها فما غزاها الصليبيون مائتى سنة لاستخلاصه كما وقع فى الشام. ومن حسن الطالع ايضا ان اشرار الفاتحين امثال جنكيز وهولاكو وغازان وتيمورلنك ما حدثتهم انفسهم فى التقدم لاحتلالها فنجت من

تخريبهم على ما خربوا كل بلد نزلوه من بلاد الاسلام فى القرن السابع والثامن والتاسع

وأبت الأقدار الا أن تساهم مصر بأخرة سائر الأقطار العربيـة فى حظها من الفاتحين لجاء سليم الأول العثمانى المدعو بالجبار (ياوز) من طريق صحراء التيه يضرب على أيدى المماليك فيها . وكانت نفوس المصريين قد سئمت أحكامهم أواخر أيامهم ونمى الى المصريين من أخبار الدولة العثمانية ما يغرى بها ، فعلقوا على انضمام مصر الى الأتراك آمالا طوالا . بيد أن الاحتكاك بالترك العثمانيين أظهر ان طبيعة المغول واحدة لانهم والترك من جنس واحد ، وهؤلاء لايفضلونهم إلا لأنهم دانوا بالاسلام . بيد أنهم تحاموا تخريب البلاد التى يحتلونها على الغالب ، فلا يتحرجون من إدخال الوهن على مقوماتها . فقد عمل السلطان سليم فى هذا القطر أعمالا نابيةعن حد الانصاف . ومن أهمها أنه أخذ الى القسطنطينية الممتازين من رجالها والنابغين من أرباب الصنائع فيها فبطلت فيهـا خمسون صنعة . هذا الى ما حمله معه من ذهبها وجواهرها وعادياتها وكتبها وأعلاقها . واتفق قبل فتحه أن وفق البرتقاليون الى الطواف حول افريقية ففتحوا طريق رأس الرجاء الصالح وحولوا تجارة الشرق عن مصر وكانت سوقها الكبرى دهراً طويلا ، وبحر القلزم أهم منفذ لها . وكان من هذا الاختلاط والتمازج مع أهل الأقطار الأخرى فائدة لمصر ، فلما ضعفت تجارتها افتقرت . وكان من عوامل التقهقر أيضاً انتشار الأوبئة كل مدة لا تبقى من الناس ولا تذر ، ولئن قلت زلازل مصر فما أكثر ما كانت طواعينها الجارفة !

كانت الحكومات التى سبقت العثمانيين بأجمعها ــ مهما كان لونها ــ تفكر فى خير مصر لأنها تأكل منه وتستمتع به ، فتعطف على رجال الأدب وحملة الشريعة وتنشط الصناعات والتجارة والزراعة . ومنذ فتح الفاتح مدينة القسطنطينية حاول أن ينشىء له مدينة اسلامية تضاهى على الأقل مدينة مصر فى عهد المماليك فأخفق لأن استعداد أمته للصناعات العلية والعمليـة كان ضعيفاً وأمته حربية صرفة . وربما عد الأتراك اعمال اليد والفـكر مما لا يتناسب مع عظمة الأمة الحاكمة فتركوا العناصر الاسلامية وشأنها تنتج وهم يتمتعون

وما كان هم الدولة الوحيد فى مصر غير جمع المـال من رعاياها واغناء طبقة خاصة من رجالها كما كان من رجال رومية على عهد دولة الرومان . فتركت القطر غرض الرماة من الولاة . وكثيراً ما كانت تنصبهم أشهراً قليلة لئلا يخرجوا بطول الزمن عن طاعتها . ومن كان منزله منزل قلعة كيف يتسع له الوقت ليفكر فى اصلاح مختل وايجاد مفقود ؟ هذا إن كان على استعداد لعمل الخير للناس . وظل بقايا المماليك على كثرة من قتل منهم فى الفتح العثمانى حكام مصر بالفعل . ولا تكاد تقع فى أهل هذه الدولة الأعجمية على شىء اسمه ثقافة أوأدب أو عمران ، واضمحل فى عهدها كثير من شخصيات الأمم ، وأصبحت المدارس اصطبلات ودوراً وبطل التدريس واستصفيت الوقوف التى حبسها عليها أهل الاحسان من الملوك والأمراء والاغنياء

وانحط الازهر فى أيامهم ، ورفع منه معظم ما يفتح الذهن ، وشيبت العلوم الدينية بما لم يكن فيها فضلت الافهام لزهد العلماء فى كتب الاقدمين السهلة الواضحة وتعلقهم بكتب المتأخرين. وسقط الشعر الى الدرك الاسفل وأمسى النثر ابرد من عضرس وآض الطب والهندسة وسائر الفنون اسما بلا مسمى

نعم ضعفت الآداب حتى ما تكاد تعد مصر بعد القرن الثامن من الشعراء من يجدر بالناس أن يتناقلوا كلامهم وفسدت الكتابة بالسجع السخيف . وفى الكتب نموذجات من كل عصر لا ترضيك منها السلطانيات ولا الاخوانيات ، اى ما صدر عن الملوك والامراء وما صدر عن الافراد من الادباء. وعلى تلك النسبة انحطت الخطابة وكان لها فى عصور الارتقاء مواسم جنية الثمرات تنفع فى رفع مستوى العقول فى الاخلاق والسياسة ومعظم المظاهر الاجتماعية ، فأصبحت فى هذا العهد عاملا من عوامل الزهد والتوكل وتسويد الدنيا فى وجوه من يسمعونها وتعليمهم الرضى بالدون من العيش ، فأماتت الهمم ونزعت الشمم ولقنت الناس منازع لو سار عليها المسلمون فى قرونهم الاولى لما أنشأوا مدنية جميلة ولا أسسوا ملكا ضخماً

وتخدرت الاعصاب فوهنت المدنية ، وهل المدنية غير ابنة الاعصاب القوية ؟ وذلك بما انتشر فى أرجاء القطر من اهواء جديدة علمت الناس الكسل وأبعدتهم عن حياة العمل وراجت الخرافات والترهات واعتقد من اعتقد بالكرامات والاستمداد من اهل القبور والنذر لها والاجتماع حولها بما لم يعهد له مثيل فى البضعة القرون الاولى للاسلام ، كأن المتأخرين عرفوا من روح الدين ما لم يعرفه جماعات الصحابة والتابعين وتابعوهم وبطل حكم العلوم المادية وما عادت الآداب تنفع فى إنارة الافهام وتحسين حال المجتمع وخلت ممن يستحسنها او يستهجنها ، وممن يقرها أو ينقدها . وغدا الناس لايتفاهمون فى مصالحهم الجزئية مع عمالهم إلا بواسطة التراجمة وأصبح القضاء تركياً والادارة تركية والروح تركياً ومئات الالوف من أهل مصر لانقض لهم ولا ابرام فى تراتيب بلادهم وموارد حياتهم

يقول مؤرخو الترك ان السلطان سليما فاتح مصر وبلاد العرب كان ينوى أن يجلى غير المسلمين عن بلاده بحيث تصبح اسلامية صرفة فمنعه من ذلك شيخ الاسلام زنبيلي على افندى وقال ليس لك أن تزحزحهم عن أرضهم ولا حق لك فى غير الجزية منهم ، وانه كان من أمانى هذا السلطان ان يجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية ولكن الاجل لم يساعده على إنفاذ أمانيه لما شغل به مدة حكمه من الحروب والغارات . ومهما أحسن الظن بما كان من نيته فالعبرة باخراج أمانيه من حيز القول الى ميدان العمل . ولو بدأ على الاقل بان يكتب أوامره الى البلاد العربية بلغتها لقلنا انه يمهد السبيل لما يرى فيه سلامة الدولة والامة ، وإلا فالتفكرات كثيرة والمناهج لاحد لها . وقد يبيت آحاد الناس افكاراً جيدة لاتعد فى معرض العمل إلا من عالم الخيال ، وبعض افكار العامة أيضا اذا طبقت كانت شيئاً مذكوراً

وما زالت حال القطر المصرى الى تقهقر خلال القرون الثلاثة التى حكمت الدولة العثمانية فيه مباشرة حتى قيض له رجل اعجمى صحت عزيمته على تأسيس مملكة عربية . عنينا به محمد على الكبير . وسار فى ملكه بسيرة من ملكوا فى الاسلام من أجناس الترك والشركس والكرد والبربر والفرس والديلم ، أى انه لم يتخذ غير العربية لغة وترسم خطى من سبقوه الى حكم مصر من غير العثمانيين ، وعنى عناية خاصة بنشر الثقافة الغربية بنقلها عن فرنسا وغيرها فاحيا ربما كادت تفنى وادخل روحا الى جسم علق يبلى . والعلم مذ كان محتاج الى العلم ، فالتهم المصريون العلوم المادية التى اتاهم بها المصلح الجديد . وما قاوم رجال الدين التيار الطارىء الذى انساب اليهم فاغضوا عما لم يستحسنوه كثيراً فى باطنهم ، خلافاً لما كان من جماعة انتظموا فى مثل سلكهم فى فروق عاصمة الخلافة ، فانهم قاوموا الطباعة وافتى بعضهم بتحريم طبع القرآن وقاوموا العلوم المادية وحظروا تعلمها وقاوموا اللباس الغربى والطربوش كما كانوا من قبل حرموا القهوة والدخان ، فقتل فى هذه السبيل أولا وآخرا الوف من الخلق . والعربى على مايظهر أكثر الشعوب الاسلامية تسامحا وحرية ، وان كان العرب وما زالوا منذ عصر صاحب الرسالة دعاة الدين وامناءه ، وتسامحهم مع من يخالفهم موضع العجب

دخل الاصلاح ديار مصر يتناول أكثر الفروع والمظاهر فشغل المدنيون ببث ثقافتهم والحكومة من ورائهم تحميهم وتنصرهم . ولم ير الدينيون بعد قليل من التلكؤ إلا ان يسايروا الزمن ورضوا أن يدخلوا فى انظمتهم وتراتيبهم شيئاً من الجديد المفيد ، ونبذوا أوكادوا ماوضع من الكتب فى عصور الانحطاط الفكرى ، وانشأوا يطبقون مفاصل الاصلاح على طرائقهم ببطء وتأن ، وفتحوا السبيل الى ان يتذوق طلاب العلم الدينى لماظة من العلوم التى دعوها بالعصرية وكان الاولى أن تسمى بالعلوم القديمة كالرياضيات والطبيعيات والفلك والتاريخ وتقويم البلدان . فخرج من الازهر وسائر المعاهد الدينية فى القطر علماء تعلموا فى الجملة على غير الطريقة التى كانوا يمارسونها قبل ثلاثة اجيال وكانت تضعف العقل وتثلم الحواس

وكان الفضل الاعظم فى ايجاد هذه المجموعة الجديدة من الثقافة واحياء الآداب العربية لمدارس الحكومة على اختلاف درجاتها حتى يصل الطالب الى الجامعة . وأخرجت دار العلوم تلاميذ كان منهم اقدر العلماء والادباء . ويحمد ايضا قصد المدارس الخاصة التى تؤهل طلابها للحياة الحرة . لاجرم ان وزارة المعارف منذ تأسيسها لم تأل جهدا فى تحقيق رغبتها فى نشر العلم . ولذلك كانت تساير الزمن فى نشوئها وارتقائها . ومنذ انتظم امر البعوث الى مدارس الغرب ترسلها الحكومة أو الافراد دخلت ثقافة مصر فى طور جديد واصبح فريق الدينيين وفريق الدنياويين لا ينظر كل منهما الى صاحبه النظر الاول ، وربما اضمر الواحد للثانى حرمة وحدثته نفسه لو شاركه فى كل ماوعى ودرس . وقام فى مصر ارقى رجال العهد القديم الذين تخرجوا

بالتعاليم الدينية، وارقى طبقة من رجال العلم الحديث ثقفوا احدث الاساليب الغربية واستساغ كلاهما طريقته وقام بقسطه من تربية ابناء مصر، وتوشك ألا تبقى ناحية من نواحي العلوم والفنون لم يعالجها المصريون ويبرزوا فيها بقدر ما سمحت قرائحهم وساعدهم انتباههم، واصبح الاخصاء ـ وهو العلة الاولى فى ارتقاء العلم فى الغرب ـ مما يحرص على الاخذ به المتعلمون وكان من يطلق عليه اسم العالم فى القرون الغابرة تنفة يدعى معرفة كل شىء ولا يكاد يتقن مسألة من المسائل

ومن نظر اليوم فى المدارس على اختلاف درجاتها وعارضها بما كان من نوعها منذ جيلين من الناس، وأمعن النظر فيما تخرج اليوم من الطلاب المجهزين بأجمل جهاز عقلى، وما كان يصدر عن المؤلفين والكتاب والشعراء من الآثار وما يخرجون للناس منها لعهدنا، وما كانت عليه الصحافة المصرية زمن الخديو اسمعيل وعهد ابنه الملك فؤاد الاول، وكيف كادت صحافة مصر فى هذه الاعوام القليلة تضاهى صحافة الامم التى بدأت بالنهضة منذ أربعة قرون ـ من رأى هذا يسجل فخوراً بأن قرناً واحداً تخللته فترات وهجعات كفى هذا القطر بان يصطنع له ثقافة فيها كل الخير لحياة مصر فى مادياتها ومعنوياتها

الجوامع والبيع والمدارس والمحاكم والاندية والصحافة ودور التمثيل والغناء غيرت لهجات القوم حتى قربت اللغة العامية من الفصحى قرباً غريباً. وليت اديسون اخترع الحاكى فى القرن الماضى فحفظت انا فى اسطواناته لهجة الناس منذ مائة سنة لتقارنها بلهجتهم اليوم ونستمع كيف كانت أحاديثهم فى المجالس والمدارس ومواعظهم فى الجوامع والكنائس وخطبهم فى الاندية وقضاؤهم فى المحاكم. وعسى ألا ينقضى جيل أو بعض جيل حتى تصبح لغة التخاطب كلغة الكاتب . والكمال فى ذلك مضمون كلما تسلسل الترقى فى أبناء مصر واستوفوا نصيبهم من المعارف ودأبوا على التحصيل والاتقان، حباً بالعلم للعلم لا رغبة فى نيل الشهادات والالقاب ثم اعتلاء المناصب فقط . وعندها يجلون عن أنفسهم ويقنعون من كانوا الى أمس ينكرون ـ بعوامل جنسية أو دينية أو سياسية ـ فضل المصرى فى تقدمه أشواطاً فى طريق الحضارة العالمية

وبعد فلا علينا ـ وقد أجملنا الادوار التى تقلبت على ثقافة مصر ـ ان نوجز فى تعريف هذه النهضة الحديثة التى تمت فى ظل الدولة العلوية وفضل من اختارتهم من خيرة المصريين . وما جماع ما يقال فيها الا انها اصلاح ثقافة قديمة واقتباس ثقافة حديثة ضمت الى جملتها، فكانت سيرة الدولة المصرية فى هذا الشأن سيرة الدولة العباسية فى أول أمرها، ارتقت فيها العلوم النقلية والعلوم العقلية معاً، نظرت فى عامة علوم الدين وما ينبغى لها ، واقتبست علوماً مادية كانت راسخة عند من تقدموها فى الاخذ بمذاهب الحضارة، فصح ان تدعى الثقافة المصرية الآن ثقافة عربية غربية اسلامية ، تحس فيها روح العرب وروح الغرب وروح الاسلام وفيها أثر حكمة القدماء والمحدثين ومن كل معنى طرب

دار الحكمة المصرية

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

في هذا الفصل يجد القارىء خلاصة وافية لتاريخ دار الحكمة المصرية الفاطمية ومجالسها الشهيرة ، وشرحاً لنظم الدعوة الفاطمية ومراتبها ، ووسائل بثها على يد داعي الدعاة ورسله

يبعث استعراض العصر الفاطمي فى مصر الى كثير من التأمل ، فهو على عظمته وقوته لايزال كثير الغموض ، بينما تراه فى بعض المواقف يسطع بهاء ووضوحاً وقوة ، إذ تراه في مواقف أخرى قاتماً قليل الوضوح كثير الريب . ويبدو ذلك بوجه خاص فى نواحيه الدينية والمعنوية ، فهنا تعرض من آن لآخر ظلمات يصعب استجلاؤها . ويرجع ذلك بلا ريب الى أننا لم نتلق الكثير من مصادر هذا العصر وتراثه ، وان هذا التراث قد عصفت به يد الحكومات والدعوات الدينية الخصيمة التى قامت على انقاض الدولة الفاطمية

وقد لا نجد فى تلك المرحلة العظيمة من تاريخ مصر — وهى مرحلة امتدت أكثر من قرنين — أغرب وأغمض من عصر الحاكم بأمر الله (٣٨٦ — ٤١٠ هـ و ٩٩٦ — ١٠٢٠ م) ثالث الخلفاء الفاطميين فى مصر ، وولد العزيز بالله وحفيد المعز لدين الله . ومع أننا تلقينا الكثير عن سيرة الحاكم ، فان هذه الشخصية العجيبة مازالت تبدو شديدة الخفاء والغموض ، تكتنفها الاسرار من كل ناحية . وإذا كنا نستطيع أن نستخلص من أعمال الحاكم وتصرفاته الغريبة المتناقضة ، أنه كان ذهناً وافر الاقدام والجرأة ، ولكن وافر الاضطراب والتناقض ، مضطرم النزعات والاهواء ، مختل المنطق ، فانه يصعب علينا من جهة أخرى أن نستخلص حقيقة البواعث والعوامل التى حملت هذا الذهن الهائم الى ذروة الخفاء والشذوذ ، وأملت عليه تلك الاعمال والتصرفات العجيبة التى قلبت المجتمع المصرى رأساً على عقب ، وبثت فيه كثيراً من بواعث الدهشة والروع

بيد أن هنالك حقيقة نستطيع أن نلمسها وراء هذه الحجب القاتمة ، وهى أن الحاكم بأمر الله كان يعمل لغاية جوهرية عملت لها أسرته دائماً ، وهى تقوية الدعوة الشيعية التى قام عليها ملك الفاطميين السياسى ، وكانت هذه الدعوة حديثة بمصر . ولما كانت مصر قد غدت منزل الفاطميين ومثوى ملكهم ودولتهم ، فيجب أن تغدو مركز الدعوة الشيعية الفاطمية ومنبرها ، ويجب أن تقوى هذه الدعوة وتدعم بكل الوسائل السياسية والفكرية . ولم يكن اعتماد الفاطميين فى بث دعوتهم على سلاح التشريع قدر اعتمادهم على الدعاية السرية وغزو الاذهان بطريقة منظمة ، لانه إذا كان التشريع وسيلة لسيادة الكافة ، فان الدعوة المنظمة هى الوسيلة لغزو الاذهان المستنيرة . وقد كانت الدعاية السرية وسيلتهم الى تبوء الملك ، فلما ظفروا بالملك رأوا أن يستمروا فى الدعوة السرية الى

جانب الوسائل السياسية ، فكان لهم دعاة فى سائر الاقطار الاسلامية ، وكانت مصر مركز هـذه الدعوة ومجمعها . ومن الغريب ان يكون الحاكم بأمر الله ، ذلك الذهن المضطرب الهائم هو أول من فكر من الخلفاء الفاطميين فى انشاء معهد رسمي منظم يعمل لبث الدعوة الفاطمية السرية ويكون مركز الدعاة ومرجع الوحى والتوجيه

هذا المعهد الغريب الفذ فى صحف الدعوات السرية الاسلامية ، هو دار الحكمة المصرية أو دار العلم ، انشأه الحاكم بأمر الله فى جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هـ (مارس سنة ١٠٠٥ م)ـ وكانت الدعوة الفاطمية تلقى قبل ذلك بطريقة رسمية علنية على يد قاضى القضاة . فكان يجلس بالقصر ويهرع اليه الناس أفواجاً حاشدة لتلقى الدعوة والدخول فيها . وكان يخصص يوم للرجال ويوم للنساء من الكافة ، ويخصص يوم لابناء الطبقات الرفيعة . ولكن الحاكم رأى ان تكون هذه المجالس أوسع مدى وأن تنظم فى سلك حلقات دينية وعلمية متصلة يجمعها معهد رسمي واحد ، فأنشئت دار الحكمة . ولهذه التسمية مغزى يدل على الاتجاه الفلسفى الحر الذى أريد أن تتخذه هذه المدرسة أوبالحرى هذه الجامعة التى كانت تضم عدة حلقات وكليات علمية . وأفرد لدار الحكمة جناح كبير بالقصر الفاطمى ، وعين فيها أقطاب الاساتذة ، وقسمت الى مجالس للقرآن والفقه واللغة والطب والتنجيم . وأنشئت لها مكتبة عظيمة للدرس والمراجعة ، ورصدت للانفاق عليها اعتمادات ضخمة . وكان التعليم فيها حراً على نفقة الدولة ، فهرع اليها الطلاب من كل صوب ، وأفردت للنساء بها مجالس خاصة . بيد أن هذه الجامعة الحرة العلنية لم تكن فى الواقع إلا ستاراً ووسيلة لتحقيق الغاية الاصلية ، وهى بث الدعوة الفاطمية ، فكانت تعقد مجالس الدعوة بطريقةمنظمة وتقرأ دروسها للاولياء والانصار ، ويتولى أمرها دائماً قاضى القضاة

وفى أواخر سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) الغيت مجالس دار الحكمة بالقصر ، ولكنها أعيدت فى العام التالى ، والغيت مرة أخرى فى أواخر سنة ٤٠٢ هـ ثم أعيدت بعد بضعة اشهر . ولكن الظاهر أن مجالس الدعوة كانت تعقد دائماً . وكانت هذه المجالس فى الواقع من رسوم الخـلافة الفاطمية . وقد بدىء بها بمصر منذ أيام العزيز بالله سنة ٣٨٥ هـ . وكانت تخصص فى المبدأ لقراءة عـلوم آل البيت طبق الاصول والتقاليد الشيعية . ثم تطورت الى نوع من الدعوة الدينية السياسية واتخذت سبيلا لحشد الدعاة والانصار تحت اللواء الفاطمى الدينى والسياسى ، ونظمت كما رأينا فى مجالس الحكمة ، وأحيطت بذلك الجو الفلسفى الحر الذى انشئت دار الحكمة لخلقه بحلقاتها وكلياتها المختلفة. واذا كنا لا نستطيع أن نتتبع تاريخ ذلك المعهد الفاطمى الغريب بأوضاعه التى وصفت كهيئة علمية مستقلة من بعد عصر الحاكم بأمر الله (سنة ٤١٠ هـ) فانا نستطيع بالعكس أن نتتبع مجالس الحكمة أو مجالس الدعوة حتى أواخر عهد الدولة الفاطمية ، وان كانت قد فترت قبل بعيد وفقدت كثيراً

من أهميتها ونشاطها . وكان تنظيم هذه الدعوة وبثها أولا من اختصاص قاضى القضاة ، ولكنها لما نمت واتسع مداها عهد بها منذ قيام دار الحكمة الى زعيم خاص يلى قاضى القضاة فى الرتبة ويسمى « داعى الدعاة » أو رئيسهم ، وأنشىء لها بين وظائف الدولة ديوان خاص . وكان هذا المنصب الخطير من أغرب الخطط الدينية التى انشأتها الدولة الفاطمية ، كما كان داعى الدعاة من اغرب الشخصيات الرسمية التى عرفت . والمفروض أن داعى الدعاة يكون من العلماء المتفوقين فى علوم الشيعة والدعوة الفاطمية ، وله من العلماء المرءوسين أو « النقباء » اثنا عشر ، وله نواب فى سائر النواحى ، ويتصل به فقهاء الدولة ويشرف على أعمالهم ومهامهم ، ويعقد مجالس الحكمة بالقصر للرجال تارة وللنساء أخرى ، ويقبل عليه المؤمنون من كل صوب فيقبلون يديه ، ويمسح على رءوسهم بدفتر به توقيع الخليفة . وله أن يقبض النجوى من المؤمنين وهى جعل اختيارى قدره ثلاثة دراهم ونصف ينفق من دخله عليه وعلى النقباء والدعاة . وكانت هذه المجالس حرة عامة ، بيد أنها لم تكن أهم ما يعنى به الدعاة . ذلك أنه كانت تعقد مجالس أخرى خاصة يشهدها أهل الطبقات الرفيعة من الاولياء والخاصة وأكابر الدولة والبلاط ثم خاصة السيدات والحرم ، وكانت تعقد أيضاً بالقصر ، وتعقد المجالس النسوية أحياناً بالجامع الازهر . وكان يسود هذه المجالس نوع من التحوط والتكتم ، ويحظر شهودها على الكافة ، وفيها تعرض الدعوة الفاطمية السرية على يد دعاة تفقهوا فى درسها وعرضها . وكان تلقين هذه الدعوة هو أخطر مهمة يقوم بها الدعاة ، وكان فى الواقع هو الغاية الاولى من عقد مجالس الحكمة الشهيرة

والآن لنر ماذا كان قوام هذه الدعوة السرية الغريبة التى انتهت الينا تفاصيلها — رغم تبدد تراث الشيعة الادبى — على يد مؤرخين كالمقريزى وقفوا على شىء من هذا التراث . كانت هذه الدعوة تجرى على نسق الجمعيات السرية فى مراتب متعاقبة فى الاهمية والخطورة . وعدد مراتبها تسع يتقدم فيها الدعاة طبقا لاستعداد التلاميذ وجدارتهم لتلقيها . فلا يصل الى مراتبها العليا الا من كان موضع الثقة والافضاء كتوما للسر . ولا يتسع المقام هنا لايراد هذه الدعوات التسع بنصها وتفاصيلها . ولهذا نكتفى بتلخيصها على النحو الآتى :

(١) يفتتح الداعى دعوته بتلقين المدعو أن الدين مكتوم يجهله السواد والكافة ، وان انصراف الناس عن أئمة الدين الحقيقيين الذين يعرفون مسائله ويؤدون اموره على حقيقتها هو أصل الشر والخلاف فى الامة الاسلامية ، وان أولئك الائمة ليسوا هم أولئك الظلمة الذين خرجوا على رسول الله وأمته وغيروا كتاب الله وسنته وابتغوا الدنيا وزخرفها ، وانما الدين سر الله المكتوم لا يطيق حمله الا ملك مقرب أو نبى مرسل أو عبد مؤمن (٢) فاذا آنس الداعى فى المدعو قبولا ووثق بحرصه وكتمانه انتقل به الى الدعوة الثانية ، ولقنه أن الله تعالى لم يرض فى اقامة حقه وما

شرعه لعباده إلا ان يأخذوا ذلك عن أئمة نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته (٣) فاذا وثق الداعى من رسوخ نظرية الأئمة المختارين فى نفس المدعو نقله الى الدعوة الثالثة ، ولقنه ان هؤلاء الائمة المختارين سبعة رتبهم الله كما رتب الكواكب السيارة والسموات والارض وغيرها من الامور الجليلة وجعلها سبعا . وهؤلاء الائمة السبعة هم : على بن ابى طالب ، والحسن بن على ، والحسين بن على ، وعلى بن الحسين الملقب بزين العابدين ، ومحمد بن على ، وجعفر بن محمد الصادق ، والسابع هو القائم صاحب الزمان ، وان الامامة انتقلت واستقرت فى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وانه هو الذى عنده علم المستور وبواطن الامور (٤) وفى الدعوة الرابعة يعلم المدعو أن الانبياء المعتبرين الناسخين للشرائع هم كالأئمة سبعة فقط ، وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) فهؤلاء نسخ كل منهم شريعة سلفه ، وكان صاحب محمد ووليه على بن ابى طالب ، ثم من بعده أئمة ستة حملوا تراث الشريعة المحمدية ، وهم الذين تقدم ذكرهم ، واختتموا بصاحب الزمان محمد بن اسماعيل ، فهو الذى استقرت فيه الامامة وعلى جميع الكافة اتباعه والانقياد اليه (٥) وفى الدعوة الخامسة يعلم المدعو انه لا بد مع كل امام قائم فى كل عصر حجج متفرقون فى جميع الارض ، وعدد هؤلاء الحجج أبداً اثنا عشر رجلا فى كل زمان (٦) وفى الدعوة السادسة يعلم المدعو ان شرائع الاسلام وفروضه ترجع فى الواقع الى معان وحكم غير الظاهرة ، وانها وضعت لمصلحة العامة وسياستهم تحقيقاً لخضوعهم وانقيادهم . ثم ينتقل به الى ميدان الفلسفة وتعاليم الفلاسفة ويلقنه ان منطق العقل وحده هو المعول عليه فى فهم الامور . وفى هذه المرتبة تبدأ مهمة الدعاة الحقيقية وهى العمل على هدم العقيدة الدينية (٧) وفى السابعة — وهى أولى المراتب العليا — يلقن المدعو ان صاحب الشريعة لا يستغنى بنفسه ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الاصل والآخر عنه (٨) وفى الثامنة يعلم أن معجزات الانبياء انما هى أشياء تنتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة ، وانها تكون تارة رموزاً يعقلها العالمون ، وتارة واضحة مفهومة ، وان الاحكام الدينية انما هى غير ما يفهمه العامة (٩) وفى المرتبة التاسعة والاخيرة ينتقل المدعو الى العلوم الفلسفية والطبيعية وما بعد الطبيعة ويدخل حظيرة الاسرار الاخيرة ، فيعلم ان الشرائع انما توضع لمصلحة الكافة بحسب الظروف ولا يعمل بها الا طبق الحاجة ، وليس على المستنير ان يعمل بها ، وان الانبياء أصحاب الشرائع انما هم لسياسة العامة ، ولكن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة . . . الى غير ذلك من التعاليم والشروح الفلسفية

هذا هو ملخص الدعوة الفاطمية السرية التى كانت تلقن فى مجالس الحكمة والتى نقلها الينا المقريزى مفصلة ضافية عن مصادر شيعية كانت موجودة فى عصره . ولا ريب ان هذه الدعوة نظمت بالاخص لغاية سياسية هى حشد الخاصة والمستنيرين تحت لواء الزعامة الفاطمية . وهى دعوة

لم تكن مبتكرة فى الواقع ، ولم يبتدعها الفاطميون ولا الحاكم بأمر الله ، ولكنها اشتقت من الدعوة الاسماعيلية السرية التى نظمها عبد الله بن ميمون القداح الديصانى فى جنوب فارس فى منتصف القرن الثالث ، ثم الدعوة التى قام بها القرامطة فى البحرين فى أواخر القرن الثالث ، والتى اشتقت من دعوة ابن ميمون. وكانت دعوة ابن ميمون ذات مراتب سبع ، وكانت فى الواقع هى روح تلك الثورة الدينية الخفية التى تمخضت باديء بدء عن فورة القرامطة الرائعة ، وكانت بعد ذلك مادة لدعوة الشيعة فى اليمن ثم فى شمال افريقية حيث قامت الدولة العبيدية الفاطمية ثم افتتحت مصر . وهنالك مسألة الشك فى نسب الفاطميين والطعن فى نسبتهم الى آل البيت وكون بعض الروايات ترجع نسبتهم الى بنى القداح ، ففى ذلك أيضاً ما يفسر ذلك الشبه القوى بين دعوة ابن ميمون والدعوة الفاطمية من حيث المادة والتنسيق

هكذا كانت دار الحكمة المصرية ومجالسها الشهيرة . ولا ريب ان تنظيم الفاطميين لتلك الدعوة على هذا النحو المدهش يشهد بكثير من الذكاء السياسى والبراعة النفسية . ولا ريب ان مجالس الحكمة قد فعلت كثيراً لتوطيد الدعوة الفاطمية وتقويض الدعوات الدينية الخصيمة ، وان كانت فى الوقت نفسه قد القت سحبا من الريب على عقيدة الفاطميين الدينية (١)

محمد عبد الله عنان
المحامي

(١) راجع في هذا البحث وما يصل به : خطط المقريزي (الطبعة الاهلية) ج ٤ س ٧٠ ــ ٧٢ و س ١٥٨ وج ٢ س ٢٢٦ و ٢٢٧ ومابعدها حيث يورد المقريزي الدعوات التسع مفصلة .وراجع نهاية الارب (مخطوط دار الـكتب الفتوغرافي) ــ المجلد الحادي والعشرين حيث تفصل دعوة القرامطة ومراتبها . وراجع الملل والنحل للشهرستاني حيث تفصل مذاهب الشيعة وفرقها ، ومقدمة ابن خلدون (س ١٦٤ وما بعدها). ويراجع من المصادر الغربية : دوزي Essai sur L'Islamisme ودي جويه Les Carmathes وفستنفلد Gesch. der Fatimiden وفون هامار Gesch. der Assassinen

هذا ويوجد بدار الـكتب المصرية بعض آثار مخطوطة تلقى بعض الضياء على عقائد الشيعة ، منها مخطوط هام لا عنوان له لانه ناقص من أوله وآخره (رقم ٢٠ عقائد النحل) وفيه رسائل وأحكام وفتاوى شيعية ، ورسائل الى الدعاة . ومنها رسائل حمزة بن على الذي دعا بألوهية الحاكم بامر الله في أواخر عصر الحاكم (.رقم ٣٥ و ٥٤ عقائد النحل)

المعلومات . وكنت أتتبع تلك المصادر فأجدها راجعة إلى بيئة واحدة هى جماعة المستشرقين فى الادب الافرنجى الحى كتب قيمة جداً تبحث فى التاريخ العام والخاص ، وتاريخ الامم، والنهضات العلمية ، وهذه الكتب محترمة عند الاوربيين . فكنت أطالع هذه الكتب فاجد فرقا كبيراً عند ما تكتب عن التاريخ القديم أو الحديث بلباقة ودقة علمية كوصف مصر القديمة وآثارها وسوريا وتاريخها ، والعراق وماضيها ، ولكنها إذا تكلمت عن الجزء الاسلامى أوعن حياة سيدنا محمد (ص) أجد تحريفاً ظاهراً وكذباً واضحاً وتشنيعاً كبيراً ، فالنبى العربى العظيم يوصف بأنه مؤسس دين حربى لا صلة بينه وبين الفضيلة ، بل أكثر من ذلك قرأت فى فصل من « تاريخ العالم العام » أن سيدنا محمداً (ص) هو ابن عبد الله ، وعبد الله يطلق على الوالد المجهول وربما كانت هذه التسمية من هذا القبيل . وبحثت عن اسم الكاتب فاذا هو مستشرق انجليزى معروف وهو أستاذ فى جامعة اكسفورد هو « مرجوليوث » والرجل زار مصر ومعروف فيها

وكنت أقلب كتاب « دائرة المعارف الاسلامية » فاجد استقصاء تاريخياً للصغيرة والكبيرة من التاريخ الاسلامى . أما فيما يختص بالنبى الكريم فكنت أرى طعناً جارحاً وكلاماً أقل ما يوصف به أنه من قبيل قلة الذوق فى المعاملات الانسانيـة العادية . وهؤلاء الكتاب كلهم من المستشرقين

ثم وقع فى يدى كتاب تقرير من لجنة العمل المغربى فرأيت هـذا التقرير يتتبع السياسة الاستعمارية ويصف طرق مقاومة الاسلام والتقارير السرية التى يرسلها المستشرقون فى البلاد المستعمرة إلى حكوماتهم لمقاومة الاسلام ، لانه روح تتنافى مع الاستعمار ، وأن أول واجب فى هذا السبيل هو التقليل من أهمية اللغة العربية وصرف الناس عنها باحياء اللهجات المحلية فى شمالى افريقيا واللغات العامية ، حتى لا يفهم المسلمون قرآنهم ويمكن التغلب على عواطفهم . فكان هـذا التقرير تفسيراً لكل ما سردته لك من الاكاذيب التى تتردد فى الكتب الافرنجية . وفى زيارتى لاوربا كان الحديث بينى وبين الناس يجرنا إلى البحث فى الاسلام فعلمت من ذلك أن الاوربيين يربون على كراهية الاسلام واحتقار الشعوب الاسلامية حتى لايعطفوا عليها أو يختلطوا بها

نترك هذه المقدمات جانباً ونبحث فى ناحية أخرى عن المستشرقين

فالمستشرقون جماعة من مدرسى اللغات الشرقية فى جامعات أوربا . وهؤلاء الطلبة الذين يتلقون تلك العلوم ليسوا مغرمين بسواد عيون الشرق ، وليسوا موطنين حباً بجمال اللغات الشرقية ، ولكنهم جماعة من الاجانب الشبان يربون أنفسهم تربية استعمارية ليعملوا فى المستعمرات . وكان لابد لهذه الجامعات أن تعلمهم على أسلوب يضمن لها قومية هؤلاء الطلبة وتحذرهم من العطف على الشرق أو الميل للاسلام . ولا أستطيع أن أفهم من مهنة كهذه أن يكون الاستاذ منصفا للشرق أو دعاية للاسلام ، بل بالعكس يجب أن يقوم بالدور المطلوب منه سواء كان فى الكلية مع الطلبة أم خارجاً عنها فى مؤلفاته !

اذا ألف مستشرق كتاباً أو كتيباً أو نشرة ظهرت هذه النشرة بثلاث لغات حية تقريبا فى وقت واحد : الالمانية والانجليزية والفرنسية ، مع أن طبع هذه الكتب يتكلف نفقات باهظة قد تستنزف ثروة المستشرق نفسه . وترى فى مقدمة كل كتاب من كتب المستشرقين أسماء زملاء له فى البلدان الاخرى يقومون بالترجمة والطبع والنشر والمراجعة ، وفى كل عام ينعقد لهؤلاء المستشرقين مؤتمر ليتفقوا فيه على خطة العام الجديد

وأنا أعرف مواضع دسائس المستشرقين ، فهم يتكلمون فى التاريخ الاسلامى بروح المؤرخ .. أما عن سيدنا محمد (ص) وعن الاسلام وعن القرآن فهم يتكلمون بروح المنفر الذى يخيف الناس من الاسلام وبروح المتحامل الذى يكيل الدسائس والشتائم من غير وزن

وكنت أعلم أن المستشرقين ينقصهم فى مباحثهم عن الاسلام الروح العلمية وأن لهم فى الاستقصاء طريقة لا تشرف العلم ، وهى أنهم يفرضون فرضا ثم يتلمسون أسبابه فاذا وجدوا فى القرآن آيات تتناسب فى معانيها مع فرضهم اقتبسوها وإذا وجدوا آيات لا تتناسب مع اغراضهم تجاهلوها وقالوا إنها غير موجودة فى القرآن ، فيخرج القارىء من كلامهم وهو يتهم الاسلام بالتلفيق كما يتهمونه

ولذلك لم أتوان أن أناقش « فنسنك » رئيس تحرير دائرة المعارف الاسلامية هذا الحساب وأن اظهر مساوئه ، لانه كرئيس تحرير لهذه الدائرة يعتبر له قيمة ، ولا بأس أن تناقشه فى ميدان العلم مناقشة علمية واضحة وأن نظهر أن طريقة المستشرقين فى البحث طريقة شعوذة فلا يحترم آراءهم بعد اليوم أوربى ولاشرقى . واذا ماخلعنا عنهم تلك الزخارف البراقة من الوهم الذى أحاطوا به أنفسهم فقد أظهرنا حقيقتهم للناس ، هم قوم ضعاف فى العلم لهم فى الاسلام مآرب سيئة

ولفنسنك مبحثان فى دائرة المعارف الاسلامية هما أنموذج لشعوذة المستشرقين ، أولهما عن ابراهيم ، وثانيهما فى كلمة الكعبة . ونحن نقتصر هنا على ما كتبه عن ابراهيم فقد كتب مايأتى :

« كان اسبرنجر اول من لاحظ ان شخصية ابراهيم كما فى القرآن مرت باطوار قبل أن تصبح فى نهاية الامر مؤسسة الكعبة . وجاء سنوك هرجرونيه بعد ذلك بزمن فتوسع فى بسط هذه الدعوى ، فقال أن ابراهيم فى أقدم ماتزل من الوحى (فى الذاريات آية ٢٤ وما بعدها ــ الحجر آية ٥٠ ــ الصافات آية ٨١ وما بعدها ــ الانعام آية ٧٤ وما بعدها ــ مريم آية ٤٢ وما بعدها الخ) هو رسول من الله انذر قومه كما تنذر الرسل ولم تذكر لاسماعيل صلة به ، والى جانب هذا يشار الى أن الله لم يرسل للعرب نذيراً (السجدة آية ٢ ــ سبأ آية ٤٣ ــ يس آية ٥) ولم يذكر قط ان ابراهيم هو واضع البيت ولا انه أول المسلمين

« أما السور المدنية فالامر فيها على غير ذلك ، فابراهيم يدعى حنيفاً مسلماً وهو واضع ملة ابراهيم رفع مع اسماعيل قواعد البيت المحرم (البقرة آية ٨٨ وما بعدها ــ آل عمران آية ٦٠ وما بعدها) الخ

« وسر هذا الاختلاف ان محمدا كان قد اعتمد على اليهود فى مكة فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة

عداء ، فلم يكن بد من أن يلتمس غيرهم ناصرا ، هناك هداه ذكاء مسدد الى شأن جديد لابى العرب ابراهيم . وبذلك استطاع ان يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية ابراهيم ، تلك اليهودية التى كانت ممهدة للاسلام . ولما اخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح ابراهيم أيضا المشيد لبيت هذه المدينة المقدس » . يتراءى لك عند قراءة هذه القطعة ان فنسنك باحث عميق يستقصى آيات القرآن واحدة واحدة . ويخيل اليك ان الرجل صادق فى أقواله ، وانه يعتمد على المستندات من الآيات التى احصاها واحدة واحدة

ولكن لم يغب عنا مواضع الضعف فى قوله . لانه كالممثل الذى على المرسح يكثر من الاشخاص الذين لا يتكلمون حتى يوهم الناظر أن الرواية قوية ، ولكنه ماصنع هذا فى الحقيقة الا ليستر ضعفها . ولذلك لم يخدعنا هذا المظهر البراق ، لا سيما واننا نعلم تماما اغراض المستشرقين ، فلا يمكن أن يكون هذا صحيحاً ، فنحن قبل كل شيء نؤمن بصحة القرآن ، اذن فماذا يقصد الرجل ؟ . يريد أن يقول ان رسالة محمد عليه السلام مفتعلة وان هذه الآيات كلها مظاهر براقة ، اذن فلنتمش معه فى البحث

فقد انكر ان الآيات المكية فيها اشارة الى أن ابراهيم هو واضع البيت وانه لا يوجد اشارة أو ذكر لصلة اسماعيل به

اما الآيات المكية التى فيها ذكر البيت وان اسماعيل هو ابن ابراهيم فهى موجودة فى سورة ابراهيم فى الآية ٣٤ وما بعدها : « ربنا انى اسكنت من ذريتى بوادغير ذى زرع عندبيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » الى قوله تعالى : « الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل » . فهذه آيات مكية لا نعرف لماذا حذفها فنسنك . ولكن النظرية التى شرحناها لك تضيء لك الموضوع . فانه يفرض الفرض ويتلمس الدليل فاذا وجد ما يهدم نظريته حذفه . وهذا يدل على عدم الامانة فى العلم ، لا سيما فى موضوع دقيق يهم عقيدة يدين بها نحو ثلثمائة مليون مسلم . ولا يمكن ان نلتمس لفنسنك فى هذا حسن النية ، لان هناك قواميس للقرآن واذا بحث عن كلمة ابراهيم فانه يعثر على هذه الآية

ويقول فنسنك : ان الآيات المدنية هى التى اختصت بذكر ملة ابراهيم . ولكن هذا غير حقيقى فالآية ١٦٠ من الانعام مكية وهى : « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » . والآية ١٢٢ من سورة النحل مكية وهى : « ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين »

ويهوذا الذى تنسب له اليهودية هو من احفاد احفاد ابراهيم فليس معقولا ان يوصف دين ابراهيم باليهودية التى أتت بعده بمئات السنين

ومن هذا يتبين لك اغراض المستشرقين وانهم ليسوا من العلم ولا من الامانة كما يتصورهم الناس . وانهم ممن لا يوثق بهم فى البحث العلمى

الدكتور حسين الهراوي

نفعهم اكثر من ضررهم ✡ بقلم الدكتور زكى مبارك

أسارع فأقرر أنى قبلت هذا العنوان كما اقترحه الهلال ، وإلا فمن البداهة أن الاستشراق عمل واقع ، وأن المستشرقين طائفة من العلماء الجادين يجب الاتصال بهم ، والتعاون معهم ، ولسنا من الداعين الى قطع الأواصر الأدبية والعلمية التى يطرد نموها بين الممالك والشعوب

قالوا ان المستشرقين طلائع المستعمرين ، وهذا صحيح ، ولكن هل الاستعمار فى ذاته جريمة ؟ وكيف وهو شريعة حيوانية ؟ والشرائع الحيوانية أبقى على الزمان ! وليس يكفى فى دفع الاستعمار أن تبغض أهله وأن تقاطعهم على الطريقة الفطرية التى تقف عند فصم العلائق وكف التحيات الى أن يفصل القتال . لا ، فهناك وسائل سلمية لدفع الاستعمار : هى أن تعرف أهله وتقف على أسرارهم فى العلوم والفنون والآداب ، وتفهم من أين يطمعون فيك وكيف يتيسر لك أن تصدهم عنك . فان عرضت لك هذه الفرصة ثم وليتها جانب زهدك ، فأنت آثم فى حق نفسك وفى حق وطنك ، ثم لا تكون زهادتك فى الوقوف على ما لديهم ، وكف بعض أطماعهم الامغرية بأن يتواصوا عليك ويعدوا لك فى غفلتك قانصات الأشراك !

على أن المستشرقين لا يستطيعون أن يقضوا أعمارهم جميعاً وهم أدوات استعمارية ، فان بداية الاستشراق أن يرغب الشاب الاوربى فى عمل يعيش منه فى المستعمرات . ومن أجل هؤلاء الشبان أنشأت الممالك الكبرى فى أوربا مدارس خاصة بتعليم اللغات الشرقية الحية كالعربية والفارسية . والمتخرجون فى مدارس اللغات الشرقية يستخدمون غالباً فى السفارات ومكاتب الترجمة وبعض مناصب التدريس . وقد يقف أكثرهم عند الهمة التى تنفعه فى المعاش ، ولا يقف حياته على درس الشرق وآدابه وعلومه الا طائفة قليلة سمت بها الهمة الى مطامح الرجال . وهؤلاء يتحولون مع الزمن الى علماء — بكل ما تؤدى هذه الكلمة من معنى — وتكون النتيجة أن تضعف فيهم النزعة الاستعمارية وتغلب عليهم النزعة العلمية . وأريد بهذا أنهم يصبحون من دعاة المجد الشرقى ومن أنصار حضاراته وتقاليده — ودياناته أيضاً — فمن عرف شيئاً أحبه ومن جهل شيئاً عاداه

ومن دلائل هذا الميل الخالص انكباب كثير من المستشرقين على مسائل نظرية بحتة لا تقدم ولا تؤخر فى خدمة الاستعمار . فقد يتفق لكثير منهم أن يشغل بدرس الفروق بين مذاهب البصريين والكوفيين ويقضى أعواماً فى جمع المصادر وطبع بعض النصوص واستفتاء العلماء ، واستنطاق بعض القبائل ، وتوجيه ما اختلف من اللهجات ، الخ . الخ . أفيظن القارىء المنصف ان مثل هذا العمل لا يخلو من نزعة استعمارية ؟ انا لا أتصور ذلك . وانما أفهم ان مثل هذا الباحث تحولت حماسته الى

نشاط خصب يمضى به الى آفاق الابتكار والابتداع فى مسائل دقيقة لا يعرض لها العلماء الا حين تصفو نفوسهم من شوائب الاغراض

قالوا : وللمستشرقين أغلاط ! وهذا صحيح . وأكثر ما يعرض لهم الغلط حين يقصدون إلى شرح النصوص . فان اللغة العربية كسائر اللغات لها دقائق لا يدركها الا أهلها الاقربون . وكبار المستشرقين لهم أغلاط مضحكة فى فهم المعانى الشعرية ، نذكر منها مثالين اثنين من باب التمثيل . الشاهد الاول ما اتفق للمستشرق الشهير جداً المستر مرجوليوث حين عرض لقول أبى الفتح ابن العميد :

يقول لى الواشون كيف تحبها فقلت لهم بين المقصر والغالى
ولولا حذارى منهمو لصدقتهم وقلت هوى لم يهوه قط أمثالى
وكم من شفيق قال مالك واجماً فقلت انى مالى وتسألى مالى

والابيات واضحة الا الشطر الثانى من البيت الاخير فقد حار المستر مرجوليوث فى فهمه ثم حاول اصلاحه فقال :

« لعل الصواب : فقلت أنا مالى وان تسألى مالى »

وهذا تصحيح مضحك وهو أشنع من الغلط الاول ، ولو رجع المستر مرجوليوث الى أصل الابيات فى « ابن خلكان » لرأى أن الصواب :

فقلت ترى ما بى وتسأل عن حالى !

والشاهد الثانى ما وقع لجماعة من فضلاء المستشرقين تعاونوا مع المسيو دوزى على تحقيق كتاب « نفح الطيب » حين عرضوا لقول أبى الوليد بن حزم :

اليك أبا حفص وما عن ملالة ثنيت عنانى والحبيب حبيب
مقالا يطير الجمر عن جنباته ومن تحته قلب عليك يذوب

فقد وقفوا عند كلمة « مقالا » من البيت الثانى وذكروا أنها رويت فى كتاب آخر « مطالا » ثم كتبوا بالفرنسية ما ترجمته :

« لا الكلمة الاولى ولا الثانية تقدم معنى شافياً . ومن المحتمل أن يكون هناك بيت سقط من بين هذين البيتين : » (١)

والواقع أن البيتين على هذه الرواية فى غاية من الجودة . ولكن الغلط وقع لاولئك المصححين حين جهلوا وجه الاعراب فى كلمة « مقالا » ولو تأملوا لعرفوا أنها مفعول به لكلمة « اليك » فى البيت الأول . فانها اسم فعل أمر . وهو اسم فعل منقول

وانما ذكرت هذين الشاهدين من أغلاط المستشرقين لانهما يقيمان حجتى . فالشاهد الاول وقع فى كتاب « معجم الادباء » الذى نشره المستر مرجوليوث . ومن الممكن أن نتعقب أغلاط

(١) أنظر هامش ص ٣٧٣ ج ٢ من « نفح الطيب » طبع ليدن

مصحح ذلك الكتاب فتراها تعد بالعشرات . ولكن أين تلك الاغلاط وأين يقع شرها بجانب الفضل العظيم الذى أسداه المستر مرجوليوث الى لغة العرب حين نشر ذلك المعجم فى سبعة مجلدات وفنى فى تحقيقه السنين الطوال ؟

ان طبع « معجم الادباء » ونشره على تلك الصورة الجميلة ليعد منقبة عظيمة تصغر بجانبها منكرات الاغلاط عند من يقومون أعمال الرجال

والشاهد الثانى وقع فى « نفح الطيب » ولو مضيت أحاسب مصححى ذلك الكتاب لعثرت لهم على أغلاط أقبح وأشنع . ولكن ما قيمة تلك الاغلاط بجانب الجهد الذى بذل فى تنظيم كتاب يعد المصدر الاول لأدب الاندلس ؟. لقد طبع هذا الكتاب فى مصر طبعة يغلب عليها التحريف . وظل الى اليوم بلا فهرس يجمع أطرافه و يمكن الباحث من الوصول الى ما فيه من دقائق الادب والتاريخ . وقد اكتفى أولئك المستشرقون بطبع الجزء الاول والثانى وسكتوا عن الثالث والرابع . لان الجزءين الاخيرين قصرا على نقطة واحدة هي حياة « لسان الدين بن الخطيب » . أما الجزآن الاولان ففيهما مراجع وافية لما شغل به الاندلسيون من الادب والفلسفة والتشريع

قالوا : وللمستشرقين أخطاء فى شرح قواعد الاسلام ! وهذا أيضاً صحيح ، فلكثير منهم فضول لا يجمل بالعلماء ، وخاصة حين يتحدثون عن حياة الرسول . فلهم نظرات الى حياته المنزلية والاجتماعية والتشريعية تدل على أن فريقاً منهم يخدم بعض الهيئات الدينية !

والعيب الاكبر أن يصبح العالم أداة للدعايات المختلفة تصرفه كيف تشاء وتصبغ أسلوب تفكيره بمختلف الالوان . وأنا فى هذه النقطة أوافق مناظرى المفضال وألعن الزمن الذى صارت فيه المادة إلهاً يعبد ويطاع ، ولكن فى هذا أيضاً ما يقيم حجتى ، وهو عجب عجاب ! والى القراء بعض البيان :

ان خصوم الاسلام من المستشرقين خدموا الاسلام بخصومتهم أجل الخدمات . فقد عمدوا الى القرآن والحديث فطبعوا كل ما يتصل بهما من جيد المؤلفات ، وفهرسوها وبوبوها ورتبوها ترتيبا تعجز عنه مشيخة الازهر الشريف . والمسيو فنسنك الذى تعقبه صديقنا الدكتور حسين الهراوى ورماه بسوء الفهم والنية ــ هذا الرجل نفسه خدم الاسلام بكتابه فى الاحاديث النبوية . ولنفرض جدلا أنه لم يقصد وجه الحق بنشر كتابه ذاك فان هذا لا يمنع أنه خدم الاسلام من حيث لا يريد ، وهل هناك خدمة أجل من نشر الآثار الاسلامية فى الاقطار الاوربية والامريكية ؟ ان هذه الخدمة كانت تنتظر من المسلمين أنفسهم فغفلوا عنهـا وتركوا الاجانب يتصرفون فى تراثهم بما يشتهون . . . أضيف الى ذلك أن حياة الافكار فى تقليبها وترديدها وتغشيتها بألوان من القيل والقال . والاسلام يستفيد ممن يتحدثون عنه بالشر كما يستفيد ممن يذكرونه بالخير . وآفة الفكرة

أن تهمل وأن يسكت الناس عنها فلا يتناولونها بحمد ولا ملام . وقد كنت وأنا فى باريس أغار من المطبوعات الكثيرة التى تذاع عن البوذية وخرافاتها وأساطيرها . وأتمنى لو رزق الاسلام ناسا يدورون حوله فيذيعون من فضائله ومن سيئات أهله ما يقيم له وجوداً ذهنيا وروحيا فى تلك البلاد التى يتطلع أهلها بفضل حيويتهم الى كل طريف :

أفهمتم الآن أن أسوأ جانب فى حياة المستشرقين لا يخلو من خير ونفع ؟

وأضيف الى كل ما سلف أن المستشرقين سبقونا الى الدراسات الادبية والاسلامية بنحو ثلاثة قرون . والباحث الجاد فى مصر والشرق لا يستطيع الفرار من بحوثهم التى تطالعه من كل جانب . أليس من المخجل أيها الناس أن نحدثكم بأن الازهر الذى يعد معقل الاسلام لم يعرف أهله كيف يدرس التاريخ الاسلامى إلا منذ سنوات معدودات ؟ أليس من العار أن نحدثكم بأن عدد الطلبة فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالجامعة المصرية أقل من عدد الطلبة بقسم اللغة العربية فى السوربون؟ أليس من الفضيحة أن أخبركم أنى كنت أجد بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية فى باريس مصادر عربية مطبوعة لم أجد لها ظلا فى دار الكتب المصرية؟

أنا رجل أعيش فى ضوء الحكمة التى تقول : « اطلب العلم من المهد الى اللحد » وكل مناى أن أصبح حجة فى اللغة العربية على نحو ما يكون الباحث الاوربى حجة فى لغته القومية . وليس لدى ما يمنع من الاعتراف بأن أثر المستشرقين أبقى فى ذهنى وأوضح ، وأن فضلهم على أظهر وأرجح . ومن النصيحة لأمتى أن أشير بتأثر خطوات المستشرقين فى غير زيغ ولا ضلال . ولا ننس أن المستشرقين ناس لهم مطامع ولهم أهواء ، وأكثرهم لا يتصل فى بلاده بغير وزارة المستعمرات ، فهم ليسوا ملائكة ولا قديسين ، وإنما هم بشر مثلكم يخطئون ويصيبون ، وخطؤهم أبقى أثراً فى أذهان الناس لأن لهم من وسائل النشر مالا يملك الشرقيون

وبعد ، فأنا لا أهون أغلاط المستشرقين ، ولا أدعو الى متابعتهم فى غير بصيرة ولا روية ، ولكنى أجزم بأن أعمالهم أدخلت كثيراً من عناصر الحيوية فى الدراسات اللغوية والاسلامية . وليس فى الدنيا شر خالص ولا خير خالص ، وإنما النفع فى أعمال هؤلاء الباحثين أقوى وأغلب

زكى مبارك



كشف جديد

عن كتاب مفقود لابي العلاء المعرى

عثر المرحوم احمد تيمور باشا على جزء من كتاب مفقود لابى العلاء المعري عنوانه : «الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ» . وهذا الجزء لم يطلع عليه جميع الذين ترجموا لابى العلاء . وان كان بعضهم قد نقل شيئاً من اوصافه . وقد اشترى هذا الجزء المرحوم احمد باشا تيمور واودعه مكتبته كذخيرة سمينة لم يظفر بها احد . وقد تناوله الاستاذ طاهر الطناحى بهذا البحث القيم فكشف اللثام عنه وعن اخطاء المؤرخين فيه

لما توفى المرحوم تيمور باشا كنت ممن كتب عن حياته التى قضاها كلها فى البحث والتنقيب وجمع نفائس الكتب القديمة ، وتناولت فى الكتابة عنه مكتبته الشهيرة ، التى تضم بين جدرانها ثمانية عشر الف كتاب من أنفس الكتب . واقتضانى البحث فى هذه المكتبة أن أراجع بعض فهارسها ، فعثرت على جزء مخطوط لابى العلاء المعرى باسم « الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ »

وكنت أعلم أن لابى العلاء كتباً مفقودة غير هذه الكتب المعروفة التى تتداولها الايدى ، وكنت قرأت بين هذه الكتب المفقودة التى ذكرها المؤرخون اسم « الفصول والغايات فى معارضة السور والآيات » فحفزتنى هذه المصادفة الجميلة الى الاطلاع على هذا الجزء . بيد أن مهمتى فى مشاهدة انحاء هذه المكتبة والكتابة عنها صرفتنى وقتئذ عن الاطلاع على هذا الجزء ، فبارحت المكتبة وانا احتفظ باسمه فى ذاكرتى ، وبالعودة اليه فى نفسى ، وبحثه فى فرصة أخرى

ثم كان أن أتيحت لى الفرصة فى هذه الايام بزيارة مكتبة تيمور باشا ، والاطلاع على هذا الجزء وبحثه واستقصاء كلام المؤرخين عنه ، والوقوف على خلطهم فيه ، وتحاملهم على مؤلفه

وزادنى حرصاً على البحث فى هذا الموضوع ان هذه النسخة قديمة جداً ، ربما رجع تاريخ كتابتها الى القرن الخامس الهجرى ، وهو القرن الذى طوى نصفه الاول ابو العلاء المعرى ، بل ربما كانت هى النسخة التى املاها كما يظهر لك فيما بعد

وصف هذا الجزء

هذا الجزء هو الجزء الأول من كتاب الفصول والغايات وهو جزء من عدة أجزاء ، ذكر ياقوت الرومى انها سبعة أجزاء ، وهو يتألف فى حجمه الحالى من ٢٣٢ صفحة ، تنقص من أوله مقدمته وبعض صفحات منه . وينقص من وسطه أربع ورقات متفرقة وهو مقسم الى

فصول ، كل فصل يحتوى على عدة أقسام صغيرة ، سمى أبو العلاء القسم منها « رجعاً » أى فائدة . ولا يزيد « الرجع » عن صفحة أو ثلاثة ارباع صفحة . وبعض هذه الرجعان لا يزيد عن سطر أو سطرين . وينتهى كل رجع بحرف يلتزمه فى نهاية رجعان الفصل ، كما تنتهى أبيات القصيدة الواحدة بحرف واحد هو « الروى » . أما نهاية كل رجع فيسمى « غاية » . وقد رتب هذه الفصول حسب ترتيب الحروف الهجائية ، وذكر بين كل رجع وآخر تفسير الكلمات الغريبة ، حتى اذا انتهى من التفسير عاد فقال : « رجع » ويستأنف الكلام . ونحن ننقل منه مايلى على سبيل المثال قال : « فصل غاياته ثاء »

« قال أبو العلاء المعرى احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى : خوف الله معاقل الأمن . والحكم له فى العاقبة والمبتدأ . لا يرد عليه عجب . وكيف يعجب من شىء خالق العجائب ومبتدع الآزال ؟ أيقن فما استفهم . وهل يستفهم عالم اسرار الفهمين ؟ ولا تعرض له الامانى انما تخطر لمن تضعف قدرته دون المراد . فليت جسدى من خيفته مثل الشن ، وأدمعى لذلك شبيهة القطر . طوبى للمترنمين بالتسبيح ترنم هزج النهار ، حتى اذا النجم طلع ترنم بالذكر مع البعوض إعظاماً لوارث الوراث ـ غاية (تفسير) : الآزال جمع أزل وهو الدهر ، وهزج النهار الذباب ، والبعوض البق . .

« ـ رجع ـ أعدل بالحاكم على خلقه بالمنية . يحيدون من خطب الى سواه . والحمام ساقه جيوش الخطوب . ماألطف صانع القلبة تنظر بمنحنى ليل ، وترفع هدال الشجر بقضيبى ظلام ، وتلبس حلة الوبر ، وتطأ على مثل المحار . أعلقتها أمس الحبالة فخلصت بالجريض ، وصادفتها فى اليوم ضراء المكلب ، فكاد إهابها ينفد عن قلب مروع ، وسلمت بعد الشد المحيص ، وفى الغد ينتظمها بعض سهام المرتمين فلم يغنها الفرق من الاحداث ـ غاية (تفسير) : هدال الشجر ماتهدل من الاغصان ، والمحار الصدف ، والجريض الغصص ، والمحيص العدو الشديد يقال محص الظبى » . وكل هذا الجزء على هذا النسق أى انه يبدأ كل فصل بقول : « قال ابو العلاء . . » الخ ثم يذكر فقرات فى تمجيد الله والمواعظ والحكم والاخلاق ، تنتهى بحرف واحد يلتزم فى نهاية كل رجع من رجعان الفصل . كما رأيت فى كلمتى « الوراث » و « الاحداث »

ولما كان هذا الجزء ينقص بعض صفحات من أوله ، فقد ابتدأت الصفحة الأولى بجزء من « رجع » فى فصل الالف . وينتهى هذا الجزء بفصل غاياته خاء . وقد كتب فى آخر صفحة منه بعد نهاية هذا الفصل : « الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ بصنعة أبى العلاء بن عبد الله بن سليمان التنوخى ، واملاه . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبى وعلى آله الطاهرين »

ويغلب على ظنى ان هذه النسخة هى التى املاها ابو العلاء نفسه على كاتبه لعدة اعتبارات تحتمل الرجحان : أولا ـــ لان خطها من الخطوط التى يغلب انها كتبت بين القرن الثالث والقرن

السادس للهجرة . وقد قارنتها بمخطوطات لهذا العهد بدار الكتب المصرية . ثانياً — لان ياقوت الرومى صاحب « معجم الادباء » المتوفى سنة ٦٢٢ نقل أوصاف هذا الكتاب عن غيره بصيغة تدل على أنه كان مفقودا فى عهده ، مع ان وفاته كانت بعد وفاة أبى العلاء بمائة وثلاث وسبعين سنة . فلو كانت هذه النسخة كتبت بعد هذا العهد لكان ياقوت اطلع على الكتاب . ثالثاً — قد يكون فى عدم نص الكاتب على الجزء الثانى خلافا لما يفعله النساخ وفى ذكره كلمة « واملاء » ما يشعر بان هذه النسخة هى التى أملاها ابو العلاء وكتبت عن لسانه خصوصاً وأن كلمة بصنعة أبى العلاء كلمة قديمة . وعلى كل حال اذا لم تصح هذه الاحتمالات كلها فما لاشك فيه ان هذا الجزء لايقل تاريخ كتابته عن القرن الخامس أو السادس الهجرى

اسلوب الكتاب وموضوعه

أسمى ابو العلاء كتابه « الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ » وأخذ على نفسه ان يقسمه فصولا يحتوى كل فصل على رجعان (جمع «رجع») وهذه الفصول كما هو واضح من التسمية تختص بتمجيد الله والمواعظ والفلسفة الاخلاقية ، أو انها هى موضوع لفلسفته الاخلاقية ، بعضها مسجوع وبعضها غير مسجوع . إلا انه التزم حرفاً واحداً فى كل فصل ، واحدث بهذا الاسلوب حدثاً جديداً فى الكتابة العربية ، والتزم ما لا يلزم كما هو شأنه فى كثير من مؤلفاته ، وأتى فيها بالغريب ، ثم فسر الغريب حتى لايعسر فهمه على القارىء . وقد روى بعض المؤرخين انه بدأ بتأليف هذا الكتاب قبل رحلته الى بغداد سنة ٣٩٨ ، ثم أتمه بعد عودته الى معرة النعمان .
ويؤيد هذه الرواية قوله فى أحد فصوله : « ما أمل وقد فقدت أبوى ، وأخذت الشيبة من يدى » ويعلم الذين اطلعوا على تاريخه أنه مكث ببغداد نحو سنتين ، ثم برحها عائداً إلى المعرة لما علم بمرض والدته ، ولكنه لم يكد يصل اليها حتى وصله نعيها

ويهمنا من هذه الرواية أن الرجل إنما ألف هذا الكتاب لا معارضاً للقرآن ، بل بعد أن تشبع من الفلسفة الهندية اثناء مقامه ببغداد ـ تلك الفلسفة التى تدعو الى التقشف وقهر النفس والزهد فى ملاذ الحياة وشهواتها . فابو العلاء فى هذا الكتاب يقيم نفسه مقام الحكيم الواعظ الذى يدعو الى تقوى الله ، والزهد فى شهوات الدنيا . ويضرب لذلك الامثال والعظات

ويختلف اسلوبه فى الوعظ فى هذا الكتاب عن اسلوبه فى اللزوميات ، بان هذه العظات خالية إلا من الفلسفة الخلقية ، وهو لايمزج هنا تمجيد الله بالنظر فى الكون والتفكير فى المسائل الطبيعية والدينية . بل يتنكب عنها ، ويسلك فى (الفصول والغايات) مسلك المربين الذين يبثون الفضيلة ، ويشيدون بالاخلاق الكريمة ، ويضربون الامثال ، أمثالا من التاريخ ، وأمثالا من الحياة العامة . وهو الى ذلك يخلع على اسلوبه نوعاً من الادب جديداً ، ويلبسه ثوباً من

الغريب ليجمع بين ثلاث فوائد : فائدة تقويم الاخلاق ، وفائدة تعليم اللغة ، وفائدة تهذيب النفس وتربية الملكة بهذه الفقرات والعبارات الادبية

تفنن ابي العلاء في التأليف

بعد أن رجع أبو العلاء المعرى من بغداد سنة اربعمائة عكف على التأليف فالف ما يربو على خمسين مؤلفاً لم يسبقه أحد الى طريقة تأليفها وتفننه فيها . فقد تفنن فيها تفنناً عجيباً لا يتاح الامثاله لو أن له مثيلا بين العلماء المتقدمين والمتأخرين . وقد كان الرجل مجدداً حقاً ، وكان يعشق التجديد فى نثره وشعره فانت تبصر اسلوبا جديداً لم يظهر من قبل ، وطريقة خاصة فى الكتابة والشعر لم يعرفها الادباء . وأنت ترى التجديد فى لزومياته وفى «الفصول والغايات» وفى غيرهما من كتبه ، فن ذلك كتاب « الايك والغصون » وهو كتاب مفقود فى العظات وذم الدنيا على مثال « الفصول والغايات » الا أنه يخالفه فى ان نظامه على الهمزة والردف فى آخر فصوله ويبنى على إحدى عشرة حالة : الهمزة فى حالة افرادها واضافتها ، مثال ذلك : السماء بالرفع والسماء بالنصب والسماء بالخفض ، وسماء (يتبع الهمزة تنوين رفعاً ونصباً وجراً) وسماؤه (مرفوع مضاف) وسماءه (منصوب مضاف) الخ . فاذا ضربت فى حروف المعجم الثمانية والعشرين خرج منها ثلثمائة فصل وثمانية فصول . وهى مستوفاة فى هذا الكتاب الذى يبلغ اثنين وتسعين جزءا

ومنها كتاب « سجع الحمائم » يتكلم فيه على لسان أربع حمائم ، الى غير ذلك من مؤلفات ابى العلاء التى تدل دلالة واضحة على انه كان مجدداً يعشق التجديد والابتكار ، ويحب التفنن فى التأليف ، ولا يضن بثروته الضخمة من البلاغة واللغة والتفكير

غلط المؤرخين

وهنا نناقش المؤرخين الذين اتهموا هذا الرجل بانه عارض القرآن بكتابه « الفصول والغايات » فقد ذكر ياقوت الرومى أن لأبى العلاء كتاباً يعارض به القرآن . قال : ومما ظهر منه : « اقسم بخالق الخيل ، والريح الهابة بليل ، بين الشرق ومطالع سهيل ، ان الكافر لطويل الويل .... » الخ . وقد راجعنا مانقله ياقوت فى الجزء الذى عثرنا عليه ، فوجدناه مأخوذاً عن « رجع » بفصل الجيم أخذاً ناقصاً مشوشاً . ويدل ذلك على ان ياقوتاً يعنى بالكتاب الذى عارض به أبو العلاء القرآن « كتاب الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ »

وذكر ابن الجوزى فى كتاب المنتظم فى تاريخ الملوك قال: « وقد رأيت للمعرى كتاباً سماه الفصول والغايات، يعارض به السور والآيات . وهو كلام فى نهاية الركة والبرود ، فسبحان من اعمى بصره وبصيرته . وقد ذكر على حروف المعجم فى آخر كلماته » ثم مثل ابن الجوزى لذلك برجع من هذا الكتاب . . وقال مرجوليوث نقلا عن الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ فى تاريخ

الامم : « وانما تحدثت الالسن باساءته لكتابه الذى زعموا انه عارض به القرآن . وعنونه بالفصول والغايات فى محاذاة السور والآيات » ! . ويفهم منه ان الذهبي لم يطلع على هذا الكتاب

اما صاحب كشف الظنون فقد اطلع على عبارة ابن الجوزى السابقة ، وبدل أن ينقلها بنصها نقلها محرفة ، فسمى الكتاب : « الفصول والغايات فى معارضة السور والآيات »

وترى من كلام هؤلاء المؤرخين انهم لم يطلعوا على هذا الكتاب حتى ابن الجوزى الذى زعم انه رآه ، فانه لم يطلع عليه اطلاعاً صحيحاً ، اوانه اطلع عليه ولم يفهم الغاية منه . وقد كان ابن الجوزى فى ترجمته لابى العلاء متحاملا عليه ، فصرفه هذا التحامل عن الانصاف ومعرفة حقيقة هذا الكتاب ، ورأى فى كلمتى الفصول والغايات موازنة لكلمتى السور والآيات ، وعنه أخذ الذين تكلموا بعده عن هذا الكتاب ، فظلموا ابا العلاء وظلموا التاريخ أيضاً وادعوا ان الرجل يعارض القرآن بهذا الكتاب الذى يختلف عن القرآن اختلافاً واضحاً فى اسلوبه وموضوعه . ولو أن ابا العلاء اراد ان يعارض القرآن لما اتى بهذا الاسلوب . ولو ان أبا العلاء اراد أن يحتذى القرآن لما التزم فى هذا الكتاب ما لا يلزم من تقسيمه إلى فصول ورجعان وغايات مرتبة على حروف المعجم ، ولما جعله كتاب أدب ولغة وعظة فى آن واحد ، بل لجعله كتاب تشريع وقصص ومعاملة بين العباد بعضهم مع بعض كالبيع والشراء والزواج والعقوبات وغيرها . وليس يخفى على ابى العلاء هذه الشروط التى يجب ان تتوافر فى معارضة القرآن . وليس ابو العلاء من الغباوة بحيث يريد أن يعارض القرآن بكتاب يبعد كل البعد فى اسلوبه وموضوعه ونظمه عن القرآن . ولكن ضياع هذا الكتاب كان سبباً فى هذا التخبط . ثم ان تحامل ابن الجوزى وغيره من المؤرخين الذين رموه بالزندقة والالحاد كان داعياً الى الخطأ فى تسمية هذا الكتاب اولا ، وفى الاشتباه فى موضوعه ثانيا ، لان أبا العلاء وقد عرف بتفكيره الحر وآرائه الجريئة فى الطبيعة والكون والمادة والزمان والمكان والاديان ، وبحثه فى علل الكائنات ، وذمه للدنيا ، وتململه بالوجود وضجره من الحياة ـ كل ذلك على ما يظهر ـ رجح عند الذين لم يفهموه ولم يطلعوا على هذا الكتاب ولم يعرفوا غرضه منه أنه ليس من البعيد أن يعارض القرآن ، وانه وقد أوتى من البلاغة والثروة اللغوية حظاً وفيراً ليس من الغريب أن يكون قد وضع الفصول والغايات فى معارضة السور والآيات . ولكن ذلك على ما بينا فى هذا الفصل ليس من الحق فى شيء . فقد كان ابو العلاء على جرأته لا يحب أن يقيم حوله ثورة دينية ، وكان يكتفى فى كثير من آرائه بالرمز والتلويح . ومع ذلك فلم يسلم من الايذاء والرمى بالالحاد . وقد أوذى فى امتناعه عن أكل اللحم رفقاً بالحيوان ، واتهموه بالكفر لانه يحرم ما احله الله . فما بالك اذا الف كتاباً عارض به القرآن ! إذن لكانت الطامة الكبرى ولقى من الايذاء والبلاء شر ما يلقاه انسان

طاهر احمد الطناحي

أين تظفر بالسعادة

بقلم الاستاذ الشيخ محمود أبو العيون

السعادة التى نتحدث عنها صفة من الصفات البارزة فى الحياة ينشدها جميع الناس على اختلاف نحلهم ومذاهبهم ، ويفهمونها على غرار ملابساتهم وأحوالهم وميولهم النفسية ، فدونوها فى مباحثهم وقصصهم ، ومثلوها فى مسارح تمثيلهم ، وصوروها بمختلف الصور وتباين الاغراض والمرامي . ومع أن للحياة غرضاً واحداً هو العيش على أكمل الاحوال ، والحصول على أكبر قسط من السعادة الممكنة ، إلا أن الانسان قد تعمى عليه الطريق التى توصله الى الغرض ، فيبحث عنها فى توفية جميع شهواته بما يسعه امكانه من متاع مادى وعقلى

فناس يرون السعادة فى السكون وروعته ، ويلمحونها فى الطبيعة الساحرة ، يرون فى الكون الواسع المدى جمالا أخاذاً ، يرون فيه الكواكب الزاهرة ، والسحب الماطرة ، والامواج المتكسرة ، ويرون الجمال الفاتن فى زرقة السماء ، ورهبة الصحراء ، والمروج الخضراء ، وفى هدير الماء ، وهديل الحمام ، وثغاء الشاه ، وحنين الابل

وناس يرونها فى الحب ، ويرون فيه أنه عصارة السحر

هو السحر الا أن للسحر رقية وإنى لا ألقى من الحب راقيا

ويرون فيه أنه ارتياح فى النفس ، وفرح يجول فى الروح ، وسرور ينساب فى جميع أجزاء القوى . ويقولون إنه بقدر ما يكون الانسان حصيفاً راجح العقل يكون حبه صحيحاً عذرياً ، يسير به الى مستوى الفضائل ومكارم الاخلاق ، ذلك لان للحب غصوناً تغرس فى القلوب ، فتثمر على قدر العقول ، ولو لم يكن فيه الا أنه يشجع الجبان ، ويصقل الاذهان ، ويبعث حزم العاجز ، لكفاه شرفاً

وناس يرون السعادة فى الصحة والشباب ، ففى الصحة تذوق العيش الهنىء ، والحياة الصافية ، وفى الشباب لذة الفتاء والصبوة ، والامانى المعسولة الحلوة . ويقول المتنبى فى ذلك :

آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولى

وناس يرونها فى المال والبنين ، ففى المال الثمرة المرجوة من بسطة العيش والحصول على كل مأمول ، وفى البنين زهرة الحياة الدنيا وزينتها . ويقول الطغرائى مشيراً الى مزية جمع المال ، وسعادة الانسان به :

أريد بسطة عيش أستعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلى

ومن الناس من يراها فى سعادة الوطن ، وأن سعادته مرتبطة بسعادته فهو يتهالك فى محبته ،

ويضحي بنفسه فى الدفاع عنه ، ويتغنى بأنشودته وذكرى صباه فى مربعه ومروجه . ويقول أبو الحسن على بن عباس الرومى فى ذلك :

ولى وطن آليت ألا أبيعه وألا أرى غيرى له الدهر مالكا
عمرت به شرخ الشباب منعماً بصحبة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
فقد ألفته النفس حتى كأنها لها جسد ان بان غودر هالكا

ومن الناس من يرى السعادة فى جمال الزوجة وفى البطولة والعظمة ، وفى الرياسة والملك ، وفى الغناء والموسيقى والتصوير ، الى سائر الفنون الجميلة

ذلك الذى قدمناه وغيره مما لم يتسع المقام لذكره ما يفهمه سواد الناس فى السعادة ، وأين تثوى . وعلى نص ذلك يقولون : فلان حياته سعيدة ، وفلان شقي . وهم فى ذلك واهمون ، فان السعادة الحقيقية ليست فى اشباع هذه الشهوات وان كانت مشروعة ، فجميع السعادات الجزئية فانية متحولة وليس لها اعتبار الا بقدر ظلها المتنقل ، وثباتها الضئيل ، فالصحة تضمحل ، والثروة تفنى ، والولد يموت ، والشهرة تضؤل وهكذا ، فيصبح المرء وقد أجفل عنه الناس وتنكرت له الايام فلا تبقى له بهجة الحياة وصفو العيش

إن السعادة التى تبيد وتفنى ليست فى الواقع سعادة بالمعنى الكامل . أما السعادة الحقيقية فهى استكمال القوتين العلمية والعملية ، هى تزكية النفس بالعلم ، وتكميلها بالفضائل . فمتى تحلى الانسان بالعلوم والمعارف وعمل بما علم ، كانت حياته حافلة بأنبل العواطف وأشرف الغايات . وكلما تزيد الانسان من هاتين القوتين كان أدنى من السعادة ، وأقرب الى الخير . ولقد بلغ الانبياء والرسل درجة الكمال فيهما فكانوا أسعد الخلق فى هذه الحياة ، وكانوا أكثر أثماراً فى الدعوة الى الخير وجلاء أسرار الجمال ، ثم الذين ترسموا خطاهم من مصلحى الامم وحكمائها وذوى القدوة الحسنة فيها ، كل على قدر درجته من العلم والعمل

محال أن يصل المرء الى السعادة الحقيقية التى ينشدها طلاب الكمال فى هذه الحياة بغير طريق العلم وأخذ النفس بكماله المعنوى ، فالعلم حياة والجهل موت . من الغريب أن الانسان قد يطلب العلم لغاية مادية ، فاذا ما أمعن فيه انقلب هو نفسه غاية ، وأصبح يطلب لذاته وكان لذة من لذات النفس بالغة الاثر عميقة التكوين . ولسنا نجد له ضريباً فى ذلك سوى المال عند عبيده ، ولكن المال قد يعقب عند هؤلاء حسرة دائمة وعيشاً نكداً ، أما العلم فلا خطر فيه ولا يخشى من مغبته . والعلم اذا أثمر فضيلة وخلقاً كان أجدى لصاحبه وأعود بالخير عليه . وهم يقولون ان هناك

علاقة بين العلم والاخلاق أى ان هناك رابطة بين التربية العقلية والتربية الخلقية ، وليس ذلك موضوع بحثنا الآن ، وانما نريد أن نكرر ما قلناه وهو أن السعادة الحقيقية هى فى رياضة العقل بالبحث العلمي . وأخذ النفس بتطبيق نظرياته عملا وخلقاً ، وبذلك يكون الانسان ذا مظهر للاخلاق العالية ، وقدوة صالحة ، وعاملا قوياً فى استقامة الحياة وهداية خلق كثير

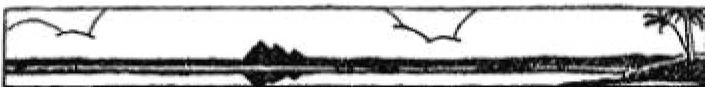
ألم تر الى العرب قبل الاسلام كيف كانوا ؟ كانوا جفاة غلاظاً لا يعتدون بخلق ، ولا يستنيمون لفضيلة ، فلما جاء الاسلام وأنار كتاب الله عقولهم ونبه فيهم حاسة الخير ، انتقلوا من وحوش كاسرة الى هداة مصلحين ، وفتحوا بلاد القياصرة والا كاسرة بقواتهم المعنوية أكثر مما فتحوا بقواتهم المادية

العظمة والبطولة وقيادة الجماهير إلى خير السبل ، وتجديد الامم بالاصلاح والتعمير ، كل ذلك نتيجة العقول المستنيرة بالمعرفة والعامرة بالاخلاق ، وهذه هي السعادة المنشودة والتى هي خير سبيل إلى إصلاح الحال فى الدنيا والآخرة . ولقد تجد أولئك العظماء والابطال والقادة الذين استنارت عقولهم وكملت أخلاقهم ، لا يرون فى الحياة آلاماً فى سبيل خدمة الحق ونصرة الانسانية ، وهم يستعذبون العذاب والآلام فى سبيلهما

والتاريخ ينبئنا فى كل جيل عن رجال من ذلك الصنف ظلوا يجأرون بالاصلاح ، ويعملون على انهاض أممهم ، فأصيبوا فى طريق ذلك بالتشريد والتطريد والويلات فى النفس والمال والولد وهم عاكفون على دعوتهم وتوجيه نفوسهم إلى المثل العليا فى الحياة ، راضون عن كل ما يلحقهم من الاذى ، غير ساخطين على القدر ولا زارين بالقضاء

والأمم التى عمرت بالعقول الراجحة والاخلاق المستقيمة عاشت سعيدة ، والتى حرمت الامرين لا قيمة لحياتها ، بل تكون قطيعاً من البهائم السائمة . واذا كثر المتعلمون فيها من غير أن تكون محصلة للاخلاق كانت على نفسها شراً من الأمة الجاهلة ، فان العلم يفتح لها أبواب النزق فتتردى فى أودية الهلاك والضلالة ، اما أن تكون أمة ذات خلق بغير علم ومعرفة فذلك لم نصل الى معرفته ولم نعرف باحثاً وصل اليه

محمود ابو العيون



تاريخ البغاء

من اقدم عصور الحضارة الى الآن

لسنا نعرف شراً أجمع الناس على استنكاره ثم تغاضوا عنه وأباحوه كشر البغاء. فهو فى نظر الكثيرين من المحظورات التى تبيحها الضرورات، أو هو ذلك الشر الذى لابد منه - لا لدعم صرح الاجتماع، بل لاشباع شهوات الانسان وغرائزه البهيمية، على أن يتم ذلك الاشباع بقيود وفى حالات تكون أكثر ما يمكن انطباقاً على المصلحة العامة. وفى الواقع ان اباحة البغاء ليست دليلا على صلاحه للعمران بل هى من قبيل اختيار أهون الشرين. فقد رأت الحكومات فى مختلف العصور والبلدان أن تبيح هذا الشر مكرهة وأن تقيده بقيود تخفف وطأته إلى الحد الذى يتفق ومصلحة الاجتماع. وحاولت بعض تلك الحكومات فى أوقات مختلفة أن تلغيه الغاء تاماً ثم عدلت عن ذلك لاعتبارات ليس هذا مجال الكلام عنها

ولا ريب أن من أقوى العوامل التى ساعدت فى انتشار البغاء فى العصور الماضية ما كان له فى نظر بعض الاقدمين من المعنى الدينى. فقد بلغ من فساد الناس انهم كانوا يعبدون الشهوات ويخلقون لها الآلهة. وقد اشتهرت بابل ولسبوس وكورنتوس وغيرها من المدن القديمة بما كان يقام فيها من ضروب العبادات الشهوانية. وبلغ من فساد أهلها انهم كانوا يفرضون البغاء على بناتهم فى الهياكل والمعابد بل فى المواخير كما سترى فيما يلى

ولننظر الآن فى نشوء هذا الشر قديما وكيف وصل الى حالته الحاضرة، وما هى القيود التى فرضت عليه



اذا استثنينا الشعب اليهودى نجد أن معظم الشعوب الشرقية القديمة كانت تبيح البغاء وتدعو اليه وتحسبه من الفرائض الدينية. وفى سفر اللاويين من التوراة امر يحتم على اليهود ألا يحذوا حذو مصر وكنعان فى اباحة الفرائض الشهوانية. ولم تكن هذه الفرائض محصورة فى مصر فقط بل كانت عامة فى فينيقية وآشور وبابل وبلاد الفرس والكلدان وغيرهم. وما عبادة ايزيس ومولك والبعل وعشتاروت وغيرها سوى ضرب من أشنع ضروب الفرائض الشهوانية التى كان الاقدمون يمارسونها ويحافظون عليها. بل أن هنالك قرائن تدل على أن البغاء فى بعض البلدان (كبابل مثلا) كان اجبارياً تكره عليه الفتيات اكراما للآلهة المسماة «ميليتا». وما يزال البغاء فى بعض أنحاء الهند

مرتبطاً بالعقائد الدينية الى هذا اليوم . اما الصين فمع قدم حضارتها لم يكن للبغاء فيها صلة بالعبادة مع انه منتشر فيها منذ أقدم الازمنة

واذا رجعنا الى الشريعة الموسوية نجد انها لا تحرم البغاء تحريماً صريحاً ولكنها تحصره فى النساء الاجنبيات فقط . ففي سفر اللاويين « ١٩ : ٢٩ » قوله : « لا تدنس ابنتك بتعريضها للزنى » . وفى سفر التثنية (٢٣ : ١٧) نهى صريح للاسرائيليات عن مزاولة البغاء . الا ان الشريعة الموسوية لاتفرض أية عقوبة على من يعصى هذا الامر الا اذا كان من طغمة الكهنة فان ابنته كانت اذ ذاك تحرق لانها تدنس اباها (لاويين ٢١ : ٩) وهذا مناقض لما كانت عليه الحال عند الامم الاخرى فان « كاهنات » المعابد عندها ما كن سوى عاهرات . وكانت عقوبة الزنى فى الشريعة الموسوية القتل . فاذا زنت فتاة مخطوبة وجب قتلها رجما

وفى أسفار العهد القديم اشارات كثيرة إلى البغاء فى فلسطين تدل على انه كان منتشراً فيها انتشاراً كبيراً . وقد نهى الناموس الموسوى العاهرات عن الدنو من اورشليم ومن اما كن العبادة عامة فكان هؤلاء النسوة يجلسن على قوارع الطرق . وهنالك اشارات تدل على ان العاهرات كن يلبسن ثيابا معينة تميزهن عن غيرهن . وكانت هذه العادة (أى عادة لبس ثياب معينة) شائعة بين بغايا اليونان والرومان أيضا

☆☆☆

أما فى بلاد اليونان فكان للبغاء نظام خاص . وكان صولون المشترع اليونانى الحكيم قد سن قانونا خاصا لتقييده بقيود صريحة ، من ضمنها انشاء منازل خاصة (مواخير) لاقامة البغايا . وكانت تلك المواخير احتكاراً للحكومة ومحصورة فى أحياء معينة من المدن . وكان محتوماً على البغى ان تلبس ثيابا معينة . ومع انه كان للبغاء صبغة دينية فى كثير من البلدان القديمة فلم يكن كذلك فى بلاد اليونان بل لم يكن يؤذن للبغايا هنالك ان يشتركن فى الحفلات الدينية . وبعد الحروب الفارسية اضطر اليونان الى سن قوانين مشددة لتقييد البغاء ، ووضعت المواخير تحت رقابة البوليس وفرضت عقوبات مشددة على البغايا اللواتى يتسببن فى خراب الشبان ماليا وصحيا واللواتى يتهتكن علنا أو يدنسن المعابد . ومما يجدر بالذكر ان البغايا كن طبقات مختلفة وان كن على مستوى واحد فى نظر القانون . واكتسبت بعض السرارى نفوذاً عظيماحتى ان بعضهن كن يتحدين سلطة البوليس ويفعلن مايحسن فى نظرهن . وبمرور الزمن بطل احتكار الحكومة للمواخير وصار فى وسع كل امرىء ان ينشىء ماخوراً بشرط ان يدفع للحكومة ضريبة معينة

وكانت كورنثوس فى مقدمة مدن اليونان شهرة لكثرة ما كان فيها من المواخير وما كان يقع فيها من ضروب التهتك والخلاعة حتى صارت مضربا للامثال . وكان فيها معبد شهير لافروديت

آلهة الشهوات . وكانت الشعائر الدينية المتعلقة بها من أحط الفرائض الشهوانية التي يتصورها الانسان

✡ ✡ ✡

أما في روما فقد كانت وطأة البغاء أخف لان الرومان كانوا في أول العهد أكثر تمسكا بأهداب الفضيلة وكانوا في أيام الجمهورية يغارون على العرض ويحتقرون الذين يترددون الى المواخير أو يظهرون مع البغايا علناً . وكانت قوانين البغاء عندهم شديدة ثقيلة . وهم أول من أوجب على البغي تسجيل اسمها في سجل خاص للحصول على الاذن بمزاولة مهنتها كما هي الحالة الآن في البلاد المتمدنة . وكانت البغايا يلبسن ثياباً معينة ويصبغن شعورهن أو يلبسن عارية صفراء ويخضعن لقيود كثيرة ويدفعن للحكومة جعلا معيناً . وكانت البغي اذا احترفت البغاء ثم أرادت التوبة لم يجرؤ أحد على معاشرتها أو الاجتماع بها

على أن جميع هذه القيود المشددة ضعفت بمرور الزمن فاخذ الرومان ينهمكون في شهواتهم . وانتبه بعض قادة الشعب الى الخطر الادبي الذي يتهددهم من هذه الناحية فاقنعوا الحكومة — في أواخر عهد الجمهورية — بأن تسن قانوناً جديداً للبغاء تقيده بقيود ثقيلة . ومع أن الحكومة سنت قانوناً كهذا وفرضت على البغاء قيوداً ثقيلة الا أن مستوى الآداب الرومانية انحط كثيراً

ولما جاءت الديانة المسيحية طرأ على البغاء تغير عظيم . ذلك أن هذه الديانة تنظر الى البغايا نظرة الشفقة وتدعو إلى العمل على انقاذهن . وفي القرن الخامس للميلاد — أي في عصر الامبراطور انستاسيوس الاول ألغيت الضريبة التي كانت تفرض على البغايا (وكانت قد أصبحت بمرور الزمن مصدر ربح كبير للامبراطور) وأحرقت السجلات القديمة وكان فيها أسماء البغايا وبيانات أخرى متعلقة بهن . وقد علل المؤرخ جبون ذلك بقوله : ان الامبراطور يوستنيان فعل هذا لانه كان يريد أن يتزوج تيودورا التي اشتهرت بالتهتك والخلاعة في ذلك الزمن . على أن جبون نفسه اعترف بأن تيودورا هذه أصبحت من فضليات النساء بعد زواجها فانصرفت الى عمل البر والاحسان . ومن أشهر آثارها الملجأ الذي أنشأته في القسطنطينية لانقاذ الساقطات والعناية بهن . وكانت القوانين الرومانية في ذلك الزمن — مع اباحتها البغاء — تفرض على سماسرة السوء عقوبات مشددة

وإذ علم الامبراطرة الرومان بشدة محافظة المسيحيين على الفضيلة واستنكافهم من البغاء أخذ بعضهم يضطهد المسيحيين باكراه بناتهم على احتراف البغاء . على أن ذلك لم يفت في ساعد المسيحيين الذين كانوا يستشهدون ويقبلون الموت بطيبة خاطر في سبيل دينهم . وكان من نتيجة ذلك أن القوط لما غزوا الامبراطورية الرومانية واجتاحوا إيالاتها كانوا يرعون حرمة المسيحيات أشد الرعاية . على ان بعض زعماء المسيحية في تلك العصور — وفي مقدمتهم القديس أوغسطينوس — كانوا يرون البغاء شراً لابد منه ولا يرون أية فائدة من محاربته لئلا يفضي الغاؤه الى انتشار الرذيلة انتشاراً ذريعاً

ولما جاء الامبراطور شرلمان حاول اصلاح الحال . ومع أنه اصدر أمراً بجلد كل بغى وكل سمسار من سماسرة البغاء فقد كانت معيشته مشوبة بكثير من التهتك وفساد الآداب . فلم تكن غيرته على الآداب ناتجة عن اخلاص . ولما جاء عصر الفتوة (المعروف بعصر الفروسية) ارتقت الآداب الى مستوى رفيع وصار للمرأة فى نظر الناس مقام عال . وتعاونت الروح المسيحية والروح الدينية التى نشأت عن الحروب الصليبية على اعلاء شأن الفضيلة ومحاربة الفساد الذى كان منتشراً فى ذلك العهد . وقامت الكنيسة بنصيب وافر من العمل وانشأت ديوراً وملاجىء خاصة لانقاذ الساقطات التائبات وايوائهن . وليس ذلك فقط بل خصت أكثرهن بمبالغ من المال «دوطة» لتزويجهن . ومن أشهر الذين عملوا فى هذا السبيل «فولك دى نويوى» فانه أخذ يطوف بأوربا واعظاً داعياً الى قبول توبة الساقطات . وأصدر البابا انوسنت الثالث (١١٩٨ – ١٢١٦) منشوراً جاء فيه أن كل من يتزوج بغياً تائبة يستحق الثواب — وكتب البابا غريغوريوس التاسع بعد ذلك ببضع سنوات الى الحكومة الالمانية ينهى أصحاب المواخير عن التعرض للبغايا اللواتى يرغبن فى حضور الوعظ والارشاد فى الكنائس ويحرم كل من يتاجر بعفاف المرأة ويشجع الشبان على الاقتران «بالفتيات التائبات» ويحرض من لم تتزوج من هؤلاء على دخول الديور

ومع كل ذلك انتشر البغاء فى أوربا فى العصور المتوسطة انتشاراً حمل جميع الحكومات على سن قوانين خاصة لتقييده . وكثرت المواخير فى أنحاء كثيرة من أوربا وفى انجلترا حتى هال أمرها العقلاء . فأصدر هنرى الثالث ملك انجلترا أمراً بالغاء جميع المواخير سنة ١٠٤٢ . أما فى فرنسا فكان يفرض على البغايا أن يلبسن شارات خاصة ولا يؤذن لهن ان يتحلين بالحلى أو ان يقربن أحياء معينة من المدن . وانشئت مواخير عامة فى باريس وطولوز وافنيون ومونبليه . وكانت المكاسب الناشئة عنها فى طولوز تقسم مناصفة بين المدينة (البلدية) والجامعة . أما فى افنيون ومونبليه فكان البغاء احتكاراً للبلدية فكانت هذه تبيع «امتياز» انشاء المواخير وادارتها الى أشخاص بشرط أن يدفعوا جعلا معيناً . وكانت البغايا فى افنيون ملزمات بأن يتقدمن للكشف الطبى مرة فى الاسبوع . الا أن لويس التاسع أصدر أمراً فى سنة ١٢٥٤ يقضى بالغاء المواخير وبنفى أصحابها ومديريها والبغايا اللواتى فيها . ولكن هذا الامر الغى مرة أخرى بعد ذلك بسنتين . وفى الوقت عينه شددت العقوبة على سماسرة البغاء . وكانت البغايا فى بعض أنحاء فرنسا يدفعن ضرائب للموالى الاقطاعيين

ولم تكن الحالة فى المانيا تختلف كثيراً عنها فى غيرها من بلدان أوربا فى ذلك العهد . فكانت المواخير مقيدة بقيود مختلفة وتدفع جعلا للمجالس البلدية . وفى أكثر مدن المانيا لم يكن يؤذن للمتزوجين فى ارتياد المواخير . وكان محظوراً على اليهود ورجال الدين أيضاً أن يغشوها . وكانت تقفل عادة فى أيام الآحاد وفى الاعياد الدينية

وفى القرن الثالث عشر أصدر فردريك الثانى قانوناً خاصاً بالبغاء يتضمن أوامر ونواهى هى فى

غاية الغرابة . مثال ذلك أن كل من اعتدى على بغى وحاول اغتصابها عرض نفسه للموت بقطع رأسه . وكل بغى تتهم رجلا بريئاً تهمة كاذبة من هذا القبيل تعاقب بتلك العقوبة عينها . وإذا أبى إنسان أن يمد يد المعونة إلى بغى لانقاذها ممن يحاول الاعتداء عليها عوقب بغرامة كبيرة . إلى غير ذلك من القوانين التى تقرأ روح الفتوة (الشيفالرى) بين سطورها . وكان يحظر أيضاً على البغايا أن يتخذن سكنا بين الأسر الشريفة أو أن يذهبن إلى الحمامات العامة مع النساء الشريفات

ومن تقاليد ذلك العصر فيما يتعلق بحقوق الضيافة أن يضع المضيف مواخير المدينة تحت أمر ضيفه ليقضى فيها ليلته . ومما يروى من هذا القبيل أنه لما زار الملك سجسموند (الذى أصبح فيما بعد امبراطوراً) مدينة « برن » فى سنة ١٤١٤ ومدينة « اولم » فى سنة ١٤٣٤ مليا دعوة بعض أصدقائه من الاشراف وضعت المواخير العامة تحت تصرفه . وقد سر بذلك سروراً أعرب عنه لمضيفيه علنا امام حاشيته! . . .

وكان فى المانيا فضلا عن المواخير العامة بيوت سرية تنافس المواخير منافسة شديدة . وفى سنة ١٤٩٢ رفعت بغايا مدينة نورمبرج شكوى إلى محافظ المدينة بسبب تلك المنافسة . وفى سنة ١٥٠٨ هجمت البغايا على تلك البيوت السرية وارغمن نساءها على الفرار



ولم يكن نظام البغاء فى إيطاليا وأسبانيا يختلف عنه فى غيرها من بلدان اوربا . فقد كانت البغايا فى بعض المدن ملزمات بأن يلبسن ثياباً معينة . وفى البندقية كان يحظر عليهن ارتياد الحانات . وكان فى مدينة نابولى محكمة خاصة بجرائم البغاء إلا أنها ألغيت فى أواخر القرن السابع عشر بسبب اساءتها استعمال سلطتها

وفى المائتين السادسة عشرة والسابعة عشرة طرأ على نظام البغاء انقلاب عظيم نشأ عن عاملين مهمين : أولهما الاصلاح الدينى وثانيهما انتباه الناس الى مرض الزهرى الذى أخذ يتفشى فى ذلك العصر . ومع أن القرائن متوافرة على أن هذا المرض كان معروفا منذ أقدم الازمنة الا أنه لم ينتشر كثيراً فى أوربا على ما يظهر إلا فى أوائل القرن السادس عشر أى على أثر رجوع بعثة كولمبوس من اميركا . وهذا ما حمل الكثيرين فى ذلك العهد على القول بأن داء الزهرى وصل الى اوربا من هنود اميركا بواسطة رجال كولمبوس . إلا أن الذين يعول على آرائهم من كبار المؤرخين ينكرون ذلك ويقولون إن الزهرى كان منتشراً فى اوربا قبل سفر كولمبوس الى اميركا

ولما جاء عصر الاصلاح الذى سبقت الاشارة اليه ظهر تأثيره فى نظام البغاء ظهوراً واضحا فى المانيا ثم فى غيرها من بلاد اوربا . فأقفلت مواخير « اولم » فى سنة ١٥٣١ ومواخير « بال » فى سنة ١٥٣٤ ومواخير نورمبرج فى سنة ١٥٦٢ ومواخير لندن فى سنة ١٥٤٦ ومواخير باريس فى سنة ١٥٦٠ . وأرغمت جميع بغايا باريس فى تلك السنة على الخروج من المدينة

ومن الغريب مارواه بعض المؤرخين ، ومن جملتهم « هين ام راين » الالمانى وكان من أعداء البغاء ، ان اقفال المواخير فى المانيا وغيرها عقبته ظاهرة غريبة وهى انتشار جرائم قتل الاطفال وتفشى مرض الزهرى تفشيا ذريعا — مما دعا ولاة الامور الى انشاء ملاجىء للاطفال ومستشفيات للمصابين بالزهرى

وفى القرن السابع عشر ثارت ثورة المصلحين على البغاء مرة أخرى . ففى سنة ١٦٣٥ أصدرت الحكومة الفرنسية أمراً باغلاق جميع المواخير وسنت قانونا يقضى بسجن جميع الرجال الذين يروجون البغاء سجنا مؤبداً مع الاشغال الشاقة ، وبجلد البغايا علنا ونفيهن من البلاد من دون محاكمة. ولم يكن القانون الذى سنه المتعصبون من رجال الدين فى انجلترا أخف وطأة . فقد كانت البغايا يجلدن وأجسامهن توسم بالحديد ويحكم عليهن بالسجن ثلاث سنوات. فاذا عادت البغى بعد ذلك الى مزاولة مهنتها مرة أخرى حكم عليها بالموت

وكذلك اصدرت بعض المدن فى المانيا قوانين شديدة الوطأة على البغايا باقفال المواخير وسجن البغايا أو نفيهن من البلاد

وقد أصبح البغاء الآن من المعضلات التى تعنى بها جميع الدول على السواء ، وهو اليوم شديد العلاقة بتجارة الرقيق الابيض الرائجة فى أنحاء كثيرة من العالم

ومما يدل على اهتمام الدول بهذه المعضلة ان مؤتمراً دوليا عقد فى لندن سنة ١٨٩٩ عقبه مؤتمر آخر عقد فى باريس فى سنة ١٩٠٢ أدى الى عقد معاهدة سنة ١٩٠٤ بشأن الرقيق الابيض وقد وقعتها اثنتا عشرة دولة من دول اوربا الكبرى ما عدا النمسا . واتفقت الدول يومئذ بموجب المعاهدة المذكورة على مراقبة الرقيق الابيض مراقبة مشددة مع ملاحظة الاسواق التى يؤتى منها بذلك الرقيق وكيفية الحصول عليه . وفى سنة ١٩١٠ سنت الولايات المتحدة قانونا خاصا بالرقيق . وفى تلك السنة عينها عقد فى باريس مؤتمر دولى للنظر فى هذه التجارة شهدته ثلاث عشرة دولة من ضمنها النمسا واتخذت فيه قرارات تقضى بأخذ تجار الرقيق الابيض بأقصى ما يمكن من الشدة

ولما وضعت الحرب العظمى اوزارها فى سنة ١٩١٨ وانشئت عصبة الامم اخذت هذه على عاتقها الاهتمام بمسألة الرقيق الابيض بمقتضى المادة ٢٣ من قانون العصبة . وفى سنة ١٩٢١ عقد فى جنيف مؤتمر حضرته اربع وثلاثون دولة للنظر فى تجارة الرقيق الابيض واتخذت فيه قرارات جديدة طبقا لما يقضى به الاختبار . وما تزال عصبة الامم تعنى بهذه التجارة عناية خاصة وتراقب انتشارها واتساع نطاقها بكل اهتمام

سليم عبد الاحد

الطب في خدمة العدالة

بقلم الدكتور محمد عماره

أستاذ الطب الشرعي المساعد ، بكلية الطب

تصدير

حكمت محكمة الجنايات منذ أسابيع على ثلاثة من العربان ثبت انهم قتلوا جندياً بريطانياً بمصر الجديدة ، فقضت بالاشغال الشاقة المؤبدة على احدهم وبالسجن خمسة عشر عاماً مع الاشغال الشاقة على زميليه . وجاء فى حيثيات الحكم ان تخفيف العقوبة عن الاول ـ برغم انه هو الذى أطلق النار على القتيل فأرداه ـ يرجع الى ان سنه لم تتجاوز العشرين عاماً

وفى سنة ١٩٢٦ ادعى صاحب جريدة اسبوعية ان المرحوم فتح الله باشا بركات والمغفور له سعد باشا ، حرضا شقياً على الاعتداء عليه فطعنه بسكين فى صدره ، فتبين انه كاذب فى دعواه تلك ، وحكم عليه بالسجن سنتين

وها هى المحاكم تنظر الآن قضية اتهمت فيها احدى السيدات الراقيات ، بأنهـا ادعت بنوة طفل زاعمة انها رزقته من زوجها الراحل ، على حين يدعى أهل المتوفى وزوجته الاخرى ان الطفل ينتسب الى أب قهوجى وأم وضيعة المنبت

هذه أمثلة ثلاثة ـ من كثير غيرها ـ يحسن ان نسوقها دليلا على ان العدالة فى عصرنا هذا تلجأ الى الطب فى حل ما أشكل تمحيصه من الحق

فأما مسألة السن فى القضية الاولى ففى وسع الطبيب الشرعى ان يقدر عمر أى انسان فى مثل هذه السن بالدقة والضبط

وأما الصحفى الذى ادعى انه طعن فى صدره ، فقد أثبت الطبيب الشرعى انه هو الذى جرح نفسه بموسى من نوع « الجيليت »

وأما الطفل الذى تدعى تلك السيدة أنه من زوجها الراحل ، ففى استطاعة الطبيب الشرعى ان يكشف حقيقة الامر فيها ان ساعده الحظ ، ونقول : « ان ساعده الحظ » ونحيل القارىء الى ذيل المقال ، ليعرف ماذا قصدنا من قولنا هذا)

فما هى اذن وظيفة الطبيب الشرعى ؟ وماذا يؤديه من خدمات للعدالة ؟ !

نبذة تاريخية

يرجع الطب الشرعى الى عهد قدماء المصريين ، فقد كان هناك قوانين تحتم عمل كشوف فيما يتعلق بالبكارة والاغتصاب ، والبرص والجذام . وكان الكهنة يتولون عمل هذه الكشوف واحتذى الاسرائيليون حذو قدماء المصريين ، وعنهم أخذوا هذه الاجراءات

كذلك كان الاغريق ، وكان الرومان يحتمون عمل كشوف فيما يتعلق بالجنون والجروح المميتة والقتل بأنواعه

وانك لتجد شيئاً كهذا فى تاريخ الاجراءات القضائية على عهد الخلفاء وملوك المسلمين فى البلاد الخاضعة لنفوذهم . أما الاوربيون فى ذاك الوقت فقد أوجب شارلمان — بمقتضى قانون يسمى « كابيتولير » — ضرورة عمل كشوف طبية شرعية . واستمر ذلك فى فرنسا الى ان وضع نابوليون قانونه المشهور . على انه فى النمسا — من عهد شارل كنت فى القرن السادس عشر من الميلاد — كانت الكشوف الطبية الشرعية ضرورية وقررها فى قانونه المسمى « كارولين »

ويمكن القول بأن كتب الطب الشرعى القائمة بذاتها لم تظهر قبل القرن السادس عشر ، لكن ليس معنى هذا ان كتب جالينوس وأبقراط وكتب الاطباء العرب ، خلت من أية اشارة الى الطب الشرعى ، فالذى نعرفه ان جالينوس مثلا فصل الكلام فى ادعاء المرض وشرح الفرق بين الامراض الكاذبة والحقيقية . واحتوت هذه الكتب القديمة على أوصاف الجنون وأنواعه وعلى أشياء أخرى مما يتصل بالطب الشرعى ، الا ان الطب الشرعى — كعلم مستقل بذاته — لم يظهر إلا فى القرن السادس عشر أى من عهد شارل كنت

وبالطبع تقدم الطب الشرعى جنباً الى جنب مع تقدم فروع الطب الاخرى ومع تقدم الصناعة وسرعة المواصلات

فالطب الشرعى الحديث هو ثمرة ناضجة من ثمرات الحضارة الراهنة فى كل شيء تقريباً . ولا مبالغة فى القول بأنه من المبتكرات الطريفة التى لم تكن تعرفها الانسانية من قبل والتى أجرت على العدالة خيراً عميماً وساعدت فى وضع الحقوق فى نصابها

الطب الشرعي

فى مدة « كلوت بك » كان طلبة الطب يحصلون على معلومات وجيزة عن الطب الشرعى . وبمضى الزمن اندثر هذا القدر الضئيل زمناً ما

وآية ذلك ان المرحوم — الدكتور ابراهيم باشا حسن — على ماورد فى كتابه « الدستور المرعى فى الطب الشرعى » ، وهو أول مؤلف من نوعه فى اللغة العربية — يقول انه لما ذهب الى باريس

لاتمام علومه الطبية وجد أن ثمة فرعاً من فروع الطب غير معروف فى مدرسة القصر العينى ، بالرغم من شدة الاحتياج اليه فى الاقاليم والمراكز المصرية ، هذا الفرع هو الطب الشرعى ، فبدا له ان يدرسه على الاستاذ تارديو العلامة الفرنسى المعروف وأحد أقطاب الطب الشرعى البارزين . فلما زار الخديوى اسماعيل باشا مدينة باريس وقتذاك توسل اليه « تارديو » ان يسمح للدكتور ابراهيم حسن بالذهاب الى النمسا لاستكمال ما ينقصه من الطب الشرعى . فأذن ساكن الجنان اسماعيل لهذا الطبيب الشرعى فى أن يتزود ما يشاء من الطب الشرعى ، على ان يتولى تدريسه فى مدرسة الطب المصرية لدى عودته

فالطب الشرعى فى مصر الحديثة يعتبر من جملة أعمال التجديد التى استحدثها اسماعيل العظيم

يبق ان أقول ان الطب الشرعى فى مصر بدأ فى أوائل عهده يقدم خدمات للعدالة . على قدر المطلوب ، ثم تدرج فى اسداء الخدمات حتى صارت له مصلحة قائمة بذاتها يديرها طبيب مصرى قدير هو صاحب العزة الدكتور محمود بك ماهر يتعاون والنيابة العمومية فى اظهار الحقيقة ناصعة لا لبس يغشاها ولا ابهام ، كما أصبح له قسم خاص فى كلية الطب . ولاغرو فان عهد جلالة الملك فؤاد يعتبر امتداداً لعهد اسماعيل من حيث التجديد والاصلاح

على الموتى وعلى الاحياء

الاوفق أن نجمل الكلام عن الطب الشرعى بحيث نقدم للقراء وكلهم او جلهم من غير الاطباء — فكرة شاملة كاملة عن خدماته للعدالة وعن ماهيته وطرقه ووسائله ، ماجد منها وما تقادم به العهد !

الطب الشرعى يتناول الاحياء والاموات جميعاً ، وقد يكون ميدانه بين الموتى أفسح من مجاله بين الاحياء

فالدائرة التى يعمل فيها الطب الشرعى جاهداً فى البحث عن الحقيقة ووجه الصواب هى :

أولا — الاصابات بأنواعها ، وذلك لمعرفة درجة خطورتها ، والمدة اللازمة لشفائها ، وهل تنشأ عنها عاهة مستديمة ، ودرجة هذه العاهة ونوع الآلة المستعملة فى احداثها ، وهل هى مفتعلة او حقيقية

ثانياً — السموم ، وذلك لمعرفة نوعها ، والكشف عن اعراضها ، وتحليل المحتويات التى يلفظها المسموم او تحليل احشائه بحثا عن هذه السموم . وبالطبع لابد من اسعاف المسموم باديء ذى بدء

ثالثا — هتك العرض والزنى وما يتبع ذلك من حمل وولادة واجهاض . والتطويل فى شرح ذلك يعتبر من قبيل تحصيل الحاصل . فالناس جميعاً يعلمون ان الطبيب الشرعى هوالمختص باثبات هذه الشئون . وقوله فصل فى الموضوع

رابعاً – إدعاء البنوة ، وقتل الأجنة . وسنوجز الكلام فيما يلى عن الطريقة الجديدة التى قد يمكن بواسطتها اثبات البنوة او نفيها

خامساً – فحص الآلات النارية وغيرها من الآلات المستعملة فى الاعتداء على الارواح . وذلك لمعرفة نوعها ونوع الخراطيش او الرصاص ، وما اذا كان مقذوف ما اطلق من بندقية أو آلة نارية خاصة ، وما الى ذلك مما له اهمية خاصة من الوجهة الجنائية – مثل البحث عن « بصمة الأصابع » على البندقية لاثبات شخصية القاتل ، وكذلك تحليل مخلفات البارود فى البندقية لمعرفة هل كانت منطلقة حديثاً أم لا

سادساً – البقع الدموية والمنوية وغيرها ، وسنتكلم عن ذلك فى موضعه

سابعاً – الاستعراف على الاشخاص

هذا عن الاحياء . أما عن الموتى فنقول إن الطبيب الشرعى يعنيه ما يأتى بوجه خاص :

أولا – الغرقى ، وسبب وفاتهم الحقيقية ، وهل هذا السبب عرضى أو جنائى أو هو انتحار متعمد مقصود

ثانياً – الخنق والشنق ، وأى وسيلة استعملت لذلك ، وهل فعل ذلك مجرم أثيم أم هو من قبيل ازهاق النفس بالنفس

ثالثاً – كتم النفس (الاختناق) وهو شائع فى الاطفال ، خصوصاً أولئك الذين يولدون سفاحاً

رابعاً – الموتى بالحروق ، وكيفية ذلك وسببه ومداه ومعرفة ما اذا كانت الحروق هى سبب الوفاة أو أحرقت الجثة بعد وفاتها لسبب آخر لاخفائه

خامساً – الضرب بالرصاص أو بمقذوف نارى آخر ، أو بأى آلة اخرى ، سواء أكانت حادة أم راضة . وفى هذا نظر وفيه كلام لعله من الخير أن نعفى القارىء من تفاصيله

سادساً – الاستعراف على الموتى والمقتولين ، اذا شوهوا أو انطمست معالم وجوههم وأجسامهم بوجه خاص . وكذلك يمكن التعرف على الشخص – او الجريمة – من العظام مهما صغرت ، ومن أجزاء الجسم حتى ولو كانت قطعة من الجلد

سابعا – الوفاة فجأة ، وهل هى حاصلة عن مرض دخيل او عرض مفاجىء ام حصلت عن غير ذلك

ثامنا – الوفاة تحت البنج أو بسبب العلاج الخاطىء

تاسعاً – الوفاة بالسموم سواء أكانت معدنية ام عضوية ام غازية الخ

الحديث في الطب الشرعى

للطبيب الشرعى طرقه ووسائله . ويكفى من ذلك ان يعرف القراء أنه يستمين بالمعلومات الطبية التى تساعده على كشف الحقائق . فهو يستخدم شيئاً من الجراحة وشيئاً من التشريح وشيئاً من الكيمياء العضوية وغير العضوية . وهو يستخدم ماينفعه من ذلك كله على نسق مخصوص وبطرق تنهض على أساس علمى لا غبار عليه

وقد قدمنا ان الطب الشرعى يرتقى مع الطب وفروعه وما يتصل به من علوم . والآن نشرح ما تريده بذلك،فنقول أن الطب الشرعى زاد دقة وتضاعفت قدرته على اماطة اللثام عن الحقيقة فى عدة امور اهمها ما يأتى بيانه :

كان الطبيب الشرعى فيما مضى لا يعرف من امر البقع الدموية التى تلطخ الثياب او الارض او الآلات القاتلة اكثر من انها بقع دموية وكفى ! بمعنى انه لم يكن يستطيع اثبات هل هي من دم انسانى ام من دم غير انسانى . وبقى الحال على هذا المنوال الى سنة ١٩٠١ حين بدأ « اهلنهوث » يستعمل طريقة الترسيب لاثبات ان بقعة الدم التى يحللها من الدم الانسانى ، وبعبارة أخرى أن التحليل بهذه الطريقة يفرق بين دم الانسان والحيوان ويميز دماء الحيوانات بعضها عن بعض

لكن كان كل ما يمكن الاعتماد عليه من القرائن — زيادة عن هذه الطريقة الترسيبية لادانة شخص من تحليل دمه — هو البحث عن ميكروب الزهرى أو الملاريا ،لو كان من المعروف أنه مصاب بأحد هذين المرضين

هذا هو كل ما كان يمكن الاعتماد عليه فى صدد ما تقدم بيانه . أما اليوم فقد ابتكرت فى العهد الاخير طريقة لمعرفة نوع الدم الانسانى تسمى طريقة « فصائل أو مجاميع الدم » وهى طريقة معقدة صعبة . وخلاصة القول فيها انها تقسم الدماء الانسانية الى أربع فصائل أو مجاميع ، وهذه الطريقة تستعمل فى الابحاث الطبية الشرعية فى حالتين هما :

الحالة الاولى — ادعاء البنوة

الحالة الثانية — التحقق من أن البقعة الدموية التى بملابس المتهم هى من نفس فصيلة — أو مجموعة — دم القتيل وليست من فصيلة دم المتهم ان ادعى أنها منه

ففى الحالة الاولى معروف أن خواص الدم تورث من الاب والام للابن . مثلها فى ذلك مثل الاخلاق والعادات والميول والشكل العام . ففصيلة الابن يجب ان تكون اما من فصيلة الاب أو الأم أو من كليهما

والنتائج السلبية لهذه الطريقة « الفصيلية » أقوى دلالة من النتائج الايجابية كثيراً ، اذ يمكن

بواسطتها القول بأن طفلا معيناً لا ينتسب لام أو أب خاص ، وان كان لا يمكن القول بأنه ابن فلان أو فلانة بالذات

كذلك فى البقع الدموية ، كثيراً ما يدعي متهم أن بقع الدم التى تلوث ملابسه أتت نتيجة رعاف من أنفه . فلو ثبت أن تلك البقع من فصيلة غير فصيلته ، لامكن دحض ادعائه بسهولة . وليس بخاف ما لهذا من أهمية فى تحقيق صنوف الادعاء

الأشعة والشعر

من أهم الوسائل التى أدخلت على الاجراءات الطبية الشرعية استخدام أشعة اكس (أشعة رونتجن) وادخال تعديلات على بحث أنواع الشعر

فمن أشعة اكس نقول إنها تعين على التحقق مما يلى :

أولا — الكسور التى تصيب العظام ، وهل التحمت أو لم تلتحم ، وهل هى قديمة أو حديثة ، وهل هى مرضية أو هى نتيجة اصابة أوسقوط

ثانياً — هل فى الجسم مواد غريبة مثل الرصاص وغيره ؟!

ثالثاً — تقدير الاعمار ، وذلك بمعرفة هل التحمت رءوس العظام ، لان هذا الالتحام يتم فى أوقات متباينة بأجزاء الهيكل العظمى المختلفة . وكثيراً ما يركن الى الأشعة فى تحديد السن ، فى الخامسة عشرة فى محاكمة الاحداث ، وفى السادسة عشرة فى زواج البنات ، وفى السابعة عشرة فى الحكم بالاعدام على من يتجاوزها ، وفى الثامنة عشرة فى زواج الشبان ، وفى الحادية والعشرين فى بلوغ سن الرشد والتصريح للعاهرات الخ

يأتى بعد ذلك الكلام عن الشعر وكيفية تمييز بعضه عن بعض . وهنا نقول أن الدكتور جلويستر — أستاذ الطب الشرعى بكلية الطب سابقاً وبجامعة جلاسجو الآن — قام ببحوث جليلة فى هذا الشأن بحيث صار فى المقدور تمييز شعر المواضع المختلفة من جلد الانسان سواء أكان من الرأس أم من الحاجب أم من الذقن الخ . وكذلك يستطاع تمييز شعور الحيوانات عن الشعر الانسانى وعن بعضها

يبقى بعد ذلك الاشارة الى الاسلحة النارية . وفحصها قد تقدم تقدما عظيما يسر للعدالة تجلية وجه الحقيقة وتمحيص الجرائم كما اسلفنا . واظن ان فيما ذكرته عن الطب الشرعى غناء وفيه الكفاية للمثقفين

دكتور محمد عمارة

في « الايحاء الذاتي » شفاء للناس

(ملخص محاضرة ألقيت في قاعة يورث بالجامعة الامريكية)

منذ بضع سنوات توفى رجل فى مدينة نانسى بفرنسا عمره سبعون سنة . كان صيدلياً لكنه كان يخصص جانباً كبيراً من أوقاته لتخفيف آلام المرضى بواسطة قوة فطرية هى الايحاء الذاتى

ولم يكتف باسداء يده الى الوافدين عليه فى نانسى لجاب جميع أنحاء فرنسا والبلدان الاوربية وذهب الى اميركا ، سعياً وراء نشر طريقته فى الايحاء الذاتى واظهار ما لها من النتائج العجيبة ، فكان له ما أراد ونال بذلك شهرة عالمية . وقد أنشئت معاهد باسمه فى عدة عواصم أوربية وفى الولايات المتحدة ، للاستشفاء بطريقته ... ذلك الرجل الذى خدم الانسانية هذه الخدمة الجليلة هو « اميل كويه »

لم يبتكر « كويه » فكرة الايحاء الذاتى فقدسبقه اليها غيره لكن فضله انه وجه الاذهان الى فائدة الايحاء الذاتى فى أحوال الناس عامة وصحتهم خاصة ، واستخدم هذا الايحاء بنجاح باهر فى شفاء المرضى بلا أجر ، ونشر طريقته فى العالم المتمدين بعد ان نزع عنها وصمة الخرافات وابرزها للناس فى صورة يرتاح اليها العقل السليم

فما هو الايحاء الذاتى ؟

يمكننا تعريف الايحاء الذاتى بأنه فعل نغرس به فكراً معيناً فى الذهن أى فى السريرة غير الواعية (l'inconscient) أو العقل الباطن ، وهذه السريرة كفيلة بتحقيق ذلك الفكر أى بنقله الى حيز الفعل . فماذا عسى ان تكون هذه السريرة غير الواعية ؟

لايتبادر الى الذهن أن السريرة غير الواعية بدعة مختلقة ، فمايدل على وجودها مايحدث للشخص « الصومنا مبولى » الذى يقوم فى الليل من غير أن يستيقظ ويرتدى ملابسه أو لا يرتديها ويخرج من غرفته ويذهب الى غرفة أخرى وينجز عملا لم يكن قد أتمه فى الأمس ثم يعود ويرقد ، وفى صباح الغد يندهش إذ يرى عمله قد تم ! . فما دام هو الذى أتمه وهو يجهل ذلك فهذا دليل بين على أنه فعله مدفوعاً بقوة غير واعية ، وهذه القوة هى مانسميه السريرة غير الواعية

على أن الايحاء الذاتى فى الواقع عظيم الخطر مادمنا نجهل طريقة الانتفاع به

ولا شك ان طريقة كويه تمكننا من أن نستخدمه فيما يفيدنا ، فهى تعلمنا كيف نستعمل بسريرة واعية (Consciemment) وعلى وجه حسن الايحاء الذاتى الذى ما برحنا منذ الطفولة نستعمله بغير وعى السريرة وبالتالى على وجه ضار فى الغالب

وليست طريقة كويه فى الايحاء الذاتى طريقة تجريبية فحسب ، بل هى طريقة علمية ترتكز على مبادىء علمية تؤيدها الوقائع . وأول هذه المبادىء هى أن الفكر من شأنه أن يتحول الى الفعل وأن الصور الذهنية تنزع الى التحقيق المادى ، ولذلك قيل : « يكون الانسان كما يفكر فى صميم قلبه »

فكل فكرة نرسمها فى ذهننا ـ صالحة كانت اوطالحة ـ لا تنزع الى التحقيق فحسب ، بل تتحقق فعلا ، أى تخرج من حيز الفكر الى حيز العمل فى كل ما يدخل فى دائرة الممكنات . مثال ذلك :

رجل مصاب بضيق التنفس أو الربو يستيقظ فى الصباح وعلى وجهه علائم الانشراح والنشاط فقد قضى الليل مستريحاً ، ولأن الغرفة لا يدخلها النور الكافى يتجه نحو النافذة ويزيح الستار فيرى من خلال الزجاج ضباباً كثيفاً ، فيقطب جبينه ويضيق نفسه وتأتيه نوبة ربو . فهل الضباب هو الذى أحدث هذه النوبة ؟ كلا ، لأن الضباب كان موجوداً منذ ساعات مضت ولم يكن له أدنى تأثير ، وانما أصابت النوبة العليل لما رأى الضباب لانه ظن إذ رآه أنه لابد للمصاب بضيق النفس أن تأتيه النوبة فى وقت الضباب فأتته فعلا

أزيد على ذلك وأقول يكفى أحياناً أن يفكر الشخص « أنه أصم أو أعمى أو مقعد » ليصبح فعلا أصم أو أعمى أو مقعداً . وفى الواقع بين الصم والعمى والمقعدين من هم كذلك لمجرد انهم يفكرون فى أنهم كذلك ، وقد ذكر كويه عدة أمثلة لذلك ، أكتفى بواحد منها قال : « أتت إلى يوماً فى نانسى فتاة عمرها ثلاث وعشرون سنة ولم تكن تبصر مطلقاً بالعين اليسرى منذ سنتها الثالثة ولم تكن هذه العين تشعر أقل شعور بالظل أو النور ، وقد ابصرت بعد الجلسة على الفور ، فعد جميع الحضور هذا الشفاء السريع اعجوبة ، على ان تعليله طبيعى فان تلك الفتاة حصل لها وهى فى الثانية من عمرها رمد خطير فى عينها اليسرى اقتضى شفاؤه معالجة سنة كاملة . طوال تلك السنة كانت العين المعتلة معصوبة بعصابة كثيفة ومحرومة من النظر فاعتادت عدم الرؤية ، فاعتقدت الفتاة انها لا تبصر بها وظلت لا تبصر بها فعلا الى أن أتت كويه مستشفية فاوعز اليها أن الكلوم أو الأضرار التى تلحق العين تشفى تدريجياً ، وكلما تقدمت فى الشفاء تحسن البصر واذا تم زوال الأضرار اصبح البصر كاملا . وبما انه لم يبق فى عينيها أضرار فقد أبصرت فى الحال

يستخلص مما تقدم ما يأتى : أن كل تصور أو فكر ينطبع فى الذهن اى فى السريرة غير الواعية ، يصبح حقيقة راهنة ما دام فى حيز الامكان ، فان اتفق ان انتابنا مرض وغرسنا فى ذهننا فكرة الشفاء فهذه الفكرة تفعل فعلها تدريجياً ويصبح الشفاء أمراً واقعاً ، ان كان فى حيز الامكان

أما المبدأ الثانى الذى يرتكز عليه الايحاء الذاتى فهو أنه ليست الارادة أولى قوى الانسان

بل المخيلة ، فكلما حصل نزاع بين هاتين القوتين تغلبت المخيلة على الدوام ، وكلما كانت حالتنا العقلية كما يأتي : « أريد أن أفعل كذا وكذا ولكني لا أقدر » فلا يقتصر الأمر على أننا لا نعمل ما نريد ، بل نعمل على الغالب عكس ما نريد . مثال ذلك ما يأتي :

كلما حاولنا في بعض الظروف الانقطاع عن الضحك كثر ضحكنا ويشتد علينا الضحك بقدر ما نحاول الامساك عنه ، وكلما حاول راكب الدراجة المبتدىء أن يحيد عن العائق الذي يخشى الاصطدام به اتجه اليه على خط مستقيم ، وكلما حاول من يخاف أن يمتنع عن الخوف زاد خوفه ، وكلما حاول الألكن أن يمتنع عن اللكنة زاد لكنة ، فما هي حال هؤلاء الأشخاص في مختلف ظروفهم ؟ هي هذه : أريد أن أمسك عن الضحك ولكنني لا اقدر ، أريد أن اتجنب العائق ولكنني لا أقدر ، أريد أن أمتنع عن الخوف ولكنني لا أقدر ، وأريد أن أمتنع عن اللكنة ولكنني لا أقدر

فيظهر جلياً أن « لا أقدر » أي المخيلة تتغلب دواماً على « اريد » أي الارادة . وما ذلك إلا لأن ما تخيلته ارتسم في الذهن أي في السريرة غير الواعية

وما دامت سريرتنا غير الواعية هي التي تدبرنا فان تمكنا من قيادتها تسنى لنا بواسطتها أن ندبر شؤوننا على ما نريد . إن هذه السريرة أشبه بحصان شد الى عربتنا فان ترك بدون عنان سار بنا كما يهوى وقادنا بعربتنا الصغيرة حيثما يروق له ، فذهب بنا على الغالب في طريق ملؤها الحفر والمستنقعات الى حيث يجد سبيلا لقلب العربة بنا . ولا يتيسر لنا قيادته وامتلاك زمام أنفسنا إلا إذا وضعنا له العنان ، وعنان السريرة غير الواعية هو الايحاء الذاتي الواعي (Autosuggestion consciente)

وطريقة كويه في استعمال الايحاء الذاتي قسمان : قسم خاص ، وقسم عام . أما الأول فنستعمله عندما نشعر بألم أياً كان نوعه ، فان شعرت بألم نفساني أو وجع حسي فبدلا من أن تتحمله صاغراً وتتوجع منه أكد لنفسك أنك تزيله واختل حينئذ ، على أن الخلوة ليست بالأمر الذي لا بد منه ، ففي استطاعتنا أن نختلي بفكرنا في كل مكان . واذا خلوت فاجلس واغمض عينيك ومر بيدك على موضع الألم ان كان حسياً أو على الجبين ان كان الألم نفسانياً ، وكرر بكل سرعة وبصوت خافت مسموع لك ، كرر هذا القول : « الألم يزول ، يزول ، يزول » وهلم جرا . بهذه الوسيلة تكره نفسك على التفكير في زوال الألم . ومعلوم لنا أن كل فكرة تقيم في الذهن تصبح أمراً واقعاً . ولذلك ترى الألم يزول فعلا ، وان عاودك فاطرده من جديد وأعد القول : « يزول ، يزول » كلما دعت الحاجة اليه . وفي استطاعة الانسان بقليل من المران أن يزيل الألم حسياً كان أم نفسانياً في أقل من نصف دقيقة

وأما طريقة الايحاء العامة فتكون بتلاوة بضع كلمات في كل يوم صباحاً ومساء . وهي :

« إن حالى من كل وجهة تتقدم كل يوم من حسن الى أحسن » . فعلى الانسان أن يتلو هذه العبارة عشرين مرة وعيناه مغمضتان كل صباح عندما يستيقظ وكل مساء حينما يرقد ، وأن يتلوها بالتتابع وبصوت خافت وبدون توجيه الفكر الى شيء خاص لأن كلمات : « من كل وجهة » تطلق على كل شيء فلا فائدة من الالتجاء الى ايحاء ذاتى خاص

على انى ألفت نظر القارىء الى نقطة جوهرية هى وجوب استعمال الايحاء الذاتى بكل بساطة بدون جهد ، فان الذين لا يحصلون على نتائج مرضية من مزاولة الايحاء الذاتى انما يخطئون على العموم فى ذلك ، فتراهم لشدة رغبتهم فى التخلص من أوجاعهم يستخدمون الايحاء الذاتى بقوة وحماسة ، وهذا خطأ

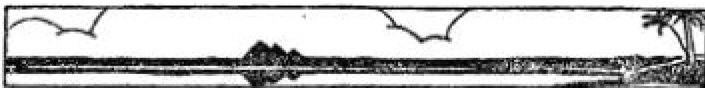
فعلى الراغب فى مزاولة الايحاء الذاتى أن يتلو صيغة الايحاء بلا مشقة وفى غير اسراع ، وعلى نمط واحد كما تتلى الاوراد . بهذه الطريقة تتوصل الى ادخال المقول - وبالتالى الفكرة - فى السريرة غير الواعية بواسطة الاذن . ومعلوم لنا ان الفكرة متى نفذت الى السريرة تحدث تأثيرها المطلوب

ولا بد من ملاحظة أن السريرة غير الواعية لا تقوم من نفسها بعمل لم تدع الى القيام به ، فيحسن والحالة هذه أن نصدر اليها أمراً شاملا جامعاً حتى يتيسر لها أن تعالج جميع أجزاء نظامنا الحسى والنفسانى ، وتصلح كل ما يقبل الاصلاح

وغنى عن البيان أن ممارسة الايحاء الذاتى الواعى لا تغنى عن العلاج الطبي وتناول الدواء الذى يصفه الطبيب ، لكنها عون كبير للعليل والطبيب معاً . والدواء فضلا عن القيمة الشفائية الحقيقية التى به ، فانه وسيلة لنقل الايحاء ، فالمريض يتوقع الشفاء من الشراب أو المسحوق أو البرشام الذى يصفه الطبيب ، فلا يصح النظر الى الايحاء الذاتى والطب كعدوين متنافرين بل يجب عدهما صديقين يمد أحدهما الى الآخر يد المعونة

وقد قرأنا باغتباط تلغرافاً لاسلكياً ورد من مونيخ فى نوفمبر الماضى . جاء فيه ان الحكومة الالمانية ستعترف رسمياً بمن يسمونهم الاطباء الروحانيين كما اعترفت بالاطباء النظاميين ، لانه رؤى من الجناية حرمان الامة الالمانية من منافع الايحاء الذاتى . ومن الظلم ألا يعنى بهذا النوع من المعالجة بجانب الوسائل الأخرى التى يستخدمها الاطباء فى معالجة المرضى

بولس مصوبع



مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

الامبراطورية البريطانية المتداعية

[مقتطفة من مقال نشر في مجلة « التاريخ الجاري » للاستاذ
ف . س . شيلر الاستاذ بجامعة اوكسفورد سابقا]

من مزايا النبوءات التي تتناول المستقبل البعيد ان الذى ينطق بها يموت قبل ان يجيء وقت تحقيق تلك النبوءة أو ظهور كذبها، بحيث يأمن أن يحاسبه معاصروه عليها. ولقد تقدم لكاتب هذه المقالة بحث فى مستقبل الامبراطورية البريطانية نشرته احدى المجلات وكان يتضمن نبوءات عما ينتظر أن يحل بهذه الامبراطورية. واليك خلاصة ما جاء في ذلك البحث :

تحدق بالامبراطورية البريطانية ثلاثة مخاطر مرتبطة بعضها ببعض وهي :

(١) مشكلة العمال (٢) السياسة الاوربية (٣) مشاكل البلاد التي تتألف منها الامبراطورية

فأما الخطر الاول وهو مشكلة العمال فقد أصبح فى انجلترا — وفى غيرها من بلاد العالم — معضلة أعقد من ذنب الضب تكاد تضيع فيها كل حيلة. فبعد ان كان عدد العاطلين فى انجلترا منذ بضع سنوات مليوناً من الشبان أصبح الآن ثلاثة ملايين. وهم منتشرون فى جميع أنحاء البلاد لا يعملون عملا ولا يرجى أن يعملوا فى المستقبل أى عمل. فهم يعيشون من الاعانات المالية التى تدفعها لهم الحكومة والتى جعلها لهم طائفة من رجال السياسة كانوا يطمعون فى أول الامر فى الحصول على « أصواتهم » عند الانتخابات. وقد أصبحت تلك الاعانات عالة على الدولة ومصدر خطر كبير عليها

وقد اقترح الكثيرون وسائل مختلفة لمعالجة البطالة فى مقدمتها تقصير ساعات العمل. ولو سن قانون لتقصيرها ما أفضى ذلك الى نقص الانتاج بل لعاد بعكس ذلك

ثم ان هنالك أعمالا كثيرة قد لا تعود على الامة بكسب مادى، ولكنها تعود عليها بلا شك بفوائد أدبية واجتماعية وعمرانية كبيرة. فهنالك الاحياء القذرة فى المدن تحتاج الى تطهير، وهنالك جيوش الفئران والحشرات والهوام والذباب وأمثالها تدعو الحاجة الى مكافحتها وطردها. ويحسن

أن تكون ساعات العمل فى هذه الشؤون أيضاً قليلة لكى يمكن توزيع العمل على اكبر عدد من الايدى العاملة

ومن المعقول ان حالة العالم تكون أفضل من الوجه الاقتصادى والعمرانى لو أتيح لكل قطر من الاقطار أن ينتج الاشياء التى هو اكمل استعداداً لانتاجها . ولكن الاعتبارات السياسية كثيراً ما تحول — ويا للاسف — دون ذلك . فمنذ وضعت الحرب العظمى أوزارها وعقدت معاهدة الصلح انصرفت جهود كل أمة لجعل نفسها مستقلة عن غيرها بحيث تكفى نفسها بنفسها ، وهى أحلام اذا أمكن تحقيقها فى بلاد كالولايات المتحدة لا يمكن تحقيقها فى بلاد اخرى كايسلند وإرلندا واستونيا

ومن الخرق فى الرأى أن تكون التجارة بين الدول مظهراً من مظاهر تنافسها وتخاصمها بدلا من أن تكون واسطة تعاونها بحيث يستفيد منها كل فريق على السواء . وفى الواقع ان سياسة الضرائب الجمركية هى من أكبر العقبات فى سبيل الرخاء . وفى خلال السنوات التى عقبت الحرب الماضية لم تسن أية دولة من الدول قانوناً أساء الى رخاء العالم كالقوانين الجمركية . ومع ذلك فان الحكومات قد كانت وما تزال مؤيدة من الرأى العام . وأقرب شاهد على ذلك تأييد الرأى العام الارلندى لدى فاليرا فى سياسته الجمركية الخرقاء

أما فى السياسة الخارجية فان الحكومات البريطانية المتعاقبة لم تظهر شيئاً من النبوغ . وفى الواقع ان تلك الحكومات لم تحاول الاستئثار بمقاليد الزعامة لا فى اوربا ولا فى الشرق . ولم تكن سياستها مما يدعو الى الاعجاب لا فيما يتعلق بنزع السلاح ولا بديون الحرب ولا بالشؤون الاقتصادية عامة . ويخيل لمن يدرس السياسة البريطانية فى السنوات الاخيرة انها كانت مسيرة بعاملين أحدهما الخوف من اغضاب امبركا والآخر الخوف من اغضاب فرنسا

ويظهر أن اتفاقا سرياً عقد بين انجلترا وفرنسا فى سنة ١٩٢٨ — على أثر مؤتمر جنيف — لم يكن فى مصلحة انجلترا لانه قيدها بقيود مرهقة ، ولتسويغ هذا الاتفاق أقيمت فى جو لندن « مناورات » جوية وتظاهرت بعض الطيارات بمهاجمة العاصمة الانجليزية . ثم قيل فى التقرير الذى وضع عن تلك « المناورات » انه كان فى وسع القوات الانجليزية اهلاك نحو مائة وثمانين طائرة من الطيارات المهاجمة ولكن بعد ان تحرق لندن . وكان الغرض من هذا التقرير الالقاء فى روع الشعب الانجليزى حتى يسلم بعقد محالفة مع فرنسا . وفى خريف ذلك العام اطلع أحد مراسلى صحف هوست الاميركية على الاتفاق السرى المشار اليه وحصل على مستندات فرنسية تؤيده ، فلما افتضح الامر نفى ذلك المراسل من فرنسا وتنحى السراوستن تشمبرلن عن وزارة الخارجية لان رفاقه الوزراء لم يوافقوا على سياسته

ثم أن الامبراطورية البريطانية تحكم على أمم وشعوب مختلفة لاسبيل الى التوفيق بينها . فالجنس

الابيض – فى جنوبى افريقيا وروديزيا وكينيا – يسير على سياسة سوف تؤدى حتما الى حروب أهلية . والحكم البرلمانى فى مصر انما هو ستار يخفى تحته الحكم المطلق . والانتداب البريطانى فى فلسطين يحاول التوفيق بين العرب واليهود على وجه لا يرضى أيا منهما . ومشكلة الهند لاتزال تزعج الامبراطورية وتقض مضجعها . وكل حل توفق اليه الحكومة البريطانية هنالك انما يكون وقتيا الى أن يتم الجلاء نهائيا عن الهند . واذا أجلى الانجليز عن الهند كان ذلك مقدمة لاستقلال جميع المستعمرات البريطانية . ومتى استقلت تلك المستعمرات فما الذى يبقى من الامبراطورية ؟ واذا بقى منها مستعمرات صغيرة خاضعة للتاج فستكون على الارجح عبئا عليه

الى أين ذهب الذهب

[خلاصة مقالة نشرتها مجلة بوبولار ميكانيكس بقلم منشىء المجلة]

ما هى البالوعة التى يصب فيها نهر الذهب ؟ وأين يختفى هذا المعدن النفيس بهذه السرعة التى تفوق حد التصور ؟

لا شك أن اكبر بالوعة للذهب فى الاوقات العصيبة هى خزائن الدول والمصارف المالية . أما فى أوقات السلام والرخاء فان أدوات الزينة تستنفد جانباً كبيراً من المعدن

ترى هل تسد الكمية المستخرجة من الذهب كل عام ما يحتاج العالم اليه ؟ وما هى الكميات التى تستخرج منه ومن أين تستخرج ؟

يقول منشىء مجلة بوبولار ميكانيكس : « إن مجموع ثمن الذهب الذى استخرجه العالم منذ سنة ١٤٩٢ – وهى السنة التى اكتشف فيها كولمبوس القارة الاميركية – الى الآن يبلغ ٢٢ ٩٣٧ ٦٤٠ ٠٠٠ دولار أميركى أو نحو اربعة آلاف وستمائة مليون جنيه بسعر الجنيه الحالى وإن اكثر من نصف هذا الذهب استخرج منذ سنة ١٩٠٢ الى الآن

وقد ارتفع سعر هذا المعدن فى العهد الاخير بسبب عدول عدة دول عن اعتباره قاعدة لمعاملاتها المالية . واذا أضفنا الى ارتفاع سعر الذهب وجود عدة ملايين من العمال العاطلين فى الولايات المتحدة وغيرها من أنحاء العالم أدركنا سبب امتلاء سهول كاليفورنيا وأوريجون والمكسيك وصحارى آريزونا واوستراليا ومجموعة جزائر ملقة ومجاهل افريقا والهند بمئات الالوف من الباحثين عن الذهب

وفى كل عام تصدر الحكومات المختلفة رخصاً للبحث عن الذهب ، ولكن من هذه الرخص التى

تعد بعشرات الالوف لا يستغل سوى النزر اليسير ، وقد لا يسفر استغلال بعضها عن استخراج ما تزيد قيمته على الف دولار !

وإذا كان العالم قد استخرج منذ اكتشاف امريكا الى اليوم من الذهب ماقيمته زهاء ٢٣٠٠٠ مليون دولار فقد كانت الولايات المتحدة — حتى شهر ابريل الماضي — تملك ما قيمته نحو ٤٢٠٠ مليون دولار ، وهي أكبر كمية من الذهب خزنتها أية دولة من الدول . وفى السنة الماضية بلغت كمية الذهب المستخرج من جميع مناجم العالم ٢٣٩١١٠٠٠ أونس ، بلغت قيمتها تقديراً ٤٩٤ مليون دولار . وبلغ ثمن ما استخرج من ولاية كاليفورنيا وحدها ١١٨٠٣٠٠٠ دولار

ولاستخراج الذهب عدة طرق ، فهنالك الآلات الايدروليكية والآلات الناسفة « والكراكات » وغيرها . أما الآلات الايدروليكية فانها تغسل منحدرات التلال الغنية بالتبر لتصفية هذا المعدن من الاتربة وغيرها من المواد العالقة به . ومنذ اختراع هذه الآلات بلغ ثمن الذهب الذى استخرج من كاليفورنيا وحدها الف مليون دولار أو اكثر

ويقول الخبيرون ان فى ولاية كاليفورنيا المذكورة نحو سبعة آلاف مليون « يارد » مكعب من الاتربة الحاوية للتبر ، وان الآلات الايدروليكية ستستغل هذا التبر من أربعة آلاف مليون « يارد » مكعب من تلك الاتربة . والمنتظر انه ستبلغ قيمة الذهب الذى سيستخرج منها نحو ستمائة مليون دولار . أما بقية تلك الاتربة ومقدارها نحو ثلاثة آلاف مليون « يارد » مكعب فستستغل بالطرق الاخرى

وهنالك « كراكات » تعمل فى قيعان الأنهر بطرق فنية لا يتسع هذا المجال لشرحها . وقد بلغ ماحفرته إحدى شركات « الكراكات » نحو ٣٧٥ مليون يارد مكعب من الاتربة الحاوية لتبر الذهب أو نحو نصف كمية الاتربة التى أزيلت من ترعة بناما . وبلغ ثمن الذهب الذى استخرج من تلك الاتربة فى خلال خمس وعشرين سنة أكثر من ستين مليون دولار

وهنالك ماء البحر وهو أيضاً غنى بالذهب . ويقول علماء الكيمياء ان نسبة هذا الذهب الى الماء الذى فيه تختلف من خمسة أجزاء الى ٢٦٧ جزءاً فى كل مائة مليون جزء من الماء . ومثل هذه الكمية كبير جداً يدل على ان ماء البحر كنز لا يقدر بثمن . ولكن استخراج الذهب منه يقتضى نفقات هائلة لاتفى باستخراج هذا المعدن

وعلى كل فان أزمة الذهب الحالية ليست الاولى من نوعها فهى أزمة تتجدد فى جميع الاوقات العصيبة ولا سيما فى ابان الحروب وعلى أثرها . ويرجع تعامل الانسان بالذهب الى عهد قارون ملك ليديا إذ يقال انه اول من سك النقود الذهبية

أصول حروف الهجاء

[خلاصة مقالة نشرت في
جريدة الطان للاستاذ دورم]

قال « لوكان » الشاعر الروماني الذي عاش في المائة الاولى بعد المسيح ان التقاليد المتواترة في عصره تقول ان الفينيقيين هم أول من حاول أن يعبر عن الاصوات بصور رمزية . وذهب بلينوس إلى أن الاشوريين هم أول من اخترع حروف الهجاء . أما تاسيتوس المؤرخ فزعم أن الفينيقيين انتحلوا لانفسهم فخر اختراع تلك الحروف

وكان علماء التاريخ حتى أوائل القرن الحاضر يحاولون التوفيق بين المزاعم المختلفة المتعلقة باختراع حروف الهجاء . وكان الرأي السائد بينهم أن اليونان أخذوا حروفهم الهجائية عن الفينيقيين الذين استعانوا بالكتابة الهيروغليفية القديمة

وفي سنة ١٩٠٠ عثر الاستاذ ايفانس الانجليزي على آثار قديمة في جزيرة كريت عليها نقوش مختلفة يشبه بعضها الكتابة الهيروغليفية والبعض الآخر أحرفاً أخرى غريبة . وفي سنة ١٩٠٩ عرض هذه النقوش على علماء الآثار في جميع أنحاء العالم فلم يستطع أحد فك رموزها . الا أن جانباً من العلماء زعم أن هذه النقوش هي أصل الكتابة الكريتية التي انتشرت قديماً في بحر إيجة وأن الفينيقيين القدماء اقتبسوا حروفهم الهجائية منها أو أن تلك النقوش أوحت اليهم على الاقل بفكرة استنباط حروفهم

على أن فريقاً آخر من العلماء وفي مقدمتهم الاستاذ دوسو ينكرون أن الفينيقيين اقتبسوا الحروف الكريتية القديمة ، ويقولون إنه أسهل على المرء استنباط رموز للدلالة على أصوات معينة من اقتباس رموز أو صور عن الغير . وإذا وجد شيء من الشبه بين بضعة أحرف من الحروف الفينيقية والحروف الكريتية القديمة فليس لذلك الشبه أي قيمة إلا إذا ثبت أن للاحرف المتشابهة أصواتاً متماثلة ، أضف إلى ذلك أنه لم يثبت حتى الآن هل النقوش الكريتية التي نحن بصددها هي حروف هجائية أو صور وطلاسم بحتة

وفي سنة ١٩٢٣ عثر الاستاذ مونتي الفرنسي على آثار قديمة في مدينة جبيل (على ساحل سوريا جنوبي بيروت) . وجبيل هذه هي مدينة بيبلوس القديمة . ومن جملة الآثار التي عثر عليها الاستاذ المذكور تابوت للملك أحيرام (حيرام ؟) عليه كتابات ونقوش هي أقدم الكتابات الفينيقية المعروفة حتى الآن ، وترجع على وجه التقريب إلى المائة الثالثة عشرة قبل المسيح ، وتؤيد رواية

بعض النصوص المتعلقة بملكى بيبلوس اللذين عاشا فى المائة العاشرة قبل المسيح وهما «آخيعل» و «آليعل»

وفى سنة ١٩٢٩ اكتشف الاستاذ دوران الفرنسى نقوشاً فينيقية قديمة تتعلق بملك يدعى «يحيا ملك» (بكسر الميم وإسكان اللام) وهو أحد ملوك بيبلوس وقدعاش بين زمن احيرام وزمن آخيعل . وجميع هذه الاكتشافات تدل على أن بيبلوس ـ مدينة أدونيس القديمة ـ كانت مهبط العرفان الذى هبط على البشر اذ فيها تم استنباط الحروف الهجائية الفينيقية القديمة وعددها اثنان وعشرون حرفاً صحيحاً غير معتل . وقد قال الاستاذ جلوتز فى ذلك انه بينما كان الفينيقيون يجوبون البحار بمتاجرهم كانوا فى الوقت عينه يقومون باحياء الحروف الهجائية ، حالة ان اليونان تركوا حروفهم تندرس وتطمس . وكتب الاستاذ دوسو يقول : « الى الفينيقيين وحدهم يعود فخر استنباط الحروف الهجائية فانهم هجروا الكتابات المعقدة التى كانت شائعة فى عهدهم واخترعوا اثنين وعشرين رمزاً بسيطاً للدلالة على الاصوات المختلفة . ومزية هذا الاختراع سهولة معرفة كل رمز أو حرف ولو وقع وحده منفصلا عن غيره

وفى سنة ١٩٣٠ عثر الاستاذان شيفر وشينه فى رأس شمرا (شمالى اللاذقية) على مجموعة من الآثار والالواح الخزفية عليها نقوش وكتابات بلغات مختلفة . وهذه الآثار هى كنز لا يقدر بثمن والرموز المنقوشة عليها تشبه حروف الكتابة المسمارية (الاشورية القديمة) شبهاً قليلا ويمكن حصرها فى نحو ثلاثين حرفاً . وقد تمكن الاستاذان هانس باور وفيرولو من فك رموزها فانكشفت بذلك للعالم شعائر وفرائض دينية كثيرة كان القوم يمارسونها فى ذلك العهد ، وزادت معرفتنا بتاريخ الحروف الهجائية زيادة كبيرة . ويستخلص من هذا الاكتشاف ان الفينيقيين حاولوا أن يستغنوا عن الكتابتين المسمارية والهيروغليفية باستنباط رموز قليلة بسيطة يدل كل رمز منها على صوت خاص وتؤلف من مجموعتها اللغة المكتوبة

وفى شهر مايو سنة ١٩٢٩ اكتشف الاستاذ دونان الفرنسى فى بيبلوس لوحاً فخارياً قد نقشت عليه بالحروف البارزة نحو عشرة أسطر باللغة الفينيقية القديمة تتضمن نحو أربعين حرفاً منها سبعة أحرف شبيهة بالأحرف الموجودة على تابوت احيرام ، وخمسة عشر حرفاً شبيهة بالحروف الهيروغليفية . وما تزال هذه العشرة الاسطر مستعصية على علماء الآثار حتى الآن ، وهم يرجحون انها ترجع الى حوالى المائة الخامسة عشرة قبل المسيح . ولعلها الخطوة المتوسطة بين الكتابة الهيروغليفية والحروف الهجائية

الانتحار والجنس الضعيف

[مقتطفة من مقالة نشرت في مجلة
« فوروم » بقلم السيدة ماريان كاسل]

يؤخذ من الاحصاءات الرسمية أن عدد الذين ينتحرون من الرجال يناهز ثلاثة أضعاف عدد اللواتي ينتحرن من النساء . أما الذين تزيد أعمارهم على خمس وأربعين سنة فان عدد المنتحرين منهم من الرجال يكاد يوازى ستة أضعاف عدد المنتحرات من النساء

يقول الذين يدافعون عن نظرية الانتحار إن زيادة عدد المنتحرين على عدد المنتحرات دليل على أن أولئك أشجع من هؤلاء وأكثر اعتياداً لمواجهة أخطار الحياة . على ان الواقع لا يؤيد هذا الزعم . والسبب الحقيقي هو انهماك النساء بمشاغل الحياة وبمقتضيات المعيشة . وهن أقوى رجاء بالحياة وأسرع رضى بنصيبهن . فالمرأة تدبر شؤون منزلها على مقتضى العوامل المحيطة بها ، وهى بطبيعتها معتادة معاناة مصاعب الحياة ومشقاتها ومتاعب الوضع والتربية والاهتمام بشؤون المنزل وتدبيرها على مقدار دخل زوجها . وهذا مما يعودها الصبر والاحتمال . فهى تقابل المصاعب برباطة جأش وتحاول الاحتيال على حلها بكل وسيلة

وليت شعرى — ماذا عسى أن تكون الأسباب التى تدفعها إلى الانتحار ؟ الفشل فى العمل ؟ أم الخيبة فى الحياة ؟ أم انهدام صرح الآمال ؟ أم ... أم ... ؟ كل ذلك مما تتغلب عليه المرأة بدهائها وسعة حيلتها واتساع صدرها

قد لا تكون المرأة ذات قوى عقلية خارقة تمكنها من النجاح فى مهام الحياة . ولكنها تعتاض عن تلك القوى بحيلتها وقدرتها على تدبير شؤونها وشؤون أسرتها على مقتضى العوامل المحيطة بها . وهي ترفض أن تسلم بأنها عاجزة عن مواجهة حقائق الحياة عجزاً يدعو الى الانتحار

ومع كرهنا الغريزى للانتحار فاننا ما كنا لنحجم عن احترام الذين ينتحرون لو كان انتحارهم حقيقة مظهراً من مظاهر الشجاعة أو رمزاً إلى اليأس الذى قد يستولى على الابطال . وفى الواقع أن الانتحار ليس سوى الحيلة النهائية التى يلجأ اليها من به مس من الجبن والغرور وحب الذات

ومن المزاعم التى يذهب اليها بعض الناس أن الانتحار لا يقع عادة الا بين طبقات الشعب العليا فهو إذن مدعاة الى الاعجاب والاحترام . وهذا زعم لا يؤيده برهان لان الانتحار ليس سوى دليل على اليأس والجبن وعلى الفرار من التبعات الخطيرة التى تفرضها الحياة . وفى الواقع أن الاشخاص الذين قد يكون لهم بعض العذر — لو انتحروا — قلما ينتحرون . والفقير المدقع الذى يقضى أيامه الطويلة المملة فى البؤس والشقاء ، قلما يلجأ الى الانتحار

ومن الجهة الاخرى ليس الانتحار كما يزعم البعض نتيجة العزلة والوحدة ، بدليل ان الذين يقضون أكثر أيامهم فى عزلة تامة — كرعاة الاغنام والباحثين عن مناجم الذهب والعائشين فى البلاد المقفرة — ليسوا ممن يلجأون الى الانتحار . بل ان الانتحار يكثر بالعكس بين سكان المدن المزدحمة . وتدل الاحصاءات الرسمية على انه كلما اشتد الزحام فى المدن كثرت حوادث الانتحار

والحقيقة ان الانتحار هو نتيجة حالة عقلية غير طبيعية . وكاتبة هذه المقالة تتذكر انتحار رجل على اثر افلاسه وقد انتحر لكى يتيح لاسرته أن تقبض مبلغاً من المال كان قد أمن به على حياته . وكان ذلك المبلغ سبب شقاء أسرته لان أولاده لم يحسنوا التصرف به والقيام عليه

ومن هذا القبيل حوادث الانتحار التى سببها الحب . والحقيقة أن الذى يقتل نفسه بسبب الحب إنما يقتل الجشع والانانية وحب الذات . والدافع الحقيقى له الى الانتحار هو شعوره بأنه قد أوذى فى كرامته وأنانيته . أما الحب الحقيقى فيغفر ويتسامح

ومما يجدر بالذكر حوادث الانتحار التى كثرت فى هذه الايام بسبب الضائقة المالية . وقد بلغت فى السنة الفائتة فى الولايات المتحدة مبلغاً لم تشهده البلاد منذ سنة ١٩٠٨ — وهي السنة المشؤومة المشهورة بكثرة حوادث الانتحار . على أن أكثر الذين انتحروا فى ابان هذه الضائقة لم يكونوا ضحية الضائقة بل ضحية رخاء مبتسر . فقد كان أكثرهم حديثى النعمة لم يذق والدوهم طعم الرخاء بل عاشوا بالعكس عيشة الفقر والبساطة ثم استغنى أولادهم بسرعة عظيمة وبتلك السرعة عينها افتقروا وعادوا الى عيشتهم السابقة ثم دفعهم اليأس والغرور الى ارتكاب جريمة الانتحار

ان العاقل يستنكف من الانتحار لانه يعلم الاسباب الباعثة عليه . واذا درس حياة بعض الاطفال رأى الميل الى الانتحار يبدو فى بعضهم منذ نعومة أظفارهم . انظر الى الطفل يبكى ويصرخ باعلى صوته حتى تزرق وجنتاه ويضرب الارض بقدميه لانهم لا يعطونه ما يطلبه . وانظر الى طفل آخر يصيح كالمجنون ويحرق أسنانه ويقف عن التنفس حتى ليكاد يموت لانه يطلب شيئاً ولا يناله . وانظر الى الولد الصغير يبكى ويشهق لاتفه الاسباب ويحاول الفرار من بيت والديه — كل هؤلاء يقوى فيهم الميل الى الانتحار بمرور الزمن حتى إذا بلغوا سنا معينة بدت لهم الحياة بمظهر أسود قاتم وصور لهم الغرور أنهم ضحايا أبرياء . ومازال أمرهم كذلك الى أن يقع لهم مثل ما كان يقع لهم فى عهد طفولتهم يوم كانت تنتابهم تلك النوبة الهستيرية . ويرون أنهم لايستطيعون الحصول على مايريدون بالعويل والبكاء وحرق الاسنان وركل الارض بأرجلهم والتوقف عن التنفس . فلا تبقى امامهم الا وسيلة واحدة يزعمون أنهم سينتقمون بها لانفسهم ويظهرون للعالم كيف يثأرون لكرامتهم فيعمدون الى الانتحار قائلين : اذا كنا قد فشلنا فى لفت أنظار العالم الينا ونحن على قيد الحياة فسنلفت الانظار الينا — على رغم العالم — ونحن جثث هامدة

اصلاح الغدد ومعجزات الجراحة

[مقتطفة من مقالة نشرت في مجلة « بوبولار سيانس » بقلم الدكتور دامرو الجراح الشهير]

ما تزال جراحة الغدد مفعمة بالاحتمالات المدهشة . وفيما سنورده هنا ما يشف عما قد نراه فى المستقبل من المعجزات

خذ الغدة الدرقية مثلا وهى واقعة فى العنق فى مقدمة الحنجرة . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا إنها أهم الغدد التى فى جسم الانسان وتفرز فى الدم مادة كيمياوية تعرف بالهورمونات . وهذه الهورمونات تتحكم فى قوى الانسان العقلية والجسدية . وقد ثبت للعلم أنه اذا اشتد نشاط الغدة الدرقية نفدت قوى الانسان بسرعة قبل ان يتمكن من تجديدها أو التعويض عنها ، كما يقع للنار التى تشتعل فى مهب الريح فان الفحم فيها أو الحطب يحترق بأسرع مما يستطاع التعويض عنه . ولا يخفى أن خلاصة الغدة الدرقية تسمى تيروكسين . ويقول العلماء إن بين العقل والجنون ثلاث قمحات ونصف قمحة فقط من التيروكسين !

ومن الحوادث المدهشة الدالة على ما للغدة الدرقية من الشأن ما وقع لرجل من أهالى مدينة سنسناتى باميركا . فانه أصبح ذات يوم عصبى المزاج وأخذ وزنه ينقص بالتدريج وجحظت عيناه ولم تنقض بضعة أشهر حتى أصيب بجنون من أشد أنواع الجنون خطراً حتى ألبس قميص المجانين لمنعه من ضرب الغير والاعتداء عليهم . ورأى الدكتور جوزيف كورسى طبيب مستشفى المجاذيب أن يعمل له عملية جراحية لاصلاح غدته الدرقية ، فاستأصل منها جانباً كبيراً ولم يترك الا جزءاً صغيراً يكفى لتأدية الوظيفة المطلوبة منه . فشفى الرجل من الجنون وعاد الى حالته الطبيعية فى الحال

وقد كانت العمليات الجراحية للغدد الدرقية حتى السنوات الاخيرة من العمليات الشديدة الخطر بسبب ما كان يصحبها من كثرة النزيف (لان الغدة الدرقية متصلة بأوعية دموية كثيرة) أما اليوم فقد زال خطر تلك العمليات بفضل اختراع « الابرة الكهربائية » التى تقطع اللحم وفى الوقت عينه تجمد الدم فى الحال وتسد الاوعية الدموية سداً محكما فتحول دون النزيف

وفى الجسم غدد اخرى تسمى الغدد الشبيهة بالدرقية وعددها اربع فى اكثر الاجسام ولا يزيد حجم كل منها على البندقة . وهذه الغدد مخفية باحكام عظيم حتى إن الاطباء لم يكونوا يعلمون بوجودها قبل سنة ١٨٨٠ . ومن جملة وظائف هذه الغدد السرية أنها تتحكم فى كمية الكلس الذى فى عظام الانسان . فاذا اشتد نشاطها أصبحت العظام لينة . واذا ضعفت أصبحت العظام قصمة سهلة

الانكسار. وقد حدث منذ بضع سنوات أنه جيء إلى مستشفى مساتشوستس العام (فى ولاية بوسطن) بملاح مصاب بمرض غريب لم يعلم الاطباء فى أول الامر ما هو . وكان الرجل قد نقصت قامته فى خلال ثمانى سنوات نحو سبع بوصات وانكسرت عظامه مراراً بسبب سقوطه وعدم قدرته على المشى . واذ فحصه الاطباء بأشعة اكس وجدوا ان عظامه قد فقدت جانباً كبيراً من مادتها الكلسية ، وللحال عمل له الدكتور ادورد رتشاردسون عملية جراحية استأصل بهما غدتين من الغدد الاربع الشبيهة بالدرقية فشفى الرجل وعاد الى حالته الطبيعية الاولى

ان العمليات الجراحية المتعلقة بالغدد تقتضى العناية الدقيقة لان العلم لم يقف حتى الآن على جميع وظائف تلك الغدد . فليس اذن من الحكمة ازالتها فى كل حال مادمنا نجهل حتى الآن حقيقة وظائفها . ولكن هنالك حقيقة ثابتة وهى انه اذا ازيلت جميعها عقبها الموت فى الحال

ولايخفى ان من اعظم الانتصارات التى احرزها الطب هو الانتصار على مرض الديابيطس (البول السكرى) بحقن المصاب بالانسولين، والانسولين مادة تفرزها غدة البنكرياس الواقعة وراء المعدة وهى تؤثر فى السكر الذى فى الدم وتساعد الجسم على احراقه وتحويله الى قوة . فاذا عجزت غدة البنكرياس عن افراز الكمية الكافية من الانسولين تجمع السكر فى الدم ونتج عنه مرض الديابيطس وفى الولايات المتحدة وحدها نحو مليون مصاب بهذا المرض يعالجون بالانسولين المستحضر من غدد البنكرياس المأخوذة من بعض الحيوانات

وقد وفق الدكتور جورج تاكاتس من أطباء مدينة شيكاجو الى انجاز عملية جراحية مدهشة قد يتم من ورائها الانتصار على مرض الديابيطس نهائياً بواسطة الجراحة . ذلك أنه فتح بطن رجل مصاب بالديابيطس فازاح المعدة جانباً حتى وصل الى البنكرياس فاستأصل جانباً من هذه الغدة المفرزة لعصير البنكرياس فاشتد نشاط الجزء الباقى من الغدة ــ وهو الجزء الذى يفرز الانسولين وبهذه الطريقة نال المريض الشفاء التام . ومنذ اتمام هذه العملية قام الجراحون بعدة عمليات شبيهة بها أسفرت عن النجاح التام

ثم إن تحت غدة البنكرياس غدتين تسميان الغدتين الادرناليتين تفرزان مادة الادرنالين التى هى من اقوى المواد التى عرفها الانسان . يدل على ذلك انك اذا وضعت جزءاً من هذه المادة فى ثلثمائة وثلاثين مليون جزء من الماء امكنك أن تشعر بوجودها فى الحال . وهذه المادة تفرز بغزارة فى الجسم فى حالتى الخوف والغضب . ومن خواصها أنها تستثير نشاط القلب وتجعل الاوعية الدموية تتقلص . والطب يستعمل الآن هذه المادة لوقف النزيف ولاعادة الحياة الى الجسم بعد ان تقف حركة القلب تحت سكين الجراح

ومنذ عهد قريب اكتشف ثلاثة من العلماء الاميركيين مادة الادرنالين فى الثآليل الكائنة برءوس بعض أنواع الضفادع فصار فى الامكان الآن الحصول على الكمية اللازمة للعالم من هذه المادة السمينة

الكتب – هل دالت دولتها ؟

[خلاصة مقالة نشرت في المجلة المنغارية
الجديدة للكاتب المنغاري جان مالاي]

هل قضى على دولة الكتب أن تدول ؟

قد يخيل الى القارئ أن لا محل لهذا السؤال ما دامت الاحصاءات الموثوق بها تؤكد ان ألوفا من الكتب تنشر كل يوم فى أنحاء العالم المختلفة ، وأن عدد القراء فى جميع الاقطار آخذ فى الازدياد ، وأن التفنن فى طرق الاعلان يساعد على نشر الكتب نشراً واسعا

ومع ذلك يقولون ان ثمة أزمة حقيقية ، وان دولة التأليف على وشك الانقراض ، وان الاحصاءات لاتقول الحقيقة بل تشوهها ، وإن العبرة ليست بعدد الكتب التى تطبع وبوزنها بل بنوعها وقيمتها من الوجه الادبى

والمهم فى أزمة الكتب هو :

ما هى الكتب التى نقرأها ؟

وكيف نقرأها ؟

وماذا ينتظر أن نقرأ فى المستقبل ؟

لابد لنا من الاعتراف بأن كتبا كثيرة تنشر فى جميع الأنحاء وفى جميع الموضوعات بحيث يجد كل قارىء مايلائم ذوقه بين تلك الكتب

ولابد من الاعتراف أيضا بأن عدد القراء قد زاد فى جميع أنحاء العالم حتى صار يعد بمئات الملايين . وقد صار المؤلفون يبذلون جهد الطاقة لتكون الكتب التى يؤلفونها مما يوافق ذوق الشعب ونزعاته . وهم اذ يفعلون ذلك يهمهم عدد القراء لامستواهم العقلى لان غرضهم إما أن يكون ماليا أو تجاريا أو سياسيا أو ما إلى ذلك ، وهذا ما ادى الى انحطاط مستوى الكتب الادبية وظهور ألوف المؤلفات التى لا نجد فى وصفها خيراً من القول بأنها ما كان يجب أن تظهر الى الوجود

على ان المدنية الحالية هى مدنية مادية ميكانيكية لا تدع للانسان فراغا لاعمال فكره بقراءة الكتب المطولة المعقدة وللكتب اليوم اعداء ليس من الحكمة انكار بأسهم وبطشهم

وأول أولئك الاعداء الصحف اليومية فقد صارت تعتدى على ما كان يعتبر من شأن الكتب بما تنشره من الملحقات العلمية والرياضية والادبية والاجتماعية والطبيــة . وفى بعض الأنحاء تنشر

الصحف طبعات خاصة فى أيام الاحاد هى أشبه شىء بموسوعات (دائرة معارف) عامة متنوعة

وهنالك صحف أدبية بحتة ومجلات تبحث فيما هو من شأن الكتب ولها أساليب فى الكتابة بحيث يستطيع المرء أن يقرأ فى خمسين سطراً ما يقرأه فى ثلثمائة صفحة من صفحات الكتب . ولقد يعمد مؤلف الكتاب نفسه الى تلخيص كتابه فى بضع صفحات تنشر فى صحيفة أو مجلة أدبية

فالصحف اليومية على اختلاف أنواعها والمجلات الاسبوعية والشهرية قد أخذت تحل محل الكتب وساعدها على الانتصار رخصها وغلاء أسعار الكتب

ومن أعداء الكتب أيضاً السينما والراديو والخطب (التى يعبرون عنها بالمحاضرات) وقد أدى تألب هؤلاء الاعداء على « الكتاب » الى اعتراف المؤلفين بخذلانهم واضطرارهم الى مجاراة روح العصر . وهذا سبب ما نلحظه من فوضى الكتب والمطبوعات ذات المستوى المنحط سواء كان فيما يتعلق بالطبع والورق أو ما يتعلق بالمحور الادبى الذى يدور عليه الكتاب

وهذا أيضاً سبب الفوضى وعدم التجانس بين أشكال الكتب وأنواع طبعها وورقها . ومنها ما هو خلاصات أو خلاصة خلاصات علمية وأدبية واقتصادية وخلافها . وأكثرها مطبوع على أنواع من الورق رخيصة الثمن (لان الغرض منها منافسة الصحف) وأكثر تلك الأنواع مما لا يصلح لطبع الصور والرسوم

وانظر الى الجمهور كيف يقرأ الكتب اليوم . وفى الحقيقة انه لا يقرأ الكتب بل يتصفحها تصفحاً ويلقى عليها نظرة سطحية . ولكن اذا كان القارىء يجهل اليوم فن القراءة فان معظم الكتاب أيضاً يجهلون فن الكتابة . وقد مر الزمن الذى كان يجتمع فيه الشبان الذين يغارون على الادب للبحث والانتقاد والمحاضرة . ذلك لان الالعاب الرياضية تستغرق اليوم معظم أوقاتهم واذا بقى عندهم شىء من الفراغ بعد مزاولتها عمدوا الى النزهة بالاوتوموبيل

ومن العبث أن نحكم على رواج الكتب بكثرة ما ينشر منها فان معظمها اليوم فنى لا يقصد منه إلاخدمة الفنون الميكانيكية والكهربائية وما أشبه ولاعلاقة له بالادب الصرف . والعقلاء يدركون ذلك تمام الادراك ويعلمون ان انتشار الكتب التى من هذا النوع لايدل على رقى الانسان الفكرى والادبى بل بالعكس على تقهقره وانحطاطه

وإذا كان « للكتاب » اليوم أعداء ومنافسون فان للكاتب أيضاً خصوماً لا يقلون عن أولئك شدة . فالعوامل المحدقة به لا تشجعه على الكتابة والتفكير . وما يراه من رواج الكتب الغثة المنحطة وكساد الكتب ذات القيمة يجعله يندب سوء حظ الادب . وفى الواقع أن الغنى والسمعة الطائرة فى سوق الادب لا ينالها اليوم الكاتب أو العالم العبقرى ، بل من هو أحط منه بمراحل . فضلا عن أن الطابعين وناشرى الكتب كثيراً ما ينتهزون ضيقة المؤلف المالية فيستغلونه لكى يكسبوا على قفاه . ولا شك أن حالة الكتاب فى هذه الايام تدعو الى العمل على انقاذهم واصلاح حالهم

الزعامة الحقيقية وشروطها

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة نيويورك
تيمس للاستاذ جيمس ادمس]

فى هذه الايام التى نحن أحوج ما نكون فيها الى الزعامة يخطر ببال كل منا هذه الاسئلة وهى: ما هى شروط الزعامة الحقيقية، ومن هم الزعماء وما سبب فشل بعضهم؟

وقد أجاب كاتب هذا المقال عن هذه الاسئلة إجابة مسهبة فبسط شروط الزعامة الحقيقية وقال: «ان فى مقدمتها أن يكون للزعيم رأى جلى واضح يؤمن أتباعه بصحته سواء أكان صواباً أم خطأ. وان يكون ذلك الرأى مبنيا على مبادىء عامة لها صلة مباشرة بفلسفة الحياة. وقد يكون الزعيم مخطئاً فى آرائه وفى الوسائل التى يجرى عليها فى معالجة مختلف الشئون، ولكنه يتمسك بها تمسكا شديداً ولو أدى ذلك الى التضحية بحياته»

وانتقل الكاتب بعد ذلك الى شرط آخر من شروط الزعامة الحقيقية، وهو: «أن يكون الزعيم نفسه مؤمناً بعقيدته وبصحة نظرياته، فلا يدور مع الريح ولا يلبس لكل حالة لبوسها ولا يبدى لكل رجل رأيا يخالف ما ابداه لغيره ولا يسلم عند وقوع أى تشديد عليه. ويجب ان يكون فى نظر أتباعه بحيث اذا قال كلاما فى يوم الاحد فلن يسمعوا منه كلاما يخالفه فى يوم الاثنين»

ولكى يصدق هذا الشرط يجب ان تكون جميع اعتقاداته مؤسسة – كما يقول الكاتب – «على الروية وبعد النظر لا على أحكام طائشة يصدرها على الاشياء بغير نقد وتمحيص... فاذا لم يكن متحلياً بهذه الصفات فان اتباعه لا يثقون به ولا بسياسته ولا يستطيع ان ينفخ فى صدورهم روح الحماسة على الاطلاق»

ثم انتقل الكاتب الى شرط آخر من شروط الزعامة وهو الشجاعة الادبية فذكر انه «ما من رجل يعقد له لواء الزعامة اذا لم تكن له الشجاعة التامة ويجب ان يشعر اتباعه بأنه لن يهجرهم مهما أحدق به وبهم من المخاطر. ولن يتزحزح عن عقيدته مهما عظمت أمامه التجارب، وأنه لا المال ولا الحياة ولا الوعود الخلابة تستطيع أن تغويه وتلويه عن الطريق القويم»

ولكن الصلابة فى الحق ليس معناها العناد العقيم والتشدد الاعمى فى كل شىء. فهنالك حالات يجب على الزعيم أن يستعمل فيها الظرف والكياسة ولين الجانب. وفى ذلك يقول الكاتب:

«وهنالك ظروف زمانية ومكانية تحتم على الزعيم ان يتساهل ويتسامح. ومن أعسر الامور

تحديد تلك الظروف وتعيينها » . وسبب هذه الصعوبة واضح بلا شك اذ لا يمكن وضع قاعدة عامة تشمل جميع الحالات التى تعرض للزعيم . فيجب ترك الامر لظرفه وكياسته

وهنالك شرط آخر للزعامة : « وهو ان يستطيع الزعيم استفزاز الحماسة فى صدور أتباعه وتعليلهم بالامانى الجميلة وبحياة سعيدة أفضل من حياتهم الحاضرة . ولا شك أن جميع الزعماء الذين خلد التاريخ أسماءهم امتازوا بهذه الصفة فقد كانوا دائماً يوحون الى اتباعهم بالاحلام الجميلة ويسعون لاستبقاء تلك الاحلام ماثلة أمامهم »

بقى شرط آخر لا يقل شأناً عن الشروط المتقدمة وهو فى نظر الكاتب ضرورى لنجاح الزعامة ويعبر عنه بلغة كتاب هذا اليوم « بالشخصية » (personality) والشخصية تسحر قلوب أتباعها وتأسر ألبابهم وهى مجموع الصفات التى تجعل الرجل بارزاً فى نظر أتباعه وعظيماً فى نظر الذين يحيطون به من غير أتباعه أيضاً

هذه أهم شروط الزعامة الحقيقية . ومع ذلك فان الزعماء كثيراً ما يفشلون اما لعدم توافر هذه الشروط فيهم أو لعوامل أخرى من عوامل البيئة المحيطة بهم . قال الكاتب :

« ترى ما هى بعض العوامل الخفية التى تؤدى الى فشل الزعامة ، وما هى أسباب فشل الزعماء فى العشرين سنة الماضية ؟ »

أجاب الكاتب عن ذلك بأن ضعف النظم النيابية وشوائبها قد كان عثرة فى سبيل الزعماء فى حالات كثيرة لا يتسع المجال لشرحها . ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله فمن ذلك :

« تشعب تكاليف الحياة وزيادة نفقات المعيشة مما يجعل الزعماء فى حاجة مستمرة الى المال ومما يجعل الزعيم يوجه جانباً من جهده واهتمامه فى سبيل الحصول على لوازم معيشته . والرجل الذى يوجه بعض جهوده فى سبيل كسب معيشته لا يستطيع تنمية شروط الزعامة واستكمالها لنفسه لا فى ميادين الاعمال ولا فى ميادين السياسة

« أضف الى ذلك ان المدة التى عقبت الحرب العظمى الماضية قد كانت وما تزال مدة قلق واضطراب فى الافكار والآراء . والمادية آخذة فى الانتشار والنظم العمرانية والاجتماعية قد أصيبت بصدمات شديدة تجعل الناس يقفون حائرين وتزعزع ثقتهم بأنفسهم والتاريخ يشهد بأن أزمنة كهذا الزمان لم تنجب قط زعماء عظاماً »

هذه نظرية الكاتب وقد تبدو غريبة لان الفكرة السائدة عند الكثيرين هى ان الاوقات العصيبة هى التى تنجب الزعماء الحقيقيين . فالثورة الفرنسية مثلا انجبت فى فرنسا كثيرين من زعمائها كروبسبيير وميرابو وبونابرت . ولكن الآراء فى ذلك الزمن لم تكن مضطربة متبلبلة ، بل كانت مجمعة على مبادىء واحدة يؤيدها الشعب بجملته

الاباحة الزوجية

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة نورث اميركان للاستاذ هنري نيومان] .

لعل القراء يعرفون الاستاذ برتران رسل الكاتب الاجتماعى الانجليزى الذى يدعو الى إطلاق الزوجية من بعض قيودها واباحة الحرية للزوج لكي تكون له صلة بغير زوجته من النساء بشرط ان يظل محباً في الوقت عينه لزوجه وأسرته وأن يقوم بجميع الواجبات التى تفرضها الزوجية عليه. وحجة هذا الكاتب هي أن الرجل لا يستطيع أن يتحكم فى اهوائه الجنسية وإذا حاول أن يكبح جماحها شعر بثقل وطأة الزوجية فتنشأ فى نفسه اذ ذاك البغضة لها ولقيودها وتكون النتيجة زيادة عدد الناقين على الزواج المتعدين عنه

وقد انتشرت آراء الاستاذ رسل فى بعض الجهات فكان الناس بين نافر منها ومرحب بها . وقد تصدى الاستاذ هنرى نيومان الكاتب الاجتماعى الاميركى للرد عليها فنشر فى مجلة «نورث أميركان» مقالة قال فيها ما يأتى : «يطلب الاستاذ برتران رسل وزوجته السيدة دورا ولفيف من الكتاب الروس ألا يعتبر الناس رباط الزواج صحيحاً الا اذا أنتج ذلك الزواج أولاداً ، ويدعون ان هذا أدعى الى السعادة وأكثر انطباقاً على مقتضياتها . ويغارون على الاحداث الذين يتورطون فى الزواج باكرا فيقترحون اباحة الحرية لهم ليتصلوا بمن يشاءون من النساء من غير زوجاتهم » ويقول برتران رسل : «اذا أثمر الزواج وكان الزوجان عاقلين وجب عليهما أن يتوقعا دوام ذلك الزواج مدى حياتهما بشرط ألا يحول دون علاقات جنسية أخرى »

ومهما يكن من وجاهة الدفاع عن هذه الحرية فمن الخطر اطلاق الحبل على الغارب لانصارها . فبرتران رسل نفسه يقول إن من ابرز خصائص الزوجية هى انها اتحاد روحانى لاجسمانى فقط . ولكن أين السيدة التى تعتبر نفسها ملكا تاما لزوجها وهى تعلم أن زوجها ليس ملكا تاماً لها ولا هو متحد بها اتحاداً تاماً بل هو ملك مشاع بينها وبين غيرها ؟

ويقولون إن الحكمة تقضى باباحة الحرية للشاب قبل الزواج لان هذه الحرية تزيده خبرة وحنكة وتساعده على اختيار الزوجة الملائمة له لكي يكون رباط الزواج وثيقاً محكما . على ان الزواج المهنىء هو عملية بسيطة ، اذ المفروض فيه أن يتم بين أشخاص بالغين قد روضوا أنفسهم على أحسن الصفات من صبر واناة واحتمال وروية ورغبة فى مشاطرة رفيق الحياة فى كل شئ ومحاولة فهمه والاتفاق معه قلباً وقالباً . ترى هل يحاول الزوجان أن يروضا أنفسهما على هذه الصفات اذا

علما ان في وسع كل منهما تغيير رفيق حياته . وهل يسعيان للتحلي بالاخلاق الحميدة مادام كل منهما حراً في انشاء علاقات جنسية تعوضه عما فاته من محبة زوجه

ويطلب اصحاب هذا المبدأ أن تخمد الزوجة حدة غيرتها على زوجها وان تغض الطرف عن العلاقات الجنسية العرضية التي قد ينهمك فيها من وقت الى آخر ما دام محباً لها قائما بجميع الواجبات التي تفرضها عليه الزوجية بازائها وازاء الاسرة كلها ، فان الغيرة تشف عن ضيق الخلق والصدر

كذا يزعم برتران رسل واتباعه . ولكن الزوجة — كما يقول الاستاذ نيومان — « تشاطر زوجها سراءه وضراءه وتبذل حياتها في سبيل تربية أولادها والسهر عليهم في ابان الصحة والمرض . وهذه الجهود تفقدها بمرور الزمن جانباً من جمالها ومن شبابها . فاذا غارت على زوجها فان غيرتها معقولة لانها تخشى ان تحل محلها من لم تذهب الحياة الزوجية وواجباتها بجمالها وشبابها . بل ان في غيرتها تذكرة لطيفة له بوجوب مشاطرته لها واجبات الزوجية

« ومن الحجج التي يتذرع بها المستر رسل ان في معظم أنحاء العالم — كانجلترا مثلا — يزيد عدد النساء على عدد الرجال فاذا أتيح « لغير المبخوتات » منهن ان يشاطرن « المبخوتات » حب بعولتهن نقص عدد أولئك وزال كثير من الحقد الذي يتأجج في قلوبهن على النظام الاجتماعي وزاد الهناء والسرور في العالم . ولكن فات المستر رسل ان الزوج الذي يحاول اطفاء نار الحقد المتأجج في قلوب « غير المبخوتات » انما يوقد نار حقد جديدة في قلب زوجته لان واجبات الزوجية قد ذهبت بشيء من جمالها وشبابها ونضارتها ...

« ... ويقول المستر رسل ان تخوف الرجل من غيرة المرأة هو احد العوامل التي تثبط عزيمته وتقعده عن الزواج . لذلك يقترح اصحاب المذهب الجديد تربية الجيل الحديث والاجيال المقبلة على روح التسامح لتنطفئ غيرة المرأة وهي لا تنطفئ الا اذا ثار عليها الرأي العام والا اذا روضت المرأة على كرهها منذ نعومة أظفارها ... والغريب ان أصحاب هذا المذهب يسعون للقضاء على عاطفة طبيعية في المرأة مع أنهم يجاهرون بأن مذهبهم انما وجد للدفاع عن العواطف الطبيعية ومنها الميل الجنسي . فواضح اذن أنهم انما يريدون محو عاطفة الغيرة في المرأة لانها تقف عثرة في سبيل دعوتهم »

وهنا لابد لنا من هذا السؤال وهو : « اذا كان في الامكان القضاء على عاطفة الغيرة في المرأة بتربيتها تربية حديثة ، فلماذا لايربى الرجل تربية تمنعه من التسبب من تلك الغيرة ؟ » . وقد انتقل الكاتب الى تبيان مزايا الزوجية الدائمة التي لا تتسامح مع الزوج الخائن أو الزوجة الخائنة . الى ان قال : « واننا أحوج ما نكون اليوم الى تعليم الاولاد شروط الزوجية الصحيحة منذ الصغر . نعم كثيراً ما يكون الزواج هنيئا ، ولكن في وسع كلا الوالدين ومعلمي المدارس ان يعملوا على جعل الزواج هنيئا »

أعظم نهر في العالم

ليس هو النيل ولا المسيسبي ولا الامازون كما يزعم طلبة الجغرافيا ، بل هو مجرى أو تيار استوائي يشق عباب الاوقيانوس الباسفيكي على بعد عشر درجات من خط الاستواء والى شماله وهو محاذ للمنطقة الاستوائية تماماً

تطور الطيران

ليس ثمة شك فى أن الطائرات على جميع أنواعها ستكون أهم وسائل الانتقال فى المستقبل. وقد تطورت صناعة الطائرات تطوراً سريعاً جداً بعد الحرب . ويظهر من سير تطورها أن المستقبل لها دون المناطيد وغيرها من أنواع السفن الجوية . ومما يجدر بالذكر أنه قد مر الآن مائة وخمسون سنة تماماً على أول محاولة جوية قام بها الانسان للتحليق فى الجو إذ كانت تلك المحاولة سنة ١٧٨٣

الجيلاته قديماً

يعتقد البعض أن «الجيلاته» أو «الدندرمة» عرفت لأول مرة فى العصور المتوسطة وأن أول من صنعها رجل ايطالى . الا أن المباحث الأخيرة قد اثبتت أن بعض الهنود والصينيين كانوا يثخنون اللبن و يثلجونه حتى يصبح شبيهاً بالدندرمة الحالية . وكان ذلك فى القرن الخامس قبل الميلاد

الزمرد والماس

حجر الزمرد أخف وزناً من حجر الماس. فالقيراط الواحد من الأول اكبر حجماً من قيراط واحد من الثانى . وهنالك أنواع من الزمرد النقى أغلى ثمناً من الماس

عادة فظيعة

كان أهالى جزيرة مدغشقر حتى عهد قريب يقتلون الأطفال الذين يولدون فى أيام الأسابيع المحسوبة شؤماً . وكانوا يرمون جثثهم فى البحر تيمناً

ركام الجليد

تكثر جبال الجليد فى منطقتى القطب الشمالى والقطب الجنوبى . وهذه الجبال خطر شديد على البواخر . وقد شوهد حديثاً ركام قدر بعضهم طوله بنحو ستين ميلا وهو حجم يكاد يكون طبيعياً لتلك الجبال

الحوادث الليلية

فى احصاء لبعض شركات التأمين الامريكية أن نحو خمسة وثلاثين فى المائة من الاصابات التى تقع فى الشوارع وتنتهى بالموت تنشأ عن ضعف النور

تربيع الدائرة

منذ واحد وخمسين سنة — أى فى سنة ١٨٨٢ — نشر أحد علماء الألمان الرياضيين بحثاً اثبت به استحالة تسبيع الدائرة

قلوب الافيال

المعروف عن الفيلة (جمع فيل) انها مع ما هو معروف عنها من القدرة على حمل الأثقال الكبيرة فانها معرضة لضعف القلب

لحم الحيتان

أكل لحوم الحيتان شائع فى اليابان . ويقول الذين ذاقوا هذا اللحم إن طعمه لا يختلف عن طعم لحم البقر

فئران غريبة

جيء الى حديقة الحيوانات بلندن بأربع فئران غريبة من مستعمرة كينيا. وهذه الفئران ذات عرف طويل. وقد وضعت احداها فأرة صغيرة لا تزال عائشة. وادارة الحديقة تعنى بها اعتناء خاصاً وتراقب اطوار نموها

اثر نفيس

عثر المنقبون بجوار مدينة نابولى على رأس تمثال الامبراطور طيباريوس من الرخام وهو بحالة جيدة تماماً وقيمته عظيمة جداً من الوجه الفني. وكان طيباريوس المذكور ثانى امبراطور حكم روما

من اسباب الوفيات

دخان المدن فى مقدمة الاسباب التى تؤدى الى كثرة الوفيات. ولعل شيكاجو من اكثر مدن العالم دخاناً بسبب كثرة المعامل فيها. وتقول اللجنة الصحية التى أنشئت هنالك منذ عهد قريب لدرس الشئون الصحية: إنه لو امكن إزالة دخان شيكاجو لنقص عدد الوفيات فيها بنسبة السدس

احواض السباحة

كان الرومان منذ الفين ومائتى سنة يبنون أحواضاً للسباحة لاتختلف فى شيء عن أحواض السباحة فى الوقت الحاضر

معدنان غريبان

الاسبستوس والميكا معدنان غريبان يمتازان - فى جملة ما يمتازان به - بكونهما يسهل ليهما وثنيهما من دون ان ينكسرا. والاسبستوس أيضاً من المعادن التى لا تقبل الاشتعال

من اعالى الجو

كان سرب من الطيارات البريطانية يحلق منذ عهد قريب فوق البحر الابيض المتوسط فابصر الطيارون من الجو فى قاع البحر آثاراً قديمة وأعمدة وخرائب. فاهتمت وزارة البحرية البريطانية بهذا الاكتشاف واخذت الأهبة لارسال غواصين الى ذلك المكان لدرس تلك الخرائب وتصويرها

في قاع البحر

بعض المضايق والأودية التى فى قيعان البحار عميقة جدا، يبلغ ارتفاع جدرانها عدة الوف من الاقدام. ويقال ان الأودية والجبال التى فى قاع المحيط الباسفيكي اكثر من الأودية والجبال التى على سطح الكرة الأرضية

الجراحة في الجزائر

لا يزال الأهالى فى بعض انحاء الجزائر يعتقدون أن الأرواح الشريرة تدخل الانسان عن طريق رأسه. وهم اذا أرادوا طرد تلك الأرواح عمدوا الى فتح الجمجمة لتخفيف ضغط الدم الذى يعتبره القوم مظهراً من مظاهر تلك الروح فى الانسان

الاسعافات الاولية

فى سنة ١٦٣٣ ظهر في أوربا اول كتاب يتضمن ارشادات طبية للاسعافات الاولية. وبعض هذه الارشادات تقوم على مبادىء علمية، واهم ما ينقصها افتقارها الى مسألة تعقيم الجروح وتطهيرها. ومما يجدر بالذكر أن فى هذه الارشادات إشارة إلى عد النبض بواسطة ثوانى الساعة

الارجوان الصوري

اشتهرت « صور » عاصمة الفينيقيين قديماً بالصبغة الأرجوانية التي كانت تستخرج فيها وتصبغ بها ثياب الملوك والأمراء . وقد ثبت الآن أن تلك الصبغة لم تنتشر إلا في أواسط المائة الخامسة عشرة قبل الميلاد

مجاهل الجزيرة العربية

يقدر علماء الجغرافية مساحة البلاد التي مازالت مجهولة في شبه جزيرة العرب بنحو نصف مليون ميل مربع . وهذه المجاهل لم تطأها اقدام المتمدنين حتى الآن ولا يعرف العلماء شيئاً عنها على الاطلاق

انفجار الشمس المقبل

يقول الدكتور « كونراد لونكفست » مدير المرصد الملكي بجامعة « لند » الاسوجية إن دراسته المسهبة لتطورات النجوم - ولا سيما المعروفة منها عند علماء الفلك بالجديدة - قد أثبتت له أن تلك النجوم أو الشموس تنفجر مرة في نحو كل أربعة آلاف مليون سنة . ولما كان العلم يؤكد ان الشمس لم يقع فيها أي انفجار منذ نحو الف مليون سنة ، فقد صار يتوقع حدوث ذلك الانفجار قبل انقضاء ثلاثة آلاف مليون سنة . ولا حاجة الى القول انه اذا حدث ذلك فسيكون فيه هلاك الارض لا محالة

على ان بعض علماء الفلك يعتقدون ان مدة الاربعة الآلاف من ملايين السنوات التي قدرها الدكتور « كونراد لونكفست » هي أقل من الفترة الحقيقية . وان الانفجار لا يقع سوى مرة في كل الف وستمائة الف مليون سنة

بعد الجزر الكونية

المراد بالجزر الكونية هي السدم اللولبية وغيرها السابحة عند اطراف الكون الخارجية على بعد ملايين من السنين الضوئية . ويقول الاستاذ جينز الفلكي الانجليزي ان هذه الجزر تندفع في الفضاء مبتعدة عن النظام الشمسي بسرعة هائلة ، مما يجعل الكثيرين من علماء الفلك يعتقدون ان الكائنات في حالة انفجار وان الاجرام البعيدة أشبه بشظايا تتطاير بذلك الانفجار بحيث تتضاعف المسافة التي تفصلها عن الارض كل الف وثلثمائة مليون سنة . وهذا هو ما يعبر عنه علماء الفلك بقولهم : ان الكون آخذ في الاتساع كما تتسع كرة الفوتبول عند ما تنفخها . على ان الدكتور دي ستيتر استاذ علم الفلك بجامعة ليدن وأحد اقطاب علم الفلك في بلاد الغرب يقول ان اتساع الكون في الوقت الحاضر قد يعقبه رد فعل فجائي وإذ ذاك يتقلص الكون بالسرعة التي يتسع بها الآن

الابنية العالية قديماً

عثر علماء التاريخ على أنباء تدل على أن الامبراطور اغسطوس قيصر الرومان اصدر في ايامه أمراً بمنع الناس من بناء بيوت يزيد ارتفاعها على ما يعادل ثمانية وستين متراً بقياس هذا الزمن

الاقزام والنار

لا يزال بعض اقزام افريقيا متوحشين يجهلون استعمال النار لأنهم يأكلون اللحوم والنباتات من دون أن يطبخوها

التحكم في جنس الجنين

فى المؤتمر الدولى لعلم الوراثة الذى عقد فى مدينة نيويورك منذ عدة اشهر القى الدكتور ساندرس العالم الهولندى خطبة شرح بها طريقة الدكتور اونتر برجر الالمانى فى التحكم فى جنس الجنين وقال ان التجارب الكثيرة التى قام بها الدكتور المذكور فى طائفة كبيرة من الحيوانات - ولا سيما الحيوانات التى تستعمل لحومهـا غذاء - قد أثبتت أن حقن تلك الحيوانات عند لقاحها بمحلول بيكربونات الصودا يجعل نسلها يجىء من جنس الذكر فى أكثر الحالات . ويقول الدكتور اونتربرجر ان المواد الحامضة تجعل النسل يجىء غالبا من جنس الانثى بخلاف المواد القلوية فانها تجعل النسل يجىء ذكراً

على أن بعض العلماء الاميركيين يدعون ان التجارب التى قاموا بها فى اميركا لم تثبت صحة طريقة الدكتور اونتربرجر

وظيفة البنكرياس

البنكرياس غدة موضوعة بجوار المعدة تفرز العصير المعروف بعصير المعدة . وعطب هذه الغدة أو الاختـلال الذى يطرأ على افرازها هو سبب مرض الديابيطس أو البول السكرى . على ان احد الاطباء الاميركيين القى حديثاً خطبة امام جمعية تقدم العلوم الاميركية اثبت بها ان كثيرا من الحالات الغريبة التى تطرأ على قوى الانسان العقلية وتجعله أقرب الى الجنون منه الى التعقل سببها اضطراب غدة البنكرياس وعدم انتظام افرازها . وقد قام الدكتور جراهام الاميركى بعدة عمليات جراحية ازال بها بعض الأورام التى طرأت على غدد بعض الاشخاص فعادوا الى حالتهم العقلية الطبيعية بعد ان ظهرت عليهم أعراض غريبة تشبه اعراض الجنون

الطحال التائه

اذا خرج الطحال عن موضعه وأصبح « تائها » كما يقول الاطباء أدى ذلك الى آلام كثيرة مصحوبة بقىء ومغص وأعراض تشبه اعراض مرض الزائدة الدودية . ولا يخفى ان الطحال . واقع فى أعلى البطن من جهة اليسار ولكنه قد يخرج من موضعه هذا ويستقر فى أى موضع آخر من البطن . وكثيراً مايؤدى الى امراض خطيرة يحار الطبيب فى تشخيصها أو تعيينها

قروح المعدة

يقول الاطباء الاخصائيون ان القروح التى تصيب المعدة وتسبب آلاما كثيرة تنشأ عن تناول المواد الغذائية التى يعوزها الفيتامين (أ) وقد قام احد الاطباء الألمان بتجارب لاثبات هذه النظرية فاطعم طائفة من الفئران مواد غذائية خالية من الفيتامين المذكور فنشأت فى معدها قروح لم تزل إلا عند ماعادت تلك الفئران الى الاقتيات بمواد غـذائية غنية بالفيتامين (أ)

مرض البري بري

مرض البرى برى هو من امراض اليابان المستوطنة ، يموت به كل سنة نحو سبعة عشر الفاً من الاهالى . وسببه على مايقول الأطباء الاكثار من اكل الرز المقشور ، فان الرز فى هذه الحالة خال من الكمية اللازمة من الفيتامين

هل المريخ مسكون

القى الاستاذ سليفر الاميركى - مدير مرصد لويل الفلكى - خطبة علمية عظيمة الشأن فى المعهد الملكى بلندن ذهب فيها الى ان السيار المريخ تسوده احوال طبيعية شبيهة باحوال الارض وان جميع القرائن تدل على ان الثلوج التى يكتسى بها قطبه ووجود الماء والاوكسجين فى جوه دليل قاطع على وجود الحياة النباتية فيه . فضلا عن أن دراسة هذا السيار فى خلال الاربعة العقود الماضية لا تترك مجالا للشك فى انه مأهول

آثار قديمة

عثر العلماء فى اوربا (فى المكان الذى عثروا فيه على بقايا الانسان النياندرتالى) على ادوات مصنوعة من عظام مطمورة فى طبقات جيولوجية لايقل عمرها عن اربعمائة الف سنة . ويقول الدكتور اوتو شحيتجن مدير متحف التاريخ الطبيعى بمدينة ماتز بالمانيا ان هــذا الاكتشاف دليل قاطع على ان الانسان وجد على هذه الارض منذ أكثر من اربعمائة الف سنة

زنوج اميركا

من الامور المسلم بها عند جمهور العلماء ان زنوج اميركا جاءوا فى الاصل من قارة افريقا فى الازمنة الغابرة التى لايمكن تعيينها بوجه التحقيق . ولكن الأمر المختلف عليه بين أولئك العلماء هو الجهات الافريقية التى جيء منها باولئك الزنوج . وتدل المباحث الكثيرة التى قام بها بعض العلماء الاوربيين والاميركيين على ان السواد الاعظم من الزنوج الامركيين هم فى الاصل من الساحل الافريقى الغربى من البلاد الواقعة اليوم بين لوانجو وجمبيا . على أن جزءاً منهم جاء من انحاء أخرى من افريقا ولكن عددهم لم يكن كبيراً

مدن العالم الكبرى

فى احصاء جغرافى ان نحو ٩٢ فى المائة من مدن العالم الكبرى هى فى النصف الشمالى من الكرة الأرضية

وكيل الهلال في الولايات المتحدة

عرف الاديب الفاضل الاستاذ توفيق حبيب بنشاطه وجده ومساعدته للنهضة العلمية والادبية . فمنذ خمس وعشرين سنة وهو مجد فى هذه المساعدة الحميدة . وقد رأت فيه دار الهلال خير عون لها فى الولايات المتحدة ، فاتخذته وكيلا لها فى هذه البلاد ، فاخذ يعمل لمعاونتها معاونة صادقة ، ونشر مجلاتها ومطبوعاتها ، فاسدى الى هذه الدار خدمة جديرة بالثناء والتقدير ، وقد انقضى الآن على هذا المجهود الذى قام به ربع قرن . ولهذه المناسبة نسدى للاديب الفاضل الاستاذ توفيق تهانينا الخالصة ، ونزف اليه شكرنا الجزيل لمساعدته لنا فى مهمتنا التى أخذت دار الهلال على عاتقها القيام بها فى خدمة النهضة العلمية والادبية فى الشرق

كتب جديدة

هدية الكروان

للاستاذ عباس محمود العقاد

طبع بمطبعة دار الهلال

صفحاته ١٦٠ من الحجم المتوسط

للاستاذ الكبير عباس محمود العقاد نشاط نادر فضلا عن نبوغه وعبقريته، فهو الى انغماره فى الصحافة والكتابة فى السياسة لا ينى عن خدمة الادب والعناية به، وزيادة ثروته، ففى كل يوم يضيف اليه من انتاجه جديداً، وبين كل فترة وأخرى يصدر مؤلفاً نفيساً ما بين منظوم ومنثور. وقد أصدر أخيراً ديواناً من الشعر البليغ أسماه « هدية الكروان » وهو من اسمه ينطق بشاعريته وحسنه. فالكروان طائر جميل يكثر فى مصر تسمعه يغنى فى جنح الليل حيث السكون والهدوء، فيبعث فى نفسك الجذل والروعة ويوقظ فى قلبك روح التسبيح والتقديس والفتنة بجمال الخلق والخالق. ولعل الاستاذ عباس العقاد أول أديب ناجى هذا الطائر الذى يعيش فى شمال مصر وجنوبها بكثرة، ولكن الشعراء مشغولون عنه بمناجاة البلابل محاكاة وتقليدا لما ذكره المتقدمون — وبعد فهدية الكروان، هدية لادباء اللغة العربية ومتأدبيها وناشئتها، وهو وان سمى باسم الكروان لما فيه من عدة قصائد عن هذا الطائر الجميل إلا انه يضم بين دفتيه قصائد أخرى فى الغزل والمناجاة والوصف والتأملات والرثاء والهجاء وغيرها. وكلها من الشعر الجيد البليغ وحسبنا ان نقول تقريظاً لهذا الديوان انه من تأليف الاستاذ العقاد

على هامش السيرة

للدكتور طه حسين

طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر

صفحاته ١٩٢ من الحجم المتوسط

« هذه صحف لم تكتب للعلماء ولا للمؤرخين. لانى لم أرد بها الى العلم. ولم أقصد بها الى التاريخ. وانما هى صور عرضت فى أثناء قراءتى للسيرة. فأثبتها مسرعاً. ثم لم أر بنشرها بأساً. ولعلى رأيت فى نشرها شيئاً من الخير. فهى ترد على الناس أطرافاً من الادب القديم قد افلتت منهم وامتنعت عليهم. فليس يقرؤها منهم إلا أولئك الذين اتيحت لهم ثقافة واسعة عميقة فى الادب العربى القديم. وانك لتلتمس الذين يقرءون ما كتب القدماء فى السيرة وحديث العرب قبل الاسلام فلا تكاد تظفر بهم. انما يقرأ الناس اليوم ما يكتب لهم المعاصرون فى الادب الحديث

« . . . فليس فى هذا الكتاب اذن تكلف ولا تصنع ولا محاولة للاجادة ولا اجتناب للتقصير. وانما هو صورة يسيرة طبيعية صادقة لبعض ما اجد من الشعور حين اقرأ هذه الكتب التى لاأعدل بها كتباً أخرى مهما تكن والتى لا أمل قراءتها والأنس اليها

« . . . فاذا استطاع هذا الكتاب أن يحبب

الى الناس كتب السيرة خاصة ، وكتب الادب العربى القديم عامة ، والتماس المتاع الفنى فى صحفها الخصبة فانا سعيد حقا

« .. واذا استطاع هذا الكتاب ان يلقى فى نفوس الشباب حب الحياة العربية الاولى ويلفتهم إلى ان فى سذاجتها ويسرها جمالا ليس اقل روعة ولا نفاذاً الى القلوب من هذا الجمال الذى يجدونه فى الحياة الحديثة المعقدة، فانا سعيد موفق الى بعض ما اريد

« . . . واذا استطاع هذا الكتاب ان يدفع الشباب الى استغلال الحياة العربية الاولى واتخاذها موضوعاً قيما خصبا . لا للانتاج العلمى فى التاريخ والادب الوصفى وحدهما بل للانتاج فى الادب الانشائى الخالص ، فانا سعيد موفق الى بعض ما اريد »

هذه فقرات مما كتبه الدكتور طه حسين فى مقدمة كتابه « على هامش السيرة » . وانت تستطيع ان تجد فى تلك الفقرات تعريفاً يعرفك بهذا الكتاب وامثاله مما سيكتبه فى السيرة النبوية . فجدير بقراء العربية أن يغتبطوا بهذا الذى يقوم به الدكتور طه من معالجة هذه السيرة على اسلوب جديد ، وتيسير الاطلاع عليها للذين يضيقون بالاسلوب القديم . ثم جدير بهم أن يرحبوا بهذا النوع من احياء الادب القديم واماطة اللثام عن تراثه والانتفاع بما فيه من حياة خصبة وكنوز فنية ليس لغير أمثال الدكتور طه أن يعبد الطريق الى احيائها والانتفاع بها . وهذا الكتاب من هذا النوع الذى قصد الدكتور طه حسين من تأليفه الى احياء الادب القديم والانتفاع به . وهو كمقدمة أو جزء اول لعدة اجزاء يضعها فى السيرة النبوية فى اسلوب قصصى ممتع . وقد ابتدأه بحياة عبد المطلب جد النبى الكريم محمد ، وانتهى به الى رضاعته وبره بمرضعته ثويبة أمة ابى لهب . ولسنا فى حاجة الى أن نطيل فى وصف اسلوب الدكتور طه حسين . ولا فى منهجه فى الكتابة والتأليف . فالقارىء غنى عن ذلك كله بما يعرفه عن العميد من عبقرية ونبوغ

النبى

وضعه بالانكليزية المرحوم جبران خليل جبران
نقله الى العربية الارشمندريت أنطونيوس بشير
طبع بالمطبعة العصرية بالقاهرة
صفحاته ١٨٠ من الحجم المتوسط

لفقيد الادب جبران خليل جبران إلهام سام ، جعل لكتاباته ورسومه صبغة ممتازة ، رفعتهما إلى درجة الوحى السامى

ولقد عرفه الغربيون كما عرفه الشرقيون وقدروه ، واشادوا بنبوغه . والف عدة كتب بالانجليزية ، كما الف أخرى بالعربية . فاسترعى التفات الغربيين اليه وأقبلوا على قراءته . ومن هذه الكتب التى وضعها بالانجليزية كتاب « النبى » فقد صدر هذا الكتاب فى سبتمبر سنة ١٩٢٣ فلم يمض عليه خمسة عشر شهراً حتى أعيد طبعه ثلاث مرات . بل لم ينته شهر فبراير سنة ١٩٢٦ حتى بلغ الطبعة العاشرة (بالانكليزية) وترجم الى عشر لغات اوربية والى اليابانية والهندستانية من اللغات الشرقية

وهذا الكتاب قد أودعه المؤلف خلاصة آرائه فى الحب والزواج والابناء والمعاملة والالم واللذة والحزن والغبطة والجرائم والعقوبات والحرية والشرائع والعقل والعاطفة والصداقة والدين والموت وغير ذلك . وقد

جعلها على لسان نبي اسماه (المصطفى) ويكاد يكون هذا الكتاب هو زبدة حياة جبران التى قضاها بين الادب والحكمة والفلسفة والفن . فقد اشتمل على آرائه فى نواحى الحياة الاجتماعية بما هدته اليه بصيرته وأرشده اليه وحى فكره النافذ . فكل من يطلع على هذا الكتاب يعتقد ان جبران انما وضعه ليكون كتابا يرجع اليه فى الآراء الحرة التى لا تتقيد إلا بوحى العقل ونور البصيرة . وقد أحسن الارشمندريت انطونيوس بشير بترجمة هذا الكتاب إلى العربية ترجمة موفقة تستحق الثناء والتقدير

دائرة المعارف الاسلامية

العدد الثاني من المجلد الاول

ترجمة الاساتذة : محمد ثابت الفندى

احمد الشنتناوى . ابراهيم زكى

خورشيد . عبد الحميد يونس

طبعته لجنة الترجمة بشارع قصر النيل رقم ٣٣ بالقاهرة . صفحات العدد ٦٤ من الحجم الكبير

قلنا فى هلال نوفمبر الماضى كلمة موجزة عن هذا المجهود الجليل الذى يقوم به هؤلاء الشبان الافاضل فى ترجمة هذا السفر الكبير الذى قام بتأليفه باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية كبار المستشرقين فى اوربا منذ خمس وعشرين سنة ليكون مرجعاً للحضارة الاسلامية وما يتصل بها من فنون وعلوم وآداب

ويسرنا ان نعود الى الكلام عن هذا المجهود بمناسبة صدور العدد الثانى من هذه الترجمة الذى يبدأ ببقية تاريخ الابشيهى . وينتهى بتاريخ محمد بن احمد البستى . المعروف بابن حبان . وقد حوى هذا العدد طائفة من تراجم المؤرخين والمحدثين والنحويين والادباء والشعراء والفقهاء والاطباء كابن الابار وابن ابى أصيبعة وابن ابى الدنيا وابن ابى الرجال وابن الاثير أو أبناء الاثير الثلاثة وابن الانبارى وغيرهم

ولا يسعنا الا الاعجاب بنشاط هؤلاء الشبان وقيامهم بهذه الخدمة المحمودة للغة العربية التى هى فى حاجة الى فتوة الشباب ونشاط الشباب واقدامهم الذى لايثنيه فتور ولا تثبيط . وقد امتاز العدد الثانى بمضاعفة العناية والتدقيق . ويظهر ان الاقبال الذى لقيه العدد الاول كان مشجعاً للمترجمين على مضاعفة العناية والاتقان

ديوان زكى مبارك

طبع بمطبعة حجازي بالحمالية بالقاهرة

صفحاته ١٥٨ من الحجم الصغير

لعل الكثيرين من قراء العربية لا يجهلون الاديب النابغة الدكتور زكى مبارك ، ولعل الكثيرين يعرفون أنه جمع بين كثير من المواهب والصفات ، فهو كاتب وشاعر ، ومن متخرجى الازهر والجامعة ، ومن ابناء سنتريس وباريس ، ومن رجال التعليم والصحافة أيضاً . وعلى الجملة هو من الشبان الذين اعطوا حكمة الشيوخ وتدقيقاتهم وتحقيقاتهم ، ومن الشيوخ الذين لهم نشاط الشبان وثورة الشباب . . طوى الدكتور زكى الاربعين أى انه طوى عهد الشباب وودعه . ولكن عز عليه ألا يفى للشباب وألا يسجل له ذكرياته الجميلة واحلامه اللطيفة ، فجمع فى هذا الديوان كثيراً مما فاضت به عاطفته وجادت به قريحته الخصبة من قصائد فى الحب والمجد والشباب والجمال ، واهداه تحفة ممتعة لقراء العربية ، يتصفحونها فيرون فيها نفوسهم كما يصورها الخيال الصادق والشعور

الفياض والاحلام اللذيذة ، ويقرأون فيها نوعاً من الشعر جديداً بخياله وافكاره وصوره ، قديماً بنسجه العربى ، واسلوبه الادبى ، ونظمه المحكم الذى لم يفسده شرود فى القواعد ، ولا تجن على اصول اللغة بدعوى الابتكار والتجديد

مناجاة

تأليف الاستاذ حسين عفيف المحامى

طبعت بمطبعة د. سيادة بالقاهرة

صفحاته ١٥٢ من الحجم الصغير

هذه قطع أدبية تتسلسل فى اسلوب روائى وان لم تكن رواية ، ولكنها تحتوى على تحليلات عامة فى قالب غرامى ممتع ، أشبه بما يسمونه الشعر المنثور ، ولكنه ليس على مثاله فى التعمل والتكلف ، فان كاتب هذه المناجاة يكتب بعاطفة صادقة ونظر ثاقب وعبارة سهلة تتمشى مع النفس فى سهولتها وسلاستها ، ونحن ننقل شيئاً من هذه المناجاة . قال تحت عنوان (الفكرة) :

« سوف نظل ياحبيبتى نعلم الناس الحياة ، ولكن على غير جدوى . انهم يرموننا بالجنون لالشىء إلا لان خيالنا يسبق حياتهم فيبدو فى نظرهم خبلا . ولكن يجب أن يسبق خيالنا حياتنا كى يتسنى لنا دائماً ان نقفز بحياتنا الى حيث يكون خيالنا . وبذا نسير بالانسانية الى الامام ... فلم لا نوطن خيالنا إذن على ان يبدع لنا أبداً صورة الحياة الجديدة التى ينبغى ان نحياها فى غدنا ، حتى لا تقف حياتنا بوقوف خيالنا ؟! ... » وعلى هذه الوتيرة نسج الاستاذ حسين عفيف مناجاته الرقيقة فى اسلوب عاطفى ونظرات ثاقبة فى الحياة والادب والاجتماع

كتب اخرى

ه « الحسين » هى قصة تمثيلية شعرية عن مشهد الحسين بن على نظمها الاستاذ الاديب محمد شرف الدين على نحو ما فعل شوقى فى قصصه التمثيلية المشهورة . ويضيق المقام عن الافاضة فى هذه القصة الممتعة . وحسبنا ان نثنى على ناظمها الفاضل ، فقد اظهر فيها مجهوداً جديراً بالتقدير والاعجاب . طبعت طبعاً متقناً بمطبعة النجاح ببغداد . صفحاتها ٢٤٠ من الحجم الصغير

ه « وثائق تاريخية للكرسى الملكى الانطاكى » عنى بجمعها الاكسرخوس اكاكيوس كوساقب ، وعربها عن الايطالية الارشمندريت داميانوس شبارخ قب . طبعت بمطبعة القديس بولس فى حريصا . صفحاتها ٢١٧ من الحجم المتوسط

ه « العفاف وعلاقته بالصحة » كتاب صحى عن الحياة التناسلية والضرر الذى ينجم من سوء استخدامها . وبه صور توضح بعض النتائج الشنيعة للامراض التناسلية . تأليف الأب الايفومانوس ابراهيم لوقا . طبعه بمطبعة رعمسيس بالقاهرة . صفحاته ١٥٤ من الحجم المتوسط

ه « الحشرات والامراض » تأليف الاستاذ عادل ابو النصر . وهو يبحث فى الحشرات والامراض التى تعترى الاشجار المثمرة فى سوريا ولبنان . طبع بمطبعة كوزما ببيروت . صفحاته ١٦٠ من الحجم المتوسط

ه « الاسير » رواية تمثيلية بقلم الاديب محمد عيش طبعت بالمطبعة الوطنية بعمان . صفحاتها ٣٣ من الحجم المتوسط

بين الهلال وقرائه

سرعة الريح

(اسكندرية ـ مصر) خليل سلامة

في كتاب حديث أن بعض الطيارات الحديثة سرعتها سرعة الريح . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) هو صحيح بلا شك فقد زادت بعض الطيارات على أربعمائة ميل في الساعة ، وزيد سرعة الريح على ذلك . بل قلما يزيد سرعتها على خمسين ميلا في الساعة

يجدر بالذكر أن الريح اذا بلغت سرعتها ميل في الساعة جرفت أمامها كل آلة لقياس بحيث يصعب معرفة حقيقتها

ناطحات السحاب

(اسكندرية ـ مصر) ومنه

الا تشاد في مصر بنايات شاهقة كناطحات ب الامريكية . واذا قيل ان الارض في مصر لاتحتمل ثقل تلك البنايات فلماذا لا تبنى أوربا ؟ وما هي أعلى ناطحات السحاب في امريكا ؟

(الهلال) هنالك أسباب وجيهة ـ غير طبيعية ـ تحول دون بنيان العمارات الشاهقة في وأهم تلك الاسباب ان الحاجة لا تدعو الى بنايات تقتضي نفقات طائلة ولا تعود على بها بنفع مادي . ولا حاجة الى القول ان ازدحام في المدن وعدم وجود مساحات حول تلك تصلح للتعمير لمن أهم الاسباب التي تقتضي البنايات الشاهقة . والمدن في مصر لم تزدحم الان كازدحامها في الولايات المتحدة . ولكنا ان هذا سيقع بالتدريج واذ ذاك يبدأ الناس ناطحات السحاب

لعل السبب الذي بسطناه هو في مقدمة الاسباب تحول دون تشييد ناطحات السحاب في أوربا . أضف الى ذلك ان تشييد هذه الابنية يحول دون وصول الشمس والهواء الى الابنية غير العالية والى الطبقات السفلى من تلك الابنية

وأعلى ناطحات السحاب في امريكا هي البنايات الآتية :

بناية امباير ستيت	وتؤلف	من ٨٦	طبقة
« كريسلر	«	« ٦٨	«
« ولورث	«	« ٦٠	«
« مترو بوليتان	«	« ٥٦	«

وهنالك ابنية كثيرة يختلف عدد طبقاتها من خمسين الى ثلاثين طبقة

ناطحات السحاب والزلازل

(اسكندرية ـ مصر) ومنه

هل على ناطحات السحاب خطر من الزلازل وهل صحيح ما يقال من أنها تترنح ؟

(الهلال) لقد ثبتت ناطحات السحاب في امريكا حتى الان على فعل الزلازل . ويقول المهندسون المعماريون ان الخطر على هذه الابنية من الزلازل هو أقل منه على الابنية الاعتيادية التي لا يستعمل الاسمنت المسلح والحديد في بنائها . والمعروف ان ناطحات السحاب تترنح قليلا في مهب الرياح الشديدة ولكن قلما يشعر أحد بذلك الترنح ، كما أنه لا خطر منه على الاطلاق

المطاط الصناعي

(سان باولو ـ البرازيل) أحد المشتركين

قرأنا كثيراً ان العلماء الامريكيين يهتمون باختراع مطاط صناعي يغنيهم عن المطاط الذي يستوردونه من المستعمرات البريطانية . فهل نجحوا في سعيهم ؟

(الهلال) كانت الولايات المتحدة الامريكية ولا تزال حتى الآن تحت رحمة المستعمرات البريطانية

للحصول على المطاط الذي هي في حاجة اليه . وهذه المادة لازمة كما لا يخفى لصناعة الاوتوموبيلات وغيرها مما هو مصدر ثروة كبيرة للولايات المتحدة . ومنذ الحرب العظمى الماضية أخذ الامريكيون يشعرون بالخطر الذي يتهددهم لو نشبت الحرب بينهم وبين بريطانيا العظمى . لذلك أخذوا يفكرون في طريقة للخلاص من سيطرة انجلترا على تجارة الكاوتشوك . وفي مقدمة الذين عنوا بهذه المسألة هنري فورد صاحب الاوتوموبيلات المعروفة باسمه فانه عهد الى صديقه المستر اديسون المخترع الامريكي الشهير (وقد توفى) القيام بالتجارب اللازمة لاستنباط كاوتشوك صناعي ، فقام اديسون بعدة تجارب كانت تبشر بالنجاح . ويؤخذ من احدث الاخبار العلمية أن معامل شركة دوبونت بمدينة ولمنجتون بالولايات المتحدة قد نجحت في استنباط كاوتشوك يقال انه أقرب الانواع الصناعية الى الكاوتشوك الطبيعي بسبب مرونته ومتانته . ولا يزال أصحاب المعامل المذكورة يوالون التجارب الكيميائية لاتقان الكاوتشوك المذكور وابلاغه درجة الكمال

اليهود في فلسطين

(القاهرة — مصر) س . ب

كم عدد اليهود المقيمين بفلسطين في الوقت الحاضر ؟

(الهلال) في آخر تقرير قدمته الحكومة البريطانية عن فلسطين الى جمعية الامم ان عدد اليهود المقيمين هنالك يبلغ نحو مائة وخمسة وسبعين الفاً . ولكننا نعتقد أن عددهم يزيد على ذلك

البحر الميت

(القاهرة — مصر) ومنه

على أي شيء تقوم ثروة البحر الميت بفلسطين ؟

(الهلال) على المواد الكيميائية التي تدخل في صناعات كثيرة وأهمها مادتا البوتاس والبرومين . والبوتاس يصل الى البحر من طريق نهر الاردن . وهذا النهر يحمل نحو أربعين الف طن منه كل سنة الى ذلك البحر . ومصدر كلا البوتاس والبرومين ينابيع بحر الجليل . ويعتقد كثيرون من رجال الاقتصاد ان البحر الميت مصدر ثروة لا تنضب بسبب ما فيه من راسب المادتين المذكورتين . أما البرومين فيستعمل في صناعة اصباغ كثيرة وفي صنع الوقود للآلات المحركة ولاغراض أخرى

تعقيم اللبن

(بيروت — سوريا) أحد القراء

هل الحليب (اللبن) المعقم بطريقة باستور يحتفظ بجميع خواصه ، وهل يمكن حفظه طويلا ؟

(الهلال) ان الحليب (اللبن) المعقم بطريقة باستور هو لبن صحي مفيد ، ولكن تعقيمه بتلك الطريقة يفقده بعض خواصه ولا سيما طعمه . وقد وفق أحد المعامل الكيميائية في الولايات المتحدة الى تعقيم اللبن بطريقة كهربائية تفضل طريقة باستور من عدة أوجه ، اذ تحفظ طعم اللبن حفظاً تاماً وتمكنه من البقاء مدة طويلة من دون أن يتطرق اليه الفساد . والتعقيم بهذه الطريقة لا يستغرق سوى تسع عشرة ثانية حالة ان التعقيم بطريقة باستور يستغرق نصف ساعة

مصادر القوة في المستقبل

(بغداد — العراق) حسين النجيلي

من أين ينتظر أن يستمد الانسان القوة التي سيحتاج اليها في المستقبل متى نفد الفحم والزيت الموجودان الآن في بطن الكرة الارضية ؟

(الهلال) من الشمس والهواء والانهار والبحار ومن المد والجزر . وقد حسب العلماء مجموع القوة التي يحتاج اليها العالم في كل سنة فاذا هي نحو ثمانية عشر الف الف مليون كيلو جرام — كالورى ، وتعادل القوة المستخرجة من الفين وسبعمائة مليون طن من الفحم . ومما يجدر بالذكر أنه اذا نضبت مصادر القوة الطبيعية واضطر العالم الى الاعتماد على قوة الانسان البدنية احتاج الى أحد عشر الف مليون رجل أو نحو ستة أضعاف عدد البشر على سطح الكرة الارضية . أما الآن فان العالم لا يستخدم من القوة البدنية سوى ١٧ في المائة فقط من مجموع القوة

التي يستعملها . والفحم يمد الانسان بنحو خمسين في المائة من القوة التي هو في حاجة اليها . وما بقي من القوة مستمد من الزيت ومن القوى الحيوانية المختلفة

ويقدر العلماء القوة التي يمكن استخراجها من أشعة الشمس التي تصل الى الارض في عام واحد فقط بألفين وأربعين ضعف مجموع القوى المذخورة في بطن الارض من فحم وزيت وغاز وخلافه . وفي بطن الارض أيضاً حرارة يمكن بها استخراج قوة تعادل ملايين أضعاف القوة المستولدة من المصادر الطبيعية

العصر الجليدي

(الخرطوم — السودان) طالب بكلية غردون

هل صحيح أننا ما نزال في العصر الجليدي ؟

(الهلال) هذا هو رأي الكثيرين من العلماء وفي مقدمتهم السر دوجلاس موصن الرحالة المشهور والدكتور بروكس من علماء المتوروولوجيا الانجليز وغيرهما . ومن رأي هؤلاء العلماء ان المتوسط السنوي لدرجات الحرارة يرتفع نحو ثلاث درجات كل الف سنة بسبب اقترابنا من نهاية العصر الجليدي . ولا يخفى ان الجليد الذي كان يكسو سطح الكرة الارضية في العصور الخالية قد ذاب معظمه ولم يبق منه الا القليل في شمال سكندنافيا وفي جانب كبير من جزيرتي جرينلند وايسلند وفي القطبين الشمالي والجنوبي . ولا شك ان الجليد الباقي في الانحاء المذكورة آخذ في الذوبان بمرور الزمن . ويبلغ مجموع المساحات المكسوة بالجليد في الوقت الحاضر ثلاثة ملايين ونصف مليون ميل مربع ومتوسط ثخانة الجليد نحو الفي قدم واذا ذاب هذا الجليد كله ارتفع سطح مياه البحار في الكرة الارضية كلها نحو أربعين او خمسين قدماً

مهد الانسان الاول

(الخرطوم — السودان) ومنه

قرأت في بعض الصحف ان قارة افريقيا هي مهد الانسان الاول . فهل هذا صحيح وكيف توفق بينه وبين القول بأن الانسان الاول وجد في عدن ؟

(الهلال) من أحدث النظريات العلمية النظرية التي قرأتموها ومن كبار مؤيديها السر آرثر سميث ودوارد العالم الانثروبولوجي الانجليزي . وهو يبني نظريته هذه على العظام البشرية التي عثر عليها بعض العلماء حديثاً بالقرب من طنجنيقا ، وترجع الى العصر البليستوسيني او العصر الجليدي . ويعتقد بعض علماء الانثروبولوجيا انها اقدم من آثار « انسان جاوا » وانسان « بكين » وانسان « نياندرتال » وغيرهم

ضحايا الحرب الماضية

(عمان — شرقي الاردن) أحد القراء

كم بلغ عدد ضحايا الحرب العظمى من المحاربين وغير المحاربين ؟

(الهلال) في احصاء دقيق لعصبة الامم أن عدد قتلى تلك الحرب من الجنود بلغ ثلاثة عشر مليوناً وعددهم من غير المحاربين ثمانية عشر مليوناً . وقد وقفنا على احصاء آخر جاء فيه ان عدد القتلى من الجنود زاد على ستة عشر مليوناً . والارجح أن الاحصاء الاول هو الاصح

تشابه الصفات والاخلاق

(القاهرة — مصر) موسى طنطاوي

كثيراً ما يكون التشابه بين شخصين في خلقتهما وصورتهما متبوعاً بالتشابه في صفاتهما واخلاقهما وذكائهما أو غباوتهما . فما السر في ذلك . وهل لهذه الظاهرة علاقة بالثيوصوفية ؟

(الهلال) الظاهرة التي تشيرون اليها نادرة غير عامة . ويمكن تعليلها بالمبادىء التي يقوم عليها علم الفراسة . فهذا العلم يقول ان من كانت أخلاقه وطباعه كيت وكيت كانت ملامحه وأعضاء جسمه على حالة معينة . وعليه فاذا وجدت شخصين متشابهين في الشكل والملامح فمن المحتمل أن يكونا متشابهين أيضاً في الصفات والاخلاق . ولا يخفى ان الملامح وأعضاء الجسم كثيراً ما تشف عن حقيقة اخلاق صاحبها . فقد تستطيع ان تحكم على أخلاق الرجل حالما ترى وجهه لان القسوة والرحمة والخشونة واللين وغير هذا من الطباع تنطبع على وجهه . وعليه فليس من الغريب ان يتبع التشابه في الاخلاق والصفات تشابه في الملامح . وليس لهذه الظاهرة اية علاقة بالثيوصوفية أو بما يتصل بها من العقائد

الأمبراطورية العربية

وهل آن أن تتحقق ؟

بقلم الاستاذ عبد الرحمن عزام

قد تكون الدعوة الى تأسيس امبراطورية عربية حلما من الاحلام . ولكن كم من المشروعات الكبرى والحقائق العظمى كانت قبل وجودها حلما في رءوس المفكرين ، وخيالا في اذهانهم ، ثم ما لبث أن صحت الاحلام ، وتحقق الخيال ، واذا كل شيء قد أصبح حقيقة ملموسة وأمراً واقعا .
والامبراطورية العربية وجدت غير مرة في الاحقاب الماضية في عهد الامويين والعباسيين وغيرهم . فليس بعيداً أن تعود هذه الامبراطورية الى ما كانت عليه أو الى أحسن مما كانت عليه . وليس بعيداً أن تكون اليوم حلما ، ثم تصبح غداً حقيقة واقعة

تكاد تكون حلماً وقد كانت حقيقة ، ويكاد ينكرها أهلها ، وكانوا لا يتصورون الحياة بغيرها ! أرأيت اذن كيف تذل النفوس وتتراخى الهمم ؟

كنت أتحدث مع أحد محرري « الهلال » عن الوحدة العربية والدولة المنتظرة كنتيجة لهذه الوحدة ، وكلما أفضت فى الحديث نظر الى كمن يستمع الى حلم لذيذ ، ثم سألنى أن اظهر على الناس بهذه الفكرة فلعلى واجد من يؤمن بها

وما هى بدعوة جديدة ولا فيها غريب ، بل هى الاصل . واستسلام العرب فى المشرق والمغرب للعيش بغير دولة هو الغريب !

فهأنذا اسائل العرب فى آسيا وافريقا ، بل أسائل المرتابين فى مستقبل هذه الامة العظيمة أن يذكروا ماضيهم

ليذكروا امبراطورية الامويين والعباسيين والفاطميين والموحدين والمرابطين والحفصيين . ليذكروا مئات السنين التى كانت فيها امبراطورية العرب زاهية عزيزة

ليذكروا ذلك فيؤمنوا ببعثها ، فما مات العرب وانما غشيهم النعاس . وقد تضاعف عديدهم واتسعت أوطانهم

ليذكر المرتابون دولة الخلفاء الراشدين ، وقد بسطت فى عشر سنين سلطانها على ملك كسرى وقيصر

وقد كان ملك كسرى وقيصر أعرق حضارة وأكثر علماً وأعظم ثراء. ولو أن رجلا ساح فى ذلك العهد ببلاد الفرس والرومان ورأى قلب الجزيرة ثم بعث اليوم ليطوف العالم، لشهد بأن الامة العربية الحالية فى مكان مهيأ لاقامة الامبراطورية أكثر مما كان عليه أسلافها وقت ان غيروا وجه البسيطة

فاذا تحدثنا عن قيام هذه الامبراطورية اليوم، فانما نستند الى حقائق تاريخية وواقعية والى قوى طبيعية ظاهرة وكمينة فى سبعين مليوناً من البشر

أرأيت لو أن رجلا فى القرن السابع الهجرى رأى عمر بن الخطاب قبل عشر سنين من توليه الخلافة وأوحى اليه أن عمر سيكون بعد عشر سنين وارث كسرى وقيصر، أكان يرتاب فيما أوحى اليه أم كان يؤمن به؟

ومع ذلك فقد رأى الناس عمر بدوياً ضالا ورأوه سيد العالم. فما بال المرتابين من العرب ينكرون اليوم أن نقول إن سبعين مليوناً تربطهم عقيدة دينية ولغة موحدة وعرف مشترك يصلحون لاقامة امبراطورية

فى أوائل القرن الماضى كان بين مرتزقة الجند فى القاهرة رجل يعيش فى عش الفوضى والاضطراب بين قوم عمهم الجهل وسادت فيهم الخرافات. ذلك الرجل لم يمت حتى أقام امبراطورية عربية

فلو أن سائحاً تعرف الى محمد على بين طائفة «الباش بوزوق» من الارانطة وقيل له إن هذا الجندى سيملك مصر والسودان والشام والحجاز ونجد، أكان يسخر من ذلك القول، أم كان يؤمن به؟ ومع ذلك فقد رأى الناس محمد على على رأس الامبراطورية العربية

وفى أواخر القرن الماضى ظهر رجل فى جزيرة «أبا» فى النيل الابيض كان يحترف فى دنقلة وغير دنقلة تعليم القرآن للصبية ويطوف البلاد لايؤبه له. ولم يمت هذا الرجل حتى هزم الدولة المصرية والدولة البريطانية جميعاً. وما كان أحد ليدرى مصير الدولة التى أقامها لو امتد به الاجل، ذلك هو محمد احمد المهدى

وقد قام على أعقابه رجل من البقارة رؤى فى كردفان يسوق حماراً هو كل ما يملك ويصحب زوجته وولده، ورؤى هذا الرجل بعد عشر سنين ملكا عظيما كان بعض ضحاياه امبراطور الحبشة نفسها، ذلك هو عبد الله التعايشى

وفى أوائل هذا القرن كان عبد العزيز بن سعود ضيفاً لاجئاً مع أبيه عند أمير الكويت. وهو اليوم يستطيع أن يعبىء ثلثمائة الف مقاتل لايعرفون لغيره أمراً

والعرب اليوم ملأوا الارض يعمرون المنطقة المعتدلة فى غربى آسيا وشمالى أفريقا وهم من أشد الاقوام بأساً، كما هم فى أمصارهم من أقربهم الى مناهل العلم والحضارة

فاذا قيل إنهم على أبواب الخروج للعالم بالدولة التى تليق بعظمتهم التاريخية والحالية ظن المرتابون أننا نسبح فى حلم لذيذ

ليس بين العرب وبين بعثهم مرة أخرى الا أن يؤمنوا بأنفسهم وأن يؤمنوا بوجودهم ، فقد افتتنوا بعظمة غيرهم حتى نسوا ذلك الوجود

وليس بين العرب وبين الامبراطورية التى تمثل عظمتهم إلا أن يكونوا كاليابانيين والصينيين والروس والترك والافغان والفرس مؤمنين بأنهم أمة لها حق تقرير مصيرها

وقد اخترت هذه الامم للمثل لان العرب فى مجموعهم ليسوا أقل منها نضجاً ولا حضارة

ففى اليابان وروسيا عشرات الملايين من البشر الذين لا يمتازون عن البقارة فى جنوبى كردفان أو العجمان فى شرق نجد ، ولا يدرون من الحياة إلا أن يكدوا كما تكد النمل للعيش على غذاء من الارز أو البر

وانما هي العزة القومية والمثل الأعلى والقدوة الحسنة هى التى جعلت من هاتين الامبراطوريتين أكبر دول العالم

والامة العربية موجودة بصفات محدودة وهيئة مستقرة فهى ليست فى دور التكوين ، بل هى مخلوق حى كامل الخلقة

وما الامبراطورية التى نتحدث عنها إلا مظهر لكائن حى ما يزال فى محنة الشك فى نفسه والريب من قدره

لقد أتيح لى أن اخالط الشعوب العربية فى افريقيا وآسيا . وبالرغم من الحدود المصطنعة التى تفصل هذه الشعوب ومن الاستعمار الاوربى الذى يعمل على حل عرى الوحدة فيها ، بل بالرغم من انحدار دمائها من الاصول السامية والحامية ، فان الامة العربية الحديثة هى وحدة اجتماعية وثقافية وليدة تاريخ مشترك لها خواصها الظاهرة والخفية التى تميزها عن غيرها من الشعوب والامم

وهى بحالتها الراهنة ـ التى هى نتيجة لفعل الاربعة عشر قرناً الماضية ـ جديرة بأن تحتل مكانها بين أمم العالم العظيمة الموحدة

ففى برقة أو نجد وعلى بحر العرب أو على الفرات . وفى لبنان أو فى الاطلس ، أمة ذات مزاج مشترك لها عقيدتها ولسانها وعرفها ، تجمعها الكليات وان اختلفت الجزئيات

داؤها فى العراق والشام ومصر والسودان والمغرب هو الفتنة ، فقد فتنوا جميعاً بعظمة الغير ، ونسوا أنفسهم . ودواؤهم الدعوة الى الايمان بالذات والمثل يضربه أفذاذ الرجال ليثبتوا به الايمان

قد يقول بعض الناس : اننا لا ننكر أن الناطقين بالضاد أمة واحدة ، ولكن أى هذه الشعوب

المنتشرة فى آسيا وافريقا أن تتعاون فى امبراطورية واحدة ؟ فان كان هذا هو كل ما يجعل الدعوة مستحيلة فليذكر المعترضون أن للانجليز فى افريقيا وحدها ملكا هو أوسع من أرض الامة العربية، وفى الهند من البشر خمسة أضعاف عدد العرب يحكمهم وال واحد . وفى الامبراطورية الروسية سيبيريا وحدها أوسع رقعة

ولو ذكر العرب دول آبائهم فى الامبراطورية الاموية أوالعباسية أو الفاطمية وذكروا مواصلات ذلك العهد لعلموا كيف سمت الثقة بآبائهم وقصر اليأس بهم



والآن وقد قربت الى الاذهان فكرة الوحدة ، هل لى ان أشير الى بعض الضرورات التى تقضى على المفكرين أن يتخذوها شعارهم اذلا مستقبل للشعوب العربية بغيرها ؟

نحن فى القرن العشرين فى عصر التناطح بين كتل بشرية ضخمة ، والتنافس بين قوى مجمعة تستند الى موارد متعددة من الثروات الطبيعية ، فلا سبيل لمجاراتها والعيش معها على قدم المساواة ، ولا سبيل لان يكون لأمتنا صوت مسموع فى الدنيا الا اذا كانت لنا جبهة متراصة تعد وراءها عشرات الملايين وتستمد لها العيش والرخاء من ثروات منوعة فى الزراعة والصناعة

فن المستحيل على الشعوب القليلة العدد المستندة فى عيشها الى غلة واحدة أن تتقدم الى الصدر فى محضر الامم الكبيرة ، بل لابد ان تعيش ذيلا وعالة على غيرها

نحن فى عصر « الكارتل والترست » وقد مضى زمن الدكان الصغير . فهل يظن العراقيون او الشاميون أو المصريون أنهم يستطيعون الوصول إلى حياة محترمة بغير الوحدة ؟ وليذكر قادة الرأى وأهل البصر ألا وجود للدولة قبل النهضة ولا بقاء لها بغير الامن والسلامة ، ولا امن فى العصر الحاضر لغير القوى الكثيفة

وهنا يحسن بى أن أذكر مواطنى المصريين الى قول نشر للاستاذ ويجال العالم الاثرى الذى مات أخيراً . فقد قال وأثبت بشواهد كثيرة ان مصر كانت على الدوام امبراطورية ، إلا حين كانت تستولى عليها أمة أجنبية ، وانها اذا شاءت أن تستقل فى هذه الايام وجب عليها أن تنظر الى تاريخها القديم وتعتبر به لانها بين أمرين لا مفر منهما : إما امبراطورية تستولى على طرابلس والسودان وفلسطين وسوريا وإما أمة مغلوبة يحكمها غيرها وتستبد بها دول اجنبية . وذلك لان مركزها الجغرافى — وهى محوطة بالصحارى المفتوحة من كل ناحية — يجبرها على ان تؤمن حدودها بعبور هذه الصحارى والتغلب على الشعوب القاطنة بعد حدودها . وكلما تراخت قبضتها على هذه الامم وانحسرت أمبراطوريتها وقعت فريسة للفاتحين

وقد ضرب ويجال مثلا فى الأسرة الثانية عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والبطالسة والفاطميين والايوبيين ومحمد على

وهو حق لامراء فيــه وكم كنت أشعر به وقت أن قاتلنا الانجليز على حدود مصر الغربية سنة ١٩١٦

وقد من الله على مصر الحديثة بأن بسط حدودها شرقا وغربا ، فجعلها قلبا فى جسم أمة عظيمة تمتد من الخليج الفارسى إلى المحيط الاطلسى

فهى فى وسط إخوة فى العقيدة والدم واللغة فيجب عليها أن تستفيد ممـا أحدثته العصور الاسلامية وأن تكون فى طليعة الدعاة الى الوحدة . فليس لها سلامة بغيرها كما انه لا حياة لبقية الشعوب العربية بدونها

* * *

والنتيجة ان الدعوة الى الامبراطورية العربية ليست حلما يلده الخيال الواسع ، بل هى تستند إلى حقيقة تاريخية وإلى ضرورة حالة ، فالحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعوب العربية تستلزمها ، وهى الضمان الوحيد للاستقلال والحرية والسلم الداخلى والخارجى لهذه الشعوب

وأخيراً أرجو ألا يسيء أحد فهم هذه الدعوة . فلست أقصد بكلمة الامبراطورية العربية غير الوحدة على أى مظهر تحققت . وليس الغرض تغلب قبيلة على قبائل أو أمير على أمراء أو استئثار اقليم ببقية الاقاليم

وليست تصوراً لنظام دون آخر ولا هيئة من الهيئات التى تكون عليها الدولة دون أخرى . وانما أول القصد وغايته التعاون بين الشعوب العربية لتكون جبهة واحدة تسير على ضوء المثل الأعلى الذى يخرجه مزاجها المشترك الى الغاية السامية التى هى جديرة بالامة الحرة الـكريمة

عبد الرحمن عزام



احياء الادب العربي :
ضرورته و بعض صوره

بقلم الاستاذ الدكتور طه حسين

في كلمة« الاحياء» هذه تجوز غير مستحسن ولا مستساغ . فليس الأدب العربي ميتاً ولم يمت الأدب العربي منذ عرفه التاريخ فيحتاج إلى الاحياء . إنما إختلفت عليه أطوار يعرفها الناس من الفتور والضعف ، وكان آخر هذه الأطوار هذا الطور الذى أدركه القرن الماضى ، وجدّ في إزالته أو تغييره فوفق من ذلك الى الكثير . ثم جاء هـذا القرن فكان حظه من التوفيق أكمل وأشمل . ولعل مصدر هذا التجوز الردىء خطأ أو تقصير في ترجمة الكلمة الفرنسية (رينيسانس Renaissance) فلأمر ما خطرت لنا هذه الكلمة وخطر لنا معناها وتاريخها عند الغربيين حين وازنا بين أدبنا العربي الحديث وأدبنا العربي في العصور التي سبقت عصرنا هذا الذى نعيش فيه . فلم نر بأساً من أن نعبر عن نشاط أدبنا بعد فتوره وقوته بعد ضعفه بما عبر به الفرنسيون عن حياة الآداب القديمة بعد موتها و يقظتها بعد نومها الطويل ، ومع ذلك فقد كان الفرق عظيما بين حياة الادب العربي في عصور ضعفه وخموده،والآداب اليونانية واللاتينية في أواخر العصور الوسطى ـ كان الأدب العربي حياً ولكنه كان مريضاً . وكانت الآداب اليونانية واللاتينية ميتة أو قريبة جداً من الموت ، لا يكاد احد يعرف من أمرها شيئاً . كان الناس يعرفون اللاتينية ولكنهم كانوا يعرفونها من حيث هى لغة الكنيسة ولغة ما كان عندهم من الفلسفة . فأما اللاتينية من حيث هى لغة الأدب على اختلاف صوره وأشكاله فكانوا يجهلونها جهلاً عميقاً . أما اليونانية فقد كان المثقفون من اهل القرون الوسطى إذا رأوا نصاً من نصوصها مكتوباً قالوا تلك الجملة التي سارت مسير الأمثال : « يوناني فلا يقرأ »

فليس غريباً أن تسمى هذه الحركة ـ التي ظهرت فى عصر النهضة وردت الحياة الى آداب اليونان والرومان واذاعتها بين الناس ـ إحياء أو بعثاً لأنها كانت كذلك في واقع الأمر . أما أدبنا العربى فقد كان قبل هذا العصر الحديث حياً بأدق معاني هذه الكلمة . كان الناس يتخذونه مظهراً لما يحسون و يشعرون ، ووعاء لما يفكرون و ينتجون. كانوا يكتبونه ويجرونه على

السنتهم . كانوا اذا ارادوا ان ينظموا الشعر نظموه عربياً مستقيم المادة والصورة والوزن . وكانوا إذا أرادوا أن يكتبوا النثر كتبوه عربياً سائغاً لهم محبباً اليهم . وكانوا إذا ارادوا ان يكتبوا العلم والفلسفة كتبوها في لغة عربية لافساد فيها . وكان كل ما يشكو منه الأدب العربي إنما هو الضعف والفتور وقصور الكائن المريض . وكان مصدر هذا المرض ان اصحابه كانوا مرضى فلما ابلوا من مرضهم شيئاً ابل الأدب معهم من مرضه شيئاً . فالعصر الحديث لم يحي الأدب العربي ، و إنما نشطه وقواه واذكى جذوته . والناس يتساءلون بعد ذلك : أكان ضرورياً تنشيط هذا الأدب وتقويته واذكاء جذوته ؟ ومعنى هذا السؤال ان الناس حين يلقونه يريدون ان يتبينوا أكان ضرورياً ان ينشطوا هم بعد فتور ويقووا بعد ضعف وتذكو جذوة نفوسهم وقلوبهم وعقولهم بعد خمود ؟! واضح ان اقل ما يوصف به هذا السؤال انه غريب . فكل مريض مدفوع بطبيعته الى حب الصحة والرغبة فيها ، وكل ضعيف مدفوع بطبيعته الى حب القوة والطموح اليها . فاذا ظفر المريض بالصحة حرص على استبقائها ، واذا ظفر الضعيف بالقوة حرص على الاستزادة منها . ولقد يكون من المضحك أن نتصور الشرقيين من العرب وقد صحت نفوسهم وعقولهم وقلوبهم ، ولكن السنتهم مع ذلك لا تبين واقلامهم مع ذلك لا تجرى بما يصور هذه النفوس الصحيحة القوية ، وهذه العقول الخصبة الزكية ، وهذه القلوب الغنية بالوان العواطف والشعور . هذا شيء لا سبيل اليه ، بل لا سبيل الى تصوره الا لمن يريد العبث والدعابة

فنشاط الادب العربي إذاً ظاهرة لم يكن منها بد دفعنا اليها دفعاً واكرهنا عليها اكراهاً . ولم تكن لنا طاقة بالعدول عن هذه الظاهرة ولا بالمضى في حياتنا الحديثة سراعاً وتخليف الأدب من ورائنا مغرقاً في النوم . ومع ذلك فانا لم نأخذ من تنشيط الأدب العربي في اول الامر إلا بأبسط صوره وايسر اشكاله ومظاهره ـ وجدت بيننا المطبعة فأردنا استعمالها ، فنشرنا بعض ما كان عندنا من الكتب و بعض ما اوحت الينا الحياة من الخواطر ، ثم اعجبتنا نتيجة هذا النشر فأغرينا بها ومضينا ننشر الكتب ونحاول تأليفها . وكلما ظفرنا من ذلك بقسط دعانا الظفر الى ان نبتغي قسطاً آخر ، حتى انتهينا من نشر الأدب القديم الى حيث نحن الآن . وظاهر أن هذا النشر لم يكن غاية تقصد لنفسها ، وانما كنا ننشر الكتب لنقرأها ، وكنا نقرؤها لنجد فيها اللذة والعلم ، وكنا اذا وجدنا اللذة والعلم حاولنا المجاراة والتقليد . فكانت النتيجة الأولى لنشر الادب القديم في الكتب والصحف ، نشره في النفوس ، ودفع النفوس الى الانتاج .

وكل ما اخافه ، وكل ما آسف لاننا تورطنا فيه بالفعل هو أن نظل على ما كان عليه آباؤنا الاقربون من فهم النشر والاذاعة للادب القديم . فنشر الكتب عندنا الى الآن نسخ ليس غير . هو تكرار لنسخة مخطوطة من كتاب نظفر بها ، فنريد ان نكررها ونذيع منها صوراً كثيرة بين الناس . على ذلك مضينا منذ بدأنا ننشر الكتب . ولم نكد نتجاوز هذا الطور الا قليلاً . على حين أخذ الاوربيون من قبلنا ينشرون أدبنا العربي نشراً علمياً صحيحاً دقيقاً محققاً بمقدار ما سمحت لهم ظروفهم الخاصة . فكانت الكتب التي نشروها أقوم جداً وأدنى جداً الى النفع والفائدة والصواب من الكتب التي نشرناها . ويكفي أن تنظر لتاريخ الطبرى الذى أذاعه الأوربيون ، والذي أذعناه نحن ، لتتبين ما بينهما من الفرق المؤلم العظيم . وأغرب من هذا وأدعى الى الحزن ان قوماً منا اتخذوا نشر الكتب تجارة ، وليس بذلك بأس ، ولكنهم جعلوا الغش والتدليس والاهمال قوام تجارتهم ـ رأوا كتباً نشرها الاوربيون محققة مدروسة فنشروها في غير درس ولا تحقيق ، وانتهوا بها الى لون من الفساد يراه الاوربيون فيحنقون ويسخرون ويزدرون . واغرب من هذا أن كتباً أخرى سبقنا نحن الى نشرها على طريقتنا المهملة فتداركها الاوربيون بالتنقيح ووضع الفهارس . وقصة الاغاني وخزانة الادب وصبح الاعشى مشهورة ذائعة بين الناس . وقد عنيت الدولة منذ زمن بعيد بما سمته احياء الادب العربي فأخذت في نشر كتب كثيرة ، ولكن عنايتها هذه لم تزد على أن كررت النسخ المخطوطة واذاعتها ـ رقت الكم ولم ترق الكيف كما يقول أصحاب المنطق

والآن وقد قامت الجامعة وأنشىء المجمع اللغوى نرجو أن يوفق المصريون الى ان يذيعوا الكتب القديمة على وجه ملائم لحاجة الناس وأصول العلم . وما نظن أن ذلك سيكون يسيراً أو قريباً ، فان لذلك سنناً وتقاليد جاءت للاوربيين من عنايتهم القديمة باحياء الآداب اليونانية واللاتينية . ولن نظفر نحن من ذلك بما ظفر به الاوربيون إلا إذا عرفنا ما عرفوا وسلكنا من الطرق ما سلكوا . ونحن مع الأسف بعيدون من ذلك كل البعد . على ان هذا المظهر من تنشيط الادب القديم هو أبسط المظاهر كما قلت وأدناها الى السذاجة . فأما التنشيط الصحيح الخصب فهو في شيء آخر غير النشر وغير التقليد . وله فيما أظن مظهران أساسيان : أحدهما يأتي من العلماء والثاني يأتي من الادباء

فأما المظهر الاول فهو هذا الدرس العلمى الدقيق العميق الذى يمكن العلماء من تصوير الادب القديم على اختلاف أشكاله وإظهاره للناس كما كان ، وكما ينبغى أن يفهمه العقل الحديث .

وقد أخذنا نسعى في ذلك ونبلغ منه طوراً مهما يكن يسيراً فليس به بأس ، وهو بدء حسن لطريق خصبة تبشر بالفوز العظيم . ويكفى أن تقرأ طائفة من الكتب التى أخذت تظهر فى درس الادب العربي منذ اول هذا القرن ، لترى أننا لم نقف عند الاذاعة والتقليد

وأما المظهر الثانى فهو تأثر نفوسنا وقلوبنا وشعورنا وعواطفنا بحياة القدماء وآثارهم، وإظهار هذا التأثر في لغة حديثة بأسلوب حديث ، يقرأه الناس فلا يعدلون به ولا يؤثرون من دونه ما يكتبه الاوربيون من آثارهم المختلفة . هو هذا التملك لحياة القدماء والاستئثار بها والاستيلاء عليها ، واتخاذها حياة لنا نحسها ونشعر بها ، كما كان يحسها القدماء أنفسهم وكما كانوا يشعرون بها ، ثم نصورها بلغتنا الحديثة واسلوبنا الحديث كما كانوا يصورونها بلغتهم القديمة واسلوبهم القديم . هذا هو النحو من التعاون الادبي بين الاجيال الذى جعل الالياذة غناء بعد ان كانت قصصاً ثم جعلها تمثيلاً بعد ان كانت غناء . والذي جعل آداب اليونان اوعية لحياة الرومان . ثم جعل آداب أولئك وهؤلاء اوعية لحياة الاوربيين المحدثين . هو هذا النحو الذى مكن كورني وراسين وشكسبير وجوت من أن يستغلوا أدب القدماء من اليونان والرومان فينتجوا آثاراً خالدة من آيات البيان الانساني الباقى على الزمن . هذا النحو هو الاحياء الصحيح للادب القديم . وهو الذى لم نكد نتقدم فيه قليلاً ولا كثيراً . واذا كان الفحول الذين أشرت الى بعضهم آنفاً من الاوربيين قد استطاعوا أن يبلغوا ما بلغوا من احياء الآداب اليونانية واللاتينية على هذا النحو مع اختلاف ما بينهم وبين اليونان والرومان من الصلات ومع بعد الزمن وتباين الجنس واللغة والدين والثقافة ، فكيف بنا نحن والفروق بيننا وبين العرب القدماء ان مست الزمن والبيئة والثقافة فهي لا تكاد تمس الجنس ، وهى لا تمس اللغة والدين بحال من الاحوال . ولكن السبيل الى هذا الاحياء طويلة شاقة عسيرة ، قوامها قبل كل شىء تقريب الادب القديم من نفوس الشباب وتمكينهم من أن يفهموه على وجهه ومن ان يمزجوه بنفوسهم وحياتهم كلها . وانما يكون ذلك في المدرسة أولا . وأين مدرستنا من هذا ؟ ومتى تصل مدرستنا الى هذا ؟

طه حسين

عظمة الكون وبساطته

بقلم السر اوليفر لودج العالم الانجليزى الشهير

(خاصة للهلال)

[العلماء في العالم مرتبطون معا بشبه اخاء دولى بخلاف رجال السياسة . والعلاقات الودية وثيقة بين العلماء في جميع أنحاء العالم فهم يتبادلون اخبار الاختراعات والاكتشافات بكل ولاء واخلاص . وقد شرح السر اوليفر لودج في المقال التالى ما يبذله اليوم قادة الفكر في جميع انحاء العالم — ومنهم شبان ما يزالون في مقتبل العمر — في سبيل ادراك اسرار الكون . . .]

فى سنة ١٨٧٥ قرأت مصنفاً لكلارك مكسويل يبحث فى ظواهر الكهربائية المغناطيسية فشعرت بدافع يستحثنى لشحذ همتى لانتاج الامواج التى اشار اليها ذلك المؤلف . ولم يكن يعلم لا هو ولا أحد غيره كيف يمكن انتاجها أو اكتشافها

وقضيت ثلاثة عشر عاماً أحاول حل تلك المعضلة الى أن وفقت الى اكتشاف تلك الامواج . الا أن العلامة هرتز تمكن من حل المعضلة بطريقة أفضل ، فاصبحت تلك الامواج تعرف الآن باسمه. ولم يقدر لى أن أجعل التلغراف « اللاسلكى » أمراً عملياً من الوجه التجارى ، ولكنه أتيح للعلامة ماركونى الذى جمع الحقائق المعروفة فى يومه ، وبمعاونة موظفى الحكومة ومصلحة البريد اتقن اختراعه حتى أوصله الى حالته الحاضرة . وكان أول اختراع استعان به هو اختراعى المعروف « بصحيفة تطابق الامواج » وهو اختراع يمكن بواسطته اختيار محطة دون غيرها . وكان ذلك فى سنة ١٨٩٧ وما كان النجاح ليتم من دون ذلك الاختراع . ثم جاء فلمنج فاخترع « الصمام » وبفضل هذا الاختراع يمكنك اليوم أن تجلس فى بيتك وتسمع الخطب والاغانى التى تلقى فى جميع أنحاء العالم

وقد أثر اللاسلكى فى الارياف تأثيراً عظيما فان الشتاء فيها هو عادة فصل الضجر والسآمة ، لذلك كان الناس يهجرون قراهم فى الشتاء ويهرعون الى المدن . أما الآن فقد صار فى وسعهم أن يتمتعوا بالنور الكهربائى وبمحاسن الراديو وهم جالسون فى بيوتهم والجو حولهم مثقل بالامواج

ان فى الكون أشياء كثيرة لا نعرف كنهها ونحن نحتاج الى شبه « جهاز قابل » لنتلقى المعلومات الخاصة بها فنفتح أعيننا لكى نراها وآذاننا لكى نسمعها . أجل ان حوالينا أشياء كثيرة نجهلها والعالم مملوء بامور تبعث على الدهشة ومع ذلك نخجل من الاعتراف بعجزنا عن ادراكها

خذ الاثير مثلا . فبعض الناس يقولون انه أصبح الآن خرافة لا وجود لها وإن العلامة اينشتين قد أثبت بطلانها . وهذا لا ينطبق على الحقيقة فان اينشتين لم ينكر وجود الاثير ، بل بالعكس ألقى ثلاث خطب أثبت بها ان وجود الاثير ضرورة لامندوحة عنها عندما ننتقل من حيز الرياضيات إلى

حيز الطبيعيات. وفى الواقع ان وجوده حقيقة أساسية لا سبيل الى انكارها ونحن نستخدمه على الدوام. فعندما نشوى شيئاً على النار لا يمكن أن تصل الحرارة من النار الى ذلك الشيء الا بواسطة الأثير. قد يقول قائل ان الحرارة تصل اليه عن طريق الهواء الذى يصبح ساخناً، ولكن العلم ينفى ذلك. وهكذا القول فى حرارة الشمس واجتيازها من جرم الشمس الى الارض فى وسط فضاء فارغ بارد جداً. وأنت تعلم ان البعد بين الارض والشمس اثنان وتسعون مليوناً من الاميال

ترى بماذا يشعر الانسان عندما يجلس ليتدفأ بأشعة الشمس؟ انه يشعر بامواج الاثير. وبفضل هذه الحرارة يعرف الاثير، أى انه يستطيع أن يتحقق وجوده بطريقة غير مباشرة، وان يستدل عليه بواسطة أثره. والاستدلال هو الطريقة التى نجرى عليها فى العلم. فنحن نستخدم الاثير والقوة كلها تصل الينا بواسطته. نستخدم التلغراف السلكى والتلغراف اللاسلكى — وفى كليهما لا غنى لنا عن الاثير لان الاشارات لا تمر فى وسط الاسلاك بل فى الاثير. وكل ما يفعله السلك هو انه يوجه القوة فى اتجاه معين، كما ان قضبان السكة الحديدية توجه القطار فى اتجاه معلوم وليست هى التى تدفع القطار

وللاثير علاقات كثيرة بنا. فاجسامنا ذاتها مركبة منه ومن مواد أخرى. والجسد الاثيرى هو الذى سيبقى بعد خلع المادة. ويجب ألا ننسى ان هنالك اشياء كثيرة غير المادة وان المادة نسبياً هى ظاهرة نادرة

سمعت مرة أحد علماء الفلك يشرح ابتعاد بعض الاجرام الفلكية عن البعض بالنسبة الى حجومها. فقال: إذا نظرنا فى الليل الى قبة الفلك رأينا ألوفاً من النجوم تتلألأ فى الفضاء. وتبدو كأنها متلاصقة مع أنها ليست كذلك، إذ تفصل بينها ابعاد شاسعة. ولادراك تلك الابعاد لنأخذ الشمس والخمسة النجوم التى هى أقرب اليها من غيرها. ثم لنأخذ ست تفاحات ولنضع واحدة منها فى أوربا وواحدة فى آسيا وواحدة فى افريقا وواحدة فى اميركا الشمالية وواحدة فى اميركا الجنوبية. فهذه التفاحات تمثل النجوم الخمسة التى هى أقرب الى الشمس من غيرها مع مراعاة النسبة بين حجومها وابعادها

قاس الدكتور هبل مدير مرصد مونت ويلسون باميركا بعد السديم المعروف «بالمرأة المسلسلة» عن الارض وهو مجموعة من النجوم تشبه المجرة فاتضح له أنها تبعد عنا ثمانمائة الف سنة ضوئية باعتبار سرعة النور ١٨٦ الف ميل فى الثانية. فهذا البعد الهائل يدلنا على شيء من عظمة هـذا الكون التى يبلغ منا الغرور أن ننكرها

ويروعنى أكثر من كل شيء ان علمنا وادرا كنا محدودان بالنسبة الى ما يحيط بنا من حقائق الكون. وفى الواقع أن العلم يتقدم اليوم بسرعة مدهشة. نعم ان فيه أشياء كثيرة لم يحن الوقت لشرحها لعقول العامة. الا أن العقل فى جميع الانحاء قد بدأ يدرك الحقائق. ففى جميع الاقطار — فى هولندا والدنمرك والمانيا وفرنسا واميركا وانجلترا — شبان أذكياء يتقدمون فى العلم بسرعة فائقة

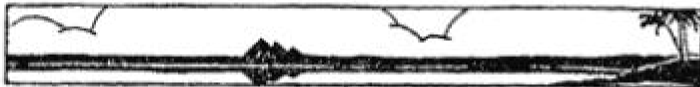
بحيث أنه اذا تكلم أحدهم على اختراع تم منذ سنة كان كمن يتكلم على اختراع تم فى الازمنة الحالية، وليس معنى ذلك ان الاختراع القديم لا قيمة له بل ان اختراعاً جديداً قد فاقه وتخطاه

ان أموراً عظيمة تحدث اليوم فى عالم العلم وقد بدأت نظرية الاثير تتجلى وتثبت . وان المرء ليدهش من بعد غور العلم الذى يملأ صدر الفرد . ومع ذلك فما أشد غرور الانسان الذى يعتقد أنه يدرك كل شيء !

لقد بلغت الثانية والثمانين من العمر وبودى لو اعيش حتى ابلغ المائة . وأنا أعلم ان البقاء سيمتد بنا فى العالم الآخر ، ولكنى اريد ان اعمل الى اقصى مدى مستطاع فى هذا العالم ، فان فيه متسعاً كبيراً للقيام بالاعمال الصالحة ، والفرصة أمامنا سانحة سواء أكنا أفراداً أم جماعات . وعلماء الفلك يقولون لنا انه ليس ثمة ما يدل على أن كرتنا الارضية لن تكون صالحة للحياة فى المستقبل او ان الشمس ستنطفىء بعد عشرة ملايين من السنين . فكيف تكون حالة الانسانية بعد الف سنة مثلا إذا ظلت تتقدم وترتقى لا طبيعياً وميكانيكياً فقط بل من أوجه كثيرة ؟

ان رجاء الانسانية عظيم جداً . والبشر حديثو العهد بهذه الكرة الارضية . فلا عجب اذا هم ارتكبوا الغلطات ، ولا عجب اذا كانوا لا يزالون انصاف متمدنين . فمجال التقدم واسع وفى وسعنا ان نتعم ونقر عيناً بعظمة هذا الكون وبساطته . وأعتقد اننا كنا ندهش اشد الدهشة لو كنا نعرف تركيب المادة او لو كنا نعلم كيف تتركب عناصر المادة من البروتون والايلكترون اللذين هما قوام كل ما نراه ونشعر بوجوده من أرض وماء وهواء وبيوت واشجار واجسام واشخاص مما يقع تحت الحواس

فبصفة كوننا علماء سنظل أبداً مدهوشين . وإذا فكرنا فيما هو اسمى من المادة — فى الوحى الالهى — فان دهشتنا تزداد . ترى ما هو ذلك الوحى ؟ « ان السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه (١) » ولما اعلنت طبيعة الاله للانسان لكى يدركها بدت مقمطة ومضجعة فى مذود (٢) فما ادهش تلك العظمة وبساطتها !



(١) سفر المزامير ١٩ : ١
(٢) اشارة الى الآية في انجيل لوقا ٢ : ١٢

ماوراء المدنيّة الحديثة

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

انظر ! أترى هـذا البناء الفخم الذى يقوم العمال بتشـييده وما يزال تحيط به حواجز الخشب وسلالمه . وهل تسمع ضجة هؤلاء العمال من نحاتين وبنائين ونجارين و بعضهم يتنادى والبعض يتغنى ؟ ! إن هذا البناء قصر يقوم مكان قصر سبقه ما تزال بعض أجزائه باقية ، وما تزال أكثر أسسه في مكانها ، لم يستطع الهدامون القضاء عليها وانتزاعها من الأعماق التي نبتت فيها . وهو واحد من سلسلة هذه القصور المتصلة اتصال سلسلة قصور اللوفر بباريس أو معابد الكرنك بالاقصر . لا يتم تشييده في جيل ولا فى أجيال ، بل تتعاقب القرون حتى يبلغ تمامه . أفتظن أن هؤلاء العمال الذين يصلون ليلهم بنهارهم في تعميره وتشييده يستطيعون أن يرسموا لأنفسهم صورة صادقة مما سيكون بعد تمامه ، و بعد أن يصبح مجموع هذه القصور قصراً واحداً ؟ كلا . فكل في شغل أي شغل بالناحية التي يعمل فيها وبالعمل الذى يشغل جهده وتفكيره . فاذا انتهى من كد نهاره أو أعياه التعب تغنى شاكراً للقدر أن يسر له كد النهار ليطمئن إلى راحة الليل ، أو مستمداً من الغناء وسلطانه الموسيقي النغم ما ينسيه اعياءه وتعبه . وهل تظن المهندس الذى وضع تصميم هـذا القصر الذى يقوم العمال اليوم بتشييده أمامك ، قديراً على أن يرسم لك صورة من هـذا القصر ، دعنا من مجموعة القصر ، بعد تمام زخرفته ونقشه وتأثيثه وكمال الغاية منه ؟ كلا . فهو إنما رسم وصمم ما أمره رب هـذا القصر برسمه وتصميمه . ورب هذا القصر لن يبقى أغلب الامر الى حين الانتهاء من إقامته وتشييده . وهل قدر الذين تعاقبوا على بنـاء اللوفر من ملوك فرنسا أنه سيصبح متحفاً كما أصبح اليـوم ، وأنه سيصبح أعظم متحف في العالم كله ؟ ! إنما يقرر مصير هذه القصور التي تراها تشاد بعينك أولئك الذين يرثونها بعد أن تتم كلها ويجعلون منها ما تلهمهم روح عصرهم ووحي روحهم انها أكثر ما تكون صلاحاً له

هذه المدنية الحديثة التى تغمرنا اليوم بنشأتها أشبه الأشياء بذلك البناء الفخم الذى يقوم

العمال بتشييده . لقد كانت حضارة العالم إلى قرون قليلة مضت مستمدة من حياة العالم في تلك العصور ، ومن تأثر العلماء والمفكرين بتلك الحياة وتكييفهم لنظم الانسان والاجتماع على مقتضاها . ثم كانت الثورة على تلك الحياة وعلى تلك النظم ثورة بدأت بأوربا دينية في القرن السادس عشر في القارة وسياسية في القرن السابع عشر في انكلترا وفي القرن الثامن عشر في فرنسا . وكانت هذه الثورة هدّامة للنظم التي كانت قائمة الى يومئذ . كانت هدّامة لسلطة الكنيسة ، هدّامة لسلطة الملوكية المطلقة ، هدّامة لسلطة الأشراف الالتزامية ، هدّامة بعد ذلك وأثناءه لطرق البحث والتفكير . ومن خلال هذه الثورة خرج العلم الواقعي ، وألفى نفسه حين خرج خصماً للكنيسة ولرجال الدين . وانتقل العلم سراعاً بعد خروجه من الميدان النظري إلى الميدان العملي . وبدأ العلم يغزو من ميادين الحياة والكون ما لم يكن أحد يفكر في غزوه تفكيراً قوياً مستقراً . وها هو العلم ما يزال يغزو الميدان العملي بقوة وما يزال يكشف من قوى الكون كشفاً يزيدنا علماً بها وسلطاناً عليها ويجعلنا نرى ـ فيما كان يحسبه أسلافنا معجزات وخوارق منذ بضعة قرون ـ ظواهر طبيعية تخضع لنواميس الكون التي يزداد العلم كل يوم كشفاً عنها . فهذا الهواء قد أصبح في سلطاننا تطير طائراتنا مخترقة إياه ، وها هو الاثير قد دخل فى ملكنا تحمله من الرسائل والأخبار والأصوات ما نشاء لينقلها كرهاً أو طوعاً الى حيث نشاء . وها هم العلماء ما يزالون يجدون في معرفة طبقات الأثير الى ارتفاع الالوف والالوف من الامتار لمعرفة كثافتها ومكانتها من حياة الكون . وها هو النشاط العلمي موزع فى كل ناحية من نواحي الحياة ـ في الجماد والنبات والحيوان ، في الأرض والماء والهواء ، في الذرات والالكترونات وما هو ادق من الذرات والالكترونات ، فى مصدر الحياة وأصلها ومتوجهها . والعلم التطبيقي في هذا أكثر نشاطاً من العلم النظرى وأغزر آثاراً مادية ، وان استمد العلم التطبيقي حياته من العلم النظري . وما يزال العلماء يوالون جهودهم للكشف عن كثير مما لم يكشف عنه بعد من سنن الكون . وما يزال المخترعون والمكتشفون يستمدون من العلم قوة للبلوغ الى مزيد من الاكتشاف والاختراع

هذا النشاط الحاضر هو نشاط البنائين والنحاتين والنجارين وسائر العمال في ذلك القصر الذي رأيت . وهو نشاط المهندسين الذين يوجهون مجهودات أولئك العمال ومن يقوم بالرقابة عليهم . وهو نشاط مجهد شاق يشغل صاحبه عن التفكير في الاثر المحتوم الذى ينتج عنه إذا آن لهذا النشاط أن تهدأ ثائرته ويشغله عن أن يرى هذه القصور الفخمة التي يقيم العلم حتى

يقرر مصيرها بعد الفراغ من إقامتها من يدفع اليها وحدة فى حياتها كمجموعة هى وحدة الحضارة التي تجيء وراء هذه المدنية الحديثة ، مدنية النشاط الانشائي تحت لواء العلم وفي ظل قيادته

ولقد الف الناس من أهل هذا الجيل أن يسموا هذا النشاط وما يصل اليه من نتائج ـ تحكم الانسان في الطبيعة . وهؤلاء يرون أن العلم ومدنية العلم سيطوعان للانسان أن يزداد فى العالم تحكماً حتى يبلغ من السلطان عليه أن يوجه كل ذرة فيه الوجهة التي يشاء . وهذه فى رأينا نظرة خاطئة . فالانسان لا يزداد بالعلم تحكماً فى الكون وإنما يزداد بالعلم معرفة للكون واتصالاً به . وهذه القوى التي تسير القطر والبواخر والطائرات ، وهذه الموجات الأثيرية التي اتاحت لنا أن نتصل بمختلف نواحي العالم وما يمكن أن نصل اليه بعد ذلك من المعلومات ونكشف عنه من سنن الكون ، لا يزيدنا على الكون قوة ولكنه يزيدنا بالكون علماً واتصالاً . أفيزيدنا هذا الاتصال حرية أم هو يخلق لنا على العكس قيوداً جديدة ؟ أفيزيدنا هذا العلم سعادة ام يخلق لنا من الشواغل ما يزيدنا للحياة تنبهاً وما يلهينا بدوره عما نجد في لذة نسيان النفس من سعادة ؟ وهل يزيدنا العرفان بسنن الكون خضوعاً لهذى السنن واسلاماً لها ام يدفعنا الى الثورة عليها والحرص كل الحرص على ان نكون اصحاب السلطان المتحكمين فيها ؟ هذه كلها مسائل ليس من اليسير الاجابة الآن عليها إجابة دقيقة لأن كلاً منا ما يزال كما قدمنا في شغل بهذا الجزء الذي القت الاقدار عليه أن يقوم به في سبيل الكشف عن سنن الكون والمزيد من الاتصال العلمى به . كل منا ما يزال فى شغل مثل شغل كل أولئك البنائين والنحاتين والنجارين والمزخرفين في ذلك القصر وفي تلك القصور التي رأيت . فمن العسير علينا أن نضع الاجابات الشافية لتلك الاسئلة . وكل الذى نستطيعه أن نرسم ما يدور بخيالنا كصورة لهذه القصور التي يشيد العلم وما يمكن أن يكون الضياء الذي ينتشر من بعد فيها والروح الذي يبعث الحياة من بعد اليها

وفى هذه الحدود نتحدث اليوم إلى قراء « الهلال » عما وراء هذه المدنية الحديثة ، وعما ستكون حياة هذه القصور التي يشيد العلم على أحدث طرائقه النظرية والتطبيقية . ورأينا أن هذه القصور التى يشيد العلم سينتهى نشاط الناس فى بنائها وسيطمئنون اليها بعد قرن أو نحوه من الزمان . هنالك تصبح هذه العمائر قسماً مألوفاً من حياة الانسانية لا يثير طلعتها بمقدار ما يدعوها الى التفكير في حسن الاطمئنان اليه والمتاع به . هنالك يشتد بها الشعور الذى بدأ يظهر منذ اليوم ، الشعور بالشوق الى معرفة صلة الانسان بالكون كله ، الشعور بهذه الوحدة الروحية التي صبا الانسان منذ بدء حياته الى الاحاطة بها ، والتي صورها في مختلف العصور

حسب ما هداه إلهام ما يعرف من الكون اياه . يومئذ نشعر بأن هذه القوى المادية التي نستخدم ليست مجرد قوى صالحة لخدمتنا ، ولكنها مظاهر لوحدة الكون كالشمس والقمر والنجوم وكالهواء والماء وككل ذلك الذي ألف الانسان منذ آلاف السنين . ستصبح الكهرباء وسيصبح الأثير كهذه الظواهر الكونية الكبرى وسنصل من العلم بهذه القوى الى مثل ما وصلنا من العلم بالماء وباليابسة . وستتصل هذه القوى بشعورنا و بعواطفنا وبوجداناتنا المختلفة، وسنتغنى بها ونرى فيها بعض حياتنا كما أن فينا بعض حياتها . لا يصبح مرور منطاد أو طائرة أو سماع ألحان آتية من أمريكا أو من المنجمد الشمالي عن طريق الأثير بعض ما يلفت النظر ، بل ستصبح هذه القوى جميعاً من مألوفات ما نعرف كلنا ، رجالاً ونساء ، شباناً وشيبا . وستنفسح بذلك دائرة علمنا الوجداني بمقدار ما يزداد اتصالنا بالكون . وسنرى يومئذ لزاماً علينا ان نعيد نظام حياتنا على أساس هذا الاتصال وذلك العلم . وستكون تلك هي المدنية الحقة ، وستكون ماوراء الحضارة الحديثة

أنا مؤمن بأن هذا الدور الذي يبدأ فيه ذلك التنظيم الإنساني الرفيع لصلتنا بالكون سيكون من عمل الشرق . فالنظرية الطبيعية التي تقتضي تقسيم العمل قد جعلت للشرق دائماً هذا التنظيم والقت عليه في مختلف العصور عبء القيام به . قامت حضارة بابل وآشور وقامت الحضارة الفرعونية معاصرة لها وكانت وثنية تلك العصور وعبادة النار وقوى الكون المختلفة ، ثم قامت الموسوية في مصر داعية الى التوحيد . وقام التنظيم الروماني معيداً الى العالم العهد الوثني متغنياً اغنيات النعيم والترف غارقاً في المادة الى اذقانه ، ثم قام عيسى فى فلسطين يعلن ان دخول ملكوت الله أيسر من دخول الغني سم الخياط . وافتنت الامبراطورية الرومانية في روما ثم فى بوزنطة في التشريع جاعلة الوثنية ثم المسيحية المحرفة قبلتها . وقامت امبراطورية مثالها في فارس المجوسية . ثم قام محمد في بلاد العرب يدعو الى التوحيد ، توحيد الله في أبسط صورة وأقواها واسماها . وحكمت الحضارة الاسلامية العالم بعد ذلك في شرقه وغربه قروناً متتالية ، حتى آن لسلطانها ان يفتر وان بقي لها سلطان الغلب الحربي ممثلاً في الاتراك حين اقتحموا اسوار القسطنطينية وحين مهدوا بهذا الفتح الحربي للبعث الاوربي . ثم كانت فترة الاحياء وما عقب فترة الاحياء من ثورات دينية في اوربا توجها فولتير ومدرسته بنفي الأديان جميعاً والنعي عليها مما شق الطريق لبواكير البحث العلمى . وهذا العلم يؤتي اليوم من الثمرات ما اشرنا اليه و يشغل الانسانية كلها ببناء قصور المستقبل . فليس من ريب فى ان يكون الوقت قد آن

لتلقى المقادير على كاهل الشرق حظه من تقسيم العمل في حياة الكون لتنظيم وحدة الكون على الاساس الذي آمن به الشرق دائماً ، والذى تتابعت رسائل الوحى فيه على رسله وأنبيائه

على ان الشرق يجب عليه حين يضطلع بهذا العبء ان يقف على اصدق ما قرر العلم من نظريات عن سنن الكون ومن تطبيق لهذه النظريات في واقع الحياة . وهذا ما يقوم الشرق اليوم به جاهداً برغم ما يوضع من عقبات في سبيله . وهو إذ يهضم نظريات العلم ويطبق هذه النظريات و يعاون على نشرها يفعل ذلك في الاتجاه الذي هيأه القدر له . فاذا جاء اليوم الذى تدوى فيه الصيحة ويطلع فيه النور كان الشرق مصدر الصيحة والنور جميعاً . وكان ذلك إيذاناً بعهد جديد في حياة الانسانية . عهد أساسه الايمان بالحق وبوحدة الوجود إيماناً مستنيراً لا يشوبه دجل ولا تعبث به خدعة

محمد حسين هيكل

رحمة الله عليه

[De profondis]

فاتك الألحاظ موتى وحياتى فى يديه
ضاحك الثغر وآنا ر دمى فى وجنتيه
حبذا الموت اذا ما وقى أجرى مقلتيه
أسهد الليل ونورى قبس من عارضيه
أزجر الدمع اذا ما هزنى الشوق اليه
وأعيذ القلب مما بات يلقاه لديه
راحة القلب وروحى أمستا فى راحتيه
بى خفوق كحفيف الـ روح يؤذى مسمعيه
وأنين يوجع القلـــب ويشجى أذنيه
سقمى منه وبرئى من حميا شفتيه
ويح هذا القلب ارداه الردى من ناظريه
شفه عشق ويأس ويله من محنتيه
مات فى الحب شهيداً رحمـة الله عليه

سليم عبد الأحد

اللغة المالطية
هل هي عربية في أساسها

بقلم محمد بك وجيه

قام أخيراً في مالطا خلاف كبير يتلخص فى أن هناك لغة وطنية يتكلمها اهل الجزيرة هى « اللغة المالطية » وهي خليط من جملة لغات من بينها اللغتان العربية والايطالية . على أن ما لهذه الاخيرة فى اللغة المالطية من كلمات وتعبيرات ليس هو الجزء الا كبر اذا قورن بما للغة العربية من نصيب فيها يتضاءل ازاءه نصيب كل اللغات الاخرى . والايطاليون يعملون على نشر اللغة الايطالية فى الجزيرة وتعليمها للمالطيين فى كل درجات التعليم ، ويساعدهم على ذلك الوطنيون المالطيون ومنهم رجال حكومة السير ميفسود التى أقيلت ، وتستنكره الحكومة البريطانية . فهى ترى أن سياسة (الطلينة) التى جرت عليها الحكومة مخالفة لدستور الجزيرة، اذ القوانين لا تجيز تعليم اللغة الايطالية لا فى المدارس الثانوية . أما فى المدارس الابتدائية فلا تدرس الا اللغتان المالطية والانجليزية

ذلك هو ملخص الموضوع . ويخيل الى أن الامر لم يثر أى اهتمام لدى المصريين فى حين أن للامم العربية جميعها شأناً فيه اذا عرفنا أن اللغة المالطية لغة عربية فى أساسها كما تدل على ذلك كلماتها وتعابيرها وتراكيبها . أما ما يوجد فى اللغة المالطية من كلمات إيطالية عديدة أو انجليزية قليلة فهو دخيل تسرب اليها بعد أن زال سلطان العرب من الجزيرة

ولا أحاول بالطبع فى هذه الكلمة القصيرة بحث الامر من الناحية العلمية والتاريخية لتحقيق أصل المالطيين ، وكيف حلت اللغة العربية فى كلامهم محل اللغتين اليونانية والرومانية اللتين سبقتاها ، وهل يستنتج من ذلك أن المالطيين هم من العرب الذين سكنوا الجزيرة فتغلبت كثرتهم على سكانها فاندمج هؤلاء فيها . . وانما أردت توجيه النظر الى هذا الموضوع الجدير بالدرس والتحرى مع ايراد بعض البيانات التى ترجح لدى هذا الاستنتاج

لقد سبق العرب فى حكم جزيرة مالطة اباطرة اليونان وظل سلطانهم فى الجزيرة مدة ٣٣٧ عاما . وجاء بعدهم العرب فبقوا مدة ٢٢٠ عاماً . وخلفهم فى الجزيرة النورمانديون مدة ١٠٤ أعوام . فالالمان ٧٢ عاماً فالاسبانيون ٢٤٦ عاماً ، فالفرسان من طائفة القديس حنا الاورشليمى ٢٦٨ عاماً

ومجرد المقارنة بين مدد نفوذ كل من هذه الامم فى الجزيرة يبعث على التأمل والتفكير اذ أن مدة حكم العرب ليست اطول من غيرها ، ومع ذلك فقد خلفوا أثراً محا ما سبقه ولم يتأثر بما بعده . وظل المالطيون يتكلمون اللغة العربية الى اليوم

ولقد زرت الجزيرة مرتين فى أسفارى ، وكنت قبل ذلك أميل إلى معرفة بعض التفصيلات عن لغتها منذ أن تنبه سمعى الى كلام المالطيين فى القطر المصرى وامتلاء حديثهم بالكلمات والتراكيب العربية ، بل بالكلمات الفصحى التى عدلنا عن استعمالها نحن المصريين فى لغتنا الدارجة

وبحثت أثناء زيارتى عما إذا كانت اللغة المالطية مدونة ، فوجدت أن هناك جرائد يومية تطبع باللغة المالطية مكتوبة بالحروف اللاتينية مع علامات فوق الحروف العربية الاصل . وعثرت على معجم بالانجليزية والمالطية وضع خصيصاً للسائحين وجدت فيه بغيتى إذ وضع تحت نظرى ما يمكن أن يتخذ أساساً لمعرفة النسبة بين الكلمات العربية وغيرها من اللغات الاخرى فيما يسمى باللغة المالطية

وقضيت بعض الفراغ أثناء السفر فى مراجعة ذلك القاموس وانتهيت بعد النظرة الاولى إلى أن اللغة العربية هي أصل اللغة المالطية . فان النسبة فى كلماتها تقرب من ٩٠ فى المائة فى المسائل العامة . أما المستحدثات فأغلبها باللغة الايطالية . وهذا برهان واضح على أنها دخيلة على اللغة الاصلية بعد زوال النفوذ العربى . وانى مورد فيما يلى بعض مقتطفات من ذلك القاموس ونبذاً من الجرائد منقولة كما هى بحروفها اللاتينية ، وبجوارها نفس العبارات والكلمات كما ينطق بها المالطيون مكتوبة بالحروف العربية ، إلا الكلمات الاجنبية الاصل فهى موضوعة بحروفها الاجنبية مع ترجمتها العربية بين أقواس لتتبع العبارة وفهمها

محمد وجيه

امثلة من اللغة المالطية

كلمات

الكلمة بالعربية	الكلمة باللغة المالطية كما ينطقها المالطيون	الكلمة بالعربية	الكلمة باللغة المالطية كما ينطقها المالطيون
الخبز	حبز	الخل	حل
الماء	إلما	الدقيق	تقيق
النبيذ	إمبيت	الفرن	فرن
اللبن	حليب	السكر	زوكر
الزيت	زيت	السكينة	سكينة
الملعقة	مغرفة	المرأة	مرا
الملح	ملح	بائع اللبن	تاع الحليب
الحبر	لينقه	الخياط	خياط
الطفل	طفل	الفران	تاع الخبز

تراكيب

الثلاثاء القادم	الثلاثا الجايين	غداً الخامس عشر	بها الغدا حمستاش
الأربعاء الماضى	الاربعا اللى عدو	شىء جميل	شى جميل
كل يوم خميس	كل نهار تاع خميس	النهار كله	الـ(جورناتا ــ ايطالية) كلها
اليوم الجمعة	اللوم الجمعة	دعنى أنظر أسنانه	خلى نرى سنينه

جمل

هل يمكن أن أدخن ؟	نسطاع نبيب (من البية Pipe)
لا شأن لى	ما تحصنيش فيها (لا يخصنى شىء فيها)
ماذا بك ؟	شعندك أو شى تحس ؟
عندى ألم فى الرأس	عندى وجع تاع راس
ليس عندى سوى واحدة	ما عنديش حلاف واحده
كم هم ؟	كم هم ؟ (بكسر الكاف والهاء)
هم اثنان فقط	هم تنين بس (بكسر الهاء والباء)
هل يمكن ؟	يسطاع يكون ؟
من يعرف ؟	مين يعاف (الراء مدغومة)
لاتتكلم بسرعة هكذا	تكلمش هيك معجل
هل سبق لك أن كنت هناك ؟	قط كنت؟
كم مضى عليك هنا ؟	كم الك هاون ؟ (بكسر الكاف)
أحب أتعلم	نشتاق نتعلم
أدرك عملك	الحق أفارك (طليانية Affare)
بكل سرور	بالـ(بياشير) كله (طليانية بمعنى سرور)
من قال لك ؟	مين قال لك ؟
كم الساعة ؟	ايش حين هو ؟
هل هذا للبيع ؟	دن عالبيع ؟
من فضلك	اياك يعجبك
ماذا تريد ؟	شى تريد؟
ناد ذاك الرجل	صيح لذاك الراجل (بتشديد الياء)

مقتطفات من صحف مالطية

توضيح	العبارة المالطية كما تنطق	العبارة المالطية كما تكتب
نخبر بموت .... البالغ ٣١ سنة من بلدة ... الذى مات الجمعة الماضية بعد مرض ١٥ يوما مزوداً باسرار الكنيسة وخلف النكد للحزينة امرأته واولاده وأمه وأخته وقرايبه وحبايبه. فلندع لهم بالعمر والصبر	انخبروا الموت تاالسور فرانشيسكو سبيترى تا ٣١ سنة من حاطبار اللى مات الجمعة الاخرى ورا مرضه تا ١٥ ال (جورناتا) (ايطالية بمعنى يوم) ايكو نفورتاتا (ايطالية بمعنى مزوداً) بال «سكرامنتو» (ايطالية بمعنى باسرار الكنيسة) خلف النكد للادولوراتاه (ايطالية بمعنى الحزينة) مرتو وليده أمه خته قراباتو وحبابيه لتعطوهم العمر والصبر	Inhabbru il meut tas-sur FRANCESCO SPITERI ta 31 sena minn Hez-zabbar li miet il gimgha l'ohra uara marda ta 15 il giurnata icconfortat bis-Sacramenti. Halla fin-nichet lil adollorata martu, uliedu, ommu hutu, krabatu u hbiebu li natuhom l'ghomor u issabar.

اخبار مالطه	اخباريات تاع مالطا	Akbarijet Ta Malto
مدير البوسطة يعلن انه من الآن فصاعداً. البوسطة المصدرة الى نابولى تغلق فى مكتب بوسطة البلد فى الساعة ٨ صباحا ايام الثلاثاء والخميس والسبت	الديريتور (ايطالية بمعنى المدير) تاع البوسطة يعرف اللى مليوم لقدام. البوسطة ديرتا (ايطالية بمعنى المصدرة) على نابولى بالاريوبلان (بالطيارة) تغلق فى الأوفيسيو (ايطالية بمعنى مكتب) تاع البوسطة البلد فى ال ٨ a. m. (اجنبية بمعنى ق. ظ) نهار الثلاثا الخميس والسبت	Id-Direttur tul Posta jgharraf illi jmilliom il Kuddiem il posta diretta ghal napoli tghalak fil Ufficcio tal Posta il Belt fit 8 a.m. nhar il Tlieta il Hamis o is sabt.

فى الستة عشر بتاع هذا فى الصباح الكافر منجل (بتاع) الموت حصد من فى وسطنا فى حوالى ٧٣ سنة الصورة العزيزة لشخص السير سالفاتورى ياكومو قبطان البحر ومن أرباب المعاشات

وخبر موته أنزل حسرة كبيرة وجعل يتحسر لوفاته كل من امرأته وأولاده وعدد كبير من الاقارب والحبايب . فلندع لهم بالعمر والصبر

فى الستاشر تاع دن فى العدو الكافر منجل تاع الموت حصد من فوسطنا فى اخته تاع ٧٣ سنة الـ (فيجورا) (ايطالية بمعنى الصورة) عزيزة تاع ميسير ؟ فى الـ (پرسونا) (ايطالية بمعنى شخص) تاع السير سالفاتورى ياكومو قبطان تاع البحر و (پانسيونا) (ايطالية بمعنى من أرباب المعاشات). البشارة تاع الموت تيعه نزلت حسره كبيره وخلا يتحسروا التتفا (غالباً : الانطفاء) تاعه ليل مرتو وليده (ونومرو) (ايطالية بمعنى عدد) كبير تا قرابة وحبايب . لنعطوهم العمر (والرزينياسيون) (ايطالية بمعنى الصبر)

Fis-16 ta dan fil-ghodu, il chiefer mingel tel meut hasad minn fostna fl'eta'ta 73 sene il figura ghaziza ta missier fil persuna tas sur SALVATORE JACONO Captan tal bahar u pensionat. Il bxara tal meut tieghu nis-elet hasra cbira u halla jithassru it-tetfa tieghu lil martu, uliedu u numru cbir ta kraba u hbieb li natuhom l'ghomor u ir-rassenjazioni.



« إن أى بحث مهما كان مستفيضا عن ابن سينا وأثره فى الطب الحديث يعتبر ناقصاً . وأظن أن البحوث القادمة التى يقوم بها طراز جديد من علماء العرب وأطبائهم ستكشف عن جوانب جديدة فى أعمال هذا الطبيب الفيلسوف ، ومدى أثره فى الطب الحديث

« أقول ذلك لانى عندما درست كلامه عن الطفيليات،عثرت لأول مرة عن كشف لم يسبقنى اليه باحث آخر . . . وجدت ان ابن سينا :

اولا — هو أول من وصف اعراض مرض الانكلستوما (الرهقان)

ثانيا — انه أول من وصف دودة الانكلستوما المسببة لعدوى هذا المرض

ثالثا — أنه اول من وصف العلاج الناجع للشفاء من هذا المرض والذى هو الأساس حتى اليوم فى العلاج الحديث

« فاذا كنت قد وفقت الى ما اسلفت ذكره ، فان ذلك راجع إلى أنى تناولت بالبحث ما يدخل فى اختصاصي . ولهذا يغلب على ظنى أن أطباء العيون والأطباء المختصين بالحميات وغيرهم كل فى دائرة اختصاصه - هؤلاء جميعاً سيجدون جديداً فيا كتبه هذا الطبيب الكبير لم يكن معروفاً ، وسيستطيعون تحديد أثره فى تقدم الطب الحديث على وجه الدقة بطريقة علمية صحيحة تدعمها حقائق التاريخ

« هذا هو مجمل رأيى ، وهو فى الواقع نداء حار لعلماء العربية وأطبائها ، لينشطوا لا كمال واستيفاء البحوث التى ضرب فيها المستشرقون بسهم وافر »

النفس والحكمة

للرئيس أبى على بن سينا

هذب النفس بالعلوم لترقى وذر الكل فهى للكل بيت
إنما النفس كالزجاجة والعلـ ـم سراج وحـكمة الله زيت
فاذا اشرقت فانك حى واذا اظلمت فانك ميت

السعادة

قالتْ ليَ النفسُ : الى ... متى تعيش حالما ؟
كلٌّ يشقُّ للعلا ... طريقه مُزاحما
إلامَ تشقى بالوعو ... دِ وتُغَنّى بالأملْ ؟
كلُّ فراغ في الحيا ... ةِ لا يسدُّه الكسلْ
أقبِلْ على الخير ولا ... تحفِلْ متاعاً ذاهبا
ما كان هذا الكونُ لو ... لا الخيرُ الا كاذبا
ألهاكَ عن سعادة الدّ ... ارَيْنِ مالا ينفعُ
حبٌّ الى القلب اهتدىَ ... يمضي به ويرجعُ

***

قلتُ لها : أيتها النّـ ... ـفس أطلتِ شقوتي
اليك عني إنما ... سعادتي في لذّتي
أيتها النفس خذي الـ ... ـحكمةَ عن قلبي التّقي
يُلْهِمكِ ما أخطأَهُ ... قدماً ضلالُ المنطقِ
قلبي مَغارُ النور والـ ... إيمانِ والحبِ النّهِمْ
يَصْلَىَ لظَىَ الوجد اذا ... عاوده الشوقُ العرِمْ
يعثرُ في الغفوة بالـ ... طيفِ الحبيبِ يخطرِ
أو صُورةٍ رَوْعاءَ يهْـ ... ـتزُّ لها ويَطفرِ
يَشقىَ اذا غابت كما ... يَسعدُ حين تحضر

رفيق فاخوري

شخصيات الشهر

(تناول الكاتب في هذا المقال أهم شخصيات الشهر بالنسبة للاعمال العظيمة التي عملوها أو يعملونها . وبهذه المناسبة نقول انه سيتكلم كل شهر عن أهم الشخصيات العالمية من ناحية أعمالهم التي تكون موضوع حديث الناس في خلال الشهر)

المرشال بلسدسكي ورئاسة جمهورية بولندا

لما زار المرشال بلسدسكى ـ منشىء بولندا الحالية وزعيمها الأكبر ـ القطر المصرى من نحو سنتين وهجر العالم الى بقعة هادئة فى حلوان (من ضواحى القاهرة) قيل ان دكتاتور بولندا مريض وانه قدم مصر للاستشفاء . وقد جاء سعادته الى مصر يومئذ طلباً للراحة فعلا ولكن الذين تتبعوا أخبار إقامته بيننا أيقنوا أن الرجل ليس مريضاً ، فان الشيخ الذى يقضى ست ساعات أو أكثر فى الصحراء يطوى مراحلها بالسيارة لايعد مريضاً

وقد حدث فى بولندا فى خلال الشهر الماضى حدث سياسى يدل على أن الدور الذى لعبه المرشال بلسدسكى فى تاريخ بولندا الحديث لم ينته بعد . فقد عدل الدستور البولندى تعديلا أساسه تحويل جانب من سلطة البرلمان الى رئيس الجمهورية . مثال ذلك أنه بمقتضى التعديل الجديد أصبح فى استطاعة رئيس الجمهورية أن يعين وزارة أو يقيلها بدون أن يبدى لأحد الباعث له على ذلك ، كما أصبح من حقه أن يعارض فى قبول أى قانون من القوانين التى يسنها البرلمان من غير أن يكون للبرلمان حق إعادة النظر فيه . وحرم التعديل البرلمان من حق أساسى آخر وهو حق الاقتراع على الثقة بالوزارة .

وشمل التعديل كذلك كيفية تأليف مجلس الشيوخ بطريقة تجعل الأغلبية المطلقة فى هذا المجلس من انصار المرشال بلسدسكى

وهنا يسأل القارىء عن الغرض من ذلك التعديل كله ؟

والجواب أن اصحاب الكلمة النافذة فى بولندا يرون أن حالتها الحاضرة من ناحية السياسة الدولية تقضى بأن يكون على رأسها رجل قوى محترم فى الخارج ، وهذا الرجل هو المرشال بلسدسكى الذى تقلد رئاسة الوزارة ووزارة الحربية غير مرة . إلا أنه لما انتخبوه رئيساً للجمهورية اعتذر عن قبول المنصب ورشح أحد انصاره . ولم يخف سعادته يومئذ على مواطنيه انه لم يقبل رئاسة الجمهورية لانه منصب مقيد ، وهو لايريد أن يكون مقيداً

فاذا ذكرنا ذلك أدركنا مغزى تعديل الدستور البولندى والغرض من تعديل تأليف مجلس الشيوخ بعد ما سلب مجلس النواب أهم حقوقه الدستورية

ولا يفوتنى فى الختام أن اذكر أن التعديل الجديد فى الدستور يمنح رئيس الجمهورية حق «ترشيح» خلفه ، أى انه اذا اضطر المرشال بلسدسكى الى اعتزال منصبه فى المستقبل مراعاة لصحته حق له «ترشيح» خلفه - ولا يبعد أن يكون «الترشيح» ضرباً جديداً من ضروب التعيين

مقتل المسيو دوقا وجمعية الحرس الحديدى

حدث فى الشهر المنصرم ان قصد المسيو دوقا رئيس وزارة رومانيا وزعيم حزب الأحرار فيها الى «سينايا» لمقابلة جلالة الملك كارول وبحث بعض الأمور معه ، ولما انتهت المقابلة ذهب رئيس الوزارة الى المحطة ليركب القطار العائد الى «بخارست» . وبينما كان يهم بالصعود اليه اطلق عليه شاب ثلاث رصاصات ثم قذف عليه قنبلة ففاضت روحه فى الحال . وتبين بعد القبض على المعتدى والتحقيق معه أنه من اعضاء جمعية «الحرس الحديدى» وهى الجمعية التى لهجت التلغرافات الخارجية بذكرها فى المدة الأخيرة . وقد دلت الحوادث على انها جمعية كبيرة وقوية وان اعضاءها منبثون فى جميع انحاء رومانيا وفى جميع دوائرها الحكومية ، حتى قيل ان بعضاً منهم كان يعمل فى البلاط الملكى

وجمعية «الحرس الحديدى» تكاد تكون جمعية نازية هتلرية لأن مبدأها الأول مقاومة اليهود ومناهضة نفوذهم والرغبة فى تقييد النظم البرلمانية تقييداً يحرم اليهود من كل نفوذ سياسى فى البلاد ، وهى تناوىء بوجه خاص مدام لوبسكو صديقة الملك كارول . اولا لعلاقتها غير الشرعية به ، وثانياً لأنها يهودية ، وثالثاً لأنهم يتهمونها بالتعرض لسياسة الدولة والتأثير فى الملك تأثيراً كان من شأنه ابعاد العناصر المقاومة لليهود عن الحكم . وهم يقولون ان الملك لم يقل وزارة المسيو فايدا السابقة لوزارة المسيو دوقا إلا لأنها اتخذت بعض التدابير تجاه اليهود فدعا الملك رئيسها المسيو فايدا الى مقابلته وأبلغه انه غير مرتاح الى مسلكه و «شكره على خدماته» فرفع اليه الوزير استقالته . ومما هو جدير بالذكر انه فى خلال السنوات الثلاث التى انقضت على الملك كارول فى الحكم قد تعاقبت على رومانيا تسع وزارات ، والغريب أن هذه الوزارات التسع استقالت «لأسباب غير معلومة» ، لأن البرلمان الرومانى لم يخذل وزارة واحدة منها

وحلت وزارة المسيو دوقا محل وزارة المسيو فايدا فتساهلت فى الحال مع اليهود بحجة رغبتها فى تعزيز النظم البرلمانية فى البلاد ، فشق ذلك على جمعية «الحرس الحديدى» فنظم اعضاؤها المؤامرة التى ذهب المسيو دوقا ضحيتها ، وقيل يومئذ ان المؤامرة واسعة النطاق وان المتآمرين

مضمون على اغتيال غيره من رجال رومانيا، ولكن الى كتابة هذه السطور لم يحدث ما يؤيد هذا القول

غير ان الأمر الذى يستحق التنويه هو ان المسيو تيتلسكو لم يقبل البقاء فى وزارة الخارجية فى الوزارة الجديدة ـ التى خلفت وزارة المسيو دوقا وقد الفت من الوزراء عينهم ـ الا بعدما أجابه الملك كارول الى بعض الطلبات وفى مقدمتها رحيل مدام لوبسكو من رومانيا

وستظهر لنا الايام هل حلت الازمة فى رومانيا بمقتل المسيو دوقا وبرحيل مدام لوبسكو...

الجنرال «اودفي» وخصومته للمستر دي فاليرا

... وأخيراً لما رأى الانجليز ان «دى فاليرا» لم تلنه القوة ولا المساومة، فكروا فى خطة أخرى... خطة «فرق تسد»، فلجأوا اليها عن طريق الموتورين من الزعيم الارلندى الكبير وفى مقدمتهم الجنرال «اودفى» الذى يندر أن ينقضى الآن يوم بدون ان يرد ذكره فى الانباء التلغرافية

ولكى يقف القارىء على اغراض الجنرال اودفى نقول انه لما عقدت المعاهدة البريطانية الارلندية فى سنة ١٩٢١، وهى المعاهدة التى قامت على أساسها دولة ارلندا الحرة، انقسم الارلنديون تجاهها الى قسمين، احدهما يؤيدها والآخر يقاومها، وكان الجنرال «اودفى» فى طليعة المؤيدين وكان يومئذ من قواد الجيش الارلندى ثم عين مديراً للبوليس وظل يتقلد هذا المنصب الى أن اقاله «دى فاليرا» منه فى أوائل السنة الماضية على أثر توليه رئاسة الحكومة

وما كاد الجنرال «اودفى» يعتزل خدمة الحكومة حتى عرض عليه خصوم «دى فاليرا» رئاسة جموعهم فقبلها واتخذ «القميص الازرق» لباساً لانصاره، وظل نفوذه يزداد كل يوم اكثر من اليوم الذى قبله، الى أن اتحدت أخيرا جميع الهيئات والجماعات المعارضة «لدى فاليرا» والفت حزباً واحداً اسمه «حزب ارلندا المتحدة» واسندت اليه زعامته

والجنرال «اودفى» يطالب باستقلال ارلندا كالمستر «دى فاليرا» ولكنه يخالفه فى الخطة التى ينبغى انتهاجها لتحقيق هذه الامنية. فبينما دى فاليرا يريد قطع كل صلة بانجلترا يدعو الجنرال «أودفى» الى مسايرة انجلترا والى توجيه الجهود فى الوقت الحاضر الى توحيد ارلندا فلا يعود هناك شىء اسمه الشمال (وهو القسم الذى مابرحت انجلترا تحكمه بواسطة حاكم عام) وشىء اسمه الجنوب (وهو القسم الذى يؤلف دولة ارلندا الحرة التى يرأس حكومتها الآن المستر دى فاليرا) ثم ان الجنرال «أودفى» يقول ان خطته فى معالجة مشكلة العمال العاطلين تختلف عن خطة «دى فاليرا» وأنه يريد ان يضرب على الشيوعيين بيد من حديد

ولكن الواقفين على حقيقة الحالة فى دولة ارلندا الحرة يرون أن مزاعم الجنرال «اودفى»

لا تسوغ خصومته لدى فاليرا ومناوأته لحكومته وان الحقيقة تتلخص فى أن الشقاق تسرب إلى صفوف الارلنديين بعد ما كان الاتحاد سر قوتهم الحقيقية

وكذلك تظل سياسة انجلترا هى هى على الدوام

السنيور الكسندر لرو . والجمهورية الاسبانية

كان انصار الجمهورية فى اسبانيا يدعون أن الملكية هى أصل مصائبهم جميعاً ، وان زوالها يفتح لهم باب السعادة والرفاهية واستقرار الحال ، فاذا امورهم الداخلية تزداد ارتباكا بعد حلول النظام الجمهورى محل النظام الملكى ، وإذا حل مشاكلهم الاهلية يستعصى عليهم بعد رحيل الفونسو الثالث عشر عن بلاده ، بل إن الحالة قد ساءت عما كانت عليه قبلا ، لأن المتطرفين من الجمهوريين والشيوعيين حسبوا أن قيام النظام الجمهورى سيتيح لهم الفرصة لنشر الوية الفوضى على ربوع البلاد وقلب انظمتها الاجتماعية رأساً على عقب

ولا يخفى انه لما غادر الملك الفونسو الثالث عشر اسبانيا كان فريق كبير من الاهلين متمسكا بعقيدته الملكية ، وقد ظل انصار الملكية محافظين على مبدئهم حتى بعد رحيل الملك ، فلما رأى المتطرفين من الجمهوريين والشيوعين يحاولون تقويض كل نظام قائم هاجوا وماجوا وعقدوا النية على مقاومتهم مهما كلفهم الأمر ومهما تكن النتيجة ، حتى خشى المحايدون من نشوب حرب أهلية كما لا يخفى

وعندئذ برز رجل فى الميدان وجاهر بأنه سيعمل على تدعيم النظام الجمهورى فى حدود القانون والنظام ، والسكينة ، والتقاليد . وكان هذا الرجل السنيور الكسندر لرو رئيس الوزارة الاسبانية الحالية . ويتعذر على الباحث أن يتكهن من الآن بمدى النجاح الذى يصادفه هذا السياسى الجرىء وان دلت الدلائل اليوم على انه قد نجح فى كسب عطف السواد الاعظم من الاسبان

ومما هو جدير بالذكر عن المسيو لرو انه عصامى بكل مافى هذه الكلمة من معنى فانه لم يتردد فى حداثته على المدارس لأنه ولد من ابوين فقيرين فكان لامندوحة له عن كسب عيشه بعرق جبينه منذ نعومة اظفاره ، وانما تلقى بعض الدروس الاولية عن خاله وكان قسيساً فاضلا

غير أن المسيو لرو أو السنيور لرو كان مشغوفاً بالدرس والتحصيل ، فكان إذا انتهى من عمله فى المساء عكف على الدرس والمطالعة ، وفى سنة ١٩٢٢ لم يجد على نفسه غضاضة فى التقدم لامتحان شهادة الليسانس مع أنه قد ناهز يومئذ الثامنة والخمسين من عمره

ولما الغيت الملكية ونودى بالنظام الجمهورى عين السنيور لرو وزيراً للخارجية ثم اعتزلها لخلاف نشأ بينه وبين زملائه الذين كانوا يظهرون بعض التساهل فى كبح جماح المتطرفين والشيوعين

وأخيراً لما عجزت الوزارة السابقة عن التغلب على اولئك المتطرفين والشيوعيين لجأ رئيس الجمهورية إلى السنيور لرو فلبي الدعوة وتولى تاليف الوزارة الجديدة وهو يقول :

« انى اريد ان تكون الجمهورية الاسبانية محافظة كالجمهورية الفرنسية ! »

الملك اسكندر ، أو الملك الدكتاتور

كان جلالة الملك اسكندر ملك يوغوسلافيا محور الانظار فى الاجتماعات التى عقدت أخيراً بينه وبين جلالة الملك بوريس ملك بلغاريا وجلالة الملك كارول ملك رومانيا لبحث أحوال البلقان وعلاقات دولهم بعضها ببعض

وقد امتاز الملك بطرس ، والد الملك اسكندر ، بقوة شكيمته وشجاعته ، وهو الذى رفض قبول الشروط التى تضمنها انذار النمسا النهائى فى يونيو سنة ١٩١٤ ، وآثر الحرب على العار

ويقول عارفو الملك اسكندر انه ورث خلق والده وانه قوى الشكيمة شديد المراس مثله ، ويعلم متتبعو احوال سربيا (يوغسلافيا الآن) انه لما طعن الملك بطرس فى السن عين نجله نائباً عنه وخوله ادارة شئون المملكة فمارس الحكم مدة غير قصيرة تحت رقابته وإشرافه

ومن ذلك الحين والملك اسكندر يتدخل فى كل كبيرة وصغيرة فى شئون مملكته . ولما قيل من نحو ثلاث سنوات ان « السلوفان » من رعيته غير راضين عن حالتهم وانهم قد يشقون عصا الطاعة على النظام القائم زار بلادهم بالرغم من تحذير الحكومة له ولم يكترث للاخبار التى وصلت الى مسامعه من مكائد تدبر لاغتياله (وقد حاول البعض تنفيذها فعلا ولكنها حبطت جميعاً) وظل يطوف مناطق « السلوفان » ويمتزج بطوائفهم ويصغى الى رغائبهم ويلاطف صغارهم قبل كبارهم حتى اكتسب عطفهم وودهم فعاد إلى عاصمة مملكته وهو مطمئن من ناحية ذلك القسم من بلاده

وعند العارفين أن الملك اسكندر هو صاحب فكرة اجتماع ملوك البلقان الثلاثة للتشاور فى أحوال ممالكهم وشئونها ، ولا سيا بعد قيام حكم هتلر والنازى فى المانيا وتطور الحالة السياسية العامة فى اوربا كلها

والملك اسكندر لا يقبض على دفة السياسة فى بلاده فقط ، ولكنه فى الوقت عينه القائد الفعلى لجيشه . وآراء الثقات العسكريين متفقة على انه محيط بالشئون العسكرية أكثر من أى ملك آخر من ملوك اوربا

وجلالته متزوج من كبرى شقيقات جلالة الملك كارول ملك رومانيا وقد رزق منها ثلاثة انجال لا يزال أكبرهم فى سن الحداثة

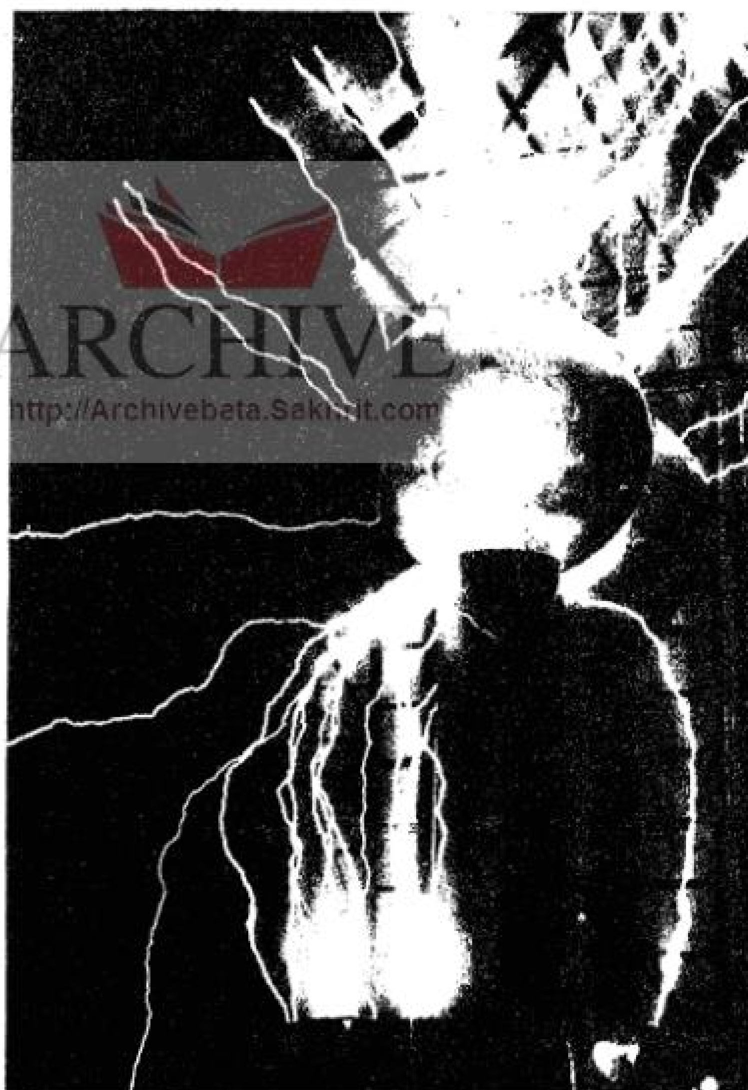
كريم ثابت



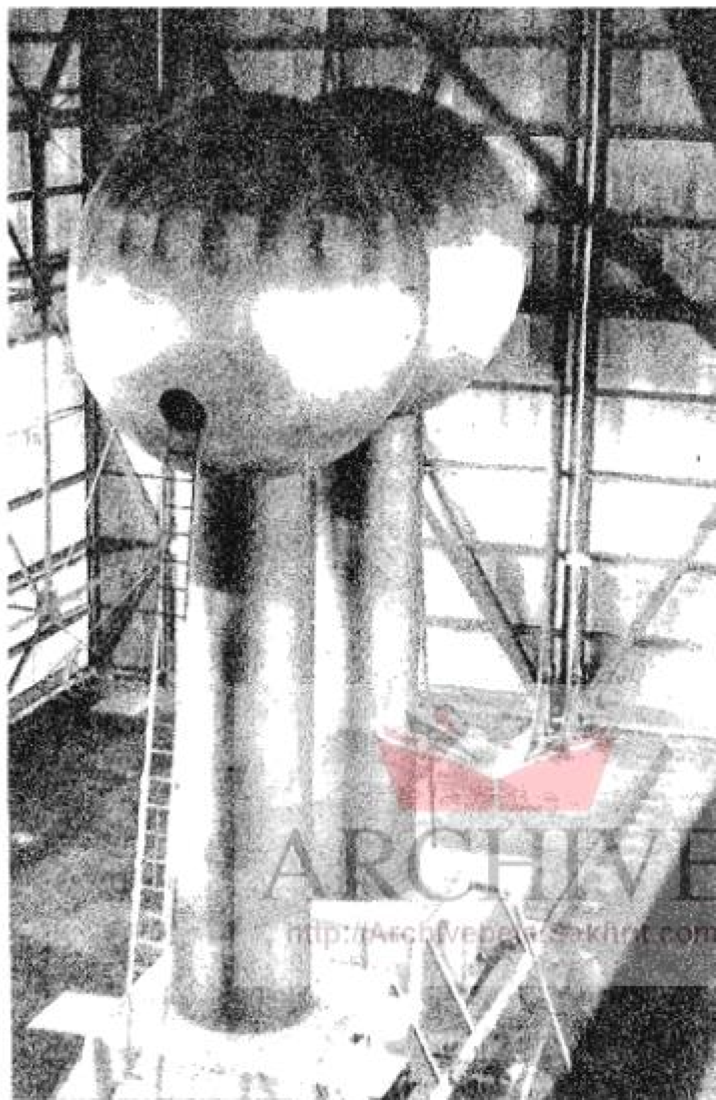
المولد الكهربائي الذي استنبطه الدكتور فان جراف لتوليد قوة سبعة ملايين فولت بقصد تحطيم الجوهر الفرد . وهذا المولد هو عبارة عن اسطوانتين كبيرتين طول كل منهما ١٧ متراً . ويظن مستنبط الجهاز أن التيار الكهربائي الناشىء عن الاسطوانتين يكفي لتحطيم الجوهر الفرد . وترى في رأس كل اسطوانة كرة يبلغ قطرها خمسة أمتار وهي مستودع التيار

معضلة

الجوهر الفرد والكهارب أو الايلكترونات التي يتألف منها هي في مقدمة المعضلات التي يحاول العلماء حلها واكتناه أسرارها لما يرجونه من وراء ذلك من الفوائد الجمة للاجتماع . وقد كانوا حتى عهد قريب يعتقدون ان الجوهر الفرد هو قوام المادة لانه اصغر اجزائها . ثم اتضح أن الجوهر الفرد يتألف من ومضات كهربائية تسمى ايلكترونات وتدور حول نواة تسمى البروتون ، كما تدور الاجرام العلوية التابعة للنظام الشمسي حول جرم الشمس ، وان سرعة دورانها تفوق حد التصور . واتضح أيضاً أن عناصر المادة كلها متماثلة في الاصل وانما يختلف بعضها عن بعض بعدد الايلكترونات التي يتألف منها الجوهر الفرد . وبعبارة أخرى ـ ان الجوهر الفرد لأي عنصر من العناصر لايختلف عن جوهر أي عنصر آخر إلا بعدد الومضات الكهربائية التي يتألف منها . فاذا امكن انتزاع بعض هذه الومضات (أو الايلكترونات) من جوهر عنصر من العناصر واضافته الى جوهر عنصر آخر امكن تحويل المادة من شكل الى شكل . وهذا هو السر الذي كان الاقدمون يسعون الى حله يوم كانوا يريدون تحويل المعادن ذهباً



في قاعة السفن الجوية بجنوبي دارتموث بكاليفورنيا أقيم هذا الجهاز لتوليد تيار كهربائي تبلغ قوته سبعة ملايين فولت . وقد استعمله مستنبطه الدكتور فان جراف لتحطيم الجوهر الفرد . وترى هنا اسطوانة على رأسها اليكترود (أي مستودع لتوليد التيار) يبلغ قطره مترين ، وهو موضوع على اسطوانة من الورق المضغوط يبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار . وهذا الجهاز هو مثال مصغر من الجهاز المنشور في الصورة السابقة . وترى الشرر الكهربائي منبعثاً منه بقوة هائلة



صورة أخرى لجهاز الدكتور فان جراف لتوليد تيار كهربائي لا تقل قوته عن سبعة ملايين فولت لتفكيك عرى الجوهر الفرد

ولتحقيق هذا التحويل لابد من عاملين قويين هما : الضغط والحرارة بدرجة تفوق حد التصور . والحرارة اللازمة لتفكيك الجوهر الفرد لم يستطع الانسان توليدها حتى الآن. إلا أن ذلك لم يمنع العلماء من السعي لايجادها لانهم يعلقون على تحطيم الجوهر الفرد أو تفكيكه آمالا عظيمة . ولا يخفى أن ما علموه من أسرار الجوهر الفرد هو الذى مكنهم من استنباط الراديو والتليفيزيون والخلية الكهربائية الفوتوغرافية ، بل هو الذى مكنهم من تحسين المستنبطات الكثيرة . فاذا تمكنوا من تحطيم الجوهر الفرد فيتمكنون من تحقيق كثير من الاحلام التى تجول في مخيلاتهم ، وفي مقدمتها تحويل عناصر المادة أو تحويل المادة من معدن الى معدن آخر

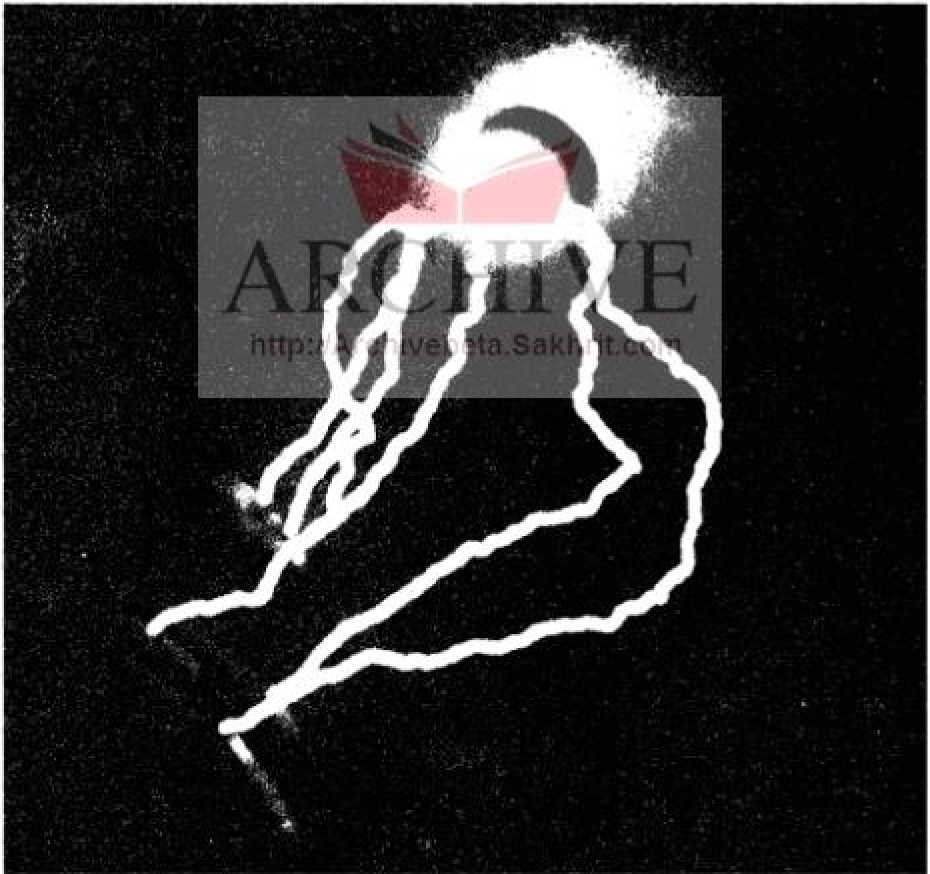
ولقد أماطوا اللثام عن جانب من أسرار الايلكترونات وهم يوجهون اليوم قواهم لمعرفة أسرار « البروتون » أو النواة التى تدور حولها تلك الايلكترونات ، والتى هى مستودع ٩ ، ٩٩ من قوة الجوهر الفرد

وقد وجه علماء الكهربائية قوتهم في بضع السنوات الاخيرة لاستنباط جهاز ذي قوة كهربائية هائلة لتحطيم الجوهر الفرد . وتمكن الدكتور فان جراف مدير معهد مساتشوستس الفني ، من استنباط جهاز سماه « مولد القوة الكهربائية » يمكنه توليد قوة كهربائية تعادل سبعة ملايين فولت ، مع زيادتها الى خمسين مليون فولت اذا دعت الضرورة الى ذلك . وقد كان أقوى جهاز كهربائي

صنعه الانسان حتى الآن لايستطيع أن يولد أكثر من سبعمائة الف فولت فقط أو أقل من ثلاثة أرباع مليون الفولت . ولا يخفى ان الكرسي الكهربائي الذي ينفذ عليه حكم « الاعدام » في المجرمين في اميركا لا تزيد قوته على ٢٤٠٠ فولت . فالجهاز الذي نحن بصدده الآن هو اقوى من ذلك الكرسي باكثر من ثلاثين الف مرة . بل انك اذا جمعت كل ماعند الدول من مدافع ضخمة وسريعة واطلقتها معا ماكانت قوتها مجموعة لتوازى قوة جهاز الدكتور فان جراف

كل ذلك لتفكيك الجوهر الفرد وتحطيمه بفضل الايلكترونات التي يتألف منها ، ولمعرفة الاسرار التي ينطوي عليها

وترى من الصور المنشورة هنا ان الجهاز الذي نحن بصدده هو اسطوانتان ضخمتان جداً يبلغ ارتفاعهما سبعة عشر متراً . وعلى رأس كل اسطوانة منهما كرة يبلغ قطرها خمسة امتار . ومن هاتين الكرتين يتولد تيار كهربائي تختلف قوته من سبعة ملايين فولت الى خمسين مليون فولت



صورة الومضة الكهربائيـة المنبعثة من جهاز الدكتور فان جراف المسمى « مولد القوة الكهربائية » . وقد قضى مستنبط هـذا الجهاز ست سنوات لاكمال اختراعه ، وهو يرجو أن يتمكن به من تحطيم الجوهر الفرد وانتزاع سر نواته

رأى الاستاذ احمد عطية الله حاجة مصر الى تقويم للتعليم يجرى كل الشئون التى تهم المشتغلين بالتعليم والذين يتلقون فى دوره ومعاهده . وقد شرع فى اصدار هذا التقويم الذى يجرى طبعه الآن فى دار الهلال . وقد رأينا ان نقتطف منه هذا المقال فهو يعالج موضوعا هاما وهو :

كيف يتعلم العميان

تعتبر مصر زعيمة العميان في العالم . وليس في هذه الزعامة موضع للفخر ، لا سيما اذا أضفنا أن المجهودات التي بذلت في تعليم هؤلاء العميان لا تكاد تذكر ، بل انها تعتبر فى حكم العدم . وكثير من الدول الأوربية يظن أن مصر بما فيها من العميان الذين يعدون بالآلاف قد سارت شوطاً بعيداً في سبيل رعايتهم ، فيمكنها بذلك أن تكون قدوة لغيرها في النظم الخاصة برعاية العميان أو بطرق تعليمهم . ولكن مع الأسف ان هذه الزعامة لا تتعدى الزعامة العددية فقط . وغاية ما يقال عن هـــذه الناحية أن العناية الصحية بامراض العيون قد أخذت دوراً جدياً ، بفضل مستشفيات الرمد المتنقلة والثابتة التي انتشرت في طول البلاد وعرضها ، فخفضت بذلك من نسبة عدد العميان لا سيما اذا عرفنا مبلغ فتك هذه الأمراض الرمدية في صغار الأطفال .

وتبعاً لاحصاء سنة ١٩٢٧ ــ وهو الاحصاء الرسمي الأخير ــ يوجد بمصر من العميان (كاملي العمى) ١٠٩٩٣٤ منهم ٥٨١٩٨ من النساء . هذا عدا ٢٦٩٥٥٥ ممن يعتبرون في حكم العميان . ومعنى ذلك أن في مصر نحو ثلث مليون أعمى . وفي القاهرة وحدها يوجد من العميان ٦٥٢٢ عدا من يعتبرون في حكم العميان . وفي حي واحد كحي بولاق يوجد ١٠١٧ أعمى منهم ٥٢٥ من النساء

ماذا لدينا من مدارس العميان

ان العدد الاكبر من العميان القادرين على العمل يشتغلون في الامور الدينية كتلاوة القرآن أو العمل في الكنائس القبطية . والى عهد قريب كان هناك عدد كبير من فقهاء الكتاتيب من العميان الذين ــ بطبيعة الحال ــ لا يعرفون شيئاً عن القراءة والكتابة . وللازهر فضل كبير في تعليم العميان لاسيما وأن الدراسات العقلية التي تتميز بها الدراسة الازهرية ميسورة للأعمى ، ولكن عندما أدخلت العلوم النظرية جعل شبه امتياز للعميان وهو اعفاؤهم من أداء الامتحان في العلوم النظرية كالكتابة والقراءة والرياضيات والعلوم الطبيعية بانواعها .

مدرسة العميان بالزيتون

لعل المدرسة الوحيدة التي أنشئت لغرض تعليم العميان بالمعنى الصحيح هي ما أقيمت للعميان في الزيتون بضواحي القاهرة في سنة ١٩٠١ من مال تبرعت به سيدة انجليزية هي المرحومة مسز



مدرس مصرى أعمى يعلم احدى العمياوات القراءة على طريقة « برايل »

ارميتاج ، وقد ساعدتها الحكومة الانجليزية بجواب توصية من الملكة فكتوريا ثم من الخديوي السابق . وكان الغرض من هذه المدرسة ترقية الصبيان عقلا وجسداً حتى يمكنهم أن يعولوا أنفسهم بعد خروجهم من المدرسة التي لا تنتمي إلى طائفة من الطوائف

وفي سنة ١٩٠٤ كانت تدير المدرسة لجنة مؤلفة من ١٤ عضواً منهم ٧ أوربيون و٧ من المصريين . وكان فيها وقتئذ ٢١ تلميذاً . وقد قامت هذه المدرسة بخدمات جليلة فعلمت كثيراً من العميان مبادىء القراءة والكتابة والصناعات اليدوية . وكانت إلى عهد قريب تعينها الحكومة إعانة مالية كل عام ، إلا أنها في الوقت الحاضر في حالة يرثى لها وتحتاج إلى المعونة من وزارة المعارف ، لهذا شكلت لجنة برئاسة المستر كريج وبعضوية بعض المصريين والاجانب لتحسين حال هذه المدرسة

مدارس اخرى للعميان

وفي سنة ١٩٠٠ أسست سيدة انجليزية أيضاً تدعى الليدي مث مدرسة أخرى للعميان في الاسكندرية . والصعوبة التي كانت تجدها هذه المدرسة وسابقتها هي أن العميان يفضلون عيشة التسول السهلة عن عيشة الجد في العمل الشريف . ويوجد في الوقت الحاضر مدارس صغيرة للعميان في القاهرة تشرف عليها جاليات أجنبية دينية . وهذا كله يدلنا على أن المجهودات التي بذلت في سبيل تعليم العميان ترجع إلى الأجانب ، لاسيما الانجليز منهم ، وهذا أمر يؤسف له . وفي مهمشة مدرسة اكليريكية للاقباط تعنى بتعليم بعض العميان لتأهيلهم لحياة اللاهوت فيما بعد ومبادىء الصناعات

كما أنشئت جمعية برئاسة محمد شاهين باشا وكيل وزارة الداخلية للشئون الصحية ، غرضها رعاية العميان لا سيما من الناحية العملية ، وذلك بانشاء معهد أو مصنع لهم ، ولكن هذه الجمعية لا يزال يعوزها المال ولم تبدأ عملها بعد

تعليم العميان ووزارة المعارف

في عام ١٩٢٦ فكرت وزارة المعارف في شأن تعليم العميان فأنشأت قسما لتخريج معلمات لتعليم العميان ألحقته بمدرسة معلمات بولاق حينئذ

ثم أصلحت من هذا القسم لا سيما بعد ارسالها معلما للتخصص في نظم تعليم العميان إلى انجلترا في سنة ١٩٢٧ ثم معلمة لدراسة طرق تعليمهم بعد ذلك . ولتحقيق الغرض من هذه البعثات وهذا القسم بدأت مراقبة التعليم الاولي بانشاء فصول لتعليم العميان ببعض مدارسها الالزامية في القاهرة ، على أن تتعدد وتنتشر وتستقل بنفسها ولكن مجهودات وزارة المعارف وقفت عند هذا الحد مع أن عنايتها مافتئت مستمرة بشأن تخريج معلمات للعميان . لهذا كانت هذه العناية غير مثمرة ولا تؤدي الغاية منها ، فوجود طائفة من المعلمات (المبصرات) للعميان ليس معناه الاهتمام بامر العميان اطلاقا

كيف يتعلم العميان

يتعلم العميان القراءة والكتابة والحساب والعلوم المختلفة إلى حد ما ، إلى مستوى لا يقل عن

مستوى التعليم العادى ، الا أنه تستخدم أجهزة خاصة لطرق تعليمهم . وأم الطرق المستعملة لتعليم العميان القراءة والكتابة الطريقة المعروفة بطريقة البريل أو (براي)، وهى طريقة فرنسية تستعمل الآن في كل لغة . ويرجع الفضل في ادخال هذه الطريقة إلى العربية ، الى مجهودات سيدة انجليزية أيضاً هي مس ليفل من المتصلات بالارساليات الدينية الانجليزية . وقد توفيت هذه السيدة منذ عامين فى القدس . وطريقة البريل هذه مبنية على نظام ست نقط بارزة تؤخذ بالتبادل لتدل على الحروف الأبجدية ، فحرف «الف» مثلا تدل عليه نقطة واحدة وحرف «ب» نقطتان رأسيتان وحرف «ت» نقطتان أفقيتان ، وهكذا . ويستعمل مايشبه المخراز للكتابة بهذه الطريقة

ويستعمل لتعليم الحساب الطريقة الانجليزية المعروفة بطريقة تيلر ، وذلك باستعمال لوح به فتحات مثمنة الشكل توضع بها أرقام نهاياتها مختلفتان لتدل فى كل وضع على الأرقام الحسابية وغيرها

وبصدور قانون التعليم الالزامى في سنة ١٩٣٣ صارت العناية بأمر العميان أمراً لا شبهة فيه اذ أن هذا القانون لايستثنى إلا الاطفال الذين لايمكن تعليمهم . ولكن الى الآن لم يطبق هذا القانون تطبيقا ما على العميان ، إلا أن الروح القومية السائدة على التعليم في الوقت الحاضر لاشك في أنها ستكون أكبر عون في تحقيق هذه الغاية الانسانية ، فبذلك ترفع مصر عن عاتقها حملا ثقيلا رزئت به

احمد عطية الله

مباراة في القصة العصرية

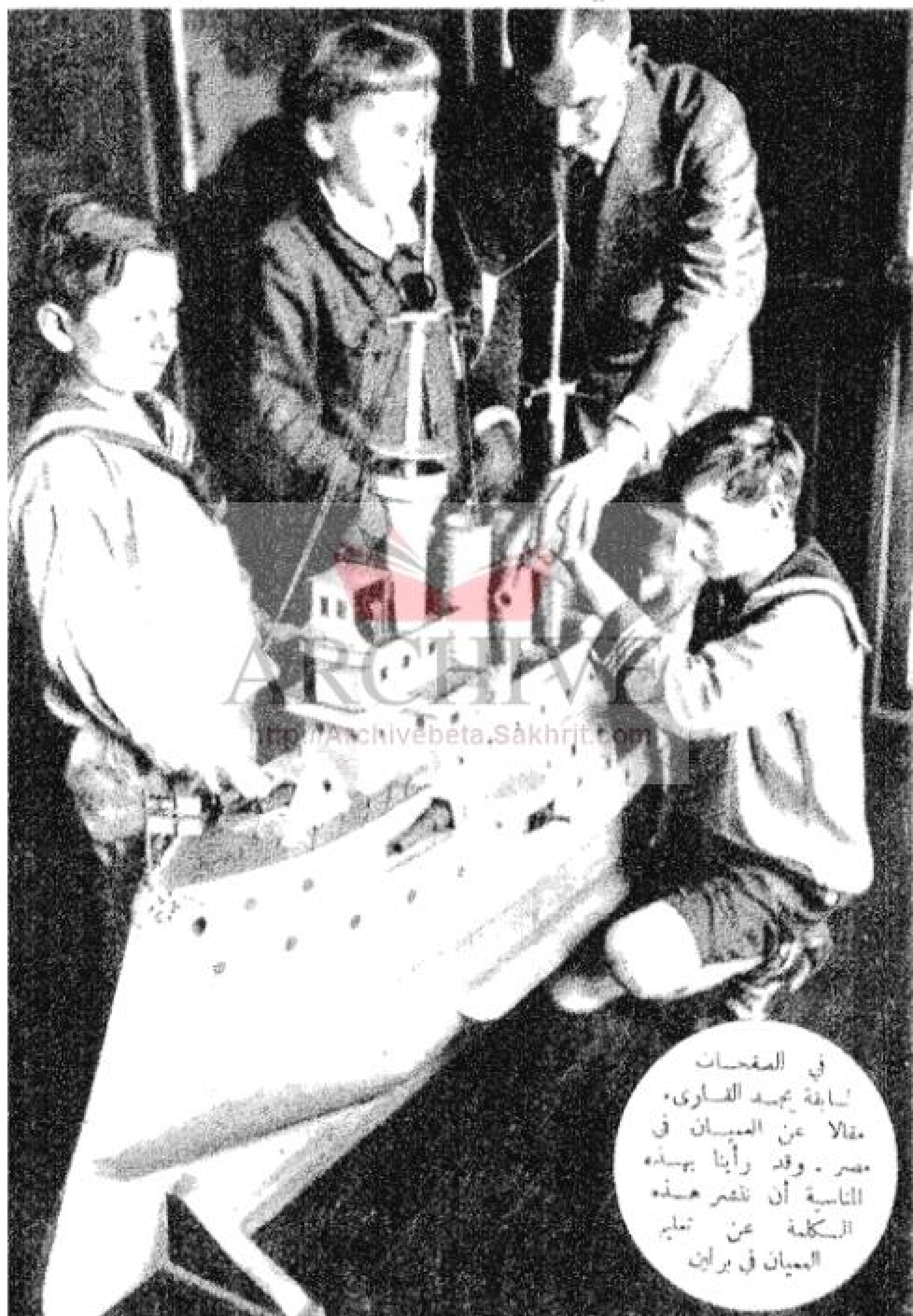
جائزتها ٢٠ جنيها

نلفت نظر القراء الى هذه المباراة المنشورة فى صفحة أخرى من هذا العدد ، وقد اعددنا لها جائزة مالية قيمتها ٢٠ جنيها



فتية عمي يشتغلون بصنع الاسبات

العمي يبصرون بأيديهم



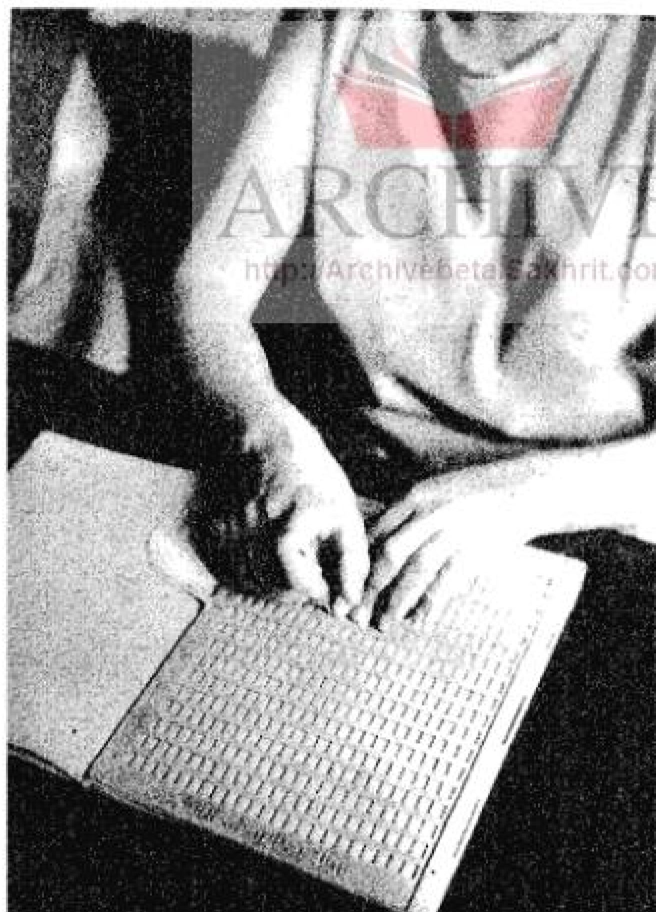
في الصفحات السابقة يجد القارئ مقالا عن العميان في مصر . وقد رأينا بهذه المناسبة أن ننشر هذه الكلمة عن تعليم العميان في برلين

كان الانسان في الزمان الفائت إذا حكم عليه القدر بالعمى لم يكد يحس شيئاً من مناعم الحياة بل يعيش في عزلة عن العالم، ولكن منذ قرن ونصف قرن تقريباً لم يعد الاعمى انساناً مهجورا لا ينتفع بالعالم ولا يستفيد العالم منه. وقد جد العلماء وذوو المروءة في البحث عن وسائل لتعليم العميان وفتح ابواب الحياة امامهم. فبعد ان اخترعت لهم حروف برايل وطبعت بها الكتب ابتكر البعض أخيرا وسيلة لجعل الحروف العادية مقروءة لهم بواسطة تسليط اشعة عليها

وقد بدأ تأسيس مدارس خاصة بالعميان منذ الثورة الفرنسية. وبعد ذلك صار كل بلد متمدن لا يخلو من مدرسة خاصة بهم تعلمهم العلوم اللازمة إلى جانب الحرف اليدوية التي يكسبون بها رزقهم

وفي برلين مدرسة للعميان تعد أرقى مدرسة في نوعها. واساس التعليم فيها هو تدريب حاسة اللمس لدى التلاميذ العميان حتى يمكنهم ان يستعيضوا بها عن بصرهم الضائع. ولهذا الغرض تستعمل في تعليمهم أدوات ونماذج تمثل الكرة الارضية بجبالها ووديانها وبحارها وأنهارها، واخرى تمثل مختلف الحيوانات والنباتات، او تبين لهم الاختراعات الحديثة ووسائل النقل. ويأخذ التلاميذ في تحسس هذه النماذج باصابعهم حتى تتهيأ لهم عنها فكرة معينة في خواطرهم، فاذا ذكرت امامهم كلمة «طيارة» مثلا عرفوا تركيبها وطريقة سيرها. وبذا ينشأون وهم يعرفون العالم وما فيه كما يعرفه المبصرون

وننشر مع هذا الكلام صورا من تلك المدرسة وطرق التعليم فيها



الى اليسار: فتاة تتعلم الكتابة بطريقة «برايل» وذلك بوضع نقط في خانات اللوحة بواسطة «دبوس» تراه في يدها اليمنى

الصورة المنشورة على الصفحة السابقة تمثل ثلاثة من طلبة مدرسة العميان ببرلين يتلقون درساً في البوارج الحربية بواسطة التحسس



بعض طلبة مدرسة العميان ببرلين يتلقون بأيديهم درساً في الجغرافيا



درس في الطيران بواسطة التحسس

بدائع الفسيفساء فى عهد البيزنطيين

رسوم الطيور والحيوانات على ارض الغرف

تتطور الفنون الجميلة مع الايام تطوراً يرمي الى الاتقان والتجديد ، فيطمس كل عصر من العصور معالم العصر الذى سبقه . فلا يبقى من القديم غير آثار متناثرة ، يهملها الناس مدة من الزمن ، حتى إذا ما مرت عليها الدهور وعثر عليها المنقبون تحت التراب والردم ، اسرعوا إلى انتزاعها بعناية ودقة واهتمام ، وانكبوا عليها يدرسونها آسفين على ما أصابها من عاديات الايام !

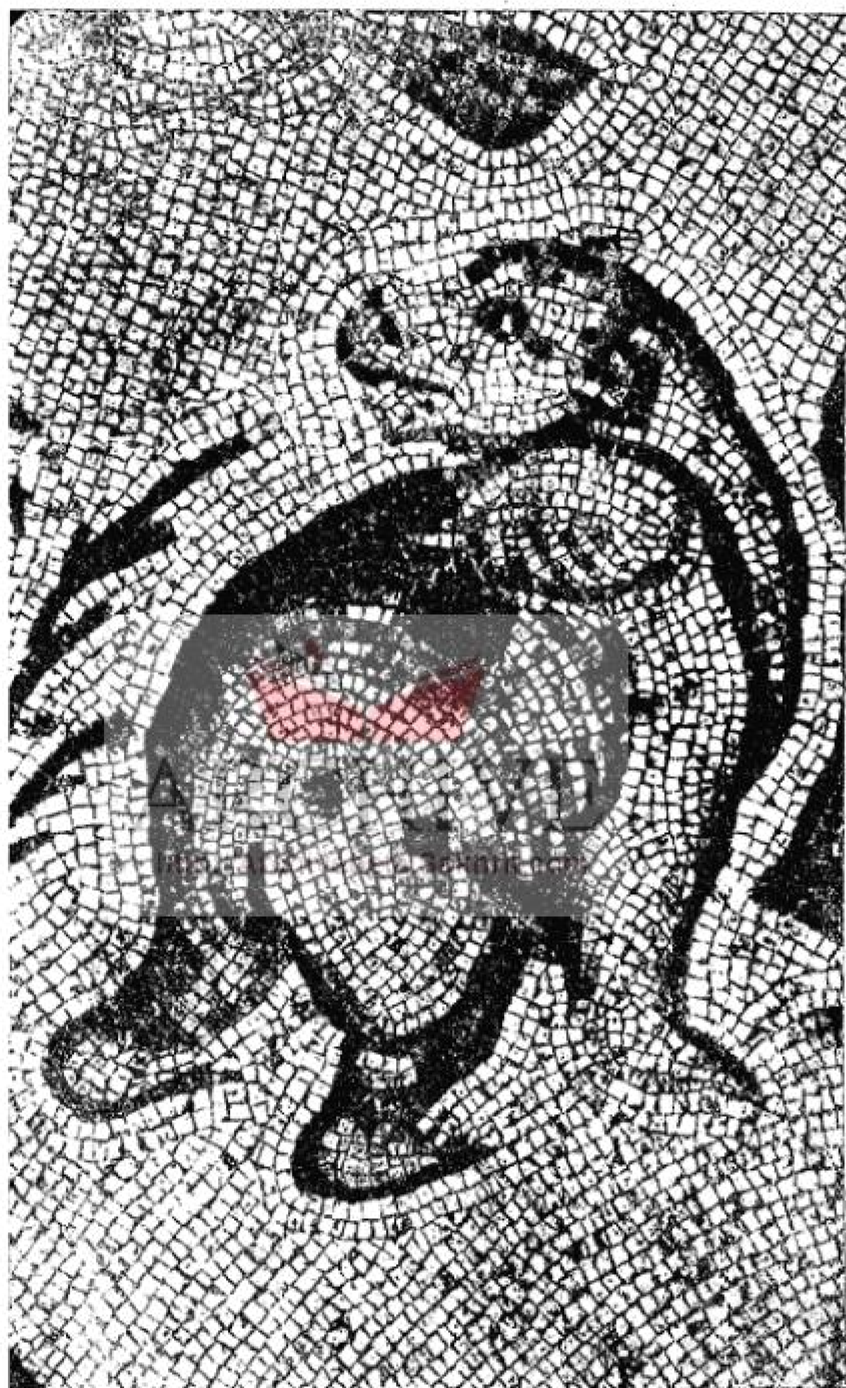
هذا شأن آثار الفراعنة والرومانيين واليونانيين وغيرهم من الامم والشعوب الاولى . وهذا سيكون شأن الفنون الجميلة اليوم ، عندما تمر عليها الدهور وتصبح في نظر الاحقاب المقبلة « آثاراً قديمة »

كان العرب والبيزنطيون والرومانيون وغيرهم من الشعوب يعنون عناية خاصة برصف أرض الغرف في منازلهم وقصورهم بالفسيفساء البديعة الصنع . وكانوا يتفننون في صنعها ويتسابقون ويتبارون في اتقانها ويضعون الجوائز للفائزين من الفنانين في تنسيقها وتنميقها ، فتركوا لنا منها نماذج تعد آيات فنية من حيث الصنع والذوق والاختيار . وقد كسدت صناعة الفسيفساء ، أو بالحرى كسد هذا الفن من زمن بعيد . فلم يبق الآن غير ما يعثر عليه المنقبون من وقت إلى آخر . وقد حلت محل الفسيفساء ألواح البلاط التى تخرجها المصانع الميكانيكية كل يوم بعشرات الآلاف ، والتى قد تكون من حيث الرسوم والنقوش أقرب إلى الاتقان من تلك الفسيفساء القديمة ، ولكنها لا تجاريها في حسن الذوق والاختيار والدقة الممزوجة بالبساطة والسذاجة قيمتها في جميع أنواع الفنون

كان الاقدمون ــ وعلى الخصوص سكان الامبراطورية الرومانية الشرقية المعروفة باسم بيزنطة ــ يتقنون صنع الفسيفساء إلى ابعد حدود الاتقان . وكانوا يزينون بها منازلهم فيختارون لكل قاعة من قاعاتها ، ولكل حجرة من حجراتها ، الرسوم التى تتفق والغرض الذي انشئت من أجله تلك الحجرة أو الغرفة . فلقاعة الاستقبال رسومها الخاصة . ولبهو المنزل رسومه . وللحمام رسوم لا ترى في حجرة أخرى . ولكل ناحية وركن من أركان المنزل ونواحيه الرسوم اللائقة الموافقة . غير أن هناك رسوماً كانت شائعة ومشاعة بين الغرف والقاعات جميعها ، تلك هي رسوم الطيور والحيوانات التى كان القوم يخرجون لاصطيادها في الجبال والبراري والغابات . وكانوا يتفننون في رسم صور تلك الحيوانات في منازلهم ، مع اعتبار توزيع تلك الرسوم بطريقة لاتتنافى مع الذوق السليم

ففي الحمام مثلا كانوا يرسمون طيور الاوز والبط لانها تعيش فى الماء ولأن الحمام هو « حجرة الماء » في المنزل

وفي القاعات المخصصة للرجال ومجالسهم كانوا يرسمون صور الحيوانات القوية الشرسة الكاسرة كالنمر والدببة والاسود وغيرها



دب مرسوم بالفسيفساء فى أرض منزل بيزنطى اكتشف حديثا
بالقرب من بيروت

أما حجرات السيدات فانهم كانوا يحتفظون لها بصور الغزلان والثعالب والطواويس !

وقد اكتشف المنقبون أخيراً في بيروت وغيرها من المدن السورية واللبنانية ، حيث تقوم بعثات فرنسية باعمال الحفر والتنقيب ، طائفة من الفسيفساء البديعة الصنع ، بينها مجموعة من رسوم الحيوانات والطيور التي يقف أمامها الناظر ذاهلا معجباً حائراً . ويتساءل قائلا : « أيمكن أن تكون هذه الرسوم من صنع يد الانسان ، منذ مئات السنين ، عندما لم يكن لديه من الادوات اللازمة للعمل ما لدينا نحن الآن ؟ »

هذا ما يقوله الناظر الى تلك الفسيفساء لنفسه . وهذا ما يقوله لنفسه أيضاً الناظر إلى التحف الرائعة التي تضمها دار الآثار المصرية ، والتي اكتشفت في مقابر الفراعنة

***

وقد دعانا الى التحدث عن الفسيفساء في عهد البيزنطيين والعرب وغيرهم ، حصولنا على الصور الثلاث المنشورة مع هذا المقال ، والتي تمثل ارض حجرات ثلاث في منزل بوزنطي اكتشف أخيراً بالقرب من بيروت بلبنان . فان تاريخ هذا الاكتشاف يرجع الى بضعة شهور ، وقد تحدثت عنه في حينه مجلتنا « الصور » ، ولكن الاكتشاف في ذلك الوقت لم يكن قد برز بعد في صورته الحاضرة ولم تكن اهميته قد وضحت للعيان كما هي الحال الآن . فان المنقبين الذين اشرفوا على استخراج الفسيفساء من المنزل البيزنطي في بيروت ، قد عالجوها بالاساليب المتبعة في مثل هذه الحال ، وتمكنوا من اعادتها الى سابق عهدها من رونق وبهاء ، فاذا بها نماذج فريدة في نوعها ، بديعة في صنعها ، قلما يوجد لها مثيل بين قطع الفسيفساء القديمة المعروفة الى الآن

وتناولت الصحف الفرنسية الفنية هذا الاكتشاف بالبحث والدرس . فاجمعت على انه من أهم الاكتشافات البيزنطية التي عثر عليها الى الآن ، وان الفسيفساء البيزنطية التي أعيد رسمها بدقة ووضوح ، تعد في طليعة النماذج الموجودة منها في متاحف العالم

ويرجع تاريخ الفسيفساء التي نتحدث عنها الآن الى القرنين الخامس والسادس للميلاد . وقد اتضح انها اتخذت فيما بعد أنموذجاً للفسيفساء التي صنعها الفنانون البيزنطيون لارض الكنيسة التي شيدوها في دمشق ، والتي حولها العرب الى مسجد في عهد الامويين ، وعرفت منذ ذلك الوقت بالجامع الاموي

والفسيفساء البيزنطية التي نتحدث عنها ، مصنوعة من قطع صغيرة مربعة من الزجاج والحجارة الملونة ، وهي تمثل طائفة من الحيوانات في اوضاع طبيعية تدل على أن صانع الفسيفساء درس طبيعة كل حيوان من الحيوانات التي رسم صورها ، أو انه رأى ذلك الحيوان فالتقط صورته كما تلتقط الآلة اليوم ما يريده صاحبها من صور سريعة

فهذا دب سمع صوتاً غريباً فالتفت مزمجرا غاضباً فاغراً فاه . وهذا نمر ربض على الارض متحفزا للوثوب . وهذا غزال يسرع الى مورد الماء . وهي النماذج الثلاثة التي ننشر صورها مع هذا البحث المقتضب عن الفسيفساء واتقانها في عهد البيزنطية الشرقية

على هذه الصفحة صورتا نمر وغزال مرصعتان بالفسيفساء في أرض المنزل البيزنطي
الذي اكتشف حديثاً بالقرب من بيروت



الاخطل ومكانته

في شعراء عصره

بقلم الاستاذ احمد الاسكندرى

أستاذ الادب العربي بكلية الآداب بالجامعة المصرية

هو أبو مالك غياث الاخطل بن غوث التغلبي النصراني

وتغلب وبكر ابنا وائل من اعظم قبائل ربيعة واشدها بأساً . ولما جاء الاسلام اسلمت عامة بكر بن وائل ، وبقيت بطون من تغلب على نصرانيتهم . وكانوا ينزلون غربي الجزيرة بقرب الشام والثغور الرومية على ضفتي الفرات وما بينه وبين نهر يصب فيه يسمى « الخابور »

وكان منهم بنو مالك بن بكر بن جشم رهط الاخطل ينزلون على ماء يسمى «البشر» ، ويعيشون عيشة اهل البدو ، ويقومون على رعاية الغنم والمواشي ، وليس لهم حاضرة . ولما فتح عياض بن غنم رضي الله عنه بلادهم ، وأراد ضرب الجزية على نصارى تغلب أنفوا ان يعاملوا معاملة الروم وهم عرب ، وجلوا عن ارضهم . فامره عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يرجعهم على ان يأخذ منهم ضعف صدقة المسلمين وزكاتهم ، ولا تسمى جزية ، او يدفعوا خراج الارض على ألا ينصروا اولادهم فرضوا ، ولكنهم بعد وفاة عمر لم يفوا بشرطه ، ونصروا اولادهم . ولما حدثت الفرقة بين المسلمين وعلى على بن ابى طالب رضي الله عنه بمخالفتهم شرط عمر آلى اذا فرغ لهم ليقاتلنهم ، لانهم خرجوا عن ذمة المسلمين . ولعل ذلك كان سبب مظاهرتهم لمعاوية وبنى امية من بعده

وكان لهم بلاء عظيم فى نصرة مروان بن الحكم على الضحاك بن قيس عظيم العرب القيسية شيعة ابن الزبير ، فاشتدت بذلك العداوة بينهم وبين القيسية ، وأفضت الى حروب وغارات دامت بين الفريقين دهراً طويلا ، واشتبك فى هذه الحروب والغارات بنو مالك بن بكر بن جشم رهط الاخطل والاخطل ، وقتل له فيها ابن يسمى « أبا غياث »

نشأة الاخطل

يؤخذ من اخبار الاخطل أنه ولد فى خلافة عمر فى اثناء فتح الجزيرة ، وكان يلقب فى صغره بدوبل (١) ونشأ بين قومه نشأة صبيان الاعراب وما شب حتى قال الشعر . ولم يبدأ به بداءة خير بل سفه به على القريب والبعيد. فلقب « الاخطل » قيل لقبه ابوه ، وقيل لقبه كعب بن جعيل اكبر شعراء

(١) ومن معاني الدوبل : الذئب العرم ، وولد الحمار ، أو الخنزير

تغلب فى عصره واوجههم عند الخليفة معاوية وشاعر جيشه فى حروبه مع على ، ولج الهجاء بينهما

ولما انتهى امر الخلافة الى معاوية وهدأت الفتن وطاب العيش لاهل الحجاز بما ورثوا من آبائهم الفاتحين اخذ اهل البطالة من شبانهم يلهون بالشعر واستماع الاغانى من القيان ، ولا تطيب الاغانى الا بالنسيب والغزل ، فأمعنوا فى الغزل والتظرف به وشببوا بمن يعرفون ومن لا يعرفون من بنات الاشراف . وكان من هؤلاء المتظرفين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فشبب بامرأة عبد الرحمن ابن الحكم اخى مروان بن الحكم — وكلاهما من اهل المدينة — وتهاجيا حتى افتضحا وبلغت اخبارهما يزيد بن معاوية بالشام فحمى وتعصب لقريبه عبد الرحمن الاموى

وقيل ان ابن حسان شبب برملة بنت معاوية اخت يزيد فانف يزيد . والرواية الاولى اقربهما الى الصحة لاضطراب الرواة فى الثانية وتناقضهم . وامر يزيد كعب بن جعيل ان يهجو الانصار فأبى عليه . وقال : « ارادى انت الى الشرك ؟ اهجو قوماً نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ؟ ولكنى ادلك على غلام منا نصرانى كأن لسانه لسان ثور ! لايبالى ان يهجوهم ! » فدله على الاخطل وكأنه كان يريد به الشر لتوقعه ان يفتك به الانصار ، فكان ذلك سبب جده ونباهة شأنه ، فاحضره يزيد وامره ان يهجوهم فقال : « افرق من امير المؤمنين ! » فقال : « لا تخف ! انا لك بذلك ! » فهجاهم وابن حسان بأبيات منها :

ذهبت قريش بالمكارم والعلا والاؤم تحت عمائم الانصار
فذروا المعالى لستم من اهلها وخذوا مساحيكم بنى النجار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير سيد بنى النجار من الانصار ، وقد شهد مع معاوية موقعة صفين ولم يكن معه من كبار الانصار غيره . وكان له عند معاوية منزلة سنية ، فدخل على معاوية غضبان أسفاً ، فحسر عن رأسه عمامته وقال : « يا امير المؤمنين ! اترى لؤماً ؟ » قال : « لا بل ارى كرماً وخيرا ! ماذاك ؟ » قال : « زعم الاخطل ان اللؤم تحت عمائمنا ! » قال : « او فعل ؟ » قال : « نعم ! » قال : « لك لسانه ! » (اى لك ان اقطع لسانه) وكتب فيه ان يؤتى به ، فلما اتى به سأل الرسول ليدخل به الى يزيد اولا فأدخله فقال : « هذا الذى كنت اخاف ! » قال : « لا تخف شيئاً ! » ودخل على معاوية وقال : « علام ارسل الى هذا الرجل وهو يرمى من وراء جمرتنا ؟ » قال : « هجا الانصار ! » قال : « ومن زعم ذلك ؟ » قال : « النعمان بن بشير » قال : « لايقبل قوله عليه وهو يدعى لنفسه ! ولكن تدعوه بالبينة فان اثبت شيئاً اخذته به له » فدعاه بالبينة . فلم يأت بها . فخلى سبيله

ومن ثم اصبحت له الحظوة عند يزيد ولى عهد وخليفة ومدح اولاد يزيد ، وظاهر هو وقومه مروان وشيعة بنى امية على الزبيرية والقيسية وناضل عنه بلسانه ، وهجا اعداءه حتى كلباً اخوال يزيد لخروج الامر من ايدى بنى حرب ، وصار مروانياً بقية حياته

ولم تطل مدة مروان وخلفه عبد الملك ابنه فاتخذه لسان سياسته وسوط عذابه على مضر وشعرائها ، لمظاهرتهم آل الزبير والهاشمية عليه ، ومدحه بقصائد خالدة لم يمدح بمثلها، فاوجهه عنده وعند بطانته وأغدق عليه عطاياه واحتمل تدلله وتيهه حتى سمح ان يدخل عليه بدون اذن وسماه شاعر الخليفة

ومدح فى زمن عبد الملك اخاه بشر بن مروان . وكان من دأب بشر الاغراء بين الشعراء ، فيقال انه هو الذى حمله على التدخل بين جرير والفرزدق ففضل الفرزدق على جرير ، فلقى على كبر سنه من جرير بلاء عظيما . ولم يقم له الفرزدق بأية عارفة وبقى يهاجيه ويناقصه ويسافهه بقية حياته . وله مع جرير مناقضات لم تبلغ عدة ما بين جرير والفرزدق

ولم يمدح الحجاج بن يوسف الا بكلمة او كلمتين بأمر من عبد الملك ، لاختصاصه بالخلفاء قبل امرائهم ولانهم كفوه مؤونة الرحلة لغيرهم

ولما ولى الخلافة الوليد بن عبد الملك كان له كما كان أبوه ولكن منيته عاجلته فى أيامه فمات سنة ٩٠ هـ وقد نيف على السبعين . وكان يقيم بدمشق قليلا وببوادى البشر من أرض الجزيرة كثيرا

دينه وأخلاقه

لم يعلم لنا يقيناً أى مذاهب النصرانية كان الاخطل ينتحل ، وانما المعروف أن نصارى الفرات وغربى الجزيرة كانوا كلدانيين ، والكلدانيون طائفة من الكاثوليك . وسواء أكان الأخطل من الكاثوليك ام الارثذكس ، فان المنقول لنا من أخباره يدل على انه كان متشدداً فى أصل عقيدته متهاونا بالعمل بها شأن نصارى الاعراب فى الجاهلية والاسلام . فقد كانت جمهرة ربيعة ولخم وجذام وتنوخ وكلب وغسان وبعض طىء نصارى ، ولم يظهر لنصرانيتهم أثر فى شعرهم ولا فى أخبارهم ، ولم يكن حظ الاديان والنحل الأخرى بين بداة الاعراب فى الجاهلية بأوفى من حظ النصرانية ، فهم كانوا ينتحلون الاديان اسماً لا تعبداً

فمع خضوع الاخطل للقساوسة يضربونه فى سب الناس وقذف المحصنات حتى يصيح ويغوث ويحبسونه فى بيعهم ، ولا يخرجونه حتى يتوب ويحلف ألا يعود ، ثم لا يلبث أن يعود — وجدنا من اخباره أنه كان يطلق النساء ، ويتزوج المطلقات كما كان نصارى أعراب الجاهلية يفعلون

اما اخلاقه فكان فى صغره نزقا طائشاً بذىء اللسان بذاءة لقب بسببها بلقب « الأخطل »

وكانت اخلاقه تكون مرضية لولا إدمانه شرب الخمر وعكوفه عليها ، حتى كان لا يستطيع أن يوجع فى هجاء ، أو يدخل مع أحد فى شر ، أو ينشد شعراً يعجبه إلا إذا شرب كاسات منها ، وحتى كاد يدخل على الخلفاء وان رائحتها اترفر من فيه . ولقد اراده عبدالملك يوما على الاسلام فلم يشترط إلا أن تباح له الخمر ، وأن يعفى من صوم رمضان

وأصلح أخلاقه وأكرمها انه كان عفيف الشعر فى هجائه فلما تعرض لذكر العورات وما يستحيي من سماعه وانشاده

وكان كأكثر الشعراء لا يمدح ولا يهجو عن رأى واعتقاد . وسمع شعر جرير ففضله على الفرزدق ، فلما دخل الكوفة بشر بن مروان والى العراق من قبل أخيه عبد الملك (وكان يعجبه أن يغرى بين الشعراء) قدم الاخطل عليه ، فبعث اليه محمد بن عمير — أحد سادات بنى دارم رهط الفرزدق وأشرافهم — بألف درهم وكسوة وبغلة وخمر ، وقال له : « لا تعن على شاعرنا ، واهج هذا الكلب الذى يهجو بنى دارم ، فانك قد قضيت على صاحبنا ، فقل ابياتاً واقض لصاحبنا عليه » فهجا جريرا من قبل أن يعرفه أو يراه

شعره

كان الاخطل مطبوعا على الشعر منذ صباه ، فلما بلغ مبلغ الفحول زاد على هذه السليقة اجادة الصنعة — من حسن تأنق وتهذيب لفظ وتجويد معنى وتصحيح أقسام ، ثم كان لا يكتفى بمبلغ طبعه وصنعته حتى يعرضه على النقاد والشعراء من قومه فيقتضى نقاشهم وحوارهم أن يثقف ويعدل ويحذف منه السقط والحشو ، فينظم القصيد سبعين أو ثمانين بيتاً ، فلا يزال ينحى عليها بالتهذيب وطرح الردىء حتى يبلغ بها الثلاثين ويجتزىء بها عما أراد من السبعين أو الثمانين وتظهر وكلها عيون

ولقد اتهمه جرير لذلك بأنه لا يهجوه وحده ، وانما يهجوه معه سبعون شاعراً من قومه لا يقلون عنه ، يجمعهم على طعامه وشرابه ويأتى كل بشىء ، ولكن المنصفين ينكرون على جرير هذه التهمة ، إذ رأوا أن شعر الاخطل ديباجة واحدة . وعرض الشعر على النقاد غير انتحال كلام الشعراء

وكانت طائفة من الخاصة وعلماء العربية يعجبون بشعره ويفضلونه على غيره . وعلتهم فى رأيهم صحة شعره ، اذ كان لا يحيل فيه ولا يناقض نفسه ولا يبهم حتى يحوج فهمه إلى تأويل أو تقدير محذوف ولا يفحش فى هجائه افحاش جرير والفرزدق

والذى وضع شعره فى كفة المراجحة مع غيره ولم يكفل له من أول الامر الغلب على صحته وانجازه ، أن الاخطل لم يتفرد بالاجادة الا فى مدح الخلفاء والامراء والوصف بعامة ونعت الخمر بخاصة وقصوره عن شأو غيره فى بقية أغراض الشعر

فأما مدحه للملوك والمبالغة فيه فليس يعجب الا الملوك أنفسهم وبطانتهم ومحكميهم من جلسائهم ، ولذلك كان بنو أمية صغارهم وكبارهم حتى احفادهم بعد زوال دولتهم يفضلون الاخطل على كل الشعراء حتى شعراء الجاهلية ، ويقولون إنه اشعر العرب . ولا يشاركهم عامة الناس فى رأيهم

واما وصف الخمر فلا يعجب العلماء الذين يمقتون شاربها الا من طريق الصناعة البلاغية ، وجمهور المسلمين فى عصر الاخطل على استنكار شربها والاشادة بذكرها ، حتى لقد حاول جرير

مرارا أن يغض من الاخطل للهجه فى شعره بالخمر وعكوفه على شربها ، فنجح عند قوم واخفق عندآخرين . ولذلك النجاح كان جرير يقول : أعنت عليه بخبث دينه . أى انه كان يعيره بشرب الخمر وأكل الخنزير ، وهما خصلتان لايصيب النصرانى منهما معرة

أغراض شعره او فنونه

قال الاخطل الشعر نسيبا ومدحا وهجاء وفخرا ، وألم بقليل من اغراض أخرى

نسيبه

ونريد بالنسيب ما يسمى بالتشبيب أو الغزل . وللاخطل نسيب أو غزل لم ينشأ عن غرام وحب ، وأنما حاكى المتقدمين فى افتتاح القصائد به ، إما لميل النفوس إلى حديث الاحبة والاشفاق من بعدهم والعطف على من ابتلى بجفائهم وصدهم ، وإما لاظهار التظرف فى الطبع والحذق فى الصناعة على اختلاف ألوانها . ورأينا فيه أنه ليس برقيق ولا مستجمع لمحاسن النساء فى جملته ، ولعل غزل الفرزدق يربى عليه على خشونته وعنجهيته ، ولكنه لا يصل طبعاً إلى غاية جرير فى الرقة الا فى القليل النادر

على أن هذا القليل كثير من متكلف لم يدخل العشق قلبه

ومما يؤخذ عليه أنه إذا ذكر النساء خلط غزله بكثير من كريه سجاياهن ومكرهن وغدرهن وخلابتهن ، فن القليل الجيد من غزله قوله من قصيدة :

ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بدر … وإن كان حيانا عدأ آخر الدهر
وان كنت قد أقصيتنى إذ رميتنى … بسهمك ، والرامى يصيب وما يدرى
أسيلة مجرى الدمع ، أما وشاحها … فيجرى ، وأما الحجل منها فما يجرى
وكنتم اذا تدنون منـا تعرضت … خيالاتكم أوبت منكم على ذكر

وقوله من أخرى يتغزل ويصف طيف خيال حبيبته :

طرق الكرى بالغانيات وربما … طرق الكرى منهن بالاهوال
حلم سرى بالغانيات فزارنى … من أم بكر موهناً بخيـال
أسرى لاشعث هاجد بمفازة … بخيال ناعمـة السرى مكسال
فلهوت ليلة ناعم ذى لذة … كقرير عين أو كنـاعم بال
بغريرة نفح النعيم شبابهـا … غرثى الوشاح شبيعـة الخلخال
فى صورة تمت وأكمل خلقها … للناظرين كصورة التمثال
تمت لمن نعت النساء واكملت … ناهيك من حسن لها وجمال

ومـلاحة فى منطق مترخم منهـا وحسن تقتل ودلال
ترنو بمقلة جؤزر بخميلة وبمشرق بهج وجيـد غزال

مديحه

كان المدح أنفس بضاعة الاخطل وأربحها وأروجها عند خلفاء بنى أمية وأمرائهم فلم يعدلوا به أحداً من مدحهم . ولا عجب فقد روى أصحاب الاخبار عن جرير والفرزدق أنفسهما أن الاخطل أمدح الناس للملوك . وليس وراء سليقته الشعرية من سبب لتخرجه فى هـذه الصناعة الا طول انقطاعه لمدح بنى أمية منذ اتصل فى صباه بيزيد بن معاوية ، وهو ولى عهد أبيه إلى انتهاء أجله أى نحو خمسين سنة . وفى أقل من هذه المدة دربة لمن أراد أن يتعرف أخلاق مواليه وما ينبو عنـه ذوقهم ، وما تهوى اليه أفئدتهم ، فلا يعرض عليهم مدحه الا من الناحية التى تروقهم . ولعله انتفع بالدرس الذى القاه عليه فى صباه شيخهم ومؤسس دولتهم معاوية بن أبى سفيان . فقد روى السيد المرتضى عن أبى عبيدة أن الاخطل وفد على معاوية فقال: « انى قد امتدحتك بأبيات فاسمعها » فقال: « ان كنت شبهتنى بالحية أو الاسد أو الصقر فلا حاجة لى فيها ، وان كنت قلت فى كما قالت الخنساء :

وما بلغت كف امرىء متطاول به المجـد الا حيثما نلت أطول
وما بلغ المهدون فى القول مدحة وان صدقوا الا الذى فيك أفضل

فهات » فقال الاخطل : « والله لقد أحسنت . وقد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته » فأنشده :

اذا مت مات العرف وانقطع الغنى فلم يبق الا من قليـل مصرد
وردت أكف الراغبين وأمسكوا عن الدين والدنيا بخلف مجدد

فأحسن صلته

فنحن نرى أن القطعتين متقاربتا المعنى . وأن الغرض منهما أن الممدوح فاق الناس جميعاً فى الندى والمكارم . وهذا المعنى مبتذل يدور على ألسنة الناس فى محاورتهم ومبالغتهم فى أحاديثهم فى المجلس الواحـد المرة والمرتين ، ولكن اذا صب فى لفظ شريف وأسلوب أنيق أعجب من يرون فى خاصة أنفسهم أنهم فوق البشر — وهم الملوك — واذا وصفهم الشاعر بوصف يشاركهم فيه أعوانهم أو يزيدون عليهم فيه كرهوه وملوا استماع بقية قصيدته . وهذا الذى لفت الخليفة معاوية نظر الاخطل اليه فعرف منه أن الملوك لا ترضى بغيره

وانظر الى حكاية جرير حين قدم على عبد الملك ليمدحه ، فامتنع من استماع مديحه ، وقال : « انما أنت للحجاج » وطرده من مجلسه بحال مزرية حتى شفع فيه محمد بن الحجاج وأذن له فى انشاده وسمعه غير مكترث بما يقول ، فلما بلغ فى مدحته :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح ؟

تبسم عبد الملك وقال : « كذلك نحن ! وما زلنا كذلك ! » وأجزل له عطاء لم يحلم بمثله . فهذا الخليفة الحازم الوقور المعتبر المؤسس الثاني لملك بني أمية كيف خدعه واستفزه وأخرجه عن حلمه وزماتته بيت واحد من الشعر وجعله يعلن بين أهل مجلسه صحة بيت كاذب يعرف هوكذبه ويعرفه الاشهاد من جلسائه ؟ فلا هو ولا عشيرته خير من ركب المطايا ، ولا أكرم العالمين ، ولكنه حب التفرد بالملك والاثرة والرياسة

ومثل هذه القصة قصص لا تحصى للشعراء مع الملوك . ومنها تعرف عذر الشعراء في توخيهم المبالغة وتحريهم بها رضى الملوك ، وتعرف مغزى قولهم في الشعر : « أعذبه أكذبه »

وأكثر ديوان الاخطل في مدح بني أمية وأوليائهم ثم يلي المدح الهجاء ، وأكثر وصف الخمر او الفلاة أو الوحش أو الناقة أو غير ذلك من الاشياء التي يجيد وصفها ، يجيء عرضاً خلال مدائحه أو هجائه . وقد يكون للفخر بقومه نصيب فيها ، حتى لتجد كثيراً من مدائحه مشتملة على فنون شتى تزيد في عدة أبياتها على المدح . ومن مدحه قوله :

حشد على الحق عيافو الخنا أنف اذا ألمت بهم مكروهة صبروا
وان تدجت على الآفاق مظلمة بدا لهم مخرج منها ومعتصر
أعطاهم الله جداً ينصرون به لا جد الا صغير بعد محتقر
لم يأشروا فيه اذ كانوا مواليه ولو يكون لقوم غيرهم اشروا
شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا

وكرر معنى البيت الاخير في قصيدة أخرى :

ما ان كأحلامهم حلم اذا قدروا ولا كبطشهم بطش لدى الغضب

وقال من قصيدة يمدح بها بني أمية ويخص بشر بن مروان :

فالله لم يرض عن آل الزبير ولا عن قيس عيلان حياً طالما ضربوا
يعاظمون أبا العاصي ، وهم نفر في هامة من قريش دونها شذب
بيض مصاليت أبناء الملوك فلن ينال ما قدموا عجم ولا عرب
ان يحلموا عنك فالاحلام شيمتهم والموت ساعة يحمى منهم الغضب
كأنهم عند ذاكم ليس بينهم وبين من حاربوا قربى ولا نسب
كانوا موالي حق يطلبون به فأدركوه ، وما ملوا وما رغبوا
ان كان للحق أسباب يمد بها ففي اكفهم الارسان والسبب

[البقية في العدد القادم]

احمد الاسكندري

افراح الانجال

من مذكرات صاحب السعادة احمد شفيق باشا

[يقوم سعادة احمد شفيق باشا رئيس الرابطة الشرقية بتدوين مذكراته عن الخمسين عاماً الماضية . وهذه المذكرات تهم كل من يتناول تاريخ مصر في خلال هذه الحقبة . وهي تعطيك صورة واضحة عن حوادث هذه السنين لان كاتبها شاهدها واطلع على خفاياها بنفسه . وحصل على صور لاتتاح إلا لمثله . ونحن ننشر هنا فصلا مما سيصدره في الجزء القادم عن أفراح الأنجال]

ومن الأفراح التى شاهدتها فى عهد التلمذة « أفراح الانجال » وهم توفيق ، وحسين ، وحسن أبناء الخديو اسماعيل ، بزواج البرنسيسات : أمينة خانم أفندى كريمة الهامي باشا ، بن عباس باشا الأول . وعين الحياة خانم أفندى ، بنت البرنس احمد باشا بن ابراهيم باشا الاول . وخديجة خانم أفندي ، بنت البرنس محمد على الصغير بن محمد على باشا الـكبير . وزواج اختهم البرنسيس فاطمة خانم أفندى ، بالبرنس طوسون بن محمد سعيد

وقد ابتدأت هذه الافراح بحفلة العقد (كتب الـكتاب) التى دعى اليها ــ غير أعضاء الاسرة الخديوية ــ العلماء ، والنظار ، وكبار الاعيان ، فى سلاملك القصر العـالى . وكان يرأس الحفلة خليل اغا ، الذى كان محـل اجلال الجميع ، حتى كانوا يقبلون يده عند المقابلة لنفوذه الـكبير عند اسماعيل ووالدته ، وكلمته فى الدوائر الحـكومية ، وبذلك أصبح من ذوى الثروات الضخمة

ابتدأت الحفلة بقراءة القرآن الـكريم ، ولما تم اجتماع المدعوين دخل الشهود الى داخل الحريم يتقدمهم الاغوات ، حتى إذا وصلوا الى باب العروس المسدول عليه الستار ، سألوا العروس التى كانت بالداخل محاطة بقريباتها وصاحباتها : « هل تقبلين أن يكون فلان زوجك » ؟

على أن هذا يعقبه سكون تام ، فيعاد عليها السؤال ثانياً وثالثاً الى أن تجيب العروس بالقبول . فينصرف الشهود الى « السلاملك » ويمضى العقد ، وتقدم الشربات فى اقداح من الذهب وتوزع الشيلان على المدعوين . وقد دامت حفلات الافراح أربعين يوماً كاملة ، زينت فيها الشوارع المؤدية إلى « القصر العالى » مقر والدة اسماعيل المطل على النيل

وكان امام القصر رحبة (١) فسيحة جداً ، يفصلها عنه شارع قصر العينى الآن ، وقد نصبت بها السرادقات الفخمة المتعددة ، لاستقبال المدعوين يتناولون صنوف الطعام فى بعضها ، ويتمتعون بمشاهدة الالعاب وسماع الغناء فى البعض الآخر . فقد غصت هذه الساحة بالفرق الموسيقية والغنائية

(١) هي الرحبة التي يشغلها الآن حي المنيرة

وفى مقدمتها تحت عبده الحمولى ، وبأنواع الملاهى الاخرى ، كما كان فوق قوس النصر (١) فى شارع المبتديان ، فرقة المزمار الشهيرة بجوقة « الفناجيلى » الدمياطى

كذلك حضر كثير من الفرق التمثيلية ، والجوقات الموسيقية ، وفرق الحواة المصرية والاجنبية

ومن أعجب ماشهدته فى تلك الحفلات امرأة « بهلوانة » يطلق عليها اسم « أم الشعور » وكانت تمشى فوق الحبل على ارتفاع كبير ، وتحمل معها وهى كذلك شاة صغيرة فتذبحها كأنها فوق الارض متمكنة فى جلستها . وكذا شاهدت أحد الافرنج واقفا على منصة مرتفعة ، وفوقه على بعد أمتار نور ساطع على هيئة القمر . وكنا فى أشد الاستغراب لهذا الشكل القمرى المتقن الجميل (٢)

ولمناسبة هذه الافراح دعا اسماعيل تلاميذ جميع المدارس وطلبتها للاشتراك فيها بتناول الطعام ومشاهدة الالعاب وسماع الاغانى . وكانت تقدم الذبائح والخبز الى بعض الفقراء والمحتاجين ، والى البعض الآخر فى أماكن مخصوصة منها : اللحوم والديكة الرومية والدجاج والخبز والحلوى وغيرها . وكانت النيازك « السواريخ » تطلق من حديقة الازبكية

جهاز العروس

كان جهاز كل من عروسى البرنسين حسين وحسن ، وكذلك جهاز البرنسيسين فاطمة خانم وأمينة خانم ، منسقا فى ثلاث غرف فسيحة بالقصر العالى للعرض على الانظار . وهو يتكون من أنواع الحلى المختلفة الاشكال المرصعة بالجواهر والماس . هذا عدا الاوانى الذهبية والفضية والمرايا وفناجين القهوة بظروفها الذهبية المحلاة بالجواهر ، واقسام الشبوكات التى من الكهرمان المطوق بالذهب المحلى بالجواهر . وكان كل جهاز من الجهازات الاربعة يطاف به فى انحاء المدينة محملا على عربات تحت حراسة الجند الراكب ، تتقدمه فرقة موسيقية لارساله الى سراى العروس . وكانت الشوارع التى يمر بها مزدحمة بالجماهير الغفيرة . وكانت شرفات المنازل والفنادق غاصة بالمتفرجين

وبعد ظهر يوم الاحد ١٩ يناير توجهت عروس توفيق باشا ــ التى كانت تقيم فى سراى الحلمية مع والدتها منذ عقد العقد ، الى القصر العالى ، لتقيم فيه حتى يوم الخميس ، ولتشاهد الحفلات التى تقام فيه بهذه المناسبة ولتزف بعدها الى سراى زوجها

وكان من المقرر اقامة المآدب العديدة فى الخارج للاجانب والمصريين ، وفى داخل الحريم للاجنبيات وعدد عظيم من الوطنيات

داخل السراى

كان الاغوات يرشدون ويصحبون المدعوات الى داخل الحريم ، على حين كانت القلفوات ،

(١) الذى نصب غرب شريط سكة حديد حلوان (٢) لم تكن الكهرباء عرفت بعد

ومعهن بعض من تتكلم اللغات الافرنجية واللغة التركية فى استقبالهن من الوطنيات والاجنبيات ، فيحملن عنهن ملابسهن الخارجية «اليشمق والفرجية» ومعاطف الافرنجيات ، ثم يرافقنهن الى الامكنة التى أعدت لكل منهن ، بين عزف الموسيقى بجوقاتها المختلفة ، وأصوات المغنيات ، ومناظر الرقص بانواعه . وبعد تقديم التهانى للوالدة وللاميرات تقدم للمدعوات القهوة والسجاير . وعند تكامل حضور الاميرات وكبيرات المدعوات يقمن الى غرفة المائدة ، وهى غرفة فخمة واسعة تتدلى من سقفها فى الوسط ثريا كبيرة ، على حين زينت الجوانب الاربعة بأشجار نخيل مصنوع من البلور ذى جذع سميك كأنه المنشور الزجاجى يعكس الاضواء التى تسقط عليه من ثريا مثبتة فى أعلى الشجرة . وكانت المائدة على الطريقة الافرنكية

ويلبس الاميرات الملابس الفخمة الافرنجية التى جلبت خصيصا من اشهر محلات «المودة» بباريس ، وقام بضبطها وتكييفها على الجسوم أجنبيات مختصات بفن الخياطة بمصر . وقد جلسن بثيابهن البديعة حول المائدة يشنف اسماعهن أثناء المأدبة فرقة موسيقية ماهرة

وبعد العشاء يرجعن الى الصالون الاول ؟ وهناك تقدم لهن القهوة والسجاير ، ثم ينزلن الى صالون كبير فى الدور الاول ، تجلس الوالدة فى أحد أركانه ، فيقدمن لها التهانى كل بدورها . ثم تبدأ الراقصات ، وتتعدد أنواع الرقص من تركى الى «مازوركه» الى «بولكه» ، وهما رقصتان مزدوجتان على نحو الرقص الافرنجى ، غير أن احدى الراقصتين تكون بملابس رجل — الى رقص السيف الذى يرقصنه بخفة ورشاقة

وكانت الجوقات التى استدعاها الخديو اسماعيل كما قدمنا تقوم بألعابها فى جزء من البهو مفصول بشيش لتتمكن الزائرات الجالسات فوق «شلت» من مشاهدة التمثيل بدون أن يتمكن أحد من رؤيتهن من خلفه . وكان الممثلون بين الفصول يخرجون لتناول المرطبات فى محل مخصوص ، معصوبى الاعين ، ويقودهم الاغوات الى المقصف الموجود داخل الحريم ، ويفعلون مثل ذلك عند عودتهم لاستئناف التمثيل .

وفى الساعة العاشرة تزف العروس . ويصطف الاغوات صفين وبيد كل واحد «فنيار» ذو شمعات تعطى ضوءاً كبيرا . وبين هذين الصفين تسير العروس فى أبهى حلل العرس ، مسدولا على وجهها الدواك الذهبى الرفيع . وتكون العروس محلاة بأكثر مايمكن أن تحتمله من الحلى والجواهر الكريمة . ويسندها فى مشيتها اثنان من الاغوات . ثم تبدر عندئذ البدرة الفضية التى تحملها احدى «القلفوات» فى كيس كبير . وعند ما تصل العروس الى غرفة العرش «الكوشة» ، تجلس على مقعد عال بين أمها وبين الوالدة . ويكثر التزاحم على الدخول لمشاهدة العروس فى حليها الجميلة بسهولة وهناك تنثر البدرة الذهبية

وبدلة العروس مرصعة من الرأس الى القدم بالماس . ثم تخرج العروس من غرفة العرش وتتوجه الى غرفتها الخصوصية ، ثم تخرج بعدها البرنسيسات وتنفض الحفلة

وبعد ظهر يوم الخميس ينتظم موكب زفافها للذهاب الى سراى زوجها . ويتقدم الموكب الموسيقى السوارى وفرقة من المشاة ، وأخرى من السوارى . ثم يتبع ذلك العربات المقفلة ، فيها البرنسيسات قريبات العروس . ثم تأتى عربة العروس — وهى عربة تشريفة كبرى مذهبة يجرها ستة من كرام الخيل — ويقف فى مؤخرة العربة اثنان من الفرلسيين بزيهم المخصوص الابيض القصير الملاصق لاجسامهم . وصداراتهم ذات الازرار المذهبة وقبعاتهم . ويلبس الحوذى والذى بجواره مثل تلك الملابس أيضا . على حين يركب آخر فى نفس الزى على الحصان الاول الايمن . ويحف بالعربة صفان من الاغوات على جيادهم ، وكلهم يرتدون الشيلان المهداة لهم . ويلى ذلك العربات الخصوصية لكبار المدعوات لمرافقة العروس . وعند وصول العروس الى سراى زوجها يستقبلها الزوج وتنحر الذبائح وتزف داخل الحرم ويحسر زوجها النقاب عن وجهها



من كلمات قاسم امين

من الناس من اذا اراد ان يفعل الخير انتهز الوقت المناسب لاعلانه . فاذا رأى شهوداً وضع يده فى جيبه وأخرج كيسه وعد النقود ووضعها ببطء فى يد صاحبه بعد أن يراها الحاضرون ولكيلا يبقى عندهم شكا فى مقدارها يقول لمن تفضل بمساعدته : خذ هذه الجنيهات العشرة . فاذا خرج هذا المسكين التفت الى من حوله وشرح لهم عواطفه وحنوه واعتياده عمل البر . ثم كلما اجتمع فى نهاره بواحد من معارفه أوجد مناسبة ليقص عليه خبر هذا الحادث العظيم . هذا الرجل اراد فعل الخير لنفسه فاستعمل صاحب الحاجة وسيلة لذلك

ومنهم من يريد فعل الخير فيقبل على المحتاج ، فيفتح له قلبه ويصغى الى شكواه ويشاركه فى ألمه ويحزن لحزنه ثم يبذل له من عبارات التسلية وكلمات النصح ما يقوى عزيمته ، فاذا قدم اليه مساعدة مادية دسها فى وسط الكلام والمحادثة وهو مضطرب خائف ان يجرح احساساً شريفاً . يحتال فى انتخاب طرق العرض ويعتذر عن عمله ، فاذا قبل منه شعر بفرح كمن يكون وقع فى ورطة ثم تخلص منها . ذلك هو المحسن الذى يعرف ان للنفس حياء يجب احترامه كما ان فى الجسم ما ينبغى غض النظر عنه

الشرق والغرب يلتقيان

بقلم الاستاذ أمين الخولى

المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

[في هـذا الفصل يناقش الاستاذ أمين الخولي تعليقتين على مادة ابرهيم كتب احداهما الشيخ يوسف الدجوى ، وثانيتهما الاستاذ محمد فريد وجدى ، في الجزء الاول من دائرة المعارف الاسلامية التى قام بترجمتها بعض متخرجي الجامعة المصرية . ويسرنا ان تكون هذه الترجمة قد أثارت مناقشة بين الادباء والعلماء]

.. وان زعم الشاعر السكسونى فى كلمته الشائعة : أن لن يلتقيا ، فله من حكم الفن والهوى ما شاء . أما حكم التاريخ والواقع فلا . فقد التقى الشرق والغرب فى باحة الاعتقاد وضمائر المؤمنين ، وتلقى الغرب مسيحيته عن الشرق . والتقيا فى ساحة القتال ، وتبادلا النصر والفوز والسيطرة والحكم ، فى أقدم القدم ، وما زالا يلتقيان إلى اليوم ، ومن يدرى إلام ينتهى تلاقيهما ؟ . والتقيا فى ظواهر الحياة الاجتماعية ، وتبادلا التأثير والتأثر ، كما تشهد بذلك ماديات ناطقة . والتقيا فى الميدان العقلى ، وتبادلا فلسفة وفناً وعلماً ، ولا يزالان يتبادلان . التقيا كثيراً ، التقيا أمس القريب ، والتقيا اليوم حين هم نفر من شبان الشرق المجدين بترجمة « المعلمة الاسلامية » التى كتبها أقطاب علماء الغرب عن ماضى الشرق وحاضره ، وعلمه ، ودينه ، وفنه ، ونظمه ، وكل ملابسات حياته . ثم التقيا حين أبى شبان الشرق أن يدفعوا إلى قومهم آراء الغربيين وحدها ، وفيها نظرات قد تكون من جانب واحد ، فسعوا إلى رجال يسألونهم وجهة نظر الشرق يلقون بها إلى الغرب ، وجاءتهم تعاليق على آراء المستشرقين نشروها فى القسم الذى ظهر من « دائرة المعارف الاسلامية »

ولشد ما نحب أن يكون ذلك التلاقى الحديث مشرفاً ، يحتفظ بعظمة الشرق القديمة ، ويقرع فيه علم بعلم ، ومنطق بمنطق ، وعمق بعمق ، خالصاً ذلك كله من شوائب الهوى وشيات العصبية ، وأن يكون بحيث يقرؤه أولئك الغربيون فيعترفون ـ ولو فى دخيلة أنفسهم ـ بأنهم اخطأوا فى شىء ، ويجدون نواحى من البحث فاتتهم ، ووجهات من النظر والدقة أعوزتهم . وان يكن أولئك الغربيون قد غلبهم الهوى أو استهوتهم الاغراض ـ وهو مالا أبرئهم منه ـ فما أحب أن نلقى جرماً بجرم ، بل أوثر ثم أوثر أن نلقاهم على سنن آبائنا وبأسلوب أسلافنا ، فلقد كانوا يلقونهم فى حومة الوغى وساحة القتال ، حيث الحرب خدعة ، والكذب شرعة ، بدستورهم النبيل قائلين : « وفاء بغدر خير من غدر بغدر » ، حتى علموا أبطال الشرق الغربيين آداب

الفروسية . فكيف بنا اليوم والمجال عقلى ، والمنطق هو الحكم ، والحقيقة هى الضالة المنشودة ، والهوى مفضوح حيث كان ؟

لقد أقول - غير مرتاح - إن ما نشر من تلك التعليقات - ولا سيا ذات الصلة منها بالدين - قد مسها من التحكم غير قليل لجاءت بحيث لا ترتضى صورة لتلاق الشرق والغرب فى ميدان البحث

فى القدر الذى نشر تعليقتان على مادة ابراهيم ، احداهما لفضيلة الاستاذ يوسف الدجوى ، والثانية لحضرة الاستاذ محمد فريد وجدى . ومع تقديرى للاستاذين أحب أن أعرض لهاتين التعليقتين ، فى أدب للبحث منتظم ، وتوخ تام للحق ، صوناً لعلمية البحث ووفاء للقراء

التعليقة الأولى للاستاذ الدجوى عن أبى ابراهيم ، إذ يقول كاتب المادة « فنسنك » فى الدائرة عن سيدنا ابراهيم : « . . . وورد فى القرآن أنه ابن آزر . وهذا الاسم مشتق فيما يظهر من اسم خادمه اليعازر »

فيقول الاستاذ الدجوى فى التعليق : « قد يفهم من ذلك أن القرآن الكريم يخالف التوراة فى اسم ابى ابراهيم . . . وهذا الخلاف ظاهرى فى الواقع . أولا ان العرب قد تسمى العم والجد أباً . وهذا الاستعمال معروف فى القرآن الكريم نفسه ، كما قال تعالى حكاية عن أولاد يعقوب إذ قالوا لابيهم : « نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق » . ثانيا يجوز أن يكون تارح اسما له وآزر لقباً . . . ثالثاً يجوز ان يكون آزر قد ذكر للذم ، وهو وصف اجرى مجرى العلم ، ومعناه فى اللغة العبرية على ما يقول بعض العلماء « المخطىء » فيكون قد ذكر للذم والتحقير . ويقرب من هذا جعله اسما للخادم كما فى التوراة . ولعله يطلق فى لغتهم على الخادم . إطلاق الاوصاف لا اطلاق الاعلام . . . »

فان يكن الاستاذ قد اراد بذلك التعليق بيان وجه الحقيقة التاريخية فى المسألة فلنا فيه شأن ، وان يكن قد اراد التوفيق الدينى الدافع للتناقض فلنا شأن آخر

فاما من الناحية العلمية فاولا : أن التجوز الأول فى إطلاق الأب على العم - وان يكن قد ذكره المفسرون - فهو ليس إلا تجوزاً لم تقم عليه قرينة ، وهو يفترق عن الآية التى قيس عليها . . . « نعبد إلهك وإله آبائك » لأن جمع الآباء (آبائك) قرينة صارخة على أن ليس المراد الأب الوالد لأنه لا يتعدد ، فليكن الجد أو العم أو من يكون . ولا أتردد فى أن أقول هنا بعدما تناولت هذه المسألة فى درس التفسير بالجامعة ، إن من أوجه التوفيق الأخرى فى هذا الموضوع مالا تقره قواعد العربية وأسلوبها . وليس علينا أن نقف واجمين أمام مثل هذه الأوجه بمجرد ورودها فى الكتب ! على أنا ندع هذا إلى مكان آخر

ثانياً : قوله فى التجويز الثالث : « ومعناه فى اللغة العبرية على ما يقول بعض العلماء المخطىء »

وقوله فى آخر التعليقة : « ولعله يطلق فى لغتهم على الخادم إطلاق الأوصاف لا إطلاق الأعلام »

مثل هذا لا ينبغى أن يقال اليوم مبهماً غير مدلل ، غير مبين فيه أصل المادة ، ومعناها ، واشتقاق الصيغة منها ، مع أن العبرية متكلمة بين ظهرانينا ومقروءة ، ومن الميسور التحقق من هذا فيها ، وإلا تركه الكاتب تماماً . على أن ذكر العبارة هكذا لا إنصاف فيه حتى لأسلافنا أنفسهم لأنهم لم يرسلوها هكذا ارسالا ، بل يقول ابن كثير فى تفسيره ج ٣ ص ٣٤٣ ما نصه : « . . وقال ابن جرير : وقال آخرون هو سب وعيب بكلامهم ، ومعناه معوج . ولم يسنده ولا حكاه عن أحد » . فاذا لم نعرض لتحقيق أصله فى العبرية كما يرجى منا اليوم ، فلا أقل من أن نتهم هذا المعنى اتهام القدماء له ونترك الفصل فى ذلك لذوى الشأن فيه

ثالثاً : هذه الفروض المسرودة والاحتمالات المرددة ، قويها وضعيفها ، قد تحتمل وتقبل فى منع التدافع الدينى ودرء التناقض ، لكنها ليست فى حساب العلم منتهية الى نتيجة ولا محققة لشىء . والباحث الضنين بوقته وجهده انما همه تقرير وجه الرأى فى المسألة ، لا أنها قد تكون وقد تكون ، وربما لا تكون . . فان لم يكن لدينا فصل الخطاب فى الأمر فلندعها للغد ، ولنتركها متشابهة ـ هذا عن الناحية العلمية

أما عن ناحية التوفيق الدينى ـ وقد يكون هو الغرض الأول للاستاذ ـ فليسمح لى أن أسوق ملاحظاتى على طريقته فى ذلك :

أولا : تقريره الخلاف بين القرآن والتوراة ، وسعيه الى التوفيق وسوق أوجهه ، كل هذا اعتراف منه بتقابل المصدرين ـ القرآن والتوراة ـ وهو مالا أفهم اتفاقه مع المقررات الاسلامية فى تحريف التوراة وتبديلها ، فانها ما دامت كذلك لا يكون لها من المركز الدينى ـ ولا العلمى أيضا ـ ما يدفع الى التماس التوفيق بينها وبين القرآن ، واعتبارها مصدراً مقابلا للقرآن . ما هى مصدر ، ولا مرجع فى خبر ولا غيره ما دام ذلك اعتقادنا فيها . ولا علينا من اعلان ذلك وترتيب آثاره عليه ، ولقد يتهمها العلم اليوم مثل اتهامنا الاعتقادى لها أو أكثر

ثانياً : استظهر الكاتب « فنسنك » أن « آزر » فى القرآن مشتق من اسم الخادم ، وهو اتهام صريح للقرآن ، ويزداد الاتهام جلاء بالرجوع الى مادة آزر فى « المعلمة » نفسها (مجلد أول ص ٥٥ من الطبعة الالمانية) . ومع ذلك فالاستاذ يترك هذا الاستظهار دون تعليق ، بل على العكس من ذلك يفهم من كلامه أنه يعتمد عليه إذ يقول فى آخر كلامه : « ويقرب من هذا جعله اسماً للخادم كما فى التوراة ، ولعله يطلق فى لغتهم على الخادم . . » الخ . فكيف لا يواجه الاستاذ هذا الاستظهار وذلك الفرض بالهدم القوى اتماما للمهمة الدينية التى قصد اليها ؟

ثالثاً : سلم الاستاذ بوجود التدافع بين القرآن والتوراة سريعاً ، وراح يرده الى الظاهر فقط ويوفق ، فعل ذلك مع أن فى آية الانعام المذكورة أوجهاً للتفسير وقراءات لا يلزم عليها

كون آزر أبا لابراهيم لاظاهراً ولا حقيقة. فمثلا كلمة آزر ترسم فى المصحف هكذا (ءازر) وفيها أكثر من قراءة وأكثر من إعراب - قرئت (أ أزراً) بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام، وسكون الزاى ونصب الراء منونة، على أن (أزراً) اسم صنم أو بمعنى القوة والتعضيد، وفى قراءتها بالمد مع عدم التنوين (آزر) تخريج لايجعله اسم الأب، وغير ذلك مما لامحل لاستقصائه هنا، فاذا ما لوحظ التوفيق فى التفسير بين القراءات المختلفة لم يكن من السهل التسليم بتسمية القرآن أبا ابراهيم آزر. ولعل البحث فى مثل هذه القراءات وأوجه الأعاريب كان أجمل بالاستاذ، وفيه من التخلص ما ليس فى هذه الترديدات الفرضية، بل فيه ما قد يصحح بعض هذه الفروض التى اكتفى الأستاذ بسردها فقط. تلك جملة من الملاحظات العلمية والدينية على التعليق الاول أو المشهد الاول من تلاقى الشرق والغرب

* * *

وأما التعليق الثانى أو المنظر الثانى من هذا التلاقى ففى آخر مادة ابراهيم عند ما تعرض كاتبها لشخصيته فى القرآن، ذلك التعرض الذى كانت له أخيراً ضجة مدوية - وقد أفرده فيما بعد ببحث مستقل تصحيحاً لاساليب الناقدين - ولا أنقل هنا الاصل لطوله كما لا أستطيع نقل التعليق الملاحظ عليه لطوله كذلك، فأكتفى بنقل فقراته المرادة

فى هذا التعليق لا يتوقع أن تكون التسوية الدينية هى المقصد الأهم لأن اصحاب الشأن الاول فى هذا متوافرون - بل يرجى فيها إن كان تعرض للناحية الدينية أن يكون الاسلوب علمياً محدود المقدمات، مضبوط الدعاوى، سليم النتائج ملتزماً مناهج التحقيق المجربة، لكن التعليق لم يف بهذا. ولى عليه من الوجهة العلمية ملاحظات منها العام ومنها الخاص

فملاحظتى العامة هى أن التعليق على طوله إجمالى خطابى لم يتناول قضايا الكاتب وملاحظاته واحدة واحدة، لتعقب مواضع قصورها أو زلق قلمه فيها، بل رد على ذلك اجمالا وايجازاً، حتى ليضطرنا إنصاف الحقيقة الى أن نقول ان هذا التعليق لم يقع من ملاحظات الرجل موقعاً يذكر

وأما الملاحظات الخاصة ببعض الفقرات فمنها :

١ - يقول المعلق فى أول عبارته ما نصه : « لم يقل واحد من المؤرخين سواء أكانوا مسلمين أم أجانب أن النبى (ص) استعان فى نشر دعوته باليهود بل قالوا . . . » . فانظر لهذا التعميم الذى لا ينهض للاضطلاع به، وتحمل ثقله مائة رجل كالاستاذ وجدى. فهو ادعاء دونه اطلاع القرون وبحث الاجيال، ولن يجرأ عليه من يلزم حدود البحث العلمى . وهب هذا الادعاء صحيحاً فهل شرط قول القائل أن يكون من الناس من يقول معه أو من قال قبله ؟ وماذا يلزم صاحب المادة من عدم وجود أحد فى الدنيا قبله يقول بمثل قوله ؟ ؟

٢ - يقول كذلك : « ولم يكن عرب الجاهلية يمنحون كل ما عليه طابع يهودى أى اعتبار ،

بل الذى ورد أنهم كانوا يكرهونهم ... » . فهل عرف السيد وعرف التاريخ ما يحل له هذا النفى الاستيعابى ؟ يقول العلم فى تواضع : لا . بل لو تنوسى هذا الادعاء غير المتناهى فما عرف عن حال اليهودية فى الجزيرة لا يؤيد هذه الفكرة . ولا نعرض لرد ذلك الآن لأن أهم ما يعنينا أسلوب البحث العلمى

٣ — يقول كذلك : « وليس القرآن الكريم أول من قال إن جد العرب الاسماعيلية أو العدنانية ابراهيم ، ولكن التوراة سبقت الى ذلك إذ قالت .. » . الخ فأى محظور يلزم كاتب المادة بهذا ؟ وهبه مقدساً للتوراة يسكت إن قلنا ذلك ؟ أفنكون قد حججناه وأثبتنا دعوانا ؟ أم تكون قد ألزمناه فقط ، فكيف وهو لا يلتزم شيئاً من هذا ، ولن يمنعه من الملاحظة أن تقول التوراة وغيرها ؟ ثم نقول ثانية : ما هذا الاحتجاج بالتوراة من مسلمين يقررون دخلها ، والعلم ينقض بناءها ؟ لاشىء من هذا كله يعد تكأة علمية عند القدماء بله المحدثين

٤ — يقول المعلق فى سياق اثبات بناء ابراهيم الكعبة ما نصه : « والعرب تسمى كل بناء مربع بالكعبة ، من الطراز الذى يبنيه الناس بأنفسهم وان لم يكونوا بنائين ليجعلوه مصلى ، فهل يستبعد على ابراهيم وكان نبياً باجماع الأمم أن يبنى له ولابنه بناء من هذا الطراز يصليان فيه ؟ » . لا ياسيدى ، لا يستبعد ، بل « يستقرب » لكن هل وقع هذا المستبعد أو « المستقرب » فى الخارج ؟ هل بنى ابراهيم فعلا أو لا ؟ ما كان عدم استبعاده ليثبته ، ولا نعرف هذا دليلا اثباتياً فى مقام الخلاف بين الشرق والغرب على صفحات « معلمة »

٥ — يقول فى اتمام الاثبات السابق ما نصه : « .. واذا ثبت أن ابراهيم أوصل ابنه الى تلك البقعة من بلاد العرب ، وقد ثبت بنص التوراة ذلك ، فيكون من المتعين أن يتخذ له فيه بنية ساذجة يجعلها متعبداً .. » الخ . من المتعين ؟ لماذا ؟ هب هذا معتاداً ، وكثيراً شائعاً ، وغالباً ، وما رادف ذلك ، فهل يكفيك لتقول « من المتعين » ؟ لو كان « الراجح » لجاز . أما المتعين فلن يقال فى منطق العلم نتيجة لهذه المقدمات !

وا كتفى بهذا من الملاحظة على المعلقين فى « المعلمة » المواجهين الغرب بما عند الشرق ، راجياً بل ضارعاً الى من يحملون القلم فى ذلك الميدان أن يتجنبوا الخطابيات ، والصحفيات ، والاستهوائيات ، والتسوية التى توقف الخلاف ، وأن يدعوا ما يستطيعون اثباته ، وأن يحسنوا الى منطق القدماء وطرق مناظرتهم ، ان لم يعجبهم أن يحسنوا الى ما للمحدثين من ذلك . فكلنا حريص على أن ينزل الشرق منزلا مكرماً أمام الغرب حين يلتقيان فى « المعلمة الاسلامية »

امين الخولى

الحكمة الهندية

بقلم الاستاذ الدكتور على العناني

[تحدث الاستاذ الدكتور على العناني فى الجزء الماضي عن حكمة البراهمة ومنشئها وحقيقتها، وعن النفس الانسانية وكيف يفهمها أصحاب هذا المذهب . وفي هذا المقال الممتع يتحدث عن مذهب السنكهيا والبيزاشيكا والكرفاكا من مذاهب الفلسفة الهندية]

مذهب السنكهيا (Sankhya) أو التعدد

يشترك هذا المذهب الجديد مع فلسفة البراهمة التى شرحناها فى مقالنا السابق اشتراكا نظرياً فى فكرة التشاؤم واحاطة الأنسان من كل جوانبه بالشرور، وعمليا فى طريقة التخلص من الشر والأنقاذ من الألم . وأصحاب هـــذا المذهب خالفوا البراهمة كل المخالفة فى عقيدة التوحيد وفى التعمق فى معناها إلى حد رد الوجود المادى إليها والقول بوحدة الوجود . وقالوا بالأثنينية وبوجود الاله

ومؤسس هذه الفلسفة يعرف باسم كابيلا (Kapila) وقد ابتدأ حياته حول القرن الخامس قبل الميلاد

وكلمة سنكهيا التى تسمى بها هذا المذهب معناها العدد. وتدل هذه التسمية على تعدد المبادىء الأولى التى كونت هذه الفلسفة، تلك المبادىء التى ترجع نشأة الكون العام اليها . وخلاصة مذهب السنكهيا أنه مذهب اثنينية وجحود وتشـــاؤم وانقاذ كما ذكرنا وكما سيأتى من الايضاح .

مبادىء الوجود الاولى

ينص مذهب السنكهيا على أن كل موجود إما أن يكون من شأنه أن يلد وليس بمولود أو أن يلد وهو بطبعه مولود . أو ألا يلد وهو مولود . أو فى النهاية لم يلد ولم يولد . والأول هو الطبيعة (براكريتى Prakriti) والثانى العقل (بودهى Buddhi) والمراد به هنا القوة المدبرة لشئون الكائنات ، والثالث الأنية أو الذاتية (أهنكرا Ahankara) والرابع النفس (بورروشا Puruscha) وعلاقة هذه الأجناس الأربعة وما يندرج تحتها من أنواع ومايتصل بالانواع من أفراد وكائنات هى التغاير الكلى فى الجنس والتكوين بالنسبة للاول والرابع أى الطبيعة والنفس . أما الثانى والثالث وهما العقل والأنية فيكونان درجة الاتصال بين الطبيعة والنفس

والطبيعة والنفس مختلفتان في الجوهر وفي العمل ولكنهما معا أزليتان أبديتان وبينهما علاقة كبيرة هي النقطة الأساسية في هذه الفلسفة

والمادة أو الطبيعة هي نفسها أصل الحركة والتغيير. فحركتها ذاتية فيها وكل تأثير أو تغيير يطرأ عليها ناشيء منها وليس وارداً عليها من مصدر خارج عنها. فهي والدة وليست بمولودة والنفس غير متحركة بطبعها ولا ينشأ عنها شيء فهي ساكنة وهي غير متغيرة إلا انها ترى ما يحدث في الطبيعة وتدرك مافيها من حركة. واذا قارنا بين الطبيعة والنفس بناء على ذلك فاننا نرى ان الطبيعة وإن كانت تتحرك وتتغير فلا عقل لها ولا إدراك فيها، وأن النفس وان كانت تعقل وتدرك فلا حركة فيها ولا تغيير. وحدوث الكائنات في حاجة الى الحركة والتغيير والعقل والادراك. واذن فالطبيعة أو المادة والنفس مبدآن قديمان يتمم كل واحد منهما الآخر فيجتمع لها معا مايبرز الوجود وينظم الكائنات

أجل الطبيعة في حاجة الى النفس والنفس في حاجة الى الطبيعة بالنسبة الى حدوث الكائنات المختلفة عنهما، إذ الطبيعة وإن كانت متحركة فانها عمياء لاتعرف لها غرضاً في حركتها ينظم مايحدث عنها. والنفس وان كانت ترى وتدرك فان ماتراه وتدركه انما هو ما يحدث في الطبيعة. واذا كان ماتحدثه الطبيعة غير موجود فلا ترى النفس كائنا ولا تدرك شيئا. واذاً فكل واحدة من النفس والطبيعة محتاجة الى الأخرى في ظهور مافيها من قوة وإبراز مالها من عمل. ومثلهما في ذلك مثل الأعمى المتحرك يحمل المبصر المقعد، يتحرك أحدهما وهو الحامل الضرير بارشاد الآخر وهو المحمول العاجز عن الحركة، فيحدث عن ذلك صحة العمل والتقدم فيه وسلوك السبيل السوي وبلوغ الغرض المقصود

النفس الانسانية والانقاذ

تقرر فلسفة السنكيا أن الغرض الأسمى للحياة الانسانية انما يتحقق بتحرير النفس من قيود الطبيعة ومن الآلام المحدقة بالانسان في جميع نواحي حياته المادية. ولا يحصل ذلك إلا بوساطة المعرفة وإدراك الحقيقة والايمان بها. وهذه المعرفة الموصلة للحقيقة هي إدراك مافي جوهري النفس والطبيعة من اختلاف، والوقوف على أن كل ما يحدث في الطبيعة انما يحدث لغرض بعينه، هو تمكين النفس من رؤية ذاتها، وتوصيلها الى معرفة حقيقتها، وتعريفها بأن كل مايحدث في الوجود ليس ناشئاً عنها لانها لاتلد، ولا يصيبها منه شيء لانها ليست مولودة ولا تتأثر بما يتأثر به المولود

واذا ماوصلت النفس بالمعرفة الى هذه الغاية وصلت بالطبع الى تحريرها من كل مايزعجها من جانب الطبيعة ومن كل تأثيرات القوى الطبيعية. ولا يضيرها مع هذا التحرير بقاؤها مع

الجسد المتحرك ، لأنها والحالة هذه قد انعزلت عنه انعزال صانع الفخار عن عجلة آلته وقد أدارها ثم تركها مستمرة فى حركتها التى لانضره فى شىء

والنفس خالدة بعد الموت خلود الطبيعة . وهى إذا كانت قد تحررت قبل مغادرة الجسد بالمعرفة على ماسبق فان خلودها لايزيد عن دوام الوجود لها بدون إدراك وبدون شعور . واذا كانت لم تتح لها بعد فرصة التحرر

فانها تقع تحت ناموس التناسخ وتشعر بما يصيبها فيه من ألم مستمرة فى ذلك حتى تصادفها المعرفة فتنال النجاة بفقدان الادراك والشعور

تصوف السنكهيا أو اليوجا (Joga)

نشأ عن مذهب السنكهيا تفكير تصوفى عرف باسم يوجا (Joga) . ومعنى هذه الكلمة حدة التفكير أو الاستغراق أو الاتصال . ومعنى ذلك هو الاستغراق فى الحضرة الالهية والاتصال بها

وبين اليوجية والسنكهيا اتصال وثيق فى أكثر المبادىء إلا أن اليوجية تنكر الجحود الذى دانت به فلسفة السنكهيا وتذعن بمبدأ الايمان بقوة الهية . ولقد استعمل اليوجيون طرقاً حادة لانقاذ النفس وخلاصها من الشر بالاستغراق فى الحضرة الالهية مستعينين فى ذلك بالتنويم المغناطيسى وتجريد النفس عن البدن بمختلف الرياضات الشاقة

فلسفة البيزاشيكا (Baisashika)

مؤسس فلسفة البيزاشيكا هو الفيلسوف الهندى المعروف باسم كندا (Canada) . وترجع هذه الفلسفة الى ايضاح مسائل الكائنات المادية وشرح حقائقها وتكوين مذهب الذرات

تقول هذه الفلسفة الذرية : أن كل جسم مكون من جزئيات صغيرة متساوية لاتقبل الانقسام فهى جواهر فردية عناصرها الماء والتراب والهواء والنار . والاجسام من هذه الجواهر الراجعة الى العناصر الاربعة المتقدمة

وأبسط الاجسام الجسم المكون من جوهرين اثنين فقط . ويليه مايتركب من ثلاثة ثم من أربعة فخمسة . وهكذا صعدا

وهذه الذرات الصغيرة أو الاجسام الفردية لاترى بالعين . وأضأل جسم مركب منها تمكن رؤيته يشبه الذرة الحائمة فى شعاع الشمس وسط غرفة قليلة النور . ومن هذه الاجسام الضئيلة تكون الاجسام الاخرى على اختلافها بواسطة استعداد طبيعى فيها

ويرى مذهب البيزاشيكا أن وراء الاستعداد الطبيعى فى الذرات الى ائتلافها ناموساً فعالا فيها . فهى لا تأتلف بنفسها ولا بمجرد الاستعداد الفطرى بها وبدون سبب آخر ، بل يحدث اجتماعها بناء على تأثير سبب عادل يتقدم تركيبها . وهذا السبب هو القوة الالهية

النفس الانسانية

أذعن هذا المذهب الفلسفي أيضا بوجود نفس فى الانسان يخالف جوهرها حقيقة مادة الانسان . وكل علاقات الجسد وما اليه من الظواهر بهذه النفس هى علاقة ألم وعذاب ، فالجسم شر ، وكذا الحواس والمحسات والعناصر الأولية والمدركات الخارجة ونفس إدراك الانسان وعمله واللذة والاستحسان والاستهجان كلها شر ، . والنتيجة النهائية من ذلك أن الغرض الأسمى للانسان فى حياته انما هو انقاذ النفس من الشر . والوسيلة الى ذلك هى الوصول الى المعرفة المقدسة التى تتجلى فيها تلك الحقيقة القائلة باستقلال النفس عن الجسم واختلاف جوهريهما . واذا ماوصلت النفس الى هذه المعرفة ومشاهدة ذاتها فى هذه المعرفة فانها تسمو بجوهرها فوق الشهوات العملية والرغبات العادية وكل أكساب الانسان ، ويزور جانبها عن الخطايا . وهنا تكون قد نالت الاطمئنان المطلق والسعادة الحقة على الدوام

فلسفة كرفاكا (Carvaka) أو المذهب المادى

تنسب هذه الفلسفة إلى كرفاكا زعيمها الأول . وهى عبارة عن تفكير سطحى منحصر فى فى المادة ومكون للمذهب المادى

وأول ما ينكر هذا المذهب الروح أو النفس كقوة مستقلة بنفسها ، ويرى فى الشعور والادراك والعقل انها جميعاً — وإن كانت ليست من العناصر المادية فى شىء — عبارة عن ظواهر عارضة فى المادة أحدثها امتزاج العناصر فى جسم عضوى . وبناء على ذلك فالفكر ناشىء عن التركيب المادى للعناصر الأربعة وهو مظهر لنوع خاص من التركيب ، كمظهر السرور والبهجة من تأثير العناصر المتخمرة أو المشروبات الروحية التى لا تعمل أجزاؤها مفردة ولا ممتزجة بغير الامتزاج المخصوص عملها وهى على هذا الامتزاج المخصوص

وكما ينكر هذا المذهب النفس كقوة مستقلة ينكر خلودها أيضا . ويقرر ان أسمى ما يسعى اليه الانسان فى حياته إنما هو التمتع المادى

وبتقرير ذلك نعرف أن نهاية التضاد قد بلغت اقصاها بين هذا المذهب المادى وبين مذهب البراهمة الروحانى ، وانه يضاد أيضاً جميع المذاهب الفلسفية الهندية فى مسألة الخلاص والانقاذ كما هو واضح مما قررناه عن المذاهب السابقة وما سيأتى تقريره فى شأن مذهب بودهى الذى سنتكلم عليه فى مقال آت

علي العناني

بين العرب والفرنج في آكام البرنيه

باب الشزرى Roncesvalles

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

[في هذا الفصل يتلو القارىء صفحة شائقة من النضال بين العرب والفرنج وعلائق الاسلام والنصرانية ، وعبد الرحمن الداخل وكارل الاكبر، ويجد خلاصة وافية لانشودة رولان الشهيرة]

فى اواخر القرن الثامن الميلادى كان الاسلام فى اسبانيا يجوز معركة الحياة والموت بعد ان كان قبل ذلك بحقبة يسيرة يتدفق الى ما وراء البرنيه (١) بقوة ويسود معظم انحاء فرنسا الجنوبية . وكانت مملكة الفرنج بالعكس قد توطدت دعائمها وانتزعت من الاسلام كل معاقله فى فرنسا بعد ان لبث حيناً يزعجها ويهدد وجودها . وبينما اجتمعت كلمة الفرنج بزعامة الاسرة القارلية (الكارولنجية) وألفت بطلها فى كارل الاكبر أو شارلمان حفيد كارل مارتل ، اذا بالاسلام فى اسبانيا ـ قد افترقت كلمته ومزقت وحدته شر ممزق ، واذا بالاندلس تغدو فريسة الاضطراب والحرب الاهلية ، يتنازع رياستها عدة من الزعماء الاقوياء . وكان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الاموى قد وفد على الاندلس من المشرق بعد ان دال ملك اسرته ، واستطاع بعد خطوب وحوادث جمة ان يؤسس فى قرطبة إمارة تبسط سيادتها على الولايات الجنوبية (١٤٠ هـ ـ ٧٥٦ م) ولكن هذه الامارة الناشئة كانت تقوم على بركان مضطرم من الفتن والقلاقل المستمرة ، وكانت معظم المدن والنواحى الوسطى والشمالية يد زعماء من العرب أو البربر استقلوا خلال الفتنة ، واشتغلوا بتدبير وسائل الخروج على حكومة قرطبة أو بقتال بعضهم بعضاً ، فقضى عبد الرحمن الداخل عهده فى تتبع الثورة واخماد الفتنة ، لايكاد يخمد ثورة فى احدى النواحى حتى تقوم غيرها فى ناحية أخرى . هذا ونصارى الشمال خلال ذلك يغيرون على الاراضى الاسلامية ويعيثون فيها ، والفرنج يرقبون فرص العبور الى اسبانيا وسحق الاسلام فيها بعد أن طاردوه فى جنوبى فرنسا وردوه الى ما وراء البرنيه

فى هذا الظرف العصيب الذى كانت فيه مصاير اسبانيا المسلمة تهتز فى يد القدر ، كان على عرش الفرنج رجل وافر البأس والعزم هو كارل الاكبر أو شارلمان (٢) . وكان كارل منذ ولى العرش (٧٦٨ م) يخوض غمار حرب مستمرة فيما وراء الرين ليقاتل القبائل السكسونية وليرد

---

(١) وتسمى بالعربية جبال البرت (اعنى الباب) أو الممرات (٢) وتسميه الرواية العربية قارله تعريباً لاسم Karl ، وهو الاسم الفرنجي لشارلمان (راجع ابن الاثير ـ مصر ـ ج ٦ ص ٥)

خطر اعتدائها على املاكه ، وليخضعها الى سلطانه . وكانت غزوات الاسرة القارلية تتخذ فيما وراء الرين منذ عهد كارل مارتل جد شارلمان لوناً دينياً عميقا مثلما كانت تتخذ حروب الفرنج مع العرب فى غاليس (جنوبى فرنسا) . ذلك ان حروب الفرنج فيما وراء الرين كانت تقصد الى حماية النصرانية من خطر الوثنية المتدفق من الشرق ، وكانت حروبهم فى غاليس تقصد الى حماية النصرانية من خطر الاسلام المتدفق من الجنوب . وكانت الكنيسة روح هذه الغزوات توحى بها وتذكيها الى جانب شهوة الفتح والظفر . فلما ظفر الفرنج برد تيار الاسلام الى ما وراء البرنيه واستولوا على جميع معاقله وثغوره فى فرنسا ، وفترت تلك النزعة الدينية العميقة التى جعلت غاليس مدى نصف قرن مسرحاً لصراع العرب والفرنج ، بقيت الاطماع والبواعث السياسية تحفز الفرنج الى قتال الاسلام ومطاردته ، وانتزاع اسبانيا أو على الأقل ولاياتها وثغورها الشمالية من يده لتكون معقلا لدرء فوراته ووثباته من الجنوب

وكانت حوادث اسبانيا المسلمة ، وما كان يسودها يومئذ من الاضطراب والتمزق فرصة سانحة . وكانت الولايات الشمالية تضطرم يومئذ بنار الثورة على حكومة قرطبة ، وعبد الرحمن الاموى يقاتل خصومه فى اكثر من ميدان . وكان أقوى هؤلاء الثوار وأشدهم خطراً سليمان ابن يقظان الكلبى (أو الاعرابى) حاكم برشلونة (أو برشنونه) ، والحسين بن يحيى الانصارى حاكم سرقسطة ، فاتحدا وتحالفا على مقاتلة عبد الرحمن وخلعه . وبعث عبد الرحمن لقتالها جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبيد ، فهزمه سليمان وأسره (سنة ١٥٨ هـ - ٧٧٥ م) . واستفحل أمر الثورة فى الشمال . ولكن زعماء الثورة وعلى رأسهم سليمان بن يقظان لم يطمئنوا الى ذلك النصر المؤقت لما يعلمونه من عزم عبد الرحمن وبأسه وروعة انتقامه . ففكروا فى الاستنصار بملك الفرنج ، وسار سليمان الى لقاء شارلمان فى بعض رحلاته فى الجنوب ، يدعوه الى غزو الولايات الشمالية ويتعهد له ان يسلمه بعض المدن والحصون . وتقول الرواية الاسبانية ان الذى دعا شارلمان الى غزو اسبانيا هو الفونسو أمير امارة ليون النصرانية (فى شمالى اسبانيا) . ولكن الرواية العربية صريحة فى ان الدعوة جاءت من سليمان بن يقظان وحلفائه . وهى تقول لنا ان سليمان استدعى قارله (شارلمان) لغزو اسبانيا ووعده بتسليم برشلونه أو سرقسطه (١) . وكان شارلمان قد انتهى يومئذ من الحرب فى سكسونيه وهزم القبائل الوثنية الجرمانية واخضع زعيمها القوى فيدوكنت ، فكانت الدعوة فى وقت ملائم . وفى ربيع سنة ٧٧٨ م كان شارلمان على رأس جيشه فى أكوتين (جنوب غربى فرنسا) ، فعول على ان يفتتح الغزوة الاسبانية تواً حتى لا يفاجئه الشتاء . وقسم جيشه الضخم الى قسمين : عبر احدهما جبال البرنيه من الناحية الشرقية . وعبر القسم الثانى بقيادة شارلمان من الناحية الغربية ، من الطريق الرومانى القديم فوق آكام وسان

(١) ابن الاثير ج ٦ ص ٢١ — واخبار مجموعة فى تاريخ الاندلس ص ١١٢ و ١١٣

جان دى لابور » الشاهقة التى تشرف على مفاوز رونشفال الوعرة ، على ان تجمع الجيشان على ضفاف الايبرو أمام سرقسطه حيث يلتقى شارلمان بحلفائه المسلمين . واخترق شارلمان بلاد البشكنس أو نافار الحديثة (١) وحاصر عاصمتها بنبلونة واستولى عليها بعد قليل . ولما كانت نافار يومئذ بيد النصارى وكانت تابعة لمملكة ليون النصرانية فمعنى ذلك ان شارلمان كان يشهر الحرب أيضاً على مملكة ليون وان النزعة الدينية لم تكن خاصة بارزة فى هذه الغزوة وان ملك الفرنج كان يبغى تحقيق غايات السياسة والفتح قبل كل شىء

ثم زحف شارلمان على سرقسطة ، وكان يعتقد انه سيلقى هنالك حلفاءه المسلمين على اهبة لمعاونته وتحقيق رغباته . ولكن الحوادث كانت قد تطورت عندئذ ، ودب الخلاف بين الخوارج المسلمين ونشبت الخصومة بين سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى ، فامتنع الحسين بسرقسطه وعول على رد الفرنج . ولما اشرف شارلمان مع حليفه سليمان على سرقسطة الفاها محصنة متأهبة للدفاع والمقاومة ، فعبر نهر الايبرو وقدم اليه سليمان رهائنه عدة من الاعيان والاكابر منهم ثعلبة بن عبيد قائد عبد الرحمن بن معاوية ، وكان أسيرا عنده كما تقدم ، ولكن شارلمان لم يستطع الاستيلاء على سرقسطة ، وردت المدينة المحصورة كل هجماته بشدة ، ولم يحقق له سليمان شيئا من وعوده فى تسليم المدن والحصون الواقعة فى تلك المنطقة . ولم يشأ ملك الفرنج أن يخوض فى تلك الوهاد والهضاب الصعبة معارك لم يتأهب لخوضها ، وارتاب من جهة أخرى فى نيات سليمان وموقفه فقبض عليه وغادر سرقسطة وارتد بجيشه نحو الشمال الشرقى فى طريق العودة . وكان ذلك فى نحو يوليه سنة ٧٧٨ م (شوال سنة ١٦١ هـ)

ولكن شارلمان لم يحسب حسابا للطاردة والمفاجأة . وبينا هو امام مدينة بنبلونة يخرب حصونها واسوارها حتى لاتعود الى مقاومته اذا عاد الى تلك الانحاء ، اذا بجيش من المسلمين يندفع فى أثره ويحاول مهاجمته من الوراء . ذلك أن ولدى سليمان بن يقظان ، وهما مطروح وعيشون جمعا فى الحال انصار ابيهما واتباعه وعادا الى الاتفاق مع الحسين بن يحيى وسارا بجيشهما فى اثر ملك الفرنج يحاولان مهاجمته وانقاذ ابيهما من أسره . وكان شارلمان فى ذلك الحين قد غادر بنبلونه متجها صوب البرنيه ليعبرها كرة أخرى الى فرنسا ، وكان عبوره من نفس الطريق التى أتى منها اعنى من مفاوز رونشفال . ويقع ممر رونشفال Roncesvalles الذى يعرف بالعربية « باب الشزرى » فى طرف البرنيه الغربى شمال شرقى بنبلونة وعلى قيد نحو عشرين ميلا منها . وهو أحد ممرات عدة كانت تستعمل منذ الرومان لاختراق البرنيه من الشمال أو الجنوب . وهى نفس الممرات أو الابواب التى كان يستعملها العرب للعبور الى غاليس (٢) ففى مفاوز رونشفال

(١) يسمي العرب نافار « بلاد البشكنس » تعريباً للكلمة الفرنجية Bascons ، ويسميها ياقوت أيضاً « بسكونية » (راجع معجم ياقوت تحت كلمة اندلس) (٢) كانت البرنيه تعرف بالعربية كما قدمنا بجبل البرت من Peurta الاسبانية أي الباب نسبة إلى الابواب والممرات المذكورة

الوعرة حسبما تقول الرواية الفرنجية وقعت المفاجأة الهائلة . ذلك ان الجيش الفرنجي ما كاد يبدأ عبور الجبال حتى اشرف المسلمون بقيادة عيشون ومطروح على مؤخرته وهاجموه بشدة رائعة وفصلوا عنه مؤخرته وانتزعوا منها الاسلاب والاسرى وفيهم سليمان بن يقظان . ولم يستطع الفرنج دفاعا عن انفسهم فى تلك الشعاب الضيقة فمزقت مؤخرة الجيش الفرنجي شر ممزق وهلك فى تلك الموقعة صفوة فرسانه وانجاده . وكانت نكبة مروعة لبث صداها يتردد مدى عصور فى أمم الغرب والنصرانية

وتضع الرواية الفرنجية تاريخ الموقعة فى ١٨ اغسطس سنة ٧٧٨ (ذى القعدة سنة ١٦١هـ) (١) وبينما تقنع الرواية العربية بالاشارة اليها فى عبارات موجزة (٢) اذا بالرواية الفرنجية والكنسية تفيض فى تفاصيلها افاضة ظاهرة . وأوثق وأدق الروايات الفرنجية عنها هى رواية اينهارت مؤرخ شارلمان ومعاصره (٣) . فهو يفصل حوادثها ويذكر من هلك فيها من الامراء والسادة ومنهم اجهارد رئيس الخاصة وانسلم محافظ القصر وهرودلاند حاكم القصر البريتانى . وهرودلاند هو رولان بطل الانشودة الشهيرة التى نظمت عن هذه الموقعة والتى مازالت اثراً خالداً لقريض الفروسية فى العصور الوسطى . ذلك ان الاسطورة اتخذت من حوادث هذه الموقعة موضوعاً لقصة حربية حماسية حرفت فيها الوقائع الاصلية ايما تحريف ولكنها تستبقى مكان الموقعة وبعض اشخاص التاريخ . واليك خلاصة هذه القصة أو الانشودة الشهيرة :

انشودة رولان

غزا شارلمان اسبانيا ولبث يحارب فيها سبعة اعوام حتى افتتح جميع ثغورها ومدنها ماعدا سرقسطة وهى معقل الملك العربى مارسيل . وكان يعسكر بجيشه بجوار قرطبة حين جاءته رسل مارسيل يعرض عليه الطاعة بشرط ان يجلو الفرنج عن اسبانيا . فعقد شارل مجلسا من البارونات ومنهم رولان ابن أخيه . وكان رولان يرى ان تستمر الحرب . ولكن فريقاً آخر من السادة برآسة جانلون كونت مايانس كان يرى الصلح والمهادنة فغلب رأى هذا الفريق لان الفرنج سئموا الحرب والقتال . وأرسل جانلون الى الملك مارسيل ليعقد معه شروط الهدنة . فاغراه مارسيل واستماله بالتحف والذخائر واتفق معه على الغدر برولان وفريقه . ثم عاد الى شارلمان وزعم ان مارسيل قبل شروط الفرنج . وبذا قرر شارلمان الانسحاب . وتولى رولان قيادة المؤخرة . وكان معه باقى الامراء الاثنى عشر وزهرة الفروسية الفرنجية . ولما وصل الجيش الى قمة الممرات الجبلية رأى أوليفر أحد الامراء جيشاً من العرب يبلغ اربعمائة

(١) ولكن الرواية العربية تقدم تاريخها على ذلك فتضعها فى سنة ١٥٧ هـ ٧٧٤ م وهى رواية ابن الاثير ج ٦ ص ٥ والمقرى فى نفح الطيب ج ٢ ص ٧٢ . ولكن الرواية الفرنجية أقرب الى الصحة والتحقيق لانها معاصرة قريبة من الحادث (٢) راجع ابن الاثير — ج ٦ ص ٥ و ١٨ و ٢١ (٣) فى كتابه Vita Karoli Magni أو حياة كارل الاكبر

الف مقاتل. فتضرع الى رولان ان ينفخ فى بوقه ليدعو شارلمان الى نجدته. فابى رولان. وانقض الجيش الهاجم على مؤخرة الفرنج ونشبت بينهما عدة معارك هائلة. واستمر رولان يأبى طلب النجدة حتى مزق جيشه ولم يبق منه سوى ستين رجلا. وعندئذ نفخ فى بوقه يدعو شارلمان. ثم قتل بقية أصحابه ولم يبق سوى رولان وأوليفر واثنين آخرين. ولما شعر العرب ان شارلمان سيرتد بجيشه لقتالهم قرروا الانسحاب. وكان زملاء رولان الثلاثة قد قتلوا. وأثخن رولان نفسه جراحا حتى اشرف على الموت. ولكنه استطاع ان ينفخ فى بوقه مرة أخرى قبل ان يموت وان يسمع صرخة شارلمان الحربية. وسمع شارلمان صوت البوق على بعد مراحل عديدة، فعاد مسرعا وطارد جيش العدو وسحقه. ودفن الفرنج قتلاهم وعوقب جانلون الخائن أروع عقاب. وتوفيت الده خطيبة رولان حينما علمت بموته

هذه هي خلاصة القصة التى ترددها انشودة رولان الشهيرة. وهي ابعد مايكون عن وقائع التاريخ الحق. بيد انها تتخذ مادتها من بعض هذه الوقائع ومن الذكريات والروايات الشفوية المتناقلة. وهي نورمانيه الاصل ظهرت لأول مرة فى القرن الحادى عشر أعنى بعد الموقعة بثلاثة قرون، ودونت أولا فى بعض القصص اللاتينية ثم دونت بالنظم فى قصيدة طويلة تبلغ أربعة آلاف بيت بعنوان «انشودة رولان» Chanson de Roland ولبثت مدى العصور الوسطى من أعظم الآثار الادبية ومن روائع القريض الحربى

***

ماذا كان من أمر عبد الرحمن وشارلمان بعد ذلك؟ استطاع عبد الرحمن بكثير من العزم والجلد ان يخمد الثورة فى الشمال وان يخضع الثوار لصولته وان يحصن الثغور والاطراف الشمالية. اما شارلمان فانه لم يستطع مدى حين ان يفكر فى شئون اسبانيا لأن القبائل السكسونية عادت فنقضت طاعته بزعامة خصمه القوى فيدوكنت. فشغل بقتالها مدى اعوام أخر. بيد أن عبد الرحمن رأى ان يتفاهم مع زعيم الفرنجة وان يؤثر صداقته ومداراته على خصومته. فبعث اليه يطلب عقد الصداقة معه ويكاشفه برغبته فى مصاهرته. فاجابه شارلمان الى السلم ولم تتم المصاهرة (١) واستمر السلام معقوداً بين الملكين حتى توفى عبد الرحمن سنة ١٧٣ هـ - ٧٨٩ م وعندئذ عاد الاضطراب الى اسبانيا، وعاد شارلمان يرقب فرص التدخل والغزو

محمد عبد الله عنان

المحامى

---

(١) المقري عن ابن حيان (ج ١ ص ١٥٥). ولا تقدم الرواية العربية لنا تفصيلا عن مشروع المصاهرة. ولكن المرجح أن عبد الرحمن طلب الاقتران باحدى بنات شارلمان. والمرجح انها «هروترود» كبرى بنات شارلمان، وكانت وحدها تصلح للزواج في ذلك الحين

غيرة

لبول جيرالدي

ترجمها عن الفرنسية الاستاذ اسماعيل سري الدهشان

أنا غيرانُ فقد سلاَ ك قاصي الريف منّي
وُهنا جُنّبتُ وحدي ليس مَن يسأل عني

أبواكِ اصطحباكِ أنا بالصحبة أعلمْ
صحبةَ الآباء منها الـ غادة المراح تسأم

غير أني مع هذا بتُّ غيرانَ كظيما
من ربيع السوء لما شئتِه بعدي حميما

ذلك الأزرق يُنسيـ ك غراماً كان أنسي
وأنا في الغد لن أنـ ساكِ واليوم وأمسي !

قد أحبُّ النفسَ سكرى بالتضنّي والتشكّي
فلبعدي جئت أشكي ولحبي رحت أبكي

صورة هاكِ أراها لك تستعمر رأسي
ما أحيلاكِ لديَّ الـ يوم يا أنعم نفس

أنا غيران فما أعـ مل أم ماذا يكون ؟
إن في باريس جواً مغرياً فيه الفتون

ذاك مغرٍ غير أني غاضب أبغي كتابي
لك يا صغرايَ يا شغـ لي ويا روح شبابي !

يا لوهمي من أراه ؟ أينت الأوراق أينت
أنت ما أحلاك في قبـ ـعة معك أظلت
تزدهي في قشها الأثـ ـمر مع زرق الزهور
تبعث الشمس الى وجـ ـهك في ألطف نور
واذاً تنسين من بر جوك في الحدس خيالا
فيرى من تيمنه أسعد الغادات حالا
آه أبكي وسأبكي من شجوني في غضب
بالشهر سوف يمضي في المآسي والتعب
نسّنوا عودَكِ فيه فتمتطي كالحقب
أنتِ لي ألزمُ مَن يحـ ـتاج حسي عن كثب
ذهب الدهر وما كا يوم في الشوق ذهب
غاظني منه الهواء الر طب إذ رق وهب
دبَّ في المسكن حولي يا لوحبي حين دب
ليت فيه جئتِ حتى كان بجفوني الوصب
إنما يهنأ لي أذ لك مثلي في كرب
ذاك مني ليس ظرفاً وليكن سوء أدب
قد طغى الحب وفي الطغـ ـيان ينسى ما وجب
قدمي لي أسفاً أبـ ـغيه عند المنقلب
وانكري شأن ربيع نعمةَ القلب سلب
وإذاً يذهب كيدي ويوافيني الطرب
رغم، عتب يؤلم الرأ س فمن حبٍّ عتب

اسماعيل صبري الدهشان

كيف صدمتني باريس

بقلم الدكتور بشر فارس

. . . دخلت باريس ووهمى يملأه ما قرأت عنها . وكنت أخذت ـ والقطار يحملنى اليها ـ أعرض ما أعرفه عنها . ومما يعجب له اننى لم أعرض ماقرأت وأنا شاب ، فى حين اندفعت أذكر ما قرأت وأنا غلام . فحضرتنى قصص (اسكندر دوماس الكبير) تلك القصص التى تطرد بين جنبيها الحوادث والنوادر وأخبار الفتوة لعصور ولت . والذى يؤخذ من هذا الامر العجيب ان الذى يرسخ فى ذهن الانسان أيام الطفولة والمراهقة أبعد المدركات غوراً وأجل المحسات أثراً

دخلت باريس وفى ظنى اننى هابط داراً هجرتها من قبل . ووالله لم يدر فى خلدى اننى منتقل الى عيش لم يسبق اليه وهمى . ولو أنبأنى أحد من الناس اننى سأنقلب فى تلك المدينة رجلا أول من ينكره أنا لضحكت فى وجهه

دخلت باريس ليلا فما أنالنى القطار أرضها حتى استك سمعى ودار عقلى إذ وقعت فى «محطة» لو ألقيت فيها « قنبلة » لابتلعت الضوضاء دويها ولو حاولت التجوال فيها لخرجت من بين أرجائها معصوراً . ولولا من الله ما بلغت بابها إلا وفى أذنى وقر وفى جوارحى تكسير . وسرعان ما أشرت الى واحد من « التاكسيات » فتهالكت على مقعده ثم جعلت ـ وهو يرتفع بى وينخفض كأنه ناقة من نياق أجدادنا رحمهم الله ـ استشف زجاج الباب عل عينى تقع على ما حضرنى من قصص (دوماس) وأنا فى القطار ، واذا بى لا أصيب شيئاً منها . ولكن العناد أخذ منى مأخذه فطفقت أتلمس ما تصورته كأننى شق على ان تتساقط تمثلاتى . وعزيز على الانسان ان ينهد ما شيده وان كان وهما محضاً ـ فتأمل بربك ضن الانسان بما لديه ثم اضحك من مكابرته

وفيما أنا أحاول تحقيق ما تمثلت اذ انبسط أمامى ما أخذنى شيئاً فشيئاً . فتراجعت تمثلاتى وحل محلها صور هجمت على هجوم العدو الكامن . ولم أقو أن أتبصر فيها لساعتى شأن من يفاجئه أمر يملك عليه مسالك شعوره فيتركه مبهوتاً لا قدرة له على التفكير

أول الصدمة

أول ما صدمنى فى باريس الطبيعة فى فصل الخريف : سماء مغبرة مربدة أبداً كأنها ربة دار جامدة الكف تتجهم لضيوفها وتقطب ما بين عينيها . سماء منهملة تترادف امطارها ترادف الليالى السود . ثالجة أحياناً كأنها مستودع قطن ينفطر الحين بعد الحين ـ ثم أشجار مسودة اسوداد القدر فى عين الاشقياء . متخددة عوار كأنها عجائز متجردات . باكية بدموع

المطر كأنها تندب حالها . منصوبة الواحدة عقب الاخرى كأنها جماعة من الاسرى يعرضهم من غلبهم على أمرهم ليتبين مبلغ مسكنتهم . ثم برد قارس يتسرب فى نواحى العظم تسرب السم فى مجارى الدم فيقبض الاصابع ويورم الرجلين ويشنج الاذنين ويدمع طرف الانف

ولقد والله بلغت مظاهر تلك الطبيعة منى كل مبلغ ، فكنت أذهب فى الطرقات وكل من إحساسى وادراكى متنبه يقظ . وكان يعرض لى حينئذ ما يصرفنى عن مظاهر الطبيعة : ومن ذلك نساء مهرولات فى مشيهن هرولة الليالى البيض . كأنى بهن مسرعات إلى عشاق - ورجال سالكون أيديهم فى جيوبهم اتقاء البرد كلما رأوا موقداً مشعلا عند باب مقهى انطلقوا اليه وبسطوا أيديهم فوقه لحظة ثم استأنفوا سيرهم . وان وقفوا رفعوا أرجلهم ثم وضعوها لئلا تتشنج . وان تحدث بعضهم الى بعض كان أول ما ينطقون به : « لا حر اليوم ! »

صدمة الاخلاق

لما أتيح لى ان أخالط أهل باريس رأيت كيف تختلف أخلاق القوم عن أخلاقنا . ولأقصر الكلام هنا على ثلاثة أمور : الانقباض ، والامساك ، والتهاون برعاية المرأة

أما التهاون برعاية المرأة فلا يراقب الباريسيون نساءهم أو لايكادون ، ذهاباً منهم إلى ان المرأة فاجرة إذا شاءت عفيفة إذا شاءت . فليس فى وسع الرجل ان يبدل من طبيعتها أو يصرفها عن هواها

وان امرأة زلت فرحمة زوجها - على الغالب - واسعة . وليس لاهلها أن يداخلوها فى أمرها فيأخذوها بهفوتها . ولربما بلغ تهاون الزوج بعرضه ان يطلق العنان لزوجه فيملكها أمرها ويغتمض عن صنيعها على ان تخليه وما يريد . ولتلك الامور التى لا تسوغ لنا علل بين خفية وبينة ليس هنا موضع الكلام عليها

وأما الامساك فما أظن شيئاً أورثنى الاشمئزاز فنفرنى من الباريسيين بعض الشىء مثل تقتيرهم

والغريب ان القوم يفخرون بحرصهم على المال فيجعلونه من مزاياهم . ولقد اتفق لى ان أجتمع يوما بباريسى فى مقهى ، فاخذ يتبسط فى فضائل الحرص لعله يدل على رفعة شأنه . فقاطعته وقلت له : انه ليحضرنى - وأنت تدافع مثل هذا الدفاع عما تتساهلون فى تسميته « الميل الى الاقتصاد فى النفقات » le goût de l'épargne - مثل من أمثالنا العامية فى مصر . قال : «هاته» قلت : « اللى على راسه بطحه يحسس عليها » ، ثم ترجمت له المثل وشرحته . فعرفت فى وجهه الغضب ، فما أبطأت حتى استدعيت غلام المقهى ونقدته ثمن ما شربنا . فاطمأن الرجل وانبسطت نفسه ثم افترقنا حبيبين

وأما الانقباض فقد كنت عهدت فى ابناء مصر انطلاق الوجه . واذا بى فى باريس أصيب وجوهاً مقفلة . والسبب فى ذلك ان الباريسيين يميلون الى الانزواء وينفرون من الغرباء .

الا انني لابست بعضهم حتى أصبت عندهم وجوهاً متهللة . والذي يبدو لي ان الباريسي صعب الانقياد قليل الاستسلام مزور عن الغريب استخفافاً به أو توجساً منه

تلك مثالب للباريسيين وسوس الى الشيطان ان أنشرها . وقبيح بي ان أقع في القوم ، و بخاصة ان لبعضهم أيادي عندي ، ولكني أشرح هنا كيف صدمتني باريس فلم يكن لي بد من التعرض لما تعرضت له ــ على انني أصبت في الباريسيين مكارم يعوزنا بعضها . منها : الصدق والصراحة وعلو الهمة والتماسك

صدمة الحرية

ان الحرية في باريس لما يحير العقول ! وكأن القوم هنالك قد شغل كلهم بنفسه عن الآخر فلا يبالي به ولا يسأل عنه ولا يرقبه . حتى ان النساء إذا اجتمع بعضهن الى بعض وتطارحن الاحاديث لا يندفعن في القيل والقال . والحرية عند الباريسيين حق حرام يعتصم به الزوجان والولد والعامل والمعامل . أفليست ركنا من أركان شعار الجمهورية ؟ ألا وهو : « الحرية والمساواة والاخاء »

ومما جعلني أفطن الى منزلة تلك الحرية انني رأيت الفتاة الصناع اليدين تتخذ خدناً بمرأى من الناس وعرضها وافر . ولما تبينت الامر علمت ان المرأة صاحبة الامر في نفسها . فلها ان تهبها لمن تشاء . اللهم إلا إذا كانت متزوجة أو مخادنة

على ان حرية الواحد من الباريسيين تقف حيث تبتدىء حرية الآخر . ومعنى ذلك ان الحرية تقيدها مراعاة الناس . فللباريسي ــ مثلا ــ ان يلهو ويعربد ما شاء ان يفعل . إلا أنه لا يحق له أن يضج في الشوارع والناس نيام

صدمة الالقاب

غادرت مصر ولفظتا « الباشا » و « البيه » تضطربان في سمعي . وإذا لفظتا « الكونت » و « البارون » وما اليهما لا تلفظ في باريس إلا في هزؤ . ومعلوم ان الخلق هنالك قد خرجوا على أرباب الالقاب لخمس وأربعين ومائة خلت اذ سنوا المساواة . وقد بلغت فكرة المساواة بالعامل أنه لا يعد نفسه دون رب العمل ، فان جلس اليه خارج العمل لم يكن بالمتذلل ولا بالمتضائل وان كلمه رب العمل لا يجرؤ أن يقول له : « يا شاطر » كما تقول نحن لاجرائنا

بيد أن الباريسيين على درجات ، شأن الناس في جميع الامصار (حتى في بلاد السوفيت) . وانما المال ما يميز الطبقة من الطبقة . وأظن أن الحسد وما يعقبه من حزازات وضغائن هو مبعث الحرب التي ينصبها العمال لأرباب الاعمال من طريق النقابات وما يأخذ مأخذها

هذا وان غلت المعيشة في باريس فانما السبب في ذلك ان الاجراء على اختلاف ضروبهم ينظرون الى الاغنياء ويتطلعون الى عيشتهم . ومن الامثلة في ذلك ان المرأة الخادم تلبس جوارب حريرية اقتداء بسيدتها

صدمة العلم والتعليم

قدمت باريس طالباً للعلم . وكنت أحسب اني على شيء منه . فسرعان ما أدركت ان بيني وبين العلم الحق ما لا يقع البصر عليه . ذلك بأني فطنت إلى ان معارف هذا العصر على فنون كثيرة . فلابد لمن يطلب العلم ان يجعل عقله موسوعة مصغرة . ثم اني أخذت عن أستاذي ان الذاكرة ليست بشيء بجنب التفكير . ثم تحقق لي ان ذلاقة اللسان وبراعة التعبير وغير ذلك من فنون الخطابة والبلاغة والفصاحة إنما هي في المحل الثاني - في حين ان رجاحة الرأي في المقدمة والطليعة . وأن التحصيل ليس بين يدي الفهم والحافظة ولكنه موقوف على التزود من العلم ليوم آت . وان الأخذ باطراف كثيرة من الفنون لا ثمرة فيه ، بل الخير كل الخير في استقصاء بعض المطالب استقصاء يحمل النظر على الادمان والتأمل ويعود الفكر الصبر على البحث . وان ما أتلقى في دور التعليم ليس إلا ذريعة فكأنه المعراج الذي فيه أصعد الى العلم

صدمة المرأة

كان الراسخ في ذهني - قبل قدومي باريس - أن المرأة فيها لا تنزه الهوى عن الفجور ولا تصون الحب عن المادة ، فكدت أميل عن عشرتها أول الأمر . فلما هيأ الله لي ان أخبرها عرفت فيها الحب المحض وأصبت عندها أركانه : الاخلاص والتفاني والتضحية والمناعة والشدة

ثم علمت انها لا تقوى على العيش من دون الحب مهما تنحدر بها الدعارة وانها - بعد هذا - لا تقيم على حبها فراراً من السأم

ومهما يكن من أمرها فانها تهتدي الى عمل المرأة في هذا العالم . ذلك أنها علمتني كيف تكون المرأة شريكة الرجل في سعيه ، من حيث إنها تقويه ان وني وتعلي من همته ان تقاعد وتؤويه إن تشرد وتسكن منه إن ثار وتريحه أن تعب وترفه عنه ان اغتم ، ثم تشعل له ذلك المصباح الذي يهتدي بضوئه في ظلمات الحياة المادية فيطمئن الى أن الروح لم تفارق العالم - ولولا الايمان بالروح لبطلت الحياة

* * *

تلك صدمة باريس لي . على أن ثمة أموراً أخرى نالت مني منالها وبقي أثرها بين جوانحي وسيبقى . الا أني كتمتها هنا قاصراً همي على عرض بعض مظاهر بين طبيعية وخلقية وعقلية واجتماعية . ومعلوم انني أغفلت مابذلته لي باريس من أسباب الاختبار العادي - ذلك الاختبار الذي يصيبه الرجل كائناً من كان في بلد كائناً ما كان على أن يمتحن الدنيا

ومغزى القول ان صدمة باريس لي ردتني رجلا آخر . وان قدر لي أن التفت الى ما انسلخ من الزمان كان اليوم الذي فيه دخلت باريس من الاعلام البارزة في طريق حياتي الملتوية

بشر فارس
دكتور في الآداب من السربون

بنية المرأة

وهل تمكنها من مزاولة كل الاعمال

للدكتور محمد زكي شافعي

اذا استعرضنا الاعمال التى كانت تقوم بها المرأة منذ القدم علاوة على وظيفة الامومة والعناية بالشئون المنزلية وجدنا أن لها الفضل الاكبر فى تقدم الصناعة ، لان الرجل كان يقوم عادة بالاعمال الشاقة العنيفة كالصيد والقتال بينما كانت تقوم بأعباء الاعمال التى تلازمها الطمأنينة والسكينة كالحياطة والنسج والزرع ، ثم أغار الرجل تدريجيا على أعمالها واشترك معها فى كل صناعة كانت فى البدء من غرس يديها ، وتمادى فى اغارته بأن اخترع آلات تقوم بالاعمال التى كانت من شئون المرأة ، ولكن القصد الثوى على الرجل بأن أدخل على هذه الآلات من التحسينات ما صيرها فى غير حاجة الى قوة الرجل ، فأغارت المرأة بدورها على الصناعة ومعظم المهن والحرف وأصبحت تزاحم الرجل مزاحمة جدية فى جميع أبواب الرزق ، وابت المرأة على نفسها ان تعيش عالة على الرجل أو أن تظل له متاعا وأداة لهو . وانا لنشاهد الآن حرباً عواناً بين الجنسين وتكالبا على جميع أبواب الرزق . وانه وان كانت هذه الحالة تختلف شدة وخفة فى الممالك المختلفة الا أنه نشأت عن دخول المرأة كل ميادين العمل مسألة لها خطرها ،وقد اهتم لها رجال الصحة وان كانوا من الجنس الذى أعلنت عليه الحرب لان رجال الطب والصحة رسل رحمة وسلام يوفرون أسباب الصحة أينما حلوا ويلبون نداء الانسانية فى كل زمان ومكان لا يميزون بين الصديق والعدو . ولما كانت النساء قد زججن بأنفسهن فى كل حرفة ومهنة فقد وجب على رجال الطب أن يعنوا ببحث صلاحية المرأة لاى نوع من العمل ومدى تحملها للمشاق بدون ان تتأثر أجهزتها

ولما كانت مصر قد ابتدأت نساؤها فى الخمسين سنة الماضية بالأخذ بنصيب كبير من الاعمال واحتراف مهن عدة كمهنة التعليم والحياطة والكتابة والزراعة وغيرها خصوصاً وأن تعدادهن يزيد عن نصف تعداد الامة ومن الظلم أن يترك هذا الجيش العرمرم با كمله بغير عمل ، لذلك رأيت ان أثير الموضوع من الوجهة الطبية والصحية تاركا الوجهة الاجتماعية لغيرى من رجال الاجتماع لكى تكون الامة على استعداد للمحافظة على صحة نسائها التى إذا اعتلت كان فى ذلك الدمار للأمة باجمعها . ولنبدأ بالكلام على كفاية المرأة الجثمانية مع مقابلتها بكفاية الرجل

الكفاية الجثمانية للمرأة

المرأة عادة أقصر من الرجل وأقل قوة وهي ليست هيكلا مصغراً للرجل فحسب، بل ان بناءها يختلف عن بناء الرجل فجذعها أطول نسبيا من جذع الرجل وأطرافها أقصر من أطرافه والنسبة بين سواعد المرأة وسوقها وعضدها وفخذها أقل منها بين اعضاء الرجل. وأجزاء القسم السفلى قصيرة بالنسبة للقسم العلوى كما ان متوسط وزن المرأة أقل من متوسط وزن الرجل في سن واحدة. وقد وجد أنهما ولو تساويا وزناً فالمرأة لا تعادل فى قوتها الا نحو نصف قوة الرجل. ويظهر ذلك جليا فى المسابقات الرياضية عدواً، فالرجل يقطع ١٠٠ ياردة عادة فى ١٠ ثوان بينما المرأة تقطع هذه المسافة فى نحو ١٣ ثانية. وفى السباحة يقطع الرجل هذه المسافة فى ٥٩ ثانية. والمرأة تقطعها فى دقيقة و٤ر١٥ ثانية، كما ان غالبية النساء لعدم ممارستهن الرياضة البدنية ولاعتيادهن الحياة المنزلية هن أقل كفاية من الرجال فى الاعمال المتعبة وهن فى حاجة دائمة الى شيء من الراحة والمرطبات أو غيرها فى أثناء العمل الطويل

وأما من جهة الفوارق الفسيولوجية فذكر (حايم) ان الكريات الحمراء أكثر عدداً فى الرجال منها عند النساء ومتوسطها بنسبة ٥ للرجال الى ٤ر٧ للنساء. ووجد (كادث) ان متوسط ما فى المليمتر المكعب الواحد عند الرجل ٢ر٥ ملايين كرية حمراء وفى المرأة ٩ر٤ ملايين. وان كان ذلك يختلف بحسب البنية وأصل الشعب. وهذا الفرق يتبعه بطبيعة الحال ارتفاع الثقل النوعى للدم فى الرجال عنه فى النساء وزيادة المادة الملونة. فنخرج من هذه الحقائق بأن الرجل أكثر ملاءمة للاعمال الجثمانية. وهناك مسألة تمدد الاوردة ولا سيما فى الاطراف فانه وان كان الجنسان معرضين لهذه الحالة بنسبة واحدة تقريبا فان الوقوف المستمر — ولمدة طويلة مما يستدعيه كثير من الاعمال — يساعد على حصولها. وهذه الحقيقة لها اهمية خاصة بالنسبة للنساء بسبب استعدادهن لالتهاب الاوردة الذى ينشأ عن هذه الحالة وللطرف السفلى الابيض عند الوضع

وقد وجد أيضا ان الحرارة التى تتولد من جسم الرجل فى اثناء الراحة تزيد — من ٥ الى ٨ فى المائة — عنها فى المرأة التى فى نفس السن والمساوية للرجل فى الوزن وطول القامة. غير ان المرأة عندها استعداد للسمن أكثر من الرجل. ولذلك كانت أكثر صبراً من الرجل على تفاهة الغذاء وأوفر طاقة مختزنة وعندها مادة مدخرة ترجع اليها وقت الحاجة. وهذا يفسر سر قناعة المرأة بقطعة من الشوكولاته أو بقليل من الحلوى بدل أكلة مغذية كما يفسر أيضاً شكوى السيدات العاملات من امراض الجهاز الهضمي كعسر الهضم والامساك الذى يكون سببه اما المبالغة فى القناعة أو الافراط فى تناول المواد الدسمة أو الحلوى

وقد يكون البحث الفسيولوجي ناقصاً إذا لم نذكر شيئاً عن الحيض وهو ظاهرة طبيعية شهرية

لا يؤثر فيها العمل الا اذا كان مضنياً – وإن كان يقول (لى) بأنها تنقص من قوة المرأة العضلية فى أثناء الحيض نحو خمسة فى المائة – وقد يكون العمل العضلى الخفيف علاجا للحيض المؤلم ، لانه ليس من شك فى ان الجلوس المستديم يسبب احتقان الاحشاء القطنية ويتبع ذلك حالات مرضية فى جهاز التناسل وامساك وبواسير وأعراض مضايقة كآلام الظهر والساقين وغير ذلك . ولعل الوقوف المستديم مع ما يتبعه من ضرر هو أخف ضرراً من الجلوس المستديم ولا ننسى الانيميا المشاهدة فى النساء أكثر منها فى الرجال وللامساك دخل كبير فى حدوثها

وأما التنفس فالملاحظ فى النساء اللاتى يعنين بمجاراة العصر الحديث – فى ارتداء الملابس من أحدث طراز – ان تنفسهن صدرياً أكثر منه بطنياً بعكس الرجال . ولذلك كانت كمية الاوكسيجين التى يحصلن عليها أقل . ولو كن يرتدين الثياب الفضفاضة غير الضيقة لتساوين والرجال من هذه الوجهة . فهذه الحالة ليست متأصلة فى طباعهن بل طارئة بسبب تهافتهن على ما يوفر لهن اسباب التسلط على عواطف الرجال ، حسب اعتقادهن ، ولكنى كطبيب ورجل اقرر أن الصحة هى الدعامة الكبرى التى يقام عليها صرح جمال المرأة

ومن الظواهر الطبيعية التى تعوق المرأة عن مسايرة الرجل فى العمل حتى النهاية استعدادها للامومة ووجوب قيامها بهذه المهمة الحيوية للامم ولبقاء النوع . وهذه الظاهرة الطبيعية تعطلها عن اى عمل تزاوله فترة تتراوح بين أربعة وستة أسابيع قبل الوضع ومثلها بعده . وقد يكون الحمل مصحوباً بمتاعب أخرى معطلة للعمل كما قد تكون الامومة مصحوبة بشواغل هامة بسبب تربية الطفل

اما عن مقاومة الامراض فليس بصحيح مايقال من ان المرأة أكثر تأثراً من الرجل بالوسط غير الصحى الذى يكون محيطا بها . ومما سبق يتضح ان المرأة اكثر منه مقاومة للامراض . والواقع أن نسبة الوفيات بين النساء هى فى الغالب أقل منها بين الرجال

الكفاية السيكولوجية أو العقلية

ان متوسط وزن مخ الرجل هو من ٤٦ الى ٥٣ أوقية ووزن مخ المرأة من ٤١ الى ٤٧ أوقية ويصل مخ المرأة الى أقصى وزن فى سن ما بين ١٥ و ٢٠ سنة ثم يتناقص حتى سن الخمسين ومخ الرجل يصل الى أقصى وزنه فى سن العشرين ويستمر فى الزيادة حتى سن ٣٥ ثم يتناقص حتى سن الخمسين . ثم يزيد فى الجنسين ما بين الخمسين والستين ثم ينقص بعدئذ بسرعة كلما تقدمت السن . هذا ونسبة وزن المخ للجسم فى الجنسين واحدة ولكن لا يمكن اتخاذ هذه الفروق مقياساً لاختلاف الذكاء بين الرجل والمرأة . أما الفروق الجنسية من الوجهتين النفسية والعقلية فلا تتوقف على الفرق فى الكفاية أو نوع النشاط العقلى بل تتوقف على اختلاف المؤثرات الاجتماعية من الطفولة الى

البلوغ — التي تؤثر في الانسان النامى . وما اختلاف توزيع العمل عليهما الا نتيجة ضرورة فسيولوجية لا بسيكولوجية أى عقلية

ولا يفوتنا ان نذكر الامراض العقلية المصحوبة بتهيج عصبي وهي التى تكثر بين النساء دون الرجال كالهستيريا . واقصد بها الاضطرابات التي تحدث في بعض وظائف المخ بدون ان يكون به اى مرض عضوى . ويندر ان توجد امرأة خالية من عرض من اعراضها . وهذه الامراض مهما تقدمت طرق معالجتها فانها عسيرة الشفاء . ولا شك في ان لها دخلا كبيراً في كفاية المرأة للعمل فضلا عن راحة بالها وهنائها . وقد عللت كثرة حدوث الهستيريا بين النساء بأسباب عدة ليس اليوم مجال الكلام عنها . ومن بين هذه الاسباب التي تمس موضوعنا عدم الزواج او الزواج المتأخر جداً . وهاتان الحالتان تلازمان المرأة اذا جنحت للعمل اذ تغلب العزوبة بين المشتغلات بالعلم او العمل أياً كان نوعه بينما لا يقلل العمل من كفاية الرجل للزواج غالباً . ولقد وجد بالتجربة ان المرأة اكثر اجتهاداً من الرجل في الاعمال التي تمارسها واكثر منه مثابرة عليها وخصوصاً الاعمال التي هي على وتيرة واحدة اى من نوع واحد متكرر اذ انها اقل منه ابتكاراً واختراعاً . ولعل سبب هذا يرجع الى ان مهمة الرجل في اول نشأته كانت مطاردة الحيوانات وقتلها ولذلك كان مضطراً الى اختراع آلات للقتل والقنص ثم تدرج من ذلك الى اختراع مختلف العدد والآلات بصفة عامة ثم اعتاد بعد ذلك تقوية مداركه العقلية وتنميتها بينما كانت مهمة المرأة الزرع وتربية الاطفال ومزاولة بعض الصناعات كما ذكرنا . وهذه امور لا تحض كثيراً على الابتكار والاختراع . ولقد كانت قوة الابتكار في المرأة موجهة الى منتجات الصيد لا الصيد نفسه . وكان يساعد على نقص قوة الابتكار عندها قلة حركتها — بخلاف الرجل في الزمن الغابر — فضلا عن عملها الممل . ولذلك امتاز نشاط الرجل الذهني بأنه انشائي بينما انطبع نشاط المرأة بالمحافظة على ما اعتادته . ولكن تقدم المدنية وما تبعه من تطور وارتقاء دفع بالمرأة في كل ميدان من ميادين العمل . ولا شك أن صفاتها ومميزاتها الموروثة اذا تعهدت بالرعاية والعناية كانت عاملا مهماً من عوامل تقدم المدنية . واهم هذه الصفات الصبر على العمل الآلى والغير المتنوع . وهذا ما يحتاج اليه الآن كثيراً في اغلب المهن كمهنتي الكتابة والتعليم وغيرهما . ولا يمنعها استعدادها العصبي من القيام بهذه الاعمال

النتيجة

مما ذكرته ومما ثبت من تجارب من سبقونا في معالجة شئون تعليم البنات ودخول النساء مضمار الحياة العملية يتضح ان الفوارق الجنسية ليست بمانعة المرأة من ان تشتغل كالرجل ولكن لكل من الجنسين ميدان للعمل يصلح له . وفي الواقع ان مركز المرأة قد تغير منذ القرن التاسع عشر اى من وقت ان دخلت الفتاة المدارس العالية في البلاد الغربية . والفتاة في الدراسة

العالية مدعاة على الدوام للاعجاب بما تظهره من الاعتدال والسكينة والاجتهاد والغيرة في عملها . ولا توجد في وقتنا الحاضر مهنة أو حرفة لم تدخلها المرأة ولكن بسبب حالتها الفسيولوجية الخاصة وضعت الامم الغربية قيوداً خاصة بصحة النساء اللاتي يشتغلن في المصانع والمعامل . ومصر في طريق الاخذ بهذا الاحتياط

وليس هناك أدل على الميل العام لتعليم الفتاة التعليم العالي من الارقام الآتية فانه في سنة ١٨٩٠ كان عدد الفتيات في المدارس الاعدادية والعالية والخصوصية بالولايات المتحدة ٤٤٢٢٩ وقد بلغن سنة ١٩٢٤ — ٢٣٥٥٢١ نال منهن الدرجات العلمية ٣٦٢٥٨ وفي عام ١٩٢٦ زاد عددهن الى اكثر من ثلث جميع الطلبة فتياناً وفتيات . وقد كان ببريطانيا العظمى بمدارس الاعانة الثانوية في سنة ١٩٢٤ — ١٧١١٧٦ فتاة وكان عدد اللاتي دخلن الجامعات في سنة ١٩٠٩ — ٣٦١ فتاة . وفي سنة ١٩٢١ زاد عددهن الى ١٣١٤ . وفي مصر تتقدم الفتيات نحو التعليم الثانوي والعالي بخطوات واسعة . وقد قبلت المدارس الثانوية هذا العام ٥٠٠ فتاة مع قرب العهد بفتح هذه المدارس للبنات

ولقد شعروا في البلاد الاجنبية كالولايات المتحدة مثلا بشيء من النقص في تعليم الفتاة فاخذوا يلقنون البنات فن الـ Eugenics وهو فن يعنى بتدبير المنزل وبناء الاسرة وتربية الاطفال وتحسين حالة المجتمع . ويعنى بعض الكليات — بمعاونة مؤسسة روكفلر — بمعالجة حالة التبرم الناشئة عن قطع حلقة الاتصال بين تعليم الفتاة والحياة المنزلية . ولعل ذلك نتيجة مغالاة الفتاة في تقليد الرجل في كل شيء . وها نحن أولاء قد رأينا ان وظائف اعضائها تختلف في كثير من الاحوال عن الرجل وأن نقلدها الاعمال بغير قيد ولا شرط أمر يحتاج لاعادة النظر كما فعلت امريكا لما في ذلك من الاضرار البالغة بالمرأة نفسها وبالعمران على الاطلاق

والخلاصة ان المرأة وان كانت وظيفتها حسب طبيعة تركيب جسمها هي الامومة فان ذلك لا يمنعها من ممارسة بعض المهن التي تصلح لها . وقد فاق النساء الرجال عددا بحيث لو تركن بغير عمل لكان هذا بمثابة تعطيل لاكثر من نصف الامة بغير انتاج مما تأباه حالة المجتمع الحالية من جميع الوجوه ومنها الوجه الصحي لان العمل ضروري لتوفير أسباب الصحة . ولكن مضمار العمل للسيدات هو الميدان الذي تظهر فيه صفاتهن الموروثة وهي العطف والاناة والصبر . وهذا المضمار فسيح ولله الحمد . واما الاعمال الشاقة أو المتعبة أو التي تحتاج الى عراك عضلي أو فكري مما يضني الجسم فليست ميدان عملهن بطبيعة استعدادهن الجثماني والعقلي مهما أحيطت بسياج من القوانين الصحية وغيرها لعدم تعريضهن لخطر العمل الشاق ، فان رقتهن ودقة تركيب اجسامهن لا تمكن من دفع الضرر عنهن بالاحتياط أو القانون

دكتور محمد زكي شافعي

الادب العربي

في ضوء التحليل النفسي

وقف الاحنف بن قيس ومحمد بن الاشعث بباب معاوية بن أبي سفيان ، فاذن للاحنف ثم لمحمد بن الاشعث . فاسرع محمد بن الاشعث حتى دخل قبل الاحنف ، فلما رآه معاوية قال :

« انى والله ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله . وإنا كما نلى أموركم كذلك نلى أدبكم . وما تزيد متزيد إلا لنقص يجده من نفسه »

فهذا الذى لاحظه معاوية على « محمد بن الاشعث » يسمى عند علماء التحليل النفسى « مركب النقص » . وهو شعور بالضعة والمهانة منشؤه نقص فى بعض الكفايات والمؤهلات ، ينقلب الى التظاهر بضد ذلك وانتحال الرفعة والكمال فيه

وقد عن لى — بعدقراءة هذهالحكاية — أن ادرس نواحي من الادب العربى على ضوء التحليل النفسى ، فجمعت ملاحظات اعتقد أنها تساعد على فتح باب جديد لفهم الشخصيات الادبية والفنية ، وتعين على الكشف عن اسرار وحل معضلات ورثناها كما هى ، فلم تزدها ايضاحاً ووقفنا حيالها حيرى عاجزين . لكن قبل المضى فى ايراد الملاحظات التى أسوقها كأمثلة لدراسة الادب العربى على ضوء « التحليل النفسى » ، أقول : إن العقل الانسانى « الفردى » ينمو متدرجاً فى مراحل معينة . وخلال هذا التدرج تعتوره تغيرات متعددة الاسباب عظيمة النتائج فى تكوين «الشخصية» . والعقل على نوعين : عملى وخيالى

والادب والشعر وبقية الفنون ، ليست إلا تعبيراً عن «الشخصية» : شخصية الفنان أو الكاتب او الشاعر . تدرس شخصية رجال الاعمال — كنابوليون — من سيرتهم ومساعيهم وجهودهم ، ومن نتائج ما أحدثوه ناجحين أو فاشلين . وتدرس شخصية الشاعر من حياته وشعره ، والمثال من سيرته وتماثيله

بعد تلك المقدمة التمهيدية اضرب أمثلة توضح ما أقول :

المثل الاول أبو الطيب شاعر مجيد فحل بين البلغاء ، والدارس لحياته يلاحظ ظاهرتين بارزتين : هما ادعاؤه النبوة ، وشعوره بالعظمة شعوراً يقترن بمحاولته فرض هذه العظمة على الناس

فما تعليل ذلك ، وما أثره فى شعره ؟

نبت « أبو الطيب » فى البادية من أبوين فقيرين حقيرين ؛ ونشأ فى هــذه البيئة المجدبة من الخيرات والموارد والكفايات . ولد عبقرياً على مواهب تميزه عن أترابه وتضعه فوق مستوى قبيلته ، فأحس أن كفاياته تضيق عنها البيئة وتنهار من حواليها حواجز الزمان والمكان ؛

لابد ان الله يحبه ، اذ ميزه على أفراد القبيلة جميعاً وعلى أهل باديته من القبائل الاخرى . . . والبون شاسع بينه وبين اعظم هؤلاء المعاصرين المحليين ، فهو اذن مبعوث لهدايتهم وانقاذهم برسالته . فالله لا يحبه فحسب ، بل هو اختاره لاداء هذه الرسالة لهم ولسواهم . . . اذن هو « نبي » . . . وهكذا أيقن ابو الطيب في صباه — ولما يبلغ سن الرشد — انه « نبي » وظهر في البادية بصورة « النبي » فقبض عليه الوالي وسجنه . فلم تقع معجزة تحل وثاقه وتخرجه من محبسه ، فطلب العفو بقصيدة مدح بها الوالي واستعطفه ، وأعلن توبته

منذ خروجه من السجن تنازل « أبو الطيب » عن النبوة ، لكن « مركب النقص » ظهر بشكل آخر — ظهر في صورة خيلاء لا تطاق واعتقاد بأنه رجل الساعة جاء ليصلح الدنيا بالسيف

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس روى رمحه غير راحم

بلا كبير عناء تستطيع ان تدرك من قراءة ديوان المتنبي أنه مدح سيف الدولة على اعتبار أنه يمدح نفسه — بمعنى آخر أن المتنبي كان يصور في مدحه سيف الدولة بطلا خيالياً لا وجود له ، معتقداً أنه هو ذلك البطل ، وأن الظروف لابد ستتهيأ لظهوره يوماً من الايام

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

هو يشعر بعبقريته وعظمته ، ويشعر أيضاً وعلى الدوام بأنه حقير الأصل وضيع المرتبة ، فيكابد من شعوره — أو قل من النزاع بين الشعورين — مضاضة وألماً ، ويزيد في مضاضته وفي ألمه أنه يحس احتقار الكبراء والأمراء والخاصة لاصله ونشأته ، فيتحرك « مركب النقص » للدفاع بالتمويه والبهرجة . ومن أجل ذلك تراه يقول في رثاء جدته الحقيرة البائسة :

ولو لم تكوني بنت أكرم والد لكان اباك الضخم كونك لي أما

مثل آخر نضربه لناحية أخرى من النواحي التحليلية فنقول : إن « ابن الرومي » كان شديد التشاؤم والتطير ، كان يخشى الماء ويفرق من رؤيته ، وله في ذلك أبيات يؤكد لنا فيها أنه يخاف من كوب الماء خوفه من البحر الزاخر المتلاطم الامواج . فهذا الخوف يدخل في دائرة مرض نفساني يسمى « هستيريا القلق » . وفيه يبتلى المصاب بفكرة ملحة يخيل اليه أنها حقيقة لاشك فيها تلازمه كالكابوس . والخوف على أنواع : فمن الناس من يخاف الفراغ ، ومنهم من يخاف الظلام ، ومنهم من يخاف الحشرات يكاد يتمزق قلبه إذا رأى « صرصوراً » أو خنفساء . ومعروف أن حسان بن ثابت كان جباناً يخاف الدم المسفوك

مثل ثالث كان « أبو محجن الثقفي » شاعراً مجيداً ، من عائلة نبيلة تسكن الطائف ، والطائف من اخصب بقاع جزيرة العرب وأغناها بالفاكهة والخمر ، وأهلها — خصوصاً الاغنياء والنبلاء — مشهورون بالافراط في السكر وحب النساء

عاصر أبو محجن الثقفى عمر بن الخطاب . وهذا الخليفة لا يعرف فى الحق هوادة . لقد أقام حد الزنى على فلذة كبده ، فلا مفر من اقامة الحد على « أبى محجن » لادمانه الخمر . وبالفعل أقيم الحد على الشاعر وضرب بالسياط . . لكنه لم يتب عنها ، فجلد ظهره مرة أخرى فلم يتب ، فضربه بالسياط مرة ثالثة ، وهكذا حتى بلغ ذلك سبع مرات أو ثمانيا ، وهو مصر على عناده ، يقول :

اذا مت فادفنى الى أصل كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فاننى أخاف اذا ما مت ألا أذوقها

فهذا الاصرار الشاذ على احتساء الخمر ، برغم ما لحق « ابا محجن » من العار والعقاب ، بماذا نفسره ؟ نفسره بأنه صادر من أعماق عقله الباطن ، من قرارة نفسه غير الواعية . وهو عمل لا إرادة له فيه ولا اختيار ، هو شىء كالجنون أو شعبة منه . والواقع أن كثيراً من حالات الادمان ـ ادمان الخمر والمخدرات ـ ترجع فى أساسها الى اللاوعى (العقل الباطن) . وثم انواع من الجنون تجعل المختبلين يأتون أعمالا خارجة عن ارادتهم ، كالجنون بالسرقة والجنون باشعال النار ، يسرق الرجل ولا يدرى أنه يسرق ـ ويشعل النار غير عامد ولا واع

مثل رابع يقول الاستاذ عبد الحميد العبادى ، استاذ التاريخ بكلية الآداب ، عن الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز : « اما من حيث شخصية عمر فى تلك الفترة التى تولى فيها إمارة الحجاز ، فكان مترفا مسرفاً فى الترف ، يرخى شعره ويسبل ازاره ، ويلبس الثوب تبلغ قيمته مئات الدنانير ، ويكثر من الطيب حتى لتقصف ريحه انا مشى مشيته « العمرية » ـ وهى مشية كان يتبختر فيها ويختال ـ وللاحتها كانت الجوارى تأخذها عنه »

ليس هذا فحسب ، بل كان عمر بن عبد العزيز مفتونا بالغناء يكاد يستخفه الطرب . ومازال هذا شأنه حتى وقع له حادث جزع له جزعاً شديداً ، وجه حياته وجهة أخرى تناقض زخرف الملبس وخيلاء التبختر . ذلك أنه ضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر الخليفة عبد الملك بن مروان ، وأوغل فى القسوة عليه حتى مات . فلبس الحداد سبعين يوما عليه . وتزهد منذ ذلك الوقت ، فصار فيما بعد ذلك الخليفة الأموى العظيم ، الذى تشبه بـ « عمر بن الخطاب » فكان خير خلف لخير سلف ! !

فهذا الذى حدث لعمر بن عبد العزيز يسمى « تساميا » وهو النهوض بالنفس من حال لا تسر وتنذر بسوء المنقلب الى حال أحفل بالخير وأقوم سبيلا

وأظهر ما يكون « التسامى » فى حياة امرىء القيس . حكوا أن أباه حجراً الملقب بآكل المرار ، أمر رجلا من رعيته أن ينعاه الى أولاده جميعاً « فأيهم لم يجزع ، فادفع اليه سلاحى و خيلى وقدورى ووصيتى » ـ وذكر فى وصيتـه من قتله وكيف كان خبره . فجزع أولاده جميعاً ، إلا امرأ القيس . جاءه الرجل فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه النرد (نوع من الميسر) فقال

له الرجل : « قتل حجر » . فلم يلتفت الى قوله ، بينما أمسك نديمه عن اللعب . فقال له امرؤ القيس : « اضرب » فضرب . حتى اذا فرغ قال : « ما كنت لأفسد عليك دستك » . ثم سأل الرسول عن أمر أبيه فأخبره فقال : « الخمر والنساء على حرام حتى أقتل من بنى أسد مائة وأجز نواصى مائة . . . ضيعنى صغيراً ، وحملنى دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غداً ، اليوم خمر وغداً أمر » وبقية أخبار امرىء القيس معروفة . ومن هنا هنا أن نقرر حقيقة بارزة فى شعر امرىء القيس هي انه بعد هذا الحادث نهج نهجاً جدياً رفيعاً ، قال :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بـ « قيصرا »
فقلت له لا تبك عينك ، انما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

« أبو نواس » أيضا تسامى فى أخريات أيامه ، رهبة من الأمين بن هرون الرشيد بتحريض وزيره الفضل بن الربيع . انظر اليه يقول فى صبواته :

فبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى فلا خير فى اللذات من دونها ستر
ولا خير فى فتك بغير مجانة ولا فى مجون ليس يتبعه كفر

واقرأ بعد ذلك قوله وقد تنسك وتاب عن الخمر والمجون :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللهو حيث أساموا
وفعلت ما فعل امرؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك أثام

المثل الاخير قد يتحول الحب من الشخص الى جزء منه أو إلى أى شيء يملكه ويتصل به ، بمعنى أن الوردة التى يهديها الحبيب ، أو الخطاب الذى ينمقه بخطه ، أو خصلة الشعر من غدائره ، أو ما يصدر عنه مما يمت إلى الحب بسبب — أى هذه الاشياء قد يحل محل المحبوب ويغنى عنه . ومع الزمن ينسى العاشق معشوقه نسياناً تاماً ، ولا يعود يهمه أمره . لكنه يحرص كل الحرص على الوردة وعلى خصلة الشعر . فاذا ماتت حبيبته لم يتفجع ، وإنما تقع الفجيعة فى قلبه إذا ضاعت الوردة أو فقدت خصلة الشعر

والشعر العربى حافل بما يثبت شيوع هذه الظاهرة المرضية النفسانية ، مثال ذلك قول جميل :

وأنى لأرضى من بثينة بالذى لو أبصره الواشى لقرت بلابله
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى ، وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى ، وبالعام تنقضى أواخره لا نلتقى وأوائله

بهذه الطريقة درست قدراً صالحاً من الادب العربى . وأرجو أن يتنبه الادباء والنقاد والمفكرون إلى ضرورة التحليل النفسى كعنصر جديد ، له خطره لا فى دراسة الادب وحده ، ولكن فى القصص المسرحى والروائى وفى كل ما له صلة بالحياة على وجه العموم ! !

احمد خيري سعيد

المنتحرون

في الجاهلية والاسلام

كان الانتحار معروفا عند الجاهليين كثيراً ، وأصله أن يذبح الانسان نفسه ، ثم اطلق على كل قتل للنفس بتعمد صاحبه المنتحر ، ومنه نوع يسمى « الاعتفاد » يقال « اعتفد فلان أى اغلق بابه على نفسه فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعا » وكانت العرب تفعل ذلك فى الجدب والامحال . وفى الاخبار أن رجلا لقى جارية تبكى ، فقال لها : « مالك ؟ » فقالت : « نريد أن نعتفد »

ومنهم من كان ينتحر بشرب الخمر الصرف الكثير ، فعل ذلك « زهير بن جناب وأبو براء عامر الملقب بملاعب الأسنة وعمرو بن كلثوم » فاما زهير فانه أمر ذات يوم الحى بالرحيل ، فقال عبدالله بن عليم وهو ابن أخيه : « الحي مقيم » فقال زهير : « من هذا المخالف لى ؟ » قالوا : « ابن أخيك » فقال : « فما أحد ينهاه ؟ » قالوا : « لا » قال : « أراني قد خولفت » ودعا بالخمر فلم يزل يشربها صرفا حتى مات

وأما أبو براء عامر ملاعب الاسنة فان النبى (ص) وجه جماعة من أصحابه الى بنى عامر ليقاتلوه على رياسته ، فسار اليهم عامر فامتنعوا عليه ، فغضب ودعا بالخمر فلم يزل يشربها صرفا حتى مات . وأما عمرو بن كلثوم فانه أغار على بنى حنيفة باليمامة فاسره يزيد بن عمرو الحنفى فشد به الوثاق وقال له : « أأنت القائل :

متى نعقد قرينتنا بحبـــل   نجذ الحبل أو نقص القرينا

« أما انى سأقرنك ببعيرى ثم أطردكما فانظر أيكما يجذ ؟ » فنادى عمرو بن كلثوم : « أمثلة يا آل ربيعة ؟ » فاجتمع بنو لجيم ونهوا يزيد بن عمرو عن ذلك ، فانتقل به الى قصر باليمامة فدعا عمرو بن كلثوم بالخمر فلم يزل يشربها حتى مات

وممن حاول الانتحار فلم يتممه « أبو عزة الشاعر » فقد ابتلى بالبرص بعد ما أسن ، وكانت قريش تكره الأبرص ، وتخاف العدوى ، فلم يؤاكلوه ولا شاربوه ولا جالسوه ، فكبر ذلك عليه وقال : « الموت خير من هذا » فتناول حديدة وصعد الى جبل حراء يريد قتل نفسه فطعن بها بطنه ، فضعفت يده لما أحس بألم الحديدة ومالت بين الصفاق (١) والجلد ، فسال من جسده ماء أصفر واتفق له أن زال منه البرص فقال :

لاهم رب وائل ونهد   والتهمات والجبـــال الجرد

---

(١) الصفاق هنا الجلد الاسفل الذي يمسك البطن

ورب من يرمى بياض نجد أصبحت عبداً لك وابن عبد
ابرأتى من وضح بجلدى من بعد ما طعنت فى معدى

ومن انتحر من العرب «قزمان الظفرى» قال الواقدى فى المغازى : « وكان قزمان من المنافقين وكان قد تخلف عن أحد فلما أصبح عيره نساء بنى ظفر ، فقلن له : «يا قزمان قد خرج الرجال وبقيت ! استح يا قزمان . ألا تستحيى مما صنعت ؟ ما أنت إلا إمرأة ، خرج قومك وبقيت فى الدار » فاغضبنه وقام فدخل بيته وأخرج قوسه وكنانته وسيفه ، وكان شجاعاً ، وذهب يعدو حتى انتهى الى النبى (ص) وهو يسوى صفوف المسلمين فى غزوة أحد ، فجاء من خلف الصف حتى انتهى الى الصف الأول فثبت فيه ، وكان أول من رمى بسهم من جهة المسلمين ، فقد كان يرسل نبالا كأنها الرماح ، ثم انتضى السيف ففعل بمشركى مكة الافاعيل ، وكان يدخل وسطهم حتى يقول المسلمون : « قد قتل » ثم يطلع قائلا : « أنا الغلام الظفرى » حتى قتل منهم سبعة ، وذلك عند انكشاف المسلمين وفى اشتداد الهول وزحف الموت ، وجعل يقول : « الموت أحسن من الفرار - للأوس ، قاتلوا على الاحساب واصنعوا مثل ما أصنع » فكثرت به الجراحات فوقع . ومر به قتادة بن النعمان فقال له : « أبا الغيداق ! » قال قزمان : «لبيك» قال : «هنيئاً لك الشهادة » فقال قزمان : « والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ - أن تسير قريش فتطأ سعفنا » ثم أخرج سهما من كنانته فجعل يتوجأ به نفسه ، فلما ابطأ عنه الموت أخذ السيف فاتكأ عليه حتى خرج من ظهره فمات » نقل ذلك ابن أبى الحديد فى الشرح

وجاء رجل الى عمر بن الخطاب (رض) فقال : « ان لى بنتا وأريتها فى الجاهلية ، فاستخرجناها قبل أن تموت فادركت معنا الاسلام فاسلمت ، ثم قارفت حداً من حدود الله فاخذت الشفرة لتذبح نفسها فادركناها وقد قطعت بعض أوداجها ، فداويناها حتى برئت وتابت توبة حسنة . وقد خطبها قوم أفأخبرهم بالذى كان من شأنها ؟ » فقال عمر : « أتعمد الى ما ستره الله فتبديه ؟ ! والله لئن أخبرت بشأنها احداً لأجعلنك نكالا لاهل الامصار »

ومن انتحر فى أول الاسلام أبو لؤلؤة المجوسى الفارسى ، فقد جاء فى أكثر تواريخ الاسلام أنه اشتمل ذات ليلة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه وكمن فى زاوية من زوايا المسجد بالمدينة المنورة فى غلس السحر . فلم يزل حتى جاء عمر بن الخطاب يوقظ الناس لصلاة الفجر - كما كان يفعل - فلما دنا منه وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق وهى التى قتلته . ثم انحاز أبو لؤلؤة المجوسى الى المسلمين فى المسجد فطعن فيهم من يلى عمر بن الخطاب حتى أصاب احد عشر رجلا سوى عمر ، فطرح عبد الرحمن بن عوف خميصة كانت عليه فلما حصل فيها انتحر نفسه ومات

ومن المنتحرين بالسم «حنين بن اسحق » ومختصر أمره أن « المتوكل » خرج يوما وبه خمار

وقعد مقعده فاخذته الشمس، وكان بين يديه الطيفورى الكاتب وحنين بن اسحق فقال له الطيفورى: «يا أمير المؤمنين، الشمس تضر بالخمار» فقال حنين: «الشمس لا تضر بالخمار» فلما تناقضا بين يديه قال حنين: «يا أمير المؤمنين الخمار حال المخمور» فقال المتوكل: «لقد أحرز حنين من طبائع الألفاظ وتحديد المعانى ما بان به عن نظرائه» فوجم الطيفورى. فلما كان بعد ذلك اليوم أخرج حنين من كتبه كتاباً فيه صورة المسيح مصلوباً وصور ناس من حوله. فقال له الطيفورى: «أهؤلاء صلبوا المسيح؟» قال: «نعم» ابصق عليهم» قال الطيفورى: «لا افعل» فقال حنين: «ولم؟» قال: «لأنهم ليسوا الذين صلبوا المسيح وانما هى صور» واشهد الطيفورى على حنين فى ذلك شهوداً ورفع الامر الى المتوكل، وسأله اباحة الحكم عليه لديانة النصرانية، فبعثوا الى الجاثليق والاساقفة بسؤال عن ذلك فاوجبوا لعنة حنين، فلعن سبعين لعنة بحضرة الملأ من النصارى وقطع زناره. وأمر المتوكل ألا يصل اليه دواء من حنين حتى يشرف عليه الطيفورى ويحضر عمله. فانصرف حنين الى داره وسقى نفسه سماً - على المشهور - فأصبح ميتاً. وروى ابن العبرى الخبر واضحاً، قال: «واجتمعا يوماً فى دار بعض النصارى ببغداد وهناك صورة المسيح والتلاميذ وقنديل يشتعل بين يدى الصورة، فقال حنين لصاحب البيت: لم تضيع الزيت؟ فليس هذا المسيح ولا هؤلاء التلاميذ، وانما هى صور» فقال الطيفورى: «ان لم يستحقوا الاكرام فابصق عليهم» فبصق حنين، وأشهد عليه الطيفورى، ورفعه الى المتوكل.... فالمتهاون حنين»

ومنهم «عطاء الخراسانى» الملقب بالمقنع كان يعرف شيئاً من السحر والنيرنجات فادعى الربوبية بطريقة التناسخ، وانتهى امره الى ان الناس ثاروا عليه وقصدوه فى قلعة سنام من رستاق كش بايران، وهى القلعة التى عمرها واعتصم بها، فحصروه فيها، ولما أيقن بالهلاك جمع نساءه فسقاهن سماً فتن منه ثم شرب من ذلك السم فمات. وكان ذلك فى سنة ١٦٣ للهجرة

ومنهم «المطهر بن عبد الله» أحد قواد عضد الدولة البويهى، فانه شخص من بغداد سنة ٣٦٩ ﻫ الى أسافل واسط لمحاربة الحسن بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة من العراق الاسفل فأقام فى منازلته والتاث عليه امره. فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان هذه السنة جلس المطهر فى مجلسه ودخل اليه الكتاب والقواد وطبقات الناس مسلمين عليه، فتقدم اليهم بالتخفيف والانصراف. ونهض الى خيمة كان يخلو فيها واستدعى طبيبه وامره بأن يفصده. وظن انه اذا انصرف الطبيب حل شداد الفصد واستنزف دمه الى ان يموت، وكان اذ ذاك قريب العهد باخراج الدم وشرب الادوية المسهلة من اجل علة اصابته قبل خروجه من بغداد للحرب. فاعلمه الطبيب انه غير محتاج الى الفصد فزجره المطهر وطرده، ثم صرف من كان واقفاً بين يديه من غلمانه حتى خلا بنفسه وأخذ سكين دواته فقطع بها شرايين ذراعيه جميعاً

وادخلها الى باطن ثيابه لجرح نفسه فى المقاتل ، ودخل اليه فراش كان يختص به فرأى دسته الذى كان جالساً فيه مملوءاً دماء فصاح واجتمع الناس فادركوا المطهر وبه رمق وظنوا ان انساناً اغتاله ، فتكلم هو بكلام علموا منه أنه هو الذى فعل بنفسه ذلك ، وحفظت منه الفاظ يسيرة منها: ان محمد بن عمر العلوى حمله على ما ارتكبه من نفسه ومات من ساعته . قيل : ان أشد ما حمله على الانتحار ظنه ان فشله فى هذه الحرب يخفض منزلته ويحطها عن رتبة الوزارة المأمولة

وفى سنة ٦٣٩ ﻫ دخل العدل عبدالله بن عبد الرحمن البرجونى خازن المخزن (١) ببغداد الى حجرة له ليصلى العصر ، فطلب لحاجة عرضت فى المخزن ، فوجده الطالب له مصلوبا فى الحجرة ، فأخبر النواب بذلك فتعجبوا من هذه الحادثة ، ونسب صاحب الشرطة التهمة الى نواب المخزن ، فأوصل الأمر الى الخليفة المستنصر بالله ، فأمر باعتبار المخزن فلعل النواب قد صلبوه لخيانة منهم اطلع عليها ، فلم يفقدوا من الحساب شيئاً ، فعند ذلك اتضح الامر وزالت التهمة وظهرت براءة النواب . وكثر القول فى سبب الصلب ، فقيل : انه كانت له جارية تسيء عشرته غير مرضية الحركات ، وكان يحبها ولا يمكنه فراقها ، فاختار الموت ليتخلص مما كان يلاقى منها . وكان خيراً ظاهر السكون كثير الوقار قليل الكلام

وفى سنة ٦٥٣ ﻫ حضر عند الوزير مؤيد الدين بن العلقمى شاب وقال له : « انا قتلت فلاناً لانه تعرض بى وأنا حدث ، وهربت الى الشام وزرت القدس وحججت وجاورت ، وقد رجعت الآن فاقتصوا منى » فسأل الوزير عن أهل القتيل فلم يوجد منهم احد ، فقال له : « قد عفونا عنك » فخيل للشاب ان القصاص لم يسقط عنه فدخل حماماً وذبح نفسه ، فضعفت يده عن قطع أوداجه فأخرج من الحمام وحمل الى المارستان فعولج وشفى وعاش مدة

وفى سنة ٦٤٥ ﻫ أمر المستعصم بالله بالقبض على « محمد بن ورد » الملقب ببدر الدين وهو نائب المخزن ، ووكل به فى المخزن واحتيط على داره ومن فيها ، فتغافل عنه الموكلون به فذبح نفسه بسكين صغيرة كانت معه وما أحسوا إلا بشخيره ، فأمر اولو الأمر باحضار طبيب فخاط موضع القطع وكان لم يبلغ البلعوم لان يده ارتخت عند الذبح ، فلما اعتدلت نفسه أقر بسرقة ثلاثين الف دينار من المخزن

وفى سنة ٦٧٩ ﻫ صلبت امرأة نفسها فى دارها من محلة الجعفرية ببغداد ، وكان سبب ذلك ان زوجها قيل عنه : انه وجد كنزاً وركازاً فى داره ، فطالبه الايوان المغولى ببغداد بما لايقدر عليه ، وخافت زوجته ان تؤخذ وتعاقب فتفتضح ، ولذلك قتلت نفسها . رحمها الله تعالى

وفى سنة ٦٨٤ ﻫ غلت الأسعار ببغداد فبلغ ثمن الكر (٢) من الحنطة ١٨٠ ديناراً وكر الشعير

(١) المخزن أطلق في أواخر العباسيين بالعراق على « بيت المال » و « بيت الخراج »

(٢) قيل ان الكر أربعون اردبا

١٠٠ دينار وبيع الخبز ثلاثة ارطال بدرهم ، ووصل الى بغداد من الموصل دقيق وخبز مرقق للبيع والقت امرأة نفسها الى دجلة قيل انها كانت على الجسر تستعطى الناس فلم يعطها احد شيئا فآثرت إتلاف نفسها وغرقت

وفى سنة ٦٨٦ هـ طالب الديوان المغولى ببغداد نجم الدين كاتب جرائد الحساب ببقايا حساب فلم يعترف بها ، فدوشخ (١) ولما أيقن من نفسه العجز عن التأدية وخشى من شدة العقاب ، قتل نفسه وكان شابا حسن الصورة

فهذه أخبار تذكرناها حينما ذكرنا المنتحرين والانتحار ، ثم جمعناها من مظانها خوف خيانة الذهن وتشتت البال . وقد أضربنا عن ذكر المنتحرين من جنون فيهم كالجوهرى اسماعيل بن حماد فليس فى ذلك كبير فائدة

مصطفى جواد

رد على مقال

نشرت مجلة « الهلال » الغراء فى الجزء الماضى كلمة للاستاذ عباس محمود العقاد عن كتابى « الفلسفة فى كل العصور » وأرى من واجبى أن اثبت البيان التالى :

لست ادعى ان الخطة التى اتبعتها فى تأليفى هى المثل الواجبة الاتباع ، بل أترك الحكم فى شأنها لأرباب الاختصاص . على انى أورد فيما يلى القواعد التى جريت عليها فى تأليفى

أولا : تجردت عن كل تحيز جنسى وقومى ودينى . وكنت كتلفون أنقل الى قارئى العربى ما أملاه على بضعة عشر مؤلفاً من المشاهير ـ فعلت ذلك موقناً ان الحقيقة لا قومية فيها بل هى كشعاع الشمس ، ونسيم الصباح ، حق مشاع ، ووطن الحقيقة النفوس الكريمة

ثانياً : التزمت ما يجب على من الاقرار بالعجز . فلم أقارن مذهبا بمذهب أو فيلسوفاً بفيلسوف ولا فاضلت ولا شرحت ولا ذيلت ، مخافة أن ارتكب خطأ فاقود القارىء الى الضلال ، أو ان استهدف فاكون الجانى على نفسى ، فكنت انقل عبارات المؤلفين كما هى ، واذا لزم التلخيص فبألفاظها . ولم آخذ على عاتقى ان اناصر الشرق على الغرب أو هذا على ذاك

لاريب عندى فى ان النشوء الاجتماعى والتفكير الأول نشأا على ضفاف دجلة والنيل . على انه لسوء الحظ ليس لنا فى كل ما جمعنا من آثار المصريين والكلدانيين الى الآن سنة ١٩٣٤ ـ

---

(١) هكذا ورد في التاريخ مبنياً للمجهول من « دوشخه يدوشخه » أي عذبه بآلة تسمى « دوشاخة » يعني « ذات الشعبتين »

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

لا عصر كهذا العصر

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة « ريدرز دايجست » — بقلم الاستاذ روبنصون]

لا مشاحة فى أن جيلنا الحاضر أنعم بالا من الاجيال الماضية وأوفر راحة واماناً وأهنأ عيشة . ولئلا يتوهم القارىء ان فى هذا القول شيئاً من الغلو ، لنقابل شيئاً من الشقاء الذى امتازت به بعض العصور الماضية بالسعادة التى يتمتع بها أهل هذا العصر . ولنبدأ بذلك العصر المعروف بعصر الفتوة والذى يسميه بعض كتاب اليوم بعصر الفروسية (chivalry) وفيه ازدهر الفرسان وذاع صيتهم فى الخافقين . كان ذلك فى المائة الحادية عشرة . وقد سماه بعض المؤرخين عصر الفتيان الذهبي

ترى من كان هؤلاء الفتيان أو « الفرسان » وبأى شىء اشتهروا ؟

يؤخذ من أصدق السجلات وأقربها إلى الحقيقة انهم كانوا رجالا يجوسون خلال الديار ويقطعون الطرق على السابلة ويسلبون وينهبون ، ويعتدون على كل بائس دفعه سوء حظه إلى ايديهم وكل فلاح يدافع عن زرعه أو ماشيته من عدوانهم . وقال جيلداس أحد مؤرخى ذلك الزمن فى وصفهم : « انهم طغمة من أشد الناس كبرياء واجراماً وانهما كاً فى الفسق وسائر الموبقات . يقضون أكثر أيامهم فى الاعتداء على الابرياء والسطو على ممتلكاتهم . وهم معروفون بقذارتهم وجهلهم وميلهم إلى سفك الدماء ، ومع ذلك يتوهم البعض انهم صفوة جيلهم وزبدة عصرهم

ولننتقل من ذلك الزمن إلى عصر لويس الخامس عشر ، وهو من أشد عصور أوربا ازدهاراً ولنرجع قليلا إلى سنة ١٧٦٠ يوم كانت الولائم تقام فى « فرساى » وهى أعظم ولائم التاريخ بذخاً وأسرافا ، وكانت فرنسا اذ ذاك فى ابان رخائها وتبذيرها . ومع ذلك كان فلاحوها من أشقى عباد الله . وقد وصف « لابروير » المفكر الفرنسى العظيم حالتهم فى ذلك العهد قال : « يجد الجائل فى الارياف جماعات مشتتة هنا وهناك من رجال ونساء ومنظرهم أقرب إلى الحيوانات منه إلى البشر ، سود البشرة قد لفحتهم الشمس يحرثون الارض نهاراً فاذا أقبل الليل أووا إلى كهوف مظلمة لا يأكلون فيها هم وأولادهم سوى الخبز الاسود وجذور النباتات ولا يشربون سوى الماء القذر »

وفى الواقع ان الفلاح الفرنسى فى عهد جان جاك روسو كان مخلوقاً وسطاً بين الحيوان والانسان . وكانت الضرائب قد قصمت ظهره ، وقد سجل المؤرخون منها ثمانياً وعشرين ضريبة مختلفة يدفع بعضها إلى الحكومة وبعضها إلى رجال الدين والبعض الآخر الى الموالى . ولم تكن تلك الضرائب كل ما يئن منه الفلاح بل كانت مصائبه كثيرة . من ذلك ان الاغنياء والاشراف كانوا يجوسون خلال حقوله فيتلفون المزروعات ويعيثون فيها فساداً . وما كان يجوز لأى فلاح أن يطرد كلباً أو أى حيوان آخر يجول فى حقوله مهما أحدث من التلف والخراب

تلك كانت حالة الفلاح فى فرنسا فى ذلك العصر . ولم تكن حالته فى غيرها أفضل منها . ففى العقد الثانى من القرن التاسع عشر كانت انجلترا قد بلغت أوج عظمتها العسكرية والتجارية . ومع ذلك كانت حالة العمال فى المصانع الانجليزية تفتت الاكباد . فكان الرجال والنساء والاولاد يشتغلون الساعات الطويلة ويعيشون فى أقبية قذرة مظلمة . وكان فى مدينة ليدز وحدها اكثر من ثلاثين الفاً من هؤلاء العمال يعيشون فى بيوت مظلمة لا يدخلها الهواء ولا نور الشمس وليس فيها ماء نقى للشرب ولا شىء من وسائل الراحة أو النظافة . وكان كل اثنى عشر أو خمسة عشر شخصاً يسكنون فى غرفة واحدة ينامون فيها ويغسلون ثيابهم ويطبخون طعامهم ولا يجدون مكاناً يقذفون اليه بالاقذار سوى الشارع الذى تطل عليه غرفتهم . اما ماء الشرب فكانت المعامل توزعه عليهم بمقدار فلا تعطى الاسرة كلها سوى ثلاثة أرباع الجالون فى اليوم للشرب والطبخ والغسل . ولم يكن يؤذن لأحد من أولئك العمال أو لنسائهم أو اولادهم فى الخروج الى الفلا للنزهة لان نور الشمس والهواء النقى لم يكونا لامثالهم من عباد الله

وكان العامل يومئذ يعمل ثمانى عشرة ساعة من كل أربع وعشرين ساعة ولا يزيد أجره على عشرة شلنات فى الاسبوع (نحو خمسين قرشاً) وزوجته تشتغل معه أيضاً ثمانى عشرة ساعة فى اليوم — حتى فى ابان حملها — ولا تزيد أجرتها على شلن واحد فى اليوم . وكذلك كان الاولاد يعملون ، فمن لا تزيد سنهم على ست سنوات يشتغلون مدى اثنتى عشرة ساعة فقط فى اليوم ، وكان أكثرهم يعملون فى مناجم الفحم . فلم يكن لهم متسع من الوقت للعب أو الراحة أو الرياضة . لذلك كانت وجوههم شاحبة وأجسامهم هزيلة وليس للابتسام أثر على وجوههم . ولم تكن أجرة أحدهم تزيد على ريال واحد فى الاسبوع . فاذا كان يتيماً لم يعط أجراً عن عمله بل يكتفى باعالته . وكانت مدينة لندن قد اتفقت مع أصحاب المصانع فى الشمال على امدادهم بمن يحتاجون اليهم من اللقطاء لتربيتهم وترويضهم على العمل . والشرط الوحيد فى ذلك الاتفاق أن يؤذن لمدينة لندن ألا يزيد عدد المجانين الذين ترسلهم الى تلك المعامل على خمسة فى المائة ! . . .

ولم تكن الحالة فى الولايات المتحدة أفضل أو أقل شقاء . فقد ذكر الاستاذ بيرد العالم الاميركى ان العامل فى أوائل القرن التاسع عشر لم يكن يكسب قوت يومه . فلم تكن أجرته تزيد على خمسة

ريالات فى الشهر . وكان يعمل من مطلع الشمس الى مغربها وإذا أصيب بعاهة فى أثناء قيامه بعمله أو فقد عضواً من أعضاء جسده لم يعوض منه شيئاً.وفى سنة ١٨١٩ كان سبع أهالى مدينة نيويورك فقراء مدقعين يعيشون من الاحسان . ومع ذلك كان فى نيويورك الف وستمائة حانة تختلف اليها الرجال والنساء والاولاد من طبقة العمال وكانت الآداب منحطة والمواخير منتشرة فى كل حى وزقاق . والقوانين فى ذلك العهد تقضى بسجن المدين إذا لم يستطع وفاء دينه . فكان زج فى السجن مع المجرمين واللصوص والسفاحين.قيل ان رجلا ظل فى سجن نيويورك ثلاثين عاماً لانه لم يستطع أن يوفى بدينه ومقداره مائة وخمسون ريالا وأخيراً تطوع صديق له فجمع له ذلك المبلغ من المال من أهل الاحسان ولما جاء به الى السجان ليدفعه اتضح ان ديناً آخر قد تراكم على ذلك السجين البائس للسجان مقداره ثلاثة آلاف ريال . فلما سمع ذلك استولى عليه يأس مميت وأصيب بالجنون

وصفوة القول ان الذين يتأففون من هذا العصر ويتأوهون على العصور الماضية يظلمون التاريخ ولا ينصفون هذا الجيل . أجل اننا لم نبلغ بعد حد الكمال فى كل شيء ولكننا اذا قابلنا أنفسنا باسلافنا وجدنا أننا أفضل منهم حالاً صحياً واجتماعياً وعمرانياً واقتصادياً

منع تناسل الضعفاء

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة « برث كونترول » — بقلم منشىء المجلة]

هنالك اتفاق عام بين المفكرين يكاد يكون اجماعاً على وجوب تعقيم المصابين بضعف العقل لمنعهم من التناسل . ومع أنه ليس من الضرورى أن يلد المعتوه معتوهاً فقد أثبت العلم أن الجانب الاكبر من المجانين وضعاف العقول ورثوا حالاتهم من آبائهم ، وأن الوراثة هى سبب الجنون فى ٦٥ فى المائة من الاشخاص المصابين بالامراض العقلية . فاذا تسنى لنا أن نمنع تناسل هؤلاء الاشخاص أدى ذلك الى ترقية النوع الانسانى والى رفع مستوى قواه العقلية

تدل الاحصاءات الموثوق بها على أن فى الولايات المتحدة وحدها نحو مليونى شخص مصاب بالجنون أو بمرض من الامراض العقلية . وتدل الاحصاءات أيضا على أن هؤلاء الاشخاص أسرع وأخصب تناسلا ممن يتمتعون بقواهم العقلية التامة

ولما كان عزل هؤلاء الاشخاص أو حشرهم فى مكان واحد مستحيلا فقد اتفق جمهور العلماء على منعهم من التناسل بتعقيمهم . وهذا ما يعبرون عنه اليوم بمبدأ انتخاب النسل . ولما سئل أعضاء الاتحاد الاميركى لدرس الامراض العقلية : هل يوافقون على تعقيم ضعاف العقول ؟ أجاب مئتان وسبعة وعشرون من ٢٤٣ منهم بالايجاب وبسطوا حججاً كثيرة لتسويغ تعقيمهم

ويدل تاريخ بعض الاسر التى اشتهرت بضعف القوى العقلية على أن نسلها لم يكن من النوع المرغوب فيه . فأسرة « كاليكاك » الامريكية اشتهرت فى أوائل القرن الماضى بضعف عقول أفرادها. وفى الواقع أن اربعمائة وثمانين منهم اشتهروا بضعف العقل والاجرام . وكذلك أسرة جوكس فقد اشتهر جيع افرادها بفساد أخلاقهم وضعف قواهم العقلية وبلغ عدد المعتوهين منهم فى خلال قرن ونصف قرن الفا ومائتين . وقد حسب بعض المؤرخين أن هؤلاء المعتوهين حملوا أمتهم نفقات وخسائر تقدر بمئات الملايين من الدولارات مع أن تعقيمهم لمنع تناسلهم ما كان ليقتضى أكثر من مائة وخمسين دولاراً فقط

والدعوة الى التعقيم حديثة العهد . وأول حكومة سنت قانوناً للتعقيم هي حكومة ولاية انديانا. وكان ذلك فى سنة ١٩٠٧ . أما اليوم فان هذا القانون يسرى على ست وعشرين ولاية من الولايات المتحدة . وقد تم تعقيم نحو خمسة عشر الفاً من الامريكيين بمقتضاه ومعظمهم من المقيمين بولاية كاليفورنيا . وفى سنة ١٩٢٨ سنت مقاطعة البرتا بكندا قانوناً للتعقيم . وفى السنة التى بعدها حذت حذوها الدانمرك وفنلندا ومقاطعة «فود» بسويسرا . وفى السنة الماضية سنت مقاطعة فيرا كروز المكسيكية قانونا كهذا

وقد يتوهم القارىء أن هذا التعقيم يقتضى ازالة الاعضاء الجنسية أو اضعاف الشعور بالميل الجنسى . وليس فى ذلك شيء من الحقيقة فان « عملية » التعقيم لاتؤثر فى الانسان أى تأثير من هذا القبيل ولا تستغرق أكثر من خمس دقائق فى الرجال مع التخدير الموضعى والاستراحة مدة يومين . أما فى النساء فتقتضى الانقطاع عن العمل والاستراحة مدة شهرين

والقانون — حتى فى البلاد التى يسرى فيها — يحظر انجاز « العملية » المذكورة لاى شخص يكون فى قواه العقلية والجسمية التامة . أما تعقيم المجرمين لمنعهم من التناسل فقد كان شائعا قبلا فى سبع من الولايات الامريكية ولكن الرأى العام — حتى فى تلك الولايات — يجمع اليوم على أنه مناف لروح الدستور . وهذا يتفق وآراء الكثيرين حتى من أنصار مذهب التعقيم لانهم يقولون بوجوب قصر التعقيم على ضعاف العقول ضعفا وراثيا وعدم اطلاقه على المجرمين الا فى حالة ثبوت الاجرام الوراثى

ولحل هذه المشكلة يقترح الكثيرون أن يكون التعقيم اختياريا أى للذين يطلبونه من تلقاء أنفسهم . ولا شك أنه اذا أمكن اقناع الرجل المصاب بضعف فى قواه العقلية بضرورة تعقيم نفسه كان ذلك بلا شك فى مصلحة العمران . على أن الصعوبة هي فى اقناع مثل هذا الرجل بضعف قواه العقلية لان من الصعب اقناع المجنون بضعف عقله . وهذا وجه الخلاف بين انصار التعقيم الاختيارى وأنصار التعقيم الاجبارى . . وعلى كل فاذا تقرر تعميم التعقيم — سواء أكان اختياريا ام اجباريا — فسيحدث أعظم انقلاب فى تاريخ الاجتماع . والمصلحون الاجتماعيون يعتبرون التعقيم أعظم وسيلة استنبطتها مخيلة الانسان لاصلاح النوع الانسانى ورفع مستواه

فضائلنا الزائفة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة «هاربر»
بقلم ا . ويلي الكاتب الاميركي]

اذا أريد لهذه الحضارة أن تدوم فلا بد من تنقيح آرائنا بشأن الفضائل التي كان أسلافنا يعتزون بها . فان هذه الفضائل هي التي جرتنا الى الحرب الماضية وعليها تقع تبعة تلك المجزرة الهائلة اكثر من وقوعها على مطامعنا الآثمة . فلولا ادعاؤنا الشجاعة والامانة والوطنية وحب انكار الذات وأمثال هذه الفضائل ما انسقنا الى تلك الحرب ولا عرضنا حضارتنا للبوار

خذ الوطنية مثلا وهي من الفضائل التي يؤلهها بعض الكتاب الخياليين ، فهذه الفضيلة ليست غريزية على الاطلاق لانها لا تولد مع الانسان عند ولادته . ولعلنا لا نخطىء إذا قلنا ان العالم لم يكن يدري عنها شيئاً قبل القرن السابع عشر . فقد كان الناس قديما يحاربون طمعاً في السلب والنهب والاستيلاء على أموال الغير لا تلبية لداعي الوطنية أو دفاعاً عن مبادئ سامية . وكانت الجنود تؤجر لهذا الغرض وتساق الى القتال . ولم يخطر ببال أحد أن يقيم أي نصب أو تمثال تذكاري لاحد من أولئك المحاربين حتى بدء القرن التاسع عشر لان الوطنية لم تكن معروفة حتى ذلك العهد . فلما نبتت بزرتها وانتشرت مبادئها بين الناس أخذ أصحاب السلطة يستغلونها ويستثيرون بها حماسة الجماهير . وفي الواقع أن هذه الفكرة وثقت عرى الوحدة بين أفراد الامة وجعلتهم يشعرون بالتبعة الملقاة على عواتق جميعهم بازاء الوطن والاسرة . وهذه الفكرة هي في حد ذاتها فكرة سامية ولكن الذين اكتشفوها أو ابتدعوها أدركوا للحال مزاياها ، فاخذوا يستغلونها ويحقرون كل من لا يؤمن بها . وكانت النتيجة أن الوطنية أصبحت ديدن أولاد المدارس الصغار . فاذا أضربوا عن الدرس وكسروا زجاج النوافذ واكثروا من الصخب واللجب وأهانوا الاساتذة ومزقوا الكتب وقاطعوا من ليس من جنسهم من التلاميذ وفعلوا هذه الصغائر ـ فذلك تلبية لداعي الوطنية

ومن فضائلنا الزائفة أيضاً الشجاعة البدنية وهي ذات صلة وثيقة بالوطنية . وان العاقل المفكر لا يدرك لماذا يقدر الناس الشجاعة البدنية في هذا العصر بعد أن اثبت العلم ان الجبن انما هو مظهر أو نتيجة لعسر الهضم أو سوء التغذية وليس من الصفات الغريزية في الانسان ؛ كما ان الزكام ليس نقيصة طبيعية فيه . واذا ثبت ذلك لم يبق ثمة مسوغ للحكم بالموت على الجندي الذي تعوزه الشجاعة البدنية في الحرب أو الذي لا يبدي من ضروب الجرأة والاقدام ما يبديه غيره ممن تكون افرازات الغدد فيهم على اكمل حال . وأنت تعلم ان الشجاع لا حيلة له اليوم في هذه الحروب التي تسخر فيها الآلات والكيمياء وقوى الطبيعة ، اذ ما عسى أن تنفعه شجاعته أمام قذائف المدافع الهائلة وفي استطاعة تلك القذائف أن تدك الجبال دكا ؟!

لقد كانت الشجاعة البدنية تنفع فى غير هذا العصر الآلى يوم كان الانسان يقف أمام الانسان او الحيوان وجهاً لوجه . أما اليوم فان الانسان يعيش ويعالج شؤون الحياة وهو لا يعلم أهو متحل بالشجاعة البدنية أم لا . نعم ان بعض المولعين بمظاهر البطولة لا يزالون يقيمون المباريات التى لها علاقة بالقوة البدنية ولكننا جميعا نعلم أن العالم يستطيع أن يعيش بهناء ولو لم يوجد أولئك الابطال . وانه لا قيمة لشجاعتهم البدنية على الاطلاق ، اذ لا يكتسبون منها شيئاً الا اعجاب بعض الافراد عندما يعرض عليهم أولئك الشجعان مظاهر بطولتهم او قوامهم المادية . ولو تذكرنا ان النظافة هى ألزم اليوم للانسان من الشجاعة البدنية ، لكنا اكثر تمسكا بالحقائق واقل اهتماماً بالخيال

وليس غرضنا مما تقدم ان نحط من شأن صفة كان لها فضل عظيم فى تكوين الاجتماع . ولكن قيمة الصفات والفضائل نسبية ، ولقد كان العالم قديماً فى حاجة الى الشجاعة البدنية . أما اليوم فهو فى حاجة الى الشجاعة الادبية والعقلية . ومن اشد بواعث الاسف ان الناس كثيراً ما يستغلون صفة من الصفات كالشجاعة البدنية ليستروا بها طائفة من النقائص . وفاتهم ان الصفات التى يحق للانسان أن يباهي بها هي الصفات الادبية او الروحية او العقلية

ومن فضائلنا المزيفة الاخلاص ، وللاخلاص فى نظرنا قيمة لا تقدر . ولو بحثنا عن نشوء هذه الفضيلة لوجدنا أنها كانت ذات قيمة مادية (محسوسة) فى اوائل عهد الاجتماع يوم لم يكن بد منها لحفظ كيان الاسرة والقبيلة . وفى زمن الاقطاع (الفيود اليسم) كان الاخلاص للسيد أو المولى الاقطاعى لازماً كل اللزوم والا هلك وضاعت أملاكه . فقد كان يعتمد على اخلاص عبيده واتباعه فى نضاله وحروبه . وما كان يستطيع ان يعول على رشوتهم او شرائهم لئلا يجيء مولى اغنى منه وأوفر جاهاً فيزيد عليه مقدار الرشوة . فالقوة التى كان يعول عليها فى ذلك الزمن هى الاخلاص . وبالاخلاص كان يضمن بقاءه وسلامة املاكه . وهذه الفضيلة هى التى كانت تحول دون تفشى الفساد والرشوة بين الاتباع . ولا يزال الناس اليوم يتمسكون بهذه الفضيلة تمسكا أعمى . فمن يولد فى دين من الاديان يظل فيه لان داعى الاخلاص يلزمه بذلك سواء اتضح له فساد ذلك الدين أولم يتضح ، وكذلك من يترعرع ويرى والده منضما الى حزب من الاحزاب السياسية . فانه فى أغلب الاوقات يظل منتمياً الى ذلك الحزب بداعى الاخلاص . وهكذا قل فى أحوال كثيرة . وهذا يثبت لك ان الاخلاص الاعمى فضيلة مزيفة ونحن نقبلها من دون ان نبحث عن الاسباب والدواعى مع ان من مقتضيات الحياة أن نكيف أنفسنا على مقتضى ظروف الزمان والمكان . فاجسامنا وعقولنا تتطور ، فاذا ظلت فضائلنا جامدة لم يكن ذلك فى مصلحتنا ولا فى مصلحة العمران

وهنالك أيضاً فضيلة البر والاحسان وهى فى حد ذاتها من اسمى الفضائل وأشرفها . ولكننا كثيراً ما نشوهها باشتراط الشروط المختلفة لانجازها . وما اكثر من يذلهم احساننا ويؤذيهم فى عزتهم وكرامتهم . بل ما أكثر من يضرهم احساننا ويعودهم الكسل والتعويل على الغير . ولكم

يستغل الانسان هذه الفضيلة لمآرب فى نفسه فتنقلب الفضيلة رذيلة وتفقد كل مالها من حرمة وقيمة
ان الفضائل التى يحتاج اليها هذا الجيل هى الامانة والتسامح والشجاعة الادبية فهى فضائل « عصرية » تلائم روح هذا الجيل وتوافق نزعات العصر . واذا لم تتحل بهذه الفضائل فلا أمل لنا بتقويم عوج الاجتماع وبالتحكم فى القوى التى قد اطلقها العلم من عقالها . وقد اثبتت حوادث العقود الاخيرة من الزمن أن هذه الفضائل لا تزال فى أوائل عهدها . ومن بواعث الاسف ان زعماء الاجتماع يدعون الى تنمية هذه الفضائل وتكوينها. ولكن دعوتهم تذهب صرخة فى واد . لان أفعالهم لا تنطبق على أقوالهم فليس للعالم ثقة بهم

ما لا يعلمه الشبان عن الحرب

[ملخص كتاب بعنوان « طريق النجاة » ــ بقلم السر فيليب جبز]

ليست مسألة الحرب أو السلم مهمة الا فى نظر الشبان . فاننا نحن الذين تقدمنا فى السن لن نخوض غمار الحرب المقبلة . ولذلك يجدر بالشبان أن يعلموا الحقيقة وألا يكلوا المستقبل الى الشيوخ فقط
ان روح الحرب التى تتغلغل فى نفوس الكثيرين لا يمكن طردها بتخويف الشبان وارهابهم . ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا ان الكتب التى قد ألفت عن الحرب ومشاهد السينما التى قد وضعت عنها كان ضررها اكثر من نفعها لانها كانت دائماً تستثير حماسة الشبان وتستفز اعجابهم بالمخاطرات التى تتطلبها الحرب وبأعمال البطولة التى تكثر فى ساحاتها . ولما نشبت الحرب العظمى الماضية كانت حماسة الشبان لا تعرف حداً . فكانت صدور الملايين منهم تجيش بالحماسة وروح البطولة الى أبعد حد . وكانوا يعتقدون أنهم مدعوون للحرب والدفاع عن مبادىء شريفة سامية . وعليه تسلم كل منهم جواز مروره الى ساحات القتال حيث شهد العالم أفظع المجازر البشرية ، والوطنية تستفز عواطفهم
وكان هؤلاء الشبان يعتقدون أن فى ميادين القتال متسعا لاظهار الشجاعة والاقدام . ولكن اعتقادهم كان فى غير موضعه . فان تلك الحرب كانت تختلف عن جميع الحروب السابقة بانها لم تكن صراعا يقف فيه الانسان أمام عدوه الانسان ، بل كانت صراعا بين الانسان والآلات التى هى من صنع يديه أو بين الآلات الصماء نفسها . وقد اتفق لكاتب هذه السطور ان عرف قائداً (جنرالا) فرنسيا أبلى فى تلك الحرب بلاء حسنا وقضى فى ساحة « ريمس » سنتين . ولا نشك أنه أهلك فى خلالها ألوفا من الجنود الالمان ، ومع ذلك لم ير بعينيه جنديا المانيا واحداً لان كل شىء فى تلك الحرب كان يجرى بالآلات الصماء . واتفق لكاتب هذه السطور أيضا أن شهد معركة كر فيها الالمان على اعدائهم بقرب غابة تدعى « نوسى » فاستقبلهم الانجليز وكانوا كامنين لهم فى الخنادق وأهلكوهم على

بكرة أبيهم . ومع ذلك لم يقف الاعداء وجها لوجه ولا رأى بعضهم بعضا . وانما ثبت فيما بعد أن المدافع السريعة لم تبق منهم واحداً ولا شك أنه لم يبصر أحد منهم جنديا واحداً انجليزيا

كل ذلك يدلك على أن الحروب الحديثة هي حروب آلات لا حروب أشخاص وأن الجندى الفرد لم يبق له حساب فهو عند انفجار المفرقعات أشبه بذرة تتطاير فى الفضاء وليس فى وسعه تغيير مجرى القتال لان الامر والنهى همـا لهذه الآلة الصماء التى نسميها المدفع والمتراليوز أو القذيفة او الدبابة أو ما الى ذلك من الاسماء . وليس للشجاعة فى هذه المواقف أية قيمة على الاطلاق . فاذا حاول الجندى أن يستعين بها على مواجهة الاعداء كان كمن يحاول أن ينطح الصخرة بقرنه أو كمن يحاول أن يزحزح الجبل بقوة ذراعه

وفى هذا تذكرة للشبان تؤكد لهم أن الآلة الصماء فى الحرب لا تعرف العاطفة ولا الشفقة

وليت شعرى ما الذى استفاده العالم من تلك المجزرة الهائلة ؟ بل أين هى الامة التى تستطيع أن تقول انها خرجت منها غانمة كاسبة ؟ واذا كانت كل أمة من تلك الامم قد خاضت غمار تلك الحرب رغبة فى توسيع نطاق تجارتها واكتساب اسواق جديدة لها فى أنحاء العالم المختلفة ، فلا شك أنها ندمت على ما فعلته فيما بعد وأدركت انها بدلا من أن تكسب عملاء جدداً كسبت اعداء كثيرين فكانت كالباحث عن حتفه بظلفه . والغريب أن كل أمة من تلك الامم ادعت انها انما كانت تدافع عن نفسها

ولم تحل تلك الحرب اشكالا ولا فصلت فى خلاف بل ظل الفرنسيون بعد الحرب يخشون الالمان والالمان يكرهون الفرنسيين . بل لا نخطىء اذا قلنا ان تلك الحرب زادت الاحقاد والضغائن بين الامم الغالبة والامم المغلوبة . ومن الحقائق التى يسلم بها جميع العقلاء أنه بعد نهاية كل حرب يزيد النفور بين الامم المتحاربة وتقول كل واحدة منها لنفسها : «انى سأوقع معاهدة الصلح وأترقب فرصة أفضل للانتقام» وتظل اذ ذاك جذوة الحرب مستورة تحت الرماد لا يعوزها الا أن تهب الريح عليها فجأة فتذرى الرماد وتؤجج الجذوة . والشبان يعلمون أن الحرب شر عظيم وخطر أعظم ولكنهم يحبون المخاطرات ولا يعن لهم ان الحرب حماقة عظيمة وأنها آخر حجة الجهلاء المغرورين بل هى الوسيلة التى يلجأ اليها الغوغاء والمشاغبون . وهى قضاء رهيب اذا نزل ببلد ذهب بنضارته وجماله . وهذا يوجب على الجيل الحاضر من الشبان أن يحكموا قبل أن تأزف ساعة الحرب : هل يرخون الحبل على الغارب ويطلقون غول الحرب من عقاله أو يبذلون ما فى وسعهم ليحولوا دون الحرب

ولعله لا يمكن أن تبطل الحرب إلا اذا تغيرت طبيعة الانسان تغيراً تاما ورسخت جذور المدنية الحقيقية فى العالم . ولكن مالا يدرك كله لا يترك جزؤه . فاذا لم يتسن لنا القضاء على الحرب فلا أقل من تحديد الجيوش والاساطيل ونقص معدات القتال حتى لا تكون وفرتها مغريا بحرب هجومية وحتى تقتصر الحرب على خطط الدفاع فقط وتكون مقيدة بالاتفاقات والقوانين الدولية . هذا هو طريق الرقى . وهذه هى مهمة الزعامة التى يترقبها الاجتماع

مأثرة لبونابرت فى مصر

[ملخص مقال نشر في مجلة « المباحث النابليونية » – بقلم الاستاذ ادواردريو]

ليست حملة نبوليون على مصر – تلك الحملة التى يحسبها الكثيرون من المغامرات التاريخية – مما يجهله القراء ولا سيما المعجبون منهم بسيرة نبوليون . وفى فرنسا مجلة مخصوصة بالمباحث الخاصة بحياة ذلك القائد العبقرى يقوم بنشرها طائفة من كبار الكتاب الفرنسيين . وفى أحد أجزائها الاخيرة بحث ممتع عن المجمع العلمى المصرى الذى أسسه نبوليون فى مصر فى ٢٢ اغسطس سنة ١٧٩٨

واليك نص الامر الصادر بتأسيسه :

فى ٥ فروكتيدور السنة ٥ (٢٢ اغسطس سنة ١٧٩٨) من القائد العام العضو بالمعهد الاهلى (بفرنسا) – نأمر بما يأتى :

(المادة الاولى) يؤسس فى مصر معهد للعلوم والفنون يكون مقره القاهرة

(المادة الثانية) غرض هذا المعهد المباحث الآتية :

(١) تقدم العلوم وانتشارها فى مصر

(٢) معالجة الموضوعات الطبيعية والصناعية والتاريخية ونشر المباحث عنها

(٣) ابداء الرأى فى المسائل التى تستشيره فيها الحكومة

(المادة الثالثة) يكون المعهد أربعة فروع

(المادة الرابعة) هذه الفروع هى الرياضيات ، والطبيعيات ، والاقتصاديات ، والآداب والفنون

⁂

وكان مونج أول رئيس وقع عليه الخيار . وقد انتخب فى ٢٣ اغسطس سنة ١٧٩٨ . وعقبه نبوليون فى ١٦ ديسمبر من ذلك العام . ثم برتوليه فى ٢٩ يونيه سنة ١٧٩٩ ثم ديجنيت فى ١٠ نوفبر من ذلك العام . ثم لروى فى ١٢ ديسمبرمنه . ثم نويه ثم كونتيه ثم شاميه . والاخير منهم فى ٥ فبراير سنة ١٨٠١

وعقد المعهد أول اجتماعاته فى ٢٤ اغسطس سنة ١٧٩٨ أى فى اليوم الثانى بعد صدور الامر بانشائه . وفى هذا الاجتماع انتخب مونج (كما سبق القول) رئيساً وبونابرت نائباً للرئيس وفوريه سكرتيراً دائماً

وعرض بونابرت على المعهد طائفة من المسائل للبحث فيها . واليك منها بعض الامثلة :

(١) أفران الخبز وهل يمكن تحسينها لتحقيق فكرة الاقتصاد فى الوقود

(٢) وسائل تطهير مياه النيل

(٣) هل فى مصر موارد تصلح لصناعة البارود ؟

(٤) حالة القضاء المدنى والجنائى فى مصر ونظام التعليم فيها ووجوه تحسينه

هذا نزر يسير من الموضوعات التى كان المعهد يعالجها . وجميعها مدونة فى سجلاته الخاصة

ودارت الايام دورتها وأرادت انجلترا إخراج بونابرت وجيشه من مصر . فوجهت اليه عمارة بحرية بقيادة الاميرال نلسون . وجرت وقائع مدونة فى بطون السجلات ليس هـذا موضعها . ودخل الانجليز الاسكندرية فطلب « منو » القائد الفرنسى من القائد الانجليزى أن يأذن لاعضاء المعهد المصرى من الفرنسيين أن يسافروا الى فرنسا بأمان وأن ينقلوا معهم جميع اسجلات والخرائط والمذكرات والآثار والتحف المتعلقة بالمعهد . فأبى القائد الانجليزى ذلك فى أول الامر ولم يأذن الا بنقل الادوات العلمية التى جىء بها من فرنسا . فأوفد اليه المعهد ثلاثة مندوبين ليفهموه أن الادوات التى يريد أعضاء المعهد أن يحملوها معهم الى فرنسا هى ملك خاص لهم لا يجوز حجزها . وأنه اذا أصر القائد الانجليزى على رأيه فسيضطرون الى اتلافها والقائها فى البحر وهم يحملونه تبعة ذلك أمام التاريخ

فلم يسع القائد الانجليزى الا التسليم فأذن لأعضاء المعهد فى أخذ ما يشاءونه من الأدوات السجلات والتحف والمذكرات . وكان ذلك ختام مهمة البعثة العلمية الفرنسية التى جاء بها نبوليون عند قدومه مصر

وقرر بونابرت أن يدون تاريخ المعهد العلمى فى كتاب خاص يتضمن جميع البيانات المتعلقة باعمال المعهد . ومنح ذلك العمل قسطاً خاصاً من عنايته . وفى الواقع أنه ما كاد يعود الى فرنسا حتى شرع يعد المعدات لابراز ذلك المؤلف

وفى سنة ١٨٠٩ ظهر الجزء الاول منه بعنوان «وصف مصر» (Description de l'Egypte) وهو يتضمن وصفاً للآثار المصرية القديمة . وفى سنة ١٨١٣ ظهر منه جزءان آخران فى تاريخ مصر الطبيعى وفى حالتها فى ذلك العهد . وفى سنة ١٨١٨ (وكان عرش الامبراطورية البونابرتية قد زال) ظهرت أجزاء أخرى

ولا يتسع هذا المجال لبيان الاجزاء جميعها وكلها نادرة الوجود وتحتوى على رسوم وخرائط وصور ثمينة جداً . ولا شك ان المعهد العلمى الذى أسسه نبوليون فى مصر هو من أعظم الآثار العلمية بل أعظم عمل خلدت به البعثة الفرنسية ذكرها فى وادى النيل

مرور مائة سنة

على نقل المسلة المصرية الى باريس

[خلاصة مقالة نشرتها مجلة «الالوستراسيون» بقلم البير كاويه]

فى الثالث والعشرين من شهر ديسمبر الماضى انقضت مائة سنة على نقل المسلة المصرية من مدينة الاقصر إلى باريس ونصبها فى ساحة الكونكورد . وقد نشرت مجلة الالوستراسيون الفرنسية مقالة فى هذا الصدد ضمنتها طائفة من البيانات الطلية . ويؤخذ من هذه البيانات أن المسلة نقلت باشراف لبياس أشهر المهندسين الميكانيكيين فى ذلك العصر . وكان ساكن الجنان محمد على باشا قد وهبها لصديقه لويس فيليب ملك فرنسا

كانت هذه المسلة منصوبة مع مسلة أخرى أمام مدخل قصر رعمسيس الثانى بمدينة الاقصر . ولا شك أن موسى الكليم شاهدها بعينيه لان رعمسيس الثانى حكم سنة ١٥٥٣ قبل المسيح وكان عمر موسى يومئذ ثمانية عشر عاماً

« وأدركت فرنسا ما يقوم من الصعاب دون نقل المسلة وهى قطعة من الحجر تبلغ زنتها مائتى الف وخمسين الفاً من الكيلوجرامات وعليها نقوش هيروغليفية قديمة . ولم يكن بد من بناء سفينة خاصة لنقلها . وقد تم ذلك فى مصانع طولون حيث انزلت السفينة « الاقصر » الى البحر وأرسلت الى المياه المصرية تقطرها باخرة صغيرة بلغت ميناء الاسكندرية فى ١٤ أغسطوس سنه ١٨٣١ ومن هنالك أخذت تصعد فى النيل حتى وصلت الى مدينة الاقصر فالقت مراسيها أمامها . وكان عدد بحارتها مائة وستة وثلاثين بينهم المهندسون والرسامون والاطباء وغيرهم من أهل الفن ... »

وهنا ينتقل الكاتب الى وصف معيشة البحارة على البر واقامتهم با كواخ مبنية من الآجر وما كانوا يقاسونه من شظف العيش بسبب شدة الحر وكثرة الهوام والحشرات والزحافات من بعوض وعقارب وحيات . ووصف أيضاً ما اتخذه المهندسون من وسائل الحيطة لمنع تشقق السفينة بسبب الحر وما بذلوه من الجهد لزحزحة المسلة من مكانها واحاطتها بألواح الخشب المتينة لئلا تصاب بمكروه . وقال انهم عبدوا الطريق الموصل من موضع المسلة الى السفينة بعد ان هدموا الا كواخ التى كانت تعترضهم ، وقد اقتضت هذه الاعمال استخدام جيش كبير من الوطنيين خلاف بحارة السفينة

« وتم نقل المسلة الى السفينة بالسلامة فسارت بها هذه تقصد الى جزيرة كريت . وبعد يومين من مغادرتها الاسكندرية ـ وكانت قد أصبحت على بعد سبعين فرسخا من الشاطىء

الافريقي ـ هاج البحر وأزبد وهبت من جهة الغرب ريح شديدة صارت تتلاعب بالسفينة «الاقصر» وبالباخرة «سفنكس» التي كانت تقطرها . ورأى ربان الباخرة أنه اذا واصل سيره في مثل ذلك البحر عرض نفسه وجميع من معه للهلاك . ولم يكن معه من الفحم ما يكفيه إذا طال السفر فصمم على تولية وجهه شطر جزيرة رودس على أمل أن تساعده الريح . ولكن البحر ازداد هيجاناً وأصبحت الباخرة والسفينة في خطر الغرق . الا ان المسلة كانت مثبتة بالسلاسل والاخشاب المتينة على ظهر السفينة فلم تتزحزح من موضعها ولا تدحرجت ولو وقع لها ذلك لغرقت هي والسفينة التي تحملها . وبعد خمسة أيام لاحت سواحل جزيرة رودس ثم ما هي الا بضع ساعات حتى رست الباخرة هنالك

« وفي ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٣٣ وصلت المسلة الى باريس ولكن نصبها في ميدان الكونكورد لم يتم إلا في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٣٦ وكان ذلك باشراف المهندس لياس الذي تقدمت الاشارة اليه

« وكان الاحتفال بنصبها في ذلك الميدان بالغا غاية الروعة والجلال . ومن محاسن الاتفاق ان فرنسا كانت قد احتفلت في ذلك العام أيضاً بافتتاح خط السكة الحديدية بين باريس وفرساي . . . وشهد الاحتفال بنصب المسلة مئتا الف شخص يتقدمهم الملك لويس فيليب وأفراد اسرته وكانوا قد جلسوا في شرفة خاصة أعدت لهم في ديوان البحرية المطل على ذلك الميدان الفسيح . وكان المهندس لياس يشرف على جميع دقائق العمل خيفة ان يقع مكروه عند نصب المسلة . ولما بدأت الحبال الضخمة ترفعها من موضعها أخذ الجميع ينظرون بقلوب واجفة خشية أن تنقطع الحبال . ويقال إنه لولا يقظة أحد العمال يومئذ لانقطعت الحبال ولتحطمت المسلة . ولكن العامل المذكور رأى ان الحبال قد بدأت تتأكل وأوشكت ان تنقطع من كثرة الاحتكاك فأسرع وبلها بالماء وحال دون الكارثة »

« واستغرق نصب المسلة ثلاث ساعات على الاقل . وبلغت نفقات نقلها من مصر واقامتها بميدان الكونكورد مليونا وثلثمائة وخمسين الفاً من الفرنكات . ومع ان بعض الصحف الفرنسية انتقدت يومئذ هذه النفقات لانها اعتادت أن تنتقد جميع أعمال الملك لويس فيليب فان جمهور الشعب الفرنسي اعجب بتحقيق ذلك العمل الهندسي الذي كان الكثيرون يعتبرونه مستحيلا بالنظر الى قلة الوسائل الميكانيكية التي كانت في متناول المهندسين في ذلك العهد »

وقد أصبح الآن منظر المسلة الفرعونية مألوفاً عند الباريسيين . وفي كل يوم يمر بها عشرات الالوف من الناس فيلقون عليها نظرة اعجاب . وقلما يخطر ببال أحدهم ان يقف ويحاول فك الرموز الهيروغليفية التي عليها . وتعتبر هذه المسلة زينة ميدان الكونكورد بباريس ، وميدان الكونكورد كما يعلم القراء زينة الميادين في العواصم الجميلة

ماذا فعلت الازمة بأصحاب الملايين

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة «الالوستراسيون»
– بقلم الاستاذ ريشار ليفنسون]

كثيراً ما يخطر هذا السؤال بالبال وهو: ماذا فعلت الازمة بأصحاب الثروات الكبيرة وهل بقيت تلك الثروات على حالها أم أصابها ما أصاب غيرها من الثروات الاخرى ؟

والجواب عن هذا السؤال صعب جداً ، لان أصحاب الثروات لا يبوحون بشيء عنها . فلم يبق للباحث الا أن يرجع الى سجلات الضرائب ليرى ما يدفعه الاغنياء ويستخلص منها مقدار ثرواتهم

وقد يختلف تعريف «المليونير» (أى صاحب الملايين) باختلاف البلدان . فبعض الناس يعنى «بالمليونير» من يملك مليوناً أو أكثر من النقد الاساسى السارى فى بلاده . وعلى هذا التعريف يكون من يملك مليون فرنك فى فرنسا ومليون دولار فى أمريكا ومليون جنيه فى انجلترا ومليون مارك فى ألمانيا من أصحاب الملايين

والاعتقاد الشائع بين الناس أن الولايات المتحدة هي بلاد أصحاب الملايين وهي فى الواقع كذلك فان فيها الكثيرين من الاغنياء . على أن معظم الثروات الثابتة هي على الارجح فى انجلترا . ففى سنة ١٩٢٤ أثبتت احصاءات الضرائب أن فى انجلترا أكثر من ستمائة مليونير لا يقل دخل الواحد منهم عن خمسين الف جنيه فى السنة . وفى سنة ١٩٣٢ كان عددهم قد هبط الى خمسمائة وأربعين «مليونيراً» ، وأصبح عدد الذين يزيد دخلهم السنوى على مائة الف جنيه فى السنة ١٥٧ مليونيراً

أما فى الولايات المتحدة فقد صدم أصحاب الملايين صدمة هائلة . ففى سنة ١٩٢٩ كان فى تلك البلاد ثلاثة وأربعون الف «مليونير» تزيد ثروة كل منهم على مليون دولار . أما فى سنة ١٩٣٢ فقد هبط عددهم الى تسعة عشر الفاً . وهبط عدد الذين يزيد ريعهم السنوى على مليون دولار من ٥١٣ فى سنة ١٩٢٩ الى ١٤٩ فقط فى السنة التى بعدها . وفى سنة ١٩٣١ لم يبق فى نيويورك (وقد كانت مقر نصف أصحاب الملايين بأمريكا) سوى المستر روكفلر وقد ادعى أن ريعه فى تلك السنة لم يزد على مليون ومائة الف دولار مع ان أبنه دفع فى سنة ١٩٢٤ ضريبة الى الحكومة الامريكية عن ريع بلغ ٦٢٧٨٠٠٠ دولار . ومما يجدر بالذكر أن القانون المالى فى الولايات المتحدة يعفى «المليونير» من دفع أية ضريبة اذا أثبت أن خسارته تزيد على الضريبة السنوية التى يدفعها . وبناء على هذا القانون اعفى المستر بيربونت مورجان من دفع أية ضريبة من سنة ١٩٣٠ الى ١٩٣٢

وكانت الازمة ثقيلة الوطأة على أصحاب الملايين فى ألمانيا ايضا . ففى سنة ١٩١٣ كان عدد الذين يملكون مليون مارك فأكثر خمسة عشر الفاً وخمسمائة فهبط هذا العدد فى سنة ١٩٢٣ الى أقل من أربعة آلاف . أما الذين كانوا يملكون اكثر من عشرة ملايين مارك قبل الحرب فكان ٢٢٩ فهبط

بعد الحرب الى ٢٣ فقط . وقد زال اكثرهم اليوم من المانيا . ولم يبق منهم سوى مائة وثمانين مليونيراً يملك كل منهم زهاء خمسة ملايين مارك

ومن أشهر أصحاب الملايين الذين نكبوا بالافلاس ايفار كروجر ملك الكبريت . وكان دخله السنوى فى سنة ١٩٢٨ يقدر بمليونى كرون . وقد دفعه الافلاس الى الانتحار كما يعلم القراء تاركا ١٦٨ مليون دولار من الديون منها ٩٣ مليوناً ديوناً شخصية و ٧٥ مليوناً ديونا على شركته . واصيب أيضاًبالافلاس سوسوكى اليابانى صاحب الشركة المعروفة باسمه فترك مائتى مليون دولار . وانتحر ايضاً الفريد لوفنشتين البلجيكى بعد أن منى بالافلاس

أما كبار أصحاب الملايين فى الوقت الحاضر فهم روكفلر ملك الزيت الامريكى . وكانت ثروته تقدر فى سنة ١٩٢٩ بألف مليون دولار (اكثر من مائتى مليون جنيه) فضلا عن الاموال التى تبرع بها للعلم والاحسان وقدرها ٥٥٠ مليون دولار . اما الآن فتقدر ثروته بنحو خمسمائة مليون دولار

ويليه فى الولايات المتحدة المستر هنرى فورد صاحب مصانع الاتومبيلات المعروفة باسمه . وكانت ثروته فى سنة ١٩٢٨ تقدر بألف ومائتى مليون دولار (اكثر من ثروة روكفلر) ولكنه منى بخسارة فظيعة فلم يبق من ثروته على مايقال اكثر من عشرها

وهنالك الاخوان اندرو ملون وريتشارد ملون . وكان أولهما وزيراً للمالية فى امريكا وكانت ثروتهما فى سنة ١٩٢٩ تقدر بمائتى مليون دولار ولكنها لا تزيد الآن على نصف هذا المقدار

أما فى ألمانيا فان أغنى اهلها فى الوقت الحاضر فريدريك فليك وهو حديث النعمة وصلت ثروته الى خمسمائة مليون مارك ولكنها لا تزيد الآن على مائتى مليون . ويليه اوتو ولف وتقدر ثروته بمائة مليون مارك . وكان هوجو ستنس منذ عشر سنوات أغنى اهل وطنه الالمان وقد ترك عند موته مائتى مليون مارك ذهباً

ولعل أصحاب الملايين الانجليز والفرنسيين هم فى طليعة أغنياء العالم الذين تمكنوا من الاحتفاظ بثرواتهم مع شدة الازمة . وقد كان المسيو كوتى صاحب مصانع العطور الفرنسية أغنى أهل وطنه . أما الآن فان المسيو جيليه صاحب مصانع الحرير والمسيو هينسى صاحب مصانع الكونياك والمسيو دريفوس تاجر القمح هم أغنى الفرنسيين

وفى انجلترا الدوق اوف وستمنستر ويقدرون ثروته باربعين مليون جنيه واللورد ايفيا ويقدرون ثروته بأحد عشر مليون جنيه والسر بازيل زخاروف وهو من كبار أغنياء العالم

وفى الهند نظام حيدر آباد ولعله اغنى أغنياء العالم ولاتعرف ثروته بالتحديد ولكن عنده من الذهب والحجارة الكريمة فقط ما يزيد ثمنه على مائة مليون جنيه . ويقدر دخله السنوى باربعة ملايين من الجنيهات . ويليه امير بارودا وتقدر ثروته فى الوقت الحاضر بثلاثين مليون جنيه

ومن كبار اغنياء الهنود آغا خان ولا يجهل احد من القراء اسمه

أستاذ يحدث ثورة فى العالم

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة «Vu»
بقلم الاستاذ ريشار لفنسون]

« منذ عدلت الولايات المتحدة عن عيار الذهب عمت الفوضى جميع النظم المالية فى اميركا وغيرها . وبدلا من الوفاق الذى كان سائداً بين الدول المصدرة للسلع اصبحنا نرى حرباً شديدة لا يعلم نتيجتها الا الله . ومما يزيد الطين بلة ان الولايات المتحدة قد شرعت منذ عهد قريب فى شراء الذهب من اوربا . ومع ان الكميات التى اشترتها ليست كبيرة حتى الآن فقد اوقعت الذعر فى الاسواق المالية فأصبح كبار الماليين يبحثون عن مكان امين يخزنون فيه اموالهم . وبعد ان كانوا آمنين عليها فى خزائن فرنسا وسويسرا وهولندا صاروا يولون وجوههم شطر الجهات الاخرى من العالم يخزنونها فيها الى ان تمر العاصفة زاعمين ان هذه الخطة هي اسلم خطة تمليها الحكمة عليهم »

ولعل القارىء يتوهم ان التجربة الاميركية مبنية على نظرية حديثة العهد . الا ان الاستاذ ريشار لفينسون يقول انها قديمة بحث فيها علماء الاقتصاد فى انجلترا واميركا منذ اكثر من عشر سنوات . وقد صمم الرئيس روزفلت الآن على تجربتها . ترى ما هي خلاصة هذه النظرية ؟!

« فى سنة ١٩٢٠ نشر الاستاذ ارفنج فيشر كتاباً بعنوان « تثبيت الدولار » برهن فيه على ان الدولار وغيره من النقود التى تستند الى عيار الذهب انما هي نقود وهمية فان الانسان يستطيع ان يشترى بالدولار كمية من البضائع اكثر او اقل من الكمية التى كان يشتريها قبلا او من التى يستطيع أن يشتريها غداً طبقاً لارتفاع الاسعار او انخفاضها . ومثل هذا التقلب فى الاسعار لا يفيد أحداً على الاطلاق الا المضاربين . مع أن العالم كله يستفيد من ثبات الاسعار والتزامها حداً معيناً . وهذا الثبات لا يتسنى الا اذا هدم نظام العالم الاقتصادى واقيم على انقاضه نظام جديد يحول دون تقلب الاسعار »

واليك طريقة تثبيت النقد بمقتضى نظرية الدكتور فيشر :

« تؤخذ طائفة من المواد الأولية اللازمة لمعيشة الانسان ولنظام الاجتماع كالقمح والقطن والحديد وما اشبه . ويتم الاتفاق على ان مقداراً معيناً من كل من تلك المواد يساوى دولاراً . ويسمى هذا الدولار « دولار بضاعة » وتعين نسبته الى دولار الذهب وتجعل تلك النسبة ثابتة . فاذا أقبل محصول العام وكثر القمح ادى ذلك — بمقتضى نظام النقد الحالى — الى هبوط الاسعار . واما بمقتضى نظرية الاستاذ فيشر فان السعر يظل على حاله وانما تزيد ثروة صاحب المحصول . وبالعكس اذا نقص المحصول فان السعر — بمقتضى نظام النقد الحالى — يرفع ، ولكنه بمقتضى نظرية الاستاذ فيشر يظل على حاله . ويستعان على ابقائه على حاله بالدولة نفسها فانها كلما رأت العوامل

متوافرة لرفع السعر أوخفضه تصدر قراراً مؤداه ان الدولار يساوى كمية اكثر أو أقل من الذهب وبهذه الطريقة يشترى الدولار الكمية التى كان يشتريها قبلا من المواد الاولية

« ومن مزايا هذا النظام ان الذى يملك الف دولارمثلا ينام قرير العين لان ثروته تظل هى هى وفى استطاعته أن يشترى بها السلع بعينها بلا زيادة ولا نقصان . وفضلا عن ذلك فان الفلاح الذى يستدين مقداراً من المال يستطيع أن يطمئن متى حان ميعاد الوفاء . فان الدين يظل هو هو فلا يلحقه غبن من ارتفاع سعر الذهب ولا يلحق الدائن غبن من انخفاض ذلك السعر »

قلنا ان نظرية الاستاذ فيشر ليست حديثة بل ترجع إلى سنة ١٩٢٠ وكانت اسعار المواد على اختلافها مرتفعة جداً بسبب تأثير الحرب ونفقات المعيشة ضعفى ما كانت عليه قبل الحرب . لذلك كانت الفرصة ملائمة للاستاذ فيشر لنشر كتابه ، فلما نشره احدث ثورة فى الدوائر الاقتصادية . وفى أوائل سنة ١٩٢١ حدث هبوط عظيم فى أسعار الحاجات زاد على ثلاثين فى المائة. فرأى أصحاب الاموال أنفسهم يزدادون ثراء من يوم إلى يوم ورأى أصحاب المصانع والمواد الاولية أنفسهم سائرين نحو هاوية الافلاس . وشعر الجميع بان الحاجة ماسة الى تثبيت النقد . وبحث البرلمان الامريكى فى نظرية الدكتور فيشر بحثاً مسهباً ، ولكنه لم يصدر أى قرار بشأنها لان الازمة الاقتصادية كانت قصيرة المدى اذ انتهت فى تلك السنة عينها . وأخذت الاحوال تتحسن والمياه تعود إلى مجاريها

الا أن علماء الاقتصاد لم يكونوا مطمئنين إلى النتيجة بل ظلوا يرقبون تطور الحال عن كثب ، ليس فى اميركا فقط بل فى أوربا أيضا . ومن جملة الذين حرضوا الحكومة على العمل بنظرية الاستاذ — مع تنقيحها قليلا — الاستاذ كينز العالم الاقتصادى الانجليزى . فقد نصح لحكومته أن تخرج عن قاعدة الذهب لان هذا المعدن فى نظره سلطان مستبد منذ أقدم عصور الحضارة

وانحاز فريق كبير من علماء الاقتصاد الاميركيين الى الاستاذ فيشر . وكانت طائفة منهم تحيط بالمستر روزفلت منذ أول انتخابه رئيساً للولايات المتحدة وهؤلاء الاقتصاديون هم الذين أقنعوه بتجربة نظرية الدكتور فيشر . وعليه خرجت الولايات المتحدة عن قاعدة الذهب . فاخذت أسعار المواد الاولية ترتفع بالتدريج ولكنها لم ترتفع بعد إلى الحد الذى يعتبره الرئيس روزفلت المستوى المعقول . .

وما هو ذلك المستوى ؟

هو مستوى اسعار سنة ١٩٢٦ الذى يعتبره علماء الاقتصاد الاميركيون مستوى طبيعياً للمواد الاولية ، ومع ان خروج الولايات المتحدة عن قاعدة الذهب قد أدى إلى ارتفاع أسعار المواد الاولية ارتفاعاً كبيراً فان هذا الارتفاع لايزال دون مستوى سنة ١٩٢٦ بمقدار ثلاثين فى المائة . فرغبة فى الوصول إلى ذلك المستوى يأمر المستر روزفلت من وقت إلى آخر بشراء الذهب من أوربا خفضاً لقيمة الدولار الاميركى ورفعاً لاسعار المواد الاولية

تقدم العلم والعالم

مصل جديد لمقاومة السرطان

لما عقد المؤتمر الامبراطورى لمكافحة السرطان فى لندن فى الصيف الماضى اعلن الدكتور توماس لمزدن (Dr. Th. Lumsden) من اطباء مستشفى لندن انه قد جرب مصلا جديداً لمعالجة السرطان فحقن به خمسة وعشرين مصابا كانوا قد عولجوا قبلا بالراديوم وبطريق الجراحة فلم يشفوا، ولكن المصل الجديد افادهم فائدة عظيمة. وكان الدكتور لمزدن قد جرب هذا المصل فى جماعة من الفئران مصابة بالسرطان فنالت الشفاء التام. وهو يريد الآن تعميم التجربة فى الانسان أيضا. ومع ان نتيجة التجربة غير حاسمة حتى الآن فان الآمال بنجاحها قوية جداً

ولم تذكر المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر شيئاً عن المواد التى يتألف منها المصل المذكور

شلل الاطفال في مصر

يقول الدكتور «روراه» من اطباء مستشفى جون هوبكنس باميركا ان شلل الاطفال كان معروفا فى مصر منذ أربعة آلاف وخمسمائة سنة. وقد بنى قوله هذا على درس هيكل عظمى لولد مصرى عاش سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد، وكان السر فلندرس بترى قد اكتشف هذا الهيكل سنة ١٨٩٧. ونظراً الى كون احدى الساقين اقصر من الاخرى زعم العلماء فى أول الأمر أن صاحب الهيكل كان قد أصيب فى حياته بكسر فى عظم ساقه ثم جبر ذلك الكسر وبقيت احدى الساقين اقصر من الأخرى. إلا أن الدكتور روراه فحص الساقين فحصاً دقيقاً فلم يجد أثراً لأى كسر، وانما رأى ماحمله على القول بأن صاحب الهيكل العظمى كان قد اصيب فى حياته بالمرض المعروف عندنا بشلل الاطفال أى أن هذا المرض كان معروفا فى مصر منذ أربعة آلاف وخمسمائة سنة

مرض جديد

ليست الامراض التى تصيب الانسان محصورة، بل ان امراضاً جديدة تظهر بمرور الزمن تبعاً لتطور جسم الانسان ومقتضيات المدنية. واحدث الامراض التى ظهرت الى الوجود مرض غريب اكتشفه الدكتور سيل هاريس من اطباء مدينة برمنجهام الاميركية، والقى عنه خطبة فى المجمع الطبى الاميركى وقد سماه «مرض الافراط فى الانسولين» أو (Hyperinsulinism) لانه ينشأ على ما يظهر من افراط غدة البنكرياس فى افراز مادة الانسولين. فهو إذن عكس مرض السكر أو الديابيطس الذى يقل فيه افراز الانسولين. ومن أعراض هذا المرض تشنجات تشبه الصرع وتهيج الاعصاب، ورعشات من وقت الى وقت، وافراز العرق بغزارة، وارتخاء فى العضلات تعقبه غيبوبة. وقد يقتضى هذا الداء إزالة جزء من غدة البنكرياس. وفى الوقت ذاته يجب أن يقتصر غذاء المصاب على المواد الدهنية والتى تقل فيها نسبة الكربوهيدرات

حفظ البقول

اذا وضعت البقول الطازجة فى جو معتدل الحرارة فقدت جانباً من نكهتها بخلاف ما لو وضعت فى جو بارد

من عادات فتيات الهند

من عادات بعض قبائل الهنود التى تباهى بقوتها وشجاعتها ان فتياتها يقمن الحفلات العامة ويرقصن فيها الى مطلع الفجر من دون ان يتوقفن

نقود أثرية

بينما كان عمال من مدينة لارنكا بقبرس يحفرون ارضاً لوضع أسس لمستشفى جديد عثروا على كنز كبير من نقود يونانية قديمة ترجع الى المائة الخامسة قبل الميلاد

الحواس باختلاف الأشخاص

تختلف الحواس باختلاف الاشخاص كثيراً جداً . لحاسة البصر مثلا قد تكون قوية فى انسان وضعيفة فى غيره ، وكذلك القول فى سائر الحواس . وقد روت احدى المجلات العلمية انه ثبت من تجارب كثيرة ان بعض الروائح هى عطرية لبعض الناس ولكنها مكروهة عند غيرهم ، وان بعض المواد هى حلوة المذاق فى بعض الافواه ومرة أو مالحة فى غيرها

للمصابين بالصمم

استنبط الدكتور هوجو ليبر من أهالى مدينة نيويورك جهازاً يستطيع الاصم بواسطته أن يسمع الاصوات عن طريق عظام الجمجمة

حرب الغازات

يقول بعض علماء الكيمياء ان الغازات هى أقرب أدوات القتال الى الانسانية . وهى أكثر انطباقا على مبادىء الرحمة والشفقة من المدافع والمقذوفات على اختلاف انواعها . ومع ذلك تسعى بعض الدول الى تحريم استعمالها فى الحروب . ويؤخذ من سجلات الحرب العظمى الماضية ان عدد الجنود الاميركيين الذين أصيبوا بسموم الغازات كان ٧٠٧٥٢ جندياً ، لم يمت منهم سوى مائتين فقط ونجا الباقون . ويؤخذ من تقارير علماء الكيمياء أن أخطر الغازات التى استعملت فى الحرب الماضية غاز الفوسجين ومع ذلك فهو أقل خطراً من مقذوفات المدافع

منطقة الاوزون

الاوزون أو الهواء المؤلف من الاوكسجين النقى يكثر فى طبقات الجو العالية . وقد نشر الدكتور جوتز السويسرى والاستاذان دوبسون وميتهام الانجليزيان مقالة فى مجلة « نايتشر » العلمية اثبتوا بها أن مادة الاوزون تكثر فى طبقات الجو على ارتفاع ثمانية اميال فوق سطح البحر

زجاج لين

استنبط أحد علماء الكيمياء الالمان نوعا ليناً من الزجاج ينثنى ولا ينكسر . وقد عرض هذا الزجاج فى مدينة آخن حيث أقيم معمل لصنعه . وكان بعض الناس يعتقدون أن هذا الزجاج هو مادة صمغية شفافة تشبه السليولويد . ولكن مستنبطه اثبت امام لجنة من الخبراء انه زجاج حقيقى

مدن العالم الكبيرة

فى العالم أكثر من ٥٠٠ مدينة يزيد عدد سكان كل منها على مليون نفس

كلاب البحر المنقرضة

لا تزال كلاب البحر أشد الحيوانات البحرية خطراً. على ان الفصيلة الاشد خطراً منها قد انقرضت لحسن الحظ، وكانت تملأ البحار منذ عدة ملايين من السنين، وكان لبعضها فك طوله خمس اقدام وفيه انياب حادة قاتلة. وكانت تلك الحيوانات سريعة الحركة جداً شديدة الفتك باعدائها

الثلج الذهبي

كثيراً ما ينزل على الارض وعلى قنن الجبال ثلج اصفر. وسبب هذا اللون هو وجود اسراب من الهوام الصفراء التى تحلق على رؤوس بعض الجبال، فاذا سقط الثلج ابتلعها ونزل بها الى الارض، فيبدو اصفر ذهبي اللون. وقد روت احدى المجلات العلمية الأميركية ان ثلجاً بهذا اللون سقط حديثاً فى بعض الجهات الجبلية بالولايات المتحدة

لين العظام

كثيراً ما تكون عظام الجسم لينة جداً فيزعم الطبيب ان لينها ناشىء عن مرض الكساح المسبب عن نقص بعض انواع الفيتامين من الغذاء. على ان البحث العلمى قد أثبت أن مرض بعض الغدد الصماء قد يجعل العظام لينة جداً، حتى لقد روى احد الاطباء ان رجلا كسر عظم ساقه لأنه عطس، وكان مصاباً بعطب غدده الصماء

اسطورة الاتلانتس

هي اسطورة القارة الضائعة التى يزعم بعض العلماء انها حقيقية، مع ان العلم لم يوفق الى اثباتها حتى الآن. ولا يخفى ان افلاطون فيلسوف اليونان الكبير هو أول من بسط حكاية هذه القارة وقال انه تلقى اخبارها من كهنة المصريين الذين كانوا مشهورين بالعلم وكانوا حراساً لخزائن الحكمة. وقد ذكر افلاطون أن أهالى اتلانتس المذكورة كانوا على جانب عظيم من العلم والحضارة وانهم حاربوا اليونان قبل عهد افلاطون بنحو تسعة آلاف سنة وان اليونان انتصروا عليهم فانقذوا حضارة أوربا وافريقيا منهم، الى آخر ما فى هذه الاسطورة من الاخبار الغريبة التى انقسم العلماء بسببها الى مصدق ومكذب

وقد تصدى الدكتور هايدل استاذ اللغة اليونانية القديمة بجامعة ويزليان باميركا لدرس هذه الاسطورة، فانتهى الى هذه النتيجة وهى أن الاسطورة ملفقة من أولها الى آخرها وان افلاطون هو الذى لفقها ليستنهض بها همة قومه. وانه عزاها الى كهنة المصريين القدماء ليجعل لها قيمة عند الذين يسمعونها

الآلات الزراعية في اميركا

يعتقد البعض ان الآلات الزراعية من بخارية وكهربائية شائعة فى جميع الحقول والغيطان فى الولايات المتحدة. ولكن احصاء رسمياً لوزارة الزراعة هنالك يدل على ان ستة وثمانين فى المائة من مجموع الحقول والغيطان الاميركية لا تزال تدار بواسطة الثيران والبغال والخيل بحسب الطرق القديمة

معالجة امراض القلب

من الاكتشافات التى وفق اليها العلم ما رواه بعض الاطباء الالمان من انهم عالجوا طائفة من أمراض القلب بازالة الغدة الدرقية من الجسم . وتقول المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر ان احد الاطباء الالمان عالج ثلاثة عشر رجلا مصابين بمرض القلب بازالة الغدة الدرقية، فكانت النتيجة أن احد عشر منهم نالوا الشفاء التام وتحسنت صحة الاثنين الباقيين تحسناً عظيما

التحنيط قديما

كانت طرق التحنيط عند المصريين القدماء تختلف باختلاف الزمان والمكان وباختلاف غنى الاشخاص ووجاهتهم . وكان تحنيط الجثة على أفضل طريقة يقتضى شهرين من الزمن

جرو الدب

عندما يولد الدب قد لا يزيد وزنه على خمسة أرطال . ومتى كبر زاد وزنه الى خمسمائة رطل ، وربما وصل الى الف رطل

سكان القدس

فى احدى الصحف الاميركية ان سكان مدينة القدس قد زادوا ٤٤ فى المائة فى خلال العشرة الاعوام الماضية

مدينة « سر من رأى »

بنيت هذه المدينة على شاطىء دجلة فى المائة التاسعة للميلاد واتسعت بعد مدة وجيزة حتى صارت من أكبر مدن العالم واجملها فى ذلك العهد، ولكن عمرها منذ انشائها الى حين هجرها اهلها لم يزد على سبعة وأربعين عاماً

حواس الفيل

يظهر أن أقوى حواس الفيل هى حاسة السمع وتليها حاسة النظر وأضعفها حاسة اللمس . أما حاستا الشم والذوق فتكادان تكونان متعادلتين

من آثار الديناميت

من آثار استنباط نوبل لمادة الديناميت أن كثيراً من المعادن كالحديد والنحاس والرصاص والزنك أصبحت رخيصة فراجت فى الصناعات المختلفة رواجاً كبيراً

ضغط الدم

يظهر ان درجة ضغط الدم لا تختلف باختلاف حالات الصحة والمرض فقط بل باختلاف أجناس الشعوب أيضا . ويقول بعض العلماء ان أقل درجات الضغط الدموى هى فى شعب جواتيمالا

النقوش المصرية القديمة

كانت الكتابات التى يؤمر بنقشها على جدران المعابد المصرية القديمة تعرض على « الرقيب » الرسمى لكى يأذن فى نقشها بعد تنقيحها كما يتراءى له

البعثة القطبية

لا يخفى ان بعثة علمية اميركية تستعد للسفر الى المجاهل القطبية الجنوبية (وهى المعروفة ببعثة بيرد) . ومن جملة افراد هذه البعثة طبيب سيحمل معه زجاجة صغيرة خضراء اللون تحتوى على كمية من الفيتامين « C » تكفى البعثة مدة سنتين

لاعب الفوتبول

يقول أحد الاطباء الاخصائيين ان لاعب الفوتبول قد يفقد نحو سبعة ارطال أو عشرة من وزن جسمه بعد خروجه من ميدان اللعب ، فاذا كان صحيح البنية استرد مافقده من الوزن بعد يوم أو يومين

عندما تلسع النحلة

ان النحلة عندما تلسع أحداً تستخدم اثنين وعشرين عضلا من عضلات جسمها وهى تترك غالباً حمتها فى جسم الملسوع

مواد معدنية غريبة

كثيراً ما نجد فى بعض القفار أو الحقول مواد حجرية بلورية تشبه الزجاج ويضرب لونها الى الخضرة . وكان العلماء يحارون فى تعليلها لانها مواد طبيعية غير مصنوعة . وقد اثبت الآن احد علماء الجيولوجيا ان هذه المواد هى قطع من نيازك أو رجم سقطت على الارض من فضاء الكون

معرض شيكاجو

من جملة المعروضات فى متحف شيكاجو الأخير تمثال جسم انسان شفاف بالحجم الطبيعي ، يستطيع الناظر اليه ان يرى جميع الاعضاء التى هى داخل الجسم كما هى

أعلى من صنم رودس

كان صنم رودس من عجائب الدنيا السبع . ومع ذلك فان تمثال الحرية المقام عند مدخل ميناء نيويورك هو اعلى من ذلك الصنم خمسين قدماً

خفة الطيور

ان سبب خفة الطيور هو فراغ عظامها من المخ وامتلاؤها بالهواء فقط

اليابانيون والسمك

يظهر أن اليابانيين هم فى مقدمة الشعوب التى تأكل السمك . ويعتقد العلماء ان هذا هو سبب ذكائهم مع انهم يكثرون – كالصينيين والهنود – من أكل الرز ، والرز كما يقول بعض الاخصائيين فى علم التغذية ليس من المواد التى تساعد على نمو الذكاء

الصمم الوراثي والنساء

تدل مباحث الاطباء على أن الصمم الوراثى هو أكثر انتشاراً بين النساء منه بين الرجال وان عدد المصابات به فى اوربا واميركا هو ضعفا عدد المصابين به

فى مجاهل القطب الجنوبي

يقول الذين وصلوا الى جهات القطب الجنوبى ان فى الامكان سماع الاصوات عن مسافات بعيدة وانه يستطاع سماع صوت الانسان الاعتيادى عن مدى كيلو مترين ونصف كيلو متر أو اكثر ، ونباح الكلاب عن مسافة اربعة عشر كيلو متراً

نوم البنات والصبيان

البنات والصبيان الذين تتساوى اعمارهم يختلفون فى نوع نومهم ، فالبنات ينمن نوماً اهدأ وأدل على الراحة من نوم الصبيان . وليس ذلك فقط بل يستغرقن فى النوم قبل الصبيان عادة

معاصر للانسان الاول

بينما كان احد العلماء يقوم بالبحث والحفر فى جهة كانام بافريقيا الشرقية عثر على بقايا انسان (اطلق عليه اسم كانام) يرجح انه عاش فى افريقيا منذ نصف مليون سنة على الاقل ، فكان معاصراً للانسان القرد (بشيكانثروبوس) فترى من هذا انه لايكاد يمر عام ، إلاويكتشف العلماء آثاراً جديدة تدل على قدم الانسان على هذه الارض

جهاز غريب

اخترع الدكتور سايكس من اطباء مدينة ليدز بانجلترا جهازاً غريباً اذا صح ما قرأناه عنه وجب وضعه فى مصاف اعظم الاختراعات التى وفق اليها الانسان ، اذ يمكن بواسطته قياس قدرة المريض على احتمال العملية الجراحية التى يراد اتمامها له . وهذا الجهاز دقيق جداً ويبين بالارقام العددية حالة قلب المريض وقواه الجسمية من حيث احتماله العملية الجراحية أو عدم احتماله لها . ويقال ان التجارب الكثيرة قد اسفرت عن اثبات فائدة الجهاز المذكور

فى اثناء العمليات الجراحية

لا يخفى أن العمليات الجراحية البسيطة لا تحتاج الى أكثر من تخدير موضعى . وقد شرع اطباء مستشفى بروكلن فى تجربة جديدة ، وهى انهم اذا أرادوا اتمام عملية جراحية بسيطة خدروا موضع العملية تخديراً محلياً ثم ألهوا المريض بوضع سماعات راديو على أذنيه ليتمتع بسماع الانغام الشجية وينصرف عن رؤية سكين الجراح

أثر مصرى فى فلسطين

بينما كان علماء الآثار فى فلسطين يقومون باعمال الحفر فى الموضع المعروف ببيت شمس عثروا على فص خاتم قديم بشكل جعران هو فص الخاتم الذى لبسته الملكة « تى » يوم اقترانها بفرعون امنهوتب الثالث

من تأثير الازمة

من آثار الأزمة الاقتصادية الحالية ما ذكره المستر هارى هوبكنس مدير « مصلحة الاعانات » فى الولايات المتحدة . فقد قال ان فى تلك البلاد ستة ملايين من الاولاد الصغار لايتناولون طعاماً مغذياً ، لان آباءهم قد نكبوا بويلات الأزمة ولا يستطيعون أن يقدموا لهم الطعام الكافى

الزيت فى قيعان البحار

ثبت أخيراً أن فى قيعان البحار ينابيع زيت غزيرة أحدها نبع واقع على مقربة من سواحل كاليفورنيا الجنوبية

مناجم جديدة للذهب

اكتشفت مناجم جديدة للذهب فى مستعمرة الكونجو البلجيكية يقال انها غنية جداً وستشرع الحكومة البلجيكية فى استغلالها فى هذا العام

لحم الفيل

يظهر ان بعض الشعوب الافريقية تستطيب لحم الفيل وتحسبه من أفخر اللحوم . على أن الذين ذاقوه من المتمدنين يعدونه تافهاً جداً بل مكروها لانه يشبه مادة غروية لا طعم لها

كتب جديدة

صوت الجيل

تأليف الاستاذ ابراهيم المصرى

طبع بمطبعة سابا بالقاهرة . صفحاته ١٤٩

أهدى الاستاذ ابراهيم المصرى هذا الكتاب لشباب الجيل الحاضر ، وهو مجموعة قيمة من المقالات والبحوث الممتعة التى تعبر عن نزعات هذا الجيل فى مصر والخارج . فانت تقرؤها فترى ما يجول فى نفوس شبان اليوم من خواطر ونزعات وأفكار وآمال . وقد ابتدأها بمقال « بينى وبين نفسى » وهو دراسة ممتعة لنفس الانسان ، الغرض منها العثور عن النفس ومعرفة الضمير ، إذ فى ضمير الشخص يكون ضمير العالم ، ومن فكرته الشاردة البسيطة تنبثق الفكرة الكلية الكاملة

ويلى هذا المقال مقال « البطولة والعظمة » ثم « تسليم الى الشباب » ثم « جحيم المثقفين » و « المتعلمون والشعب » و « النفسية الانجليزية » و « نهضة الصين وادبها » و « اليابان الحديثة » و « الشخصية الانسانية » ويلى هذه غيرها من المقالات والبحوث . وقد جاء فى مقال « الشخصية الانسانية » وهو من أحسن المقالات التى احتواها هذا الكتاب :

« ... ولكن على أية قاعدة يجب أن تستند الثقافة لى تزهر وتؤتى ثمارها ؟ لا اتردد فى المصارحة ان هذه القاعدة هى الحرية ، وان شرط الثقافة الأول والاخير هو ان نحرر عقولنا من التقاليد والخرافات ، وان تقدم على التفكير الحر ، غير حافلين بما قد يصيبنا من نتائجه ، وان نبتغى الحقيقة لوجه الحقيقة . أما اذا استبدت عقائدنا وتقاليدنا بعقولنا وعواطفنا وراحت تملى علينا نوعاً خاصاً من التفكير والاحساس ، كان ذلك منا عبودية وتقهقراً وجهلا مستوراً يحول بيننا وبين معرفة العالم وبالتالى معرفة انفسنا »

فجر التاريخ

تأليف الاستاذ احمد زكى بدوى

طبع بمطبعة صلاح الدين الكبرى بالاسكندرية بشارع الكنيسة المارونية . صفحاته ١١١

الانتروبولوجيا أو علم وصف الانسان فى فجر التاريخ ، تبحث عن الانسان كحيوان وعلاقته بباقى المخلوقات الحية ومكانه فى الطبيعة وتركيبه البدنى ، واعماله العضلية والعقلية على ضوء علم التشريح المقارن وعلم وصف الاعضاء وعلم الانسجة . وتبحث عن قدم الانسان كما تدل عليه بقاياه . وهذا أحد نوعيها وهو الطبيعى . أما الانتروبولوجيا الاجتماعية فهى دراسة الانسان الاول من الوجهة الارخولوجية Archeological فى ضوء ما تخلف من آثاره وفنونه ، ثم دراسة الانسان كحيوان اجتماعى ودراسة نظمه الاجتماعية بالبحث المقارن

كالعادات والتقاليد والتعاليم والميلاد والزواج وغير ذلك. وليس من شك فى ان دراسة هذا العلم تنير السبيل امام الذين يحبون تحديد الرقى الذى وصلت اليه الحضارة الحديثة، بالنسبة لما سبقتها، وتوضح حقيقة العقائد والتقاليد الشائعة فى المدنيات القديمة حتى لايواجهها الباحث كمسائل معقدة

وقد أحسن الاستاذ احمد زكى بدوى حيث جمع فى هذا الكتاب على صغر حجمه خلاصة وافية عن هذا العلم فقدمه بفصلين عن التاريخ الجيولوجى، والتاريخ البيولوجى، ثم تكلم فى فصول تالية عن الانسان الأول وانفصاله عن الحيوان وانواع الانسان الخ.. وعن نشوء الجماعات والانتقال السياسى ونشوء الدولة وعناصر الاجتماع، ثم عن الاسرة، والدين والقانون، والاخلاق والفن والمعرفة والكتابة واللغة. وختم هذه الفصول بفصل ممتع عن الحضارة المصرية وأصل المصريين

وكل من تناول الكتاب يجد فيه أثراً واضحاً من العناية، ويقتنع بان المؤلف قد أخلص لموضوعه، فاتقنه أجمل الاتقان

روائع من قصص الغرب

ترجمة الاستاذ كامل كيلانى

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . صفحاته ٥٧٤

يكاد يكون الأديب المفضال الأستاذ كامل كيلانى قد تخصص فى إصدار القصص الممتعة. فبين آن وآخر نرى له تحفة قصصية إماموضوعة أو مقتبسة أو مترجمة، يهديها الى الناشئين. وقد أصدر عدة قصص للاطفال نالت إقبالا ورواجاً. وأصدرغيرها من القصص الأخرى التى رضى الأدباء عن كثير منها، ولا نشك أن كتاب «روائع من قصص الغرب» سوف يقابله القراء بكثير من الاعجاب والتقدير. ففضلا عن أن الأستاذ كامل قد ترجمه بأسلوب فصيح، قد أحسن اختيار قصصه من أحسن ما كتبه أدباء الغرب، بما يحتوى على عمق التفكير وقوة الخيال ودقة التحليل، ويتناول الاحوال الانسانية والاصلاح الاجتماعى العام الذى تشترك فيه جميع الأمم. ولهذا كانت تلك القصص قصصاً انسانية عامة لاتختص بامة دون امة ولا زمن دون زمن، بل مادتها الانسان والحياة التى يشترك فيها جميع الأفراد والجماعات على السواء. وهذا النوع هو أعلى مراتب القصص، وهو القصص الصحيح بمعناه الفنى

قلب جزيرة العرب

بقلم فؤاد بك حمزة

طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة . صفحاته ٤٦٢

لعل هذا الكتاب الذى قام به الاستاذ فؤاد بك حمزة عن قلب الجزيرة العربية من أنفس الكتب التى كتبت فى هذا الموضوع ان لم يكن أول كتاب الف باللغة العربية عن الطور الجديد الذى دخلت فيه بلاد عسير ونجد وتهامة والحجاز وما يتبعها من الملحقات، وعن التغييرات الجغرافية والاجتماعية التى طرأت على هذه البلاد. فقد قضى فؤاد بك حمزة مدة فى قلب الجزيرة العربية وشغل منصباً كبيراً فى الحكومة الحجازية. وساعده هذا الاتصال الوثيق بالشعوب والقبائل والحكومة، وما له

من دراية واسعة بأحوال هذه البلاد على ان يخرج لقراء العربية هذا السفر الجليل عن المملكة العربية السعودية ، وعن أحوالها الطبيعية والعمرانية ، وعن قبائلها واصطلاحات هذه القبائل ولغاتها وعاداتها وأشعارها وأنسابها ، الى غير ذلك مما يتعلق بحياة هذه البلاد . وقد ختم هذا السفر بقسم رابع عن تاريخ البلاد من عهد العرب البائدة الى وقتنا هذا أى إلى عهد آل سعود . ثم ذيله بملحق عن الربع الخالى . ولا شك ان الاستاذ فؤاد بك حمزة قد أهدى إلى الذين يعنون بالشئون العربية أحسن هدية يستعينون بها على خدمة القضية العربية والتعاون مع سائر الاقطار التى توحد بينهم لغة الضاد

المجموعة النباتية الطبية

تأليف الاستاذ عازر ارمانيوس

طبع بالمطبعة المصرية . صفحاته ٢٠٨

يشتمل هذا الكتاب على اربعمائة نوع من النباتات المتعارفة والبقول التى تستعمل للغذاء والاستشفاء . وهى مرتبة على حروف الهجاء . وقد ذكر المؤلف عن كل نوع منها فائدته ووظيفته باختصار . ولهذا فهو مفيد للجمهور خصوصاً الذين يتوخون منافع العقاقير ويحرصون على استخدام انفعها

ونحن نقتبس سطوراً من هذا الكتاب كمثل يطلع عليه القراء . قال تحت عنوان « حبة السوداء » :

« شونيز بالفارسية ـ حبة البركة والحبة المباركة ـ نبات بذوره تعتصر فيخرج منها زيت ينفع من السعال العصبى واوجاع الصدر ويؤخذ نقطاً على القهوة ، منبه معدى مدر للبول واللعاب والطمث ،ضاد للرياح كما انه من التوابل والبهار . ويضاف على الخبز معطرا . والحبة السوداء من العناصر الرئيسية الداخلة فى تركيب (المفتقة) المعروفة باللكاوكة بلغة الاسكندريين »

كفيل الانشاء

لمؤلفه الأستاذ ادوار مرقص

طبع بمطبعة كوميين باللاذقية . صفحاته ١٤٢

وهو كتاب مدرسى سهل المأخذ ، يشتمل على نماذج من الرسائل التجارية والوثائق الرسمية مع قواعد وارشادات ومثل وتمارين على الانشاء العالى فى جميع انواعه ، من حل الشعر واحتذائه الى نثر فصيح على نمط رسائل البلغاء . كما انه يشتمل على خلاصة وافية فى الخطابة وشروطها وقوامها ومحاسنها ومساوئها . وكل ذلك موضح بالأمثلة والتمارين

الاخبار فى سير الرجال

تأليف السيد محمد خالص على الملا حمادى

طبع بمطبعة النجاح ببغداد . صفحاته ١٦٠

هو كتاب تاريخى اجتماعى ادبى مصور يحتوى على تراجم الزعماء والعظماء والادباء والتجار فى البلاد العربية والمهجر ، يصدر على شكل كراسات . وقد ابدع فى تأليفه السيد محمد خالص واثبت فيه وقائع ووثائق مهمة . وقد نفدت الطبعة الاولى من هذا الكتاب . وهذا يدل على انه لقى من القراء قبولا حسناً

الحكيم وسلمى

تأليف الاستاذ توفيق حسن نادر الشرتونى .

صفحاتها ١٣٤

هى قصة الفتى والفتاة ، أو هى قصة المحبة التى خلقها الله بين الرجل والمرأة ، وهى قصة واقعية حدثت بين اثنين ولكنها تقع لكل فتى ولكل فتاة لانها انسانية ، ولان موضوعها انسانى مشترك بين الجميع . ولذلك يرى القارىء والقارئة نفسيهما فى هذه القصة ، التى يقول عنها مؤلفها انه كتبها بعد ان درس العواطف الانسانية دراسة مستفيضة وسبرغور نزعاتها واميالها وعرف اسباب ضعفها وعوامل آلامها ويأسها ، وجاء بكتابه هذا ناصحا مرشداً الى طريق الراحة والطمأنينة

وقد قسم المؤلف هذه القصة الى اثنى عشر يوماً ذكر فى كل يوم طوراً من اطوار المحبة منذ بدأت . وذلك على لسان شخص ناصح دعاه الحكيم ولسان فتاة اسمها سلمى ، وجعل يصف واسطتها كل مايقع فى الحب من احلام وآلام

طرق الاعلان

تأليف الاستاذ مليكه عريان

طبع بالمطبعة التجارية الحديثة بالقاهرة .

صفحاته ١١٦

أصدر الاستاذ مليكه عريان الاستاذ بمدرسة التجارة العليا بالقاهرة هذا الكتاب عن طرق الاعلان . وهو أول كتاب صدر فى هذا الموضوع باللغة العربية ، يبين اصول الاعلان واساليبه وفوائده ، ويعطيك ارشادات جليلة عما يجب عليك ان تفعله لرواج تجارتك ان كنت تاجراً وللاشادة بصناعتك ومصنوعاتك ان كنت صانعاً . وعلى الجملة هو يهديك الطريق السوى الى النجاح فى هذا المضمار الذى يتصل بالحياة الاقتصادية اتصالا وثيقاً وتعتمد عليه التجارة والصناعة خصوصاً فى العصر الحاضر الذى اصبح الاعلان فيه عن المنتجات المادية والادبية شرطاً اساسياً لنجاحها فى الحياة العامة

كتب أخرى

(اللاسلكى) تأليف الاستاذ ادمون عبد النور المدرس بالجامعة الاميركية . وهو كتاب على مفيد اهدته زميلتنا المقتطف الى قرائها

(خادمة الخدر) قصة طريفة فيها عظة وعبرة . تأليف الاستاذ مهدى احمد خليل . طبعت بمطبعة مصر

(دروس الطبيعة) تأليف الاستاذ انيس هندية استاذ الطبيعة والكيمياء فى تجهيزية حلب . وهذا الكتاب لتلاميذ الصف الرابع من المدارس التجهيزية

(مأساة التقاليد) رواية تمثيلية . تأليف الاستاذ عبد الرحمن عثمان على . طبعت بمطبعة التقدم بالاسكندرية

(صحائف مطوية) رسالة مفيدة فى تاريخ النوبة . تأليف الاستاذ محمد كامل حته . طبعت بمطبعة المنار بالقاهرة

(الحكم المنتقاة) يشتمل على عدة احاديث وأقوال من أقوال النبي محمد (ص) والخلفاء الراشدين وغيرهم . طبع بمطبعة الآداب الحديثة بالفجالة بالقاهرة

بين الهلال وقرائه

سندات البنك العقاري

(دوما — لبنان) ميشال خليل خير

بما ان سندات البنك العقاري القديمة (اصدار سنة ١٨٨٦) قد قاربت الانتهاء فنرجو منكم ان تفيدونا هل تقبل الشركات ضماناً عن السنة الاخيرة؟

(الهلال) نعم ، ولكن أجور ذلك الضمان (التأمين) ستكون عالية جداً لسبب لا يخفى على فطنتكم

تقمص الروح

(القاهرة — مصر) أحمد القراء

يقولون ان روح التوءم الصغير اذا اشتهت شيئاً وارادت الحصول عليه تشكلت بهيئة قطة سوداء وان ما يصيب جسم القطة من الم أو شبع أو خلافهما يشعر به التوءم شعوراً واضحاً يبدو عليه بجلاء . فكيف تعللون هذه الظاهرة ؟

(الهلال) هي خرافة لا يصدقها من في رأسه ذرة من العقل !

تثقيف المسيح

(بللو هوريزنتو — البرازيل) سعيد مراد

هل كانت تعاليم المسيح نتيجة وحي هبط عليه ام نتيجة دراسته في احدى مدارس ذلك العصر ؟ وفي اية مدرسة تعلم ؟

(الهلال) المسيح في نظر المسيحيين هو الاقنوم الثاني فجميع اعماله وتعاليمه في نظرهم وحي مستمر غير منقطع . ومع ذلك كان المسيح باعتبار طبيعته الجسدية يغشى الجامع ومجالس الشيوخ والعلماء وينصت الى شروحهم وتعاليمهم حتى تفقه في حقائق الدين اليهودي منذ نعومة اظفاره وصار يدهش الناس بآرائه وأحاديثه وهو بعد فتى يافع . فكانوا اذا سمعوه يتحدث أو يخطب قالوا : أليس هذا هو النجار ابن مريم ؟ (انجيل مرقس ٦ : ٣) وفي انجيل لوقا (ص ٢ : ٤١) أنه لما كان ابن اثنتي عشرة سنة ذهب مع ابويه الى اورشليم ثم انفصل عنهما وذهب الى الهيكل فاخذا يبحثان عنه حتى اهتديا اليه « جالساً في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته »

دخول الازهر

(جاكارهي — البرازيل) خليل مناسس

هل يقبل الازهر طلبة من غير المسلمين ؟

(الهلال) كلا

فضاء الكون

(عمان — شرقي الاردن) هارون خيرى

نعلم ان الاجرام السماوية تسبح في فضاء نهائي أفليس من المحتمل وجود فضاء آخر وراء هذا الفضاء تسبح فيه اجرام سماوية غير الاجرام المعروفة عندنا؟

(الهلال) ليس ثمة ما يمنع من ذلك علمياً . بل ان آراء العلماء مجمعة على وجود فضاء آخر لا نهاية له يحيط بالفضاء النهائي الذي تسبح فيه الاجرام العلوية . ولكن هذا الفضاء الخارجي الذي لا نهاية له هو على الارجح فراغ تام خال من المادة وهو ظلمات بعضها فوق بعض . ونظراً الى شدة بعده لا تنيره اشعة الاجرام التي في الفضاء النهائي . ومع ذلك فقد يثبت العلم في المستقبل ان هذا الفضاء الخارجي الذي لا نهاية له ليس في الحقيقة فارغاً بل فيه اجرام علوية كالاجرام التي تسبح في الفضاء النهائي

ان النظرية العلمية الحديثة تقول ان العالم آخذ في الاتساع . ومعنى ذلك ان الفضاء النهائي الذي تسبح فيه جميع الكائنات يتسع اتساعاً تدريجياً كما تتسع كرة القدم (الفوتبول) عندما تنفخها . والدليل على هذا ان الاجرام السماوية — ولا سيما البعيدة عنا الواقعة عند نهاية الفضاء المحدود — تندفع مبتعدة عن مركز الكائنات بسرعة هائلة الى جميع الجهات حتى يكاد يخيل لمن يرصدها بالمراصد الكبيرة

أنها شظايا قذائف منفجرة متطايرة في فراغ الكون نحو ذلك الفضاء الخارجي غير المحدود والذي قلنا انه ظلمات بعضها فوق بعض . فاذا ثبتت هذه النظرية وظل الكون يتسع واستمرت تلك الاجرام تندفع بتلك السرعة الهائلة ، فلا بد ان يجيء يوم تدخل فيه تلك الاجرام حدود الفضاء الخارجي الذي لا نهاية له . ومهما تكن الحقيقة فان علم الفلك ما يزال في مهد طفولته وسيتقدم بمرور الزمن بما ينكشف للانسان من الاسرار

ظاهرة فلكية غريبة

(دوبريكا — غينا الفرنسية) مدام واطي

شاهدنا الليلة البارحة (٩ اكتوبر) كواكب تتساقط من السماء من الساعة ٧ مساء الى ٩ مساء تقريباً . وكان جانب منها يندفع نحو الشرق وجانب آخر يندفع نحو الجنوب وقد حرنا في تعليل ذلك . اهل لكم أن تفسروه لنا ؟

(الهلال) ذكرت المجلات العلمية هذه الظاهرة الفلكية وقد شوهدت في أنحاء كثيرة من الكرة الارضية ولا سيما في القارة الاوربية ، وأرسل خبر عنها بالتلغراف الى مرصد هرفرد وغيره من المراصد الاميركية . ويؤخذ من تقارير المراصد العلمية أن هذه الظاهرة كانت من أجل الظواهر الفلكية بل قد فاقت امثالها من الظواهر التي تقع مرة في كل نحو ثلاث وثلاثين سنة (وقد وقعت سنة ١٨٣٣ و١٨٦٦ و١٩٠٠ وفي هذا العام) وقد استمرت بضع ساعات (لا ساعتين كما تقولون) تساقط في خلالها عشرات من الشهب (بمتوسط مائة شهاب في كل دقيقة) وبلغت أشدها في الساعة ٢٠ والدقيقة ٣ ليلا بحسب وقت غرينتش (الساعة الثامنة والدقيقة ٣ ليلا) . وقد بحث الدكتور فيشر مدير مرصد هرفرد في سبب هذه الظاهرة فاتضح له أن المذنب المعروف باسم « جاكوبيني زنر » (وهو من المذنبات التي تدنو من الشمس من وقت الى آخر) كان قد دنا من فلك الارض حتى اصبحت الكرة الارضية تندفع في الفضاء بسرعتها الهائلة وهي على بعد ٣٧٠ الف ميل فقط منه . فأخذت الالوف من شظايا ذلك المذنب تتساقط في فلك الارض بشكل شهب لامعة تسطع قليلا ثم تحترق وتنطفىء . وقد ابتعد المذنب عنا الآن بعد ان دنا من الارض كثيراً جداً وكان قد شوهد في شهر ابريل الماضي في مرصد مدينة همبورج بالمانيا

نفسية الشعب الفرنسي

(صيدا — لبنان) وديع شحاده

في أواخر القرن الثامن عشر شبت نار الثورة الفرنسية فأشبع الفرنسيون حب الحرية والمساواة والاخاء أي حب الديمقراطية الصحيحة . ثم ما هي الا عشية أو ضحاها حتى ظهر نابليون بونابرت وأسس سلطته الاوتوقراطية الاستبدادية . ومع ذلك تعلق الشعب الفرنسي به تعلقاً غريباً . ثم ما هي الا مدة وجيزة حتى نبذ الشعب نبوليون وعاد الى الحكم الديموقراطي . فكيف نعلل هذه الظاهرة من نفسية الشعب الفرنسي ؟

(الهلال) ليس من السهل بسط هذه الظاهرة بسطاً مسهباً في مثل هذا المجال الضيق . ولكننا نقول بوجه الايجاز ان في حياة الامم أدواراً عصيبة تكون فيها نفسية الامم حساسة دقيقة الشعور تتأثر بكثير من العوامل التي تطرأ عليها ولا سيما اذا كانت تلك العوامل مما تستفز حاستها وتستثير نخوتها وتحيي فيها الامل والرجاء . وهذه الانقلابات التاريخية اشبه شيء بفوران بعض المواد الكيمياوية اذا مسها الماء . فلا تفتأ تغلي وتفور الى أن تهدأ حدة فورانها وتعود الى حالتها الطبيعية . وهذا ما وقع للشعب الفرنسي المشهور بدقة احساسه وسرعة تأثره . فكانت المظالم التي عاناها زمناً طويلا تنفخ في صدره روح الكره للنظام الاوتوقراطي وتجعله يترقب الفرص للانقلاب على ذلك النظام . وقد وقع ذلك وصحبه كثير من الفظائع التي لا تخلو منها ثورات التاريخ والتي تكثر فيها الدماء . وبعد ان ارتوى الشعب من تلك الدماء وانتقم من انصار الاوتوقراطية جاء دور رد الفعل اذ ظهر نبوليون فنفخ في صدر الشعب الفرنسي روحاً جديدة . وكان تعلق الشعب به مظهراً من مظاهر عبادة الابطال . فما دام البطل في أوج مجده فهو موضع كل تقدير واحترام . فاذا هوى وذهب مجده عاد الشعب الى حالته النفسية الطبيعية

نفقات الحرب الماضية

(بغداد — العراق) خليل الصباحي

قرأت في احدى المجلات أن بريطانيا العظمى كانت تنفق في الحرب العظمى الماضية ثمانية ملايين من الجنيهات كل يوم . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) نعم كانت بريطانيا العظمى تنفق ذلك المبلغ كل يوم في السنتين الاخيرتين من سنوات تلك الحرب ، ولكننا نعتقد ان هذا المبلغ يشمل ما كانت انجلترا تنفقه على بعض حليفاتها أيضاً . وقد وقفنا على احصاء رسمي للجنرال فول الانجليزي شرح به ما أنفقه الجيش الانجليزي تمهيداً لمركة ايبر الثالثة التي وقعت سنة ١٩١٧ واليك صورة مجملة لتلك النفقات

أطلق الانجليز ٤٢٨٢٥٥٥ قذيفة بلغ ثمنها اكثر من اثنين وعشرين مليون جنيه . وذلك في اطلاق المدافع التمهيدي فقط أي قبل بدء المركة . وبلغت زنة تلك القذائف ١٠٧ آلاف طن حملتها سبع وعشرون باخرة ونقلها خمسمائة وأربعون قطاراً حديدياً في كل قطار عشرون مركبة

فاذا كان هذا هو ما أنفق تمهيداً لاحدى معارك تلك الحرب فماذا عسى أن تكون نفقات الحرب كلها ؟ أو ليس في هذا اكبر دليل على فظاعة الحرب ؟

القطب الجنوبي

(سان باولو — البرازيل) أحد المشتركين

متى بدأ اهتمام الناس بالقطب الجنوبي وما هي أهم التطورات التي وقعت منذ اكتشافه ؟

(الهلال) بدأ اهتمام الناس بالقطب الجنوبي سنة ١٧٧٣ . ففي تلك السنة سافر الرحالة كوك في سفينة شراعية قاصداً الى دائرة القطب الجنوبي . وبعد ذلك بسنتين تمكن الرحالة بلنجزهاوزن من الدوران حول دائرة القطب . وفي سنة ١٨٤٠ أعلن الرحالة ويلكيز ان القطب الجنوبي قارة فسيحة الارجاء ، فحمل هذا الاعلان الرحالة روس على ارتياد مجاهل تلك القارة من سنة ١٨٤٠ — ١٨٤٢ وعقب ذلك سكوت الناس عن القطب الجنوبي الى سنة ١٩٠٨ ، اذ قام شاكلتن برحلة الى هنالك ، وهو أول انسان وطئت قدماه هضاب القطب الجنوبي . وفي السنة التالية اكتشف داقيد القطب الجنوبي المغناطيسي . وبعد ذلك بسنتين — أي في آخر سنة ١٩١١ — تمكن اموندسن الرحالة النروجي من الوصول الى القطب الجنوبي وهو أول انسان وصل اليه . وبعد ذلك بشهر — في سنة ١٩١٢ — وصل اليه الرحالة سكوت ، وفي سنة ١٩٢٨ طار ويلكنز حول القطب الجنوبي فأثبت ان البلاد المعروفة باسم « جراهام لاند » ليست جزءاً من القطب بل مجموعة جزائر على مقربة منه . وفي السنة التالية — ١٩٢٩ — طار بيرد الاميركي لاول مرة حول القطب الجنوبي

وفي السنة الماضية — ١٩٣٣ — وضع كل من بيرد وايلزورث الطياربن الاميركيين الخطط المحكمة للطيران فوق القطب والهبوط على أقرب نقطة اليه . ولم نسمع شيئاً حتى الآن من البدء بهذه الرحلة

هل يمكن تعمير القطب

(سان باولو — البرازيل) ومنه

هل ينتظر ان يجني العالم أية فائدة من اكتشاف القطب — سواء الشمالي او الجنوبي — وهل يمكن تعمير تلك المجاهل النائية ؟

(الهلال) اذا تذكرنا ان سكان العالم في ازدياد مستمر وأن بعض البلاد مزدحمة اشد الازدحام بسكانها لم يبق عندنا شك في ان الانسان سيحتاج في القريب العاجل الى بلاد ليعمرها ويسكنها . ففي البلجيك مثلا ٦٨٦ نفساً في كل ميل مربع من البلاد . وفي بريطانيا العظمى ٤٤٦ نفساً . وفي المانيا ٣٤٥ وفي الولايات المتحدة — حيث الازدحام أخف مما هو في أوربا — ٤١ نفساً في كل ميل مربع . فترى أن العالم آخذ في الازدحام وهو في اشد الحاجة الى اراض جديدة لتعميرها . وسيتمكن الانسان من تعمير القطبين الشمالي والجنوبي ، ولن تكون قسوة احوالها الجوية حائلا دون رغبته . ويعتقد العلماء ان في القطبين موارد وكنوزاً كثيرة يستطيع الانسان الانتفاع بها متى استعمر القطبين

نثرات

من رسائل لم تنشر لجبران خليل جبران

استخرجت بالامس من بين محفوظاتي مجموعة خطابات كان قد ارسلها الي جبران بين سنتي ١٩١٩و١٩٢٢ . ولقد اعدت مطالعتها فاهاجت حزني على هذا الصديق الوفي الذى فقدته ، فضلا عن العبقري العظيم الذى خسره ابناء العربية جميعا . وقد شعرت لدى مطالعتها اني مطالب بنشرها — او بالحرى نشر ما ليست له صفة خصوصية منها — على صفحات الهلال التي طالما اغتبطت بنفثاته . وها نذا اقدمها الى القراء نثرات جليلة في موضوعات متنوعة تشف عن روح ذلك الراحل الكريم ونزعات نفسه السامية

اميل زيدان

الاهتمام بالطباعة

« منذ بضعة أيام صدر كتاب « المواكب » فبعثت اليكم بنسخة منه مع الأمل بانكم ستجدون فيه ما يروقكم . ولقد كان قصدي باصدار هذا الكتاب بهيئة تختلف عن أكثر الكتب العربية الحديثة ، استنهاض همة أصحاب المطابع في العالم العربي ولفت أنظارهم الى مظاهر الكتب الخارجية لان الطباعة فن شرعي من الفنون التي يجب علينا الاهتمام بها خصوصاً في هذه الايام — أيام انتقالنا من طور الى طور . أقول هذا وأنا عالم بأن الشعر الجميل يبقى شعراً جميلاً و إن كُتب بفحمة على حائط ، ولكن ألا ترون في « أجساد » تلك الكراريس المعروفة بالدواوين ما يستدعي الأسف لخلوها من مظاهر الحسن والاتقان ؟ . أما « المواكب » كقصيدة فلم رأيته في الغابة ولما رمت ابرازه وجدتني كفخار يحاول صنع تمثال من ضباب البحر . وماذا يا ترى يفعل الشاعر بأحلامه وليس لديه ما يبينها سوى الألفاظ والأوزان ، وهي سلاسل وقيود ؟ »

مستقبل سورية

« أنا من القائلين بالمحافظة على وحدة سوريا الجغرافية و باستقلال البلاد تحت حكم نيابي وطني عند ما يصبح السوريون أهلا لذلك ، أي عندما تبلغ الناشئة الجديدة أشدها ، وقد يتم

الأمر بعد مرور خمس عشرة سنة . وأنا من القائلين بأن تكون اللغة العربية هي الأولية في المدارس والرسمية في جميع دوائر الحكومة . أما وضع سورية تحت رعاية اميركا ففكرة جميلة إلى درجة قصوى ، فاذا تحققت كنا أكثر شعوب الشرق حظاً ، ولكن لتعاستنا لن تتحقق لأن الحكومة الاميركية لا تريدها والصحافة الاميركية تعترض عليها والشعب الاميركي يتأفف منها . ولقد حادثت وكاتبت الكثيرين من وجهاء هذه البلادومفكريها فظهر لي أنهم لا يريدون دخول اميركا في مشاكل أوربا إجمالاً ولا في مسألة الشرق الادنى خصوصاً

« أنا أعلم ان الاريحية قد أوحت الى بعض أفاضل أميركا فطلبوا وضع سورية وأرمينيا والجزيرة العربية تحت رعاية حكومتهم ، ولكن الاريحية شيء والسياسة الدولية شيء آخر ، وأنتم تعلمون أن المطامع الدولية مازالت تحتضن السياسة الدولية . فالولايات المتحدة لا تريد أن تقف في سبيل منازع دول أوربا . وهذا من سوء حظ الأمم الصغيرة الضعيفة . ولئن وُضعت سورية تحت رعاية أميركا أو فرنسا أو انكلترا — أو جميعهن كما يطلب بعض السوريين — فهنالك أمور رئيسية يجب علينا المطالبة بها بالحاح واستمرار ، وهي وحدة سورية الجغرافية والحكم الاهلي النيابي ، والتعليم الاجباري ، وجعل اللغة العربية الأولية والرسمية في كل آن . . . إذا كنا لا نريد ان نُمضغ ونبلع ونهضم فعلينا ان نحافظ على صبغتنا السورية حتى وإن وُضعت سورية تحت رعاية الملائكة ، انا اعتقد ان السوريين يستطيعون ان يفعلوا شيئاً مشكوراً بعد خروجهم من عهد التلمذة الى عهد التوليد . ولولا اعتقادي هذا لفضلت الانضمام الكلي إلى اية دولة قوية . بامكان الغربيين مساعدتنا علمياً واقتصادياً وزراعياً ، ولكن ليس بامكانهم ان يعطونا الاستقلال المعنوي ، وبدون هذا لن نصير أمة حيّة . والاستقلال صفة وضعية في الانسان ، وهي موجودة في السوري ، ولكنها لم تزل هاجعة فعلينا ايقاظها »

مستقبل الثقافة العربية

« إن التأثير الذي اوجده « المجنون » في اميركا وانكلترا لمن اغرب الامور . ولقد ترجمه الى الفرنسية بيار ده لانكس احد اعضاء البعثة الفرنسية العظمى الى الولايات المتحدة . وسيصدر في باريس في اواخر هذا الفصل . ولقد ترجم بعض « المجنون » الى الروسية والايطالية والنروجية ، فالظاهر ان الغربيين قد تعبوا من احلام ارواحهم ومنازع افكارهم فأصبحوا ميالين بل جائعين الى الغريب والغير المألوف ، خصوصاً الى الاشياء الشرقية ، او ما يتوهمونه شرقياً . انا

أعتقد ان الفكرة الشرقية عموماً والعربية خصوصاً سيكون لها الشأن العظيم في المستقبل القريب »

رأي في القصة

« سوف أبعث اليك بمقال او بحكاية للجزء الاول من السنة القادمة

« وعلى ذكر « الحكاية » ألا ترى اننا قد بلغنا في نهضتنا الادبية نقطة تستدعي تشجيع الكتاب وترغيبهم في وضع افكارهم واحلامهم ومنازعهم في قالب « الحكاية » بدلاً من وضعها دائماً في « مقالة » أو « قصيدة » ؟ . لقد ملَّ الناس المقالات والقصائد المعهودة وتعبوا من تلك القوالب البيانية العتيقة التي يتخذها الكتاب والشعراء لابراز ما في نفوسهم . إن الشرق يميل بالطبع الى سرد الحكايات ــ بل هو الذي ابتدع هذا الفن ــ ولكن الشرق في ايامنا هذه لا يتحول الى كاتب او شاعر حتى ينسى افضل مواهبه . ان الحكايات او الروايات هي التي سببت الانقلابات الاجتماعية والسياسية في اوربا واميركا . وعندي انه يجب علينا ايقاظ هذا الميل ، وهو وضعي فينا ، لانه افضل وسيلة لابراز ما تكنه ارواحنا من الغريزة الفنية . فحياتنا القومية لا ولن تصير ذات شأن إلاَّ بواسطة الابتكار الفنّي ، وليس هناك شيء أدعى الى الابتكار الفني من « الحكاية » . حبذا لو كتبت فصلاً في هذا الموضوع وأبنت رغبة « الهلال » في الحصول على حكايات شرقية المواضيع »

قصده من التأليف

« . . . لقد كان وسيكون قصدي الأول في تأليف الكتب اللذة النفسية والنفع المعنوي ، ولكن إذا كان هناك من نفع مادي فأنا أريد أن أكون آخر المنتفعين لا أولهم ، وما رغبتي في أن أكون آخر المنتفعين سوى شكل من الانانية فلا تظن انني غير أناني !

« صحتي أحسن الآن مما كانت عليه . بيد أنها لم تزل مثل قيثارة مقطعة الأوتار . والأمر الذي يزعجني هو أن الظروف قد أوجدتني في حالة تستدعي عشر ساعات عملاً من كل يوم . وأنا لا أستطيع ان اصرف اكثر من اربع او خمس ساعات كاتباً أو مصوراً . ليس هناك شيء اصعب من وجود روح تريد في جسد لا يستطيع »

عن مقالة :

« سلام على روحك الطيبة وقلبك الكبير . وبعد فقد كان بقصدي أن أكتب اليك منذ

عشرة أيام، ولكنني لم أشأ أن تذهب رسالتي غير مصحوبة بشيء للهلال ، فتأخرت حتى تيسر إنشاء هذه المقالة ـ « الضائع » ـ وهي كما ستجدها ، غريبة مبهمة في موضوع مبهم وغريب ، فقد أحسست أثناء كتابتها كأنني أحاول صنع تمثال من الضباب . بيد أنني أظن أن الكتابة في هذه المواضيع لمن الامور المفيدة للناشئة الشرقية لانها تنبه الميل الى استفسار البعيد والخفي .

وكنت في الشهر الغابر قد كتبت حكاية تحت عنوان « إرم ذات العماد » بقصد إرسالها إلى الهلال ، ولكن لم يجتمع أعضاء الرابطة القلمية ـ وهي جمعية الادباء في نيويورك ـ حتى اتفقوا باجماع الاصوات على نشرها في عدد السائح الممتاز ، والسائح كما تعلم هي جريدة الرابطة الرسمية .

« لم أعلم ، حتى ولم أحلم ، أن الرقابة في سورية قد صارت حساسة الى درجة لا تستطيع فيها السماح بدخول مقالة مثل « لكم لبنانكم ولي لبناني » الى تلك البلاد المحبوبة التعسة . انها والحق لحالة تبكي وتضحك في وقت واحد . واني أشعر ان الذين انتزعوا تلك المقالة من أعداد الهلال قد مدحوني وانا لا أستحق المديح واهانوا نفوسهم وهم لا يستحقون الاهانة . ولكن يعز علي ان تكون هذه المسألة المحزنة قد سببت لك انزعاجاً وللهلال العزيز ضرراً أو شبه الضرر .

« لقد سررت وتأثرت جداً لما تفضلت وأبلغتني اياه من لطف الادباء وعطفهم علي وحسن نياتهم نحوى . غير أني أشعر ـ وانا لست من المتواضعين ـ بأنني ما زلت في اول العقبة وان العشرين سنة التي صرفتها كاتباً ومصوراً لم تكن سوى عهد استعداد ورغبة ، فانا للآن لم افعل شيئاً يستحق البقاء امام وجه الشمس . فكرمتي لم تثمر غير الحصرم ، وشبكتي ما برحت مغمورة بالماء . فهلا طلبت يا اخي من اخواننا المحبين الغيورين ان يمهلوني قليلا لعلني إفعل شيئاً خليقاً بتكريمهم ؟ . انت تعلم ان في التكريم الذى يجيء على غير استحقاق ما يملأ القلب الماً وكآبة ويغمر النفس بالحياء والخجل

« كنت قد تأهبت في الربيع الغابر للسفر الى باريس فمصر فسورية ولكنني عدت فقيدت نفسي ببعض الاعمال التصويرية والأدبية التي تستلزم وجودى في هذه البلاد عامين او ثمانية عشر شهراً على الاقل . ولولا هذه الاعمال والمعاهدات التي تربطني بها لكنت اليوم في القاهرة . لقد تشعبت حياتي يا اخي حتى تشوشت ، وتلك الحجارة الصغيرة التي نحتها لأبني منها بيتاً لأحلامى قد تآلفت وتحولت الى سجن ضيق . ولكن لا بد من الرجوع الى الشرق فقد صرت مشتاقاً الى وطني وابناء وطني »

اعتماد الشرق على نفسه

« سلام على قلبك الكبير . و بعد فاني مرسل اليك مقالي في « نهضة الشرق العربي » وهو كما تراه لا يخلو من العنف والتعنيف . ولكن ما العمل وانا لا استطيع سوى اظهار ما اعتقده؟ ألا ترى اننا قد بلغنا الزمن الذي يوجب علينا الاعتماد على النفس والرجوع الى الاوليات الشرقية ، فنظهر للغربيين اننا لم نمت بعد وان لنا من المطامح والمنازع الخاصة بنا ما يغنينا عن التمسك بأذيالهم ؟

« نعم لقد كان بقصدي زيارة مصر وسورية في هذه السنة . ولكن انصرافي عن العمل سنة كاملة لاسباب صحية قد ارجعني عامين الى الوراء فيما يختص بتلك المعاهدات الادبية والفنية التي حدثتك عنها مرة ، فعلي ان ابقى في هذه البلاد حتى يصدر كتاب « النبي » بالانكليزية وأنتهي من بعض الرسوم التي وعدت بتنميمها . لقد صرت مشتاقاً الى الشرق ، ورغم ما يكتبه إليَّ بعض الاصحاب مما يولد القنوط في نفسي ويجعلني في بعض الاحيان افضل الغربة بين الغرباء على الغربة بين الاقرباء ، برغم كل ذلك سأعود الى « بيتي » القديم لأرى بعيني ما فعلت به الايام »

انا اعتقد ان الفكرة الشرقية عموماً والعربية خصوصاً سيكون لها الشأن العظيم في المستقبل القريب .
اقبلوا احترامي ومودتي والله يحفظكم لمحبكم
جبران خليل جبران

أنموذج من رسائل جبران خليل جبران

لعنة الفراعنة

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

منذ بضعة أسابيع توفي المستر أرثر ويجال من علماء الآثار المصرية ـ بعد ان أصيب بمرض غريب ، ومن قبله وبعده توفي كثيرون غيره ممن حضروا مثله فتح مقبرة الملك توت عنخ آمون وكلما مات واحد قالت الصحف الانجليزية والامريكية ان الوفاة من لعنة الفراعنة . فما الحقيقة في أمر هذه اللعنة ؟ ؟ الجواب في الفصل الآتي . وهو ملخص مما كتبه المستر أرثر ويجال نفسه في كتابه المسمى « توت عنخ آمون ، ومقالات اخرى »

فى أثناء التنقيب عن مقبرة توت عنخ امون كان عند المستر هوارد كارتر عصفور مغرد ، ففى اليوم الذى تم فيه الكشف عن المقبرة تسلل افعوان – كوبرا ـ الى البيت والتهم العصفور . وهذا النوع من الأفاعى نادر فى مصر وقلما يرى فى الشتاء . ولكنه كان فى مصر القديمة يعد رمزاً للملك وكان كل فرعون يضع هذا الشعار على جبينه ، ليدل بذلك على قدرته على الالواء باعدائه ، وقد فسر الذين يؤمنون بهذه النذر ، حادثة العصفور بان روح توت عنخ امون ـ فى صورة هذا الافعوان ـ قد عصفت بسعادة المنقب ممثلة فى هذا العصفور الصداح

وفى أخريات ذلك العام لدغ اللورد كرنارفون ومات بعد أيام . فخيل الى الناس أن هناك لعنة على جدران المقبرة هى التى اودت بحياة اللورد كرنارفون ، ولكن هذا غير صحيح ، وليس ثم إلا لعنات قليلة معروفة فى عهد الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أى قبل عهد توت عنخ أمون وبعده بقرن أو اثنين . على ان الغرض من اللعنات ارهاب لصوص المقابر حتى لا يعتدوا على المومياء وهم يبحثون عن الحلى والذهب وحتى لايفقد الميت « شخصيته » فيخسر بذلك سعادة روحه فى العالم الآخر . وكان المصريون يعتقدون أن المومياء والقبر هما مسكن الروح ، فتخريبهما تشريد للروح وتضييع لاسمها . اما دخول القبر لتجديد ذكرى الميت فعمل حميد ، وقد وجدت كتابات على جدران القبور تنبىء بأن اناسا دخلوا القبور لاصلاحها وترميمها وتجديدها

والى القارىء صيغة لعنة وجدت على تمثال مهندس عاش قبل زمن توت عنخ أمون بنحو مائة عام :

« من اعتدى على مالى أو خرب قبرى أو اخرج منه مومياىٔ ، فان الاله الشمس سينتقم منه . ولن يورث ابناءه املاكه ، ولن يسعد قلبه فى الحياة ، ولن يسقي ماء فى القبر (لروحه) وتهلك روحه الى الأبد »

وهاك لعنة أخرى على قبر بأسوان :

« من دخل قبرى فانى منقض عليه كأنه عصفور ، وسيعاقبه على ذلك الاله العظيم »

☆ ☆ ☆

وفى سنة ١٩٠٩ كان اللورد كرنارفون ينقب فى طيبة فعثر على تابوت خشبى لجثمان قط محنط له أشباه فى متحف القاهرة ، وكان مطليا بطبقة سميكة من القطران اللامع وله عينان صفراوان وضاءتان ، وشوارب صفراء شائكة ، ولم نهتد فى أول الامر الى مجرى الخط الفاصل لشقى التابوت ، ولكنا كنا نعرف بالتجربة أنه يجرى من الانف الى الرأس وعلى طول الظهر ويلف من البطن الى الصدر ، وقد حمل هذا التابوت الصغير الى بيتى فى القاهرة (١) ووضعه خادمى المصرى فى غرفة نومى فلما عدت فى الليل الى البيت ألفيته فى وسط الغرفة على الارض . فدققت الجرس ، فلم يجبنى أحد ، فضيت الى المطبخ فاذا الخدم ملتفون بأحدهم لان عقرباً لسعه ، وكان يهذى ويتوهم أن قطاً كبيراً يطارده ، فلم يدهشنى ذلك لانه كان ممن حملوا التابوت الصغير الى غرفتى

ورقدت على السرير لأنام ، وكان ضوء القمر يدخل من النافذة ويغمر القط — أو تابوته — فلبثت لحظة أنظر الى عينيه المحدقتين فى الجدار ، وقدرت عمر التابوت بأكثر من ثلاثة آلاف عام ، وعجبت لهذا الشعب فى ذلك الزمن البعيد ولصنع هذا التابوت الغريب ليكون نعشاً للقط ، وكان النسيم يداعب أغصان الشجر فتهتز فيرتمى ظلها على وجه القط فيبدو كأنه يفتح عينيه ثم يغمضهما . وثقل رأسى وخيل الى ان القط حرك رأسه لينظر الى ، وأخيراً نمت ، واذا بمثل المسدس يوقظنى فاعتدلت على السرير ، وإذا بقط يثب من حيث لا أدرى الى السرير فوق ركبتى ، ومن ثم الى النافذة فالحديقة ، وأرانى ضوء القمر أن نصفى التابوت قد انشقا وأنهما يهتزان على الارض كأنهما صدفتان كبيرتان فارغتان . وبينهما جثمان القط المحنط وقد تمزق الكفن مما يلى العنق ، فوثبت الى الارض وتأملت التصفين ، وأدركت أن الرطوبة هنا قد أحدثت فى الخشب تمدداً سبب هذا الانشقاق الذى كان مصدر الصوت الذى أزعجنى وأطار نومى . وأدع للقارىء أن يقول أكان القط الذى قفز الى النافذة من فوق سريرى ، روحاً شريراً سبب للخادم لسع العقرب ، أم كان قطاً حقيقياً واغلا متطفلا أزعجه صوت الانشقاق فوثب مذعوراً ؟ ان المصادفة عامل قلما نوليه الكفاية من البحث والتأمل . وليس فى هذه القصة ما يتعذر تأويله على وجه معقول

ويلهج كثير من الناس بالمومياء الشريرة التى فى المتحف البريطانى ، على أنها ليست مومياء وانما هى جزء من غطاء تابوت . وقد أرسلت الى المتحف بعد ان عاثت فى كل مكان ذهبت اليه ، ويقال الآن إنها تقصر اذاها على الزوار الذين لايولونها الاحترام الواجب . وقد اخبرتنى سيدة أنها لم

(١) كان المستر ويجال مفتشاً للآثار بمصر

ترع واجب الادب حيالها ، فكانت النتيجة ان زلت قدمها وهى نازلة فانكسرت ساقها . وكتب عنها صحفى بلهجة المزاح والتهكم فمات بعد أيام . وقد أخبرنى المرحوم المستر دوجلاس مرى أنه اشترى هذه المومياء فى العقد السادس من القرن الماضى . ولم يكد يفعل حتى فقد ذراعه ، وتحطمت السفينة التى حملتها الى انجلترا ، وكذلك تهشمت المركبة التى أقلتها من الميناء ، أما البيت الذى أواها فاحترق وصار كوما من التراب ، وأما المصور الذى رسمها فانتحر — أطلق على نفسه الرصاص ، وكانت لسيدة صلة ما بها ، ففقدت كثيرين من أسرتها وتحطمت بها سفينة ركبتها بعد ذلك ، ولم ينقذها — على ما روت لى — الا أنها تشبثت بصخرة طول الليل ، ولا آخر للحوادث والنكبات المقرونة بذكر هذه المومياء أو غطائها ، على أنى أرى اننا نستطيع أن نفوز برضى المومياء إذا أبينا أن نصدق هذا السوء المعزو اليها



والحكاية الآتية لا سبيل الى الشك فيها ، فان الدليل على صحتها صورة فوتغرافية عندى ، وخلاصتها أننا كنا ننقب فى مقبرة وزير مات حوالى ١٣٥٠ ق م . فعثرنا على تابوت كاهن تدل صنعته على أنه يرجع الى ما بعد هذا التاريخ بنحو مائتى عام . فيظهر أن الذين دفنوه هنا كسلوا عن حفر قبر له ، وقد يرى بعضهم أن هذا العمل من شأنه أن يثير غضب الوزير — أعنى روحه — لان المسئولين عن ذلك يرجح أن يكونوا قد أقصوا الوزير عن مكانه ليفسحوا للكاهن ، فبات الكاهن قلقاً فى مضجعه لا تهدأ روحه ولا تستقر

ولم تكد المومياء والتابوت يستقران فى مخزنى حتى بدأت اشعر باضطراب غريب كلما وقفت أمامهما ، وما فتحت الباب عليهما مرة الا رأيت عينى تنثنى الى الجثة المحنطة كأنما أتوقع ان يصيبنى منها سوء ، وكان هذا الشعور جديداً لانى الفت ان تحيط بى الجثث المحنطة ، وكثيراً ما نمت فى المقابر بين رفات الاقدمين . وقد يتفق لى ان اتناول طعامى من اطباق موضوعة فوق تابوت فارغ ، ولكن هذه الجثة كانت تجتذب اليها لحظى لسبب لا افهمه ، فكنت كلما جلست للعمل فى هذا المخزن أرانى أدير وجهى الى حيث الجثة

واخيراً حللت الاربطة وحسرت عن وجه الجثة ليتيسر لى بعد الفراغ من تدوين الملاحظات وأخذ الصور ، أن ابعث بها وبالتابوت الى متحف القاهرة ، ثم وضعناها فى الصندوق لتذهب الى مصر . وكان بعض النسيج الذى يغطى الوجه آية فى الجمال فأخذته ليراه اصدقاء لى كانوا فى ذلك الوقت يقيمون معى فى البيت ، واتفق ان خادما وضع هذا النسيج على رف خزانة فى غرفة النوم وكانت مفردة لسيدة وابنتها ، فبعد يومين من تجهيز الجثة للرحيل ووضع النسيج على الرف اصيبت الفتاة بمرض شديد ، واشتدت وطأته عليها فقلقنا وجزعنا ، وفى صباح يوم زارنا الطبيب وتركنا مشردى

الذهن فأقبلت أم الفتاة وفى يدها هـذا النسيج وصاحت بى بصوت حاد : « خذ هذا واحرقه . وأستحلفك ان تعجل بترحيل هذا التابوت والا ماتت الفتاة »

وذهب الصندوق بما فيه إلى القاهرة ومضت الايام بطيئة وانية ، وشفيت الفتاة . وبعد شهرين أو نحو ذلك عدت الى الصور التى اخذتها للجثة ، لاخرج منها الرسوم اللازمة . فاذا بى أجد أن خيال وجه قد اعترض بين آلة التصوير وبين الجثة ! وقد يكون من المحتمل أنى رسمت صـورتين على زجاجة واحدة . على أنى لا أذكر فقد كانت اعصابى مضطربة من كثرة العمل

⁂

ومما يرويه المستر ويجال أيضا فى كتابه هذا انه هو وأصدقاء له خطر لهم ان يمثلوا رواية يضعونها عن اخناتون ، فاشتغلوا فى الاقصر باعداد العدة لهذه الرواية ووكلوا الى المستر ويجال ان يكتبها لهم ، ففعل ، واتفقوا على يوم التمثيل وعلى ان يكون المـكان وادى مقابر الملـكات فى طيبة ، وانتقلوا قبل الموعد ببضعة أيام الى الصحراء حيث نصبوا الخيام واقبلوا على الادوار يحفظونها ويجربون تمثيلها ، وهنا يقول المستر ويجال :

« ولم تكد المسز سميث تنطق بالجمل الاولى من دورها حتى أحست بألم فظيع فى عينيها ، وبعد ساعتين اثنتين كانت محمومة تهذى . فنقلناها فى عتمة الليل الدامس الى الاقصر . وفى اليوم التالي قررنا أن نرسلها الى القاهرة للتداوى من الرمد الصديدى الحاد الذى أصابها والذى كان يخشى ان يفقدها البصر . وفى اليوم نفسه مرضت زوجتى مرضا شديداً فبعثنا بها كذلك الى القاهرة . وفى صباح اليوم التالي أصيب المستر سميث بالحمى . ولحقت به فاصبت بالانفلونزا . أما المستر اوجلفى فاصيبت سيارته بصدمة انكسرت فيها ساق أمه . وهكذا لم يبق واحد ممن لهم ادوار فى الرواية لم ينزل به مكروه

« وظلت عينا المسز سميث وحياة زوجتى فى خطر بضعة أسابيع . ولطف الله بهما فشفيتا . غ انه لم تبق لأحد رغبة فى هذا التمثيل . وقد يرى بعضهم فى هذا دليلا على سخط الأرواح المصرية . ولـكن الذين قد يذهبون الى هذا يجب أن يذكروا ان الرواية لم يكن فيها شىء من الزراية أو الاستخفاف »

⁂

هذه خلاصة لبعض ما رواه المستر ويجال فى كتابه . ولا سبيل الى الجزم بشىء . فلـكل قارىء أن يستخلص ما يشاء من قصصه

ابرهيم عبد القادر المازنى

هل اللغة العربية فى حاجة الى الاصلاح

رأي الدكتور يوليوس جرمانوس

الاستاذ بالمعهد الشرقي بمدينة بودابست

[بعث الينا العلامة المستشرق الدكتور يوليوس جرمانوس الاستاذ بالمعهد الشرقي بمدينة بودابست وسكرتير نادي القلم الهنغارى بالرسالة الآتية ترجمتها عن الانجليزية مدلياً برأيه في حاجة اللغة العربية الى الاصلاح . وهو الموضوع الذي استفتى الهلال فيه طائفة من كبار العلماء]

قرأت بمزيد الاهتمام الفصول التى نشرتموها فى مجلتكم الغراء بشأن اصلاح اللغة العربية وهى لطائفة من كبار العلماء والادباء فى مصر . وقد يكون من الجرأة ان يتصدى لابداء الرأى فى هذا الموضوع الخطير رجل مثلى تعلم اللغة العربية من الكتب دون ان تكون له صلة بالناطقين بالضاد . وانما يشفع لى فى ذلك أن من كان فى الخارج قد يرى من الصور مالا يراه غيره من الداخل بسبب طول عهده بتلك الصور . وهذا قد يجعل للملاحظات التى سأبديها شيئاً من الشأن

والذى أراه أن للغة العربية بهذا الاعتبار مقاماً ممتازاً بين جميع لغات العالم . فان تاريخها متصل غير منقطع منذ الف واربعمائة سنة . وكل من درس هذا التاريخ وتخرج فى آداب اللغة العربية فى العصور التى تعاقبت يستطيع ان يفهم لغة الصحف التى تنشر فى هذا العصر من دون ان يشعر بمشقة . وفى الواقع ان طالب اللغة العربية قد يجد فى فهم مفردات اللغة القديمة وادراك تعابيرها صعوبة أعظم مما يجده فى تطبيق المعانى الحديثة على مفردات منحوتة من مصادر أو مفردات قديمة ، لانه يعيش فى بيئة حديثة فهو ملم بالافكار المتصلة بها . وقد يتفق أن تنطبق المعانى الحديثة انطباقا تاماً على المعنى القديم . خذ كلمة « العظامى » مثلا وهى الكلمة التى يعبر عنها اليوم بعضهم بكلمة ارستقراطى اليونانية « فالعظامى » هو الذى يفتخر بشرف آبائه الذين صاروا عظاماً . وقد كان لكلمة « ارستقراطى » فى الأصل اليونانى معنى آخر . ولذلك أرى أن المعنى الذى تنطوى عليه الكلمة العربية أجل لانها تؤدى معنى بليغاً

ومن الجهة الاخرى ــ ماذا عسى أن يكون رأى ابن خلدون لو بعث اليوم وما رأى غيره من المفكرين فى مثل كلمة « القاطرة » و « الباخرة » وغيرهما من الالفاظ التى لم يستعملها العرب ولا هى فى شيء من لغة العيس والجمال ؟ « فالقاطرة » تشير الى « قطرة » فى سلسلة الرتل المعروفة بالقافلة . وهى ترجمة بديعة للمركبة التى تتقدم سائر المركبات التى يتألف منها « القطار » وكلمة (Train) بالانجليزية والفرنسية والايطالية مشتقة من كلمة (Trahere) اللاتينية . ومعناها جر « والباخرة »

منحوتة من كلمة البخار ، وما من أحد يجهل اليوم أن معناها السفينة التى تسير بقوة البخار

فصوغ الفاظ ذات معان جديدة من الفاظ عربية قديمة يتيح لهذه اللغة أن تستغنى عن الفاظ اجنبية وان تحتفظ بصياغتها العربية . وقدرة اللغة العربية على « ازدراد » الالفاظ المنحوتة عظيمة جداً بحيث انها لا تتسامح بقبول الفاظ أعجمية (اجنبية) تقتحم اللغة وهى بثوبها الاصلى . والالفاظ الفارسية واليونانية التى دخلت اللغة العربية البست صيغاً لا يمكن تمييزها عن الصيغ العربية . وفى الواقع أن تعريب الالفاظ الاعجمية يقضى بالباس تلك الالفاظ ثوباً عربياً لا شك فيه . وفى كتب اللغة العربية ألوف من الالفاظ المعربة عن اللغات . وما كلمة « قاموس » نفسها — ومعناها البحر — سوى مثل واحد منها ولا يقرأها قارىء الا ويذكر كلمة اوقيانوس اليونانية ومعناها البحر العظيم

تقدم القول بأن تاريخ اللغة العربية متصل غير منقطع منذ الف وأربعمائة سنة . وهذه المزية التى تمتاز بها العربية هى متأصلة فى روح اللغة متغلغلة فى مبناها . فاليونانية واللاتينية والتوتونية القديمة والسنسكريتية مثلا قد تشعبت فنشأت عنها لغات أخرى بفضل مرونتها وسهولة تكييفها . اما اللغة العربية فقد ثبتت على عاديات الزمن واحتفظت بكيانها كانها أثر من آثار القدم . وفى الواقع ان « بناءها » هو أثر فنى يقوم على قواعد دقيقة تحدد الشكل الخارجى والصيغة الظاهرة . ولكن روح اللغة متجدد أبداً . فهى بهذا الاعتبار تمتاز على سائر اللغات وتفوقها لان تلك اللغات لم تستطع ان تساير نشوء التقدم الفكرى ، وقد عجزت قواعد صرفها ونحوها عن الثبات بازاء التجدد الفكرى .

فاذا أردنا ان نوسع نطاق التعبير فى اللغة العربية لكى ينطبق على المقتضيات الجديدة فيجب ألا تعزب عن بالنا المزية المشار اليها وهى مزية تشترك فيها اللغة العربية مع شقيقاتها اللغات السامية . أما « تقليد » اللغات الاخرى ففيه تفريط فى اللغة وفى روحها وآدابها . ولا يخفى أنه قد كان لمرونة اللغة وبلاغتها أكبر الاثر فى نفوس الفرس ومن بعدهم الاتراك ، حتى انهم اقتبسوا طائفة من الالفاظ العربية حلت محل ما يقابلها من الالفاظ الفارسية والتركية . وقد أصبح وجود الالفاظ العربية فى تينك اللغتين من متممات الفصاحة والبلاغة . فكلما كثرت تلك الالفاظ كان الكلام أفصح وأبلغ . ولما وقعت النهضة الفارسية والتركية وتجددت روح الوطنية اخذ القوم يستعيضون عن الالفاظ العربية بما يقابلها من الالفاظ الفارسية والتركية القديمة . ولكن روح الاقتباس الذى استمر عدة قرون لم يكن من السهل القضاء عليه . ولذلك تجد كتاب القوم ، وهم مدفوعون بروح العصبية القومية ، يستبدلون فى مواقع كثيرة بالفاظ عربية الفاظاً أخرى يزعمون انها تركية وهى فى الواقع عربية الاصل وان تكن فى صورة جديدة . وفى وسع هذا الكاتب ان يورد مئات من الامثلة على ذلك ، ولكننا نكتفى بمثل واحد منها هو كلمة « الفلك » العربية . فقد دخلت هذه اللفظة فى عدة لغات شرقية وغربية ودخل معها عديد من المصطلحات البحرية . واستبدلها الاتراك بكلمة « فلوكه »

وقد صاغها الايطاليون من اللفظ العربي الاصلى . فما فعله الاتراك اذن من هذا القبيل ليس دليلا على الرقى بل هو بالعكس جمود وتأسن

ثم إن من تتبع ما ينشر الى اليوم من الآثار الادبية باللغة العربية لا يسعه الا التسليم بوفرة الثروة الادبية التى قد أضافها أدباء هذا العصر (ومعظمهم من المصريين) الى اللغة العربيـة . وكيفما قلبنا الطرف فى المؤلفات الادبية نجد الفاظا جديدة منحوتة قد حلت محل الفـاظ قديمة وأخذت مكانها من اللغة . خذ كلمة «شريط» مثلا فهى مشتقة فى الاصل من كلمة «شرط» ، ومعناها شق وهى تعنى الآن خيطاً يشـبه الخط الذى يحدثه الحجام عندما « يشرط » الجلد أى يبزغه . ويستعملونها للدلالة على الشقة التى توضع على معاطف الجنود ، وقد اقتبسها الفرس والاتراك بهذا المعنى . الا أنها اكتسبت فى اللغة العربية معنى آخر وهو « الخيط » ثم توسع الكتاب فألبسـوها معنى آخر وهو « الخطوط » أو « القضبان » التى تسير عليهـا القطرات الحديدية . ومنهـا تدرجوا ايضا الى قولهم « شريط الصور المتحركة » ، ومعناه معروف اليوم لدى كل من يقرأ اللغة العربية

فالنحت أو الاشتقاق اذن مصـدر ثروة كبيرة للغة العربية لا مثيل له فى غيرها من اللغات الاجنبية التى كثيراً ما تضطر الى اقتباس الفاظ أجنبية للدلالة على معان جديدة وهى تدخل تلك الالفاظ فى معجم لغتها . ولا يخفى أن أهم ما يجب مراعاته فى الاشتقاق هو المحافظة على معنى الكلمة الاصلى مع التوسع فيه وإلباس اللفظ المشتق معنى جديداً أعم . وقد يكون فى هذا التوسع كثير من التكلف فى اللغات الاوربية . وأما فى اللغة العربية فانه طبيعى ينطبق على روح اللغة فضلا عن كونه ممكناً ومباحاً من وجه قواعد اللغة والاصطلاح . ولذلك يجب أن ننتفع بهـذه المزية الفريدة التى تمتاز بها اللغة العربية ونعنى بها مرونتها ، وأن نلجأ اليها كلما أردنا التعبير عن معانى الاختراعات الجديدة بأن نشتق الفاظاً جديدة من كلمات معروفة فى اللغة للدلالة على تلك المعانى

ولايضاح مزية اللغة هذه نقول إنك لا تجد أية لغة من لغات العالم (ما عدا اللغتين التشـكية والمنغارية) تستطيع التعبير عن كلمة تياترو اليونانية ولذلك اقتبست تلك اللغات هذه الكلمة . أما العربية فقد حلت فيها « دار التمثيل » محل تلك الكلمة فأدت المعنى المراد على أفضل وجه

كذلك ترى أنه ما من لغة أوربية تحتوى على كلمة للدلالة على آلة التصوير المساة (Photo-graphic Camera) ولذلك عمدت تلك اللغات الى التعبير عن هـذه الالة بكلمتين مستعارتين احداهما من اللغة اليونانية والاخرى من اللغة اللاتينية . أما اللغة العربية فقـد استغنت عن اللغات الاجنبية وعبرت عن المعنى المطلوب بكلمتى « مصورة شمسية »

وكذلك اظهر كتاب العربية ذكاء عظيماً بترجمتهم كلمة (Producer) الانجليزية بكلمة «مخرج» للدلالة على من يتولى ابراز رواية تمثيلية وتنسيق مشاهدها واللفظ العربى لبق كل اللبق

وقد ذكر ابن خلدون (ذلك المفكر العظيم الذى نبغ فى الاسلام) ان لكل طائفة من الكتاب اسلوباً خاصاً بها تبعاً لما تلقته من علوم أو فنون . فالعالم اذا حاول نظم الشعر اورد مايريد ان يقوله مقسما الى فصول وابواب كما يفعل العلماء فى مباحثهم لانه اعتاد تبويب ما يعن له من افكار وتقسيمه بحيث لا يجد امامه محيصاً عن استقصاء الفرق بين شيء وآخر

وكان ابن خلدون بعيد النظر جداً دقيق الملاحظة . وقد علم ان لكل مقام مقالا ولكل دولة رجالا . وقد سارت اللغة العربية شوطاً بعيداً فى سبيل التعبير عن الافكار المختلفة بالاساليب التى تشترك فيها جميع اللغات . وفى الواقع ان من يقرأ اليوم اللغة العربية لايسعه الا ان يلحظ من خلال اساليبها الحديثة آثار الفرنسية والانجليزية والالمانية وغيرها . وفى وسعنا ايراد المئات من الامثلة على ذلك لولا ضيق المقام . وانما نكتفى بذكر مثل واحد وهو قول كتاب هذا اليوم : « لعب دوراً » اى قام بنصيب من العمل . وهــذه ترجمة قولهم بالانجليزية (He played a role) وبالفرنسية (Il a joué son rôle) وكلمة (Rôle) تعنى فى الاصل طوماراً او صحيفة ملفوفة . وكان الممثلون قديماً يتلون الفصول او الاجزاء الخاصة بهم من تلك الصحف تلاوة ولا يلقونها عن ظهر قلوبهم . ولذلك يقولون « لعب » او « مثل » طوماره او صحيفته . ثم توسعوا فى المعنى فصاروا يقولون لعب دوراً أى قام بنصيب من العمل . وهو المراد من التعبير الفرنسى الاصل . ولايقصر هذا التعبير الآن على الممثلين فقط بل هو أشمل وأعم . ومن امثلة ذلك أيضاً قولهم أضرب عن العمل اى انقطع عنه . وبين كلمة « اضرب » العربية و (To strike) الانجليزية توافق كبير فى كلا المعنيين الحقيقى والمجازى . وقد يكون هذا التوافق عرضاً ولكنه بليغ جداً

إن وسائل الاتصال (المواصلات) بين البلدان المختلفة كثيرة متشعبة والاتصال بينها يتم اليوم بسرعة فائقة بحيث لا يمكن اجتناب وقوع الشبه او التماثل بين اساليب اللغات المختلفة . ذلك لان ما يؤثر فى تفكير قوم وفى حضارتهم ونفسيتهم ينتقل من مكان الى مكان بسرعة عظيمة وينشيء ذلك التأثيرعينه فى كل مكان . وانى ارى ان اتصال اللغة العربية بالآداب الاوربية سيكون له أثر بعيد فى اللغة . فاذا ادرك كتاب اللغة العربية المعانى التى تنطوى عليها الحضارة الاوربية والبسوها الثوب الذى يتفق وتقاليد اللغة فلا شك أنهم سيجدون فى مرونة اللغة العربية معيناً لا ينضب وكنزاً لا يفنى ، اذ سيتمكنون بذلك من الباس المعانى الجديدة ثياباً قشيبة . وان تنطع البعض وشدة تعصبهم فى اللغة لما يعوق روح الابتداع والاستنباط . ولا شك أن الانتقاد النزيه سيقضى على بعض الالفاظ الجديدة التى لاتصلح للبقاء . كما ان انتشار العلم والتهذيب سيجعل معانى الالفاظ الجديدة ترسخ فى الاذهان من دون مساس بالتقاليد القديمة

يوليوس جرمانوس

« على هامش السيرة »

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

[« على هامش السيرة » كتاب نفيس اصدره اخيراً الأستاذ الدكتور طه حسين . وقد تفضل الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ، فكتب عنه هذا الفصل القيم الذي ننشره فيما يلي]

قصة ممتعة موحية ، يتابعها القارىء بشوق وينتهي منها إلى فائدة

وهي ممتعة لانها تنقل الشخوص والاسماء من عالم التاريخ والخبر الى عالم الحياة والشعور : فالشخوص فيها آباء وأمهات وأزواج وأحباب ، وليسوا بعناوين مسطورة كعناوين المعالم المذثورة في الصحائف المهجورة . والعلاقة بينهم علاقة حب ورحمة أو بغض ونقمة ، أو اخلاص وغيرة ، أو طمع وخديعة ، وليست علاقة كلام بكلام أو أشياء باشياء

وتزيدنا البساطة فيها شغفاً بها وعطفا عليها ، فهي قد نقلت الينا الحياة الجاهلية والحياة في أوائل ظهور الاسلام كما كان يألفها أصحابها لا كما نألفها نحن ، أو كما فهموها بالبداهة والفطرة لا كما نفهمها نحن بالتحليل والتعليل . فأسباب انتشار اليهودية في اليمن - مثلا - هي أسباب المعجزة والكهانة والاسرار الغيبية وليست هي الأسباب التي نعقلها نحن بعد ان نعرضها على الفكر ونقابل بينها وبين النظائر والاشباه ، وانكار الكاهن اليوناني لاساطير الوثنية هو انكار الالهام والرؤيا وليس بانكار التمحيص والتفنيد ، وكذلك كل ما في القصة من أسباب ومن ايمان ومن انكار . قال قائل من اللاغطين بالنقد على غير بصيرة : ما أحسب إلا ان الدكتور طه حسين قد شبع من اغضاب الجامدين فهو يتصدى هنا لاغضاب المحدثين ، وما أحسب الا انه يكتب ليثير ويستثير ! فمرة تقع النوبة على أهل الجمود ومرة أخرى تقع النوبة على اهل التجديد !

قلت : بل أنا أحسب غير ذلك ، ولا أرى في الأمر شيئا من قصد الاثارة والاغضاب

أحسب ان الدكتور طه قد ملىء اعجاباً بالنسق الهومري في تمثيل وقائع الابطال وأنباء العصور فاراد ان يخرج لنا الياذة نثرية عربية ، يشترك فيها عالم الشعر البليغ وعالم التاريخ الصادق ، وتجري حوادثها في آفاق الزمان الغابر الذي لاحدود فيه بين الغيب والشهادة وأسرار الخيال والحقيقة ، فنحن نفهم الالياذة ولا نجهلها او ننكرها لانها قد أفرغت في ذلك القالب وانتظمت على ذلك الاسلوب ، ثم نحن نفهم « هامش السيرة » ولا نجهله او ننكره لانه نقل الينا الجاهليين كما كانوا في حياتهم وعقائدهم وافكارهم ، ولم ينقلهم الينا كما نكون نحن لو اننا انتقلنا بزماننا الى زمانهم . فهل أصاب الدكتور أو اخطأ ؟ وهل أحسن من ناحية القصص أولم يحسن ؟ أما أنا فأرى ان أسلوب التعليل والتحليل لا يزداد شيئاً كثيراً لو أننا جعلنا الجاهليين عصريين

يعيشون فى القرن العشرين ، ولكن اسلوب القصص يخسر كثيراً من البساطة والتخيل لو اننا سردنا القصة معللين محللين

وأقل ما يقال فى هذا المعرض ان شفاعة الدكتور فيما اختار من أسلوب ليست بالشفاعة الضعيفة ولا المردودة ، وان حجة الناقدين عليه ليست باقوى من حجته عليهم . بل لا حجة عليه للناقدين ولا وجه هنا للقوة والضعف فى الاحتجاج . انما كانوا يزنون كتاب الدكتور بميزان العلم العصرى لو انه كان يقصد الى العلم العصرى فيما كتب ثم أخطأ فى التطبيق او اساء فى التفسير . فأما وهو لم يقصد الى ذلك ولم يحاوله ولم يرنا قط انه حاوله فأى معنى للاعتراض عليه غير حب الاعتراض ؟ ذاك كمن يحمل اليك الآنية الاثرية فتقول له ان آنيتك ليست من طراز الاوانى التى نراها اليوم على الموائد ! . نعم . ومن قال لك انها كذلك . . انما جمالها فى وضعها الأثرى ومعانيها الاثرية ، فان قبلتها فقد فهمتها ، وان لم تفهمها فليس الذنب على الاثريين !

لكننا لا نريد بما تقدم ان قارىء الهامش ، لن يفهم الوقائع الجاهلية ولا البيئة التى ظهر فيها النبي (عليه السلام) على الوجه الصحيح والوضع المعقول المستقيم

كلا ! بل هو يفهمها صحيحة مستقيمة من موضعين أثنين بدلا من موضع واحد

يفهمها كما كانت فى أعين الجاهليين ، ثم يفهمها اذا شاء واستطاع كما تبدو فى أعين المحدثين ، فيجمع بين زمانين ويرى الصورة المرسومة فى نورين مختلفين

ولا نظن ان قارئاً مستنيراً يطلع على هامش السيرة حق الاطلاع الا وهو مستطيع أن يعرف المقدمات والبشائر التى هيأت البيئة لظهور النبي وظهور الاسلام

فههنا قبيلة نبيلة قد استأثرت بمناسك البيت الحرام واستقلت بأعباء السدانة

وههنا رجل من تلك القبيلة يعرف الهواتف الغيبية ويبلغ من تقواه أن يعرض عن كنوز الذهب والسلاح وهو فقير اعزل . وان ينذر ابناً من أبنائه للآلهة فلا يعدل عن التضحية به الا ان تحله الآلهة أو يحله الكهان

ذلك الرجل هو عبد المطلب جد النبي عليه السلام

وههنا فتى وسيم وضيء محبوب يتقدم الى الموت راضياً إذا دعاه اليه أبوه وكان فى الموت ايفاء بنذر البيت الحرام

ذلك الفتى هو عبد الله أبو النبي عليه السلام

وههنا طفل يولد ، فكأنما لم تخلق قبيلته ولا آباؤه الا لتكون وسيلة الى ظهوره

يحمل به فيتم أجل أبيه

ويدرج ويترعرع فيتم أجل امه

ويشب قليلا فيتم أجل جده وكفيله

فكل شيء يهيء له المكان ويمهد له الطريق ، وكل ما عدا هذه التهيئة وذلك التمهيد فضول

واقرأ خلائق آبائه وآله تعلم كيف استحقوا ان يورثوه ما ورث من فطرة وقنوت وفطنة : وكيف كان اعلاهم كعباً وأوفاهم نصيباً وأعظمهم شأناً ولكنه كان سليل ذلك الشرف ووريث ذلك البيت لا مراء

وفى خلال ذلك أى رحمة وأى مروءة وأى خليقة انسانية أطهر وأبر وأدنى الى القلب مما اشتملت عليه السيرة فى مختلف الاعمار والاطوار ؟

يتيم يعطف على اليتامى ، وربيب أمة ضعيفة يحض على بر الاماء الضعاف ، وفقير يوطىء أ كناف العيش للفقراء ، وتقى من معشر اتقياء يغض من كبرياء السروات وهو فى الذروة بين السروات ، وصاحب دين لا تأخذه فى الدين هوادة ولا ينحرف عنه إلى رحم او قرابة . وكل اولئك فى صورة انسانية محببة قريبة الى الفكر والبداهة . فهى صورة ممتعة وموحية . وهى خليقة من اجل ذلك ان تشوق وان تفيد

***

قرأت «هامش السيرة» فلم انكر سياقها فى موضع من المواضع . ولم أتمن لها قط ان تكون على غير ما اختار المؤلف ان تكون

وغاية ما عندى من النقد لها انى وددت لو ضمت من الصور الشخصية التى لازمت طفولة النبى فوق ما ضمت . لأن صورة الخلق الجاهلى أو صورة البعثة النبوية لن تتم بغير مثال من جحود الجاهلية وسورة العصبية ، وهل كان تمثيل أبى لهب هنا بعيداً من الموضع أو بعيداً من الزمان ؟ لقد كان لزاماً أن نعرف الجاهلية التى لقيت النبى بالغطرسة والعرام ، وكانت صورة أبى لهب من ألزم الصور الى جانب عبد الله فى هذا المقام ، ولا سيما بعد أن ساومته خديجة على شراء «ثويبة» التى أرضعت النبى لكى تعتقها وترفه عنها بأسره ، فأبى ابو لهب واستكبر ، وهل يكمل تصوير الجاهلية بغير مثل جاف هذا الجفاء ، غليظ هذه الغلظة ، عتل لا يعى شيئاً غير الصلف والتجبر على الضعفاء والفخر الجهول والكبرياء بالاجداد والآباء ووفرة الثراء ؟ وهل من صورة أقرب إلى هذا المقام وأشبه بتمثيل الجانب الخشن فيه من ابى لهب ؟ ان مكانه لمفقود فى هامش السيرة ، وان الجاهلية لن تبدو لنا فى جانبها الذى استوجب ظهور الاسلام وشقى به المسلمون أول الامر إلا على صورة من هذا الغرار

***

وبعد ففى « الهامش » عبارات يقف عندها القارىء لأنه يجزم بنبوها فى كلام أهل ذلك الزمان

مثال ذلك ما أجراه المؤلف على لسان الأمة « ناصعة » وهى تخاطب سيدتها فتقول : « مهلا ياسيدتى ارفقى بنفسك ولا تذهبى بها فى الخيال كل مذهب »

ولم يكن الاماء ولا غير الاماء يفهمن الخيال بالمعنى الذى نفهمه الآن

ومن امثلته ايضا قول فاطمة الخثعمية لعبد الله : « ان خير مافى الامكنة والدور انها ثابتة باقية لاتتحول ولا تزول الا فى بطء ، وان شر مافى الزمان انه لايعرف الهدوء ولا الاستقرار »

وهذا الكلام عن الزمان والمكان ادنى الى كلام المتفلسفة فى القرن الثالث والرابع منه الى كلام النساء فيما قبل البعثة النبوية

وانها لهفوات لا يتجاوز عنها فى نقد « هامش السيرة » . اذ كانت شفاعته الكبرى انه يحكى زمانه ابسط الحكاية فى العقيدة والادراك والتعبير

لكنها طابع العصر أبى الا ان يترامى فى كتاب اوشك ان ينقلنا الى عصره فى كل شىء . ولم يكد يذكرنا المؤلف فيه بنفسه الا مرة او مرتين

عباس محمود العقاد

هدية الهلال الثانية

يهدى الهلال إلى مشتركيه فى هذا العام كتاباً تاريخيا نفيساً عن تاريخ ابراهيم باشا بعنوان « ابراهيم فى الميدان - او - العلم المصرى فى سوريا ولبنان » ، وقد اتى فيه مؤلفه الاستاذ حبيب جاماتى بذكر الحروب التى خاضت الجيوش المصرية غمارها بقيادة هذا القائد العظيم فى بلاد الشام والاناضول ، وافرغ المؤلف تاريخ هذه الحروب فى خمس وعشرين مرحلة ، خص كل مرحلة منها بقصة وافية التفاصيل بحيث يجد القارىء بين يديه خمسا وعشرين قصة فى مجموعة واحدة تتضمن أعمال ابراهيم باشا وما تم على يديه فى ذلك العهد الذى خفق فيه العلم المصرى فى تلك البلاد

وسيقدم هذا الكتاب هدية الى مشتركى الهلال فى هذه السنة . وهو كالهدية الأولى لا يرسل إلا الى الذين سددوا قيمة الاشتراك

موجز القول في الخير

بقلم الاستاذ محمد جاد المولى بك

وجهة علماء الاخلاق الغربيين

> ... ما أزهد كثيرا من الناس فى الخير ! عجبت لرجل يجيئه أخوه فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ...
>
> (على بن ابى طالب)

يقولون . كل ما أفضى إلى نيل مأرب أو تحصيل رغبة فهو الخير ، بيد أن الناس بما فطروا عليه من الاختلاف فى طبائعهم ونحائزهم ، اختلفت مآربهم وتباينت رغباتهم ومشاربهم : ففريق طبعوا على حب المال وجمعه ، فهو عندهم غاية الغايات ، وفريق فطروا على الحرية ومقت الاستعباد ، فلا يبغون سوى أن يظلوا أحراراً كما أخرجهم الله الى عالم الدنيا . وفريق لا يرون فى الحياة لذة لغير القوة ، فهم يتهافتون على الاعتصام بها ولا يخطر ببالهم مقصد أنبل منها . وفريق أولعوا بالشهرة وشغفوا ، فعكفوا على تحصيلها ووهبوا حياتهم للاستظلال بها ، وفريق أولعوا بالعلم وجمع شوارده ، حتى ملك عليهم سمعهم وبصرهم ، وأصبح جليسهم وسميرهم ، وآخرون أولعوا بالسعى فيما يعود على بنى الانسان بضروب المنافع ـ الى غير ذلك من المقاصد التى لا حد لها ، وجلى أن هذه المقاصد ليست فى الواقع مقصودة لذاتها بل وسائل لغيرها . فلو انك اسقطت طلاب المال أو القوة عن اسرارهم ووقفت على ما اسروه لبان لك انهم يطلبونها لمنفعة فيها ويعضون عليها بالنواجذ لانها ذرائع الى نيل مقاصد أخرى ، وهذه المقاصد الأخرى وسائل الى أمور أخرى ، يتلوها غيرها حتى تنتهى الى مقصد ليس وراءه آخر ، وذلك هو ما يسمى الخير الاسمى . فالخير على ذلك ضربان : خير مطلق وهو واحد لا يتعدد ، وقل من يدركونه . وخير نسبى وهو يختلف على حسب اختلاف الناس فى استعدادهم وفطرهم . وكثير منهم يدركونه بأعمالهم وجهودهم

الوجهة الاسلامية

الخير عند الاسلام كل عمل صالح أو إحسان أو جميل أو معروف أو شىء نافع مفيد يسديه الانسان الى أخيه الانسان ، بل الى كل ذى كبد رطب حتى قال الحسن البصرى رضى الله عنه : « البر من لا يؤذى الذر » . وضد الخير « الشر » وصاحبه « الشرير » و « الفاجر » وهو من يرتكب الظلم والفساد ولا يألو جهدا فى إيصال الأذى والسوء الى الآخرين

والخير بهذا المعنى سبيل سلامة المجتمع الانسانى وراحته وطمأنينته، وأجمل مظاهر الاخلاق الفاضلة فى الانسان، ولذلك قال بعض الباحثين: «إن موضوع علم الاخلاق هو فكرة الخير نفسها». وهذا ما جعل المربين يهتمون جد الاهتمام بغرس هذه الفكرة فى الاحداث وتنميتها فى قلوبهم وتعويدهم ممارسة الخير منذ الصغر

ولما كان الناس ليسوا سواء فى غرس هذه الفكرة فيهم واستحكامها من نفوسهم، وانما هم فيها على مراتب ودرجات ـ وضع لها النبى صلى الله عليه وسلم ميزاناً هو القسطاس المستقيم للقوانين الخلقية. وأصدقها فى محا كمة المرء انفسه. ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى»، وبه أصبحت درجة أى عمل كان ومنزلته من القبول والاعتبار تابعة لنية صاحبه وقصده. وراجعة الى كنه ارادته. ومبلغها من الحسن والاعتدال فمن وفى دائنه حقه بعد حكم حاكم كان فاعلا للخير فى الجملة. ولكن ليس هو فى فعله كمن وفى دينه دون حكم ولا مطالبة. ومن أنفق على نفسه ورفهها وسد حاجتها كان فاعلا للخير ولكن ليس هو كمن أنفق مع هذا على أهله وعياله وذوى قرابته. وليس من أنفق على هؤلاء فى الفضل والمزية كمن أضاف الى ذلك الانفاق على البعيد الذى لا تلزمه نفقته وانما حمله عليها الاريحية ومحض الكرم ومطلق الارادة والاختيار

ومن يدع الشر ويفعل الخير خوفا من تعيير الناس ومذمتهم له، فما هو فى رسوخ هذه الفضيلة والتقدم والسبق كمن يمارس الخير لذات الخير وبسائق الوازع الذاتى والشعور بالواجب، كخواص المتدينين وطبقة الابرار والصديقين الذين يعملون الخير لذاته كما يعبدون ربهم سبحانه وتعالى لذاته ولكونه مستحق العبادة لا لرغبة فى جنته ولا لرهبة من ناره. كما نقل التصريح بذلك عن كثيرين منهم رضى الله عنهم

وقد اشار إلى هذه الدرجة العالية فى التربية النفسية سيدنا عمر رضى الله عنه إذ قال فى حق سيدنا صهيب رضى الله عنه: «نعم العبد صهيب: لو لم يخف الله لم يعصه» اى انه لا يعصى ربه ولا يدع ما يجب عليه فعله. وذلك بسائق من نفسه وفطرته، حتى لو فرض انه لا يخاف الله ولم يسمع إنذاره وتحذيره من العذاب، فكيف وهو رضى الله عنه يخاف ربه ويتقى سخطه وعذابه؟ فصهيب رضى الله عنه بشهادة عمر مثال حسن للعاملين الذين يفعلون الخير لذاته وبسائق من وجدانهم وضميرهم وشعورهم بالواجب

حقاً إن فصل الخير من الشر والتمييز بينهما امر مركوز فى فطر البشر لا يضلون فيه اذا كانت فطرهم سليمة وأمزجتهم مستقيمة. اما ممارسة الخير والقيام به فشاق على النفس يحتاج الى تربية وعناية وتعويد منذ زمن الحداثة والصغر. واحسن ما تراض به نفوس الناس بحيث يحملون على فعل الخير وترك الشر بسهولة واقتناع ـ العمل بما جاء عن سيد البشر فى هذا المعنى اذ يقول:

« ايت المعروف واجتنب المنكر ، وانظر ما يعجب اذنك ان يقول لك القوم اذا قمت من عندهم فأته ، وانظر الذى تكره ان يقول لك القوم اذا قمت من عندهم فاجتنبه »
« اذا اردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك »
« أحب للناس ما تحب لنفسك »
« ما كرهت أن يراه الناس منك ، فلا تفعله بنفسك اذا خلوت »

يشبه هذا من القرآن قوله تعالى : «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم؟» ومن ذلك ما أشار به صلى الله عليه وآله وسلم الى أن ضمير الانسان ووجدانه هو الحكم الفيصل فى معرفة الخير والشر والحق والباطل والتميز بينهما اذ يقول : « استفت قلبك وان أفتاك المفتون » . ومن ذلك ارشاده لنا صلى الله عليه وسلم الى عمل الخير بجميع ضروبه حتى اذا عجزنا عن فعله بذواتنا أمكننا أن نمارسه بدلالة غيرنا عليه فقال : « الدال على الخير كفاعله . والدال على الشر كفاعله » رواه الطبرانى عن سهل بن سعد

وهناك أحاديث تحض على فعل الخير وتعين بعض أنواعه وطرائقه ، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « على كل مسلم فى كل يوم صدقة ، فان لم تكن صدقة فعمل بيده ينفع نفسه ويتصدق » . قيل : « فان لم يستطع » قال : « يأمر بالمعروف أو الخير » قيل : « فان لم يستطع » قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قيل : « فان لم يقدر » قال : « يمسك عن الشر فانه له صدقة » ذكره ابن سهل السامرى فى مكارم الاخلاق

وهذا جلى فى أنه لا مندوحة للانسان الكامل عن ممارسة الفضيلة وفعل الخير بأية طريقة ممكنة ، ولا عذر له فى الترك والاهمال

هل رأيت نبلا أرقى وكرماً أشمل مما حث عليه محمد صلى عليه وسلم فى قوله : « الفضل فى أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » ؟

تأمل تجد أن كمال الانسانية وكرم الاخلاق فى أن تحسن الى المسىء ، لا فى أن تحسن الى المحسن ، فانما أنت إذ ذاك تاجر يعاوض ، ومثل هذا الحديث ما وصف الله تعالى به الابرار بقوله : « ويدرءون بالحسنة السيئة » وهم الذين يدفعون الشر بالخير ، بحيث اذا أساء اليهم مسىء أحسنوا اليه ولم يقابلوه على إساءته بمثلها ، فهم اذا حرموا أعطوا ، واذا ظلموا عفوا ، واذا قطعوا وصلوا

ومن كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه : « ياسبحان الله ! ما أزهد كثيراً من الناس فى الخير ! عجبت لرجل يجيئه أخوه فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ، فلو كنا لا نرجو جنة ، ولا نخاف ناراً ، ولا ننتظر ثوابا ولا نخشى عقابا - لكان ينبغى لنا أن نطلب مكارم الاخلاق ، فانها تدل على سبيل النجاة »

محمد احمد جاد المولى

الانسان عدو المنطق

بقلم الاستاذ امير بقطر

[في هذا المقال الطريف يبرهن الكاتب على أن الانسان ليس منطقياً بالطبع ، بل هو خاضع للفطرة والعاطفة . وهو يسوق الامثلة العدة على أن الانسان الى العاطفة أميل منه الى العمل بقوانين المنطق وقواعد العقل . وينتهي من ذلك الى أنه ليس من الصواب ان نزن الاشياء بميزان المنطق وحده أو العاطفة وحدها ، بل الحكمة أن نتخذ الوسط بين العاطفة والمنطق ميزانا لحياتنا]

اذ أردت أن تدرس طبيعة الانسان فعليك بالاطفال والحيوانات البرية . راقب الاطفال يمرحون بغير رقابة والديهم أو مرضعاتهم ، وانظر كيف تدير عواطفهم دفة حركاتهم ، وانظر كيف يحتجون ويدافعون عن أنفسهم جهد استطاعتهم ، مهما كانوا صغاراً ، اذاما تدخل الكبار فى حريتهم ، وحاولوا كبح جماحهم ، وتهذيب فطرتهم ، وتسييرهم طبقاً لقواعد المنطق والتمييز ، او مايسمونه العقل . ألا ترى فى المنزل والمدرسة عراكا متصل الحلقات بين العاطفة والمنطق ؟ ألا ترى الوالدين والمربين يسلخون الفطرة من الاطفال سلخاً ؟

قف يوماً أمام قفص القردة فى حديقة الحيوانات ، وهى تغدو وتروح ، وتتخاصم وتتصافح ، وتتقاتل وتتعانق ، وتتسلق الأشجار والأراجيح ، وتنبش شعورها تبحث عن الحشرات فيها ، وجدت أولم توجد ، وانظر كيف تلعب الفطرة دورها فى جو فسيح من الحرية ، إلى أن يعترضها الحارس ، ويحاول هو أيضاً - كالأب والأم والمرضع والمعلم - أن يطبق عليها قوانين المنطق ، وهى تصيح صياحاً مزعجاً ، دفاعاً عن الفطرة ، واحتجاجاً على التعسف ، واعتراضاً على المنطق ، عدو الطبيعة الحيوانية - (البشرية)

يولد الطفل مزوداً بعدد من العواطف (الغرائز) الحيوانية ، ولا يولد معه المنطق أو التمييز أو ما يسمونه العقل ، لأن هذا الأخير وليد المدنية ، يكتسبه الطفل من المنزل والشارع والمدرسة ودور التمثيل وأمكنة العبادة وأنظمة الحكومة وكل ما تشمله كلمة تربية من جميع ماسبق ، ومن الكتب والمجلات والصحف ، وغاية مافى الأمر أنه يرث استعداداً خاصاً لاكتساب المنطق بالمران . وليس الفرق بين الطفل والبالغ العاقل كبيراً كما يتوهم الكثيرون . فلاتخلو ساعة واحدة من حياة المرء من الصراع العنيف بين الطبيعة أو الفطرة فيه وبين المنطق - ذاك الدخيل الذى هجم على الانسان من أوكار المدنية وهو لا يدرى

وليست الأمثلة التى سأوردها فى هذا المقال نادرة كما سيزعم الكثيرون من القراء ، فان مثلها

يقع بين ظهرانينا فى كل زمان ومكان ، وما علينا اذا أردنا أن نتحقق من هذا ، إلا أن نخلو بأنفسنا هنيهة قبل أن يأخذ الكرى بمعاقد أجفاننا ليلا ، ونصفى ما بيننا وأنفسنا من الحساب

ولا يغرنك مايزينه لك الكتاب من الامثلة العليا ، ولا يأخذن بلبك ما يصوره لك كبار الوعاظ وفطاحل الخطباء من الاخلاق الملائكية ، التى زعم جان جاك روسو أن المرء يولد بها، لا يغرنك هذا ولا ذاك فان ما يقوله الناس شيء وما يفعلونه شيء آخر . ألا ترى المنابر تهتز بدعوات السلام فى الكنائس والجمعيات والكليات والدوائر السياسية فى أوربا وأميركا ، وأصوات المطارق والالآت فى مصانع المدافع والحراب والسيوف والديناميت ، والاساطيل الجوية والبحرية ،تصم الآذان وتخرس دعاة الوئام والسلام ؟

ألا ترى رجال الدين فى أوربا وأميركا يفتحون أبواب الكنائس أيام الآحاد ، فتضيق بالمصلين على رحبها ، ثم ينادون بأعلى أصواتهم (والحاضرون يؤمنون على ما يقولون) قائلين : « اطعموا الفقير وتفقدوا الارامل والايتام » ومع ذلك فهناك أكثر من اربعين مليونا فى تلك البلاد يتضورون جوعاً ، أو يشربون كاس الحياة مترعة بالبؤس والعوز والشقاء ؟

الا ترى رئيس الاساقفة ومرءوسيه من اساقفة وقساوسة ووعاظ فى المانيا ، ينادون ، فيكرر الناس نداءهم ، بقول المسيح : «أحبب قريبك كنفسك ، واحبوا أعداءكم» ومع ذلك يحمل الناس على مغادرة البلاد بدعوى انهم ليسوا من الجنس الآرى ، برغم ان تاريخ اسرهم (ethnology) يدل على انهم توطنوا فى المانيا منذ الحروب الصليبية (سنة ١٠٩٦)

ألا ترى المتعلمين يهزأون بالخرافات ، ومع ذلك نجد بعض طلبة الجامعات إلى يومنا هذا ، يحتفظون بضروس العقل (المخلوعة) فى جيوبهم ، ويحرصون على حملها معهم إلى قاعة الامتحان فى نهاية كل عام ؟ . ألا ترى الكثيرين من ذوى الثقافة يتشاءمون من الرقم ١٣ (١١ فى مصر) ومن السفر أيام الجمعة ومن مشاهدة هرة سوداء ؟

أتعلم أن جان جاك روسو فيلسوف القرن الثامن عشر أودع بين دفتى كتابه الخالد « اميل » أصول تربية الأطفال ، ومبادىء التعليم التى ينسج على منوالها الى يومنا هذا ، ومع ذلك فانه أهمل تربية بنيه وتركهم عالة على الغير ، يستجدون الأكف ، ولا يجدون مرشداً أو معلماً أو مربياً ؟

إذا شئت أن تعلم عنه أكثر من ذلك فاقرأ مذكراته عن نفسه « الاعترافات » .

° ° °

قد تستولى علينا الدهشة إذا علمنا أن سكان القرية عند قدماء الرومان كانوا يخرجون على بكرة أبيهم ، ويحطمون معبودهم بمعاولهم ، إذا تضرعوا اليه فلم يجب دعواتهم : فى شفاء زعيم ، أو رفع كارثة أو وباء ، أو نصرهم فى معركة حربية . وقد تستولى علينا الدهشة اذا علمنا أن

بعض الهنود اليوم ، تفادياً من تلاوة الصلوات الطويلة التى تستنفد شطراً عظيما من أوقاتهم ، يعمدون الى حيلة مضحكة ، وهى أنهم يكتبون هذه الصلوات على ملف كبير من الورق أو رق الغزال ، ويثبتون هذا الملف على محور من الحديد أو الخشب ، فى دولاب يديره بيده صاحب الصلاة أو أحد عبيده أو مأجوريه اذا كان غنياً ، وبهذا يتحايلون على آلهتهم السذج فتنطلى عليها الحيلة

ولكن ألا تتضاعف دهشتنا إذا سرنا يوماً فى مجاهل جبال الألب . بين أشجاره الكثيفة . وخضرته السندسية ، وزهوره الجميلة ، وشاهدنا بسطاء الفلاحين يحطمون تمثال العذراء ، ويستبدلونه بسواه ، لأنه لم يشف مرضاهم ، ولم يفرج أزماتهم ، ولم يرجع شجعانهم من ساحة الوغى سالمين ، أحياء ، منتصرين ؟

* * *

منذ سنتين أو ثلاث طغت على ولايات أميركا المتحدة موجة من المسابقات والمراهنات المضحكة ، التى أراد بها مبتدعوها أن يعيدوا إلى التاريخ ضرباً من الفروسية التى كانت معروفة فى القرون الوسطى . فهذا رياضى يستمر فى اللعب ٢٤ ساعة ينازل خصومه بغير أن يستريح . وهذا راقص يستعرض بطولته على نغمات الموسيقى ٣٠ ساعة متوالية أو أكثر . وهذا صبى فى سن السادسة عشرة يتسلق قمة شجرة باسقة ويبنى له عشاً من ورقها بين أغصانها ، ويمكث فيها أسبوعا كاملا لا يذوق سوى الحلوى والماء

ولكن ليس هذا كل شىء ، فان قساً أراد هو أيضا ان يبرهن للملأ ان فى ميدان الدين متسعا للبطولة ، فوقف يخطب ويعظ على منبر كنيسته ٥٨ ساعة متوالية ولم ينقطع عن الكلام أو يجلس سوى فترات معدودات ، أباح لنفسه فيها أن يتناول قليلا من البيض والشكولاتة ، وأن يشرب قليلا من القهوة ، وقد غير قميصه مرة واحدة (نقلا عن نيويورك تيمس يوليه سنة ١٩٣١)

منذ أقل من سنتين كنت أتردد على مطعم كبير فخم ، معتدل الأسعار ، قريبا من جامعة كلومبيا فى نيويورك . وكنت أختلف اليه على الأخص متى كنت قوى الشهية ولدى متسع من الوقت للراحة ، لان المطعم كان سخيا جداً فى تقديم جميع الوان اللحوم والحلوى والكعك والفاكهة والمشروبات (غير الروحية) فى مقابل اثنى عشر قرشا مصريا ، ولان فرقته الموسيقية كانت على جانب من الشهرة . وكان يسترعى نظرى هناك شىء واحد ، وهو ان كهلا حسن البزة ، يجلس الى مائدة وحده ، يأكل فى تؤدة ، ويحتسى القهوة فى هوادة ، وفى معظم الأحيان لا يأكل ولا يشرب ، بل يشعل « السيجار » ويطالع صحيفة أو كتابا . وكلما ذهبت الى ذلك المطعم الواسع الارجاء . فى أية ساعة كانت ـ فى الليل أو النهار ـ كنت أجد ذلك الرجل حتما

على مائدته ، مع العلم ان هذا المطعم يظل مفتوحا ٢٤ ساعة فى اليوم - أى على الدوام - ككثير من المطاعم هناك . وتتغير الفتيات و الجرسونات ، مرتين فى النهار ، ويستبدلن «بالجرسونات» الرجال فى خلال الثمانى الساعات الأخيرة من الليل ، طبقا للوائح البوليس فى أميركا .. فتشجعت يوما وناديت الفتاة التى كانت تتولى خدمة المائدة التى أنا جالس اليها وكان الزحام قد خفت وطأته حوالى الساعة الثالثة مساء فدار بينها و بينى الحديث الآتى :

— ما حكاية هذا الرجل ؟ أهو من أصحاب المطعم ؟

— كلا ياسيدى فهذا من ثراة القوم ، مهذب فى غاية التهذيب ، كريم فى غاية فى الكرم . انظر ناحية الباب . أترى ذلك السائق فى امتشاق قامته وكسوته المزركشة ؟ هو سائق سيارته ينتظر هناك رهين اشارته ، يحمل اليه رسائله ويقوم بخدمته . يقضى كل يوم ثمانى ساعات هنا على هذه المائدة . ويحضر فى الساعة التى يدل عليها هذا الجدول المعلق على الحائط يوميا ماعدا ايام الثلاثاء

— لم لا تفصحين يا آنسه ؟

— اسمع يا سيدى . أترى هذه الفتاة المديدة القامة ، الممتلئة البدن ذات الشعر الأسود والملامح الاندلسية ، التى تتجه نحو السلم المؤدى إلى الطابق الثانى ؟ هذه الفتاة معبودة هذا الرجل . هو لا ينظر أو يبتسم الى سواها . ولا يقبل ان تخدمه واحدة بين الخمسين فتاة المشتغلات هنا سواها ، لذلك لا يحضر أيام الثلاثاء لأن فيها عطلة هذه الفتاة

— عجبا ! ولم لا يتزوج منها أو يوظفها عنده ، أو على الاقل يطلب منها أن تصحبه للنزهة فى سيارته الفخمة ؟

— أنت لاتزال تجهل المسالة ياسيدى . إن هذا الرجل العظيم لا يعنى بهذا كله ، ولا يهمه أن يحادث هذه الجميلة أو يغازلها ، لأن جل غرامه بها ينحصر فى مشاهدتها عن كثب ، تغدو وتروح فى فستانها الأسود و « فوطتها » البيضاء ، تحمل الأطباق على يديها ، وتضعها برشاقة على المائدة أمام الآكلين ، وهو يظن انها فى هذا المنظر المثل الأعلى للمرأة ، واذا تصادف أن شاهدها فى الخارج ، فانه قلما ينظر اليها بل يكتفى بتحيتها بابتسامة معتادة

وما كادت تأتى على آخر العبارة حتى هممت واقفاً وتركت لها قطعة ذات « قرشين » ، ووضعت قفازى فى يدى ، وبينما كانت تساعدنى على لبس المعطف ، قلت لها ان عندنا مثلا عربياً يقول : « الجنون فنون » ، فلم تفهم . وعند خروجى مررت بمائدة « مجنون ليلى » ، فوجدت أمامه نسخة من كتاب شموهوسن الذى عنوانه Why We Misbehave like Human Beings.

ومن المشاهد أن رجال السياسة الدولية أشد الناس استسلاماً لعاطفة الجشع والمطامع الفطرية ، وان كانوا يبررونها بما يسمونه قواعد الانصاف والعدل وغير ذلك . فالفرنسيون

عادة اذا ما استباحوا عملا كاستعمار بلاد أو احتلالها حملوا فعلهم على قواعد المنطق . أما الانجليز فيستحلون تدخلهم فى شئون الامم المغلوبة بدعوى انه « عبء الرجل الابيض » كما ان الاميركيين يبدون عذراً ظاهره الصلاح والتقوى وفعل الخير كقولهم « عملا لتقدم الانسانية وسعادة البشر ، ونشر السلام العالمى » ، وهم كغيرهم من الساسة يقولون ما لا يفعلون . ولعل سياسة ماكيفلى فى القرن الخامس عشر للميلاد كانت اكثر صراحة مما هى الآن ، إذ كان يقول ان كل عمل فى السياسة جائز

***

ومن غرائب ماحدث مرة من تغلب عاطفة الطمع الانسانى على المنطق ان قساً زنجياً فى أميركا اتخذ الاحسان موضوع عظة فى صباح يوم الاحد ، وفى نهاية العظة طلب من الحاضرين أن يعطوا بسخاء هذه المرة ، ولما عاد صندوق العطاء لم يجد القس الزنجى فيه سوى مبلغ زهيد جداً ، فاحتد وغضب وزأر كالأسد وأخرج من جيبه مسدساً وهدد باطلاق رصاصاته اذا لم يبلغ مقدار مايتبرعون به سبعة ريالات على الأقل . فأعيد الصندوق الى الحاضرين ، وعدت الريالات فكانت احد عشر ، وقبض البوليس على القس (نقلا عن نيويورك تيمس سنة ١٩٣٢)

ومن القضايا الغريبة التى تدل على أن الانسان غير منطقى بالطبع ما حدث منذ عامين فى انجلترا وأهلها من أكثر الناس تهذيباً وثقافة . وهو أن امرأة خرجت إلى الغابة فى أثناء تغيب زوجها ـ وهو من صغار العمال ـ فانفرد بها شقى واعتدى عليها قسراً ، ولم تستطع الافلات منه. ولما عاد زوجها وجدها حاملا ، فرفع عليها دعوى الطلاق . ومع ثبوت جريمة الاغتصاب على ذلك الوحش ، واشتهار زوجته بالاستقامة والصلاح بين جيرانها ومعارفها ، فان المحكمة جنحت إلى الحكم بالطلاق بدعوى أن الرجل غير ملزم أن يعيش مع امرأة تحمل جنيناً ليس من صلبه ، وتلد له ولداً أجنبياً دخيلا ، لأن طبيعة الانسان لا تقبل ذلك وإن كانت الزوجة المسكينة بريئة

ولدى واقعة حال أخرى تمثلت حوادثها فى روسيا . وبطل هذه الواقعة فيلسوف روسى ، رحلت زوجته لزيارة أهلها ، ولم تكن من ركاب الدرجة الاولى أو الثانية أو الثالثة بل اكتفت بأن تكون على ظهر السفينة (deck)

وماكادت الباخرة تمخر عباب البحر حتى اشرأبت الاعناق واتجهت الانظار الى زوجة الفيلسوف ، فقد كانت ذات جمال فتان ، وجسم ممشوق كغصن البان . وطفق ضباط السفينة يغمزونها بعيونهم ، كعادتهم مع السيدات الجميلات . ولكنها كانت سيدة عفيفة النفس ، عزيزتها ، قوية الأخلاق . فضاعت مغازلات أولئك الذئاب الذين لا يعيشون إلا على سلب الأعراض ، هباء منثوراً . وبعد ساعات هبت العواصف والأنواء ، وثار البحر وفار ، وترنحت الباخرة كالسكير وأخذت تمايل يميناً ويساراً ، حتى لم يبق مسافر إلا وناله من الدوار والاغماء

نصيب وافر . . . مر أحد الضباط بين ركاب الدرجة الاخيرة فألفى الغادة الجميلة ملقاة على ظهر السفينة فى حالة يرثى لها. فقدم اليها مفتاح غرفته وطلب اليها أن تحتلها حتى تهدأ الزوبعة، ولتطمئن على نفسها أوصاها أن توصد الباب من الداخل ففعلت مدفوعة بالآلام والاغماء.

غير أن الضابط لم يكن حسن النية ، ولم تكن هى خبيرة بدهاء ضباط البواخر واستغلالهم الفرص والضعيفات من النساء . . . وعادت الجميلة البريئة إلى زوجها وقصت عليه المأساة كأنها حدثت لامرأة سواها . ولما انتهت من سردها سالت زوجها الفيلسوف عما كان يحس به فيما لو كانت المأساة قد حدثت لها فعلا . فاجاب بكل هدوء انه كان يأسف ويحزن كثيراً

ــ أ كنت لا تلومنى أبداً ؟

ــ بالطبع لا ، وما كان يكون ذنبك ؟

وأعادت عليه الأسئلة مرات ، فكان فى كل مرة يؤكد أن الرجل الذى يلوم زوجته فى مثل هذا الحادث أقرب إلى الوحوش والبهائم منه إلى الانسان

وبعد أيام باحت له بكل شىء ، وهى تكاد يغمى عليها من شدة التأثر الذى كبتته أياماً . . . باحت له بكل شىء وهى لا تعلم أن الفلاسفة كسائر الناس تغلب فيهم الفطرة على المنطق ... ولم تمض أيام حتى غادرت منزل الزوجية لانها أصبحت مطلقة ، لا فرق بينها وبين المرأة الفاجرة التى تقدم عرضها طوعاً وانقياداً ، والناس يهمسون بعضهم فى أذن البعض

* * *

غير أن المدنية كما ذكرنا تحاول زحزحة البشر ببطء من ناحية الطبيعة الاصلية تجاه المنطق . ويروى لنا علماء الاجتماع أن سكان البرازيل قديماً كانوا ينتقمون من الاحجار فيعضونها بأسنانهم إذا ما كانت سبباً فى وقوعهم أو تعثرهم . وكذلك كانوا يحرقون الاشجار ويحكمون على الجمادات بالاعدام بعد محاكمتها وسماع الشهود (١) . وحدث فى فرنسا سنة ١٤٥٧ أن خنزيرة وصغارها حوكمت لأكلها طفلا فحكم على الأم بالاعدام وعلى صغارها بالبراءة لأن الأم كانت مثالا سيئاً لها . وروت التيمس الاميركية (١٩٣٢) أن أحد اباطرة الرومان ويدعى كليجولو (Caligulu) كان شغوفاً جداً بجواده الكريم ، واعترافاً بذلك عينه قنصلا فى إحدى ممتلكاته . وذكر أحد الخطباء فى حفلة العيد الخمسينى للمقتطف منذ سنوات أن أحد ملوك العرب كان يبعث بجواده مسرجاً ، يسير فى جنازات العظماء والكبراء .

وتذكرنى الحادثتان الاخيرتان بمسألة وقعت فى ولاية من ولايات أميركا منذ عامين . وهو أن إحدى البغال التى كانت تجر عربة من عربات مدرسة قروية بلغت سناً عتية . فقرر

(1) Tylor, E. B. , "Primitive Culture" vol. I, page 285.

مجلس التعليم إحالتها على الاستيداع وتقرير معاش لها تقتات منه إلى أن تموت ، جزاء خدماتها نحو ٢٥ عاماً . ولكن المسألة لم تنته عند هذا الحد ، ففي نهاية العام احتفلت المدرسة بتوزيع الدبلومات والشهادات والجوائز ، ووقف عدد كبير من البنين والبنات على المسرح والدبلومات بشرائطها الحريرية الملونة فى أيديهم ، ووقفت البغلة الأمينة بينهم ، فقد قرر مجلس التعليم منحها دبلوم التعليم الثانوى تنويهاً بخدماتها وإشراكها فى الحفلة السنوية ، وتعليق الدبلوم ذات الشرائط الحريرية فى رقبتها ، أسوة بالتلاميذ والتلميذات . . !

وفى ولاية أخرى من ولايات أميركا المتحده أحيل « فراش » (Janitor) على المعاش بعد مدة طويلة فنصبوا له فى المعهد الكبير الذى كان يشتغل فيه تمثالا نصفياً أسوة بعظماء الرجال من ملوك وقواد ووزراء وزعماء

وربما كانت الحوادث الأخيرة لا تخالف تماماً قواعد المنطق و « العقل » غير أنه يمكن أن يقال اجمالا ان معظم القراء يستطيعون ان يذكروا وقائع شاهدوها أو قرأوا عنها مما لا يترك ريباً فى أن تفكير الانسان وتصرفاته لا تزال بعيدة عن المنطق . وربما يذكر بعضنا أن آل سمث الذى كان مرشحاً لرئاسة جمهورية اميركا مع الرئيس هوفر ، قامت حوله ضجة هائلة فى زمن الانتخابات . لانه كان يخطىء فى نطق كلمة radio ، كما طرد يوماً ذلك الرجل العظيم اندرو جاكسون من البيت الابيض لانه أخطأ فى نطق كلمة development

وما يزال الكثيرون من المتمدنين فى جميع أنحاء العالم يتأففون إذا قلت لهم انهم خلقوا من القردة أو حيوانات أخرى عليا ، ولكنهم لا يبالون مطلقاً إذا قلت لهم إنهم خلقوا من الطين (التراب) . ويتأففون إذا نصحت لهم بضبط النسل ، ولا يبالون إذا توالدوا ومات أولادهم قبل بلوغ عام واحد ، أو عاشوا عالة على سواهم فى بؤس وعوز

ليس من الصواب أن نزن الاشياء بميزان المنطق وحده ، وليس من الحكمة أن ننقاد وراء الفطرة أو العاطفة كالأنعام ، بل الحكمة أن نتخذ الوسط الذهبي الذى تحدث عنه ارسطو ميزاناً لحياتنا . كان سبنوزا الفيلسوف يقول إن المنطق بغير عاطفة ميت ، والعاطفة بغير منطق (عقل) عمياء . . . غير أن الانسان لا يزال بعيداً عن هذا الوسط الذهبى ، ولا نبعد عن الصواب إذا قلنا إنه قد يكون مدنياً اجتماعياً بالطبع ، ولكنه ليس منطقياً بالطبع

امير بقطر

شخصيّات الشهر

الملك البرت ملك البلجيك

لما زار المرحوم الملك البرت مصر زيارة رسمية رأيته فى مناسبات شتى ، وكان فى جميع تلك المناسبات يظهر بمظهر الرجل الوديع الأخلاق ، البسيط العادات ، القليل الكلام ، البطىء الحركة الزاهد فى المظاهر الرسمية التى تحيط به ، حتى ان زوجته الملكة اليصابات كانت تضطر فى المتحف المصرى أن ترجع اليه عند ما يتأخر عن الجماعة الملكية لتحثه على الاسراع ولتلفت نظره إلى أثر أعجبها ، ولكن بساطته تجلت لى لما رأيته مرة جالساً على مقعد من المقاعد الخشبية فى حديقة الحيوانات والى جانبه وزير خارجيته واضعاً إحدى قدميه على الاخرى وهو يدخن لفافة من التبغ

ولما زرت البلجيك وتشرفت والقائم بأعمال المفوضية المصرية بالمثول بين يديه ، لاحظ جلالته أن احد الكرسيين (الفوتيلين) فى الحجرة بعيد عن مكتبه فسار اليه بعد التحية ، وجذبه بيده نحو المكتب ، ثم دعانا الى الجلوس . وبينما كان القائم بأعمال المفوضية المصرية يشكر جلالته على تفضله علينا بهذه المقابلة الاستثنائية كنت أسرح الطرف فى أرجاء الحجرة فلم أر فيها لأبهة الملك وعظمته أثراً بل كانت كحجرة مكتب أى موظف كبير عندنا ، ولولا علمى أن هذا المكتب هو مكتب الملك لظننته مكتب ضابط من ضباط ياورانه لبساطته

وبعد ما استهل جلالته الحديث قلت له ان المصريين يعرفون اسمه لا منذ اليوم الذى زار فيه بلادهم زيارة رسمية ، بل منذ الحرب العظمى فانه لم يبق يومئذ من لم يسمع باسمه ويعجب بشهامته وبتضحيته بكل غال فى سبيل كرامة وطنه ، فأطرق جلالته واحمر وجهه كأن كلماتى اخجلته

وتكلم جلالته معى طويلا عما تركته زياراته لمصر من ذكريات لاتمحى من قلبه ، وأعرب عن اعجابه الشديد بنشاط الفلاح المصرى ، ونوه بتقديره العظيم للملك فؤاد ، وقال عنه إنه من الملوك القليلين الذين يحب أن ينزلوا ضيوفا عليه لانه يهتم بكل شىء

ثم تكلم عن البلجيك فتجلى لى حبه الشديد لبلاده فى كل عبارة من عباراته ، وقد كان وهو يحثنى على زيارة أرجائها التى لم أزرها بعد يتكلم كأنه مدير مصلحة للدعاية . وانى لا أنسى قوله لى فى آخر حديثه فى هذا الصدد : « ان بلادنا صغيرة ، ولكنها تحتوى على شىء ، وأظن أن الشىء الذى تحويه هو من الصنف الجيد »

وموقف الملك البرت فى بداية الحرب وفى أثنائها معروف ولا اخالنى فى حاجة الى التبسط فيه

فان المانيا وعدته بأن تكفل له استقلاله وبأن تعيد اليه بلاده كاملة بعد الحرب اذا سمح للجيوش الالمانية باجتياز البلجيك الى فرنسا ولم يتعرض لها ، ولكن جلالته أبى ذلك . . . ابى ذلك لانه ينقض الاتفاق الخاص باحترام حياد البلجيك ، وهو الاتفاق الذى تمتعت بلاده بالاستقلال والطمأنينة فى ظله سنوات طويلة . فلا يعقل أن تكون هي أول من يمزقه عند أول خطر يحدق بها . ومع أن جلالته كان يعلم ان هذا الخطر عظيم وان جيشه الصغير لا يقوى على رد الجيوش الالمانية الجرارة ، ذهب بنفسه الى مجلس النواب البلجيكي وهو لابس ثوبه العسكرى وأعلن للنواب رفضه للانذار الالمانى مهما تكن العاقبة ، فقابل النواب تصريحه بالهتاف . وتصافح رؤساء الاحزاب متناسين ما بينهم من أحقاد خلافات . ثم جاهر جلالته بأنه ذاهب الى حيث يكون قريباً من جيشه . ولما غادر دار مجلس النواب لم يركب السيارة الملكية التى أقلته اليها بل امتطى صهوة جواده وسار به الى حيث كان جيشه يتأهب للقتال فلازمه من ذلك اليوم حتى آخر يوم من أيام الحرب

وظهرت مواهب جلالته العسكرية وفوائد قلة كلامه وتؤدته فى العمل لما دارت رحى معركة « ايزر » الشهيرة ، فقد كان من رأى القيادة العامة للحلفاء أن « تهجم » القوات البلجيكية ، فلم يوافق الملك البرت على هذا الرأى وأمر جيشه بالتزام خطة « الدفاع » وأنذر قواده بأن كل قائد منهم يضعف أو يتخلى عن المكان الذى هو فيه يعزل فى الحال وأمرهم فى الوقت عينه بعزل كل ضابط يقصر فى تأدية الواجب الملقى على عاتقه وتعيين جندى شجاع محله ، فثبت الجيش البلجيكى فى مكانه ولم يفلح الالمان فى شق طريق إلى البحر

ولما اكتسح الالمان البلجيك كلها ، لم يبق للملك البرت من بلاده إلا تلك الشقة الصغيرة من الارض بالقرب من نهر « الايزر » فنشر عليها العلم البلجيكى وأعلن يومئذ انه « ما دام هذا العلم لا يزال يخفق فان البلجيك لم تمت »

وظل جلالته يعيش عيشة جنوده . يأكل كما يأكلون وينام كما ينامون إلى أن وضعت الحرب أوزارها فدخل « بروكسل » عاصمة مملكته على رأس جيشه الظافر ، فاستقبله شعبه استقبالا حماسياً ندر أن رأت البلجيك مثله ، ورأى بعض أعوان جلالته أن الفرصة سانحة لكى يعزز حقوق الملك ويزيد سلطته ... أما هو فاكتفى برؤية الشعب يرفع له قبعاته إجلالا واعترافاً بخدماته ، وأبى أن يصغى اليهم ، فازداد تعلق الشعب « بالملك الجندى » كما لقبوه فى أثناء الحرب

وروى لى بعض المحيطين بجلالته أن البساطة التى رأيتها فى مكتبه تسود معيشته كلها ، ومن ذلك أنه كثيراً ما ينتقل من قصر إلى آخر بالموتوسيكل ، أو بسيارة عادية لا يرافقه فيها سوى ياوره فلا حرس ولا تعظيم ، كما أنه كثيراً ما يخرج فى شوارع بروكسل ماشياً للنزهة والرياضة

رحم الله الملك الجندى !

المسيو دومرج : من رئاسة الجمهورية الى رئاسة الوزارة

رجل كان وزيراً غير مرة ، وتقلد رئاسة مجلس الشيوخ ، ثم انتخب رئيساً للجمهورية ومكث فى هذا المنصب سبع سنوات كاملة ، يعود الآن ، وهو فى الخامسة والسبعين من عمره ، الى ميدان النضال السياسى ويقبل أن يؤلف الوزارة فى أوقات عصيبة ودقيقة كالتى مرت بفرنسا فى الشهر المنصرم ـــ ان هذا الرجل لا يفعل ذلك طمعاً بمنصب أو قضاء لشهوة بل تأدية لواجب شعر بأن الوطن يناديه بتأديته فطلق عزلته وضحى براحته وهجر مزرعته وأسرع إلى باريس ليقود السفينة الى بر السلامة ، فضرب للعالم مثالا فى الوطنية الصادقة وفى احترام الواجب وايثاره على كل اعتبار آخر

والقراء يعلمون كيف نشأت الازمة الخطيرة الاخيرة فى فرنسا ، وقد كان منشؤها اكتشاف فضيحة مالية كبيرة اتضح ان لوزراء ونواب وموظفين كبار ورؤساء بلديات وصحافيين صلة بها . فهاج الرأى العام وماج ، وضعفت ثقة الناس بالحكومة فتمردوا ، وانتهز دعاة الملكية هذه الفرصة فنشطوا فى دعوتهم ، وحذا دعاة الشيوعية حذوهم من جانبهم ، وقام فريق آخر يدعو إلى اعلان الحكم « الدكتاتورى » وروج له بنجاح هذا النوع من انظمة الحكم فى ايطاليا وبقيامه فى المانيا ... وحاول المسيو لبرون رئيس الجمهورية ان يحل الازمة الوزارية التى نشأت على اثر استعفاء وزارة المسيو شوتان بتأليف وزارة برئاسة رئيس حزب من الاحزاب النيابية على أن ينال الاغلبية البرلمانية ، فخبطت المحاولة ، وازداد هياج الشعب ... عندئذ خطر لرئيس الجمهورية أن يلجأ الى رجل بعيد عن الاحزاب ، يحبه الجميع ، ويثق به الجميع ... ولم يكن هذا الرجل الا المسيو دومرج . فتردد فى بادىء الامر بحكم انه اعتزل السياسة والحياة العامة .. ولكنه لما رأى أن النظام الجمهورى فى خطر وانه الرجل الذى يستطيع أن يبسط له يد المساعدة خف الى باريس فاستقبلته الجماهير التى كانت تعتدى على البوليس ورجال الاحزاب والنواب هاتفة

ونحن نكتب هذه السطور وقد احرزت وزارة المسيو دومرج ، المؤلفة من جميع الاحزاب تقريباً ، ثقة الاغلبية فى مجلس النواب ، وشرعت فى أعمال التطهير فى جميع الدوائر التى ظهر انها قصرت فى الفضائح المالية التى ذاع أمرها أخيراً . . . فاذا أتيح للمسيو دومرج أن ينجح فى مهمته فيكون قد انقذ فرنسا سياسياً فى سنة ١٩٣٤ كما انقذها المسيو بوانكاره مالياً فى سنة ١٩٢٨ على أثر تدهور الفرنك . . . والغريب ان المسيو بوانكاره قبل رئاسة الوزارة يومئذ بعدما كان رئيساً للجمهورية كما قبلها المسيو دومرج فى الشهر الماضى بعدما كان رئيساً للجمهورية أيضاً

الدكتور دولفوس وحركة ضم النمسا الى المانيا

فكرة ضم النمسا الى المانيا ليست فكرة جديدة فقد طرحت على بساط البحث من اكثر من

خمس سنوات لما عاد اليها بعض الزعماء النمسويين بحجة انها الحل الوحيد لانقاذ النمسا من وهدتها . فقامت قيامة أوربا يومئذ ، ولا سيما فرنسا ، وقالت انها لا تسلم بهذا الحل ، وهددت النمسا تهديداً صريحاً ، فتدخلت جمعية الامم فى الامر وقررت انه لا يجوز للنمسا أن تبت فى مسألة الانضمام الى المانيا والاندماج فيها بدون أن ترجع اليها (اى الى جمعية الامم) قبل ذلك ، وقبلت جمعية الامم وبعض الدول بعد ذلك ان تساعد النمسا على حل مشكلتها الاقتصادية على الاساس المذكور ، أى على أساس طرح فكرة الانضمام الى المانيا جانباً

ولكن الوطنيين الالمان يعتبرون انضمام النمسا الى المانيا فى مقدمة المبادىء التى يجب العمل على تحقيقها ، ويشاطرهم هذا الرأى انصارهم من النمسويين أنفسهم — وهؤلاء هم الذين ينازلهم الان الدكتور دولفوس رئيس الوزارة النمسوية منازلة حولت النمسا فى الشهر المنصرم الى شبه ميدان قتال تدور رحاه بين انصار فكرة الانضمام الى المانيا ، وأنصار الاحتفاظ باستقلال النمسا ويتولى زعامتهم الدكتور دولفوس أصغر رؤساء وزارات أوربا سنا واقصرهم قامة

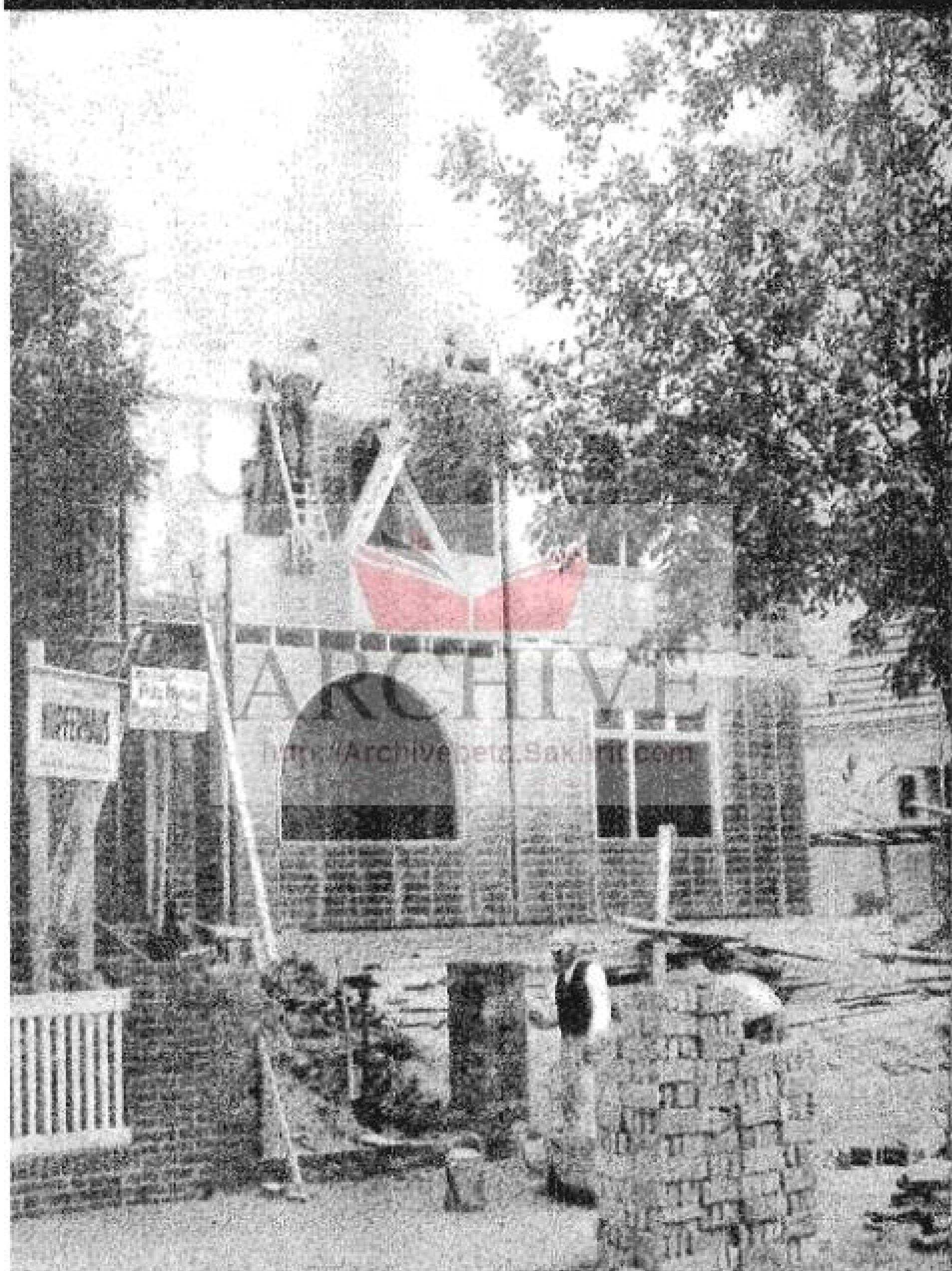
وقد كان النزال الذى يدور بين الفريقين لا يتعدى الخطب والمقالات فى بادىء الامر ، ولكنه تحول فى الشهر الماضى الى صدام وشجار ثم لم يلبث ان تجلى الخلاف بشكل صراع وقتال ذهب ضحيته كثيرون بين قتلى وجرحى

ولما خطب الدكتور دولفوس فى أوائل يناير الماضى خطبته التى قال فيها : «انه من حقنا ان نقابل العنف بالعنف» ، ظن بعض خصومه انه لا يقوى على تنفيذ وعيده ، وان قواه تهى عندما يرى ان الهيئات المناوئة له تؤلف قوة لا يستهان بها ، ولكنه صمد لهم بشجاعة وقوة ايمان مدهشتين وصرح بانه عقد النية على المقاومة ، وانه سيثبت فى مكانه وينتصر . لان ايمانه قوى كالصخر . ولما رأى أن قوات البوليس العادية لا تكفى لصون النظام عززها بالمتطوعين من أنصاره وجهر فى الوقت عينه بانه سيتوسل بجميع الوسائل لصون استقلال النمسا . ولذلك لم نعجب لما وافتنا التلغرافات بأنه نصب المشانق لشنق معكرى صفو الامن العام من المطالبين بتحقيق فكرة الانضمام الى المانيا . وقد قال فى آخر خطبة قرأناها له : «يجب على كل نمسوى أن يقول الآن ان مصيره هو المعلق فى الميزان ... المسألة مسألة مصير كل وطنى ومصير النمسا كلها ... لا مسألة مصير حكومة !»

ان المستقبل القريب سيفصل فى سياسة الدكتور دولفوس . ولكن سواء نجحت سياسته أو لم تنجح فان التاريخ سيصفه بانه كان رجلا من أشجع رجال هذا العصر ، وبانه دافع عن مبدأ استقلال بلاده حتى الرمق الاخير من حياته السياسية

كريم ثابت

بيوت متنقلة من النحاس



تركيب الطبقة الثانية فى بيت متنقل

شيدت

البيوت من الخشب والآجر والحجارة ، ولكن نزعة التجديد التي انتابت كل شأن من شئون الحياة قد وصلت أيضاً إلى تشييد المنازل فصارت الآن تقام ـ أو على الاصح (تصنع) ـ من النحاس بدلا من الحجارة أو « البيتون » أو الخشب !

وقد ظهر أول بيت من النحاس في معرض للأبنية أقيم ببرلين في ربيع سنة ١٩٣١ ، وقد أعجب الذين شهدوه هناك . ولكنهم عدوه ابتكارا شاذاً لا يلبث حتى يزول من الوجود ، غير ان هذا « الاختراع » انتشر بعد حين وصار للمنازل النحاسية أنصار عديدون ، حتى اختص احد المصانع الكبرى بصنعها وتوريدها للراغبين

ولعل أكبر ميزة للبيت النحاسي رغبت الناس فيه انه تمكن إقامته في زهاء يومين اثنين ، وانه كذلك يسهل هدمه ـ أو بالاحرى « فكه » ـ ونقله إلى أية جهة أخرى !

وتصنع الحيطان بالمصنع وتترك بها فوهات النوافذ ، وكذلك يصنع السقف والنوافذ والابواب هنالك ، ولا يبقى سوى « تركيب » البيت في المكان المعد له بعد أن يعد له الاساس اللازم . ويتبع المصنع أنماطا معينة في صنع الحيطان وغيرها حتى يسهل ابدالها بغيرها عند الحاجة . على انه يصنع أيضا منازل حسب الطلب ووفق مواصفات خاصة كما يطلبها الراغبون

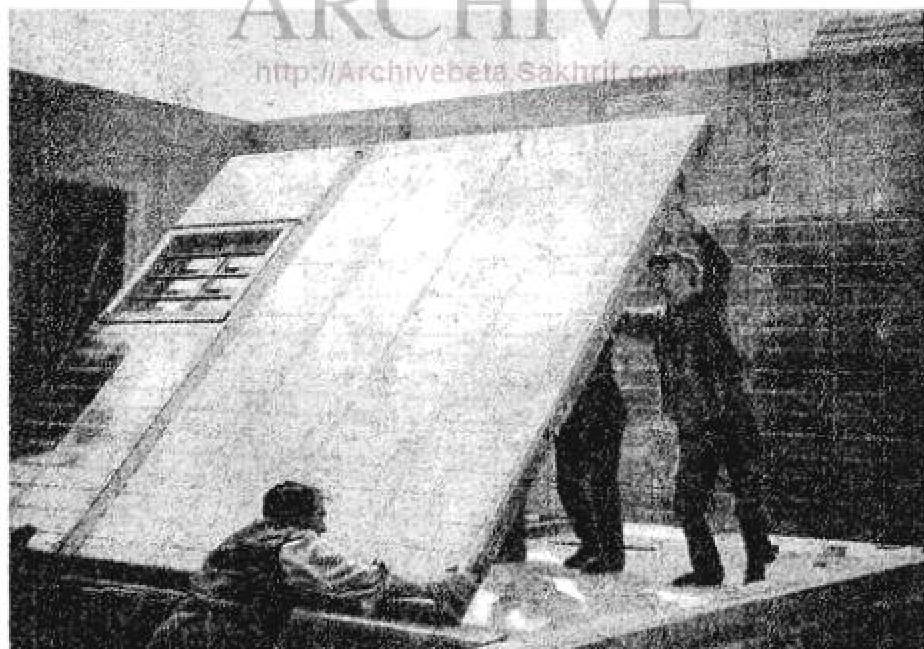
وقد يظن القارىء أول وهلة ان المعيشة في المنزل النحاسي لاتكاد تحتمل لشدة الحر في الصيف والبرد في الشتاء ، ولكن الواقع غير ذلك فان حيطانه تجمل بحيث يتخللها « عازل » للحرارة والبرودة على طريقة علمية دقيقة . وهذا المنزل صالح في الوقت نفسه لمنع الضوضاء . وهناك ميزة أخرى غير كل تلك الميزات ، وهي ان غرف البيت النحاسي لاتحتاج إلى ورق يلصق على حيطانها لان هذه الحيطان تلون في المصنع بأي لون يرغب فيه المشترون



بيت ينقل على سيارة الى المكان الذى سيقام فوقه



شحن الجدران من المصنع الذي تصنع فيه البيوت المتنقلة



حائط منزل متنقل في اثناء اقامته



ركن بيت متنقل مكون من حائطين

اوكار العقبان في اعالي الجبال

قلاع الصليبيين والمسلمين

في سوريا ولبنان

لا نجد لتلك السلسلة المتواصلة الحلقات من القلاع والحصون المنيعة ، التي تمتد من حدود لبنان الجنوبية الى حدود سوريا الشمالية ، غير هذا التشبيه الذي جعلناه عنوانا لهذا المقال . فهي أشبه شيء باوكار العقبان والنسور ، بناها اولئك الابطال الصناديد ، بقطع هائلة الحجم من الصخور الصماء ، رفعوها على اكتافهم القوية ، وأحكموا بنيانها باذرعتهم المفتولة ، وجعلوا لبانها من دمائهم الذكية . ولا تزال تلك القلاع والحصون قائمة الى الآن على قمم الرواسي ، تناطح السحاب بابراجها العالية ، وتهزأ بالايام رابضة على قواعدها الصخرية ، وتقص على الابناء والاحفاد جيلا بعد جيل ، أحاديث الحروب الغابرة والفروسية النادرة ، والبطولة الخالدة !

اذا طفت سواحل سوريا ولبنان ، في مركب بحري ، واشرفت منه على ما يحيط تلك السواحل



مدخل قلعة حلب

من جبال ووهاد ، وإذا توغلت في الجبال من جنوبها إلى شمالها ، ممتطياً متن جواد كما كان يفعل أولئك الابطال الخالدون ، أو جالساً على مقعد سيارة كما يفعل ابناء هذا الجيل المتمدن ، فانك ترى في كل بقعة موحشة من تلك البقاع الجبلية الوعرة ، بقايا وكر من تلك الاوكار ، التى شيدها الصليبيون أو المسلمون في سوريا ولبنان

وقد هدأت عاصفة الحروب الدينية من زمن بعيد ، وأخمدت في النفوس تلك الاحقاد المذهبية التى دفعت بفرسان الشرق والغرب الى ميادين الجهاد ، فالتحموا في مواقع دمويه هائلة ، وسالت فيها دماء الفريقين انهراً ، وتكدست فيها اشلاء الفرسان تلالا ، ولم يبق من ذلك العهد البعيد غير الذكرى - ذكرى الحماسة والشجاعة والاقدام والموت !

وبقيت القلاع الصامتة الناطقة !

هذه بعلبك ، المدينة التي تدفقت عليها جحافل الغزاة منذ القدم ، قدس الاقداس عند الفينيقيين وعند اليونان . وعند الرمانيين . والتى فتحها العرب في فجر الاسلام . فحولوا هياكلها الى قلعة حصينة ، وأقاموا في أحد جوانبها مسجداً لعبادة الله

وهذه حلب ، التي تطل عليها قلعتها المرتفعة الواسعة ، تلك القلعة التى أخذ كل من الغزاة الفاتحين نصيبه في ترميمها ، والتي شيد فيها السلطان الغوري برجاً من أبدع الابراج الباقية من ذلك العهد . فأتم بعمله هذا ما بدأ به الملك الظاهر بن صلاح الدين في القرن الثالث عشر للميلاد

واسم الملك الظاهر يتبادر إلى ذهنك أيضاً إذا ما اتجهت من حلب الى « قلعة النجم » المشرفة على نهر الفرات

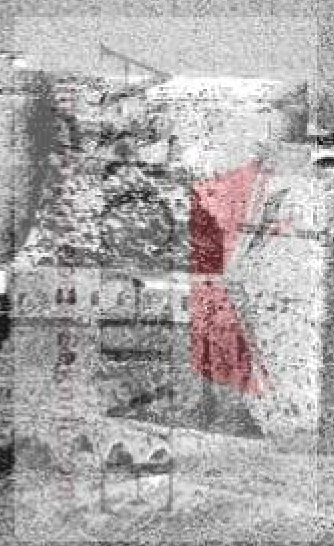
والآن ، لنقفز قفزة الى الجنوب ، الى ساحل البحر في لبنان ، حيث يربض « قصر سنجل » في طرابلس ، « المدينة المثلثة » فقلعتها أشهر من ان تعرف ، وقد شيدها هناك في الجيل الحادى عشر ، الامير ريمون دي سان جيل ، القائد الصليبي الذي يقول المؤرخون الصليبيون انهم لم يحاربوا أشرف منه فى الميادين

ثم لننطلق الى الجنوب أيضاً ، فنصل الى جبيل ، أو بيلوس كما كانوا يسمونها من قبل ، حيث تقوم الى الآن قلعة الصليبيين التى حولتها الحكومة اللبنانية الحاضرة الى سجن يحبس فيه المجرمون

وبعد ان نقف حينا فى جبيل ، لننطلق من جديد ، نحو الشمال ، ولنصل الى انطاكية وضواحيها وهي غنية ببقايا القلاع والحصون الصليبية الاسلامية

هذا « قصر صهيون » كما يسميه العرب ، وقصر « ساون » كما يسميه الافرنج على الاصح ، وبالقرب من هذا القصر ، أو من هـذه القلعة ، مسلة تعد فريدة من نوعها . وخندق حفره الصليبيون فى صخرة هائلة . فكانت كتائبهم تسلك ذلك الخندق في دخولها الى القلعة وخروجها منها ، بينما الحراس يرقبون الاعداء من أعلى المسلة الباقية الى الآن

وبعد الترحم على أرواح الشهداء الذين سقطوا تحت اسوار تلك القلعة ، هيا بنا الى الدرة اليتيمة ، الى اعظم حصن خلفته لنا تلك الاجيال الغابرة ، الى ما يعده الاوربيون الى اليوم جوهرة الحصون والقلاع ، الى « حصن الاكراد »



قلعة الحصن التي ترجع الى عهد الصليبيين



حصن مرجا الذى يعرفه العرب باسم « قلعة المرقب »

القلعة البيضاء (أو صافيتا) كما كان يسميها العرب

يقوم هذا الحصن البديع على ارتفاع ٧٥٠ متراً عن سطح البحر ، في جبل النصيرية ، وقد اطلق عليه اسم « الاكراد » نسبة الى صلاح الدين ورجاله ، وهم « اكراد » كما هو معلوم . وادخل بعد ذلك تحريف على هذه التسمية ، فصار الافرنج يقولون « اكراك » ثم « كراك » ثم اتخذوا هذا الاسم المحرف من كلمة « اكراد » واطلقوه على قلاعهم ، فصاروا يقولون « كراك الفرسان » Crac des Chevaliers وانتقلت هذه الكلمة المحرفة الى اللغة العربية ، فصار أبناء البلاد يقولون « الكرك » بمعنى « القلعة ! »

ويشرف على طريق حمص ، حصن يدعى حصن « عكار » وكان هذا الحصن بمثابة نقطة اتصال بين « كرك الفرسان » أو « حصن الاكراد » وبقية الحصون والقلاع الصليبية في سوريا ولبنان ، ومركز الدفاع عن طريق حمص

وهناك قلعة أخرى ، بديعة النقوش واسعة الارجاء ، هي « القلعة البيضاء » كما كان يسميها الصليبيون ، لأنها مبنية بحجر ناصع البياض ، والتي يسميها العرب قلعة « صافيتا » وهي تشرف على الطريق بين مدينة طرطوس وحصن الاكراد ، الذي كان محور الدفاع والهجوم عند الصليبيين

وفي حصن الاكراد كانت تقيم فتاة صليبية جميلة أحبها صلاح الدين الأيوبي عند ما كان لايزال جندياً بسيطاً وأحبته ، وبقيت علاقاتهما فيما بعد قائمة على أتم ما يكون من الصفاء والمحبة

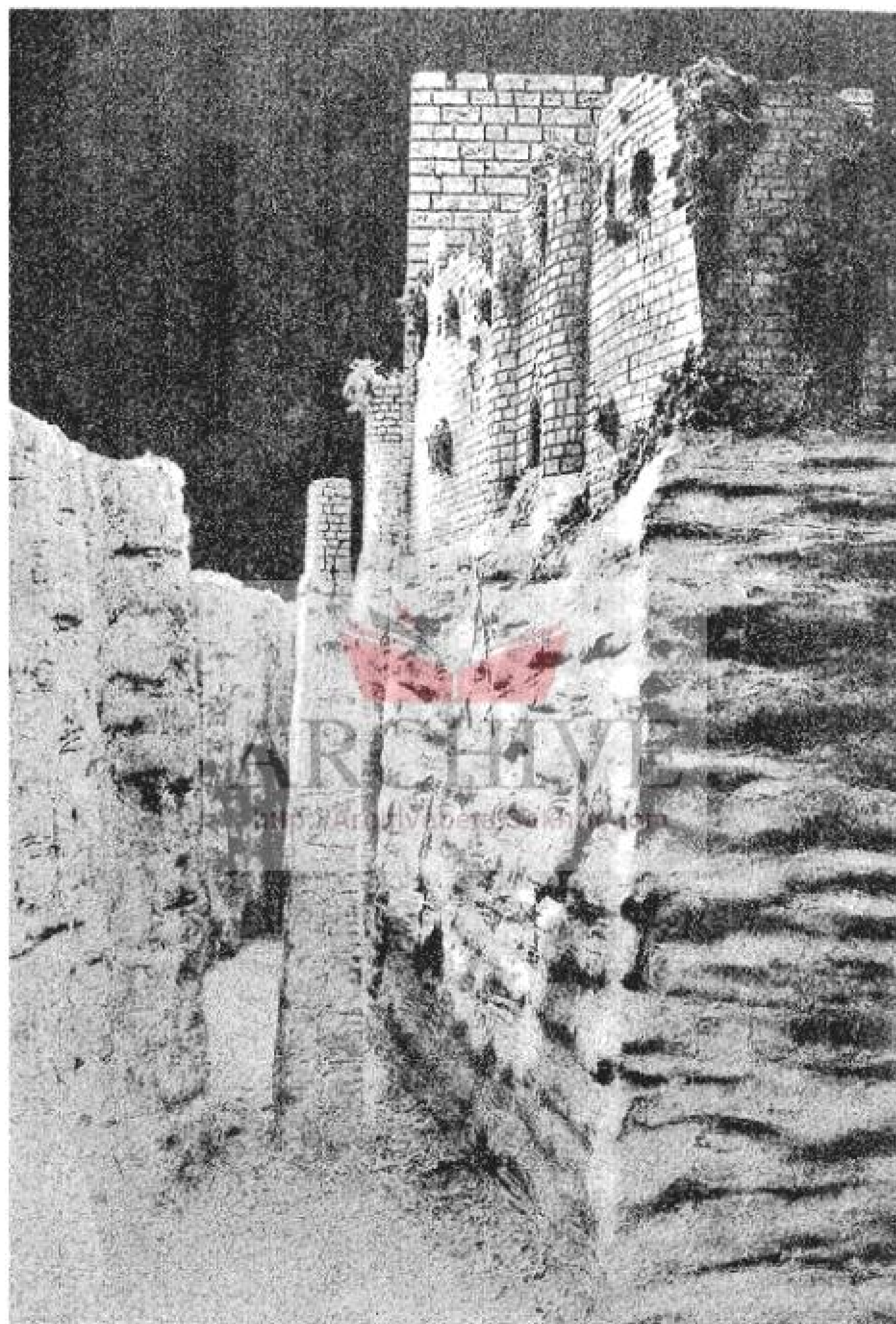
وفي تلك المنطقة ، تقوم أيضاً بقايا « القلعة الحمراء » أو قلعة « يحمور » التي اطلق عليها هذا الاسم بسبب لون حجارتها أيضاً ، وبالقرب منها « حصن كوليات » وقد حرف العرب هذا الاسم فاصبح « قليعات » اعتقاداً منهم ان الافرنج يريدون باسم « كوليات » تصغير كلمة « قلعة » فقالوا « قليعات »

ومما يذكر بهذه المناسبة ، أنه لايزال يوجد الى الآن في لبنان ، أي على مسافة بعيدة من قلعة « كوليات » بلدة صغيرة تدعى ايضا « القليعات »

وكان يزاحم حصن الاكراد في ذلك الزمن حصن آخر يدعى « حصن مرجا » الذي يعرفه العرب باسم « قلعة المرقب » من « المراقبة » وقد دارت تحت اسوار هذا الحصن ، في عهد الحروب الصليبية ، معارك رائعة بين الصليبيين والعرب

وفي مدينة صيدا بقايا حصن يعرف بقصر البحر ، وهو الذي أقام فيه الملك لويس التاسع ، بعد هزيمته في معركة المنصورة ووقوعه اسيراً واطلاق سراحه . ويعرف هذا القصر أيضاً باسم « قلعة الملك لويس »

وهناك عشرات من القلاع والحصون ، الباقية آثارها مبعثرة على قمم الجبال من الشمال الى الجنوب ، كقلعة « الشقيق » أو « قصر بوفور » وقلعة « تبنين » أو « تورون » ، وقلعة بانياس في مرجعيون بلبنان ، وقلعة الصليحة وقلعة بوقبيس وقلعة الصبت وغيرها وغيرها



أطلال قصر صهيون الموجود في انطاكية



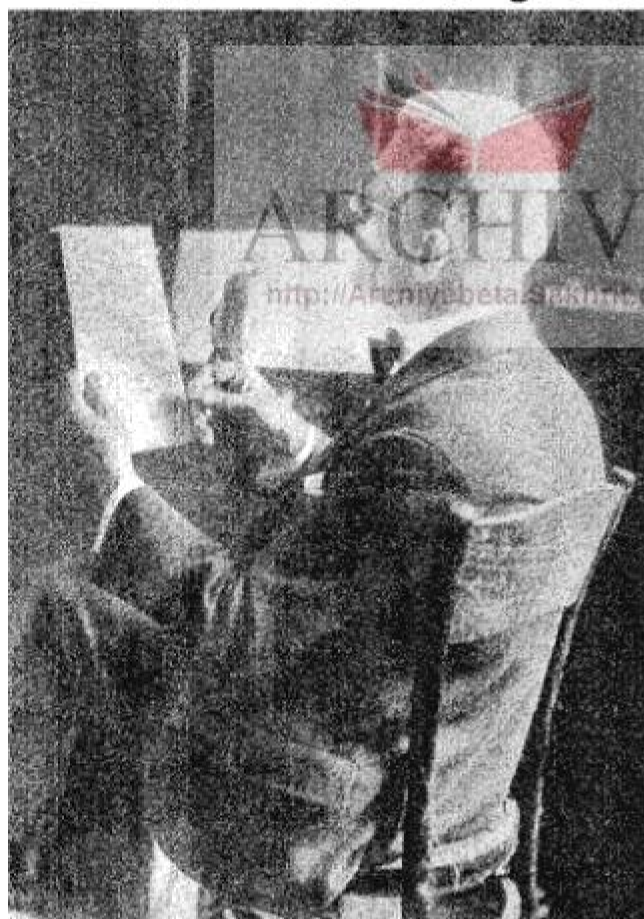
قصر طرابلس التي يرجع الى عهد الصليبيين

تعليم العصافير الموسيقى

قد لا يعلم الكثيرون أن موطن عصافير الكنار هو جبال « الهارتز » بأواسط المانيا ، ففيهـا تربى وتدرب على التغريد ، ومنها ترسل إلى مختلف أنحاء أوربا وأمريكا . ومراكز تربيتها وتجارتها في تلك الجبال هي المصايف ـ كفيدلنبورج وسودروده واندريا سبرج . ولما اتجه ميل الامريكيين حديثاً إلى اقتناء تلك العصافير في بيوتهم صارت المانيا تصدر اليها عشرات الآلاف منها حتى أصبحت عاملا من عوامل الانتعاش لتجارتها الخارجية . ويكفي للدلالة على ذلك انها أرسلت الى أميركا أخيراً ارسالية من عصافير الكنار لا يقل عددها عن ٤٦٠٠٠ عصفور دفعة واحدة . وقد أدرك مربوها في جبال « الهارتز » أهمية السوق الامريكية فطبعوا كتالوجات واعلانات باللغة الانجليزية وأذاعوها بين الامريكيين

والعصافير التي تربى في جبال « الهارتز » على أنواع وأشكال لاحصر لها . ويقدر ثمن العصفور العادي الذي تشوب تغريده عيوب فنية بمبلغ ثمانية ماركات في الوقت الحاضر (أي نحو نصف جنيه مصري تقريباً) ، أما العصفور الأمثل الذي يبلغ الغاية في التغريد والشكل واللون فان ثمنه لا يقل عن ٢٥ ماركا وقد يزيد

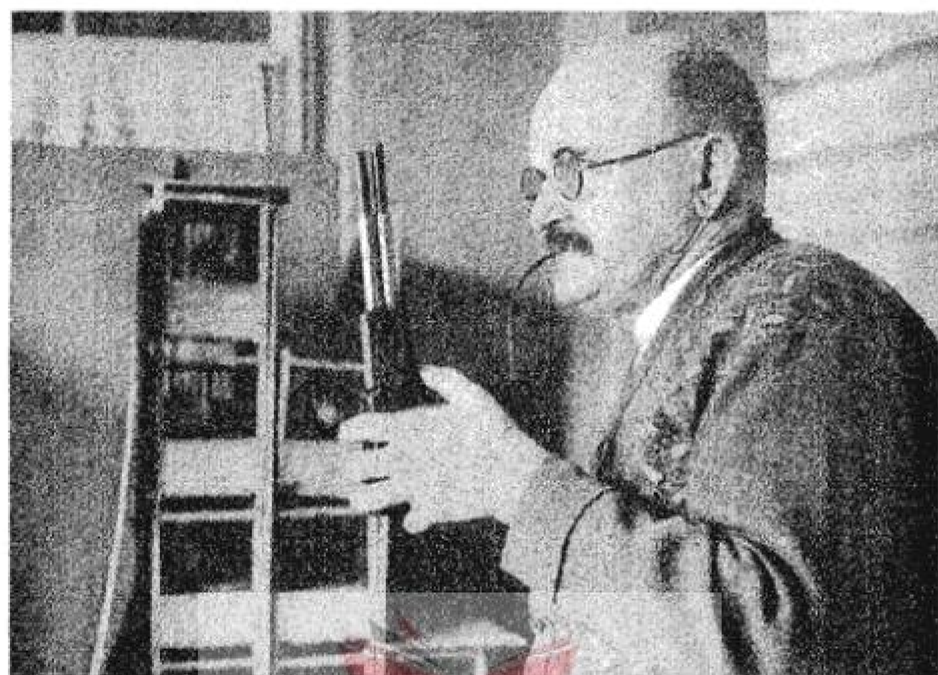
وهناك خبراء فنيون مهمتهم سماع عصافير الكنار في أماكن تربيتها وهم يغرونها بالغناء بصفارات خاصة ينفخون فيها، حتى اذا غردت حكموا على أصواتها وقدروا درجتها من الجودة والجمال . وحكمهم في ذلك قاطع لا يعتوره الشك . وقد اشتهر مربو عصافير الكنار في جبال الهارتز بأنهم لا يبعثون الى الخارج الا بالعصافير الحسنة حفظا لسمعة تلك التجارة



عصفور يتعلم الموسيقى على يد أحد الموسيقيين



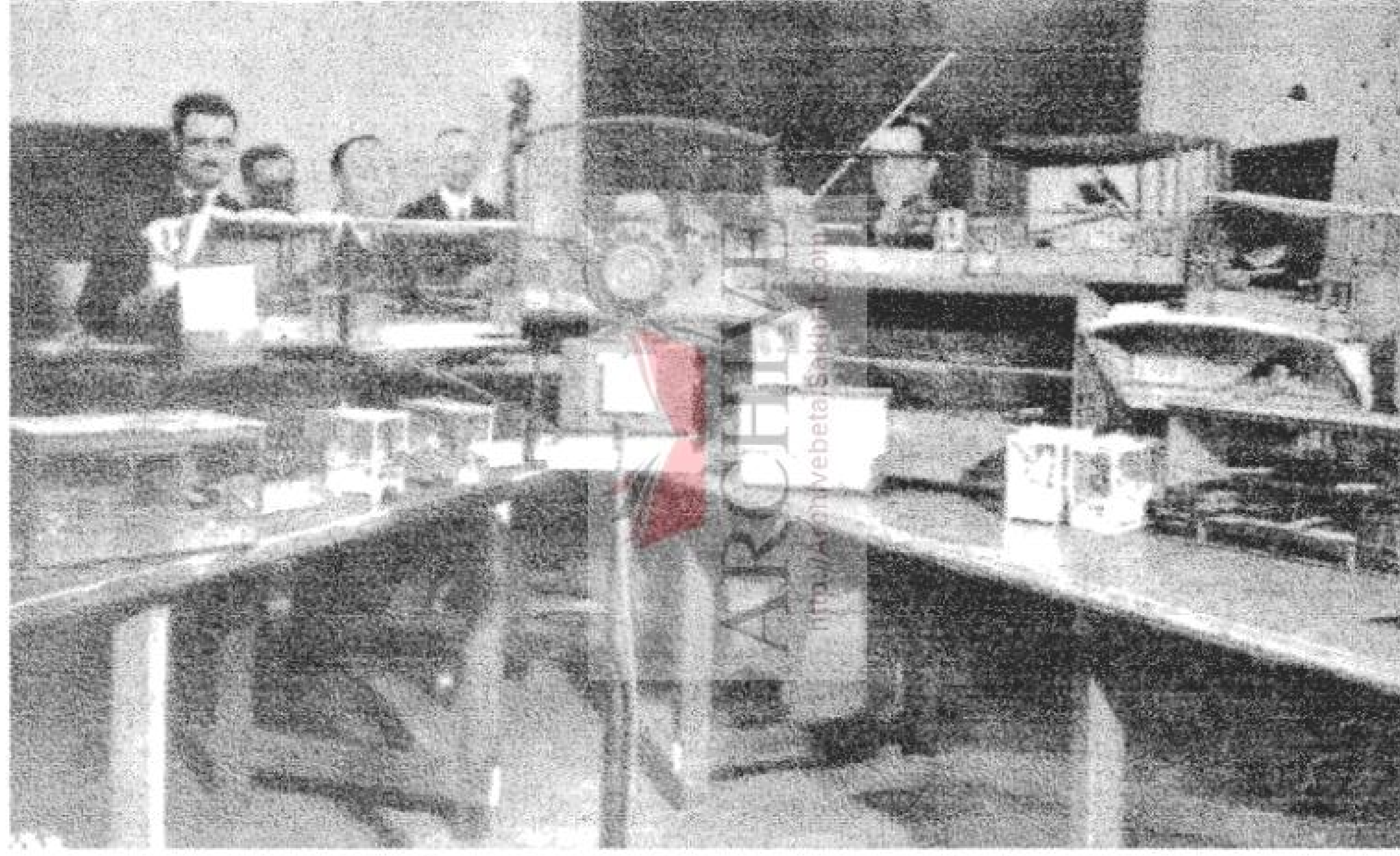
العصافير تستمع
الى نغمات الكمان



خبير في الموسيقى يفحص صوت العصفور بواسطة صفارة مخصوصة



موسيقية تدرب العصافير على الغناء



فرقة أوركسترا تعزف قطعة موسيقية أمام أقفاص العصافير لتدريبها على الغناء

هل الصحافى أديب؟

آراء الاستاذ عبد القادر حمزة ، والاستاذ انطون بك الجميل ، والاستاذ خليل مطران ، والاستاذ احمد حافظ عوض بك

سؤال تتباين فيه الآراء بتباين وجهة النظر الى كل من الادب والصحافة وتحديد كل منهما ، فقد نعرف الأدب بأنه التعبير بكلام جميل عما يجيش فى النفس وينبض به القلب ويبدعه الخيال ، فهو من هذه الوجهة فن جميل أساسه ارهاف العاطفة وإناقة الذوق، ودقة الحس والتظرف

وقد نعرفه بأنه نقد الحياة ، وأنه هو الذى يوجه الانسان فى الحياة العقلية توجيها جميلا أشبه ما يكون بالانتخاب الطبيعى فى الحياة الطبيعية . ومن هذه الناحية يتناول العلوم والفنون والحياة الاجتماعية والحوادث اليومية

أما الصحافة فقد نحددها بأنها حرفة تخدم المجتمع من النواحى التى تهمه فى حياته اليومية والاجتماعية . ولا علاقة لها بالادب إلا من حيث إنه شأن من الشئون التى تهم بعض الافراد

ثم قد نحدد الصحافة بأنها موسوعة كبيرة تحوى كثيراً من العلوم وتتناول أنواعاً من الأدب والفنون ، وتترجم عن الحياة العلمية والفنية والاجتماعية واليومية من جميع نواحيها . وعلى ذلك فهى من هذه الوجهة أعم من الأدب وأوسع نطاقاً وأعظم مادة . واذن فالصحافى ليس أديباً عند الذين يرون ان الصحافة حرفة . أما الذين يرون أن الصحافة موسوعة كبيرة للعلوم والفنون والحياة الاجتماعية ، فعندهم أن الصحافة تشمل الادب ، وان الصحافى الحق هو المثقف تثقيفاً علمياً وفنيا واجتماعياً ، وهو ـ الى ذلك ـ الخبير بشئون الجماهير والجماعات المتصل بسائر البيئات ، المتتبع للحوادث العامة ، وهو الذى اعطى ملكة خصبة وبداهة مؤاتية ، وقدرة على التصرف فى عمله بمهارة وسرعة

أما الاديب فهو جزء من الصحافى ، أو بعبارة اخرى ـ إن الصحافى هو المثقف تثقيفاً كاملا . ولكن الاديب مثقف فى ناحية من نواحى الفن . ولكن اذا أريد بالادب التثقيف علماً ولغة وكتابة وخبرة بالناس ثم قدرة على الانتاج ، فهذا هو الادب الواسع المنتج وهو نفسه الصحافة .

* * *

وقد ذهب الى هذا الرأى الأخير الاستاذ عبد القادر حمزة رئيس تحرير « البلاغ » الغراء ، حيث يقول :

« ان المتعارف عليه هو أن الأدب عنصر من عناصر الصحافة . ولكن الصحافة ليست الادب . بل هى فن اعم منه واوسع ، فالاديب قد يكون كاتباً مبرزاً وبحاثة لا يشق له غبار ، ولكن لن يكفيه ذلك لكى يكون صحافيا ، وانما يكون بان يجمع الى الادب علوماً وفنوناً اخرى ثم بأن تكون له خبرة كافية بالناس وبالاشياء وبالحوادث وبأذواق الهيئات المختلفة ثم بان يرزق مع هذا كله الملكة الصحافية التى يستطيع بها ان يلفت نظر الجمهور الى ما يريد ان يبرزه امامه . فالادب على هذا بضاعة من بضاعات عدة لابد للصحافى منها ولا ريب فى انه بضاعة جميلة ، ولكن اذا اقتصر الصحافى عليها او إذا هو برز فيها ولم يعط البضاعات الاخرى الا القليل من عنايته ، لم يكن صحافياً . و بالعكس اذا هو اصاب فى الآداب نصيباً صالحاً من غير ان يصل فيه الى التبريز ثم أصاب مثل هذا النصيب فى البضاعات الاخرى ثم كان مبرزا فى ملكته الصحافية فهو صحافى

«ولكننى أعود بعد ذلك فأسأل: هل الادب الصحيح يمكن ان يتم للاديب من غير إلمام كاف بكثير من العلوم والفنون العصرية ، ومن غير خبرة كافية بالناس وبالاشياء و بالحوادث و بأذواق الهيئات المختلفة ، ثم من غير ان يرزق مع هذا قدرة على ان يلفت نظر الجمهور إلى ما يريد أن يبرزه أمامه ؟

«ان كان معنى الادب انه التبريز فى اللغة وفى الكتابة وفى معرفة الشعر فهو حينئذ أدب ضيق غير منتج . أما إن كان معنى الادب انه التثقف الكامل علماً ولغة وكتابة وخبرة بالناس والاشياء والاذواق ، ثم قدرة على الانتاج ، فهذا هو الادب الواسع المنتج . وفى هذا الادب الواسع يكون الفارق بين الاديب والصحافى : ان الاول يبحث ويكتب غير مقيد بوقت ، أما الثانى فانه يكتب ويخرج كتابته مقيداً فيها بالوقت الذى تظهر فيه صحيفته

« ولكل انسان ان يقول حينئذ ان انتاج الاديب أكثر تحقيقاً وأبعد غوراً من انتاج الصحافى . وهذا صحيح . ولكن الاديب ينتهى مع ذلك بأن يتخصص فى ناحية معينة يتجه اليها أدبه . لانه يختار الناحية التى تعجبه من نواحى الادب فينصرف اليها . أما الصحافى فان عمله الذى لا ينقطع يوماً ولا ساعة ، والذى يطلب منه ان يكون حاضر البديهة حاضر الجواب على كل مايدعى لان يكتب فيه ، وهو فى كل ذلك لا يختار بل الحوادث هى التى تختار له كل يوم ألوانا جديدة وتدعوه لان يتجه اليها ، هذا الصحافى ينتهى بأن يتسع أفق الادب والعلم والخبرة عنده ، فيكون كأنه الموسوعة بينما يكون الاديب بجانبه كأنه كتاب فى فن معين »

* * *

أما الاستاذ أنطون بك الجميل رئيس تحرير « الاهرام » الغراء فيرى أن الصحافى بحكم مهنته وعمله ينبغى ان يكون أديباً . وأنه أحوج ما يكون إلى الادب . فكل صحافى يجب أن يكون أديباً ولا عكس . فهو يقول :

« نعم ينبغى أن يكون الصحافى أديباً . ومن حسن المصادفة ان أتلقى هذا السؤال وأنا أرتب بعض أوراق قديمة عثرت بينها على خطبة ألقيتها منذ بضع سنوات فى حفلة تأبين المرحوم سليم سركيس وقد طلبت الى يومئذ أسرة الصحافة ان أقول كلمة باسمها . فعرضت لهذا الموضوع : الادب والصحافة . وأشرت الى تلك العصبة المباركة من أعلام حملة الاقلام فى القطرين الشقيقين كالشدياق والبستانى وسمير ونديم وعبد الكريم سلمان والمويلحى ومحمد عبده وأديب اسحق وتقلا والحداد وعلى يوسف ومصطفى كامل وولى الدين يكن وغيرهم من الذين كانوا فى آن واحد من أعلام الادب المعدودين وفرسان الصحافة المعلمين . كانوا من مؤسسى الصحافة العربية وهم هم أركان النهضة الادبية فى النصف الثانى من القرن الغابر والربع الاول من القرن الحالى فمن يكتب تاريخ الصحافة عندنا يكتب تاريخ الادب فى تلك الحقبة من الزمن

« واذا نظرنا إلى رؤساء الكتاب فى صحفنا اليوم والى كبار معاونيهم نجد الصحافى متلبساً بالاديب

« نعم ليس كل أديب بصحافى ، ولكن ينبغى أن يكون كل صحافى أديباً ، لان الصحافة ، وقد ارتقت إلى المنزلة التى صارت اليها أصبحت أشبه شىء بدائرة معارف شاملة عامة ، وبات الارتباط وثيقا بينها وبين الادب

« وبعد . إذا رجعنا إلى تحديد الادب ألا نراه أحوج ما يحتاج اليه الصحافى ؟

« قالوا ان الادب صناعة تعرف بها أساليب الكلام البليغ فى كل حال من أحواله

« وقالوا أيضا ان الادب علم يتعرف منه التفاهم عما فى الضمائر بأدلة الالفاظ والكتابة ، ومنفعته اظهار مافى نفس الانسان من المقاصد وايصاله إلى شخص آخر حاضراً كان أو غائبا

« وهل مهمة الصحافى غير هذا وهو يحاول ايصال مافى نفسه كل يوم الى عشرات الالوف من قرائه ؟ . وهل يستطيع ذلك اذا لم يكن عارفا باساليب الكلام البليغ فى كل حال من الاحوال ؟

« فلا غنى للصحافى عن الصفات اللازمة عادة للاديب ، وهو فوق ذلك فى حاجة ماسة الى صفات أخرى خاصة بمهنته ، لذلك قلت : ليس كل أديب بصحافى ، ولكن ينبغى للصحافى ان يكون أديبا »

* * *

وأنت تعرف صلة الاستاذ خليل مطران بالصحافة والأدب فقد اشتغل بالصحافة عدة سنوات ، ومارس خبرة واسعة فيها وفى الادب . ولكنه يرى أن الصحافة شىء والأدب شىء آخر ، على انه يمكن الجمع بينهما : « فهناك صحافى اديب وصحافى ليس باديب . فالصحافى الاديب هو الذى تعلم تعليما وافياً وتمكن فى لغته وأخذ حظاً من البيان ثم زاول الصحافة وتصرف فى

الموضوعات تصرفا لاينسى معه الاساس الذى قام عليه علمه وادبه من اتقان اللغة وحسن الديباجة ومراعاة الاصول بدقة

« اما الذى تعلم تعليما بسيطاً ودخل الصحافة لتلقط الاخبار ، أو ان عنده فطنة خاصة لفهم بعض الامور التى تتعلق بالجماهير ، فهذا لانستطيع ان نقول انه اديب

« وفى اوربا يتحتم عادة ان يكون الصحافى اديباً ،لأن هناك وسائل للاعداد فى الصحافة،وعندهم تنافس شديد يضطر الصحافى ان يكون متضلعاً من اللغة والادب خبيراً بهما كل الخبرة . ولهذا يكثر عندهم الصحافى الاديب »

° ° °

لكن الاستاذ احمد حافظ بك عوض صاحب جريدة « كوكب الشرق » الغراء لا يرى ما يراه الاستاذ خليل مطران ويذهب الى رأى آخر يخالف حتى الرأيين السابقين فى بعض نواحيهما ، ويقسم الصحافة الى قسمين قسم مالى وقسم يعتمد على العقيدة ، فالصحافى عنده على نوعين ، صحافى مالى وصحافى عقيدة ومهمة فى الحياة ترقى به الظروف الى ان يكون صاحب جريدة

« فالاول لا يلزم أن يكون اديباً ، بل يكفى أن يكون مهذباً له دراية بما حوله من الشئون العامة ولكن ينبغى أن يكون له رأى فى اتجاه جريدته . وهذا النوع موجود باوربا بكثرة كاللورد روزربروك ومسيو كوتيه صاحب الفيجارو ، وهو فى الوقت نفسه صاحب فابريقات العطر المشهورة

« أما الثانى فيجب أن يكون أديبا . وكلمة أديب كلمة مختصرة لا تعبر التعبير الكافى ، ولهذا اقصد بالاديب المثقف تثقيفاً واسعاً المتتبع للحركة الفكرية والعلمية والادبية ، الخبير بالشئون العامة . ولذلك أقول ان الأدب لا ينفك عن الصحافة ، وهو أحد اجزائها وان الصحافى اديب أو يجب ان يكون اديباً متى كان من النوع الثانى الذى يحمل القلم »

° ° °

فانت ترى من ذلك كيف تختلف آراء هؤلاء الكتاب فى ناحية وتجتمع فى ناحية . وأساس هذا الاختلاف هو تحديد معنى الادب والصحافة . وربما ارجعت هذه الآراء كلها الى رأى واحد اذا لاحظت ان كلا منهم يشترط فى الصحافى ان يكون مثقفاً ثقافة واسعة . وما الثقافة الواسعة إلا دائرة معارف تأخذ من كل شيء بطرف . وقد يكون الأدب اظهر الانواع التى تدخل فى معنى الصحافة لان الادب هو اداة الصحافى التى تعينه فى تبليغ رسالته الى قرائه . وما الصحافى فى الواقع إلا اديب انبرى للجماهير يعالج شئونهم ويوزع مواهبه وقواه فى خدمة حياتهم على اختلاف انواعها . وربما كان من هذه الناحية انفع من الاديب الذى قصر نفسه على نوع واحد والذى لايفيد إلا طائفة معينة من الناس . .

طاهر الطناحي

وثائق مجهولة عن :

مأساة الموريسكيين أو العرب المتنصرين

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

[في هذا الفصل يجد عشاق التاريخ الأندلسي طائفة من الوثائق الهامة الشائقة التي اوردتها الرواية الاسلامية عن الاندلس بعد سقوطها وتنصيرها . وهي وثائق لم تنل حقها من البحث والتعريف]

مرحلة فى التاريخ الاسلامى لم تخصها الرواية الاسلامية بكبير عناية ، ونعتمد فى تتبعها واستقصاء حوادثها على الرواية الافرنجية قبل الرواية العربية ـ تلك هى تاريخ الاسلام فى الاندلس بعد سقوطها فى يد اسبانيا النصرانية وانتهاء دولة الاسلام فى اسبانيا،أو بعبارة أخرى ـ هى مأساة العرب المتدجنين والمتنصرين « الموريسكيين » (١) . ففى هذا الموطن نجد فى الرواية العربية ثغرة يصعب ملؤها . وتاريخ الاندلس المتنصرة يشغل فى تاريخ اسبانيا القومى حيزاً كبيراً يمتد زهاء قرن ونصف وتخصه الرواية الاسبانية بكثير من عنايتها . ولكن الرواية الاسبانية تتأثر دائماً بالعوامل القومية والدينية الى أبعد حد ، وتنظر دائماً الى ذلك الاستشهاد المفجع الذى فرضته اسبانيا على العرب المتنصرين ، والى تلك الجرائم المروعة التى كانت ترتكبها محاكم التحقيق (التفتيش) باسم الدين ، والى تلك الاجراءات والوسائل البربرية التى اتخذت لتشريد العرب المتنصرين وابادتهم ـ بعين الظفر والكبرياء والرضى . وترى فيها دائماً نوعاً من الانقاذ القومى وتطهيراً للدين القومى من آثار الاسلام الاخيرة . وهى فياضة دائماً فى تلك المرحلة من تاريخ اسبانيا ، تحيطها بكثير من القصص والاساطير الحماسية ، التى تشيد بظفر اسبانيا النصرانية وبما أسبغته العناية الالهية على خططها وسياستها فى إبادة الاسلام والعرب المتنصرين من اسبانيا ، وفى القضاء الى الابد على آثار تلك الدولة الاسلامية المجيدة الباذخة التى ازدهرت فى اسبانيا النصرانية زهاء قرون ثمانية ، وعلى حضارتها وآدابها وكل ذلك التراث الباهر

أما الرواية الاسلامية فلم ينته الينا منها عن تلك المأساة سوى رسائل وشذور يسيرة . بل لم ينته الينا منها سوى القليل عن مراحل التاريخ الاندلسى الاخيرة قبل سقوط مملكة غرناطة ، ولولا

---

(١) العرب المتدجنون أو أهل الدجن كلمة اطلقت على المسلمين الاندلسيين الذين دخلوا في طاعة ملك النصارى واعترفوا بها . ومقابلها الاسباني هو Mudejares . وقد شاع استعمالها منذ القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادي) اعني منذ كثر استيلاء النصارى على قواعد الاندلس ، وكثر الرعايا المسلمون في مملكة قشتالة النصرانية . والموريسكيون (والاسبانية Moriscoe) أطلقت على العرب المتنصرين عقب سقوط غرناطة وارغام أهلها على التنصر

أن انتهى الينا تاريخ غرناطة بقلم وزيرها وكاتبها ابن الخطيب (١) ثم جاء العلامة المغربي احمد المقرى فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى « الحادى عشر الهجرى » فجمع لنا فى موسوعته الضخمة عن تاريخ الاندلس وآدابها (٢) كثيراً من الرسائل والفصول المتعلقة بهذا العصر — لما كان للرواية الاسلامية فى هذا الموطن شأن يذكر . ونستطيع أن نرجع ذلك الى عاملين : الاول هو أنه فى عصور الانحلال والسقوط تخمد الحركات الفكرية والادبية وتقل العناية بالتدوين التاريخي كما تقل فى جميع نواحى التفكير والادب ، والثانى هو أن كثيراً من الكتب التى وضعت عن ذلك العصر قد فقدت ولم تصل الينا ، وهى كتب ينقل المقرى منها الينا بعض الشذور مما يدل على أن بعضها كان موجوداً فى عصره . بيد أنه قد انتهت الينا عن سقوط مملكة غرناطة رواية عربية مفصلة بعنوان أخبار العصر في انقضاء دولة بنى نصر » بقلم مؤلف مجهول ، ولكنه يذكر فى نهايتها انه كتبها فى جمادى الثانية سنة ٩٤٧ هـ « ١٥٤٠م » اعنى بعد سقوط غرناطة بخمسين سنة ، فهى رواية معاصرة تقريبا ويبدو من سياقها انها من تأليف أحد أشراف غرناطة الذين بقوافيها وأرغموا على التنصر ، ولكنهم بقوا مسلمين فى روحهم وفى سريرتهم ، وخشى أن يبوح باسمه لانه يندب حظ الاسلام فى كتابه ويندد بفظائع النصارى (٣) على أنه لا يقدم الينا أى تفصيل عن مأساة العرب المتنصرين برغم أنه قد شهد مرحلة كبيرة منها . وكل ما يقدمه الينا عن ذلك قوله عن اكراه الاسبان للمسلمين على التنصر سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٩ م) : « وصارت الاندلس كلها نصرانية ولم يبق فيها من يقول لااله إلا الله محمد رسول الله ، إلا من يقولها فى قلبه وفى خفية من الناس ، وجعلت النواقيس فى صوامعها ، بعد الاذان ، وفى مساجدها الصور والصلبان ، بعد ذكر الله وتلاوة القرآن ، فكم فيها من عين باكية وقلب حزين ، وكم فيها من الضعفاء والمعذورين ، لم يقدروا على الهجرة واللحوق باخوانهم المسلمين ، قلوبهم تشتعل ناراً ، ودموعهم تسيل سيلا غزيراً ، وينظرون أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للاوثان ، ويأكلون الخنزير والميتات ، ويشربون الخمر التى هى أم الخبائث والمنكرات ، فلا يقدرون على منعهم ولا على نهيهم ولا على زجرهم ، ومن فعل ذلك عوقب باشد العقاب وعذب بأشد العذاب ، فيالها من فجيعة ما أمرها ، ومصيبة ما أعظمها ، وطامة ما أكبرها ... » ثم يشير بعد ذلك بايجاز الى ثورة المسلمين فى غرب الاندلس على سياسة التنصير وانتصارهم على قوات ملك قشتالة وجوازهم الى عدوة المغرب ويختم بقوله : « وانطفأ من الاندلس الاسلام والايمان ، فعلى هذا فليبك الباكون ، ولينتحب

---

(١) هو كتاب « الاحاطة في أخبار غرناطة » (٢) هو كتاب « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب » (٣) يقع هذا الكتاب في ست وخمسين صفحة . وقد نشره المستشرق الالماني ماركميلر سنة ١٨٦٣ (طبع ميونيخ) من النسخة الخطية الوحيدة الموجودة بالاسكوريال . وهي نسخة لم يرد ذكرها في معجم كازيرى (معجم مخطوطات الاسكوريال) . وقرنه بترجمة المانية . ونشر معه قطعة من رواية اسباني مؤرخ معاصر عن حوادث سقوط غرناطة

المتنجبون ، فانا لله وانا اليه راجعون . كان ذلك فى الكتاب مسطوراً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً » (١)

وفى أوائل القرن السابع عشر وضع المؤرخ والراوية الكبير احمد المقرى (٢) موسوعته التاريخية والادبية الكبرى عن الاندلس وهى المسماة « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر لسانها وزير الدين بن الخطيب » . وقد نقل المقرى فى مؤلفه عن المؤرخين والرواة المتقدمين فصولا وشذورا ورسائل كثيرة لم تصل الينا الا بواسطته وفقدت مؤلفاتها الاصلية . بيد أنا نلاحظ ان هذا الاقتباس الفياض يقل فى عصور الاندلس الاخيرة مما يدل على أن المقرى لم يجد أمامه للنقل كثيراً من المراجع عن حوادث هذه المرحلة . واغلب اعتماده فى هـذا الموطن على ابن الخطيب مؤرخ غرناطة وابن خلدون . فاذا كان انحلال الاندلس وسقوطها النهائى نجد المقرى يعتمد فى النقل والتلخيص على مصدر واحد هو تلك الوثيقة التى أشرنا اليها والتى نجهل مؤلفها أعنى كتاب « أخبار العصر بانقضاء دولة بنى نصر » أما تاريخ العرب المتنصرين ، فيمر المقرى عليه بسرعة ولا يقدم الينا عنه سوى شذور يسيرة هى تكرار لما ورد فى « أخبار العصر » . ويجمل المقرى مأساة العرب المتنصرين كلها فى هذه العبارة : « ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبدالله فى خفية ويصلى ، فشدد عليهم النصارى فى البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيراً بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد . وقاموا فى بعض الجبال على النصارى مراراً ، ولم يقيض الله تعالى لهم ناصراً الى أن كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر والف » (٣) ومع أن المقرى كان معاصرا لآخر فصل من المأساة وهو اخراج العرب المتنصرين (الموريسكيين) من اسبانيا فى عصر فيليب الثالث ، سنة ١٦٠٩ م (١٠١٧ هـ) ورأى الكثير منهم فى حواضر المغرب ، فانه لم يعن بان يقدم الينا عن هذه المأساة الشهيرة أية رواية مفصلة بل يكتفى بأن يمر عليها فى اشارة موجزة

على أنا نظفر من جهة أخرى ببعض الوثائق الهامة التى كتبتها عن مأساة العرب المتنصرين أقلام مشاهدة معاصرة . والى المقرى يرجع الفضل أيضا فى وقوفنا على هذه الوثائق . فقد كتب المقرى مؤلفاً ضخما آخر هو « ازهار الرياض فى أخبار القاضى عياض » (٤) ومع انه يخصص هذا الكتاب لترجمة القاضى عياض الفقيه الاندلسى الكبير (٥) ووصف آثاره ، فانه يستطرد كعادته ويذهب فى الحديث شجوناً شتى ، وينقل الينا بعض الاقوال والوثائق المتعلقة بسقوط غرناطة وتاريخ العرب

---

(١) راجع الكتاب المذكور ص ٥٤ – ٥٦ (٢) توفى المقري سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ م)

(٣) نفح الطيب (مصر) ج ٢ ص ٦١٧ (٤) لم ينشر من كتاب « أزهار الرياض » سوى قسم صغير في مجلد واحد صدر بتونس سنه ١٣٢٢هـ. بيد ان دار الكتب المصرية تحتفظ بنسخة مخطوطة كاملة من أزهار الرياض (رقم ٢٠١٣ تاريخ) كتب معظمها بخط مغربي (٥) وهو من علماء القرن السادس الهجرى

المتنصرين . ولهذه الوثائق على قلتها وايجازها أهمية خاصة لانها كلما انتهى الينا من الرواية الاسلامية فى هذا الموطن . وهى أقوال معاصرين للمأساة شهدوا بعض حوادثها بأعينهم أو سمعوا أخبارها فى الضفة الاخرى من الاندلسيين الوافدين على المغرب . منها رسالة لمجهول يظهر انه من معاصرى سقوط غرناطة يصف فيها نقض ملك قشتالة لعهوده ازاء المسلمين عقب استيلائه على غرناطة باعوام قلائل وما اتخذه النصارى من وسائل الارغام والقهر لاكراه المسلمين على التنصر ، وما فرضته محاكم التحقيق (التفتيش) للمخالفين من العقوبات المروعة (١) . ومنها قصيدة طويلة لابى العباس أحمد الدقون أحد علماء المغرب فى القرن التاسع الهجرى سماها « الموعظة الغراء بأخذ الحمراء » يرثى فيها الاسلام بالاندلس وينحو فيها نحو أبى البقاء الرندى صاحب المرثية الاندلسية الشهيرة (٢) ويصف فيها انطفاء الاسلام بالاندلس وما يعانيه العرب المتنصرون من شنيع الاضطهاد والمطاردة وما أصاب مساجدهم ومكاتبهم من الاندثار . ويناشدهم فيها الهجرة الى دار الاسلام بالمغرب (٣) . بيد أن هنالك وثيقة ثالثة ذات أهمية تاريخية خاصة . وهى رسالة كتبها اندلسى متنصر عقب سقوط غرناطة فى يد اسبانيا النصرانية ، الى بايزيد الثانى سلطان الترك العثمانيين يستغيث به ويستصرخه لنصرة اخوانه العرب المتنصرين ويصف له فى شعر قوى التعبير على الرغم من ركاكته ما تنزله اسبانيا النصرانية برعاياها الجدد وما يصيب العرب المتنصرين من عسف ديوان التحقيق وروائع مطاردته وعقوباته . والى القارىء بعض أبيات من هذه القصيدة المؤثرة تجمل أنواع الاضطهاد والعسف التى انزلت بالعرب المتنصرين :

وكل كتاب كان فى أمر ديننا ... ففى النار ألقوه بهزء وحقرة
ولم يتركوا فيها كتابا لمسلم ... ولا مصحفا يخلى به للقراءة
ومن صام أو صلى ويعلم حاله ... ففى النار يلقوه على كل حالة
ومن لم يجيء منا لموضع كفرهم ... يعاقبه اللبـاط شر العقوبة
ويلطم خديه ويأخـذ ماله ... ويجعله فى السجن فى سوء حالة
وفى رمضان يفسدون صيامنا ... بأكل وشرب مرة بعد مرة
وقد أمرونا أن نسب نبينـا ... ولا نذكرنه فى رخاء وشدة
وقد سمعوا قوما يغنون باسمه ... فادركهم منهم أليم المضرة
وعاقبهم حكامهم وولاتهم ... بضرب وتغريم وسجن وذلة
وقد بدلت أسماؤنا وتحولت ... بغير رضى منا وغير ارادة (٤)

---

(١) راجع أزهار الرياض (تونس) ص ٥٩ — ٦١

(٢) ومطلعها : لكل شيء اذا ماتم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش انسان (٣) أزهار الرياض : ص ٨٩ — ٩٤ (٤) راجع هذه القصيدة بأكملها فى أزهار الرياض : ص ٩٥ — ١٠١

وهذه الابيات تنم عن دقة مدهشة فى تتبع أعمال السياسة الاسبانية لمطاردة العرب المتنصرين وفى الوقوف على اجراءات ديوان التحقيق (التفتيش) وعقوباته . والظاهر أن صاحبها من الكبراء المتصلين بسير الشئون العامة . والمرجح أن هذه الرسالة وجهت إلى بايزيد الثانى حوالى سنة ١٥٠٥م اعنى بعد سقوط غرناطة بنحو اربعة عشر عاما حينما اشتدت السياسة الاسبانية فى تطبيق اجراءات التنصير على المسلمين ، واشتدت محاكم التحقيق فى مطاردتهم فى اعمق نفوسهم ومشاعرهم وضمائرهم . وقد توفى بايزيد الثانى سنة ١٥١٢ م . فلابد ان تكون الرسالة قد وجهت اليه قبل ذلك . ولم تكن هذه اول رسالة من نوعها وجهها مسلمو الاندلس والعرب المتنصرون الى قصور قسطنطينية ومصر والمغرب . فنحن نعرف ان مملكة غرناطة ارسلت قبل سقوطها تستغيث بمصر وقسطنطينية ، وان مصر ارسلت الى فرديناند الخامس تحذره من المضى فى غزو الاندلس وارهاق المسلمين وتنذره باضطهاد النصارى الذين يقعون تحت حكمها اذا استمر فى سياسته (سنة ١٤٨٩ م) . ولكن تدخل مصر لم يغن شيئا ، وهذا ما يشير اليه صاحب القصيدة المذكورة فى قوله مخاطبا السلطان بايزيد :

وقد بلغ المكتوب منكم اليهم فلم يعملوا منه جميعا بكلمة

وما زادهم إلا اعتداء وجرأة علينا واقداما بكل مساءة

وقد بلغت ارسال مصر اليهم وما نالهم غدر ولا هتك حرمة

وقد كانت هذه الرسائل على ما نعلم من الاسباب التى تذرعت بها السياسة الاسبانية للاشتداد فى مطاردة العرب المتنصرين واعتبارهم خطراً على سلامة الدولة لأنهم يأتمرون عليها مع ملوك الدول الاخرى

اما عن خاتمة المأساة اعنى إخراج العرب المتنصرين من اسبانيا سنة ١٦٠٩م (١٠١٧ هـ) فليس لدينا فى الرواية الاسلامية سوى شذور يسيرة . منها كلمة المقرى التى اشرنا اليها حيث يشير الى الحادث فى اسطر قلائل (١) برغم انه كان معاصراً له وانتهت اليه اخباره وتفاصيله ايام تجواله بالمغرب بعد ذلك باعوام قلائل . ومنها اشارة صغيرة لابى القاسم الرعينى (المعروف بابن ابى دينار) فى فى كتابه « المونس فى أخبار افريقية وتونس » الى نزول بعض مهاجرى العرب المتنصرين فى تونس قبل عصره بنحو نصف قرن

هذا كل ما انتهى الينا من الرواية الاسلاميـــة عن مأساة العرب المتنصرين . وهى مع ذلك مواطن ووثائق لم تنل حقها من البحث والتعريف . أما الرواية الغربية والرواية الاسبانية بنوع خاص فتغص بعشرات المؤلفات الجامعة عن هذه المأساة الشهيرة فى تاريخ الشرق والغرب

محمد عبد الله عنان
المحامى

(١) نفح الطيب : ج ٢ ص ٦١٧

صفحة فاجعة من حياة الشاعر بودلير (١)

زهرة الشر

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

هى عروس الشعر السوداء ، الخلاسية المولد ، التى نفذت الى الصميم من حياة الشاعر الناشىء فكانت له شعلة الالهام ونار الحريق

* * *

غادر شارل بودلير فى إحدى الليالى أصدقاءه الادباء عقب العشاء تواً فى احد مقاهي باريس . ولعله شاء أن يأوى الى داره ويعكف على العمل . لكنه درج فى الطريق مسترسلا ، ذاهباً على وجهه ، لا يبغى مقصداً بعينه . وتجاوز ساحة الاديون ماضياً طوع قدميه حتى قبيل نصب البانتيون ، فاستوقفه اعلان تافه لمسرح فى الحى صغير ، عن رواية ذات فصل واحد وأدوار غنائية ، ولم يكن عنده شك فى سخافتها . ولكن هذا الرقيق الذوق المرهف الحس كان أحياناً لا يستكره هذه السخافات لما فيها من مباينة لتفكيره البعيد وتأملاته العميقة . فدخل الملهى ، واستمع الى بعض مقطوعات العزف والغناء . ثم ظهرت فيمن ظهر على المسرح خادمة لفظت ثلاث كلمات لا أكثر ، وكانت جارية مولدة . فارتاح لها بودلير ، ثم ما لبث أن عرته هزة اليها . فتعرف على اسمها فى البرنامج الذى بيده : «الآنسة جان ديفال» . ولما لم يكن فى هذا غنية ولا شفاء غلة ، فقد استطلع خبرها فعلم أنها لا تظهر فى رواية الليلة ، وأن دورها كممثلة لا يتجاوز قط عبارة قصيرة مما تقوله الخادمة ، تعلن قدوم زائر أو تؤذن بأن المائدة جاهزة . ومع هذا فانه لم يقصد فوراً الى ما وراء الستائر لمقابلتها كما هو المألوف مع أمثالها . بل ابتاع باقة من الزهر أرسلها اليها مع بطاقة يعرب فيها عن أمله فى أن تسمح باستقباله فى اليوم التالى . ثم انصرف مبلبل الخاطر

ولا شك فى أن جان ديفال دهشت لهذا الادب فى تصرفه معها وللباقة من الزهر والبطاقة الناطقة بالاحترام — شأن لا عهد لها به . وزاد دهشتها أن حضر الفتى وأخذ يتحبب اليها فى غزل ونظرات متيمة . والفتى يافع أهيف فاحم الشعر ناصع الجبين ، له نظرة عميقة نافذة طويلة الامعان . وفم أغر الثنايا ، وشفاه ذات حنايا منفعلة متحركة فيها شهوة وسخرية ، وأنف أذلف خياشيمه رقيقة خفاقة ، وعلى ذقنه نونة غائرة ، تهفو على وجناته حمرة خفيفة الى جانب زرقة عذاره الحليق

---

(١) اعتمدنا في هذه الكلمة على كتابات تيوفيل جوتيه وكاميل موكلير وهيلين فكارسكو وبول فاليري

المغشى من مسحوق الارز الناعم بمثل المخمل . وهو مترف الملبس ، أنيق الهندام شديد العناية بيديه تطرية وبأظافره تقليما . وبالجملة فتى من أبناء العائلات

واقتضى خبث هذه المخلوقة ألا تبيحه فى ليلته من نفسها ما تبيحه للآخرين . وتصنعت الفتور من جهته . والعجيب أن هذا المرتاد لأحط بؤر الفساد ، الخبير بأساليب المماكسة والمساومة فى أثمان المللنات ، شاءت له الغفلة فى هذه المرة ألا يفطن الى الحيلة . وأخيراً فى ذات ليلة اصطحبته جان الى غرفتها فى شارع القديس جورج

فن تكون جان ديفال هذه ؟

لا أحد يدرى . وانما يزعم الزاعمون أنها ولدت فى سان دومنج . وهى المعروفة الآن باسم جزيرة هايتى من جزر المحيط الاطلسى بين الامريكتين . أما كيف قدمت الى باريس . وما أحاط بقدومها من ملابسات فلا أحد يدرى من أمرها شيئاً

ولقد اختلف فى وصف شخصها الواصفون . فنهم (بانفيل) يقول : « انهـا جارية مولدة . مديدة الشطاط . ذات طلعة سمراء . غريرة رائعة . تعلوها جمة شعر مفلفل . تختـال كالملكة . ولمشيتها حسن نافر يجمع فيه مسحة إلهية ومسحة حيوانية فى آن واحد » . ولكن بانفيل يجمل كل ما يراه . ومن خصائص عبقريته اللطيفة أنه لا يسعه رؤية شىء أو انسان على حقيقته . . . ومنهم (براووند) يذكر « ان جان لم تكن مفرطة السواد ولا مفرطة الحسن . شعرها أسود جعـد . ويكاد صدرها يكون أمسح أجب . مديدة القامة . لا تحسن المشية » . . . ثم (جيل بويسون) يقرر « أن لها وجنتين ناتئتين ، ولونا أصفر كابيا ، وشفتين حمراوين ، وشعراً وحفاً متموجاً فى حد الجعودة »

ولكن مالنا ولهؤلاء الشهود ، وعندنا رسوم لها بريشة بودلير ؟ وبودلير يرسم بيد متمكنة ثابتة . ولقد ورث هذه الملكة عن أبيه . وكان ابوه بعد اعتزاله الوظيفة يلقب نفسه فى شجاعة رساماً . والحق أن رسوم بودلير التخطيطية تشبه لنا فى تبسيطها وبيانها رسوم صديقه المصور مانيه . ولئن تك صوره التى رسمها لجان ديفال ليست بأروع ما رسمه الا أنها لتشعرنا كل الشعور بقوة الشهوة البهيمية فى هذه المرأة ، لا سيا الصورة التى كتب فى أدناها باللاتينية هذه الكلمة التى قالها القديس بطرس فى وصف الشيطان : « يطلب انساناً يفترسه » . وهى فى هـذه الصورة ذات عينين سوداوين نجلاوين « أشبه فى سعتهما بقصاع الحساء » على حد تعبير بودلير . وشعرها غيهب حالك ، جثل أحجن كاللبد . وأنفهـا أذلف . وشفتاها غليظتان باللحم . وثدياها ناهدان متباعدان بارزان على صدر أعجف . أما قدها فأهيف لدن المعاطف ، يتعارض وروادفها اللفاء المكتنزة . وبالجملة فهو جسم هلوك فاجرة لا تشبع لها نهمة . عرف كل شىء . واستباح كل

شيء ، تعلوه طلعة بليدة ما كرة . أما العقل ، فعدم . أما القلب ، فعدم . وهـذه هي المعشوقة التي افتتن بها الشاعر

فاذا ترى أوقعه في عشقها ؟

لقدعاد شاعرنا الفتيمنذ عام ـ أو زيد قليلا ـ من رحلة أجبره عليها أهلوه ، لاستصلاحه سدى وصرفه عن الشعر ومزاولة الأدب . وفي هذه الرحلة الاجبارية على مركب من المراكب التجارية جاب بحار الهند ، ورأى جزائر موريس وبوربون ومدغشقر ، ولعله أيضاً رأى سيلان وبعض شواطيء الهند عند مصاب الجنج . ومن هذا السفر الطويل الشقة احتقب الشاعر وهجاً حاراً باهراً طيلة حياته . فقد راعته تلك البلاد النائية الساحرة ، بشمسها الساطعة وسمائها الصافية تتلألأ فيها اجرام لم تعرفها ربوع الغرب ، وبالنباتات الباسقة الماثلة الفاغمة الشذا ، وبيوت الأصنام الرشيقة العجيبة . ولجج المحيط الهندي الزرقاء الرجراجة المطردة الهزج والتراتيل ، وهؤلاء الشخوص السمر يتراءون باجسامهم ممشوقة نصف عارية ورياطهم بيضاء ناصعة . وسائر هذه الطبيعة التي لم يعهدها بكل حرارتها وقوتها وغنى ألوانهـا

فلا جرم أن يحن شاعرنا إلى هاتيك البلاد . وأن يتمثلها متجسدة حية في حسنائه السوداء

ولقد سبق أن بدا منه هذا الميل إلى الهجائن من النسـاء ، المولدات من اختلاط الجنسين من البيض والسود . كما يبدو جلياً في هذه المنظومة التي أنشأها قبل تعرفه بجان ديفال والتي يتحدث فيها عن مولدة رآها أثناء رحلته :

« في البلاد العاطرة التي تداعبها الشمس ، وتحت ظلة ظليلة من شجر وارس أرجواني ومن نخيل تفيض على الأعين فتوراً ، عرفت غانية مولدة ذات فتنة لا عهد بها

« لونها شاحب حار . وهذه الفاتنة السمراء ذات جيـد نبيل السمت حلو السوالف ، وهي مديدة القامة هيفاء تمشي كأنها طاردة قانصة . لها ابتسامة هادئة ، وفي عينيها ثقة

« لو جئت ياغانية إلى بلاد المجد الأثيل على ضفاف السين أو وادي اللوار النضير ، أيتها الحسناء الرائعة الطلعة التي تليق زينة للقصور ، إذن لأطلعت في كنف خمائلها الوارفة الف مقطوعة في افئدة الشعراء ، ولسبتهم عيناك السوداوان فباتوا لك أشد خضوعاً من عبيدك السود »

ولقد استجيبت دعوة الشاعر ، ولـكن شر استجابة . فلم تفد إلى باريس هـذه الغانية ، بل ظهرت له فيها أخرى لا يعرف كيف ومتى ومن أين وفدت ، كأنمـا طلعت من الجحيم . وطبعاً استطار لبه أن التقى على غير انتظار بضالة من قبيل ماتحلم به . فهام هيامه بهـا وارتمى في أسرها . وكانت عنده في خياله الآبد بمثابة الشمس العظيمة الساطعة على البحر اللجي ، وكسعف النخيل المتأودة مع نفحات النسيم الدافئة . وشذا المسك الاذفر استنشأه في لياليه بتلك الجزائر الساحرة :

« حين أكون إلى قربك ، فى ليلة دافئة من ليالى الخريف أستنشق مغمض العينين شذا صدرك الحار ، تتراءى لى شواطىء سعيدة تستطع عليها شمس متوهجة هي على الدوام واحدة لا تتغير

« وتبدى لى جزيرة متفترة كسلى ، حبتها الطبيعة أشجاراً فريدة وثماراً شهية ، ورجالا أجسامهم ممشوقة قوية ، ونساء يأخذ الاب طرفهن الادعج بصراحته البالغة الناطقة

« ويحملنى شذاك إلى أجواء ساحرة ، فكأنى بمرفأ يحفل بالقلوع والصوارى وهي بعد منهوكة من عراك اللجج

« وأريج أشجار التمر الهندى الناضرة متضوع فى الفضاء يملأ خياشمى ويمتزج فى نفسى بأغانى الملاحين »

وإنه ليتصباه من جان ديفال مثل عقلة السحر وروعة الهول ، لاسيما وهي صامتة جامدة ، رافلة فى ثوب من أثوابها النفيسة القذرة أفرغته مباشرة على جسدها . تروح وتجيء فى الغرفة عارية القدمين . ولبد شعرها الاشعث مرسل للريح . فيأخذه منه غموضها وفجورها ، جمودها وضراوتها :

« فى غلائلها الهفهافة المتلألئة ، تمشى مشيتها فتحسبها ترقص ، كتلكم الافاعى الطويلة المائسة، يرقصها على أطراف عصيهم حواة المعابد المقدسة

« وكالرمال الموحشة ورواق القبة الزرقاء فى الصحراء — كلاهما غير حافل بما يلقاه ابن آدم من برحاء . وكغوارب الموج المتدفقة المطردة فى صفحة الدأماء ، تمتد هي وتسكر فى غير اكتراث

« وكأن عينيها البراقتين من معادن ساحرة . بل أن ذاتها الغريبة المرموزة — حيث يأتلف الملاك الطاهر الكريم بأبى الهول الملغز القديم ، وحيث كل شىء ذهب وفولاذ وبريق وجوهر — ليشرق فيها على الدوام ، اشراق الكوكب المهدور الضياء فى الفلاة اليهماء . ذلكم الجلال الخامد فى المرأة العقيم »

غير أن هناك أيضاً سراً من الاسرار الخفية المخزية هو الذى قيده الى جان . وهو أن دركات انحطاط هذه المرأة بغير قرار ، وأفانين تهتكها بلا حد ، غلبت حياءه وأذاقته متعة لم يذقها كاملة منهكة الا بين ذراعيها

فهو من أجل هذا يحبها ، وهو من أجل هذا يحتقرها ويحتقر نفسه . وفى سبيل هـذا انقلبت حياته طوال الايام التى عاشها أعنف ساحة وأدماها لعراك الخير والشر والنور والظلام

أجل ، ذلكم سر الاسرار . وبغير كلمة السر هـذه لا تنفتح المغاليق عن دراسة من أنفس الدراسات النفسية ، ما برح ولن يبرح يطل فى أغوارها أعاظم العلماء والنقاد ، وتسمع لانغامها الشجية أعمق الادباء والمتأدبين ، على اختلاف العصور والازمان ، وتباين الملل والاجناس . وقـد

سقنا هذا السر حتى لا يضل قراء أشعاره فى مسارب نفسه ومسابحها ، وحتى لا يستعجم عليهم فهم عباراته المتقطعة واشاراته الموجزة القاطعة ، وتشبيهاته الممسوخة وتهاويله الغريبة ، ونوازعه المتعارضة المتضاربة . وتمرغه المستهتر فى الحمأ الحيوانى . وتهلله للفجر الروحانى وسناه الشمشعانى

رغب بودلير فى أن تهجر جان المسرح لتكون له بكل جوارحها . ففعلت غير خاسرة . لقد كانت فى الطبقة الدنيا من بنات المسرح . وما نزلت بهجرانها التمثيل عن مستقبل زاهر ولا عطلت ملكة مرجوة . واستتبع هذا بطبيعة الحال التزامه بها . وهو وقتئذ ما يزال موفور الرزق من حصته فى مال أبيه وقدره ٧٥٠٠٠ من الفرنكات (بقيمتها الاصلية) كانت مودعة لحين بلوغه الرشد . فأقام هو فى جناح صغير فى فندق «بيمودان» الفاخر . وأثث لها سكنا أنيقاً فى الشارع المجاور «شارع المرأة بلا رأس» . وذلك حرصاً منه على مشاريعه الادبية العظمى وما تتطلبه من تفرغ للدرس . وحرصاً منه على حريته . ووافق هوى جان أيضاً ألا تكون ليل نهار فى عشرة هذا المفتون الذى لاينى يسود الصفحات بكتابة غير مقروءة أو يفيض فى كلام غير مفهوم . فحسبها أن يذهب اليها كل ليلة ويعود منهوكا

وزادت مطالب المرأة . وكان بودلير بطبعه متلافا يتسرب المال مدراراً من بين أنامله . وقد بدد مما ورثه ٤٠٠٠٠ فرنك فى مدة وجيزة . فخشيت أمه عليه من العاقبة وهو سادر فى غلوائه يتلف صحته وشرفه وماله . فرفعت أمره إلى مجلس القضاء إنقاذاً لبقية المبلغ من سوء المصير . فاستصوبت المحكمة حرمانه من التصرف فى المال وقضت له بريعه . وهيهات أن يفى الريع بنفقات الخليلة ونفقاته . وكان العراك ينشب من حين لآخر بينهما فاشتدت حدته وتقاربت فتراته . وانحدر فى مهاوى الدين فطفق يستدين ولا يوفى . واذا أوفى القليل عاد الى استدانة الكثير . وكان على الدوام شديد الشغف بالنبيذ الابيض . فزادت عليه معاقرة الخمور القوية وأنواع الكحول وإدمان القهوة والاكثار من التدخين . وكأنما هذا لم يكفه فعمد الى الافيون يتعاطى خلاصته ومركباته . ثم انتهى أيضاً الى القنب الهندى (الحشيش) — وكان بدعة العصر فى باريس — فانتظم فى نادى الحشاشين فى فندق بيمودان يستمتع بهذا العقار العبق المخدر ، فى صحبة من الادباء وغيرهم وهم جميعاً أصلب منه بنية وأمتن أسراً . فاذا أوى آخر الليل الى جان استأنف معها المعاقرة والانغماس فى الموبقات كما يجدر بفتاة مثلها من الساقطات

هذا كله وضيع موجع . وهو يحس ضعته ووجيعته أشد الاحساس ولكنه معذب العاطفة ملتاث الاعصاب كما رأينا . فاذا نجا بنفسه وطلب الخلاص من الرذيلة شعر بالوحشة المطلقة والفراغ المرهق

وفى هـذه الحال التى وصفنا ، تولدت منظومات عانى فى نظمها . وما زال يراجعها بالتنقيح

والتهذيب ، شأنه شأن الفنان المتطس الموسوس . لا يترسل ولا يسح بالقول سحاً . بل هو — على الرغم من كده وانكبابه على التحصيل — الى العبقرية الملهمة أقرب منه الى الحذق المكتسب

فما الذى استخلصه الشاعر من موضوع جان ديفال على دنسه ومقاذره ؟

لقد أغنانا هو عن البيان بقوله فى احدى مقطوعاته :

« أعطيتنى الوحل فصغت منه الذهب »

ونحسب بعد الذى قدمناه أنه أصبح من الواجب ترك الكلمة مرة أخرى للشاعر نفسه يحدثنا حديثه الموجع المشجي فى ديوانه « أزاهير الشر » عن زهرته السوداء وحسنها الملعون وعطرها المسموم فيناجيها هائماً تائقاً :

« أهيم بك هيامى بقبة الليل . يا آنية الحزن . يا حليفة الصمت !

« وزاد فى حبيك أنك تجافيتنى ، وأنك يا زينة ليالى تباعدين الشقة بين ذراعى وبين هـذى السموات الصافية

« ولكننى أبداً عارج نحوك . أساورك وأصعد اليك . كما يصعد الى الجثة فوج من الديدان

« أنا — أيتها الضارية التى لا تشتفى لها غلة — عاشق وامق أهوى حتى جفاءك . فأنت به أبدع فى ناظرى وأروع »

ويغلبه الالم فيصرخ هذه الصرخة الفاجعة صرخة العانى اليائس فى حضيض أسره . لاقوة له على الخلاص إلا أن تموت آسرته . فهو هنا يفكر فى الاجرام للفكاك من ذراعيها لا الانتقام :

« أيتها الداخلة فى قلبى الشاكى كطعنة سكين . المقبلة فى قوة كعصبة من الشياطين . المفتونة المتبرجة اتخذت سريرها وملكها فى عقلى الراغم المستكين

« أيتها الساقطة التى أنا موثق بها كالسجين بأغلاله . وصريع المقامرة بالمقامرة والسكير بزجاجة الشراب ، والديدان بالجيفة

« لعينة ، لعينة أنت

« ناشدت المنصل القاطع أن يمكننى من حريتى ، وهتفت بالسم الذعاف أن يغيث ندائى

« فأزرى بى السم والمنصل وناجيانى : لست أهلا لاعتاقك من أسرك المنكر ، فلو عملنا — يا مأفون — على انقاذك من سلطانها لاحييت بحرارة قبلاتك جثة معذبتك ومستنزفة دمك »

وعاش شارل بودلير وجان ديفال فى صراع صامت لدود لم ينته الا بانتهاء حياته . ولم يكن ما بينهما صراع الرجل والمرأة فقط ولا صراع الاجناس فقط بل صراع الانواع . ودارت المعركة ليل نهار بغير مهادنة ، معركة حياة أو موت من أجل غرام يرتضيه جسده وتنفر منه نفسه

فهل يلام بعدئذ اذا هو واجه قارئه بهذا الخطاب وعرض له ديوانه هذا العرض ؟ !

« أيها القارىء المطمئن الوادع . يارجل الخير . السليم الطوية القنوع ، اطرح من يدك هذ الكتاب المنحوس

« إذا كنت لم تتلقن بيانك على الشيطان العميد الماكر ، فاطرح كتابي ، فلست واعيا منه شيئاً . أو أنت معتقد بى لوثة العقل والخبال

« أما إذا استطاع طرفك – غير مفتون – أن يمعن فى الاغوار ويغوص فى الغمرات ، فاقرأنى تتعلم محبتى

« أجل ، أيتها النفس المتطلعة التى تألم وتحوم باحثة عن فردوسها ، إرثى لى ! . . . وإلا عليك لعنتى »

ولئن كانت هذه المرأة الجامدة – هذه النمرة الضارية ، قدطبعت بمخلبها الناشب الدامى جميع أشعاره . فان الشاعر لم يفقد روحانيته جميعاً . بل على عكس ذلك ظلت منظوماته مزيجا من الجسد والروح . من الجلال والحرقة والمرارة . من كل ما هو خاص به وكل ماهو أزلى خالد :

« تبارك سوط عذابك يا رب
« بورك – يا أبتاه – فى الالم
« إن نفسى بين يديك ليست ألعوبة فارغة
« حاشاك . فان حكمتك لا حد لها »

عبد الرحمن صدقي

كلمات ذهبية لشوقى

- من أحب المال تعب بجمعه ، ومن أحبه المال تعب بتبديده
- الثورة جنون طرفاه عقل
- السجون اذا امتلأت انفجرت
- العامة أذناب من يمسح رءوسهم
- العاقل من ذكر الموت ولم ينس الحياة
- الصالحون يبنون انفسهم ، والمصلحون يبنون الجماعات
- ربما تقتضيك الشجاعة ، أن تجبن ساعة
- يهدم الصدر الضيق مايبنى العقل الواسع
- اذا كثر الشعراء قل الشعر

الشيب والصلع

أهم أسبابهما وأشهر حوادثهما في التاريخ

الشيب والصلع عرضان يبدوان عادة فى رأس الانسان إذا جاوز سن الشباب ودخل طور الكهولة . وقد يجيئان معاً أو منفردين ، وقد يتقدمان أو يتأخران تبعاً للعوامل الفسيولوجية أو الانفعالات النفسانية . وقد أثبت الاختبار أن الشيب عام فى كلا الذكور والاناث وأن الصلع يكاد ينحصر فى الرجال فقط الا فى أحيان قليلة تصاب به النساء ، كما أن الشيب أسبق إلى شعر الرجل منه الى شعر المرأة . فبينما ترى شاباً فى الخامسة والعشرين من عمره قد بدأ الشيب يدب فى رأسه قلما تجد فتاة لاح الشيب فى شعرها قبل الخامسة والثلاثين أو الاربعين

وقد اختلف العلماء فى تعليل الشيب فذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ، أقربها الى المعقول أن خلايا الشعر فى جلد الجمجمة تلد مادة ملونة وتنفثها فى الشعر فتكسبه لونه . فاذا عجزت هذه الخلايا عن صنع تلك المادة بسبب السن أو سوء التغذية أو عدم انتظام الدورة الدموية او غير ذلك انقلب الشعر شائباً

وكذلك اختلف العلماء فى تعليل الصلع . وأقرب ما عللوه به الى المعقول أن خلايا الشعر اذا نشفت بسبب سوء التغذية أو سوء الدورة الدموية سقط الشعر وأصيب المرء بالصلع

وللخوف تأثير عظيم فى الشيب . والتاريخ مفعم بالشواهد على ذلك . وكثيراً ما قتل الخوف الانسان فجأة . ولا يخفى أن فى الجسم غدتين تعرفان بالاورناليتين وموقعهما فوق الكليتين وكل منهما بحجم الجوزة الطبيعية . وهاتان الغدتان تفرزان مادة كيماوية لها أكبر الأثر فى أخلاقنا وأعمالنا وانفعالاتنا . ويظهر أثرها فى الخوف وانتصاب الشعر والشيب ظهوراً واضحاً

وليس هذا مكان التبسط فى تبيان العلاقة بين افراز الغدتين الاورناليتين من جهة ، والشيب أو الخوف من جهة أخرى . . وانما نحن بصدد ظاهرة فسيولوجية غريبة هى الشيب الفجائى لأن للشيب الطبيعى بحثاً آخر ليس هذا موضعه

كان الاقدمون يروضون أنفسهم على دقة الملاحظة أكثر مما نفعل نحن فى الوقت الحاضر . فكانوا يعللون بعض الامراض والظواهر تعليلات قد تبدو لنا اليوم غريبة ، ولكنها فى الواقع لاتخلو من الحقيقة . وأكثر ما كانوا يعللونها به البرد والانفعالات . وكان العلماء حتى أوائل هذا القرن ينكرون تأثير هذين العاملين ثم عادوا الآن الى درسهما والتبحر فى قوتهما . وقد انتهى الكثيرون الى التسليم بصحة نظرية الاقدمين فى أحوال كثيرة

خذ داء التهاب الرئة مثلا . فقد أثبت العلم ان سببه ميكروب معروف اما الاقدمون فكانوا يقولون ان سببه البرد . والاطباء يعلمون اليوم أن البرد ملائم لميكروب هذا الداء اذ يقوى نشاطه ، ومن الجهة الاخرى يضعف قوة الجسم على المقاومة . ومعنى ذلك أن قول الاقدمين ان داء التهاب الرئة ينشأ عن البرد لا يبعد كثيراً عن الحقيقة

وكذلك القول فى الانفعالات النفسانية . فقد كان الاقدمون يعللون بها كثيراً من الامراض والاعراض . ثم جاء علماء العصور الحديثة فانكروا ذلك التعليل ثم عادوا يعترفون به فى حالات كثيرة . وحوادث الوفيات بسبب الانفعالات النفسانية كثيرة متعددة

وقد ثبت اليوم أن للانفعالات علاقة متينة بالشعر والجلد . وكان العلماء حتى أوائل القرن الحاضر ينكرون هذه العلاقة وقد كثر الجدل بشأنها . على ان شواهد التاريخ — وهى كثيرة — تثبت لآن تلك العلاقة . فقد ذكر كرانتز من كبار الاطباء ان جماعة من الرهبان فى مدينة بريم أرادوا مرة أن ينصبوا واحداً منهم على كرسى الاسقفية وكان راهباً صغير السن . ونظراً الى حداثة سنه لم يكن بد من الحصول على اذن من البابا للموافقة على الامر . فذهب الراهب المحكى عنه الى روما . ولما وقعت عين البابا عليه لم يأذن فى نصبه أسقفاً بسبب حداثته . فحزن الراهب حزناً لا يوصف حتى شاب شعره فى الليلة التالية . ولما ذهب ليستأذن البابا فى الانصراف دهش هذا من ابيضاض شعره وخيل اليه ان الله قضى بذلك الشيب لكى يرى الناس انه ليس ولداً صغيراً . وبناء عليه عاد فأذن بنصبه أسقفاً

وفى التاريخ ان احد ملوك بافاريا خرج الى الحرب تاركا وراءه زوجه وكان يحبها حباً جماً . الا انها كانت تحب احد اشراف المملكة حباً لا يدرى به احد . وبينما كان زوجها فى ميدان القتال ذات يوم ، كتبت اليه رسالة وكتبت الى عشيقها رسالة اخرى . وغلطت فوضعت رسالتها الى زوجها فى غلاف رسالة عشيقها . ووضعت رسالتها الى عشيقها فى غلاف رسالتها الى زوجها . فلما اطلع الملك على خيانتها هرول مسرعا الى عاصمة ملكه فقتلها هى واحدى وصيفاتها . وفى تلك الليلة رأى حلماً ملأه رعبا وهلعا فلما استيقظ فى صباح اليوم التالى رأى شعره قد ابيض من شدة الخوف . فلجأ الى احد الديور وقضى فيه بقية عمره

وفى تاريخ العصور الحديثة امثلة كثيرة من هذا القبيل وكلها مما يوثق بصحته لان رواتها من افاضل المؤرخين المحصين والاطباء المشهود لهم بصدق الرواية ودقة الملاحظة . ومن هؤلاء الطبيبان البيير وبيشا ، وقد شهد كلاهما الثورة الفرنسية ونال بين قومه شهرة واسعة ، وكان اولهما من اهالى مدينة فيلفرانش وعاش من سنة ١٧٦٦ الى سنة ١٨٣٧ وثانيهما من اهالى توارت بجبال الجورا وقد عاش من سنة ١٧٧١ الى سنة ١٨٠٢ وله مصنف مشهور بعنوان « التشريح العام » وقد ذكر اولهما

ما وقع لرجل أصيب بهلع شديد ثلاث مرات متتالية . فعلى اثر المرة الاولى ابيضت لحيته بمقدار النصف . وعلى أثر المرة الثانية ابيض نصف شعره . وعلى أثر المرة الثالثة ابيضت خصلة من شعر صدره

وتاريخ الحرب العظمى الماضية مفعم بحوادث من هذا القبيل . فان الذعر الذى أصاب بعض الجنود فى المعارك من انفجار القنابل ورؤية الجثث تتطاير ، شيب رءوس الكثيرين من أولئك الجنود وترك بعضهم صلعاً . وفى سجلات تلك الحرب أن بعض الجنود الذين حكم عليهم بالموت بسبب الفرار من الجيش أو الخيانة العظمى أو ما الى ذلك ، شاب شعرهم فجأة عند ما جيء بهم لتنفيذ حكم الموت فيهم

وقد ذكر المؤرخون عن الملكة مارى انطوانيت انها لما سمعت بالحكم الذى صدر بموتها وموت زوجها ابيض شعرها فى الحال . وفى كتب التاريخ المطولة وصف للهلع الذى استولى عليها وهى فى السجن تنتظر موتها وهو وصف تقشعر منه الابدان . وفى التاريخ ايضاً ان السر توماس مور وزير هنرى الثامن ملك انجلترا ومؤلف كتاب « اوتوبيا » ابى ان يعترف بسلطة الملك الدينية فحكم عليه بالموت . ولما جيء به لتنفيذ الحكم وجدوا ان شعره قد شاب من الخوف

وفى سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ان احد الاساتذة الفرنسيين كان فى روسيا عند نشوب الثورة البلشفية الاخيرة فحكم عليه البلاشفة بالموت ثم عفوا عنه فى اللحظة الاخيرة . وكانت نتيجة ذلك أن شاب شعره فى ليلة واحدة

ومما يروى من هذا القبيل انه لما غرقت الباخرة « تيتانيك » فى سنة ١٩١٢ غرق معها الكثيرون من الرجال والنساء والاولاد . واسرعت الباخرة « كارباتيا » لانقاذ من يمكن انقاذهم من الغرق . وقد ذكر طبيب هذه الباخرة أنه ابصر جثث أولاد كثيرين طافين على وجه الماء وقد ابيضت شعورهم من الهلع بلا شك

وذكر شاركو الطبيب الفرنسى الشهير والاخصائى فى الأمراض العصبية (عاش من سنة ١٨٢٥ الى ١٨٩٣) أن احد جنود السباهى حوكم سنة ١٨٥٩ امام مجلس عسكرى بتهمة عقوبتها الموت . ولما ادرك حقيقة العقوبة اخذ يرتجف بشدة وظهر الهلع على وجهه وفى حركاته ظهوراً واضحاً ، ثم استولى عليه الذهول من شدة الذعر ولم ينقض عليه نصف ساعة حتى بدأ الشيب يدب فى شعره ، وكان اسود جداً ، ووخطه الشيب تدريجا ولكن بسرعة حتى ابيض شعر راسه كله قبل الفراغ من محاكمته

وذكر الدكتور فالتر الفرنسى ان جول جونكور المؤلف الفرنسى المشهور توفى سنة ١٨٧٠ عن أربعين عاماً . وسير به الى المقبرة وأخوه ادمون الكاتب المشهور يتبع جثمانه وقد استولى عليه

هلع وذهول عظيمان . وفى أثناء السير لحظ الجمهور أن شعر الاخ قد أخذ يشيب فجأة . وما كادوا يصلون الى باب المقبرة حتى كان الشيب قد عم رأسه كله

والتاريخ مفعم بالشواهد التى من هذا القبيل ، وكلها دليل على فعـل الهلع فى شعر الانسان . ولنختم تلك الامثلة بمثال يتعلق بشيب الحيوان وقد رواه الدكتور هنرى بوكيه فى جريدة « الطان » وعنه نقلنا بعض الامثلة المار ذكرها . وخلاصة ذلك أن باخرة انجليزية تدعى جلاديز غرقت سنة ١٩٢٩ على كثب من « لوزتوفت » وقد أمكن انقاذ الركاب وبينهم قط أسود الشعر ويظهر أن الهلع استولى على القط عند الشعور بالغرق فان شعره ابيض فجأة عند انقاذه . وهذا دليل على أن للهلع تأثيراً فى الحيوان لا يختلف عن تأثيره فى الانسان

وذكر الدكتور صوليه فى خطبة القاها فى جماعة الاطباء الجراحين فى مدينة مونبليـه عدة حوادث أخذها من سجلات الحرب وكلها شاهد على ما كان لحوادث الحرب من انفجار القذائف وتطاير الاشلاء وغير ذلك من التأثير فى لون شعر بعض الجنود

☆☆☆

وننتقل الآن من الشيب الفجائى الى الصلع الفجائى بسبب الخوف . والصلع كما لا يخفى يصيب شعر الرأس فقط ، الا أن الدكتور بوكيه ذكر حادثاً وقع لرجل ذى لحية سوداء أصيب بذعر فجائى فابيض شعر رأسه ولحيته ثم تساقط بالتدريج وزال وزالت لحيته كلها . وهذا هو الشاهد الوحيـد المعروف عن أثر الهلع فى لحية الانسان على هذا الوجه . وقد نشر الاستاذ برنار من علماء بروكسل منذ عهد قريب بحثاً مسهباً فى الصلع الفجائى ضمنه حوادث كثيرة ممتعة . من ذلك أن ولداً صغير السن كان يحرس ذات ليلة رحى فى احدى قرى البلجيك . وعند منتصف الليل أبصر رجالا قد دخلوا وأخذوا أكياساً من الدقيق . فاستولى عليه ذعر شديد لانه ظنهم لصوصاً ولم يكونوا كذلك . وما هى الا بضعة أيام حتى أخذ شعر رأسه يتساقط بسرعة من شدة الهلع وأصيب بصلع تام

وأورد الاستاذ برنار حكاية أخرى خلاصتها أن ولداً صغير السن قتل أبوه فاستولى عليه ذعر شديد وما هى الا بضعة أيام حتى أصيب بالصلع وسقط نصف شعر رأسه

والمعروف أن الذعر الذى يستولى على بعض المضاربين فى «البورصة» يسبب الصلع ، والشواهد على ذلك كثيرة لا يتناولها الحصر

وفى سجلات الحرب أمثلة عن جنود أصيبوا بالصلع الفجائى بسبب الذعر الذى استولى عليهم عند انفجار القذائف وتطاير الاشلاء حولهم . ترى ما تعليل ذلك علمياً ؟

كان « لمينوس » فخر أطباء القرن السادس عشر . وقد علل ما نحن بصدده بقوله : « انه عندما يحدق خطر الموت بالانسان يتدفق الدم الى داخل الجسم فتعجز الاعضاء عن القيام بوظائفها ويضيع

معها جانب كبير من حرارة الجسم . فينتج عن ذلك أن الابخرة التى تتصاعد من تحت الجلد وتغذى بصيلات الشعر كما تغذى الارض القمح،تقف فيصاب الشعر بما يصاب به النبات عند ما يقف عصيره عن السريان فيه »

وعلل الاستاذ ليار هذه الظواهر تعليلا آخر بناه على نظرية للاستاذمتشنيكوف ، خلاصته ان الشيب ناشىء عن خلايا خاصة تسمى « الخلايا التى تمتص اللون » وهذه الخلايا تمتص المادة الملونة للشعر وتهضمها . وبمرور الزمن واستطراد الشيخوخة يزول سواد الشعر شيئاً فشيئاً . فعند حصول الهلع أو الذعر تقوم الخلايا المذكورة بشبه هجوم عام على المادة الملونة فتمتصها بقوة عظيمة . فينشأ عن ذلك شيب الشعر

ولكن ما تأثير الذعر حتى انه يحمل تلك الخلايا على القيام بهجوم عام ؟ وبعبارة أخرى — ما فعل الذعر فى تلك الخلايا ؟

تعليل ذلك على مايظهر أن الذعر يهز الجهاز العصبي هزة عنيفة ويهيج الخلايا التى نحن بصددها فتقوم بوظيفتها بنشاط يزيد على الحد الاعتيادى

وهنالك تعليلات أخرى كثيرة لا يتسع لها هذا المجال وقد لا يخلو بعضها من شيء من الحقيقة. على ان المباحث العلمية الحديثة تؤكد لنا أن بين الشيب والصلع من جهة وافرازات بعض الغدد من جهة أخرى علاقة متينة . ويقول بعض العلماء ان وجود خصل بيضاء فى شعر الاشخاص المصابين بمرض « بازدو » (أى الجحوظ الناشىء عن تضخم الغدة الدرقية وبعض الاطباء ينسبونه إلى زيادة نشاط هذه الغدة) دليل على صحة هذه النظرية . وقد قام الدكتور سانتون بتجربة من هذا القبيل فحقن طائفة من الدجاج والارانب بكميات كبيرة من خلاصة الغدة الدرقية . فكانت النتيجة أن ابيض شعر الدجاج ووبر الارانب فى الحال . وذكر أيضاً الاستاذ سزارى انه فحص رجلا أصيب بمرض « بازدو » المشار اليه ثم أصيب بعد ذلك بالشيب والصلع متتابعين بسرعة

وفحص الدكتور داريه مريضاً أصيب بالشيب والصلع فجأة فاتضح له أن السبب ليس هو زيادة نشاط الغدة الدرقية بافراط بل بالعكس كسلها وخمولها . ومن هذا يستدل على ان نشاط الغدة الدرقية فى حد ذاته أو كسلها ليس هو سبب الشيب والصلع ، بل ان سببهما هو فساد توازن عمل الغدة وعدم انتظامها فى القيام بوظيفتها . ومن المحتمل أيضاً ألا تكون الغدة الدرقية وحدها هى سبب الشيب والصلع بل أن يكون لبعض الغدد المرتبطة بها تأثير جلى



تشندورف

وقصة حصوله على التوراة السينائية

ابتاعت الحكومة الانجليزية نسخة التوراة السينائية المشهورة باسم « كودكس سينا تيكوس » بمائة الف جنيه . وقد كتبت في أواسط القرن الرابع بعد الميلاد . وهي من أقدم نسخ التوراة ان لم تكن أقدمها . وعثر على هذه النسخة النفيسة البروفسور تشندورف في دير القديسة كترينا بشبه جزيرة سينا . وفي هذا المقال قصة عثوره عليها وانقاذه لها من الحرق ، ثم جهوده التي بذلها حتى خرجت من الدير وأودعت في المكتبة الملكية بطرسبرج ، الى أن اشترتها الحكومة الانجليزية واهدتها الى المتحف البريطاني

ولد البروفسور الدكتور كونستنتين فون تشندورف فى لنجنفلد من أعمال سكسونيا إحدى ممالك جرمانيا سابقاً فى ١٨ يناير من السنة ١٨١٥ ، ودرس فى أحسن المدارس الابتدائية والثانوية ثم انتظم فى سلك التعليم العالى بجامعة ليبسك ووقع اختياره على درس اللاهوت الانجيلى والفيلولوجيا (علم مقابلة اللغات) فكان يدرس بهمة لا تعرف الكلل واجتاز امتحاناته النهائية بنجاح تام وتفوق فى معرفة اللغات القديمة ، كالعبرانية واليونانية واللاتينية والسريانية ، تفوقا عظيما حتى أصبح مرجعاً فيها . وامتاز أيضاً بمقدرته الفائقة على قراءة المخطوطات القديمة من الكتاب المقدس التى شغف بها كل الشغف ، فلم يترك مخطوطاً فى مكتبة الجامعة الواسعة دون مطالعته بدقة وإمعان ، وقدم الى عمدة الجامعة فى السنة ١٨٤٠ مؤلفين قيمين فى العهد الجديد (من الكتاب المقدس) انتقد فيهما الترجمة وعرض اقتراحات معقولة فى اصلاحها، وكللا بمكافأة حسنة ومنح لقب دكتور فى اللاهوت . وأجيز له أن يلقى محاضرات فى جامعة ليبسك وفيما بعد يعين بها أستاذاً (بروفسوراً) قانونياً لعلم اللاهوت الانجيلى وعلم مقابلة المخطوطات القديمة . ولكى يتمكن من اصلاح ترجمة العهد الجديد الاصلاح المطلوب قصد إلى جامعة باريس ليطالع فى مكتبتها المخطوطات القديمة ولا سيما النسخة الافرائيمية السريانية ، فلم يعسر عليه قراءة بعض النسخ فنسخها ، ولكنه وجد صعوبة شديدة فى قراءة النسخة الافرائيمية وحل رموزها ، وبعد أن ناوله قيم المكتبة النسخة ، قال له : « قد حاول أكبر علماء الفيلولوجيا وأرسخهم قدماً قراءة هذه النسخة المزدوجة الكتابة ، فانها مكتوبة على رق غزال ، كتب عليها أولا باليونانية ثم وقع فيها خطأ فكتب ثانية بالسريانية ، وحباً فى الاقتصاد محيت الكتابة على الرق بمعالجتها بمواد كيمياوية ثم أعيدت الكتابة على السطور ، وكان الخط الجديد مختلطاً بالخط القديم الذى لم تمكن إزالة أثره تماماً ، فرجع جميع المحاولين بخفى حنين . ولا بأس من محاولتك فك معمياتها . على انى أسبق وأؤكد لك بأنك لا تستفيد شيئا ، بل تضيع أوقاتك سدى ، ان كتابة هذه

النسخة ستبقى على مر الاعوام مغلقة أمام كل البشر » . وأما علامتنا فلم يكن يؤمن بالمستحيل ففتحها وجعل يتأمل فيها يوما بعد يوم بصبر جميـل وجلد عجيب . وبعد جهود جبارة تمكن من حلها . وقد استغرق هذا العمل سنتين كاملتين ، فدهش العلماء فى باريس وسواها من هذا العمل الجبار وغمروه بالمدح والثناء . وبواسطة هذا العالم المجتهد استيقظت هـذه النسخة من رقادها بعد الف سنة ونيف فكانت أشبه بخط الهيروغليف الذى لم تحل رموزه إلا قبل ذلك بعقود قليلة من السنين . وذاع اسم تشندورف بين العلماء وفتحت له المكاتب فى سائر انحاء العالم أبوابها وفيها نحو ٣٠٠٠ نسخة خطية للكتاب المقدس ، فقرأ عشرات من نسخ الكتاب المقدس القديمة فى مكاتب لندن وهولندا وسويسرا ومكاتب مدن ايطاليا ولا سيا رومية ، وفى مكتبة الفاتيكان استأذن قداسة البابا أن ينسخ النسخة الفاتيكانية وهى فى القدم تكاد تكون معادلة للنسخة السينائية أى من القرن الرابع للميلاد ، فقابله البابا غريغور السادس عشر ــ وهو يقدر فضله على العلم ــ بغاية اللطف والا كرام ، وكان يميل الى تلبية طلبه . على أن الكردينال ماى (May) قيم المكتبة تمكن من اقناع البابا بالعدول عن عزمه ذلك لانه أراد هو نفسه أن ينسخها ويطبعها ، وقد فعل ذلك فيا بعد فسمح لتشندورف أن يتأمل فيها ست ساعات فقط . على أنه فى السنة ١٨٦٧ سمح له أيضا بنسخها وطبعها باسم « النسخة الفاتيكانية للعهد الجديد » وتمكن فى السنين التاليـة أن يصدر عدة نسخ قيمة من الـكتاب المقدس . وبذلك تمكن العلماء من قراءة الـكتاب المقدس بلغاته الاصلية كما وضعه الـكتاب أولا

. بعد أن قرأ ما استطاع قراءته من النسخ فى مكاتب أوربا خطر له أنه لا بد من وجود نسخ مخطوطة قديمة للكتاب المقدس فى أديرة الشرق ربما كان بعضها أقدم من النسخ المعروفة فى أوربا ، وصحت عزيمته على السفر اليها فصمم على أن يزور الاسكندرية فسيناء فالقدس فالقسطنطينية ومنها يتوجه إلى جبل آتوس وبلاد اليونان

ففى السنة ١٨٤٤ بدأ رحلته الشاقة ووصل سالماً إلى مصر ولم يقم فيها طويلا ثم واصل السفر على ظهور الجمال إلى دير (١) القديسة كاترينا فى شبه جزيرة سيناء . وبعد سفر مضن دام اثنى عشر

(١) بنى هذا الدير الامبراطور يوستنيانوس في السنة ٥٣٠ وأسماه دير القديسة كاترينا تذكاراً لاعطاء الله الشريعة المقدسة على جبل سينا . وشيد على هيئة قلعة يحتمي فيه الرهبان من غارات البدو المنتشرين في ضواحيه. ويحيط بالدير سور عال من الجهات الأربع. ولئلا يدخل البدو وغير المرغوب فيهم الى الدير متى شاءوا جعل الباب الذي يدخل منه الى الدير في الطابق الأعلى على علو عشرة أمتار . وكانوا يرفعون من يرغبون في إدخاله الى الدير برافعة حبلها ملفوف على بكرة عظيمة وهي تدار باليد بواسـطة دولاب كبير . وفي الوقت الحاضر يدخل زائر الدير من باب في أسفله مساو للارض . والى جانب الدير جامع ذو مأذنة عالية احتال الرهبان في بناء هذا الجامع حتى لا يتعرض العرب للدير بعد أن حاربوا الروم في مصر وتغلبوا عليهم وحكموا البلاد في أواسط القرن السابع الميلادى

يوماً وصل مع القافلة إلى الدير . وللتوصيات الكثيرة التي يحملها سمح له أن يدخله وأن يقيم فيه عدة أسابيع ، وبعد أن ارتاح من سفره أراه الرهبان الدير ومحتوياته وذهبوا به أخيراً الى مكتبة الدير ، فدخلها بشوق شديد وقلبه يخفق لعله يجد فيها الكنوز التي يطلبها ، وشاهد على الرفوف كتباً مطبوعة وخطية ورقوقاً أكل عليها الدهر وشرب فجعل ينزل عنها كتاباً بعد كتاب ويمتحنه بدقة واعتناء فوجد كتابات كثيرة سمينة ولكنه لم يجد ضالته أي نسخة كاملة مخطوطة للكتاب المقدس . وعند ما كاد يقطع الأمل من الوصول إلى بغيته شاهد سلة مملوءة من الكتب والرقوق القديمة فاستأذن قيم المكتبة الراهب كيرلوس بتفريغها والنظر الى محتوياتها فسمح له بذلك وقال وهو يبتسم : « قد ملأنا هذه السلة الأخيرة مرتين من مثل هذه الأشياء البالية وحرقناها تخلصاً منها وهذه معدة للحرق أيضاً » فأفرغ تشندورف السلة وشرع يمتحن الكتب والرقوق . وانه لكذلك ، اذا قلبه يخفق فرحاً وأسارير وجهه تبرق ابتهاجاً فقد وجد ما تجشم مشاق السفر لأجله ، عثر على نسخة من الكتاب المقدس مخطوطة محتوية على ١٢٩ رقاً مكتوباً باللغة اليونانية بموجب الترجمة السبعينية ومحتوية على العهد القديم وعلى كل رق أعمدة كل أربعة منها في صفحة . وعلم بما له من الممارسة والخبرة أن هذه النسخة أقدم نسخة معروفة وتفوق في قدمها النسخة الفاتيكانية . على أنه كان ينقصها العهد الجديد ، ولأنها كانت معدة للحرق رجا رئيس الدير أن يهبه منها ٤٣ رقاً فسمح له بها . وأما بقية الرقوق فاحتفظ بها إذ خطر له بعد ما رأى من عناية تشندورف واهتمامه أنه ربما كان لها فائدة ، على أنه لم يمنعه من أن يستأمل في السنة والثمانين رقاً الباقية وأن ينسخ منها ما شاء فنسخ منها سفري اشعيا وارميا . وقبل أن يفارق الدير رجا قيمه أن يحتفظ بهذه الرقوق وبغيرها كل الاحتفاظ إلى أن يعود مرة ثانية إلى الدير بعد أن يكون قد قابل قيصر الروس أكبر حام للمذهب الارثوذكسي وأوصاه خيراً بالدير

عاد تشندورف الى ليبسك في السنة ١٨٤٥ بعد أن زار أديرة عدة في الشرق ومعه نسخ كثيرة للكتاب المقدس باليونانية والسريانية والقبطية والعبرية وبغيرها . وشرع في الطبع والنشر والتعليق على ما جمعه وفي جملتها الثلاثة والاربعون رقاً التي جاء بها من سيناء والمحتوية على قسم من العهد القديم . ولكنه لم يشر إلى المكان الذي وجدها فيه خوفاً من أن يطمع أحدهم في الحصول عليها بواسطة إغراء أهل الدير بمبلغ كبير يرضيهم . ثم انه حاول أن يحصل عليها بواسطة صديقه الدكتور بروتر بك طبيب الخديو السابق في القاهرة وعرض على رهبان الدير شراءها منهم بثمن يرضيهم فورد اليه الجواب بأن الرهبان يمتنعون كل الامتناع عن بيعها بأي ثمن كان بعد أن عرفوا قيمتها

فعزم على السفر مرة ثانية إلى سيناء وقال في نفسه إن لم اوفق الى شرائها يمكنني على الراجح أن أنسخها كلها ، وخابر بذلك وزير الاديان في سكسونيا فوافقه على مشروعه وأمده بمبلغ من

المال . وفى السنة ١٨٥٣ سافر الى سيناء بعد غيابه عنها تسع سنوات . ولما سأل عن الستة والثمانين رقاً التى تركها وقتئذ أنكر الجميع أنهم يعرفون شيئاً عنها فشعر بالخيبة والفشل ، وظن أن أحد العلماء علم بها وابتاعها وذهب بها اما الى بلاد الانكليز أو الى روسيا فترك الدير دون ان يحصل على مرغوبه ، ولكنه اعتاض عن اتعابه بأن عثر على كتابات ونسخ سمينة فى مكتبة الدير وفى مكاتب بلدان الشرق المختلفة فرجع بها فى صيف سنة ١٨٥٣ وشرع فى طبعها ونشرها وكان يترقب باهتمام خبراً عن عثور أحد على الستة والثمانين رقاً فى انكلترا أو روسيا ولكن بلا جدوى . فمضت ست سنوات دون أن يسمع شيئاً عن تلك النسخة

عزم أن يقوم برحلة ثالثة الى ذلك الدير ورغب هذه المرة فى أن يطلب مساعدة قيصر روسيا علماً منه أن رهبان الدير حالما يعلمون أنه موفد من قبل القيصر حامى ايمانهم يفتحون له أبوابهم وقلوبهم

لما عرض تشندورف هذا الفكر على وزير الاديان فى درسدن عاصمة سكسونيا وافقه عليه وقدما طلباً الى سفير روسيا فى درسدن يرجوانه فى أن يوصل الطلب الى القيصر اسكندر الثانى . وفيه رجا تشندورف القيصر فى أن يتوسط له عند رئيس دير القديسة كاترينا فى سيناء للحصول على كتابات مقدسة قديمة . ووعد ان تكون النسخ ملكا للقيصر بعد أن ينسخها ويطبعها . وأشار الى أهمية هذه الكتابات للعالم المسيحى أجمع

وأظهر السفير من أول لحظة أعظم اهتمام بالأمر وهو يعلم أهمية المشروع ويرجو أن يكون هذا الاثر السمين فيما بعد ملكا لروسيا . وعرض المشروع على جامعة بطرسبرج فاستحسنته عمدتها كل الاستحسان . ووصل خبر المشروع الى الامير قسطنطين أخى القيصر والى الامبراطورة وأمها فأظهروا كل ارتياح الى معاضدته . ثم وصل الطلب الى القيصر فاستحسنه وكلف تشندورف أن يسافر الى هنالك كمندوب قيصر روسيا . وذات يوم دعا تشندورف سفير روسيا فى درسدن اليه ونقده مبلغا وافراً من المال للانفاق فى سفره ولابتياع النسخة المطلوبة اذا أمكن

فى أوائل يناير سنة ١٨٥٩ قام تشندورف برحلة ثالثة الى سيناء فوصل الى الدير فى أواخر الشهر نفسه

قوبل تشندورف من أهل الدير كما يليق بمندوب قيصر روسيا من التعظيم والترحاب ، وخاطبه رئيس الدير بعد أن اطلع على توصية القيصر به قائلا : « انى آمل وأرجو أن تتوفق إلى نور جديد والى مستندات جديدة لوجدان الحق الالهى ؟ »

بعد أن استراح من وعثاء السفر سأل الرهبان بلهفة عن الستة والثمانين رقاً التى نجاها هو من الحرق قبل خمس عشرة سنة . فاظهر كل واحد منهم أنه لا يعلم شيئاً عنها حتى ولا قيم المكتبة الراهب

كيرلوس، فاسف أشد الأسف واعتراه حزن شديد اذ ظن ان اتعابه ومساعيه ذهبت ادراج الرياح، غير أنه وجد فى المكتبة عدة رقوق وكتب سمينة لم يعثر عليها قبلا فسمح له أن يأخذها معه وقد نسخها ونشرها فيما بعد

بعد مضى أسبوع منذ وصوله الى الدير انتهى من عمله وأخذ يستعد للرحيل فاوصى المتعهد أن يكون مستعداً هو وجماله للسفر فى السابع من شهر فبراير. وفى اليوم الاخير قبل مبارحته الدير ذهب للتنزه مع ايكونيموس الدير (مديره) الى سهل السباعية حيث يظن أن الاسرائيليين كانوا واقفين يصغون الى وصايا الله العشر، وعند رجوعهما وهما يتجاذبان أطراف الحديث أظهر الراهب اعجابه وارتياحه إلى الطبعات المختلفة اليونانية للعهد الجديد التى أصدرها تشندورف وأهدى نسخاً منها للدير، فقال تشندورف انه يعتبر هذا العمل من أهم أعمال حياته، وبعد أن وصلا إلى الدير أراد تشندورف أن يودعه ويصعد الى حجرته فدعاه الايكونيموس ليذهب معه إلى حجرته ويشرب شيئاً من المنعشات فلبى دعوته. وبعد أن جلس معه قال الراهب: «لدى نسخة من العهد القديم أودأن أريك اياها» ثم ذهب وفتح خزانته وأتى منها بنسخة كبيرة جدا مغطاة بقطعة قماش حمراء، وبعد أن أزيل الغطاء شعر تشندورف بهزة طرب فابرقت أسرته حيث وجد رقوقا كثيرة مكتوبة باليونانية بحرف جميل كبير فى أربعة حقول. ولما تأملها وجد انها الستة والثمانون رقاً التى تركها قبل مغادرته الدير منذ خمس عشرة سنة ومنها كان قد أخذ الثلاثة والاربعين رقا وقد طبعها فى ليبسك طبعاً متقناً. اعتراه مالا يوصف من الغبطة والبهجة فانه رأى أمامه ما يطلبه منذ سنين وما تجشم لاجله من أتعاب السفرتين الاخيرتين ونفقاتهما الباهظة، لا بل وجدا كثر مما كان يرجو، وجد عدا رقوق العهد القديم رقوق العهد الجديد كاملة من أول عدد فى انجيل متى الى آخر عدد من سفر الرؤيا. ووجد أيضاً انجيل برنابا الذى استعمله المسيحيون فى القرون الاولى والذى حكمت المجامع فيما بعد بعدم قانونيته واختفى على توالى القرون من الوجود. وعثر كذلك على رسالة «راعى هرماس» المفقودة أيضاً والاخيرتان غير كاملتين. وكان عدد الرقوق كلها ٣٤٦ رقاً، فرجا الايكونيموس أن يأخذها الى غرفته ليتأمل فيها. ومن عظم فرحه بهذا الكنز لم ينم تلك الليلة، وعند الصباح ذهب تشندورف الى الايكونيموس وعرض عليه مبلغا كبيراً من المال ليتوسط لاهداء هذه النسخة لقيصر روسيا الذى يعطف عطفاً عظيما على الدير فرفض الايكونيموس الوساطة والهبة وهو يقول: «اذا كانت هذه الرقوق ذات قيمة فهى ستبقى ملكا للدير» على انه سمح له بعد استشارة رئيس الدير أن ينسخ منها ماشاء، ولكن نسخها كلها — وعدد أسطرها لا يقل عن ١٢٠٠٠٠ سطر — يستلزم زمنا طويلا. ولو اتفق رهبان الدير لاتيح له أن يأخذها معه الى القاهرة وينسخها هناك، ولكنهم لم يتفقوا على الامر وكان رئيس الدير وقتئذ غائباً فى القاهرة وعازماً على السفر الى

القسطنطينية لانهاء مشكل كنسى وهو وحده قادر أن يصرح بنقلها الى القاهرة . وفى السابع من فبراير سافر تشندورف ميمما القاهرة فاجتمع برئيس الدير وقدم اليه رجاءه فى أن يسمح له بجلب النسخة من الدير الى القاهرة لينسخها ودفع اليه كتابي توصية من الراهبين كيرلوس والايكونيموس . فأظهر الرئيس ميلا الى تلبية طلبه وعرض الامر على اخوته الرهبان فى الدير النازل فيه فوافقوه بصوت واحد على ارسال رسول الى سينا ليحضر النسخة ، وفى اليوم التالى أرسلوا ساعياً راكباً على جمل ليحضرها ووعده تشندورف بهدية نفيسة ان أسرع وقطع المسافة فى أقل ما يمكن من الوقت ذهاباً وإياباً ، ورغبة فى الحصول على المال قام الساعى باحضار النسخة الى تشندورف المقيم فى فندق الاهرام . ثم ذهب تشندورف مع رئيس الدير الى السفارة الروسية فى القاهرة وأمضيا اتفاقا أمام السفير ذكر فيه أن الرهبنة السينائية قد سمحت لتشندورف ان يأخذ من النسخة فى كل نوبة ثمانية رقوق لينسخها ثم يردها ويتسلم غيرها على التوالى الى أن ينتهى من عمله

ووصل خبر النسخة السينائية الى أحد علماء الآثار الانكليز المقيم وقتئذ فى القاهرة فقصد الى الدير وعرض على الرئيس شراءها بمبلغ وافر من المال فرفض طلبه ، وقيل له : ان الرهبنة السينائية ترغب فى اهدائها الى القيصر اسكندر الثانى العظيم حامى الايمان الارثوذكسى ولانود مبادلتها بمال انكليزى . ثم وصلت أخبار هذه النسخة الى اوربا وامريكا ونشرتها الجرائد والمجلات فقوبلت بمزيد الارتياح والاعجاب وغمر تشندورف بالمدح والثناء

ويطول القول إذا أتينا على الجهود التى قام بها تشندورف رجاء الحصول على هذه النسخة ، ويكفى أن نقول إنه سافر خصيصا الى القسطنطينية ماراً بالارض المقدسة (وقد وصف رحلته اليها بمؤلف قيم) وكلف السفير الروسى فى استامبول أن يتوسط عند رؤساء الرهبنة السينائية للحصول على النسخة السينائية واهدائها لجلالة قيصر روسيا

ترك القاهرة فى ١٠ أغسطس ووصل القسطنطينية فى ١٧ منه ، وقابله السفير الامير لوبانوف الذى كان يعطف على العلم والعلماء بكل تعظيم واحترام ، كمندوب قيصر روسيا ودعاه السفير ليقيم فى قصره الجميل ، وكان تشندورف فى بادىء الامر يعمل على حل مشكلة الرهبنة السينائية ، ولانه مندوب القيصر كللت مساعيه بالنجاح واكتسب اعتباراً ورفعة عند أعظم ممثل للرهبنة ، ولم يلبث ان حرر السفير كتابا الى رئيس دير القديسة كاترينا وبين للرهبان وأكد لهم عطف القيصر ومعاضدته للدير ورجا ان تعار النسخة السينائية اعارة وقتية فقط لتشندورف ليأخذها معه الى بطرسبرج ويعرضها على القيصر وأنه هو الكفيل باسم القيصر ان ترجع النسخة اليهم سالمة من كل ضرر اذا لم يقر رأى الرهبنة فى المستقبل على اهدائها للقيصر ، وتسلم تشندورف الرسالة من يد السفير شاكراً ثم أبحر الى مصر . وبعد ان اطلعت هيئة الدير على الرسالة وافقت بصوت واحد على اعارتها للقيصر بواسطة تشندورف وبلغ اليه القرار بدون تأخر

وفى ٢٨ سبتمبر سلمه الرئيس النسخة ملفوفة بنفس اللفافة الحمراء . وفى ٧ أكتوبر سافر من القاهرة إلى الاسكندرية حاملا معه الكنز السمين ومنها أبحر الى أوربا ومثل امام القيصر فرنس جوزيف وأراه النسخة فاظهر سروره العظيم بها وهنأه بفوزه . ثم قصد درسدن وأراها لملكة يوحنا ملك سكسونيا . ثم سافر تواً الى بطرسبرج فوصل اليها فى أواسط نوفمبر فاستقبله القيصر والقيصرة بالابتهاج وجمع القيصر أفراد العائلة الملكية وأراهم النسخة السينائية ونحو مائة نسخة أخرى .فضلا عن رقوق عدة أتى بها تشندورف من الشرق وهى باللغات اليونانية والسريانية والقبطية والعبرية وغيرها. كل هذه التحف أمست منذ ذلك الحين ملكا لروسيا وفى الايام التالية عرضت هذه الآثار على الوزراء والعظماء والاكليروس وعامة الشعب فى المكتبة الملكية فى بطرسبرج ، وتحدث الناس فى أوربا وأميركا عن هذا الاكتشاف العجيب الذى استخلص من الفناء والنار ، وغمره بابا رومية وملوك أوربا وأمراؤها وكثيرون من العلماء والمدارس الجامعة بالمدح والثناء والرتب والاوسمة

ومن ثم عمل تشندورف بجد ونشاط لامثيل لهما فى نسخ النسخة السينائية وطبعها ، ومنحه قيصر روسيا لهذه الغاية خمسة عشر الف جنيه . وفى عيد الفصح من سنة ١٨٦٢ فرغ من طبع النسخة فى أربعة مجلدات ولم يطبع منها سوى ثلثمائة نسخة أرسلت جميعها الى بطرسبرج ووصلت فى الوقت المناسب قبل الاحتفال بمرور الف سنة على تأسيس المملكة الروسية ، وأهدى القيصر منها ٢٢٣ نسخة الى أصدقائه والى المكاتب المسيحية فى العالم أجمع وأهدى السبع والسبعين نسخة الباقية الى تشندورف فبيعت بأثمان عالية جداً . وقصد تشندورف الى بطرسبرج فى سنة ١٨٦٨ وزين للقيصر أن يشترى النسخة السينائية الاصلية من الدير فأجابه الى طلبه وسعى سعياً حثيثاً فى ذلك وتوفق الى شرائها بمبلغ ٤٠٠ جنيه . وأرسلت النسخة فى السنة التالية من دير القديسة كاترينا مرة ثانية الى القيصر وأودعت فى المكتبة الملكية فى بطرسبرج . وتقديراً لعمل تشندورف منحه القيصر لقب الشرف الارثى الروسى المرموز به عند الالمان بـ (فون Von)

ولحسن الحظ أن البلاشفة بعد ان استولوا على المكتبة لم يعدموا النسخة كما أعدموا القيصر وعائلته ومئات الالوف من رجالهم فبقيت فى المكتبة الى أن تسلمها الانكليز ودفعوا ثمنها مائة الف جنيه

وتوفى الدكتور كونستنتين فون تشندورف فى ٧ ديسمبر سنة ١٨٧٤ بعد حياة كلها عمل ونشاط حافلة بالاعمال المجيدة ، وقد ترك ما يقارب الثمانين مجلداً من مؤلفاته القيمة ، وقد أغنى العلم با كتشافاته الباهرة لا سيما ماله صلة بالدين المسيحى

بيت لحم ابراهيم ميخائيل عطاء

موباسان

أديب أفقدته النساء عقله

إذا كان تورجنيف Tourgueniev قد أحب فى حياته امرأة واحدة ، ظل مخلصاً لها فى حبه طول حياته ، متجنباً إزعاجها بالثرثرة والبكاء والنواح ، الى أن وافاه أجله وهو على حبه وإخلاصه مقيم ، فان جى دى موباسان Guy de Maupassant قد أحب من جهته عشرات بل مئات من النساء ، وكاشف كلا منهن بحبه ، وكان فى مكاشفاته جميعها ثرثاراً لجوجاً ، حتى اذا ما ارتشف كأس الغرام مترعة ، اعرض عن معشوقة الساعة وبحث عن غيرها بين النساء بلا فرق ولا تمييز بين الدرجات والبيئات والاعمار ، الى أن وافاه أجله بين المجانين ، بعد أن افقدته النساء عقله !

كان تورجنيف عاشقاً ، وكان ينظر الى الحب نظره الى عاطفة سامية ، يجب على الرجل أن يحلها محلها من الاجلال ، وأن يخلص لها كل الاخلاص ما دام فى صدره قلب يخفق

فهل كان موباسان مثله عاشقاً ، وهل كان ينظر الى الحب نظر تورجنيف اليه ؟

كلا . فان الحب فى نظر موباسان لم يكن تلك العاطفة التى أراد تورجنيف أن تخضع لها حياته فى جميع ظروفها واطوارها . بل كان الحب فى نظر نابغة الأدب الفرنسى عاطفة يجب إخضاعها لمقتضيات الحياة وظروفها وملابساتها . فموباسان من هذه الناحية «زير النساء» أو «دون جوان» كما يقول الافرنج ، نظر طول حياته الى النساء نظر النحلة الى الازهار . فكما أن النحلة تبحث عن الزهرة النضرة التى يفوح منها الأريج العطر ، فتمتص منها خلاصته وتغادرها باحثة عن غيرها ، هكذا كان جى دى موباسان يصنع مع النساء الكثيرات اللواتى قادتهن الاقدار الى طريقه : « نظرة فابتسامة فسلام ، فكلام فوعد فلقاء ! » ثم « الفراق والهجر » بعد اللقاء والوصال ، عند ماتلوح نظرة جديدة وابتسامة جديدة !

وكان موباسان يقول بين الجد والمزاح : « ان الحب الدائم وهم من الاوهام . فلا بد أن يهجر العاشقان بعضهما ، آجلا أو عاجلا . فخير نصيحة اسديها لنفسى ، هى الا أدع للحب القوى منفذاً الى قلبى ، ولا اترك له السبيل للتسلط عليه ! »

ولكنه لم يبح للنساء اللواتى أحببنه وألقين بأنفسهن بين ذراعيه بهذا الرأى فى الحب ، وبسابق اصراره فى كل واقعة غرامية على هجر « العاشقة » ـ التى لم تكن دائماً « معشوقة » ـ فى أول فرصة سانحة

غير أن اللعب بالحب يشبه اللعب بالنار . وقد دفع موباسان غالياً ثمن استخدامه ـ هذه

العاطفة السامية آلة لارواء غليل ملذاته ، واتخاذه العشق والغرام صناعة وتجارة ، وقلوب النساء سلماً تتداولها يداه بالقطاعى تارة ، وبالجملة تارة أخرى !

وذلك الثمن هو عقله ، ثم حياته !

* * *

ولد هنرى رينه البيرجى دى موباسان فى قصر ميرومنيل ، بمدينة تورفيل فى سنة ١٨٥٠ من أسرة عريقة فى الحسب والنسب ، وتلقى علومه فى مدينة روان ، ثم دخل فى خدمة الحكومة فشغل وظيفة فى وزارة البحرية ثم وظيفة أخرى فى وزارة المعارف العمومية

وكان جوستاف فلوبير ، الكاتب الخالد ، مؤلف « مدام بوفارى وسلامبو » وغيرهما من روائع الأدب الفرنسى ، يتردد على اسرته ويشجعه على الكتابة . فموباسان تلميذ ذلك الكاتب العظيم ، والى فلوبير دون سواه يعود الفضل فى نزول موباسان الى ميدان الأدب . فمنذ سنة ١٨٨٠ - أى فى سن الثلاثين - بدأ موباسان يلقى بين ايدى الجمهور رواياته المسرحية وأقاصيصه واشعاره وقصصه ، وما مضت عشر سنوات حتى كان ذلك الشاعر الناثر والاديب الساحر ، قد غزا الاسواق والعقول والقلوب

ففى أقل من عشرة أعوام بلغت مؤلفاته العشرات ، ولنذكر منها فى هذه المناسبة العناوين الآتية : « بيير وجان - جبل اوريول - قوى مثل الموت - زولا - ضوء القمر - اليد اليسرى - هورلا - قلبنا - الحياة التائهة - فى البحر - الأديب - مس هاريت - الخ » .

وبينما موباسان فى عنفوان قوته ونشاطه ، اذا به يصاب بالجنون ، فينقل الى مستشفى المجاذيب ويقضى مدة من الزمن لا يعى فيها شيئاً ، ثم تفارقه الحياة فى سنة ١٨٩٣ وهو فى الثالثة والاربعين من العمر !

وفقد الأدب الفرنسى بموته علماً من اعلامه ترك وراءه ارثاً أدبياً يدون اسمه الى ماشاء الله فى صفحة الخلود . فقد مرت الاعوام وقامت فى فرنسا وفى غيرها من الاقطار مبادىء ونظريات فى الأدب جديدة ، وفتحت امام الكتاب ابواب كثيرة ، وتطورت الحياة الاجتماعية والاساليب الكتابية تطورات عديدة ، فمحيت من الاذهان اسماء ، واعرض الجمهور عن عبادة كثير من اصنام الأدب ، ولكن قراء جى دى موباسان لم ينقص عددهم ولم تفتر حماستهم ، بل تضاعفت هذه الحماسة ، وما زال ذلك العدد يزداد يوماً عن يوم . وقبيل الحرب العظمى قامت احدى الصحف الفرنسية باستفتاء عام فى فرنسا لمعرفة المؤلف الذى يتمتع باوسع شهرة بين القراء ، فاذا بالنتيجة تسفر عن اسم جى دى موباسان . وقامت جريدة اخرى ، بعد الحرب العظمى ، بمثل ذلك الاستفتاء وأيدته بالبراهين والارقام ، فاذا بالكاتب المبدع يحتل مكانه بين ثلاثة من دباء فرنسا يزيد عدد قرائهم عن عدد قراء سواهم من الشعراء والروائيين

وإذا كان جي دي موباسان قد احتفظ لنفسه بعد موته ، بهذه المكانة السامية بين حملة الاقلام فذلك لأن قلمه كان دائماً ابدا مبضعاً يكشف للقارىء عن الفضائل والعيوب والخير والشر والخصال والنقائص والعورات على حد سواء ، فضلا عن ذلك الاسلوب الساحر الأخاذ بمجامع القلوب ، والذى امتاز به جي دي موباسان عن سواه من أدباء الغرب . وقد قال عن نفسه ان عينه تشبه آلة التصوير ، فاذا نظرت الى شيء أو الى شخص فانها تلتقط الصورة بامانة الآلة ودقتها . أما قلبه فهو كالورق الحساس الذى ينقل عليه المصور تلك الصورة التى طبعت على زجاج آلته !

* * *

لنتحدث الآن عن النساء اللواتى ملأن حياة هذا الاديب النابغة واللواتى أفقدنه عقله ، فان جي دي موباسان تصدى فى مؤلفاته لتشريح القلب بقلمه الذى سميناه بحق مبضعاً . وكان لابد له أن يعاشر النساء وأن يدرس اخلاقهن ، ويحاول أن يسبر غور ذلك القلب الذى تصدى لتشريحه . ولما كان الكاتب الشاب ينتمى الى اسرة شريفة غنية ويمتاز عن سواه من الكتاب بحسن هندامه وحديثه الطلى الجذاب وجمال وجهه وسخائه وميله الفطرى الى مغازلة المرأة ، فقد كان نجاحه فى المجتمع الذى عاش فيه بالغاً أقصى ما يمكن ان يبلغه نجاح شاب جمع فى شخصه تلك الصفات والمؤهلات ، فحامت النساء حوله كما يحوم الذباب على قطعة الحلوى أو كما يحوم الفراش على النور . وعرف موباسان المرأة من جميع وجوهها ، واختبرها ودرسها فى جميع حالاتها النفسية ، واطلع على ماظهر وخفى من ذلك القلب النسوى ـ أو قلب الانثى كما يسميه ـ الذى لعب به الأديب الفاتن كرجل أولا ، ثم تناوله بمبضعه ككاتب ثانيا وتركه بعد ذلك كمية مهملة ، وخرج من ذلك كله فاقد العقل مجنوناً !

كان جي دي موباسان يهرب من النساء فى كل سنة ويذهب بعيداً عن باريس ، ويلجأ الى احدى القرى النائية ، دون ان يترك لأحد عنوانه ، رغبة منه فى ان تمتنع النساء عن مراسلته ، لكى يخلو بنفسه بضعة اسابيع ، ويدون على القرطاس ما طبع فى ذهنه وعلق بسنان قلمه

ولكن سرعان ما كانت النساء يكتشفن مقره ، فتنهال عليه الرسائل كل يوم اكداساً مكدسة ، حاملة اليه العجب العجاب من اعترافات ومكاشفات وانذارات وتهديدات . وكان المسكين يجد نفسه مضطراً الى الرد على تلك الرسائل ، خوفاً من أن يهرع ذلك الجيش النسائى اليه ، ويحدق به فى عزلته ، ويحول بينه وبين انجاز عمله

وكان موباسان من ناحية أخرى يريد تجنب الفضيحة ، ومنع اولئك العاشقات الهائجات من أن يأخذ بعضهن بشعور بعض ، إذ أن الأخذ بالشعور والضرب بالشباشب ، ليس احتكاراً

لنساء الشرق دون اخواتهن الغربيات . فقد حدث فى حياة جى دى موباسان ان وقعت معارك بين النساء الحائمات حوله ، المتسابقات الى حبه ، الغيورات عليه . وهذا ما كان ينغص على الكاتب راحته ، ويثير فيه الغضب ، ويهيج أعصابه . . . لأنه لم يكن يحب واحدة من اولئك النساء المتقاتلات من أجله !

ففى القرية التى كان موباسان يلجأ اليها ، لم يكن يشغله غير أمر واحد ، وهو ان يحول دون اجتماع اثنتين من اولئك العاشقات ـ وما أكثرهن ! ـ فى مكان واحد ، خوفاً من وقوع المعركة والفضيحة !

فماذا كان يصنع ذلك الرجل الذى هرب من النساء فحاولن اللحاق به ؟

كان يرد على كل رسالة يحملها اليه البريد ، ببرقية الى صاحبة الرسالة ، يقول فيها إنه سيغادر القرية فى اليوم التالى ، وينتظرها فى مدينة يعينها فى برقيته ويعين الفندق الذى سينزل فيه . وكان يضرب لكل امرأة موعداً فى مدينة وفندق ، وهو عازم على البقاء فى قريته ، حتى اذا ما طلع فجر اليوم التالى ، كانت فيالق النساء العاشقات تزحف على المدن التى ضرب لها موباسان موعداً بها ، فتصل كل واحدة من اولئك النساء الى الفندق على أمل ان تجد الحبيب فيه ، فلا تجد غير برقية ثانية سبقتها اليه يقول فيها موباسان ان اسباباً غير منتظرة حملته على السفر الى باريس !

وكان يضع أمامه خريطة فرنسا ، ويشك كل مدينة يضرب فيها موعدا لاحدى النساء بدبوس يذكره أن تلك المدينة « مشغولة » خوفاً من أن يضرب فيها موعدا لعاشقة أخرى . ولكنه كثيرا ما كان يخطىء أو ينسى الدبوس ، فتلتقى فى فندق واحد ومدينة واحدة ، اثنتان ، أو ثلاث من النساء وتقع المعركة التى وصفتها

وكان الاديب المعشوق من النساء يردد دائماً ، على مسامع اصدقائه والمقربين اليه : « ان النساء أشد خطراً بكثير مما كنت أظن . وسوف يفقدننى عقلى ! »

وقد افقدنه ذلك العقل فى أوائل سنة ١٨٩٢ فارسل الى أحد المستشفيات . ثم تولى بعض اصدقائه الاطباء علاجه ، ولكنهم لم ينقذوا حياته ، فمات فى سنة ١٨٩٣ ، بعد ان ذاق مر العذاب مدة ثمانية عشر شهرا . وتحول جنونه الذى كان فى بادىء الامر هادئاً الى ثورة دائمة الهياج ، فجعل فى الشهور الاخيرة من حياته يضرب الناس ويصيح فى وجوههم بأنه مضطهد وان الناشرين سرقوا امواله . وجفاه الرقاد فى وقت من الاوقات فكان يقضى الليالى ساهرا صائحاً هائجاً

ولكن الشهور التى تقدمت جنونه هى بلا شك أشد ايام حياته عذاباً إذ ان ذلك الاديب العبقرى كان يرى شبح الجنون مقبلا عليه ويدرك ـ وهو مالك لجميع قواه العقلية ـ انه سوف يفقد تلك القوى بسبب النساء!

حبيب جاماتى

نهاية العالم : كيف تكون ومتى

خلاصة بحث طريف للاستاذ رودو مدير مرصد دوتفيل بفرنسا

ما برح الانسان منذ أول عهده بالاجتماع يفكر في مصير هذا الكون وفيما عسى أن يؤول اليه أمر الحياة على هذه الأرض . فهو يعلم أن الخلود ليس من صفات الاحياء وأن هذه الكائنات لا بد أن تبلغ نهاية مرحلتها . وفي هذا المقال يتحدث الفلكي الكبير الاستاذ رودو عن هذه النهاية . ويدلى بآراء جديدة في هذا الموضوع

النبوات بشأن نهاية العالم كثيرة متنوعة وأكثرها لا يخرج عن حيز الحدس والرجم بالظنون . ولا يكاد يمر عام حتى يقوم بعض الناعقين بالشؤم ينذرون الناس بقرب نهاية العالم ، اما بصدمة تقع بين الكرة الارضية وغيرها من الاجرام العلوية أو بعلة اخرى من العلل . ولم يخل العالم فى زمن من الازمان من الانبياء الكذبة ، ولذلك صار الناس لا يأبهون لما ينعق به اولئك الكاذبون .

فمن أمثال ذلك ما أشاعه الدجالون فى العصور المظلمة والوسطى بشأن المذنب المعروف باسم « هالى » من أنه سوف يصدم الارض ويتركها هباء منثوراً . ولا يخفى أن هذا المذنب يدنو من فلك الارض مرة كل ست وسبعين سنة تقريباً . وكان آخر ظهوره سنة ١٩١٠ وقد ذكر المؤرخون انه ظهر فى الازمنة القديمة غير مرة وكان دائماً يلقى الهلع فى قلوب الناس .

والذى يؤكده العلم أن وقوع صدام بين الكرة الارضية وأحد الاجرام العلوية قليل الاحتمال جداً بحيث يجوز لنا أن نفرض انه لن يقع . وليس فى تاريخ علم الفلك أى دليل على وقوع مثله فيما مضى . والسبب بسيط جداً وهو أن حركات الاجرام العلوية مقيدة بنظم ونواميس ثابتة ولا يحتمل أن يفلت أحدها من سلطة تلك النواميس . ومع ذلك فقد ظهر علماء فى كل مكان وزمان زعموا أن وقوع الصدام بين الافلاك من الامور الممكنة . كما زعم بعضهم أنه حتى فى حالة عدم وقوع صدام فلا بد من وقوع كارثة أخرى يكون فيها القضاء على العالم .

مثال ذلك أن عالماً مشهوراً من علماء الدين فى القرن السابع عشر يدعى هويستون زعم ان الطوفان الذى أصاب العالم فى زمن نوح كان بسبب مرور مذنب هالى على مقربة من فلك الارض ، وأن هذا المذنب سيدنو فى المستقبل من الكرة الارضية فيتسبب فى طوفان آخر سيكون فيه القضاء المبرم على الحياة . وقد ذهب ذلك العالم وذهبت معه نبوته ، لان العلم أثبت انه حتى على

فرض وقوع صدام بين الارض وذلك المذنب فلن تمس الارض بسوء.

وسبب ذلك أن المذنبات بوجه الاجمال هي اجرام غازية والغازات المركبة منها لطيفة جداً لا يشعر الانسان بوجودها لولا تألقها (لأنها غازات منيرة) ولذلك وصفها أحد العلماء بقوله ان المذنبات هي اشياء منظورة لا وجود لها . وفي الواقع أن كمية المادة التي تتألف منها لا تكاد تذكر بالنسبة الى الارض . فاذا لمست الارض فلا يمكن أن تؤثر فيها أي تأثير غير كونها تترك وراءها رائحة غازاتها ، ومما يجدر بالذكر ان مذنب هالي عند ما ظهر سنة ١٨٣٣ بلغ طول ذنبه ١٨٧ مليون ميل فتأمل!



رأس المذنب يصدم البحر كما تخيله كاتب هذه المقالة

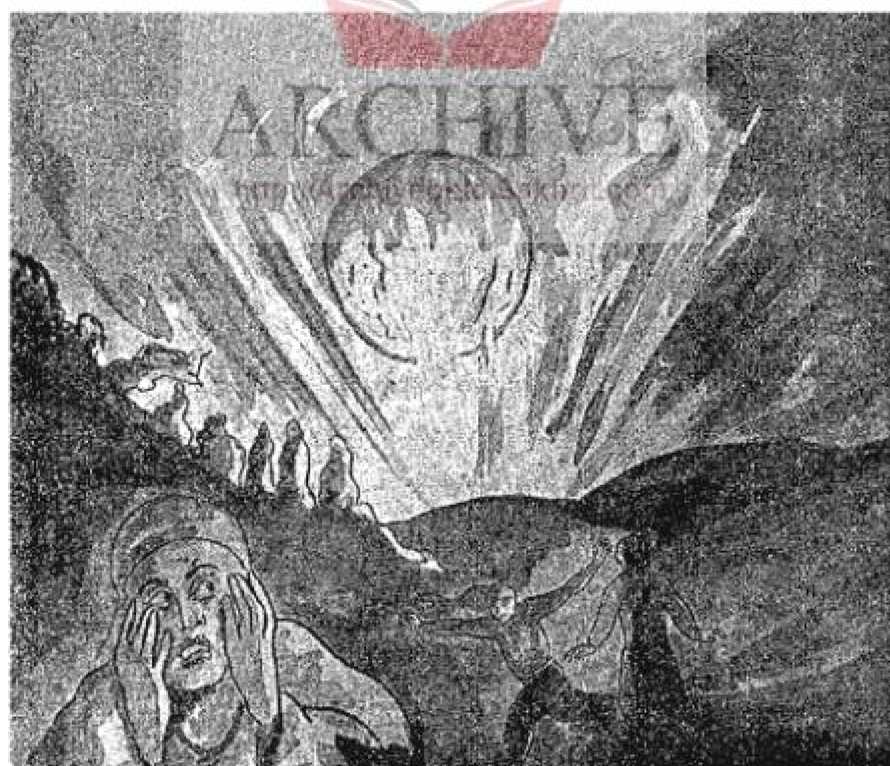
أما رأس المذنب فهو أصلب من ذنبه . ومع أن العلم يكاد يؤكد استحالة وقوع صدام بينه وبين الكرة الارضية ، فانه في حالة وقوع صدام لا يمكن أن يكون تأثيره الا محلياً . وبما أن ثلاثة ارباع سطح الكرة الارضية مغطى بالمياه فالارجح أن الصدام (اذا فرضنا امكان وقوعه) يقع بين المذنب والبحر ولن يشعر به أحد

على أننا مع كوننا ننفي احتمال وقوع الصدام لا يسعنا الا التسليم باحتمال وقوع كوارث أخرى تكون فيها نهاية الكون . وربما كانت الشمس مصدر اعظم تلك الكوارث ، إذ لا يخفى أن النور والحرارة المنبعثين من الشمس بمقدار موزون هما قوام الحياة على الارض . فاذا وقع ما يؤثر في مقدار ذلك الاشعاع أثر في الكائنات الحية تأثيراً معينا . وأبلغ برهان على ذلك أن بين الكلف الشمسية وبعض الحوادث التي تقع على الكرة الارضية علاقة متينة جداً . على ان الانباء بما يمكن وقوعه بسببها في المستقبل ليس من الأمور السهلة وان يكن الخوف منها في محله

ولعل الخوف من انفجار يقع داخل الشمس هو أعظم من الخوف من انفجار ينشأ عن وقوع صدام بين الارض والشمس . فوقوع انفجار داخل جرم الشمس ليس من الأمور لمستحيلة علمياً . وعلماء الفلك يؤكدون لنا وقوع حوادث انفجار من هذا القبيل فى بعض النجوم . وليس هذا مجال شرح تلك الانفجارات . ولكن اذا وقع انفجار منها فى جرم الشمس فقد يكون فيه القضاء المبرم على الكرة الارضية وعلى جميع الكائنات الحية فيها

على أن جميع هذه الفروض (وان لم تكن فى حكم المستحيل) نادرة جداً يحق لنا أن نضرب عنها صفحاً وان ننظر الى احتمالات أخرى قد يكون فيها القضاء على الكرة الارضية وما فيها من مخلوقات نباتية وحيوانية

إن فى الطبيعة عوامل كثيرة تؤثر فى شكل الارض وفى تكوينها . فالشمس والهواء ومياه البحور والانهار وغيرها تعمل فى الكرة الارضية وتؤثر فيها على وجوه مختلفة . وهى تعمل معاً على « قضم » التربة الصلبة أو « اذابتها » باستمرار ومتى تم « قضم » التربة أو « اكلها » اندفعت المياه عليها وغمرتها



« . . واذا وقع انفجار في جرم الشمس فقد يكون فيه القضاء المبرم على الكرة الارضية »

لقد أجمع علماء الطبيعة والفلك والجيولوجيا والكيمياء على أن عمر الكرة الارضية هو زهاء الفى مليون سنة . وقد كانت هذه الكرة فى أول عهد نشوئها جسما سائلا أخذ يجمد بمرور الزمن حتى أصبحت له قشرة صلبة ثخينة . وهذه القشرة هى الموضوع الذى سنعالجه فى بحثنا هذا

لما نشأت هذه القشرة كان شكلها وكثافتها يختلفان باختلاف الانحاء المختلفة . وسبب هذا الاختلاف هو الحرارة التى تعمل فى باطن الارض ، والعوامل الطبيعية المختلفة التى تؤثر فيها من الخارج

وفى مقدمة تلك العوامل الماء وهو يؤثر فى الكرة الارضية على وجوه مختلفة . فهو اذ يندفع على وجه الارض بقوة الجاذبية يخد التربة خداً ويجرف كل مايصادفه فى طريقه من اتربة وغيرها. وتختلف قوته باختلاف كميته وسرعته . فاذا جرى على تربة صلبة سافت بمرور الزمن وتفتت . وهذا السوف أو التفتت يختلف باختلاف اعتبارات كثيرة ، ويكون على أشده فى الجهات الجبلية والمنحدرات . فاذا بلغ السيل السهل ضعفت قوته وقل أثره . ومع ذلك فقد يتخلل التربة فاذا جمد بسبب البرد شق تلك التربة مهما تكن صلبة جامدة

وكذلك القول فى امواج البحر فانها تندفع على الشاطىء بلا انقطاع فتنحته باستمرار « وتاكله » . وبهذه الطريقة تنقص مساحة « اليابسة » باستمرار وتتسع مساحة المياه على سطح الكرة الارضية . واذا استمرت الحال على هذا المنوال لم يبق شك فى أن المياه ستغطى المسكونة يوماً ما

وليس ذلك فقط بل ان الماء يفعل فى « اليابسة » وفى الارض الصلبة بطريقة كيماوية أيضاً ، فتأ كل الصخور وتتفتت بمرور الزمن . وعلى كل فان علم الجيولوجيا يؤكد لنا أن جبالا كثيرة كانت تعلو سطح الكرة الارضية قد زالت ولم يبق منها إلا آثار ضئيلة بسبب فعل الامطار والسيول والبخار المائى الذى يملأ الجو ، وبسبب المياه على اختلاف أنواعها

ولكن أين تذهب الاتربة والمواد التى « تاكلها » تلك المياه ؟

انها تحملها بلا شك الى البحار وتطرحها فى قيعانها . ومنها تتكون طبقات مختلفة من التربة وكثيراً ما نرى آثار تلك الطبقات فى الجهات التى قد انحسرت عنها المياه

وقد حسب العلماء الكمية التى تنقلها المياه من الاتربة الى البحار فاذا هى نحو سبعة آلاف مليون يارد مكعب كل عام . اضف الى هذه الكمية نحو نصفها مما « يتأ كل » من قشرة الارض بواسطة العوامل الكيماوية . ونحو الفى مليون يارد مكعب « يا كله » البحر من الشواطىء . فنجد ان مقدار ما تفقده « اليابسة » (أى الارض) كل سنة بفعل الماء لايقل عن اثنى عشر الف مليون يارد مكعب

فاذا ظلت الكرة تفقد من قشرتها اليابسة كل سنة هذه الكمية الهائلة من المواد فلا بد أن يجيء يوم تغمر فيه المياه سطح الكرة كله . أضف الى ذلك أن رسوب تلك الكميات الهائلة فى قيعان البحار يرفع مستوى تلك القيعان ويجعل مياه البحر تفيض وتغمر قشرة الارض أكثر فأكثر . وبحسبة بسيطة (بقسمة حجم الكرة الأرضية على كمية المواد التى « تأكلها » المياه كل سنة) نجد أن المياه ستغمر سطح الأرض كله بعد نحو أربعة ملايين سنة !... وغنى عن البيان ن هذه الحسبة تفترض أن يستمر عمل المياه الذى شرحناه على معدله وأن تظل أحوال الارض الطبيعية والجوية على حالها . ومثل هذا الافتراض صعب جداً . لأن الكثيرين من علماء الجيولوجيا يعتقدون أن كمية المياه التى كانت على الكرة الأرضية فى العصور الخالية كانت أكثر مما هى الآن وانها ستنقص فى العصور المقبلة نقصاناً هائلا . فتأثيرها فى « اليابسة » سيقل بالتدريج . وبناء عليه فان غمر المياه لليابسة سيستغرق أكثر من أربعة ملايين سنة

أما البراهين على أن المياه التى كانت على الكرة الأرضية فى العصور الخالية كانت أكثر مما هى الآن فكثيرة لا يتسع لها هذا المجال . وانما نذكر منها وجود الصحارى الكثيرة الخالية كصحراء أفريقا الشمالية ، وقد أثبت العلم أنها كانت فى العصور الخالية بلاداً خصبة وهى الآن سهول فسيحة قاحلة .وليس هذا مكان البحث فى مصير المياه وهل هى تبخرت أم نقصت بتأثير عوامل أخرى . انما العلماء يقولون إن كميتها فى تناقص مستمر . وبناء عليه فمتوسط كمية المواد التى تنتزعها كل سنة من اليابسة وتلقيها فى قيعان البحار هو أيضاً فى تناقص مستمر.وما ادرانا ؟ لعله يجيء يوم تزول فيه المياه عن سطح الكرة الأرضية بتاتاً .وبدلا من أن تكون نهاية الكائنات الحية عن طريق المياه (بطغيانها على اليابسة) ستكون تلك النهاية عن طريق نضوب المياه وصيرورة الارض كلها يابسة قاحلة كبعض الاجرام الفلكية التى لا ماء فيها ولا تصلح للحياة

وبعبارة أخرى ـ أن أقرب فرض الى العقل لنهاية العالم هو أحد أمرين (أولهما) أن تغمر المياه الكرة الأرضية كلها بحيث لاتبقى على سطحها يابسة يسكنها الانسان أوالحيوان (وثانيهما) أن تنضب مياه الارض كلها فتصبح كرتنا الارضية جرداء قاحلة لاتصلح للحياة . وليس فى وسع أحد أن يثبت أى الفرضين هو اقرب الى الحقيقة . أما افتراض وقوع صدام بين الكرة الارضية وغيرها من الاجرام العلوية فليس فى العلم مايؤيده . وبناء عليه يجب نبذه والتسليم بأن نهاية العالم ستكون عن طريقة أخرى

ويؤخذ من مجموع القرائن العلمية أن الفرض الثانى (أى نضوب مياه الكرة الارضية) هو أكثر احتمالا . وفى هذه الحال سيكون انقراض الحياة بطيئاً جداً . إذ لايخفى أن الماء

لازم لزوماً تاماً للحياة . فاذا بدأ يشح كان تاثير ذلك فى الكائنات الحية سيئاً جداً . وسيكون من بعض نتائجه أن تضيع معالم المدنية وينقلب البشر حيوانات متوحشة كل همها فى الحياة أن تبحث لها عن ماء ومرعى . وستسفى الرياح الرمال على المدن فتطمرها وتقضى على حضارة الانسان فيهم من بقى من البشر على وجوههم فى البرارى والقفار لا فرق بينهم وبين الحيوانات الضارية

وستنقرض الحيوانات العليا فى أول الأمر ثم تلحق بها الحيوانات السفلى أيضا . وسيزيد الطين بلة زوال البخار المائى من جو الكرة الارضية . وأنت تعلم قيمة هذا البخار للانسان والحيوان والنبات إذ لولاه لتشتت أشعة حرارة الشمس فى الفضاء ولم يصل شىء منها الى الكرة الارضية ولأصبح جو هذه الكرة قارساً الى حد لايستطيع الانسان أن يتصوره كما هى الحالة فى قنن الجبال العالية فان البرد فيها شديد الى الغاية بسبب لطافة البخار المائى . فاذا زال هذا البخار من جو الكرة الارضية بتاتاً أصبح البرد قارساً لايطاق . فلا يبقى إذ ذاك بخار يمتص حرارة الشمس وينشرها على الكرة . ويصبح جو خط الاستواء أشد برداً بما لا يقاس من جو القطبين

ومما سيعجل هذه الكارثة زوال عنصرى الاوكسجين والنتروجين من الهواء ، لأن اولهما ستمتصه بعض المواد التى على سطح الكرة الارضية ، وثانيهما ستمتصه النباتات الباقية من دون أن ترده بحالة غاز الى الجو

ولن يجىء هذا البرد فجأة بل بالتدريج . وسيجد البشر أنفسهم فى أول الامر فى جو شبيه بجو القطبين فى الوقت الحاضر ثم يشتد البرد شيئاً فشيئاً الى أن يصبح غير قابل للحياة

وبعبارة أخرى - ان الكرة الارضية ستصبح قاحلة خالية من أسباب الحياة وشديدة البرد الى حد لا تطيقه الكائنات الحية النامية النباتية أو الحيوانية . أما حرارة الشمس فلن تكون محسوسة لأن البخار سيزول كما مر بك . ومن المحتمل ان ينظر بعض المخلوقات الحية يومئذ من الكواكب العليا الى ارضنا فلا يجد فيها أثراً للحياة فيقول عنها إنها جرم خال من الحياة ككثير من الاجرام السابحة فى الفضاء

ومع ذلك ستظل الشمس تشرق على كرتنا الارضية وعلى غيرها من الاجرام من دون أن تدفئها . وهنا يعرض لنا هذا السؤال وهو : الى متى تظل الشمس تشرق وترسل اشعتها فى الفضاء ؟

يقول بعض المتطفلين على موائد العلم ان الشمس ستنطفىء بالتدريج بعد احقاب طويلة وسيكون انطفاؤها سبب انقراض الحياة وزوالها عن الكرة الارضية . ولكن ليس بين القرائن العلمية قرينة واحدة تدل على احتمال انطفاء الشمس قبل زوال الحياة عن الارض ،

بل تجد النظريات العلمية القويمة تشير الى عكس ذلك وتؤكد لنا أن الشمس ستظل تشرق ملايين من الاحقاب حتى بعد انقراض كل اثر للحياة على وجه الارض . ومن الحقائق العلمية الثابتة ان جرم الشمس اقدم من جرم الكرة الارضية كثيراً جداً . فعمر هذه نحو الفى مليون سنة كما قلنا فى صدر هذا البحث . اما عمر الشمس فاكثر من ذلك . بل ان القرائن العلمية كلها مجمعة على ان مقدار اشعاع الشمس يوم ولدت الكرة الارضية لم يكن يختلف كثيرا عن مقدار اشعاعها اليوم . وقد قدر الاستاذ ادنجتون الفلكى الانجليزى الشهير عمر الشمس بخمسة آلاف مليون سنة على الاقل . وتقديره هذا مبنى على حقائق علمية معقولة

وستظل كذلك حتى بعد انقراض الحياة . ذلك لأن العلماء يقدرون انها اذا ظلت تفقد بالاشعاع المقدار الذى تفقده فى الوقت الحاضر (وهو نحو اربعة ملايين طن من مادتها كل ثانية) فلا يمكن ان تنطفىء قبل مرور خمسة عشر الف الف مليون سنة على اقل تقدير

ولكن مهما يطل عمر الشمس فلابد أن يجىء يوم تنطفىء فيه فيزول نورها وحرارتها . ويصبح جرمها مكتنفا بظلمات بعضها فوق بعض . على ان موتها أو انطفاءها سيجىء بالتدريج . وسيسبقه انقراض الحياة وزوالها عن سطح الكرة الارضية

وخلاصة ما تقدم ان المخلوقات الحية التى تعيش على سطح الكرة الارضية ستفنى . ولن يكون فناؤها بسبب حادث فجائى كوقوع صدام بين الارض وأحد الاجرام العلوية ـ فان هذا الفرض بعيد الاحتمال جداً ـ بل سيكون بسبب أحد أمرين . فاما أن تغمر المياه سطح الكرة الارضية بحيث لا تبقى يابسة يسكنها الانسان . واما أن تنحسر جميع المياه وتنشف ولا يبقى لها أثر على الارض . وفى هذه الحالة يكون انقراض الحياة ناشئاً عن عاملين يعملان معاً وهما : (١) زوال الماء الذى لا غنى عنه للمخلوقات الحية و (٢) اشتداد البرد على سطح الكرة الارضية بسبب زوال البخار المائى من الجو

فترى اذن ان نبوءات المرجفين التى سمعها أجدادنا وآباؤنا وما زلنا نسمعها الى الآن بشأن وقوع صدام بين الارض وأحد الاجرام العلوية يجب ألا نأبه لها أو نحسب لها حساباً . نعم ان مثل ذلك الحادث الفلكى ليس مستحيلا تماماً ولكنه بعيد الوقوع جداً بسبب النواميس الازلية التى تقيد حركة الافلاك وتشرف عليها . ونظراً الى عدم احتمال وقوعها يمكننا ان نحذفها من حسابنا ، وان نثق بان فناء الارض وما عليها من كائنات حية لن يجىء فجأة بل تدريجاً . وسيتمكن الانسان فى أول الامر من اعتياد البيئة التى توجده فيها الطبيعة . ولكن تلك البيئة لن تكون ملائمة للحياة ولتكاثر الكائنات الحية . ولذلك سيعمل ناموس بقاء الاصلح فعله . فيقضى أولا على الاضعف فالاضعف ثم يتناول الاقوى بدوره . ولن تعفو عنه عوامل الفناء

الاخطل ومكانته

في شعراء عصره

بقلم الاستاذ احمد الاسكندرى

استاذ الادب العربي بكلية الآداب بالجامعة المصرية

[نشرنا الشطر الأول من هذا البحث في عدد فبراير الماضى . وهو يتضمن نشأة الاخطل وتدينه وأخلاقه وشعره ، وبعض الاغراض التى تناولها هـذا الشعر كالنسيب والمديح وما كان له من أثر فيهما . وهنا ننشر بقية هذا البحث ، وهي دراسة لسائر الأغراض التى جاءت في شعر هـذا الشاعر الاموي الكبير]

هجاؤه

عرفت آنفا سبب احتدام الهجاء بين الاخطل وجرير وأنه هو المعتدى على جرير والمفضل الفرزدق عليه قبل أن يراهما كليهما ، وأنه بفضوله وارتشائه جر على نفسه بلاء عظيما من هجاء جرير . وأ كثر الادباء على أن جريراً برز على الاخطل فى الهجاء مع ان نشأتهما سواء فى المشارة والمهاترة منذ شبا . والسبب فى علو جرير على الاخطل فى الهجاء ماقاله جرير نفسه وقد سأله ابنـه نوح بعد موت الاخطل : « يا أبت ، أنت اشعر أم الاخطل ؟ » فقال : « يا بنى ادركت الاخطل وله ناب واحد ، ولو ادركته وله ناب آخر لأ كلنى به ، ولكن اعاننى عليه خصلتان : كبر سن ، وخبث دين » .

وفى الاخطل يقول أبو عبيدة : « ضيق عليه كفره القول » وجاء الاخطل رجل من بنى شيبان (وشيبان من بكر بن وائل أخت تغلب) فقال له : « يا ابا مالك ، انا وان كنا بحيث تعلم ، من افتراق العشرة واتصال الحرب والعداوة — تجمعنا ربيعة . وان لك عندى نصحا » فقال : « هاته ، فما كذبت » قال : « انك قد هجوت جريراً ودخلت بينه وبين الفرزدق . وأنت غنى عن ذلك . ولا سيما أنه ينبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك . ويسب ربيعة سبا لا تقدر على سب مضر بمثله . والملك فيهم والنبوة قبـله . فلو شئت امسكت عن مشارته ومهاترته » فقال : « صدقت فى نصحك وعرفت مرادك ، وصلتك رحم ، فوالصليب والقربان لأ تخلصن الى كليب خاصة دون مضر بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره . ثم اعلم أن العالم بالشعر لايبالى وحق الصليب اذا مر به البيت العائر السائر الجيد — أمسلم قال ام نصرانى »

أى أن جريراً يستطيع فى دولة اسلامية أن يعيره بخصال من دينه يستحسنها المسلم ولا يستطيع الاخطل أن يقابله بمثلها فيعيره بشعائر الاسلام فى دولة الاسلام . فكان يهجو جريراً بدناءة أبيه عطية ورهطه الادنين من كليب خاصة ، لابنى يربوع عامة . فيرميه وقومه باللؤم والبخل ورعى الحمير

وركوبها دون الخيل وبسواد جلود قومه وقذرهم وجبنهم وشظف عيشهم ونحو ذلك من الجهد الذى يكون فيه أهل البادية

ومن أوجع هجائه ما هجا به كليباً قوم جرير فى قوله :

مازال فينا رباط الخيل معلمة وفى كليب رباط الذل والعار
النازلين بدار الذل ان نزلوا وتستبيح كليب حرمة الجار
والظاعنين على اهواء نسوتهم وما لهم من قديم غير أعيار
بمعرض أو معيد أو بنى الخطفى ترجو جرير مساماتى وأخطارى ؟
قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم قالوا لأمهم : بولى على النار !

قال ابن رشيق : « ويقال إن أهجى بيت قاله شاعر قول الاخطل فى بنى كليب بن يربوع رهط جرير « قوم اذا استنبح » البيت . لانه قد جمع ضروباً من الهجاء فنسبهم الى البخل بوقود النار لئلا يهتدى بها الضيفان ، ثم البخل بايقادها للسامرين والسابلة ، ورماهم بالبخل بالحطب ، وأخبر عن قلتها ، وأن بولة تطفئها ، وجعلها بولة عجوز وهى أقل من بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان أمهم وابتذالها فى مثل هذه الحالة ، فدل بذلك على العقوق والاستخفاف ، وعلى أن لا خادم لهم . وأخبر فى أضعاف ذلك ببخلهم بالماء

وهجا بنى تيم فقال :

وكنت إذا لقيت عبيد تيم وتيما قلت أيهم العبيد ؟
لئيم العالمين يسود تيما وسيدهم وان كرهوا مسود

وصف

كان الاخطل يجيد وصف الخمر بخاصة ووصف غيرها بعامة

فأما وصفه للخمر فقد هون عليه الافاضة فيه والتفرد به ، دينه وولوعه بها وعكوفه عليها وفقد من يناضله فى وصفها

ومن أوصافه للخمر :

وكأس مثل عين الديك صرف تنسى الشاربين لها العقولا
اذا اصطبح الفتى منهـا ثلاثا بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قرشية لا شك فيها وأرخى من مآزره الفضولا

ومنها قوله :

وجاءوا ببيسانية هى بعد ما يعل بها الساقى ألذ وأسهل
تمر بها الايدى سنيحاً وبارحاً وتوضع باللهم حى ، وتحمل

ونوقف أحياناً فيفصل بيننا غناء مغن أو شواء مرعبـل
فلذت لمرتاح ، وطابت لشارب وراجعني منها مراح وأخبل
فما لبثتنا نشوة لحقت بنـا توابعها مما نعل وننهل
تدب دبيباً فى العظـام كأنه دبيب نمال فى نقا يتهيـل
فقلت : اقتلوها عنكم بمزاجها فأطيب بها مقتولة حين تقتل

وأما وصفه لغيرها فقد أجاد وصف بقر الوحش والثور من هذه البقر عند ما يرسل عليه الصياد كلابه فيهرب منها . حتى اذا احرجته كر عليها بقرونه فقتل بعضها وجرح بعضها وشتت شملها ، بجعل الوصف على شكل قصة يكررها ما كثر معانيها فى أ كثر من عشرة مواضع

ووصف حمر الوحش وخلها وناقة الرجلة ونوق القرى المعدة للضيفان ، ووصف الغيث ورعده وبرقه ، ووصف الركبان يسيرون فى البيداء ، ووصف المهزوم ومعيشة قبائل قيس بالبادية فى جهدها وبلائها وجدبها ، كل ذلك بتصوير جيد ولفظ عذب لولا تكرار بعضه مراراً . فمن ذلك قوله فى وصف ثور من الوحش ألجأته ليلة ماطرة باردة ليسكن تحت شجرة ارطى وفاجأه عند الصباح صياد بكلابه :

بينا يجول بنـا عرته ليلة بعق تكنفـه الرياح وتمطر
فدنا الى ارطاته لتجنـه طوراً يكب على اليدين ويحفر
حتى اذا هو ظن أن قد ما اكتفى واكتن مال به هيـام أعفر
صرد كأن أديه قبطيـة يرج من صرد لساه ويخصر
وكأنما ينصب من اغصانها در على أقرابه يتحدر
حتى اذا ما الصبح شق عموده وانجـاب عنـه ليله يتحسر
ورأى مع الغلس السماء ولم يكد يبدو له منهـا أديم مصحر
أم الخروج فافزعته نبـأة زوت المعارف فهو منها اوجر

فخره

وللأخطل فخر يتحدث فيه عن كرمه وحسن عشرته وبذل ماله فى الملذات والتمتع بالطيبات ، وعن كرم عشيرته وشجاعتهم وأيامهم التى انتصروا فيها فى الجاهلية ومظاهرتهم مروان بن الحكم على القبائل القيسية شيعة عبد الله بن الزبير وقتلهم كبير القيسية الضحـاك بن قيس حتى آلت لمروان الخلافة . ويفتخر بانتصار تغلب على القيسية فى أرض الجزيرة وقتلهم سيدهم عمير بن الحباب السلمى وتشتيتهم شملهم واجلائهم اياهم الى ديارهم ببادية الحجاز وغربى نجد . ويفتخر بأنه لسان قومه وان هجاءه سلاح ماض يدفع به عنهم من يهجوهم

فن فخره بنفسه وقومه قوله :

وانى لمن عليا. تغلب وائل لأولها بيتاً وأثبتها أصلا
أنا الجشمى الرحب فى الحى منزلا اذا احتل مضهود بمضنية هزلا
وقد علمت أفناء تغلب أننى نضار ولم أنبت بقرقرة أثلا
وأنى يوماً لا مضيع ذمارها ولا مفلتى هاج هجا تغلبا بطلا

وقوله :

فما يزدهينى فى الامور أخفها وما أضلعتنى يوم ناب ثقيلها
ولكن جليل الرأى فى كل موطن وأكرم أخلاق الرجال جليلها
اذا الشعراء أبصرتنى تعلبت مقاحيمها وازور عنى فحولها

شعره فى السياسة

ولا تخلو قصيدة من مدائحه فى بنى أمية من التعرض لتأييد استحقاقهم للخلافة دون غيرهم . لانهم ذؤابة قريش وسادتها فى الجاهلية والاسلام ولانهم أرجحها عقولا وأكثرها حلماً عند القدرة وأصعبها شكيمة

ومن حسن تأدبه فى سلوكه السياسى أنه لم يتعرض لبنى هاشم بقبيح ولم يشمت بقتلاهم كما شمت بقتلى أبناء الزبير مع أنه نصرانى ربعى من شأنه ألا يبالى الى أى بيت من قريش تصير الخلافة بعد أن حرمت ربيعة النبوة والخلافة

وكأنه كان يرى فى نفسه أن بنى مروان اغتصبوا الملك غصباً عند عجز العلويين عن المطالبة به بعد مقتل الحسين

ولم يتناول شعره غرضين كان من شأن أمثاله أن يرمى اليهما : أولهما الرثاء ، فقد كان فيه بكيئاً بطبعه . فقد عمر فى ملك بنى أمية طويلا . ومات فى حياته معاوية ويزيد وعبيد الله بن زياد وبشر بن مروان وعبد الملك بن مروان فلم يعلم انه رثى أحداً منهم . ورثى يزيد وهو ولى نعمته بأربعة أبيات سخيفة اللفظ والمعنى وهى :

لعمرى لقد دنى الى اللحد خالد جنازة لا كابى الزناد ولا غمر
مقيم بجوارين ليس يريمها سقته الغوادى من ثوى ومن قبر
تصيح الموالى ان رأوا ام خالد مسلبة تبكى على الماجد الغمر
اذا جاء سرب من نساء يعدنها تعرين الامن جلابيب أو خمر

وثانيهما التحدث عن النصرانية والتظاهر بشعائرها ، فلم يعرج فى شعره على شىء منها الا فى أبيات قلائل . قال فى حرب قيس وتغلب وانتصارهم على عمير بن الحباب السلمى :

ويهاً بني تغلب ضرباً ناقعاً انعوا اياساً واندبوا مجاشعا
كلاهما كان شريفا فاجعا حتى تسيلوا العلق الدوافعا
لما رأونا والصليب طالعا ومارسرجيس وسما ناقعا
وأبصروا راياتنا لوامعا كالطير اذ تستورد الشرائعا
والبيض في اكفنا القواطعا خلوا لنا راذان والمزارعا
وبلدة بعد ضناك واسعا وحنطة طيسا وكرما يانعا
ونعما لابا وشاء راتعا اصبح جمع الحي قيس شاسعا
كأنما كان غرابا واقعا

فعيره جرير بذلك من قصيدة فقال :

أفبالصليب ومارسرجس تتقي شهباء ذات مناكب جمهور

وقال من اخرى :

يستنصرون بمارسرجس وابنه بعد الصليب وما لهم من ناصر

مع أن الاخطل في كثير من المواضع يحلف بأيمان المسلمين والكعبة ومشاعر الحج وهدى الحجيج . وان حلف بشيء يتعلق بالقساوسة والرهبان فانه لا يحلف بهم ولا بكتبهم بل يحلف برب هؤلاء المتبتلين والمنقطعين للعبادة والراغبين عن نعيم الدنيا وزينتها

وعذره في ذلك واضح لان الاسلام دين العرب الغالب على جميع قبائلها وهو يعيش في كنف خليفة الاسلام

معانيه وألفاظه

كان الاخطل ينزل مع رهطه بني مالك بن جشم على ماء البشر في واد بين الخابور والفرات في بيوت من الشعر والادم . وكانت أكثر العواصم والمزارع في أيدي قيس منذ الفتح الاسلامي الى أواسط حكم عبد الملك . فلما انتصرت تغلب على القيسية في زمنه (وكان هوى عبد الملك مع تغلب لتعصبه على مضر شيعة ابن الزبير) جلا أكثر عشائر قيس عن الجزيرة وتراجعت الى شرق الشام والحجاز وانبسط لتغلب فسيح الجزيرة واعتقدوا المزارع والضياع . الا أن الاخطل كان قد أسن في ذلك فلم يستفد من معيشة الحضارة كما استفادت نابتة تغلب من بعده . وكان ينزل دمشق وافداً لا مقيما . لذلك كانت معانيه مستمدة من البيئة البدوية والحضرية . فمن ناحية بدويته كثر في اشعاره المعنى الفرد الساذج الذي لا يحتاج في إدراكه الى كد خاطر وتردد فكر . ومن ناحية حضريته اشتملت أشعاره على جملة من المعاني المركبة المشكلة في صور متعددة الاجزاء مرتبطة الاوصال مختلفة الالوان تحتاج في تصورها الى فضل تأمل واستعادة نظر أكثر مما اشتملت عليه أشعار جرير . كما

فاقه جرير فى رقة اللفظ والسجامه ولطف مدخله وحسن وقعه وسيرورته فى الآفاق

وتدارك الاخطل مافات الفرزدق وجريراً من تهذيب شعره وطرح ركيكه وتمحيص معناه وتصحيح أقسامه حتى لينبذ ثلثى القصيدة ويستبقي ثلثها . وهذا معنى قول جرير فيه : « إنه أكثرنا اجتزاء بالقليل » أى انه كان أقلهما مطولات وأقلهما سقطاً . ويمتاز عنهما بخلو معانيه من الصور والاخيلة الخبيثة التى تشيح عنها نفوس المتأدبين وذوى الاخلاق الكريمة.

ولقد ضيقت عليه النصرانية وخدمته خلفاء المسلمين مذاهب معانى الهجاء بقدر ما وسع على جرير اسلامه . فكان اذا عيره جرير بذله وانه ذمة لمضر عشيرته وبمعاقرته للخمر ورعى أمه للخنازير ، لم يستطع أن ينقض عليه ما قال ويكذبه فيه أو يعيره بشىء من رخص الاسلام أو بذم بعض شعائره ، كما لا يستطيع أن يتمجد بشعائر النصرانية لمكان سلطان الاسلام ، بل كان على نقيض ذلك يتظاهر بالتأدب بالآداب الاسلامية ويحلف بأيمانهم وبكعبتهم ومشاعر حجهم ومناسكه.

والاخطل كغيره من الشعراء الاسلاميين يغير على معانى شعراء الجاهلية والمخضرمين ويسرق معانيهم وبعض الفاظهم . فيسرق من طرفة وعنترة بعض معانيهما فى وصف الناقة ويسرق من الاعشى بعض معانيه فى وصف الخمر ويسرق من النابغة بعض معانيه فى وصف الديار والدمن وحديث النساء والنهر وركوبه.

وقدعرفنا آنفاً أنه لم يفتح عليه بمعنى جيد فى الرثاء مع أن الرثاء ضرب من المدح ، والاخطل أمدح الناس بشهادة خصومه . غير أن استدرار الدموع باستعظام الفجيعة للفرقة وتوقع زوال النعمة واستباحة الحرم بوفاة العظيم ــ أمر لا يحسنه الا رجل رقيق القلب سريع الانفعال.

وكان الاخطل كالفرزدق كز النفس جاسى القلب غليظ الكبد . وكانت الفاظه متخيرة قليلة الغريب المستبشع وأسلوبه خالياً من المعاظلة والتعقيد وكناياته قريبة اللوازم . الا أن كثرة الانحاء على شعره بالتجويد والتحرير رفعه عن أفق العامة ، فلم يسر فيهم سيرورة شعر جرير . وكأن الاخطل خشى أن يعاب بهذه الخصلة عند الخلفاء فجعلها حسنة من حسناته

قال يوما لعبد الملك : « يا أمير المؤمنين ، زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك فى ثلاثة أيام ، وقد أقمت فى مدحتك (خف القطين فراحوا منك أو بكروا) سنة ، فما بلغت كما أردت » فقال عبد الملك : « ماسمعنا يا اخطل ، أتريد ان اكتب الى الآفاق انك اشعر العرب ؟ » ، قال : « أكتفى بقول امير المؤمنين » فأجزل جائزته

احمد الاسكندري

بولونيا تزاحم اسبانيا
في اتصالها القوي بالعالم العربي

في أوربا قطر يمت الى العالم العربي بصلة قوية قديمة العهد. ويزاحم القطر الاسباني في تشابهه من ناحية الثقافة والتقاليد بالعالم العربي. وهذا القطر هو بولونيا، التى تنظر اليها بقية الاقطار الاوروبية نظرها الى دولة تجمع بين الشرق والغرب

بدأت علاقات بولونيا بالشرق منذ قيام الامارات التركية فى الأراضى الأورية وتوثقت تلك العلاقات من القرن الخامس عشر، ولكنها كانت قائمة على أسس سياسية وحربية. فان تلك الأمارات الشرقية كانت فى قتال مستمر مع البولونيين، فكان الفريقان يتحاربان، فيقع الاسرى من الجانبين، ويتبادل المتحاربون أولئك الأسرى، ويتفاوضون ويتراسلون، حتى اذا ماوضعت الحرب أوزارها فترة من الزمن، تبادل الفريقان المصالح التجارية والادبية

وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر، تغلبت الازياء الشرقية فى بولونيا على الأزياء الوطنية، فاصبح البولونيون يرتدون الملابس الشرقية، ويشيدون منازلهم ويؤثثونها على الطراز الشرقى، وحلت الدروع والاسلحة الشرقية فى بلادهم محل الدروع والاسلحة الغربية المعروفة فى ذلك الوقت. وأدت الحروب المتواصلة والمفاوضات المستمرة، الى دخول طائفة من الكلمات والتعبيرات التركية والتترية على اللغة البولونية، وما تزال باقية فيها الى الآن

ولكن علاقات بولونيا بالعالم العربى والغزاة المسلمين الذين انشأوا الممالك فى الغرب، كانت قائمة على أسس أخرى. فان بولونيا كانت بعيدة عن العالم العربى، فلم تقم علاقاتها به على أسس سياسية وحربية، بل على اساس واحد هو تبادل المنافع والمصالح الاقتصادية والعلمية والأدبية

ففى أواسط القرن العاشر، وصل الى بولونيا وفد تجارى عربى برياسة التاجر ابراهيم بن يعقوب، فاستقبله الملك اوتون الكبير، ومهد له السبل للقيام برحلة تجارية فى الاقطار الصقلبية. وقد رفع ذلك التاجر الى الخليفة العربى فى قرطبة، فى ذلك العهد، تقريراً عن رحلته تلك. ونص ذلك التقرير التجارى مدون فى كتاب للعالم الجغرافى الاندلسى «ابو عبيد البكرى» وهو سفر نفيس يحوى معلومات قيمة عن تاريخ بولونيا. ويشرح ابراهيم بن يعقوب فى ذلك التقرير حالة بولونيا السياسية والاقتصادية منذ عهد الملك ميشك الاول، ويقول إن مقاطعة بوميرانيا الواقعة على بحر البلطيك كانت فى ذلك الوقت بولونية

نعم إن ابراهيم بن يعقوب كان يهودياً ، ولكنه كان عربياً بثقافته ولغته وميوله ، وقد فتح الطريق برحلته التي اشرنا اليها امام كثيرين من التجار العرب ، الذين تدفقوا فيما بعد على بولونيا ، ووصلوا منها الى شمال البلاد السكاندينافية . وقد وجدت هناك اخيراً طائفة من النقود المحدنية ، عليها كتابات يرجع تاريخها الى عهد الخلفاء العباسيين فى بغداد

وفى القرن الرابع عشر ، انشئت فى بولونيا جامعة اسرة جاجلون فى كراكوف ، ومنشئها هو الملك كزمير الاكبر فى سنة ١٣٦٤ ، وقد اعاد تنظيمها فى سنة ١٤٠٠ الملك لادسلاس جاجلون . وهذه الجامعة لعبت دوراً هاماً فى العلاقات العلمية بين بولونيا والعالم العربى ، منذ نشأتها ، بمناسبة انتشار آراء ارسطو الفلسفية فى اوربا

وأوربا مدينة كما هو معلوم الى العالم العربى بمعرفة ذلك الفيلسوف العظيم ، إذ أن ترجمة مؤلفاته قد نقلت الى اوربا بواسطة الفلاسفة العرب فى الاندلس

وفى اللغة البولونية طائفة من الكلمات والتعبيرات العربية ، معظمها علمية ورياضية وطبية ، هندسية ، مما يدل على علو كعب العرب فى هذه العلوم ودخولها الى اوربا على ايديهم

وكانت علاقات البولونيين بالعرب قد توثقت على الخصوص بسبب قيام البولونيين بفريضة الحج الى الاراضى المقدسة بفلسطين . وقد عرج كثيرون من أولئك الحجاج على مصر وترك بعضهم مؤلفات قيمة عن الاقطار العربية التى مروا بها أو اقاموا فيها

وابتداء من القرن السابع عشر ، جعل البولونيون يقبلون بكثرة على دراسة اللغة العربية ، فخرج منهم مستشرقون قدموا للعلاقات الثقافية بين الشرق والغرب خدمات جليلة

ففى أواسط القرن السابع عشر ، ظهرت أول ترجمة بولونية للقرآن الكريم ، بقلم المستشرق بير ستاركوفيك ، وعمد بعده جماعة من التتار المسلمين المقيمين فى بولونيا الى ترجمة القرآن أيضا الى اللغة البولونية . والترجمة المنتشرة الى الآن بنوع خاص هى ترجمة جان تارك بوتشاكى

وبلغ اهتمام البولونيين باللغة العربية والشعر العربى اقصاه فى أوائل القرن التاسع عشر . وللمستشرق الفرنسى سيلفستر دى ساسى فضل كبير فى ذلك ، فان مؤلفات هذا المستشرق عن الشعر العربى والشعراء العرب انتشرت فى الاوساط الادبية فى بولونيا ، فكان من جراء ذلك ان تأثر الشعراء البولونيون بالشعر العربى . وقد نقل كاتب بولونيا الأكبر آدم ما كيفتش الى اللغة البولونية قصيدة « لامية العرب » للشنفرى ، وقصائد أخرى للمتنبى ، ونظم قصيدة سماها « فارس » نحا فيها منحى القصائد العربية

وفى الوقت الذى كان فيه الشعر العربى يغزو العقول فى بولونيا ويسحرها ، كان المستشرقون من البولونيين ينكبون على المؤلفات العلمية والفلسفية العربية ، ويخوضون عباب لغة العرب ،

فاخرجت بولونيا للعالم، فى الجيل الماضى، رهطاً من نوابغ المستشرقين

غير أن معظم أولئك المستشرقين كانوا يضطرون الى الرحيل عن بلادهم، بسبب حكم الارهاب الذى اقامته فيها الدولة الامبراطورية الروسية، ولهذا السبب نرى فريقاً من أولئك المستشرقين البولونيين قد تركوا لنا مؤلفات بلغة غير لغتهم

وأشهر المستشرقين الذين نشير اليهم، كازيميرسكي، واضع القاموس العربى الفرنسى المعروف باسمه، والذى طبع بباريس سنة ١٨٦٠ ثم أعيد طبعه فى مصر، بمطبعة بولاق الاميرية، سنة ١٨٧٥ فى أربعة مجلدات. ولكازيميرسكى أيضاً ترجمة فرنسية للقرآن الكريم طبعت بباريس سنة ١٨٥٤ وقد ترك أيضاً باللغة البولونية مؤلفات قيمة

وفى عصرنا هذا نبغ اثنان من كبار المستشرقين البولونيين، فى دروس اللغة والعلوم العربية وهما: سيجسموند سموجوجفسكي الاستاذ فى جامعة كراكوف، والذى فقدت بولونيا بموته ركناً من أركان العلم والادب والفضل. وتادى كوفالسكى، الذى ما يزال على قيد الحياة وهو أيضاً من أساتذة جامعة كراكوف

أما الأول فقد ترك مؤلفات نفيسة فريدة فى نوعها، عن انتشار الاسلام والطوائف والمذاهب الاسلامية فى افريقا الشمالية

وأما الثانى فانه منصرف الى درس الثقافة العربية وتطور اللغة والعادات والتقاليد والعلوم قبل الاسلام وبعده، فى جميع الاقطار الناطقة بالضاد. ويخصص الاستاذ كوفالسكى شطراً من مجهوده العظيم للشعر العربى فى مختلف العصور، ومن ثمرات يراعه التى يشار اليها على الخصوص ترجمة ديوان قيس بن حطيمة، الذى تم طبعه، وديوان كعب بن زهير، الذى ما يزال الاستاذ كوفالسكى يعمل فيه إلى الآن. وله أيضاً مؤلفات كثيرة فى الشعر العربى فى الجاهلية والاسلام وفى عكاظ والشعراء المخضرمين وشعراء العصر الحاضر. فالاستاذ كوفالسكى مرجع من المراجع العليا، الموثوق بها، فى كل ما يتعلق بالشعر العربى والثقافة الاسلامية فى جميع العصور. وهو مفخرة من مفاخر بولونيا صديقة العرب وأحد مواطن المسلمين فى الغرب

ومما يسر كل عربى ان يعلمه فى هذه المناسبة، ان درس اللغة العربية منتشر انتشاراً عظيما فى بولونيا، فى عصرنا هذا، وان فى الجامعات البولونية كلها فصولا خاصة لدراسة هذه اللغة

وقد أفاقت بولونيا الآن من سباتها العميق واسترجعت حريتها واستقلالها فانطلقت من جديد فى ميدان الرقى والعمل بقيادة زعمائنا الابرار الاوفياء. فكان أول ما أقدمت عليه حكومتها الفتية الحاضرة استئناف العلاقات الادبية والعلمية والفكرية بالعالم الاسلامى شرقاً وغرباً. فاللغة العربية تجد الآن فى جامعات بولونيا موئلا هو فى الواقع من معاقلها الحصينة. فبولونيا ـ فى بلاد الغرب ـ مركز الثقافة العربية ولغة العرب

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

نحن خير من أجدادنا

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
سكريبنر بقلم الأستاذ تشارلس رسل]

تسمع من وقت الى آخر جماعة المتشائمين ينذرون بالويل والثبور ويقولون إن الانسان سائر فى طريق الشر وإن الاجتماع آيل إلى الفوضى والاضطراب . ولقد تشعر بتلك الفوضى وبذلك الاضطراب فى كل ما يحيط بك مع أنك لو تروبت فى الامر وأمعنت النظر فيه لعلمت أن الاجتماع ليس سائراً الى أردأ وأن النظام العمرانى ليس اليوم أحط مما كان منذ بضعة عقود بل هو يرتقى ويتحسن بالتدريج

والمجال لا يتسع لضرب الامثلة على ذلك . ولكن فى بعض تلك الامثلة ما يكفى للدلالة على صحة ما نقول . خذ الحالة الاجتماعية فى بعض أنحاء الولايات المتحدة مثلا . فقد كانت منذ خمسين سنة من أردأ ما يستطاع تصوره . كان العامل يشتغل عشر ساعات فى اليوم ولا أمل له باصلاح حالته ولا رقابة على المعامل ولا على الشروط الصحية ولا وسائل للوقاية من الاخطار والاصابات . وإذا أصيب بسوء فى أثناء عمله لم يمنح مكافأة ولا يهتم به أحد . ولم يكن للنساء العاملات والاولاد فى تلك المصانع أى رجاء بتحسن الاحوال ولا كان أحد يعنى بمصائب الآخرين . وكانت المدن ملأى بالاحياء القذرة وهي بؤرة للمجرمين والاشقياء ، والبوليس لا يحرك ساكنا لتطهيرها أو لاصلاحها . ولم يكن الفساد منتشراً فى الدوائر الاجتماعية فقط بل فى الدوائر السياسية والحكومية أيضا . فلم يجر انتخاب نيابى أو خلافه إلا والرشوة والغش والخداع من مستلزماته . ولم يكن السائر يمر فى شارع من شوارع المدن الا ويراه غاصا بالحانات وأندية الميسر ودور الخلاعة . أما المجرمون واللصوص وقطاع الطرق فحدث عنهم ولا حرج . فقد كانوا يملأون المدن ويغشون المجتمعات ولا يحسبون للحكومة حسابا

كذلك كنت ترى آثار الفوضى والفساد حيثما أدرت طرفك . فالشركات والمعامل والنقابات والسكك الحديدية وغيرها كانت تفعل ما تريد كأنها الحاكم بأمره ، إذ لم تكن ثمة قوانين

تقيدها . وكانت تلك الجماعات ترشو الصحف لتسكت عنها ثم تفعل ماتشاء . وكان باعة السلع والمواد الغذائية يستبدون بالناس على قدر ما يستطيعون

أضف الى ذلك أن الشؤون الدولية والسياسية كانت تدار بالاساليب القديمة كما كانت منذ عصور الفراعنة، وكان الجميع ــ ماعدا بعض الخياليين ــ يعتقدون أن الحرب ضرورة لابد منها وأن الاجتماع لاتقوم له قائمة بدونها

أما الآن ؟ . . .

يقول المتشائمون ان الحالة اليوم اردأ مما كانت ، وأن العلاقات الدولية ليست فى تحسن ، وإن عصبة الامم هي اسم لغير مسمى ولا تستطيع أن تفعل شيئا بدليل أنها لم تستطع منع الحرب بين الصين واليابان، وبدليل أن بعض الدول قد خرجت منها وبعض الدول الاخرى تأبى الانضمام اليها . وقد تكون هذه الحجج على شئ من الوجاهة ولكن عصبة الامم لم تهمل الواجب المفروض عليها بل صرحت وتمسكت بمبادئها السامية ، واقترحت على بعض الدول أن تحل ما بينها من المشاكل بالطرق السلمية بدلا من ان تحلها بالسيف والمدفع .ولئن كانت قد فشلت فى بعض الاحيان فان مساعيها فى حد ذاتها دليل على تقدم الاجتماع وارتقاء المبادىء . نعم انه تقدم بطيء ولكنه حقيقى . واذا لم يكن للوسائل السلمية شأن فى هذا العصر فسيكون لها الشأن الاعظم فى المستقبل

فى سنة ١٨٤٢ نصبت بريطانيا العظمى الحرب للصين بسبب تجارة الافيون . فلم يعبأ أحد بتلك الحرب . أما اليوم فلا بريطانيا العظمى ولا دولة اخرى تستطيع ان تشهر الحرب على غيرها إلا بعد ان تستنفد كل وسائل الاقناع والمناقشة

وفى سنة ١٧٩٨ كانت انجلترا تحكم ارلندا بكل قسوة حتى انها كانت تشنق علنا كل من يطالب بالاستقلال . اما اليوم فان الارلنديين يطالبون علنا بفصل بلادهم عن انجلترا

وأغرب من ذلك ان السفراء الاميركيين فى انجلترا وفرنسا واسبانيا اجتمعوا مرة فى اوستاند ووقعوا منشوراً رفعوه الى الحكومة الاميركية وطلبوا منها ان تعرض على الحكومة الاسبانية ان تشترى منها (اميركا) جزيرة كوبا لاغراض النخاسة فاذا ابت اسبانيا ان تبيعها تلك الجزيرة تشهر اميركا عليها الحرب وتأخذ منها تلك الجزيرة غصبا

تلك كانت مبادىء السياسة الدولية فى ذلك العصر . فهل تجرؤ اليوم أية دولة أن تفعل مثل ذلك ؟

كلا والف كلا . فلا تقل اذن ان العالم سائر الى الفوضى والفساد لانه فى الحقيقة سائر فى طريق الرقى والاصلاح . وحالة الاجتماع أفضل اليوم مما كانت عليه منذ خمسين سنة . فعواطف الرحمة والشفقة والعدل والصدق والاخلاص أرقى مما كانت . ولا ينقص من قدر هــذا القول ما وقع من

الفظائع فى الحرب العظمى الماضية . بل لقد تمخضت تلك الحرب عن نظام دولى يراد منه منع الحروب والحيلولة دون فظائعها وويلاتها

ولا شك أن كل هجوم يقوم به زعماء الاجتماع على معاقل الشر والفساد يؤدى الى ترقية العمران . نعم قد يخيب ذلك الهجوم وينتهى الى الفشل ، ولكنه لا بد أن يترك وراءه أثراً حميداً ، اذ ما من جهد يذهب سدى فى هذا العالم . ولقد يستطيع الظالمون اسكات أصوات المظلومين ، ولكن تلك الاصوات لابد ان توقظ ضمير الانسانية فيما بعد . والاصلاح ليس عملا بسيطا يمكن انجازه فى يوم واحد بل هو عمل تدريجى يقتضى وقتا طويلا . ولا يمكن ان يضيع اثر اى عمل صالح فى العالم . نعم لقد يتجاهل البشر ذلك الاثر او يتناسونه ردحا من الزمن ولكن بزوره لا تموت

انظر الى حوادث التاريخ . لقد كانت الثورة الخاصة « بماجنا كارتا » فى انجلترا سببا فى الحكم على الكثيرين بالموت . وما اكثر الذين هربوا من انجلترا بسببها حتى زعمت الحكومة انها قد اجتثت جذور الثورة من أصولها ، ولكن الزمن دار دورته ونال الشعب الانجليزى الدستور الذى كان يطالب به

وهكذا قل فى حوادث كثيرة . فالثورات الاصلاحية لا بد من نجاحها وان منيت بالفشل فى أول الامر . والنجاح لا يتم فى الغالب الا بطيئا ، ولكنه حقيق لا شك فيه

ليس العجب ان الاجتماع فاسد الى هذا الحد وان الشر منتشر بهذا المقدار ، بل العجب كل العجب ان الحالة ليست أسوأ مما هى . فانا كان الانسان مع ما يحيط به من اصناف الشر والفساد والقسوة والهمجية والنزعات الآثمة ، ما زال يقدر مبادىء السلام والامانة والرحمة والاخاء حق قدرها ، ففى ذلك ما يجب ان يحملنا على الفخر والاعجاب ، لا ما يدفعنا الى التشاؤم من المستقبل حقا ان العالم سائر فى سبيل السلام بخطوات بطيئة ولكنها ثابتة

حقائق يجهلها الكثيرون

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة اميركان
ليجيون بقلم فريدريك كيلى]

تدل المباحث والاحصاءات الدقيقة المتعلقة بالزواج على اشياء كثيرة يجهلها سواد الناس . وفيما يلى بعض تلك الحقائق نوردها على سبيل الايجاز :

فمن ذلك أن الرجل الذى يعرض نفسه لفتنة الارملة ودلالها قلما ينجو من الوقوع فى شرك غرامها . بخلاف الذى يعرض نفسه لفتنة فتاة حسناء غير متزوجة فان افتقارها الى الاختبار الذى تمتاز به الارملة يساعد الشاب على استدراك نفسه والنجاة من ذلك الشرك

ولا يخفى ان المرأة اذا تقدمت فى السن اعتاضت بالتيه والدلال والخبرة عما افقدتها اياه الايام . وفى هذا سر تفوق الارملة على الفتاة غير المتزوجة وفوزها عليها فى ميدان التنافس على الشبان . وتدل المباحث الدقيقة التى قام بها بعض الباحثين على ان حظ الارملة او املها بالزواج وهي بعد فى سن الاربعين لا يقل عن حظها او املها يوم كانت ما تزال فى الخامسة والثلاثين . حالة ان الفتاة غير المتزوجة اذا بلغت الاربعين فان املها بالزواج يهبط الى نصف املها به يوم كانت فى الخامسة والثلاثين . اضف الى ذلك ان عدد الارامل اللواتى يتزوجن مرة ثانية وهن بين الخامسة والثلاثين والاربعين لايقل عن عدد من يتزوجن منهن بين الخامسة والعشرين والثلاثين.

وتدل الاحصاءات ايضاً على ان الارامل هن اقدر من الفتيات العوازب فى اقتناص ازواج اصغر منهن سناً . وغنى عن البيان ان الشاب يأنف عادة من ان يتزوج فتاة اكبر منه سنا ولا سيما بعد مجاوزته الخامسة والثلاثين . فاذا تزوج من هي اكبر منه سناً فلانها تفتن لبه الى حد انه يتناسى سنها وينقاد الى سحرها

وتدل المباحث ايضا على أن لتشابه الاخلاق تأثيراً كبيراً فى تصميم الرجل على الزواج . فالشاب يحب الفتاة التى تفكر مثل تفكيره ، والتى لها رأى فى معظم الاشياء شبيه برأيه . وهذا يعلل ما قد يمتاز به الزواج احيانا من الملل . وعند العامة اعتقاد خطأ وهو ان الرجل يميل الى الاقتران بمن تختلف عنه فى الصفات والاخلاق . على أن الاختبار يثبت أن سواد الرجال يفضلون الاقتران بمن ليس بينهم وبينهن خلاف كبير فى الخلق والخلق . فالشاب مثلا يكره أن يتزوج فتاة أطول منه قامة . فاذا تزوجها فالارجح أنها من الذكاء بحيث لا يهمه طول قامتها وأنها استخدمت ذكاءها بدهاء عظيم بحيث أنه لم يشعر بالفارق بينه وبينها . والارجح أيضاً أنه هو نفسه من الذكاء بحيث لا يدع كرهه للمرأة الطويلة يتغلب عليه.

ويؤخذ من الاحصاءات أن عدد الارامل من النساء فى العالم يكاد يكون ضعفى عدد الارامل من الرجال . لان المرأة تعمر أكثر من الرجل ولان الرجل يكون عادة أكبر سناً من زوجته فمن الطبيعى أن يموت قبلها.

وتدل الاحصاءات أيضاً على أن شهر يونيو هو أوفر أشهر السنة حظاً من الزواج ويليه شهر اكتوبر . وان سوق الزواج تكون على اشدها كساداً فى شهرى مارس وديسمبر من كل سنة . ولعل سبب ذلك أن المرء أكثر تفكيراً فى لوازم الحياة فى أشهر الشتاء منه فى أشهر الصيف . فهو فى الشتاء يفكر مليا فى شؤون الثياب والدفء والاكل اكثرمما يفكر فى تلك الشؤون فى أشهر الصيف.

وخاتمة القول ان المواليد فى شهر مايو اكثر منها فى أى شهر آخر من أشهر السنة فى جميع انحاء العالم . وليس لذلك تعليل علمى حتى الآن

خرافة مساواة الشعوب

[خلاصة مقالة نشرت في جريدة
الطان للاستاذ لابورد]

يعلم القراء نظرية الهر هتلر رئيس وزارة المانيا بشأن الاجناس الآرية والسامية وهى النظرية التى أدت الى استحكام الخلاف بينه وبين اليهود . وليس هتلر صاحب هـذه النظرية بل هو أحد أتباعها . ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا ان واضعها هو الاستاذ فاشى ديلابوج (Vacher de Lapouge) العالم الانتربولوجي الفرنسى الشهير ، وانه هو الذى أوحى بها لهتلر ونجد فيما يلى خلاصتها نقلا عن جريدة الطان . قال الكاتب بعد مقدمة وجيزة :

وضع فاشى ديلابوج نظرية فلسفية بناها على مبدأ تنازع الاجناس . وكان العلامة جوبينو قد سبقه الى هذا البحث وانتهى منه الى القول بتفوق الجنس الآرى . الا أن ديلابوج بدلا من أن يبنى نظريته على اعتبارات تاريخية كما فعل جوبينو ، بناها على الفلسفة الداروينية متتبعاً تاريخ الاجناس الآرية فى بلاد فارس واليونان والغال والجرمان

يزعم هذا الاستاذ أن لشكل الجمجمة قيمة عظيمة فى تاريخ الشعوب . وما تاريخ الشعوب فى نظره سوى نزاع طويل بين أصحاب الجماجم المستطيلة (أى الشعب الآرى) وأصحاب الجماجم القصيرة . واذا تتبعنا تاريخ فرنسا نجد انه مظهر من مظاهر انتصار الجنس الهجين ذى الجمجمة القصيرة ، ذلك الشعب الذى أوقد جذوة الثورة الفرنسية المشهورة دفاعاً عن مبدأ المساواة الذى يعتبره ديلابوج خطأ ويحسبه جوبينو خيالا

ترى ما هو مستقبل هـذا الجنس ؟

يزعم جوبينو أنه آخذ فى الانقراض وان انقراضه مؤذن بزوال الحضـارة . ويذهب ديلابوج أيضاً هذا المذهب ، ولكنه يرى أن فى الامكان تلافى هذه الكارثة ، وقد كتب فى ذلك يقول : « ان جوبينو قد أدرك مبادىء فلسفة التاريخ حق الادراك ، ولـكن فاته ناموس الانتخاب الطبيعى ومدى تأثيره فى تكوين الحضارة » . وهذا الناموس يعمل بلا فهم ولا ادراك ، وكثيراً ما يؤدى إلى بقاء الاردأ ، كما ان النقود الرديئة ـ بحسب ناموس الاقتصاد السياسى ـ تطرد النقود الجيدة . وقد كانت الاديار والصوامع فى العصور الوسطى تجتذب كبار العلماء والفلاسفة فينقطعون فيها لخدمة العلم ولا يتزوجون ، فيخسرهم العالم ويبقى من هو دونهم ، أى ان البقاء لم يكن للفريق الاصلح

ويدعى ديلابوج ان اليهود هم المنافسون الوحيدون للجنس الآرى فى السعى لاخضاع العالم

وبسط السيادة عليه . وهو لذلك يظهر لهم كرهاً شديداً . ويظهر أن هتلر قد اقتبس عنه نظريته هذه وكرهه للشعوب السامية . وفى الواقع ان مؤلفات ديلابوج معروفة ورائجة فى المانيا منذ سنة ١٨٩٠ وكان الامبراطور غليوم من المعجبين بها ، وقد قال مرة : « ان الفرنسيين لا ينصفون . فان فاشى ديلابوج رجل عظيم ومع ذلك يجهلونه »

وقد أفضى ديلابوج بحديث إلى أحد كتاب الصحف فقال : « ان الجنس الآرى قد قام بنصيب عظيم فى بناء صرح المدنية الحاضرة وكان أثره عظيما جداً فى انجلترا وأميركا وأقل وضوحا فى المانيا . وقد تعمد الالمان الاساءة إلى الحقيقة فنسبوا الى جوبينو النظرية القائلة بتفوق الجنس الالمانى فخلطوا بين الجنس النوردى والشعب الالمانى مع ان هـذا الشعب هو كالشعب الفرنسى خليط من أجناس كثيرة ، وانما يختلف عنه بكونه ما يزال يحتفظ ببقية من صفات الشعب الآرى وعناصره

ويقول ديلابوج إنه لاينكر تفوق الجنس النوردى (الآرى) ولكن لا يجوز اثبات هذا التفوق بالبطش والتنكيل بالأجناس الاخرى . واليك ماقاله لكاتب هذه السطور :

« لقد اكتشف داروين مبدأ الانتخاب الطبيعى وأيده بأدلة كثيرة . وجاء بعده جالتون فطبق ذلك المبدأ على نظم الاجتماع . وقد شرحت ذلك كله فى الكتب التى نشرتها فى سنتى ١٨٨٠ و ١٩١٠ وفى الخطب التى القيتها فى جامعة مونبليه حيث كنت استاذاً لعلمى الانتروبولوجيا والانتروبولوجيا الاجتماعية . وقد أخذ هتلر بنظرية الانتخاب الطبيعى كما شرحتها فى مؤلفاتى المذكورة الا انه حولها الى وجهة عسكرية ، مع أن الدكتور الاستاذ بجامعة فينا هو من أحد اتباعى وهو من أوثق الناس اتصالا بهتلر ، وكذلك الدكتور فريك وزير الداخلية وقد وضع برنامجا لترقية الشعب الالمانى على مبادىء نظرية انتخاب النسل كما بسطتها فى كتبى . وهـذه المبادىء تقوم على عاملين لهما صلة وثيقة بناموس الوراثة (أولهما) منع تناسـل غير المرغوب فيهم (وثانيهما) الاكثار من العناصر الراقية فى الجنس . وهذان الامران هما عكس ما يقول به أنصـار الانسانية الكاذبة . وفى الواقع ان المفروض علينا رفع مستوى الانسان الى أوج الكمال . وليس من الحكمة اضاعة الوقت سدى فان عوامل الفساد والانحطاط تقضى بسرعة على عناصر الرقى ، والاجتماع فى حاجة الى العقول الكبيرة لتدفعه الى الامام وترفعه الى مستوى الكمال . وهذا لا يمكن أن يتم مع وجود عوامل الفساد والانحطاط التى تعوق سيره

« ان مبدأ انتخاب النسل يجب ان يكون ديانة الانسانية الجديدة ، وهو معمول به اليوم فى أنحاء كثيرة من أوربا الا فى فرنسا والبلدان اللاتينية . وأعتقد انه لن يمضى ردح من الوقت حتى تدرك جميع حكومات العالم أن من أول واجباتها المحافظة على عنـاصر الرقى والتفوق فى بلادها . أما القول بتساوى البشر فخرافة لا يسلم بها عاقل »

جولة بين الافلاك

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة مكول
بقلم الاستاذ موريس ماركي]

أورد الكاتب مقدمة وجيزة لمقاله شرح بها مرصد مونت ويلسون الفلكي وهو أكبر مراصد العالم في الوقت الحاضر . وفيه مرقب (تلسكوب) يبلغ قطر عدسته مائة بوصة . وليس في العالم كله مرقب يوازيه . ثم انتقل الكاتب الى وصف ما تستطيع العين رصده بذلك المرقب فقال :

إذا نظرت من خلال عدسة هذا التلسكوب الى قبة الفلك وقع نظرك على ما لايقل عن الف مليون من النجوم ، مع أن العين المجردة لا تستطيع أن ترى فى الليلة الصافية أكثر من ستة آلاف نجم فقط . وإذا أدرت التلسكوب الى جهة السديم المعروف بالمرأة المسلسلة رأيت مجموعة من الكائنات تتألف من ملايين من الاجرام السماوية وكأنها قد تكدست بعضها فوق بعض فبدت بشكل غمامة كان العرب يسمونها لطخاً سحابية يضرب لونها الى البياض كالمجرة . والسديم المذكور يبعد عن عالمنا نحو مليون سنة ضوئية . واذا تذكرت أن النور يسير بسرعة ١٨٦ الف ميل فى الثانية أدركت بعد ذلك السديم عن عالمنا الارضى

وفى فضاء الكون ملايين من أمثال هذا السديم ويكاد كل سديم منها يكون أكبر من مجموعة العوالم المعروفة عندنا بالنظام الشمسى ، والتى تعتبر كرتنا الارضية جرماً منه . وبعض تلك السدم يندفع فى الفضاء بسرعة عشرة آلاف ميل فى الثانية . وفى بعضها شموس هائلة لا يستطيع ان يتصور العقل جرما أكبر منها فان قطر بعضها يبلغ مائتى مليون ميل

ولندر المرقب قليلا الى جهة مجموعة النجوم المعروفة عند علماء الفلك بكوكبة الجاثى أو الراقص ففى هذه المجموعة نحو الف ومائتى نجم . والكوكبة كلها تبعد عنا نحو ثلاثين الف سنة ضوئية . وفيها ١١٣ كوكبا من مختلف الاقدار . وفى وسع العالم الفلكى أن يحدد حجم كل جرم من هذه الاجرام وان يقيس درجة حرارته وأن يعلم جميع العناصر والمواد التى يتألف منها

ومما يجدر بالذكر ان المرصد الذى نحن بصدده مقام على قمة جبل ويلسون على ارتفاع ستة آلاف قدم عن سطح البحر . والعلماء الذين يقيمون به هم أشبه باناس منفيين عن العالم قد انقطعوا للبحث والرصد والاستقراء بعيدين عن جميع مظاهر المدنية

ومن هؤلاء العلماء ستة قد وقفوا أنفسهم على درس كل ماهو خاص بالشمس وبالكلف أو اللطخ التى تعلو سطحها . وأحدث النظريات عن هذه الكلف هى انها غازات تخرج من جوف الشمس وهى من نوع غير قابل للالتهاب ، إذ لوكانت ملتهبة لامتزج لهيبها باشعاع الشمس وضاع أثرها . وهذه الغازات تنبعث من باطن الشمس فى أوقات معينة ، وقد أثبت العلم انها تؤثر فى جو الكرة

الارضية وفى الكائنات النباتية والحيوانية تأثيراً عظيما . وجميع الاضطرابات الكهربائية المغناطيسية التى تقع فى الجو هى مسببة عنها . كما انها تحدث أثراً محسوساً فى الكهربائية السلكية واللاسلكية

ولندر المرقب مرة أخرى حتى تقع عدسته على السيار المعروف بالزهرة (بضم الزاى وفتح الهاء) والغربيون يسمونه «فينوس» . ولا يختلف حجمه كثيراً عن حجم كرتنا الارضية، وبعده عن الشمس أقل قليلا من بعد الأرض عنها . ولهذا لا يختلف جوه كثيراً عن جو الارض وهذا ما يحمل علماء الفلك على القول باحتمال وجود كائنات حية فيه أشبه بالكائنات الحية على كرتنا الارضية . على أن هذا القول لا يخرج عن حد الحدس والتخمين . وفى الواقع اننا لا نستطيع أن نبدى حكما قاطعاً بشأن الزهرة لان الغيوم تكتنفها على مدار السنة ولم يتمكن أحد حتى الآن من رصد سطحها

والكلام على الزهرة يحدونا الى الكلام على المريخ . ومع أن بعض علماء الفلك يميلون الى القول بوجود الحياة العاقلة فى المريخ فليس هنالك مايؤيد هذا القول . ورصد هذا السيار يدل دلالة أكيدة على ان جوه بارد برداً شديداً بسبب بعده عن الشمس، فهو يبعد عنها نحو ١٤٢ مليون ميل . على ان القرائن العلمية تدل على وجود بخار مائى فى جوه فان الغيوم تظهر فيه وتختفى وتكثر وتتناقص . كما أن على سطحه خطوطاً عرضية متوازية يعتقد البعض انها قنوات مائية عظيمة من صنع مخلوقات عاقلة . وليس فى استطاعة العلم تأييد هذا الزعم أو نفيه فى الوقت الحاضر

ولندر المرقب الى زحل وهو يسبح فى الفضاء بحلقاته الثلاث وهى حلقات مترا كزة تبدو للناظر كأنها واحدة فى مستوى واحد لأن كل حلقة منها داخلة ضمن الاخرى وهى أصغر منها وليست هذه الحلقات غازات أو سوائل محيطة بذلك السيار، بل هى دقائق من المادة تدور حول المريخ كما يدور القمر حول كرتنا الارضية . وتبعد حافة الحلقة الصغرى الداخلية عن سطح المريخ سبعة آلاف ميل . وتختلف كل حلقة عن غيرها بكثافة المادة التى هى مركبة منها . والحلقات رقيقة جداً، وتكون حافتها متجهة الينا مرة كل خمس عشرة سنة بحيث لا تبصرها العين الا خطاً دقيقاً . وبين كل حلقة والتى تليها فراغ يسمى فراغ كاسينى نسبة الى كاسينى الفلكى الايطالى الذى اكتشفه سنة ١٦٧٥

ولندر المرقب مرة أخرى الى الجوزاء . فماذا نرى ؟

نرى مجموعة هائلة من الشموس لا يقل حجمها عن حجم مليون شمس متكدسة فى شمس واحدة . ويكاد من ينظر اليها بالتلسكوب يخيل اليه انه يسمع أجيج لهيبها الهائل يشتعل منذ بدء الزمن وسيظل يشتعل كذلك الى الابد — الى ذلك اليوم الذى سيفنى فيه الزمن . وقد قال السر جيمس جينز العالم الفلكى المشهور : ان منكب الجوزاء أكبر شىء يعرفه العلم . والايلكترون أصغر جواهر المادة . والانسان وسط بينهما . فنسبة حجم الجوزاء الى حجمه كنسبة حجمه الى حجم الايلكترون . وفى فضاء الكون نجوم لا عداد لها ولا يقل عددها عن عدد حب الرمل

المشي في النوم

[خلاصة مقال نشر في مجلة
اميركان ويكلي بقلم منشيء المجلة]

كان الافتنانت جون فولى من أطباء الجيش البحرى الاميركى يقضى مرة شهر العسل مع عروسه فى أحد فنادق نيويورك . وفى صباح يوم من أيام ذلك الشهر وجده ندل الفندق ملقى على الارض وقد سقط من الطبقة الثالثة وكسرت ساقه . وقد ظن فى أول الامر أن المسألة جناية . ولكن ثبت فيما بعد أن الافتنانت فولى كان مصاباً بمرض « السمنومبوليسم » أى المشى فى النوم

ومنذ عهد غير بعيد وقعت فى نيويورك حادثة أثارت اهتمام الرأى العام . فان رجلا يدعى « دواين » اتهم بقتل صديق له يدعى ديفيس . ولكن المحلفين حكموا ببراءته عندما ثبت أن المتهم قتل غريمه وهو فى حالة السمنومبوليسم ، إذ نهض من سريره وهو نائم وأخذ مسدسه وذهب الى غرفة ديفيس وقتله

ووقع مثل ذلك لالفريد موريسون من أهالى ولاية نيويورك إذ نهض ذات ليلة من سريره وسار الى غرفة زوجته وهو نائم واطلق عليها رصاصة فقتلها وعاد الى سريره وهو لايدرى ما جنته يداه. ولما علم المحلفون بحقيقة ما فعله حكموا ببراءته

ووقع للمستر جيمس لايل من أهالى ولاية كنساس حادث يدعو الى أشد الاسف . ذلك انه هب من نومه ذات ليلة مذعوراً وقد سمع وقع خطوات فى غرفته ثم رأى شبحاً يتقدم نحوه . فما كان منه إلا أن صوب نحوه مسدسه وارداه قتيلا . وما كان أشد ذعره عندما علم أن القتيل زوجته وقد كانت معتادة ان تمشى فى نومها

ونهض فريدريك ستوكويل من أهالى انجلترا ذات ليلة من نومه وعمد الى سكين ذبح بها زوجته وقطعها ارباً ارباً . وثبت بعد ذلك انه ارتكب جريمته وهو فى نومه . ولكن المحلفين حكموا بوضعه فى مستشفى المجاذيب خيفة أن يكرر جريمته ويقتل شخصاً آخر

واتفق منذ مدة أن بوليس مدينة ليون بفرنسا كاد يغلب على أمره لان شخصاً مجهولا كان يكتب رسائل بريدية ويبعث بها الى زوجات بعض كبار رجال المدينة يخبر كلا منهن بصيغة واحدة وبخط متماثل ان زوجها قد اتخذ الكاتبة التى عنده حظية . واتفق أن هذه التهمة كانت صحيحة فى بعض الاحيان فاحدثت تلك الرسائل ضجة عظيمة وحيرت رجال البوليس . وبعد بحث وعناء كبيرين ثبت أن فتاة كانت فى خدمة احدى الشركات المالية ثم استغنى عنها ، خيل اليها ان عدواً يغار منها قد كتب الى زوجة المدير يحذرها من علاقة زوجها بها . واستولى هذا الاعتقاد على هذه البائسة وكانت مصابة بمرض النوم . فصارت تنهض كل ليلة من نومها وتكتب رسالة الى زوجة مدير شركة من

الشركات تحذرها من « سكرتيرة » زوجها . وظلت على هذه الحال تكتب كل ليلة رسالة فى هذا المعنى الى أن ابصرها أحد رجال الشرطة ذات ليلة تسير فى الشارع حافية ولابسة جلباب النوم حتى وصلت الى صندوق البريد الموضوع فى الشارع وألقت فيه الرسالة المعتادة وثبت انها كانت تفعل ذلك كل ليلة وهى فى حالة سنومبوليسم

والامثلة من هذا القبيل كثيرة لاتقع تحت حصر . وقد كان المشى فى النوم معروفاً عند الاقدمين وكانوا ينسبونه الى الشياطين والارواح الشريرة . ومن الطبيعى أن العلم الحديث ينكر هذه النظرية . والمعروف عن الذى يمشى فى نومه انه لايعرف الخوف مطلقاً فهو يمشى فى الاماكن الخطرة التى لايجرؤ على السير فيها فى ساعات يقظته . على أنه ليس صحيحاً انه يستطيع أن يمشى على الحبل أو على قمة حائط عال رفيق . نعم انه يستطيع الاحتفاظ بتوازن جسمه على وجه مدهش ، ولكن الذى يساعده على ذلك عدم ادراكه الخطر المحدق به . ولو كان يعلم ما يفعل لأفقده الخوف توازنه وجعله يهوى الى الارض

ومن المزاعم غير الصحيحة أيضاً قولهم اننا اذا تركنا الرجل الذى يمشى فى نومه يفعل مايريد ولم نعترضه فلن يصيبه أذى وأنه إذا أوقظ فجأة فقد يصاب بصدمة شديدة وربما مات . على أن الاختبار قد أثبت أن الكثيرين ممن يمشون فى نومهم قد يقعون من مكان عال ويموتون من دون أن يتعرض لهم أحد . ومن الجهة الاخرى قد أثبت الاختبار ان الماشى فى نومه اذا أوقظ لايصاب بالضرورة بمكروه . والشواهد على ذلك كثيرة لايتسع لها المجال . انما نذكر منها هذا الحادث وخلاصته أن نوتياً فى أحد المراكب الانجليزية كان مصابا بمرض السنومبوليسم من دون أن يعلم رفاقه بذلك . وفى ذات ليلة نهض من سريره وصعد الى ظهر السفينة وفجأة سقط الى الماء فايقظه برد الماء من نومه فتمسك بحبال السفينة وصعد اليها وذهب الى غرفته حيث ابدل ثيابه المبللة ولم يصب بمكروه

ومما أثبته الاختبار أن الذى يمشى فى نومه قلما يفعل ذلك وهو فى وطنه وبين أهله وانما يقع له ذلك عندما يكون متغرباً بعيداً عن قومه . والمصابون بالسنومبوليسم يعلمون هذه الحقيقة وتتكرر حوادث مشيهم فى النوم عندما يكونون على سفر . وهنالك عدة شواهد تدل على أن المصاب بالسنومبوليسم كثيراً مايمشى فى نومه مسافات طويلة جداً قد تبلغ عدة أميال ثم يعود الى مكانه قبل ان يستيقظ من نومه . وروى أحد الاطباء أن رجلا مصابا بهذا المرض كان ينهض فى بعض الليالى فيلبس ثيابه وهو مايزال نائماً ويذهب إلى محطة السكة الحديدية فيشترى تذكرة ويركب القطار وفى صباح اليوم التالى يجد نفسه فى مدينة غير المدينة التى كان فيها فى الليلة الماضية

وتدل الاحصاءات الطبية على ان اثنين فى كل مائة الف من الناس معرضون لمرض السنومبوليسم أو هم مصابون به ، وان عددهم آخذ فى الازدياد بسبب ازدياد اشغال البال وكثرة هموم الحياة . وأحسن علاج لهذا المرض هو الراحة والهدوء والعيشة البعيدة عن كل ما يكدر أو ينغص

المتجرون بالاسرار

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ميروار
دى موند بقلم الاستاذ جورج فيرال]

فى اوربا – بل فى سائر انحاء العالم – طائفة خطرة من المرتزقة هم حرب على بعض الحكومات. وعدتهم عين نقادة واذن منصتة وفكر ثاقب وآلة تصوير فوتوغرافية . هـذا هو كل ما يحمله الجاسوس للقيام بمهمته ، وهو لا يسعى الى الحصول على المال بطريق السرقة او الاكراه وانما يسعى للوقوف على اسرار الغير ليقدمها لرؤسائه او ليتاجر بها

وفى الواقع انه ليس فى العالم مدينة او مركز صناعى او تجارى او سياسى او حربى الا وله اسرار يتمنى الكثيرون الحصول عليها اما بقصد المنافسة او التفوق السياسى او الحرب

فمن امثلة ذلك ان مصنعاً للزجاج بمدينة ايكس لاشابيل فى فرنسا كان قد وفق الى استنباط نوع من الزجاج يعرف « بالمصفح » لان رصاص البنادق لا يخترقه . وكان سر هذا الاختراع مدوناً فى سجلات موضوعة فى خزانة خاصة لا تصل اليها الايدى . ولكن اتضح بعد زمن ان شاباً حصل على نسخة من تلك السجلات وباعها لاحد مصانع الزجاج الاوربية

والجواسيس الدوليون طائفة من المرتزقة يشتغلون فى خدمة كل من يستأجرهم . والمعروف الآن ان فى اوربا نحو عشر شركات تقوم بمهنة التجسس لحساب كل من يطلب منها ذلك وان فى وسعها الحصول على المعلومات والاسرار والبيانات التى تطلب منها سواء فى الدوائر السياسية او الحربية او الصناعية او التجارية . وللشركات المذكورة فروع منتشرة فى جميع انحاء العالم

وعمال هذه الشركات من المقدرة والذكاء بحيث انهم يخترقون الابواب الموصدة والاسوار المغلقة ويصلون الى غاياتهم بوسائل مختلفة

وما تزال مدينتا براغ وفينا من اهم مراكز الجواسيس فى اوربا . وقد كان المعروف حتى عهد قريب ان فى فندق من افخم فنادق فينا غرفة خاصة هى بؤرة للجواسيس . وسبب اختيار هذا الفندق هو كثرة من يختلف اليه من رجال الحرب والسياسة والاعمال المختلفة وسهولة الاتصال بهم وانتزاع الاسرار منهم

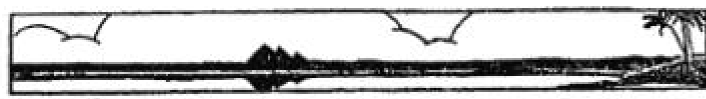
وفى مدينة ستوتجارت ايضاً شركة خطيرة للتجسس لها فروع كثيرة . ويقال ان اكثر فروعها هى فى المدن الالمانية الواقعة على الحدود الفرنسية . ومما يجدر بالذكر عنها انه كان لها فى سنة ١٩٣٠ مراسل فى مدينة باريس يساعده ثلاثة من كبار جواسيس اوربا . وهم : باول اوريخ من تجار الخشب الالمان ، وجان فندلنج من صانعى الحلويات ، وادمون شلك من مهرة الرسامين . وهؤلاء الثلاثة

كلهم من مدينة ستراسبورج . وقد اشتهروا بالمعلومات الخطيرة التى حصلوا عليها بشأن حصون فرنسا الشرقية لحساب احدى الدول الاوربية

والمجال لا يتسع للاسهاب فى نشر جميع حوادث التجسس التى وقعت فى فرنسا فى السنوات العشر الاخيرة . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا ان تلك الحوادث تبلغ بضعة آلاف . ومن دواعى الاسف أن جانباً كبيراً منها لم ينكشف أمره إلا بعد فوات الفرصة . ومما يجدر بالذكر أن نحو خمسين فى المائة من تلك الحوادث على الاقل لم تقم بها الحكومات بل قامت بها جماعات خاصة من تلقاء أنفسها وباعتها للدول التى دفعت لها أجراً عنها . والمعروف عن عمال الشركات المذكورة أنهم يكثرون من الترداد الى الوزارات والمصانع الحربية وحدود البلاد المحصنة وغير ذلك من المواضع التى يهم الاطلاع على أسرارها . وهؤلاء العمال ليسوا هم الذين يتولون بيع المعلومات ، بل هم فى أغلب الاحيان لا يعلمون لمن تباع وهل هى لحساب أفراد أم حكومات . وكثيراً ما يؤمرون بجمع معلومات أو صور أو غير ذلك من الامور التى ليس لها فى الظاهر أى شأن يذكر ولا يعلمون الغرض من جمعها ولكنها فى الحقيقة معلومات خطيرة

مثال ذلك أن من عادة باعة البطاقات البريدية (الكرت بوستال) فى فرنسا أن يبيعوا صور بعض البوارج الحربية فيشتريها بعض الجنود وغيرهم ممن يهمهم الاحتفاظ بها لذكرياتهم الخاصة . وقد صدرت الاوامر مرة لبعض الجواسيس بشراء كل ما يجدونه من تلك البطاقات وأن يجعلوا لكل سفينة حربية مجموعة خاصة من صورها المختلفة . ولا حاجة الى القول أن بعض تلك الصور مأخوذ عن قرب وبعضها عن بعد وبعضها عن جانب وبعضها مواجهة أو عن مؤخر . أى ان لكل سفينة مجموعة من الصور بأوضاع مختلفة وعلى أبعاد شتى . ولم يكن الذين أمروا بجمع هذه البطاقات المصورة يدرون الغرض من جمعها . ولكن اتضح فيما بعد أنه كان الغرض منها درس مواطن الضعف فيها وتعيين الجانب الذى يجب اطلاق القذائف عليه فى زمن الحرب . وهل يكون ذلك على مقدمتها أم على مؤخرتها ، وهل يمكن اصابة مدافعها لتعطيلها أو لا ، الى غير ذلك من المعلومات التى تهم البحارة

ولعل القراء يعلمون أن وزارات الحربية والبحرية قد كانت وما تزال هدف الجواسيس الاكبر . وحول هذه الوزارات كانت تحوم عصبة الجواسيس التى افتضح أمرها فى باريس منذ بضعة أسابيع وكانت تسعى للحصول على معلومات خطيرة



الحيوان فى خدمة العلم

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ميروار
دي موند بقلم السيدة مادلين ميزار]

ليس معهد باستور بباريس من الاماكن التى يستطيع دخولها كل من أراد ، لان العلماء الذين يقومون بمباحثهم هنالك يريدون أن يعملوا فى جو هادىء بعيدين عن أعين الرقباء المتطفلين ، وعن الضجة التى يحدثها بعض الذين يتظاهرون برقة العواطف ويبالغون فى تكلف الشفقة على الحيوان مع أنهم اذا أصيبوا بمرض فلا يأبون أن يعالجهم الطبيب بالمصل أو اللقاح الشافى . أضف إلى ذلك أنهم وهم يرفعون عقيرتهم بالاعتراض على استخدام بعض الحيوان لاستخراج الامصال واللقاحات لا يمتنعون عن أكل لحوم الخراف والعجول والخنازير ومختلف الطيور الداجنة وأنواع الاسماك مما يضحى به فى سبيل اشباع شهواتهم . بل ان بعض الحيوان يضحى به على أبشع الوجوه وأشدها قسوة . فالخنزير يبضع عنقه حتى ينزف دمه والحمام فى فرنسا يقتل فطساً والدجاج فى بعض الجهات تستل السنتها من حلوقها وهي حية والمحار يشطر حياً ويلقى فى ماء غال . وبعض الحيوان البحرى يؤكل حياً . فضلا عن أن معظم المواشى التى تؤكل لحومها تذبح على وجه ان دل على شىء فعلى أنانية الانسان ووحشيته

وقد وقع لكاتبة هذه السطور حديث مع الدكتور فاينبرج أحد كبار أساتذة معهد باستور بباريس فقال هذا الاستاذ بعد مقدمة وجيزة :

« ان الناس ينظرون الينا كما ينظرون الى الجلاد أو السياف لاننا مضطرون الى التضحية ببعض الحيوانات حرصاً على خير الانسان . وفاتهم أنه لولا ما نعمله لكان يستحيل اعداد أى مصل أو لقاح لمكافحة الامراض . . . والفرق بين المصل واللقاح هو أن المصل يؤخذ من دم الحيوان (كالحصان مثلا) بعد احداث المناعة فيه . واللقاح يهيأ من الميكروب ذاته أو من السم الذى يفرزه ذلك الميكروب (ويسمى توكسين)

« وغنى عن البيان أن انقاذ حياة الملايين من البشر يسوغ لنا أن نضحى كل سنة ببضعة ألوف من الجرذ والفئران البيضاء « وخنازير غينة » وغيرها من الحيوان . ومع ذلك فان العلماء يرجون ان يوفقوا إلى طريقة يستغنون بها عن التضحية بالحيوان . ولا يخفى أن كل مصل هو مادة كيماوية . فاذا تقدم علم الكيمياء وانجلت لنا حقيقة المادة التى تشفى فى المصل أمكننا اعداد جميع أنواع المصل واللقاح بطريقة كيماوية نستغنى بها عن الحيوان . والاعمال الباهرة التى قد وفق الاستاذ رامون الى انجازها باكتشافه الامصال الخاصة بمقاومة الخناق (الدفتيريا) والتيتانوس هى

خطوة عظيمة فى هذا السبيل . فمنذ بضع سنوات كان معهد باستور وغيره من المعاهد البكتيريولوجية التى تهيء مصل الدفتيريا تفحص هذا المصل بتجربته فى « خنازير غينة » الا أن الاستاذ رامون وفق الى طريقة كيمياوية لفحص هذا المصل فانقذ بذلك حياة مائة وخمسين حيواناً كان يضحى بها كل أسبوع فى معهد باستور وحده . على أنه مهما يكن من تقدم العلم فى المستقبل فلن يستطيع علماء البيولوجيا الاستغناء عن الحيوان بتاتاً ، بل سيحتاجون اليها على الاقل لاختبار قوة المصل واللقاح

« ولنضرب لك مثلا على المهمة التى تلقى على عاتق العالم البكتيريولوجى . ففى زمن الحرب العظمى الماضية عهد الى الدكتور فاينبرج فى درس الميكروب الذى هو سبب الغنغرينا الغازية واعداد مصل لمكافحتها . فبذل الدكتور فاينبرج وبعض صحبه جهوداً عظيمة حتى تمكنوا من عزل الميكروب المذكور . ولكى يتحققوا أنه سبب الغنغرينا الغازية لم يكن لهم بد من تجربته فى الحيوان المعروف « بخنزير غينة » وهو حيوان يصاب بمعظم الامراض التى يصاب بها الانسان وهو كثير التناسل ولحمه لا يؤكل . وقد ثبت من التجربة أن الميكروب هو سبب الغنغرينا . وعليه شرعوا فى تهيئة المصل اللازم . فجاءوا بحصان خال من الامراض وأحدثوا فيه المناعة بحقنه بذلك الميكروب على عدة مرات ، وكانت كل حقنة أقوى من سابقتها ثم أخذ منه المصل . ولاختبار قوة المصل لم يكن بد من تجربته مرة أخرى فى « خنزير غينة »

« وعندما يراد اختبار قوة المصل يحقن الخنزير أو غيره من الحيوان بكمية صغيرة منه . وبعد زمن قليل (أربع وعشرين ساعة على الاقل) يحقن ذلك الحيوان بكمية قاتلة من التوكسين أو السم الذى يفرزه الميكروب فاذا ظل الحيوان سليما كان المصل مستكملا لشروط منع المرض

« على أن التجارب التى يجريها العلماء البكتيريولوجيون فى الحيوان لا يراد بها خدمة الانسان فقط بل الحيوان أيضاً . واليها يرجع الفضل فى اكتشاف اللقاح الواقى من كوليرا الدجاج والحمى الفحمية التى تنتاب المواشى والجرب الذى يقضى على حياة الملايين من الخرفان كل سنة

« قلنا ان أهم الحيوانات التى يعتمد عليها معهد باستور والمعاهد الشبيهة به للقيام بالتجارب العلمية هي الجرذ والفئران البيضاء والارانب وخنازير غينة وأمثالها من الحيوان الذى يصاب بالامراض التى يصاب بها الانسان . وكثيراً ما تؤخذ الامصال من الفئران والجرذ . وقد تستعمل الفئران أيضاً لتسميم دمها ببعض الميكروبات كميكروب مرض النوم على أن يؤخذ منه فيما بعد لقاح واق

« وقد تستخدم الطيور والقردة والابقار الصغيرة السن وغيرها لاستخراج أنواع اللقاح المختلفة . وللارانب مزية خاصة إذ منها يستخرج اللقاح الواقى من الكلب بطريقة ليس هذا مكان شرحها »

الجاذبية الجنسية

[خلاصة مقالة بقلم
الاستاذ روفيجا نسكي]

الجاذبية الجنسية (وبالانجليزية Sex Appeal) تسمية حديثة لمسمى قديم، نحتها الانجلو سكسون ليصفوا بها كواكب السينما وأدخلوها فى قاموس لغتهم . فاذا أرادوا المبالغة فى وصف فتاة حسناء قالوا انها ذات « جاذبية جنسية » يعنون بذلك انها ذات جمال ساحر وأوصاف تسبى العقول . وقد كانت الفاتنات فى بعض العصور يعانين أشد ضروب القسوة والمساءة ، اذ كان الناس يخشون أن تعبث الفتاة الفاتنة بقلوب الشبان وتفسدهم . ولذلك كانوا يعاملونها بأشد ضروب القسوة ، حتى يقال إن الروس فى أوائل عهد المسيحية بينهم كانوا اذا أنسوا خطراً على شبانهم من جانب فتاة حسناء يقبضون عليها فيوثقونها ويلقونها فى أتون ملتهب هى وثيابها وماقد تملكه من متاع وطيور وحيوانات ، ثم يجيء كبير القسوس فيرش « الماء المقدس » على رماد تلك البائسة . ويقيم أهل القرية أو المدينة عيداً عاماً يستمر ثلاثة أيام يشربون فى خلاله الخمر على روح تلك الضحية

ولم تكن حالة الكواعب الحسان فى البلاد الأخرى — فى تلك العصور الماضية — أقرب إلى الراحة والهناء . فنى الاسر الشريفة كان الوالدان اذا أنسا من ابنتهما ميلا إلى التيه والدلال أو نزوعاً إلى محادثة الشبان ينصحانها ويشددان عليها النكير . فاذا لم تنتصح وضعاها فى أحد الاديار حيث لا يقدم لها سوى الحمص والماء . وتظل هنالك طول عمرها الا إذا تطوع أحد الشبان للاقتران بها . وفى هذه الحالة تشرع النساء — ولا سيما العجائز منهن — فى اذاعة الانباء الكاذبة عنها ويوجهن إلى الزوج النصائح المختلفة . ومن جملتها أن يقرع زوجته بالعصا فى كل يوم أحد من الاسبوع تاديباً لها وزجراً لغيرها

وكانت آداب ذلك الزمن تقضى على الحسناء اذا كانت فى مجتمع أن تغض طرفها وان تطرق بنظرها الى الارض ولا تتكلم لئلا يرى الناس أسنانها وألا تكشف عن ساقها حتى لا يرى أحد كاحلها — واذا جرى حديث الزواج أمامها تتظاهر بالصمم أو تنصرف من ذلك المكان

وكان أحد أجداد كاتب هذه السطور من أهالى تركيا فى الازمنة السالفة وكانت زوجته (واسمها مريم) ذات جمال ساحر فتن به الكثيرون . أى أنها كانت ذات « جاذبية جنسية » قوية . فما كان من زوجها إلا أن أوثقها ووضعها هي وقطتها ودجاجتها فى غرارة (زكيبة) وقذف بها الى البوسفور حيث ماتت غرقاً

وأنموذج الفتاة ذات الجاذبية الجنسية يختلف باختلاف الاذواق . فمن مستلزمات تلك الجاذبية بين

قبائل الزنوج مثلا أن تكون شفتا المرأة ضخمتين هائلتين . وهم يستعينون على تكبيرهما بان يشقوا فم الفتاة وهى ما تزال صغيرة السن ويضعوا فيه قصعة تظل مدة ثم تستبدل بقصعة أكبر فا كبر الى أن يصبح فمها كبيراً جداً وشفتاها أشبه بصحنين كبيرين . ومن مستلزمات الجاذبية الجنسية عند قبائل الهوتنتوت صفات لايجد فيها المتمدنون إلا دليلا على الوحشية وانحطاط الذوق . ومن مستلزماتها عند المتمدنين فى الزمن الحاضر نحافة الخصر ودقة الساقين وذبول العينين وما إلى ذلك من الصفات

واليك وصفاً موجزاً للفتاة ذات الجاذبية الجنسية فى عرف أهل الفن فى الوقت الحاضر : فهى تمشى بتيه ودلال متبخترة ذات اليمين وذات الشمال وكل عضو من أعضائها يفيض حركة ونشاطاً . واذا دنا منها رجل كائناً من كان ترفرف أهداب أجفانها كما ترفرف الفراشة وتلمس اجنحتها الهواء المحيط بها . ويندفع الدم إلى شفتيها الشفافتين فتنفتحان قليلا فتبدو من خلالهما أسنان كاللؤلؤ فى بياضها . ويفتر ثغرها عن ابتسامة ترسل فيك شبه تيار كهربائى . ثم تسمع منها صوتاً تنسيك موسيقاه تغريد الاطيار . يتبعه صوت أجش ذو نبرات يخيل اليك انك تسمع من خلالها زئير النمر . وتتخلل ذلك كله نظرات ساحرة . وسكوت أبلغ من النطق . وعهود ومواعيد . وسحب دخان تنفخها من بين شفتيها فى الهواء . وعيناها شاخصتان فى الظاهر إلى الفضاء ، ولكنهما فى الواقع تسترقان النظر اليك ، كأنهما تحاولان أن تريا ما يجيش به فؤادك ومدى الاثر الذى أحدثته فى نفسك . وأنت ترى من خلال ذلك كله دلائل السخرية والاعجاب والتحدى ممزوجة معاً

جميع ذلك يجب أن يكون طبيعياً فى المرأة لكى تكون ذات جاذبية جنسية . وليس فى وسع أية فتاة أن تتصنع هذه الصفات أو تتكلفها لان الجاذبية تولد مع الفتاة

على أن لكل منحة طبيعية ثمنها . والمرأة التى تتمتع بالسعادة الحقيقية لا تنبعث منها أية جاذبية جنسية الا الى رجل واحد . وهى تضن بجاذبيتها أن توزع على الكثيرين وتقصرها على الرجل الذى تختاره دون غيره . فهو الضالة التى تنشدها . ولاتنفك تنشدها الى أن تجدها . وغريزتها تدفعها الى العثور عليها



تقدم العلم والعالم

اتساع الكون

ان نظرية السر جيمس جينز العالم الفلكي الانجليزي والاستاذ ليمتر العالم البلجيكي هي ان هذا الكون آخذ في الاتساع بسرعة هائلة كما تكبر كرة القدم عندما تنفخها. والدليل على ذلك أن رصد الاجرام العلوية التي عند اقصى حدود الكون من كل جهة يدل على ان تلك الاجرام تندفع في الفضاء مبتعدة عنا بسرعة هائلة تبلغ نحو عشرة آلاف ميل في الثانية

ومع ان الكثيرين من علماء الفلك قد سلموا بهذه النظرية الحديثة فقد جاءنا الآن الدكتور شابلي مدير مرصد هارفرد (وهو من أعظم علماء الفلك في الوقت الحاضر) يقول ان المباحث التي قام بها لا تدل على أن جميع الاجرام العلوية تندفع مبتعدة عنا بل ان بعضها يندفع مقترباً منا والبعض الآخر يندفع حول النظام الشمسي من دون أن يبتعد أو يقترب

الغذاء وطول العمر

ألقى الدكتور ماك احد العلماء الاميركيين خطبة علمية في مجمع تقدم العلوم الاميركي اثبت بها ان النهم في الاكل من أسباب قصر العمر وان الاقلال من الغذاء إلى الحد المستطاع مطيل للعمر. ومما قاله هذا العالم انه قام بعدة تجارب لاثبات هذه النظرية فجاء بمئات من الفيران والجرذ وخلافها وقسم كل نوع منها طائفتين متساويتين في العدد وغذاها جميعها بطعام بعينه الا انه كان يعطي بعض الطوائف كميات كبيرة من الغذاء والبعض الآخر كميات قليلة. وبعد عدة أشهر كانت الطوائف الاخيرة انشط واحسن من كل وجه. حالة ان الموت قضى على جانب كبير من الطوائف التي كانت تتناول كميات كبيرة من الغذاء.

واورد العالم المذكور أدلة أخرى مقنعة تثبت ان الافراط في الغذاء في مقدمة أسباب قصر العمر ليس في الحيوان فقط بل في الانسان أيضاً

الاطفال عند الولادة

ما يزال الكثيرون من الناس يعتقدون ان الاطفال عند ولادتهم يكونون عمياً. الا أن أحد الاطباء الاميركيين قام بمباحث واسعة النطاق ثبت له منها أن هذا الاعتقاد خطا وان الطفل عند ولادته يكون مبصراً

في عالم الفلك

يقول الدكتور شابلي وغيره من كبار علماء الفلك ان عمر النظام الشمسي هو خمسة آلاف مليون سنة على الأقل، وان في الفضاء عدة مجاميع من الاجرام العلوية (منها مجموعة المجرة ومجموعة السدم اللولبية ومجموعة المرأة المسلسلة) في كل منها ملايين لا تحصى من الشموس. ومن هذه مجموعة يقول الدكتور شابلي انها أكبر المجموعات المعروفة وفيها عدة الوف من الملايين من الشموس وكل شمس منها كشمسنا او اكبر منها بما لا يقاس

ويعتقد بعض علماء الفلك ان الشمس معرضة لوقوع انفجار في باطنها كما يقع لكثير من النجوم (اى الشموس) المعروفة بالجديدة واذا وقع انفجار كهذا سيكون فيه القضاء والعياذ بالله على كل نسمة حية على وجه الارض . على أن الدكتور مكلوجلن ، وهو من كبار علماء الفلك في اميركا ، يقول إن وقوع انفجار كالانفجار المذكور يكاد يكون في حيز المستحيل كما يؤخذ من أوثق المباحث العلمية

السل والفتيات

يؤخذ من الاحصاءات الموثوق بها أن الفتيات أكثر تعرضاً للوفاة بالسل من الشبان وأن عدد الاصابات بينهن من سن العاشرة إلى العشرين أكثر منها بين الشبان في تلك السن . ويعتقد فريق من الاطباء أن زيادة إصابات البنات على إصابات الشبان ترجع إلى عاملي الثياب والطعام . ولكن هذا الزعم في غير محله . والسبب الحقيقي هو أن جسم الفتاة أضعف فيسيولوجيا من جسم الشاب وأقل مقاومة لميكروب السل . وتدل الاحصاءات الاميركية على تناقص عدد النساء اللواتي يمتن في اميركا بالسل . إلا أن نسبتهن إلى الرجال في ازدياد . واليك إحصاء موجزاً عن نصف القرن الماضي:

من سنة ١٨٧١ - ١٨٨٠ توفيت ٢٠٨ فتيات بازاء كل ١٠٠ فتى

من سنة ١٨٨١ - ١٨٩٠ توفيت ٢٣٠ فتاة بازاء كل ١٠٠ فتى

من سنة ١٨٩١ - ١٩٠٠ توفيت ٢٥٠ فتاة بازاء كل ١٠٠ فتى

من سنة ١٩٠١ - ١٩١٠ توفيت ٢٦٢ فتاة بازاء كل ١٠٠ فتى

من سنة ١٩١١ - ١٩٢٠ توفيت ٢٦٥ فتاة بازاء كل ١٠٠ فتى

من سنة ١٩٢١ - ١٩٣٠ توفيت ٢٦٣ فتاة بازاء كل ١٠٠ فتى

فترى إذن أن الحالة باعتبار النساء لا تدعو كثيراً إلى الارتياح

البريطانيون القدماء
وأكل لحوم البشر

يظهر من أحدث المباحث التاريخية أن سكان جزيرة بريطانيا كانوا إلى حين غزا الرومان بلادهم من أكلة لحوم البشر ، ومع ذلك كانوا يومئذ على جانب من المدنية . والغريب أن البريطانيين ظلوا يمارسون عادة أكل اللحوم البشرية حتى بعد أن دخلت الديانة المسيحية بينهم بمدة طويلة . ويقول الاستاذ دننج من علماء الآثار الانجليز إن كثيراً من أولئك البريطانيين ظلوا يأكلون اللحوم البشرية وهم يدينون بالمسيحية ولا يرون في هذه الديانة ما يحرم أكل تلك اللحوم

سر النوم

يقضي الانسان ثلث حياته تماماً نائماً . ومع ذلك لم يوفق العلم حتى الآن إلى استجلاء غوامض النوم ومعرفة السبب المباشر له . وقد ذهب بعض العلماء إلى نظريات مختلفة لتعليله ولكن ليس بينها نظرية واحدة يقبلها المنطق . وفي مقدمة تلك النظريات أن الجهد الذي يعانيه الانسان عند قيامه بأي عمل ينشىء في الدم مواد كيميائية تتراكم فيه وتؤثر في الدماغ تأثير مادة مخدرة فينام الانسان وفي أثناء نومه يعود الدم فيفرز تلك المواد المتراكمة ويطردها فيستيقظ الانسان من النوم

على أن هذه النظرية لا تعلل جميع المظاهر والحالات التى تتعلق بالنوم . من ذلك أن كثيرين من الناس يصابون بالأرق مع كونهم يعانون فى النهار جهد العمل فلماذا لا ينشيء هذا الجهد تلك المادة المخدرة فى الدم ؟ كذلك قد ينام الانسان على أثر جهد عظيم نوماً هادئاً ثم يوقظه صوت مزعج . فلماذا لا تحول تلك المادة المخدرة دون إيقاظه ؟

فترى إذن أن مسألة النوم لاتزال سراً من الأسرار المستغلقة على العلماء !

في سبيل النحافة

حاول الكثيرون اكتشاف وسائل ناجعة لانحاف الجسم ولا سيما بعد تطور الذوق الحديث . وقد ظهرت فى السوق عقاقير كثيرة يدعى أصحابها انها مجلبة للنحافة ولكن الاختبار لم يؤيد دعوى القوم . وأشار كثيرون من الاطباء باتباع وسائل معينة من رياضة وخلافها ولكن تلك الوسائل قد تؤثر فى جسم معين ولا تؤثر فى غيره

وقد جاءتنا الآن مجلة اللانست وهى أرقى المجلات الطبية الانجليزية تقول إن اثنين من كبار الاطباء الانجليز وفقوا الى تركيب دواء لا شك فى أنه يؤثر فى الاجسام السمينة تأثيراً واضحاً فينحفها إلى الحد المطلوب مهما تكن سمينة . واسم هذا الدواء « دينترو أورثو كريزول » (Dinitro - ortho - cresol) ويظهر ان تأثيره قوى جداً . ولذلك تشير مجلة اللانست بعدم استعماله الا بمشورة الطبيب . وقد فحص فريق من الاطباء الاميركيين هذا العقار فوجدوا أثره قوياً جداً فاذا بولغ فى استعماله فقد يؤدى الى عواقب وخيمة

قدم حضارة المكسيك

بينما كان العمال يشتغلون بازالة الاتربة عن خرائب « المدينة الدارسة » بالمكسيك عثروا على آثار منزل كبير جداً قد تهدم منذ اكثر من الف وخمسمائة سنة وكان يحتوى على خمس وتسعين غرفة . وهذا دليل على رقى حضارة القوم فى ذلك العهد

حضارة الصين

لا شك أن حضارة الصينيين من أقدم حضارات العالم . وقد زار ماركو بولو السائح الايطالى المشهور بلاد الصين فى القرن الثالث عشر للميلاد فوصف ماشاهده فيها من آثار المدنية المدهشة . من ذلك ان الاهالى كانوا يلبسون فى الصيف ثياباً خفيفة جداً تصنع من نسيج نباتى أشبه بورق الكتابة . وكانت المركبات تملأ شوارع المدن الكبرى والناس يستعملونها للنزهة وللانتقال ، وبعض تلك المركبات تسع ستة من الركاب . وما كان يجوز للصينى أن يشرب الماء أو غيره بقدح يخص غيره بل كان لكل انسان قدح أو كوز يحمله معه اينما سار . وكانت القوانين تحرم على الانسان أن يبصق على قارعة الطريق ، ولذلك كان الاشخاص الكبار فى السن يحملون معهم قوارير صغيرة يبصقون فيها ويسدونها سداً محكما كما يفعل بعض المصابين بالسل الآن . وكان الخدم والحشم فى بيوت الأغنياء يضعون مناديل خصوصية على أنوفهم وأفواههم حذر أن يعطسوا أو يسعلوا أمام سادتهم . والصينيون أول من استعمل ورق النقد وأول من اتقن صناعة طب الاسنان . وقد بنوا السفن على أحدث الطرق العلمية . ولم تكن السفن التى بنوها فى ذلك العهد أقل متانة من السفن الشراعية التى يبنيها

الناس اليوم . واشتهر الصينيون فى ذلك العهد بأمور كثيرة تدل على رقى مدنيتهم وما بلغته نظمهم وأساليب معيشتهم من أسباب الكمال

درجة الصفر المطلق

هى الدرجة التى تبطل عندها حركة الجوهر الفرد وتفنى كل نسمة حية وينتفى كل أثر للحرارة. وقياسها الدرجة ٢٧٣ تحت الصفر (بمقياس سنتجراد) وقد حاول العلماء استيلادها بالطرق الصناعية فدنوا منها كثيراً جداً ولكن لم يصلوا اليها . وتدل آخر الانباء العلمية على انه لم يبق بين درجة الصفر المطلق والدرجة التى وصل اليها العلماء بالطرق الصناعية سوى ٨٥ جزءاً من الف من الدرجة (بمقياس سنتجراد)

آثار الرجم على الارض

هى كثيرة جداً تشاهد فى أنحاء العالم المختلفة ويعتقد بعض العلماء ان الاوقيانوس الباسفيكى هو أثر رجم تساقطت على الارض منذ الوف السنين . وفى آريزونا بالولايات المتحدة فجوة أو حفرة كبيرة هى أثر من آثار تلك الرجم . وكان العلماء حتى عهد قريب يعتقدون أنها نشأت فى العصر الجليدى الاخير . الا أن فريقاً آخر من علماء الجيولوجيا بأميركا وعلى رأسهم الدكتور بلاك ويلدر الاستاذ بجامعة ستانفورد يقولون ان عمر تلك الحفرة لا يقل عن خمسة وسبعين الف سنة ولهم على ذلك أدلة ليس هذا مكان بسطها

اقدم وصفة طبية

فى احدى المجلات الاوربية ان أقدم وصفة طبية فى العالم ترجع الى سنة ٣٧٠٠ قبل الميلاد أى انها كتبت منذ أكثر من خمسة آلاف وستمائة سنة . وهذه الوصفة منقوشة على لوح من الحجر . وهى وصف لعقاقير تستخرج منها رائحة اذا استنشقها المصاب بالزكام شفى

ولم تقل المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر أين توجد « الوصفة » المذكورة وبأية لغة كتبت وما هى العقاقير التى تشير اليها

العنكبوت السفاح

فى بعض المناطق الاستوائية من القارة الاميركية عناكب تقتل الطيور وتفتك بكثير من الحشرات . ويبلغ طول ساقها نحو ثمانى بوصات أو مايزيد على عشرين سنتمتراً . وقد أحضر الدكتور ديتمارس مدير حدائق الحيوانات بحديقة نيويورك مجموعة من هذه العناكب لتربيتها فى الحدائق المذكورة

نبات الكينا

المعروف ان « بليه » و« كافنتون » اكتشفا نبات الكينا سنة ١٨٢٠ وعرفا خواصه . على ان لينيوس أو لينيه العالم النباتى الاسوجى المشهور أشار اليه فى أحد مصنفاته وذكر خواصه قبل بيليه وكافنتون بعدة سنين . وقد أحدث استعمال الكينا ثورة عظيمة فى عالم الطب بل قيل ان الانقلاب الذى أحدثه فى الطب هو كالانقلاب الذى أحدثه اختراع البارود فى أساليب الحرب والقتال

اللبن المجمد

يباع اللبن الآن مجمداً فى أنحاء كثيرة من أوربا وأميركا . وهذا اللبن هو على صورة قطع أشبه بقطع الصابون ويمكن حفظه مدة طويلة من دون أن يتطرق اليه الفساد . وكان المظنون ان اللبن اذا جمد فقد شيئاً من خواصه الغذائية

ولكن المباحث العلمية الاخيرة قد اثبتت فساد هذا الزعم

ناب الفيل

يستخرج العاج من ناب الفيل وتصنع منه أدوات كثيرة للزينة . وكان ملوك الشرق قديماً يتهادون العاج والتحف المصنوعة منه . ومع أن قيمة ناب الفيل قد انحطت كثيراً عما كانت عليه قديما فلا تزال كبيرة إلى حد تغرى بالمتاجرة به . والافيال الافريقية مطمح أبصار الكثيرين من التجار . ويبلغ وزن ناب الفيل نحو أربعين رطلا أو خمس عشرة أقة . الا أن بعض العارفين بطبائع الحيوان والمغرمين بصيد الوحوش يؤكدون ان أنياب بعض الفيلة قد تزن أكثر من مائتى رطل

عث هائل

فى المناطق الاستوائية نوع هائل من العث يبلغ طول جناحه نحو بوصة أو اكثر من سنتمترين ونصف سنتمتر

وعلى ذكر هذه العثة التى تعيث فى الثياب فساداً نقول ان أحسن وسيلة لاتقاء شرها هو « تبخير » الثياب ببخار الفورمالين فلا تعود العثة تدنو منها مدى العمر

مدن العالم الكبرى

يظهر من درس جغرافية مدن العالم الكبرى ان معظمها واقع عند مصاب الانهر ، وان عدد المقام منها على سواحل البحر لايزيد على ثلثها. وقد أحصى بعضهم المدن التى يزيد عدد سكانها على مائة الف فوجد ان ستاوستين منها فى المائة هى على مقربة من الانهر و ٣٤ فى المائة هى موانىء بحرية

تناقص المواليد

نشرت احدى صحف سويسرا احصاء يظهر انه مأخوذ من السجلات الخاصة بعصبة الامم. وهو يدل دلالة اكيدة على تناقص نسبة المواليد (لا عدد المواليد) فى معظم أنحاء العالم المتمدن لا سيا جنوب أوربا وغربها . والقرائن كلها تدل على ان بعض الشعوب سائرة إلى الانقراض وعلى ان الشعوب الشرقية اكثر توالداً من الشعوب الغربية بوجه الاجمال

وفى الاحصاء المشار اليه ان عدد المواليد فى الولايات المتحدة فى السنة الماضية (١٩٣٣) نقص ستمائة الف عن عدد المواليد سنة ١٩٢١

شجرة البن

هى من الاشجار الخاصة ببعض انحاء بلاد العرب وبلاد الحبشة . على ان زراعة البن منتشرة فى بعض أنحاء أميركا الجنوبية ولاسيما البرازيل. ويعتقد علماء النبات أن موطن هذه الشجرة الاصلى بلاد الحبشة . وكان اكتشافها بطريقة غريبة . ذلك ان أحد رعاة الاغنام هناك رأى ان الغنم والماعز اذا رعت ذلك النبات ابدت بعد ذلك نشاطاً غريباً . وكان ذلك سبباً فى استنبات شجرة البن واستغلالها حتى صار البن اليوم من مستلزمات المعيشة

وعم استعمال القهوة فى اواسط القرن السابع عشر فى معظم أنحاء أوربا . واستعملت فى باريس لاول مرة سنة ١٦٥٤ . وفى تلك السنة أصدر الاطباء الفرنسيون منشوراً حذروا به الناس من شرب القهوة ، ولكن لم يعبأ بمنشورهم أحد وقد صار الفرنسيون بعد ذلك من اكثر الناس شرباً للقهوة

أكاديمية افلاطون

بينما كانت احدى البعثات الأثرية تقوم ببعض اعمال الحفر فى مدينة اثينا عثرت على موضع يقال انه المكان الذى كانت فيه المدرسة التى كان الفيلسوف افلاطون يلقى فيها الدروس على تلاميذه

اختراع السفن البخارية

المعروف بين الناس أن واط الانجليزى وفولتون الاميركى هما مخترعا السفن البخارية. على أن المباحث التاريخية تدل على ان كثيرين قبلهما حاولوا استنباط سفن تسير بقوة البخار ففشلوا لاسباب كثيرة . ففى سنة ١٥٤٣ صنع أحد الإسبان مركبا صغيراً يسير بالبخار وبلغت سرعته ثلاثة أميال فى الساعة ، ولكن لم يهتم أحد بهذا الاختراع فمات صاحبه ونسيه حتى أهل وطنه . وفى سنة ١٧٠٧ حاول بابن الفرنسى صنع سفينة بخارية ولكن صانعى السفن غاروا منه فأوعزوا إلى بعض الاشرار بان يكسروا سفينته قبل أن يتم بناؤها . وظل الناس يترقبون انجاز هذا الاختراع حتى أوائل القرن التاسع عشر. ولعل فولتون الاميركى أول من أخرجه إلى حيز العمل

تقلص المنسوجات

لا يخفى ان معظم أنواع المنسوجات ولا سيما الصوفية منها تتقلص بعد غسلها . على ان التجارب التى قامت بها بعض معامل النسيج تدل على ان المنسوجات القطنية والكتانية لا تتقلص بعد غسلها للمرة الرابعة أو الخامسة مع أن المنسوجات الصوفية تظل تتقلص إلى أن تفنى

معجونات الوجوه

تستعمل النساء اليوم انواعاً كثيرة من المعجونات (الكريم) لتجميل وجوههن ومعظم هذه المعجونات تصنع من مواد وعقاقير متماثلة . وتقول احدى المجلات الاميركية ان جالينوس الطبيب اليونانى الذى عاش من سنة ١٣١ الى ٤٠١ بعد الميلاد وضع وصفة لصنع تلك المعجونات لا تختلف فى جوهرها عن وصفة المعجونات التى تستعملها النساء فى هذا العصر

الديك الرومي

ثبت الآن أن هذا الطير الذى تتبرأ منه أمم كثيرة مع أنها تحب لحمه ، هو أميركى الجنس أدخله الى أوربا أحد السياح الاسبان . والدليل على أن الكثيرين يتبرأون منه ان الفرنسيين يسمونه الديك الهندى والانجليز يسمونه الديك التركى . والمصريون يسمونه الديك الرومى ، والسوريون يسمونه الديك الحبشى . جميع هذه الامم تنكره وتحب لحمه . وكان يجدر بها أن تنسبه الى وطنه الاصلى فتسميه الديك الاميركى

تركيب الهواء

فى سنة ١٦٧٤ أصدر رجل انجليزى يقال له جون مايو كتاباً عن الهواء يتضمن بحثاً مسهباً فى العناصر التى يتألف منها ، وعن تأثير تلك العناصر والعوامل التى تؤثر فى الهواء ، الى غير ذلك من البيانات الممتعة . وما يزال هذا المصنف ذا قيمة علمية كبيرة ، مع انه قد انقضى عليه أكثر من قرنين ونصف قرن

كتب جديدة

أبو على عامل ارتست

بقلم الأستاذ محمود تيمور

طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة . صفحاته ١٦٣

أصبحت للأستاذ محمود تيمور شهرة ذائعة فى الأدب القصصى ، وشغل الكثيرين بقراءته والشوق إلى قصصه . لا لأنه من أكثر الكتاب إنشاء للقصص فقط ، بل لوقفه جهده وموهبته على خدمة هذا الفن منذ سنوات حتى عرف به . وهو يمتاز بأنه كثير الاعتماد على نفسه ، لا يميل إلى الاقتباس أو الترجمة ، بل يتخذ الحياة المصرية موضوعاً لما ينشئه من روايات وأقاصيص. ولهذا فهو يؤثر فيها البساطة ويتجنب التأنق ويتعمد ذلك عمداً رغبة فى الترويح عن القارىء وعدم إعناته بالأسلوب الكثير التكاليف

وهذا الكتاب الذى نحن بصدده مجموعة طريفة من القصص الممتعة التى دبجها هذا الأديب القصصى فى ظروف شتى ونشر بعضها بجريدة البلاغ الغراء ، وبعضها بالسياسة الأسبوعية ، ثم جمعها فى كتاب مستقل ، وتولاها بالتهذيب والتنقيح ، فجاءت من أمتع القصص ، وألذها موضوعاً وأجملها غاية ومغزى

رحلة الصيف

للاستاذ توفيق حبيب

طبعته مكتبة العجالة بالقاهرة. صفحاته ١٦٠

إذا أتيحت لك الرحلة يوماً إلى بلاد ليست بلادك وإلى وطن غير وطنك ، فأنت سعيد لانك ستشاهد فى تلك البلاد أصنافاً من العادات والتقاليد ، وأنواعاً من غرائب المشاهدات ، تزداد بها معارفك ، ويتسع بها أفق إدراكك وتجتلى من الحقيقة ما ينفى عنك كثيراً من الخيال . فاذا لم تتح لك هذه الرحلة لانك مقيد فى أعمالك وبلدك بكثير من مشاغل العمل وهموم الحياة ، فقد تظفر بكثير من المتعة والفائدة حين تقرأ عن هذه البلاد التى لم ترها ، وتتصفح تلك المعلومات التى ينقلها اليك أديب زار هذا الوطن الذى ليس لك به عهد ، وأفضى اليك بأسلوبه بما رآه ولاحظه ، ورسم لك رسماً دقيقاً كل ما يهمك ويشوقك الى تلك الجهات النائية عنك

وهذا ما فعله الاستاذ توفيق حبيب أو (الصحافى العجوز) فقد زار فى الصيف الماضى تركيا واليونان ويوجوسلافيا وايطاليا ، ونقل بقلمه أحسن ما شاهده وعلمه من آثار هذه البلاد وعاداتها وحياتها الاجتماعية . ولا شك أن القراء سيجدون فى هذا الكتاب النفيس كثيراً مما يلذ لهم ويفيدهم ، وسيجدون فيه أيضاً ما يمتعهم ويسرى عنهم ، لان أسلوب الاستاذ توفيق حبيب أسلوب سهل رشيق مشوق . وهو الاسلوب الذى جذب اليه كثيراً من قراء الاهرام الذين يطالعون له فى صباح كل يوم مقالا طريفاً بعنوان « على الهامش » . وهو الفصل الذى نشر فيه هذا الكتاب أثناء رحلته إلى تلك البلاد

حديث الاطفال

للاستاذ محمد صادق عبد الرحمن

طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة. صفحاته ٣٢

الاستاذ محمد صادق عبد الرحمن معروف لدى هواة الراديو ببابا صادق. فقد تطوع بان يحدث الاطفال كل ليلة حديثاً يجمع فيه بين اللذة والفائدة والعبرة بما يقصه عليهم بواسطة آلات الراديو من القصص المفيدة. وقد جمع طائفة من هذه القصص فى هذا الكتاب وحلاها بالصور والرسوم الجميلة، وأصدرها هدية للاطفال يقرأونها فى أوقات الفراغ، فيجد من سمعها منهم فى الراديو فائدة على فائدة بغرس فضائلها فى نفوسهم وتأكيد عبرها فى أذهانهم، ويستفيد من لم يسمعها بما حوت من الاغراض النبيلة والحكم الرشيدة، فيشبون وقد أصابوا قسطاً كبيراً من مكارم الاخلاق التى هى أساس النجاح فى الحياة

مقدمة لتاريخ العلم

(Introduction to the History of Science)

بقلم الاستاذ جورج سارتون بمعهد كرنجي الاميركي

هو الجزء الثانى من مصنف نفيس وضعه باللغة الانجليزية عالم من أفاضل العلماء الأميركيين وشرح به سير العلم والتطور الفكرى من عهد ابن عزرا العلامة الاسرائيلي المشهور إلى عهد روجر باكون الطبيب والعالم الانجليزى الذى توفى فى أواخر القرن الثالث عشر للميلاد. وقد بسط المؤلف مراحل التطور العلمى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر فى الرياضيات والفلك والطبيعة والكيمياء والجغرافيا والتاريخ الطبيعى والطب. وشرح مقام الأرقام الهندية فى علم الحساب ونشوء الجبر والهندسة وعلم المثلثات. وأتى على تاريخ الآلات التى استعملها الاقدمون فى علم الفلك وطرق الرصد عندهم والنظريات الفلكية التى شاعت بينهم وما كانت تمتزج به من الخرافات بسبب شيوع التنجيم بين أهل ذلك الزمن. وتكلم المؤلف بعد ذلك على المهن والصناعات التى شاعت فى خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر ومدى رقى القوم فى علم الحيل والهندسة. ثم انتقل من ذلك إلى الكلام على اختراع البارود وتقطير الماء وصناعة الكحول وفنون الكيمياء عند العرب وما أصابته من تقدم عند الغربيين فى القرن الثالث عشر. وبحث المؤلف بعد ذلك فى تطور علم النبات عند العرب والمدى الذى بلغه غيرهم فى هذا العلم وفى علم الحيوان بوجه الاجمال. وانتقل من ذلك إلى الكلام على علم الطب وما وصل اليه من الرقى عند العرب واليونان ونبوغهم فى التشريح والجراحة وفحص النبض والبول والدم والافرازات بوجه الاجمال وفن التوليد ومداواة الأطفال ومعالجة الحميات والعلل المختلفة وأمراض الاسنان ونشوء نظام المستشفيات وتاريخ الطب بوجه عام

كل ذلك بحث فيه المؤلف بحثاً مستوفى معولا على أسانيد تاريخية ذات قيمة. وكان بودنا لو يتاح لنا أن ننقل الى القراء بعض فصول هذا المؤلف النفيس الدال من الجهة الواحدة على غزارة علم المؤلف ومن الجهة الاخرى على الشوط البعيد الذى قطعه الأقدمون ولا سيما العرب فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر فى مختلف ميادين العلوم. وربما نشرنا بعض فصول هذا الكتاب فى أجزاء قادمة من الهلال. وعلى كل فلا يسعنا إلا أن نثنى على

المؤلف أجمل الثناء لما أداه للعلم من خدمة صادقة

والكتاب يقع فى مائة صفحة ونيف عدا مقدمته وتشتمل على فهرست يشغل خمساً وثلاثين صفحة بحجم صفحات الهلال

تعليقات على درس اللغة العربية

Remarks on the Study and the teaching of Arabic

بقلم الاستاذ جورج سارتون

هو بحث طريف لمؤلف الكتاب الذى سبقت الاشارة اليه . نشر أولا فى مجلة ايزيس التى تطبع فى مدينة بروكسيل عاصمة البلجيك باللغة الانجليزية والتى هى لسان حال اللجنة الدولية لتاريخ العلوم . وقد بسط المؤلف فى هذا الكتاب شروط الذين يريدون درس اللغة العربية وتعليمها وفى مقدمة تلك الشروط معرفة اللغات السامية التى لها علاقة بالعربية كالعبرانية والسريانية وغيرها ويزعم المؤلف ان خير وسيلة لاتقان العربية هى درس اللغة العامية أولا والتدرج منها الى الفصحى . والذى نراه ان هذه الملاحظة لا تنطبق على اللغة العربية فقط بل على سائر لغات العالم . فان المرء كالطفل يجب أن يتعلم اللغة العامية أولا ثم يتدرج منها إلى الفصحى . والصعوبة التى تعترض الطالب هى ان اللغة العامية تختلف باختلاف المدن والامصار فاللغة العامية فى مصر غير اللغة العامية فى سوريا وفلسطين وغيرها فى العراق وبلاد العرب والجزائر . فبأية هذه اللغات يبدأ الاجنبى الذى يريد درس اللغة العربية وهومقيم بوطنه ؟ نعم انه يتعين عليه اذا أقام باحد الاقطار العربية المشار اليها أن يبدأ بتعلم لغة ذلك القطر العامية ولكن أية لغة عامية يختار اذا أراد أن يدرس الفصحى وهو مقيم بوطنه ؟

وعلى كل فاننا نشكر للاستاذ سارتون عنايته بنشر اللغة العربية بين الغربيين

ارسطوطاليس وفيليس

(Aristotle and Phyllis)

بقلم الاستاذ جورج سارتون

هى رواية نشرها المؤلف فى مجلة ايزيس التى سبقت الاشارة اليها فى النبذة السابقة وقد بناها على أسطورة قديمة خلاصتها أن الاسكندر ذا القرنين لما غزا الهند ودوخ ملوكها هام بحب فتاة هندية تدعى فيليس وتزوجها . وكان من شدة هيامه بها أنه أهمل شؤون الدولة وانصرف عن كل شىء ما عدا حب زوجه . فاجتمع أشراف المملكة وتشاوروا فيما بينهم ثم ذهبوا إلى ارسطوطاليس مهذب الاسكندر والتمسوا منه أن ينصح تلميذه ليقلع عن حب فيليس ويعنى بشؤون مملكته . فسمع لهم وذهب إلى الاسكندر وغالى فى نصحه فانقاد له الاسكندر وهجر زوجه . ولما علمت فيليس بما كان ، أقسمت أن تنتقم من ارسطوطاليس فذهبت اليه وأخذت تتودد اليه حتى صار أسير حبها . وإذ طلب منها أن تقابل حبه بمثله اشترطت عليه أن يأذن لها بأن تركبه فرضى بذلك . وكانت فيليس قد أقسمت لزوجها الاسكندر أن تعلو ظهر ارسطوطاليس . ثم وضعت سرجاً على ظهر الفيلسوف ولجاماً فى فمه وسارت تعلو ظهره فى الشوارع . فلما رأى الاسكندر ذلك دهش وسأل ارسطوطاليس

كيف ينهى عن شيء ويأتي مثله . فأجابه الفيلسوف بما يشف عن حكمة سامية : « إذا استطاعت المرأة أن تتلاعب بعقل شيخ وقور مثلي فما أشد ما يكون ضررها على شاب مثلك ؟ انى قد جعلت نفسي عبرة لك وأضفت لك درساً الى الدروس التي القيتها عليك فما عليك إلا أن تعتبر »

هذه هي خلاصة الاسطورة . وقد بحث فيها المؤلف بحثاً تاريخياً مسهباً . فنثني على المؤلف لما يبذله من الهمة في خدمة الحقيقة

فهرست المطبوعات المتعلقة
بالانتدابات في الشرق الأدنى

هو كتاب يشمل جميع المطبوعات التي ظهرت بين سنتي ١٩١٩ و ١٩٣٠ خاصة بالانتدابات في الشرق الأدنى . وقد عنيت الجامعة الأميركية ببيروت بجمع هذا الفهرست وتنسيقه وقامت بطبعه بعدة لغات أوربية . وهي خدمة جليلة لطلاب التاريخ الحديث تشكر عليها الجامعة الاميركية

كتب أخرى

• (أحياء وأموات) تأليف الكاتب الفرنسي الكبير شارل ميردفيل . وقد ترجمها الأستاذ عبد المنعم حسن ترجمة حسنة . ونحن احوج ما نكون الى من يعنون بترجمة الآثار الغربية ترجمة قوية صادقة تحتفظ بروح الكاتب او المؤلف ولا تنقص الموضوع قيمته من الوجهة العلمية والفنية ، وقد نشرت هذه القصة تباعا بجريدة الاهرام الغراء ، وعنيت بنشرها مكتبة الوفد بشارع الفلكي بباب اللوق بالقاهرة . صفحاتها ٤٣٢

• (تاريخ مصر الحديثة) تأليف الاستاذ ابرهيم سيف الدين ، والأستاذ ابرهيم محمد عبده من مدرسي المدارس المصرية . وهو خلاصة مفيدة للطلاب في تاريخ مصر الحديثة ، ويحتوي على برنامج السنة الثالثة الثانوية . طبع بالمطبعة المتوسطة بالعشماوي بمصر . صفحاته ١٨٤

• (دموع) مأساة اجتماعية مؤثرة بقلم الأديب محمد فهمي وقد اجاد فيها المؤلف الى الحد الذي يستحق عليه الثناء . طبعت بمطبعة بابيل اخوان . صفحاتها ١٧٢

• (بحث في نقد الأدب العربي) بقلم محمد بديع شريف عضو البعثة العراقية بدار العلوم . وهو باكورة حسنة لهذا الطالب النشط ، تدل على ذكائه وحسن استعداده . طبعت بمطبعة العلوم بشارع الخليج بالقاهرة . صفحاته ١٠٠

• (فن طبع الأصابع) تأليف الأستاذ عبد الحميد فهمي رئيس مكتب طبع الأصابع . طبع بمطبعة النجاح ببغداد . صفحاته ١١٦

• (ذكرى الميلاد) وهو مجموعة مقالات أدبية واجتماعية وتاريخية عن عيد الميلاد باقلام طائفة من الكتاب . صفحاته ١٤٤ من الحجم المتوسط . طبع بمطبعة النيل المسيحية

بين الهلال وقرائه

على أثر صدمة

(القاهرة — مصر) ح . ع

صدمني قطار الترام وأنا صغير صدمة عنيفة كادت تودي بحياتي . ومع انه قد مضى على تلك الصدمة أكثر من عشر سنوات فلا أزال عرضة لخيالات مزعجة تنتابني من وقت الى آخر فيخيل الي أنني واقع تحت عجلات الترام أو السيارات . وكثيراً ما أحلم انني سوف أسقط من شفير جرف هار أو من مكان عال أو أنني مسوق لكي يقطع رأسي . الى غير ذلك من التصورات المخيفة . فماذا ترون لي من علاج ؟

(الهلال) حالتكم هذه عصبية فأهم ما تحتاجون اليه هو راحة اعصابكم بالاقلال من اجهاد الجسم وبالاعتدال في المعيشة وعدم الافراط في الاكل والشرب ، وبالاكثار من الرياضة البدنية التي لا تتطلب اجهاداً ومن النزهات الخلوية وملء الوقت بالاعمال المفيدة لان الفراغ مجلبة للافكار الكثيرة

والاستحمام بالماء البارد مضر بكم فيجب الاقلاع عنه بتاتاً واستبداله بالماء الساخن أو الفاتر لانه مهدىء للعصب . والافضل أن تستشيروا أحد الاطباء الاخصائيين ليضع لكم نظاماً للغذاء وللمعيشة بوجه الاجمال

تشتيت الفكر

(القاهرة — مصر) ومنه

قد أستغرق في قراءة موضوع مهم ثم لا البث أن أجد نفسي بعد مدة وجيزة قد خرجت عن الموضوع وأبعدت عنه وأخذت أفكر في موضوع آخر . وأستمر على هذه الحال وفكري مشتت ينتقل من موضوع الى موضوع . فما العمل للاقلاع عن هذه العادة ؟

(الهلال) هذه نتيجة الحالة العصبية التي تشكو منها . فاذا أمكنك معالجتها نجوت من تشتت الفكر وأصبح تفكيرك اعتيادياً . وعلى كل فليست معالجة حالتك من الامور المتعذرة

الانسولين

(المنيا — مصر) ابو المجد راشد

أصبح المريض بالبول السكري في حيرة كثيرة بسبب تعدد الوصفات « البلدية » التي يشير بها عليه البعض . فما رأيكم في هذه الوصفات وهل الانسولين يخفف في الحقيقة وطأة هذا الداء ؟

(الهلال) لا نعرف مرضاً كرض الديابيطس أو البول السكري تعددت الادوية التي توصف لعلاجه ولا سيما « البلدية » منها . وقد سمعنا من طبيب من الاخصائيين أنه يعرف نحو أربعمائة وصفة بلدية يدعي كل من استعمل وصفة منها انها الدواء الشافي من مرض البول السكري ، مع انها ليست في الحقيقة الا من قبيل الخرافات مهما شهد لها الذين استعملوها . وفي الواقع ان العلم لم يوفق حتى الآن الى اكتشاف دواء يشفي من مرض البول السكري وانما وفق منذ أكثر من عشر سنوات الى صنع الانسولين الصناعي . ولا يخفى ان الانسولين هو المادة التي تفرزها غدة البنكرياس . فاذا أصيبت هذه الغدة عجزت عن افراز الانسولين الذي هو لازم لامتصاص ما يدخل الجسم من السكر . والانسولين الصناعي مع انه أفضل علاج لمرض البول السكري لا يشفي من ذلك الداء وانما يجهز الجسم بالكمية التي يحتاج اليها منه . ولا بد من مداومة استعماله وقد انقذ حياة الملايين من المصابين بمرض البول السكرى

وقد قرأنا في احدى المجلات العلمية الاخيرة ان أحد الجراحين الاميركيين عالج بعض المصابين بهذا المرض بعمليات جراحية اصلح بها عطب غدة البنكرياس بحيث عادت الى افراز الانسولين بالحالة الطبيعية . ومن المحتمل ان تعم هذه العملية الجراحية فتصبح علاجاً ناجعاً لهذا الداء الوبيل

شجرة قديمة

(كنجستون – جامايكا) فريد حنا

كتبت احدى الصحف تقول في بلدة ماريادالتولا بالمكسيك شجرة سرو يعتقد علماء النبات أنها أقدم شيء حي في العالم لأن عمرها يختلف من اربعة آلاف سنة الى ستة آلاف . فما رأيكم في هذا ؟

(الهلال) ليس هنالك ما يمنع أن يكون ذلك صحيحاً . ففي كاليفورنيا بالولايات المتحدة اشجار يزيد عمر كل منها على ثلاثة آلاف سنة . ولعلكم تعلمون ان عمر الشجرة يعرف من عدد الحلقات التي في ارومتها . وهذه الحلقات تزداد حلقة واحدة كل سنة الا في حالات نادرة

ومما يجدر بالذكر ان ثخانة الحلقة النسبية دليل على درجة الرطوبة في السنة التي تكونت فيها تلك الحلقة . وقد استدل العلماء من هذه الحقيقة على ان درجة رطوبة الجو في كاليفورنيا والولايات المتحدة عموماً في عهد المسيح كانت أعلى منها اليوم

الاماكن المسكونة

(عمان – شرقي الاردن) ح . ج . غ

سمعت قصصاً كثيرة عن لسان اشخاص اكدوا لي أنهم سمعوا في بعض الاحيان أصوات صياح وأنين منبعثة من اماكن وقعت فيها بعض حوادث القتل . وحدثني رجل كبير السن أنه سمع ذات يوم وهو يجتاز البرية قبل طلوع الشمس صوت انين آت عن بعد الى أن دنا من رجم على الطريق واذا الصوت كانه انين رجل متألم . فما رأيكم في هذا ؟

(الهلال) لم يستطع أحد اثبات نظرية الاماكن المسكونة بطريقة علمية قاطعة وان يكن الكثيرون من العلماء – وفي مقدمتهم السر أوليفر لودج – يعتقدون صحة تلك النظريات ويعللونها تعليلات لا يتسع هذا المجال لشرحها

جو القطر المصرى

(عمان – شرقي الاردن) ومنه

لماذا لا ينال القطر المصري نصيبه من الشتاء والبرد كالاقطار الشقيقة ؟

(الهلال) تختلف حالات البلدان الجوية باختلاف مواقعها من خط الاستواء أو من القطبين الشمالي والجنوبي . فكلما كان القطر قريباً من خط الاستواء أو من المنطقة الاستوائية كان أكثر تعرضاً للحر . وبالعكس كلما ابتعد عن ذلك الخط . وهنالك عوامل أخرى تؤثر في جو البلدان ولا تخفى على من له أقل المام بعلم الجغرافية الطبيعية كشكل البلاد الطوغرافي وموقعها بالنسبة الى البحر وهل هي محاطة بسهول ام بجبال وهل هي قاحلة أم تكثر فيها النباتات والمزروعات – الى غير ذلك من العوامل الطبيعية التي لا يتسع لها هذا المجال

التثاؤب

(عمان – شرقي الاردن) ومنه

المعروف ان التثاؤب ينشأ عن النعاس . ولكن كثيراً ما يتثاءب الانسان من دون أن يشعر بالنعاس . فما تعليل ذلك ؟

(الهلال) يحصل التثاؤب عند ما تتمدد عضلات الصدر والتنفس ، وذلك غالباً بعد اجهاد طويل . وكثيراً ما يتأوم الانسان بعد هذا الاجهاد فيكون التأوم كالتثاؤب تماماً . وقد ينهض أحدنا من موضعه بعد جلوسه ساعات طويلة فيتمطى ويمدد عضلات جسمه كانه يحاول اطلاقها من قيدها . والطبيعة هي التي رتبت لنا التثاؤب لاراحة عضلات التنفس من حالة مملة هي نتيجة مكث تلك العضلات ساكنة مدة طويلة

حكماء كالحيات

(نيوكاسل – الولايات المتحدة) سليمان جرجس

يقول السيد المسيح كونوا حكماء كالحيات فهل تمتاز الحيات حقيقة بالحكمة ؟

(الهلال) توصف الحية بالمكر والدهاء والحكمة . وكان الاقدمون يعتقدون انها أحيل جميع الحيوانات واشدها دهاء وانها لو لم تكن كذلك ما استطاعت ان تخدع آدم وتسخر منه . والارجح ان غرض المسيح كان التأثير في سامعيه ليتحلوا بالحكمة التي كانوا يعتقدون انها من صفات الحية

الحالات العصبية الشاذة

(دمشق ـ الشام) م . ش

لي صديق اصيب منذ شهرين ونصف وهو في المدرسة بمرض خفيف تركه في حالة ذهول لا يستطيع معها أن يقرأ شيئاً ويفهمه أو أن يحل عملا حسابياً من دون أن يتضايق . وقد اتفق له اخيراً أنه بينما كان يحاول حل عمل هندسي تضايق جداً فهاج ومزق كتابه وخرج يطوف بالازقة كالمجنون . فلحق به احد رفاقه واعاده فدخل غرفته ورمى كتبه على الارض وحطم الآلة الكاتبة . ولا يزال الى الآن ينضب من الرياضيات لعدم استطاعته فهمها . فبماذا تشيرون على هذا الطالب ؟

(الهلال) أن ينقطع عن الدرس مدة الى ان تزول جميع الاعراض التي ذكرتموها لئلا تشتد وطأتها عليه وتنتهي الى عاقبة وخيمة . واهم ما يحتاج اليه هذا الطالب صفاء الفكر وراحة البال . وقد قرأنا عن حوادث كثيرة شبيهة بهذه تعالج في بعض انحاء اوربا بالالوان فيوضع الشخص المراد معالجته في بيئة تكون جميع الوانها زاهية مفرحة ولا يكون بينها الاسود ولا اللون الاحمر ولا الالوان الداكنة (الغامقة) . وامثال هذا الشخص يكونون عادة في حالة عصبية تتطلب كل عناية واهتمام ويجب ان يؤخذوا بكل لطف وتؤدة والا يصدموا في رغباتهم وميولهم الا عند اقصى الضرورة وان يجابوا بقدر الامكان الى ما يطلبونه والا يقاطعوا في الحديث ولا يتورط احد في مجادلتهم او مناقشتهم . وعلى كل يجب استشارة الاطباء الاخصائيين في طرق معالجتهم وما قد يحتاجون اليه من الادوية

وطن الانسان

(لاغوس ـ نيجريا) أحد القراء

رجل نزح هو وأسرته من مسقط رأسه الى بلاد اجنبية ليقيم بها . وله ولد لم يشأ ان يقيم مع والديه بل نزح الى بلد آخر واستوطنه . ثم مات أبوه عن املاك وعقارات في مسقط رأسه . فهل يرثها الولد اذا كان قد هجر « جنسيته » واتخذ « جنسية » الوطن الذي يقيم به ، وما هو وطنه الحقيقي في هذه الحالة ؟

(الهلال) يستطيع أن يرثها الا في حالات معينة . فقوانين بعض الدول تحرم على الاجانب ان يمتلكوا عقاراً في بلادها . ففي هذه الحالة يضطر الابن الذى نحن بصدده الى بيع ما يرثه . وكثيراً ما يجر اختلاف « الجنسيات » الى مشاكل سياسية دولية يصعب حلها لعدم وجود قانون دولي عام يسري على جميع الدول . أما الوطن الحقيقي للولد الوارث فهو الوطن الذي اختاره لنفسه واقام به مختاراً غير مكره . هذا في العرف القانوني ولكن «جنسيته» في العرف الادبي تتبع مسقط رأسه ورأس اهله

الامم والحكومات

(.....) د . م . ج

اي الامم اهنأ بحكوماتها . واي الحكومات اهنأ بشعبها ؟

(الهلال) الحكومة التي تتخذ من الحكم وسيلة للسهر على مصالح الرعية وضمان العدل بين الناس وتحقيق اسباب العمران هي افضل الحكومات وشعبها اهنأ الشعوب . وليس المفروض في الحكومات ان تهنأ بالحكم لان الحكم ليس من اسباب الراحة والهناء بل هو تبعة ثقيلة لا يستطيع حملها الا من تجرد عن مصالحه الشخصية لخدمة وطنه . والحاكم الذي يلتمس الحكم لاشباع مطامعه لا يمكن ان يهنأ او تهنأ به رعيته

الحشرات المضيئة في الليل

(....) ومنه

ما هي المادة التي تضيء ليلا في بعض الحشرات ؟

(الهلال) هي مادة فوسفورية في اجنحة الحشرات الطائرة التي يعرف العلماء منها نحو ستين نوعاً . وتعرف في اللغة العربية بالحباحب . ويظهر ان معظم النور يكون عادة في جناح الانثى منها وهي تستعين به على اجتذاب الذكر

الحياة محبة

صورة قديمة من حياة مصر الحديثة

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

أهدى شاب الى اناتل فرانس كتاباً الفه وتوسل الى كاتب فرنسا العظيم أن يقرأه ويبدى له فيه رأيه . وانقضت أيام وأسابيع تردد خلالها الشاب يسأل فرانس رأيه فى الكتاب . فلما كثر تردده وإلحاحه قال له فرانس :

ــ يابنى . فى مثل سنى لا يقرأ الانسان جديداً . وإنما يعيد تلاوة ما قرأ من قبل

وأحسب الامر لايقف عند الكتب وقراءتها وعود الانسان الى ما استراح له من قبل منها .بل هو يتناول الآراء والافكار والصور التى تحيط بالانسان منذ نشأته . هو يتخطاها واحدة فواحدة وهو يعتقد فى كثير من الاحيان انه قد خلفها الى غير رجعة اليها ، لـكنه ما يلبث ،كلما تقدمت به السن وكلما ازداد معرفة للحياة وما فى الحياة ، أن يعود اليها ليمتحنها وليرى مبلغ ما كان فيها من خير وفضل وليحاول أن يبعث منها ما يعتقده قوياً على الحياة صالحا لها

وهذا شعورى أنا اليوم . فقد تقلبت فى الحياة منذ الطفولة الى هذه الساعة التى أكتب فيها ، فى صور وألوان من الحياة ، وتعلقت فيها بآراء وأفكار ، ثم انكرت تلك الصور والالوان وطرحت تلك الآراء والافكار وأنكرت منها ما كنت أعرف واستبدلت بها غيرها ثم غيرها . وها أنا اليوم استعيد صورة الحياة أيام طفولتى وأسائل نفسى اذا لم تكن ادعى لسعادة الناس من صورة الحياة التى يحيون اليوم ، واذا لم يكن من الخير أن نعمل لاعادة هذه الصورة ، لا كما كانت فذلك غير ميسور ، ولكن فى الحدود التى ترضاها قوى الحياة فى هذا الزمن الحاضر الذى انتقلنا وانتقلت الحياة اليه

والروح التى كانت تحرك تلك الصورة تتلخص فى كلمتين اثنتين : الحياة محبة . محبة شاملة لكل ما فى الحياة ، ولاخواننا بنى الانسان جميعاً أولا . محبة لا يغض منها التنافس ولا يعدو عليهـا بقاء الاصلح ولا تعرف استغلال القوى للضعيف . محبة صادقة تعطر جو الحياة كله وتجعل الناس يتحركون فيه على انه الهواء الذى يتنفسون والنور الذى به يهتدون . . . ماذا ؟ لست أريد أن أبدأ بشرح فكرتى . . وانما أريد رسم صورة الحياة كما كانت فى دار طفولتى لأصور الفكرة كما تدور بخاطرى ولأترك لمن شاء تقديرها بما يشاء

فقد كان جدى عمدة البلد وكان يناهز السبعين حين ولدت . ولشيخوخته هذه — على ما أظن — تواضع أهل القرية فاطلقوا عليه لقب شيخ البلد . وكان رجلا مثلا فى التقى والورع . ولانه كان اكبر اخوته فقد كان هو الذى يدير املاك الاسرة كلها . وكانوا جميعاً كما كان ابناؤهم يقيمون واياه بدار واحدة أطلق الناس عليها اسم « الدار الكبيرة » لانها كانت كبيرة بالفعل . كان بابها الواسع حتى ليدخل منه جمل بحمله يفتح على دهليز يؤدى الى فناء رحب هو وسط الدار . ومن حول هذا الفناء كانت تقوم غرف فوقها غرف يختص بطائفة منها كل رجل وزوجه وأبناؤه . وكان قطان هذه الدار من أهلنا يزيدون على المائة عداً . وكانت لهم بها طاحون لا تهدأ الليل ولا النهار ، وأفران لتحميص الحب وأخرى لخبز العيش اختص بالعمل فيها بعض نساء الدار سواء من أهلها أو من اتباعهم يقمن قبيل الفجر ويعملن ، تلك فى تجهيز الحب للطحن وتلك لنخله بعد طحنه والاخريات للخبز . وذلك كله فى حركة متصلة قد تستمر أحيانا الى ضحوة النهار وأحياناً أخرى الى ما بعد الظهر . وفى جانب من هذه الدار الكبيرة تقوم زريبة لابقار اللبن وجواميسه تحلب فى المساء وفى الصباح قبل أن تذهب الى المزارع ويعمل من البانها الجبن والسمن . وعلى مقربة من الدار الكبيرة كان يقوم دوارا لمواشى به مرابط الثيران واسطبلات الخيل . ويلاصق هذه الدار مناخ الجمال . وهذه المواشى والخيل والجمال كانت تعمل فى اراضى الاسرة كلها لا فرق بين ماهو مملوك لجدى ولغيره من أهله وذويه لانه كما قدمت كان أباً للاسرة جميعاً فكانت كلمته فى الاسرة هى العليا وكان له فى قلوب اخوته وابنائه وابناء اخوته كل اجلال واكبار

وكنا نحن الصغار نتناول الطعام فى الدار . أما جدى فكان يتناول طعامه فى المضيفة القائمة الى مقربة من الدار الكبيرة ومن باقى مبانى العائلة . ولم يكن قط يتناول طعامه من غير أن يحيط به من أهل البلد ومن الضيوف عدد غير قليل . ومن هؤلاء أناس من أهل القرية عضتهم الحاجة فلاذوا بشيخ البلد يقضون أكثر وقتهم الى مقربة منه ويتناولون الطعام وإياه . ومنهم عدد قليل من أهله . أما الدار الكبيرة فلم يكن يقتصر تناول الطعام فيها على أهل الاسرة . بل كان التملية الذين يشتغلون فى المزارع يتناولون فيها طعام العشاء بعد عودتهم من عملهم ، كما كانوا يفطرون قبل ذهابهم لعملهم اليومى . أما الغداء فكانوا يتناولونه فى المزارع . وهؤلاء التملية كانوا يجلسون كتفا الى كتف مع أبناء العائلة الذين يعملون وإياهم فى المزارع ويشعرون جميعا كانهم أسرة واحدة هذه الدار دارها وهذا الخير الذى ينالون جميعا خيرها المشترك بينهم جميعا

فاذا جاءت المواسم وآن لشيخ البلد ان يحضر الكسوة جىء بها الى هؤلاء جميعا ، الى التملية والى أبناء العائلة . ولن أنسى كيف كانت احدى سيدات العائلة توزع الثياب على هؤلاء الناس من هذا المجتمع تعطى الواحدة كسوتها وكسوة زوجها وابنائها . والتملية وأبناء العائلة فى ذلك سواء لا امتياز

الا لبعض الكبراء ممن تقدمت بهم السن ومن أصبحوا بحاجة الى زى خاص يتفق مع سنهم ومقتضيات هذه السن من مبالغة فى الورع والتقوى

هذه صورة موجزة سطحية من الحياة فى دار طفولتى . وقد ظلت هذه الصورة كما هى او تكاد الى مابعد ذهابى الى المدرسة الابتدائية بسنتين أو ثلاث بدأت بعدها تتطورشيئاً فشيئاً . وها أنا أعود الآن فأستعرض هذه الصورة القديمة مضى عليها وعلى بدء تطورها ماينا هز الاربعين سنة، واسائل نفسى ان كانت مصر قد احسنت بالانتقال من هذا النوع من الحياة الاجتماعية الى النوع السائد اليوم . فما أشك فى أن هذه الصورة التى شهدت بدار طفولتى كانت السائدة الحاكمة منذ أكثر من ثلث قرن مضى فى مصر جميعاً . وما أشك فى أن اهل كل قرية كانوا فى ذلك العهد كأهل قريتنا يتعاونون فيما بينهم ويحب بعضهم بعضا ويدين شيوخهم بما كان يدين به جدى من كراهية الاستدانة ومن اعتبار القرية وحدة يجب أن يسهر كبراؤها عليها لحمايتها مما يعتقدونه السوء والأذى . وأدت كراهية الاستدانة هذه بجدى إلى ان أحداً من الاروام أو غيرهم من المرابين لم يستطع ان يجد له بالبلد عيشا . وكان احد اهل القرية اذا تأخر عليه لتاجر او للحكومة مال دفعه عنه غيره ونظرة الى ميسرة . وكان اكرام الضيف بعض عوائد اهل القرية جميعا حتى لكانوا طوال شهر رمضان يخرج الواحد منهم طعام افطاره امام باب داره فاذا مر به ساعة الغروب فقير أو غريب دعاه لمشاركته فى اللقمة التى امامه . ودعاه عن نفس طيبة وقلب مطمئن كما يدعو الاخ اخاه والولى الحميم وليه الحميم

ولم يكن ابن من ابناء العائلة أو احد من التملية أو رجل من رجال القرية يجد الى تذمر موضعا . ذلك انهم كانوا جميعاً يؤمنون بعدل شيخ البلد وبأنه رجل يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ويرعى الفقير والبائس والمحروم ويرى الأقربين أولى بالمعروف . ويقوم بما يقوم به من ذلك كله كما يؤدى فرائض صلاته وصيامه وزكاته وحجه ، مؤمنا بأنه يؤدى لله حق الله عليه ويقوم فى ذلك بأداء واجب الشكر لله ليزيده الله من نعمته . وكان مايضربه للناس من هذه المثل يدفعهم الى احتذائها ويجعلهم يحب احدهم اخاه أو صاحبه ، لا لان واجبا عليه ان يحبه . ولكنه يحبه كما يتنفس الهواء وكما يتناول الطعام فى اوقات الطعام

كانت الحياة محبة إذن بين أهل القرية فى ذلك الزمن النائى القريب . ذلك الزمن الذى شهدنا نحن من لانزال فى صيف العمر لم نتخطه بعد الى الخريف . أو لو تطورت حياة الجماعة المصرية فى هذا الدرب وبقيت هذه الحياة محبة تزداد كلما ازداد الناس معرفة للحياة واتصالا بها أفما كان ذلك خيراً من هذه الحياة التى استعرنا من الغرب والقائمة على أساس من الاثرة والشحناء والتنافس والبغضاء ؟ أو ليس غريباً ان يكون هذا الزمن الذى نفاخر به ونزعم انا قطعنا فى سبيله الخطى قد نأى بنا عن أعمق اسرار الحياة ــ المحبة ــ ودفعنا الى التفكير فيما يفكر أهل الغرب فيه من تضال الطوائف وفى

استئصال ما نظنه من اخواننا بنى الانسان غير صالح ، وأدى بالكثيرين منا الى أن يطرحوا جانباً معانى الفضل والكرامة والشهامة والكرم والايثار والمحبة ليسلكوا الى المجد الموهوم أدنى السبل الى الجريمة وأبعدها عن الخير والحق والجميل ؟ انى افكر اليوم فى هذا وأشعر حقاً باننا قد ملنا عن الطريق وضللنا المحجة وأننا أصبحنا نتخذ المثل الاعلى فى الحياة من حثالة ابناء الغرب الذين يفدون الى شرقنا مزودين بظاهر زائف من علم وفضل وباطن حالك اللون من شراهة وافتراس

أشعر بهذا . فهل يرجع هذا الشعور الى تفكير غير مقيد بالذاتية ولا متصل بهذا الماضى الذى أتحدث عنه ؟ أم أنه رجعة الضمير الى منشئه الاول وتأثره بالبيئة التى نجم فيها والتعاليم التى تغذى أول أمره بها وحرصه على استعادة صور هذه النشأة الاولى على نحو ما يفعل الاكثرون حين يبلغون سناً معينة فلا يقرأون جديداً وانما يعيدون تلاوة ما قرأوا من قبل ؟ هذا البحث نفسى جدير بالاعتبار . و يزيده فى رأيى بالاعتبار جدارة اختلاف الناس فى النظر الى الحياة باختلاف نشأتهم والتعاليم التى تلقوا أول حياتهم . كنت أتحدث الى أحد معارفى الغربيين منذ أيام فذكرت له أن لا شىء اهون من كسب الوفير من المال على شريطة واحدة : ألا يشتد الانسان فى تقدير اعتبار الفضل والنزاهة والكرامة. فكان جوابه : تلك اعتبارات علمها إيانا أشد الناس شرهاً للمال وحرصاً على اقتناصه لنكون أضعف منهم فى ميدان المنافسة . وكان دليله على رأيه هذا أن القسس ورجال الدين ممن نصبوا أنفسهم فى العصور الماضية لتعليم الزهد والاعراض عن الدنيا كانوا وما يزالون أوفر الناس ثروة وأشدهم للمال شرهاً . وهو لذلك يرى أن يعمل الانسان للوصول الى المال ما دام لا يقع تحت يد القانون لان المال قوة ولان الذين يعفون عن المال عجزاً منهم عن اكتنازه وادعاء منهم أنها الفضيلة والنبل هما اللذان يحولان بينهم وبين الثراء — هؤلاء يقعون فى كثير من الاحيان تحت سلطان أرباب المال يستغلون تفكيرهم وضمائرهم بما يشاء سلطان المال

وبينما يقول محدثى الغربى هذا الكلام تنشر الصحف أن هتلر زعيم ألمانيا اليوم إنما وصل الى ما وصل اليه من قوة لاحتقاره المال احتقاراً أدى به الى التنازل عن مرتب المنصب الكبير الذى يشغله اكتفاء بما تدر عليه كتاباته . وهتلر يعتقد أن الايمان الصادق بالفكرة والدعوة اليها دعوة خالصة من شوائب الغرض الذاتى أقوى من المال وأقوى من كل سلطان

أفيفكر هتلر ويفكر محدثى الاجنبى وكلاهما متأثر بماض قديم هو البيئة التى نشأ فيها ؟ ليكن الجواب بالاثبات أو بالنفى فلن يغير ذلك من رأيى شيئاً فى أن أعمق أسرار الحياة هى المحبة ، وفى أن ما تقاسى الانسانية اليوم من آلام يرجع الى رغبتها عن معرفة هذا السر وعن السعادة به ظناً منها أن الاثراء والنعمة المادية يغنيان عن الايثار والمحبة ورضى النفس . وهذا الظن إثم كله . وهو لذلك لا يمكن أن يعيش إلا ريثما تعود الانسانية الى إدراك سر الحياة

محمد حسين هيكل

أصول الأدب وأركانه

بقلم الامير مصطفى الشهابي

[لما كان العالم الجليل الامير مصطفى الشهابي في مصر ، رغبنا اليه ان يتحف قراء الهلال برأيه فيما ذهب اليه ابن خلدون في مقدمته عن أصول الادب واركانه ، فتفضل حضرته وبعث الينا بهذا المقال الممتع

لابن خلدون في مقدمة تاريخه جملة مشهورة هذا نصها : « سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن (أي الأدب) وأركانه أربعة دواوين وهي : « أدب الكاتب » لابن قتيبة ، وكتاب « الكامل » للمبرد ، وكتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ، وكتاب « النوادر » لأبي علي القالي البغدادي . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها » الخ

وكثيراً ما فكر الأدباء في هذه الجملة وفي مبلغها من الصحة . وبعضهم يرونها غريبة لأنه يتبادر إلى أذهانهم أن الأجداد الأقدمين خلفوا لنا عدداً من مصنفات الأدب السمينة غير الكتب الأربعة المذكورة ، وأن كلا من تلك المصنفات حقيق بأن يعد في الاصول والاركان إما لأنه أقدم من الكتب التي اعتمدها شيوخ ابن خلدون وإما لأنه حوى من فنون الأدب مالم تحوه تلك الكتب وإن جاء بعدها . ولا بد - قبل الخوض في هذا الموضوع الشائك - من تعريف لفظة الأدب ومن معرفة مدلولها ولا سيما في نظر ابن خلدون . فالفرنسيون يقولون : « ان الأدب علم الكاتب » ويقولون أيضاً : « انه منتوج قرائح الكتاب في أمة من الامم أو بلد من البلاد أو عصر من العصور » . ويرى ملا جلبي صاحب « كشف الظنون » أن الادب علم يحترز به عن الخطأ في كلام العرب لفظاً وخطاً . وأظنه نقل هذه الجملة أو نقل ما هو بمعناها من كليات أبي البقاء ، وهذا من علماء القرن الثامن . ويقول الانصارى في « إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد » ان الادب علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بأدلة الالفاظ والكتابة ، وموضوعه اللفظ والخط الخ . أما ابن خلدون فقد عرفه تعريفاً جيداً في قوله : « إن الادب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والاخذ من كل علم بطرف » وفي قوله : « ان ثمرة الادب الاجادة في فني المنثور والمنظوم على أساليب العرب ومناحيهم » وذكر عدا هذا جملا يستدل منها على أن الكتب الخليقة بأن تسمى كتباً أدبية هي التي تشتمل على شعر عالى الطبقة ونثر جيد ومسائل في اللغة والنحو وأحاديث عن أيام العرب وأخبارهم

ويتضح من ذلك أن الاصول الاربعة التى أوردها ابن خلدون في مقدمته يجب أن تكون متحلية بهذه الصفات الاخيرة كلها حتى تعد كتباً أدبية ، كما يجب أن تنفرد بالصفات المذكورة حتى يجوز حصر اصول دواوين الادب وأركانه بها دون غيرها . فأدب الكاتب لابن قتيبة (وهو ركن من الأركان الاربعة التي نحن بصددها) ليس كتاب ادب بالمعنى الذي يريده ابن خلدون ، بل هو في الحقيقة كتاب لغة حَسْب . ويمكن تسميته موجزاً للمعجم الذى جاء بعده وهو «المخصص» لابن سيده .فليس فى « ادب الكاتب » شعر ولا قطع نثرية جميلة ولا احاديث عن ايام العرب واخبارهم . ولهذا حق على القارىء ان يستغرب قول شيوخ ابن خلدون فيه وذكرهم اياه فى مقدمة الأركان الاربعة للادب وتخطيهم « عيون الاخبار » لابن قتيبة نفسه بل كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ايضا ، وهو كتاب على صغره يعد اقرب الى المصنفات الادبية من كتاب « ادب الكاتب » ! . ولا شك ان كتاب « الشعر والشعراء » المذكور صغير الحجم كما قلت لكن فيه تراجم لأهم الشعراء الاقدمين وامثلة من اشعارهم وقصصاً ونوادر ادبية . فلا يجوز اذن ان يعد « ادب الكاتب » من الاصول الادبية وألا يعد هذا منها

واذا جاز جعل « ادب الكاتب » في مقدمة الأصول الادبية ـ وهو كتاب لغة لا كتاب ادب كما قلتُ ـ فلماذا سها شيوخ ابن خلدون عن غيره من كتب اللغة القديمة ؟ بل لماذا سهوا عن « امثال العرب » للمفضل الضبي من القرن الثاني ، وعن « المفضليات » وهي اشعار جمعها الضبي ونقل عنها بعض أصحاب الاركان الاربعة ؟ ولماذا لم يذكروا في جملة هذه الاركان « طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين » لابي عبد الله بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ وهو كتاب فيه شعر واخبار ونكات ادبية ؟

ومما يستغرب اشد الاستغراب عدم ذكر « العقد الفريد » لابن عبد ربه الاندلسي في جملة الاصول الادبية ، على حين ان صاحب هذا الكتاب هو من معاصري ابي علي القالى او هو ممن تقدموه ودرجوا قبله ! فكيف تكون «أمالى القالى» احد الاصول الاربعة ولا يكون «العقد الفريد» واحداً منها مع انه خزانة آداب تلك الايام وعلومها وشعرها واخبارها وحكمها وامثالها وخطبها ووقائعها وعاداتها . وهو من أجود الموسوعات الادبية جاء في ثلاثة أجزاء تزيد صفحاتها على الف صفحة . وقد قلبتُ وجوه الرأي فلم أجد سبباً لتخطى هذا الكتاب السمين وعدم ذكره في جملة الاصول التى ذكرها شيوخ ابن خلدون . وقلت أخيراً لعل هؤلاء الشيوخ هم اندلسيون ولعلهم حسدوا ابن عبد ربه الاندلسي وهم أحرياء أن يأخذوا بناصره . أما إذا

كانوا يجهلون كتاب « العقد الفريد » (وهو مايُستبعد) فقد سقطت عنهم كل تبعة . لكن جهلهم كتاباً كهذا منقصة لهم وطعن في رأيهم وتجريح له

هذا في كتب أدباء عاصروا أصحاب الاركان الاربعـة أو مضوا قبلهم . وهنالك كتب كبيرة الشأن تُعد من أمهـات كتب الادب صنفها أدباء مشهورون عاشوا بعـد أصحاب تلك الاركان ونقلوا شيئاً عنها ، لكنهم ذكروا فى تضاعيف كتبهم أشعاراً وأخباراً ونكات أدبية كثيرة خلَتْ منها الاركان المذكورة . ولهذا يصعب على المنصف أن يعد هذه الكتب تبعاً للاركان وفروعاً تفرعت عنها . ومن هذه الكتب « أمالى السيد المرتضى » وهو الشريف ابو القاسم علي بن طاهر المتوفى سنة ٤٣٦ هـ . فهذا الكتاب يقع في مجلدين ويحتوى على تراجم عدد من الادباء والشعراء وعلى اخبار العرب وعلى تفسير الكثير من النصوص الادبية ، وغير ذلك مما تتناوله كتب الادب. ومنها «العمدة» للحسن بن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٦٣ فهو كتاب أدب جامع من أجود المراجع الادبية ، فيه شعر واخبار ولغة وغيرها . وكان ابن خلدون يعرف هذا الكتاب . وقد اطراه بما يستحقه لكن شيوخه لم يضعوه في جملة اركان كتب الادب . لان ابن رشيق عاش بعد أصحاب تلك الاركان ونقل عنهم شيئاً او عن بعضهم

ويستنتج مما ذكرته أن الجملة التي دونها ابن خلدون في مقدمته عن اصول الادب واركانه فيها مغمز لمن اراد استقصاء كتب الادب القديمة واحلال كل منها المكان الذي يستحقه . ولا يجوز على ما أرى إرسال جمل مطلقة كهذه الجملة وحصر أصول الادب العربي فى نطاق هذا العدد المحدود من الكتب . ولعل أئمة الادب وشيوخه في ايامنا هذه يعمدون الى هـذا البحث الذى لمستُه فى هذه الكلمة الموجزة فيجلُونه لنا ويُسهبون في إيضاحه . ومن البديهي ان إنكارى لرأى ابن خلدون لا يقدح في الكتب الاربعة التي نحن بصددها ،فهي بلا ريب من انفس المؤلفات التي يجب على النشء تدارسها ، لان ملكة اللغة العربية لا تُكتسب إلا بمراجعتها ومراجعة الامهات السائرة للادب العربي ، كالعقد الفريد وغيره مما ذكرته وكالاغاني للاصبهاني و«خزانة الادب » للبغدادى (وهو من المتأخرين) وكرسائل المتقدمين ومنهم الجاحظ وابن المقفع وسهل بن هرون وعمرو بن مسعدة واضرابهم من فحول الكتاب وملوك البيان

مصطفى الشهابي

في عالم الوحدة والمجد

بقلم الآنسة مي

هو غريب مجهول يضرب فى بلاد الله بلا هدف ولا محور — فماذا عسى يجديه الشباب والموهبة نفعاً ؟

يقولون ان الشباب غنى بالآمال والتفاؤل . أما شبابه هو فغنى باليأس والتشاؤم . إذ لا مال يقوم بحاجته ، ولا حبيب يؤنسه ، ولا قريب يعطف عليه ، ولا صديق يؤيده ، ولا من يعرفه فيزوده برسائل التوصية أو يقدمه إلى ذى نفوذ فى وسعه أن يمهد امامه أسباب العمل

هجر وطنه — الوطن الذى لم ينسحب منه العدو الا بعد أن جعل عمرانه خراباً — وطفق يجوب البقاع والبلاد باحثاً له عن طريق فى أثاويه المجهول . فهبط أخيراً المدينة العظيمة المأخوذة بدوار السرعة ، المتلظية بحمى الطمع ، الداوية بجميع الحان الفن وأصدائه

يده خالية الا من حقيبة السفر . وحقيبة السفر خالية إلا من تلك البذلة السوداء التى لامندوحة عنها للمثول أمام الجمهور فى الاجتماعات الرسمية . وكل ذخيرته كمنجة تهتز أوتارها بشتى الالحان والانغام كلما داعبتها أنامله

عرف الفتى مرة بعد مرة جميع صنوف الغم والألم ، وتجرع مرارة الوحدة فى ديار الغربة ، ووخزته كل يوم وكل ساعة تلك النظرات الموجهة عادة الى الذى يسير دواماً بمفرده فى الشوارع ويزور وحده المتاحف والهياكل والآثار . فادرك سر ما يجول بخاطر كل من نظر اليه تلك النظرة كأنه يسأله بغير كلام : من تكون ياهذا ؟ وأى عمل تعمل ؟ علام تقيم بهذه الدار وأنت عنها غريب؟ أتكون غنياً ؟ اذن أنت جئت لغرض لايمكن أن يكون فى مصلحة البلاد . أو تكون فقيراً ؟ اذن أنت جئت لغرض لايمكن أن يكون فى مصلحة البلاد ، علام تغادر بلادك وما هوالسر الذى يقصيك عن أهلك ؟ أنت غريب . أولا تعلم أن الغريب مشبوه أنى توجه وكائناً عمله ما كان . . . ؟

يدرك الفتى معنى هذه الاسئلة الصامتة فتستولى عليه عاطفة ألمة ، ويغص بالدموع ، وكأنه يجيب بلا كلام : لا وطن لى غير ذياك الوطن الذى تنعق فيه الغربان . ولا أهل لى غير أولئك الذين هم غل فى عنقى ، وقيود فى يدى ، وحجر عثرة فى طريقى . ولا مال لدى يكفينى ذل الحاجة ولا أنا من الذين يتسولون أو يقبلون نفحة الصدقة ، وفى نفسى عالم جمال يلهبنى ويعذبنى لا أجد له منفذاً إلى الفضاء . هذه هي حكايتى التى تستفهمون عنها ، ولكنكم لا تستطيعون فهمها لأنكم سعداء . . .

كذلك يجيب الفتى فى صمته اذ تصوب اليه النظرات الحادة فتشق صدره كالنصال متغلغلة فى

حشاشته . غير انه بعد كل أزمة من هذه الازمات النفسية حيث يخيل اليه انه فقد ذاته ونسى معنى وجوده ــ كان يرسل زفرة عميقة ويعمد الى مناجاة صديقته الوحيدة فى الحياة : الكمان

انشأ يطوف بالحانات الفخمة التى تجمع بين شتى صنوف الخلق فى السهرات . فيعزف فى جماعات اختلطت عندها المراتب والاخلاق والمطامع والميول ، وتوحد لديها طلب اللهو والرغد وتلمس وسائل المتعة والانفعال ، دون اكتراث بالجاد من الحديث والصادق من المواهب

هوه ؟ عازف آخر ينضم الى فيالق المتسولين على آلة النغم ؟ أف ، ما اكثر أولئك الناس من أهل الفضول ! . ولزملائه امتياز واحد على الاقل اذ يستصحبون صديقاً لهم أو غلاماً يجمع النقود من المتسامرين فى مجلس الأنس المخيء بينما العازفون يعزفون : أما هذا فيجمع النقود بنفسه بعد الفراغ من العزف ! لكأنه يتعمد العزف وقتاً طويلا بدلا من أن يأخذ بسرعة الفلس الذى يلقى فى قبعته المقلوبة فيريح الناس من ضوضائه على عجل :

يطوف كل ليلة بتلك الحانات فيعزف ، ويعزف ، ويعزف فى نشوة اليأس . وتقوم كمنجته بارسال دموعه المكبوتة أنغاماً . فاصغى القوم بادىء ذى بدء بارتياح وتمامل، ثم أصغوا بتلك السخرية الاجتماعية التى تحسب فى نفسها الاناقة كلها ثم مزجوا السخرية بشىء من التطلع ، ثم أصغوا ببعض الانتباه وصفقوا تصفيقاً فاتراً على سبيل العادة ، ثم استوقف انتباههم شىء لم يفقهوا ماهيته ثم صفقوا متحمسين . وأخيراً صار بعضهم لا يرتاد تلك الحانات إلا ليسمع كمنجة الغريب الفقير الذى لا يعرفه أحد

واتفق أن وجد ذات ليلة فى ذلك الجمع شخص لم تفلح حياة المجتمع فى شل أعصابه ، ولا هى فازت بتشويه مداركه وتحجير عواطفه وإفساد ذوقه وإخماد حميته،بل ظل باستعداده الفطرى وبصفاء روحه وبنبل فكره وبرفيع ثقافته ، يمتاز على سائر أقرانه من أهل الوجاهة والترف والثقافة الممسوخة . وجد شخص يقدر الموهبة فأصغى فى سكوت وفهم : فهم العظمة الكامنة فى تلك الكمنجة ، فهم التفرد الفنى الذى يحرك هاتيك الانامل ، فهم الكنز الزاخر المختفى فى تلك الروح الوجيع . فهم يأس الغريب الفقير الذى ساقته الحاجة الى ارسال عبقريته ألحاناً عجيبة على جموع ساخرة ، دعية ، متغطرسة تجرى وراء اللهو والرغد والانفعال والشهوات ، وليس فيها من يميز بين فن وفن ، وبين كمنجة وكمنجة . . .

لم يدن الشخص الممتاز من الموسيقار ، انما اختلى بصاحب أفخم هاتيك الحانات وحمله على التعاقد مع الغريب ليعزف كل ليلة فى ناديه . وكان ذلك فاتحاً لما يسمونه باب الفرج . اذ من ذلك الحين ذاعت شهرة الغريب وصارت تتخاطفه الفرق الموسيقية والحفلات الكبيرة والمسارح العظيمة ، وهو فى جميع مواقفه يتدرج من تفوق الى تفوق

ولم يذهب النجاح بلب الفتى وبرصانته ، لان الخيلاء لا تملأ غير النفوس الخاوية . أما هذه النفس المليئة بغناها فكان النجاح يحملها على التوغل فى الا كتئاب والتأمل . . .

لم يذهب النجاح بلب الفتى ، بل كان — كالفشل من قبل — مهذبه الصارم . وأنشأ يقتنى لنفسه مالا غنى عنه من الحوائج والادوات . فحسن فى نوع معيشته مستعيناً بتلك الرفاهية المتواضعة على اتقان فنه الاتقان الذى يطمح هو فيه . وعند ما تضاءلت همومه المالية واطمأن بعض الشىء على غده أراد ان يحقق حلماً قديما عزيزاً راود خياله منذ عهد الطفولة . فمضى يحج الى ضريح موسيقار خالد

هناك وقف جامداً فى الظاهر لايتحرك ، غير أن رؤى الفن أخذت تتجلى فى مخيلته ودفقت سيول الالهام على قريحته . وقف متهيباً واجماً مصغياً مترقباً . فخيل اليه أن الحجارة البكماء حواليه ، وحفيف الاوراق على الغصون ، وتلاطم الريح فى الفضاء ، والجلبة البعيدة الناجمة عن جهود الانسان ، وتفطر القلوب وتسكاب الدموع ، وأجيج العناصر ، وتعاقب الازمنة فى هاوية الابد — خيل اليه ان كل أولئك جوقة رائعة تتعاون على نسج عزيف واحد شامل . وتسرب اليه من جوانب قبر العبقرى أمر عنيف فى لطافته ، يحثه على اكتناه لغز العزيف الفخم ليرجعه توقيعا على أوتار الكمنجة

يا إشراق الوحى ! أأنت حلم فى اليقظة أم يقظة فى الحلم ؟ أأنت نور أم أنت لهيب ؟ أأنت ضراعة المخلوق الى الخالق ، أم انت عطف البارى على براياه ؟ أأنت المكافأة العادلة لمن عرف أن يتألم فى تجلد وبسالة ، أم أنت البسالة والالم والجور اللذيذ فى شكل مكافأة ومنحة ؟ ما أنت وما هى ماهيتك ، يا إشراق الوحى المتعالى عن كل وصف ؟

عاد الفتى من حجيجه وكأنه فى لحظات قلائل عاش وتعلم وجرب وجاهد الف الف عام : تلك هى آثار الوحى تفوق فى فوائدها كل وسيلة محسوسة ، وتبز فى نتائجها كل نظام موضوع . فانطلق فى أفق الابداع . وبقيت له تلك الذكرى منهل إشراق لا ينضب وهمساً سرياً يسوق اليه الانغام من عالم فوق هذا العالم ، وهيمنة سحرية تنقل اليه الاصداء من أجواء لم تكن تتصل بها قبلا مملكة الالحان . . وطفق يعيش نهاره فى وجود غير هذا الوجود . حتى اذا جن الليل فانبرى على خشبة المسرح بدا النور كهالة تفصل بينه وبين ما تحمل الارض من خلق وأشياء وشئون . فيمثل الفتى حيال الجموع فى وحدة نورانية ، ويعزف . . .

الالحان تتناثر من خشبة الكمنجة مكونة أسراباً موسيقية تنفلت من السجن الضيق لتطير وترتفع وتحلق فى فضاء أثيرى سحيق ، ناسجة بانتشارها مقاطع لغة تسكت جميع اللغات ، مثيرة فى كيان السامعين رعدة مخيفة لذيذة ، ساكبة على الجموع الخاشعة آيات تلك اللهجة العلوية التى تذهب بالنفس شعاعا فى حين هى تخضعها لسلطانها الرفيق الحنون . حتى اذا أمعنت الاسراب فى التحليق والانتشار عادت فلمت شعثها وأخذت تهبط شيئاً فشيئاً آئبة الى عشها السحرى فى الكمنجة فتضاءلت الالحان حتى تصبح همساً ، وتضاءلت فى الهمس أيضاً حتى تغدو نفسا رقيقاً شفيقاً وديعاً متغا يذوب ذوبا فى عالم الخيال ، دون أن ينتهى فى عالم المحسوس . . . فلا يدرك القوم أن العزف

قد انتهى الا بعد سكون دقائق . وعند ما يحاولون الاعراب عن الرهبة والتحنان الآخذين بلبهم يكون الغريب السحار قد خرج الى الشارع وسار في طريقه الى منزله الصغير

ولكن اتفق مرة أن الجمع المزدحم أخذ يتدافع بالمناكب ليلحق به . فادركوه وحملوه على الاعناق وانطلقوا به مهرجانا عجيبا في قلب الظلام حتى انتهوا به الى منزله ، الى غرفته ، الى سريره ، فأغلق بابه وراءه يطلب الراحة بالاختلاء بنفسه ، وينشد عالمه البعيد عن هذا العالم . غير أن الجماهير في الخارج ظلت تموج كمياه البحر ، بينا ألوف الاصوات تناديه ليظهر على الشرفة . فلبى النداء ، وما ان بلغ الشرفة حتى رفع يده مسلما . واذا بالاصوات تتعالى وتشتد وتحتدم وتعصف حتى انقلبت صوتا واحداً شاملا مفزعا يروع المدينة . واراد الفتى أن يسكتها فلم يجد الى ذلك سبيلا

لم يجد من سبيل سوى العودة إلى مخدعه ريثما يلتقط الكمنجة . وهناك على الشرفة الصغيرة ، حيال الجموع العجاجة ، أخذ الغريب يعزف . فسكتت الاصوات في لحظة ، وكان سكوت ، وكان هدوء ، وكان جمود ، كأن جميع أهل الحي مستغرقون في النوم . وفي السكون الشامل أقام الغريب في قلب المدينة العظيمة مملكة جديدة كلها سحر وطرب وشجن وفتنة وإشراق . . .

السماء صافية الاديم ، والنجوم تسطع ببهائها الجديد القديم . ونور القمر هنا ـــ شأنه شأن نور الكهرباء في المسرح ـــ يقيم حول الغريب هالة سحرية تفصل بينه وبين كل ما حملته الارض من مخلوقات وموجودات وشئون . . . والغريب ضمن هالة القمر يعزف ، يعزف ناسياً عبادة الجماهير ، يعزف جاهلا أن أحداً يصغي اليه ، يعزف متكئاً على عود الكمنجة في حزن عميق إذ لاشيء يثير دفين الحزن كالمجد الفير الخالص . . .

ليست هذه رواية كاتب بارع الخيال . بل هي ترجمة حياة قام يرويها رجل غريب في جماعة صغيرة من أهل الثقافة التأمت حلقة في قاعة هادئة باحدى مدن اوربا . وعند ما بلغ هذا الحد من الحديث سكت . وما لبث أن نهض مسلماً وانصرف عن القوم سائراً بخطوات هادئة متباطئة الى ناحية الباب

فسألت إحدى الموجودات : ما اسم هذا الرجل ؟

ـــ أولا تعرفينه ؟

ـــ سبق أن رأيته عدة مرات بين الزملاء والزميلات . ولكنني لم أتعرف به ولم أكلمه . ما رأيكم في روايته ؟ أليس انه محدث ماهر ؟ . . .

ـــ لم يرو غير حكاية حياته ...

ـــ ومن يكون هذا الرجل ؟

ـــ هذا واحد من ثلاثة . هم في هذا العصر انبغ عازفي الكمنجة بين جميع الشعوب على الاطلاق . . . « مي »

مظاهر التفكك الاجتماعي

في الممالك الاوربية

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدي

كانت الممالك الاوربية قبل الحرب العالمية فى حالة من استقرار النظم واستتباب الاوضاع بحيث كان يتوهم الناظرون اليها انها قد بلغت ـ على اثر الانقلابات الخطيرة التى طرأت عليها طوال القرن التاسع عشر ـ الى حد من الاتزان الاجتماعى ليس بعده مذهب

نعم كان الناظرون فى بناها (جميع بنية) يلمحون مظاهر من القلق فى بعض طبقاتها تبدو اعراضها تحت اسماء مختلفة من الاشتراكية والفوضوية وما اليهما ، إلا انها كانت من الضعف بحيث لا تؤثر فى مجرى الاحوال ، ولا تقوم عقبة فى سبيل أى اتجاه تأخذه تلك الحكومات نحو القيام بمهامها الخطيرة . . وكان الشيء الوحيد الذى يخشى منه على مدنية أوربا هو ما قد يتمخض عنه ذلك التنافس فى التسلح وفى اتخاذ المعدات المدمرة ، وتلك المسائل المعلقة بين الدول مما شطرها الى حلفين خطيرين ، يقوم احدهما إزاء الآخر ، وتكفى أية منازعة جدية بينهما لأن تحملهما على تحكيم الحديد والنار فى حلها

هذه كانت حالة الممالك الاوربية الى سنة ١٩١٤ ، وما كاد يجتاز العالم نصفها الأول بسلام حتى حدثت تلك الحادثة الشوهى من مقتل ولى عهد النمسا فى بلاد الصرب ، فكانت سببا فى ايقاد نار الحرب بين الحلفين الاوربيين المتناظرين ، واندلعت ألسنة لهيبها حتى عمت الامم المتمدنة ، إذ انتهزت كل دولة منها ـ لها ثأر عند بعض اعدائها ، أو مطمع فى التوسع على حساب جيرانها ـ هذه الفرصة لشفاء ما كمن بين جوانحها . فكانت مجزرة عالمية لم يشهد النوع البشرى أشنع ولا أقسى منها ، دامت نحو خمس سنين فأتت على كل مالدى الامم من عتاد وعدة

خرجت أوربا من هذه الكارثة العامة وهى من الضعف بحيث تحتاج لاستعادة قوتها ، ورأب صدوعها ، ولأم جروحها ، الى زمان طويل تقضيه فى هدوء شامل ، وسلام طويل . ولكن أنى لها ذلك وضعف الجماعات كضعف الآحاد يؤدى الى نضوب معين القوى الحيوى فيها ، ويثير فى جثمانها ما كمن فيه من العلل ، فيتأدى كثير منها الى مضاعفات خطيرة تهددها بسقوط وشيك فى دور من ادوارها . لهذا السبب تضخمت الاحزاب المتطرفة التى ترمى الى تغيير النظم المقررة ، واحداث الانقلابات الذريعة ، وكر أشياعها المطالبون بذلك ، ظناً أن

فى تغييرها إبلالا للمجتمعات مما أصابها من الضعف الذى أوقع آحادها فى ضنك عظيم

ولكن الحقيقة أن هذا الضنك ليس سببه فساد تلك النظم الاجتماعية . ولا دواؤه فى الخروج منها الى سواها مما يتخيله الاشتراكيون . ولكن سببه فى العهد الذى تجتازه الانسانية اليوم أن الأمم المتحاربة بعد أن اضطرت لانفاق عشرات الآلاف من ملايين الجنيهات فى سبيل مواصلة تلك الحرب الضروس ، نضبت مذخوراتها من المال ، فاضطر كل منها لايصاد باب المبادلات فى الأمور الكمالية ، مقتصرة على الضروريات ، فتعطلت أكثر الصناعات ، أو ضعفت حركتها الى حد كبير ، فاصبح عدد العاطلين فى كل منها يبلغ بضعة ملايين ، وفى أمريكا يزيدون عن اثنى عشر مليونا ، فانبنى على هذا أن اضطرت الحكومات الى إقاتة هذه الملايين بصرف نصف أجورهم اليهم ، وهذا يقتضى مضاعفة الضرائب وفرض الرسوم على المنتجين والمالكين ، فكان ذلك مدعاة لتعميم الشكوى من النظم المقررة ، فانضمت العناصر التى كان يرجى منها الثبات على تلك النظم والدفاع عنها ، الى صفوف المطالبين بتغييرها ـ على الخلاف الشديد الذى بين الطائفتين فى وجهة النظر . هذه الحالة أفضت الى زعزعة أصول الحكم فى كل أمة والى عدم استقرار الوزارات فى مناصبها . فالمسألة الاجتماعية والحالة هذه تستحيل فيما نحن بصدده منها الى مسألة اقتصادية بحتة ، لا مسألة عمرانية عالية . ولعل ماتأدت اليه الشئون فى روسيا أصدق مثال لما نقول ، وأوسع مجال لاستخراج وجوه العبر

فان هذه الأمة السلافية التى يبلغ عدد افرادها نحو مائة وخمسين مليونا قد ارتكست بسبب فساد تقاليدها الحكومية السابقة ، الى أقصى مرامى الاشتراكية المتطرفة وهى الشيوعية ، فلم تتأد الى أحسن مما كانت عليه من ضنك العيش ، وتراخى الربط الاجتماعية . وقد بلغ فيها التطرف حداً أصبحت معه تعمل على قلب كل نظام قديم رأساً على عقب ، حتى ما كان منها له جذور عميقة فى الفطرة البشرية ، وهو الدين ، فاخذت تعمل جاهدة على طمس معالمه ، ودك صروحه بنشر المبادىء الالحادية ، وهدم الاصول الدينية ، فحولت أكبر كنائسها الى مخازن ومدارس بعد أن جردتها من ممتلكاتها واستولت على مذخوراتها ، ونصبت إدارة رسمية للقيام ببث الآراء المادية ، وصرف الناس عن الشئون الروحية ، فأضحت حياتها الاجتماعية ـ بذلك التجرد من التقاليد ـ موقوفة على صدمة خارجية ، فاذا حدثت وخرجت منها منهزمة سقط كل ما أقامته على انقاض ماضيها من الصروح الوقتية ، ووقعت فى فوضى لايعلم غير الله مصيرها من جرائها . وأقل مايتوقع منها انها تنقسم على نفسها ، وتتحرر جميع ممتلكاتها ، وتضطر الى الانحسار فى حدود بلادها ، لتعيد نظامها الاجتماعى من جديد. وهذا يتوقف على نبوغ عقول كبيرة فيها تتولى هذه الاعادة فى آماد طويلة ، وأطوار متعاقبة . . واذا كان قد تبين لنا ان مظاهر التفكك فى النظم

الحكومية فى أكثر الممالك الاوربية ، ترجع الى تدهور فى حالاتها الاقتصادية ، اتضح لنا أن سلامتها تتوقف على عود عهد الرخاء اليها . فهل هذا العهد قريب منها ؟

الحكم فى مثل هذه الشئون يقتضى أولا حل مسائل عالمية معقدة بعضها يرجع الى العلوم الاقتصادية ، وبعضها الى الملابسات السياسية ، وبعضها الى المفاجآت الاجتماعية. فأكثر الممالك الاوربية تقوم فى الظروف الراهنة على حالة ديكتاتورية أو مايقرب منها ، يتوقف بقاؤها واستمرارها على حياة القائمين بها ، ولا يمكن أن يعرف ما تؤول اليه بعدهم

وأما من الناحية السياسية فالمتوقع وصول من بيدهم مقاليدها فى الأمم المختلفة ، الى حلول حكيمة تزيل شكوى الجماعات من معاهدات الصلح - تفادياً من أيلولة القلق الدولى السائد فيها الى حدوث حرب جديدة تقضى على البقية الباقية من مذخور الامم ، وتوقع أوربا فى اضطراب

بقيت المسائل الاقتصادية ، وهى وان تشعبت الى كل وجه وتعقدت ، فانها لقيامها على اصول طبيعية محضة يوشك أن تنفرج أزمتها يسيراً يسيراً بفضل المجهودات التى تبذل لتنظيم الانتاج والتبادل . وقد ظهرت بوادر الانتعاش الاقتصادى العالمى اليوم ، فلا يبعد أن يزداد على مدى الايام قوة ، وهو كلما استوعب من جمهور العاطلين عدداً ، قلت المشاكل الاجتماعية على نسبتهم لامحالة ، وثاب الى الرؤوس رشدها بقدر سكون جأشهم ، وطمأنينتهم على معاشهم

على أن مما يهدىء روع العالم على سلامة النظم الاجتماعية العليا ، التى حصلت عليها الأمم بأثمان باهظة من دمائها وأموالها ، أن أمتين عظيمتين بقيتا حارستين لها . وهما الأمة الانجليزية والأمة الامريكية . فان ثباتهما المالى ، ورسوخهما فى النظم الحكومية الى حد أنها قد أصبحت خلقاً ثابتاً فى آحادهما ، يكفلان استمرار هذه النظم فيها سليمة من كل انحراف أو تحول

ليس مؤدى قولنا هذا أن هذه النظم قد بلغت من الكمال حداً لايمكن تجاوزه الى أفضل منه ولكن مؤداه أن هذه النظم قد وضعت بحيث ترتقى وتتكمل فى دائرة معينة الحدود من الاوضاع الدستورية والحريات المذهبية . فأصبح بفضلها اللجأ الى تحكيم الحديد والنار لقلب نظام الحكم من شهوات الاحزاب المحبة للمغامرات والطامعة للوصول الى السلطة من طريق الغصب لامن طريق الكثرة البرلمانية التى هى المعيار الوحيد لاتجاه ميول الهيئة الاجتماعية

فالثورة والحالة هذه على مثل هذه النظم الحكيمة تعتبر من الجرائم التى لاتغتفر ولا تؤدى إلا الى نوع من الحكم لايتفق وما حصل عليه الانسان من الاوضاع الدستورية

فاذا كان رجال العلم الاجتماعى يغارون على هذه النظم الحكيمة فلأنهم يعتقدون انها قد وضعت حداً للحروب الاهلية بما ضمنته من تطوراتها فى دائرة النظامات البرلمانية

هذا مانقوله فى هذا الشأن الخطير . ولعل فيه نفعاً من صدى لمحبى هذه البحوث الاجتماعية

محمد فريد وجدى

الحياة في قصور اسماعيل

بقلم صاحب السعادة احمد شفيق باشا

يقوم صاحب السعادة احمد شفيق باشا بتدوين ذكرياته عن الخمسين عاماً الماضية. وهي ذكريات جليلة حوت شيئاً كثيراً عن الحياة الاجتماعية والادبية والسياسية في الجيل الماضي. وسيصدر الجزء الاول منها قريباً. وقد تفضل سعادته فاختص الهلال بهذا الفصل القيم الذي يصور الحياة الداخلية في قصور الخديو اسماعيل

كنت أسمع فى أواخر عهد اسماعيل أخباراً عن الحياة الداخلية فى قصوره، وكنت أعدها خيالا أو مبالغاً فيها على الاقل، فتحدثت الى حماتى، زوجة الفريق راشد راقب باشا، الذى استشهد فى حرب الحبشة، وشقيقتها حرم محمد بك عبيد أحد زعماء الثورة العرابية، واحدى كبيرات «القلفاوات» الموجودة للآن على قيد الحياة، وكلهن من معتوقات اسماعيل. وكانت حماتى ذات مكانة خاصة لدى البرنسيسات فكانت تعرف ما لا يعرفه غيرها، فحصلت على ما يجعلنى مطمئناً لما أذكره فى هذا الباب

فى سراى عابدين

الروايات التى تتناقلها الألسن عن أن سرايات اسماعيل كانت مملوءة بالآلاف من الجوارى والراقصات والمغنيات والعازفات على الآلات الموسيقية النحاسية أو الوترية، مبالغ فيها. بل لم يكن موجوداً فى سراى اسماعيل إلا «جوقة» وترية خاصة بزوجته الثالثة ومعها مغنيات

كان اسماعيل يقيم أغلب أوقاته فى عابدين مع البرنسيسات زوجاته الاربع حتى زواج ولى عهده توفيق باشا، فقد انفصلت والدته بعد زواجه وأقامت فى سراى القبة. وذلك عقب صدور الفرمان السلطانى بجعل ولاية مصر وراثية فى اكبر أولاد اسماعيل. وقد أشار السلطان على الخديو بأن يعقد على والدة توفيق فصدع بالأمر فصارت الزوجة الرابعة

أما البرنسيسات الثلاث فكانت تقيم كل واحدة منهن فى «بلك» - وهو مسكن خاص مستقل - ولكل منهن «قلفاوات» توزع عليهن الوظائف المختلفة من خازندارة وجماشرجية الخ وكان للقلفاوات خادمات خصوصيات من الجوارى السود، وفتيات شركسيات، يدربنهن للقيام بما تقوم به القلفاوات إذا ما كبرن

أما اسماعيل فكان له «بلك» تقفل أبوابه عند دخوله فى المساء. وكانت له أيضاً حاشية خصوصية من الحظايا والجوارى

وكان سموه يتناول الطعام مع البرنسيسات على الطراز الاوربى . وكان « العشى باشا الأسطى ابراهيم » - الذى خلف طاهيا فرنسيا فى القصر - والد محمود باشا فهمى وكيل دائرة المغفور لها الوالدة ، يرسل الاطعمة المخصصة للخديو ، على سنة سلاطين آل عثمان ، فى أوان ملفوفة بالقماش ومختوم عليها بالشمع الأحمر ، الى غرفة متصلة بالحرم فيتسلمها محمد بك الساغى « السفرجى » الخصوصى لاسماعيل ، ثم يخرج من هذه الغرفة فتتسلمها أربع « سفرجيات » من الجوارى تفك أختام الاطعمة وتقدمها الى المائدة . وهذا فى الاوقات التى تسمح لسموه بتناول الطعام مع البرنسيسات

وكانت تقدم الاطعمة فى أوان من الفضة ، إلا فى المناسبات الخاصة فكانت من الذهب(١) ومن الاطعمة المشهورة فى السراى صنف « الرز الخديوى » المصنوع بخلاصة رءوس الضأن أو البقر ، والديكة الرومية بكيفية مخصوصة

استقبال الزائرات

كان استقبال الزائرات سواء كن من الافرنج أم من أهل البلاد ، بأن يتقدم الاغا ، ويساعدهن فى النزول من العربة ، ويرافقهن الى باب الحريم . وهنا تأتى جوار مدربات ليتسلمن منهن « اليشمق والفراجية » أو المعاطف ويرافقنهن إلى « الصالون » فى الدور الاسفل ، وهو مؤثث بالاثاثات الفرنسية الفاخرة . ثم ترشد الزائرات الى « الصالون » الخصوصى للاميرات بالدور الثانى . وفى الاستقبالات العامة تتقدم الزائرات إحدى القلفاوات ، فى زى رجل بملابس مزركشة ، وكانت تختار ذات وسامة وقد رشيق طويل ، تحمل فى يدها عصا مفضضة غليظة فتسير بين أيديهن إلى حيث البرنسيسات ، وكان يطلق عليها اسم (الشاويش)

وكانت الاميرات يلبسن الملابس الحريرية الفاخرة ، ذات الالوان الزاهية والاذيال الطويلة فى زى افرنجى ، وكن يجلسن عند الاستقبال بجوار بعضهن ، وتقدم الزائرات الى كل واحدة منهن الوصيفة الخاصة بالترجمة عند وجود الاجنبيات . وكان يقوم بهذه المهمة بالتناوب وصيفتان هما قويسز خانم وجاره سز خانم

ثم تقدم القهوة فى فنجان ذى ظرف مصنوع من الاسلاك الذهبية الرفيعة على أشكال جميلة ومرصع بالماس ، وكان يسمى « شغل شفتشى أو سودانى »

ولقد كانت الداخلة لاول مرة فى سراى عابدين من الزائرات تدهش لمنظر الجوارى اللائى يستقبلن الزائرات فى ملابسهن الفخمة وتتساءل : أحقاً هؤلاء مملوكات !!

أما فى الحفلات الكبرى ، فى الاعياد وأفراح الانجال ، فكانت البرنسيسات يتزين بأبهى

(١) وقد حمل اسماعيل معه حين سفره من مصر الاطقم الذهبية الثمينة وكانت فى مخزن فى الجزيرة

زينة من الملابس المزركشة بالجواهر مما لا يشاهد حتى عند الملكات الاوربيات (كما يرى القارىء فى الصور الثلاث لزوجات اسماعيل)

فى السرايات الاخرى

وكان اسماعيل ينتقل بعض الاحيان من عابدين إلى إحدى السرايات الاخرى فى الجزيرة أو الاسماعيلية أو الجيزة . وكانت الاميرات يرافقنه فيها ، وكذلك كان للخديو فى كل من هذه السرايات « بلك » مخصوص تقيم فيه « القلفاوات » الخصوصيات والحظايا

أما كيف كانت زوجات اسماعيل يعشن على وفاق مع أنهن ضرائر ، فضلا عن وجود حظايا كثيرات له ، فقد علمت أن الغيرة لم تكن لدرجة احداث شقاق بينهن فى الغالب . وإذا حدث شيء من ذلك كان « خليل اغا » باش أغا والدة اسماعيل ، يقوم بتلافيه . والفضل فى ذلك يرجع لاسماعيل فانه عقد على من كان يعتقد فيها الرزانة والعقل الراجح ، والمحافظة على المقام العالى الذى يرفعها اليه ، فكن لآخر حياتهن محترمات موقرات من الجميع

وقد كانت الزوجة الثالثة لاسماعيل ذات مكانة خاصة لديه ، وكانت تتمنى لو رزقت خلفاً . فلما لم يقدر لها ما تمنته فكرت فى أن تتبنى لها بنتا وقد وقع اختيارها على فائقة خانم لما رأته فيها من صفات طيبة وأخلاق فاضلة

(وهى الآن زوجة حضرة صاحب السعادة محمد عزت باشا)

والدة الخديو اسماعيل

كانت فى شبابها جميلة الصورة ، وقد بقى أثر هذا الجمال مدة حياتها ، وكانت تحب السرور والانشراح . وقد أقامت مع حاشيتها الكبيرة فى سراى الزعفران بالعباسية

وقد تركت الوالدة هذه السراى بعد أن شيدت سراياً فخمة متسعة مطلة على النيل ، فى حى « جاردن سيتى » الحالى . ففى هذه السراى كان « طقم » موسيقى ، كالموجود فى آلايات الجيش ، مؤلف من أربعين عازفة لهن مديرة برتبة الاميرالاى ، وعلى صدرها نيشانان وهى التى كانت تدير بعصاها الفضية هذا الطقم . وكان أفراد هذه الجوقة يرتدين البنطلون والجاكتة ذات الأزرار المذهبة من الجوخ الاحمر المزخرف « بالقصب » ويلبسن على رءوسهن طربوشاً

وفى أيام الاعياد والمواسم والاستقبالات الكبيرة وفى أفراح الانجال السابق الكلام عليها ، كانت الموسيقى تعزف فى « كشك » من الخشب متصل بالحريم ، وعند دخول الزائرات بعزف بالسلام ، وبالادوار العربية والتركية والافرنجية . وكان يوجد فى البهو الداخلى فرقة أخرى موسيقية وترية مصحوبة بمغنيات مصريات وتركيات ، بالسراويل المزركشة بالقصب

ولهن أصوات جميلة فيطربن الزائرات ، وفى مكان آخر كانت فرقة راقصات فى أحسن زى وكلهن من ربات الجمال ، وكان هناك فوق ذلك فرقة لتمثيل روايات مضحكة (أوورطة أوبون) بينهن من يمثلن الرجال

من ذلك يتبين أن الأميرة خوشيار خانم افندى والدة اسماعيل ، كان لها غرام بالفن الجميل وكانت تنتقى الجوارى الحسان وتأتى لهن بالمعلمين والمعلمات مصريين وأتراكا وأجانب . ولا مبالغة اذا قيل ان هذه السراى كانت تحوى من الجوارى الحسان واتباعهن السودانيات مايبلغ الالف عداً

وهؤلاء الجوارى كن يشترين من بعض الاتراك الذين كانوا يأتون بهن من الاستانة ، وأغلبهن من أصل شركسى ، يأتون بهن صغار السن ، ويربونهن ويعلمونهن ثم يبيعونهن للسرايات وللكبراء . أما أميرات البيت الخديو فيرسلن احدى القلفاوات المعتادة انتقاء الجوارى فتطلع على أجسامهن ، وتختبرهن فيما تعلمنه ، وتنتقى من تصلح وتشتريها . وفى بعض الأحيان كان يوصى « اليسرجى » عند وجود (بضاعة طيبة) أن يجلبها للسرايات ، وكانت كل برنسيس تحب أن توجد خير ما يكون من هذه الجوارى لتنال زيادة الحظوة لدى اسماعيل

الطعام فى سراى الوالدة

كل شىء فى هذه السراى كان أميل للطريقة الشرقية ، فكانت تجلس الوالدة مع من يوجد من البرنسيسات والزائرات غير الأجنبيات على حشايا (شلت) مغطاة بقماش مزركش بالقصب وضعت على الأرض بهيئة دائرة وفى وسطها كرسى مغطى بنفس الغطاء المزركش ، وتوضع فوقه صينية من الفضة وأدواتها كذلك إلا فى المناسبات الخاصة ، فتكون جميعها من الذهب ، ويقوم بالخدمة جوار يرتدين اللباس الفاخر ، وفى يد بعضهن مذبة (منشة)

استقبال الزائرات

كان استقبال الزائرات لغاية باب الحريم ثم استقبالهن بالحاشية على النظام المتبع فى عابدين . إلا أنه يختلف فى جلوس الزائرات فى غرفة الاستقبال على مقاعد شرقية عالية ، على حين تجلس الوصيفات على حشايا (شلت) أرضية ، وتقدم للزائرات القهوة كما فى عابدين ، وكان يقدم لهن « شبكات » التدخين لمن يدخن . والشبك فرع من الياسمين رفيع بجوف مدبب من طرفه ليوضع فيه حجر من الفخار الأحمر به التبغ ، وتحت الحجر يوضع طبق من الفضة (طبلية) . ثم تقاد الزائرات الى غرفة استقبال الوالدة التى ترتدى الملابس الشرقية الثمينة . وكانت ترحب بهن باحترام وبشاشة . ثم ترجع الزائرات الى الصالون ويشربن الشربات أو « السوبيا » وبعدها يرافقهن الأغوات الى الباب الخارجي

العبقرية والمرض*

بقلم الاستاذ عبدالرحمن صدقي

> من المشهور أن العقل السليم في الجسم السليم ولكن استقراء حياة العباقرة يدل على انهم أكثر الناس أو من أكثر الناس تألما جسمانيا ونفسيا . وستجد في هذا المقال الطريف أمثلة عدة على امراض العباقرة وما كان يشوب حياتهم من أطوار شاذة وعلل مختلفة

العبقرية هى القدرة الانسانية الوحيدة التى يحق أن تعنو لها الرءوس وتخر الجباه من غير غضاضة ولا خجل . ونحن بطبيعة اجلالنا العباقرة وتعظيمنا قدرهم ورفعنا شأنهم ، ننساق فى معارج تنزيههم حتى نجنح فى فيض شعورنا وطلبنا الكمال الى تأليهم

فهل ترانا هنا نأتى منكراً إن ذكرناهم بما يشعر أنهم بشر ؟

كلا . بل هذه الصفة البشرية هى هى علة عطفنا وحجة عظمتهم

فهذا «هومر» أبو الشعر ضرير ، وملتون واصف الفردوس المفقود ، وأبو العلاء المعرى حكيم المعرة ومحكم اللزوميات كلاهما ضرير . ومن سخرية القدر أن ينكب بيتهوفن الموسيقار بالصمم ، ويموت بودلير المتصرف فى فنون القول أبكم ، ويولد ميشيل انجيلو المثال أعسر . وليس يخلو من المهانة مرأى كاموينز شاعر الاسبان أعور ، وايزوب صاحب الاساطير والعبر أحدب . وعزيز أن تتصور فولتير يقاتل الخرافة الدينية كالتنين الهائل وهو الاعجف البين العجف مع طول القامة وتقوسها ، وأن تتمثل اللورد بيرون سليل العلية الرائع الطلعة ، يحلق بخياله الجامح فى السماء ، ويظلع على الارض بقدمه العرجاء !!

موكب من النقائض لاينقضى عجبه ، لاجتماع الظلمة والنور ، والزيادة والنقصان ، والرفعة والضعة . ولكن ، ماذا نقول ؟ لعل البارىء إذ اختصهم بمواهبهم العليا وفضلهم العظيم ، اقتضت مشيئته ابتلاءهم بذلك التنغيص الأليم إظهاراً لعدله ، وآية على حكمته فى المساواة بين خلقه !

وبعد ، ليس هذا كل شىء . فلم يقف البحث المتعطش المسعور عند حد ، ولم يتورع عن اقتحام الهياكل وتهتيك الاستار ومجابهة القداسة وجهاً لوجه . فامتدت يد العلم الى العبقرية نفسها ، وتناولتها تقطيعاً وتشريحاً بمباضع التحليل

ولا يعد هذا الموقف تطاولا من دعاوى العلم الحديث ولا هو وقف عليه . فقد سبق اليه الاقدمون من قبل بالمشاهدة والاستقراء . فذهبوا مذهب أرسطو الى أن كثيراً من الناس

---

* اعتمدنا في هذه الكلمة على لومبروزو ، والدكتور كابانيز ، وبرنارد هارت

يصبحون من جراء احتقان المخ شعراء ودعاة نبوة ونوابغ فى السياسة والفن وهم بعد اصحاب سوداء مفاتين . ويجزم افلاطون بأن البحران ليس شراً بحال من الاحوال ، بل هو على النقيض فائدة من أجل الفوائد اذا أتى من فضل الآلهة وكرمها ، فجرى على السنة الكهان نبوءات صادقة وفاض من أفئدة الشعراء أغانى صادحة تشدو بالبطولة وتمجيد الابطال وتبقى عبرة لمستقبل الاجيال

وهذه المشاهدات قد أساء الناس تعليلها ، وتطورت جرياً على ديدنهم الى خرافة جعلت الامم القديمة تبجل المجانين وتنظر اليهم كأنهم ملهمون من السماء . فكان لسقراط شيطانه أو الروح التى تؤنسه . وكان لكل فحل من شعراء الجاهلية نجى من الجن ، فما هو بشىء يذكر لولا شيطانه . وزعموا أن لافظ بن لاحظ كان صاحبا لامرىء القيس وهو الذى القى اليه ما أعجب العرب منه . وهاذر بن ماهر صاحبا للذبيانى يسلسل له بفرائده الرائعة . ومدرك بن واغم صاحبا للكميت . ولقد نوه الأعشى بشيطانه فى قوله :

وما كنت شاحوذاً (١) ، ولكن حسبتنى إذا « مسحل » يهدى لى القول أعلق
شريكان فيما بيننا من هوادة صفيان : انسى وجن موفق
يقول فلا أعيا بقول يقوله كفانى ، لاعى ولا هو أخرق

وذكروا أن رجلا أتى الفرزدق فقال إنى قلت شعراً فانظره . واستهل ينشده . فما كاد يتم بيتا حتى ضحك الفرزدق وقال : يا ابن أخى ، إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما « الهوبر » والآخر « الهوجل » . فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه ومن انفرد به الهوجل فسد شعره ، وانهما قد اجتمعا لك فى هذا البيت ، فكان معك الهوبر فى أوله فأجدت ، وخالطك الهوجل فى آخره فأفسدت !

والتواريخ القديمة تفيض بأخبار هذه الظواهر العجيبة . وكانوا يعتبرونها شواهد على وجود روح إلهى أو شيطانى يتلبس بجسد الشخص أو يحركه من الخارج . وهذه الظاهرة اذا جاءت موافقة للمعتقدات فى عصرها استدل القوم على أن الروح المهيمنة طيبة رفيقة ، أما اذا تعارضت مع الشرعة السائدة فصاحبها لا شك فريسة شيطان مريد !

ولم تتبدل الحال فى العصور الوسطى ، إذ كانت الأفكار والآداب والفنون فى خدمة الكنيسة ذات الطول والجبروت ، وإذ يقوم الكلام مقام الفلسفة والتصوف مقام العلم فظل الرأى السائد عن هذه الظواهر انها نتيجة عامل خارق وهو إما صالح مبارك وإما خبيث شرير . وهم يسلكون تحت الشعار الاول الزهاد وأصحاب المواجد الصوفية وأهل الرؤى والنجوى والسبحات الروحية ويعتبرونهم رجال الله المقربين . على حين يحشدون من لاترتاح اليهم الكنيسة تحت عنوان « السحر » اللعين . وكانت لهم فى هؤلاء السحرة علامات بعضها

(١) يقال شاحذت الناقة عند المخاض رفعت ذنبها فألوته الواء شديداً

وهى مختلق وبعضها يسمونه « مخلب الشيطان » وما هو إلا رقعة من الجلد فاقدة الحس من أعراض الهستيريا . الى أن درج العلم الحديث واشتد ، واستقل عن الدين بطرائقه ومناحيه ، فلم يقبل الذهاب مذهب الأولين الى فكرة الشيطان طيباً كان أم خبيثاً فى تفسير مظاهر الشذوذ عبقرية كانت أم جنوناً ، بل مضى فى سبيله . وسبيل العلم يجمع المشاهدات ويسجلها ، ثم يرجع اليها بالتقسيم نسقاً نسقاً ومجاميع مسلسلة ، وأخيراً يستنبط منها قاعدة ، أو بعبارة أخرى قانوناً علمياً

وقد اعترضته عقبات وقامت دونه صعاب . منها أن المؤرخين كانوا الى ما قبل سنوات رواة وقائع لادارسى نفسيات . وكان همهم كله الى حكاية المخاطرات ووصف الحروب والفتوح وسوق المواكب ومعارض الروعة فى حياة الأمراء والشعوب على النحو الذى يشوق جمهرة الناس وسواد القراء ، وأغفلوا كل ماله علاقة بالبحث النفسى . ومنها أن معظم العباقرة من قدماء ومحدثين يمنعهم فرط غرورهم أن يكشفوا باختيارهم عن حقيقة حالهم ، فلولا - مثلا - أنه اتفق فى مرة واحدة أن يشهد شاهد الكاردينال ريشيليو فى نوبة صرع لما خطر مرضه هذا لأحد على بال

غير أن الباحثين وقد اتجهوا هذه الوجهة لم يدخروا صبراً ولم يألوا جهداً فى التنقيب فى بطون السجلات وثنايا التواريخ وفى دراسة مؤلفات العباقرة وتقصى رسائلهم واستفتاء شهود حياتهم وتأمل صورهم فى سائر سنى أعمارهم . وقد هداهم البحث المتشعب المضنى الى مشاهدات نورد فيما يلى موجزها

أخذوا على العباقرة فساداً فى البنية والتركيب ، فمعظمهم ينشأ شديد النحول . ولقد كان قيصر نحيلا وكان وهو يتغفل الجمهور ويقلب الجمهورية يتوجس خطراً من جانب كاسيوس لأن وجهه نحيل . كما أنه يغلب عليهم الشحوب حتى أصبح متعارفاً أن الشحوب لون العظماء . وهم يلفتون النظر بشكل أدمغتهم وفرط صغرها أو كبرها وعدم تناسقها ، حتى كان كتاب الفكاهة الاغريق يشيرون الى بيركليس بقولهم : « ذو الرأس الشبيه بالبصلة » . ولقد أصيب بعض العباقرة بقدع فى أدمغتهم من أثر سقطة أو صدمة كانت سر عبقريتهم . والأمثلة على ذلك جمة : منها أن فالنستين كان فى عداد المأفونين حتى هوى ذات يوم من النافذة . ومن حينها أخذت تظهر فيه قدرة فائقة وأصبح أبرع القواد فى حرب الثلاثين . كما لحظ الفاحصون فى عظمة جماجمهم دروز شتى ، إلا أن أمخاخهم تمتاز جميعاً بكثرة التلافيف وعمقها

ويظل العظماء فى الغالب أعزاباً . ومن تزوج منهم قل أن يرزق ولداً . قال بيكون : « أشرف المساعى وأجل المنشآت صدرت عن رجال لم يعقبوا نسلا ، فهم إذ يعيون بالخلف الصالح من

أجسادهم يحرصون على تأدية صور أذهانهم . فالعناية بالاجيال القادمة من الاعقاب يناط معظمها بمن ليست لهم أعقاب ، وقال لابرير : « هؤلاء القوم ليس لهم سلف ولا خلف . وهم أنفسهم بمثابة ذرية بعدهم كاملة » ولا متسع هنا لتعداد الاعزاب من العباقرة فنجتزىء منهم بهذا القليل من الفلاسفة : كانت - شوبنهور - ليبنتز - سبينوزا - ديكارت - لوك - بنتام - هيوم . ومن العلماء : نيوتن - جاليليو - كوبر نيكوس - مالبرنش - دالتون . ومن الكتاب والأدباء والشعراء : فولتير - شاتوبريان - فلوبير - جيبون - ما كولى - كامويز - ماتزيني - الفيرى . ومن الموسيقيين : بيتهوفن - هاندل مندلسون - ميربير . ومن الفنانين : رينولدز - ميشيل انجيلو - ليوناردو دافنشى . ومن الساسة : كافور - بت - فوكس

ويؤثر عن ميشيل انجيلو قوله : « حسبي بفني زوجة وأكثر من زوجة » . ويقرر فلوبير أنه لا يمكن الجمع بين عروس الخيال والزوجة ، وعلى المرء أن يختار بينهما . ويزعم آدم سميث أنه يدخر غزله لكتبه . ويروى عن القديس بولس أنه كان يباهي بالامتناع بتاتاً

ولا خفاء فى أن لهؤلاء فى هذه الوقفة التى يقفونها عللا تتفاوت اختياراً واضطراراً . فمنهم من أحجم لعدم استقرار الحال به أو لاشفاقه من الشواغل وحرصه على توفير الوقت للانقطاع الى عمله ، ومنهم صاحب الشذوذ الجنسى المتأصل فى طبيعته ، ومنهم غير الواثق بقدرته ، ثم نعرف منهم واحداً هو كافندش العالم الطبيعى محلل الهواء وكاشف تركيب الماء ، كان معدوم الغريزة الجنسية يستكره النساء ويكرههن

وبعد هذا ننتقل بالعبقرية الى منطقة خطيرة الى شواهد التشنج والصرع : فقد كان مونتسكيو يفحص بقدمه الارض منفعلا وهو يؤلف ، وكان بوفون والدكتور جونسون يبدو على وجهيهما تقلص والتواء . ويعانى نابليون الحين بعد الحين رجفة تعاوده فى كتفه اليمنى وشفتيه . وكان سقراط يقفز فى الطرق ويرقص لغير سبب . وغير هؤلاء كثيرون تتقبض ملامحهم ويغشى وجوههم مثل الزوبعة وينبعث من عيونهم مثل البرق وترتعد منهم الفرائص

وموليير قد كان يعوقه التشنج عن العمل أسبوعين متلاحقين . وكذلك باسكال فى شبابه تعتريه نوبات تلازمه اياماً . وكان الموسيقار باجانينى عرضة للشخوص وتخشب العضلات ، ونيوتن وسويفت عرضة للدوار الشديد المؤذن بمرض الصرع . بل هنالك المصروعون بالفعل وبينهم عظيمان حق العظمة : يوليوس قيصر فى التاريخ القديم ، ودوستيفسكى القصصى الروسى الذى أجمع المحدثون فى الخافقين على أنه أعظم القصاصين

وننتهى - بعد التردد الطويل - الى افراغ جعبتنا بذكر شواهد اختلال الاعصاب والجنون . فقد كان شومان نهبا للسوداء . ولما تقدمت به السن صار يسمع اصواتاً تأتلف الحاناً ، بل قطعا للعزف كاملة . ويخيل اليه أن بيتهوفن ومندلسون يمليان عليه التواليف الموسيقية من وراء

اللحد . وقد ظل سنوات عدة فزعاً يخشى أن يودع البيمارستان . وأخيراً ألقى بنفسه فى عباب الرين فانتشلوه . وكانت وفاته بعد ذلك بعامين فى احدى دور المجانين الخاصة . أما جيراردى نرفال فتتناوبه حالتان من خمود قانط وتهلل مشبوب . وكان يعشق ممثلة اسمها كولون من بعيد ويوالى ارسال باقات الزهر اليها من غير تعارف ، ويشترى العديد من مناظير التقريب ليرقبها على المسرح . ولما انقطع أيام الفاقة عن مشاهدة كولون لم تلبث حتى صارت عنده شبه معبود يعيش معها فى تفكيره الصوفى ويخلط طوراً بينها وبين كواكب السماء وتارة بينها وبين القديسات . ولقد رسم على الطرس بعسل الزهر رموزاً تشع من حول عملاقة غريبة الشكل تجمع أوصاف ديانا والقديسة روزالى والممثلة كولون . وفى ذات يوم كان بشرفة المنزل عند الغروب فاذا به يرى طيفاً ويسمع هاتفاً يناديه ، فاندفع من الشرفة وهوى وكادت السقطة تكون القاضية . ولقد تملكه فى أواخر أيامه جنون العظمة فزعم أن له قصوراً منيفة ، وزعم أنه من سلالة نيرفا وان علامة أبناء هذه الاسرة الذكور ميسم على شكل خاتم سليمان على صدورهم . وكان أثناء مقامه فى البيمارستان يتوهم أن مدير المستشفى هو المصاب ويقول : « يحسب هذا الرجل أنه المشرف على دار المجانين وهو نفسه المجنون ، وانما نتظاهر نحن بالجنون لنعبث به » ، وختم حياته بأن شنق نفسه على انبوبة بالوعة

والذين مسهم الجنون غير هؤلاء نفر غير قليل : منهم أوجست كونت صاحب الفلسفة الوضعية فقد قضى عشر سنوات وهو فى عناية طبيب من أشهر الاخصائيين لعهده فى أمراض العقل . واللورد بيرون وقد استشارت امرأته الطبيب فى حالته العقلية . والشاعر تاسو الذى اعترف باعراض الجنون فى رسائله ، ومثله القصصى الفنان هوفمان فى يومياته . كما أن كثيرين قضوا مجانين أمثال بودلير ، والروائى الامريكى ادجاربو ، والساخر الارلندى سويفت ، ونبى القوة نيتشه

ولنترك الكلمة للكاتب الأديب تشارلس لامب فقد ابتلى فى ريعان صباه باصابة من الجنون وهو داء وراثى فى أسرته . قال فى رسالة له الى كولردج : « سوف أقص عليك فى يوم من الايام حديثاً ممتعاً مفصلا ـ على قدر ماوعت ذاكرتى ـ عن الاطوار العجيبة التى لابسها جنونى . وانى احياناً أتلفت ورائى الى ذلك العهد فى شىء من الحسد والاسف ، لانى طوال مدته كنت أحظى بساعات عديدة من السعادة الخالصة . ولا تحلم ياكولردج انك ذقت كل ما للخيال من روعة متأبدة وجلال باهر مالم تجن . أما أنا فكل شىء يبدو لى الآن تافهاً أو شبه تافه »

ومما يزيد فى ارتياعنا أن طائفة كبيرة من العباقرة كان آباؤهم وأبناؤهم مرضى الاعصاب . مجانين أو صرعى أو مجرمين . فكان والد فردريك الاكبر مدمناً وشبه مجنون ، ومثله نجل

بطرس الاكبر . وكانت أم بيرون نصف مجنونة ، وأبوه يلقبونه جاك بيرون المجنون . وكذلك كانت أخت هيجل وديدرو ، وأخت لامب وقد قتلت أمها فى احدى النوبات الجنونية . وللعلماء فى اثبات هذا احصاءات مطولة

هنا نقف ، ونقف طويلا ، ونعود الى ما تقدم جميعه بالاستقراء والتدبر

فماذا يخلص لنا ؟ أيخلص لنا فقط من هذا جميعه أن العبقرية قد تتفق ومرض الاعصاب ؟

هناك فوق هذا خاطر جرىء يطوف بالاذهان متسائلا : أترى مرض الاعصاب هو العبقرية !! أترى مرض الاعصاب والعبقرية شيء واحد !! . وقصارانا فى التعقيب أن نقول :

لا مرية فى أن الرجل العادي يعمل ليأكل . فلا بد عند البعض من شذوذ فى الخلقة من شأنه أن يستتبع خروجاً عن هذا الطريق اللاحب المعبد . فالاسكندر أو نابليون لم يفتح الممالك ويدوخ الامصار ليأكل . وطلاب الاستكشاف والاختراع ، ومرتادو المجاهل والساسة وأبطال الانقلابات وناشدو الاصلاح ، والساعون فى تحقيق النظريات والفروض ، والمعبرون عن مشاعر النفس بشتى الفنون - كل هؤلاء كان لهم عن هذا الكفاح المضنى المجهول العاقبة مندوحة لو كان همهم طلب الأكل من أهون سبيل . ولكنهم يطيعون قوة لا طاقة لهم بمغالبتها ولا اختيار لهم فيها . وليس من شك فى أن هذه النوازع ، هذه الاستعدادات النفسية التى تميز العباقرة عن سائر الناس بالابتكار فى أفكارهم وتصوراتهم وغرابة عواطفهم أو حدتها وتفوق مواهبهم الذهنية ، انما تصدر عن نفس الحالات العضوية التى تصدر عنها النوبات المعروفة بالجنون . فالعبقرية والجنون سيان فى نشوئهما عن اختلال فى وظائف الاعصاب ، وانما الاختلاف فى مقدار هذا الاختلال ونوعه . ومن ثمة كان لا غنى للعبقرية عن الامراض التى تفعل فى القشرة المخية ، فتحدث فيها فرط تنبه يظهر أثره فى الابداع ووفرة الانتاج ومن بين هذه الامراض ما يكون فى مراكز المخ أصلا ، مثل تضخم بعضها تضخما يقابله ضمور فى المراكز الأخرى ، ومنها ما يرد تأثيره المنبه على المخ من حالات التدرن الرئوى ومرض الزهرى مثلا

وقد تنبه بعض العباقرة الى أهمية هذا التنبيه والاحتقان المخى فاحتالوا عليه بمختلف الوسائل المصطنعة . فكان شاعر الالمان شيلر يغط قدميه فى الثلج . ووليم بت وخصمه الألد فوكس من ساسة البريطان كلاهما لا ينشىء خطبه البرلمانية إلا بعد معاقرة الجعة المرة القوية . وكان ملتون ينظم ورأسه منكب على مسند كرسيه . وشيلى يدنى رأسه الى موقد النار . وروسو يعرضه لوهج الشمس وكان غيرهم يلف رأسه باللفائف أو يدسه بين الحشايا

وختام القول أنه اذا كان العقل السليم فى الجسم السليم . فان العبقرية النادرة فى البنية المتفززة ولئن كان أحد الفلاسفة من هؤلاء العباقرة قال : « أنا افكر . إذن أنا أكون » . فان لسان حاله وحالهم اجمعين ليقول : « انا اتألم . إذن أنا أكون »

عبد الرحمن صدقي

تاريخ العرب والاسلام في اوربا

بين تحامل الغرب ونسيان الشرق

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

[في هـذا المقال يجد القارئ، خلاصة لبعض المواقف والحوادث العظام في تاريخ العرب والاسلام في أوربا . وهي صفحة ما تزال برغم روعتها عرضة للتحامل والاغضاء والنسيان]

عفت ذكريات العرب والاسلام فى أوربا منذ أحقاب طويلة ، ولا تكاد الثقافة الاوربية الحديثة تعرف شيئاً عن تاريخ العرب والاسلام فى أوربا ، ولا عن تلك الدول الاسلامية الباذخة التى أزهرت قروناً فى اسبانيا وإيطاليا ، ولا عن تلك الآثار الفكرية والمعنوية التى طبعت الحضارة الأوربية فى جنوب أوربا بطابع عميق ما يزال أثره ماثلا فى كثير من نواحى التفكير والآداب والتقاليد الاجتماعية ، بل إن الامم الاوربية التى قامت فى مهادها وبسائطها تلك الامم الاسلامية لا تكاد تفسح فى تاريخها كبير مجال لتلك المرحلة من التاريخ القومى ، وتؤثر دائماً أن تمر عليها بمنتهى الايجاز والاغضاء . وقد كانت اسبانيا النصرانية حتى فاتحة القرن الماضى ما تزال تعتبر تاريخ اسبانيا المسلمة (الاندلس) وآثارها وذكرياتها رجساً يجب أن يطهر منه تاريخها القومى ، مع أنه ليس فى تاريخ اسبانيا أبهى وأمجد من هذه الصفحة . بيد أن البحث الحديث استطاع أن يتحرر نوعاً من مؤثرات هذه النزعة القومية المغرضة ، وأخذ بعض علماء الغرب منذ القرن الماضى يدرسون هذه الناحية من تاريخ أوربا والحضارة الاوربية ، وينوهون بأهمية الآثار الباقية التى خلفتها الحضارة الاسلامية فى تراث الغرب الحديث الفكرى والاجتماعى

على أنه إذا كان مؤرخو الغرب يؤثرون أن يمروا على هذه الناحية من تاريخ العرب والاسلام بالايجاز والاغضاء لاعتبارات قومية وغيرها ، فواجبنا نحن أبناء هذه الامم وحملة هذا التراث ، أن نحل هذه الصفحة الخالدة من تاريخنا وثقافتنا أعظم مكانة . والواقع أنها لم تأخذ حتى اليوم حقها من التعريف والتقدير فى مباحثنا التاريخية . وقد يشعر جيلنا المثقف بوجودها وأهميتها ، ولكنه لا يعرف كثيراً من تفاصيلها وحقائقها ، وقد يدهش أحياناً إذا تليت عليه بعض هذه الحقائق والتفاصيل، ويكاد يحسب أنه يسمع تاريخ أمة أخرى . ذلك أن القومية الغربية قد اسبلت منذ بعيد على هذه الحقائق حجاباً كثيفاً من النسيان والاغضاء ، فاضحت تبدو فى لون من الخيال والقصة . وانقطع بها عهد البحث فى الرواية العربية منذ أحقاب بعيدة . فلم يبق علينا إلا أن نستخلصها من غمر النسيان والتحامل . وأن نستخرجها من أشتات المراجع المختلفة ، وأن

نوثق الصلة بينها وبين نواحي تاريخنا الاخرى . وسنحاول فى هذا الفصل أن نلم بخلاصة مما تحتويه هذه الصفحة الخالدة من تاريخ العرب والاسلام فى أوربا . وكل مانستطيع فى هذا المقام هو أن نعرض بعض هذه الحقائق بسرعة وايجاز لتكون كل منها موضعاً للتأمل والدرس الخاص

لم يمض على وفاة النبي العربي زهاء قرن حتى كان تيار الفتح العربي قد اجتاح مغرب العالم القديم بعد أن اجتاح مشرقه . وافتتح العرب مصر وإفريقية ثم عبروا إلى اسبانيا وانتزعوها من يد القوط (٩٢ هـ — ٧١١ م) وأسسوا بها دولة جديدة شامخة استقرت فى اسبانيا ثمانية قرون كاملة ، ولبثت مدى أحقاب تبهر أوربا برائع حضارتها وعلومها وفنونها . وإذا كانت الاندلس وقصتها وذكرياتها ما تزال تمثل قوية فى التاريخ الاسلامي ، ويتطلع جيلنا المثقف إلى استطلاع تاريخها باهتمام وشغف ، فان تاريخها لم يكتب حتى اليوم بما يجب من دقة وافاضة . وما زال فى تاريخها نواح مجهولة لايكاد يعرفها سوى خاصة الباحثين . فمثلا ما تزال تفاصيل الغزوات الاسلامية فى غاليس (فرنسا) غامضة منسية ، وقلما يعرف شيء من سيرة تلك الفتوحات الباهرة التى قام بها العرب مدى نصف قرن فى قلب فرنسا حتى أعالى نهر الرون وضفاف اللوار ، أو من تفاصيل موقعة بلاط الشهداء (١١٤ هـ - ٧٣٢ م) التى التقى فيها العرب والفرنج والاسلام والنصرانية فى سهول تور وبواتيه . وكانت من أعظم المواقع الحاسمة فى مصاير الاسلام ومصاير أوربا القديمة . وقد استقر العرب فى جنوبى فرنسا نحو نصف قرن واستولوا على معظم قواعد وادي الرون مثل ليون (لوذون) وبزانصون وصانص التى تبعد عن باريس نحو مائة ميل فقط . واستولوا فى الجنوب على أربونه (ناربون) وقرقشونه (كاركاسون) ونيم وجميع المنطقة التى تعرف اليوم « بالربتيميا » ، وأسسوا منها ولاية خاصة جعلوا قاعدتها أربونة . ووصلوا فى غزواتهم فى تلك الانحاء الى بلاد اللنبرد (لومبارديا)(١) ولم يستطع الفرنج أن يستردوا هذه الانحاء من العرب إلا بعد غزوات وحروب مستمرة دامت نحو نصف قرن . وسقطت أربونه أمنع قواعدهم فى يد ببين ملك الفرنج سنة ٧٥٩ م . وفى أواخر القرن الثالث الهجرى (أواخر القرن التاسع الميلادى) عاد المسلمون فدخلوا فرنسا من خليج « سان تروبيه » . وانتشروا فى بروفانس ودوفينه من مقاطعات فرنسا الجنوبية . وكانت حركة غزو واستعمار غير منظمة قامت بها جماعات مغامرة من مسلمى اسبانيا وإفريقية . وأنشأت لها فى تلك الانحاء قاعدة حصينة للغزو والدفاع تعرف بحصن « فراسنتوم » . وفى أوائل القرن العاشر الميلادى اخترقت بعض السرايا الاسلامية مفاوز دوفينه وعبرت جبال الالب من آكام « مون سينس » . واحتلت بعض نواحي « بيمون » و « ليجوريا » ، وجنوبى سويسرة . ثم توغل

(١) يسمى العرب ايضا بلاد اللنبرد بلاد انكبردية تعريبا للاتينية القديمة Longbard

المسلمون فيما بعد فى سويسرة حتى بحيرة « كونستانس » وأنشأوا هنالك مستعمرة . واحتلوا فى جنوبى فرنسا فريجوس ومارسيليا وجرينوبل ونيس مدة طويلة ، وما زال ثمة فى تلك الانحاء بعض آثار وتقاليد تنم عن قيام الحكم الاسلامى والحضارة الاسلامية فيها مدى عصور

هذه حقائق فى التاريخ الاندلسى ما تزال منسية مجهولة ، وهى فى الغالب مما لم تعن الرواية الاسلامية بتدوينه أو الافاضة فيه ، وهى مما تحاول الرواية الغربية دائما أن تغض من شأنه وأن تغمره بحجب من التشويه والتحريف والتحامل . بيد أن الفضل يرجع أيضاً الى هذه الرواية المحرفة التى كتبت فى تلك العصور وكتبها الرواة القسس على الأغلب ، والى بعض الأذهان الحرة المنصفة التى جاءت فى العصر الحديث تستخلص منها حقائق التاريخ ، فى وقوفنا على كثير من تفاصيل هذه الغزوات والمحاولات المدهشة التى تشهد للعرب والمسلمين الأوائل بروح قوى من العزم والمغامرة وشغف الغزو والاستعمار وانشاء الحضارة ، يجدر بأعظم شعوب التاريخ .

على أن غزوات العرب والاسلام فى أوربا لم تقف عند هذا الحد ، فقد كان للعرب والاسلام أيضاً اعمال ومحاولات باهرة فى جميع انحاء البحر الابيض المتوسط ، وبخاصة فى المياه الايطالية . ففى أوائل القرن الثالث غزت بعض السرايا المسلمة الجريئة جزيرة اقريطش (كريت) (٢١٢ هـ - ٨٢٧ م) وانتزعتها من الدولة البيزنطية وانشأت فيها دولة لبثت زهاء قرن ونصف . وفى نفس هذا الوقت غزا المسلمون جزيرة صقلية وافتتحوها بعد حوادث ووقائع جمة (٢١٤ - ٢٦٤ هـ)و(٨٢٩ - ٨٧٨ م) ، وقامت فى صقلية دولة إسلامية زاهرة استطالت زهاء قرنين ، ولبثت قواعدها وثغورها الشهيرة مثل بلرم (بالرمو) وجرجنت (جورجنتو) وقطانية ومسينى وسرقوسة ، مدى عصور ترسل ضوء الحضارة الاسلامية الى سائر الأمصار والثغور الايطالية . وغدت صقلية منذ افتتحها المسلمون قاعدة كبيرة من قواعد الحملات والغزوات البحرية الاسلامية فى المياه والثغور الايطالية. وكانت هذه الحملات تنقض بلا انقطاع على الشواطىء الايطالية الشرقية والغربية فتنشر الذعر والروع فى الامارات النصرانية . وغزا المسلمون كلابريا (قلورية) وهى قاصية جنوبى ايطاليا ، واستولوا على ثغر بارى (باره) وانشأوا به قاعدة قوية للغزو فى هذه المياه (٢٢٧ هـ - ٨٤٢ م) وأثخنوا فى نواحى قلورية وفرضوا الجزية على معظم مدنها . وفى سنة(٢٣٢ هـ - ٨٤٦ م) سارت حملة بحرية مسلمة من صقلية الى شاطىء ايطاليا الغربى ، وبعد أن عاثت فى ثغوره ونهبت فوندى ، رست امام مصب نهر تفيرى (التيبر) الذى تقع عليه رومة ، ثم نفذت الى رومة ونهبت كنيستى القديس بطرس والقديس بولس وكانتا وقتئذ خارج رومة ولم ينقذ ملكة العالم (رومة) من الوقوع فى يدها سوى جند الامبراطور لويس الثانى ، فارتدت الى محاصرة جايتا ، واضطر البابا ليون الرابع الى تحصين ضاحية الفاتيكان ، واستولى المسلمون فى نفس الوقت على ثغر تارانتو(تارانت) ثم على راجوزا (رغوس) من ثغور الادرياتيك

الشرقية ، وغدا اسمهم فى تلك المياه مثار الروع والرهبة ، وعاد المسلمون فى سنة (٢٥٦هـ - ٨٧٠م) فساروا الى غزو رومة فى حملة بحرية كبيرة ، والتقوا باسطول الثغور الايطالية المتحدة امام مصب نهر تفيرى ، ونشبت بين الفريقين معركة بحرية هائلة ارتد فيها المسلمون امام اضطرام العواصف . بيد أنهم استمروا فى حصار رومة حتى اضطر البابا يوحنا الثامن خلف البابا ليون الرابع أن يفاوضهم فى الجلاء ، على أن يدفع لهم جزية سنوية كبيرة . واستمر نفوذ الحضارة الاسلامية مدى عصور طويلة يطبع حضارة الدول الايطالية بطابعه ، واستمرت الحضارة الاسلامية غالبة مزدهرة فى صقلية مدى عصور حتى بعد سقوط دولة الاسلام فيها واسترداد الفرنج إياها .

ان هذه الحقائق التاريخية المدهشة تبدو لجيلنا المثقف اذا ماتليت عليه فى ثوب من الخيال والقصة ، لانها لاتأخذ حقها من التعريف فى تواريخنا ومباحثنا ، واذا كانت تعتبر بالنسبة للبلاد الأوربية التى وقعت فيها من حوادث التاريخ القومى ، فانها من جهة أخرى صفحة من تاريخ العرب والاسلام لها جلالها وخطورتها . وهى تمثل فى الواقع فى الرواية الغربية أكثر مما تمثل فى الرواية الاسلامية ، ولكن العوامل والنزعات الدينية والقومية تصوغها فى معظم الأحيان فى صور من التحريف والتحامل تسبغ على قيمتها وأهميتها وآثارها فى سير التاريخ الاوربى وتكوين الحضارة الأوربية سحبا من الريب . ولم نورد هذه الحقائق المنسية فى تاريخ الاسلام والعرب فى أوربا إلا على سبيل التمثيل فقط . وهنالك طائفة كبيرة أخرى من الحوادث التى تتعلق بصراع الشرق والغرب والاسلام والنصرانية فى ميادين الحرب ، أو بالتقائهما فى مهاد السلم وتعاونهما على بناء الحضارة الانسانية ، وكلها مما يستحق الدرس والتحقيق . بيد انه اذا كانت الرواية الغربية تنتقص فى أحيان كثيرة من قيمة الفتوحات العربية والاسلامية فى اوربا ، وتصورها كما تصور غزوات الدول البربرية ، حملات ناهبة مخربة ، فان البحث الغربى الحديث يبدى بالعكس فى تقدير الحضارة الاسلامية وآثارها فى بناء الحضارة الأوربية كثيراً من الانصاف والتقدير ، وينحنى فى مواطن كثيرة اجلالا لاولئك الذين ارتفعوا بالتفكير البشرى الى اسمى المراتب ، وبرعوا فى الآداب والعلوم والفنون ، بينما كانت أوربا تتخبط فى غمر الجهل والتأخر

على اننا مازلنا عالة على الغرب فى استجلاء هذه المواقف ، فلم يكتب بالعربية حتى اليوم تاريخ العرب والاسلام فى أوربا بصورة علمية . وما زلنا نعتمد فى تعرف الحضارة الاسلامية على المباحث الغربية ، ولا نجد من شواهد التنويه بعظمة هذه الحضارة إلا فى اقوال مؤرخى الغرب . ومن الاسف أن جيلنا يتأثر فى أحيان كثيرة بما تعرض الرواية أو المباحث الغربية المغرضة فى ذلك من الاقوال والاحكام التى تصوغها النزعات القومية والدينية ، ولا يكلف نفسه جهد البحث فى المصادر والوثائق العربية . أفلم يحن الوقت اذاً لكى نتولى نحن واجب البحث والتحقيق فى ثنايا هذا التراث الباهر ؟

محمد عبد الله عنان المحامى

شخصيات الشهر

الرئيس ماساريك: بمناسبة بلوغه الرابعة والثمانين

لم يكن والد المسيو توماس ماساريك رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا الحالي غير حوذي في البلاط الامبراطوري النمسوي، وقد توفي وولده توماس مايزال فتى، فكفله خاله وكان صاحب دكان صغير فاشركه معه في العمل، ولكن اليتيم كان محباً للعلم طموحاً، فاخذ يختلس الوقت اختلاساً ليلتهم ما يقع في يده من كتب، وما زال دائبا على الدرس والتحصيل حتى ضرب بسهم وافر في الادب والفلسفة، وأخيراً شجعه أهله فادخلوه مدرسة عليا، وفي أثناء تردده على تلك المدرسة تعلم الروسية والبولندية والصربية والفرنسية والانجليزية والايطالية

وكان المسيو ماساريك في الثانية والثلاثين من عمره لما عين استاذاً في جامعة براغ عاصمة تشكوسلوفاكيا اليوم، وكانت براغ وسائر بلاد التشك والسلوفاك خاضعة للنمسا في ذلك الحين، وكان أهلها أي التشك والسلوفاك يتحينون الفرص لتحرير أنفسهم وبلادهم من نير الحكم النمسوي، فما كاد يدخل جامعة براغ حتى جعل همه إعداد أفكار الناشئة التشكية والسلوفاكية ليوم الاستقلال، فالتف حوله الشبان المثقفون

واتسعت حركة المسيو ماساريك ونشاطه على مر الايام فالف حزبا سياسيا غايته تحرير بلاد التشك والسلوفاك وتحقيق استقلالها، ثم لم يلبث أن انتخب عضواً في مجلس النواب النمسوي فذاع اسمه في الدوائر السياسية النمسوية، ومن ذلك الوقت بدأ النمسويون يمقتونه وينفرون منه

ولما نشبت الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ رأى أنها ستكون فرصة مناسبة لفصل بلاد التشك والسلوفاك عن النمسا وتأليف دولة مستقلة باسم « تشكوسلوفاكيا ». فأخذ ينشر الدعوة لذلك، ويحث مواطنيه على الجهاد والاستشهاد، فشعر ولاة الامور النمسويون بحركته وأحاطوه بجواسيسهم لمراقبة نشاطه. ولما أيقنوا أن خطره يزداد كل يوم قرروا اعتقاله، ولكن أخبار هذا القرار نميت اليه سراً قبل ذلك، فلاذ بالفرار الى سويسرا، ومن هناك أخذ يدير حركة الثورة في داخل بلاده. وقد وقع اختياره على سويسرا لسببين، الاول لقربها من تشكوسلوفاكيا، والآخر لانه وهو فيها يستطيع أن يكون صلة اتصال بين مواطنيه المهاجرين ومواطنيه المقيمين في الوطن

وبعد ما أيقن المسيو ماساريك أن نار الثورة في داخل بلاده اشتعلت زار فرنسا وانجلترا ناشراً الدعوة لقضية قومه فيهما، وكان ساعده الايمن الدكتور بينش قد سبقه إلى باريس ونشر كتابا فيها

عن مطالب التشكوسلوفاكيين ، ورحب ساسة الحلفاء بالمسيو ماساريك وأصغوا الى أقواله ، وكان المسيو بريان (وزير خارجية فرنسا إذ ذاك) أول من عطف عليه وعلى قضية مواطنيه . واتفق معهم على تأليف جيش تشكوسلوفاكي صغير يحارب مع جيوش الحلفاء جنبا الى جنب . ولتحقيق هذه الغاية سافر الى روسيا وألف ذلك الجيش من الاسرى التشكوسلوفاكيين الذين جندهم النمسويون وأرسلوهم الى ميدان القتال فأبوا أن يحاربوا الروس واستسلموا لهم

ولما كان ذلك الجيش يحتاج إلى مال سافر من روسيا إلى الولايات المتحدة وهو فى السابعة والستين من عمره ليجمع التبرعات اللازمة للجيش وللدعاية من المهاجرين التشكوسلوفاكيين . وفى أثناء اقامته فى اميركا اتصل بالدكتور ولسن وأقنعه بعدالة القضية التشكوسلوفاكية فوعده خيراً . ولكن فى ذات يوم علم المسيو ماساريك ان النمسا أرسلت إلى الدكتور ولسن تطلب الصلح على يده فخشى أن يتساهل معها ، وللحال أعلن استقلال تشكوسلوفاكيا من مدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة . وكان ذلك فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٨ وفى الوقت عينه أبلغ المسيو بينش حكومات الحلفاء أن المجلس الوطنى التشكوسلوفاكى الذى أدار الحركة الوطنية (وكان مقره باريس) يؤلف الحكومة التشكوسلوفاكية الاولى وقتيا . فاعترفت حكومات الحلفاء بهذه الحكومة الجديدة حالا . ولما عقدت النمسا الهدنة وجدت نفسها امام الامر الواقع

وقد عرفت المسيو ماساريك فى مصر فى سنة ١٩٢٧ لما زارها زيارة غير رسمية ثم عرفته فى براغ فى سنة ١٩٢٩ . وفى المرتين ألفيته على أعظم جانب من الديمقراطية ورقة الجانب . وأكتفى هنا بسرد النادرة التالية ، وهى انه لما عاد الى العاصمة من الاقصر قابلته فى محطة القاهرة ، فقال لى وهو يصافحنى : « يظهر أن اجدادكم كانوا صحافيين ماهرين ، لانهم كانوا يكتبون كل شىء ويكتبون فى كل مكان » ، وكان يشير إلى الكتابات الهيروغليفية التى على جميع الآثار المصرية

الكبتن ايدن : رجل الساعة في انجلترا

كان السنيور موسولينى أول من قضى على تلك الفكرة العتيقة القائلة بأن الشبان لا يصلحون للسياسة ، وأثبت للملأ أن العقل الراجح والفكر الثاقب لا يعرفان سناً ، فاوفد السنيور جراندى إلى جنيف ليمثل ايطاليا فى جامعة الامم ومؤتمراتها يوم ان كان جراندى مايزال فى الثانية والثلاثين أو الرابعة والثلاثين من عمره ، وقلد المرشال بالبو وكالة وزارة الطيران وهو فى الثامنة والعشرين . وما كاد الهرهتلر يقبض على مقاليد الحكم فى المانيا حتى نهج منهج زميله الايطالى وإذا به يختار مساعديه الاولين من الشبان ، ونعنى بهما « جورنج » و « جوبلز » وهذا علاوة على أنه ما برح فى سن الشباب

واليوم نرى انجلترا ، انجلترا التى لم يكن يمثلها حتى اليوم إلا مكدونلد أو بلدوين أو هندرسن أو السر اوستن تشمبرلن أو السرجون سيمون ، وقد تجاوزوا جميعاً الستين . . . . اليوم نرى

انجلترا تعهد إلى شاب ما يزال فى السادسة والثلاثين من عمره فى تمثيلها فى محادثات نزع السلاح وجامعة الامم ، أى فى أهم ما يشغل أوربا الآن

وقد اشترك الكبتن ايدن فى الحرب العظمى ، واستبسل فيها فأنعم عليه بنشان صليب فكتوريا جزاء شجاعته . ولما وضعت الحرب أوزارها عاد إلى جامعة اكسفورد وعكف على درس اللغات الشرقية . ولما نال شهادته فيها عرضت عليه وزارة الخارجية منصباً فيها ، ولكنه كان منصباً صغيراً لم يرض مطامعه فرفضه ورشح نفسه لمجلس النواب فى الانتخابات التى جرت فى سنة ١٩٢٢ ففشل فيها ، غير ان فشله لم يثنه عن عزمه . ولم يلبث ان انتهز أول فرصة سنحت له بعد ذلك ورشح نفسه مرة أخرى ، ففاز بأمنيته . وأحبه السر اوستن تشمبرلن وزير الخارجية إذ ذاك وقدر مواهبه وعرض عليه أن يكون سكرتيراً برلمانيا له ، فقبل المنصب مغتبطا به ، ونهض بأعبائه ثلاث سنوات ، ثم اعتزله ومكث سنتين بعد ذلك لا يؤدى عملا الا عمله كنائب . ولكنه امتاز فى خلال هاتين السنتين بمواهبه فى الخطابة وفى اساليب الحوار البرلمانى وفى إحاطته بمشكلات السياسة الدولية . فلما الفت الوزارة القومية فى سنة ١٩٣١ اختير وكيلا برلمانيا لوزارة الخارجية

وكأن الظروف شاءت أن تظهر الكبتن ايدن أكثر مما أظهرته قبلا ، فأصيب السير جون سيمون وزير الخارجية فى السنة الماضية بما اضطره الى تخفيف أعباء العمل عن عاتقه فألقاها على عاتق وكيله الشاب ، ومن ذلك الحين يجوب الكبتن ايدن عواصم أوربا ويسافر الى جنيف بلا انقطاع ليمثل حكومته فى محادثات نزع السلاح وتعديل نظام جامعة الامم وتقرير مصير النمسا . وقد عين أخيراً حاملا لأختام الملك وهو منصب يخوله حق حضور جلسات مجلس اللوردات

وقد رأيت الكبتن ايدن فى الصيف الماضى فى سراى السر فيليب ساسون المثرى الانجليزى الكبير ووكيل وزارة الطيران البريطانية ، فألفيته شاباً جميل الطلعة أنيق البزة هادىء الحركة ، وإذ لمحت كثيرين من الحاضرين يحيطونه بمظاهر التبجيل سألت أحدهم عن اسمه فقال لى : « هو الكبتن ايدن . . . رجل المستقبل فى انجلترا »

الشاه رضا بهلوي ومضيه في سياسة الاصلاح

احتفل فى الشهر المنصرم بعيد ميلاد جلالة الشاه رضا بهلوى ملك ايران . وقد كانت هذه السنة من أصعب سنى حكمه إذ واجه فيها حركات لها أغراض شتى ، ولكنه عرف كيف يقضى على هذه الحركات كما قضى على مثيلاتها قبلا ، وقد اضطره قمعها فى هذه المرة الى إبعاد رجلين طالما أعزهما واعتز بهما ، وهما تيمور طاش وزير البلاط وقد قضى نحبه فى السجن ، والسردار أسعد بختيارى وزير الحربية وهو ما يزال فى السجن

والذى استوقف نظرى فى جلالة الشاه بوجه خاص عند زيارتى لايران من سنتين هو شغفه

بالاصلاح وقبوله لكل اقتراح معقول مهما كان عصرياً مع أن جلالته لم يخرج من بلاده منذ ولادته . ولكن حسب المرء أن يعرض عليه فكرة فيها فائدة للمجموع حتى يأخذ بالفكرة ويعمل لتنفيذها.وقد ذكرني كثيراً من هذه الناحية بما كان عليه ساكن الجنان المغفور له محمدعلى باشا الكبير

مثال ذلك أن جلالته سمع أن حركة المرور فى عواصم اوربا الكبرى تدار ليلا بالكهرباء فأعجبته الفكرة ولم يمض طويل زمن حتى أصبحت حركة المرور فى طهران تدار بالكهرباء

قيل له إن للبريد فى اوربا سرايات فخمة يسير العمل فيها بدقة وانتظام فأمر ببناء سراى فخمة فى طهران للبريد الايرانى فجاءت اكبر سراى للبريد فى الشرق

وأدرك جلالته أنه إذا أراد إصلاح جيشه وأسطوله حقيقة فلا مندوحة له عن إيفاد البعثات العسكرية الى أوربا فأوفدها اليها . وفطن جلالته الى أن دولاب التجارة فى بلاده لا ينتظم الا إذا عبد طرقها وأصلحها ومد سكة الحديد فيها ففعل ذلك بقدر ما سمحت له ميزانية الحكومة

وبنى جلالته فى ايطاليا أسطولا من السفن الصغيرة لحماية الشواطىء الايرانية ومراقبتها ، ولكيلا يحتاج الى ضباط اجانب فيها أوفد الى ايطاليا بعض الشبان الايرانيين فدرسوا فيها العلوم والفنون البحرية فى نفس الوقت الذى كانت المصانع تشتغل فيه بصنع تلك السفن

ولم يقصر الشاه عنايته على ناحية من نواحى الاصلاح دون غيرها ، بل وجهها اليها كلها . ومن ذلك أنه يعيد بناء كل مدرسة قديمة على الطراز الحديث بحيث تستوفى جميع شروط الصحة والراحة مع استيفائها لاسباب العلم الصحيح . وقد شرع اخيراً فى تشييد سراى فخمة لتكون متحفاً اهلياً

هيروتا : زعيم اليابان السياسى

يدير دفة سياسة اليابان فى هذه الاوقات العصيبة رجل لولا الظروف لحرمت بلاده من مواهبه وجهوده الجبارة ، وهو « هيروتا » وزير الخارجية اليابانية الحالى . وقد نشأ هذا الوزير العصامى فى أسرة فقيرة ، وكان أبوه عاملا يشتغل بقطع الاحجار ولكنه عنى بتعليم ولده

ولما بلغ « هيروتا » السن التى تؤهله لدخول الحكومة اراد الانتظام فى سلك التمثيل السياسى فتقدم للامتحان الدبلوماسى الذى يعقد للراغبين فى الالتحاق بهذا السلك ولكنه سقط فى الامتحان

وظن « هيروتا » أن باب العمل فى السلك السياسى أقفل فى وجهه ، فأخذ يفكر فى عمل آخر ولكن المصادفة أتاحت له يومئذ رجلا كان ذا نفوذ فى وزارة الخارجية فاستطاع ان يعينه فى هذه الوزارة بالرغم من سقوطه . وبعد ما قضى فى وزارة الخارجية مدة قصيرة عين ملحقاً فى احدى المفوضيات اليابانية ، ثم ظل يتقلب فى مراتب السلك السياسى الى ان بلغ مرتبة وزير مفوض ، فسفير ، وكان آخر منصب تقلده من هذا النوع منصب سفير اليابان فى روسيا السوفياتية

كريم ثابت

أثر الفن الاسلامى
في الحضارة العالمية

بقلم الاستاذ حسن محمد الهوارى

كان العلماء الى عهد قريب يفصلون الفن الاسلامى عن دوحة الفنون التى يعتبر الفن الفرعونى اصلا لها ، ويقولون انه غير متصل بحلقات الفنون المتعاقبة ، والتى لها ضلع في تكوين الحضارة العالمية الحالية . فهو عندهم كالفن اليابانى أو الصينى قائم بذاته منفرد فى ناحيته

ولكنهم عادوا أخيراً ففطنوا الى أنه إن لم يمكن اعتباره حلقة من سلسلة الفنون فعلى الاقل كان له تأثير عظيم في نواح عديدة في كثير من حلقات السلسلة الفنية . وحسب الحضارة الاسلامية فخراً أن تكون القابضة على زمام الحضارة العالمية في القرون الوسطى وقتما كانت أوربا غارقة في دياجير الظلمات

زمام الحضارة الاسلامية فى العالم

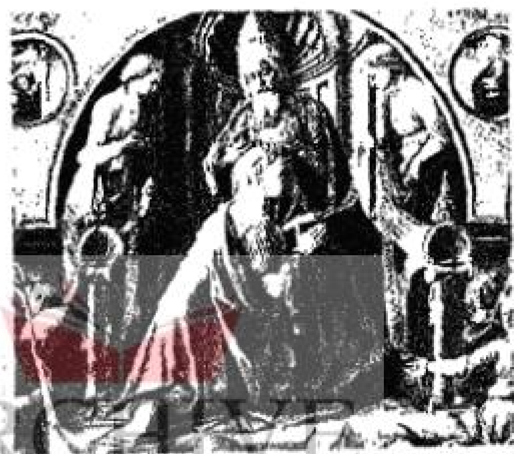
بزغ نور الاسلام في أوائل القرن السابع للميلاد . وكان القابض على زمام الحضارة العالمية دولتين عريقتين فى القدم : دولة بني ساسان في بلاد فارس ، والدولة الرومانية الشرقية في شرق البحر الابيض المتوسط . وكانت هاتان الدولتان قد شاختا بفعل الزمن ، وأصبحتا على شفا الانهيار . وكانت الدولة العربية فى دور التكوين بانبثاق فجر الاسلام وبزوغ فجر الحضارة الاسلامية ، فبهرت الأمة الفتية العالم بمدنية جديدة وسعت شعوبا عدة ، وامتد سلطان المسلمين من المحيط الهندي الى المحيط الاطلانطيق وصبغت الممالك التى انتشر فيها سلطانهم بصبغة واحدة

أثر الحضارة الاسلامية فى الشرق

وما عجزت عنه مدنيات اليونان والفرس والرومان من التأثير في البلاد التى اخضعوها لسلطانهم تمكنت المدنية الاسلامية من القيام به ، فوسمت الدول المغلوبة بطابعها الاسلامى الخاص الذي استساغته هذه الدول لجماله وبساطته وحسنه وسلاسته ، شأن العرب في بداوتهم الأولى التى رافقتهم آثارها ولازمتهم فى أدوار حياتهم كافة . فمصر التى ظلت متمسكة بمدنيتها الفرعونية زهاء اربعين قرناً ، والتى كانت تطوي كل فاتح تحت جناحها وتصبغه بصبغتها الفرعونية ـ اصطبغت بالمدنية الاسلامية فناً وديناً ولغة واندفعت مع تيارها الغالب تتسابق في مضمار الفنون والاجادة فيها حتى صارت في طليعة الشعوب الاسلامية

وما كان للمسلمين من أثر عميق في مصر كان في غير مصر من البلدان التى دانت لهم . وأرم





لوحة من عمل المصور فرا ليبولي Fra Lippo Lippi تمثل تتويج العذراء بأشرطة من قماش محلاة بالكتابات العربية . والصورة العلوية تكبير للجزء المشغول بالاشرطة

ظاهر واضح في الاندلس وشمال افريقا والشام والعراق وبلاد فارس. وقد تعدى هذه البلاد الى الهند ، بل الى أبعد من الهند ، الى أقصى بلاد الصين التي لم يدخلوها فاتحين بل ارتادها تجارهم المجازفون فحملوا اليها بضاعتهم واثروا فيها بحضارتهم

حقا أن العرب لم يكن لهم في جاهليتهم فن ذو دعائم مشيدة مثل ما كان عند جيرانهم من الدول التي طال أمد الملك والحضارة فيها وهم لم يخلفوا حضارتهم خلقاو الطفرة محال ، ولكن الدين الجديد بعث فيهم روحا جديدة جعلتهم يمتزجون بالدول المغلوبة ويقتبسون من حضارتها ويهضمونها ويسكبونها في أسلوب يوافق بساطتهم وبداوتهم ، لذلك نرى الفن الاسلامي في أول عهده في كل بلد عليه صبغة المدنية التي كانت قائمة في هذا البلد المفتوح ، ثم يأخذ في الظهور بعد الفتح بزمن يسير فيتطور ويتغير ليوافق الدين الجديد وما فيه من مبادىء وتعاليم ومعتقدات . ومن الاسباب التي ساعدت على نشر الفنون الاسلامية على وتيرة واحدة في سائر البلدان التي خضعت للعرب ، تنقل الصناع خصوصا الفرس والسوريين في كافة الممالك الاسلامية

وعند ما استقرت الحضارة الاسلامية في الدول المختلفة وبلغت الخلافة في دمشق وبغداد أوج عظمتها وتسنمت ذروة المجد والفخار ،ثبتت جذورها واينعت وأزهرت فروعها ، وشيدت المنشآت العظيمة من مساجد وقصور وخانات وربط وحمامات وغيرها ، وأثثت العمائر بالرياش الفاخر المصنوع من الخشب المطعم والعاج والابنوس والفضة والذهب والاواني المصنوعة من النحاس والشبهان (البرنز) والخزف والزجاج والبلور وفرشت بالطنافس وارتقت الكتابة والتذهيب فنسخت المصاحف بليقة الذهب وزينت صحفها بالرسوم الهندسية الملونة الدقيقة ونقلت الكتب من كافة اللغات وشرحت فصولها بالصحف المصورة بالمناظر المختلفة ، مما يعد آية في الجمال وحسن الرونق والبهاء ،

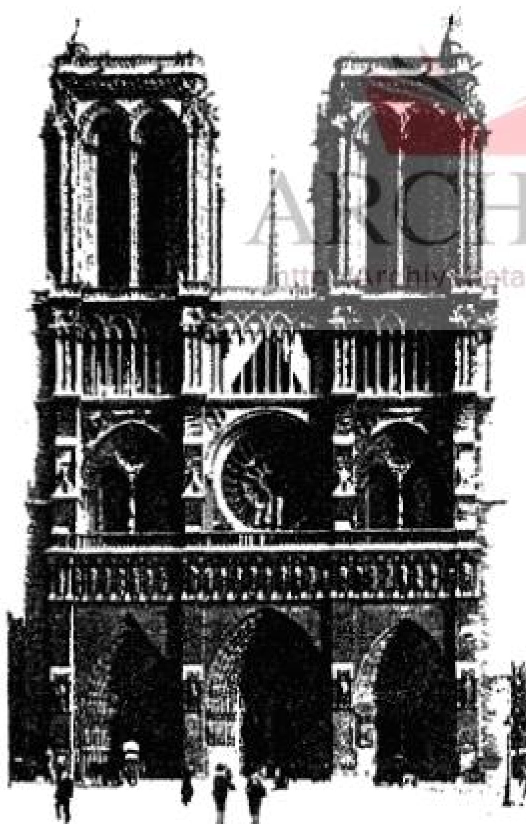
وقد كانت هذه الفنون متشابهة في جملتها عليها مسحة واحدة وطابع واحد انتشر على وتيرة واحدة من قصر اشبيلية وأعمدة هرقل في الاندلس إلى مساجد سمرقند في تركستان وقصور جور في البنغال

وكان لهذا الانتشار والثبات الدائم أثر عظيم في بقاء الحضارة الاسلامية واستقرارها بالرغم مما انتاب الامبراطورية الاسلامية من التفكك والاضمحلال. فعندما أخذت كل دولة من الدول المكونة للامبراطورية الاسلامية تستقل عن الخلافة استضعافا لها ، وبدأ أقوام من المغول والاتراك وغيرهم من قبائل أواسط آسيا يستلون عرش الولاة عن الاقاليم النائية ويستقلون فيها استهتاراً بها ، بل عندما أخذ كثير منهم يهددون الخلافة نفسها وعندما انتزعوا السلطة من الخليفة واستبدوا بالحكم ، فأنهم لم يغيروا شيئاً مما قام به الدين الجديد من توحيد للفن ونشر للغة العربية والثقافة الاسلامية . فكانوا بعد أن ينتصروا ويستتب لهم الامر هم الذين يتغيرون فيعتنقون الدين الجديد ، ويتعلمون اللغة العربية ويتحضرون بالحضارة الاسلامية ، فيشيدون القصور الشامخة والمساجد الفخمة تقربا لله ودليلا على حسن اعتقادهم وايمانهم

ولم يقف تأثير المسلمين في الشرق على نشر الدين واللغة والفنون بل تعداه إلى نشر الثقافة والعلوم خصوصاً في بلاد الهند والصين ، فكثير مما يظنه الاوربيون من أصل هندي أو صيني هو من أصل اسلامي

أثر الحضارة الاسلامية في الغرب

ولم يقتصر تأثير الحضارة الاسلامية على الدول الشرقية فقط بل تناول كثيراً من دول أوربا الغربية ، وكان التأثير من الوجهة الدينية ضعيفاً ، ولم يشمل إلا قليلا من الجهات كالاندلس وبعض جزر البحر الابيض المتوسط . أما من الوجهة الفنية فقد اقتبس الطراز الاسلامى في جميع البلاد التى حول



الى اليسار : كتدرائية « نوتردام دي باري » ويقال إن معماريين من العرب استخدموا في بنائها

البحر الابيض المتوسط وتوغل أحيانا في الشمال حتى وصل الجزر البريطانية . أما أثر الحضارة الاسلامية فى نشر العلوم والثقافة فقد كان عظيما جداً . فالعرب هم الذين نقلوا كثيراً من الافكار والآراء من بلاد فارس ومن الهند والصين الى الحضارة الاوربية . وقد فهم المسلمون قبل الاوربيين بعدة قرون فلسفة اليونان والرومان ونقلوها إلى لغتهم ومنها نقلت الى كافة اللغات في دول أوربا الحالية

وسأقتصر في بحثي هـذا على مبلغ تأثير الحضارة الاسلامية في الحضارة الاوربية من الوجهة الفنية فقط في القرون الوسطى وسأقصر البحث أيضاً على الجهات التي لم تخضع لحكم المسلمين . أما أسبانيا وجنوب ايطاليا وصقلية وغيرها من جزر البحر الابيض المتوسط فانها تأثرت تأثراً عميقاً كغيرها من الدول الاخرى ووجد بها فن اسلامي متجانس مع سائر الفنون الاسلامية له بحوثه الخاصة

واني أستهل كلمتي بجملة قالها جوستاف ليبون في كتابه « الحضارة العربية » قال : « يعزى إلى العرب وحدهم الفضل العظيم في معرفة الماضي القديم ، وليس الى قساوسة القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون وجود اليونان . والعالم مدين للعرب ديناً أبديا فهم الذين حفظوا تلك الذخائر والنفائس من الضياع » وعزز ليبون رأيه برأي المسيو ليبرى الذي قال : « اذا محونا العرب من صفحة التاريخ لتأخرت النهضة الاوربية عدة قرون »

أثر الفن الاسلامي في العمارة في اوربا

ان تأثير الفن الاسلامي على الفنون في أوربا من الناحية المعمارية أمر غير مشكوك فيه . وما



صحن من خزف من صناعة الاندلس عليه زخارف عربية باللون ذي البريق الذهبي يتخللها كتابات افرنجية كتبت على نسق الكتابات العربية



صحن مزخرف من صناعة الاندلس عليه زخارف باللون ذي البريق الذهبي يتخللها أربعة أشرطة تحليها كتابات افرنجية كتبت على نسق الكتابات العربية

اقتبسته العمارة الاوربية من الفن الاسلامي كثير. ولا يسعني هنا الا ذكر بعض فقرات كتبها كتاب غربيون مشهود لهم بالكفاءة الفنية اعترفوا بتأثير الفن الاسلامي على كثير من المنشآت التي شيدت في بعض البلاد الاوربية . قال المسيو باتسيه : « انه من المسلم به ان العمارة الفرنسية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين اقتبست كثيراً من العناصر البنائية من الفن الشرقي »

وأكبر دليل على صدق قوله ما تركه الفن الاسلامي من أثر بين في بعض بلدان الولايات الجنوبية بفرنسا . ويرجع هذا التأثير لسببين :

الاول احتلال المسلمين لهذه الولايات

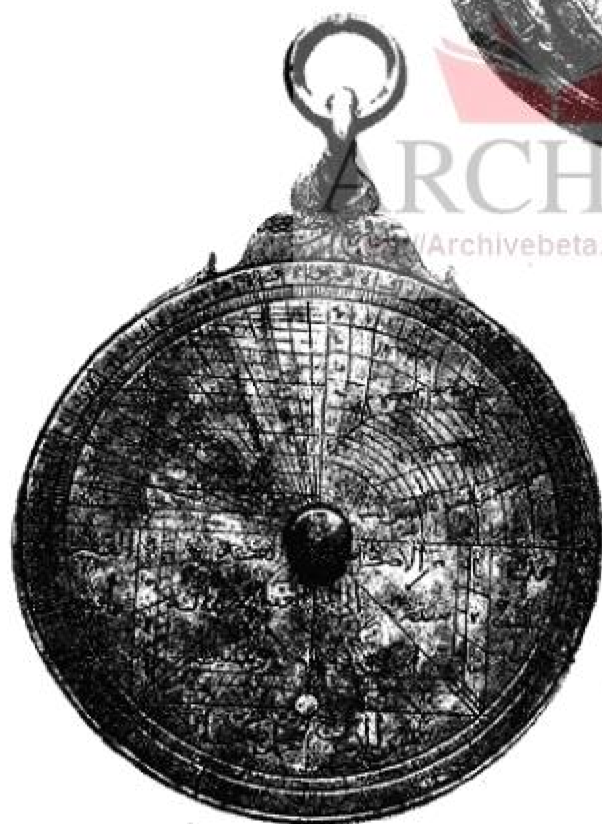
الثاني ما نقله حجاج هذه الولايات مما بهرهم من مصنوعات المسلمين عند حجهم لبيت المقدس

ويظهر هذا الاثر بوضوح وجلاء في بلدة بوي حيث نجد الكتابات الكوفية التقليدية والعقود المتعددة المراكز أو ذات الثلاثة المراكز التي تحلي بناء مبرة اللوار وبرج الجرس في كتدرائية بوي، وفي الزخارف المضفرة والتي على شكل سعف النخل التي تحلي تيجان الاعمدة كما في مواساك وغيرها ، وفي كوابيل الخشب الصغيرة المنجورة كما في كنيسة نوتردام دي بور والعقود ذات الفصوص الملونة كما في كتدارئية بوي . وقال المسيو لينورمان وهو قدير وكفء كباتسيه انه لاحظ التأثير العربي في كنائس عديدة في فرنسا وهذا التأثير جلي واضح فيما شيد في بلدة ماجلبون حوالى سنة ١١٧٨ م (٥٧٣ - ٥٧٤ ه) نظراً لان هذه البلدة كانت على اتصال دائم بالشرق ، وفي كنديه وغيرها من البلدان الفرنسية

ووضح المسيو بلانك في الفقرة الآتية مبلغ تأثير العرب على الاوربيين قال : « ان تأثير شعب على شعب كما يحصل في زمننا هـذا أمر غير مشكوك فيه ولا يمكن نكرانه أبدا ، وهو قاعدة ثابتة

اسطرلاب من عهد قايتباى





ظهر الاسطرلاب السابق وتظهر به الكتابة المتضمنة تاريخ صنعه وهو سنة ٨٨٢ هـ واسم صانعه هو شمس الدين محمد صفار

مدعمة بالبراهين . ومن الأدلة على صحة هذا الرأي ما تأثرت به فرنسا اثناء الحروب الصليبية ، فان الفرسان الصليبيين الذين شاهدوا في الشرق المشربيات وشرفات المنارات والحرمدالات وغيرها من مفصلات العمارة الاسلامية تأثروا بها وأدخلوها في منشآتهم الحربية والمدنية عندما عادوا إلى بلادهم. وما فى منشآت القرون الوسطى بفرنسا من مراقب صغيرة على الاسوار ومزاغل (١) وابراج صغيرة بارزة وكرانيش على هيئة درابزينات ، شاهد صدق يؤيد رأينا

ويعترف بريس دافيني برأى مطابق لهذه الآراء وهو يقول : « انه من العرب وحدهم استعار الاوربيون هذه الابراج الصغيرة التى كانت تنشأ بكثرة فى عمارات البلاد الغربية إلى نهاية القرن السادس عشر للميلاد »

ويجب ألا ننسى ان الاوربيين في القرون الوسطى استخدموا كثيراً من المعماريين الاجانب الذين كانوا يجلبون من كافة اقطار العالم.وقد استخدم شارلمان عدة منهم من الشرق . ويستند المسيو فياردو الى جملة من كلام المسيو دولور الذى كتب تاريخ باريس وقال : « ان معماريين من العرب استخدموا فى بناء كنيسة نوتردام دي باري »

اثر الفن الاسلامى فى الصناعات فى اوربا

كانت الفكرة السائدة عند علماء الآثار الاسلاميةمن الاوربيين أنالميزة الأولىللفنونالاسلامية هى خلو زخارفها من الصور الآدمية والحيوانات التى استعيض عنها بالزخارف الهندسية والعربية الكثيرة ، ولكن هذا في المساجد فقط . اما في الدور والقصور وعلى التحف المنقولة التى كانوا يستعملونها في حاجاتهم المعيشية فانانرى صوراً كثيرة ومنها مايرجع إلىالقرنالاول الهجرى. ولنضرب لذلك مثلا واحداً وهو الصور المتقنة التى تحلى جدران قصير عمرة ببادية الشام والتى يعزى بناؤها إلى الوليد ويرجع عهدها إلى سنة ٩٦ هـ (٧١٥ م) وغير قصير عمرة آثار اخرى حافلة بالصور ولكن الفنان المسلم كان مضطراً الايدخل فى زخرفة المساجد الصور والحيوانات ، فاضطر الى ابتكار نوع من الزخرف يعوض عليه هذا النقص فاستعمل الكتابة في حلية الطرف والآثار ، فقل ان تجد تحفة فنية غير محلاة بالكتابات العربية المنقوشة بالقلم الكوفيأوالنسخ الجميل المصحوب بالتوريق أو ابيات من الشعر أو ادعية أو حكم ، مقترنة باسم صاحبها وصانعها وتاريخ صنعها والبلد الذي صنعت فيه مما يسهل للباحثين معرفة تاريخ الزخارف الاسلامية وعصورها ومصادرها

وقد كان لهذه الكتابات تأثير كبير على الصانع الأوربي فأخذ يقلدها على أنها زخارف وهو يجهل قراءتها . ومن الأدلة القديمة على هذا العلم والجهل وعلى هذا التأثير الذى توغل الى أقصى الممالك الشمالية ووسع عدة بلاد حتى وصل الى انجلترا وارلندا ، قطعة من العملة الذهبية محفوظة بالمتحف البريطاني باسم اوفا ملك مرسيا (٢) وهي شديدة الشبه بالدينار الاسلامي كتب على أحد وجهيها بالخط الكوفي النقدي « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » وعلى الوجه الآخر باللاتينية

(١) المزاغل نوافذ في الاسوار والقلاع ضيقة من الخارج متسعة من الداخل ليتمكن الجندي من الرماية منها ويستعصى على المهاجم التصويب نحوها

(٢) كانت انجلترا في العهد الأنجلو ساكسوني مقسمة الى عدة ممالك صغيرة ومن هذه الممالك مرسيا

مقلوباً Offa Rex أي للملك أوفا . يحيط بها سطر كتابة كوفية يخيل لي من الرسم الذي تحت يدي - وهو ليس الصورة الفوتوغرافية إذ لو كان الامر كذلك لهان علي قراءتها - ان المنقوش هو من غير شك جملة « محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » التي اعتاد الخلفاء نقشها على العملة للدعاية للدين الاسلامي . وقد تضمنت الكتابة تاريخ سكها وهو سنة ٧٧٤ م (١٥٧ هـ) فانظر كيف كان تأثير الفن الاسلامي شديداً وحب تقليده مرغوباً فيه حتى فيما هو متنافر مع اعتقاد مقلديه ، وهو اكبر البراهين على رواج الحضارة الاسلامية وهي في أوج عظمتها . ويوجد بالمتحف البريطاني أيضاً تحفة أخرى توضح مدى تأثير الفن الاسلامي على الممالك الغربية ، وهو صليب ارلندي من الشبهان (البرنز) المذهب يرجع عهده إلى القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) عليه سطر كتابة كوفية مطعمة بعجينة زجاجية تتضمن « البسملة » ويقول أحد المستشرقين الذي تناول هذين الأثرين بالبحث ان هذا عجيب جداً ودليل واضح على ان الصناع الاوربيين لم يفقهوا معنى الكتابات الكوفية ، إذ لو كانوا يعرفون ما ينقشون لما نقشوا على قطعة من العملة باسم ملك مسيحي « الشهادتين » وعلى صليب وهو رمز المسيحية « البسملة »

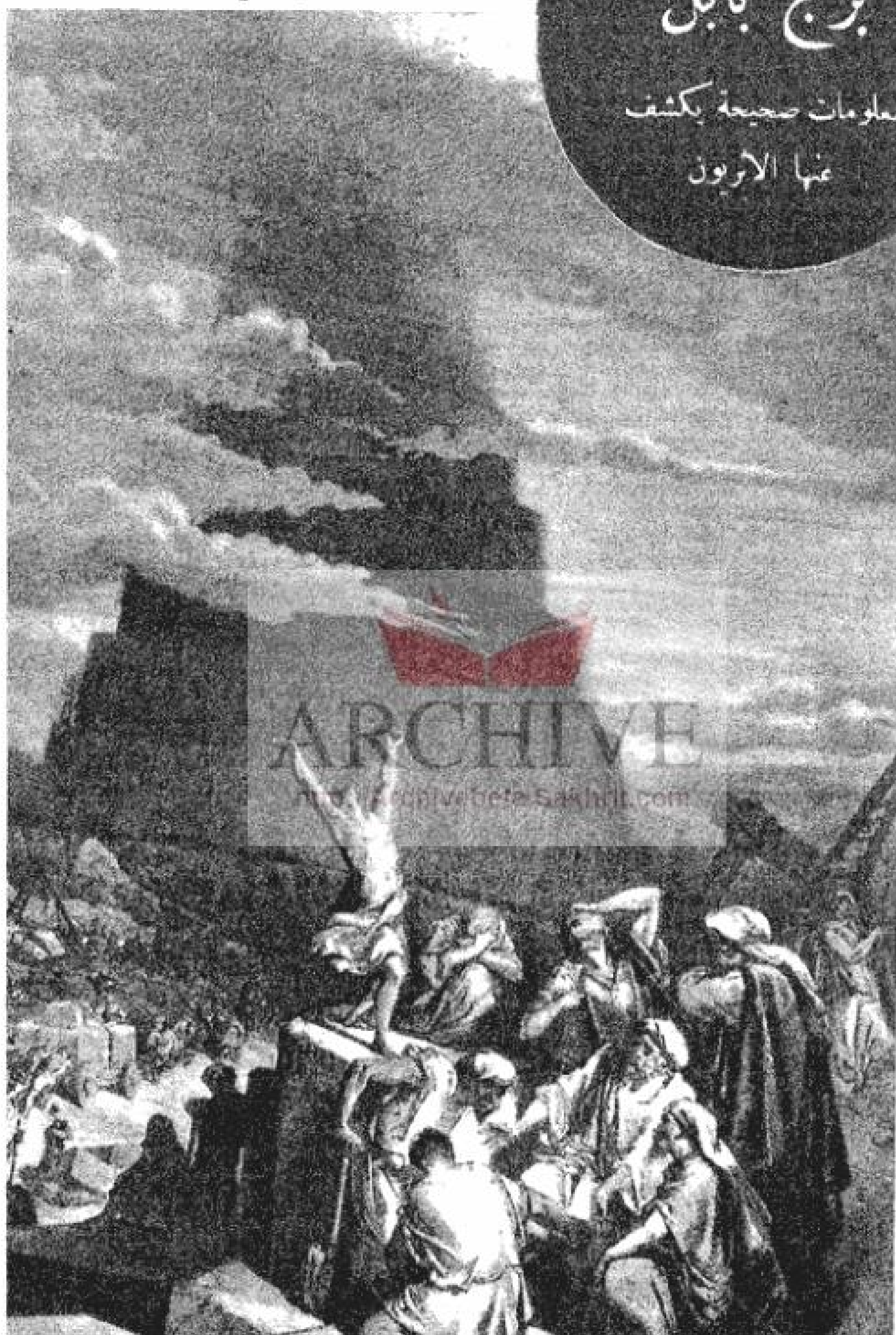
ومع توالي الزمن أكثر الاوربيون من تقليد الكتابات العربية وصاروا يرسمون ألفات ولامات ويحيطونها بفروع نباتية فتخرج أشرطة من زخارف شبيهة بالكتابات الكوفية وهي ليست بكتابات أو نصوص تقرأ ، ولكنهم عند ما فطنوا إلى أنها كتابات ونصوص صاروا يكتبون حروفهم الافرنجية مثل الحروف الكوفية ذات زوايا توائم ويحيطونها بالتوريق والتشجير كما يتبين ذلك من زخرفة الخزف الاندلسي . فخزف ملقة الذي هو من العصر الأول بعد خروج المسلمين مباشرة ترى عليه أشرطة من كتابات تقليدية مزخرفة لا تقرأ ، وما جاء بعده عليه اسم مريم والمسيح عليهما السلام بحروف افرنجية شبيهة بالحروف الكوفية

وصحب تقليد الكتابات اقتباس كثير من الزخارف الاسلامية الدقيقة ودخولها في كافة الصناعات الاوربية . ومن الاسباب التي ساعدت على انتشار هذا التأثير رغبة المتدينين من الاوربيين في حج الاراضي المقدسة وشغفهم بارتشاف مناهل العلم والعرفان من المسلمين الذين ورثوه عن الأمم العريقة في الحضارة وقبضوا على أزمته وكانوا أساتذته ، ورواج سوق التجارة الشرقية في أوربا . وكان المسلمون لوقوع بلادهم في الشرق الأدنى الواسطة في نقل متاجر الهند والصين إلى أوربا . وكان ما يحكيه الحجاج الاوربيون لاخوانهم عما شاهدوه من غرائب وعجائب حاثاً لهم على السياحة في البلاد الاسلامية واقتباسهم كثيراً من حضارتها وتأثرهم بفنها

ومن الاشياء التي لم تكن معلومة في أوربا واقتبسها الطلبة الاوربيون عند التحاقهم بحلقات الاساتذة المسلمين آلة فلكية اسمها الاسطرلاب اخترعها اليونانيون وحسنها البطالسة في مدرسة الاسكندرية وحذقها المسلمون ، وعنهم أخذتها أوربا في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) وكانت الوظيفة الاولى لهذه الآلة عند المسلمين ضبط أوقات الصلاة وتعيين موضع القبلة . ولاختلاط علم الفلك بالتنجيم في القرون الوسطى هاب الاوربيون هذه الآلة وظنوا أنها من عمل الشيطان

حسن محمد الهوارى

لماذا بني
برج بابل
معلومات صحيحة يكشف عنها الاثريون



صورة تخيلية للبرج من القرن السادس عشر وقد صور الرسام فيها فزع الاهالي عند حدوث كوارث طبيعية دمرت البرج

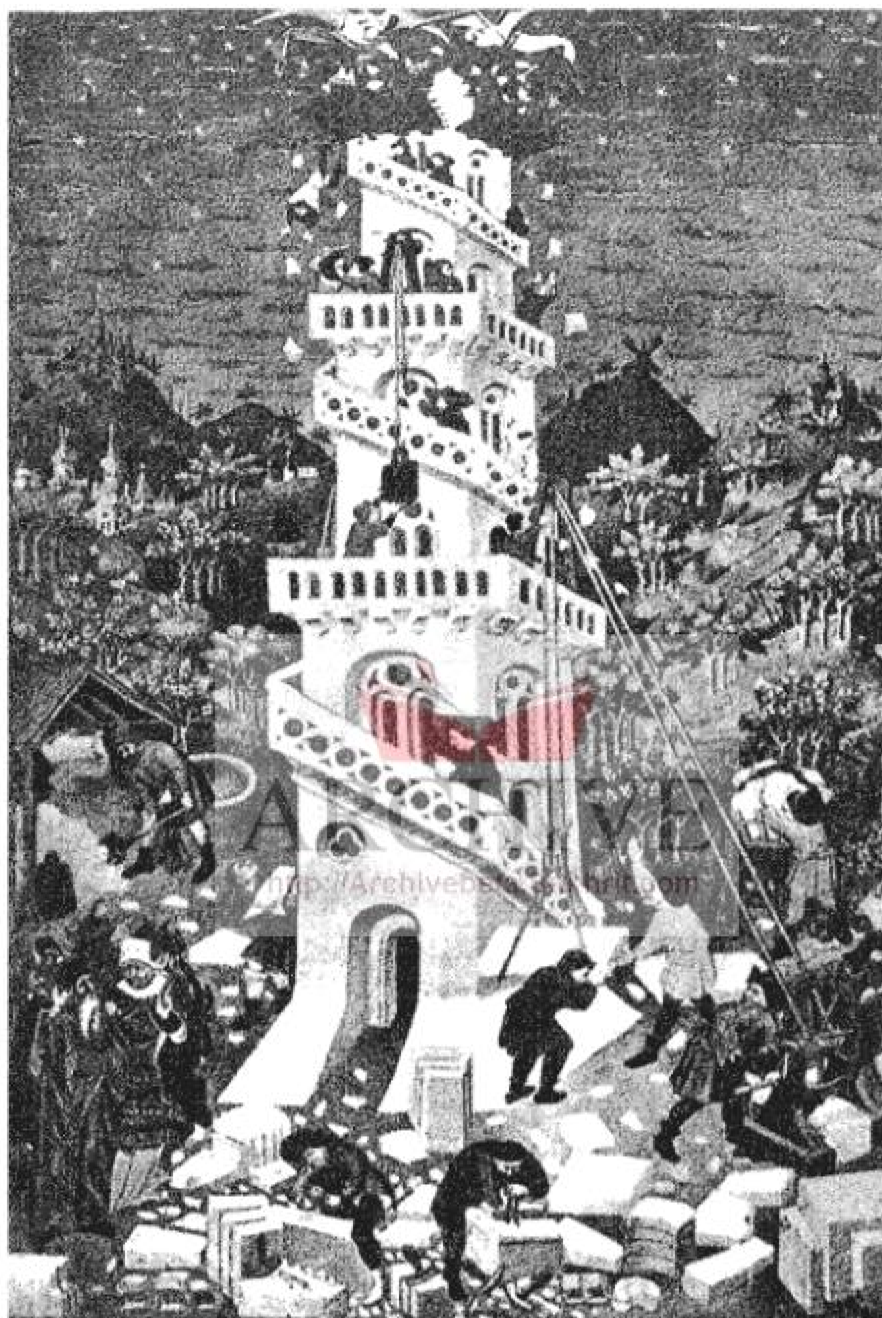
ساد في أذهان الناس على كر الدهور ان برج بابل إنما شيد وجعل بضخامته وارتفاعه لان أحد الملوك أراد ان يصعد عليه حتى يتحدى السماء فكان جزاؤه ان شتت الله شمل بناة البرج وجعل لغاتهم مختلفة حتى لم يعد أحد منهم يفقه قول الآخر

ولكن التاريخ الصحيح لبناء هذا البرج العجيب لم يعرف الا في السنوات الاخيرة بفضل الابحاث والحفريات التي أجريت في العراق

والمتفق عليه الآن ان بناء ذلك البرج لم يكن في حينه ظاهرة خاصة تلفت الانظار كبناء الهرم مثلا . والمفروض ان تشييده قد استمر زمناً طويلا . ولقد شيد البابليون منذ أقدم عصورهم معابد فخمة في جميع مدنهم الهامة . وفي إمكان الباحث ان يستدل على وجود هذه المعابد إلى القرن الرابع قبل الميلاد . وبديهي أن المعبد القائم في العاصمة (بابل) كان أكبر تلك المعابد كلها وأفخمها . وكثيراً ما دمر هـذا المعبد من جراء الحروب أو الكوارث أو العواصف والرياح . غير انه بلغ ذروته في عهـد الملك بختنصر الثاني الذي حكم بين سنتي ٦٠٠ و ٥٥٠ قبل الميلاد ، فان هـذا الملك العظيم قد سير آلاف الاسرى الذين أسرهم في حروبه لاكمال معبد عاصمته واصلاح خلله واقامة ما تهدم من جدرانه . وكان أولئك الاسرى من مختلف أقطار العالم فكانت اللغات التي تسمع بالبرج خليطاً عجيباً من لغات بابل واليونان والعجم ومصر ، واللغات الاشورية والعبرية واللاتينية ولغات جهات من افريقيا كذلك . وبهذا المزيج من اللغات ذاعت شهرة برج بابل حتى



برج بابل كما تخيله العلامة الجزويتي اتاسيوس كيرشر في سنة ١٦٧٩



صورة نموذج للبرج كما تصوره رسام فرنسي في سنة ١٤٢٤
وهذا النموذج من ضمن المقتنيات الأثرية للورد بدفورد

برج بابل كما صوره
الأستاذ كولدوي في
سنة ١٩١٧ . ويرى في
الزقورة القصر الملكي
والحدائق المعلقة



جزء من قاعدة البرج التي أزالت بعثة كولدوى الاتربة عنها

ورد ذكرها في الانجيل . وقد كان عرض البرج في ذلك العهد اثنين وتسعين مترا وارتفاعه مثل ذلك . فلا شك انه كان ضخما عاليا بالنسبة لمباني ذلك الزمن .

غير ان خلفاء بختنصر كانوا ضعاف الهمة فلم يزيدوا شيئاً في بناء البرج . وسرعان ما اخذ يتهدم منه حجر اثر حجر ، حتى اذا جاء الاسكندر المقدوني حوالى سنة ٣٣٠ قبل الميلاد هاله ما رأى من انقاض ذلك البرج العظيم ، فسعى الى اقامته وتشييده من جديد وجعل الآلاف من جنده يعملون ليل نهار في هذا السبيل . غير أن الموت عاجله في قصر بابل بالقرب من الحدائق المعلقة المشهورة ، وبعد وفاته لم تمتد يد بالاصلاح الى ذلك البرج المتهدم

وانما أخذ المؤرخون والكتاب والرسامون يجهدون قرائحهم ليتصوروا الشكل الذى كان عليه البرج ، وقد استمر ذلك من القرن الحادى عشر الى القرن العشرين . وكان بعض الرسامين في القرون الوسطى يمثلونه على أنه نصب هائل من الحجر تبدو اكواخ الناس الى جانبه وكأنها قمم الاظافر ، بينما كان البعض الآخر يمثلونه على أنه مجموعة من الاعمدة الرفيعة تناطح السماء

ثم بدأت حقيقة البرج تتضح بشكل علمي موثوق به منذ ارسلت الجمعية الالمانية الشرقية بعثة الى العراق تحت رياسة الاستاذ كولدوى العلامة الاثرى المعروف ، ومكثت هذه البعثة تقوم بالابحاث والحفريات في مكان برج بابل من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩١٧

وقد بنت البعثة ابحاثها على الواح مكتوبة خلفها انوبلشونو (الذى عاش حوالى سنة ٢٢٩ قبل الميلاد) وقد وصف فيها البرج وصفا معقدا ، كما اعتمدت البعثة ايضاً على ما كتبه هيرودوتس الذى وصف البرج بعد ان زاره في القرن الخامس قبل الميلاد

وقد بحث الاستاذ كولدوي ورفاقه طويلا عن انقاض البرج ولكن دون طائل ، وأخيراً توصلوا الى اكتشاف قاعدته وأزاحوا الاتربة عنها فوجدوها مطابقة لما كتبه انوبلشونو . وما زال كولدوي وافراد بعثته يواصلون الحفر ويعيدون فك طلاسم الالواح حتى صار في مقدورهم في سنة ١٩١٧ أن يعينوا لبرج بابل شكلا قائماً على أساس علمي صحيح بعيد عن الظنون والتصورات

ولما مات كولدوي واصل رفاقه عمله وتمكنوا يحلون البقية الباقية من طلاسم تلك الالواح التى تركها انوبلشونو ، حتى اهتدوا الى حقائق تاريخية لا يعتورها الشك وامكنهم ان يتصوروا على أساسها شكلا للبرج يختلف قليلا عن الشكل الذى انتهى اليه العلامة كولدوى ويمتاز عنه بانه يصل الى قمة البرج

والآن إذا شاهدت المكان الذى كان به ذلك البرج لم تجد شيئاً ينبيء عما كان من ضخامته وعظمته سوى حفريات يقوم بها علماء الآثار ، وفيما عدا ذلك تجد مكاناً تناثرت فيه الاحجار وضرب عليه الخراب ، ولم يبق من برج بابل سوى البحث العلمى عن منشئه وتاريخه وشكله ، وسوى أنه مضرب المثل على اختلاف اللغات واختلاط الاصوات



أحدث صورة لبرج بابل وفق آخر الحفريات والاكتشافات



صورة البرج كما تخيله الرسام هندريك فان كاوفه في منتصف القرن السادس عشر . وترى ذ؛ البرج تناطح السحاب

بيانات جديدة عن :

منارة الإسكندرية

عثور العلماء على كتاب يكشف اللثام عنها

ليس بين قراء الهلال من يجهل ما لمنارة الاسكندرية من الشأن العظيم سواء أكان من الوجه الفنى ام من الوجه التاريخى . وليس عجيباً أن يكون لهذه المنارة مثل هذا الشأن وهي باجماع المؤرخين واهل الفن الاعجوبة الثالثة من عجائب الدنيا السبع ومن ادلها على ما وصل اليه فن الهندسة في العصور السالفة . ونورد عنها في هذا المقال بعض البيانات الحديثة التى توصل اليها العلماء وما تشف عنه هذه البيانات من تبحر في فن الهندسة

بنيت هذه المنارة سنة ٢٧٠ قبل الميلاد بامر البطليموس فيلادلفوس الذى كان ملكا على مصر . وكان ارتفاعها نحو أربعمائة قدم . إلا أن ابن الصائغ أحد علماء العرب بالاندلس فى المائة الثانية عشرة ذكر أن ارتفاعها كان يبلغ مائة وأربعين متراً وثلاثين سنتمتراً بمقاييس هـذا الزمن . فخالف بذلك ما ذهب اليه الكثيرون من الكتاب والمؤرخين الذين قالوا ان ارتفاع المنارة كان مائة وعشرين متراً . ولعل رواية ابن الصائغ أقرب الى مقتضيات الذوق الهندسى والى جمال الشكل . وذكر المؤرخون الذين يوثق بصدق روايتهم ان نفقات بناء المنارة بلغت ثمانمائة كيس من الفضة أو ما يبلغ نحو ربع مليون جنيه بالنقود المصرية الحالية . أما المهندس الذى بناها بامر البطليموس فهو سوستراتوس وقد اشتهر اسمه فى التاريخ ومما يجدر بالذكر أن الكثيرين من كبار المهندسين فى العالم درسوا مقاييس المنارة المذكورة فادهشتهم دقة صنعها والمقدرة الفائقة التى أظهرها بانيها ومعرفته لحساب ضغط الاثقال وطبيعة التربة وما الى ذلك من المعلومات

وقد اتفق منذ عهد قريب أن انتخب دوق البا عضواً بالاكاديمية البريطانية . فكانت أول خطبة القاها فى الاكاديمية المذكورة عن منارة الاسكندرية وما أسفرت عنه المباحث التاريخية الاخيرة بشأنها ولاسيما المباحث التى قام بها اثنان من كبار العلماء الاسبان وهما دون ميجل بالاسيوس ودون موديستو أوتيرو . ولا يخفى ان « تيرش » العالم الالمانى نشر فى سنة ١٩٠٩ كتاباً جليل القدر عن منارة الاسكندرية ضمنه طائفة كبيرة من المعلومات التى كانت فى يومه مجهولة حتى عن الكثيرين من العلماء . وقد حاول فى مؤلفه أن يصور المنارة المذكورة صورة تنطبق على الشكل الحقيقى كما يستفاد من البيانات التاريخية الموثوق بها وكما كانت المنارة تبدو للناظر قبيل هدمها فى القرن الرابع عشر . ولا حاجة الى القول أن تيرش اطلع على مؤلفات كثيرة مطبوعة ومخطوطة بكلتا

اللغتين اليونانية واللاتينية . وعلى معظم أقوال المؤرخين وعلماء الجغرافية والسياح الذين زاروا مصر قبل القرن الرابع عشر وشاهدوا فيها المنارة المذكورة ولا سيما مؤرخي العرب الذين أسهبوا في وصفها وكتبوا عنها كثيراً . ومن دواعي الاسف أن كثرة المؤلفات عن تلك المنارة أدت الى ظهور متناقضات كثيرة بشأنها ضاع معها جانب كبير من الحقيقة . مع أن تيرش كان من أكبر العلماء النقادين وقد بذل جهداً كبيراً لاجتناب الخطأ فيما كتبه عن المنارة ولتصويرها تصويراً يقربها من الحقيقة . ومع ذلك فانه لم يسلم من الخطأ في بعض الامور التفصيلية لانه اعتمد على أقوال كثيرة لم تثبت صحتها وكانت منقولة عن معلومات قديمة تكتنفها بعض الشكوك

ومن دواعي الارتياح أن العلماء عثروا أخيراً على مؤلف نفيس يرجع الى القرن الثاني عشر للميلاد ولم يطلع عليه تيرش عندما وضع كتابه المشار اليه . وهذا المؤلف هو لكاتب مسلم من أهالي مالقة يدعى ابن الصائغ عاش من سنة ١١٣٢ الى ١٢٠٧ بعد الميلاد وزار الاسكندرية سنة ١١٦٥ وأقام بها سنتين متواليتين وقف نفسه في خلالها على التحصيل ودرس العلوم والآداب وفن الهندسة . وقد زار جميع الآثار الهندسية التي كانت لعهده في الاسكندرية وعني بها عناية خاصة تبدو لك الآن من خلال ما كتبه عنها . ومن جملة الآثار التي زارها واهتم بها منارة الاسكندرية . وقد مكنه من فهم أسرارها أنه كان ذا المام تام بفن الهندسة والبناء . لذلك كان يتردد اليها من وقت الى وقت فيدون مقاييسها من الداخل والخارج ويعلق عليها بما يعن له . ولتعليقاته هذه شأن عظيم لانها كانت مبنية على مقاييس جمعها المؤلف بنفسه غير مستند الى أقوال الكتاب والمؤلفين الذين تقدموه . ولما عاد الى مالقة بالاندلس سنة ١١٦٦ أخذ يجمع مذكراته وما دونه عن منارة الاسكندرية من بيانات ومقاييس وملاحظات . فصنف منها كتاباً جليل القدر لا شك في انه خير ما كتبه المؤلفون عن المنارة وأقربه إلى الحقيقة . ولم يعثر العلماء على هذا الكتاب قبل الآن

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة مسهبة ضمنها فذلكة تاريخية عن منارة الاسكندرية وكيفية بنائها والعهد الذي بنيت فيه ، وانتقل من ذلك إلى الكلام على المكان الذي اختير لتشييدها فيه مع وصف الطريق الموصل اليه ، وهذا المكان هو جزيرة صغيرة كانت تبعد نحو ميل عن ميناء الاسكندرية والى الشمال الشرقي من ذلك الميناء . وكان يوصل الى هذه الجزيرة بجسر كبير يقوم على أسس مركزة في قاع البحر تسندها صخور طبيعية . وكان طول الجسر ستمائة ذراع وعرضه عشرين ذراعاً وارتفاعه فوق سطح البحر ثلاث أذرع . وكان المشاة والفرسان يستطيعون السير على الجسر الا في وقت المد فقد كان ماء البحر يغطيه الى ارتفاع بضعة سنتمترات ويصل الى كاحل السائر عليه . وكان عند نقطة اتصال الجسر بالمنارة قناطر منحدرة عددها ست عشرة قنطرة متدرجة في الارتفاع وطولها مائة خطوة . وكانت القنطرة الاخيرة أعلى تلك القناطر وهي ملاصقة للمنارة . وقد بلغ

من ارتفاعها انه لو وقف تحتها فارس راكب جواده ورفع يده ما استطاع أن يمس سقفها

وكانت المنارة مشيدة على جزيرة كما تقدم وفى فناء مربع ولهذا الفناء سور يحيط به من جهاته الاربع . وخارج السور من جهة البحر رصيف يسير عليه الناس عرضه اثنتا عشرة ذراعاً وارتفاعه فوق سطح البحر اثنتا عشرة ذراعاً أيضا . وكان الرصيف مبنيا بالحجارة المنحوتة وقد أريد به ان يتلقى الأمواج المزبدة تتحطم عليه ويحول دون وصولها الى السور . وكانت حجارة السور مربوطة بعضها الى البعض بواسطة اطواق من حديد والحجارة ملحومة بعضها بالبعض بالرصاص زيادة فى التقوية

أما المنارة نفسها فكانت ثلاث طبقات ، وهى السفلى والوسطى والعليا . فاما السفلى فكانت مربعة الاضلاع (انظر الشكل) وطول كل ضلع منها عند قاعدة المنارة خمس وأربعون خطوة اى ان محيط هذه الطبقة عند قاعدتها كان مائة وثمانين خطوة . أما ارتفاع الطبقة فوق الارض فكان احدى وثلاثين قامة . وأعلى هذه الطبقة بمنزلة قاعدة للطبقة الثانية او الوسطى وحول هذه القاعدة سور مربع يبلغ ارتفاعه قامة

قلنا ان الطبقة السفلى كانت مربعة الاضلاع . وأما الوسطى فكانت مثمنة الاضلاع (انظر الشكل) طول كل ضلع منها عشر خطوات أى ان محيط الاضلاع كلها كان ثمانين خطوة

اما الطبقة الثالثة أو العليا فكانت مستديرة (انظر الشكل) وكان محيطها أربعين خطوة أى نصف محيط الطبقة الوسطى تماماً وارتفاعها أربع قامات وفوقها قبة مخروطية الشكل وفوق القبة تمثال رجل يحمل مصباحاً

وكان داخل المنارة سلم لولبية (حول محور المنارة) يرقى بها وتتصل بقمة الطبقة العليا وهذه السلم تشبه المرقاة اللولبية التى ترى حتى الآن فى قصر اشبيلية . وكانت مراقى هذه السلم منخفضة جداً بحيث يستطيع الانسان ان يرقاها راكباً جواده . وكانت المراقى عريضة بحيث يتسنى لراكبين ان يصعداها معاً . وكان عددها فى الطبقة الوسطى ثمانى عشرة مرقاة ، وعددها فى الطبقة العليا اثنتين وثلاثين مرقاة

ثم ان الطبقة السفلى كانت تحتوى على خمسين غرفة صغيرة منقورة فى الجدران من الداخل

وهنالك أمور تفصيلية كزينة المنارة من الداخل والخارج وما كان عليها من نقوش فنية دقيقة لم نقف لها على وصف دقيق ما عدا الكتابة اليونانية التى كانت على اعلى الطبقة السفلى ، فقد ذكر المؤرخون ان أحرف هذه الكتابة كانت كبيرة جداً يستطيع الانسان قراءتها عن بعد . على ان المنارة كانت فى سنة ١١٦٥ (وهى السنة التى زارها فيها ابن الصائغ الذى سبقت الاشارة اليه) قد أصيبت بعطب كبير ، فعادت لا تصلح للغرض الذى شيدت من أجله ، فضلا عن أن بعض النقوش الاصلية التى كانت

قد عطبت رممت ترميا لاينطبق على الشكل الاصلي تمام الانطباق ومع ذلك استطاع ابن الصائغ لتبحره في علم الهندسة أن يستدل على شكل بعض تلك النقوش وعلى مقاييس المنارة الحقيقية بحيث يتسنى للمهندس الآن أن يعيد بناءها على وجه ينطبق على الاصل كل الانطباق تقريبا . ولا بد لنا هنا من القول ان المقاييس التي توصل اليها تيرش لا تنطبق على الاصل كل الانطباق لانها كانت مبنية كما قلنا على معلومات لم يثبت التاريخ صحتها . ومع ذلك فان معلومات تيرش والمقاييس التي انتهى اليها لا تبعد عن الحقيقة إلا قليلا

ومما يجدر بالذكر ان جميع الذين كتبوا تاريخ منارة الاسكندرية وبحثوا في هندسة بنائها شهدوا بأن البناء كان آية من آيات الفن لانطباقه على شروط الهندسة ومقتضيات الجمال ومبدأ التناسق . فضلا عن أن هذا البناء روعي فيه شرط المتانة لكي يثبت على فعل الامواج وعاديات الزمن . وأي دليل أصدق على متانته من كونه عاش من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الرابع عشر بعد الميلاد ؟ نعم ان البناء كان عند زيارة ابن الصائغ قد أصيب بعطب شديد ، ولكن الجزء الاكبر منه كان ما زال قائما دليلا على مهارة الذين شيدوه

ولا بد لنا هنا من القول ان المقاييس الموثوق بها تدلنا على أن نسبة محيط الطبقة السفلى عند قاعدتها إلى نصف ارتفاع تلك الطبقة كنسبة الرقم ٦ الى الرقم ٧ . ولاختيار هذه النسبة العددية مغزى كبير فقد كان كلا الرقمين من الارقام الدالة على الكمال عند القوم . فضلا عن أن هذه النسبة قد روعي فيها ناموس حمل الاثقال ومقاومة قوة الرياح وما الى ذلك من الاعتبارات الفنية

كذلك لابد لنا من القول أن منارة الاسكندرية أصبحت فيما بعد أنموذجا لجميع منائر العالم حتى يصح القول بان المنائر الحديثة مبنية على أساس تلك المنارة وعلى الدروس الهندسية التي تنطوي عليها . واذا لم تكن تلك المنارة تشف الا عن معرفة بقوة ضغط الامواج وتأثيرها في الصخور لكفى بذلك فخراً للذين قاموا بتشييدها . فضلا عن أن اختيار الموقع الذي بنيت عليه دليل على معرفة تامة باصول الملاحة وعلى الرغبة في ايصال نور المنارة الى ابعد حد ممكن

ولا شك ان الذين درسوا تاريخ هذه المنارة وعرفوا تفصيلات هندستها وبنائها يدهشون من ارتفاع المستوى الذي وصل اليه فن الهندسة في ذلك العهد وما عرفه القوم من نواميس الضغط واحتمال الاثقال وصدمات الامواج وما الى ذلك من البيانات التي جعلت منارة الاسكندرية من اعجب عجائب الدنيا السبع

أديب أفقد النساء عقولهن

دوماس الاب

[تحدث صاحب هذا المقال في اعداد سابقة عن تورجنيف العاشق الصامت ، وعن موباسان العاشق الثرثار الذي افقدته النساء عقله . وهو اليوم يتحدث عن اسكندر دوماس الاب ، العاشق « بالجملة » والذى أفقد النساء عقولهن !]

قلت عن « تورجنيف » انه كان عاشقاً صامتا ، يرضى من معشوقته بنظرة يعدها غاية مناه فى هذه الحياة . وقلت عن « موباسان » إنه كان عاشقاً ثرثاراً ، يكثر من الكلام ويوقع نفسه بسبب ثرثرته فى مآزق يصعب عليه فيها بعد الخروج منها . وهناك شخصية ثالثة أرى ألا مندوحة من التحدث عنها ، لختام هذه اللمحة على أنواع الحب التى ينصرف اليها الادباء عادة . واعنى بتلك الشخصية « اسكندر دوماس الأب » أو « دوماس الكبير » كما نسميه أحياناً . وهو من أغرب الشخصيات

لعبت المرأة فى حياة هذا الرجل ، بل هذا المارد الجبار ، دوراً عظيما . وانت تجدها فى كل طور من أطوار تلك الحياة ، بل فى كل لحظة منها ، وانك لتدهش لعدد النساء اللواتى أخذن اما كنهن فى قلب دوماس الطيب الواسع . وقد قال عنه « روبير دى فلير » انه قضى حياته « وهو هائم فى حب امرأة واحدة حباً عميقاً يكفى بضع نساء ، أو فى حب بضع نساء حباً عميقا يكفيهن جميعا ! » فصاحبنا إذن « عاشق بالجملة . » وهو مثل « جى دى موباسان » الذى تحدثنا عنه من قبل ، ثرثار يكثر من المكاشفات الغرامية ويغرق المرأة التى يحبها فى سيل من الكلمات العذبة . ولكن الفرق عظيم بينه وبين موباسان من حيث التأثر بعاطفة الحب وفقد التوازن تجاهها . فان النساء اللواتى ملأن حياة موباسان أفقدنه عقله فانتهى به الامر إلى الجنون . أما دوماس فانه لم يفقد عقله بسبب النساء بل أفقد كثيرات منهن عقولهن ، وهو ثابت كالصخر ، ينظر اليهن وهن يحترقن أمامه

ورث اسكندر دوماس عن أبيه الجنرال دوماس بنية قلما يتمتع بمثلها إنسان . وقد قال عنه فيكتور هوجو انه « فلتة من فلتات الطبيعة » فى كل شىء : فى جسمه الضخم وحجمه الهائل . فى صوته الجهورى وحنجرته التى كان ذلك الصوت يخرج منها قاصفاً كهزيم الرعود فى الفضاء الواسع . فى قوته المخيفة ، ورأسه الكبير ، ودماغه الكثير التشعبات . فى احساسه الرقيق ، واطلاعه الذى لاحد له . فى اندفاعه الجنونى نحو الغاية التى يضعها نصب عينيه فلا يثنيه عن بلوغها شىء

لقد ربح اسكندر دوماس من مؤلفاته الكثيرة أموالا طائلة . ولو كان من أولئك الذين يحسنون

.لادخار ويمسكون أيديهم عن الانفاق وتوزيع المال يمينا ويساراً ، لكان فى استطاعة ذلك الجبار الطيب القلب ، ان يجمع ثروة لم يحلم بمثلها من قبل أديب ممن اتخذوا الكتابة مهنة لهم . ولكن اسكندر دوماس كان يجهل المثل السائر عندنا : « إن القرش الابيض ينفع فى اليوم الاسود » وكان يقول دائما : « ان الذى أعطى أمس واليوم سوف يعطى غداً » ، وهو يعنى قلمه السيال

كان دوماس اذن مبذراً من جميع الوجوه — مبذراً فى مجهوده ونشاطه . مبذراً فى تآليفه . مبذراً فى حبه . وهل يدهشك ان يكون دوماس « الجبار الطيب » مغاليا فى كل شىء ما دامت الطبيعة قد غالت فى تكوينه ؟

عند ما كانت خزائنه عامرة بالنقود ، شيد الكاتب الكبير قصراً فخما جعله نزلا للاصدقاء والمحبين . وفتح مسرحا اطلق عليه اسم « مسرح التاريخ » وأعلن انه سيقدم للجمهور كل ليلة « صفحة من تاريخ فرنسا المجيد » فقال ظريف رداً على هذا الاعلان : « وسيقدم لنفسه كل ليلة صفحة جديدة من الجنس اللطيف ! » وهذا فى الواقع ما كان يصنعه دوماس ! فقد عرف ذلك المؤلف ، المكثار فى كل شىء ، جميع « أنواع النساء واصنافهن ومساحاتهن » كما كان يقول . وكان يحب كل امرأة يعرفها بكل جوارحه ويقسم بين يديها ان حبه خالد لن تخمد جذوته . وكان صادقا فى قسمه لان قلبه الطافح بالاحساس والشعور كان يخفق حبا لكل امرأة ، حتى اذا ما ابتعدت عنه وحلت اخرى محلها عاد قلبه الى الخفقان للزائرة الجديدة ، ثم للتى بعدها ، وهكذا على الدوام !

ان هذا الوصف قد يبدو غريبا للقارىء . وقد يقال ان القلب لا يمكن ان يخفق بعاطفة واحدة لأكثر من شخص واحد ، وان الرجل لا يمكن ان يحب امرأتين معا . غير ان لكل قاعدة شواذ

احب دوماس نساء من طبقة الاشراف . واحب نساء من الطبقة الوسطى . واحب عاملات وممثلات وراقصات ومتزوجات وأرامل وعوانس واحب نساء من الالوان الثلاثة : الابيض والاسود والاحمر ، ماراً بالمرأة السمراء والحنطية . وكان يقول إنه يأسف لامر واحد وهو انه لم يعرف فى حياته الغرامية المرأة الصفراء . وقد اقدمت كثيرات من اولئك النساء اللواتى احببن دوماس واحبهن على اعمال لا تقدم عليها غير المرأة التى أفقدها الحب صوابها فاخرجها عن حدود التوازن . واذا كان « المارد الجبار » العاشق قد ظل محتفظا بعقله سليما من الاختلال ، فان العاشقات المشوقات الكثيرات — اللواتى شاءت الظروف ان تدفع بهن اليه — لم يخضعن دائما لصوت الحكمة والروية . فانتهى الامر ببعضهن الى العار والموت الادبى والمدنى او الى الجنون او ما يشبه الجنون

غير ان هناك امرأة واحدة كانت فى بادىء الامر احب نساء دوماس اليه . ثم كرهها وهجرها واصبح ذكر اسمها امامه كافيا لاثارة غضبه . تلك هى زوجته ، اى المرأة الوحيدة التى كانت تربطه بها امام الناس صلة القانون الدينى والمدنى ، والتى كان الواجب يقضى عليه بان يظل مخلصا لها الى النهاية

تلك هي « جوزفين مرغريت فيران » المعروفة باسم « ايدا فيريه » زوجة اسكندر دوماس الشرعية ، التي لم تحتل في حياته غير ركن صغير . ولزواج دوماس هذا قصة طريفة

ففي سنة ١٨٣١ كتب دوماس روايته التمثيلية « تيريزا » وجعل يبحث عن ممثلة يعهد اليها بدور البطلة . فقدم له أصدقاؤه « ايدا فيريه » وما وقع نظر العملاق عليها حتى انبسطت أساريره وأبرقت عيناه . فحمل الممثلة الصغيرة بين يديه ورفعها فوق رأسه صائحاً : « ما أبدع هذا التمثال »

وفي مساء ذلك اليوم كانت ايدا فيريه تحتل حجرتها في منزل الكاتب بشارع سان لازار

لم يفكر دوماس قط في الزواج . ولكن الظروف ارغمته على التفكير فيه . فبعد مضي ثمانية أعوام على اليوم الذي عرف فيه ايدا فيريه وذهب بها الى منزله فاقامت فيه ، دعاه الدوق دورليان الى حفلة راقصة ، فلبي دوماس الدعوة وذهب الى الحفلة متأبطاً ذراع «صديقته» ايدا فيريه . وعندما قدمها للدوق دورليان قائلا انها : « ممثلة نابغة وحاملة مشعل الفن الصحيح ! » أخذه الدوق الى ناحية من القاعة وقال له بصوت هادىء : « ان المرأة التي قدمتها لي ياعزيزي دوماس هي بلاشك زوجتك ؟ اذ أنني لا اعتقد أنك تقدم لي امرأة تربطك بها صلة غير صلة الزواج ! »

وجعل اصدقاؤه يلحون عليه فرضي دوماس بأن يعقد زواجه على ايدا فيريه بعد ان عاش معها ثمانية اعوام واحبها حباً جما لم يمنعه طبعا من معاشرة غيرها من النساء

تزوج دوماس اذن سنة ١٨٤٠ وكانت حفلة زواجه من الحوادث التي أثارت اهتمام باريس وتناقل الناس خبرها في جميع انحاء فرنسا : « دوماس يتزوج ! — هذا عجيب ! — يالها من خسارة ! » بمثل هذه الأقوال قوبل خبر زواجه . وكان هـذا الخبر كافياً لاحداث فتنة بين النساء اللواتي عرفنه ، ولكن ، هل بقي دوماس على حبه ، بعد الزواج ، كما بقي عليه قبل الزواج ؟

لقد عاش مع ايدا فيريه ثمانية أعوام كان يقول ويصرح وينادي بأنها أسعد ايام حياته . ولكنه على أثر عقد الزواج همس قائلا لاحد أصدقائه : « الآن أظن أن السعادة قد ولت ! » . وهذا ماحدث . فان دوماس لم يطق صبراً على احتمال قيود الزواج . وبعد أن قضى مع زوجته خمسة أعوام لم يذوقا فيها طعم الراحة والهناء ، افترق الزوج والزوجة . ورحلت ايدا فيريه المسكينة عن فرنسا في سنة ١٨٤٥ حزينة كئيبة يائسة من الحياة ، وانقطعت أخبارها عن دوماس الى ان علم ذات يوم أنها تعيش مع أحد أمراء ايطاليا « البرنس دي فيلا فرانكا » فتنهد وقال : « مسكينة ايدا . أرجو لها السعادة والهناء ! » وقد ماتت في كنف عشيقها الامير

أما دوماس فقد استأنف حياته الاولى . ونسي الزوجة التي عاش معها ثلاث عشرة سنة ، الى أن ساءت أحواله . فاصبح عالة على ابنه « اسكندر دوماس الصغير » ولكنه ظل محتفظاً بابتسامه الى آخر لحظة من حياته

حبيب جاماتي

الانقباض والانشراح

في أخلاق الجماعة

بقلم الدكتور بشر فارس

هل ثمة ما يدعو الى تعريف « برجسون » ، ذلك الرجل الذى بث فى الفلسفة روحاً جديداً وسلك طريقة تنهض — فى آن — على التأمل الباطنى والمشاهدة الخارجية ، فجعل منهجه بين أسلوبين مختلفين فى الجوهر : أحدهما الفحص عن الوقائع ، والآخر الاسترسال فى النظر

وكيفما كانت فلسفة « برجسون » فالرجل واحد العصر وامام الفلاسفة فيه ، ذلك بأنه أنفذهم بصيرة وادقهم حساً . وان لم يذكر له الا شىء واحد فليكن انصرافه الى الروحانيات واعتداده بها فى زمن حلت فيه المادة كل مكان وشغلت عقول المفكرين والعلماء

ان لبرجسون تآليف معدودة وكلها نفيس جزيل الفائدة . ومن المبذول أن أتعرض لها الآن ، فلقد وقف الناس عليها وبسطها النقاد واذاعتها الجامعات . الا ان لبرجسون مؤلفاً حديثاً عنوانه « مصدرا الاخلاقيات والدين » Les Deux Sources de la Morale et de la Religion وما أظن أحداً من كتابنا عرض لهذا المؤلف بالتحليل . ومن أجل هذا يجدر بى أن ابسط نواحيه ، ولا سيما ان برجسون انحرف فيه قليلا عن منهجه السابق ، إذ نحا نحو علماء الاجتماع بعض الشىء فى تدبره الاخلاق وذهب مذهب المتصوفة فى تأمله شؤون الدين

على انى أخشى ان يطول كلامى ان بسطت آراء برجسون فى الاخلاق والدين معاً . فلأقصر حديثى — اذن — على الاخلاق

☆ ☆ ☆

يميز برجسون — بادىء بدء — المجمع المنقبض la société close من المجمع المنشرح la société ouverte . فالاول يعيش أفراده منزوين فيما بينهم ، مجتمعين على الهجوم والدفاع . وأما « شخصية » كل فرد فلا وزن لها اذ تندرج فى الجماعة ، حتى ان الفرد لا يكاد يعمل ولا يفكر ولا يحس الا من طريق جماعته . وأما المجمع الثانى فلا ينطوى أفراده فيما بينهم ولا يقصرون هممهم على التواطؤ والتماسك ، بل يحطمون القيود التى تشدهم الى جماعتهم فيتطلعون الى غيرها من الجماعات ويفسحون الصدور لهن ويميلون — بهذا — الى الانسانية جماء . فكأن فى أنفسهم نزوة المتمرد وانطلاقة المتسامح

على ان بين الجمعين اختلافا فى الجوهر . والسبب فى ذلك أن الجمع المنقبض هيهات ان يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يبلغ الجمع المنشرح ، جرياً على سنة النشوء والتحول . فان خروج الخلق من جانب الانقباض الى جانب الانشراح لا يكون من طريق الاتساع وانما يأتى وثبة . فتباين الجمعين ليس فى المرتبة ولكنه فى النوع . والشاهد على ذلك أن الجمع المنقبض يرجع الى الجماعات الفطرية وخاصيتها الانزواء . على حين الجمع المنشرح يلحق بالجماعات المتقدمة وميزتها الاستئناس . فما هذه الا الانسانية l'humenité وما تلك الا الامة la nation

ثم ان برجسون يجعل لكل من ذينك الجمعين لونا من الاخلاق :

فللجمع المنقبض « اخلاق » فطرية قوامها الغريزة على الغالب ، فتكون بمنزلة الشيء الدافع بل « الضاغط » pression . ولذلك يسميها برجسون : الفرض الخلقى « l'obligation morale »

ثم ان للجمع المنشرح « أخلاقاً » رفيعة ، لا شأن للالزام فيها ، موقوفة على نداء رجل جليل فاضل يستمع اليه الجماعة . ولذلك يسميها برجسون « الانطلاق » l'aspiration

أما « الفرض الخلقى » فهو أمر واجب الوجود ، بدليل أن الطبيعة ركزت بين جوانب المرء منذ مستهل الحياة الميل الى المعاشرة ، وهذا الميل قوة مكانها من الانفس بمكان الثقل من الاجرام . وهذه القوة تدفع الارادات الفردية الى ناحية واحدة فى سبيل منفعة الجماعة

ولكن الفرض « كل » تنطوى تحته فروض مختلفة ، تترتب على مداخلتها بعضها البعض قوة . ثم ان الفرض لا صلة له بالذهن ، فهو أمر طبيعى ينقلب الى الدوافع الباطنة . ثم انه ثابت فى مكانه لا يطرأ عليه تعديل ولا يحمل فيه تحول

ولهذا الفرض « وظيفة » جليلة القدر . ذلك ان النظام الاجتماعى ناهض على اذعان الخلق لمجموعة الفروض . والخلق يذعنون لها جريا على حكم العادة واستسلاما الى التقاليد . وان بدا لأحد أن يعرض عنها جذبه اليها ارتباطه الداخلى بالجماعة ثم تداركه الرؤساء أولو الامر والنهى المحافظون على وحدة الامة وكيانها بواسطة القوانين والشرائع التى بين ايديهم

الا أن الفرض لا يأتينا من الخارج بل يندفع من دخائل انفسنا . وبيان ذلك أن لكل واحد منا شخصيتين : الاولى جماعية le moi social والثانيـة فردية le moi individuel . على ان الاولى أعظم شأنا وأبعد أثراً . لان كلنا متصل بعشيره ورديف له . والفرض يأتينا من طريق هـذه الشخصية الجماعية . وليس للشخصية الفردية الا أن تنقاد ، ولربما عاندت فغالبت ، وبالمغالبة يصير الفرض كؤوداً فيعده الناس — اذن — أمراً وعر المرتقى

وأما جوهر الفرض الخلقى فلا علاقة له بمقتضيات الذهن . بل ينبثق من دواعى الطبيعة . ولو لم

يكن الاجتماع البشرى على ذلك الجانب من التحول ، ولو لم يكن على شيء من الفطنة قليل أو كثير لكان الفرض مقصوراً على الغريزة

تلك خلقيات الجمع المتقبض . وأما خلقيات الجمع المنشرح ، فشيء أعلى شأناً وأوسع مجالا وأتم شكلا ، لانه روحانى موقوف على نداء appel لبطل من أبطال المروءة تحل فيه مكارم الاخلاق مجموعة متسقة

ونداء هذا البطل مصدره اختلاج نفسانى .وكأن هذا الاختلاج يفيض من نواحى روح البطل ليغمر الخلق . ولولا الاختلاج ما كان ابتداع فى العالم . لان « وظيفة » الاختلاج غير محصورة فى الحث والحض ، بل تثير الآراء وتولد المعانى . وما الاختلاج المبتدع الا الانبعاث الحيوى الذى عليه أقام برجسون الجانب العظيم من فلسفته

ان الاختلاج النفسانى يشرح روح البطل ويدفعها فى طريق ما يفتأ يتسع ويطول . فتنطلق الروح قدما ، وتتفق بهذا مع مبدأ الحياة نفسه . وانما هذا المبدأ السير والتدرج

وصفوة القول أن بين أخلاقيات الفرض وأخلاقيات الانطلاق ما بين السكون والحركة والفرض أمر لا يرتفع الى الذهن من حيث إن الطبيعة كونته ، فى حين أن الانطلاق يرتفع عن الذهن من حيث أنه وثوب وهزة

والنتيجة أن مصدرى الاخلاق « ضغط الجماعة » و « انبعاث مترتب على الحب » ، وهذا يواصل ذاك من طريق العقل ،إذ الجمع المتقبض يتسع بتأثير العقل ثم ينشرح بفضل ثبات الابطال حتى يضم الانسانية كلها

غير ان الجمع المنشرح من أحلام النفوس الرفيعة، وكلما أخذ ينتعش بسمى الابطال عاقته النفوس الحقيرة فينقبض مرة ثانية من بعد ما يداخله ما طرأ عليه وهو فى حالة الانشراح . فينتقل هكذا من طور فى الانقباض الى طور آخر (١)

* * *

ذلك رأى برجسون فى أخلاق الجماعة . ولقد رأيته ينقلب الى مذهبه القديم مذهب « الانبعاث الحيوى » الذى ينهض عليه نشوء الحياة . الا أنه سلك فى جانب من جوانب بحثه طريقة علماء الاجتماع اذ قسم الجماعات واعترف للجمع بالتأثير الشديد فى كيان الفرد . ولكن برجسون ما يزال — على هذا — نسيج وحده

بشر فارس
دكتور في الآداب من السوربون

---

(١) طبق برجسون تلك الاخلاقيات على التربية . فقال ان الفرض يتطلب الترويض بحيث يحمل المربي الناشيء على الاذعان للفرض.وأما الانطلاق فيقتضي التصوف بحيث يصل المربي الناشيء بالبطل الرفيع ويحضه على الاقتداء به

شذوذ الشبان واعوجاجهم
هل من علاج ؟

بقلم الدكتور احمد محمد كمال

يلاحظ كل متتبع لحياة الشباب في هذا الجيل ان أخلاقهم قد تدهورت ، فبدا فيها من الشذوذ والاعوجاج ما يشكو منه الآن المربون والمصلحون . فما سبب هذا الشذوذ والاعوجاج ؟ وما هي العوامل التي أدت الى هذه الحال ؟ ! ذلك ما يعالجه الدكتور احمد محمد كمال مفتش أول قسم المسائل الصحية بمصلحة الصحة

تغيرت أخلاق شباننا فى هذا القرن عما كانت عليه فى القرن الماضى . وقبل أن أعرض للاسباب التى أدت الى هذا التغير والشذوذ يحسن بى أن اذكر أمثلة مما نشاهده بينهم كل يوم . ومن هذه الامثلة نستعين فى توضيح أسباب الشذوذ والاعوجاج فى أخلاقهم على ضوء البسيكولوجية الحديثة . مثال ذلك :

فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها ، تقص على زميلاتها وأترابها حكايات خيالية لا أساس لها من الواقع ولا يصدقها العقل

شاب فى السادسة عشرة من عمره ، يظن أن الناس يراقبون حركاته وسكناته كأنما يقفون له بالمرصاد ويشعر أنه صغير فى عين نفسه . وقد خاب هذا الفتى فى المدرسة وحاول الانتحار

فتاة فى السادسة عشرة من عمرها ، عزوف تتجافى الاجتماع بأترابها غير واعية بما يدبر حولها ولا تكترث لأى شىء

شاب فى السابعة عشرة من عمره ، يشكو دائماً من أعراض وعلل جسمانية متباينة على الرغم من أن الفحص الطبى يبرهن على أن جسمه سليم

فتاة فى السابعة عشرة من عمرها ، تشعر بكابوس يجثم فوق صدرها ، تتكلم وتصيح وهي نائمة

هذا قليل من كثير مما يبتلى به الشباب فى سلوكه . فما هو السبب وما هو الدواء ؟ !

هناك عوامل عدة تؤثر فى سلوك الانسان منذ نشأته حتى وقت الشباب ، أهمها :

أولا — ما يرثه عن أبويه من ضعف عقلى أو جسمانى أو خلقى

ثانياً — التشوهات الخلقية أو المكتسبة كالعرج والعمى والسمنة المفرطة وقصر القامة أو طولها

ثالثاً — رعاية الوالدين وميولهما نحوه والطريقة التى يتبعانها فى تنشئته

رابعاً — الوسط المدرسى وغير المدرسى مما يخرج عن محيط البيت

خامساً — نضج الانفعالات والعواطف

فمن المعروف ان أبناء مدمنى الخمور والمخدرات تكون قواهم العقلية ضعيفة . ومما لا شك فيه ان

البلاهة والحمق والغفلة تورث. كذلك يرث الولد عن أبويه الهزال والخور. ولا ننسى ان أبناء المصابين بالأمراض السرية قلما يعيشون. فاذا عاشوا فنى اسوأ صحة. وأمثال هؤلاء تنحرف أخلاقهم ويشذ سلوكهم ولا أمل فى اصلاح اعوجاجهم

أما اصحاب العاهات الطبيعية أو المكتسبة والمشوهون بالقصر والسمنة ودمامة الوجه فهؤلاء تلتوى أخلاقهم وتنحرف ميولهم نحو الشر. والسبب فى ذلك قد يخفى على الكثيرين. وللايضاح نقول

ان المشوه بين الاصحاء منظور اليه بعين المقت والسخرية. فالدميم مكروه لا يستر الناس عنه اشمئزازهم فيكرههم بدوره ويظن أنهم يطاردونه ويضيقون عليه الخناق، فيضطره الوهم الى الدفاع عن نفسه بالهرب أو التحدى. وقديماً قيل: «كل ذى عاهة جبار» فلا عجب اذا حقد الدميم على الناس واسودت الدنيا فى نظر الاعرج وضاق الدميم بنفسه وبالناس ذرعاً

وبينما تجد صاحب عاهة مهيض الجناح خجولا، اذا بك تعثر على آخر مشاكساً عنيداً. والخجل قد ينتهى الى القنوط ثم الى التشاؤم فالانتحار. والشراسة قد تؤدى الى الاستهتار والثورة على كل محترم مبجل من نظم وعادات وقوانين. وربما استفحل الامر فأدت الشراسة الى القتل والسلب والنهب. وأمثال هؤلاء فى الامكان تقويمهم باعادة الثقة الى نفوسهم وتهوين رأى الناس فيهم ولفت نظرهم الى أن المرء باعماله لا بمحاسن جسمه وجماله وبذكر أمثلة تخفف عنهم مصيبة العاهة، كتيمورلنك الذى كان أعرج ونابليون الذى كان قصيراً والفيلسوف كانت Kant الذى كان قزماً، والجاحظ الذى كان مثالا من الدمامة

الولد المدلل يحيط به العطف وتكتنفه الرعاية، مجد ما يطلبه حاضراً ويتربع على عرش المنزل يأمر وينهى والكل مطيع. فاذا ترك تلك البيئة الفردوسية ودخل المدرسة، تبدل كل شىء، حيث لا ميزة لاحد على زميله الا بحسن السلوك والاجتهاد والتوفيق. وهنا يصطدم الخيال بالواقع والحلم بالحقيقة، فاذا بهذا الصبى المدلل قد أصبح كالنغمة الناشزة، فلا يعود يرضى عن صحبه ولا عن مدرسته ويمضى فى مقته للعلم، ثم يخيب فى النهاية وقد يتمرد فينقطع عن الدرس والتحصيل ويندس فى الاوساط التى تتملقه لسخائه لا لمكانته. وعندنا فى مصر من هذا الصنف شبان كثيرون، تلقاهم فى ميادين السباق ودور اللهو وما اليها

الوالد القاسى غليظ الطبع يرغم ابنه أو ابنته على الانزواء فى احضان الام الحنون ويضطره إلى الخوف منه والهرب من وجهه. وبمضى الزمن يتحول الخوف كرها. وقد يؤدى الكره الى الاعتداء بالكلام أو بالفعل. اما البنت فيتحول كرهها لأبيها الى كره للجنس الخشن جملة. ومن كانت هذا شعورها نحو الرجال لا تسعد بالزواج، فتثور على الحياة الزوجية، وربما قتلت نفسها تخلصاً من حرج الصدر، وقد تقتل زوجها

والاولاد الذين يشبون فى عصر الانقلاب عصر الصراع بين القديم والحديث ، يذهبون ضحية العنت والجمود لانهم ينفجرون من شدة الضغط أو يستكينون ويذلون . وأمثال هؤلاء قد يفرون من الدار وقد تتلاشى ارادتهم وتنمحى شخصيتهم . ومنهم من يداهن ويتملق ويلذ له النفاق ويستطيب الرياء ، وهذا هو المحتال النصاب المزور الذى تراه فى قفص الاتهام ، أو يفتضح أمره فى الامتحانات التى يغش فيها . واذا أردت أمثلة من حياتنا العصرية ، ذكرتك بالذين يختفون أو يختطفون ، وأشرت الى جيش المتملقين الأذلاء فى مختلف نواحى الاعمال

الطفل الذى لايفقه الكلام يتأثر بحركات من يعنون بتربيته ويجاوب على انفعالاتهم بمثلها أو ضدها فيشب منطبعا على غرارهم . والصبى يعيش فى أحلامه ويأخذ يسأل مدفوعا بغريزة حب الاستطلاع . والغلام يشرع فى التقليد والمحاكاة ، ويتفتق ذهنه رويداً رويداً ، حتى اذا ماصار على أبواب الشباب ، حتى اذا ما بلغ الحلم ، دخل فى حياته الخلقية عامل خطير يهب على عقله وقلبه هبوب العاصفة . هذا العامل هو نضج الميول واكتمال الغرائز التناسلية . وانك لتستطيع بسهولة رد الكثير من اعوجاج الاخلاق فى الشبان الى أصل تناسلى . وليس هذا مقام الافاضة والتفصيل . فلأجتزىء بقولى : ان العناية بالعامل التناسلى يجب أن يساهم فيها الوالدان والمعلمون . وبعبارة أخرى — لا غنى لنا عن تلقين مبادىء التناسليات للطفل والغلام وللصبى وللشاب ، كل على حسب استعداده ودرجة نموه ، بطريقة لا تخل بقواعد الخلق الفاضل ولا تجرح الكرامة أو تنافى والذوق السليم

وأنتهز هذه الفرصة للتصريح بأنه قد آن الاوان لتوسيع نطاق التربية بحيث تشمل مبادىء التناسليات . ومن شاء برهانا على ان اهمال العامل التناسلى قد أفسد أخلاق بعض الشباب ، فليزر صالات الرقص ، وليراقب ولينصت الى احاديث الشبان . فانه سيجد أن نشاطهم وعقولهم قد انصرفا الى شيء واحد ، هو اشباع رغباتهم الجنسية

انى طبيب يصف الاعراض . اما العلاج فمتروك أمره للآباء والمربين وأولي الامر

فهل من علاج لهذا الاعوجاج ؟!

دكتور احمد كمال

البعث

أراك فأحيا فابعثينى من البلى ... بوصلك كيْ أدري الذى وَعَدَ الرُّسْلُ

قضى الناسُ فى ريبٍ من البعثِ حقبةً ... فجُودى بوصلٍ يؤمنوا أنّه الفَصْلُ

طاهر الطناحي

في بولونيا الوف من المسلمين

تحدثنا في العدد الماضي عن علاقة بولونيا بالعالم العربي والثقافة الاسلامية . والمقال الذي نقدمه اليوم للقارىء يبحث في سكنى المسلمين في بولونيا وتاريخ دخولهم هذه البلاد وامتزاجهم بأهلها وانتشار الدين الاسلامي فيها وما لاقوه من حرية واضطهاد . فهو تتمة لازمة لبحثنا السابق

فى الأقاليم الشمالية الشرقية من بولونيا تسكن منذ أجيال ألوف من المسلمين . يطلق عليهم عادة اسم « التتر البولونيين » ، ولكنهم من ناحية الجنسية يؤلفون مزيجاً مختلطاً لا جنساً واحداً معيناً . وهم وسط الخضم المسيحى فى بولونيا أشبه بجزيرة ثابتة تحافظ على كيانها على مرور الأجيال . وقد بدأ المسلمون يستوطنون تلك الاقاليم منذ أوائل القرن الرابع عشر . غير أن عددهم أخذ يزداد شيئاً فشيئاً الى أن انتشروا بكثرة فى الشمال والشرق فى أواخر القرن الرابع عشر وأوائل الخامس عشر

ففى القرن الثالث عشر قام المسلمون القادمون من سواحل بحر قزوين والقفقاس بغزوات عديدة متوالية اكتسحوا فيها بولونيا من حدودها الشرقية الى أقصى حدودها الغربية . وذلك على الخصوص فى سنى ١٢٤١ و ١٢٥٩ و١٢٨٨ . وعلى أثر كل غزوة كان فريق من الغزاة يستوطن فى بولونيا وينشىء مستعمرة اسلامية . وما تزال آثار تلك المستعمرات باقية إلى الآن فى أنحاء البلاد

ثم قامت الحروب المعروفة بين البولونيين والالمانيين . فنهض المسلمون يشدون أزر البولونيين وخاضوا معهم غمار الحروب جنباً الى جنب ضد الالمانيين . ولم يقتصر ذلك التحالف على المسلمين المقيمين فى بولونيا بل جاوزه الى اخوانهم الضاربين فى البلاد المجاورة . وبعد معركة « جرنفالد » فى سنة ١٤١٠ بقى فريق من الجيش الاسلامى فى بولونيا واستوطن فى ناحية فيلنا على ضفتى نهر نيمن . ومنذ ذلك الوقت أصبح المسلمون يعدون جزءاً من السكان الوطنيين فأقطعتهم الحكومة مساحات شاسعة من الاراضى . أطلقوا عليها اسماء بولونية واتخذوا هم ايضاً أسماء بولونية محتفظين بأصول اسمائهم الاسلامية . ولما كان عدد النساء المسلمات قليلا فى ذلك الوقت فقد أقبل المسلمون على الزواج من النساء البولونيات المسيحيات . غير أن أبناءهم نشأوا دائماً على الدين الاسلامى . وجعل المسلمون اللغة البولونية لغتهم ، دون أن يمس دينهم وتقاليدهم

وأعطيت لهم فى بولونيا جميع الحقوق والامتيازات التى يتمتع بها سكان البلاد الأصليون . وكان بينهم منذ ذلك العهد البعيد « الأشراف » أو « النبلاء » الذين يملكون الأراضى والعقارات و « البسطاء » الذين كانوا يحترفون الصناعات ويقومون بالاعمال الزراعية وتربية الماشية والنقل

والتجارة . وكان الأشراف فى حالة الحرب يؤلفون جيشاً من الفرسان . وبلغ عدد المسلمين فى بولونيا فى القرن السادس عشر نحو مائتى الف رجل . وكان عدد القرى التى أنشأوها نحو مائة قرية . وفى حالة دعوة السكان الى النفير العام كانوا يقدمون من ٢٠ الى ٢٥ فى المائة من مجموع الفرسان المحاربين

ولكن عددهم أخذ ينقص بحالة تدعو الى القلق منذ القرن السابع عشر ، بسبب نزوح كثيرين منهم الى القرم وتركيا . واستمرت هجرتهم هذه فى ازدياد ، بسبب الاضطهادات التى أنزلت بهم على أثر تقسيم بولونيا واحتلال روسيا للاقاليم التى يقيم فيها المسلمون . فقد عدتهم روسيا « عصاة » ، وجعلت تضطهدهم وترهقهم ، فلجأوا إلى الرحيل عن البلاد طلباً للخلاص من ذلك النير الثقيل



خريطة توضح الاراضى البولونية . ويرى القسم الذي يزدحم فيه المسلمون في الشمال الشرقى من هذه الاراضي وهو المشار اليه بالنقط

وعندما تحررت بولونيا من جديد وأصبحت دولة مستقلة بعد الحرب العظمى ، أسرعت حكومتها الى الاعتراف بكيان المسلمين وباعلان حرية الدين بالنسبة اليهم . ولكن عددهم لايزيد الآن عن ستة آلاف فقط !

وهم يسكنون فى مقاطعات فيلنا وبيالستوك ونيوفوجرودك وبوليزيا . وقد أصبح هؤلاء المسلمون الآن ، وهم سلالة أبطال الحروب ورجال الوغى ، تجاراً وصناعاً ومزارعين هادئين

والمسلمون البولونيون متعلمون ، وهذا ما جعل كثيرين منهم يحصلون على مناصب عدة فى الجيش والادارة ، فنهم الآن ضباط وقضاة وأساتذة وأطباء وموظفون . غير أن الأغلبية منهم منصرفة الى الزراعة والصناعة

وبالرغم من المسافة التى تفصلهم عن العالم الاسلامى ، فان علاقتهم به وثيقة مستمرة . وهم يقصدون الى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وقد ترك بعض الحجاج البولونيين مذكرات عن الأراضى الاسلامية المقدسة . ويسافر الحجاج البولونيون عادة الى تركيا حيث ينضمون الى قوافل الحجاج الاخرى فى طريقها الى مكة

وكثيراً ما دعى أئمة الدين فى بولونيا لزيارة تركيا . وعند ما يحدث خلاف بين المسلمين فان الأمر يعرض على المحاكم الشرعية فى تركيا . وكان سلاطين آل عثمان يوفدون من وقت الى آخر بعض علماء الدين لزيارة المسلمين فى قراهم البولونية

وتزداد العلاقات توثقاً يوماً بعد يوم بين المسلمين البولونيين من ناحية والأقطار الاسلامية الشرقية من ناحية أخرى . وهنا الآن فى مصر ستة من المسلمين البولونيين يتلقون العلوم فى جامعة الأزهر الشريف . وقد اشترك مفتى بولونيا فى المؤتمر الاسلامى الذى عقد بالقاهرة فى سنة ١٩٢٦ . وقام فى سنة ١٩٣٠ برحلة زار فيها مصر والحجاز وفلسطين وسورية . وفى عام ١٩٢٥ اشترك فى مؤتمر الجغرافيا الذى عقد بمصر أحد العلماء المسلمين البولونيين الدكتور كريزيسكى ، وحظى بمقابلة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول الذى تفضل وأنعم عليه بوسام النيل

ومدينة فيلنا هى مركز النشاط العلمى والادبى للمسلمين فى بولونيا . وفى هذه المدينة تصدر صحيفتان اسلاميتان : « الحياة الاسلامية » وهى مجلة شهرية و « الوقائع الاسلامية » . وتصدر فى وارسو عاصمة بولونيا صحيفة ثالثة اسمها « المجلة الاسلامية » وفى مدينة فيلنا دار للآثار تدعى « المتحف الوطنى الاسلامى » وهذا المتحف يضم طائفة من الآثار والمخطوطات الخاصة بماضى المسلمين وحياتهم ونشاطهم فى بولونيا

ان ارضنا خصبة طيبة الثروة ، ينبت فيها غالب النباتات التي تزرع على وجه المسكونة ، وهواؤها ونباتها في غاية الجودة ، و بنوها أصحاب كد ونصب وذوو صبر على العمل وجلد على التعب ، ولـكن ليس كل هذا بكاف وحده في الغنى والعزة والشوكة ، بل لا بد ان ينضم اليه حسن استعمال هذه الاسباب الجليلة ، ورشاد الرأي في استخدامها (محمد عبده)

الفلاح فريسة الفقر والجهل

من محاضرة للدكتور عبد الواحد الوكيل

الاستاذ المساعد لعلم الصحة بكلية الطب

إذا بحثنا فى عدد سكان القطر المصرى وجدنا الفلاحين هم الأكثرية العظمى بين السكان ، إذ يبلغ عددهم نحو ١٢ مليونا من الانفس . وهذا العدد يدعونا الى الاهتمام بهذه الاكثرية العظمى التى يتألف منه أغلب سكان القطر المصرى ، وهى مع ذلك فريسة الفقر والجهل والامراض المختلفة

ولكى تقدر هذه الحال قدرها يجدر بى أن اذكر خلاصة النتائج التى وصل اليها الباحثون فى هذه الحال . فقد اثبت الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك أن البلهارسيا بجميع انواعها منتشرة بين ٧٥ ٪ من الفلاحين ، وأن نوع البول الدموى منها يصيب ٦٥ ٪ منهم ، بينما النوع المعوى منتشر بخاصة فى شمال الدلتا

وقد أصبح الفلاحون اليوم يصابون بالبلهارسيا أكثر مما كان يصاب بها أجدادهم المصريون القدماء . وقد نشأ ذلك من تغيير نظام الرى الآن من رى الحياض الى الرى الدائم ، ومن ازدياد القنوات والمصارف التى نشأت عن هذا التغيير ، والتى تحوى كثيراً من القواقع

أما الانكلستوما فتسكن فى امعاء ٥٠ ٪ من المصريين . والديدان المعوية عموما كثيرة الانتشار فى هذه البلاد ، حتى ظهر منذ سنوات فى سفط العنب بمديرية البحيرة أن سكانها مصابون بهذه الديدان بنسبة ٩٥,٦ فى المائة . بل ان المدن المصرية لا تفضل القرى فى هذا الباب ، فقد وجد أن ٨٢ ٪ فى بورسعيد و ٣٠ ٪ فى الاسكندرية مصابون بثعبان البطن

وقد تفشى داء الفيل فى كثير من المناطق ، ففى قرية بجوار اهرام الجيزة وفى بلدة « كوم النور » وجد أن ٣٥ ٪ من سكانهما مصابون باعراض ذلك المرض ، وقد دل اختبار كثير من الاطباء على أن مرض السل فى ازدياد بين الفلاحين لأن الاصابات التى يراها الاطباء الآن أكثر مما يستطاع تعليله كله بتحسن طرق التشخيص أو باقبال المرضى على العلاج واستشارة الاطبا

أما مرض الرمد فكلنا نعرف مقدار انتشاره بين المصريين . وقد فحص قسم الرمد سنة ١٩٣٢ - ١١١٧١٧ تلميذاً فى ٢٢ مدرسة ابتدائية مختلفة فوجد أن ٩٢ ٪ منهم مصابون بذلك المرض

اما الملاريا فان خطرها عظيم فى هذه البلاد . وقد اتخذت الاحتياطات حيال كثير من المناطق ، ولكن على الرغم من ذلك فان اصابتها فى ازدياد . وهذه الزيادة ترجع الى اتساع مناطق زراعة الارز والى ضعف مقاومة الاجسام بتأثير الازمة الاقتصادية الحاضرة

ان الامراض التى ذكرناها هى من النوع المتوطن الذى يرافق الفلاح فى حياته ، اما بنفسه او بمضاعفاته . ويجب أن يضاف اليه ما تحدثه الامراض الوبائية بين آن وآخر من الخراب فى القرى المصرية . ويكفى أن نذكر من اسمائها التيفوس والحمى الراجعة والطاعون والجدرى والحمى الشوكية والحمية والحصبة التى تعد أخطر مايصادفه الفلاح احيانا

* * *

ولنترك الآن جانباً ما استعرضناه من ألوان الامراض ولننظر قليلا الى الفلاح فى ذاته والى قريته فنرى أن كليهما فريسة لاكبر عاملين خطرين فى هذه الحياة وهما : الفقر والجهل

أما الفقر فيكفى للدلالة عليه أن نذكر ما جاء بتعداد سنة ١٩٢٧ فقد ظهر أن بين ٢٦٠٠٣٩٧ من الذكور الفلاحين المشتغلين بالزراعة ١٨٧٥٥١٩ (أى ٧٢ ٪) لايمتلكون شبرا من الارض . وانما يعتمدون فى حياتهم وحياة عائلاتهم على قواهم البدنية وحدها

ونحن نشعر بمقدار الجهل فى تلك الاوساط اذا علمنا أن نحو ٩٠ ٪ من السكان لا يعرفون القراءة والكتابة . فلا غرو إذا اتحد فقرهم وجهلهم ليجعلا منهم مثلا محزنا من البؤس . وقد اضطرهم فقرهم إلى أن يتجمعوا فى قرى مزدحمة بدلا من أن يبنوا منازلهم متفرقة كما يفعل إخوانهم فى أوربا وأمريكا ، وان يستعملوا أرخص مواد البناء وأن تكون مساكنهم من أبسط المساكن نظاما ونظافة وكفاية

إن أوصاف القرية المصرية معروفة لكل إنسان.وقد ولد فيها الكثيرون منا وشبوا بجوارها ، فالازقة الضيقة الملتوية غير الممهدة والاكواخ المنخفضة سيئة التهوية والمياه الملوثة والبرك والمستنقعات ذات الماء الراكد واكوام السباخ والجلد وطوائف الذباب والبعوض والطعام الردىء والعادات السيئة كلها معروفة للجميع

على أن هناك ظاهرة خاصة بالقرى المصرية لا تفتأ تمنع عنها النظافة والصحة وهى مشاركة الحيوانات للفلاحين فى مساكنهم حيث يدفعهم حذرهم عليها الى تقريبها منهم . وهكذا انحط الانسان فى حياته الى مستوى الحيوان

وليس فى حياة الفلاح المصرى شىء جميل وليس له متعة فى الحياة إلا اشعة الشمس والهواء الطلق فى الحقول . واليهما يرجع أغلب الفضل فى عدم زوال شعبنا من الوجود

إن الحالة التى وصفناها للقرى المصرية هى فى الحقيقة تركة مثقلة من الفاقة والجهل ورثناها عن أجيال متعددة . وربما كان فى ازدياد عدد السكان فى هذه البلاد أثناء الخمسين سنة الاخيرة مع هبوط دخل العائلة ما زاد الفلاح تعساً وسوءاً

لذا يجب اصلاح القرية المصرية . واول ما يطرح قيد المناقشة هو ضمان حسن تخطيط القرى المصرية تخطيطا حسناً ، فان القرية المصرية الآن ليست مستوفية للوسائل اللازمة لحياة الفلاح وخير علاج لها هو الهدم ، وان كان ذلك قد لا يتم إلا تدريجيا . ولذا يجب أن تهيأ بجوار كل قرية مساحة أخرى من الارض تشترى وتخطط لانشاء القرى الجديدة ، ثم تمنع المبانى الجديدة فى القرية القديمة بقوة قانون صارم . ويشجع إنشاؤها فى الارض الجديدة بهبات من الارض والمال

غير أنه يعترضنا فى سبيل هذا الاصلاح مشكلتان : الاولى توفير مياه نقية للشرب والثانية اختيار أصلح انواع المراحيض القروية وأنسب الطرق للتخلص من محتوياتها

إن أهم مورد لمياه الشرب فى مصر هو النيل والترع المتفرعة منه ، ولكن ماءها العذب معرض لأخطر أنواع التلوث الآدمى والحيوانى

وهناك مدن كثيرة تعتمد طول السنة أو بعضها على الآبار العميقة (الارتوازية او شبه الارتوازية) ومصدرها من مياه الطبقة الارضية العميقة . وهى مياه توجد صالحة للشرب الى خط عرض ٣١ درجة شمالا أى على بعد خمسين كيلو مترا من البحر . وهذا الخط يجرى من جنوبى دمنهور الى جنوبى المنصورة وماء الآبار العميقة هو عادة فى درجة جيدة من النقاوة ، ولكن طعمه غير مستساغ كماء النيل لوجود الاملاح والحديد والمنغنيس فيه

أما الآبار السطحية أى غير العميقة فكثيرة الاستعمال فى القرى المصرية ولكن ماءها عظيم التلوث من سطح الارض ومن المواد العضوية التى تصله من المجارى والاسمدة وغير ذلك

أما اختيار أنسب أنواع المراحيض للقرى المصرية فليس بالسهولة التى يفهمها الانسان . ولا شك ان الطريقة الشائعة وهى استعمال الخزانات الراشحة التى من النوع العادى أو من النوع المعدل الذى تجربه بعثة روكفلر فى هذه البلاد ليست وافية بالشروط الصحية . فقد دل الاختبار على أنها غير ناجحة فى أغلبية بلادنا . وذلك نظراً لسرعة امتلائها بمياه الرشح حتى انها لتطفو على الارض وقت الفيضان احيانا . ولهذا كان أصلح الطرق لمعظم القرى المصرية هو استعمال المرحاض ذى الجردل مع التصرف فى محتوياته يوميا بالدفن فى منطقة ذات موقع مناسب خارج القرية أو باستعمال المرحاض الذى توصى مصلحة الصحة بالولايات المتحدة باستعماله . وذلك لمنع تلوث الارض خوفا من مرض الانكلستوما المتفشى فى تلك الولايات

الحبُ يلهو

بقلم الاستاذ محمود طاهر لاشين

هذا خطاب عثرت عليه بين الرسائل التى أحتفظ بها . ويرجع تاريخه الى عدة سنوات مضت . وقد استأذنت كاتبه فى نشره . فأذن لى على أن أبدل اسماء الأشخاص وان اغفل الامضاء ...

عزيزى حسين

قرأت خطابك ثم ترددت فى أن اكتب اليك وألا اكتب . ذلك لانى رأيت فى خطابك صورة صادقة منك ، وكان لاسئلتك الخاصة بى ، وبسفرى الفجائى أو « فرارى » – كما سميته – وقع بليغ فى نفسى . وانى لأشكر لك جميل احساسك

أما أنا فباستطاعتى ان أكتب اليك شيئاً – أى شىء – عن الريف مثلا وما فيه من هدوء وطمأنينة ، وعن أهله وماهم عليه من جهل وسوء حال . وقد يكون خطاباً منمقاً ولكنه بلا شك سيكون فاقد اللون والحياة ، وأكون مموها غير أمين . ذلك لان ما يشغل شعورى وعقلى أراه دقيقاً وحرجاً وأحرى بالكتمان . وهذا سبب ما أدركنى من حيرة وتردد . ولكن ما بيننا من ود قديم وثقة يجعلنى لا أفضى اليك به فقط ، بل ألتمس عندك فيه النصيحة

اسمع ياصديقى العزيز :

فى أواخر اجازتى الصيفية الماضية ، كنت يوماً فى ترام العباسية راجعاً الى المدينة على أثر زيارة عمى فى عمل له . وكنت بالدرجة الاولى والساعة حوالى الحادية عشرة صباحاً . وعند شارع « عبده باشا » صعدت فتاة ، فأفسح لها الحاضرون مكانا فجلست أمامى . شىء غير نادر ان لم يكن مألوفا . وأنت تعلم انه على الرغم من فراغ حياتنا من المرأة وتلهف قلوبنا الى ايناسها ، فانى لا انكلف التقرب الى فتاة ، وأمقت كل المقت من يفعل ذلك

ولكن عند ما كان نظرى يقع عفواً على تلك الفتاة ، كنت أدرك فيها معنى للجمال غير مبتذل . فلم تكن بذات الوجه الوردى والجسم البض والسيقان المغرية ، بل كانت الى الصفرة والنحافة أقرب ثم لا تبرج ولا زيف . انما هما عيناها وفمها اللذان كان فيهما جماع ذلك المعنى الدقيق . فقد كانت نظراتها الساهمة تدل على طوية سليمة . وطبع غير مشوب . فحدث عندى يقين أنها لو حركت شفتيها الرقيقتين لفاهت بالكلم العذب الحصيف ، وقد أطلت اليها النظر حتى انتبهت الى ذلك فأغضت فى شىء من الارتباك . وأدركنى الخجل لانى استطيع أن اقول ان نظرى كان يستقر

على وجهها سهواً منى وعلى غير عمد . وحسبت أن أكون بدوت لها سمجاً ثقيلا

ووصل بنا الترام الى ميدان المحطة ، وكنت أبغى النزول عنده ، ولكنها أسرعت فنزلت فبقيت مكانى محطة أخرى اتقاء المظنة منها ومن الحاضرين

وفى اليوم التالى اقتضت الحال ان أزور عمى ثانية وانصرفت من عنده فى نفس الوقت الذى انصرفت فيه يوم السبت . وما كاد ينطلق بى الترام حتى فاجأتنى فيه ذكرى فتاة الامس ، وتمنيت لو أنى أراها ، اذن لا كون سعيداً . ووضح فى ذهنى معنى السعادة كأن انساناً خارجاً عنى هو الذى نبهنى اليه وأكده عندى ، وما كنت — البتة — فكرت فى أمر الفتاة إلا دقائق اثر نزولها بالامس

ومن العجيب يا أخى ولامر شاءه القدر ، أنها كانت فى المكان عينه وفى لحظة كانت معى فى الدرجة الاولى ولم يكن بها سوانا . فاحسست بدمى قد جاش دفعة واحدة وخفق قلبى وخفت ان ينم وجهى على . فواريته فى صحيفة كانت معى وعالجت الهدوء . فهدأت او على الاقل الى حد كبير. أما هي فما استقر بها المكان حتى فتحت كتاباً وشرعت تقرأ . وقد رجح عندى من حجم الكتاب وغلافه المقوى انه كتاب انجليزى . وكان منظرها وقتئذ كصورة لفنان عبقرى الاداء — فيها هدوء وعذوبة وفيها جلال . فلم أستطع إلا ان اختلس اليها النظر . وكنت احس احساساً صادقاً باتصال روحى بروحها وبأن قوة خفية تجذبنى اليها . وجاء عامل الترام فآنست حوارا خافتا بينه وبينها ، ثم علا صوت الرجل فى عنت فألقيت الصحيفة ونظرت كأنى استطلع الخبر واذا بالعامل يأبى الاعتراف بنصف ريال دفعته الفتاة اليه ، ولم يلبث حتى طلب الى ان اكون حكماً . ففحصت القطعة وما زلت بالرجل حتى حسمت النزاع

فلما انصرف أحببت ان اتخذ من هذه المناسبة فرصة للكلام معها . فاذا بى أشعر بأن حلقى يجف وقلبى يزداد خفقانا كما لو كنت قادماً على فعل عظيم . بيد أنى قلت شيئاً ، وبكيفية ما ، فكان فاتحة حديث خافت متقطع فى البداية ، ثم استقام حيال اصرارى على متابعته . فتكلمنا — أو تكلمت أنا فى الواقع — عن العمال وارهاق أصحاب الاعمال لهم وضآلة مرتباتهم وعدم الاعتراف بهم اعترافاً جدياً يركن اليه — عناصر تحملهم على ماهم عليه من ضجر وحنق وفساد أخلاق فى الشطر الكبير منهم . وكان يشجعنى على استرسالى غير المنتظر انها كانت تصغى الى بغير سأم ، وتحفزنى بأسئلة واعتراضات . وكانت تتكلم فى خفر وبصوت منخفض . وقد صح ما تفرسته فيها بالامس — فصوتها حلو وحوارها رزين . . . ولكن الموضوع بلغ حده فانتهى . وحلت فترة صمت شعرت فى أثنائها بنشاط فكرى وغبطة

وعاودت قراءتها فعز على ذلك ، اذ كنت أشعر بانه لا ينبغى أبداً أن اقطع هذا الخيط الذهبى الذى مده القدر فيما بيننا ، وكان قد عاد إلى احتباس الصوت إلى حد ، لانى كنت ادرك ان

فى استئناف الحديث جرأة قد لا ترضاها . على انى سألتها - كما لو كنت أخاطب نفسى - عن الكتاب الذى تقرأه فاذا به رواية كليوباتره لرايادرد هاجرد ، وكنت قرأتها من زمن بعيد ! فكان لنا من موضوعها حديث متشعب لذيذ ! . أواه ياعزيزى ! انى لاذكره وقد مضى عليه نحو ثلاثة أشهر كأنه جرى اليوم ، وانى من ناحيتى أشعر بلذة كبرى فى أن أعيده عليك كلمة كلمة ، ولكنى أخاف املالك . ويحسبى أن أقول لك انها ذكية متوقدة رقيقة الفؤاد . . . ظهر ذلك تماماً فى اشفاقها على « هرمكيز » حين تلاشت آماله فى حب الملكة الفاتنة ، ثم موقفه الذليل حين استعاضت عنه « بمارك انطوان » . وقد وضح كذلك - فى سياق الحديث - انها مثقفة وعلى علم غير يسير بتاريخ مصر والنفسية المصرية

هذا الموضوع لم ينته ، بل انبتر حين وصلنا (ميدان المحطة) . وخلت وقتئذ اننا وصلنا اليه فجأة وأنا على غير هدى . ذلك لانى كنت فى أثناء حديثى معها أفكر فيما أصنع حينما تغادرنى ، وكان لهذه الفكرة هرج فى رأسى لم يستقر حتى نزلت . وانطلق الترام بى مليا ، ولكنى قفزت منه فجأة وعدت مسرعا ، فأبصرتها عن بعد تنتظر تراماً آخر فتريثت ، فالتقت أنظارنا فاطرقت اطراقة لطيفة كأنها تقول : « حسبك هذا » فادركنى لذلك خجل شديد ، واقصيت من فورى فكرة اقتفائها وانصرفت متوارياً فى الجماهير . وشرعت سحابة اكتئاب تتجمع فى خاطرى ، ولكنها تبخرت تحت حرارة رغبتى فى أن أقنع بتوفيقى فى يومى وأن أسعد به

وكان فى نفسى - دون سبب منطقى - وثوق بأنى سألقاها غدا . وكان يشمل الجو حولى فرح كنت فى خطاى السريعة كأنى دائب فى ادراك مداه فيترامى أمامى الى اللانهاية . وذرعت مسافات طويلة غير مكترث - أو شاعر فى الحقيقة - بحرارة الشمس وقت الظهر . ومرت بذهنى أفكار شتى كلها بهيجة وسارة . وكنت أتمنى لو صادفت أحداً من الاصدقاء فيشاطرنى بعض تلك السعادة . كما أنى تنكبت الطريق مرة أو مرتين لاتحاشى لقاء أناس كنت أعلم انهم لن يفهمونى . . ثم هدأت رويداً رويداً ، فادركنى من امرى العجب ، وسألت نفسى : « ماذا جرى ؟ » وحاولت ان اكبح جماحى وأن أعود الى رزانتى وهدوئى ، ولكنى آنست ارتياحاً كلياً لمشاعرى تطرب وتمرح . ودار بخلدى : « لماذا أستكثر على نفسى السعادة التى أتاحتها لى المصادفة ، والتى لو تبينها أحد ممن أمر بهم لحسدونى عليها ! ! »

وفى اليوم التالى لم تكن هناك حاجة للذهاب إلى العباسية ، ولكننى لم استطع مقاومة رغبتى فى الذهاب . فذهبت وكان قلبى - فى أثناء الطريق - يزداد خفقانا ، وكنت اخاله يتمدد حتى يملأ صدرى ، وكلما قربت كانت اوصالى تتخاذل وأطرافى تبرد . وكنت أفكر كيف القاها ، وكيف أتحدث اليها ، وكنت احسبنى بذلك فى شغل شاغل عن كل شىء . . . ولكن . . .

قبل أن أصل إلى المكان المعهود لمحتها فى الترام الراجع . وفى الحق انى لم أرها بعينى بل رأيتها باحساسى . شعرت بوجودها على مقربة منى ، فاستدرت كما تستدير الابرة تجاه مغناطيس قوى فقفزت من مكانى وعدوت خلف الترام حتى ادركته ولكنها كانت فى منصورة « الحريم » فجزنت

وجاءت جلستى الى جانب رجل من أصدقاء عمى ويعرفنى ، ضابط قديم وثرثار ، فراح يتكلم ويتكلم كل المراء الذى فى العالم ، وأنا عما يقوله فى ذهول . غير انه مضى يكثر من الاسئلة فأجيب عليها ويورد الامثال العامية ناقصة كى اتممها وقد أوشكت أن أهيب به أسكته ، حتى وصلنا ميدان المحطة فنزلت رغم تشبثه بى ، ولكن شد ما كانت دهشتى حين لم أجد الفتاة ... لقد نزلت فى محطة سابقة ولا شك ، فخيل الى اذ ذاك ان أصعد فابصق فى وجه ذلك الثرثار . ولكنى لم استطع حراكا وصرت اجيل بصرى فى كل اتجاه . حرت فى أمرى ! أألبث مكانى لعلها تجيء فى القطار التالى أم اسير فى اتجاه الطريق الذى جئت منه لعلى اصادفها . وبعد فترة وجدتنى أتقدم نحو قهوة (بلافستا) المقابلة لمحطة الترام فأويت اليها كطير مهيض الجناح

وظللت لا أفكر فى شيء ، شأن من تباغته الصدمة الكبرى . ثم إن ضباباً قاتماً زحف الى قلبى ، وتحرك صدرى بالنقمة على هذا الثرثار ، حتى لقد ضربت الطاولة التى كانت أمامى وتمتمت بلعنه ورحت قلقاً حتى فى جلستى وعاودنى سؤال الامس : « ما هذا ! ماذا جرى . ما هذا ! ماذا جرى ! »

أيكون مجرد اعجاب بتلك الفتاة ورغبة منى جنونية فى أن ألهو بها ، أو بمنى أدق واسمى — فى أن أنعم بحلو حديثها مرة أخرى ؟ وأحببت ان اقتنع بذلك ، ولكن نفسى لم تطمئن اليه . وتطور شعورى وقتئذ الى طور غريب وأخذت نفسى تغالب خاطراً يحاول الظهور فلم تفلح . وهتف الخاطر فى فؤادى باتى أحبتها ! وأنها ضالتى وفقت اليها . وعند ذلك لم أطق الجلوس فقمت امشى حتى وصلت الى البيت وانا نهب خواطر عدة تفرحنى جداً وتحزننى جداً . وقد ضايقنى أنى لاأستطيع أن أتحدث الى أمى بما أنا فيه . فانت أدرى ياعزيزى بأننا نعيش فى بيوتنا أغراباً عن أهلنا لا تربطنا بهم الا الغريزة . أما الاتصال الفكرى ، أى اتصال الحياة نفسها فمعدوم . ولم أشأ أيضا أن اذهب الى القهوة ، بل آثرت ان آوى الى غرفتى لاخلو الى تأملاتى ومايجيش بصدرى . على ان الغرفة المألوفة تنكرت فى نظرى وخيل الى أنها اكسف جواً واضيق حجما ، وعلى كل حال بقيت فيها . واكببت على مكتبى زمنا طويلا استمدت فيه ما حدث على ذاكرتى فى هدوء ، فلم يسعنى وقتئذ إلا أن اقول : « حقاً أن احتجاب المرأة عنا يجعلنا فى حالة شاذة حين نفاجأ بها » وتبينت تفاهة الامر ، فقمت فخلعت ثيابى وأنا أشعر براحة من ألقى عن كاهله عبئاً ثقيلا . وعمدت الى القراءة ، ولكن سرعان ماملتها ولم يعلق بذهنى شيء مما قرأت ، فعزوت ذلك الى تعبى ، وخرجت الى أمى وكانت جالسة فى الصالة ساهمة ، فتجاذبنا الحديث عن بيتنا وبيوت الجيران — موضوعات تافهة — ولكنى أخلدت اليها ، وحاولت ان اندمج فيها قدر استطاعتى وفعلا رفهت عنى الى حد كبير

فلما جاء الليل أويت الى فراشى مبكراً ، وانا أشعر بأنى سأنام من فورى ، ولكننى لم انم ، وعاودتنى ذكرى الفتاة كأن لم يكن هدوء ولا ترفيه . وجعلت افكر فيما أصنع لو انى قابلتها وفيما أصنع لو انى لا اقابلها . واستطعت ان اطرد عنى التشاؤم وصرت أتصور حبنا فزواجنا ، فالمثل الاعلى الذى سنكونه للازواج ، حتى غلبنى النوم فاكملت آمالى احلاماً

وفى اليوم الثالث ذهبت ، وذهبت فى اليوم الرابع بل الخامس والسادس . . . . فما وجدتها

ليس فى مقدورى ان اصف لك ما أتانى وقتئذ . . الغصة . الحسرة . اللوعة . التحرق والكرب العظيم . لقد احال اليأس قلبى الى وزن ثقيل أحس به ويؤودنى ، وامتلأ رأسى بأفكار سوداء ، وضغط صدرى هم جعلنى اضيق بنفسى ذرعاً . واصبحت عصبياً الى درجة الحماقة ، حتى أمى عجبت لأمرى ، بل تبرمت منى فى تلك الايام . فقد كان اى شىء تافه يزعجنى وأتشاجر من أجله شجاراً لم يألفه احد منى ، حتى أنا فى اثناء احتدامى أرانى على ضلال ، وان ما آتيه هو عين السخف . واحتلتنى رغبة فى ان أسير ، فى ان اهيم على وجهى ، وكنت كلما سرت فأبصرت عن بعد فتاة تشبه فتاتى هرعت صوبها ، ثم لا البث ان أعود بنقمة الخيبة . وكانت ضروب من العذاب لما اقاسيه من سهاد ممض واحلام مزعجة . ثم انتهت اجازتى الصيفية ، وعدت الى الديوان ، فاشتغلت بالعمل الجارى ، ومن ناحية اخرى فان نفسيتى تراجعت الى النقيض حيال يأسى واعصابى المتعبة ، فتولتنى رويداً رويداً طمأنينة المؤمن بالقضاء والقدر

وتوالت الايام حتى صرت لا أذكر الفتاة الا فى الفترات المترامية كنت أضع لقائى بها فى حساب الحلم السعيد . ولكن حدث فى يوم كنت أصعد سلم احدى عمارات (العتبة الخضراء) مع أبى لمقابلة محاميه وأبى يتكلم باهتمام فى قضية ساء فيها مركزنا ، اذ أبصرت الفتاة تهبط السلم ! تصور ذلك ، وتصور موقفى واحساسى حين تربثنا نفسح لها الطريق لتنزل ، لتفر منى مرة اخرى ! وقد حيتنى بابتسامة واطراقة خفيفتين ، فما وصلنا مكتب المحامى حتى غادرت أبى فجأة ودون اعتذار

وفى طرفة عين كنت فى الميدان أنظر بعينين محملقتين . أنظر فى كل اتجاه كالمجنون . أهرول حيثما اتفق مجازفا بين المركبات المتتابعة المتزاحمة . وخيل الى انى لو كنت أعرف اسمها لجأرت به ، فلما يئست من العثور عليها كرت على — بعزم أقوى — تلك الحال النفسية السابقة ، كما تكر الحمى على مريض بنتكس ، وذهلت عن والدى ملياً ثم ذكرته فصعدت اليه كصاعد سلم الاعدام . وأضريكبت مشاعرى فى الفترة التى قضيتها عند المحامى ، ولو أنى فى الواقع كنت شارد الفكر عن موضوع المناقشة . لذلك شعرت — بعد ان فرغنا — أن بى دواراً شديداً وطفقت أمشى فى كل مكان ولا مكان ، وفكرت فى كل شىء ولاشىء . . .

فكرت فى أمرى وما وصل اليه وكيف انى فى السابعة والعشرين من عمرى أنا الهادىء الوادع دقيق نظام الحياة — على نحو ما تعرف — والذى كنت أخلو بمكتبى وكتبى بلا ملل ، كيف

أختل هذا الخلل وأضحى أعجوبة لغرام ساخر يلهو بي وينصب حولي أشراكا لست أدري مداها

وصرت أذهب عصر كل يوم فأجلس في بار تجاه العمارة التي التقينا فيها ، لعل لها حاجة عند طبيب أو مصور من ساكنيها فتعود اليها وانتظر الساعة بباب ذلك المكان الزرى . . وما من فائدة !!

ومع أن أعصابي هدأت على مضي الزمن كان هاتف يوحي الى بأنى سألقاها . . . .

وقد لقيتها ، وفي منزلها . قدمني اليها عصمت ولا أدري بأى كلمات فعل ذلك ، لأن ذهولا مطلقاً كان قد استحوذ على ، ولكنه قدمها الى بقوله : « نعمات » أحسست بكل جارحة منى قد ارتدت آذاناً مرهفة فالتقطت ذلك الاسم ، وفي تلك اللحظة تبينتها بوضوح كلي . فاذا هي في ثوب أبيض له أطراف ممدودة شفافة . وكانت مطرقة برأسها وحولها أهلي وأهلها ، وكل بادي الفرحة ، وأرجاء البيت تتجاوب الاغاريد ، فحسبت انني حالم يقظ كاحلام المصابين بالصرع حيث يتراءى الوهم كالامر الواقع . ثم عدت فخيل الى ان ما أرى فكاهة هائلة السخف وأوشكت ان أصرخ صرخة ترد الى هؤلاء المجانين عقولهم . ولكن سرعان ما عادت الحقيقة الى رأسي ، فلا حلم ولا فكاهة . بل هي حفلة قران — قرانها بعصمت ابن عمي . وقد انتهت الحفلة . وانه قدمها إلى على نحو ما تجرى العادة وتقضى المجاملة بين أفراد الاسرة الواحدة . وهذه هي جالسة فيما بيني وبينه ، الى جانبي ، تلك التي عملت على لقائها ما عملت ، ولكنها على بعد السماء منى . انقطع كل أمل فيها وزاد ضيقى انى سمعت بعض من حولي يستحثني على الزواج في نصح ، والبعض يتخذ موضوع فكاهة من سبق ابن عمي في الزواج . عند ذلك تحرج صدري واختلطت مشاعري ، فلم أدر أأضج بالضحك أم اجهش بالبكاء ، أم اقوم فأبين لهم الحقيقة اما متوسلا متذللا واما صارخاً متمرداً . وشعرت بدمي يغلى وصدري يكاد ينفجر ، وصار جو الغرفة كاسفاً جداً وضوضاؤه ترعجني الى حد مروع

ولكني تمالكت نفسي خيفة ان أظهر بمظهر صبياني غير لائق . وعزمت من فوري أن أتحدى القدر الذي تحداني ، فقهقهت لنكتة قالها أحدهم وضحك لها الجميع . وكنت الى تلك اللحظة أتحاشى النظر الى العروسين ولكني تشجعت فاستدرت اليهما ، ولاغرو فهما بعد غريبان بعضهما عن بعض اذ لم يسمح لهما بلقاء الا عند مفتتح الحفلة . وقد رأيت أنها ازدادت احمراراً واغضاء حين وقع عليها بصري . ولم يكن من شك عندي انها تدرك حالتي ادرا كا تاماً . وان وجودي يحرجها فنهضت وقلت : « اخلص التهاني . ليجعله الله زواجاً سعيداً » وشعرت وقتئذ انى جبار العزم شديد الانتقام

على انى ما وصلت الى الشارع حتى خنقتني العبرة واغرورقت عيناى بالدموع . أواه !! . من العبث ان اقول لك شيئا بعد ذلك . على كل حال تلك قصة حبي أو قصة لهو الحب بي اطلعك عليها ولم يبق الا أن استشيرك في سؤال تبرح الحيرة بي حياله : ماذا يكون مركزي ؟ — اقصد ماذا يكون سلوكي حيال عصمت وحيالها حين اعود . . ؟ اسعفني بكلمة

محمود طاهر لاشين

المصري اليوم

هل هو الفرعوني في أدبه وفنه ؟

بقلم الاستاذ محمد شكري المحامي

تجددت فى الأيام الأخيرة فكرة قديمة . وأقول تجددت لأنها ترددت فى أوساطنا الثقافية من نحو نصف قرن تقريباً ، فى العهد الذى نشط فيه المنقبون عن مدنية الفراعنة فى وادى النيل

ظن النابشون عن مدنية الفراعنة أن نهضة مصر الحديثة يجوز اعتبارها بعثاً للحضارة التى ازدهرت على ضفاف النيل منذ خمسة آلاف سنة . ثم لج بهم الوهم حتى حسبوا أن مراحل الزمن التى تفصل الحاضر عن الغابر قد امحت ، وأن تأثير الأحداث وتقلبات الأحوال لم يمس الشعب المصرى بعصاه السحرية . ومضوا يقولون : إن المصرى اليوم ، هو هو المصرى الذى عاش قبل التاريخ الميلادى بنحو ثلاثين قرنا أو يزيد ، خرج من المقابر ونفض عنه غبارها واستأنف الحياة ، كأنه نام سواد الليل واستيقظ بعد غفوة قصيرة . وقد أوجز كاتب فرنسى لبق هذا الرأى فى كلمتين فقال : « أبو الهول يتحرك »

هذا هو مجمل الرأى ، فما هو برهانهم على صحته ؟

زعموا أن النيل يجرى كما كان من منبعه إلى مصبه ، ومناخ مصر ثابت لأنها لم تنتقل من قارة إلى قارة ولا طغى عليها الجليد أو ثارت بها البراكين ، والفلاح يعيش فى قرية كتلك التى كشف عنها الباحثون فى بعض المناطق الأثرية — الدار من طين وتبن لا تدخلها أشعة الشمس ولا ينفذ اليها الهواء النقى ، والماشية تساكن الانسان تحت سقف واحد وغذاء الفلاح اليوم لا يختلف كثيراً عن غذاء أجداده الأولين ، وكذلك ملابسه . بل إن آلاته الزراعية وأسلوب استثماره للارض وطريقته فى ريها ، أزمنت كمرض ترجع الاصابة به إلى آلاف السنين الخوالى . راض عن حاله ، جامد يحافظ على القديم ، لا يفكر فى الثورة على نظام ، يستبدل حاكما بحاكم أو — على الأصح — يستبدل سيداً بسيد ، كالشاة تمد عنقها للجزار ، على نحو ما اعتاد أفراد الشعب فى ظل الحضارة المصرية القديمة التى توطدت دعائمها على نظام الطبقات والأقطاع ، مما لا يختلف كثيراً عن النظام الموروث فى الهند

ولا ينكر أصحاب هذه النظرية أن أجناساً عدة أغارت على مصر واستوطنتها ، وبالأخص العرب . لكنهم يقولون إن الشعب المصرى فيه خاصية مكنته فى جميع مراحل تاريخه من

هضم هذه الأجناس وإدماجها فى كتلته ، بعد إحالتها الى عنصر مصرى خالص ، عنصر يمثله الفلاح فى سائر مزاياه وصفاته وانفعاله لحقائق الكون والحياة

على أن الفلاح لم يهضم الاجنبى الفاتح وحده ، بل هضم الطبقة ـ أو الطبقات ـ الرفيعة ، تلك التى كان اليها أمر السياسة والحرب والدين . فانه عند ما انهدم كيان الحضارة الفرعونية ، انهار نظام الطبقات ، وعاد الملوك والأمراء والكهنة إلى حظيرة الشعب وصاروا أفراداً منه عاديين لا حقوق لهم غير حقوقه ، ولا امتياز لهم عليه

فهذا الفلاح الذى يمثل ـ اليوم ـ الشعب المصرى الناهض ، قد كمنت فيه عبقرية الحضارة الفرعونية باندماج طبقة القسس والملوك فيه . وها هو قد أفاق من سباته ، وها هى عبقريته تستأنف نشاطها القديم على النسق القديم

ومن هنا نشأت الدعوة للرجوع إلى اتخاذ الفن الفرعونى ، والأدب الفرعونى ، والتفكير الفرعونى ، أساساً للنهضة المصرية الحديثة . ومن هنا نبتت الفكرة القائلة باشاعة الروح الفرعونية فى المبتكرات الحديثة ، فى الفن والادب والفكر ، كما يبدع الابناء على غرار ما أبدع الآباء

والآن ما هو قصارى ما أبدعته تلك العبقرية الفرعونية ؟ إنها أبدعت ديناً ، وشيدت حضارة على أساس هذا الدين . فانك تلمس فى جميع مخلفات الفراعنة أثر ديانتهم ، وتلمح طابعها على ما تركوه من علم وفن وأدب وثقافة

كانت ديانة المصريين القدماء هى كل شىء فى تلك الدنيا . بمقتضاها توزع الشعب إلى طبقات وبمقتضاها فقد الفرد حرية العمل وحرية الارادة وحرية التفكير . والواقع أن الحضارة الفرعونية سخرت الأغلبية الساحقة لمطامع أقلية ضئيلة . بل إن هذه الأقلية الضئيلة خضعت لرجال الدين ، لدرجة أن الملك كان آلة فى يد الكهنة ، وأداة لتنفيذ مآربهم

فاذا قلنا إن الفن من روح الدين وفيضه ، تساءلنا : وأين هى ديانة قدماء المصريين ؟ إنها ديانة ساذجة أقيمت على أسس من الخرافة ، وأدت واجبها فى عصر ساد فيه الظلم والجهل ، وساد الفقر . ولا مجال للظن بأنها ستبعث يوماً من الأيام . ذلك لان الانسانية اطرحت الوثنية ولن تتقهقر أجيالا فتعتنق ماثبت بطلانه . فأولى ـ والامر هكذا ـ أن تصبغ الفنون والآداب فى نهضة مصر الحديثة بصبغة الدين الاسلامى ، وتضىء بدائعها بروحه ، ويستلهم الفنان والاديب والشاعر والمفكر وحيه من الله الواحد الاحد ـ من الخالق الاعظم والفنان الاكبر !

وإذا قلنا إن الفن شىء والدين شىء آخر ، وإن روح الفن لا ينبغى بالضرورة أن تصبغ بروح الدين ، تساءلنا عن روح الفن ماهى ؟ ... هل روح الفن الرفيع على أنواع ، فمنها الفرعونى ومنها الاغريقى ومنها العربى ومنها غير ذلك ؟

الجواب عن ذلك : أن الفن الرفيع يخلد إذا توافرت فيه شرائط معينة يعرفها تلاميذ المدارس كالتناسب بين الاجزاء والانسجام وكمال الوحدة . ولا علاقة بين هـذه الشرائط الضرورية للفن الجميل و بين الاجناس البشرية وعهود التاريخ ومختلف الحضارات . فاذا تهيأ لمصر الحديثة أن تبدع فنا جميلا وأدباً جديداً ، فلن تكون ثمة علاقة بين ما تبدعه وبين ما ابدعه الاجداد الفراعنه ، إلا مايشيع فى سائر الفنون من روح التناسب والانسجام وكمال الوحدة وما إلى ذلك

هناك إحساساتنا وعواطفنا ، وهناك آمالنا وآلامنا ، وهناك الاحداث التى تقع على مرأى منا ، والتقلبات التى تعتور بيئتنا - بالاختصار هناك الحياة بمدها وجزرها ، وهناك الطبيعة المحيطة بنا ، وهناك الكون الذى تقع منه أرضنا موقع الذرة من الجبل الشامخ

هناك هذه كلها ، وهى مصدر الادب ، وهى مادة الفن الجميل . وليس من المعقول أن نحس كما كان يحس الاجداد ، بل المعقول أن تكون قلوبنا أعمر إحساساً والطف شعوراً بالحياة ، والمعقول أننا أوسع من القدماء ذهنا وأرحب نظرة . هذا إلى أننا نعيش فى ظل مدنية اندمجت فيها سائر المدنيات ، وتتغذى عقولنا بثقافة هضمت غابر الثقافات وزادت عليها كنوزاً فوق كنوز . فكيف يقال بعد ذلك : إن الروح التى تلهم الادب الجديد والفن الطريف ، وتلهم رجال الفن فينا ، هى روح فرعونية ؟ . . . او يجب أن تكون روحا فرعونية ؟

على أنك لو سألت القائلين بهذا الرأى منا : ما هى الروح الفرعونية ؟! لحاروا جوابا واستبهم عليهم المقصود بمعنى الروح . إن هى إلا كلمة جوفاء لا مدلول لها . وخير لنا أن نتمنى للادب الجديد والفن الناشىء عندنا أن يكونا رفيعين يستوفيان عناصر الخلود . وخير لنا أن نرجو لرجال الفكر بيننا أن يكونوا خالقين ومبدعين ، لا مقلدين محاكين يرددون أفكار الغير . وقد لا يتورع بعضهم فينتحل بضاعة سواه ويدعى لنفسه السبق والتبريز

محمد شكري المحامي

أخوات

انما الشام والعراق ومصر	اخوات وان تفرقن حينا
سينال الجميع بعد قليل	ما رجاه لخيرها الراجونا
فليقم كل طالب عربى	وليقل عند دعوتى آمينا

عبد المحسن الكاظمى

فبفضل ما قام به مستر روك ورفاقه الجريئون من جلب هذه البذور تمكن الاميركيون فى جزر هاواى من زرع أشجار الشولموغرا . وسيأتى يوم يتمكن فيه أيضاً الطب الحالى من الحصول على كميات وافرة من زيت تلك الاشجار لمداواة أولئك المصابين التعساء الذين يعدون الآن بالالوف

والبرص وان كانت قد خفت وطأته وقلت ضحاياه فى هذا العصر بالنسبة إلى العصور السابقة ، الا أنه ما يزال متفشياً فى كثير من المستعمرات كجزائر الفيليبين و مدغشقر والانتيل وغيرها ، وفى بعض أنحاء أوربا كفرنسا وايطاليا وأسبانيا والبرتغال والمانيا وسيبريا ، ثم آسيا وأفريقا واوقيانية ، وخصوصاً البرازيل التى لا يقل عدد الاصابات فيها عن ٣٠٠ الف فى ٤٠ مليوناً من السكان . اذ ان الاصابات بهذا الداء فى ولاية ميناس جيراس وحدها يبلغ عددها ١٠٠٠٠ ، وفى ولاية پارا ٣٠٠٠ وفى ولاية الاماز ن ٦٩٠ ، وهكذا قل عن اكثر الولايات التى تتألف منها الجمهورية البرازيلية ـ مما أهاب بحكومة تلك البلاد الى اتخاذ تدابير خاصة لمكافحة الداء وانشاء المستشفيات لحجز المصابين به والاهتمام بأمرهم اهتماماً جدياً

ومداواة هذا الداء هى كما نوهنا فى صدر هذا المقال باستعمال زيت الشولموغرا الذى له تأثير نافع فى كلوم البرص وقروحه المعروفة ، ولكراهة طعمه يمكن تناوله بواسطة Capsules (برشام) فيبلع فى اليوم من ١ الى ٤ او اكثر . وقد توصل علماء الكيمياء فى العصر الحاضر الى استخراج عنصر منه تحقن به العضلات فيمزق الغلاف الشمعى الذى يحتوى على « باشلس المرض » والتى كانت فى مأمن من دفاع الجسم

وقد برهنت التجارب على صحة المعالجة بزيت الشولموغرا ، وشفى أغلب المصابين به بدون ان يحصل لهم أى انتكاس

غير ان مدة العلاج طويلة وتحتاج الى عدة شهور ، لكن النتائج كانت باهرة كما ذكرنا ، ففى الفيليبين تحسنت حالة ٩٣ فى المائة من المصابين تحسناً عظيما فى غضون ١٠ أو ١٢ شهراً . وهنالك مرضى آخرون فى مستشفى هاواى وغيره قد شفوا من هذا الداء شفاء تاماً

الدكتور عبده رزق

عتاب

أَباعدتمونا ما أَقلَّ وفاءكم ! فليس على أنّا نباعدكم نَدَم
ولكن وُدًّا كان ياليتَ لَمْ يكن تمرُّ له ذكرى ويتبعها أَلَمْ

حسين شفيق المصري

سَراب

للاستاذ خير الدين الزركلي

صَدَقَ الظنُّ ! كل ما يحملُ الأر   ضُ تُرابٌ يَسيرُ فوقَ ترابِ
ليس فيما تَراهُ حين تجولُ الـ   عينُ ، في الكائناتِ غيرُ سَرابِ

***

حَيَّرتْني هذي الخليقةُ ، بالصا   متِ منها والصارخِ الصخَّابِ
ليس مكنونُها بأخفَى من البا   دي ، وإن علاوهُ بالأسبابِ
الدُّمى ، في زُجاجها ، شاخصاتٍ   كالدُّمى في سُفورها والنقابِ
ضَحِكٌ يملأ المقاصيرَ قد ينـ   قلِبُ الصوتُ فيه صوتَ انتحابِ
تتأذّى من النسيمِ وجوهٌ   لقلوبٍ من الصِّلادِ الصِّلابِ
ولعلَّ السُّمومَ أكثرُ ما تُنـ   فَثُ من مَعسِلِ الثُّغورِ العِذابِ !

***

كهرباءٌ تقول للزُّهرِ بـ   حجبنَ لستُنَّ كُنَّ يُغنِ عنكنَّ مابي
كَمَنَتْ في الحديدِ سِلكاً فسلكاً   تتمشّى كالرُّوحِ في الأصلابِ
إن تشأْها صواعقاً ورُجوماً   مادتِ الأرضُ بالرُّبى والشِّعابِ
أو تشأْها نَيازِكاً ونُجوماً   لعبتْ بالنفوسِ والألبابِ

***

يَضحكُ الكوكبُ المنيرُ من الرا   صدِ مُستمسِكاً بأسطُرلابِ
ذرّةٌ حدّقتْ برضْوَى تُراعيهِ   بعينيْ ترَصُّدٍ وارتقابِ !

***

يَنقلُ الصوتَ ناقلٌ غيرُ مرئيٍّ   ويأتيكَ صِنوُهُ بالجوابِ

ما أداةُ الصدَى ، وإن خالها الحدْ س أداةً ، إلاَّ خِداعٍ كِذاب !

***

عُمُرُ الدهرِ كلَّما قلتَ قد مرَّ نِصابٌ منه أتي بنصاب !

***

ناطحاتُ السحابِ ، أنشأها العا ملُ ، ثم استقرَّ في سرداب !
خضرةُ العُشبِ لاصفرارٍ، على النفْ رةِ ، والنجمُ آيلٌ لاحتجاب
واحمرار السماء ، والفجرُ ينشقُّ عروسٌ تجمّلَتْ بخِضاب

***

الشبابُ الشباب ! حلمٌ جميلٌ والمَشيب المَشيب ! فَصلُ الخطاب !
بعُدَ البَوْنُ بينَ أمسكَ واليو م ، وشتَّانَ ما مغِذٌّ وكابي
ليس للشمس ، والضحى متلالٍ رونَقُ الشمسِ آذنتْ بغِياب
يَنعمُ المرء في الحياة ويَشقَى . وتمامُ النعيمِ بَدْءُ العذاب
بالذي مرَّ من حياتك تحيى ذكرياتُ الغدوِّ زادُ الإياب
الليالي تمضي وهنَّ بَواقٍ لا يُبيدُ الكتابَ دَرْسُ الكتاب

***

أطلقِ العينَ ، وافتح القلب ، وانظر ماترى خلفَ هذه الأنصاب ؟
أشخوصٌ تلوحُ فوقَ رمال ؟ أم تُراها قوائم الأعشاب ؟

***

شُغِلَ الناسُ بالخَيالِ وبالوَهْم وضلَّ الغبيُّ والمُتغابي
ضَربوا بالحقيقةِ الأرضَ ، وانسا قوا إلى باطلٍ لهم خلَّاب
طالبُ الحقِّ ، جاهلٌ بطباع الـ خلق ، يبغي الأسلابَ من سلَّاب
كلُّ ما تعرِضُ الطبيعةُ زُور ! كذَبَ الحِسُّ إن أتى بصواب

***

أيهذا الساري بنا ، لا ضللتَ النهـ ـجَ ، رَيثاً . سُراكَ جمُّ الصِعاب

نحن في ظلمتين : من حلك الليـ ـل توارت أضواؤه ، والضباب
تذهب العين في الفضاء وترتد كليلاً إنسانها ، في اضطراب
نرقب النور ، والظلام كثيف في سحاب مجلل بسحاب
ونعد اليدين ، في حيث لا نبـ ـصر ، غرقى في لجة من عباب
جن سر الحياة ، في ظلمات الـ ـغيب ، مستخفياً وراء حجاب
حظ من هام في تطلبه الأو بة لم يجن غير طول ارتياب !

* * *

متع العيش هن والله كل الـ ـعيش بين الهوى وبين الشباب
الثواني نعيشهن على النعـ ـماء أرضى لنا من الأحقاب

خير الدين الزركلي



عذاب

أذللت دمعي في هواك وأملت طرفي عن سواك
وبذلت روحي ما بخلـ ـت بها فخذ روحي فداك
يا من أذاب حشاشتي هذا جنته مقلتاك
وأنا أسيرك يا حبيـ ـبي ما سعيت الى فكاك
لم أشك منك ولا عتبـ ـت ولا طلبت سوى رضاك
ما انفك طيفك ماثلاً لي في رضاك وفي جفاك
يا طيف هل أبقيت غير حشى يداعبها الهلاك
عذبت نفسي ههنا أترى تعذبها هناك

سليم عبد الاحد

الصليب

قبل المسيحية وبعدها

يخطىء من يزعم أن الصليب كان منذ اول عهد المسيحية رمزاً دينياً أو أن المسيحيين أول من اتخذه شعاراً لهم يميزهم عن غيرهم من اتباع الاديان المنزلة . بل يخطىء من يزعم أن الصليب لم يكن عند غير المسيحيين أو أن استعماله مقصور — حتى الآن — على الشؤون الدينية فقط . فقد أثبت التاريخ أن هذا الشعار كان فى العصور السالفة رمزاً قومياً ودينياً فى عدة أنحاء من بلاد الشرق ،وأن دلالته على المسيحية لا ترجع الا إلى عهد الامبراطور قسطنطين فى أوائل المائة الرابعة للميلاد

وفى الواقع أن الصليب كان شعاراً قومياً ودينياً شائعاً فى مصر وسورية وبلاد فارس والهند وغير هذه من أنحاء الشرق . بل لقد كان من أقدم أدوات الزينة التى استعملها الانسان منذ فجر المدنية . فقد عثر علماء الآثار على تحف قديمة كثيرة ترجع إلى ماقبل زمن المسيحية بكثير . وقد نقشت عليها صلبان مختلفة الاشكال فى جميع أنحاء الشرق .بل أن هنالك آثاراً قد نقش عليها الصليب وترجع إلى العصر الحجرى . والرأى المجمع عليه اليوم هو أن الصليب كان شعاراً دينياً عند معظم شعوب الشرق قبل ظهور المسيحية بزمن طويل وكان بينه وبين الشعائر الدينية المختلفة ربط وثيقة

أشكال الصليب

كان الصليب منذ أقدم الأزمنة على ثلاثة أشكال وهى الآتية :

(١) صليب « تاو » أى الصليب الذى على شكل حرف « تاو » باليونانية أو حرف T باللغات الافرنجية . وهو قطعة عمودية (من الخشب أو الحديد) تعلوها عارضة أفقية . ويعرف أيضاً بصليب القديس انطوان ويسمى باللاتينية (Commissa)

(٢) الصليب القائم وهو قطعة عمودية تقطعها عارضة أفقية هكذا + ويعرف بالصليب الرومانى ويسمى باللاتينية (Immissa)

(٣) الصليب المائل وهو قطعتان مائلتان متعارضتان بشكل الحرف (X) باللغات الافرنجية ويعرف بصليب القديس اندراوس ويسمى باللاتينية (Decussata)

وهنالك أشكال أخرى لم تكن كثيرة الاستعمال ، ولكنها كانت معروفة قبل عهد المسيحية . وأهمها الصليب المسمى جاماديون او (Crux Gammata) سمى بذلك لانه يشبه حرف « جاما » باليونانية وهو المستعمل اليوم شعاراً للنازى فى المانيا

وكان النوع الأول من الانواع المار ذكرها (صليب تاو) كثير الشيوع فى مصر واشور حيث كان القوم يعتبرونه شعاراً دينياً ورمزاً إلى بعض آلهتهم . وكثيراً ما نجد هـذا الشكل منقوشاً على الآثار المصرية تعلوه حلقة صغيرة تجعله بشكل مفتاح ، وكان الصليب «جاماديون» كثير الشيوع فى الصين والهند قبل ظهور المسيحية بقرون كثيرة وتجد آثاره فى أنحاء مختلفة حتى فى أوربا وأميركا مما يدل على انه كان رمزاً دينياً كثير الشيوع فى الازمنة القديمة . وقد وجد هـذا الشكل منقوشا ضمن دائرة على قطع مختلفة من النقود القديمة وعلى طائفة كبيرة من أدوات الزينة قبل عهد المسيحية فى عدة أنحاء من بلاد الشرق والغرب

كل ذلك دليل على أن الصليب لم يكن فى الاصل شعاراً خاصاً بالمسيحية بل هو من أقدم الرموز التى استنبطتها مخيلة الانسان وعزت اليها قوة سحرية خارقة.ولهذا السبب اتجه فكر الانسان الى هذا الشعار . ولعل شكله هو أقدم الاشكال الهندسية التى خطرت ببال الانسان منذ فجر المدنية الا اذا اعتبرنا الخط المستقيم شكلا هندسياً

الصليب والصلب

رأينا أن الصليب لم يكن من مستنبطات المسيحية بل وجد منذ أقدم الازمنة وشاع استعماله سياسياً ودينياً فى جميع أنحاء الشرق . أما استعماله لمعاقبة المجرمين فليس قديما وليس لدينا دليل على أن الصلب كان معروفا عند قدماء المصريين أو الاشوريين أو البابليين . ولـكنه كان معروفا على ما يظهر عند اليهود كما يفهم من آية فى «سفر التثنية» بالاصحاح الحادى والعشرين والآية ٢٢ — ٢٣ إذ يقول : «وإذا كان على انسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله» . وجاء فى سفر يشوع فى الاصحاح الثامن والآية التاسعة والعشرين قوله : «وعلق يشوع ملك عاى على الخشبة إلى وقت المساء . وعند غروب الشمس أمر يشوع فانزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة» . وفى الاصحاح العاشر من سفر يشوع والآية السادسة والعشرين قوله : «وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء» (الاشارة هي الى ملوك الاموريين الخمسة الذين حاربهم يشوع وانتصر عليهم)

وسواء أكان المراد بالتعليق على الخشب هو الصلب أم اى عقاب آخر ، فان المعروف أن الامم الشرقية هي التى ابتدعت عقوبة الصلب وكانت كثيرة الشيوع بين أهل قرطاجة ، وعنهم أخـذها الرومان وكانوا يعتبرونها أذل الميتات وأقبحها. ولذلك كانوا يقصرونها على العبيد والخونة . وكان اليهود يعتبرون المصلوب ملعوناً وشريعتهم تأمر بانزال المصلوب عن الصلب ودفنه سريعاً . وكثيراً ما كان المحكوم عليه بالصلب يعذب بأقسى أنواع العذاب ، وقد يرسل فيه «الخازوق» بعد ان يعرى ويوثق

يداه ورجلاه بالحبال أو السلاسل أو تسمر بالمسامير ويترك ليموت عطشاً ودماؤه تنزف من جسمه. وكان القانون الروماني يقضي فوق ذلك بأن يعرى المحكوم عليه ويربط الى وتد يعلو حقويه ثم يجلد بعصى أو اسواط من جلد في أطرافها قطع من الرصاص او العظام . ومتى تم هذا الجزء من العقاب أمر المحكوم عليه بالصلب بأن يحمل صليبه ويسير به الى المكان المعد لصلبه في إحدى الساحات العامة أو خارج المدينة . ولذلك كان ذلك البائس يموت أحياناً من شدة العذاب والاعياء قبل أن يصلب . فاذا وصل بصليبه إلى المكان المعد له عرى مرة أخرى وركز الصليب في الارض بحيث ترتفع قدما المصلوب قليلا عن الارض ــ نحو ذراع أو اكثر ــ ثم أوثقت يدا المحكوم عليه بمارضة الصليب بالحبال لكى يتسنى تسميرهما بمسامير من حديد

ولا يعلم بالتمام هل كانت القدمان تسمران معا أو تربطان بحبل معا او كانت كل منهما تسمر على حدة

ولتقليل ألم المصلوب كانوا يعطونه خمراً ممزوجة بمر لكى تخدر أعصابه.وفي بعض الاحيان كانوا يعطونه خلا أو شرابا آخر لانعاشه ، ثم يعهدون في حراسته الى بضعة رجال من الجنود

وكانوا يكتبون فوق الصليب سبب الحكم الصادر على المصلوب وما ارتكبه من جريمة . وكثيراً ما كانت جثته تتهرأ وتسقط من نفسها الى الارض . على ان الرومان أذنوا لليهود بأن يميتوا المسيح وهو بعد على الصليب لكى يتسنى لهم انزاله ودفنه قبل غروب الشمس طبقا لاوامر شريعتهم. وقد احتالوا على اماتته بطرق شتى كاشعال النار عند أسفل الصليب وكسر الساقين بمطرقة من حديد والطعن بالرمح

ولا حاجة الى القول إن الصلب من أفظع الطرق الجهنمية التي استنبطها عقل الانسان لتعذيب المجرم . وقد قال شيشرون الخطيب المشهور في ذلك : «يجب محو كلمة الصليب من أفكار الرومان وإزالتها من امام أعينهم ومن مخيلتهم . فان ذكر الصلب وامكان وقوعه وانتظاره مما يشين كل روماني حر »

ومع شدة الآلام التي كان المصلوب يعانيها على الصليب من جراء آلامه ونزف دمه وعطشه ، كان يظل أحيانا ثلاثة أيام متوالية قبل أن يموت . وهذا مما يجعل عقوبة الصلب أشنع وأفظع

الصليب في أوائل المسيحية

علمت مما تقدم أن عقوبة الصلب كانت موقوفة على شر أنواع المجرمين . ولا حاجة إلى القول إن اتخاذ المسيحيين الصليب شعاراً كان بناء على حادثة صلب المسيح التي جعلت لهــذا الشعار عندهم قيمة خاصة . وإنه لغريب جــداً أن يتخذوا هذا الشعار الذي كان وثنيا في الاصل والذي شاع استعماله في معظم بلدان الشرق الوثنية في الحقب الخالية . على أن الذين يزعمون ان المسيحيين اتخذوه

شعاراً منذ حدوث الصلب يخطئون . نعم ان الرسل والحواريين كانوا يباهون بالصليب ويفتخرون بحادثة الصلب ازاء تعيير اعدائهم لهم ، الا أن الصليب لم يصبح شعاراً رسميا لهم إلا فى أوائل القرن الرابع بعد الميلاد أى فى عهد الامبراطور قسطنطين إذ أصبحوا لا يخشون من المجاهرة بعقيدتهم ، وقد كانوا حتى ذلك العهد عرضة لاشد أنواع الاضطهاد ، فكانوا يستعملون الصليب فى مجتمعاتهم الخاصة والسرية فقط . ولا يخفى أن قسطنطين تنصر فى أوائل القرن الرابع وكان تنصره على أثر حادث غريب . ذلك ان حربا وقعت بينه وبين منافسه مكسنتيوس ، وفى الليلة التى سبقت المعركة الفاصلة بينهما خيل الى قسطنطين انه رأى اشارة الصليب مرسومة فى الجو وقد كتب تحتها هذه الكلمات وهي : « بهذا سوف تنتصر » فلما جرت الموقعة وانتصر على مكسنتيوس تنصر وتنصر معه الكثيرون من رعاياه . ومنذ ذلك اليوم ارتفع شأن الصليب واصبح شعاراً معترفا به لأتباع الديانة المسيحية

وقد يخطر ببالنا هذا السؤال وهو : « هل عثر المسيحيون على صليب المسيح التاريخى ، وهل للتقاليد الكثيرة المتعلقة بوجود ذلك الصليب أى نصيب من الصحة ؟ »

لعل فى مقدمة القصص الخاصة بالصليب ما يقال من ان هيلانة زوجة الامبراطور قسطنطين المذكور آنفا (وقد سميت القديسة هيلانة) عثرت فى اليوم الثالث من شهر مايو سنة ٣٢٦ على الصليب الحقيقى . ذلك انها كانت تطوف ببلاد المقدس بفلسطين ومعها دليلها وهو شيخ يهودى من اهالى البلاد قيل انه كان قد ورث عن آبائه واجداده معرفة المكان الذى صلب عليه المسيح تماما والمكان الذى دفن فيه وجميع الاماكن التى لها علاقة بحادثة الصلب . وارشد الدليل الامبراطورة الى جميع تلك الاماكن حتى وصل بها الى الموضع الذى قيل إن المسيح دفن فيه هو وصليبه . فامرت الامبراطورة بأن تحفر الارض هنالك . فلبى العمال الامر وحفروا الارض الى عمق بضع أذرع فعثروا على ثلاثة صلبان مدفونة هنالك قيل انها صليب المسيح وصليبا اللصين الذين صلبا معه . وكان على عارضة كل صليب كتابة تدل على اسم المصلوب والجناية التى حكم عليه من اجلها . ومن هذه الكتابة عرف صليب المسيح . وكان مع الصليب مجموعة من المسامير هي على الارجح المسامير التى استعملت عند صلب المسيح

هذه خلاصة تلك الاسطورة وكثيرون من المسيحيين يصدقونها . قيل ان الامبراطورة أو القديسة هيلانة تحققت ذلك الصليب لان امرأة عليلة كان الاطباء قد قطعوا كل أمل من شفائها اضطجعت فوق الصليب وما كان أشد ذهولها اذ نالت الشفاء التام فى الحال

وقد روى هذه الاسطورة عدة كتاب ومؤرخين . الا أن أوسيبيوس اسقف قيصرية الذى عاش من سنة ٢٦٧ الى ٣٤٠ بعد الميلاد وكان من أشهر مؤرخى الديانة المسيحية ، لم يعر هذه الاسطورة أية عناية فى مؤلفه المشهور — التاريخ الدينى — ولهذا يرتاب الكثيرون فى صدقها .

أضف الى ذلك أن هنالك أسطورة أقدم وخلاصتها ان صليب المسيح الحقيق وجدته الامبراطورة بروتو نيسه زوجة الامبراطور كلوديوس . وعلى كل فمن المحتمل جداً أن يكون المسيحيون فى القدس فى القرن الرابع قد عثروا على الصليب الحقيق كما أن من المحتمل أن يكونوا قد عثروا عليه فى أثناء أعمال الحفر التى قام بها مكاريوس أسقف القدس فى سنة ٣٢٧ بعد الميلاد

وفى سنة ٣٣٥ بنى المسيحيون فى القدس كنيسة فى المكان الذى كانت الاساطير تقول ان صليب المسيح نصب عليه . وفى سنة ٦١٤ غزا الفرس القدس ونهبوا تلك الكنيسة وجميع ماوجدوه فيها من آثار نفيسة . الا أن الامبراطور هرقل (امبراطور بيزنطة) تمكن من استرجاع تلك الآثار

أما الكتابة التى كانت منقوشة على صليب المسيح والتى قيل ان الامبراطورة هيلانة وجدتها على صليب المسيح فقد أرسلها زوجها الامبراطور قسطنطين الى مدينة روما حيث لا تزال محفوظة فى كنيسة « الصليب المقدس » الى هذا اليوم . اما المسامير فالاساطير بشأنها كثيرة مختلفة . ولعل اختلافها هذا ناشىء عن اختلاف الروايات المتعلقة بصلب المسيح . فبعض تلك الروايات تقول ان كل ساق من ساقي المسيح سمرت وحدها بمسمارين . وبمقتضى هذه الرواية يكون مجموع عدد المسامير التى استعملت للساقين أربعة مسامير . وتقول رواية أخرى ان الساقين وضعتا معاً — إحداهما على الاخرى — وسمرتا معا بثلاثة مسامير . وفى رواية أخرى انهما سمرتا بمسمار واحد . والرأى الشائع أن مجموع المسامير التى استعملت فى صلب المسيح لم يزد على أربعة — اثنين للذراعين واثنين للساقين . وفى بعض الاساطير أن الامبراطورة هيلانة ألقت باحد تلك المسامير فى البحر وهو هائج هياجا شديداً فهدأ البحر وساده سكون تام . وقيل إن مسماراً آخر أذيب وصنعت منه حلقة زين بها تاج مملكة لمبارديا القديمة . وفى ميلان وكربانتراس وغيرهما من مدن أوربا عدة مجاميع من المسامير يزعم أصحابها انها المسامير التى سمر بها المسيح على الصليب

وقد أصبح المسيحيون يستعملون اشارة الصليب فى أحوال كثيرة . ذكر ترتليانوس وغيره من مشهورى الكتاب فى أوائل عهد النصرانية أن المسيحيين فى ذلك العهد كانوا يستعملون اشارة الصليب فى كل عمل وفى كل حالة . قال ترتليانوس : « فى كل سفر ، وعند كل خطوة ، عند الدخول وعند الخروج ، عند لبس الحذاء أو دخول الحمام أو الجلوس إلى المائدة أو انارة المصباح أو الاضطجاع أو الجلوس أو القيام أو الشروع فى أى عمل ، يرسم المسيحى على وجهه وصدره علامة الصليب » . فلا عجب اذن ان كانت هذه الاشارة شائعة بين المسيحيين وما تزال كذلك فى جميع شعائرهم الدينية وفروضهم المختلفة . وبلغ من اهتمامهم بها وتقديسهم لها أن القديس اغسطينوس كتب يقول : « ان الشعائر الدينية لاتعتبر تامة ومستوفاة اذا لم تصحبها اشارة الصليب . وما تزال الحال كذلك عند المسيحيين »

الصليب شعار سياسي

قلنا في صدر هذا المقال إن الصليب في العصور الخالية ـ أي قبل عصور المسيحية ـ لم يكن رمزاً دينياً فقط بل كان شعاراً قومياً ايضاً في عدة انحاء من بلاد الشرق. وفي الواقع ان استعماله شعاراً قومياً او سياسياً شاع عند المسيحيين وبين الدول والامارات المسيحية منذ العصور المتوسطة بل قبلها بزمن. وفي عصور الاقطاع وعصر الفتوة (الفروسية او الشيفالرى) اتخذ الكثيرون من الامراء والحكام الصليب شعاراً سياسياً وحربياً لهم. فكان شعار فرسان مالطة مثلا صليباً ابيض اللون على بقعة سوداء. وكان لفرسان الجارتر واعضاء جمعية القديس ميخائيل شعار نقش عليه صليب من نوع صليب القديس اندراوس ويشبه حرف (X) كما تقدم القول. وقلما كان يخلو شعار من شعائر الامراء والحكام المسيحيين من اشارة الصليب بشكل من الاشكال. وما تزال هذه الاشارة كثيرة الشيوع بين الدول المسيحية. فالراية الانجليزية ومعظم رايات المستعمرات الخاضعة للدولة البريطانية عليها صلبان بأشكال مختلفة. ولأوستراليا وكندا والدنمرك وايطاليا واسوج ونروج وسويسرا وجمهورية سان دومنيك وغيرها رايات قد نقش عليها الصليب. ولا نبالغ اذا قلنا إن المسيحيين عنوا بهذه الشارة أكثر مما عنى المسلمون بشارة الهلال. وعلى كل فقد أصبحت هذه الشارة عند الدول شارة سياسية صرفاً، فكأنها عادت الى ما كانت عليه منذ أقدم الازمنة

تعليق على مقال

[نشرنا في عدد فبراير الماضي مقالا للاستاذ أمين الخولي بعنوان « الشرق شرق والغرب غرب » . وقد انتقد فيه ما كتبه فضيلة الشيخ يوسف الدجوى بالجزء الاول من ترجمة دائرة المعارف الاسلامية . وقد أرسل الينا فضيلة الاستاذ الدجوي هذه الكلمة رداً على ما جاء خاصاً به في هذا المقال]

يعيب علينا الأستاذ اعتبارنا التوراة وسعينا للتوفيق بينها وبين القرآن ويقول :

إن هذا اعتراف منا بتقابل المصدرين (القرآن والتوراة) وهو ما لا أفهم اتفاقه مع المقررات الاسلامية في تحريف التوراة وتبديلها . فانها ما دامت كذلك لا يكون لها من المركز الديني ولا العلمي أيضاً ما يدفع إلى التماس التوفيق بينها وبين القرآن واعتبارها مصدراً مقابلا للقرآن . ما هي مصدر ولا نرجع اليها في خبر ولا غيره ما دام ذلك اعتقادنا فيها . ولا علينا من إعلان ذلك وترتيب آثاره عليه . ولقد يتهمها العلم اليوم مثل اتهامنا الاعتقادى لها أو أكثر ، هذا ما يلاحظه علينا من الوجهة الدينيـة . ولو علم الأستاذ أن المترجمين لدائرة المعارف

الفرزدق
شاعر الفخر والهجاء

بقلم الاستاذ الشيخ احمد الاسكندرى

هذا فصل مفيد عن حياة شاعر كبير من شعراء صدر الاسلام . ولعله اطول فصل كتب عن هذا الشاعر أديب من شيوخ الادب العربي . وهو من النوع الذى يتوق الى مطالعته الناشئة خصوصاً محبي الادب القديم . ونحن ننشر هنا القسم الاول منه وفي العدد القادم ننشر القسم الثاني

ولد الفرزدق حوالى سنة ١٩ ﻫ فى خلافة عمر رضى الله عنه ، وكانت عشيرته من بنى مجاشع بن دارم ممن نزل البصرة من بطون تميم أول اختطاطها عند الفتح ، وكانت لهم خطط ودور بالبصرة ينزلونها فى بعض فصول السنة ويتبدون فى بعضها الآخر ، وكان أبوه غالب بن صعصعة ينزل السيدان من بادية البصرة بالقرب من كاظمة على ماء كانت تنزل حوله قبائل شتى من قيس وتميم . وكانت البصرة فى أول أمرها تعتبر معسكراً للمقاتلة من العرب لا يخالطهم فيها إلا مواليهم ، فكانت بذلك بيئة عربية محضاً . فنشأ الفرزدق ما بين السيدان والبصرة فصيح اللهجة ملماً بدقائق اللغة حافظاً غريبها عالما باخبار العرب وأيامها وأيام تميم وخاصة أيام بنى دارم فى الجاهلية والاسلام ، وحبب اليه الشعر منذ طفولته فنظمه فاعجب به أبوه ، وكان من شيعة أمير المؤمنين على ، فاتاه عقب فراغه من وقعة الجمل ومعه ابنه الفرزدق ، فسأله عنه فقال : « هذا يوشك أن يكون شاعراً مجيداً » ، فقال : « أقرئه القرآن فهو خير له » . فما زالت كلمة أمير المؤمنين تعمل فى نفس الفرزدق دهراً طويلا حتى عمل بها بعد أن جاوز الثلاثين

وكان أبوه غالب كريماً متلافا سيداً شجاعاً ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمر حتى مات فى إمارة زياد وخلافة معاوية ودفن بكاظمة ، وكذلك كان جد الفرزدق صعصعة من أكرم الناس فى الجاهلية وأشرفهم ، وكان شاعراً مقلا يلقب بمحيي الموءودات ، لأنه كان اذا علم برجل يهم بوأد ابنته للفقر اشتراها منه بناقتين لقوحين وجمل ، فجاء الاسلام وقد فدى ستين وثلثمائة موءودة لم يشاركه فى هذه المكرمة أحد ، حتى أنزل الله تحريم الوأد فى القرآن . وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم وعلمه آيات من القرآن ، وسأله : هل له فى فداء الموءودات من أجر ؟ فقال له : « هذا من البر ولك أجره إذ من الله عليك بالاسلام »

فبذلك يفتخر الفرزدق على جرير ، لأن آباءه كانوا وضعاء . وفطر الفرزدق على الهجاء من صغره . قال عن نفسه : « كنت أهاجى شعراء قومى فى خلافة عثمان بن عفان ، فكان قومى يخشون معرة لسانى منذ يومئذ »

ولما تدخل البعيث المجاشعي بين جرير وغسان في تهاجيهما وظاهر غسان على جرير ، هجا جرير البعيث وتعرض لقذف نساء مجاشع ، ومجاشع هم رهط الفرزدق أيضا ، وكان الفرزدق قد حج وعاهد الله بين الباب والمقام ألا يهجو أحدا أبداً ، وأن يقيد نفسه ولا يحل قيده حتى يجمع القرآن (أي يحفظه جميعه) مع أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب

وبلغ نساء بني مجاشع أفحاش جرير في قذفهن فأتين الفرزدق مقيداً فقلن : « قبح الله قيدك ، فقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت شاعر قوم » ، فاحفظه كلامهن وفض قيده وقال :

ألا استهزأت مني هنيدة أن رأت … أسيراً يداني خطوه حلق الحجل (١)
ولو علمت أن الوثاق أشده … الى النار قالت لى مقالة ذى عقل
لعمرى لئن قيدت نفسي لطالما … سعيت وأوضعت المطية للجهل
ثلاثين عاماً ما أرى من عماية … اذا برقت الا شددت لها رحلى
فان يك قيدى كان نذراً نذرته … فما بى عن أحساب قومى من شغل
انا الضامن الراعى عليهم وانما … يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

ثم هجا جريراً وهجاه جرير ، فما يقول قصيدة حتى ينقضها عليه جرير ، ولا يقول جرير قصيدة حتى ينقضها الفرزدق ، وتورط معهما في تهاجيهما أكثر من ثمانين شاعرا منهم الاخطل ، فظهر جرير عليهم كلهم واسقطهم وثبت له الفرزدق والأخطل . ومات الاخطل وبقى الآخران يتسابان سائر حياتهما . وكان جرير في العشر السنوات الاولى من تهاجيهما يقيم منعزلا بالبادية باليمامة ويرسل بالقصائد الى من بالبصرة من بنى يربوع . والفرزدق مقيم بالبصرة حيث الرواة وجهرة العرب ، فارسلت اليه يربوع وأحضرته اليها فكانا يتهاجيان . فاما أن يتلاقيا بالمربد وقد يؤدى ذلك إلى اقتتال بنى يربوع وبنى المجاشع ، وإما أن تجتمع يربوع ورواة جرير عليه بالمربد ، وتجتمع مجاشع ورواة الفرزدق عليه بمقبرة بنى حصن ، والناس يسعون فيما بينهما بأشعارهما بالبصرة ، وفي خلال تهاجيهما يهجو كل منهما بعض أنصار الآخر أو من يتعرض له ، فهجا الفرزدق في أول تهاجيهما بنى فقيم وبنى نهشل ، فاستعدوا عليه زياداً ، وهو والى العراق من قبل معاوية ، وكان رجل جد ، فطلبه زياد فهرب الى المدينة المنورة وعليها سعيد بن العاص ، وهو وال على المدينة لمعاوية ، ومدحه فأمنه سعيد ، فأقام في المدينة يختلف الى قيانها ويستمع إلى غنائهن ، ولم تطل الأيام حتى عزل سعيد وولى مروان بن الحكم ، فآخذه بما كان يقول وينشد من أخباث قوله وأرسل يطلبه . فلما جاءه قال : « أتدرى ما مثلك ؟ حديث تحدث به العرب أن ضبعاً مرت بحى قوم ، وقد رحلوا ، فوجدت مرآة ، فنظرت وجهها فيها ، فلما نظرت قبح وجهها ألقتها وقالت : من شر ما اطرحك أهلك ! ولكن من شر ما اطرحك أميرك !

(١) هنيدة عمته

(يريد زياداً) فلا تقيمن بالمدينة بعد ثلاثة أيام » . فخرج يريد اليمن . فلما كان فى أثناء الطريق علم بموت زياد فخر ساجداً ورجع

ولما مات معاوية وخالف أهل المدينة على يزيد ، وكاتب أهل الكوفة الحسين بالخلافة واستنهضوه اليهم سار اليهم فى أهل بيته ، فلقيه الفرزدق فى الطريق قادماً من العراق ، فسأله الحسين عن أهل الكوفة ، فقال له : « يا ابن رسول الله قلوبهم معك وسيوفهم مع أعدائك ! » ومضى كل لطيته

ولما دعا عبد الله بن الزبير بمكة لنفسه بايعه أهل العراق ، وبعث اليهم أخاه مصعباً ، وكانت تميم البصرة فيمن دخل فى دعوته ، ومنهم رهط جرير والفرزدق . فولى ابن الزبير على البصرة الحارث بن أبى ربيعة المخزومى القرشى الملقب بالقباع ، وهو أخو عمر بن أبى ربيعة ، وكان متنسكا يروى عنه الفقه والحديث ، فأغضبه تساب جرير والفرزدق ، وكره منهما إذاعة الفاحشة بين المؤمنين، فهدم الدارين اللتين كانا ينزلانهما بالبصرة لينتهيا ، فذلك حيث يقول الفرزدق وكان قد هرب منه :

أحارث دارى مرتين هدمتها ... وأنت ابن أخت لاتخاف غوائله
وقبلك ما أعييت كاسر عينه ... زياداً فلم تقدر على حبائله
فآليت لا آتيه تسعين حجة ... ولو كبرت عين القباع وكاهله

وفى ذلك يقول جرير :

أحارث خذ ما شئت منا ومنهم ... ودعنا نقس مجداً تعد فواضله
فما فى كتاب الله تهديم دارنا ... بتهديم ماخور خبيث مداخله

ثم لما انتكث قتل بن الزبير وماجت العراق بالفتن اختفى خبرهما حتى قتل عبد الملك بن مروان مصعباً ، وولى أخاه بشراً على العراق ، وكان أديبا يحب الشعراء ويعجبه أن يغرى بينهم فجعل من أخص مادحيه الفرزدق وجريراً . فلما مات بشر وآلت ولاية العراق الى الحجاج كانا من مادحيه . ثم اتصلا بعبد الملك بن مروان وزاحما الاخطل فى مدحه ، إلا أن الأخطل صانع الفرزدق وناصره على جرير كما علمت

وبقى الفرزدق وجرير يتكسبان بالشعر بمدح عبد الملك واخوته والحجاج وولاته زمن عبد الملك والوليد وسليمان وهشام . إلا أن الفرزدق لسوء سيرته وجهامة طبعه كان الولاة يحبسونه ويضطهدونه ، ومن هؤلاء عمر بن عبد العزيز ، نفاه مرة عن المدينة ، وحبسه مالك بن المنذر والى البصرة من قبل خالد بن عبد الله القسرى

ولما كبر الفرزدق خمدت فيه ثورة الشر وتنسك وتاب وتوفى بالبصرة سنة ١١٩ هـ ودفن فى مقبرة بنى تميم بعد أن عمر نحو مائة سنة

أخلاقه وصفاته

نشأ الفرزدق مع أبيه وأهل بيته يقيم بالبصرة بعض السنة وبباديتها بسيدان وكاظمة من ناحية سيف البحر بقية السنة ، فجاءت أخلاقه فى جملتها خليطاً من أخلاق أهل البدو وأخلاق اهل الحضر ، وهو الى جفاء أهل البدو وغلظ طباعهم أقرب

ولم يكن أهل بيته الأدنون وضعاء الانفس ساقطى الهمة كأهل جرير وأبيه عطية ، بل كانوا اغنياء كراما إلى حد الاسراف ، وبخاصة أبوه غالب . وعمر الفرزدق طويلا ورويت له أخبار كثيرة نستخلص منها عامة أخلاقه

كان الفرزدق باراً بأبيه متفانيا فى محبته موقراً له فى حياته وبعد مماته ، حتى لقد كان يجير من يعوذ بقبر أبيه غالب بكاظمة . وكان فى استطاعته أن يعيش فى مال أبيه رخى البال هنىء العيش لو لم يستمع الى تحريش السفهاء بينه وبين الناس . على أن انطباعه على الشعر منذ طفولته ولد فيه حب الانتصار والغلب والمباهاة ، وهى أخص صفات البدوى . ولم تكن المغالبة فى الشعر الا بالهجاء والسباب والاقذاع فى القول . فخرج الفرزدق شريراً سليط اللسان عريضا للشر يبادىء من لم يبادئه به . وكان ذلك سبباً فى تأديب الولاة له بالحبس والنفى والتشريد مراراً فلم ينتفع بتأديبهم . فخافه الاشراف والعلماء فداروه بالمال والمقال

وكان مع ذلك جبانا فروقة كثير الهرب من الولاة ممن يرى منه الجد فى الانتقام منه . وكان فاجراً لا يتورع عن ريبة . وربما تاب عن قذف المحصنات واقتراف المحظور ثم يعود . وحج مراراً وحده أو مع بعض الأمراء وأقام بمكة أو بالمدينة . فلم يؤثر ذلك فى تهذيبه

وكان فيه مع ذلك ، ومع مدحه خلفاء بنى أمية وجبابرتهم وأعوانهم ، تشيع لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسره أحياناً ويظهر أحياناً على فلتات لسانه . على خلاف ما كان عليه أهل البصرة من النصب لعلى وآله لأنهم كانوا عثمانية منذ واقعة الجمل . ولعله ورث التشيع من أبيه غالب منذ قدومه على على وتعريفه أن ابنه من شعراء مضر فامره أن يحفظه القرآن ، فما زالت كلمة أمير المؤمنين تختلج فى صدره حتى قيد نفسه ليجمع القرآن بعد أن حج وتاب . وكان يقدم على السيدة سكينة بنت الحسين متيمناً مستمنحاً

وحج هشام وهو شاب فى زمن عبد الملك أو الوليد فرأى على بن الحسين يطوف البيت والناس يفسحون له فى المطاف . فتجاهله وسأل عنه ، فما كان من الفرزدق الا أن عنفه على تجاهله بقصيدة مشهورة للناس فحبسه مدة

وكان فخوراً إلى حد الغلو بنفسه وآبائه كثير التحدث عنهم فى شعره ، وما من قصيدة له إلا غلب عليها فخره بآبائه لا يبالى أكانت فى مدح خليفة أم سوقة أم هى فى هجاء أم رثاء

وكان نزر الكلام فى المدح قليله فى الفخر فجعل جرير يظهر عليه احيانا من هذه الناحية .
والفرزدق كأكثر الشعراء قليل الوفاء ـ مدح الحجاج فى حياته وهجاه فى مماته

شعره

قال الفرزدق الشعر منذ طفولته فاعجب به أبوه غالب إذ لم يكن هو شاعراً . ولم يقل الشعر أحد من اهل بيته من هذه الطبقة ، وانما كان صعصعة جده يقول المقطعات الهينة المقدار ، يقولها فى شأن نفسه. وقد قيل للفرزدق : « مالك وللشعر وما كان أبوك غالب شاعرا ولا كان صعصعة شاعراً . فمن أين لك هذا ؟ » قال : من قبل خالى العلاء بن قرظة الذى يقول :

إذا ما الدهر جر على أناس   كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا

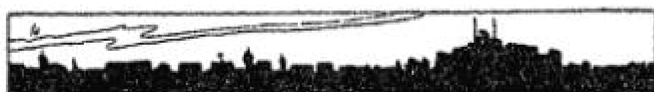
وظهر لشعره من أول أمره روعة وقوة أسر . وقد انتحى به ناحية الهجاء لما فطر عليه من طبيعة الشر وحب اللجاجة ولدادة الخصام ، فهاجى شعراء قومه ، فلقوا منه شراً مستطيراً وتخوفه الأشراف وصانعوه . وأطمعه ذلك فى اتخاذ الشعر حرفة يتكسب بها وقد كان له فى مال أبيه وقومه غنية أى غنية ! . .

وكان الفرزدق قوى الذاكرة فحفظ من شعر الجاهلية والاسلام الكثير العزيز . وجمع من اللغة وتاريخ العرب فى جاهليتها عامة وأيام قومه خاصة ما لم يعِه فيه شاعر من أهل زمانه حتى ولا جرير والأخطل

وكان طويل النفس فى الهجاء والمناقضات والفخر ، فتزيد بعض أبيات قصائده فيها على المائة ، قصير النفس فى المدح فلا يكاد مدحه يبلغ ثلث ما فى القصيدة من النسيب والفخر

ومع فحولته فى الشعر وحسن تأتيه ومواتاته له فانه كان يحسد من دونه من الشعراء على البيت أو الابيات القليلة يقع له فيها المعنى البديع ، وخاصة إذا كان الشعر فى فخر لا يراه الفرزدق يليق بهذا الشاعر فيغصبه أبياته ويقول له : « أنا أولى بها منك » ! ويضمها الى شعره فلا يستطيع الشاعر ان ينكرها عليه لعجزه عن مجاراته

[بقية الفصل في العدد القادم]   احمد الاسكندري



المجمع الادبي الفرنسي

يطوى ثلثمائة سنة

في الثالث عشر من شهر مارس الماضي ، انقضت ثلثمائة سنة على انشاء « المجمع الادبي الفرنسي » او « الاكاديمي فرانسيز » اشهر المجامع الادبية على الاطلاق ، واقدمها ، واشدها ثباتاً ورسوخاً ، وابعدها صيتاً وشهرة . فيجمل بنا أن نخص هـذا المجمع العظيم بكلمة ، في الوقت الذي تنشأ فيه المجامع الادبية والعلمية اللغوية بكثرة في الشرق ، وفي الوقت الذي يبدأ فيه مجمع اللغة العربية جلساته ومباحثاته في مصر

لم يصدر المرسوم الملكى بتأسيس المجمع الادبى الفرنسى رسمياً إلا فى سنة ١٦٣٥ فى عهد الملك لويس الثالث عشر . ولم يسجل ذلك المرسوم فى البرلمان الفرنسى إلا فى ١٠ يوليه سنة ١٦٣٧ . غير أن المجمع الأدبى كان قائماً فى الواقع قبل ذلك الوقت . إذ أن سجلاته دونت بصورة ثابتة ابتداء من يوم ١٣ مارس سنة ١٦٣٤ . بفضل الوزير الفرنسى الشهير الكردينال دى ريشليو . وفى تلك السجلات التاريخية أثبتت أعمال المجلس ومباحثاته وقراراته منذ ذلك العهد الى يومنا هذا . فهى من هذه الناحية أفضل مرجع يستعان به فى جميع ما يتعلق بالادب الفرنسى واللغة الفرنسية وتطوراتهما

كان الكردينال دى ريشليو الوزير المعروف بثاقب رأيه وبعد نظره، مشرفا على مقدرات فرنسا قابضاً على مقاليد الامور فيها . فعلم من بعض أصدقائه أن جماعة من رجال العلم والفضل وحملة الاقلام يجتمعون فى منزل أحدهم « كونرار » ويتبادلون الآراء فى الشؤون الاجتماعية والعلمية والادبية . فأدرك ذلك الوزير أن فى استطاعته توجيه تلك الاجتماعات إلى ناحية معينة وخدمة اللغة والادب بواسطة أولئك الافاضل وتحويل مجالسهم الى هيئة منظمة ثابتة خاضعة لأنظمة وقوانين وأغراض معينة . وفى أوائل سنة ١٦٣٤ أرسل الى الجماعة يطلب منهم موافاته الى مقره للتحدث فى تنظيم تلك الهيئة فلبوا طلبه . وعقد اجتماع حضره الكردينال وبعض أولئك الاصدقاء الادباء . منهم جودو وجومبو وهابير وشابلان وكونرار والاب سريزى وجيرى وغيرهم . وفى الثالث عشر من شهر مارس ١٦٣٤ كان نظام « الاكاديمى » قد أوجد فعلا . وفتحت سجلات خاصة لتدون محاضر الجلسات وأعمال الجماعة وقراراتهم وانتخب سريزى رئيساً وديمارى نائباً وكونرار آميناً للسر

وكان عدد أعضاء المجمع فى بادىء الامر ثلاثين عضواً . وبلغ الاربعين فى سنة ١٦٣٥ وبقى الاعضاء محافظين على هذا العدد منذ ذلك الوقت بحيث إن مجمعهم أصبح يعرف فى فرنسا

باسم « مجمع الاربعين » وأطلق عليهم الناس اسم « الخالدين » اعترافاً بفضلهم ودلالة على أن أسماءهم ستظل مدونة الى ماشاء الله فى سجل التاريخ

وكان الكردينال ريشيليو يرمى بتأسيس المجمع الادبي الفرنسي الى أهداف معينة تتعلق جميعها بتهذيب اللغة . وأهمها : وضع قاموس فرنسي وكتاب فى البيان وكتاب فى قواعد الشعر وكتاب فى قواعد اللغة . وقد بدأ المجمع بوضع القاموس منذ ذلك الوقت وظهرت الطبعة الاولى منه فى سنة ١٦٩٤ ثم جعل الاعضاء ينقحونه الى أن انتهوا من عملهم هذا فظهر القاموس بصورته الثابتة فى العام الماضي فقط . أما الاعمال الاخرى والكتب التى كان ريشليو يريد من الاعضاء أن يضعوها لخدمة اللغة فقد بقيت مشروعات على ورق

كان اختيار أعضاء الاكاديمى فى بادىء الامر بالتعيين . ثم وضع النظام الذى خضعت له الهيئة فيما بعد فاصبح بالانتخاب . فيتقدم المرشحون ويبسط كل واحد منهم على المجمع الاعمال التى قام بها فى حياته والتى يعتقد أنها تخوله الحق فى دخول الهيئة . وكان المجمع يعقد جلسات عمومية يتباحث فيها الاعضاء فى اعمال ذلك المرشح ويبدون فيها رأيهم . ثم يجرى الانتخاب فيفوز من المرشحين من ينال الاكثرية المطلقة من الاصوات . وقد أدخلت تعديلات على طريقة الانتخاب فى بعض الظروف السياسية ، ولكنها أعيدت الآن الى أصلها ، ولا يزال انتخاب الاعضاء يجرى بهذه الكيفية إلى يومنا هذا

ومن الشروط التى يتمسك بها الاعضاء فى اختيار زملائهم شرط يعدونه لازما أيا كانت الظروف والاحوال . وهو أن يكون العضو الجديد فرنسيا أصيلا

وللمجمع الادبي الفرنسي حق إخراج عضو من المجمع وشطب اسمه منه إذا ما وجهت إليه تهمة ثبتت بالبراهين ، وإذا ما ارتكب العضو عملا يخالف قوانين المجمع أو يسيء الى سمعته . ولكن الاعضاء لم يلجأوا إلى تطبيق هذا الحق إلا ثلاث مرات فقط

المرة الاولى : شطب اسم أوجيه دى موليون سنة ١٦٣٦ لانه رفض أن يعيد أمانة مالية إلى صاحبها

المرة الثانية : شطب اسم فورتير فى سنة ١٦٨٥ لانه خالف نظام المجمع وأصدر قاموسا للغة الفرنسية

المرة الثالثة : شطب اسم الاب سان بيار فى سنة ١٧١٨ لانه أصدر كتاباً أهان فيه ذكرى الملك لويس الرابع عشر

هؤلاء هم الثلاثة الذين أخرجهم زملاؤهم من عضوية المجمع بعد مداولات ومناقشات عنيفة . وقد أخرج غيرهم ولكن بارادة الحكومات القائمة وقرارات الوزراء لاعتبارات سياسية ليس لاعضاء المجمع علاقة بها

وكانت التقاليد تقضى بأن يذهب العضو الجديد الى صاحب العرش فيقدم له الخضوع . ولكن اثنين من الاعضاء رفضا القيام بهذا الواجب . الاول « شاتو بريان » لانه لم يكن راغباً فى المثول بين يدي نابوليون الاول . والثانى « بريه » لانه أبى المثول بين يدى نابوليون الثالث . ولكن هذا لم يمنع العضوين من الجلوس على كرسيهما والاشتراك فى أعمال المجمع . وفى هذا ما فيه من مظاهر التسامح والتساهل

وكان أعضاء المجمع الادبى يعقدون جلساتهم فى بادىء الامر فى المنازل الخاصة ، الى ان قرر الملك لويس الرابع عشر وضع احدى قاعات قصر اللوفر تحت تصرف الجماعة لعقد جلساتهم فيها . وأنشئت بعد ذلك مجامع أخرى خضعت لقوانين سنتها الحكومات الفرنسية لهذا الغرض وأطلقت على مجموعها اسم « أنستيتو » غير أن عدد المجامع الادبية والعلمية والفنية فى فرنسا يبلغ العشرات . وجميعها تتمتع برعاية الحكومة وحمايتها ومساعدتها الادبية والمادية

وقد أنشئت فى كثير من الاقطار الغربية مجامع أدبية ولغوية ، فكان أول عمل يقدم عليه مؤسسوها أن يدرسوا نظام « المجمع الادبى الفرنسى » للاخذ به وتطبيقه بقدر المستطاع على مجمعهم الجديد . وما ذلك إلا لان نظام الاكاديمى فى فرنسا يعد من أوفى الانظمة من هذا القبيل إن لم يكن أوفاها ، بعد أن مرت ثلثمائة سنة على إنشاء هذا المجمع ، وبعد أن تطورت أنظمته وقوانينه تطورات عديدة هى نتيجة البحث والدرس والتمحيص والتجارب

وينصرف هم أعضاء المجمع الادبى الفرنسى دائماً الى السير باللغة الفرنسية جنباً الى جنب مع تطورات العصور ومقتضيات الحياة ومفاجآت العلم والاختراع بحيث أن اللغة الفرنسية تضيف كل يوم الى ثروتها الادبية كلمات جديدة وتعبيرات لم تكن مألوفة أو معروفة من قبل . ومن الاعمال الجريئة التى أقدم عليها المجمع فى السنوات الاخيرة الغاء جميع قواعد الصرف فى اللغة الفرنسية وابدالها بقاعدتين اثنتين فقط مما سهل على التلاميذ درس اللغة فى المدارس الى حد بعيد

وإذا كان لنا رجاء بهذه المناسبة فهو أن ينسج مجمع اللغة العربية فى مصر على منوال المجمع الادبى الفرنسى فى خدمة اللغة والسير بها مع تطورات العصر



مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

عظيم على الرغم منه

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة النيويوركر
بقلم الصحفي جونستون الاميركي]

الفيلسوف البرت آينشتين هو من أعظم جبابرة العقول ، والمعجزات التى أنتجها تجعل العالم ينظر الى قواه العقلية كما ينظر الناس الى قوى هرقل الجسدية

ومع ذلك فالرجل من ألين الناس عريكة وأسلسهم قياداً . يدلك على ذلك كثير من الحوادث التى وقعت له والتى تدل على أن هذا الرجل ليس من الذين يتشبثون بآرائهم تشبثاً أعمى

من ذلك انه كان الى عهد قريب يرفض أن يعزف على الكمنجة فى الحفلات العامة وان كانت من الحفلات الخيرية،لانه كان يستصغر شأن نفسه فى الموسيقى،ويعتقد انه ليس من المروءة أن ينافس الموسيقيين المحترفين . ولكنه رضى بعد الالحاح بان يعزف فى الحفلات الخيرية . ودعى مرة لزيارة الولايات المتحدة هو وزوجته وأرسلت اليهما تذكرتا سفر بالدرجة الفاخرة فابى أن يسافر الا بالدرجة الثالثة لانه يحتقر الابهة الكاذبة . فلما قيل له ان رفضه السفر بتلك الدرجة قد يؤول تأويلا يجرح عواطف الذين دعوه عاد فانقاد الى الحاح أصدقائه

ولما كان فى أمريكا أرسل اليه أحدهم صكا (شيكا) بالف وخمسمائة دولار على سبيل الهدية ، فما كان منه الا أن استعمل ذلك الصك « علامة كتاب » ووضعه فى كتاب كان يقرأه ثم ضاع الكتاب وضاع « الصك » معه وما كان اينشتين ليعبأ به لو لم يفهموه أن عدم اعتنائه قد يؤول تأويلا يمس احساس الشخص الذى أرسل « الصك »

ودعى اينشتين وزوجته مرة لزيارة ملكة البلجيك (ارملة الملك البرت الذى توفى أخيراً) فلما وصلا الى محطة بروكسيل لم يرهما أحد من الموظفين الذين أوفدتهم الملكة لاستقبالها . وما كان أشد ذهول الملكة عندما رأتهما داخلين القصر وحدهما حاملين أمتعتهما ! . . .

ولما منح اينشتين جائزة نوبل سنة ١٩٢١ وهبها لاعمال البر . وعرضت عليه ادارة احدى

المجلات الامريكية أجرة باهظة ليوافيها بمقالة فى موضوع معين فرفض أن يسخر قلمه لاغراض مادية مستكثراً الاجرة التى عرضت عليه ثم عاد فلبى الطلب بعد الحاح شديد

ولما استدعته جامعة برنستون الامريكية للتدريس فيها عرضت عليه أجراً عالياً فرفضه فى أول الامر لانه كان أجراً باهظاً . ثم عاد فقبله بعد الحاح شديد وبعد أن وعد بخفض ذلك الاجر فى المستقبل

ولعله لم يقم فى العالم رجل عرضت عليه الاموال كما عرضت على اينشتين ، فان مئات من الشركات التى تصنع السلع المختلفة عرضت عليه الاموال الجسيمة ليأذن لها بوضع اسمه على تلك السلع فكان يرفض ما تطلبه بكل شمم واباء . ومنذ صيرورته بطلا عالمياً لم ينقطع عنه سيل الدعوات لالقاء الخطب فى شتى الموضوعات العلمية والسياسية . على ان كبراء اليهود لا يفتأون يحرضونه على السكوت لسببين وجيهين (أولهما) الخوف من أنه اذا تكلم فى السياسة أساء الى أبناء ملته اليهود (وثانيهما) الخوف من أنه اذا نزل الى ميادين السياسة خسر العلم بسبب ذلك خسارة عظيمة

وقد لقى اينشتين فى حداثته اضطهاداً شديداً بسبب ديانته . من ذلك انه لما كان تلميذاً صغيراً فى احدى مدارس سويسرا أحضر الاستاذ ذات يوم (وكان من رجال الدين) مجموعة من المسامير وعرضها على التلاميذ وقال لهم انها المسامير التى سمر بها اليهود المسيح على الصليب . فما كان من التلاميذ الا أن هجموا على اينشتين المسكين وأوسعوه ركلا وصفعاً حتى نجا من أيديهم باعجوبة

والغريب أن اينشتين لما كان فى المدرسة لم تظهر عليه علامات الذكاء بل كان بالعكس بليداً خامل الذهن . ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره نزح به والده الى ايطاليا لكى يتعلم فيها الهندسة الكهربائية . وبعد ثلاث سنوات عاد به الى مدينة زوريخ بسويسرا حيث دخل المدرسة المعروفة بالاكاديمية الفنية . وتعرف وهو فى هذه المدرسة بتلميذة من تلاميذ فرقته فاحبها وتزوجها سنة ١٩٠٣ وولد له منها ولدان . ولسبب يطول شرحه طلقها فيما بعد وتزوج فى سنة ١٩١١ ابنة عمه

أما شهرته العلمية فبدأت سنة ١٩٠٥ وكان عمره يومئذ ستاً وعشرين سنة اذ نشر خمس مقالات علمية من ضمنها مقالة فى « النسبية الخاصة » تحتوى على أهم مبادىء نظريته المعروفة بالنسبية . وقد أدهشت هذه المقالة جميع علماء العالم . ومنذ ذلك اليوم سجل اسم اينشتين فى سجل الخالدين

وفى سنة ١٩١٥ ظهر فى المانيا كتاب يحتوى على نظرية اينشتين فى النسبية العامة . ولكن الحرب حالت دون وصول الكتاب الى العلماء خارج المانيا . وفى سنة ١٩١٩ تمكن العلماء من تحقيق نظرية النسبية برصد الكسوف والخسوف . ومنذ ذلك الحين توالت الادلة العلمية على صحة نظرية النسبية ، ولكن هذه النظرية ليست — وا أسفاه — مما يستطيع أن يفهمها الكثيرون . ويقال ان اينشتين الذى يفسر كل شىء بواسطة المعادلات الرياضية قد بسط نظريته كلها فى بضع معادلات هى كما يقول العلماء أعظم ما حاول عقل هذا الجبار أن يبتدعه لتفسير نواميس الكون وشرح نظرية النسبية

من مذكرات المسيو بوانكاره

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
الالوستراسيون بقلم المسيو بوانكاره]

ألف المسيو ريمون بوانكاره السياسى الفرنسى العظيم ورئيس الجمهورية الفرنسية فى زمن الحرب كتاباً جليلا فى عشرة أجزاء ضمنها مذكرات عظيمة القيمة عن تلك الحرب نقتطف منها مايأتى نقلا عن مجلة الالوستراسيون الفرنسية التى نشرتها بعيد وفاة المرحوم البير ملك البلجيك . قال المسيو بوانكاره :

وصلنا الى دنكرك بعد أن اجتزنا الحدود وسرنا فى سهول تغمرها الاوحال فجاء الملك البير يستقبلنا بكل بشاشة على أرض بلجيكية وصدره محلى « بوسام » واحد فقط هو الوسام الحربى الفرنسى . وبعد أن تبادلنا التحية شكرنى على زيارتى ثم طفق يثنى على بسالة الجيش الفرنسى فاجبته شاكراً ومثنياً على الجيش البلجيكى الذى صمد للالمان وثبت حتى مكن الجيش الفرنسى من أخذ الاهبة والاستعداد للكفاح

ولما فرغنا من تبادل التحيات دعانى الملك البير لركوب الاوتوموبيل معه . وتبعنا ميلران وجوفر ودوبارج وغيرهما من القواد فى أوتوموبيلات أخرى . وسرنا نقطع سهول الفلمنك وحزونها حتى وصلنا الى قرية « لاپان » حيث كان الملك البير يقيم مع الملكة فى منزل صغير منذ بدء الحرب ، فترجلنا ودخلت ذلك المنزل يزينه أثاث ورياش فى منتهى البساطة وجاءت الملكة تستقبلنى وهى لابسة ثوباً أبيض وجسمها النحيف يشف عما قاسته من أهوال الحرب وقلبها الذى ينبض بروح الوطنية والاخلاص يفيض شجاعة وثقة بالمستقبل . وقد اشتهرت جلالتها بانها ساعد الملك الايمن وقد وقفت حياتها كلها على حب البلجيك فهى لاتريد الحياة إلا من أجلها . وتلطفت معى فى الحديث فسألتنى عن صحة مدام بوانكاره وعن آخر الاخبار من باريس وبوردو ومن فرنسا كلها . ثم أخذت تتكلم على الحرب بحماسة عظيمة وكلها ثقة بالمستقبل . وكان أمراء الاسرة المالكة يقيمون يومئذ بانجلترا والملكة ترسل اليهم كل يوم تلغرافا

ولما انتهت زيارتى استأذنت فى الانصراف . فطلبت منى جلالتها أن أقف الى جانب زوجها لتصورنا بالآلة الفوتوغرافية أمام المنزل . وقالت انها ستعطينى نسخة من الصورة هدية الى مدام بوانكاره لكى تذكر فى المستقبل هذه الساعات العصيبة

وفى ١٢ ابريل سنة ١٩١٥ — وهى السنة الثانية من الحرب — زرت البلجيك مرة ثانية وذهبت الى قرية هوتيم وكان الملك البير قد نقل اليها مركز القيادة البلجيكية العامة لان الالمان كانوا قد

دمروا قرية فورن (حيث كان مركز القيادة سابقاً) بمدافعهم الضخمة . وكان الملك الباسل يقضى هو وقواد جيشه الساعات الطوال فى رسم الخطط الحربية لانقاذ بلاده . وكانت الابتسامة لاتفارق شفتيه ولكنها ابتسامة ممزوجة بقليل من الحزن بسبب ماكانت البلجيك تعانيه فى تلك الحرب

واستقبلنى جلالته مرحباً بى وأدخلنى مسكنه الوضيع حيث شرعنا نتحدث واشترك معنا فى الحديث المسيو ميلران . وكان حديث جلالته يشف عن صلابة عوده وثقته بالمستقبل . إلا انه لم يكن يظن أن فى الامكان زيادة عدد الجيش البلجيكى الى أكثر ما كان يومئذ

وطلبت من جلالته أن يأذن لى بزيارة الملكة اليزابيث ــ وكانت ماتزال تقيم بالمنزل السابق بقرية لابان ــ فقال أن الملكة ترحب بى وإنه سيكون معها لاستقبالى هنالك فى عصر ذلك اليوم. وفى الوقت المعين ذهبت لزيارة جلالتها فاستقبلتنى ببشاشتها المعتادة ، ولم تكن الاحوال قد أوهنت عزيمتها أو غيرت صلابة عزمها . وما كاد يستقر بى المقام حتى طفقت تحدثنى عن الحرب وعن خراب ايبر وتدمير الالمان لفورن حيث كان مركز القيادة العليا سابقاً . ثم عمدت الى مجموعة من الصور الفوتوغرافية فاخرجت من بينها صور زيارتى السالفة واعطتنى نسخاً منها هدية الى مدام بوانكاره . ودخلت علينا إذ ذاك صغرى الاميرات فقدمتها جلالتها الى

وفى ٢ اغسطس سنة ١٩١٥ ــ أى بعد مرور سنة تماما على نشوب الحرب ــ زرت جلالة الملك البير مرة أخرى وذهبت معه لتفقد الحصون الدفاعية وغيرها من وسائل القتال . وسار بنا الاوتوموبيل وأنا وجلالته خائضان فى الحديث والوفاق تام بيننا من كل وجه وكلانا معتقد أن الحرب ستطول وكلانا شاعر بوجوب نفخ الثقة وروح الثبات فى الشعبين الفرنسى والبلجيكى . وأعرب لى جلالته عن قلقه من تقهقر الروس وقال انه لايستطيع ان يدرك سبب سوء الادارة فى الحكومة الروسية الامبراطورية . وعلى كل فان جلالته كان وطيد الثقة بالمستقبل

ثم تحدثنا عن الامبراطور غليوم وكان قد القى فى اليوم السابق خطبة فى المانيا قال فيها : ان ضميره مستريح لان المانيا ليست هى التى أوقدت جذوة الحرب . فقال جلالة الملك البير ان المثل الفرنسى يقول : « من اعتذر فقد اعترف بذنبه » (Qui s'excuse s'accuse)

وقابلت الملك البير بعد ذلك عدة مرات . وآخرها فى ٩ نوفبر سنة ١٩١٨ وكان الالمان قد طلبوا الهدنة فى ذلك اليوم . وجرت لى معه أحاديث طويلة أعرب لى فى خلالها عن عدم ارتياحه الى عقد الهدنة مع الالمان لانها تحرم الحلفاء ثمرة النصر . وكان الجيش البلجيكى على وشك دخول «غنت» فى اليوم التالى أو اليوم الذى بعده وعلى وشك الوصول الى بروكسيل بعد بضعة أيام . وكان الجنرال داجوت أيضاً على هذا الرأى متفقاً مع الملك على عدم الارتياح الى عقد الهدنة لان الجيش البلجيكى كان ما يزال محتفظا بقوته المعنوية بخلاف الجيش الالمانى الذى كان شبح الهزيمة يتهدده

هل تعيش عصبة الامم ؟

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة بكتوريال ويكلي .
بقلم ونستون تشرتشل الوزير البريطاني سابقاً]

لافائدة من انكار ما تعانيه عصبة الامم في الوقت الحاضر من العلل والادواء . فهي مريضة وقد زادها مرضاً خروج المانيا واليابان منها واستيلاء الوساوس والهواجس وأسباب الحسد والنفور على الدول الباقية فيها . وقد أصبحت الآن مهددة بخروج دولة أخرى هي ايطاليا . ويظن الكثيرون أنه إذا انفصلت عنها هذه الدولة كان في ذلك خاتمة العصبة والقضاء المبرم عليها

تتألف العصبة من الدول التي انتصرت في الحرب الماضية ، والدول التي منيت بالخذلان . وهناك دول يشوب الحسد والتنافس والتخاذل ما بينها من علاقات . وهي وان تكن متوادة متصافية في الظاهر إلا أن بعضها يسيء الظن بالبعض الآخر وكل واحدة منها ترقب الاخرى بعين الحسد والبغض . وغني عن البيان أن عوامل التفرقة بينها — بل المحالفات الهجومية والدفاعية التي تربط طائفة منها — تزيد في مشاكلها وفي الصعاب التي تعترضها

أضف إلى ذلك ما يساورها من المخاوف بسبب الخلافات الدولية المتعددة والمشاكل التي لا تقع تحت حصر ، سواء أكان من جهة دويلات البلطيك أم معضلة بولونيا أم موقف روسيا السوفياتية . أم موقف ايطاليا على سواحل البحر الابيض المتوسط ، أم غير ذلك من المعضلات

على أن العصبة قد عاشت حتى الآن وتغلبت على ما اعترضها من العقبات . وهي تتمسك بأهداب الحياة بشدة وتدافع عن كيانها بكل مافيها من قوة . فهي كمصباح يترجرج شعاعه الضئيل في وسط الظلمات الحالكة ولكنه لا ينطفيء . وقد كان هذا الشعاع أسطع قليلا في الاشهر الماضية ، وهذا يحيي الرجاء بأنه قد يزداد قوة بمرور الزمن ويصبح منارة تضيء للعالم في الليالي المدلهمة

على أن في هذا استعجالا للحوادث ومسابقة للزمن . والعصبة في الوقت الحاضر تواجه أعظم أزمة واجهتها منذ تأسيسها إلى اليوم بسبب اختلافات الدول على مشكلة نزع السلاح . فقد قضت العصبة عشر سنوات وقضت لجنة تحضير مؤتمر السلاح خمس سنوات ، لوضع خطة دولية لنزع السلاح . ولكن المساعي كلها قد حبطت بسبب اختلاف الآراء والاهواء . وها هي المانيا تشكو اليوم لان سلاحها قد نزع عنها بسبب انكسارها في الحرب . وها هي روسيا تجاهر بأن السلاح عقبة في سبيل السلام العام ، وبأن الواجب على جميع الدول أن تنزعه عنها ! وكل ذلك خداع في خداع ! ...

ومن دواعي الاسف أن الاقتراحات المتعلقة بنزع السلاح قد أسفرت عن نتيجة واحدة ، وهي أنها اتاحت الفرصة لالمانيا لتتخلى عن عصبة الامم وتنفض عنها غبارها . وأدى ذلك الى ارسال

ايطاليا انذارها النهائى للعصبة وهو انذار لا يعلم ما سيكون من أمره الا الله لانه مفعم بالاحتمالات

هذه هى الحالة فى الوقت الحاضر . ولكى ندرك حقيقة الداء لابد لنا من تلمس العلة

ان خوف الدول وسوء ظن بعضها بالبعض الآخر هو علة التسلح . وغنى عن البيان أن المانيا ليست راضية عن معاهدة فرساى ولن يهدأ لها خاطر بسببها فان ذكرى الالزاس واللورين ومشكلات سيليزيا العليا وممر دانتزج وبروسيا الشرقية وغيرها تقض مضجعها وتطرد عنها النوم . ووراء هذه المشكلات مسألة الشعب الالمانى الذى يبلغ اليوم ستين مليوناً من الانفس وهو يزداد عدداً ويزداد سخطاً على الذين أنزلوا به العقاب ، ويأبى أن يعتبر يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ (وهو اليوم الذى طلب فيه الالمان الهدنة من الحلفاء) خاتمة تاريخ المانيا المجيد

ومن الجهة الاخرى نرى فرنسا وعدد سكانها نحو أربعين مليوناً ومواليدها فى تناقص . وهى تعيش فى خوف مستمر من جيرانها ولكنها تامة الثقة بقوتها وقوة جيشها وهى عازمة على الدفاع عن معاهدة فرساى التى تعتبرها جزءاً لا يتجزأ من وسائل دفاعها وسلامتها . وهى كلما نظرت الى الشرق والشمال الشرقى تجد الشعب الالمانى يزداد قوة وعدداً ونشاطاً ويرسل الى جيشه كل سنة عدداً كبيراً من الشبان ستعجز فرنسا عن مجاراته فى المستقبل . فهل يدهشنا بعد هذا أن يساور القلق فرنسا وأن تستولى عليها الهواجس فتحتاط للمستقبل بانشاء سلسلة من الحصون المنيعة تدافع بها عن حدودها الشمالية والشرقية وعن حدود الالب والحدود التى تفصل بينها وبين ايطاليا

لقد اقتضى الانتصار على الجيش الالمانى فى الحرب الماضية أن تتألب عليه جميع جيوش العالم تقريباً . فهل تضمن فرنسا أن تنضم اليها الدول كذلك فى المستقبل ؟ . ان ايطاليا تجاهر اليوم علناً بالسير على سياسة تنافس المصالح الفرنسية ، وانجلترا قد سرحت جيشها فلم يبق منه سوى قوة هى أشبه بقوة بوليسية منها بجيش عامل . والولايات المتحدة مستاءة من معاملة فرنسا لها فى مسألة ديون الحرب بحيث لا ينتظر أن تمد يد المعونة لفرنسا فى حرب مقبلة . ونتيجة ذلك كله أن فرنسا تجد نفسها اليوم فى عزلة تامة لا تستطيع أن تعتمد إلا على قوة جيشها

هذه عوامل تؤثر فى مستقبل عصبة الامم ومع ذلك فان الحالة لاتدعو الى اليأس . وفى الواقع أن العصبة اذا استطاعت التغلب على الازمة الحاضرة وأزالت أسباب النفور المستحكم بين فرنسا وجاراتها قويت الآمال ببقاء العصبة وثباتها وأضيفت الى سفر التاريخ صفحات جديدة

على أن اسباب الحقد والعداوة لا تموت بسرعة وانما قد تنشأ فى علاقات الدول عوامل جديدة تتغلب على تلك الاسباب وتساعد على ازالتها وفى مقدمتها العوامل المالية والاقتصادية التى قد ترغم الدول على تناسى ما بينها من بواعث الخلاف وعلى الاهتمام بالخطط السياسية الانشائية لا الخطط الهدامة . وان الواجب ليقضى علينا بالسعى لتقوية تلك العوامل فتقوى اذ ذاك سلطة عصبة الامم

اشعاع الفكر

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ميروار دو.وند. بقلم السيدة مادلين ايرون]

منذ بضعة أسابيع قام الاستاذ كازامالى العضو بالمعهد العلمى الايطالى بعدة تجارب علمية يظن أنه قد توصل بها الى تصوير فكر الانسان أو تصوير الاشعاعات المنبعثة من الدماغ . وقد وقف الكثيرون من العلماء بازاء هذا الخبر موقف الحذر ولم يحاول أحد منهم حتى الآن أن يتصدى لتحقيقه أو أن يلقى بشأنه أى بيان فى أى معهد علمى . إلا أن الاستاذ جيفليه ، وهو من كبار علماء الكهرباء اللاسلكية فى فرنسا ، قد قام بتجارب كثيرة فى هذا الشأن وألقى حديثاً خطبة فى أحد المعاهد العلمية الفرنسية عن اشعاعات الدماغ الانسانى أثارت دهشة الكثيرين من العلماء ، إذ لم يكن يخطر ببال أحد منهم أن فى الامكان معالجة هذا الموضوع بهذه الطريقة العلمية . وقد استعان على شرح خطبته برسوم أحدثتها تيارات الكهربائية اللاسلكية المنبعثة من الدماغ والقتها على لوح خاص بحيث استطاع الجميع مشاهدتها والتسليم بحقيقتها وبأنهم ليسوا أمام مشهد وهمى هو نتيجة انخداع البصر

ولا يخفى أن لكل جسم مادى اشعاعاً خاصاً . بل إن لكل عنصر من عناصر المادة المعروفة أمواج أشعة خاصة . ومن جملة الامور التى اثبتها العلم أخيراً أن لجذور البصل أشعة قوية . وللعالم جرويتش مباحث مسهبة بهذا الشأن

ومما قاله الاستاذ جيفليه فى خطبته المشار اليها إن التجارب العلمية الموثوق بها تدل على أن الدماغ الانسانى تنبعث عنه اشعاعات خاصة . ولا شك أن هذه الاشعاعات تعلل كثيراً من الاعمال التى يقوم بها دراويش الهند المعروفون بالفقراء . ومن دواعى الاسف أن كثيرين من العلماء حاولوا تصوير تلك الاعمال تصويراً فوتوغرافياً لعلهم يستطيعون حل اسرارها فلم يوفقوا . من ذلك ان بعض أولئك الدراويش يلقون حبلا فى الهواء فيصعد الحبل فى الجو ويظل منتصباً فيه فيتسلقه الدرويش صعداً نحو السماء . ومن ذلك أنهم يلقون ببزرة فى الارض فتنمو فى الحال أمام الواقفين

أمثال هذه الاعمال المدهشة حاول العلماء أن يصوروها بالآلة الفوتوغرافية ، وما كان أشد ذهولهم إذ لم يبد لها أثر على الزجاجة ! فاستدلوا من ذلك على أن مايشاهدونه من تلك الاعمال العجيبة انما هو نتيجة الانخداع البصرى الناتج عن التنويم المغناطيسى الاجتماعى

ويتضح من مباحث الاستاذ كازامالى أن انتقال الافكار المعروف عند العلماء بالتليباتى (Télépathie) لايمكن تعليله علمياً إلا بافتراض اشعاع الدماغ وانتقال أشعته (التى هى نتيجة التفكير)

على متن الاثير الى دماغ الآخرين . كذلك نجد أن بعض المرضى ينالون الشفاء من أمراضهم المستعصية اذا لمسهم بعض الاشخاص . فان تعليل ذلك هو ان امواجاً غير منظورة تنتقل من كف اللامس الى جسم الملموس فتؤثر فيه . وتعرف هذه اللمسة فى التاريخ باللمسة الملكية

ومما يجدر بالذكر أن الاقدمين كانوا أكثر ادراكا منا لقوة الاشعاع الدماغى وان كانوا لا يعرفون شيئاً من أسرار الكهربائية . وفى مقدمة الذين اضطلعوا منهم بهذه المباحث عالم المانى من علماء الكهربائية يدعى رايمون عاش منذ نحو قرن وله مباحث مسهبة فى علاقة الكهربائية بالجهاز العصبى ، وبعبارة أخرى فى «صلاحية» الاعصاب لنقل التيار الكهربائى . وقد وفق الاستاذ مولر من علماء مدينة زوريخ الى استنباط جهاز دقيق سماه «نوروميتر» والغرض منه قياس قوة التيار الكهربائى الذى تنقله الاعصاب ومعرفة التغييرات التى تطرأ على الجهاز العصبى بسبب ذلك التيار . وقد تمكن بواسطة هذه الآلة الدقيقة من عمل «رسم بيانى» يدل على التغييرات التى تطرأ على الجهاز العصبى فى الحالات البسيكولوجية المختلفة . فاذا ألقيت مثلا على رجل خبراً مفزعا وفحصت حالة أعصابه بهذه الآلة وجدتها تختلف كل الاختلاف فى مقاومتها أو احتمالها للتيار الكهربائى المنبعث من الدماغ عنها فى الحالات الطبيعية

ويقول الاستاذ كازامالى انه قد تمكن من تصوير اشعاع الدماغ الانسانى تصويراً فوتوغرافيا بواسطة آلة دقيقة يصعب شرحها بمثل هذه المجلة لما تتطلبه من معرفة الكثير من الدقائق الفنية . وهذه الآلة تسجل جميع التغييرات التى تطرأ على الدماغ والتى تنشأ عن اختلاف المؤثرات . وقد ثبت للاستاذ كازامالى بعد مباحث دقيقة ان الامواج الكهربائية الطويلة لاتؤثر فى دماغ الانسان أى تأثير بخلاف الامواج المتناهية فى القصر فانها شديدة التأثير

اذا رويت لرجل نائم نوما مغناطيسيا رواية عن موقعة حربية ووصفتها له وصفا دقيقا ، واذا كلمت رجلا نائما نوما طبيعيا بشأن أمر يهمه ، فان الآلة التى قد استنبطها الاستاذ كازامالى تصور الامواج المنبعثة من دماغ الاول والامواج المنبعثة من دماغ الثانى تصويراً دقيقا جدا يدل على اختلاف شكل «التموجات» الاولى عن شكل التموجات الثانية . ويستفاد من ذلك ان الانسان سيتمكن فى المستقبل من قراءة الافكار بتصوير شكل الاشعاع المنبعث من الدماغ بواسطة آلة الاستاذ كازامالى المشار اليها . فان هذه الآلة تدل دلالة قاطعة على اختلاف شكل الاشعاع الذى ينبعث عن الدماغ فى الحالات المختلفة — أى أن إشعاع دماغ الرجل الذى يفكر تفكيراً فنياً مثلا يختلف عن اشعاع دماغ الرجل الذى يفكر تفكيراً حربيا . والذى يفكر فى محبوبته ينبعث عن دماغه اشعاع يختلف عن اشعاع دماغ الرجل الذى يفكر فى عدوه أو فى والديه أو اصحابه

هل الحب وحده يكفى

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة هاربرس
بقلم الاستاذ لدفيج لوزون]

لاشك أن الوقوع تحت سلطة الحب من أعظم الحوادث التى تؤثر فى حياة الانسان ، ويزعم الكثيرون أن فى وسع كل امرىء أن يجعل الحب أساساً لمعيشته ووسيلة يستديم بها سعادته فى الحياة . ولكن من منا لايعرف عشرات من قصص الزواج التى تحطمت فيها سفينة الزوجية على صخور الخيبة والفشل والندامة لان الذين عقدوا عقد الزوجية توهموا أن الحب وحده يكفى أساساً للسعادة

إن الحب ليس غاية فى حد ذاته بل هو وسيلة إلى عدة غايات . وفى الامكان تجديده من وقت إلى وقت والابقاء عليه بواسطة الزواج ، لان الزواج ، فضلا عن كونه يحتفظ بالعواطف الجنسية ، يوجد بين الزوجين عدة مصالح مشتركة يستطيعان بها تخليد حبهما واستدامة رباط وحدتهما. وهذه المصالح تجعلهما يشعران بأنهما يؤلفان «جبهة» واحدة بازاء العالم كله ، وهى الملجأ الذى يعودان اليه من وقت الى آخر كلما نشأ بينهما شىء من الفتور أو سوء التفاهم، فيجددان عهد غرامهما القديم . ولا شك انهما بدون تلك المصالح لا يستطيعان تجديد ذلك العهد . ولهذا السبب لا يمكن تجديد الحب فى حوادث التسرى والزواج التجريبى حيث الرابطة الواحدة بين الرجل والمرأة هى الحب الشهوانى وحيث يعيش كل منهما فى خوف مستمر من انطفاء جذوة الحب ، فيسأل نفسه : «ألم يبق لى الزمن شيئاً من السلطة على قرينى ؟ واذا هجرنى هل أستطيع أن أوقد فى غيره جذوة الحب ؟» وقد يوفق كل منهما بعد ذلك الى عقد رباط جديد ، ولكن مآل هذا الرباط إلى مآل سابقه ، ولا بد أن ينتهى بالرفيقين — عاجلا أو آجلا — إلى الفرقة وقضاء بقية العمر فى شيخوخة يكتنفها البؤس والشقاء

ومن دواعى الاسف أن الكثيرات من فتيات هـذا العصر يتخذن حياة الممثلين والممثلات أنموذجاً لهن ويملن الى تقليدهم مع أن الاختبار قد أثبت بوجه لا يقبل الشك ان حياة الممثل كلها تكلف وتصنع، وان أكثر الممثلين يدفعون ثمن شهرتهم غالياً فيعيشون فى جو من الغيرة والحسد والدسائس ، وقلما تكون علاقاتهم الغرامية سبب راحة وهناء

ولا مشاحة فى أن الانسان حيوان تمتزج فيه الوظائف البيولوجية بالعواطف التى مركزها القلب والدماغ . وهذه هى الحقيقة التى يتجاهلها بعض دعاة الاباحية الذين يريدون اطلاق الحرية للانسان لينشىء لنفسه مايريد من العلاقات الجنسية ولو كان متزوجاً . مع أن الرجل والمرأة عندما

يتزوجان يشعران بان دافعاً باطنياً — هو بسيكولوجي وبيولوجي معاً — يدفع كلا منهما الى محاولة الاستيلاء على الآخر استيلاء تاماً . وهذا الدافع هو غريزى فى الانسان وهو برهان قاطع على أن الارتباط الجنسى ليس عملا مادياً فقط بل هو متصل اتصالا وثيقاً بالعواطف والعوامل البسيكولوجية التى لا تجدها فى الجمادات . وهذا هو السبب فى أن الانسان اذا تزوج مرة ثانية فان زواجه الثانى يكون عادة أدعى الى الراحة والهناء من زواجه الاول لان الاختبار يعلمه وجوب مراعاة عوامل كثيرة لم يراعها فى زواجه الاول ، ولان زواجه الثانى يكون عادة مقترناً بالعوامل البيولوجية البسيكولوجية التى كانت ضعيفة أو مهملة فى زواجه الاول

ولا حاجة الى القول بان الحب الذى ينتهى بالزواج يفترض حقيقتين لا مناص منهما اذا أريد أن يكون الزواج سعيداً . وهاتان الحقيقتان هما : اختيار شخص المحبوب و نبذ كل شخص آخر سواه . وتظهر هاتان الحقيقتان فى سكنى الزوجين معاً وفى توحيد آمالهما وأهوائهما ومقاصدهما وجميع مظاهر حياتهما

وكما أن حياتهما المعنوية تكون واحدة كذلك تكون الماديات أيضاً بالنسبة اليهما . وبعبارة أخرى أن جميع مايكون عندهما من أثاث ورياش وماعون وعقار وخلافه يكون ملكا مشتركا بينهما . وشعور الزوجين بوجود هذه « الملكية » المشتركة هو من أقوى العوامل التى تجعل للزواج معنى آخر غير معنى الصلات الجنسية التى يمتاز بها زواج الانسان عن زواج الحيوان — وبعبارة أخرى أن وجود جو مشترك يعيش فيه الزوجان ويهيمنان فيه على مصالحهما المشتركة من أقوى العوامل التى تدعم صرح الزواج

ولا ريب فى أنه ليس جميع الناس أهلا للزواج ، وقد يكون من مصلحة الاجتماع جعل شروط الزواج أصعب مما هى الآن مع تسهيل شروط الطلاق . وقد يذعر الانسان اذا عرف أن الاحصاءات الرسمية فى جميع أنحاء العالم تدل على ازدياد نسبة الطلاق ، ولكنه ذعر فى غير محله . وفى الواقع أن هنالك صوراً مفجعة من الحياة الزوجية التى لا يمكن فصمها والتى تدل على ان الرباط بين الرجل والمرأة ليس زواجاً بالمعنى الصحيح وانما هو اتفاق بينهما يقوم على الصلات الجنسية التى كانا يعتقدان انها ستدوم الى الابد

لقد تزيد حوادث الطلاق فى العالم ولكن زيادتها يجب ألا تفزع أحداً فانها فى الحقيقة تدل على أن الذين يقدمون على الطلاق قد صاروا ينظرون الى الحياة بجد واهتمام ، وأن زواجهم ما كان فى الحقيقة زواجاً بالمعنى الحقيقى ولا كان يمكن أن يقدر له الدوام

ان الزواج المبنى على اشتراك المصالح والذى ينظر فيه الى التناسل وحفظ النوع هو الزواج الذى يمكن أن يدوم . وأما الزواج المبنى على الاعتبارات الجنسية فقط فلا بد أن يندثر وتنفصم عراه ويتضح فى آخر الامر للذين يعقدونه انه كان لهواً لا يقدر له الا الفشل

كيف ظهرت الحياة على الارض

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ميروار دوموند. بقلم الأستاذ روجيهضيمونه]

لا ريب ان مشكلة جرثومة الحياة الاولى وكيف ظهرت على الأرض من أعسر المشاكل التى قد حيرت وما تزال تحير العلماء . وقد ذهبوا فى تعليل ظهورها مذاهب شتى، ولكن العلم لم يثبت أى تعليل منها حتى الآن . ولعل أحدث النظريات بهذا الشأن نظرية الاستاذ سيتل الاميركى ، فقد ارتفع أخيراً بمنطاد حلق به فى طبقات الجو حتى وصل إلى الطبقة المعروفة « بالستراتوسفير » . وكان على مقدم منطاده من الخارج جماعات كثيرة من الخلايا الميكرسكوبية أبدت وهي فى طبقات الجو العليا نشاطاً غريباً وتوالدت بكثرة مدهشة مع أن الهواء كان لطيفاً إلى أقصى حد والجو شديد البرد والاشعة التى وراء البنفسجية تملأ الفضاء . ولما عاد الأستاذ سيتل إلى الارض وجد تلك الخلايا سليمة فكأن البرودة القاسية ولطافة الهواء والاشعة التى وراء البنفسجية لم تؤثر فيها على الاطلاق

وقد أثار هذا الخبر اهتمام علماء البيولوجيا فى جميع أنحاء العالم وأخذ الكثيرون منهم يتساءلون : ترى أليس من الممكن أن تكون جرثومة الحياة الأولى قد وصلت إلى عالمنا الارضى من بعض الاجرام الفلكية البعيدة ؟

قال الفيلسوف كيزرلنج : « ان الحياة أزلية كأجرام الكائنات التى تسبح فى الفضاء . وهي تنتقل من جرم إلى جرم ومن مكان الى مكان ، وجراثيمها تنتقل بلا انقطاع فى الفضاء الذى يفصل بين الكواكب ، فتهبط دائماً على الاجرام التى تكون أحوالها الجوية والطبيعية ملائمة لنموها وتكاثرها »

هذه نظرية قديمة أراد كيزرلنج أن يعلل بها ظهور الحياة على الارض ، ولكن العلماء تناسوها إلى أن جاء اللورد كلفن العالم الانجليزى المشهور ، فقال انه يحتمل كثيراً جداً أن تكون الحياة قد وصلت إلى عالمنا الارضى من عوالم أخرى

وفى الواقع ان الكثيرين من العلماء يؤكدون أن النباتات التى على سطح الكرة الارضية ليست سوى جزء يسير من النباتات التى تكسو سطح الكثير من الاجرام العلوية . ومصدر الحياة النباتية فى جميعها هو على الارجح واحد . نعم إن بعض العلماء ينكرون هذه النظرية ويقولون ان مصدر الحياة لا يمكن أن يكون واحداً لان الاجرام منفصلة بعضها عن بعض وليس بينها أى اتصال، ولكن زعمهم هذا لا يؤيده العلم ، وعزلة بعض الاجرام الفلكية عن البعض الآخر هي عزلة خيالية فقط بدليل أن كثيراً من الرجم والنيازك تسقط على الكرة الارضية قادمة الينا من العوالم الاخرى . أفلا يحتمل أن تكون بعض تلك الرجم قد وصلت الى الارض تحمل اليها جراثيم الحياة ؟ وغنى عن

البيان أن الجراثيم اذا وصلت الى الارض نمت فيها وتكاثرت ثم تطورت وارتقت بمرور الاحقاب

على أنه لابد من القول هنا ان هنالك اعتراضاً له بعض الوجاهة يحول دون التسليم بهذه النظرية تسليما تاماً . ذلك أن الرجم تصل الى الارض وهي تكاد تكون مصهورة لان احتكاكها بالهواء ينشيء على سطحها حرارة تكاد تجعل وجود الحياة فيها مستحيلا

على أن آريينوس الفيلسوف قد جاءنا بنظرية أخرى لتعليل وصول جراثيم الحياة الاولى الى الارض ، وهي أقرب الى العقل من غيرها وان لم يكن من السهل اثباتها حتى الآن . وخلاصتها أن قوة الدفع التى فى أشعة النور هي التى دفعت جراثيم الحياة الاولى وأوصلتها الى الارض

وتفصيل ذلك أن أشعة النور التى تنبعث من أى جسم مضيء تدفع الجسم الذى تسقط عليه وفى الوقت عينه ترجع الى الوراء كما يرجع المدفع بعد انطلاقه . وقد تمكن العلماء من قياس قوة الدفع فى أشعة النور فوجدوا انها أقل من عشرة جرامات لكل هكتار مربع . وهذا يجعل مجموع قوة الدفع فى أشعة الشمس الواقعة على سطح الكرة الارضية مائة مليون كيلو جرام . ولا حاجة الى القول ان هذه القوة تكفى لدفع جراثيم الحياة من الفضاء الى الارض

ويقول آريينوس ان هذه هي الطريقة التى وصلت بها الحياة الى الارض . وان من المحتمل أن جراثيم الحياة انتقلت من عالمنا الى اجرام فلكية كثيرة . فاذا صدق هذا الزعم وافترضنا أن الحياة انتقلت من هنا الى المريخ فانها تصل اليه بعد عشرين يوماً . ولكى تصل الى المشترى لابد لها من ثلاثة أشهر . ولكى تصل الى نبتون ــ وهو أبعد السيارات ــ لابد لها من أربعة عشر شهراً

أما البرد القاسى الذى يسود الفضاء بين الاجرام الفلكية فليس حائلا دون انتقال جراثيم الحياة . فقد أثبت الاستاذ سيتل كما قلنا فى صدر هذه المقالة أن تلك الجراثيم تقوى على احتمال أقسى درجات البرد بل فى وسعها أن تحتمل أقصى درجات الحر أيضاً

لكن هنالك اعتراضاً له بعض الوجاهة على هذه النظرية وهو وجود الاشعة التى وراء البنفسجية وتأثيرها الشديد فى طبقات الجو العليا . اذ لا يخفى ان هذه الاشعة تقتل أشد الميكروبات تمسكا بالحياة . فكيف تسلم منها جراثيم الحياة فى طبقات الجو العليا حيث تكون الاشعة على أقواها ؟

هذا سؤال يصعب الجواب عنه كما يصعب تعليل تلك الظاهرة الغريبة التى ذكرها الاستاذ سيتل فى صدر هذه المقالة وهي بقاء الخلايا الحية وعدم فنائها مع انه حلق بها مرتفعاً الى طبقة الستراتوسفير

وهنالك اعتراض آخر على نظرية وصول جراثيم الحياة الى الارض بقوة الدفع التى تمتاز بها أشعة النور . وهذا الاعتراض هو اننا اذا سلمنا بالنظرية المذكورة وجب التسليم بان جراثيم الحياة لم تصل الى عالمنا الارضى مرة واحدة بل مراراً كثيرة . على ان العلم قد أثبت ان الحياة ظهرت على هذه الارض وارتقت بالتدريج بحيث أن جميع الكائنات الحية هى حلقات متتابعة فى سلسلة واحدة

جنون المبارزة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
اسكواير. بقلم ادورد باروز]

كانت المبارزة بالاسلحة القاتلة كثيرة الشيوع حتى الربع الاول من القرن الماضي ـ ليس فى أوربا فقط بل فى جميع أنحاء العالم الجديد أيضاً ـ فكان الناس من محامين وأطباء وسياسيين وغيرهم يتبارزون من أجل أتفه الاسباب . بل كثيراً ما كان التجار والوعاظ ومحررو الصحف ينزلون إلى ميادين المبارزة ، وما هي إلا أن يقف المتبارزان وجهاً لوجه وبينهما بضع أقدام أو بضع أذرع ، ثم يعد الحكم : « واحداً ! ... اثنين ! ... ثلاثة ! ... » ثم يلى ذلك صوت انطلاق رصاصة من كل من المتبارزين ، ثم يسقط أحدهما على الارض متخبطاً بدمائه ... ويكون الآخر قد انتقم لشرفه !

وكثيراً ما كان يتبارز شابان من أجل فتاة يحبانها وتحضر هي بنفسها المبارزة ، فاذا سقط الشاب الذى تحبه صرعت بغدارتها القاتل وهربت مع « الحكم » !

كان الشاب فى ذلك العصر إذا تحدث عن الشرف لم ينس الكلام على المبارزة وعلى أنواع الاسلحة ، ولا يخضع إلا لقانون الشرف . وقانون الشرف فى عرفهم هو قانون المبارزة وقيودها وكل ما يتعلق بها . ومن مقتضى تلك القيود أن يقف المتبارزان متواجهين ينتظران اشارة الحكم للشروع فى اطلاق الرصاص . فاذا أطلق أحدهما غدارته قبل صدور الاشارة بربع ثانية أو بعد انقضاء وقت المبارزة بربع ثانية عد خائناً وجاز لغريمه أن يقتله . واذا قتل غريمه بمثل تلك الخيانة جاز لشهود غريمه أن يتولوا قتله . واذا استوفت المبارزة جميع الشروط ولم تسفر عن جرح أحد المتبارزين أو قتله جاز لهما أن يطلبا اعادة المبارزة ، وليس للحكم أو للشهود رفض مثل ذلك الطلب

أما الشهود فكانت مهمتهم شاقة وتبعاتهم خطيرة . فقد كان عليهم تنظيم المبارزة ووضع شروطها وتعيين مكانها وزمانها وتحديد نوع السلاح والمسافة التى يجب أن تفصل بين الغريمين ـ الى غير ذلك من التفصيلات الدقيقة . وكان عليهم فى بعض الحالات أن يحلوا محل المتبارزين او احدهما

أما الاسباب التى كان يجوز المبارزة من أجلها فلم تكن تقع تحت حصر . فالشؤون التجارية والسياسية والعلمية والغرامية والاجتماعية والادبية ـ كل هذه كانت مجالا لاختلاف الرأى وتسويغ المبارزة . والتاريخ مفعم بأخبار مبارزات وقعت بين فريق من العظماء لأتفه الاسباب

من ذلك أن اثنين من ربابنة السفن اختلفا على سرعة كل من سفينتيهما . فأصر أحدهما على مبارزة الآخر ، ولم تجد محاولة هذا اقناع صديقه بالعدول عن طلبه . فتمت المبارزة وقتل أحدهما « فرانسيس كى » وهو من مشهورى رجال البحرية الاميركية !

واتفق فى مدينة فرنكفورت مرة أن رجلا من كبار سكان المدينة كان سائراً ذات يوم فى أحد شوارع المدينة فالتقى بصديق له ومعه كلبه وداس الرجل ذنب الكلب غير متعمد ، فما كان من صاحب الكلب إلا أن طلب صديقه للمبارزة وأصر على طلبه ، فلم يسع الغريم الا اجابة الطلب . والتقى الصديقان فى الزمان والمكان المتفق عليهما ووقفا متواجهين وبينهما مسافة اربع أقدام فقط . واطلق صاحب الكلب رصاصة اصابت مقتلا من غريمه

وأنقذ الشرف بذلك ... شرف الكلب ام شرف صاحبه ؟... وذهب رجل عظيم بوطأة ذنب كلب ! . . . وكان الناس فى ذلك العهد يسمون أنفسهم متمدنين ! ...

وفى التاريخ أن ديكاتور وزير البحرية الاميركية فى أوائل القرن الماضى ومن أبطال الحرب الاميركيين سقط برصاصة رجل فى مبارزة جرت فى ظروف غريبة . وتفصيل ذلك أن توماس بارون —قائد احدى البوارج الاميركية فى الحرب الانجليزية الاميركية— وقع أسيراً فى يد الانجليز الذين استولوا على بارجته وأطلقوا سراحه . وقضى قانون الحرب بمحاكمة بارون المذكور أمام محكمة عسكرية قضت بطرده من الخدمة وبعدم الاذن له بالعودة إلى البحرية ألا بعد انقضاء عدد معين من السنين . فما كان منه إلا أن طلب الوزير ديكاتور للمبارزة . وحاول ديكاتور بكل ما فى وسعه لتحويل بارون عن عزمه . ولكن هذا أصر على طلبه . ولم يسع الوزير الرفض . فقابل بارون فى ميدان المبارزة وسقط قتيلا برصاصة منه . وخسرت أميركا يومئذ أعظم أبطالها البحريين

وفى التاريخ أيضاً ان اندرو جاكسون الذى كان رئيساً للولايات المتحدة منذ مائة عام بارز صديقاً له يدعى ديكسون ، وذلك قبل أن يصير رئيساً للجمهورية . وتفصيل ذلك أن الصديقين اختلفا على رهان فى سباق الخيل وأدى بهما الخلاف إلى التشاتم . ووصلت الانباء إلى الصحف فلغطت بها . وأخيراً طلب جاكسون صديقه ديكسون (وكان محامياً) للمبارزة وألح فى الطلب فلم يسع المحامى إلا تلبية الدعوة . وكانت شروط المبارزة تقضى بأن يقف الغريمان متواجهين وبينهما مسافة عشرين قدماً فقط وأن يطلق كل منهما بدوره رصاصة على غريمه على ان يبدأ ديكسون أولا . ولما بدأت المبارزة وأعطى الحكم الاشارة صوب ديكسون غدارته نحو جاكسون على مهل وأطلقها عليه . فاصاب كتف غريمه . ولكن هذا تماسك ولم يسقط الى الارض . فاستولى الرعب على ديكسون وصاح : « لقد أخطأته وسوف يقتلنى ! » ثم صوب جاكسون غدارته بدوره نحو ديكسون وما هى الا طرفة عين حتى انطلقت الرصاصة تئز فى الفضاء واستقرت فى قلب ديكسون . ومات فى تلك الليلة موتة فظيعة تاركا وراءه زوجة وثلاثة أولاد . أما جاكسون فاختير بعد ذلك رئيساً للولايات المتحدة ! ...

متى يموت العليل ؟

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة السيانتفيك أميركان . بقلم الدكتورة فادن]

عهدت مجلة السيانتفيك أميركان الى سيدة أميركية لتجمع ما تصل اليه يدها من الاحصاءات وتستدل منها على الساعات التى تقع فيها حوادث الوفيات . فقامت السيدة المذكورة بهذه المهمة خير قيام وجمعت معلومات ذات طلاوة عظيمة نورد لك فيما يلى أهمها :

وأول تلك المعلومات أن الذين يموتون فى ساعات النهار الاولى هم أكثر من الذين يموتون فى ساعات النهار الاخرى . وقد كان هذا الاعتقاد شائعاً بين جمهور الاطباء ، ولكنه لم يثبت بوجه علمى قاطع حتى الآن . فالاحصاءات والبيانات التى جمعتها السيدة فادن تجنح إلى اثبات هذا الاعتقاد

وهنالك حقيقة أخرى معروفة عند جمهور الاطباء ولكنهم عاجزون عن تعليلها حتى الآن ، وهى أن الذين يموتون عند الظهر أو عند منتصف الليل هم قليلون جداً أو هم بلا شك أقل من الذين يموتون فى أية ساعة أخرى من ساعات النهار

ترى ما سبب ذلك ؟ وهل يمكن تعليله تعليلا علمياً ؟

تدل الاحصاءات المختلفة على قلة عدد الوفيات فى ساعتى الظهر ونصف الليل تتبعها زيادة فى عدد الوفيات وهذه الزيادة تبلغ أشدها فى الساعة الاولى بعد الظهر وتستمر كثيرة حتى الساعة السادسة مساء ثم تنقص بالتدريج حتى تبلغ أقلها عند منتصف الليل وتظل قليلة حتى الساعة السابعة صباحاً ومن ثمة تأخذ فى الزيادة فتبلغ أشدها فى ساعات الصباح الاولى كما تقدم القول

ترى ما الذى يحدث فى غرفة العليل ، وفى نفس العليل ، سواء أكان فى منزله أم فى المستشفى ، مما يؤجل وقوع الوفاة أو يعجل بها ؟

ليس ثمة تعليل يمكن أن نقيم له وزناً إلا مسألة الطعام . فساعتا الظهر ومنتصف الليل هما الوقت الذى يتوقع فيه العليل غذاءه بانتظام . نقول « منتصف الليل » لان المستشفيات تحافظ على تقديم الغذاء للعليل فى الوقت المذكور كما تحافظ على تقديمه له عند الظهر أو فى أية ساعة أخرى يشير بها الطبيب . وتقديم الغذاء للعليل فى منتصف الليل هو أمر اعتيادى يأمر به جميع الاطباء فى الحالات الخاصة

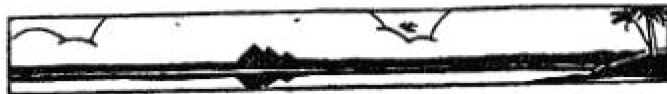
فمن المحتمل كثيراً جداً أن الطعام الذى يقدم للعليل عند الظهر أو عند منتصف الليل هو الذى ينتصر على الموت انتصاراً وقتياً . ولا يخفى أنه عند ما يشرف الانسان على الموت ويأخذ جسمه فى الانحلال لا يبقى ثمة سوى عائق واحد فى سبيل الموت . وهذا العائق هو الرغبة فى الحياة وتمسك

العليل بها حتى آخر نفس من أنفاسه . فاذا ضعفت هذه الرغبة أو زالت قويت شوكة الموت وكانت الفرصة سانحة له . والاختبار يدلنا على أن الذى يشرف على الموت لا يماطل الموت ويدفعه من « ساعة الى ساعة » بل من « حادثة الى حادثة » فهو فى الصباح الباكر يتوقع ان يرى حوادث النهار من تناول الطعام ومشاهدة الطبيب وغيره . ثم تنتهى نوبة الممرضة الليلية وتحل محلها الممرضة النهارية ويؤتى بطعام الصباح ويقع من الحوادث ما ينسى العليل سآمة الليل وساعاته المملة . وكأننا بالعليل تتجدد رغبته فى الحياة وتشتد حيويته لان تتابع الحوادث ينسيه فزع الليل . فيماطل الموت مرة أخرى ويدفعه بقوة إرادته إلى وقت آخر

ثم يقع سكون نسبى يستمر إلى ما قبيل الظهر بقليل حينما تنتعش آمال العليل مرة أخرى قرب وقوع حادث آخر هو تناول طعام الظهر . فتنشط الحيوية مرة أخرى وتقوى الرغبة فى الحياة . وينقضى الظهر عادة بسلام . وتتبدل الحالة بعد ذلك اذ يحل الملل محل النشاط ويبدأ اليأس يطرد الرغبة فى الحياة . وتستمر هذه الحال إلى ما قبل منتصف الليل إذ ينتعش أمل العليل فجأة لتوقعه حادثاً جديداً هو غذاء منتصف الليل

وإذا انقضى هذا الحادث بسلام عادت همة العليل الى الهبوط ورأى أمامه ساعات الظلام الباقية طويلة مملة لا يتوقع فيها أى حادث حتى الفجر ، والفجر على ما يلوح له بعيد جداً . ومما يجدر بالذكر أنه ليست القوة الحيوية هى التى تهبط فى العليل الى أدناها بين منتصف الليل وطلوع الفجر بل اهتمام الانسان بالحياة . وفى الواقع أن الساعات المذكورة يكون فيها ظلام الليل وملل العليل على أشدهما . وقد ترى الممرضة جالسة على كرسيها تعد الساعات الطويلة ، والسكون مستول على الكون فى الخارج فلاصوت ولا حركة ، ولكنه ليس من نوع السكون الذى يزيد رغبة العليل فى الحياة أويقوى فيه حيويته أو نشاطه . فهو يرى أمامه ست ساعات طوال هى أدعى ما يكون الى الملل وأقل ما يكون للنشاط . فيحاول أن يغفى اغفاءة قصيرة يقطع بها ما يستطيع قطعه من الوقت . ولكنها الاغفاءة الاخيرة التى لا يقظة بعدها

هذا وصف لحقيقة يجهلها الكثيرون . فالحوادث التى تقع حول سرير العليل المشرف على الموت هى التى تنعشه وتنفخ فيه روح الرغبة فى الحياة ، بل هى التى تحفظ له حياته فترة أخرى من الوقت وتلك الحوادث هى أشبه بموجة اضطراب فى بحر الحياة الهادىء . واذا كان السكون مصدر حياة للاصحاء فقد يكون سبب موت الاعلاء



تقدم العلم والعالم

طبقة الستراتوسفير

يزداد اهتمام العلماء بطبقة الجو المعروفة بالستراتوسفير . ففى كل من روسيا وأمريكا وسويسرا والبلجيك جماعات علمية تعنى بفحص تلك الطبقة واستجلاء غوامضها . ولا يكاد يمر شهر إلا ونسمع عن محاولة جديدة يقصد بها أصحابها الوصول الى تلك الطبقة العالية .

وتقول إحدى المجلات الأمريكية أن اربعين منطاداً أمريكياً ستحلق فى شهرى مارس وابريل من إحدى محطات الرصد بمدينة سانت لويس وفى كل منها آلات دقيقة أوتوماتيكية لتسجيل درجات الحرارة والبرودة والرطوبة وكثافة الهواء وسرعته واتجاهه ، إلى غير ذلك من المعلومات التى يعنى بها العلماء

عدسة تلسكوب جديدة

أشرنا فى أجزاء الهلال السابقة الى المرقب (التلسكوب) الهائل الذى سيقام فى بازديتا بكاليفورنيا ، وسيكون اكبر تلسكوب فى العالم لان قطر عدسته سيبلغ مائتى بوصة . وقد شرع مرصد مكدونالد التابع لولاية تكساس بأمريكا فى بناء تلسكوب سيكون الثالث فى العالم باعتبار حجمه فسيكون قطر عدسته ثمانين بوصة وثقلها خمسة آلاف رطل وستمائة رطل . وقد بدىء بصب هذه العدسة منذ عدة أسابيع ثم تركت لتبرد بالتدريج بمقدار نحو درجتين (بمقياس فهرنهيت) كل يوم وستكون فى أواخر شهر ابريل الحالى جاهزة للصقل وهو المرحلة الاخيرة من مراحل صنع عدسات التلسكوبات

أشعة رنتجن

مر أربعون عاماً على اكتشاف أشعة رنتجن المعروفة بأشعة « اكس » . وبعد اكتشافها ببضعة أسابيع بدأ الاطباء يستعينون بها على فحص العظام المصابة بعطب أو كسر ، وعلى تصوير باطن جسم الانسان الذى كان حتى سنة ١٨٩٥ سفراً مغلقاً

قدم عهد الانسان

كل يوم تتجلى للعلماء أدلة جديدة تثبت أن الانسان أقدم عهداً بهذه الأرض مما يتوهم الكثيرون ، وأن حضارته أبعد كثيراً من الحضارة المسجلة فى كتب التاريخ . ولما أعلن الاستاذ « بدمور » الانجليزى منذ خمس وعشرين سنة أنه اكتشف فى « صفوك » بالجنوب الشرقى من انجلترا أدوات مصنوعة من حجر الصوان يرجع عهدها الى العصر المعروف « بالبليوسينى » لم يصدقه أحد من العلماء لان ذلك يقتضى ارجاع فجر المدنية أحقاباً كثيرة الى الوراء . ولكن الحقائق ما عتمت أن انجلت بالتدريج فلم يمض وقت قليل حتى آمن العلماء بما كانوا ينكرونه من قبل . وقد شرعوا فى درس الادوات الصوانية التى اكتشفها الاستاذ موير فاتضح لهم أنها لم تصنع جميعها فى عصر واحد ، لأنها مختلفة الصنع متفاوتة فى الاتقان . وتدل درجة اتقان الأخيرة منها على أن بينها وبين الطائفة التى هى

أقل إتقاناً منها عدة مئات الالوف من السنين. وفى الواقع أن علماء الآثار قد قسموا تلك الأدوات إلى أربع طوائف بحسب زمن صنعها وبين كل طائفتين منها عدة مئات الألوف من الأحقاب. فتأمل فى قدم عهد الانسان بهذه الأرض

اشعة كونية هائلة

الأشعة الكونية هى الاشعة التى اكتشفها الاستاذ مليكان العالم الامريكى منذ بضع سنوات ولم يتفق العلماء على تعيين مصدرها حتى الآن. وهى تشبه فى خواصها أشعة اكس إلا أنها أقوى منها كثيراً جداً. وقد جاءتنا الآن إحدى المجلات العلمية بنبأ مدهش خلاصته أن الدكتورا كسيل كارولين العالم الفلكى الاسوجى ومدير مرصد «لند» بأسوج قد اكتشف ضرباً جديداً من الأشعة الكونية أقوى من جميع الاشعة المعروفة لانها تخترق طبقة من الحديد الخام تبلغ مائة وستين متراً وهى قوة هائلة يكاد العقل يعجز عن تصورها!..

سل المواشى

كان العلماء الى عهد قريب يعتقدون أن سل المواشى والابقار لادواء له. إلا أن المباحث العلميـة التى تمت فى خلال ربع القرن الاخير قد أثبتت لهم أن هذا الداء ليس من الادواء المستعصية على العلم

آثار العصر الجليدي

عثر العلماء فى سان دياجو بكاليفورنيا على بقايا حيوانات من الحيوانات التى كانت تمرح على سهول تلك البلاد منذ نحو مائة الف سنة أى فى أواسط العصر الجليدى الاخير الذى انتهى منذ نحو عشرين الف سنة. وقد نقلت هذه البقايا الى متحف سان دياجو الطبيعى حيث شرع العلماء فى درسها وتعيين الفصائل التى تنتمى اليها وبينها آثار حيوانات من الانواع المنقرضة كالماموث والبهيموث وغيرهما

سكان الهند

يؤخذ من الاحصاءات الرسمية لدى حكومة الهند أن عدد الهنود زاد من سنة ١٩٢١ الى ١٩٣٢ اكثر من أربعة وثلاثين مليوناً من الانفس. ويقال إن الهنود والصينيين أكثر شعوب الأرض تناسلا

لمكافحة الضباب

الضباب هو أعظم الاخطار التى تتعرض لها السفن والقطارات. وقد اخترع أحد المهندسين الامريكيين أخيراً منظاداً يستطاع به رؤية الاشياء من خلال الضباب واتقاء الاخطار. وقد جرب هذا الاختراع فأسفرت تجربته عن نجاح تام

الكلف الشمسية

لا يخفى أن للكلف الشمسية أدواراً يستغرق كل منها نحو احد عشر عاماً. ونحن الآن فى نهاية دور من تلك الادوار. ويؤخذ من أرصاد العلماء فى مرصد ويلسون بامريكا أن الباقى من تلك الكلف على سطح الشمس الآن ينتظر أن يزول بعضه قريباً. على أن دورة الكلف الجديدة قد بدأت منذ شهر اكتوبر الماضى أى قبل انتهاء الدورة القديمة. فقد شوهدت أول كلفة من كلف الدورة الجديدة فى ١٠ اكتوبر وستنتهى الدورة الحالية حوالى سنة ١٩٤٤ أو ١٩٤٥

الاغاني القومية الافريقية

فى أواسط أفريقا اليوم بعثة علمية تعنى بتسجيل الانغام والاغانى الوطنية لسكان تلك المجاهل وهى تستخدم لهذا الغرض الآلات التى « تملأ » بها اسطوانات الفونوغراف

المعاملات في بابل

كان فى بابل قديماً ـ كما فى جميع أنحاء العالم اليوم ـ أناس يعيشون مما يدره الربا عليهم من المكاسب . وكان يحق للدائن فى ذلك العهد أن يطلب من المدين تقديم رهن شخصى . فكان المقترض يضطر أن يقدم له أحد عبيده ولا يحق له أن يسترده الا بعد تأدية ما عليه من الدين مع الفائدة

حرارة الجو

المعروف عند العلماء أن طبقة الجو المعروفة بالستراتوسفير هى شديدة البرودة حتى لا تكاد تصلح للحياة مع أن أشعة الشمس تملأ الفضاء عند ذلك الارتفاع ، ولكن أشعة الشمس تكتنف قنن الجبال أيضاً ومع ذلك فان الهواء عندها بارد جداً . على أن تقارير معظم الطيارين تدل على أن الحالة ليست كذلك فى الشتاء فأن الجو يكون أشد برداً فوق سطح الكرة الارضية منه على ارتفاع بضعة آلاف من الاقدام . فبينما تكون الحرارة لا تزيد على عشر درجات على سطح الكرة الارضية مثلا (بمقياس فهرنهيت) تجد حرارة الجو على ارتفاع نحو خمسة آلاف قدم أربعين درجة . وقد تزيد هذه الدرجة أو تنقص تبعاً للعوامل الجوية المختلفة . ولم ينجلِ سر هذه الظاهرة الجوية انجلاء تاماً حتى الآن

متحف يهودى

أنشأ اليهود المقيمون بمدينة شيكاغو متحفاً فى تلك المدينة يضم جميع آثار الفنون والعلوم والصناعات العبرانية منذ أقدم الازمنة الى هذا اليوم

اغزر مورد للكينا

يظهر أن نحو ٩٧ فى المائة من مادة الكينا التى يستهلكها العالم تجيء من جاوا ومع ذلك يقول علماء النبات ان أمريكا الجنوبية كانت موطن هذا النبات

خارطة مركوبولو

عثر العلماء أخيراً على خارطة قديمة يقال انها من صنع مركوبولو الرحالة القديم المشهور . وهذه الخارطة تدل على السياحات المختلفة التى قام بها ذلك الرحالة

من اسباب الحريق

فى تقرير لاحدى شركات التأمين الامريكية أن السجائر هى سبب نحو ستين فى المائة من حوادث الحريق التى تقع فى أمريكا . ومعنى ذلك أن الاهمال هو أعظم سبب من أسباب الحريق فى الولايات المتحدة ، بل فى العالم كله

على البحار

عادت شركة كونارد للملاحة الى اتمام بناء الباخرة « برنسيس اليزابيث » وكان قد وقف العمل فيها منذ مدة . وستكون هذه الباخرة أكبر السفن العائمة على البحار فى الوقت الحاضر وأشدها سرعة وسيبلغ محمولها خمسة وسبعين الف طن

اضرار الارانب

الارانب من أشد الآفات التى تصاب بها النباتات والمزروعات . وفى تقرير لحكومة أوستراليا أن الخسارة التى منيت بها تلك البلاد فى السنة الماضية بسبب الارانب بلغت ثلاثين مليون جنيه تقريباً مع أن ثمن ما أصدر الى الخارج من فراء تلك الارانب لم يزد على مائة وخمسين الف جنيه

الطرق المعبدة في امريكا

فى تقرير لنادى الاتوموبيلات بمدينة نيويورك أن مجموع طول الطرق المعبدة التى تصلح للاتوموبيلات فى الولايات المتحدة بلغ حتى ختام السنة الماضية مليونا ومائة وخمسين الفاً من الاميال منها ٢٧٥ الف ميل ملك للحكومة وما بقى للشركات ولأندية الاتوموبيلات . ويبلغ مجموع طول الطرق العامة فى الولايات المتحدة (ماعدا شوارع المدن) ثلاثة ملايين وأربعين الف ميل

الكتابة في الجو

ذكرنا فى جزء سابق من الهلال أن أحد المهندسين الانجليز استنبط جهازاً لكتابة الاعلانات فى الجو باحرف مضيئة . وقد قرأنا الآن فى إحدى المجلات العلمية الامريكية أن تحسيناً كبيراً قد أدخل على هذا الاختراع . ذلك أن طياراً يحلق بطائرته الى ارتفاع نحو أربعة أميال فى الجو ومعه جهاز خاص فيه دخان أو غاز كثيف يطلقه فى الجو فتتكون منه أحرف يستطيع الذين هم على الارض أن يقرأوها بوضوح . ولما كان الجو على ذلك الارتفاع بارداً جداً فان الغاز المستعمل للكتابة يجمد فى الجو حال خروجه من جهازه فيبدو للواقفين على الارض كأنه أحرف معلقة فى الفضاء

على سطح زحل

اكتشف علماء الفلك حديثاً لطخة أو كلفة على سطح السيار «زحل» يستدل من رصدها على أن حجمها يعادل حجم الكرة الارضية لان محيطها يبلغ نحو ثمانية آلاف ميل . وقد اختلف علماء الفلك فى تعليلها . واكثرهم يعتقدون أن اللطخة هى أثر نيزك هائل الحجم صدم زحل فى أثناء دورانه فى الفضاء أو انها أثر ثورة بركان هائل على سطح ذلك السيار

بناء السفن

بلغ عدد السفن التى بنيت فى الولايات المتحدة فى السنة الماضية ٧٤٩ سفينة بين بخارية وزيتية وشراعية بنقص ١٤٩ سفينة عن عدد السفن التى بنيت فى السنة التى قبلها وبنقص ٥٤٣٢١ طنا من حمولها . ولكن انتعاش البلاد فى هذه السنة وخفة وطأة الضائقة المالية تحى الآمال بزيادة ماسيبنى من السفن فى هذا العام

أقراص زيت كبد الحوت

لاشك أن زيت كبد الحوت هو من أنفع المواد التى تعطى للاولاد لتقويتهم . ولكن طعم هذا الزيت هو الذى يجعله مكروها عند الاولاد ويمنعهم من تعاطيه . لذلك فكر أحد المعامل التى تصنع العقاقير الطبية فى استنباط طريقة لجعل هذا الزيت مقبولا . وبعد تجارب كثيرة وفق الى صنع أقراص منه لذيذة الطعم وحاوية لجميع خواص زيت السمك ، حتى لقد يخيل للولد الذى يتناولها أنه يتناول (بستيليا) مصنوعة من الكاكاو أو الشكولاتة

الثروة في البحر

قام المعهد السمثسونى الامريكى، وهو من اكبر المعاهد العلمية فى العالم، بدرس مياه البحار المختلفة والمواد التى تتركب منها، فاتضح له أن مجموع مساحة بحار العالم يبلغ نحو ثلثمائة وستة وستين مليون كيلومتر مربع، ومتوسط عمقها ثلاثة كيلومترات. وفيها الف وخمسمائة ألف مليون اونس من الذهب. فيصيب كل فرد من أفراد سكان العالم نحو سبعمائة وخمسين اونسا من الذهب. فاذا فرضنا أن الاونس الواحد من الذهب يساوى أربعة جنيهات كان مجموع ثمن الذهب الذى يصيب كل فرد من افراد العالم نحو ثلاثة آلاف جنيه

عيون القطط

لابد أن يكون القارىء قد لحظ النور الذى يشع من عين القط فى الظلام الحالك. فهذا النور ناشىء عن انعكاس الاشعة عن عدسة عين القط التى تشبه مادة المرآة تماماً. وفى الواقع أن فى عيون القطط والسمك وبعض الحيوانات الأخرى مادة تشبه المادة التى تصنع منها المرايا وهى التى تعكس أشعة النور فى الظلام. وعليه فحاسة البصر فى تلك الحيوانات هى أقوى فى الليل منها فى النهار لان شدة النور فى النهار تبهرها وتضعف حاسة الابصار فيها

الانباء بالاحوال الجوية

قام علماء المعهد السمثسونى بامريكا بمباحث واسعة النطاق وجمعوا احصاءات كثيرة ثبت لهم منها أن الاحوال الجوية التى تطرأ على الكرة الارضية تماثل كل ثلاث وعشرين سنة، فالاحوال الجوية لسنة ١٩٣٤ ستكون مماثلة تماما للاحوال الجوية التى مرت بها الارض فى سنة ١٩١١، وللاحوال الجوية التى ستجىء سنة ١٩٥٧. وقد سمى العلماء هذه الدورة «الدورة الجوية»، وهى تتقدم أو تتأخر قليلا لاسباب لم تتضح حتى الآن. ولكن الاحصاءات بوجه الاجمال تدل على أن درجات الحر والبرد والرطوبة وغيرها من الاعراض الجوية لأية سنة من السنين تماثل تلك الدرجات والاعراض منذ ٢٣ سنة وستماثلها أيضا بعد مرور كل ٢٣ سنة

ومما يجدر بالذكر أن الدورة الجوية هى ضعفا دورة الكلف الشمسية أو تزيد عليها قليلا. ومن المحتمل أن يجد العلماء فى المستقبل علاقة بين الدورتين

مصابيح كشافة هائلة

يستعمل الجيش الامريكى الآن مصابيح كشافة ذات قوة هائلة ليتمكن بها من رؤية الطائرات التى تحلق فى الجو فى الليل. ولتبيان قوة هذه المصابيح نقول إن نور كل مصباح منها يعادل ثمانمائة مليون شمعة وينير الجو الى ارتفاع خمسة عشر الف قدم. ويمكن رؤية هذه الاشعة بجلاء عن بعد نحو مائة ميل، وهذه المصابيح توضع على اتومو بيلات متنقلة وهى سهلة الاستعمال وليس لجيوش الدول الاخرى ما يماثلها

احذية من بلاتين

كان الذهب يمتاز عن غيره من المعادن حتى الآن بامكان تطريقه وصنع رقائق دقيقة

منه . وقد وفق بعضهم أخيراً الى صنع رقائق من معدن البلاتين أخف من رقائق الذهب . والبلاتين كما لا يخفى أغلى من الذهب . وقد شرعت احدى شركات صنع الاحذية بامريكا فى صنع أحذية للسيدات مكسوة برقائق البلاتين وهى وان تكن أغلى ثمنا من الاحذية الاعتيادية الا أنها فى متناول الكثيرات من سيدات الطبقة الوسطى

لو بنى الهرم في امريكا

سئل جماعة من كبار المهندسين الامريكيين عن رأيهم فى بناء هرم الجيزة الاكبر وهل يعتبر عملاً هندسيا كبيراً بالنسبة الى الأبنية العظيمة والى ناطحات السحاب التى تشيد الآن فى امريكا وفى غيرها من أنحاء العالم . فكان جوابهم بالاجماع أن هرم الجيزة لا يقل فى عظمته من الوجهة الهندسية عن عظمة أى عمل آخر قام به الانسان فى هذا العالم منذ فجر المدنية حتى الآن . قالوا ولو بنى اليوم هرم كهذا فى مدينة نيويورك واستعملت فى بنائه أحدث الاختراعات الميكانيكية والهندسية لبلغت نفقاته واحداً وخمسين مليون جنيه على أقل تقدير إلا أنه إذا بنى من الحديد والاسمنت فقط ففى هذه الحالة يقتضى نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات ويستغرق بناؤه عمل ثلاثة آلاف عامل يشتغلون مدة عشر سنوات

ولا يخفى أن بناء هرم الجيزة استغرق عشرين سنة على ماروى المؤرخ هيرودتس اليونانى . وكان عدد العمال فيه مائة الف يشتغل كل منهم ثلاثة أشهر فى السنة . وبلغ عدد الحجارة فى الهرم نحو مليونى حجر وثلثمائة الف ، بلغ مجموع حجمها نحو خمسة وثمانين مليون قدم مكعبة . فتأمل !

حوض جديد للسباحة

أنشىء فى ومبلى بمدينة لندن حوض داخل ملهى (ستاد) يسع ثمانية آلاف شخص . وهذا الحوض للسباحة ويمكن احداث امواج صناعية فيه بواسطة تيار كهربائى تشبه الامواج الطبيعية . كما يمكن أيضا تجميد مياهه بواسطة الكهربائية لكى يتسنى القيام بالالعاب الرياضية التى تجرى عادة على الجليد من تزلج وتزحلق وخلافهما . وهذا الحوض هو أغرب حوض من نوعه فى العالم . وقد بلغت نفقات انشائه اكثر من مائتى الف جنيه

في المجاهل القطبية

يقول العلماء الذين ارتادوا المجاهل القطبية إن أمواج الصوت هنالك تنتقل بقوة ووضوح عظيمين جداً حتى ان صوت الكلام الاعتيادى يمكن سماعه عن بعد ميل ونصف ميل

دكان اثري

بينما كان العمال يقومون باعمال الحفر فى خرائب مدينة هركولانيوم عثروا على آثار دكان رومانى لبيع المواد الغذائية ما يزال على حالته الاصلية كما كان قديما بموازينه وآنيته والادوات التى كان صاحب الدكان يستعملها . وهذا الاكتشاف هو الوحيد من نوعه بين آثار الاقدمين

كتب جديدة

مذكراتي في نصف قرن

بقلم الحاج احمد شفيق باشا

طبعت بمطبعة مصر بالقاهرة . صفحاتها ٥٥٠

لعل هذه المذكرات أثمن مذكرات ظهرت فى السنين الأخيرة ، لان كاتبها من رجالات مصر المشهورين ، ومن علمائها الاجلاء المعدودين الذين شاهدوا حوادث الجيل الماضى ، وكانوا من أوثق الناس بها وأشدهم اتصالا بسيرها . فهو اذا روى فانما يروى عن خبرة ، واذا تحدث فانما يتحدث عن مشاهدة ومشاركة . فقد كان هو من رجالها . وحسبك صدقاً ويقيناً اذا قرأت التاريخ من قلم ثقة شاهد حوادثه ووقائعه وكان على أشد مايكون اتصالا به

ولذلك لانشك فى أن هذه المذكرات التى يقدمها صاحب السعادة احمد شفيق باشا أصدق سفر يقدمه كاتب فى تاريخ الخمسين سنة الماضية

وقد اصدر سعادته اخيراً الجزء الأول من هذه المذكرات وهو يحوى ثلاثة ابواب كل باب يشتمل على عدة فصول. وقد مهد لهذه المذكرات أولا بمقدمة عن حياة سعادته الأولى ونشأته ودراسته واحوال المدارس والامتحانات والوظائف فى ذلك العهد . ثم بدأ الباب الأول بالكلام عن الخديو اسماعيل وحياته السياسية والاجتماعية بالتفصيل . ثم تكلم عن عهد توفيق باشا والثورة العرابية . وفى الباب الثانى تكلم عن عهد الدراسة فى باريس ومشاهداته فيها وعن المجتمع الباريسى وعن المصريين فى باريس . ويشمل الباب الثالث طائفة من الفصول عن حفاوة الخديو توفيق بضيوفه الاجانب واستقبال معتمد اميركا والرق فى الاسلام ونظارة مصطفى فهمى باشا وتحليل شخصية توفيق ووفاته، الى غير ذلك من الفصول التى لايحسن كتابتها إلا شفيق باشا .. وقد حلى هذا الجزء بعدد من الصور والرسوم النادرة التى تمكن سعادته من الحصول عليها بواسطة ماله من اتصال وثيق بالعائلة العلوية التى استظل بظلها زمناً طويلا

النثر الفني

في القرن الرابع

للدكتور زكي مبارك

الجزء الاول والثانى – طبعا بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة . صفحاتهما ٣٦٧ و٣٩٩

« إن هذا الكتاب أول كتاب من نوعه فى اللغة العربيـــة أو هو – على الأقل – أول كتاب صنف عن النثر الفنى فى القرن الرابع ، فهو بذلك أول منارة أقيمت لهداية السارين فى غيابات ذلك العهد السحيق . ولن يستطيع أى مؤلف آخر – مهما اعتز بقوته وتعامى عن جهود من سبقوه – أن ينسى أنى رفعت من طريقه ألوفاً من العقبات والأشواك

« وهل يمكن الارتياب فى أن مؤلف هذا

الكتاب هو أول من كشف النقاب عن نشأة النثر الفنى فى اللغة العربية ، وقهر المستشرقين ومن لف لفهم من أهل الشرق على الاعتراف بان القرآن صورة من صور النثر الجاهلى ، وأنه دليل على أن العرب كان لهم نثر فنى قبل عصر النبوة باجيال ؟

« وهل يمكن الشك فى أن مؤلف هذا الكتاب هو أول من رجع الصور الفنية فى نثر كتاب الصنعة والزخرف إلى أصول عربية صميمة . وكان الباحثون يظنونها أثراً من اتصال العرب بالفرس واليونان ؟

« وهل يمترى منصف فى أن ما كتبه عن أطوار السجع والتسيب فى النثر الفنى باب من البحث جديد ؟

« وهل يتردد أديب فى الاعتراف بأن الفصول التى كتبها عن نشأة المقامات وعن الاخبار والاقاصيص فصول مبتكرة كتبت لأول مرة فى اللغة العربية . . . »

تلك فقرات مما قدم به الدكتور زكى مبارك كتابه (النثر الفنى) إلى قرائه . وسواء أكان فى ذلك شىء من الاعتزاز ام لم يكن فالكتاب لاشك أثر أدبى ثمين من أنفس الآثار التى يعتز بها والتى أخرجتها المطبعة فى السنوات الأخيرة ، ثم هو كمجهود من مجهود الشباب من خير المجهودات التى يضحى فيها الشبان بوقتهم وراحتهم فى سبيل النهضة الحاضرة ، وفى سبيل الأدب العربى وإحيائه وكشف النقاب عن جماله وآثاره الخالدة التى طالما أماتها النسيان وجنى عليها إهمال أهلها

فاذا كان الدكتور زكى مبارك يقوم بهذا المجهود وتلك الخدمة لكشف النقاب عن النثر الفنى فى القرن الرابع ويكتب فى ذلك كتاباً قيماً نفيساً حاز به شهادة الدكتوراه من جامعة باريس بدرجة مشرف جداً ـ نقول إذا كان الدكتور زكى يقوم بهذا المجهود ويقدم هذه الثمرة الناضجة التى تعد احياء للادب العربى ودراسة قيمة على ضوء الاسلوب الجديد الذى يجب ان تدرس به الآثار العربية ، فانه يستحق من حماة هذه اللغة ومحبيها كل ثناء وإعجاب

الينبوع

للدكتور احمد زكى ابى شادى

طبع بمطبعة التعاون بالقاهرة . صفحاته ٢١٨

للشاعر المفضال الدكتور احمد زكى ابى شادى انتاج فياض ، وموجات متوالية فى الشعر العربى . ففى كل يوم يندفع هذا الفيض فى دواوين ومؤلفات طريفة من الشعر الجديد حتى اصبح بين المؤلفين من اكثرهم تاليفاً ، وبين الشعراء من اغزرهم نظماً ، فقد تعددت مؤلفاته ودواوينه ، ويكاد يصدر فى العام الواحد ثلاثة دواوين أو أربعة . وهذا ما لا عهد به من قبل فى الشعر العربى . ولكن الذى يعرف قريحة هذا الاديب المجيد ونشاطه وجلده وجلاده ، لا تبلغ منه الدهشة مبلغاً كبيراً . فقد اعطى الدكتور ابو شادى قريحة خصبة ونشاطاً حاداً وجلداً طويلا يظهر فى كل آثاره السابقة وفى هذا الأثر الادبى الذى نقدمه للقراء . فقد احتوى الينبوع ٢٢٠٧ أبيات فى مائة واثنتين وستين قصيدة . وهذا القدر فى ديوان واحد يحسده عليه الآخرون . فضلا عن دواوينه وآثاره الاخرى

وبعد فقد حادثنا قراء الهلال مراراً عن شعر الدكتور ابى شادى ومكانته من الادب العربى ونزوعه الى التجديد . ولذلك نرى لزاماً

أن نوجز القول ايجازاً مكتفين بما اسلفناه عن هذا الشعر الجديد الذي لا ينضب معينه . وما كان له ان ينضب وهو ينبع من نبع ابي شادي

قصة روبنسن كروزو

للاستاذ كامل كيلاني

طبعت بمطبعة المعارف بالقاهرة . صفحاتها ١١٣

« مادمنا لانستغنى عن الكتب ولا معدى لنا عن المطالعة فثمة كتاب هو عندى أثمن ذخر فى التربية الاستقلالية الطبيعية . وسيكون أول كتاب يقرؤه طفلى « اميل » ...

« وسيظل هذا الكتاب عمدة فى هذا الباب ويظل كل ماعداه من كتب العلوم الطبيعية حواشي وتعليقات عليه . فهو أصدق مقياس نقيس اليه احكامنا التى نصدرها . وسيظل كذلك متجدد الروعة والاثر فى كل وقت . .

« ترى ماهذا الكتاب إذن ؟

« لعله كتاب (ارسطو) أو (بلين) أو (بوفون) . كلا ليس كتاباً واحداً من هؤلاء . بل هو كتاب « روبنس كروزو »

هذا ما قاله فيلسوف فرنسا العظيم جان جاك روسو فى هذه القصة التى الفها الأديب الانجليزى (دانيل ديفو) . وهى من أحسن القصص وأشهرها . وتتلخص فى أن روبنسن قام برحلات بحرية أشبه برحلات السندباد البحرى فرأى فيها كثيراً من الغرائب والعجائب وعاش فى جزيرة مقفرة لا أنيس بها . وهذه القصة تبث فى نفوس الناشئة روح الجد والنشاط وتذكى فى قلوبهم جذوة الدأب والجرأة . وقد قام الأديب المفضال الاستاذ كامل كيلانى بترجمة هذه القصة ترجمة سلسلة بليغة . فكانت هدية أخرى من تلك الهدايا القصصية السمينة التى يوالى اهداءها الى الاطفال لتساعدهم فى استكمال التربية والتهذيب . وهو بذلك يؤدى خدمة جليلة للمربين وللجيل الجديد الذى يقومون على تربيته

تاريخ الصحافة العربية

الجزء الرابع

بقلم الفيكنت فيليب دى طرازى

طبع بالمطبعة الامريكانية في بيروت . صفحاته ٥٤٠

كان الفيكنت فيليب دى طرازى أمين داري الكتب والآثار فى بيروت ، شرع فى تأليف كتاب جامع لتاريخ الصحافة العربية خدمة للغة العربية وتخليداً لآثار الصحافة والصحافيين فى هذه اللغة ، فاصدر الاجزاء الاولى قبل الحرب الكبرى ، ثم انجز الجزء الرابع الذى نحن بصدده ، وهو يحوى جميع فهارس المجلات والجرائد العربية فى الشرق والغرب منذ تكوينها لاول مرة حتى سنة ١٩٢٩

ولا شك أن هذه خدمة جليلة ومجهود شاق يحمد عليه الفيكنت طرازى لأن استقصاء هذه الصحف التى صدرت منذ اكثر من مائة سنة ثم اختفت واصبحت نسياً منسياً، لمن اصعب العقبات فى طريق الباحث الذى يريد أن يدون تاريخا شاملا لهذه الصحف وفهرسا جامعا لها . ولكن الفيكنت استطاع ان يتغلب على هذه العقبات ، ويذلل تلك الصعوبات ، ويصدر هذا الكتاب الرابع الضخم حاويا لاسماء الصحف العربية واسماء مؤسسيها وتاريخ ظهورها . ولا شك انه لا غنى للمؤرخ والصحافى عن اقتناء هذا الكتاب

حواء بلا آدم

للاستاذ محمود طاهر لاشين

(طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة . صفحاته ١٦٠)

الاستاذ محمود طاهر لاشين من أدباء الشباب الذين أولعوا بالقصص . واطلع القراء لهم على عدة قصص ممتعة فى الهلال وبعض الصحف الأخرى . وكانت هذه القصة (حواء بلا آدم) هى التى انفردت الهلال بنشرها . ولذلك رأى فيها القراء من المتعة واللذة واتساق الاسلوب القصصى وتجويده ما اعجبوا به وشوقهم الى مطالعة قصص هذا الأديب . وقد أغراه كثير من اصدقائه بجمع هذه القصة فى مؤلف مستقل ، فطبعها طبعاً انيقاً يغرى باقتنائها كما انها تغرى هى بقراءتها واستيعابها . ولا شك ان الاستاذ محمود لاشين قد أحسن الاحسان كله بخدمة الأدب القصصى الذى توافر عليه فى السنين الأخيرة ، وانتج فيه انتاجاً حسناً

اللغة العربية فى برقة

(L'arabo parlato in Cirenaica)

بقلم الأستاذ اليديو يانوتا

مؤلف هذا الكتاب ضابط من ضباط المدفعية الايطالية المرابطة ببرقة . وهو بحث ممتع فى اللغة العربية كما يتكلمها أهل برقة . فقد دون به المؤلف لهجة أهل تلك البلاد وشرح مميزاتها الصرفية والنحوية . ولم يقتصر على ضبط القواعد التى تقوم عليها تلك اللهجة بل وضع معجما لمفرداتها مرتباً على أحرف الهجاء الأوربية ودون تلك المفردات بالأحرف اللاتينية ، ضابطا طريقة نطقها بمقتضى الاصطلاحات الصوتية الدولية . وختم المؤلف كتابه بايراد مجموعة من الامثال العربية الشائعة بين أهل تلك البلاد وأردفها بترجمة بالايطالية

وقد وضع المؤلف كتابه فى الأصل لأهل وطنه من الايطاليين كما يستفاد من ضبط الألفاظ العربية فيه بالأحرف اللاتينية مشفوعة بالاصطلاحات الصوتية الدولية . والكتاب مبوب تبويباً حسناً ، ومؤلف تأليفاً علمياً دقيقاً

مصر

(Misr — Histoire de L'Egypte)

بقلم الأستاذ نسيب وهيبه

وضع هذا الكتاب باللغة الفرنسية حضرة الاستاذ نسيب افندى وهيبه من خريجى كلية الحقوق بجامعة باريس

والكتاب يتضمن ستة أجزاء تبحث كلها فى تاريخ مصر الحديث . فالجزآن الاول والثانى يبحثان فى ظهور الأسرة العلوية وعلاقة مصر بالاتراك وحكم المماليك والحملة الفرنسية . والجزء الثالث يتناول عهد عباس الاول وسعيد وحالة مصر سياسيا واقتصاديا وعمرانيا . والجزء الرابع وهو اهم الاجزاء يبحث فى عهد ساكن الجنان الخديو اسماعيل وما وصلت اليه مصر فى عهده . ويلى ذلك بحث فى المالية المصرية ونشوء صندوق الدين . ويبحث الجزء الخامس فى حكم الخديو توفيق والخديو عباس الثانى وما وقع لمصر من الحوادث التاريخية المهمة حتى سنة ١٩١٤ . أما الجزء السادس فيبحث فى عهد الحماية البريطانية ثم الاعتراف باستقلال مصر ثم تنصيب ساكن الجنان الامير حسين سلطاناً على مصر ثم عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول

بين الهلال وقرائه

معالجة الزائدة الدودية

(سيون ـ حضرموت) مشترك

قرأنا في الجزء الثاني من هلال هذه السنة في باب تقدم العلم والعالم ان اثنين من الاطباء الفرنسيين اكتشفا لقاحاً لمعالجة المصابين بالزائدة الدودية دون الالتجاء الى سكين الجراح . وكنا قد قرأنا منذ بضعة اشهر خبراً بهذا المعنى في جريدة الاهرام. فهل صح نبأ هذا الاكتشاف وهل عم استعماله ؟ وهل في مصر الآن طبيب يعالج مرض الزائدة الدودية بهذا اللقاح ؟

(الهلال) نقلنا الخبر المذكور عن احدى المجلات العلمية الفرنسية . وهذا الاختراع صحيح على ما يظهر ولكن لم يعم استعماله حتى الآن لانه كسائر الاختراعات ، يحتاج الى الزمن لتزكيته وتعميمه . وليس في مصر على ما نعلم طبيب يعالج مرض الزائدة باللقاح المذكور . ونظن انكم تستطيعون الحصول على معلومات وافية بشأن هذا العلاج من الاكاديمية الطبية بباريس

العمي يبصرون

(جبيل ـ لبنان) الاب بطرس الكفوفي

جاء في الجزء الخامس من هلال السنة الاربعين في باب سير العلوم والفنون أن مهندساً فرنسياً يدعى المسيو توماس اخترع آلة يستطيع الاعمى ان يقرأ بواسطتها اي كتاب يقرأه المبصر . فهل نجح هذا الاختراع وهل عم استعماله ؟

(الهلال) لم نقف على اخبار هذا الاختراع وما تم من امره بعد الذي نشرناه عنه . واغلب هذه الاختراعات تستغرق زمنا طويلا قبل ان تبلغ درجة الاتقان . وكثيراً ما يحول فقر المخترع وحاجته الى المال دون اتقان اختراعه وتعميم استعماله . اذ ما من اختراع ظهر الى الوجود فجأة بالغاً حد الاتقان وصالحا للاستعمال . بل ان تاريخ اصغر الاختراعات دليل على ان تلك الاختراعات مرت في ادوار كثيرة قبل ان تثبت فائدتها وتصبح جديرة بالاستعمال . ولا شك ان الآلة التي اخترعها المسيو توماس لتمكين العمي من القراءة ستجتاز مراحل كثيرة قبل أن تحقق جميع الاغراض المطلوبة منها ويعم استعمالها

لماذا يجمد البيض

(جنين ـ فلسطين) حنا سلامه

لماذا يسيح السمن اذا وضع على النار حالة ان البيض يجمد ؟

(الهلال) في البيض مادة بيضاء تسمى الزلال اذا وضعتها على النار حولتها الى مادة أخرى جامدة وذلك بتغيير ترتيب الذرات (أو دقائق المادة) التي يتألف منها الزلال . أما السمن فاذا وضع على النار فان تأثير النار فيه ينحصر في تفكيك عرى ذراته لا في اعادة ترتيبها

اكتشاف الثقل النوعي

(جنين ـ فلسطين) ومنه

كيف استطاع ارخميدس ان يثبت هل كان تاج ملك سراقوزة مصنوعاً من الذهب الابريز أم من ذهب مغشوش ؟

(الهلال) جاء في التاريخ ان هيرون ملك سراقوزة اصطنع له تاجاً من الذهب عند أحد الصاغة ثم كلف ارخميدس ان يمتحنه من دون ان يكسره ليرى هل هو ذهب خالص أم مغشوش . فقضى ارخميدس عدة أيام مهموماً مفكراً الى ان كان ذات يوم في الحمام وقد غطس في حوض الماء فشعر بان الماء يرفع ساقيه وذراعيه وانه بناء على ذلك يستطيع تحريك أعضاء جسمه بسهولة أكثر مما يفعل وهو خارج الحوض . ففكر في هذا الامر هنيهة فانجلت له حقيقة علمية وهي انك اذا وضعت في الماء أو غيره من

السوائل أي جسم صلب فان السائل يقاوم ذلك الجسم بضغطه عمودياً من تحت الى فوق ، وقوة هذا الضغط تعادل ثقل كمية من ذلك السائل موازية لحجم الجسم الصلب . وتدرج من هذا الى اكتشاف ناموس الثقل النوعي . وللحال وثب من حوض الماء وانطلق يعدو كالمجنون وهو يصيح : « لقد اكتشفته ! . . لقد اكتشفته ! » يريد انه اكتشف الامر الذي كان يفحص عنه . وبهذه الطريقة علم الثقل النوعي للذهب الخالص والثقل النوعي للذهب المغشوش وأصبحت عبارته من بعده قولا مأثوراً أشبه بالمثل السائر في معظم اللغات الاوربية

السوس والفول

(جنين ــ فلسطين) ومنه

لماذا يصاب الفول الاحمر والاسود بالسوس دون الابيض ؟

(الهلال) جميع انواع الفول معرضة للسوس سواء في ذلك الاحمر والاسود والابيض . ولم نسمع قط ان الفول الابيض يسلم من السوس . وتنشأ الاصابة عن خزن الفول في مكان لا يصل اليه الهواء والنور باستمرار ، أو عن انتقال السوس اليه بالعدوى من مكان ملوث

تشنج الاطفال

(بغداد ــ العراق) م . ع . كباي

أعرف طفلا يغرق في البكاء أحياناً مدة قد لاتقل عن دقيقة واحدة يتقلب لونه في خلالها من حمرة الى زرقة . وقد عجز الاطباء عن شفائه فهل تعرفون علاجاً ناجعاً له ؟ وهل تعتقدون ان علماء الارواح يستطيعون شفاءه ؟

(الهلال) هذا عرض من أعراض التشنج الذي يجدر بكم استشارة طبيب اخصائي بشأنه . واذا أهملتموه فقد يصبح مزمناً ويتحول الى المرض المعروف برقصة « سان جي » أو رقصة كوريا وكثيراً ما ينفع الماء البارد والاستحمام به في هذه الحالات في تخفيف وطأة التشنج عن الطفل . وعلى كل يجب مراعاة شروط التغذية والراحة مع تجنب ازعاجه ومماكسته . أما علماء الارواح فلا حيلة لهم فيه

درجة حرارة الشموس

(الاسكندرية ــ مصر) ن . م

ما هي أقصى درجات حرارة الشموس غير شمسنا ؟

(الهلال) بعض الشموس البعيدة ، ولا سيما المعروفة بالنجوم البيضاء ، هي ذات حرارة لا يستطيع عقل الانسان ان يتصورها ، اذ تبلغ في بعض الاحيان خمسين الف درجة بمقياس فهرنهيت على سطح النجم لا في باطنه . ومن مقتضى حرارة كهذه انه لو دنت منها كرتنا الارضية حتى أصبحت على بعد مليون ميل منها (أي ثلاثة أضعاف بعد القمر عن الارض) لصهرت الكرة في الحال هي وكل ما عليها من جماد ونبات وحيوان وتحولت غازاً في طرفة عين !

المحبة الصادقة

(كوماسي ــ الشاطىء الذهبي) جبرائيل ميلاد

هل يمكن ان توجد محبة حقيقية خالصة ليس أساسها محبة الذات ؟

(الهلال) محبة الذات هي أساس كل حب . ومع ذلك فقد يوجد الحب مجرداً منها . وفي الواقع ان المحب كثيراً ما يضحي بذاته في سبيل محبوبته . والتضحية هي أقصى محنة يختبر بها الحبيب ومنها يعلم هل حبه خالص أم هو مشوب بحب الذات

بدء العالم ونهايته

(كوماسي ــ الشاطىء الذهبي) ومنه

على أي شيء نعول في كلامنا على بداءة العالم ونهايته ــ على الدين أم على العلم ؟

(الهلال) العلم الصحيح والدين الصحيح لايختلفان في شيء . فاذا وجد بينهما خلاف فانه يكون في الظاهر فقط . أما تاريخ خلق العالم كما جاء في الكتب المنزلة فلا يختلف عن أحدث النظريات العلمية الا في أمور تفصيلية ليس لها شأن يذكر . وأما نهاية العالم فان الكتب الدينية لا تصفها الا وصفاً

رمزيا ولا تشير اليها الا اشارة مقتضبة . والعلم لا يستطيع ان يبدي بشأنها رأياً قاطعاً ، وان كانت النظريات العلمية بصدد نهاية العالم كثيرة متعددة (ارجع الى مقالة نهاية العالم المنشورة في الجزء الماضي من الهلال)

الشلل والفالج

(العياط — مصر) محمد علي

ما هي أحدث الطرق لمعالجة الشلل والفالج وعطب جهاز النطق ؟

(الهلال) الشلل والفالج أنواع كثيرة لا يتسع هذا المجال لشرحها . فهنالك الشلل النصفي والشلل العام والشلل المحيطي والشلل العضلي التضخمي والشلل الدماغي والشلل الارتجافي المعروف أيضاً بمرض باركنسون ، وشلل اللسان وجهاز النطق وهلم جراً . وقد ينشأ هذا المرض عن أسباب كثيرة كالزهري المزمن مثلا وكالذعر والخوف وشدة الاستياء والخيبة وكثرة التفكير والاضطراب العقلي والاجهاد وقلة النوم والمعيشة غير المنتظمة وشدة الضغط الدموي وما الى ذلك من الاسباب التي يتعذر حصرها . ولا حاجة الى القول بأن طرق المعالجة تختلف باختلاف أنواع الشلل . فالشلل العام الناشئ عن الزهري مثلا يعالج اليوم بطريقة غريبة وهي ان تلقيح المصاب بميكروبات الملاريا بقصد احداث حمى ذات درجة عالية فيه تقتل ميكروبات الشلل . وقد استنبط أحد الاطباء الاميركيين في السنة الماضية جهازاً كهربائياً يستعاض به عن ميكروبات الملاريا ويحدث في العليل درجة عالية من الحرارة . والشلل النصفي يعالج بالفصد تخفيفاً للضغط الدموي الواقع على الدماغ مع استعمال بعض العقاقير والمسكنات . وعلى كل يجب الالتجاء دائماً الى طبيب اخصائي

لاطالة القامة

(شبرا — مصر) عبد الله يوسف عبد الله

هل لكم ان تدلونا على عنوان معهد من المعاهد التي تعنى باطالة القامة وتنمية الجسم ونستطيع مخاطبته باللغة الانجليزية ؟

(الهلال) لا نعرف معهداً كهذا . والاختبار يعلمنا ان المعاهد التي من هذا القبيل قلما تصدق فيما تدعيه . على ان العلم قد أثبت ان طول القامة وقصرها ناشئان عن افراز احدى الغدد التي في جسم الانسان (الغدة الدرقية) فاذا كان افراز هذه الغدة غير منتظم طال الجسم أو قصر . وفي استطاعة بعض الاطباء الجراحين اصلاح هذه الغدة ليكون افرازها منتظماً فيطول الجسم أو يقصر حسب الطلب . على ان هذه العمليات الجراحية قد لا تخلو من خطر

تأثير اخلاق الوالدين في الجنين

(ولشر — الولايات المتحدة) ن . ب

هل لأخلاق الوالدين تأثير في الجنين ، وهل صحيح أن الجنين يولد أزرق الجسم لاتصاف والديه بالحقد والضغينة وضيق الخلق وما الى ذلك من الصفات المكروهة ؟

(الهلال) كثيراً ما يرث الطفل أخلاق والديه وكثيراً ما يقتبس اخلاقهما بتقليدهما والاقتداء بهما . كما ان بعض الاولاد يشبون على طباع واخلاق تخالف المشهور عن والديهم . وهذا دليل على ان من الاخلاق ما هو وراثي ومنها ما هو اكتسابي . أما القول بان الجنين يولد ازرق الجسم لاتصاف والديه بالحقد والضغينة وضيق الخلق وما الى ذلك فمن الاعتقادات التي لا تستند الى اساس علمي

ظهور الحياة

(القاهرة — مصر) أحمد الشركين

هل عرف العلماء الزمن الذي ظهرت فيه الحياة على الكرة الارضية ؟

(الهلال) لم يهتدوا الى ذلك حتى الآن . الا ان أكثرهم يزعمون ان الحياة ظهرت على الارض منذ نحو الف وستمائة مليون سنة . ولهم في ذلك نظريات وتعليلات لا يتسع لها هذا المجال . وغني عن البيان ان الحياة عند أول ظهورها على الارض كانت خلايا بسيطة هي أحط أشكال الكائنات الحية التي يمكن وجودها وقد نشأت وتطورت طبقاً لناموس النشوء والارتقاء

مَنْ هو المثقّف ...؟

ثلاثة آراء لثلاثة علماء

الدكتور طه حسين

تأخذنا «الهلال» من حين الى حين بهذا الامتحان الذى تفرضه على قرائها وأصدقائها فرضاً، فهى مرة تسأل عما ينقص النهضة الأدبية، ومرة تسأل عن ضرورة إحياء الأدب العربي، ومرة تسأل عن الرجل المثقف من هو؟ وماذا عسى أن يكون؟ ونحن نستجيب للهلال، راضين مغتبطين لأننا مطمئنون الى أن الهلال لا تريد بنا إلا خيراً، ولأننا طامعون في أن تكون عاقبة الامتحان حسنة محمودة تكفل لنا الفوز أو بعض الفوز، فلنؤد امتحان الهلال في أمر الثقافة والمثقفين كما أدينا امتحان الهلال فى غير هذا الامر. ولكن الامتحان في هذه المرة عسير، فليس من السهل ولا من الهين أن تظفر للرجل المثقف بتعريف جامع مانع، كما يقول أصحاب المنطق، لأن الرجال المثقفين يختلفون فيما بينهم اختلافاً عظيماً، يختلفون في طبيعة الثقافة وفي درجتها، فهنالك المثقف في الأدب، وهنالك المثقف في العلم، وهنالك المثقف فى الفن، وكل واحد من هؤلاء يمكن أن يكون عظيم الحظ من ثقافته كما يمكن أن يكون متوسط الحظ، أو قليله. وما أحسب أن الهلال تقصد الى هذا النحو من الثقافة الخاصة، ولا الى هذا الضرب من المثقفين، أنما تقصد الهلال الى هذه الثقافة العامة التي يشترك فيها أكبر عدد ممكن من الناس، ويلتقي فيها أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب أو من أبناء الانسان. وهنا يصعب الجواب، ويشق التعريف. ولولا أنى أخشى أن تظن الهلال بى الدعابة أو المزاح، لقلت إن الرجل المثقف عندنا هو الذى يستطيع أن يقرأ الهلال، ويستطيع ان قرأها أن يفهمها، ويتذوق ما فيها، ولا يستطيع ان فهم وذاق ان يهمل قراءة الهلال او يقصر في المواظبة عليها. ذلك ان في الهلال ألواناً مختلفة من المعرفة، بعضها يتصل بالعلم، وبعضها يتصل بالآداب، وبعضها يتصل بالفن، وبعضها يتصل بشئون الحياة الاجتماعية على اختلاف فروعها. وكل هذا قد كتب في يسر وسهولة، وقدم الى الناس مع ملاحظة ما بينهم من اختلاف الذوق وتفاوته، ومن تباين حظوظهم من الالمام بكل هذه

الموضوعات التي تطرق فى الهلال . فاذا استطاع قارىء من القراء ان ينظر في جزء من أجزاء الهلال فلا يصعب عليه منه شيء ولا يلتوي عليه منه موضوع . وإذا استطاع أن يحب هذا النوع من الكتابة ويتحدث بما فهم منه ويواظب على قراءته ، فهو من غير شك الرجل الذي ظفر بالحظ المعقول من هذه الثقافة الوسطى التى تكون الرأى العام في العلم والأدب وفي الفن والفلسفة ، وفي غير ذلك مما يتصل بالملكات الانسانية الراقية

وأخص ما تمتاز الثقافة به او ما يمتاز به هذا النوع من الثقافة عندي أمران :

الأول أنها ليست مقصورة على لون من ألوان المعرفة دون لون ، وانما هى تتناول كل ما يتاح لأوساط الناس ان يعرفوه ويتذوقوه

والثانى انها ليست جامدة ولا راكدة ولا واقفة عند حد وانما هى متصلة نشطة متجددة تجري فى اطراد كما يجرى النهر أو كما يجرى الغدير . فليس مثقفاً هذا الرجل الذى أحصى طائفة من الآراء والخواطر والمعلومات فوعاها وحفظها في قلبه حفظاً ، لا يجددها ، ولا يضيف اليها . إنما هو رجل جامد راكد ، إن صح ان يشبه عقله بشيء فهو مشبه بالماء الراكد الذى لا يتحرك ولا يتجدد والذي هو خليق أن يفسده هذا السكون

إنما الرجل المثقف هو الذى لا يقف بعلمه واطلاعه عند حد محدود ، ولكنه يضيف اليها ما يستطيع من وقت إلى وقت ، يقرأ ثلاث ما تذيعه الصحف ، وما تنشره المجلات ، وما تتحدث به هذه الكتب اليسيرة الى الذين لا يختصون ، ولا يقفون جهودهم على ناحية معينة من نواحي الحياة العقلية . الرجل المثقف هو كما قلت من يستطيع ان يقرأ الهلال وامثال الهلال من المجلات وان يتابع قراءتها عن فهم وذوق وشوق متصل

الاستاذ ارثر اربرى

الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

من القاموس المحيط للفيروزبادي :

«ثَقُفَ ككَرُم وفرح ثَقْفاً وثَقَفاً وثقافة صار حاذقاً خفيفاً فطناً ، وثَقَّفه تثقيفاً سوّاه»

وأما الآن فيستعمل هذا اللفظ بمعنى العبارة الانجليزية Education كما جاء في القاموس العصرى تأليف الياس انطون الياس

سألتنى « الهلال » ان اجيب عن هذا السؤال وهى مسألة واسعة تحتاج الى الاستقصاء

الدقيق والتفكير العميق لا يمكن الرد الكامل عليها في هذه المقالة الوجيزة

ينقسم التثقيف قسمين : عقلى وروحاني . فأما التثقيف العقلي فيمكن أن يكون كما جاء في الحديث : « اطلبوا العلم ولو بالصين » وأيضاً : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . وأما التثقيف الروحاني ، فهو كما جاء في الحديث : « من عرف نفسه فقد عرف ربه »

على أن الانسان بدون ريب خُلق على أحسن صورة وأكمل هيئة . ولكن لما نزل من عالم الغيب ودخل فى عالم العيان ـ وذلك بالولادة ـ جنّه سحاب من النسيان كما زعم أفلاطون اليوناني فى كتابه المسمّى بالفيدون وكما وصف الشاعر الانجليزى Wordsworth في قصيدته Intimations of Immortality in Childhood فمن يقبل هذا الرأى يلزم أن يعتقد أن غرض المثقّف هو أن يوقظ روح الطفل من نومه الطويل ويساعده في قصده الى مطمعه الجليل ، لا ان يكرر دروساً لا قيمة لها أو يعلمه علوماً لا تنسب الى الحقيقة . ضلّ من يظن أن العقل شبيه بالجسم يجب أن يتكسى بكسوة مقترضة تستر عريةً مخجلةً . إن عناصر التثقيف العقلي هى النحو والحساب والعلم والتاريخ ، ولكن تحتاج إلى الاحتراس والتبصر في استخدامها .

أما عناصر التثقيف الروحاني فهي الفلسفة والشعر والفنون من الناحية الانسانية ، والاجتهاد والزهد والورع من الناحية الالهية . وهذا التثقيف ليس مما ينفع فيه التعليم والتدريس ولكن هو عمل يقتضى الهداية والارشاد

من هو المثقف تثقيفاً تاماً ؟ هو الذى يظهر في حياته اليومية ومعاملاته الاعتيادية فطنةً حاذقة تفرق بين الحق والباطل وتميز بين المخلص والمنافق ، ونفساً كريمة تصفح عن عيوب قرينه وترغب في الوصول الى المثل الافضل والكمال الفائق

الدكتور على مصطفى مشرفة

وكيل كلية العلوم بالجامعة المصرية

طلبت مني « الهلال » أن أشترك فى الفتوى عمّن هو المثقف . وأريد أن يكون واضحاً فى أذهان القراء الكرام بادىء ذى بدء أن فتواي في ذلك فتوى المجتهد المبتدىء ، فليست الثقافة من الامور التى تتناولها المعادلات الرياضية أو التي يمكن قياسها بالأجهزة العلمية حتى يتيسر لمثلى أن يتعرض لبحثها من الناحية الكمية . وإنما هى مسألة روحية تتصل بالشخصية من ناحية غير ناحية التفكير والمشاهدة

« من هو المثقف ؟ » سؤال سهل طرحه، صعبٌ جوابه . ولعل خير جواب أستطيع أن أصوغه أنه شخص تتوافر فيه صفات نفسية خاصة . فالثقافة في نظري مجموعة صفات تقوم بالنفس، وليست طائفة من المظاهر أو التصرفات التي يمكن أن نشاهدها في المرء . إلى هذا الحد أستطيع أن أعرف المثقَّف . و إذن فما هذه الصفات ؟ وكيف السبيل الى التعرف عليها ؟ في رأيي أن هذه الصفات تتجمع كلها حول صفة واحدة أساسية هي ما يصح أن أسميه الحساسية النفسية . فنفس المثقف تمتاز بحساسية عالية تجعلها تشعر وتتأثر بطائفة من المعاني لاتتأثر بها (أولا تكاد تتأثر بها) النفوس المصنوعة من الصلصال العادي . ولأضرب لذلك مثلاً : رَجُلين رأيا غروب الشمس، أحدهما لم يَرَ إلا أن الشمس تغرب، أما الآخر فرأى جمال أنوارها وتناسق ألوانها، فكان لذلك أثر بليغ في نفسه تملك عليها مشاعرها . فكأنما نفس هذا الأخير مرآة صافية تعكس جمال الطبيعة ، وهي في الوقت نفسه جهاز حساس يتأثر بهذا الجمال ويقدره ويحرص عليه الحرص كله . أما نفس الاول فأداة جامدة لا حساسية فيها . حول هذه الصفة الأساسية، صفة الحساسية، تتجمع صفات أخرى أهمها في نظري ذلك الشعور بالجمال الذي أشرت اليه ، فالشعور بالحق، فالشعور بالتناسق . أما الشعور بالحق فشعور داخلي تمتاز به النفوس المثقفة من شأنه أن يجعلها تحس بوجود الحق وتميل اليه وتريد أن تحوط نفسها به وأن تطلبه أنّى وُجد . وأما الشعور بالتناسق فصفة أساسية من صفات المثقف بها يدرك ويقدر تناسق الطبيعة ويعمل على محاكاته في حياته الخاصة . فأنت تجد فكره منسقاً ومنزله منسقاً وعمله مُنسقاً . ولا أقصد بالتناسق الزخرف السطحي ، وإنما ذلك النظام الباطني الذي تنعكس فيه الشخصية القوية السليمة . هذه الصفات النفسية التي حاولت أن أصفها يظهر أثرها في أفعال الشخص وتصرفاته ، فنستدل من هذه الافعال على وجود هذه الصفات فى نفس المثقف . وإياك إياك أيها القارىء الكريم أن تغرك المظاهر الخارجية للشخص عن أن تبحث عن مصدر هذه المظاهر من صفات متأصلة في النفس ، فتكون كمن غره الخيال عن الحقيقة أو صدفه القشر عن اللب . لا أريد أن أزيد على ما تقدم إلا كلمة عن علاقة العلم بالثقافة . فالعلم أو المعرفة التى يتلقنها المرء فى حياته وكذلك سائر أنواع الخبرة التى يحصل عليها هي بمثابة الغذاء الروحي لثقافته بها تنمو الثقافة وتترعرع . فحيثما وجدت الصفات النفسية التى ذكرتها كان التعليم مساعداً على ظهورها واكتمالها وبلوغها أشدها . أما اذا غابت هذه الصفات فلا ثقافة ولو أحاط المرء بعلم الاولين والآخرين

على مصطفى مشرفة

في فلسفة اللذة وفلسفة القوة

بقلم الامير مصطفى الشهابي

تطلع علينا الصحف بين آن وآخر بأنباء تثلج صدرنا وتكشف غمنا وتستثير إعجابنا ، عن أناس عاهدوا الله والنفس على خدمة الانسان و إزالة همومه وتخفيف آلامه ، بأعمال البر والاحسان والرأفة والحنان ، في هذا المجتمع البشري حيث القلوب قست ، والأكباد غلظت والعواطف جمدت ، وحيث صار المرء مادياً يقلد الطبيعة في قسوتها على الضعيف وإنحائها على المسكين . ونقرأ في جملة ما نقرأ أنباء الأجواد والغُيُر القائمين على افتتاح المستشفيات للمرضى والمدارس للصم وللعميان ، والملاجىء للأيتام والشيوخ ، فنسر لهذه الأنباء ونقول : إذا كان عطف الإنسان على الإنسان هو الدافع لهذه الأعمال العظيمة فأي قيمة تبقى لآراء « نتشه » و « هوب » و « لاروشفوكلد » وأضرابهم من قساة القلوب أصحاب فلسفة القوة واللذة والأنانية أي فلسفة التجرد عما نسميه أخلاقاً ؟

يدعي أصحاب فلسفة اللذات أن كل عمل يأتيه الانسان بإرادته لا دافع له سوى لذة يتوخاها أو كدورة يتقيها ، وان تحري اللذات بعد تعقلها وتدبرها مطلب يصبو اليه كل حي على وجه هذه الأرض ، وأن غاية اللذة السعادة ، وهي رغبة المرء العليا و بغيته المثلى . ويرون أنه مادام الأمر كذلك فلا سبيل الى العمل بقواعد الاخلاق الموضوعة ، وأنه يجدر بالمرء اطراح هذه القواعد جانباً لأنه ليس فى الإنسان ، على رأيهم ، عطف على الغير ولا حب حقيقي ولا عمل خيري مجرد عن الاغراض الشخصية

ويرى نتشه الالمانى أن الدافع لاعمال الانسان هو شيء غير اجتلاب اللذة والسعادة ، وأن غاية كل حي ، بل كل ذرة في المخلوق الحى ، هو تزييد قوته وتكثير منته وتمكين أيده وسلطته . وما السرور واللذة والحزن والألم إلا نتائج عن ازدياد القوة أو نقصانها . ويتضح من ذلك أن فلسفة نتشه ترتكز على القوة ، فهي لديه الباعث الوحيد لاعمال الانسان

وتجر هاتان الفلسفتان وراءهما عدداً لا يحصي من الآراء السقيمة والافكار السخيفة والنصائح القاسية مما لامبرر له سوى الأساس الذي قامت هاتان الفلسفتان عليه ، وهو إنكار الرأفة والحنان والعطف والحب المجرد في الانسان . فاذا بكيت على فقيد فانما غايتك أن

يتحدث الناس عن رقة الشمائل فيك ، أو أن يرثوا لك أو أن يبكوا عليك في حينه أو ان يكفوا عن التساؤل وعن قولهم لماذا لم تبك ؟ . . وإذا احسنت الى الناس فما ذلك إلا لانك ترقب منهم ان يجزوك الحسنة بعشرة أمثالها . وإذا عملت الخير فانما تبتغى بعملك التسلط على الناس . وإذا شكرت لى يداً عليك فلأنك تستجديني يداً اخرى . وإذا عطفت المرأة على مريض ورعته بعنايتها فما الدافع لها إلا الزهو والخيلاء والتباهي بقوتها و بصحتها و إن كان المريض الذي تتعهده يئن على فراش الموت ! . . وما الرأفة والحنان إلا انانية وخبث ، او هما ضعف وجبن وخور فى قوة الارادة وفي مضاء العزيمة . وليس بناء المستشفيات والملاجىء سوى تبذير وتبديد للمال . فالمرضى والاعلاء والعاجزون واضرابهم يجب ان يهلكوا حتى يصفو الجو للأصحاء الاقوياء فيحسنوا إنفاق المال في تقديم نوع الانسان لا في المستشفيات والملاجىء !.. وأى سخافة إذن دفعت القائمين على مستشفى المؤاساة في الاسكندرية ان يقدموا على عملهم هذا فيبددوا المال في سبيل من لا يستحقونه . ومن علمهم عمل الخير ومن انبأهم ان الضعيف له حق في الحياة وان آلام بعض البشر يجب ان تسكن . ولا شك انهم ممن خولط فى عقلهم وانهم لا يبتغون من وراء سعيهم هذا إلا ابتزاز الاموال من البلهاء او التبجح امام الناس بأنهم ذوو اقدام ومضاء اومقاضاة الحكومة لكى تعلى منزلتهم في وظائفها ،شأنهم في هذا شأن معتوهى الجمعيات الخيرية في البلاد السائرة ! ... وكيف يذهب مثلى الى القاهرة فيلفت نظره خلوها من المتسولين فيسأل عنهم فيقال له انهم اصبحوا في ملاجىء ومشاغل انشأتها الحكومة لهم . فما للحكومة والملاجىء تبنيها لأناس حكمت عليهم الطبيعة بالهلاك ! وقد كان من واجب الحكومة ألا تفقر بيت المال بانفاق دراهمه عبثاً في سبل ملتوية معوجة كهذه السبل ! ومن يصدق ان للحكومة غاية انسانية في عملها هذا ؟ او ليست غايتها الوحيدة من إنشاء هذه الملاجىء إبعاد المتسولين عن أعين الناس ولا سيما الأجانب منهم حتى لا يشمئزوا من قذارتهم أو من تشوه أعضائهم ؟ فسيان إذن تجاه هذه الغاية أوضعت الحكومة هؤلاء المتسولين في ملاجىء ومشاغل أم وضعتهم فى مهالك ومعاطب . بل الأماكن الثانية هى ما يجب وضعهم فيها لكي تتخلص البشرية منهم عاجلاً لا آجلاً ! . . .

هذه هى آراء أصحاب فلسفة اللذة وفلسفة القوة . وهى كما ترى آراء قسوة و إجرام وخروج على قواعد الاخلاق القويمة التي يسير عليها الناس فى صلات بعضهم ببعض . وأساسها كما قلت إنكار وجود العاطفة الانسانية مجردةً عن النفع الذاتي . وهذا هو الخطأ البين لأن العطف على

الغير شيء غريزي في الحيوان والانسان معاً . فالانسان كثيراً ما يضحي نفسه في سبيل ذريته ، ولا شك أنه اذا أقدم على ذلك فهو لا يتوخى من عمله نفعاً ذاتياً . والكلب لا يفكر في نفعه وفي مستقبله عند ما يحنو على صاحبه ويخلص له . والأم تعطف على ابنها حتى اذا رأته سعيداً سعدت معه ، وليست غايتها من إسعاده أن تسعد هي ، بل أن يسعد هو فتكون سعادتها لاحقة ونتيجة لسعادته. والطفل إذا رآك تبكي بكى ، ويكون بكاؤه غريزياً ميكانيكياً بادىء بدء ، ثم اذا كبر قليلاً يصير بكاؤه حسياً عصبياً منبعثاً عن العطف على من يبكي كأن تكون أمه مثلاً . ومتى كبر الولد وأخذ يعقل الأشياء يصير بكاؤه عاطفة حقيقية مصدرها العقل لا الحس والاعصاب وحدها

يتضح من هذه الامثال ان المرء يعيش لغيره مثلما يعيش لنفسه . ورب امرىء يعيش لغيره اكثر من معيشته لنفسه ، وآخر يريد لغيره اكثر مما يريد لنفسه . وما الانسان سوى جزء من الطبيعة فليس بوسعه أن يعمل لنفسه وحدها بل لا بد له من العمل للجمعية البشرية أيضاً لانه جزء منها ولانه في حاجة اليها . ولا معنى للحياة ولا قيمة لها اذا اضطررنا أن نعيش في عزلة عن الاسرة وعن الجماعة . وقد يفضل الرجل الانتحار على أن يعيش منفرداً عن الناس . والدليل على ذلك أن السجن اكبر عقاب تعافه النفوس لأنه يجبر السجين على اعتزال الناس والكف عن غشيان مجتمعاتهم فضلاً عن أنه يسلب السجين حريته

والخلاصة أنه ما دام للانسان حس ودماغ وعقل فحياته متصلة بحياة غيره . وعطفه على الغير مجرداً عن الأنانية شيء ملموس لا سبيل الى نكرانه . ولهذا ليست آمال الانسان وقواعده الخلقية سوى حقائق يجب العمل بها وان خالفت سير الطبيعة أحياناً . فالطبيعة اذا قست على الضعيف وحكمت بابادته وبقاء الاصلح فليس ما يمنع العقل البشرى (وهو جزء من الطبيعة الشاملة) ان يعطف على الضعيف وأن ييسر له اسباب الحياة كلما كان ذلك فى مقدوره . ومن الخطأ الاعتقاد بأن ما نسميه الطبيعة هى كل شيء في الكون .فأفكارنا جزء من هذا الكون . وهذه الافكار قوى عظيمة يجب أن يحسب لها حساب لاننا كثيراً ماتنزع بها لمحاربة الطبيعة نفسها اذا اشتطت وجارت علينا في احكامها القاسية . لكننا اذا طرحنا قوانا الفكرية جانباً وتجردنا عن عاطفة الحب والحنان والخير وجارينا الطبيعة في اعمالها القاسية الحمقاء ، فسرعان ما يفسد مجتمعنا وتجمد عقولنا وتجرنا الانانية الى أسوأ العواقب

مصطفى الشهابي

احمد جمال باشا

وزير البحرية العثمانية وقائد الجيش الرابع

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

لاشيء يصعب على الطبع مثل أن يقف المرء معتذراً أو مدافعاً وهو يطلب حقاً جوهرياً ، ولاسيما إذا كان هذا الحق عاماً يتعلق بحياة أمة اومماتها . وكيف يجوز لنا ونحن نذوب فى سبيل الحرية أن نشعر بالحاجة الى ما يبرر عملنا فى مصارعة الاستعباد ؟ ويزداد هذا الاستنكار متى علمنا أن الذين نريد أن نعتذر عن مقاومتنا لهم — وهم سفكة الاتحاديين — لايختلفون فى شيء عن أحط المستعمرين إلا فى الجرأة على ارتكاب أفظع الجرائم وسفك أطهر الدماء باسم شيء دعوه خلافة كان قومهم أول الهاتكين لمحارمه الطامسين لمعالمه . وقد لا يجد المتتبع رهطاً استغل العقيدة الدينية البريئة للمصالح السياسية المجرمة استغلال طغمة الاتحاديين الترك لها

نريد بادىء ذى بدء ان يعلم المسلمون فى المشارق والمغارب قبل غيرهم بمنتهى الصراحة أن العرب فى المملكة العثمانية طلبوا استقلالهم بملء حريتهم واختيارهم منذ ما كشر لهم الاتحاديون الترك عن نابهم وأخذوا يحاولون تتريكهم من غير هوادة ، وهم إلى هذه الساعة يقاومون كل مستعمر بكل وسيلة، ولم تزدهم الايام إلا شدة وصلابة . وكلما كان الخصم أثقل وطأة كانوا أمضى عزيمة كما دلت الحوادث فى العراق وسورية والثورات التى قامت فى وجه انكلترا وفرانسة منذ انتهاء الحرب العالمية إلى اليوم . وفى عقيدتى أن الذى يرتضى الاستعباد لانه مطلى بطلاء العقيدة الدينية الوهاجة أو الذى ينجر الى مسلخ الاستعمار برسن يدعى القابضون عليه أنه مدلى من السماء هو من الغفلة والغباوة بحيث لايستحق أن يكون من أبناء الحرية

العقيدة الدينية رابطة حسنة وصالحة ويجوز أن يجتمع الناس حولها للخير . أما إذا أريد بها ان تكون واسطة لاستعباد الناس او شركا لاصطياد سلامة صدورهم ، فانها تكون وبالا على أصحابها وأداة لنكبتهم . وأظن ان الارمن ودينهم النصرانية ، أدركوا بعد ويلات تشيب لها الولدان ان حماة النصرانية فى الشرق تخلوا عنهم فى كليكيا عند ما اقتضت مصالحهم السياسية ذلك

وإن آسف لشيء فأسفى ان يحتاج العرب فى نهضتهم وانتباههم من غفلتهم الى مظالم السفاحين من الاتحاديين الطورانيين واذنابهم ! فحب الاستقلال يجب ان يكون مطلباً قائماً بنفسه ، ولو أسرع العرب إلى النهوض كما اسرع غيرهم ولم يغتروا بالاوهام وأنواع التدجيل القروسطى لكانوا عند اعلان

الحرب العامة مجهزين بالوسائل التى تمكنهم من الحصول على استقلالهم التام برغم أنف المستعمرين وما ابتدعوه من حديث الانتداب ومهازله ومآسيه

ولا مراء أن فى مقدمة من استغل العقيدة الدينية على هذا النمط هو الرجل الذى نعنى بسرد طرف من ترجمته ،اما عرفناه بنفسنا أوجمعناه أثناء الحرب العامة وبعدها ممن عرفوه شخصياً أوكانوا زملاءه فى المدرسة أو الجيش

☆☆☆

هاجرت أسرة احمد جمال من بلاد البلغار فى جملة من هاجر من الاسر الاسلامية ونزلت فى الاستانة بحى يدعى « آق سراى » حيث اكتسب الولد الناشىء دروسه الاولى فى الازقة بين دور « يشيل طولمبه » وهى من الاحياء الاعتيادية الحقيرة

وفى الاستانة أدخله والده المدرسة العسكرية فاظهر فيها الشىء الكثير من الحيلة والدهاء بحيث خرج منها رئيساً فى سلك اركان الحرب . وذكر الذين خالطوه يومئذ أنه كان شاحب اللون نحيف الجسم يظنه من نظر اليه انه مصاب بعاهة خبيثة

وعقب خروجه من المدرسة عين فى الفيلق الثالث فى سلانيك مع المشير « حسين فوزى باشا » المشهور ، لكن رئيس أركان الحرب «فريد باشا» لم يطقه ولا احتمل أخلاقه وما جبل عليه من الحيلة والدسيسة ، فارسله الى «سيروز» حيث يذكره الاهلون بأقبح الاعمال التى اتى بها ، الى ان وقع فى ايدى ديوان الحرب لصفاح سمن اتهم بها كانت من ملك الجيش ، ولكنه استطاع بفرط حيلته ان ينجو من الطرد . ثم ارتقى بعد حين الى رتبة «قول أغاسى» وعين مفتشاً للطرق العسكرية فى «جمعه بالا» و « ستروميجه » وغير ذلك من المحلات القريبة من « مناستر » وهنا تعرف بالعصابات البلغارية كعصابة « صانداسكى » المشهورة واقتبس منها الجرأة واعمال الارهاب بصورة منظمة جعلته « كومتجيا » من الطراز الاول

اخبرنى المرحوم كامل بك الصلح وكان قاضياً فى « مناستر » فى تلك الايام قال : « لا ازال أذكر احمد جمال بك « الاق سرايلى » والدعوى التى اقيمت عليه لاحتياله بقبض راتبه مكرراً من ثلاثة توابير مختلفة فى آن واحد »

وفى مناستر هذه تعرف احمد جمال بك بطاهر بك مدير المكتب الاعدادى العسكرى وأحد مؤسسى جمعية الاتحاد والترقى وكانت هذه المعرفة سبب اتصاله بفتيان الترك

وبعد حين عاد الى « سلانيك » حيث عقد اواصر الصداقة بالدونمة وهم فرقة من اليهود ادعوا الاسلام فادخلوه فى جمعية الماسون ، لكن خروجه على قواعد الماسون الاساسية واتخاذه اياها آلة للغش حملت اللوج على طرده طرداً علنيا فى جلسة حضرها الضابط الذى نقلنا عنه هذه الرواية وذلك قبل الدستور

ولما بدرت بوادر الثورة سنة ١٩٠٨ وظهر على المسرح نيازى وانور وفتحى وقره صو (كراسو) وغيرهم كان المترجم فى سلانيك فانضم اليهم . ونقل لى ضابط كان فى « مكدونيا » يومئذ ان حزب الاتحاد والترقى قرر اغتيال «شمسى باشا» فوقعت القرعة على احمد جمال بك ليقوم بالمهمة ولكنه حاولها مرتين فلم يفلح لان نفسه جبنت ، مما حمل المركز العام على انتقاء فدائى غيره

وكان المركز العام قدحرم على القائمين بالعمل قبول الوظائف ، فلماعرضت متصرفية « اسكدار » على المترجم وكان برتبة قائد قبلها ، فنفر بعمله هذا الاميرالاى صادق بك المشهور واحدث فى نفسه ريبة

وكانت اسكدار مهبط أتباع عبد الحميد فعرفهم بالاقامة بينهم واتخذ من التقارير التى كانوا يتقربون بها الى السلطان المخلوع ذريعة الى تخويفهم وابتزاز اموالهم . وكثيراً ما كانت تنشر الاذاعات فى الصحف يومئذ عن اتخاذ القرارات بنشر هذه التقارير على الملأ ثم لا تلبث ان يسكت عنها

وعقب مذبحة الارمن فى اطنه سنة ١٩٠٩ عين والياً عليها فسافر مع الزبانية الذين فى خدمته فى « اسكدار » ولم يأل جهداً فى اكتساب مرضاة الارمن واستجلابهم . وهنا تعرف بمدام « كورتى » النمسوية التى شغف بها وجعلته طوع بنانها ، وكان لها شأن كما بلغنى بعد خروجى من سورية فى انقاذ بعض المسجونين فى الديوان العرفى فى « عاليه »

ولما حمل الاتحاديون على ناظم باشا الحر المشهور وعزلوه من ولاية بغداد انتدبوا احمد جمال ليحل محله ، فسافر مع اعوانه ، وما وطىء بغداد حتى أخذ يعزل موظفيها الكبار لغيرما علة وينصب هؤلاء الاعوان فى مكانهم ، فتحولت الولاية كلها الى عصابة تأتمر بأمره وتنتهى بنواهيه . ولولم يكن السيد رضا باشا الركابى الدمشقى قائداً يومئذ فى العراق لحدثت فتنة فى بغداد على أثر دخول السفاح اليها . لكن لم يطل مقامه فى عاصمة الرشيد ، بل خرج منها بسقوط الوزارة الاتحادية فى الاستانة وهو لا يلوى على شىء . فمر بحلب ومن ثم نزل بصوفر فى فندقها الكبير فقضى فيه أياماً تعرف فيها ببعض أبناء البلاد ، وبلغ القسطنطينية فى أوائل الحرب البلقانية ، فكان فى مقدمة المهوشين الذين هاجوا الخدمة والحماليين وبعض فتيان المدارس على وزارة الغازى مختار باشا يطلبون منها شهر الحرب على البلغار ، كل ذلك انتقاماً من الائتلافيين واحراجاً لهم ولو أدت الحرب الى ضياع الملك

ومن العجيب أن الاتحاديين وقد سببوا الثورة الالبانية فى تلك الايام المضطربة بمحاولتهم نزع السلاح من الالبانيين وتطبيق قانون « الا كثروا » عليهم ومنعهم من اتخاذ الحروف اللاتينية أساساً لهجائهم ، ادعوا — كما هى العادة — أن خصومهم الائتلافيين كانوا سبباً لها ولما جرته وراءها من النكبات البلقانية المروعة . على ان الاتحاديين أنفسهم انتخبوا فيما بعد لجنة من أساتذة « دار الفنون » لاتخاذ حروف الهجاء اللاتينية بدلا من العربية ، فاباحوا لأنفسهم ما عدوه خيانة فى غيرهم

تألفت الوزارة برياسة « كامل باشا » فى تلك الايام فتربع ناظم باشا على دست وزارة الحربية فاغتاله الاتحاديون فى أوائل سنة ١٩١٣ والفوا وزارة « محمود شوكت باشا » وهو بغدادى والدته عربية فاروقية ووالده شركسى ، فادار دفة العمل بالاخلاص والحذاقة ولم يجار فتيان الطورانيين فى خططهم بما جعله حسكة فى حلوقهم وقذى فى عيونهم . لذلك لما حدثت المؤامرة على حياته كان أحمد جمال بك قائد الموقع فى الاستانة عارفا بتفرعاتها قبل حدوثها، كما صرح بذلك مراراً ، وانه لو شاء لقضى عليها فى المهد ، ولكن كرهه لمحمود شوكت باشا من جهة وحرصه على توريط الائتلافيين من جهة أخرى، حملاه على ترك الحبل على غارب القائمين بتلك المؤامرة من باب «ضرب سهماً فاصاب فريستين » بل قال مرافق محمود شوكت باشا لأحد أصدقائنا إنه شجعهم سراً على عملهم توريطا واستدراجاً

قتل محمود شوكت باشا فى سنة ١٩١٣ فخلا الجو للاتحاديين فقاموا باسم العدالة وانقاذ المملكة ينتقمون من جميع مخالفيهم ، وشمر احمد جمال عن ساعده فشنق نخبة من الرجال المعروفين، منهم الداماد « صالح باشا » صهر البيت السلطانى ونجل « خير الدين باشا » التونسى . ولم تبرد غلته من المخالفين بشرب الدماء فقط بل تحين تلك الفرصة للخلاص ممن بقى منهم حياً فنفى عدداً عظيما منهم أخرجهم من الاستانة بقضهم وقضيضهم وقبض على آخرين فالقاهم فى غياهب السجن

عقب هذه المجازر والمآسى سكون خفت فيه صوت الطاغية إلى أن حصل النفير العام و حشرت الدولة العثمانية نفسها فى الحرب الاوربية بجانب الجرمانيين . ولكن الاخبار التى انتشرت يومئذ — بخلاف ما ادعاه السفاح فيما بعد — تدل على أنه قاوم هذا الاشتراك

قال الدكتور « شتورمر » وهو الذى صرف السنتين الأوليين من الحرب العامة فى الاستانة يراسل جريدة « كولنش تزيتنغ » المشهورة فى كتابه صفحة ٢١٦ :

« وأود الآن أن أصف جمال باشا وصفاً موجزاً وهو الرجل الذى يعتقد الترك أنه سيلعب دوراً مهما فى السياسة التركية ... وكل من رأى هذا القائد — الذى وصفه ملقا وتزويراً أحد كتاب « برلينر تاجبلات » بأنه من أجمل رجال الترك — يعلم الكفاية من أمره . فوجهه مكتنز صغير وله لحية وعينان قاسيتان محتالتان . وهذه أوضح صفات وجهه الذي يميل عنه باستياء كل من تذكر دور السفاحين الذى مثله هذا الطاغية . . . ولا شك أن ميوله قبل الحرب كانت فرنسية بالمعنى الدارج وكان أيضا مخالفا لدخول تركيا الحرب فى جانب الجرمانيين . وبلغ به الحنق منتهاه لما ظهر الاسطول (المزعوم أنه تحت قيادته) تحت قيادة الاميرال الجرمانى لجون وبرسلو فى البحر الاسود برغم أنفه

« بيد ان الحرب لما أعلنت حقيقة كيف نفسه حالا للاحوال الجديدة الطارئة . فبدلا من أن

يقدم استعفاءه أضاف الى وظيفته البحرية قيادة الفيلق الموجه الى مصر ، لان أوضح صفات جمال باشا هي تلك الصفة القبيحة : الافتراس مع الطمع الشاذ ... والشيء الحقيقي في عامة مسلكه انما هو كرهه الشديد المعروف لجرمانيا وعداوته الشخصية لانور باشا صديقها . ومنشأ ذلك كله التنافس والشعور بالصغر النسبي . . . ولا شك ان نجاحه في الحصول على تمثيل دور في خارج الاستانة أهم من أدوار العمل في الحكومة المركزية هو طالع سيء في السياسة الجرمانية في الشرق الادنى . وجرت وزارة الحربية العثمانية في سياستها معه على إقصائه عن المركز للتخلص منه . وكل من خبر أخلاقه يتحقق على كل حال شيئا واحداً وهو أنه لايقف عند حد متى اقتضت سياسته الاشعبية الافتراصية ذلك حتى لو كان من لوازمها القيام في وجه الدولتين المركزيتين

« زار أمير مكة وحاشيته الكبيرة من العرب جمال باشا زيارة طويلة،وبديهي أن الوحشية التي أبداها في قتل أشراف العرب ورآها الامير بعينيه أثرت مباشرة في موقف أبيه . وستنتشر الحركة العربية حتما وستسير الهوينا على قدم ثابتة حتى تنتهيَ بانفصال الاقطار التي تتكلم العربية إلى حدود بلاد الكرد وشمالي سورية انفصالا تاما عن بلاد الترك . وان حركة الانفصال هذه التي حاول أن يخنقها جمال باشا في المهد في بحر من الدماء هي اليوم حقيقة من الحقائق الملموسة » انتهى

وقد سارت الحركة العربية الهوينا على قدم ثابتة كما تنبأ الدكتور (شتورمر) قبل انتهاء الحرب العالمية فتحرر الحجاز واليمن تحريراً تاماً ، وكاد العراق ينال بغيته ، وسورية ــ الشمالية والجنوبية ــ مجدة تجاهد جهاد الابطال لتحقيق الغرض الاسمى الذي من أجله سفك احمد جمال باشا وزبانيته ــ والجنرال غورو واخلافه ــ الدماء الطاهرة على تربتها . فلو كان عند الاتحاديين نظرة بعيدة فبدلا من أن يقابلوا صوت الحرية العربية بالاخفات ونصائح « لودندروف » بالاهمال ورجاء « فيصل » وأبيه بنصب المشانق ، بل قابلوا ذلك جميعاً بالاعتراف للعرب بحقهم في الحرية وبشركتهم في المملكة العثمانية ، لتأخرت هذه الثورة حتما ولاُخفق كل من رفع علمها يومئذ ، ولكن حكمة التاريخ بعيدة الغور . ولعل فظائع احمد جمال السفاح ورهطه من الظالمين هي سوط عذاب أصاب العرب جزاء غفلتهم ليعلموا ان الامة التي ترضى بالذل مهما كان نوعه ومهما اختلفت التوابل المقبلة التي تذر عليه ، لا تتمتع بالحصانة التي تمنع الشر عن أفرادها ، ولا يحق لها ان تطلب لها مقاما رفيعاً في القاعة التي تلتقي فيها الشعوب . . . والذي يزيد جنايات احمد جمال باشا قبحاً واستنكاراً خيانته لنفس المبدأ الاسلامي العثماني الذي زعم فيما بعد ان العرب عبثوا به ، فاتخذ من ذلك حجة كاذبة للتنكيل برجالاتهم والقضاء على بنيانهم بصورة تعيد الى الخاطر ذكريات من اتخذهم أئمة للاسترشاد امثال « هولاكو » و « جنكيز » و « تيمور » مما سنعرض له في العدد القادم

عبد الرحمن شهبندر

ليلة هادئة

بقلم الاستاذ المازنى

من لم يرض بالخوخ رضى بشرابه – مثل عامى لم أفهم معناه الا بعد أن وقع لى ما وقع فى الاسكندرية ، وكنت قد تعبت من العمل وأتلف أعصابى الجهد المتواصل ، ومللت هذه الحياة التى لا تتغير ولا يختلف فيها يوم عن يوم ، حتى ليمكن أن يعد العمر يوماً مكرراً، فقلت: أستريح أسبوعاً لعل الراحة تعيد النشاط وتجدد النفس وتجلو الصدأ ، وحملت حقيبة صغيرة وسافرت إلى الاسكندرية ، ونزلت فى فندق هادىء ، وقضيت بقية النهار فى سكون ودعة ، ولم أفتح كتاباً ولم أنظر فى صحيفة ، ولم ألق مخلوقا أعرفه ، ولم يكلمنى أحد من الناس ، فشعرت بسكينة لا عهد لى بها وطاب لى الفتور والخدر بعد الكد والعناء ، وصرت أنظر إلى الغد وما بعده مطمئناً راضياً مغتبطاً ، فما كانت حاجتى الا إلى هذا . وانحدرت الشمس فقلت : أمشى على البحر وأملأ صدرى بهذا الهواء النقى ، فقمت وأنا أحدث نفسى بما أنا لا محالة فائز به من المتع ، ودنوت من باب الفندق فتريثت قليلا لغير سبب سوى الكسل ، فأقبل على كاتب الفندق ، وجعل يتكلم وأنا كالحالم لا أصغى اليه ، ولا أعيره التفاتاً ، وسمعته يذكر فى بعض كلامه غرفتى ، فهززت له رأسى مبتسما ، فقد كان بى فتور حتى عن الكلام ، ومضيت عنه وفى ظنى أنه يسألنى عن الغرفة أراض أنا عنها ؟ فيا للسخافة ! كأنما كنت أنتظر حتى يسألنى لو كنت غير راض ؟ ولكن هكذا هؤلاء الموظفون دائماً !

وأتعبنى المشى لان الحذاء كان ضيقاً ، وابترد الجو ، وكانت ثيابى خفيفة ، والليلة سوداء – أعنى أن ظلامها كان طاخياً ، وقمرها غائباً – فقلت : أرجع وأغير الحذاء والثياب أيضاً . فما من العقل أن أصبر على كرب فى وسعى أن أتقيه ، والثياب الصوفية عندى فلا موجب للتعرض لأذى البرد ، فما جئت لأمرض ، وانما جئت لأستجم وأصح

ودخلت الفندق من باب الحديقة ، والمدخل ممر ضيق على جانبيه زروع كثيفة لفاء تعهدها البستانى بالتقليم والتشذيب حتى جعل منها جدارين من الشجر ، وكنت أمشى مترفقاً متمهلا ، لا أفكر إلا فى هذا السكون الذى غمرنى وتركنى مستيقظا كنائم ، ومفتوح العينين كمغمضهما ، « ومشاهداً للامر غير مشاهد » كما يقول شاعر لا أذكر اسمه ، وبلغت آخر المدخل وأوشكت أن أصير إلى الحديقة الواسعة الجميلة ، فسمعت صرخة خافتة ، من ورائى ، فدهشت ودرت أنظر الى مصدر الصوت فلم أر أحداً ، فأنصت فلم تتكرر الصيحة ، فعجبت ، وكانت الحديقة خالية ، فجرى

بالى أن هذه فرصة المجرمين ، وأن من اليسير على لص يعرف المكان أن يتربص لسيدة تمشى وحدها فى بعض جوانب الحديقة . قلت لنفسى — وقد تحركت لهذا الخاطر — وماذا على لو نظرت ؟ فدرت حول سور الشجر فوقعت عينى على أجمل فتاة رأيتها فى حياتى فدنوت منها وقلت : « هل سمعتك تصرخين ؟ »

فافتر ثغرها عن أعذب ابتسامة وقالت : « هل أزعجتك ؟ انى آسفة »

قلت : « لا أسف ، إنما أسفى على انى لم أدرك المجرم »

فضحكت وهى تقول : « اوه ! ليس هناك مجرم ولا جريمة ، وانما هى ورقة من شجرة سقطت على ظهرى ودخلت تحت الثوب ، فخفت أن تكون حشرة . أوه ! لقد نسيت أن أشكرك »

قلت (وقد وقع من نفسى أدبها ولطفها) : « تشكريننى لى تقصيرى ؟ »

فقالت وهى تضحك : « ليس ذنبك انه لا لص هنا ولا مجرم ، هل أنت نازل هنا ؟ »

قلت : « من حسن حظى — نعم »

قالت (وهى لا تزال تبتسم) : « انك سريع ، وثاب ! »

فخجلت وقلت : « أنما أعنى . . . . »

فقاطعتنى قائلة : « كلا ! دعها هكذا »

قلت مستغرباً : « أدعها هكذا ؟ ؟ لست فاهماً »

قالت وألقت الى نظرة لا أنساها : « نعم ، لا نفسد ماتقول بالشرح والتأويل »

قلت : « آه . . أشكرك . . والآن هل أقص عليك تاريخ حياتى ؟ أو تبدئين انت ؟ »

قالت : « لا تفعل . . ! »

قلت : « تبدئين أنت ؟ ؟ حسن جداً — انى كلى آذان »

قالت : « اوه ! لست أعنى هذا . . »

قلت : « حسن أيضا . . ان كل مايعنينى هو رضاك . . على كل حال . . اسمعى . . »

قالت : « كلى آذان ! »

وضحكت ، فبلعت ريقى وقلت : « أشكرك .. ماذا كنت اقول ؟ ؟ آه تذكرت . . ان تاريخ حياتى صفحة بيضاء »

قالت بخبث : « ظاهر جدا ! »

فقلت لنفسى والله لأحرجنها كما تحرجنى ، والتفت اليها وقلت : « اعنى انه وجيز جداً وان الماضى منه غير محسوب وانى فى الحقيقة لم اولد الا اليوم »

وكنت أتوقع أن ترتبك ويصطبغ وجهها الجميل بحمرة الخجل ، ولكنها لم تفعل شيئاً من ذلك ،

وانما نظرت الى بابتسام وزوت مابين عينيها وقالت بصوت رقيق كأنهـا تداعب طفلا : « يانونوتى يا حبيبي يا بابا ! »

وربتت كتفى ، فكدت اجن من الغيظ ، وألم الهزيمة ، وفركت كفى والتفت اليهـا جاداً وقلت : « اسمعى .. ان هذا .. أ أ .. »

وارتبكت ، فليس من السهل أن تنهر فتاة جميلة لم تكن تدرى انها موجودة قبـل خمس دقائق ، ثم انى أنا الذى جر على نفسه هذه السخرية ، على أنها أدركتنى وقالت :

« وطفلنا عصى .. ؟ ! ياخسارة .. ! ! لا لا يابابا ! كن حليماً . ! »

فلم يسعنى الا أن أضحك فقد صار موقفى سخيفا ، وقلت : « انى آسف .. وأستحق هذا .. جلبته على نفسي بالطبع .. »

قالت : « آه . ؟ هذا أحسن »

وبدا لى ان اغير هذا الموضوع المحرج فقلت : « ان اسمى فلان .. اسم سخيف بالطبع ولكنه يكفى .. ثم انه ليس ذنبى على كل حال .. وأظنك تعلمين ان ابى لم يستشرنى »

قالت : « صحيح .. قرأت عن ذلك فى الكتب القديمة »

فامتعضت ، ولم أعد أدرى ماذا أصنع مع هذه الفتاة ، وخطرلى أن أهرب ، ولكن كيف . ؟ وجعلت لبلاهتى اكرر لنفسى بصوت مسموع وان كان خفيضا : « الكتب القديمة . ! أ م م م م .. الكتب القديمة . ؟ ؟ امممم ! »

فانفجرت ضاحكة وانا أنظر اليها مبهوتاً ، ثم تمثلت لى سخافتى فلم يسعنى الا أن اضحك ولما هدأ البركان التفت اليها وقلت : « اسمعى ! »

فقالت بتهكم رقيق على الرغم من مرارته : « افندم . ! انى كلى آذان »

قلت : « لا تتهكمى . على كل حال . أعترف بأنى انهزمت »

فتركت الضحك فجأة ـ حتى لعجبت ـ وقالت جادة : « هل تستطيع أن تسامحنى ؟ . لقدكنت معك ثقيلة »

فأسرعت أقول لها : « ابداً ابداً .. بالعكس .. انك أخف وأرق وأظرف وألطف وأجمل فتاة فى هذه الدنيا »

فعادت تضحك وتقول : « على مهلك . ! على مهلك . ! ابق شيئاً للغد ، فانىماضية لا غير ثيابى »

فصحت بها : « ايه ؟ »

قالت وهى تبتسم برقة : « ألا تسمح لى أن أغير ثيابى . ؟ »

فأفقت وقلت : « اوه .. ! آه . ! معـذرة ، ! لم أكن واعياً . ! الصدمـة كانت قوية ... هل عندك مرآة ؟ »

فقطبت وهي تقول: «مرآة . ؟ لماذا ؟»

قلت: «لا شيء . . أنما أردت . . ان النظر اليها بعين جديدة قد يخفف من الرغبة فى التهكم . . أعنى انه لاحق لك فى التهكم بالناس مادام لك هذا الوجه الرائع»

فقالت بصوت لم أعرف منه أهي مسرورة أم غاضبة: «آه هذا . ؟ سأنظر فى الامر . . أعنى فى المرآة»

وأشارت بيدها ومضت

⁂

تلكأت فى الحديقة لحظة لأنى كنت محتاجاً أن أفكر وكنت احس انها مرغتنى فى التراب، ولكنى كنت أحس أيضاً انى عشقتها، ولا فائدة من المكابرة، فقد أحببتها وانتهى الامر، وصحيح أنى لا اعرف حتى اسمها، ولكن هذا لاقيمة له، وما يعنينى من اسمها وأصلها وفصلها؟ ألا يكفى انها هي هي؟ وهل يمكن أن يكون اسمها الا جميلا مثلها . ؟ وهل يعقل أن تخرج هذه الثمرة الا من اكرم شجرة وأعرق دوحة . ؟ ومع ذلك ماهذه الاصول التى يلغط الناس بها . ؟ هل يخلق بعض الناس من طينة ويخلق الباقون من طينة اخرى ؟! كلام فارغ! وعلى ان الطينة التى يكون منها مثل هذه الفتاة لابد أن تكون أخصب الطين

وصعدت السلم وأنا ذاهل، لاعقل معى ولا قلب كما لا أحتاج ان اقول، ولكنى على الرغم من ذلك اهتديت الى غرفتى، ولم أضل الطريق اليها، وكانت غرفة جميلة على البحر ولها شرفة عريضة واسعة، ووضعت يدى على الباب وأدرت اليد، وفتحت. فخيل إلى انى سمعت وقع قدمين تعدوان فى الغرفة. فتوقفت مستغرباً وخطر لى انى لاشك واهم. ثم خطر لى انى لعلى أخطأت وجئت الى غرفة غير غرفتى. ولا عجب ان أخطىء فانى مضطرب. فتراجعت مقدار خطوتين ونظرت الى رقم الغرفة. كلا لم أخطىء — هي غرفتى على التحقيق. الا أن يكون احد الاشقياء قد غير الارقام فى غيابى! وابتسمت وعادت الى الثقة بنفسى وقلت وأنا أدخل مطمئنا: «كيف يمكن ؟؟ كيف يمكن ؟؟»

ومضيت إلى الشرفة لأمتع عينى بجمال المنظر الذى يتراءى منها، ووقفت مستنداً على سورها بعد ان أشعلت سيجارة، فما ثم أى موجب للعجلة، وعاودنى الاحساس، وأنا واقف، بضيق أحد الحذاءين، فلم أر ما يمنعنى أن اخلعه الآن فانى فى غرفتى، وليس هناك من يرانى، وانحنيت وخلعت الحذاء ورميته فى الغرفة وبقيت واقفاً، فى إحدى رجلى الحذاء، والاخرى حافية — ليس عليها إلا الجورب — واذا بى أحس شيئاً يلمس ساقى، فالتفت فأبصرت كلباً صغيراً جميلا يتمسح بى، فدهشت لما رأيته واطمأنت نفسى اليه، فتناولته على ذراعى، وأقبلت عليه ألاطفه وأمسح له شعره، ولست فى

العادة أحب الكلاب ، ولكن هذا كان كلبا لا يسع الانسان إلا أن يحبه ولو عضه ـ أعنى ولو عض الكلب الانسان لا الانسان الكلب !

ولست كلبيا ـ أعنى أنى لم أعتد الكلاب فلا صبر لى عليها فى العادة ، فما لبثت ان مللت صحبة هذا الكلب الصغير الجميل فوضعته على الارض ، وانكفأت راجعاً الى الغرفة فقد شعرت بالجوع فلما صرت فيها عجبت ـ فان حقيبتى صغيرة ، وهذه الغرفة ملأى على ما يظهر بالحقائب ، وكلها كبير ضخم ، ولو كان القارىء فى مكانى لطار عقله ، ولكان معذوراً ، وقد طار عقلى ، وجعلت أتلفت وأحرك رأسى يمينا وشمالا كما يفعل الناس فى الاذكار ، وهم يطوحون رءوسهم يمينا وشمالا مثلى ويقولون : « الله ! الله ! أو لا اله إلا الله ! »

ولو كان القارىء مكانى لكان أول ما يخطر له أن يخرج من الغرفةويدعو مدير الفندق ويسأله عن معنى هذا ـ ولكن القارىء لم يعشق أجمل فتاة على هذه الارض ، ومن أول نظرة أيضا ، ولم يكن فوق هذا متعب الاعصاب منهوك القوى قبل أن يحب بخمس دقائق ، ولو كان مثلى لفعل فعلى

على أن المهم هو مافعلت أنا لاما كان يمكن أن يفعله القارىء ، لو وقع له ما وقع لى . فلأترك هذا ولأقل إن الشىء الوحيد الذى خطر لى أن افعله هوأن اختبىء تحت السرير . ولعل مما أغرانى بذلك أنى اشتهيت ان أرى ما عسى أن يحدث وأن أعرف من الواغل الذى احتل الغرفة فى غيبتى ، ولم يكن هناك مخبأ آخر ، فان الستار شف رقيق ، وعلى أنى لم أفكر ـ إذا أردت الحقيقة ـ فى أى مخبأ آخر

وساد السكون ومرت لحظة خلت فيها أنى مخطىء ، وأنه لا واغل هناك وأن الغرفة غرفتى وأن كل ما فى الامر أن الخادم أخطأ فادخل هذه الحقائب فى غرفتى ، وسيجىء ولا شك بعد قليل ليستعيدها . أما هذا الكلب فتأويله ـ أعنى تأويل وجوده ـ سهل إذ ماذا يمنع أن يكون قد وثب من النافذة المجاورة للشرفة ؟ أو لم أجده فى الشرفة ؟ واسترحت الى هذا الخاطر ، واطمأنت نفسى الى هذا التأويل ، فلم يبق مسوغ لبقائى تحت السرير . فقلت أخرج ، ولكن بقية من الحذر جعلتنى أتأنى فأخرجت رأسى أولا ، وأجلت عينى فى الغرفة ، ولكن هل يليق أن ينقضى هذا الليل بسلام؟؟

كلا ! وماذا تظنه حدث ؟ وماذا تقدر أن يكون المعقول ان يحدث ؟ انا أقول لك ولتقل انت هل هذا يجوز أن يكون ؟ لو ظهر لص فى هذه الساعة لما استغربت ، فقد كنت قد فكرت فى هذا . فانا مستعد لقبوله متهيىء الاعصاب لاستقباله ، ولكن كيف يحدث الطبيعى فى هذه الدنيا ؟ وكيف تكون الدنيا دنيا إذا كان كل ما يحدث فيها معقولا وطبيعيا ؟

لا ياسيدى ! لم يظهر لى لص وانما بصرت بفتاة فى قميص شفاف يكشف منها أكثر مما يستر ،

تخرج من خزانة الثياب ، أى والله من خزانة الثياب ! وأدهى من ذلك وأمر أن تكون هي الفتاة التى كنت معها فى الحديقة!ولا تسلنى كيف جاءت الى غرفتى ؟ فا كنت أنا الذى جاء بها ولا دعوتها، ولو دعوتها لما اجابت . ولا اعرف - أعنى عرفت بعد ذلك ، أى بعد ان زهقت روحى - لماذا تخلع ثيابها فى غرفتى انا دون خلق الله ولا يبقى عليها إلا هذا الشف الخفيف ؟ كلا . لا تسلنى عن شىء من ذلك ؟ فا أعرف إلا أنى رددت رأسى بسرعة وأغمضت عينى حتى لاترى هذه الفتنة ، ولو كان يليق ان انظر لوجب أن اتقى ان اتبع النظرة النظرة حتى لا اجن . وناب سمعى عن عينى . ويظهر ان الفتاة اطمأنت الى خلو المكان بعد ان راحت وجاءت مرات فى الغرفة - فقد كنت أرى رجليها - وهي تمشى - من تحت السرير او على الاصح من تحت رفرف الملاءة أو الغطاء ، او ماشئت فسم هذه الظهارة التى تطرح على السرير . ولا شك انها استغربت خلو الغرفة ، ولكنها على كل حال شرعت ترتدى ثيابها ، فلولا الكلب اللعين لرجوت أن ينتهى الامر على خير - أى ان تتم لبس الثياب وتخرج فيتسنى لى ان اخرج أنا ايضا من هذا المأزق الثقيل ، ولكنه كلب ، وحسبك هذا . وانا فى حياتى ما استطعت ان اطمئن الى الكلاب او ان آنس بها ، ولى الحق . وانظر ماذا صنع هذا اللعين ؟ ابى الا ان يدنو من السرير وان يدفع خطمه و يمده تحت رفرف السرير . وليته اقتصر على هذا واجتزأ به ! اذن لهان الخطب ، ولكنه شاء ان يمازحنى فى هذه الساعة ! وانا لا احب المزاح فى غير أوانه . فأشرت اليه بيدى ان يمضى عنى فظنتى اداعبه ! فياله من غبى ! والعجب لفتاة جميلة ذكية كهذه، تقتنى كلبا مغفلا كهذا ؟ فقد جعل يزوم ويردد صوته القبيح ويدنو منى وانا ارده عنى فيرجع ثم يقبل . وكان من جراء هذا المزاح الثقيل ان عرفت الفتاة أنى تحت السرير ، فصرخت فخرجت بسرعة وقد أفزعنى انها صرخت وخفت ان يجتمع كل من فى الفندق على . واسرعت فقلت :

« لا تخافى من فضلك . فانى انا الخائف لا انت »

فلما افاقت قالت : « انت ؟ انت هنا ؟ ماذا تصنع هنا ؟ »

قلت : « هذا سؤالى انا ؟ ماذا تصنعين انت هنا ؟ »

قالت: «لا تمزح ! تدخل غرفتى - فى الليل - وتختبىء تحت السرير . ثم تسألنى ماذا اصنع هنا ؟»

فدهشت وقلت : « غرفتك ؟ تقولين غرفتك ؟ »

قالت : « بالطبع غرفتى ! ولو شئت لدعوت البوليس الآن ! »

فسحت العرق المتصبب وقلت بصوت ضعيف: « يظهر أن هناك خطأ . ان هذه غرفتى . ولا ادرى كيف اتفق ان تكون غرفتك فى الوقت نفسه ! »

فقالت بلهجة فيها مرارة :« يظهر ؟ الذى يظهر هو أنك متعمد هذا ! »

قلت : « انى مستعد أن اقسم أنى قرأت رقم الغرفة على الباب . وأنها هي بعينها الغرفة التى نمت فيها بعد الظهر »

قالت : « هل يمكن . . . ؟ »

ومسحت جبينها فسألتها : « ماذا ؟ »

قالت : « لقد أخبرني مدير الفندق أنه رجا من صاحب هذه الغرفة أن يتركها لسواها لأني اعتدت النزول فيها فقبل »

فتذكرت أن الرجل كان يكلمني عن غرفة وأنا شارد الذهن ، وقد حسبته كاتباً لا مديراً . وشرحت لها ما حدث ، ولم أكن أنتظر أن تصدقني ، ولكنها الحقيقة على كل حال ، غير أنها صدقت ولم يكفها أن تصدق بل ذهبت الى أبعد من هذا جداً فاقترحت أن نمثل رواية — أنا امثل دور اللص وهي تمثل دور المستغيث ، ولا بأس من قدوم البوليس ولا خوف لان الحقيقة ستتضح فى النهاية . . فأخرج سالما وتكسب هي شهرة ويصبح اسمها على كل لسان وصورتها فى الصحف

فقلت : « همم . . . ولكن يا فتاتى الحسناء إذا كانت الشهرة غايتك ، فانت مخطئة . لان الشهرة ليست إلا فضيحة . كل انسان يعرفك .. لا يبقى لك سر .. ولا يبقى فى وسعك أن تفعلى شيئاً وأنت حرة لان الناس يعرفونك ... إن الشهرة هى التى تمنعنى ان أطاوعك واجاريك ولولا أنى معروف لغرنى سراب الشهرة كما يغرك الآن ولكنت أطلب ماتطلبين »

قالت : « أنك انانى »

قلت : « ربما ! ! بل أنا انانى . واسمعى . ! إذا كنت تطلبين الشهرة فانا استطيع ان اخلدك فى الشعر . . . . فى شعرى — فانى بفضلك أستطيع ان اكون اشعر الانس والجن »

قالت بحدة : « كلام فارغ ! لقد خاب ظنى فيك . اذهب . . اذهب »

فذهبت بلا تردد على كلفى بها وعلى الرغم من حفا قدمي فقد خفت ان يمر برأسها خاطر آخر

ولما صارت يدى على الباب قالت : « أنت على حق ! أنا مجنونة ! سامحنى »

فرجعت اليها ووضعت يدى على كتفها وقلت : « تعشيت ؟ »

قالت : « لا . . لقد كنت البس ثيابى لانزل للعشاء »

قلت : « اذن سأكلف الخادم ان يجعلنا على مائدة واحدة »

قالت : « موافقة بالاجماع ! وعلى فكرة . اسمى فريدة »

قلت : « ظننت هذا ! »

قالت : « إيه ؟ »

قلت : « نعم . لايمكن ان يكون اسمك إلا فريدة »

فرمتنى بالحذاء الذى نسيت أن البسه

ابرهيم عبد القادر المازنى

الطرق العلمية

في البحث عن الآثار *

بقلم الاستاذ سليم حسن

ولد علم المصريات فى يوم ١٤ سبتمبر ١٨٢٢ حينما أتم شمبليون بحوثه العلمية ، وحل رموز اللغة المصرية القديمة بعد جهاد دام أعواماً عدة . وعلى أثر ذلك عين استاذاً لعلم المصريات فى كليج دى فرانس سنة ١٨٣١ ، فكانت الخطوة الأولى فى تاسيس علم الآثار المصرية فى العالم أجمع .. والآن نبدأ موضوعنا فنتكلم أولا : عن الطرق التى كانت تستعمل فى الكشف عن الآثار المصرية قبل أن يحل شمبليون رموز النقوش المصرية وقد ظلت هذه النقوش صامتة أكثر من عشرين قرناً ، ثم نعقب على هذا بالطرق التى اتبعت فى الحفر بعد شمبليون . وهذه الطرق تنقسم الى ثلاثة اقسام : الاولى طريقة كشف الكنوز بالتعاويذ السحرية ، والثانية طريقة الجسات ، والثالثة الطريقة العلمية الحديثة

أولا — طريقة الشعوذة وتنحصر فى البحث عن كنوز الذهب الدفينة تحت الأرض بطريق السحر والبخور ، وهى التى يعمد اليها الدجالون المخادعون فى كسب أرزاقهم . ولقد خدع بهم كثيرون اضاعوا ثروتهم فى البحث وراء الكنوز بهذه الطريقة . ومن العجيب حقا انك مهما اقنعت طلاب الغنى من هذه الناحية بان تلك الكتب السحرية لاتدل أبداً على وجود كنز ما ، فانهم لايقتنعون لان توقع استكشاف الكنز وما عسى أن يجلب من الثروة يؤثر فى عقولهم تأثيراً سحرياً ، فتمتد آمالهم ، وكلها آمال خلب ، حتى ينتهى بهم الأمر غالباً الى الخراب ثم الجنون . وليس أدل على هذا من انك تجد الآن أفراداً يهيمون على وجوههم فى الصحراء والمغاور تاركين كل عمل مجد طلباً للكنوز الدفينة . وقد أنبأنى مرة أحد أصدقائى أن أحد العظماء يريد أن يحدثنى فى أمر كنز يعلم هو مكانه ، وأن الوصول اليه لايستغرق غير نصف ساعة ، وبعد أن تحادثت وهذا الكبير طويلا ، وضيقت عليه الخناق فى بعض أسئلة ، جابهنى بالجملة الآتية : « انا اعلم تماما انك تشتغل فى الآثار بطريقة السحر ، وأن كل ما عثرت عليه انما أتى عن هذا الطريق » . وكم من خطابات أرسلت الى وكم من أفراد كابدوا مشاق السفر لارشادى عن كنوز مشترطين ألا يبوحوا بمكانها ، إلا اذا ضمنت لهم نصف ما فيها من الذخائر والاموال

---

* ألقيت هذه المحاضرة فى المؤتمر الثقافى السنوى الذى عقده المجمع المصرى للثقافة العلمية

ثانياً — طريقة البحث عن الآثار بالمجسات ، وهى طريقة كان يتبعها صنفان من الناس : الصنف الأول لصوص يسكنون بجوار الاكوام الأثرية والمدن القديمة فيسطون عليها فى غفلة من أعين رجال مصلحة الآثار أو باتفاق مع بعض الحراس . فيعملون حفراً تؤدى أحياناً الى كشف آثار قيمة . غير أن كشفها بهذه الكيفية يكون خسارة كبيرة للعلم ، لأن اللصوص فى أكثر الاحيان لايبوحون بالمكان الذى عثر فيه على تلك الآثار عند مايبيعون ماعثروا عليه بل يضللون المشترى ، وبذلك تفقد القطعة الاثرية قيمتها التاريخية وبخاصة اذا كانت خلوا من الكتابة . والجانب الأعظم من محتويات الاقسام المصرية فى متاحف العالم قد اشترى بهذه الطريقة . وهنا أريد أن الفت النظر الى قيمة معظم محتويات المتحف المصرى من الوجهة التاريخية فان معظم القطع التى يحتوى عليها معلوم مصدرها وتاريخ العثور عليها ، فهى فى الحقيقة تكاد تكون تاريخا ناطقاً وهذه هى ميزة متحفنا على كل متاحف الآثار المصرية فى العالم قاطبة

على أن البحث بطريقة المجسات برغم مافيه من نقص ظل شائعاً بين علماء الآثار انفسهم الى زمن غير بعيد ، فنجد فى معظم الاماكن الأثرية فى جميع انحاء القطر حفراً منتشرة هنا وهناك . واذا سألت عن تاريخها وجدت أن العالم الفلانى قام بمجسات فى هذا المكان سنة كذا ثم جاء غيره وقام بمجسات أخرى سنة كذا . وأكبر مثل على ذلك منطقة أهرام الجيزة قبل عام ١٩٠٣ فانك تجدها مشوهة بحفر كثيرة من هذا النوع . وظلت طريقة البحث عن الآثار جارية على هذا الاسلوب ، حتى جاء العالم الاثرى الالمانى « ليبسيوس » الى مصر ببعثة علمية أثرية محضة عام ١٨٤٢ . وتعد أعمالها بحق أكبر سند أثرى ، فانه نقل كثيرا من النقوش المصرية القديمة والمناظر الاثرية ورسم خرائط لكل بقعة على حدتها وقام ببعض حفائر بسيطة كان الغرض منها إزالة الرمال والاتربة التى كانت تعترض سبيله فى نقل النقوش ، غير أنه لم يمعن فى ذلك لانه كان يقتصر على إزالة الاتربة الهينة التى لاتحتاج الى عناء كبير ومال وافر ، لذلك نجد الآن بعض المقابر التى نقلها ، وبخاصة فى منطقة اهرام الجيزة ، لم تنقل على الوجه الاكمل لانه ترك اجزاء مدفونة لم يتم الكشف عنها فبقيت نقوشها ناقصة ، ولان بعض المناظر وقع فى نقلها بعض الخطأ . على أن عمله هذا يعد الى الآن من أروع الاعمال التى تمت فى عصره . وقد طبع نتائج بعثته الى مصر فى اثنى عشر مجلدا ، عدا المتن الذى يتألف من عدة أجزاء وهو كتاب Denkmaier ولقد عقد له العلماء الفرنسيون وغيرهم لواء الزعامة على كل رجال البحث عن الآثار فى عصره . وجاء بعده « ماريت باشا » فنقل كثيراً من النقوش التى وجدها على جدران المعابد والمقابر وطبع بعضها ، ثم طبع « مسبيرو » الجزء الباقى منها بعد وفاته . وبالرغم من أن ماريت باشا يعد من أكبر علماء عصره ممن حافظوا على الآثار المصرية ودافعوا عنها بكل ما لديهم من قوة ، إلا أن معظم مانقله كان مشوباً باغاليط كثيرة . ومنذ أن رأس مصلحة الآثار

عام ١٨٥٨ ، قام بعدة حفائر فى أمكنة مختلفة ، ولكنه عهد بها الى رؤساء العمال ، الذين كانوا لايهتمون إلا بعمل مجسات للحصول على تماثيل أو حلى . ولذلك لم يسر العمل على أساس علمى ، أما الاعمال التى تمت باشرافه المباشر ، فامتازت بشىء من الدقة يوائم العصر الذي حدثت فيه لهذا نجد قطعاً كثيرة فى المتحف المصرى من هذا العهد لم يدون تاريخ العثور عليها ، ولا يعرف من أين أتى بها ، إذ لم تكن هناك طريقة علمية متبعة فى الحفر . كل هذه الهفوات تتلاشى امام ما قام به هذا الرجل العظيم من جهد فى وضع أساس المتحف المصرى الذى أخذ ينمو شيئاً فشيئاً منذ رياسته لمصلحة الآثار الى وقتنا هذا ، حتى أصبح من أضخم متاحف العالم .

ثالثاً — الطريقة العلمية فى العام الذى توفى فيه ماريت باشا سنة ١٨٨١ هبط مصر « فلندرز بيترى » فكان أول من وضع حجر الأساس فى طريق البحث العلمى للكشف عن الآثار المصرية ، ويعد بحق أول من نظم أعمال الحفر فى مصر بالطرق العلمية المحضة التى كان لها أكبر أثر فى احياء تاريخ بلادنا واظهار ثقافتها القديمة . وقبل أن أتكلم عن الطريقة العلمية التى انتحاها « فلندرز بيترى » ، أريد أن أقف بكم لأحدثكم عن الممهدات التى قدمها لنا المصريون الأقدمون أنفسهم للكشف عن مخلفاتهم ولولاها لعانينا متاعب كثيرة فى البحث عنها

عرف المصريون منذ أبعد عصورهم التاريخية معدن الذهب وقيمته ، فاستعملوه فى صوغ الحلى والزينة وصنعوا منه الآنية . وكان فى بادىء الأمر نادراً أى فى خلال الدولة القديمة ولكن لما كان المصرى يعتقد أنه سيحيا حياة أخرى فى قبره ، حصر كل همه مدة حياته فى جمع ماتيسر له من أثاث ثمين وحلى نفيس ليضعه معه فى مقره الأخير . ومن ذلك نشأ حب الأحياء للاغارة على قبور الموتى ، وانتزاع كل ماتحويه من ذهب ليتمتعوا به فى حياتهم أو يضعوه فى قبورهم . ولما انتشر هذا الداء فى انحاء البلاد أخذ المصرى يفتن فى إخفاء مكان الدفن

والسبب فى هذا ان العقائد الدينية عند المصريين القدماء وما كانت تقتضيه من أوضاع خاصة بالدفن أصبحت تنم عن مكان المتوفى مهما بولغ فى العمل على إخفائه . فكان لزاماً على المصرى عند تشييد مقبرته ، أن يجعل لها باباً وهمياً أو بابين أو ثلاثة على قدر عدد الموتى الذين كانوا يدفنون معه فى المقبرة . وخلف هذه الابواب كانت تقع حجرات الدفن التى يبالغ فى الافتنان فى اخفائها واقامة العقبات العسيرة للوصول اليها بطرق تنحصر فيما يأتى :

أولا : كان ينحت فى الصخر خلف الباب الوهمى بئر بعيدة الغور قد يصل عمقها أحياناً نحو أربعين متراً . وفى نهايتها تحفر حجرة الدفن شرقاً أو غرباً شمالا أو جنوباً بحسب الاحوال وبعد الدفن يبنى باب هذه الحجرة بناء محكماً ، ثم يسد بقطعتين أو ثلاث من الحجر الجيرى تلحم بنوع من المونة متين شديد التماسك ، ثم تطمر البئر بنفس الاحجار الصغيرة الناجمة من نحتها فى الصخر وتبنى الفوهة باحجار غليظة يصعب رفعها

ثانيا : كان ينحت تحت الباب الوهمى ممر منحدر يؤدى الى حجرة الدفن الواقعة وراءه وبعد ذلك يسد هذا المنزلق بكتل حجرية ضخمة

ثالثاً : كان يحفر منزلق خارج المقبرة فى جهة غير الجهة التى فيها الباب الوهمى غير أن حجرة الدفن كانت فى النهاية تقع خلف الباب الوهمى الخاص بها كما كان الحال فى مقبرة « عنخ حاف » ، ومقبرة « نى كاؤ حور » بمنطقة اهرام الجيزة فى الدولة القديمة . وهذه الطرق الثلاث كان يعرفها قدماء المصريين ومن جاء بعدهم فى العصور المتأخرة . اللهم إلا الطريقة الأخيرة فقد كانت تخفى عليهم احياناً . لذلك لانجد من هذه المدافن إلا النادر اليسير لم تمتد اليه أيدى العابثين ، ولقد ساعد هذا الامر المنقبين فى عصرنا هذا على معرفة حجرة الدفن بسهولة

ولما وجد أن طرق إخفاء مكان الدفن أصبحت غير مجدية ، أخذوا يتوسلون بالاعترافات التى كانوا يكتبونها على الجدران لعدم نبش قبورهم . فمثلا نجد فى بعض المقابر مايشعر باشفاق الميت من نبش قبره واقتحامه . فيقول الميت إنه لم يظلم أحداً ، وإنه بنى قبره من ماله الخاص ، وإنه دفع لكل عامل أجره وإنه تلقاء هذا يرجو من الاحياء ألا يد نسوه أو ينتهكوه

وقد وصلت الينا ورقة بردى فيها تحقيقات عملت ضد نابشى القبور وهذا عهد بالمحافظة على قبور السلف فى طيبة ـ خلال الدولة الحديثة ـ الى حاكم المدينة ، فكان يعمل تفتيشاً عاما كل سنة عن مقابر الملوك ، حتى اذا وجد أن هناك عبثا بأحدها ، قام الحاكم بالبحث عن الجناة وعاقبهم عقاباً صارماً . غير أنه لما ساءت الحال وكثرت السرقات افتن الملوك والامراء فى إخفاء مقابرهم ، حتى قيل إن الملك عند ما كان يريد نحت مقبرة له فى جوف الصخر فى وادى الملوك كان يستخدم فى نحتها وتشييدها فريقاً من الاسرى بحراسة بعض الكهنة ، فاذا ما أتموها أمر الكهنة بقتلهم كيلا يفشوا السر وتصبح المقبرة عرضة لعبث اللصوص . على أن هذا كله لم يقم عثرة أمام مهرة اللصوص الذين استطاعوا الوصول الى جميع مقابر الملوك والعظماء من رجال الدولة حتى مقبرة « توت عنخ آمون » نفسها . فلما رأى ملوك الأسرة الحادية والعشرين ماحل باسلافهم أصحاب الأسر الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين ، نقلوا جثثهم وما ابقته يد العابثين من مخلفاتهم فى مخبأة بعيدة عن أيدى نابشى القبور فى البقعة المسماة الآن بالدير البحرى ، وفيها لبثت هادئة مطمئنة الى أن جاءت عصابة من أسرة عبد الرسول بالاقصر سنة ١٨٧٩ وعثرت على هذه المخبأة ، فكانت هذه العصابة سبباً فى الكشف عن جثث فراعنة الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين ، وما أبقى عليه اللصوص القدماء من أثاثهم المأتمى ، وقد بقى سر هذا الكشف خفياً مدة حتى ظهرت منه أشياء عرضت للبيع فى أسواق العالم ، وبعد عراك شديد بين هذه العصابة ومصلحة الآثار اعترفت بمكان المخبأة فكانت أكبر صفقة للتاريخ والعلم

ومنذ ذلك العصر أعنى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ـ أخذت عناصر البحث العلمى

عن الآثار المصرية تكون شيئاً فشيئاً ، وبخاصة بعد أن مضى علماء المصريات يحلون رموز اللغة المصرية القديمة مقتفين أثر شمبليون ويدرسون مانقش على كل أثر من الرسوم وقيمة كل منها ، سواء أكان من الذهب أم من الحجر . وحينذاك بدأ الباحثون عن الآثار ، لايعنون بالذهب وحده ، بل اتجهت عنايتهم الى شيء يجذب النظر لحسن صنعه أو جماله الفنى

ذلك بان العلماء كانوا قد بدءوا يفهمون اللغة المصرية القديمة ، وأخذوا يتذوقون جمال الفن المصرى . أما العامة من الباحثين عن الآثار فقد عرفوا ما يتطلبه مشترى الآثار المصرية والاتجار بها من الدقة والمهارة حتى إن بعضهم حذق حذقا كبيراً فتراه يحدثك عن الفن المصرى والتماثيل المصرية فتظن أنه على نصيب من العلم ، فى حين هو يجهل اللغة المصرية القديمة جهلا كاملا

والآن نعود الى سياق حديثنا فى الكلام عن الطريقة العلمية التى انتهجها السير فلندرز بترى فى البحث عن الآثار المصرية . فهو يعتبر بحق فى طليعة العلماء الذين قاموا بالبحث العلمى عن الآثار وهو أول من رسم طريقة تخطيط الاماكن التى حفرها وتبيين موقعها بالنسبة للمكان الذى وجدت فيه ، ثم موقعها بالنسبة لخريطة مصر العامة . وكان أول من استخدم التصوير الشمسى فى رسم الأشياء المكشوفة فى مكانها . أضف الى ذلك أنه كان يركن الى عالم جليل فى اللغة المصرية القديمة لنقل النقوش التى تظهر عند كشفها مباشرة . أما أعظم خطة انتحاها فهو أنه كان يسجل كل قطعة أثرية يعثر عليها ويصفها وصفاً دقيقاً ويذكر المكان الذى وجدت فيه ويدون كل هذا فى سجل خاص مبيناً فيه موضعها من التاريخ المصرى ، مستنبطا ذلك من النقوش التى توجد معها . كذلك إمتاز على غيره ممن سبقوه بانه كان مزوداً بمساعدين يعاونونه فى عمله ، بطريقة نظامية توزع الاعمال كل حسب اختصاصه . فكان لتخطيط الاماكن مهندس ، وللتصوير الشمسى فنى ، ولرسم المناظر رسام . كل هذا سهل عليه أن يضع تقريراً ضافياً عن عمله السنوى . ولهذا فهو يعتبر بحق أنه أكثر علماء الآثار منتوجاً أثرياً فى أقصر وقت ممكن . ولقد ساعده على بلوغ هذا المأرب أمران : الأول نشاطه المقطوع النظير ، ووفرة المال . وقد أمدته « جمعية البحث والتنقيب عن الآثار المصرية » بكل الاسباب التى مهدت له سبيل الظفر والنجاح . وهى جمعية أسسها هو فى انجلترا واشترك فيها هواة الآثار المصرية فى كل انحاء العالم . فكان يعمل لشعبه ولغيره من الشعوب الاوربية ، ولم يكن تابعاً لحكومة ما

وعندختام القرن التاسع عشر وفى باكورة القرن العشرين ، ظهر العلماء الالمان والامريكان والطليان فى ميدان البحث عن الآثار المصرية ، فادخلوا بعض التحسينات على طرق البحث العلمى ، وبخاصة فى تدوين كتبهم عن الآثار المكشوفة . وكانت منطقة أهرام الجيزة أهم ميدان للعمل والتنافس بين أبناء هذه الامم الثلاث ، فقسموها الى ثلاث مناطق : اختص الامريكان منها بالجزء الواقع خلف هرم خوفو وكذلك المساحة الواقعة غرب هرم منقرع .

أما الجزء الاوسط والمساحة التى شرق هرم خفرع فكانت من نصيب الالمان. كما اختص الايطاليون بالقسم الجنوبى الغربى من هرم خوفو

وفى سنة ١٩١٢ اقتسم الالمان نصيبهم مع النمسويين، ولم يمض عام ١٩١٤ حتى تخلى الايطاليون عن نصيبهم، ولم يستمر فى الحفر خلال سنى الحرب العظمى غير الامريكيين

وبعد نهاية الحرب أعادت مصلحة الآثار تقسيم المنطقة ثانية فاعطت النمسا مساحة منها تقع جنوبى هرم خوفو وغربيه، واستولت جامعة «هارفارد» على جزء من منطقة الايطاليين. أما المساحة الواقعة غربى أبى الهول وجنوبيه فقد احتفظت بها مصلحة الآثار لنفسها، ثم سلمتها الى الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩. على أن ما أدخله الامريكان والالمان من التحسينات فى طرق البحث العلمى عن الآثار المصرية فى هذه المنطقة، يعد بحق خطوة جديدة فى هذا المضمار. واذا كان هناك عالم يجدر أن نطلق عليه لقب أثرى مصرى فهو بحق الاستاذ «هرمان يونكر» فقد تجمعت فيه كل الصفات والمميزات التى ينبغى أن تتوافر فى عالم المصريات. وهنا أقف برهة لأحدثكم عن أحدث الطرق العلمية فى الكشف الاثرى وهى التى اتبعها يونكر فى أعمال حفره لحساب جامعة فينا، وكان لى الشرف أن تتلمذت له مدة عام قبل أن أتصدى لادارة حفائر الجامعة المصرية. ولفهم الموضوع يجب علينا ان نقسم هذا الباب الى قسمين:

١ ـ الهيئة القائمة بالعمل ٢ ـ طريقة الحفر

الهيئة القائمة بالعمل

اولا: المدير ـ يجب أن يكون ملما باللغة المصرية القديمة وأنواع كتاباتها فى العصور المختلفة، حتى يستطيع أن يتبين فى الحال تاريخ عصر الأثر الذى يعثر عليه. وان يكون عالماً بعض الشىء بعلم طبقات الارض حتى يمكنه ان يعرف أنواع الاحجار التى تقع تحت نظره، وكذلك نوع التربة التى يقوم بالحفر فيها. وأن يكون له بعض العلم بالتشريح لكيلا يرتكب أخطاء جسيمة فى معرفة أصحاب المقابر التى يعثر عليها. وان تكون له دراية بمبادىء علم الكيمياء حتى يمكنه ان يحفظ بعض الآثار المعرضة للتلف عند الكشف. وأن يكون قد درس تاريخ المعمار المصرى درساً وافياً، حتى إذا كشف عن بناء مصرى أصبح من اليسير عليه أن يعرف تاريخه من شكل بنائه، فضلا على ما فيه من الآثار. أضف إلى ذلك كله أن يكون قد توافر على دراسة الفن المصرى فى كل عصوره، وان تكون له ثقافة واسعة النطاق تمكنه من أن يقرن المكتشفات المصرية بغيرها من مكتشفات الامم المجاورة.

ثانيا: المساعدون ـ يجب ان تتوافر أكثر هذه المؤهلات فى المساعدين الفنيين حتى إذا غاب الرئيس كان فى مقدور مساعديه أن يحلوا محله. ثم يجب ألا يستبدل المساعدون بغيرهم فى خلال العام، بل يحسن أن يكون المساعد دائماً حتى يمكنه أن يقوم مقام المدير، وان يكون أهلا لأن

يتولى كراسة « قيد الآثار » وكراسة « اليومية » ، ولأن يشرف على اعمال الرسم والمساحة والتصوير

ثالثاً : المهندسون — يلزم للقيام بالحفر الاثرى مهندس معمارى يقوم برسم كل ما يكشف عنه ويأخذ مقاساته . على أن يساعده فى ذلك فئة من مهندسى المساحة . وهذا لا يغنى المهندس المعمارى عن الالمام بفن العمارة المصرى . وكذلك يجب أن يعلم شيئاً عن الديانة المصرية القديمة

رابعا : الرسامون — ثم يلزم أن يكون هناك رسام يشف النقوش التى تظهر على الجدران المكتشفة ثم يوقعها على لوحات بالحجم الطبيعى . ومن الزم ما يلزم لهذا الرسام أن يعرف أحرف اللغة المصرية القديمة وعلاماتها ، وكذلك انواع المناظر التى تتكرر . ويجب أن يكون له مساعد أو اكثر ينقل المناظر بالالوان ، وهذا يجب أن يكون ملماً بدقائق الفن المصرى القديم

خامسا : المصور — وكذلك يجب أن يكون هناك مصور شمسى مجهز بكل المعدات اللازمة له فى مكان الحفر نفسه ، كى يكون على استعداد لأخذ صورة أى أثر يظهر فى حينه

سادسا : العمال — كان للسير فليندرز بيترى الفضل الاكبر فى تدريب عمال من أهل الصعيد وبخاصة من بلدة قفط . وهم ما يزالون الى الآن أكبر عدة يعتمد عليها كل اثرى يريد أن يحصل على نتائج علمية دقيقة فى عمله . والحق أنهم فضلا عن دربتهم فى أعمال الحفر شديدو الجلد كثيرو الصبر يتحملون مضاضة العمل بعيداً عن أهلهم مدة طويلة . وينقسم هؤلاء العمال الى طائفتين :

طائفة مهرت فى تنظيف الجدران المنقوشة وإخراج الآثار من مكانها بكل دقة وحرص كما يتمتعون بحظ وافر من الاتقان فى تتبع الجدران ومعرفة اتجاهاتها ، ويندر أن تخطىء فراستهم وهم يستعملون فؤوسهم بمهارة وخفة . ومن العجيب أن الواحد منهم عند ما تحس فأسه بوجود أثر سمين تحتها كتمثال أو فخارة تنكمش يده وتبرق عيناه ويلقى بفأسه ويستعمل يده فى اخراج ذلك الأثر أو يقف عن العمل برهة ليبلغ مدير العمل أو مساعده . ومن هذه الفئة بعض أفراد قليلين حذقوا الكشف عن الجدران المبنية باللبن وهى من أدق عمليات الحفر وأصعبها

أما الطائفة الثانية فتنحصر ميزتهم فى قواهم الجسمانية . فنهم من يشتغل بالفأس والمقطف فى حفر الآبار الموصلة لحجرات الدفن وغير ذلك ، ومنهم من يشتغل بالكريك لملء العربات وهؤلاء يحتاجون إلى مجهود جسمانى عظيم . والى جانب هؤلاء تعمل طائفة ثالثة من أهل الوجه القبلى والبحرى بحسب مكان الحفر ، وينتخبون من أهل القرى المجاورة لمكان الحفر بأجور ضئيلة ويشتغلون إما فى حمل المقاطف أو دفع العربات المحملة بالاتربة

على أنه من الواجب أن يكون فى مكان الحفر حداد لاصلاح العربات التى يصيبها عطب أثناء العمل ، وأن يكون هناك عامل خاص يقوم بتركيب قضبان السكة الحديدية وملاحظتها طول اليوم . ولا بد من وجود نجار لاصلاح الفؤوس والكريكات وعمل السلالم للآبار والنقالات وعمل عروش للحجرات المنقوشة المعرضة للشمس الخ

ويكون على رأس هؤلاء العمال رئيس ذو شخصية قوية وله دراية بأعمال الحفر . وبكل هذه المعدات يتمكن العالم الاثرى أن يبدأ حفره بشيء كبير من الطمأنينة والثقة. فاذا أراد أن يكون عمله منتجاً وجب عليه أنه يقيم فى وسط عماله هو ومساعدوه بقدر ما تسمح له ولهم الفرص . ولا بد اذا اضطره الحال للانقطاع عن مباشرة العمل أن يحل محله مساعدوه الذين يجب عليهم أن يتناوبوا الاشراف على العمل ليكونوا على علم تام بكل جديد

طريقة الحفر

من البديهى أن العالم الاثرى عند مايريد الحفر فى مكان معين ، لابد أن يكون قد رسم خطة للعمل وأن تكون قد تهيأت له أسباب حملته على اختيار هذا المكان دون سواه . فهو اما يريد أن يكشف عن جبانة أوبلدة أو معبد يرجع تاريخه الى عصر من عصور التاريخ المصرى الثلاثة : القديم والمتوسط والحديث . ولكل من هذه الامكنة القديمة طريقة خاصة تتبع فى الكشف عنها . وسأحصر بحثى عن طريقة الحفر فى منطقة أهرام الجيزة التى جمعت بين الجبانة والبلدة والمعبد ، ويرجع تاريخها الى المملكة القديمة أى منذ نحو ....٥ سنة

أما الجبانة ، أى مدينة الموتى ، فكانت لا تختلف عن مدينة الاحياء فى شيء إلا أن الاولى كانت تقام من الحجر أو تنحت فى الصخر، فى حين أن الثانية كانت تبنى من اللبن

ولهذا بقيت مدينة الموتى حافظة لكثيرمن صورتها الاصلية لمتانة تكوينها. وأمامدينة الاحياء فلم يبق منها الا الأسس وبعض جدران مرتفعة بعض الشيء . فمن أراد أن يكشف عن جبانة قديمة يجب أن يتصور أولا أنه يكشف عن مدينة للاحياء . وسأضرب لكم مثلا :فاننا عندما أردنا البدء فى التنقيب كان أمامنا الطريق العمومى الموصل ما بين الهرم الثانى ومعبد الوادى بجوار أبى الهول ، وكان هذا الطريق يعد من أعظم شوارع مدينة الموتى . فلابد اذاً من أن تكون البيوت القائمة على جانبيه مملوكة اما لافراد من الاسرة المالكة ، وإما لاناس من علية القوم . وقبل أن نبدأ عملنا ،كان الكونت دى جلارزا قد كشف مقبرة أم الملك خفرع التى تقع فى الجهة اليمنى للسائر من معبد الوادى نحو الهرم الثانى . وكان قد كشفها عفواً بينما كان يبحث عن كنز ، فكانت نظريتى أن المقبرة الملاصقة لهذه المقبرة هى من غير شك لفرد من رجالات مصر فى عصر الدولة القديمة . وتحت تأثير هذا الاعتقاد افتتحنا موسم العمل

ففى اليوم الأول مددت السكة الحديدية واخترت المكان الذى ستلقى الرمال فيه ، وكان بعيداً عن المكان الذى قصدنا كشفه . وفى اليوم الثانى أخذنا فى التنقيب . وهنا أريد ان الفت نظركم الى طبقات الاتربة التى تكسو هذه الجبانة . فهى أولا طبقة من الرمل الناعم . ويختلف سمك هذه الطبقة باختلاف انخفاض المكان أو ارتفاعه . وبعد هذه الطبقة الرملية طبقة أخرى

من الاحجار الصغيرة والحصى مختلطة بالرمال والطين الاسود . ويختلف سمك هذه الطبقة باختلاف عمر المبانى التى تحتها ، وبعد ازالة تينك الطبقتين تظهر المبانى القديمة . ولازالة الطبقة الاولى يشتغل رجال البكريك ، وفى الثانية يشتغل رجال الفأس والمقطف . أما عند الوصول إلى الابنية والجدران فان نفراً خاصاً من أهل قفط يقومون بالكشف عنها بكل تؤدة وانتباه . ولم تمض بضع ساعات على بدء العمل حتى ظهر جدار ضخم ، فتتبعناه برفق وتؤدة . وبعد ذلك انكشفت أمامنا قطعة ضخمة من الحجر الجيرى مكتوب عليها اسم « رع ور » . وفى نفس اليوم كشفنا عن واجهة الباب وهى منقوشة وملونة بألوان ظلت ثابتة حتى وقتنا هذا فرسمت مكانها ونقلت نقوشها . فلما ان عثرنا على تلك الواجهة ، تحققنا أن الباب لابد واقع خلفها

وفى اليوم الثالث عثرنا على باب المقبرة منقوش على جانبيه اسم صاحبه « رع ور » وألقابه وأهمها لقب « الكاهن الاكبر للوجهين القبلى والبحرى » ثم لقب مدير القصر الملكى . وبذلك تحققت نظريتى التى فرضتها من قبل ، والتقطنا لكل هذا صوراً شمسية ثم نقلناها فى كراسات خاصة ودونا كل ماحدث فى كراسة هى كراسة اليومية . وأما ما كشف من القطع الاثرية الدقيقة فقد سجل فى كراسة خاصة تسمى السجل ، كما عهد الى المختصين رسمها باليد وتصويرها بالآلة الشمسية . وعلى هذا سرنا فى كشف النقاب عن هذه المقبرة حتى انتهينا منها . وكم كانت الدهشة عظيمة إذ بان لنا أنها أكبر المقابر التى عثر عليها الى الآن فى الدولة القديمة ! ثم انتقلت من هذه المقبرة الى غيرها كما ينتقل الانسان من بيت الى آخر متبعاً نفس الطريقة الاولى . وفى الموسم الثالث من أعمال الحفر جاءت الفرصة عفواً لكشف مدينة الاحياء . وذلك أننا بعد تنظيف مقبرة « رع ور » وما جاورها من مقابر رجالات مصر فى الدولة القديمة ، امتلأ المكان الذى عيناه لتفريغ الاتربة حتى ضاق عن أن يسع أكثر مما نقل اليه منها ، فاخذنا نبحث عن مفرغ آخر خال من الآثار فكان أمامنا فى الجهة الجنوبية الشرقية مكان منبسط فسيح مغطى بالرمال بجوار المقابر الحديثة الخاصة ببلدة نزلة السمان . وكان منظر هذا المكان يشعر بانه خلو من الآثار . ولكن خوفا من الوقوع فى الخطأ ، امتحنا هذه البقعة فى ثلاثة أمكنة بعيدة بعضها عن بعض ، وفى كل منها أسفر البحث عن وجود أبنية باللبن . وهنا رجح عندى احد احتمالين : فاما أن نكون أمام معبد ، كما هو الحال فى معبد الملك منقرع الذى بنى من هذه المادة عينها . واما أن نكون أمام مدينة قديمة . غير أن وقوع هذه المبانى فى الجهة الشرقية للبناء المطمور بالرمال والاتربة ، وهو الذى كانت تسميه العامة فرن أبى الهول ، وذكره العالم الاثرى ريزنر فى كتابه « مكرنيوس » المطبوع سنة ١٩٣١ بانه هرم شبسكاف الذى لم يتم بناؤه بعد ، جعل الشك يخامرنى فى أنه هرم ناقص كما يقول الاستاذ ريزنر . غير أنى رجحت أن تكون هذه الابنية هى معبد الوادى القائم أمام الهرم ، وحينئذ يصبح فرن أبى الهول وهرم شبسكاف الذى لم يتم بناؤه فى

الواقع هرم تام لو لم يعبث الزمن بجزئه العلوى . فكان أول عملنا أن تركنا هذه المبانى التى بالطوب الاخضرجانباً وحصرنا همنا فى اماطة اللثام عن هذا البناء المطمور فى الرمال . فلم نلبث بعد عدة أيام حتى وجدناه هرما ووجدنا أن صاحبته ملكة تدعى «خنتكاوس» ، وكانت أول ملكة حملت لقب ملك الوجه القبلى والبحرى . ثم اعدنا الكرة على الأبنية المقامة باللبن لنكشف عنها ، فاتضح أخيراً انها مدينة الكهنة ، وليست معبداً للوادى كما خيل الينا . وهنا لفت نظرى للمرة الثانية أمر عاينته من قبل ، هو أننا عند الكشف عن هذه المدينة كانت الطبقة العلوية تتركب من رمال ناعمة ، وطبقة ثانية تتركب من طين الجدران المهدمة ، وطبقة ثالثة ظهرت بها أساسات المبانى المقامة باللبن . وكان ارتفاع ماظل قائماً منها يتراوح بين ١٠ سم و٢٫٥ متراً . وبعد تمام الكشف عن جزء كبير منها ، حصرنا همنا فى البحث عن معبد الهرم الرابع

لما كانت البحوث التاريخية قد أثبتت لنا أن خنتكاوس ليست سوى «نيتوكريس» التى تكلم عنها هيرودوت وقال انها هى التى أكملت هرم أبيها الفرعون منقرع ، خطر لى أن معبد الوادى التابع لها ، لابد وأن يكون بجوار معبد أبيها الذى اكتشفه ريزنر سنة ١٩١١ - فاخذنا نبحث عن الطريق الموصل الى هذا المعبد ، واذا بنا نعثر أثناء البحث على بحيرة مقدسة تجرى اليها المياه من مجرى منحوت فى الحجر تحت الارض . ولما اقتفينا أثر هذا المجرى لنتبين المنبع الاصلى الذى ينبع منه الماء ، عثرنا على بئر منحوتة فى الصخر كان ينصب منها الماء إلى فوهة المجرى . وهنا تحققنا أن هذه البحيرة لابد وأن تكون ملحقة بمكان مقدس خاص ، فدأبنا فى العمل للوصول الى هذا المكان ، وبعد عدة أيام تحرينا فى أثنائها الطمأنينة والدقة فى البحث ، بلغنا ما أردنا ، فكشفنا الطريق المؤدى الى المعبد ثم وصلنا بالفعل الى المدخل وكشفنا المعبد . غير أن فناءه الكبير كان قد شغل فيما بعد بمساكن قروية من مدينة الاحياء . وهذا عين ماحدث فى فناء معبد منقرع . ولا بد لنا من ازالة هذه المساكن برفق وهوادة بعد رسمها ، لنكتشف الجدران الاصلية للمعبد وهى ماتزال محفوظة من غير شك ، إذ ان الذين استعملوا المعبد مسكناً لهم ، قد جعلوا أبنيتهم فوق الانقاض دون أن يحفروا أسساً عميقة ، كما هو الحال فى منازل مدن الاهرام التى نحن بصدد الكشف عنها الآن ، إذ نجد طبقتين من المبانى أقيمت احداهما فوق الأخرى ، أما الطبقة السفلى فهو البناء الاصلى القديم الذى اندك بعدأن أتى جيل آخر من الناس بنى فوقه

وفى الختام أرى ان الطريقة المثلى للكشف عن الآثار المصرية القديمة يجب أن تكون بريئة من الجرى وراء العثورعن الكنوز من ذهب وتماثيل وما اليها ، بل يكون غرضها الاسمى اماطة اللثام عن الفجوات الناقصة فى التاريخ المصرى القديم ، واظهار ما كان لبلادنا من حضارة وفن وثقافة . وذلك بكشف الاماكن الاثرية كشفاً علمياً واثبات كل ما وجد فيها من نقوش وقطع فنية وأثاث منزلى ومناظر . وهذه هى الكنوز الحقيقية

سليم حسن

شخصيات الشهر

الغازي مصطفى كمال باشا وتركيز السياسة التركية الخارجية

ماكاد الغازى ينتهى من تحرير تركيا وضمان استقلالها ، حتى وجه عنايته إلى تنفيذ الاصلاحات التى كان ينشدها بشجاعة عظيمة . وأخيراً رأى فخامته أن عمله يجب أن يتوج بما يكفل لتركيا السلام حتى تظل منصرفة الى الاصلاحات الداخلية ؛ فتغلب على عواطفه القديمة وفكر فى بسط يده لليونان ... تلك اليد التى كانت أول يد شهرت السلاح فى وجوه اليونانيين في حرب الأناضول . . وفى الوقت عينه بسطيده لرومانيا ويوغوسلافيا . . وبعد مفاوضات طويلة بين هذه الدول الاربع أمضت حكوماتها الميثاق البلقانى ، وهو يقضى عليها باحترام المعاهدات التى بينها وبألا تعتدى دولة منها على أخرى بل على عكس ذلك يساعد بعضها بعضا فى حالة وقوع أى اعتداء خارجى

ولما كان الشىء الوحيد المحتمل وقوعه هو حرب بين روسيا ورومانيا ، ولما كان هناك معاهدة صداقة وسلام بين تركيا وروسيا ، تساءل الناس عما تفعله تركيا اذا نشبت حرب بين روسيا ورومانيا وهل تحترم معاهدتها مع روسيا بالتزام الحياد أم تنفذ نصوص الميثاق البلقانى وتنجد رومانيا .. وبعد تفكير طويل وصل الغازى مصطفى كمال باشا الى تدبير حل هذا الاشكال بأن حصل من حكومة رومانيا على تصريح كتابى بأنها لا تنتظر معاونة تركيا لها اذا وقعت حرب بينها وبين روسيا

الدكتور بينش محور السياسة فى وسط أوربا

أوربا الوسطى هائجة مائجة فى هذه الايام ، أولا لرغبة المانيا فى ضم النمسا اليها ، وثانيا للمحاولات التى يحاولها البعض لاعادة آل هبسبورج الى المجر والمناداة بالارشدوق اوتو ملكا ، ولاعتبارات شتى أخرى . وأ كثرها هياجاً تشكوسلوفاكيا وبولاندا ويوغوسلافيا . ولذلك مابرح أقطاب حكوماتها يتبادلون الزيارات فى الشهرين الاخيرين لتقرير الخطة التى تسير عليها دولهم فى كل مشكلة من المشاكل التى تعرض لها . ومحور تلك الحركة هو الدكتور بينش وزير خارجية تشكوسلوفاكيا ومن فطاحل رجال السياسة فى أوربا فى هذا العصر

وقد كان الدكتور بينش طالبا فى جامعة « براغ » لما كان المسيو ماساريك رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا الحالى استاذاً فيها . فعرف الاستاذ تلميذه منذلك الحين ، وأحبه لفرط ذكائه وشدة

اجتهاده . واذ شرع المسيو ماساريك يومئذ فى اعداد نفوس الناشئة التشكية للثورة المقبلة كان تلميذه بينش أول من انضم اليه وانضوى تحت علمه

ولما نشبت الحرب العظمى كان الدكتور بينش يطلب العلم فى باريس ، فما كاد المسيو ماساريك يفر من براغ ويلجأ الى سويسرا ويدعو التشك والسلوفاك الى الثورة للتحرر من حكم النمسويين ، حتى شرع الدكتور بينش من جهته فى نشر الدعوة للقضية التشكية فى فرنسا ، ثم الف كتابا عنوانه «قوضوا أجنحة النمسا» قال فيه : أنه إذا أراد الحلفاء الانتصار على المانيا وجب عليهم القضاء على النمسا أولا ، ولا سبيل للقضاء عليها إلا بتحرير الشعوب المهضومة المحكومة منها . ووقعت نسخ من هذا الكتاب فى أيدى بعض الساسة الفرنسيين فاعجبتهم النظرية واجتمعوا بالدكتور بينش ليزيدهم بيانا عن القضية التشكية . ومن ذلك الحين بدأت فرنسا وانجلترا تعطفان على هذه القضية . وهو العطف الذى انتهى بالاعتراف باستقلال تشكوسلوفاكيا ، ولذلك يمكن ان يقال أن هذا الكتاب كان فى مقدمة العوامل التى ساعدت على بناء الدولة الجديدة

ولما ألفت حكومة تشكوسلوفاكيا المستقلة سنة ١٩١٨ قلد الدكتور بينش وزارة الخارجية وهو ما يزال يتقلدها الى اليوم

السنيور موسولينى وسياسة ايطاليا فى الشرق

منذ أن أعلن أن مؤتمراً للطلبة الشرقيين والاسيويين سيعقد فى روما وأن السنيور موسولينى سيخطب فى حفلة افتتاحه ، أدرك الناس ان عند زعيم ايطاليا شيئاً جديداً يريد أن يقوله ، فلما عقد المؤتمر وخطب فيه موسولينى سمع الناس ذلك الشىء الجديد إذ قال فخامته : «ان عبارة (الغرب غرب والشرق شرق وهما ضدان لا يجتمعان) عبارة فاسدة عقيمة» ونوه بامكان تآلف الغرب والشرق على أساس تعاون روحى واجتماعى واقتصادى

والذين يعرفون السنيور موسولينى يعلمون انه لا يلقى الكلام على عواهنه وأنه لا يقول شيئاً إلا وفى نفسه غاية يرمى اليها ، فلم يكن يعقل أن يقول ماقاله فى مؤتمر الطلبة الشرقيين والاسيويين لمجرد الرغبة فى الخطابة

ولم يمض على ذلك فترة قصيرة من الزمان حتى احتفل فى روما فى الشهر الماضى بانقضاء عشر سنوات على شروع الحزب الفاشستى فى تحقيق اصلاحاته الداخلية ، فخطب السنيور موسولينى فى تلك المناسبة خطبة طويلة اشار فيها أيضاً إلى التعاون بين الغرب والشرق ولكنه أوضح فى هذه المرة ما ألمع اليه فى مؤتمر الطلبة الشرقيين والاسيويين . وقال: أن ايطاليا لاتبغى توسعا عسكريا واستعماريا ولا تريد مناهضة الامانى الوطنية والقومية فى البلدان الاخرى ، ولكنها تريد صلات اقتصادية وروحية وأدبية على قاعدة التعاون المشترك

وذهب السنيور موسوليني إلى أبعد من ذلك من تحديد مرامي دولته فقال : أن ايطاليا تريد تلك الصلات مع أفريقا ومع آسيا . وقد ذكرني كلامه هذا بقوله لي لما قابلته في الصيف الماضي : « ان البحر الذي يفصل بيننا بحر صغير فليس هناك ما يمنع تعاوننا »

ولا شك في أن غلطات بعض الدول الاوربية العظمى الاخرى نفعت ايطاليا في نهضتها الجديدة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية ، فعلمت ان التوسع الاستعماري لا يفيد في هـذا العصر وانه لايولد سوى الاحقاد والضغائن ، في حين ان التعاون الاقتصادي والروحي هو الغاية التي يجب ان تسعى لها الدول ولا سيما في هذه الازمة التي ما برح العالم يكتوي بنارها

الارشدوق أوتو المطالب بعرش المجر

لهجت التلغرافات الخارجية في المدة الاخيرة باحتمال عودة آل هبسبورج الى المجر والمناداة بسمو الارشدوق اوتو ملكا عليها . ولكن الباحث يستبعد حدوث ذلك في الوقت الحاضر ولا سيما ان بعض الدول وفي مقدمتها فرنسا تعارض في هذه الفكرة معارضة شديدة

والارشدوق اوتو هو نجل الامبراطور شارل (كارل) النمسوي وولي عهده ، فانه على أثر مقتل الارشدوق فرديناند جوزيف ولي عهد النمسا في سراييفو في سنة ١٩١٤ أصبح الارشدوق شارل وليا للعهد ، ولما توفي الامبراطور فرنسوى جوزيف الشيخ قبيل انتهاء الحرب خلفه سموه على العرش . ولكن مدة حكمه لم تطل اذ اضطر إلى التنازل عن العرش عند نهاية الحرب كما فعل امبراطور المانيا . غير أنه ظن في وقت ما أنه يستطيع ان يسترد عرشه ، ولكن محاولته حبطت مرتين فات كسير القلب في جزيرة ماديرا الاسبانية في شهر ابريل سنة ١٩٢٢ تاركا وراءه ارملته الامبراطورة زيتا واولاده الصغار بلا معين فعطفت عليهم بعض الاسر المالكة ولا سيما أسرة ملك البلجيك وتبرعت للامبراطورة المنكودة الحظ بما يكفيها لعيشها وعيش اولادها

وظلت الامبراطورة زيتا — وهي الآن في الثانية والاربعين من عمرها — تعيش في اسبانيا مع اولادها الى ان بلغ نجلها الاكبر الارشدوق اوتو سن الانتظام في الجامعات ، فرحلت الى البلجيك حيث دخل جامعة لوفان ، ومنذ سنتين نال شهادته في القانون وفي الفلسفة . أما سائر اخوته فما برحوا يترددون على مدارس بروكسل كاولاد الافراد العاديين

وتعامل الامبراطورة زيتا الارشدوق اوتو كرئيس لاسرة هبسبورج وتحيطه بمظاهر الاحترام والاجلال الواجبة له منذ نعومة أظفاره ، وهي لا تفتأ تجاهر بان الحق سيعود الى نصابه يوما ما ، وذلك اليوم في نظرها هو اليوم الذي يعود فيه الارشدوق « اوتو » الى عرش آبائه وأجداده

كريم ثابت



مصر تفقد فنانها النابغة : محمود مختار

« لا يزال الانسان في اقبال ما لم يعثر ، فاذا عثر لج به العثار وان مشى فى جدد من الارض »

تلك كلمة حكيمة قالها ابن المقفع . وهي تنطبق تمام الانطباق على مصر . فقد رزئت في نوابغها في السنين الأخيرة ، فاطاح الموت بواحد تلو الآخر . فلا ترقأ دمعة على نابغة او عظيم حتى تنهمر من عيونها دموع على غيره

وهي تبكي اليوم مثالها العبقرى ، وفنانها القدير محمود مختار الذى رفع رأسها ، وتوجها بتاج الفخار بين الامم الغربية واحيا فناً جليلا اشتهر به الفراعنة الامجاد ، وخلفوا منه آثاراً خالدة ما تزال معجزة الفن وآية في الابداع والاتقان

واهم كان من أهم آثار مختار تمثال نهضة مصر الذي نحته من حجر الجرانيت واقامته الحكومة المصرية في أكبر ميادين القاهرة ، وكان شاهداً صادقا على قدرة مختار وبراعته ونبوغه في فن النحت الذى استعاد به عهد قدماء المصريين

ولمختار عدة تماثيل هى آية من اجمل الآيات الفنية التى عرضت في اوربا ومصر ، ونالت اعجاب الغربيين قبل الشرقيين . ومن هذه التماثيل تمثال (زوجة شيخ البلد) وتمثال (على شاطىء النيل) و (نحو ماء النيل) و (بائعة الجبن) و (قارئة الاسرار) و (المتسولون العميان) و (ازيس) وغير ذلك من التماثيل التى تشعر امامها بتلك الروح القوية التي خسرتها مصر بوفاة مختار



نهضة مصر



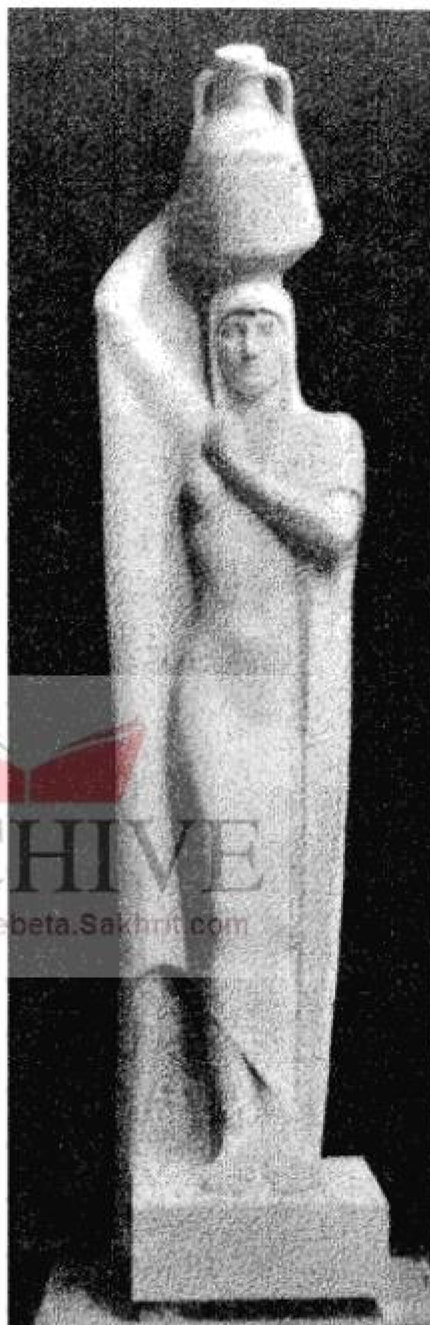
سعد زغلول باشا



عدلي يكن باشا



عبد الخالق ثروت باشا

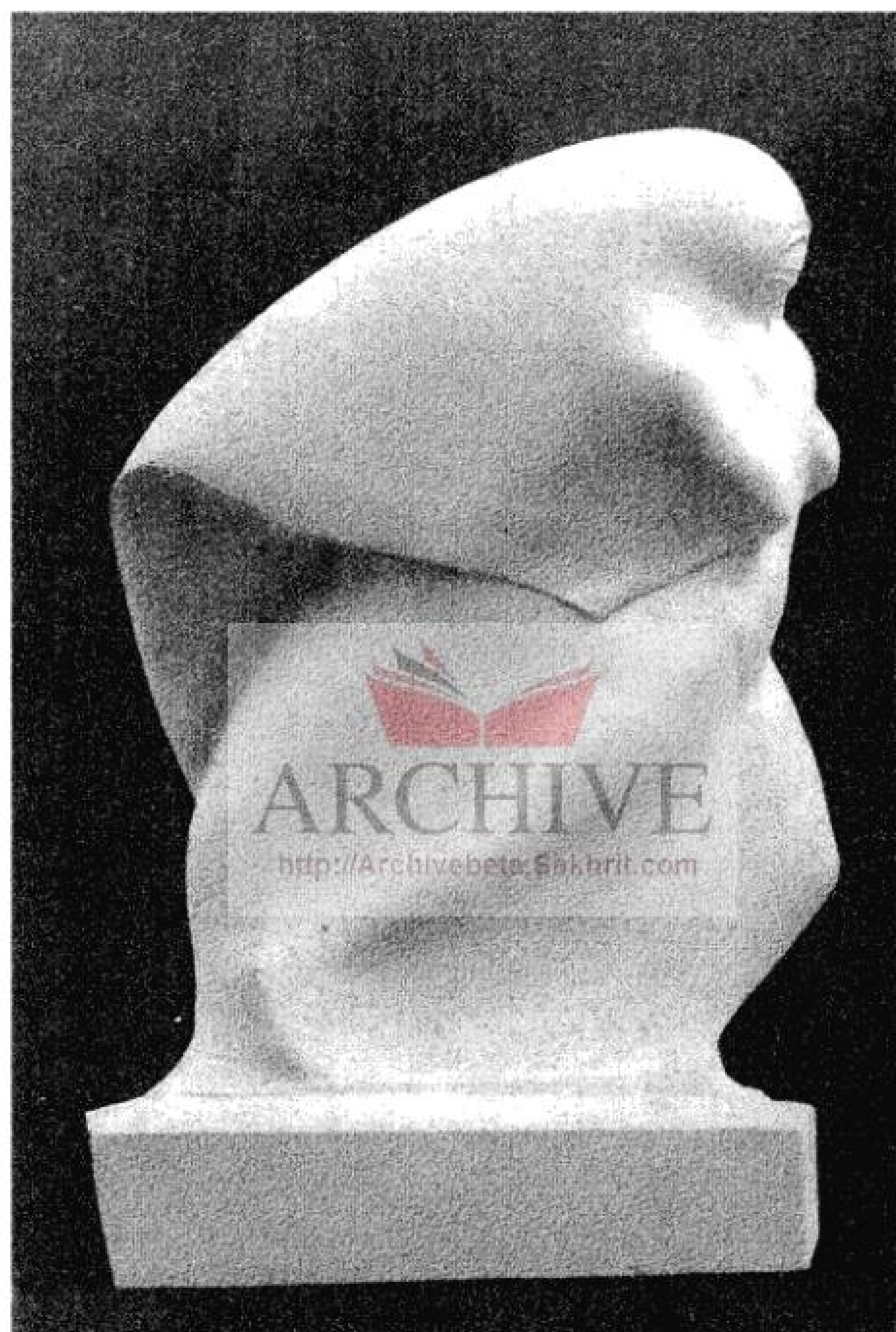


نحو ماء النيل

امرأة من القاهرة







أحمد أبام الحسيني

رئيس قبيلة البشريين
في اسوان



قارئة الاسرار



العودة من النهر

القلب الصناعي

ونقل الدم من السليم الى العليل

اتيحت للطب وسيلة جديدة للعلاج هي من أحسن الوسائل وانفعها في الحالات التي يفقد فيها الانسان مقداراً كبيراً من دمه بسبب النزيف أو غيره . ولايخفى ان الانسان في هذه الحالة تنحط قواه فلا يستطيع الجسم ان يقوم بوظيفته إلا اذا عوض من الدم الذي فقده وعاد الى حالته الطبيعية

وقد عرف الاطباء فائدة نقل الدم من جسم الى جسم منذ القرن السابع عشر إلا انهم لم يحسنوا طريقة النقل ولا ادركوا الفرق بين انواع الدماء المختلفة . ولذلك كانت حوادث نقل الدم في اغلب الاحيان تؤدي إلى عواقب وخيمة. وفي التاريخ أن طبيباً يدعى كلنج قتل في سنة ١٦٦٩ تطبباً بنقل دم خروف اليه. وقتل طبيب ايطالي يدعى مانياني ثلاثة كلاب لانه نقل اليها دماء حيوانات اخرى. ووقعت حوادث اخرى من هذا القبيل ادت إلى وفاة الشخص او الحيوان المنقول اليه الدم ، إلى ان ثبت للعلماء في القرن الحاضر ان الدم يختلف حتى في افراد النوع الواحد وان دم الانسان اربعة انواع مختلفة ، فليس من الحكمة احلال نوع محل نوع آخر إلا النوع الرابع فانه يمكن ان يعتاض به من جميع الانواع



البحث عن موضع الشريان قبل اجراء عملية نقل الدم

اجراء عملية نقل الدم من جسم الصحيح
الى جسم المريض بواسطة انبوبة خاصة
معدة لهذا الغرض

وفي الواقع ان نقل الدم من جسم إنسان إلى انسان آخر كثيراً ما افضى الى موت الانسان المنقول اليه الدم او على الاقل الى امراض وارتباكات خطيرة . وعليه فاول ما يجب عمله اذا اريد نقل الدم من جسم إلى جسم هو فحص دم كلا الجسمين حتى يعلم هل هما من نوع واحد او من نوعين مختلفين . فاذا كانا من نوع واحد يجب ان يكون الدم المراد نقله سليما خاليا من الجراثيم والميكروبات

ويتم فحص الدم بواسطة المجهر (الميكرسكوب) بان تؤخذ منه نقطتان او اكثر على لوح من الزجاج وبعد الفحص يستطيع الطبيب ان يحكم هل من الملائم نقل الدم ام لا

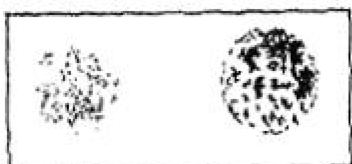
ولا يخفى ان من المرضى من تقل في دمائهم الكريات الحمراء . فاذا انجدوا بدم من جسم انسان سليم مماثل لهم في النوع زادت الكريات الحمراء في دمهم ونالوا الشفاء . وقد كثر التجاء الاطباء في السنين الاخيرة الى نقل الدم ولا يكاد يخلو مستشفى من

Serum 2 Serum 3



Bluțgruppe 1 (zwei Reaktionen

Serum 2 Serum 3



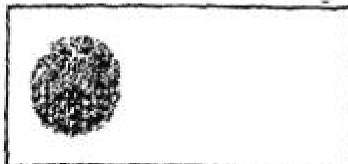
Blutgruppe 2. (posit Reaktion nur rechts)

Serum 2 Serum 3



Blutgruppe 3 (pos. Reaktion nur links)

Serum 2 Serum 3



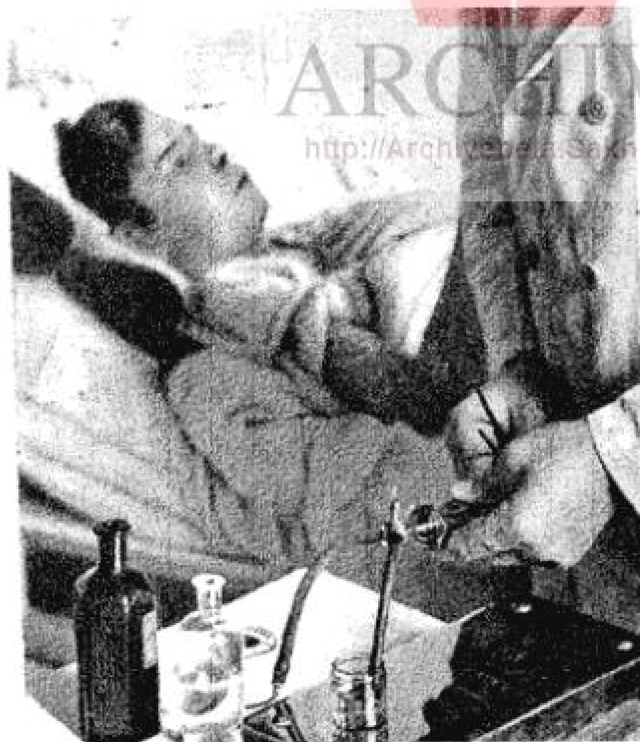
Blutgruppe 4. (gar keine pos Reaktion)

الى اليسار : خريطة تبين كيفية تفاعل أربعة أنواع مختلفة من الدم

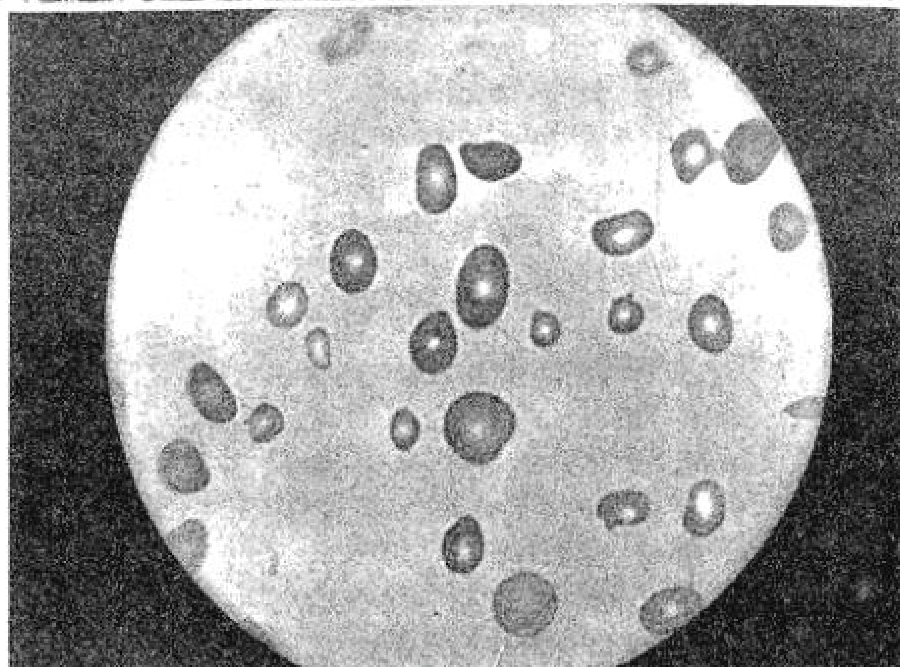
مستشفيات اوربا وامريكا من الاجهزة والآلات اللازمة لذلك . وكذلك كثر الاشخاص الاصحاء الذين يقدمون دماءهم لمن هو في حاجة اليها اما بدافع الانسانية او رغبة في الربح . وترى هنا بعض الصور المتعلقة بنقل الدم في مستشفى « شاريتيه » التابع لجامعة برلين

ومما يجدر بالذكر انه عند ما يراد نقل الدم من السليم إلى العليل يضجع الاثنان متوازيين في مكان خاص ثم يؤتى بجهاز معدني مؤلف من مضخة (طلمبة) دائرة يتصل بها انبوبان من الكاوتشوك المعقم وطول كل انبوب منهما ثلاثون سنتمتراً وفي طرف كل منهما ابرة مجوفة . وعند الضخة او الطلمبة آلة دافعة تبلغ قوتها جزءاً واحداً من ثلاثين جزءا من حصان واحد. وهذه الآلة تدفع « الطلمبة » الى امتصاص الدم من جسم السليم (بعد وصله بالأنبوب عن طريق الابرة) ثم دفعه بالانبوب الآخر الى جسم العليل او المصاب . وللجهاز عدة صغيرة تنظم سرعة نقل الدم وتدل على المقدار المنقول . وتراعى عند نقل الدم سرعة نبض القلب في الشخص المنقول منه وتراقب بكل اهتمام

ثم ان الانبوبين المتصلين بالجهاز ـ ويعرف بالقلب الصناعي ـ هما مصنوعان من الكاوتشوك المعقم ولا يؤثران في تركيب الدم الذي يمر فيهما . ولو كانا من الكاوتشوك الاعتيادى الاسود او الاحمر لاحدثا في الدم تفاعلا كيميائياً قد يؤدى الى ارتباكات خطيرة . وقد روعي في قطر تجويف الانبوبين امر مهم وهو منع تدفق الدم وانتقاله من جسم السليم الى جسم العليل بغزارة لان ذلك ليس في مصلحة احد منهما . ويتم نقل الدم بكل راحة وهدوء فلا يشعر الشخص المنقول منه او المنقول اليه بأى تعب ، ولا يقتضي الامر تخدير احدهما او كليهما . وقد كان الشخص المنقول منه يشعر قديماً بشيء من الدوار وضيق النفس وذلك بسبب عدم اتقان العمل ـ اما اليوم فان نقل الدم يتم بطريقة علمية لا يخشى معها على صحة الشخص المنقول منه او المنقول اليه . وكل ما تقتضيه هذه العملية هو ان يعطى الشخص المنقول منه شرابا منعشا كاللبن او عصير البرتقال وفي الحال يعود الى حالته الطبيعية ، وما هو الا زمن قصير حتى يعتاض من الدم الذى تبرع به لغيره



الى اليسار : احدث طريقة لنقل الدم تقضي بان لا يمس الطبيب اداة النقل بيده مطلقا



صورة مكبرة عدة أضعاف لنقطة دم من شخص مريض قبل عملية نقل الدم اليه . وقد ظهر ان المليمتر المكعب من دمه يحتوى على ٧٠٠ ألف من الكريات الحمراء حالة ان دم الصحيح يحتوى عادة على خمسة ملايين منها في المليمتر



دم المريض بعد أن نقل اليه دم صحيح عدة مرات . وقد وجد ان الأول أصبح يحتوى على مليونين من الكريات الحمراء في كل مليمتر مكعب وعلى ٤٠ ٪ من الهيمو جلوبين

فرغت مصلحة الآثار اخيراً من حفرياتها العلمية في منطقة خزان اسوان . وبذلك تمت سلسلة البحوث التي قام بها العلماء في تلك المنطقة منذ ثلث قرن ومنذ برزت فكرة الخزان الى حيز الوجود . وقد أسفرت هذه البحوث المتواصلة عن كشف النقاب عن كثير من الحقائق المجهولة في تاريخ النوبة . وفي هذا المقال استعراض لصور من

الحضارة النوبية

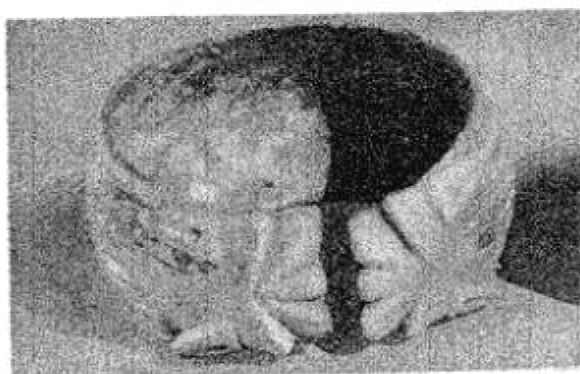
وصلتها بالحضارة المصرية القديمة

اصطلح المؤرخون على تسمية المنطقة الواقعة فيما بين الشلال الاول والرابع ببلاد النوبة . وقد اطلقت عليها التوراة اسم « بلاد الكوش » وكوش هذا – فيما تقول التوراة – هو جد النوبيين، وأخو مصرايم جد المصريين ، وكلاهما من حام بن نوح . واطلق عليها الاغريق اسم « ايثيوبيا » ومعناه الوجه الشديد السمرة . ويطلق هذا الاسم الآن على بلاد الحبشة . أما اسم النوبة فهو فيما يقال نسبة إلى كلمة « نب » ومعناها في اللغة النوبية الذهب ، أى أن بلاد النوبة هى بلاد الذهب لوفرة هذا المعدن فى صحاريها

وكان يقطن هذه البلاد قوم يجتمعون فى نسبهم بقدماء المصريين حتى ليذهب المؤرخ ديودور الى القول.

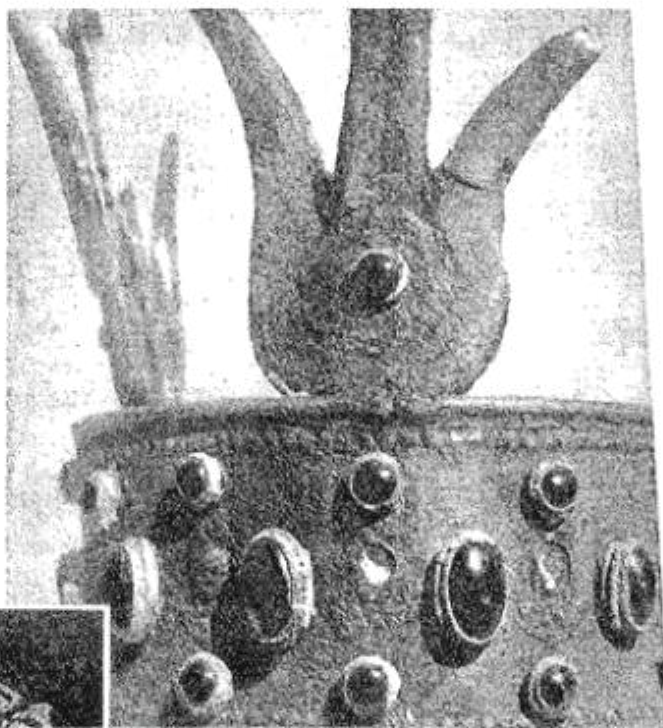


الى اليمين : آنية من الفضة اكتشفتها بعثة مصلحة الآثار في بلاد النوبة



سوار من الفضة من الآثار التي عثرت عليها بعثة بلاد النوبة

الى اليمين : تاج الملكة الذي اكتشفته بعثة الآثار في بلاد النوبة وهو من الفضة الخالصة المحلاة بالاحجار الكريمة



فى أسفل : سوار من الفضة مرصع بالاحجار الكريمة



بأن أصل المصريين جالية نوبية نزحت من الجنوب . ويؤيده فى ذلك براهين منها :

(أولا) أن موتى المصريين — قبل أزمنة التاريخ — كانت تدفن ورءوسها متجهة نحو الجنوب

(ثانياً) أن البخور كان مستعملا فى العبادة المصرية منذ القدم . وما كان ذلك ممكناً لو لم يكن المصريون قد جاءوا من الجنوب ، حيث العلائق مع الصومال وجنوبى جزيرة العرب سهلة ومتبادلة

(ثالثاً) ان أشهر آلهة مصر من النوبة مثل أوزيرس الذى أنقذ مصر من الهمجية ، وعلم أهلها الزراعة ووضع لهم الشرائع وشيد المبانى فى طيبة . ومثل زوجته ايزس التى أخرجتهم من الوحشية وصرفتهم عن أكل لحوم البشر وعلمتهم قواعد الزواج الشرعى . وكذلك ابنهما حورس رب الوطنية والفروسية الذى طهر مصر من آلهة الشر والفساد

ويذهب آخرون الى أن النوبيين نزحوا قديماً من مصر الى الجنوب فى سبيل البحث عن الذهب وحلوا معهم بذور الحضارة والعقائد المصرية . ويستدل هؤلاء على ذلك بأن النوبيين كانت لهم حضارة قديمة لا تختلف كثيراً عن حضارة المصريين . كما أن الاله المصرى أمون كان مقدساً عندهم فى نباتا ومروى



الى اليسار : اقراط محلاة
بأحجار كريمة عثر عليها
فى بلاد النوبة

وسواء أكان المصريون جالية نوبية نزحت الى الشمال أم كان النوبيون جالية مصرية هاجرت الى الجنوب ، فان مما لاشك فيه أنهما من عنصر واحد ، فقد أثبتت البحوث العلمية التى أجراها العلامة الانجليزى اليوت سميث فى مقابر مصر والنوبة ، أنه لا فرق بين المصرى والنوبى فى التكوين الجثمانى ، حتى ليتعذر من هذه الوجهة تبين حد فاصل يميز أحدهما من الآخر ؛

بيد أنه وقعت فى بدء الاسرات الملكية فى مصر غزوات جاءت بكثير من الدماء الزنجية ، فأثرت فى الدم المصرى والنوبى ، وكانت أشد تأثيراً فى المنطقة الواقعة فيما بين جبل السلسلة والشلال الثانى



ويرتبط تاريخ النوبة ارتباطاً وثيقا بتاريخ مصر ، حتى ليصح القول أن كلا منهما متمم للآخر . فان وحدة الاصل والوطن والدين قد أحكمت بينهما أواصر القربى والجوار ، فاذا هما شعب واحد فى آلامه وآماله برغم اختلاف الاقليم والمناخ

وللتاريخ النوبى أطوار عدة تبدأ منذ فجر التاريخ حيث عهد البداوة والقبلية فى النوبة وبدء الحضارة والملكية فى مصر . وفى هذا الطور قامت مصر بكثير من الحملات التجارية والحربية فى بلاد النوبة وبذل ملوكها جهوداً متواصلة فى فتح الطرق البحرية بين الجنادل واخضاع القبائل النوبية المجاورة التى كانت كثيراً ما تغير على الحدود المصرية

وكان من آثار ذلك نمو العلائق بين مصر والنوبة ، وتبادل المنافع والدماء ، فقد غزا سنوفرو آخر ملوك الاسرة الثالثة بلاد النوبة ، ثم توغل فى الجنوب وعاد ومعه سبعة آلاف أسير من الزنوج والنوبة ، ومائتا ألف رأس من الماشية — ولعله استخدم هؤلاء الاسرى فى استثمار مناجم الفيروز بطور سيناء أو فى تشييد قبره بدهشور أو بناء هرمه فى ميدوم . واستطاع بيبى الاول أحد ملوك الاسرة السادسة — بعد أن بسط نفوذه على شمال النوبة — أن يجند منها جيشاً هزم به أمراء الوجه البحرى

ولما سهلت المواصلات بين مصر والنوبة وتوثقت بينهما العلائق هاجر كثير من المصريين الى تلك البلاد للبحث عن مناجم الذهب أو فراراً من ظلم الولاة ، فدخلت بلاد النوبة فى طور جديد ونمت فيها بذور الحضارة المصرية وازدادت عناية الفراعنة باستعمارها ، فأقام ملوك الدولة الوسطى هنالك الحصون والقلاع للسيطرة عليها وتأمين الطريق

وفى عهد الدولة الحديثة تم الاستيلاء على تلك البلاد ، وكثر فيها الدم المصرى ، وانتشرت المدنية المصرية . وما هى إلا فترة من الزمن حتى استقلت النوبة عن مصر ، وقامت فيها مملكة قوية عاصمتها نباتا قرب الشلال الرابع تمكنت من بسط سلطانها على مصر فيما بعد

وقد أسفرت هذه الأطوار عن ايجاد رابطة قوية بين مصر والنوبة فان مملكة نباتا لم تقم إلا على أساس الحضارة المصرية وبرعاية كهنة أمون الذين هاجروا اليها بعد سقوط طيبة . كما أن احمس أول ملوك الاسرة الثامنة عشرة تزوج بابنة ملك النوبة على عهده فامده هذا الملك بجيش نوبى استطاع ان يطرد به الرعاة من مصر . وتزوج كاتشا ملك النوبة بابنة كاهن مصرى فانجبت له بعض ملوك الاسرة الخامسة والعشرين



وقد يكون من الصعب أن نحدد تاريخ نشوء الملكية فى بلاد النوبة — فتلك ناحية ما تزال غامضة فى التاريخ — وانما نستطيع القول بأن حياة القبيلة ظلت سائدة هناك الى عهود متأخرة حتى بعد ظهور الملكية فى نباتا ومروى لان طبيعة تلك البلاد تمكن لحياة القبيلة فى البقاء والاستقرار

ولا شك فى أن تطور الحياة الاجتماعية والسياسية فى بلاد النوبة كان نتيجة العلائق التى وجدت بينها وبين مصر منذ فجر التاريخ . وكان من آثارها تبادل المنافع والدماء ونمو الحضارة المصرية فى تلك البلاد

وقد تمصرت بلاد النوبة فى عهد الدولة الحديثة ووجد فيها كثير من السلائل المصرية وألوان من الحضارة المصرية . وفى ذلك العهد نجد نظام الملكية قائماً فى نباتا — ولعله ليس بعيد العهد بالقيام — وبتصر العلائق بين مصر والنوبة قد تطورت تطوراً جديداً ، فاذا بالملك أحمس يستعين بجيش نوبى على طرد الرعاة من مصر بعد ان أرهقوا المصريين أكثر من ستمائة عام . . .

ولما سقطت مملكة طيبة بعد عهد الرعامسة نفى الملك سمنتو ميامون — أحد ملوك الاسرة الحادية والعشرين — كهنة أمون من مصر . فلجأ هؤلاء إلى بلاد النوبة لانها كانت تعبد هذا الاله . وأمدوا ملوك النوبة برعايتهم وقووا فيهم نزعة الحرية والسيادة . فاذا بمملكة نباتا مملكة قوية ذات حضارة وسلطان . واذا بها تبسط سيادتها على وادى النيل وتعيد لأمون نفوذه وسلطانه

ومن ملوك نباتا قامت الأسرة الخامسة والعشرون . وما يزال باقيا من آثار هذه المملكة بعض الاهرام والمعابد — فهناك عدا المعابد ثلاثة عشر هرما فى جبل البرقل وخمسة وعشرون تجاهه فى نورى عند الشلال الرابع . وهى مبنية من الحجر الرملى على هيئة أهرام مصر . الا أنها أقل منها حجما . وفى واجهة كل هرم ايوان كأواوين المعابد المصرية

وبعد أن انقضت دولة نباتا ظهرت فى الجنوب مملكة مروى . وكانت معاصرة للفرس والبطالسة والرومان ولها وقائع مع كل هؤلاء . وكان سلطانها يمتد من الشلال الاول إلى الحبشة . وآثارها تلى

آثار نباتا فى القدم وتفوقها فى الاهمية . من بينها هيكل للاله أمون ومجموعة من الاهرام يبلغ عددها ثمانين هرماً

وقد بلغت مملكة مروى شأوا عظيما فى القوة والرقى حتى قيل إنها كانت تجهز للحرب جيشاً مؤلفاً من مائتين وخمسين الف مقاتل . وكان فيها أربعمائة الف صانع . وكان للمرأة فى عهدها نصيب كبير فى الرق والسيادة حتى ان أكثر من ملكها كان من النساء !

* * *

وبالرغم من أن الرقى المدنى ظل فى النوبة متأخراً عنه فى مصر — لاسباب اقليمية بحتة — فقد ظهرت الحضارة هنالك منذ أربعة آلاف سنة . ثم أخذت تنمو وتزدهر وتصطبغ بالصبغة الفرعونية حتى بلغت شأناً عظيما فى الدين والسياسة والفنون . فقامت هنالك الاهرام والمعابد وارتقت الفنون والصنائع وانبسط سلطان النوبة على وادى النيل . . .

وقد كان انشاء خزان أسوان فى مطلع هذا القرن وتعليته المرة بعد الاخرى حافزاً لكثير من الهيئات العلمية إلى البحث والتنقيب فى تلك البلاد للوصول الى حقائق جديدة عن تاريخ النوبة وحضارة النوبيين

وقد وفقت هذه البعوث إلى كثير مما ترجوه واستطاعت أن تجمع صوراً قيمة لتلك الحضارة أهمها مايختص بالعصر المروى — وهى بلا شك ثروة جديدة تضاف إلى نفائس التاريخ

ولعل أقدم هذه الآثار ماوجد منها فى مقابر عنيبة ، ويرجع تاريخها إلى ألفى سنة قبل الميلاد منها مائتا اناء من الخزف والفخار محفور عليها نقوش بديعة ملونة تدل على براعة وذوق فى هذا الفن

ووجد فى هذه المقابر أيضاً عدد من التماثيل الصغيرة كانت توضع مع الميت لتنوب عنه فى أداء الاعمال الشاقة فى الحياة الاخرى — وهذا لون من العقائد المصرية القديمة

أما حضارة العصر المروى فقد كانت متأثرة بالفن المصرى والروح البيزنطية . وفى مقابر قسطل وبالانة آثار سمينة من الوجهة التاريخية والفنية تمثل هذه الحضارة فى أزهى عصورها . فهناك تيجان من الفضة المرصعة بالجواهر والتماثيل الصغيرة ، ومجموعة سمينة من الحلى والاسلحة والاطباق والملاعق وتحف بديعة من البرنز على شكل مواقد ومباخر ومصابيح وأباريق . ورقعة الشطرنج من العاج والابنوس ، ومجموعة فاخرة من السروج والبراذع مصنوعة من الجلد المصبوغ باللون الازرق ومطعمة بالفضة والاحجار الكريمة ومحلاة بزخارف هى مثل حى من رقى الفنون الجميلة فى ذلك العهد

وهذه المقابر خاصة بطبقة الملوك والاشراف . فكان اذا مات أحدهم ألبسوه التاج والحلى والسلاح

وزودوه بالطعام والشراب ، وأودعوا قبره بعض تحفه الخاصة . ثم يشنق العبيد أنفسهم لديه وتطهم خيوله حيث تقتل داخل القبر ليكون الجميع فى خدمته فى حياته الاخرى . . .

وقد روى هيرودوت أن النوبيين كانوا يحنطون الميت ويطلون جسده بالجص ويدهنونه بمادة تجعله قريب الشبه بالأحياء . ثم يوضع فى اسطوانة من البلور بحيث يرى الميت ولاتنبعث منه رائحة الموتى . وتحفظ هذه الأسطوانة لدى أقارب الميت سنة كاملة يقدم له فى خلالها الذبائح وبواكير كل شيء حتى ينتهى العام فتنقل هذه الاسطوانة الى المقابر

وفى المتحف المصرى قسم خاص بالتاريخ النوبى تمتلىء غرفه وأروقته بآثار قيمة تمثل الحضارة النوبية فى كثير من العصور . ولعل أجملها تمثال بديع من المرمر للاميرة أمنرتيس الزوجة المقدسة لآمون وحاكمة طيبة . وهو قائم فى الردهة العامة على قاعدة من الجرانيت الاسود بقد أهيف وقوام رشيق ووجه صبوح ، يزينه التاج على رأسها والاساور العريضة فى معصميها والحجول الكبيرة فى ساقيها . وعلى قاعدة التمثال منقوش اسم الاميرة واسم أخيها الملك شبكا مؤسس الاسرة الخامسة والعشرين

محمد كامل حته



فى التربية

للفيلسوف الفرنسي روسو

اياكم أن تثيروا حماسة «اميل» بروح المنافسة ، فانها تخمد روحه وتفسد نفسه دون أن تصلحها، تملأ قلبه حقداً وحسداً وبغضاً وكراهية ، فيري خيره فى ضر غيره وتقدمه فى تأخر اخوانه . بل بدوا دائماً إلى بث روح التعاون فيه ليعمل مع أخيه ويشاطره الخير والضر . وإن كان ثمة ضرورة حريك همته وإثارة روح الغيرة فى نفسه فاذكروا له مثلا ما كان يستطيع حمله فى عامه الماضى من اثقال والمسافة التى كان يقدر أن يقطعها ثم ليقارنها بما يستطيعه اليوم فيرى الفرق ظاهراً بين لاثنين ، وبذلك يعمل «اميل» على أن يزيد فى نشاطه

الانسان ابن مهنته

كيف تختلف الاخلاق باختلاف المهن

للاستاذ امير بقطر

> كل رجل وصناعته، أي مقترنان دائماً، تطبعه بطابعها الخاص، وتخلع عليه ثوباً يميزه عن غيره. وفي هذا المقال يشرح الاستاذ أمير بقطر بالامثلة العدة كيف يخضع الانسان لما تبثه في نفسه صناعته من أخلاق، وكيف ينقاد لما تفرضه هذه الصناعة من عادات وتقاليد سواء أكانت حسنة أم معيبة

تقول إنك أمين. تأصلت فيك صفة الامانة فلا تستولى على درهم ليس لك. ولا تطمع فى مال غيرك. ولا تحاول ابتزاز نقود بغير حق. وتتباهى بهذه الامانة أمام عارفيك... فهل أنت امين حقاً؟ أمين أباً عن جد، أمين لحماً ودماً. أمين من تلقاء ذاتك؟ أم انت أمين برغم انفك؟ أمين لان الاحوال لم تهيء لك الفرص للسرقة أو الخيانة؟

هل كنت يوماً ما ناظر زراعة؟ أو صرافا لمصلحة غير منظمة؟ أو مديراً لدائرة واسعة، مرنة حساباتها، محبوكة مصروفاتها ووارداتها بخيوط دقيقة من المطاط؟

هل عينت يوماً امينا لصندوق جمعية خيرية، أو هيئة دينية أو سياسية اواجتماعية. وكان يترك لك الحبل على الغارب، وتطلق يدك للتصرف فى مالها كيف تشاء وكيف يملى عليك «الضمير»؟

هل نيط بك يوماً أن تكون المشرف العام على مأدبة كبيرة لمئات الآكلين أو ألوف الشاربين. وقدمت حساباً فضفاضاً لاعضاء اللجنة التى اشتركت معك فى تنظيم الوليمة فى الهزيع الاخير من تلك الليلة الساهرة الراقصة؟.. هل وكلتك يوما حكومة من الحكومات للتعاقد مع شركة اجنبية أو اهلية، مع مراعاة مصلحة الدولة والعمال الذين يشتركون فى الانتاج، والسكان الذين يدفعون أثمان السلع او المواد المستهلكة أو اجور ما تؤديه تلك الشركات من الاعمال؟

هل هيأت لك الاحوال يوما أن تكون وصيا على قصر او أرامل وأيتام أو كيلا او وليا؟ هل تقلدت إحدى هذه الوظائف أو تطوعت ان تشغل هذه المراكز الخيرية «الواوية» التى اطلق أحد علماء الشرع على الحرف الاول فيها اسم واو الخيانة؟.. هل كان رئيسك ساذجا غبيا يأتمنك على مفاتيح الخزانة ويسلمك الاموال بغير حساب بعد ان سبكك فى بوتقة التجربة بضعة أعوام. فألفى منك ملكا طاهراً، وضرب باقوال الناس عنك عرض الحائط، وهزأ بما كان يهمسه فى أذنه العارفون عنك، اعتقاداً منه أنهم انما يدسون لك فى الخفاء غيرة وحسداً؟

هل كنت طاهيا أو خادما أو رئيسا للخدم فى أسرة عريقة كبيرة . وكنت تتولى الانفاق على أهل الدار وزائريهم وتقدم « فاتورة » الحساب شفويا قبيل ساعة النوم لسيدك الأبله الحسن النية ، بعد ان تكون الخمر قد لعبت برأسه فلا يميز بين الخيط الابيض والخيط الاسود ؟

اذا كنت أيها « الامين » المتورع قد تقلدت وظيفة من هذه الوظائف وأمثالها أو تربعت على دست عرش من هذه العروش ونظائرها وظللت زاهداً ، وغللت يدك الى عنقك ولم تمدد بها الى جيبك فانى أول من يغبطك على أمانتك ويهنئك على زهدك ، والا فانى لا أستطيع الجزم بصحة دعواك

تقول انك تتعفف عن النظر الى فتاة حسناء ولا يعرف الهوى الى قلبك سبيلا ، وان كانت المرأة كوكبا ساطعا تستهوى الافئدة وتغزو ألحاظها حبات القلوب . . . فهل أنت عفيف النفس طاهر الشعور حقا أم رغم أنفك ؟

هل اودعت فيك الطبيعة تلك الجاذبية الجنسية (التى يسمونها S. A) (١) ويفتتن بها النساء عادة فيتزاحمن زرافات حول صاحبها ويقعن فى حبائل غرامه ؟ . . هل أنت من أبطال الرياضة الذين ضربوا بسهم وافر فى الملاكمة أو المصارعة أو السباحة أو اللعب على اختلاف ضروبه وألوانه ؟ هل أنت مديد القامة بهى الطلعة قوى البدن ممتلىء صحة وعافية رغيد العيش وافر المال ؟

هل كنت يوما مديراً لملهى أو مرقص أو مخرجا لاشرطة سينمائية يرد عليك ألوف الفتيات من جميع البلدان ، فتقوم بالتحدث اليهن وفحصهن والحكم بلياقتهن للعمل حسنا وجمالا وجاذبية وقامة وعيونا وسواعد وسيقانا ولونا وشعوراً وأعناقا وصدوراً وتيها ودلالا وفصاحة وذكاء ؟

هل كنت يوما ممثلا بارعا تتهافت عليك الحسان من الممثلات وراء المسرح وتلقى عليك ربات الخدور من المقاصير الرياحين والزهور تحمل رسائل الغرام مدسوسة بين براعيمها وا كمامها ؟ . وهل قت يوما بدور رداميس فى أوبرا عائدة وأخذت تغرد بصوتك الشجى أثر رجوعك من ساحة الحرب ظافراً ، فجاءتك بعد نزول الستار عشرات من الرسائل تتوسل فيها صاحباتها أن تضرب لهن موعداً على انفراد ؟ . . أو هل انت ضابط فى الجيش أو البحرية او الطيران تتألق النجوم والتيجان على كتفيك وكسوتك الكاكى أو البيضاء أو اللازوردية كنسيج من الحرير الغالى شد دقيقا على تمثال من المرمر ، تتبختر فى مشيتك فترنو اليك الانظار وإن كان عقلك من الصخر ؟

مايزال علماء النفس والاجتماع يزعمون أن هناك نسبة معينة من الناس تميل بطبيعتها الى الاجرام مهما كانت البيئات والاوساط التى يعيشون فيها . ويقولون فوق ذلك أنه بين كل مائة من السكان فى أمة متمدنة أو نصف متمدنة ثلاثة أفراد يميلون الى السرقة وأقل من هـذا العدد بقليل يميل

(١) اختصار عبارة Sex appeal الانجليزية التى يقابلها بالفرنسية appel de sexe

الى ارتكاب جريمة القتل . ودليلهم على ذلك ما يشاهد فى أرقى الاوساط من ظهور هذا الميل . ففى ارقى الجامعات تختفى مئات وألوف من الكتب كل عام من مكتباتها العامة . ومن أغرب ما يذكر أنه فى احدى هذه المكتبات يبلغ متوسط ما يسرق سنويا من التوراة والانجيل نحو مائة نسخة . واذا علمنا أن للكتب المقدسة حرمة تمتاز بها عن سائر الكتب ، وسلمنا أن أوساط الجامعات والكليات من أرقى الاوساط التى يتسنى لبنى الانسان أن يعيشوا فيها ، حارت أفهامنا فى تعليل هذه النقيصة . اللهم الا اذا جارينا من يعتقدون أن بين الناس — من جميع الطبقات — نسبة مئوية معينة لا بد لها من الاستيلاء على ما للغير اذا ما استطاعوا اليه سبيلا

أذكر أن استاذاً من مشاهير علماء الاجتماع دخل يوماً لالقاء محاضرته كالمعتاد على فرقة يتجاوز عدد طلبتها ستمائة ، وكان أول ما افتتح به محاضرته قوله : «إن بين أفراد هذه الفرقة نحو عشرين لصاً ويغلب أن يكون نصيب بعضهم السجن يوماً ما » غير أن الكثيرين لا يتفقون مع هذا الاستاذ فى الرأى ، بل يعزون الصفات التى يكتسبها المرء ، حسنة كانت أم سيئة ، الى البيئة والتربية والمهنة التى يعيش المرء فيها

فالغش والخداع والكذب أكثر انتشاراً بين رجال التجارة والاعمال التى تدخل فيها عناصر المساومة والاخذ والعطاء منها بين غير هؤلاء . والموظف الذى تكون معاملاته المالية مقصورة على شراء حاجاته المعتادة لا تسول له نفسه الخديعة والغش بالمقدار الذى يضطر التاجر اليه اضطراراً ، بما يتعرض له من مزاحمة ومساومة وقتال مستمر بين العرض والطلب ومشادة حادة بين حياة وموت فى ميدان الحرب الاقتصادية

ومن الغريب أن الامانة والصدق والثقة وما على شاكلتها من الصفات الحميدة فى المعاملات بين الناس ، لم تترعرع الا فى أحضان التجارة ، ولم تنشأ إلا بين رجالها ، ولم تخلق الا فى تلك العصور الخالية التى بدأت فيها المعاملات تستتب بين سكان القرى والقبائل ، والتى أخذ فيها تبادل السلع والحاجات يحل محل السطو والنهب والسلب وتغلب القوى على الضعيف . وقد دارت الايام دورتها بعد أن اشتبكت المصالح وتقدمت الصناعة وانتشرت المواصلات وارتبط الناس فى حاجاتهم بعضهم ببعض فأيقن رجال التجارة أن الثقة والامانة والصدق دعائم المعاملات وأس النجاح . فاتصفوا بها تدريجاً برغم أنوفهم ابقاء على حياتهم الاقتصادية لا حباً فى هذه الفضائل لذاتها ، ولا بد أن القارىء قد أدرك الآن ان هذه الفضائل منشؤها اقتصادى لا خلقى ولا دينى وإن كانت الاديان والاخلاق قد أوحت بها قبل قيام النظام الاقتصادى بأجيال

ومن حسن الحظ أن هذه الامانة وذلك الصدق وتلك الثقة لم تبق وقفاً على التجار وحدهم ، بل اجتازت دوائرهم وعمت سائر الدوائر والاعمال . وأغرب من هذا أنها اصبحت أسمى فى هذه

منها فى تلك لأن التجارة كما أسلفنا ما تزال عرضة للتدليس والخديعة وضياع الذمم

ومما يجدر ذكره أن الاستعمار ما هو إلا ضرب من التجارة ، يقصد به تصريف المواد الصناعية والزراعيـة التى تزيد عن حاجة الدولة واستيراد المواد الاخرى التى تحتاج اليهـا من الخارج ، وتشغيل رءوس الاموال الزائدة عن الحاجة خارج حدود البلاد . فقبيل الحرب العظمى مثلا كانت انجلترا وفرنسا والمانيا مجتمعة تستثمر خمس أموالها ودخل رعاياها فى مستعمراتها . وهذا يفسر لنا أسباب المراوغة والكذب والنفاق والخداع وضياع الثقة فى المسائل الدولية عامة ، حتى ان أحد علماء سياسة الدول وضع تعريفاً غريباً لسفراء الدول بقوله : « السفير هو ذلك الداهية الذى يمثل دولة لدى دولة أخرى ، حتى يوالى اختلاق الاكاذيب التى تريدها الاولى ليضعها تحت تصرف الثانية » . وعلى الرغم من هذه الصورة الخلقية المظلمة فاننى استدرك قائلا إن العالم يتقدم ببطء فى السياسة والتجارة من هذه الناحية . فالأمم الكبرى اليوم ــ شعبها وحكومتها ورجال التجارة فيها ــ أشد أمانة بكثير مما كانوا منذ مائة عام ، ولو أن الشعب الانجليزى مثلا أصدق انباء من تجاره ، وهؤلاء أصدق انباء وأكثر أمانة من أقطابه السياسيين

وليست السياسة الدولية ــ أو الاستعمار ــ وحدها هى التى تعمد إلى النفاق . فان السياسة المحلية فى جميع البلدان لا تقل عن شقيقتها السياسة الدولية نفاقاً وكذباً . فكثيراً ما تتجه السياسة المحلية إلى جهة خاصة وتسير فى طريق خاص لاسباب اقتصادية تجارية ومع ذلك تصدر البيانات الرسمية وتذاع المنشورات ، وتزوق التقريرات تزويقاً لا يقصد به الاذر الرماد فى عيون العامة وتضليل الجمهور ووضع كامة من الحلوى فى أفواههم ، فيأخذ هؤلاء فى لوكها وتذوق حلاوتها حتى تذوب . وقبل أن يبتلعوا القطرة الاخيرة منها تكون السياسة المحلية قد أوصت صانع الحلوى باعداد كامة غيرها

وليست مهنة التجارة وحدهـا ــ سواء أكانت خاصة بالافراد أم بالسياستين الدولية والمحلية ــ هي التى تشوبها عيوب خلقية . فان كل مهنة من المهن تطبع ذويها بطابعها الخاص ، وتجعله عرضة لان يوصم بنقص خلقى معين . فالقصاب الذى يغتال كل يوم حياة العشرات من البقر والخراف والماعز والجاموس ، وتقع عينه على دماء تلك الحيوانات المسكينة البريئة كل صباح ، وتحمل يده الجهنمية تلك السكين العريضة الضخمة ساعات كل يوم ، يقطع بها الرقاب والرءوس ، ويبقر بها البطون ، ويسحق العظام ــ ذلك الوحش الضارى رغم أنفه ــ هل تنتظر منه أن يكون رحيما رقيقاً لطيفاً دقيق الاحساس حلو الحديث ؟ أتستغرب كثيراً أن يتشاجر هذا لأوهى الاسباب ويرفع سكينه على رءوس الغير لاقل اشارة عدائية ؟

والمعلم ــ من الطراز القديم ــ ألا يستولى عليه الغرور ويستهويه الزهو وقصر النظر أحياناً ،

فيتوهم فى المجالس انه المسيطر على الجالسين معه كما يسيطر على الصبية فى المدرسة ، المهيمن على مايدور من الاحاديث كما يهيمن على ما يقوله التلاميذ فى الغرفة . ويخيل اليه انه مصدر المعرفة ومرجع السائلين كما اعتاد أن يكون بين جدران المدرسة الضيقة ؟

والصحافيون ــ أليسوا هم أيضاً عرضة لعيوب خلقية جسيمة ؟ ألا يضطرون بحكم مهنتهم أن ينادوا اليوم بما كانوا ينادون ضده بالأمس ، ويحللون غداً ما يحرمونه اليوم ؟ أليسوا عرضة لتضليل الرأى العام وتحويله من النور إلى الظلمة ومن الحقيقة الى البهتان ومن الهدى إلى الضلال ، بين عشية وضحاها ؟ ألا يضطرون أحياناً الى سبك الحوادث فى قالب يستهوى الجمهور وطلاء وصفها بألوان زاهية تسترعى أنظار القراء ؟

والاسر المتوسطة ــ ألا يفاخر أفرادها بعدهم عن الانغماس فى اللذات ، وبالاعتدال فى مسالكهم العامة ؟. ولكن ما الذى يحدث لهؤلاء إذا ماتدفقت عليهم الاموال من حيث لايعلمون، فأصبحوا من أهل الطبقات العليا ؟ أيكونون حينئذ فى خطر الاسترسال فى أسباب النعم والترف ، وتسول لهم أموالهم المتدفقة أن يحتسوا أجود الخمور حتى تلعب برؤوسهم ، ويستمتعوا بأجمل النساء حتى تضعف أجسامهم ؟ فاذا كان الجواب بالنفى فكيف تفسر الانقلاب الخلقى السريع الذى يطرأ على أرباب النعمة الحديثة ؟ أتعلم أن عدداً كبيراً من السياح الذين يسفون حتى يخيل لك أن المدنية قد قضى عليها ، وينزلون الى أحط دركات الانسانية حتى تعتقد أن التعفف والاباء والحشمة لا أثر لها فى بلادهم ــ أتدرى أن هؤلاء يكونون عادة من حديثى النعمة ؟

وما قولك فى الطبقات المتوسطة التى ينيخ عليها الدهر بكلكله، فيحترف بنوها أوضع الحرف، وينزل بناتها الى قرارات الاعمال الحقيرة ، فيقمن بخدمة أولاد الذوات فى دورهم الفخمة ، ويشتغلن طاهيات وخادمات فى المطاعم والقهوات وساقيات للخمر فى الحانات وكاتبات وعاملات فى دور الاعمال ؟ هل يستطيع هؤلاء المحافظة على ذلك السمو الخلقى وتلك الطهارة الملكية التى كان يباهى بها أهلهم ؟ وكيف يتسنى لهم ولهن ذلك والعفة ثوب تمزقه الفاقة ؟

والعادات والتقاليد قد عودت المجتمع أن ينزل بطبقة خاصة من الناس أشد العقوبات اذا هبطت عن المستوى الخلقى الذى يرسمه المجتمع . كما انها عودته أن يغمض عينيه عن بعض النقائص الخلقية اذا مابدت فى طبقة خاصة . فرجال الدين مثلا ينتظر منهم أن يضربوا الرقم القياسى فى الأخلاق والمعاملات ، ويعبس المجتمع فى وجوههم إذا ما هبط هذا الرقم هبوطاً محسوساً . والمعلم كذلك ينتظر بحكم وظيفته أن يكون مثالا حسناً لتلاميذه ، وأن ينسى انه بشر عرضة للزلل . ففى أميركا مثلا تعزل المعلمة فى بعض الولايات إذا ما استعملت الالوان والمساحيق تجميلا لوجهها أو قصت شعرها . وتعزل فى بعض الاقاليم إذا ما رقصت . وتحرم عليها اقاليم أخرى الرقص مع تلاميذها

ولكنها لا تحرم عليها الرقص مع الغير . وقد عزلت معلمة مرة من وظيفتها لانها أظهرت شيئا من الصداقة للحلاق الذى كان يعنى بشعرها ، وكانت لاتكون عرضة للعزل فيما إذا كان صديقها معلما أو طبيباً أو تاجراً أو غيرهم من ذوى المهن « الشريفة » مع العلم ان المجتمع هناك لايعزل فتاة لسبب من هذه الاسباب اذا كانت مشتغلة بغير التعليم

والمجتمع يغمض عينيه عن علاقات الفتاة العاملة فى الحانات والقهوات والمطاعم مع الغير ، مع تحريمه هذه العلاقات على سواها . وكثيراً ما يتساهل المجتمع مع الخادمات والعاملات فى المخازن التجارية الصغرى وبائعات السجائر فى دور الملاهى والمغنيات والممثلات من الدرجة الثالثة اذا ما تهتكن فى سلوكهن ، لان الناس اعتادوا ان يأخذوا هذا النوع من السلوك قضية مسلمة

وهذه الجنود الحربية والبحرية - ابان الحرب والسلم على السواء - لاتكاد فرقهم تحط رحالها فى مدينة حتى تزدحم بهم الحانات والمواخير ، فكأنه لا هم لهم فى أوقات فراغهم الا الخمر والنساء . وهؤلاء بحارة البواخر وضباطها لاتكاد تلقى السفن مراسيها حتى تجدهم ثمالى على قارعة الطريق ينتهكون حرمة الآداب العامة

ظهر منذ ثلاث سنوات فى نيويورك شريط سينمائى موضوعه الازواج المتنقلون (Travelling Husbands) عالج فيه واضعه عيبا خلقيا خطيراً ، ووصف فيه بجلاء وصراحة حياة أولئك الذين تقضى عليهم أعمالهم بالتنقل من مدينة الى قرية لعرض سلعهم وبيع كميات منها بالعمولة (Voyageurs) والعيشة التى يعيشونها بعيداً عن أزواجهم وأسرهم ، وما يتعرضون له من التبذل وغشيان المراقص والحانات . واذا أتيح للقراء أن يشاهدوا هذا الشريط فى مصر فى المستقبل فانى اوجه اليهم حينئذ هذا السؤال : أليست هذه النقيصة الخلقية من نقائص المهنة التى يزاولونها ؟ أو لم يفرض المجتمع ضمنا وسلفا أنه يغلب على أفراد هذه الطائفة التعسة أن تنغمس فى حمأة هذه الرذائل ؟

* * *

وهناك بعض المهن التى تعد فى مقدمة المهن الشريفة ، ولكنها أيضاً لم تسلم من تعريض المشتغلين بها للوقوع فى نقائص خلقية لايستهان بها . فهذه المحاماة يتهم المشتغلون بها فى جميع البلدان بالتعرض لعيوب « البلف » والمبالغة والتهويل و « تنويم القضاة تنويماً مغناطيسياً »

وهذا طالب الطب فى كثير من المدن الاوربية والاميركية الكبرى يدخل الكلية ملكا طاهراً تغلب عليه سذاجة الطفولة البريئة ، ولا يكاد يتم سنته الثانية من حياته الطبية حتى يكون عرضة للانغماس فى المسائل الجنسية - بحكم عمله - خصوصا فى المدن التى يقبل على مستشفياتها وعياداتها الخارجية التى يعمل فيها زرافات من العاملات . ويقضى الطالب فى كثير من البلدان فترة التمرين

(internship) ومدتها سنتان فى أحد المستشفيات يكون فى خلالها عرضة لكثير من الاخطار الخلقية التى لا يتعرض اليها طالب الهندسة أو المحاماة أو الصيدلة مثلا

وفى احدى مدن أوربا يقيم الطلبة الذين يقضون فترة التمرين هذه ، حفلة راقصة سنوية ، (bal des internes) يدعون اليها صديقاتهم من العاملات ويقضون الليل رقصا مع هؤلاء فى ملابس حمامات البحر أو عراة تقريباً ، ولا يسمحون لغير زملائهم فى حضورها

وقد سألت مرة عن حال الفتيات اللواتى يلتحقن بمدرسة الطب فى إحدى عواصم أوربا ، فقيل لى ان عددهن يبلغ ٢٠٪ من عدد الطلبة ، وإنهن عادة من أسر شريفة ، ولكنهن للاسف قلما ينجون من التعرض للبيئة الشاذة ويهبطن الى الدرك الذى يهبط اليه الطلبة الذكور

ومن الفئات التى تستحق كل عطف وحنان فئة الممرضات ، فانهن على ما يؤدينه من أجل الخدمات للانسانية يعرضن ذواتهن لاخطار خلقية لا يستهان بها . وقد رفعت أميركا مستواهن العلمى والاجتماعى حتى انهن يتناولن الآن مرتبات حسنة . وفى جامعة ييل لا يسمح للفتاة أن تدخل مدرسة الممرضات قبل أن تنال درجة بكالوريوس فى العلوم . وتعمل المستشفيات جهد استطاعتها للمحافظة عليهن من أن يعبث بأخلاقهن عابث ، بحكم مهنتهن ، ولكنهن ما يزلن فى كثير من البلدان هدفاً لما تجره عليهن المهنة من ملاطفة المرضى وممازجة الاطباء

* * *

وإذا اتخذنا الطلاق مقياساً من مقاييس الاخلاق ، نظراً لان التفريط الخلقى من أهم أسبابه ، فاننا ننقل للقراء بهذه المناسبة ما وجده أحد علماء الاجتماع فى احصاء الزواج والطلاق فى اميركا موزعاً على المهن المختلفة ــ تدل هذه الارقام على أن أكبر نسبة مئوية للطلاق فاز بها المشتغلون بالتمثيل وادارة المسارح ودور السينما ومن على شاكلتهم . يلى هؤلاء الازواج المتنقلون ، فالاطباء والموسيقيون وعمال التليفون ، فالمشتغلون فى الحانات والقهوات الخ . أما المشتغلون بالزراعة فقد جاءوا فى آخر القائمة

* * *

بقى علينا أن نلخص للقارىء ما حاولنا إيضاحه فى هذا المقال فى العبارات الآتية : (١) ان الناس جميعاً عرضة للوقوع فى الزلل ، والاتصاف بعيوب خلقية خاصة ، إما لاننا ننزع اليها بطبيعتنا أو بحكم البيئة التى نعيش فيها والمهن التى نزاولها أو للامرين مجتمعين (٢) أن كل مهنة تطبع صاحبها بعيب خلقى خاص قد يكون هو بنجوة منه اذا لم يكن من أرباب هذه المهنة (٣) أن المجتمع يتغاضى عن عيوب خلقيــة خاصة تلازم مهناً معينة لانه يفرض وقوعها حتما سلفا ، وينزل أشد العقوبات بأرباب بعض المهن الاخرى إذا ما هبطوا إلى مستوى خلقى معين (٤) ان قوانين العدل والانسانية

والرأفة تلتمس العذر لمن تعرضه مهنته لعيوب خلقية خاصة ، كما انها لا تعد خلو الآخرين من هذه العيوب مفخرة لهم ، لان طبيعة مهنتهم قد تستلزم بعدهم عنها

☆☆☆

وقد فطن الغربيون إلى هذه العيوب التى تلازم المهن المختلفة ، فجعلوا بين مواد الدراسة فى كثير من مدارسها وكلياتها الفنية دروسا خاصة بأخلاق المهنة التى يعدون أنفسهم لها . وتدعى هذه المادة هناك (Professional Ethics) وفى ٢٨ ولاية من ولايات أميركا لا يسمح لمن يريد الاشتغال بالقانون أن يزاول مهنته قبل أن يجوز امتحانا فى هذه المادة أسوة بسائر المواد . وقد قام أحدهم باحصاء عدد الكليات الفنية هناك التى تعنى بهذه المادة عناية خاصة ، فوجد بين ٦٩٧ معهداً ٩١ ٪ من مدارس المرضات و ٨٥ ٪ من مدارس طب الاسنان و ٥٠ ٪ من مدارس الطب والمعمار والتجارة والقانون والصحافة ــ تقوم بتدريسها . وقد جاء فى هذا الاحصاء أنواع العيوب التى يعبس لها المجتمع فى المشتغلين بمهنة التعليم . وانى أضع أمام القراء بعضها حتى يعلموا مقدار ما يصلون اليه من عمق البحث فى مثل هذا الموضوع :

عدم مراعاة واجبات الزمالة ــ عدم مراعاة التقاليد فى حشمة الملابس ــ التدخين والرقص فى الاقاليم التى لا توافق عليهما ــ تعاطى المشروبات الروحية ــ شبهة العلاقة بين المعلم وبعض التلميذات أو العكس ــ التدخين فى غير حجرة التدخين المدرسية ــ الرقص مع التلاميذ ــ توتر العلاقات بين المعلم والادارة(١)

ويتضح من هذه العيوب أن بعضها عام وبعضها خاص بالمهنة . ومهما قيل من أن مجرد تقرير هذه المادة فى مدارس الحقوق والطب والمعلمين والهندسة والصحافة والتجارة وغيرها ، لا يأتى بنتيجة تذكر ، فان الحقيقة تخالف ذلك ، لان الناس على مدى العصور راضوا أنفسهم على حسن السجايا نظريا بالتحدث عنها وتسطيرها فى بطون الكتب ثم عمليا بممارستها

امير بقطر

سكرة

ياسكرة سكرتها فى السوق بين الهمل
كصابر على أذى الـ نحل لجنى العسل

حسين شفيق المصري

---

(١) اقرأ هذا الكتاب اذا كنت تعنى بشئون التعليم : ــ
"Instruction in Professional Ethics in Professional Schools for Teachers" by Dr. J. D. Martin.

هل يمكن اصلاح الحروف العربية ؟

استعراض ونقد

هل يمكن إصلاح الحروف العربية أولا يمكن ؟ وإذا كان يمكن إصلاح هـذه الحروف ، فما هى الطرق التى اقترحها بعض العلماء والأدباء لتحقيق هذا الاصلاح ؟ ثم إذا كانت هـذه الطرق لاتفى بالغرض ، فهل ينبغى تغيير الحروف العربية ؟

هذا ما أريد ان أعرض له فى هذا المقال . وقبل أن أتحدث فى الموضوع يحسن أن نلم الماعة موجزة بنشأة الحروف العربية ، وكيف تطورت ، ليستبين الطريق ، وليكون البحث مبنياً على أساس واضح ، حتى لا نخدع برأى قد يكون صاحبه من البراعة بحيث نسرع إلى الايمان برأيه بلا نظر ولا تمحيص

فما لا شك فيه الآن أن الحروف العربية أو سلسلة الخط العربى ترجع فى أصلها إلى الخط الهيروغليفى القديم ، وهو الخط المصرى المقدس . ومن هذا الخط اشتق الخط الهيراطيقى وهو خط الخاصة . ومن الهيراطيقى اشتق الخط الذى كان يستعمله عامة المصريين القدماء وهو الديموطيقى

وقد أخـذ الفينيقيون حروفهم عن الحروف الديموطيقية ، واشتق الآراميون حروفهم من الحروف الفينيقية . ومن الخط الآرامى اشتق الخط السريانى والخط النبطى ، وهما الخطان اللذان اشتق منهما الخط العربى بقسميه النسخى والكوفى ، وهذان القسمان هما أصل الخط العربى الحاضر

بقى الخط العربى بقسميه قبل الاسلام وبعيد الاسلام ، حتى كان عصر بنى أمية فابتدأ فى التهذيب والتحسين وتفرع الخط الكوفى الى أربعة أقلام اشتقها قطبة اكبر خطاط فى عصره ، ثم تفرع الخط العربى الى أقلام كثيرة بلغت فى أوائل الدولة العباسية ١٢ قلماً ، ثم زادت بعـد ذلك عن عشرين قلما ، حتى ظهر النابغة ابن مقلة ، فادخل فى الخط تحسيناً كبيراً ، وجاء بعده جماعة من كبار الخطاطين أشهرهم على بن هلال ، ثم ختم هـذا الطور من التحسين والتجويد ياقوت الرومى المستعصمى المتوفى سنة ٦٩٨ هـ

ولم يأخذ العرب الحركات والاعجام من الانباط والسريان كما اشتقوا الحروف عنهما . فان الخط السريانى والنبطى وسائر الخطوط التى اشتق منها هذان الخطان الى عهد الفراعنة لم يكن فيها اعجام ولا حركات ، ولم يكن ذلك إلا حادثا بعد الاسلام كما هو مشهور

فـكأن المصريين والفينيقيين والآراميين والسريان والنبطيين بقيت حروفهم طول حضاراتهم خالية من الاعجام والحركات ، كما بقيت الحروف العربية خالية منهما كـذلك حتى أوائل الاسلام اعتماداً

على نباهة القارىء وعلمه . ولكن لما اختلط العرب بالعجم وكثر اللحن وضع الكتاب الحركات ثم وضعوا الاعجام . وانما سمى الاعجام اعجاما لان الاعجام فى الاصل هوالتكلم على طريقة الاعاجم وكان المتعلمون ينفرون من الاعجام والحركات ، ويعدون ذلك تجهيلا ، واشتهر بينهم المثل القائل : « شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب اليه »

وكانوا على العكس من هذه « النظرية » التى يدعو اليها بعض الكتاب الآن . وهى « وجوب انطباق المكتوب على المنطوق » والارجح أنهم كانوا يعتبرون المتعلم فى غنى عن ذلك كله ، وأن الحروف ما هي إلا رموز ووسيلة لا غاية . فليس من الصواب إضاعة الوقت فى كثرة النقش على القرطاس وتضخيم الكلمات بالنقط والحركات ما دام الشخص متعلما وعائشا فى بيئة عربية كل أفرادها أو جلهم ينطقون بالكلمات مضبوطة ، وليس من الضرورى هذه الزيادات

ولكن اتساع الفتوحات الاسلامية ، وانتشار الحضارة العربية فى الامم الاخرى ، واختلاط الاعاجم بالعرب اختلاطا شديداً ، وامتزاجهم بهم امتزاجا قويا اضطرهم الى أن يستمروا على ضبط الكلمات بالنقط والحركات . الا أن الحركات كثيراً ماتعطل الكاتب فاقتصر فيها على القرآن وكتب الحديث واللغة . وألفت القواميس مضبوطة بالشكل . وأصبحت هذه القواميس مرجعا يلجأ اليه الكاتب أو القارىء اذا التبس عليه معنى لفظ أو ضبط كلمة

وقد انتشرت الحروف العربية بانتشار الحضارة الاسلامية وكتبت بها اللغات التركية والفارسية والاوردية والافغانية والكردية والتترية والمغولية والبربرية والسودانية والزنجية والساحلية . كما كتبت بها لغة أهل الملايو وغيرهم ممن يبلغون نحو ٢٠٠ مليونا ماعدا نحو ثمنين مليونا يكتبون اللغة العربية بالخط العربي . وإذا استثنينا اتراك الاناضول الذين استخدموا الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية الآن بقى عندنا هذه الامم الكثيرة التى تكتب بالحروف العربية الحالية منذ نحو الف سنة وقد دونت بها آدابها وعلومها وفنونها

فهل يمكن اصلاح الحروف العربية إذن بعد هذا الطور الذى انتهت اليه بالحضارة الاسلامية ؟

لقد رأيت كيف اشتقت هذه الحروف وكيف تطورت حتى وصلت الى ماهى عليه الآن ، وقد كتبت بها العلوم والآداب وسائر الفنون فى الامة العربية وفى تلك الامم التى انتشرت فيها الحضارة الاسلامية منذ ذلك التاريخ . وقد دلت التجارب على ان هذا الطور الذى انتهت اليه هو آخر ماوصلت اليه فى أطوار الاصلاح والتهذيب . ولكننا مع ذلك نتمشى مع الذين يقولون باختراع طرق جديدة لتحقيق هذا الاصلاح ولتكون الكتابة مطابقة للنطق كما يقولون

فقد اقترح الاستاذ احمد لطفى السيد بك فى سنة ١٨٩٩ طريقة للاصلاح بمحو الشكل وابداله بالحروف اللينة لتدل على الحركات . مثال ذلك (ضرب) تكتب هكذا (ضارابا) و (علم) تكتب

(عالما) وحسن (حاسونا) فان قصدت الدلالة على المد رسمت علامة المد (~) على الحرف اللين الممدود . أما التنوين فيظهر فى الرسم كما يظهر فى النطق وعلامته (ن) تكتب بعد الحرف . مثل سعد تكتب (ساعدون) بالرفع و (ساعدان) بالنصب . و (ساعدين) بالجر

ويجب أن يفك الادغام فى كل كلمة فمثلا (مد) تكتب (ماددا) ومحمد تكتب (موحاممادون) فى الرفع و (موحامادان) فى النصب و (موحامادين) فى الجر

وتكتب أداة التعريف ان كانت شمسية كما هى وان كان يجوز كتابتها حسب النطق. أما الهمزة فترسم دائما مفردة ويتبعها حرف المد حسب الاحوال

هذا ما يراه مدير الجامعة المصرية السابق . وظاهر أن هذه الطريقة تضيع جمال الخط العربى فضلا عن انها تؤدى الى الالتباس وطول الكلام ولا تنطبق على كثير من قواعد الصرف . فاذا أردنا أن نكتب مثلا لم يقل ولم يبع ولم يرم ولم يغز كتبت على طريقة الاستاذ لطفى السيد (لام ياقول) و (لام يابيع) و (لام يارمى) و (لام ياغزو) . وحينئذ وقعنا فى لبس لانه يجب حذف عين الفعلين الاولين ولام الفعلين الاخيرين . وكذلك قل فى سعوا ويسعون واسعوا مما يحذف فيه العرب لام الفعل وهى الف (سعى) لوقوعها قبل واو الجماعة . فاذا تمشينا مع طريقة الاستاذ لطفى السيد خرجنا عما ينطق به العرب . فاننا حينئذ نكتب هذه الافعال هكذا : (ساعاوا) و (ياسعاون) و (إيسعاوا)

* * *

ولما كان الاب انستاس الكرملى فى مصر منذ عامين اطلعنى على طريقة له فى اصلاح الحروف العربية فكر فيها سنة ١٩١٤ وقال انها أحسن طريقة لكتابة الكلمات العربية لتوافق النطق بها . وهذه الطريقة تتلخص فى أن تزاد على الحروف حروف لينة مشطورة تدل على الحركات . فالالف (٭) المشطورة تدل على الفتحة والواو (ٯ) المشطورة تدل على الضمة ، والياء (ٮ) المشطورة تدل على الكسرة . فاذا أردت أن تكتب ضرب كتبتها (ضارابا) وعلم (عاليما) وحسن (حاسونا)

أما التنوين فيكتب كما ينطق ، فتكتب ٢-٣ (سعد) فى الاحوال الثلاثة :

(ساعدون) و (ساعدان) و (ساعدين)

وبديهى ان هذه الطريقة التى اخترعها جناب الاب تغنى عنها الحركات مع المحافظة على جمال الحروف ، وهى من جهة أخرى تضيع وقتا طويلا ، وتضطر أصحاب المطابع الى تحمل نفقات باهظة بلا فائدة

* * *

وقد اطلعنا على اقتراح ثالث لبعض المتعلمين . وهو يتلخص فى أن نرمز للفتحة بحرف الباء خالياً من النقط مثل (ٮ) وللكسرة بحرف الياء تحتها ثلاث نقط ، (پا) وللضمة بحرف فاء فوقها ثلاث نقط (ڤا) . وترسم الشدة فوق الحرف على هيئة رقم (١) فالطاء المشددة تكتب « ط١ » . فاذا أردت أن تكتب هذا العبارة «يحب الله المتقن عمله» كتبتها هكذا :

(يفحيىف اللهف المقتقنب عىملهف)

ولسنا فى حاجة إلى تزييف هذا الاقتراح

وإذن فقد استبان لك ان الطرق التى اقترحت حتى الآن لاتفى بالغرض بل على العكس، فانها تكلف الانسان وقتاً ومجهوداً ، وتذهب بجمال الكتابة ، ولا تأتى بالسهولة المنشودة

وهنا لا بد من الاشارة إلى ماقاله المرحوم قاسم أمين فى إحدى كلماته : « لم أر بين جميع من عرفتهم شخصاً يقرأ كل ما وقع تحت نظره من غير لحن . أليس هذا برهاناً على وجوب إصلاح اللغة العربية ؟ ان الحال فى اللغات الاخرى يقرأ الانسان ليفهم . أما فى اللغة العربية فانه يفهم ليقرأ ، فاذا أراد ان يقرأ الكلمة المركبة من هذه الاحرف الثلاثة (ع ل م) يمكن أن يقرأها (عَلَم) او (عِلْم) او (عُلِمَ) او (عَلَّم) او (عَلِمَ) . ولا يستطيع أن يختار واحدة من هذه الطرق إلا بعد أن يفهم معنى الجملة فهى التى تعين النطق الصحيح . لذلك كانت القراءة عندنا من أصعب الفنون »

وهذه مغالطة من المرحوم قاسم أمين فان دعواه بأن الانسان فى اللغات الافرنجية يقرأ ليفهم بمعنى أن المكتوب مطابق للمنطوق لا يقبله كل من له أقل المام باحدى اللغات الافرنجية . ففى اللغة الفرنسية مثلا كثير من الكلمات التى لاتنطبق على هذه القاعدة . ولنذكر هذه الامثلة .Jacques papier. culot وفى اللغة الانجليزية اعجب وأكثر من ذلك . وانظر الى هذه الكلمات الاربع الفرنسية التى تتفق فى نطقها وتختلف فى معناها ورسمها وهى : .puis puits appui puy

على أن المرحوم قاسماً لم يرشدنا الى نوع من الاصلاح الذى يبتغيه . ولو أنه اخترع لنا طريقة تسهل صعوبة القراءة لكان لهذا النقد قيمته ووجاهته

* * *

وامامنا الآن مسألة تغيير الحروف العربية واختراع حروف جديدة أخرى أو استخدام الحروف اللاتينية بدلها على نحو ما فعل الاتراك . وهذه الفكرة يميل اليها طائفة من الكتاب . وهم يقولون ان الرجال والنساء والاطفال من الغربيين الذين يكتبون بالحروف اللاتينية لا يخطئون فى نطق كلمة من الكلمات ، فى حين ان الشيخ منا يمضى على اطلاعه فى اللغة العربية أربعون أو خمسون

سنة ، ومع ذلك فهو لايستطيع أن يحفظ نفسه من الخطأ فى قراءة بعض الكلمات . ثم يضربون المثل بقول المتنبى :

وَحَمَلْتُ ما حُمِّلْتِ من هذى المها　　وَحَمَلْتِ ما حُمِّلْتُ من حسراتها

فأى عالم أو أديب لا بد أن يخطىء فى قراءة هذا البيت لاول مرة اذا كتب بالحروف العربية غير مشكولة ، ولكن إذا كتب بالحروف اللاتينية على هذا النحو :

Wahamalto ma hommelte men hathi elmaha
Wahamalte ma hommelto men hasarateha

اذا كتب هذا البيت بالحروف اللاتينية على هذا النحو ، فان الكبير والصغير وأطفال المكاتب ورياض الاطفال يقرءونه صحيحاً بلا خطأ فى كلمة من كلماته

كذلك يقول الذين يميلون إلى تغيير الحروف العربية واستخدام الحروف اللاتينية بدلها . وفاتهم ما قدمناه فى هذا الفصل من أن الآداب والعلوم العربية كتبت منذ نحو الف سنة أو تزيد بهذه الحروف ، وليس من السهل اعادة طبعها كلها بالحروف اللاتينية سواء أكان فى الامة المصرية وحدها أم فى سائر الامم التى كتبت آدابها وعلومها بالحروف العربية والتى يبلغ عددها نحو ثلثمائة مليون

على اننا اذا هجرنا الحروف العربية إلى حروف تخالفها لنسيت الآداب والعلوم القديمة كما نسيت آداب اللغة الهيروغليفية وغيرها من آداب اللغات الاخرى التى لا يستخدم الناس حروفها الآن ، ولاصبح بيننا وبين تراث أجدادنا سد منيع يعانيه الاجيال المقبلة كما نعانيه نحن فى اللغة الهيروغليفية . ومما يدلك على ذلك أيضا ان اللغات التى حلت الحروف العربية فى كتابتها محل حروفها القديمة كالتركية والفارسية والاردية وغيرها قد نسيت آدابها القديمة وأصبح بينها وبين هذه الآداب حلقة مفقودة

إن البحث فى مسألة تغيير الحروف العربية أو اصلاحها إلى وجه من الوجوه المتقدمة أو إلى وجه آخر يشابهها ، أنما هو بحث فيه مضيعة للوقت دون الوصول إلى ما يخفف العبء على المتعلمين

على ان الذين يريدون اختصار الطريق بالتشبه بالاتراك أنما هم فى الحقيقة لا يريدون اصلاحا . وأنما يريدون انقلابا ليس من السهل نجاحه بين هذه الملايين من الذين يستخدمون الحروف العربية بين هذه الامم ، وان نجح بعض النجاح فى أمة لا تزيد على أربعة عشر مليونا من الاتراك وليس لها بالحضارة العربية صلة إلا صلة الدين

طاهر احمد الطناحي

قصة لامبجيا

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

قصتان شهيرتان فى تاريخ الفتح الاندلسى . كلتاهما قصة غرام وسياسة ، وكلتاهما ذات أثر عظيم فى الفتح وتطور حوادثه ، هما قصة فلورنده القوطية ، وقصة لامبجيا الفرنجية . وكانت الأولى على ماتؤكد الرواية الاسلامية سبباً فى فتح العرب لاسبانيا ، وكانت الثانية سبباً فى ندفاع تيار الفتح الاسلامى الى قلب فرنسا . وكانت فلورنده ولامبجيا كلتاهما آية عصرها فى الحسن ، وكانت كلتاهما بطلة لقصة غرام مبرح . فأما فلورنده فهى ابنة الكونت يوليان القوطى حاكم سبتة قبيل الفتح الاسلامى ، وكانت من وصيفات الشرف فى بلاط رودريك (لذريق) ملك القوط فهام بها رودريك حباً واغتصبها ، فأسر أبوها الكونت ذلك الاعتداء الشائن وأقسم بالانتقام ، واتصل بموسى بن نصير حاكم أفريقية ، ودعاه الى فتح اسبانيا فلبى موسى دعوته ووضع مشروع الفتح ، وكان فتح العرب لاسبانيا وذهاب ملك القوط بمعاونة الكونت يوليان وتدبيره (سنة ٩١ هـ - ٧١١ م) وهذا ماتؤكده الرواية الاسلامية . أما الرواية الاسبانية فتحملها الكبرياء القومية على انكار قصة فلورنده وتذهب احياناً الى انكار شخصيتها التاريخية وتعتبر السيرة كلها حديث خرافة . ولكن الرواية الفرنجية تقدم الينا بالعكس عن قصة لامبجيا وعن الدور الذى أدته فى حوادث الفتح الاسلامى لفرنسا بعض التفاصيل الشائقة . وهو ما سنعنى به فى هذا الفصل

لم يمض على افتتاح العرب لاسبانيا أعوام قلائل حتى تدفق تيار الفتح الاسلامى فيما وراء جبال البرنيه ، ونفذ العرب الى ولايات فرنسا الجنوبية واستقروا فى وادى الرون الادنى وفى ثغر اربونة . وكانت إمارة اكوتين ، الواقعة فى جنوب غربى فرنسا ، مهبط الحملات والفتوحات الاسلامية فى ذلك العهد ، وفى سهولها ووديانها اضطرمت عدة معارك هائلة بين الاسلام والنصرانية . وكان سيد هذه الانحاء أمير فرنجى من الاسرة الميروفنجية هو أودو دوق اكوتين . وكان خلال الاضطراب الذى ساد مملكة الفرنج قد استقل بامارة اكوتين وبسط حكمه على جميع غاليس (فرنسا الجنوبية) من اللوار الى البرنيه ، والتف حوله القوط والبشنكس ، وأخذ يطمح الى انتزاع عرش الفرنج . ولكنه شغل عن مشروعه برد خطر جديد داهم ، هو خطر الفتح الاسلامى . وغزا المسلمون اكوتين غير مرة وأثخنوا فى انحائها ، ونجح أودو غير مرة فى ردهم . وفى سنة ١٠٢ هـ (٧٢٠م) ، عبر المسلمون جبال البرنيه بقيادة أمير الاندلس السمح

ابن مالك ، واستولوا على سبتمانيا ، ونفذوا الى اكوتين مرة أخرى ، وقصدوا الى عاصمتها تولوشة (تولوز) وسار الدوق أودو لردهم فى جيش ضخم ، فالتقى الفريقان بظاهر تولوشة ونشبت بينهما معركة هائلة ، وتراوح النصر حينا بين الفريقين . ولكن السمح سقط قتيلا من فوق جواده ، فاختل نظام الفرسان المسلمين ، ووقع الاضطراب فى الجيش كله ، وارتد المسلمون الى سبتمانيا بعد أن فقدوا زهرة جندهم وسقط منهم عدة من الزعماء الاكابر (ذى الحجة ١٠٢هـ - يونية ٧٢٠ م) . بيد أنه لم تمض أعوام أخرى حتى عاد المسلمون الى اقتحام البرنيه مرة أخرى بقيادة أميرهم عنبسة بن سحيم الكلبي ، وغزوا وادى الرون حتى مدينة أوتون (١٠٧ هـ - ٧٢٥ م) وخشى أودو أن يقتحم المسلمون أراضيه مرة أخرى فسعى الى مفاوضتهم ومهادنتهم . ولبث خطر الفتح الاسلامى يهدد اكوتين ، ولبث أميرها يدبر الوسائل لرده والذود عن ملكه وأراضيه . وكان حاكم ولايات البرنيه الشرقية فى ذلك الحين زعيماً مسلماً قوياً هو عثمان ابن أبى نسعة الخثعمى الذى تعرفه الرواية الفرنجية باسم « منوزا » Munuza أو « مونز » . وكان من زعماء البربر الذين دخلوا الاندلس عند الفتح مع طارق بن زياد ، وقد عين والياً للاندلس قبل ذلك باعوام قلائل ، ولكن أمد ولايته لم يطل ، ثم عين حاكما لولايات البرنيه وسبتمانيا . وكان ابن أبى نسعة كثير الاطماع شديد التعصب لبنى جنسه (البربر) وقد كان الخلاف يضطرم منذ الفتح بين العرب والبربر ، ويحقد البربر على العرب لانهم قاموا بمعظم اعباء الفتح ، واستأثر العرب دونهم بالمناصب والمغانم الكبيرة . وكان ابن أبى نسعة يتطلع الى استرداد الولاية والرياسة ، ولكنه فقد هذا الامل حينما عين عبد الرحمن بن عبدالله الغافقى (١١٣ هـ - ٧٣١ م) والياً للاندلس ، فاضطر أن يقنع بمنصبه الصغير على مضض وأخذ يرقب الفرص للخروج والثورة . ورأى الدوق أودو من جانبه أن التفاهم مع هذا الزعيم الخارج مما يقوى ساعده فى اتقاء الغزو الاسلامى ، فتفاهم مع ابن أبى نسعة ، وأكدت المصاهرة بينهما عرى التحالف . وكان للدوق ابنة رائعة الحسن تدعى لامبجيا (أو منينا أو نوميرانا على قول بعض الروايات) ، فرآها ابن أبى نسعة أثناء رحلاته فى اكوتين ، وهام بها حباً . تقول الرواية : « وكانت لامبجيا أجمل امرأة فى عصرها كما كان ابن أبى نسعة أقبح رجل فى عصره ، وكانت نصرانية متعصبة ، ولكن اطماع الوالد غلبت على كل شىء فارتضى مصاهرة الزعيم المسلم » . ويصف جيبون مؤرخ الدولة الرومانية هذا التحالف وتلك المصاهرة فى قوله : « ارتضى منوزا الزعيم البربرى محالفة دوق اكوتين ، وخصص أودو ، لباعث المصلحة الخاصة أو العامة ، ابنته الحسناء لقبلات الملحد الافريقى وعناقه » (١)

وتحيط الروايات الفرنجية شخصية لامبجيا وقصتها بكثير من الغموض ، فتختلف أولا على

(١) جيبون الفصل الثاني والخمسون

اسمها ، وإن كانت تتفق جميعاً على انها ابنة امير أكوتين ، ثم تختلف على ظروف زواجها من الزعيم المسلم ، فتقول مثلا : إن عثمان بن ابى نسعة أسر لامبجيا فى احدى غاراته على اراضى اكوتين ثم هام بها حباً وتزوجها ، وحمل بنفوذها وتأثيرها على أن يحالف أباها الدوق وان ينزع الى الخروج والخيانة . أو تقول : ان ابنة أمير أكوتين التى تزوجت من ابن أبى نسعة هى منينا التى كانت زوجة لفرويلا أمير استورياس ، ثم احبها أمير « كردانيه » المسلم وتزوجها فيما بعد (١) وهى رواية ظاهرة الضعف . وتعليلها أنه كان لدوق اكوتين ابنتان ، وان تلك التى تزوجت من امير استورياس (غرب البرنيه) هى ابنة أخرى غير لامبجيا التى تزوجت من ابن أبى نسعة. وعلى أى حال فان المتفق عليه هو أن الزعيم المسلم قد تزوج من ابنة امير أكوتين ، وأنه كانت لتلك المصاهرة آثار ونتائج خطيرة فى سير حوادث الفتح الاندلسى

ذلك أن امير الأندلس عبد الرحمن الغافقى وقف على علائق عثمان بن أبى نسعة بامير اكوتين ، وأبى أن يقر المعاهدة التى عقدها معه بالمهادنة ووقف الحرب لانها تعارض سياسته ومشروعاته ، وارتاب فى أمر هذه التصرفات كلها . وكان يخشى من وجود ابن أبى نسعة على باب جبال البرنيه طريق المسلمين الى الشمال ، ويرتاب فى نياته ومشروعاته . وكان عبد الرحمن عنياً شديد الغيرة على زعامة العرب ، وكان ابن أبى نسعة كما قدمنا بربرياً شديد التعصب لبنى جنسه . وكان ابن أبى نسعة فى تصرفه واعماله ظاهر الخروج والتحدى لحكومة قرطبة ، فبعث عبدالرحمن الى الشمال جيشاً بقيادة ابن زيان للتحقق من الأمر والتحوط لسلامة الولايات الشمالية ، فامتنع ابن أبى نسعة بمواقعه الجبلية وتحصن فى عاصمة اقليمه ، وهى تسمى بالعربية « مدينة الباب » (٢) وكانت تقع على أحد ممرات جبال البرنيه . والعرب يسمون جبال البرنيه بجبال البرت (أى الباب) أو الممرات . وكان ابن أبى نسعة يعتقد أنه يستطيع الامتناع فى اقليمه الوعر على مثل الزعيم القوطى بلاجيوس ، الذى استطاع أن يمتنع بجبال جليقية مع فلول القوط ، وان يتحدى موسى بن نصير وامراء الاندلس من بعده ، وان يؤسس امارة مستقلة قدر لها أن تنمو وتستفحل فيما بعد ، ولكنه كان مخطئاً فى تقديره ، فان ابن زيان نفذ بجيشه الى مدينة الباب وطوق الثائر فى عاصمته ففر منها الى شعب الجبال الداخلية ، فطارده ابن زيان من صخرة الى صخرة حتى أخذ وقتل مدافعاً عن نفسه ، ومزقت ثورته ومشروعاته ، ورد حلفاؤه القوط والبشكنس الى ماوراء الجبال

ماذا كان مصير الأميرة الحسناء لامبجيا زوجة الثائر ومبعث وحيه ؟ لقد فرت مع زوجها وحليف ابيها املا فى عبور الجبال والالتجاء الى اراضى اكوتين ، ولكنها أخذت وأسرت

(١) راجع خلاصة الروايات الافرنجية فى موسوعة Bayle: V.I.V. والتعليقات

(٢) وتسمى بالقشتالية Cuideu de la Peurta وتسمى احيانا بوبكاردا

مع الاسرى . و بعث بها ابن زيان مكرمة الى الامير عبد الرحمن ليرى فى مصيرها رأيه . فلما رأى عبد الرحمن حسنها الرائع رأى أن يبعث بها هدية الى بلاط دمشق .فاستقبلها الخليفة هشام ابن عبد الملك بحفاوة وأكرم مثواها . ثم زوجت بعد ذلك من أمير أو كبير مسلم لم تذكر الرواية اسمه . هذا ماتقوله الرواية الفرنجية على الاقل . أما الرواية العربية فانها لاتشير الى هذه الحوادث ولا تعرف لامبجيا ، وان كانت تعرف فلورنده ابنة الكونت يوليان . والرواية العربية تذكر عثمان بن ابى نسعة وتشير الى ولايته الاندلس ولكنها لا تتبع اعماله ومصيره .
وتنوه الرواية الفرنجية بالاخص بما أبداه عبد الرحمن نحو الاميرة الأسيرة من الرفق والادب
وهنالك رواية أخرى عن مصير لامبجيا وهى انها بعد أن أرسلت الى بلاط دمشق عاد الخليفة فبعث بها الى اسبانيا لحليفه فرويلا أمير استورياس وكان يهواها فتزوجها . ولكن المرجح ان الاميرة الفرنجية لم تعد قط الى اسبانيا بعد أن استقرت فى دمشق

أما الدوق أودو فلما رأى ماحل بحليفه وبابنته واستشعر الخطر الداهم أخذ يتأهب للدفاع عن مملكته . وبدأ الفرنج والقوط فى الولايات الشمالية بالتحرك لمهاجمة المواقع الاسلامية .
وكان عبد الرحمن يتوق الى الانتقام لمقتل السمح وهزيمة المسلمين عند اسوار تولوشة ويتخذ العدة منذ بدء ولايته لاجتياح مملكة الفرنج كلها . فلما رأى الخطر محدقا بالولايات الاسلامية لم ير بدأ من السير الى الشمال قبل أن يستكمل كل اهبته . على انه استطاع أن يجمع أعظم جيش سيره المسلمون الى غاليس منذ الفتح . وفى أوائل سنة ٧٣٢ م (١١٤ ه) سار عبد الرحمن الى الشمال مخترقا أراجون (الثغر الأعلى) ونافار (بلاد البشكنس) ودخل فرنسا فى ربيع سنة ٧٣٢ م واجتاح جنوب غاليس شرقاً وغرباً وعبر نهر الجارون ، وانقض المسلمون اكالسيل على ولاية أكوتين يثخنون فى مدنها وضياعها . وحاول الدوق أودو أن يقف زحفهم بقواته ولكنه هزم ومزق جيشه شر ممزق ، وطارده عبد الرحمن حتى عاصمته بوردو (بردال) واستولى عليها وفر الدوق فى نفر من صحبه الى الشمال وسقطت اكوتين كلها فى يد المسلمين .
واستمر عبد الرحمن بعد ذلك فى سيره المظفر يفتتح اقاليم فرنسا الجنوبية الوسطى حتى اشرف بجيشه الضخم على ضفاف اللوار . وهنالك التقى بجموع الفرنج بقيادة كارل مارتل محافظ القصر الفرنجى . وهنالك فى سهول تور وبواتييه التى تعرف فى الرواية العربية ببلاط الشهداء ، وقعت بين العرب والفرنج أعظم موقعة حاسمة فى تاريخ الاسلام والنصرانية ، ورد العرب ثانية الى الجنوب ووقف سير الفتح الاسلامى فى تلك الانحاء ، وأفلتت أمم الشمال من نير الاسلام والعرب ، وفقد الاسلام والعرب فى هاتيك السهول سيادة العالم بأسره

محمد عبد الله عنان
المحامي

مصيدة النساء

اللورد بيرون

[تحدث الاستاذ حبيب جاماتي في مقالات سابقة عن المرأة في حياة بعض اعلام الادب في الغرب . فتناول في احاديثه العاشق الصامت « تورجنيف » والعاشق الثرثار « موباسان » والرجل الذى افقد النساء عقولهن « دوماس » وهو اليوم يختم هذه السلسلة بمقال عن اللورد بيرون الذى سماه بحق «مصيدة النساء» وهو الذي قالت فيه مدام دى ستال انه« نيرون الحب ! »]

صدقت مدام دى ستال ، الاديبة الفرنسية الكبيرة ، فى قولها عن اللورد بيرون انه « نيرون الحب ! » فان الرجل كان فى علاقاته الغرامية طاغية قاسى الفؤاد . ويخيل الى من يدرس حياة هذا الشاعر ويتتبع حركاته وسكناته ، انه كان يجد فى تعذيب النساء اللواتى يقعن فى شرك حبه لذة تفوق بكثير لذة التمتع بذلك الحب

ويكفى أن انقل هنا كلمة قالها اللورد بيرون فى الحب لكى يدرك القارىء ان ذلك الشاعر الخالد كان ، على خلاف اخوانه الشعراء ، ينظر الى الحب نظرة عجيبة ، ويعده وسيلة للوصول إلى غرضين: اشباع الحواس وا كتساب المال . وليس فى هذا مايشرف الرجل !

فقد كتبت أوغستا بيرون لاخيها تنبئه بخبر عزمها على الزواج وتقول له : « انى اعبد خطيبى ! » فرد عليها اللورد بيرون قائلا : « انك تبحثين فى الرغبة فى الضحك . ورأيى أن الحب سخافة تامة ، فهو مجموعة كلمات فارغة منمقة . أما من ناحيتى ، فلو كان لى خمسون عشيقة لنسيتهن جميعاً فى خمسة عشر يوماً ! »

وعندما ألح عليه ذووه بان يتزوج قال لهم ضاحكا متهكماً : « ان الشىء الوحيد الذى يجذبنى هو المال . اما النساء فليس بينهن من هى خير من سواها ! »

وكانت مدام دى ستال بين النساء المعجبات ببيرون . ولكنها كانت على علم باخلاقه وطبيعته ، فقالت فيه كلمتها المشهورة : « إن بيرون نيرون الحب ! » وقالت فيه أيضا : « ان فى صدر بيرون من الاحساس مايكفى للقضاء على سعادة كل امرأة تلقى بها الاقدار بين يديه ! » وهذه أيضاً حقيقة لاشك فيها . فان جميع النساء اللواتى أحببن هذا الرجل قد أصبن فى حياتهن بالتعاسة والشقاء ، ولم تستطع واحدة منهن أن تباهي بانها عرفت مع بيرون معنى السعادة أوانها ذاقت طعم الهناء

ومع ذلك فان النساء كن يحمن حول الشاعر الشاب الجميل كما يحوم الفأر حول مصيدة تحوى

لذيذ الطعام . والفرق بينهن وبين الفأر ان كل امرأة من اللواتي أحببن بيرون كانت تعلم انه فى حبه طاغية لا يرحم ، وانه لايعرف للاخلاص فى الحب معنى ، وان المرأة فى نظره كالثمرة الشهية يمتص عصيرها ويلقى بها جانباً . ومدام دى ستال التى قالت فيه قولها الذى أشرنا اليه كانت أيضا تحبه وكانت ترغب فى ان تنال منه ما ناله سواها . فقد قالت أيضا وهى تقرأ الشعر الذى وضعه بيرون عندما هجرته زوجته : « وددت لو كنت أنا اللادى بيرون وكنت تعيسة فى حى مثلها لكى يقول فى الشعر الذى قاله فيها ! »

ولد جورج جوردون لورد بيرون فى سنة ١٧٨٨ بلندن . وهو سليل أسرة كان أبناؤها يتوارثون القسوة والكبرياء أبا عن جد . وكان أبوه ــ الكابتن جون بيرون ــ فظا مسرفا . وبعد أن بدد ثروته وثروة زوجته الاولى المركيزة كرمارتن وزوجته الثانية كاترين جوردون فر هاربا من وطنه الى فرنسا لتضليل دائنيه الكثيرين . ومات ذلك الرجل المبدد فى كل شيء فى مدينة فالانسيان التى لجأ اليها

ورزق الكابتن جون من زوجته الاولى ابنة سماها أوغستا ومن زوجته الثانية ابنا سماه جورج هو بطل حديثنا هذا

ونشأ الابن على طراز أبيه !

واذا كان الشاب يبدأ حياته الغرامية عادة فى سن الثامنة عشرة أو قبل هذه السن أو بعدها بقليل ، فان جورج جوردون لورد بيرون قد شذ عن هذه القاعدة وبدأ حياته الغرامية ــ اذا حق لنا ان نسمى علاقاته بالنساء غراما ــ فى سن التاسعة !

فقد أحب جورج إحدى قريباته ــ مارى دوف ــ وهو فى التاسعة فقط . ولكنه ما لبث أن أهملها وأحب فتاة أخرى من قريباته أيضا (مرغريت باركر) وكان حبه هذا مقرونا بغيرة شديدة الى حد انه كان يثور ويضرب إذا ما اقترب أحد من موضوع غرامه . وقد كتب أشعاره الاولى فى ذلك الوقت وتغزل فيها بمرغريت باركر الجميلة

ولكن الفتاة التى جعلته يحنق على النساء جميعا ويعقد النية على اللعب بهن كما يلعب القط بالفأر ، هى مارى شاورث قريبته اذ ان بيرون كان يقوم بتجاربه الاولى فى الحب ضمن دائرة الاسرة !

كان أهل مارى شاورث على خلاف مع اهله . وعلل جورج نفسه فى وقت من الاوقات بأن يصلح ذات البين ويعيد المياه إلى مجاريها بين العائلتين . وكان وقتئذ فى الخامسة عشرة من عمره فقط وكانت مارى فى السابعة عشرة !

فشل بيرون فى محاولته واعرضت عنه مارى شاورث ، فغادرها غاضباً ساخطاً مهدداً بأنه سينتقم لنفسه منها . . . ومن كل امرأة تسوقها الاقدار والظروف إلى طريقه !

وقد نفذ بيرون وعيده . ومنذ ذلك الحين أقام نفسه « مصيدة للنساء ! »

ووقعت كثيرات منهن فى الشرك ، وأخذن فى المصيدة الجذابة الساحرة

كان بيرون جميلا ، بل كان بارع الجمال ، وكانت له عينان تنبعث منهما « شرارة قاتلة » كما تقول مدام دى ستال ، ولم يكن بالامكان « أن يحمل رجل فى وجهه عينين أجمل من عينى بيرون » كما يقول ستاندال !

وإذا أردنا أن نذكر أسماء « جميع » النساء اللواتى أحببن بيرون — بل اللواتى احببنه وقاسين فى حبه أنواع الذل والعذاب — فان القائمة تطول ، ولا بد ان يفوتنا اسم أو أكثر !

ولكن ، لنذكر فريقاً منهن ، ضاربين صفحاً عن الأخريات :

مارى دوف ومارى باركر — فون أوش — مارى شاورث — شرلوت هرليج — سارا صوفيا — جان فرسن — كارولين لامب — تريزا جيتشيولى — مرغريتا كونى — فون سارا جوسا . . .

وأخيراً : أوغستا بيرون ، أخت الشاعر من أبيه ، وهذا الغرام الشاذ البشع هو أفظع غرام فى حياة بيرون ، بل هو من أفظع الحوادث الغرامية والعلاقات الفاسدة التى دونها التاريخ فى صفحاته !

سافر بيرون إلى اسبانيا فى سنة ١٨٠٧ وكان قد دخل فى السنة العشرين من عمره ، وعرف المرأة من جميع نواحيها . وهناك — على انغام الاناشيد الاسبانية — أطلق الشاعر لحواسه العنان ، وأفقد كثيرات من بنات الاندلس عقولهن وشرفهن . ثم عاد إلى وطنه ومعه طائفة من الهدايا التى بعثت بها اليه عشيقاته المديدات هناك . وبين تلك الهدايا خصلة شعر يبلغ طولها ثلاث أقدام ، تركتها بين يديه أندلسية حسناء برهاناً على تعلقها به مدى الحياة .

وقد احتفظ بيرون بهذه الهدية مدة من الزمن . ولكن عندما سألوه عن اسم المرأة التى جزت شعرها ودفعته اليه أجاب مقهقها :

— لقد نسيت اسمها !

ولعل أتعس امرأة وقعت فى « المصيدة » هي اللادى كارولين لامب . فقد أحبت هذه المرأة اللورد بيرون إلى حد الجنون — الجنون بكل ما فيه من خروج على المألوف واستهتار باللياقة . فان اللادى كارولين لامب قد لقيت فى علاقاتها الغرامية ببيرون كل ما يمكن أن تلاقيه امرأة من احتقار ومذلة وهوان وعذاب اليم . وكانت العاشقة المسكينة المجنونة تهيم على وجهها فى الليالى وتحت الشتاء باحثة عن الشاعر الجميل منتظرة ساعات عديدة أمام الابواب وتحت النوافذ والشرفات ، خروجه من منزل هذه أو تلك من غريماتها فى الحب . وكان بيرون يخرج من مفسقته ويرى اللادى كارولين لامب فى انتظاره فى الشارع فينهال عليها ضربا ويغمرها بالشتائم والمسبات فتنطرح على قدميه وتغمرها بالقبلات !

وقد هددته مرة بانها ستنتحر فقدم لها خنجراً بديع الصنع مرصعا بالحجارة الكريمة وقال : « تفضلى ! »

غير ان الحاح ذويه عليه بان يتزوج ويعيش عيشة هادئة حمله فى النهاية على البحث عن المرأة التى يستطيع أن يعاشرها معاشرة زوجية . وخيل اليه انه وجد ضالته المنشودة فى الفتاة أنابيلا ميلبانك وريثة اسرة ونتورث الشريفة الغنية . فتزوجها فى سنة ١٨١٥ . وكان فى السابعة والعشرين من عمره وكانت أنابيلا فى الثالثة والعشرين

لكنه أساء التصرف معها كما أساءه مع بقية النساء . وعاملها معاملة خشنة قاسية . وجعل يخونها مع كل امرأة تجمعه بها المصادفة . فلم تطق الزوجة صبراً على هذه الحياة النكدة . وما مضت سنة على زواجهما حتى عولت على هجر الزوج الطائش ، ونفذت ما عولت عليه ، باحثة عن الراحة والعزاء فى عزلة عن اللورد الشاعر صياد النساء

وندم بيرون على ما فرط منه نحو زوجته ، ولكن بعد فوات الوقت . فقد رفضت أنابيلا أن تعود الى كنفه . ونظم بيرون تلك القصيدة الخالدة التى وضع لها عنوان : « الوداع ! » والتى جعلت مدام دى ستال تقول إنها تود لو كانت هى الليدى بيرون لكى يقول فيها اللورد ما قاله فى زوجته

وانفجرت مراجل الغضب على اللورد بيرون فى انجلترا ، على أثر ما حدث بينه وبين زوجته ، ولامه الناس على سلوكه الشائن ، وحملوا عليه حملة شعواء ، فهجر بلاده على ألا يعود اليها

رحل بيرون الى ايطاليا ، وهناك نسى مرغماً الزوجة التى أسف فى بادىء الامر على فراقها . فعاودته غريزته الطبيعية وانغمس من جديد فى حمأة الغرام الفاسد

أحب فى ايطاليا عشرات النساء ، بل إن عشرات النساء هن اللواتى أحببنه . وكان الاقدار شاءت أن تنتقم من « نيرون الحب » فارسلت اليه امرأتين : الاولى لتعذيبه والثانية لاحياء عاطفة الحب الصحيح الحقيقى فى صدره

أما المرأة الاولى فهى مرغريتا كونى التى أحبت بيرون والتى يؤكد الشاعر أنه احبها . وقد تكون هذه المرأة الوحيدة التى لم يرفع بيرون يده عليها ، بل هى التى كانت تضربه !

وقد تخلص منها بحيلة وفر من البندقية هارباً منها وكتب الى أصدقائه يقول : « ان مرغريتا كونى هى الوحيدة بين النساء التى غلبتنى ! »

حينذاك التقى بيرون بالكونتس تريزا زوجة الكونت جيتشيولى الشيخ ، تلك المرأة الرقيقة الشعور الفياضة العواطف التى علقت بحب الشاعر الجميل منذ اللحظة التى أخذته فيها عينها . فضحت فى سبيله بكل شىء وهجرت أهلها وزوجها وقصورها للحاق به

لكن أسرتها أرغمتها على العودة الى زوجها فأصيبت الكونتس بداء قاتل . وعند ذاك حدث حادث يصعب على العقل أن يصدقه ، فقد أسرع الكونت جيتشيولى الى اللورد بيرون راجياً منه أن يتبعه ويقيم معه فى قصره بجانب زوجته التى تحبه !

وكانت الكونتس جيتشيولى آخر امرأة أحبت بيرون . وكان هذا الغرام الوحيد الذى جعل قلب الشاعر الخالد يخفق بالحب الحقيقى الذى تخفق به قلوب العشاق

فقد قال بيرون عن الكونتس تريزا المسكينة : « هى المرأة الوحيدة التى أحببتها — وكانت الاخيرة ! »

أما علاقاته بأخته من أبيه (أوغستا بيرون) فاننا نكتفى بالاشارة اليها دون الدخول فى التفاصيل، فان بيرون قد أعاد الى الاذهان بغرامه هذا ما كان شائعاً عندقدماء المصريين والماديين والعبرانيين وغيرهم من الشعوب حيث كان الاخ يتزوج أخته . . .

وقد وضعت أوغستا بيرون طفلة سمتها « ميدورا » هى ثمرة الغرام بين الاخ والاخت

أما زوجة الشاعر فقد ولدت له ابنة اطلق عليها اسم « ايدا » ولكنها لم تعش طويلا . فقد ماتت تلك الأبنة التى لم تعرف اباها عندما كان بيرون يحارب فى صفوف اليونانيين ويجاهد فى سبيل تحرير اليونان

كتبت اليه أنابيلا المسكينة تنبئه بوفاة وحيدته ، فوصله خطاب زوجته فى اليوم الذى أسلم فيه الروح ، فى مدينة موسولونجى ، أى فى الثالث عشر من شهر يوليو سنة ١٨٢٣ وهو فى السادسة والثلاثين من عمره.

⁂

كفر بيرون عن سيئاته نحو النساء بما قام به من أعمال فى ميدان السياسة والحرب وبالتضحية السامية التى أقدم عليها مختاراً فى سبيل تحرير الشعوب ونجـدة الضعيف المظلوم . فغفر له الناس شيئاً فشيئاً فضائحه الغرامية ودونوا اسمه فى صفحة الخلد من التاريخ جنباً الى جنب مع أعلام الشعر وأبطال الاستقلال

حبيب جاماتي



الفرزدق

شاعر الفخر والهجاء

بقلم الاستاذ الشيخ احمد الاسكندرى

نشرنا في العدد الماضي القسم الاول من هذا البحث . وقد اشتمل على نشأة الفرزدق وبيئته وأخلاقه وكيف قال الشعر والاوصاف العامة لاسلوبه الشعري . وفيما يلى تتمة هذا البحث المفيد

أغراض شعره

أم الأغراض التى يرمى اليها شعر الفرزدق ثلاثة : الهجاء ، والفخر ، والمدح

هجاؤه

الباحث عن أخبار الفرزدق يعرف أن الهجاء فطرة فيه منذ كان ، وفيه بذل جهد نفسه وزبدة تفكيره وأغرب معانيه ، إذ كان يقوله عن حنق وتغيظ وإرادة نكاية وتنكيل بالخصم على أى صورة وبأى لفظ ، يخلع فيه عذار الحياء ، ويصرح بما لايبيحه شرع ولا أدب . واضطره الهجاء الى تتبع عورات خصومه وسقطاتهم والمعرات التى لصقت بآبائهم فى الجاهلية وقلة غنائهم أو عجزهم فى الاسلام ، بخلاف مدحه الناس فانه كان يقوله مخادعة للممدوحين واحتيالا لاقتناص أموالهم ، وبذلك كان هجاؤه أبلغ من مدحه وأعظم أغراضه

وكان سليط اللسان لايبالى من يهجو سوقة أو أميراً . هجا هشام بن عبد الملك ، وهجا ابن هبيرة والى العراق ، وهجا خالداً القسرى والى العراق ، ولكنه لم يجسر أن يهجو زياداً فى حياته ، وهو الذى أقض مضجعه أعواما وشرده كل مشرد ، إذ كان جاراً إذا ظفر به لم يعدل بضرب عنقه شيئاً ، وانه كان يتفرس فى غيره الرحمة أو الخوف من قومه تميم

ولما ابتلى بمهاجاة جرير وجد فيه مطعنا من ضعة أبيه ورهطه كليب كما وجد فيه جرير مطعنا من فجراته وأخبائه ، ولم يستطع أن يرمى جريراً بمثلها لعفته ودينه . فكان يعير جريراً بأنه يفتخر بغير آبائه الأدنين ، ويعدل بهم الى أجداده الأعلين من بنى يربوع ، ويسب كليبا وبنى الخطفى بانهم سود كالجعلان ، وانهم تنابيل قصار ، وأن اعينهم تنام عن الأوتار ، وانهم رعاة حمير وغنم ، وانهم أذلة ينزلون شر مكان ، وأن عمات جرير وخالاته كن خوادم للفرزدق يحلبن عليه عشاره كالاماء ، ونحو ذلك من كذباته . وطال تهاجيهما وجد كل منهما أن ينقض ماقاله الآخر فيه على وزنه وقافيته . وصدرت عنهما فى ذلك نقائض طنانة هى أطول قصائدهما ،

وأربى بعضها على خمسين ومائة بيت مما حمل الرواة وعلماء الأدب أن يفردوا لها كتبا خاصة

ولم يكتف بهجاء الأحياء حتى هجا الحجاج ميتا، وقد عاش فى معروفه بعد موته، وليم فى ذلك فقال: «نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه فاذا تخلى عنه انقلبنا عليه». وهذه النقائض وان حوت من أرفاثها وأخباثها ما تعافه النفس وتقذى به العين فقد اشتملت على ديوان عظيم من أخبار العرب وايامها ووصف عاداتها ومعيشتها وأخلاقها ومنازلها ومياهها فى جاهليتها لم يعادله شيء، ولولاها لجهل كثير من أحوال العرب. فهى من جهة بمنزلة سجل صحيح وديوان جامع للمؤرخين والأدباء لا تقبل طعنا ولا نقضا، وهى من جهة أخرى تثبت لنا أن الاسلام عند أهل البدو نسخ وثنيتهم وشركهم وطبعهم بطابع التوحيد والعبادة، ولكنه لم ينسخ فيهم كل النسخ عادة التنابذ بالالقاب وحب الانتقام وشن الغارات والمغالبة بالهجاء والسباب والأفيكة على المحصنات وعدم الاستحياء من التصريح بألفاظ السب دون تكنية، مما كان لقاح فساد لمن أتى بعدهم من مجان الدولة العباسية وخلعائها بالكوفة وبغداد

فخره

كما طبع الفرزدق من طفولته على الهجاء طبع على حب الفخر. والفخر طبيعة فى العرب منذ الجاهلية، وجاء الاسلام فخفف من سورتها فى أهل الامصار، وبقيت كامنة فى البداة تشتعل نيرانها احياناً وتخمد أخرى حتى خفتت نعرة العرب، وانطفأت جمرة سلطانهم، وغلبتهم الأعاجم على ملكهم، فمن استخذى منهم لسلطان العجم انقرض وانقرضت معه حماسته ومن أنف منهم ملكة العجم تراجع الى الصحارى أو الى بلاد الجزيرة مهدهم القديم

نشأ كل من الفرزدق وجرير وعمرا طويلا فى عصر كانت العرب فيه فى قمة العز وبسطة السلطان يمتد ملكهم من غربى الصين الى أرباض باريس، وخضعت لهم جبابرة الأرض وهابتهم كل ملوك المعمورة. وقد تنازعوا على الملك واستحقاق الرياسة، فمن فاته منهم شرف النبوة والخلافة تطاول الى الرياسة بشرف العشيرة وكثرة العديد وسابقة آبائه و رياستهم فى الجاهلية. وكان الفرزدق من هؤلاء: كانت تميم من أكثر قبائل مضر عددا واعظمها اياما، وكان بنو دارم قوم الفرزدق من أكثرها مالا وأعظمها جاها وكرماً، وكان لتميم جالية فى كل مصر فتحه العرب

فلما فاق جرير والفرزدق كل شعراء مضر وفرع الفرزدق جريراً بحسبه وشرف آبائه وغنائهم، أذكى كل ذلك غريزة الفخر فيه ووجد أمامه من ظنه لا يلبث أن يذوب فى المفاخرة، ووجد جرير سبيل الطعن فى آبائه الأعلين مسدوداً ـ فأتفك عليه أفيكة قيل إنه اخترعها، وقيل إنه سبق بها، فنفى غالبا أبا الفرزدق، عن صعصعة وزعم أنه ابن عبد حداد يسمى جبيراً كان

لصعصعة فضربه ، فشفعت فيه زوجته أم غالب ، فاتهمها صعصعة به . فأكثر هجائه يدور على أنه قين ابن قين ، وقد نسب اليه كل ما يتعلق بهذه الصناعة ، ولم يكتف حتى جعل مجاشعاً كلها قيونا أى حدادين ، واسترسل فى الكذب عليه معتمداً على مثل العرب فى قولها :

قد قيل ماقيل إن صدقاً وإن كذباً فما اعتـــذارك من قول اذا قيلا

ولم يكن للفرزدق على كثرة فخره قصيدة مستقلة فى الفخر بل كان يسوقه فى عرض هجائه لجرير وغيره ، حتى صار ديدناً له يقوله فى كل موضع حتى الرثاء وحتى مدائح الخلفاء.

ومن غريب انطباعه على الهجاء وتوقحه فيه أن عماً له كان قد وفدعلى معاوية بن أبى سفيان فى خلافته فى وفد تميم ، وكان عثمانيا ، فاعطاه مائة الف درهم ، فمات وهو عند معاوية ، فضم معاوية ماله الى بيت المال ، فجاءه الفرزدق وهو بعد شاب ليس له سابقة فضل ولا غناء فى حرب ، فطالب معاوية بميراث عمه بقصيدة هدده فيها وفخر عليه بأبيه غالب وجده صعصعة وفضلهما على عبد شمس وعبد مناف وعلى قصى بطل قريش وجامع شملها

وأغرب من تهديده ووقاحته حلم معاوية عليه واعطاؤه ميراث عمه مع أنه كان هبة من ماله .فذهب الفرزدق به الى البصرة ، ولم يعط بقية الورثة منه إلا ثلاثين الفا . وذلك ما أحفظ زياداً عليه وتربص به مصيبة ينزلها به ، فما هو إلا أن هجا بنى فقيم والنهشلين واستعدوه عليه حتى طلبه ليوقع به فهرب وبقى مشرداً طريداً حتى مات زياد كما مر آنفاً

وأكثر فخر الفرزدق بأن أباه كان كريما يقرى الضيفان ، وأن صعصعة أحيا الموءودات ، وأن أجداده انتصروا فى يوم كذا ويوم كذا من أيام الجاهلية ، وانهم قادة الحجيج وحكام العرب وخطباؤها وفصحاؤها ، وانهم أسروا فلاناً وفلاناً وقتلوا فلاناً من فرسان العرب وسبوا النساء ونحو ذلك . فيناقضه جرير بوقائع أخرى هزمت فيها قبيلته بنودارم وأسر فيها أبطالها وسبيت فيها نساؤها ، ويذكرهو آباءه الاعلين من بنى يربوع ممن لايقلون فى شرفهم عن عظماء دارم

مدحه

جاء الاسلام والتكسب بالشعر حرفة عرفتها العرب واصطبغ بصبغتها اشرافها ووضعاؤها ، فلم يأنف زهير والنابغة الذبيانى وحسان وهم من الاشراف أن يمدحوا السادات والملوك ويتقبلوا جوائزهم ، وشرف بها سفهاؤها وأحلاسها ، فنعموا بها أحياناً وشقوا بها أحياناً ، من أمثال أعشى قيس والحطيئة العبسى . فأقر الاسلام هذه الحرفة اذا كانت دفاعاً عن حق وردعا لباطل ودعاء الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونهى عن استماع المرء مدح نفسه . وحمل استماع رسول الله (ص) الى مديح كعب بن زهير وحسان وغيرهما من شعراء الصحابة على أنه اعلاء

لشأن الاسلام الآتى على لسان رسوله ، والقرآن نفسه فيه مدح لرسول الله وثناء عليه ، وكل أنواع العبادة من الصلاة والأذان والاقامة لا تخلو من مدح رسول الله ، ومدحه هو مدح للاسلام ، فالثناء عليه مأمور به من الله تعالى

وغبر مسلمو الصدر الأول والصحابة على هذه السنة زمن الخلفاء الراشدين . فلما آلت الخلافة الى معاوية ترخص فى استماع المديح لحاجته الى الاشادة بخلافته وتأييد دعايته ، وحاكاه بنو مروان حتى بعد تأثيل ملكهم ، إذ كانت الدولة والسلطان فى كل زمان فى حاجة الى نشر فضائلها والدعاية الى التمسك بطاعتها بقوة الفصاحة والبيان وإذاعة فضلها فى كل مكان . وكان الشعر وروايته فى هذا الوقت بمنزلة الجرائد الجوائب فى هذه الأيام . وليس الخلفاء والأمراء وحدهم هم الذين كانوا فى حاجة الى نشر فضائلهم والتنويه بشأنهم ، بل كان ذلك أيضا من أهم ماتصبو اليه نفوس رؤساء العشائر وقواد الجيوش وكل من يرشح نفسه الى زعامة أو منصب

ولما ضرب الاسلام بجرانه فى الأرض وكثر الرؤساء والقواد والأمراء والولاة من العرب وموالى العرب من قبائل ربيعة ومضر وحمير وكهلان قصد كل شاعر أمير قبيلته وعظيمها ومدحه . فاذا نبه شأنه وعلا كعبه فى الشعر صار شركة للجميع ، واستشرف كل الى مدحه من الخليفة الى السوقة ، وهابه الناس وبجلوه وصانعوه بالهدايا . فاذا كان مع بلاغته وفصاحته وجودة مدحه هجاء لذاعا زادت هيبتهم له وترضوه بما شاء

فلا جرم أن يستمرىء الفرزدق وجرير هذه الطعمة ويستسيغا التعادى والنضال وسب العشيرة فى سبيلها ولو كانا ذوى قربى . ومدح هؤلاء الشعراء الاسلاميين يربو على مدح شعرا الجاهلية بوصف الممدوح بمناصرة الاسلام وأهله والائتمار بأوامره كما قدمنا ، ولكنهم يتفاوتون فى تزيين هذه الصفات وتلوينها بألوان باهرة وصور من الكلام مبتكرة

وقد أقر كل من جرير والفرزدق بأن الأخطل سبقهما فى حلبة المدح . ومن رأى الكثير من أهل الأدب أن جريراً يأتى بعده فى غير مايرضى الملوك وبهش لهم نفوسهم ، وأن الفرزدق يجىء بعد جرير لا لأن الفرزدق يقل عن جرير فى تصوير المعانى وجزالة القول بل لأنه نزر القول فى المدح ومدائحه كلها قصار ولا يطيل إلا الهجاء . على أنه اذا مدح خلط مدحه بفخره ونغص على الخلفاء استماعهم كلامه ولو كان جيداً . وكان جرير يعرف ذلك منه فاذا اجتمعا على باب خليفة وخرج الأذن لهما قدمه جرير على نفسه لعلمه أنه قليل المدح كثير الفخر . فاذا دخل بعده افاض فى المدح وأوجز فى غيره . واذا مهد للمدح بالنسيب جاء به رقيقاً عذباً يعيد فى الممدوح الكهل ذكرى الشباب وينشط فى الشاب قوة الطرب

دخل الفرزدق على الخليفة سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال سليمان للفرزدق : « أنشدنى » فأنشده :

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم الى شعب الأكوار من كل جانب
اذا ابصروا ناراً يقولون ليتها (وقد خصرت ايديهم) نار غالب

فاسود وجه سليمان وغاظه فعله . فلما رأى نصيب ذلك قال : « ألا انشدك ؟ » ، فانشده :

أقول لركب قافلين لقيتهم قفاذات أو شال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

فسأل سليمان الفرزدق : « كيف ترى ؟ » ، فقال : « هو أشعر أهل جلدته ! » ، فامر سليمان بصلة لنصيب وحرم الفرزدق وقال : « ألحقوه بنار أبيه ! » ، فخرج الفرزدق وهو يقول :

وخير الشعر أكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيـــد

احمد الاسكندرى

في ذمة العشاق

انا ما نسيت ولا سلوت وانما شطَّ المزار وحالتِ الأيامُ
بيني وبينكِ لا اللواعج تنطفي يوماً ولا عين الرقيب تنامُ
تشكين من سقم واشكو من اسى والعشق اعذبه اسى وسقامُ
لا القلب يصبر عن هواكِ ولا انا سالٍ وذاك الجرح لا يلتامُ
في ذمة العشاق ذكر صبابةٍ تبقى وتفنى دونها الاعوامُ
الله فى كبد الم بها الأسى والوجد واستعصت بها الآلامُ
شمت الوشاة بها وأى حشاشة سلمت ولم يشمت بها اللوامُ
لم يبق بعد نواكِ غير تنهد جهد المحب تنهدٌ وهيامُ
إن كان سُقمى فى هواك جريمة عند الوشاة فحبذا الاجرامُ
بأبي التي كثرت ذنوبي باسمها عداً وضاقت دونها الارقامُ
بي منك ما بك من صبابة وَالهٍ ان تنطفي فعلى الشباب سلامُ

سليم عبد الاحد

احتضار الشباب

راح شرخُ الشبابِ يركض ركضا
حاملاً في الشباب من كان غضًّا
ابرم الدهرُ عُقدتَيْه فلمّا اشـ
تدَّتا جاءها يحاول نقضا
حلّها فجأةً لحا الله نابًا
دبَّ في الليل يبتغيني فعضًّا
نزع السحرَ من جفوني فصحت
لحظاتي من بعدِ ما كنَّ مَرْضى
راعه خاتمُ الصباحةِ في خد
يَّ حتى استطير غيظاً فقضَّا
همَّ بالقلب مرهفاً صَفْحَتَيْه
جامعاً بأسه عسى ان يقضَّا
وإذا القلب بين الخدّ والجفـ
ـن وقد جاش همُّه فأمضَّا
اهمل الناب عند شدّة ذلك الـ
ـحُزْنِ إجلالاً ساعةً ثم أغضى

* * *

يا شباباً حمّلتُه فوق ما في
وسْعِه جاهلاً فما اسطاع نهضا
رُبَّ جُرمٍ اتيتُه إنما طيـ
ـشك قد حثّني عليه وحضّا
نحن في الذنب يا شباب شريكا
ن فإن لمتني فأقصرْ وغُضّا

بشر فارس

أشرب الكاس فأحن الى الجدول ، وأشرب الجدول فأحن الى الينبوع ، وأشرب الينبوع فأحن الى البحيرة ، وأشرب البحيرة فأحن الى البحر ، وأشرب البحر فأحن الى انهار الجنة .. انى أحن الى الماء الذى هو الماء ... الماء الذى يستوعب جميع اطراف النفس فيرويها . . الماء الذى يقتل الظمأ قتلا فلا يطلب الانسان بعده شيئاً آخر .. انظر الى يا خالقي كيف اقف حزيناً :

على مفترق الطرق

بقلم الاستاذ راجي الراعي

ضحكت فلم أطرب . . . وبكيت فلم تشف الدمعة غليلي بل زادته سعيراً . . .

آمنت فتوسط العقل طريقي يقول لي : أين تسير بعين إيمانك العمياء ؟ ... أين عيني في وجهك ؟ . . . وكفرت فارتعشت في ضعفي ونقصي أمام الهياكل التى هدمتها بيدي

سجدت بين ذراعي المرأة ، ثم ملكتها فهدَّت قواي وتركتني أتخبط في ساحة الحياة كالجندي الذى سلبت بندقيته وعقيدته ، ففررت من حسنها الفتاك آوياً إلى العزلة أكتب وأخطب وأنظم الشعر مقيماً بيني و بين الشهوة أسلاكاً شائكة ، فتعب رأسي من اعباء الواجب ورزح قلبي تحت أثقال العظمة والعفة ، فعدت إلى المرأة فأجهزت على البقية التي أبقتها من دمي ورجولتي ! . . .

شربت الخمرة فأضعت عقلي . . . وصحوت فأضعت خيالي . . .

صعدت إلى قمة الجبل فطلبت قمة ثانية ، وصعدتها فاذا أنا أطلب الثالثة ، وظللت أصعد من جبل إلى جبل حتى بلغت أعلى قمة لأعلى جبل فلم تهدأ ثورة أطماعي، فنشدت القمر والشمس والنجوم ثم هبطت من قمة علائي إلى السهول والصحارى ، فأحسست ما يحسه الملك المخلوع عن عرشه المتخلي عن تاجه وعشقت الآفاق وأقلقتني قناعتي ! . . .

سكت فاحتجت عليَّ البراكين تطلب أن أشق طريقي في العلاء ، فصرخت صرختي فأنبتني الحكمة وصاحت بي : ألا اعتدل واسكت فالسكوت من ذهب، وتأمل فالتأمل من شيمة العظيم . . .

عدلت فأصبح نصف الناس أعدائي ، فظلمت فحاول الضمير خنقي بحبال الضحايا . . .

أقدمت فنعتوني بالهوس ، فاحجمت فقالوا : يا له من جبان !

فكرت في أمسي فاشرأب إليّ بعنقه يومي ، فأقبلت على يومي فسلبه مني غدي . . .
أملت فخدعت وتداعى بنائي ، فاقبلت عليّ الحاجة تهز أركاني وتدعوني إلى الجهاد ...
جمعت المـال فاستعبدني سـلطانه وسجنتني قصوره ، فطرحته في البحر وعدت الى الفقر والكوخ فأخذت أحلم بالثروة والرفاهية . . .

بنيت بنائي فوجدتني سجيناً بين اربعة جدران ، فاطلقت ساقي للريح وافترشت الصحراء لأتذوق طعم الحرية وأطلقت نفسي من ربقة الحجر ، فمرّ بي السارق فسرقني ولحقت بي القيود فأعادتني الى جراحاتها التي لا تموت ! . . .

أحسنت الى النـاس فكثرت علي شرورهم ، وأسأت الى الناس فارتدت سـهامي الى نحري ! . . .

صبرت فدفنت لذتي ومعصيتي ، وخرجت عن صبري فأيقظت هفواتي وندمي . . .
تجبرت فسحقني تجبري ، وأصبحت وادعاً فنشبت في الذئاب براثنها القاتلة . . .
رقدت فأضعت ليلي ، وعدت الى النور فأتمت . . .

فيارب ما هذا الألم الذي يعتريني . . . وما هذا التناقض في ارادتي ... وما هذه الحيرة التي أتخبط فيها ؟!!! ولِمَ توقفني على مفترق الطرق لا ادري أي طريق أسلك ولا على أي مذبح أضع قرباني ؟!

لقـد وضعت في يدي قيثارة كلما نقرت على وتر منها ملأت منه فنقت الى وتر آخر . . .
وسأقضي الحياة وانا افتش عن نشيد انشده كاملاً فيطربني ويرضيني . . .

لقد عشت حتى اليوم مضطرباً . فما هذه العواصف الهوج في صدري تهز أعماقي ؟ !
اي شيء اريد . . . أية كأس اشرب . . . أية كأس إذا شربتهـا أعفتني من ثمالتها وبردت احشائي ؟ !

أشرب الكأس فأحن الى الجدول ، وأشرب الجدول فأحن الى الينبوع ، وأشرب الينبوع فأحن إلى البحيرة ، وأشرب البحيرة فأحن الى البحر ، وأشرب البحر فأحن الى انهار الجنة...
انني أحن الى الماء الذي هو الماء . . . الماء الذي يستوعب جميع اطراف النفس فيرويها . . .
الماء الذي يقتل الظمأ قتلاً فلا يطلب الانسان بعده شيئاً آخر . . .

انظر الي ياخالقي كيف اقف حزيناً على مفترق الطرق حائراً . . . انظر الى واهدني ... مزق ضبابي وأخرجني من عواصفي . . .

أملك ثم اعاف ملكي . . . وأشرب ثم أحطم كأسي . . أبني باليد الواحدة وأهدم باليد الاخرى ما أبنى ! . . .

انا بين الظلمة والنور كرة تتلقفها الاهواء !

انا امام الشمس والقمر اضحوكة الاقدار وسخرية الاسرار !

انا . . . وهل لك بين امجادك وابواقك وساعاتك متسع من الوقت لتصغى إلى وتراني وتقول لى من انا ؟ . . .

انك لم تعطنى النور عبثاً ! . . .

ان الله لا يشتغل عبثاً ! . . .

فقل لى : ما هو هذا الشيء الذى من اجله اعطيتنى النور ؟ . . .

قل لى . . . قل لى . . .

راجي الراعي



تحت صورة

بريشة رسام

بائسٌ خانه الزمان فأمسى يصحبُ اليأس مستطير الجنان
أكل الدهر ماله وبنيه ورماه لطارىء الحدثانَ
فتلقاه جيش خطبٍ فنادى لأخيه وخِدنه أدركاني
فالتوى خِدْنه وبات عدواً حينما صار في مجال الطعانِ
واخوه رأى الفرار نجاة فأضاعاه بين شُهب السنانِ
فأخو المرء والصديق إذا ما حُمَّ خطبٌ مداهِمٌ غادرانِ
ليس في الناس لو علمت امانٌ فاحذر الغدر من بنى الانسانِ

طاهر الطناحى

في الادب الصيني

القصة وتطورها بين القديم والحديث

فى القرن الحادى عشر للميلاد كان يجلس على عرش الصين الامبراطور « جن تسونغ » الذى يعده الصينيون من خيرة اباطرتهم ، والذى يقول عنه مؤرخوهم إن عهده كان عهداً سعيداً . وقد ملك جن تسونغ من سنة ١٠٢٣ الى سنة ١٠٥٦ الميلادية

وكان ذلك الامبراطور يحب شعبه حباً جماً ، ويرغب فى الاطلاع على أحواله ، ومعرفة ما يحدث فى اطراف امبراطوريته الشاسعة ، وكشف الستار عن خفايا التاريخ والعادات والتقاليد فى الصين ، فكان يفتح أبواب قصره للناس ، ويدعو الى مجلسه كل من حمل فى ذلك العهد قلما وعرف فى البلاد بسعة اطلاعه ، فيتربع الامبراطور على سرير ملكه ، ويصغى الى جلسائه وهم يقصون عليه مايعرفونه من حوادث ونوادر ووقائع

واطلق الناس على مجالس الامبراطور اسم «سياوتشو » أو «الثرثرات» أو ايضا «الاقاصيص الصغيرة » وقد التقط بعض من كانوا بارعين فى تدوين تلك الاحاديث طائفة من الاقاصيص التى كان الامبراطور يسمعها كل ليلة ، وجمعوها فى كتاب يشبه من بعض وجوهه كتاب « الف ليلة وليلة » .

فالقصة الصينية ـ كالقصة العربية ـ وليدة تلك السهرات التى كان يحييها الامبراطور جن تسونغ فى قصره ، ويرجع تاريخها إذن الى القرن الحادى عشر للميلاد

وكانت الاقصوصة الصينية ، فى بدء عهدها ، تشبه أيضا الاقصوصة العربية ، من حيث الموضوع والاسلوب . فان الاقاصيص الصينية الاولى تذكرنا بحوادث السندباد البحرى ، التى يتغلب فيها الخيال على الحقيقة . فان المكان الاول فيها للعفاريت والمردة والسحر وعجائب المخلوقات والمغامرات التى لايصدقها عقل . غير أن لكل ذلك فى الاقاصيص الصينية اسماء اخرى غير اسمائها فى الاقاصيص العربية كألف ليلة وليلة وغيرها

وبقى كتاب الاقاصيص فى الصين محافظين على اسلوبهم الخيالى مدة طويلة . الى أن بدأت الصين تخرج من وحدتها وعزلتها ، وبدأ الصينيون يسافرون الى الاقطار الشرقية المجاورة ، أو الى أوربا ، ويتعلمون اللغات الأخرى ، ويتأثرون بما فيها من أنواع الأدب وتعدد الأساليب

ففى القرن التاسع عشر ، جعل الكتاب فى الصين ينظرون نظرة جدية الى « القصة والاقصوصة » ويعدونهما وسيلة من وسائل التعليم والدعاية ، وكانوا من قبل يعدونهما فقط

وسيلة من وسائل التسلية ، ولا يجعلون لها مكانة تذكر فى دائرة الادب

وفى أوائل القرن الحاضر أخذ أعلام الادب فى الصين يكتبون الاقاصيص الدينية والفلسفية والتاريخية والاجتماعية ، فيدافعون فيها عن رأى أو يحاربون فيها عادة ذميمة أو يدعون فيها الى الأخذ بالحضارة الحديثة

وعند الصينيين طائفة من القصص الطويلة التى تشيد بذكر الابطال والفرسان ، وهذه القصص تشبه من بعض الوجوه أيضا قصة عنترة بن شداد والزير سالم وغيرهما من القصص الشعبية العربية ، مع هذا الفرق العظيم وهو أن أبطال القصص الصينية وهميون لا أثر لهم إلا فى مخيلة واضعى القصص ، فى حين أن ابطال القصص العربية ليسوا كذلك ، وان واضعى هذه القصص قد بالغوا فى وصف الحوادث وجعلوا على حد قول المثل « من الحبة قبة ! »

ولعل اشهر القصص الصينية هى المعروفة بقصة « السواحل » التى ظهرت فى القرن الرابع عشر للميلاد . ولا يعرف مؤلف هذه القصة . فان المؤرخين الصينيين لم يتفقوا فى ذلك وكل منهم يذكر اسم مؤلف . ويدعى بعضهم أن « قصة السواحل » من وضع طائفة من الكتاب فى ذلك العهد

وليس لقصة السواحل هذه بطل واحد . بل لها مائة وثمانية أبطال . جميعهم من كبار اللصوص ، كانوا من قبل اشرافاً نبلاء ، ولكنهم تحولوا الى قطاع طرق ، فعاثوا فى الارض فساداً ، واقاموا حكم الارهاب فى جزء من الصين . والمؤلف يسمى أبطال روايته « فرسان الغابة الخضراء » ومعنى هذا التعبير باللغة الصينية « قطاع الطرق »

ولكن أولئك اللصوص كانوا يظهرون احياناً عواطف نبيلة وينتصرون للضعيف على القوى ويحاربون الظلم والارهاب — وهم الظالمون العتاة . فهم من هذه الناحية يشبهون « اللصوص الشرفاء » الذين نقرأ عنهم فى كتب الغربيين امثال فانتوماس ورو كامبول وسنكلير وارسين لوبان وغيرهم

وقد تناول « بلزاك » الكاتب الفرنسى الخالد قصة « السواحل » التى نحن بصددها فلخصها باللغة الفرنسية وقارن بينها وبين طائفة من الاقاصيص الفرنسية والانجليزية والالمانية فاذا بالشبه عظيم بين هذه وتلك . واذا بالقصة الصينية التى وضعت فى القرن الرابع عشر تسرد حوادث يخيل الى من يطالعها أنه يقرأ مغامرات اللصوص الاشراف فى القرنين التاسع عشر والعشرين !

وأبطال القصص الصينية أقوياء اشداء مثل غيرهم من أبطال القصص العربية والغربية . فالواحد منهم يضرب عدوه بسيفه فيشطره شطرين ويهجم على كتائب عديدة فيمزقها تمزيقاً ويشرب من النبع فيجف النبع قبل أن يروى البطل ظمأه ويأكل خروفاً ويطلب المزيد !

وعلى أثر ظهور «قصة السواحل» هذه ظهرت قصة ثانية ما تزال الى الآن من أشهر القصص الصينية أيضاً وهى قصة « الممالك الثلاث » التى جعلت هذا النوع من الادب يتطور نحو « القصة التاريخية » ويخطو فى هذا السبيل خطوة واسعة الى الامام ، بل إن قصة « الممالك الثلاث » هذه تعد فتحاً جديداً فى علم الادب الصينى ، ويقول المؤرخون الصينيون انها أول كتاب تاريخى ظهر فى بلادهم وفتح الباب على مصراعيه امام المؤرخين انفسهم

فقصة « الممالك الثلاث » من هذه الوجهة تشبه مؤلفات كاتبين معروفين فى الشرق والغرب : اسكندر دوماس الكبير ، وجرجى زيدان . وهما اللذان كتبا التاريخ فى قالب قصصى وعرفا كيف يجمعان بين الحقائق التى لا بد للمؤرخ أن يحترمها بوجه عام والخيال الذى لا يمكن « للقصاص » الروائى أن يقوم بمهمته بدون أن يطلق له العنان . فقصة « الممالك الثلاث » الصينية هى من حيث النوع « كالفرسان الثلاثة » لدوماس الكبير . أو كقصص التاريخ الاسلامى لجرجى زيدان

أما فى عصرنا هذا فان واضعى القصص والاقاصيص الصينية يرمون الى اغراض معينة معظمها سياسى أو اجتماعى . فاقاصيصهم مشبعة بروح الثقافة الاوربية العصرية التى يحاولون الآن حمل الصينيين على الميل اليها واعتناقها ظناً منهم ان هذه الوسيلة هى الوحيدة التى تمكنهم من الوقوف فى وجه اليابان ومطامعها

مسابقة الهلال

وردت الينا طائفة كبيرة من القصص التى بعث بها حضرات الأدباء للاشتراك فى مسابقة الهلال التى اعلنا عنها فى الاعداد الماضية

وقد اجتمعت اللجنة المؤلفة من حضرات : الاستاذ خليل مطران والدكتور منصور فهمى والاستاذ مصطفى عبد الرازق لمراجعة هذه القصص وتعيين الفائز أو الفائزين .. وسوف تنشر نتيجة هذه المسابقة حالما تصدر اللجنة قرارها

الاسماء في مختلف الامم

هل يسمى الناس بالارقام في المستقبل

في هذا المقال يتحدث الكاتب عن منشأ الاسماء ودلالتها بين الامم المختلفة في القديم والحديث، وعن الانظمة التي وضعت للتسمية في بعض الامم الغربية، وعن مستقبل الاسماء في هذه الامم، ومما اقترحه بعض الاميركيين على دولته من التسمية بالارقام

الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يعنى بالتسمية لان الحيوان لا يميز بين أفراد الجنس الواحد فهي جيعها في نظره سواء. ومع ذلك فقد اعتاد الناس أن يطلقوا أسماء الاعلام على المدن والانهار والاقطار، بل على أفراد بعض الحيوانات أيضاً. واشتهر العرب بتسمية جيادهم بأسماء الاعلام كما يفعل اصحاب جياد السباق في هذه الايام، وكما يفعل بعض الناس إذ يطلقون الاعلام على ما يتألفونه من الحيوانات كالكلاب والقطط وما أشبه

والأرجح ان التسمية من مميزات المدنية، وان الانسان في طور الهمجية لم يكن يسمى افراد جنسه بأسماء الاعلام. فلما تقدم قليلا شرع في التسمية وحرص ان يكون في الاسم ما يشف عن شخصية المسمى وصفاته. وما يزال المتوحشون حتى الآن يستغنون عن التسمية بذكر صفات المسمى ونوع قرابته من المتكلم او من زعيم القبيلة او ما الى ذلك. فيقولون مثلا «الرجل الطويل ابن عم الزعيم» او «الرجل ذو العين الواحدة» وهلم جرا. وبعض المتوحشين يمتنعون عن تسمية اولادهم باسماء الاعلام خشية الارواح الشريرة لئلا تستحسن تلك الاسماء فتقبض ارواح اصحابها. ولاتقاء هذه المصيبة يلقبون اولادهم بصفات ذميمة كقولهم «القذر» و «البشع» و «الدميم» و «الذميم» و «الجبان» و «الوغد» الخ. وفي قبائل اخرى من المتوحشين يسمى الطفل باسم يدل على حادث تاريخي «كالقحط» و «الحرب» وهما من الاسماء الشائعة حتى الآن وبخاصة بين شعب البازوتو بجنوبي افريقا. وقد يستعمل بعض المتوحشين الكنية (وهي علم مصدر بلفظ الاب او الابن او الام او البنت) فيقولون ابو الماء وام الشجرة وبنت الحرب الخ. ومنهم من يغير اسم الولد اذا بلغ فيعطيه اسما جديداً يظل مكتوما الا عن الاخصاء، وقد يقام لمثل هذه التسمية احتفال خاص

واذا انتقلنا الى عصر المدنية نرى لاسماء الاشخاص علاقة باسماء البلدان التي ينتمون اليها. وما يزال هذا النوع من التسمية شائعاً حتى هذا اليوم، ليس في اللغة العربية فقط بل في اللغات الاوربية ايضاً، يقولون فلان المصري وفلان الشامي وفلان الانجليزي. وما تزال اسماء الاسر العريقة

فى أوربا مأخوذة من اسماء الانحاء أو المقاطعات التى ينتمون اليها ، كدوق بربانت وبرلس أوف ويلز ومسيو دوماريسك ولورد كرومر وهلم جراً

واذا رجعنا الى الازمنة القديمة نجد فى نظام التسمية عند الرومان شيئاً جديداً وهو بدء تعرض القانون العام للاسماء ، فكان الرجل يعرف باسمه ولقبه كما هى الحال الآن . والاسم عندهم (Praenomen) مثل ماركوس واللقب (Nomen) مثل كاسيليوس، والمقطع «يوس» فى كاسيليوس وامثاله هو بمنزلة ياء النسبة فى اللغة العربية . وكان لكل اسم علم رومانى معنى خاص كاسم «جايوس» مثلا فان معناه المسرور المنشرح . وكان الاولاد يعرفون باسمائهم فقط الى أن يبلغوا سن الرشد فيضاف الى الاسم اللقب ايضاً . أما البنات فكان يكتفى بتعريفهن بأسمائهن فقط حتى وفاتهن، الا اذا تزوجن فيعرفن بأسمائهن وأسماء بعولتهن معاً . يقال : « كورنيليا زوجة بلينوس » مثلا . على أن بعض المؤرخين ينكرون ذلك ويقولون ان الاولاد كانوا يعرفون باسمائهم وألقابهم حتى قبل سن البلوغ وإن بعض البنات كان يكتفى بتعريفهن بنسبتهن الى آبائهن . كأن يقال مثلا : « ابنة كاسيوس الكبرى او ابنته الوسطى او ابنته الصغرى » . فمتى تزوجت اعطيت اسما خاصاً يضاف الى اسم زوجها كما تقدم

وفى عهد الامبراطورية درج الرومان على اضافة وصف الى اسم الولد أو الشاب . ويعرف هذا الوصف فى القانون الرومانى باللقب (Cognomen) فكان يقال مثلا « لينيوس الجميل » و « ترتليوس الطويل » و « كلوديوس القصير » وهلم جراً . وبمرور الزمن أصبحت تلك الالقاب اسماء أعلام لتعريف أفراد الاسرة كلها كما يحدث فى هذا العصر ، بل كثيراً ما كان اللقب ينتقل بالوراثة الى نسل الاسرة . وقد يتعدد اسم الشخص الواحد فيتألف من اسمه واسم أبيه ولقبه واسم عشيرته واسم وطنه ، كقولنا « بوبليوس كورنيليوس سكيبيو اميليانوس افريكانوس » فالاول اسم الرجل والثانى اسم أبيه والثالث لقب أسرته والرابع اسم عشيرته والخامس اسم وطنه

وفى أوائل عهد المسيحية درج المسيحيون على تسمية أولادهم بأسماء القديسين والرسل والحواريين . ولما نظمت القوانين أصبح من الضرورى تعريف كل فرد باسمه واسم أبيه أو لقب أسرته . وعند المعمودية يعلن اسم الولد المعمد جهاراً فيصبح اسما معترفاً به قانوناً . ولا يستطيع الكاهن فى معظم البلدان رفض تعميد الولد واعطائه الاسم الذى يختاره له والداه ، فهما أحرار فى اختيار ما يريدانه ، الا أن هذه الحرية مقيدة بعض الشىء فى بعض البلدان كفرنسا والمانيا . ففى فرنسا ينص قانون ١١ جرمينال للسنة الحادية عشرة من عهد الثورة ، على عدم جواز تسمية أى مولود بغير أسماء الاشخاص الذين ورد ذكرهم فى التاريخ وأسماء القديسين المسجلة فى تقويم الكنيسة ، أى انه لم يكن يجوز لاحد ان يبتدع لابنه اسماً غريباً لم يعرف من قبل . وما يزال فى فرنسا حتى

هذا اليوم سجل رسمى (كشف) يحتوى على الاسماء التى يجوز للانسان ان يختارها لأولاده . ولا يجوز الشذوذ عنها مطلقاً . وهذا السجل ينقح من وقت الى آخر باضافة اسماء جديدة أو بحذف بعض الاسماء القديمة . وفى المانيا وغيرها من البلاد الاوربية قانون شبيه بهذا .

وقد جرى العرف الحديث فى معظم البلدان أن الرجل يلقب باسم والده .على ان بعض القوانين (كالقانون الانجليزى والفرنسى مثلا) يبيح للانسان أن يختار لنفسه لقباً غير اسم والده. فاذا أراد أن يغير اسمه ليشتهر باسم جديد فقوانين معظم البلدان تحتم عليه أن يراعى بعض الشروط لئلا يكون المراد من تغيير الاسماء الفرار من وجه القضاء أو من دين أو أى سبب آخر

ولم يكن للاديان فى الازمنة القديمة علاقة بالاسماء ، ولكن الحال تغيرت بعد ظهور النصرانية ، فأخذ المسيحيون يقلعون شيئا فشيئاً عن استعمال الاسماء الوثنية واليهودية ويختارون اسماء جديدة مع المحافظة على بعض الاسماء اليهودية . ودرج المسلمون أيضاً على هذه الخطة وأخذوا يختارون ما يلائمهم من الاسماء مع الاحتفاظ بغيرها من الاسماء الشائعة عند أهل الاديان المنزلة . ولليهود أيضاً أسماء خاصة وأسماء مشتركة . وفى الحديث : « خير الاسماء ما عبدتم ما حمد» (بتشديد الباء والميم) أى ما اشتق من عبد وحمد كعبد الله وعبد الغنى وعبد القادر ومحمد واحمد وحامد

ومن الاسماء المشتركة بين أهل الاديان المنزلة (اليهود والمسيحيين والمسلمين) ابراهيم ويوسف وسليمان وداود وموسى واسحق وزكى وسليم وتوفيق ويعقوب . ومن الاسماء الخاصة بكل دين من الاديان المنزلة ماتراه مدرجاً فى الجدول الآتى بالاختصار :

اسماء خاصة باليهود	اسماء خاصة بالمسيحيين	اسماء خاصة بالمسلمين
كوهين	بطرس	محمد
ليفى	ميخائيل	مصطفى
ابراهام	روفائيل	حسين
يشوع	حنا	على
نحميا	عبد المسيح	عثمان
اسكنازى	نقولا	اسماعيل
حزقيال	استيفان	ياسين
اليا كيم	هيلانه	فاطمه
حانان	مارى	زينب

ومما يجدر بالذكر ان الاسماء كثيراً ما اشتقت من الحرف والصناعات ليس عند الشرقيين فقط بل عند الغربيين أيضاً . فهناك الحداد والخباز والنجار والزيات والفحام والحائك والفخارى والطبال

والزمار والحمال والجمال والدباغ والصباغ والخياط وما إلى ذلك من أصحاب المهن المختلفة . ومن الأسماء ماهو نسب إلى حى او قبيلة أو مكان كمكى ومصرى وشامى وبغدادى وصقلى وجرجاوى واستامبولى وديرانى . وهنالك أسماء تدل دلالة صريحة على الجنس كالاسماء الارمنية مثلا فجميعها تنتهى « يان » كملكونيان ومانوسيان وصرافيان . وفى بعض أنحاء الشرق يعرف الولد بنسبته إلى أبيه فيقال ابن فلان ، ويعرف الرجل بابنه فيقال أبو فلان . واستعملت الكنى (جمع كنية) فى مصر للدلالة على أسماء أعلام معينة . فابو داود كناية عن سليمان ، وأبو درش كناية عن مصطفى ، وأبو السباع كناية عن اسماعيل ، وأبو على كناية عن حسن ، وأبو حجاج كناية عن يوسف ، وأبو علوه كناية عن على . وأبو حميده كناية عن محمد وأحمد ومحمود ، وأبو خليل كناية عن ابراهيم وأبو عبده كناية عن كل اسم مصدر بعبد كعبد الله وعبد الرحمن وعبد الصمد وعبد القادر . ولاتجد مثل هذا الاتفاق على الاسماء فى غير اللغة العربية . وفى بعض أنحاء قبرس أسماء يقال لها « قطن على صوف » أى انها مزيج من اسماء مسيحية وأسماء اسلامية كقولهم : ميخائيل محمد وجورج مصطفى ونقولا عثمان وهلم جراً . وفى بعض أنحاء لبنان أيضاً أسماء من هذا القبيل . وفى مصر عادة لاتجد مثلها فى مكان آخر وهي انك تجد أخوين بلقبين مختلفين . فأخو حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدق باشا يسمى محمد نجيب بك شكرى ، وأخو حضرة صاحب السعادة عبد العزيز فهمى باشا هو الاستاذ محمد عمر . ولحضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا أخ هو صاحب العزة محمد بك نجيب . وللمرحوم عبد الخالق باشا ثروت أخ هو الاستاذ مصطفى رياض . وكان له أيضاً أخ آخر هو المرحوم أحمد بك كمال . وأمثال هذا كثير جداً فى الاسر المصرية وهو مما يدعو إلى الأسف لانه كثيراً ما يضيع بسببه اسم الاسرة

ولما كانت الاسماء فى العالم قد تعددت حتى بلغت مئات الالوف فقد اقترح أحد الاميركيين على دولته سن قانون للاستغناء عن الاسماء بارقام معينة تلافياً لكثير مما يقع من الالتباس . ولا نظن أن هذا الاقتراح يقع عند الجمهور موقع الارتياح لان للاسماء دلالات خاصة لا يمكن أن يعبر عنها بالارقام . فضلا عن أن فى التسمية بالارقام شيئا من الامتهان لانها تنزل الانسان العاقل منزلة الاشياء غير العاقلة . وأنت تعلم ان المسجونين فى معظم أنحاء العالم يميزون بالارقام

ولا يتسع المجال لايراد خصائص الاسماء لكل قطر من أقطار العالم وإنما نقول بوجه الاجمال ان كل شىء فى هذا العالم قد يتغير بسرعة تبعا لناموس النشوء والارتقاء الا الاسماء فانها ابطأ تغيراً من كل شىء وسيظل تطورها بطيئا مدى طويلا

حسن بلا احسان

هَدَاكَ اللهُ للحبِ ولَقَّاكَ الذي ألقى
جمعتُ عليك آمالى فلم تَعْرِفْ لها حقا
سَلِ التَّسْهِيدَ ما أضنى وبَرْحَ الشوقِ ما أبقى
إذا مثَّلتُ فى خَلَدى سَنَاكَ أجَدَّ لى عِشقا

***

وطَرْفٍ عابثٍ جانٍ إذا نام الهوى هَبَّا
غضيضٍ رابه نظرى فأسبلَ جفنَهُ مُجْبا
وثغرٍ مرهفٍ غضٍّ يصوغُ على المدى حُبا
يباعده الكرى عني فيلثمه فى غَضْبا

***

وخدٍّ مترفٍ ألقى عليه المُذنبُ أظلالا
تحيَّرَ ماؤه لمّا سقاه الحسنُ سلسالا
وجيدٍ مُتلعٍ ريّا نَ في أطواقه اختالا
وقَدٍّ مال من لينٍ تقول إذا مَشَى انْهالا

***

جمعتَ الحسنَ في جسمٍ تَبدَّدَ حوله لُبّي
ولم ترحم اخا وجدٍ ولم تشفق على صَبٍّ
اجِرْني منك واشفع لى اليك ، فصبوتي ذَنْبي
اعِرني لَحظَكَ الساجى وخُذْ ما شئتَ من قلبي

(حمص) رفيق فاخورى

الفردوسى

ناظم الشاهنامة

[تحتفل ايران قريباً بمرور الف سنة على مولد أبى القاسم الفردوسى ناظم الشاهنامة .
وبهذه المناسبة ننشر هذا المقال الذى يتضمن موجزاً عن حياة هذا الشاعر العظيم]

يقول الاستاذ براون فى كتابه « تاريخ الآداب الفارسية » :

« ومهما يكن من شىء فان لدينا ، بالايجاز ، مايبرر لنا أن نقول إن الفردوسى كان دهقانا أى أحد أصحاب الزرع فى طوس ، ذا مركزمحترم ومال يغنيه ، وإنه ولد سنة ٩٢٠ ميلادية أو بعد ذلك بقليل ، وإنه كان يميل إلى البحث فى التاريخ القديم والى الاساطير الشعبية ، وزاد نماء هذا الميل فيه إقباله على مطالعة « سفر الملوك » النثرى الذى جمعه بالفارسية من المصادر القديمة أبو منصور العمرى لأبى منصور ابن عبد الرزاق ، حاكم طوس ، فحمله ذلك على أن يأخذ على عاتقه نظم هذه الملحمة الوطنية ، وإنه أتم مايمكن أن نطلق عليه « النسخة الأولى » عام ٩٩٩ الميلادية ، بعد مجهود استغرق خمسة وعشرين عاما ، وأهداها الى أحمد بن محمد بن أبى بكر الخلنجانى ، وإن « النسخة الثانية » التى أهديت الى السلطان محمود تمت حوالى سنة ١٠١٠ ميلادية ، وإن نزاعه مع السلطان وفراره الى غزنة أعقب ذلك مباشرة ، وإنه بعدأن لبث فترة وجيزة فى حماية أحد امراء آل بويه ، ونظم له قصيدته العظيمة الاخرى « يوسف وزليخا » ، عاد شيخاً فى التسعين أو مايربى على ذلك الى بلده طوس ، وهناك مات حوالى سنة ١٠٢٠ أو ١٠٢٥ الميلادية »

ولكن هذا الذى يقوله العلامة براون قد لقى تفنيداً فى أكثر من موضع برغم التحفظ الشديد الذى يبدو فيه . ومن ذلك أن دولتشاه ، كما نبه الاستاذ عبد الوهاب عزام فى مقدمته القيمة للشاهنامة ، لم يذكر شيئاً عن غنى الفردوسى ، بل لقد تحدث عن فقره وقال انه فر الى غزنة من ظلم حاكم طوس فما زال يتكسب بشعره حتى قدمه العنصرى الى السلطان ، وقد ذكر الاستاذ براون هذه الرواية أيضا فى كتابه الذى أشرنا اليه من قبل . ولعل الاستاذ عزاماً لمس الصواب حين قال إنه « ليس بعيداً أن يكون بعض الرواة قد لبس الأمر ، فكلمة « دهقان » تدل على صاحب الارض ، وتدل على القاص أيضا »

ويقول الاستاذ براون إن الفردوسى ولد سنة ٩٢٠ أو بعد ذلك بقليل ، ولكن المستشرق الالمانى الاستاذ نولدكه يرجح أنه ولد بين عامى ٣٢٣ و ٣٢٤ الهجرية ، أى ٩٣٥-٩٣٦ الميلادية .

وهذا التاريخ يطابق التاريخ الذى انتهت اليه الحكومة الايرانية وقررت إقامة الاحتفال بالفردوسى على مقتضاه . أما الاستاذ عزام فلم يقنعه واحد من التاريخين ، وانما استدل على أنه ولد سنة ٣٢٩ الهجرية أى ٩٤١ الميلادية

ويعارض الاستاذ عزام كذلك فى أن نزاعا قام بين السلطان والشاعر ، وأن الأخير غادر بلده مغاضباً فاراً كما يقول الاستاذ براون ، ويذهب الى انكار أن الشاعر هرب من محمود ، « وانما كان ذهابه الى مازندران وغيرها التماساً لما فاته فى الشرق . ولما أراد الرجوع الى بلاده رجع غير هائب أحداً ! »

من هو الفردوسى ؟

هو أبو القاسم منصور ابن مولانا فخر الدين أحمد ابن مولانا فرخ الفردوسى

والرواة يتفقون على الكنية واللقب ويختلفون فى اسمه واسم أبيه واسم جده . ويختلفون كذلك فى نسبة لقبه الشعرى . وينكر الاستاذ عزام أن السلطان محموداً لقبه بهذا حين أعجب بشعره « فأسطورة محمود واهية كلها »

وأسطورة محمود التى يشير اليها الاستاذ تلخص فى أن الشاعر خرج من طوس الى غزنة فراراً من ظلم الوالى . ولما كان فى غزنة التقى فى بستان بثلاثة من الشعراء يشتغلون بنظم بعض قصص من تاريخ الفرس ، وزعها عليهم وعلى أربعة سواهم السلطان ليرى أيهم أجود نظما ، فلما أقبل الفردوسى على الشعراء الثلاثة ، وهم : العنصرى ، والفرخى ، والعسجدى ، استثقلوه ورتبوا لاحراجه وصرفه عنهم أن ينظم كل منهم شطراً من قافية صعبة على أن يقول هو الشطر الرابع ، فوفق فى سهولة الى ذلك . واستدل الشعراء من الشطر الذى ذكره أنه يعرف قصص الشاهنامة (سير ملوك الفرس) . وفى هذا البستان أيضا لقى الفردوسى أحد ندماء السلطان محمود ، وهذا أطلع السلطان على قصة من كتاب الملوك نظمها الفردوسى ، ففرح بها وقرب اليه الشاعر وعهد اليه بنظم الشاهنامة

وجاء بعد هذه الاسطورة فى مقدمة بايسنقر أن السلطان كان يثنى على شعر الفردوسى ويقول : « سمعت هذه القصص مراراً ، ولكن نظم الفردوسى شىء آخر » وقال له : « انك صيرت مجلسنا فردوساً » ولقبه الفردوسى

الشاهنامة

لا يكاد يذكر الفردوسى حتى يقفز الى الذهن اسم الشاهنامة ، وقد أوشك كل من الاسمين أن يكون مرادفا للآخر . كان هذا سبباً فى قيام شبهة خاطئة ، وهى أن الفردوسى واضع الشاهنامة

على أن الحقيقة القاطعة أنه لا فضل للفردوسي سوى فضل الناظم ، ولا يتبادرن الى الذهن أن فى هذا غضاً من قيمة الفردوسي . فحسبه فخراً أن خلد أساطير الفرس الشعبية منذ فجر التاريخ الى الفتح العربي فى القرن السابع . وما كان غضاً من قدر هومر أنه هو أيضاً كان ناظما يتقيد أحيانا بالاصل حتى لا يكاد يحيد عنه قيد شعرة . وهذا فرجيل لم يستطع أن يبلغ بنظمه للاقاصيص التى اخترعها ما بلغ هومر بما نظم من أقاصيص مروية سائرة

وكأنما كان الفردوسي نفسه يشعر بأن التجاءه الى النقل والتزام الأصول فى الاقاصيص المسطورة أو المتناقلة ، لن يكون فيهما ما يهيض جناح الأمل الذى كان دائم الاشتغال بتحقيقه . فتراه يصرح فى اكثر من موضع بأنه ناقل ، أمين فى النقل لا يغفل كلمة واحدة ، ومن ذلك قوله فى مقدمة قصة كاموس الكاشاني :

« الآن نشرع فى حرب كاموس ، ونتقلها من الدفتر الى كلامنا ، فارجع الآن الى قول الدهقان ، لترى ماذا يقول الرجل المجرب . . . »

ويقول فى ختام هذه القصة :

« ختمت هذه الحرب ، حرب كاموس أيضاً ، وما سقط منها ، على طولها ، قطمير ، ولو ضاع من هذه القصة كلمة واحدة لقام عليها بنفسى مأتم »

فالفردوسي اذن كان ينقل من كتاب أخبار ملوك الفرس ، ولا يجد غضاضة فى أن يعترف بذلك ويسجل اعترافه فى صلب الشاهنامة

وكما أن الفردوسي لم يكن واضع الشاهنامة ، فانه كذلك لم يكن أول من عالج نظمها . فقد سبقه الى هذا الغرض « فتى فصيح اللسان ، حسن البيان ، ذكى الفؤاد ، فقال سأنظم هذا الكتاب ففرح الناس به أى فرح . . . ثم انقلب به جده فقتله أحد عبيده ، نظم الف بيت عن كشتاسب وأرجاسب ثم انتهى عمره فذهب والكتاب لم ينظم . . »

هكذا يقول الفردوسي فى مقدمة الشاهنامة ، والفتى الذى يشير اليه هو الدقيقى أحد شعراء الفرس الكبار فى القرن الرابع الهجرى ، وكان على ذيوع صيته وعلو قدره سيء الخلق ، يقطع وقاته بالبطالة وصحبة الأشرار حتى بغته الموت فتوجه بتاجه الاسود ، وكان مقتله غيلة بيد عبد ن عبيده

وقد كان من وفاء الفردوسي وكريم خلقه أنه وضع فى الشاهنامة الابيات الالف التى نظمها الدقيقى لانه رآه فى المنام يقول له : « . . . فلا تبخل على واكتب ما نظمته من قصة كشتاسب وأرجاسب ، فانه ان مر بمسامع هذا الشاهنشاه (محمود) حصلت لى سعادة ، وتمهد به شرف وسيادة . . . »

قيمة الشاهنامة

لم يتحفظ أحد من الباحثين فى آداب الفرس فى امتداح الشاهنامة والاشادة بقيمتها سوى العلامة براون . وقد كان صريحاً غاية الصراحة حين قال إن المستشرقين الاول وغيرهم من دارسى الادب الفارسى قد أخذوا تقدير الفرس انفسهم من البداية قضية مسلمة ، وانه يتخلف عنهم فى هذا السبيل ، فهو لا يستطيع ان يجعل الشاهنامة على قدم المساواة مع المعلقات العربية. ولكنه لا يسعه برغم ذلك كله الا ان يقدر لرأى الناطقين بلغة الفردوسى وزنا راجحاً

وعندنا ان تقدير الفرس لشاهنامة الفردوسى يرى بأجلى صورة فى العبارة التى وردت على لسان السلطان محمود وذكرناها آنفاً وهى قوله : « سمعت هذه القصص مراراً ، ولكن نظم الفردوسى شىء آخر » ولهذا نعتقد ان الشطر الاعظم من قيمة الفردوسى يضيع على الذين لايتذوقون لغته حق التذوق

جائزة الفردوسى ومغاضبته السلطان

لم يختلف الرواة فى أن الفردوسى قدم منظومته الى السلطان محمود بن سبكتكين ، وانه كان ينتظر منه جائزة مالية على جهوده ، وأن السلطان بعث اليه بمبلغ من المال فلم يقنع به الفردوسى وخرج بعد ذلك الى مازندران ، ونظم قصة « يوسف وزليخا » غريباً عن دياره

بيد أن الروايات تتضارب فى شأن الجائزة المالية ماقدرها ؟ وماذا فعل بها الفردوسى؟ والراجح أن السلطان أراد أن يبعث الى الفردوسى بستين ألف دينار ذهبا . ولكنه عدل عن ذلك إلى ستين الف درهم فضة ، مدفوعاً باشارة بعض حساد الفردوسى من الحاشية . فلما جاء اياز خادم السلطان يحمل الجائزة وجد الفردوسى فى الحمام . فلما رأى الفضة وزعها أثلاثاً بين إياز والحمامى (صاحب الحمام) وفقاعى (بائع نوع من الشراب يدعى الفقاع) اشترى منه شربة وقال لاياز غاضباً : « ابلغ السلطان أنى ما تحملت هذا العناء للدرهم والدينار . ولكن للثناء الحسن والذكر الخالد »

والاستاذ عزام ينكر القصة الأخيرة انكاراً غير مقنع . إذ يكتفى بأن يقول : « وأحسب قصة الحامى والفقاعى أوحت بها أبيات فى الهجاء المنسوب الى الشاعر . . . . وأظن الفردوسى أخذ ما ناله من السلطان ثم خرج مغاضبا »

وبخروج الفردوسى إلى مازندران ، تبدأ مرحلة الضيق من حياة الشاعر وأعنى ضيق النفس قبل ضيق ذات اليد ، فقد أخذ يستشعر المرارة مرارة الخيبة فى أمل عاش يرجو تحقيقه خمسا وثلاثين سنة منكبا على نظم كتاب « سير الملوك » فاذا سليل هؤلاء الملوك لايحسن له الجزاء . وتحس مرارة هذه الخيبة فى أكثر من موضع فى قصة « يوسف وزليخا » وفى قصائده القصار .

ومنذا الذى لاتأخذه عاطفة الاشفاق على الفردوسى وقد اصبح شيخا كسير القلب يتعزى بنظم قصص الانبياء؟ فيقول نادما حزينا :

« نظمت فى كل باب وسمع قولى كل انسان . فان أكن قد وجدت فى هذا لذة فما بذرت إلا بذر النصب والآثام . وقد ندمت على ما بذرت وختمت على قلبى ولسانى ، فلن أنطق من بعد بأحاديث الكذب ، ولن ابذر الآثام بعد أن اشتعل رأسى شيباً . لقد انقبض قلبى من أفريدون البطل ، ماذا يعنينى من أنه استولى على عرش الضحاك ! ومللت من ملك كيقباد . وذهب تخت كيكاوس أدراج الرياح . ولست ادرى ما الذى يكون غير العذاب من كيخسرو وأفراسياب ! إن العقل ليسخر من الكلف بمثل هذا . أنى يرضى العقل منى أن اضيع نصف حياتى لاملأ العالم باسم رستم ؟! » ثم يقول : « لاأقص من بعد قصص الملوك لقد انقبض صدرى من عتبات الملوك . إن هذه القصص كذب صراح لاتقوم مائتان منها بذرة من التراب ! » إلى أن يقول : « يجب أن يحدث عن الانبياء الذين لم يتخذوا غير الصدق سبيلا . . سأقص عليك قصة ، ولكنها ليست من كلام القدماء بل من كلام رب الصادقين »

ويقول الفردوسى فى قصيدة له :

« لقد عكفت اثنتين وستين سنة على دراسة شتى الفنون . فاين ما افادتنى من مجد أوذهب ؟ لاشىء لاشىء سوى الحسرة على الماضى . . . لقد غاضت كل امارات شبابى الغابر الخ »

ويتفق المؤرخون على أن السلطان رضى بعد ذلك عن الفردوسى وأمر له بستين الف دينار . ولكن الهبة وصلت ونعش الشاعر الكسير القلب خارج الى حيث يوارى فى التراب . ولما عرضت الهبة على بنت عزيزة النفس خلفها الفردوسى رفضت قبولها ، فبنى بها رباط على طريق نيسابور

ولما توفى الفردوسى حوالى سنة ٤١٦ رفض واعظ طبران أن يدفنه فى مقابر المسلمين بحجة انه كان رافضيا ، فدفن الفردوسى فى بستان له داخل باب المدينة

احمد قاسم جوده
بكالوريوس في الآداب



مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

اليابان تغزو العالم

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة نوى فيلتبوهن النمسوية . بقلم الاستاذ ماكس وودرث]

تهدد اليابان اليوم العالم بغزوة تجارية جائحة لانها تعلم أن أسواق العالم هي لمن يستطيع الاستيلاء عليها بقوة المنافسة . ولكي تعلم قوة المنافسة اليابانية يكفي ان نورد لك الأثمان التى تباع بهـا طائفة من السلع اليابانية الاعتيادية فى أسواق أوربا نفسها

فجوارب الرجال تباع بما يوازى أقل من قرش صاغ بالنقد المصرى . وأقلام الحبر المعروفة عندنا بالأميركية تباع بما يساوى القلم قرشاً ونصف قرش. ومجموعة أكواب الشاى أو القهوة تباع بنحو نصف ريال . والدراجة (البسكليت) تباع باربعة ريالات ونصف ريال . وهكذا قل فى سائر السلع والمصنوعات اليابانية

وإذا نظرت إلى المنسوجات وجدتها تباع فى أسواق أوربا بما يقل نحو سبعين فى المائة عن نفقات صنعها فى أوربا . وقد قال أحد أصحاب معامل النسيج فى أوربا : « انى لا أستطيع أن أبيع بالاسعار التى تبيع بها اليابان ولو سرقت المواد الخام وسخرت الأيدى العاملة من دون أن أدفع لها أجراً »

والسر فى استطاعة اليابان أن تبيع مصنوعاتها بهذه الاثمان البخسة يرجع إلى طول ساعات العمل وضآلة الاجور وتضخيم قيمة ورق النقد بما يوازى نحو ستين فى المائة . فالعامل فى اليابان يشتغل من عشر ساعات إلى أثنتى عشرة ساعة فى اليوم ولا يتقاضى سوى أجر زهيد

واليابان تأذن باستخدام الاولاد والاحداث متى بلغوا العاشرة من العمر . وفى الواقع أن جانباً كبيراً من العمال فى اليابان هم أولاد تختلف اعمارهم من العاشرة الى الثانية عشرة ولا تزيد أجورهم عن أربعة سنتات أو ما يوازى ثمانية مليمات بالنقد المصرى

فالمتمولون اليابانيون وأصحاب المعامل اليابانية يبنون اليوم تفوقهم الصناعى على السخرة واستخدام الاولاد وتجويعهم وإحاطتهم بأردأ الشروط الصحية . يضاف إلى ذلك انهم يستخدمون

فى معاملهم أحدث الآلات والاختراعات . والشركات اليابانية توزع أرباحاً لا تحلم بهـا الشركات الاوربية . واليك بيان بعض الارباح التى وزعت فى السنة الماضية :

شركات صنع الورق والاسمنت	٩ ر ١٢ فى المائة
« الحديد والقطرات الحديدية	٥ ر ١٣ « «
« الآلات الصناعية المختلفة	١ ر ١٥ « «
« معامل القطن	٢ ر ١٨ « «
« معامل الصوف	١ ر ٢٣ « «
« معامل الحرير الصناعى	٩ ر ٢٤ « «

وغنى عن البيان أن تناقص قوة الناس على الشراء هو الذى دفع اليابان الى التفكير فى غزو أسواق العالم . وقد وضعت لذلك خطة سمتها «برنامج السنوات العشر للاصدار» ثم شرعت فى تنفيذها بدقة لامزيد عليها . فانشأت شركات خاصة لدرس مسألة «اصدار» البضائع إلى الخارج . وكان أول ما أشارت به هذه الشركات انشاء «مراكز للاصدار» ترسل منها البضائع إلى جميع أسواق العالم . وتم ذلك بكل دقة ومهارة فغمرت السلع اليابانية أسواق اوستراليا ونيوز يلندا ومستعمرة البوغاز والهند لانها أقرب أسواق العالم إلى اليابان . وكانت النتيجة مدهشة مع وجود الحواجز الجمركية التى كانت انجلترا قد أقامتها حول تلك البلدان . وزادت مستوردات الهند من البضائع اليابانية فى سنة واحدة أربعة أضعاف

ووقع مثل ذلك فى أفريقيا فان السماسرة اليابانيين أخذوا يجوبون تلك القارة من أقصى طرفها الجنوبى الى الشمال حتى وصلوا الى الكونجو وبلاد الحبشة . وللدلالة على مبلغ نجاحهم نقول ان بلاد طنجنيقا استوردت فى السبعة الاشهر الاولى من السنة الماضية ٨٧٠ الف يارد من الحرير الصناعى اليابانى ولم تستورد فى تلك المدة عينها سوى خمسة آلاف يارد فقط من غير اليابان

ثم وجه اليابانيون همهم الى أسواق الشرق الادنى ولا سيما مصر والعراق وبلاد فارس . وقد وقع أكثر البلاء على المصانع الانجليزية فان المنافسة اليابانية أثرت فيهـا أسوأ تأثير . ولما نهض أصحاب تلك المصانع يطالبون حكومتهم بزيادة الضرائب الجمركية الى حد يحول دون دخول البضائع اليابانية الى الاسواق الانجليزية تهددتهم اليابان بان تمتنع عن شراء المواد الخام كالقطن والصوف وغيرهما من الاسواق الانجليزية وبانها ستشترى تلك المواد من أسواق أخرى كأميركا الجنوبية أو غيرها . واذ ذاك ذعر تجار القطن والصوف داخل الامبراطورية البريطانية وطلبوا من الحكومة الا تتعرض للبضائع اليابانية بسوء فاطلق العنان لهذه حتى أصبح خطرها يعم اليوم العالم أجمع

الحرب المقبلة أقل خطراً

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ساترديى
ايفننج بوست . بقلم توماس فيلبس]

فى أثناء الحرب العظمى الماضية وقعت فى الميدان الغربى معارك هائلة من جملتها معركة الموز والارجون التى اشترك فيها مليون جندى . واستمرت ثمانية عشر يوماً قتل فى خلالها ثمانية عشر الفاً أى الف جندى فى كل يوم من أيام المعركة . وإذا رجعنا إلى تاريخ الحرب الاهلية الاميركية وجدنا أن معركة جيتسبرج كانت أهول معارك تلك الحرب وقد استمرت ثلاثة أيام واشترك فيها اثنان وثمانون الفاً من الجنود قتل منهم ٢٨٣٤ وفى سنة ٢١٦ قبل الميلاد خاض الجيش الرومانى معركة كانى وكان عدده ستة وسبعين الفاً من الجنود قتل منهم فى يوم واحد سبعون الفاً . وكلما رجعنا بالتاريخ إلى الوراء نجد أن المعارك التى كان الجنود يشتبكون فيها بالسلاح الابيض كانت أهول وأفظع وأكثر خسائر من الحروب الحديثة

ومن غرائب المتناقضات أنه كلما ارتقت آلات القتال الجهنمية وكثرت اختراعات الدمار والهلاك أصبحت الحرب أقل خطراً . وسبب ذلك أن الجنود يبذلون جهد الطاقة لاتقاء شر الآلات وفتكها الذريع. ومما يدلك على ذلك أنه فى أثناء الحرب العظمى الماضية استنفد المتقاتلون ثمانية وعشرين الف طلقة من طلقات البنادق والمدافع لكل جندى سقط قتيلا . وبعبارة أخرى أن كل جندى سقط قتيلا « كلف » ثمانية وعشرين الف رصاصة وقذيفة مع أن القتل كان « أرخص » فى الحروب الماضية . ففى الحرب السبعينية مثلا « كلف » كل قتيل من الفرنسيين أو الالمان ثمانين قذيفة أو رصاصة فقط ! وفى الحرب الروسية اليابانية التى وقعت سنة ١٩٠٤ كان « سعر القتل » أغلى قليلا لان كل جندى هلك « كلف » مائة وخمسين قذيفة . وفى الحرب العظمى الماضية وصل ذلك « السعر » الى ثمانمائة وستين رصاصة أو — كما سبق القول — إلى ٢٨ الف رصاصة وقذيفة

وكان حظ السكان غير المحاربين فى تلك الحرب أحسن منه فى الحروب القديمة ففى أيام جنكيز خان ملك المغول المشهور بلغ عدد الصينيين الذين أهلكهم فى اثنى عشر عاماً ثمانية عشر مليوناً ونصف مليون من غير المحاربين . أما فى الحرب العظمى الماضية فمع وجود الطيارات والغازات السامة والمدافع البعيدة المرمى لم يمت من الاهالى غير المحاربين سوى واحد بازاء كل الف قتيل من الجنود

هذه حقائق ثابتة تؤيدها جميع السجلات الموثوق بها ، ومع ذلك لا يكاد يمر يوم الا ونقرأ فيه مقالات عن الحرب المقبلة وأنها ستكون القضاء المبرم على المدنية

وفى الواقع أن الطيارات فى الحرب العظمى الماضية لم تغرق سفينة حربية ولا دمرت مدينة .

ومع أن الطائرات الحديثة أقوى وأتقن وأسرع من طائرات تلك الحرب وأقدر على الارتفاع في الجو، إلا أنها لا تختلف في جوهرها عن سابقتها لأنها لا تستطيع الارتفاع في الجو عمودياً ولا يمكن « تصفيحها » أو « تدريعها » وكل ما تستطيع أن تفعله في الحرب هو أن ترمى بقذيفتها وتطير

وترى من الجهة الأخرى أن المدافع المختصة بمقاومة الطيارات قد تقدمت منذ الحرب العظمى الماضية وأدخلت عليها تحسينات كثيرة وأضيفت اليها آلة دقيقة لقياس بعد الاهداف (أى الطيارات) وتعيين موقعها بالضبط فى كل ثانية من ثوانى طيرانها . وبواسطة زر كهربائى دقيق يمكن اطلاق مائة قذيفة فى الدقيقة على الطيارة بحيث لا تستطيع هذه أن تنجو من الهلاك المحقق. أضف الى ذلك أن شظايا القذائف ذريعة الفتك جداً وهي تتطاير فى الهواء بسرعة أربعة آلاف قدم فى الثانية وتصل فى ارتفاعها الى أعلى مما تستطيعه أية طيارة فى العالم . وقد أثبت الاختبار فى السنوات الخمس الماضية أن متوسط حياة أية طيارة حربية تحلق فى الجو لالقاء القذائف لا يزيد على اثنتى عشرة ثانية فقط !

وفى مقدمة ما يهول به الناعقون بالشؤم قذائف الطيارات . فهم يقولون ان هـذه القذائف ستدمر فى المستقبل مدناً بأسرها . وفات هؤلاء المرجفين حقائق كثيرة تكذب دعاويهم

تصور نفسك تسوق أوتوموبيلا بسرعة ستين ميلا فى الساعة وانك تحاول ــ وأنت سائر بهذه السرعة ــ أن تقذف حجراً على شجرة قائمة على جانب الطريق ولا تبعد عنك سوى بضع أقدام . فهل يسهل عليك وأنت سائر بتلك السرعة أن تصيب الشجرة ؟ وإذا كان ذلك لا يسهل عليك ، فهل من السهل أن طيارة تطير فى الجو بسرعة مائة وخمسين ميلا فى الساعة أو أكثر تصيب من أعالى الجو هدفاً يبعد عنها عدة ألوف من الامتار؟ أضف إلى ذلك أن الطيارة وهي محلقة على ارتفاع ثلاثة أميال فى الجو وتسير بسرعة البرق الخاطف لا تستطيع رؤية الاشباح والاهداف بسهولة إلا اذا كان الهدف مدينة كبيرة . والطيار الذى يستطيع أن يطير فوق مدينة وينجو من الهلاك يجب أن يعتبر نفسه من أسعد خلق الله

ولننظر الآن الى الغازات السامة وتهويل المرجفين بشانها فهذه الغازات يمكن رؤيتها وشم رائحتها قبل دنوها . ولكل منها رائحة خاصة معروفة . وقد استعمل المحاربون فى الحرب العظمى الماضية أشد الغازات فتكا . وقد ثبت من الاختبار انه لاطلاق غاز كغاز الفوسجين مثلا (وهو من أشد الغازات السامة خطراً) على بقعة لا تزيد مساحتها على مائة يارد مربع ، تحتاج الطيارة الى مازنته ثلثمائة رطل من ذلك الغاز . ولاطلاق ذلك الغاز على مدينة كنيويورك مثلا لابد من ثمانية وعشرين مليون رطل من الغاز . ولاطلاق هذه الكمية الهائلة لا بد من أربعة عشر الف طيارة تستطيع كل منها أن تحمل الفى رطل من الغاز ، وليس فى جيوش العالم كلها أكثر من مائة طيارة فقط تستطيع كل منها ان تحمل تلك الكمية من الغاز

البرنامج الهتلرى

[نقلا عن مجلة « لو »]

وضع هذا البرنامج هتلر رئيس الوزارة الالمانية وهو يختلف عن المبادىء التى صرح بها هتلر فى كتابه « جهادى » فان البرنامج يجنح الى المبادىء الاشتراكية بخلاف النظريات المبسوطة فى الكتاب المذكور . وقد يزول العجب من هذا الخلاف إذا تذكرنا أن البرامج السياسية قد لا تكون إلا وسيلة لبث الدعوة المراد بها استمالة الجماهير . وقد قال هتلر فى الطبعة الاولى من كتابه : « ان الجمهور فى حاجة الى من يخدعه »

ينقسم البرنامج الذى نحن بشأنه خمسة أقسام : يبحث الاول منها فى الدعوة الجرمانية (بانجرمانسم) والثانى فى العصبية الجنسية ، والثالث فى المبادىء الاشتراكية ، والرابع فى تعليم الشعب ، والخامس فى الفاشستية . واليك خلاصة « المواد » التى يتألف منها كل قسم :

القسم الاول ــ الدعوة الجرمانية

(١) نطلب ضم جميع الالمان فى مجموعة واحدة تؤلف منها المانيا الكبرى طبقاً للمبدأ الذى يقول ان لكل أمة حق تقرير مصيرها

(٢) نطلب أن يكون للشعب الالمانى ما لغيره من الحقوق مع الغاء معاهدتى فرساى وسان جرمان

(٣) نطلب الاراضى اللازمة لشعبنا المتزايد لسكنها بطريق الاستعمار

القسم الثانى ــ العصبية الجنسية

(٤) لايعتبر وطنياً إلا من كان من دم المانى صميم بقطع النظر عن اعتبارات الحرف والمهن

(٥) لايحق لغير الوطنيين أن يعيشوا فى ألمانيا إلا ضيوفا على أن يكونوا خاضعين لتشريع خاص يشمل جميع الاجانب

(٦) حق التشريع مقصور على الوطنيين فقط . ولا يجوز لأحد غيرهم أن يشغل أى منصب داخل الدولة أو داخل الحكومات التى تتألف منها الدولة. ويجب مقاومة النظام البرلمانى الفاسد الذى توزع الاماكن بموجبه تبعاً للاعتبارات الحزبية بقطع النظر عن صفات الذكاء

(٧) يجب على الدولة أن تتعهد بضمان وسائل العمل والمعيشة للوطنيين . فاذا لم تكفهم موارد الدولة وجب طرد النزلاء الاجانب

(٨) يجب منع مهاجرة الاجانب الى المانيا وطرد جميع الاجانب الذين هاجروا اليها منذ ٢ أغسطوس سنة ١٩١٤

(٩) يجب أن يتساوى جميع الوطنيين فيما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات

(١٠) أول الواجبات المفروضة على كل وطنى هو أن يبذل مجهوداً عقلياً أو جسمياً . ويجب ألا تناقض مجهودات الفرد مصالح الجماعة ، بل تكون لخير الجميع ولمصلحة الوطن

القسم الثالث ــ المبادئ الاشتراكية

(١١) يجب ازالة كل ثروة جمعت بلا تعب وابطال عبودية الربا

(١٢) نظراً الى ما تتطلبه كل حرب من تضحيات وسفك دماء يجب اعتبار كل من يغتنى بسبب الحرب مجرماً معتدياً على الامة . وعليه يجب ازالة كل ثروة مجتناة من الحرب بلا رحمة ولا شفقة

(١٣) يجب الغاء النقابات وحصر جميع المشروعات فى يد الدولة

(١٤) يجب اشراك الامة فى فوائد استغلال المشروعات الكبيرة

(١٥) أن العامل الواثق بأن الشقاء لن يكون نصيبه فى أخريات أيامه يكون أكثر استعداداً للقيام بواجباته بازاء الامة . وعليه يجب توسيع نطاق « تأمين الشيخوخة »

(١٦) يجب انشاء طبقة من الشعب خالية من الشوائب قائمة على نظام سليم صحيح مع المحافظة على هذه الطبقة والدفاع عنها، خلافاً لمبادئ مارکس التى تقول بابادة الطبقات الوسطى بحجة أن هذه الابادة هي ناموس طبيعى . ويجب أيضاً جعل المخازن الكبرى اشتراكية مع خفض أجورها لصغار المشتغلين

(١٧) يجب اصلاح النظم الزراعية لكى تكون ملائمة لحاجات الامة مع سن قانون يجيز نزع ملكية الاراضى للمصلحة العامة من دون اعطاء أى تعويض مالى لصاحب الارض . ويجب منع المضاربة بالاراضى

(١٨) يجب شهر الحرب بلا رحمة ولا شفقة على كل من يسىء الى المصلحة العامة . ويجب الحكم بالموت على المجرمين والمحتكرين والذين يكتسبون من الحرف الدنيئة

القسم الرابع ــ تعليم الشعب

(١٩) يجب سن قانون المانى عام بدلا من القانون الرومانى لخدمة النظام العام

(٢٠) يجب على الدولة أن تقوم باصلاح شامل لنظم التعليم لكى يتمكن كل رجل المانى من العمل والتضلع من العلوم العالية ولكى يهىء نفسه لمقتضيات الأحوال

(٢١) يجب على الدولة أن تعنى برفع مستوى الصحة العامة بحماية الامهات والاولاد ومنع استخدام الاحداث وسن قانون لجعل الالعاب اجبارية

القسم الخامس ــ الفاشستية

(٢٢) يجب انشاء جيش وطنى

(٢٣) يجب سن قانون لمكافحة الاكاذيب السياسية المتعمدة التى تذيعها الصحافة . ويجب أن يكون جميع رؤساء تحرير الصحف الالمانية ومساعدوهم المانيين . ويجب منع جميع الصحف والكتب التى يناقض وجودها مصلحة الوطن

(٢٤) يجب اطلاق الحرية لجميع الاديان بشرط ألا تكون تعاليمها مناقضة لمصلحة الشعب الالمانى

(٢٥) يجب انشاء سلطة مركزية قوية فى الدولة ومنح البرلمان سلطة مطلقة على الحكومة وانشاء مجلس ولايات لتطبيق قوانين الدولة على جميع الانحاء

ماذا نأكل

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة اسكواير . بقلم الدكتور كريتزر]

لنا نحن معشر الاميركيين أوهام وخرافات كثيرة بشأن الاكل . من ذلك شدة حرصنا على توافر الفيتامين فى جميع المواد الغذائية التى نتناولها حتى لقد أصبح بعضنا يعتقد أنه إذا فاتنا نصيبنا من الفيتامين فى أية وجبة من وجبات النهار أصبنا بمرض « البرى برى » أو « الاسكربوط » أو غيرهما من الامراض . وفى الواقع أن الفيتامين بجميع أنواعه ضرورى لغذاء الانسان ، ولكن الكمية اللازمة منه فى كل وجبة هى صغيرة جداً وهى توجد بلا شك فى الغذاء الاعتيادى إذا كان فيه لحم أو سمك أو بيض أو زبدة أو دهن مع قليل من البقول الطازجة . فالرجل الذى لا يتناول فى الصباح سوى قطعة من الخبز وقليل من القهوة ولا يأكل عند الظهر ولا فى وقت المساء سوى قطعة من السندويتش ، تظهر عليه الاعراض التى تنشأ عن سوء التغذية . ولكن هذه الاعراض ليست ناشئة عن نقص الفيتامين بل عن قلة كمية الغذاء . والذى يتناول الكمية الكافية من المواد المذكورة لا تظهر عليه أعراض سوء التغذية

ومن أوهام العامة بشأن المواد الغذائية زعمهم أن اللبن الحليب هو الغذاء النموذجى الكامل . وفى الواقع أن اللبن غذاء ناقص إذ لا يحتوى إلا على كمية ضئيلة جداً من الحديد وهو العنصر الذى يكثر فى لحم الغنم والبقر وفى جميع البقول الطازجة ولا سيما السبانخ

أضف الى ذلك أن الكثيرين من البالغين والكبار فى السن لا يستطيعون هضم اللبن بسهولة . ولذلك يجب عدم العمل بنصيحة الذين يدعون الى الاقتصار على اللبن فى الغذاء . نعم أن بعض الناس يتغذون باللبن وينتفعون به وهو يلائمهم كل الملاءمة ولكن هذا القول لا يصدق على الجميع . واذا كان

اللبن غذاء الاطفال فهو ليس كذلك للبالغين والكبار فى السن

ومن أوهام الجمهور أيضاً أن الفواكه هي بمنزلة الدواء السحرى الذى يشفى من كل علة . وهذا يخالف الحقيقة كل المخالفة فقوام كل فاكهة هو مادة السليولوز . وهذه المادة عسرة الهضم جداً . وكذلك القول فى البقول والجزء الاكبر من كل بقل نفاية غير قابلة للهضم . ومما يدعو الى الاسف هذه « البروباجندا » الواسعة النطاق التى يشنونها لبعض البقول ولا سيما التى تؤكل غير مطبوخة . ويذهب بعضهم الى حد القول بأن الامعاء لا تستطيع القيام بمهمتها الا اذا اكثرت من ازدراد تلك البقول ، وهي فكرة خاطئة لا يؤيدها العلم

ويعتقد سواد الجمهور أن الامساك ناشىء عن ضعف الامعاء وعجزها عن القيام بوظيفتها . والحقيقة ان الامعاء اذا اهيجت التصقت جدرانها بعضها ببعض وحالت دون سير محتوياتها فيها ، ومن ثم ينشأ الامساك . وتعاطى البقول والفواكه بكثرة زائدة مما يؤدى الى تهييج الامعاء والى الامساك

وكثيراً ما نسمع عن حوادث التسمم المعوى . والكثيرون من الناس يعتقدون أن هذا التسمم ناشىء عن اللحم . وفى الواقع أنه مامن طعام يدب اليه الفساد فى الامعاء الا اذا افترضنا أنه ينزلق اليها من المعدة قبل أن تهضمه . والمعروف عن المواد الغذائية البروتائينية كاللحم والسمك والبيض وغيرها أنها سهلة الهضم جداً ولا يحتمل أن تنزلق إلى الامعاء قبل أن تهضمها المعدة . أما المواد التى قوامها الكاربوهيدرات من سكر ونشا وخلافه فقد تصل الى الامعاء من دون أن تهضم ، وبخاصة إذا لم يمضغها الانسان مضغاً تاماً . وفى هذه الحالة قد تفسد وتنشأ فيها سموم الاختمار . وكذلك القول فى البقول والفواكه — وهي من نوع الكاربوهيدرات — فانها عسرة الهضم على الانسان بالنسبة الى الحيوان . وهي عند وصولها الى المعى الغليظ تنشىء غازات سامة بسبب اختمارها . أضف إلى ذلك أن السكر سهل الهضم جداً اذا تناوله المرء باعتدال ، والافراط فيه مضر كل الضرر . ومما يدعو الى الاسف أن استهلاك الشعب الاميركى للسكر يزداد من سنة إلى سنة ، فمنذ مائة سنة كان متوسط ما يستهلكه الفرد فى أميركا خمسة أرطال فى العام ، فاصبح اليوم مائة رطل واثنى عشر رطلا

إن الافراط فى تناول المواد الكاربوهيدراتية هو سبب التسمم المعوى الذى يحدث كثيراً بين الناس ، والجمهور يتهم اللحوم والاسماك والبيض . وقد اتفق منذ بضع سنوات أن اثنين من الاميركيين عزما ألا يأكلا سوى اللحم مدة سنة كاملة ليريا تأثير ذلك . وكان الاطباء يراقبونهما مراقبة دقيقة فيزنون ثقلهما ويسجلون كل يوم ضغط دمهما ويفحصون بولهما ، وعند نهاية السنة كانت حالتهما من كل وجه تدعو الى أتم الارتياح

كيف يحارب الروس البغاء

[خلاصة مقال من كتاب بعنوان «الهجوم الاعظم» للكاتب موريس هندوس]

منذ نحو عشر سنوات كنت فى احدى مدن روسيا الجنوبية فرأيت ذات يوم فى أحد الشوارع منظراً غريباً — رأيت نحو مائتى امرأة يسرن بحراسة رجال البوليس وهن من أجمل النساء منظراً ومن أحسنهن هنداماً. فخيل الى فى أول الامر أنهن من نساء الطبقة الوسطى قد قبض عليهن بتهمة الائتمار بحكومة السوفيات أو التجسس عليها. وما كان أشد ذهولى عندما سألت أحد حراسهن من رجال البوليس فقال لى انهن بغايا ! . . .

وعلمت بعد ذلك أن بعضهن كن سابقاً من ساكنات المواخير وبعضهن من نساء الطبقة العليا طوحت بهن الثورة فاحترفن البغاء. حالة ان البعض الآخر كن قبلا خليلات لبعض رجال الطبقة العليا. فلما وقعت الثورة هلك أخلاؤهن أو تشتتوا. وعلى كل فان تلك الكتيبة من النساء كانت تضم طائفة من البغايا المحترفات — والبغاء كما تعلم أقدم حرف الاجتماع

تلك كانت الحالة فى روسيا فى ذلك العهد. كان البغاء منتشراً فى جميع المدن — فى موسكو ولننجراد وكياف وكازان واوديسا وغيرها. كان المار فى الطرق يرى إذا خيم الظلام سرباً من النساء يخرجن الى الشوارع كالوطاويط فينتشرن فيها ويملأن الساحات العمومية والحانات والقهوات والمطاعم والاندية وقاعات الفنادق وغيرها ويقمن بمقتضيات حرفتهن . لم تكن مدينة من مدن روسيا تشذ عن ذلك من أقصى حدود سيبريا إلى أقصى حدود الصين

أما الآن فقد تغير كل شيء اذ لا تجد فى أوربا بلاداً قد نظفت كما نظفت روسيا من البغاء. فقد سنت الحكومة قانوناً قضى بإيصاد المواخير وتحريم تجارة الرقيق الابيض . والذين يخالفون ذلك القانون يعاقبون أشد العقاب. والمحاكم لا ترأف بصاحب أى ماخور أو حانة يروج للبغاء. وقد كان لذلك القانون أحسن النتائج إذ زال عار البغاء من روسيا وسهل الطلاق والزواج ولم يبق ما يمنع الشبان من الزواج

ولم يكتف القوم بذلك القانون بل ألحقوا به علاجاً آخر، ذلك انهم وضعوا خطة لتنفيذ برنامجهم المشهور (المعروف ببرنامج السنوات الخمس) فاوجدوا عملا شريفاً لثلاثة ملايين امرأة كان منهن فى مدينة موسكو وحدها خمسة آلاف ممن كن قبلا يحترفن البغاء

ولتسهيل انقاذ هؤلاء النساء واعادتهن الى أحضان المجتمع انشأت لهن الحكومة معاهد سمتها «معاهد الوقاية» وهي أماكن تتوافر فيها جميع وسائل الراحة والعمل . وهذه المعاهد تقبل جميع

البغايا اللواتى يلتجئن اليها من تلقاء أنفسهن أو تأتى بهن اليها الشرطة أو الجماعات الخيرية . ومنظر كل معهد من هذه المعاهد أشبه بمنظر مدرسة جامعة وغرفها مستوفية جميع شروط الصحة والتغذية الصحيحة

فعندما يؤتى بفتاة الى هنالك يفحصها الطبيب أولا ، فاذا وجدها مصابة بمرض كما هو الواقع غالباً وصف طريقة معالجتها . وحالما تنال الشفاء التام تبدأ بالعمل — والعمل أهم وسائل انقاذها . وهي لا تعطى الا العمل الذى يلائمها والذى تستطيع أن تتقنه ، من تفصيل وخياطة وتطريز ونقش وتصوير وموسيقى وغناء وخلافه . ويبذل القائمون بامر المعاهد جميع جهدهم لانساء الفتاة ماضيها ومحوه محواً تاماً . وهي تعمل من ست ساعات الى ثمان فى اليوم متمتعة بأفضل الشروط الصحية وبأحسن الضمانات مع تأمين مستقبلها واعطائها أيام عطلة معينة فى الاوقات المخصصة لذلك طبقا لقوانين نقابات العمال

وفى الواقع ان الفتاة منذ دخولها المعهد تشعر بانقلاب عظيم يطرأ على حياتها ونظام معيشتها ، وهى لا تشعر بأية ذلة أو مهانة أو بانها مقيمة فى ملجأ خيرى . وفى الواقع انها تعيش مما تكسب هنالك اذ تربح مامتوسطه خمسة وسبعون روبلا فى اليوم تدفع منه أربعين روبلا نفقات اقامتها ومعيشتها والعناية بها وتدخر الباقى

ولها ان تقضى ساعات فراغها فى اللعب والرياضة والدرس والمطالعة . واذا أرادت أن تدرس علماً من العلوم أو أن تتقن فناً من الفنون الجميلة وجدت كل مساعدة وتشجيع ، فان دروساً خاصة تعطى فى المعهد فى كل فرع من فروع العلم والفن . بل ان فى وسع كل فتاة هنالك ان تدرس العلوم العليا والسياسة والمحاماة والهندسة والطب وما إلى ذلك

ومع انه ليس هنالك رقباء أو حراس فان المقيمات بالمعاهد لايحاولن الفرار مطلقاً اذ لايجدن مكاناً آخر تتوافر لهن فيه أسباب الراحة والمعيشة كما تتوافر هناك . واذا خطر ببال فتاة منهن ن تهرب (وهو نادر جداً) فان رجال البوليس يبحثون عنها ويعيدونها إلى المعهد إلى أن تستوفى دة التى قدر لها قضاؤها هنالك عند أول دخولها . وهذه المدة تختلف باختلاف حكم مدير المعهد وأطبائه . ومتى انتهت المدة تعهد المعهد بان يجد لها عملا ملائماً فى الخارج أو وظيفة شريفة تضمن لها كسب الرزق . وهى عند خروجها من المعهد تعطى شهادة رسمية بما تحسنه من العلوم والفنون والاعمال ولا يذكر فى هذه الشهادة شيء عن ماضيها بحيث تصبح صفحة ذلك الماضى نسياً منسياً ولا تعود هى نفسها تذكر شيئاً عنه

وتدل التقارير الرسمية والاحصاءات التى يوثق بها على ان الكثيرات من أولئك النساء يتزوجن ويصبحن أمهات صالحات ومنهن من يشغلن الوظائف الخطيرة ويصبحن نافعات جداً فى الاجتماع

رأى موسولينى فى

الدولة والنظم الاقتصادية

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ميرور دوموند . بقلم السنيور موسولينى]

انتهت مدة البرلمان الفاشيستى — وهى خمس سنوات — فى العشرين من يناير الماضى بعد ان أنجز أعمالا تشريعية تعد من أعظم الاعمال التى قامت بها البرلمانات فى العصور الحديثة . وقبل أن يختتم دورته وافق على قانون ينص على إنشاء « هيئة » ادارية تشريعية جديدة من ممثلى اتحاد الصناعات ومندوبى الزراعة . وستدير هذه « الهيئة » أو هذا المجلس شؤون البلاد الاقتصادية فترفع عن عاتق مجلس النواب جانباً كبيراً من عبء العمل التشريعى . وسنرى بعد هذا التطور هل يبقى ثمة أى داع لبقاء مجلس النواب ، فقد يقرر هذا المجلس أن يحل نفسه بنفسه ليقوم مقامه مجلس اتحاد الصناعات العام

إن ايطاليا لم تقطع صلاتها بالماضى بل بالعكس رممت ما كان قد تهدم ووضعته على أساس متين . ولم تكتف بذلك بل عزمت على التقدم الى الامام حتى لقد أصبحت اليوم أنموذجاً تحتذيه الامم ذات الصناعات الكبيرة كألمانيا وانجلترا والولايات المتحدة . فقد أدركت جميع هذه الحكومات وجوب اعادة التنظيم الاقتصادى . وشبه الكثيرون نظام الانعاش الاقتصادى الذى وضعه الرئيس روزفلت ببرنامج الفاشستية . وفى الواقع أن وجوه الشبه متوافرة بين هذين النظامين ولا سيما مبادئهما الاساسية لان كليهما يجعل للدولة حق الاشراف على نظام البلاد الاقتصادى لخير الجميع . والغريب أن اميركا قد كانت حتى مجيء المستر روزفلت معقل الحرية الاقتصادية الفردية . وعلى كل فان للفاشستية فضل السبق إلى وضع النظام الاقتصادى الجديد الذى يخول الدولة حق الاشراف على القوى الاقتصادية التى تعمل فى الدولة . وقد اصدرنا فى سنة ١٩٢٦ القانون الذى الفت بموجبه وزارة اتحاد الصناعات وفى سنة ١٩٢٧ بدىء بتنفيذ برنامج العمل

وما كادت وزارة اتحاد الصناعات تؤلف حتى شرعت تنظم الصناعات وتبوبها لا من حيث رءوس الاموال فقط بل من حيث الايدى العاملة أيضاً . وقد كانت النتيجة ان عمال كل صناعة صاروا ينتخبون ويؤخذون باشراف الوزارة . وهذه أول مرة فى تاريخ النظام الاقتصادى الحديث يستشار فيها العمال بشأن تنظيم برنامج البلاد الاقتصادى . وهذا من أسس مشروعنا الاقتصادى . لان جعل الاشراف على الصناعات من حق أصحاب الصناعات فقط لا يمكن أن يؤدى الا الى نتيجة

واحدة ، وهى أن يستغل هؤلاء ذلك الحق لمصلحتهم الشخصية فيكون ذلك مجحفاً لا بالعمال فقط بل بالامة جمعاء كما رأينا فى الازمة العالمية الاخيرة

ومما يدل على نفع النظام الذى جرت عليه ايطاليا أنها منذ تأليف وزارة اتحاد الصناعات لم يقع فى البلاد أى اضراب لان هذه الوزارة كانت تحل كل خلاف . وفضلا عن ذلك تمكنت هذه الوزارة من حل مشاكل واجتناب اضرار كثيرة كالازمات التى تنشأ عادة عن عدم وجود تناسب بين الانتاج والاستهلاك . وفى الواقع أن الوزارة تمكنت من تحقيق التناسب المذكور . وهذا يشرح كيفية تغلب ايطاليا على الازمة الاقتصادية التى منيت بها جميع الامم وما تزال تئن منها . وقد انشأت أيضاً ايطاليا نظاماً لنقد صحيح حال دون نشوء ثروات كبيرة كاذبة

أما نظام الانعاش الاقتصادى الذى بدىء العمل به منذ ثمانية أشهر فى الولايات المتحدة فقد دعت اليه الضرورة العاجلة إذ لم يكن بد من اعادة ترميم النظام الاقتصادى فى تلك البلاد واقامة صرح الرخاء على النظم الجديدة ببذل شىء من التضحيات . وفى الواقع أن الرئيس روزفلت قد أظهر شجاعة وحكمة نادرتين لانه أدرك أن مقاومة الازمة الاقتصادية العالمية لا تتم إلا بضمان التوازن بين الانتاج والاستهلاك ، فهذا التوازن يمكن المعامل من استئناف العمل واستخدام جيوش العمال فتقل البطالة وتتفرج الضائقات . وعليه فلا بد من وضع الصناعات الاميركية تحت إشراف الحكومة . وقد علمت من البيانات الكثيرة التى تلقيتها من الولايات المتحدة أن الكثيرين من أرباب الاعمال قد عرضوا من تلقاء أنفسهم أن يعملوا بموجب مشروع روزفلت للانعاش الاقتصادى فتنزلوا عن الكثير من حقوقهم القديمة فيما يتعلق بأجور العمال وساعات العمل

والفاشستية تعتبر أن الجهود الاقتصادية ذات علاقة وثيقة بمصالح الدولة بحيث لا يكون من الحكمة اطلاق الحبل لاصحاب الاعمال على الغارب وتركهم يتصرفون بنظام البلاد الاقتصادى على ما يلائم مصالحهم الشخصية . وبعبارة أخرى ــ أن الفاشستية ترى أن من شروط رخاء البلاد أن يكون للحكومة حق الاشراف على النظم الاقتصادية وأن يشرك فى ذلك الاشراف كلا العمال وأصحاب الاموال عن طريق مندوبين يمثلونهم

لقد أعجبت كل الاعجاب ببرنامج الانعاش الاقتصادى الاميركى منذ بدىء بتنفيذه فى شهر يونيو من السنة الماضية . ولا شك أن هذا البرنامج دليل كبير على شجاعة الرئيس روزفلت واقدامه. ولذلك نرقب سير البرنامج بالاعجاب وبروح العطف !

لقد تسنى لايطاليا أن تحل كثيراً من مشاكلها الاقتصادية بفضل السلطة الادارية التى تعنى بالتوفيق بين نظام البلاد الاقتصادى ومصالح الامة . والامة الاميركية مقبلة اليوم على عصر جديد تنظم فيه العلاقات بين جماعات المنتجين وجماعات المستهلكين . وبوادر النتيجة تبشر بحسن المستقبل

ضريبة البقشيش

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ريدرز
دیجست . بقلم الاستاذ شارلس فرجسون]

يبلغ مجموع مايدفعه الشعب الاميركي من « البقشيش » أكثر من مائة وخمسين مليون دولار (ريال) فى العام . وهذا دليل على رواج حرفة « البقشيش » ليس فى الولايات المتحدة فقط بل فى جميع أنحاء العالم . ومن الادلة على هذا الرواج أن احد الاميركيين استأجر من أحد الملاهى بمدينة نيويورك الغرفة التى توضع فيها القبعات والمعاطف والمظلات (الفستيير Vestiaire) باجرة خمسة آلاف دولار فى السنة فكان ربحه عظيماً جداً . وفى الواقع أن أمثال هذه الغرف فى فنادق نيويورك وشيكاغو الكبرى تؤجر لشركات خاصة بأجور باهظة يبلغ بعضها خمسين الف دولار فى العام

ويؤخذ من تقرير لمصلحة العمل بولاية نيويورك أن الندل يكسبون من البقشيش عادة ثلاثة أضعاف ما يتقاضونه من الاجور . وبعض تلك الفنادق لاتدفع أجوراً للندل بل بالعكس تتقاضى منهم جعلا معيناً وهؤلاء يكتفون بما يتقاضونه من البقشيش

وقد أصبح نظام البقشيش من شوائب هذا العصر . وهو ليس من مستنبطات هذا الزمن بل كان معروفاً منذ زمان طويل . وكان البقشيش يدفع فى الاصل لضمان حسن الخدمة ثم أصبح بمرور الزمن لا غنى عنه ساءت الخدمة أو حسنت

وفى زمن من الازمان سنت بعض الولايات الاميركية قوانين مختلفة حظرت بها البقشيش الا أن اكثر تلك القوانين ألغى ولم يبق منها إلاقانون ولاية « آيوا » وهو يحرم دفعه ويعتبره من النوع المعروف « بالمخالفات »

ويختلف مقدار البقشيش باختلاف ظروف الزمان والمكان . والرأى السائد هو أن هذا المقدار يجب ألا يزيد على عشرة فى المائة من مبلغ الحساب الاصلى بشرط أن يكون هذا « الحساب » كبيراً وكلما نقص زادت نسبة البقشيش. فاذا تعشيت فى مطعم وكان ثمن العشاء ريالا أو ريالين مثلا فلا ينتظر منك أن تدفع بقشيشاً أقل من شلن . وإذا كان معك صديق يتعشى وجب أن تزيد مقدار « البقشيش »

والذين يحق لهم أخذ البقشيش كثيرون جداً وفى مقدمتهم ندل الفنادق والمطاعم والطهاة والخدم والحمالون والاولاد الذين ينقلون الرسائل البريدية والتلغرافية إلى النازلين فى الفنادق وندل المراكب والقطارات الحديدية والوصيفات فى البواخر وعمال السكك الحديدية والحلاقون والمشتغلون والمشتغلات فى « معاهد الجمال » والحوذية وساقة الاوتوموبيلات وعمال دور السينما والملاهى وجيش

كبير غير هؤلاء من الناس . وتختلف المبالغ التى تدفع لهم باختلاف عوامل كثيرة بحيث لايمكن تحديد البقشيش إلا تحديداً تقريبياً فقط . والحقيقة التى لامناص من الاعتراف بها أن الامتناع عن دفعه قد يعود على الممتنع بما يورثه الندم

على أن مبلغ البقشيش محدد فى بعض البواخر والفنادق تحديداً عرفياً .خذ البواخر مثلا فالمسافر بالدرجة الاولى يجب أن يضع نصب عينيه الاشخاص الذين يتحتم عليه أن ينفحهم به . فأما الاشخاص فهم عادة : خادم الغرفة وخادمتها واثنان من ندل قاعة الطعام وأحد الندل على ظهر الباخرة . والمبلغ الذى يتعين عليه أن يدفعه لكل منهم يختلف باختلاف درجة انتفاعه بخدمتهم ، ولكنه لا يقل عن نصف ريال ولا يزيد على ريال لكل يوم من أيام السفر . وهنالك موظفون وعمال آخرون فى الباخرة ينتظرونه ولكن دفعه لهم متروك لتقدير الراكب . وعلى كل فان موظفى كل باخرة يضعون حساباً تقديرياً لما ينتظرون أن يحصلوا عليه من البقشيش من ركاب كل درجة فى كل سفرة وقلما يخطىء حسابهم . وفى كثير من الحالات يقتسمون ما يجمعونه إما بالتساوى أو بموجب عرف سار بينهم

وهنا يخطر ببالنا هذا السؤال وهو : من الذى يدفع البقشيش أكثر — الرجل أم المرأة ؟ والغنى أم المتوسط الحال ؟

والجواب أن الرجل أكثر سخاء من المرأة ،ومتوسط الحال أسخى من الغنى ، وحديث النعمة أسخى من تالدها

وتعليل ذلك سهل ، فالرجل أكثر احتكاكا بمن يجب أن يؤدى لهم البقشيش فهو يريد أن يضمن حسن خدمتهم دائماً . ومتوسط الحال أسخى من الغنى لان هذا احرص على المال من ذاك . وحديث النعمة أسخى من تالدها لان هذا اعتاد خدمة الناس له بخلاف ذاك فانه لم يعتدها فهو يريد أن يضمنها فى المستقبل

والجانب الاكبر من مجموع البقشيش هو من المبالغ الصغيرة لا من المبالغ الكبيرة ، لافى أميركا فقط بل فى أوربا وفى جميع أنحاء العالم أيضاً . وقد حاول بعض أصحاب الفنادق الكبرى فى ايطاليا وفرنسا أن يعفوا نزلاء الفنادق من دفعه بأن يزيدوا على قائمة الحساب مقدار عشرة فى المائة يسمونه « اتاوة الخدمة » . ومع أن هذا النظام قد انتشر إلا أنه لم يؤد إلا الى زيادة الطين بلة لان نازل الفندق بعد أن يدفع اتاوة الخدمة الاضافية يشعر بأن أبصار الندل ما تزال محدقة به فلا يستطيع مغادرة الفندق من دون أن ينفحهم بشىء

وعليه يرى الكثيرون أن دولة البقشيش باقية إلى ما شاء الله مهما استنبط الناس من الحيل للخلاص منها

هل للحظ وجود

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة فانتي فير .
بقلم بطل من ابطال لعبة البردج بأمريكا]

ليس للحظ وجود حقيقي فى اللعب . والنحس الذى يلحق اللاعب أحياناً يتضاءل بالتدريج كلما طال اللعب بحيث يصبح مما لا يؤبه له

أنظر إلى اللاعب وقد لزمه شيء من النحس فصار يخيل اليه أن شيطان الشؤم مخيم فوقه وان ورق اللعب ناقم عليه ممالىء لغريمه . وفى الواقع أنه واهم فيما يعتقد .والورقات التى يعطاها ليست فى مجموعها سوى ورقات ذات قيمة متوسطة لأن ناموس المتوسطات ثابت لا يتغير

وقد اتفق لكاتب هذه السطور يوم كان يتلقى الدراسة فى الكلية ان استاذ علم الاقتصاد كان يشرح للتلاميذ ناموس المتوسطات ، فعهد إلى مائة من الطلبة أن يرمى كل منهم فلقتى النرد مائة رمية (ومجموع عدد الرميات ١٠٠ × ١٠٠ أو عشرة آلاف) فينبئهم بوجه التقريب عن عدد المرات التى يظهر فيها كل رقم من أرقام فلقة النرد طبقا لناموس المتوسطات . واليك ما انبأ به :

مجموع فلقتى النرد	عدد المرات التى انبأ بظهورها	عدد مرات ظهورها فعلا
٢	٢٧٨	٢٦٥
٣	٥٥٦	٥٨٨
٤	٨٣٣	٨٤٠
٥	١١١١	١٠٥٨
٦	١٣٨٩	١٤١٧
٧	١٦٦٦	١٦١٢
٨	١٣٨٩	١٣٤٠
٩	١١١١	١٠٧٧
١٠	٨٣٣	٨٩٣
١١	٥٥٦	٥٠٩
١٢	٢٧٨	٣٠١
	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠

وقد يصعب على كل انسان ان يقوم بهذه التجربة عينها وأن يرمى فلقتى النرد مائة الف رمية

ولكن فى استطاعته أن يجرب الف رمية فقط .نعم ان النتيجة تكون أكثر اثباتاً لحقيقة ناموس المتوسطات كلما كثر عدد الرميات ولكن المبدأ هو هو

وكذلك القول فى ورق اللعب . « فاليد » التى تحصل عليها ــ أى مجموعة الورقات التى توزع عليك ــ لا تشذ فى شىء عن ناموس المتوسطات . واذا فحصت عشرة آلاف « يد » أو مجموعة من مجموعات الورقات رأيت كفتى الحظ والنحس متعادلتين . وهـذا هو السبب فى انك تخسر اليوم ما كسبته بالأمس وتخرج ــ بعد وقت طويل ــ وقد كاد حظك من الربح والخسارة يتعادل

وناموس المتوسطات يدل على ان كل « يد » أو مجموعة من الورق هى خاضعة لذلك الناموس فليس ثمة حظ أو نحس وانما هنالك تعادل فى الكفتين

على ان هنالك عاملا آخر يؤثر فى كل لاعب وفى طريقة لعبه وهو عامل الخوف والتشاؤم . والذين يستسلمون إلى هذا العامل قلما يسلمون من الفشل لان الخوف يخرج بهم عن جادة الصواب فيرتكبون الخطأ أثر الخطأ ولا يستطيعون أن يحكموا اللعب .ومما يجدر بالذكر أن خوار العزيمة مرض سريع الانتشار فاذا استسلم اللاعب اليه فنهايته الفشل المحقق

وبعكس ذلك اذا كان الانسان شديد الثقة بنفسه فان ذلك يجعله يحكم اللعب وان يصيب فى حكمه المرة بعد المرة . واذا أخطأ مرة أمكنه أن يتدارك خطأه فى الحال . وأشهر المقامرين فى العالم هم أشدهم ثقة بنفوسهم

قوة الارادة

☆ قال أحد العلماء الاميركيين : ليس الدواء كله فيما يستقطره الكيميائيون من النبات والاعشاب بل إن نصف الدواء فى اعتقادنا وفى قوة ارادتنا للتغلب على الضعف والمرض

☆ كان نابليون كثيراً ما يزور المستشفيات المخصصة بالامراض الوافدة كالطاعون. وكان يضع يده فوق دمامل الطاعون حيث كان كثير من الاحياء يرتجفون خوفاً من النظر اليها . ومن قوله : « ان الرجل الذى لا يخاف هو الرجل الذى يقدر أن يزيل الطاعون »

☆ أصيب رجل من الذين يمشون على الحبال بتعقد فى ظهره عاقه حتى عن الوقوف . وكان قد عقد اتفاقا ليقوم بألعاب أمام الجماهير ، فاستدعى الطبيب وقال له : «يجب أن اشفى غداً ، لان قعودى يفقدنى ربحاً وضمانا دفعته لذلك » ولكن الطبيب منعه عن الذهاب ، فلما رأى المريض ما كان من طبيبه نهض بالرغم منه قائلا : «وماذا تنفعنى ارشاداتك وعقاقيرك إذا كنت لا تقدر على شفائى ؟» وذهب فى الوقت المعين وأتم عمله

تقدم العلم والعالم

سعة الكون والزمن

ان الارصاد الفلكية التى يقوم بها علماء الفلك فى الوقت الحاضر والتى سيواصلون القيام بها فى خلال الآلاف المقبلة من السنين، إنما هى ممكنة بفضل أشعة النور المنبعثة من الافلاك السحيقة منذ مئات الالوف بل منذ الملايين من السنين . ومع ذلك فان تلك الملايين من الحقب ليست سوى نقطة فى أوقيانوس الازل والأبد . ولا يخفى أن النور يسير فى فضاء الكون بسرعة ١٨٦ الف ميل أو نحو ثلثمائة الف كيلومتر فى الثانية . ومع أن نور بعض الاجرام قد انبثق منذ ملايين الاحقاب فهو مايزال يسير فى فضاء الكون، ولم يصل الينا حتى الآن ولا ينتظر أن يصل الينا قبل مرور عدة ملايين أخرى من السنين . ومع ذلك فنى سار مائة مليون سنة فى فضاء الكون بسرعة ١٨٦ الف ميل فى الثانية فلن يكون قد اجتاز من الفضاء سوى مرحلة ضئيلة جداً ليست سوى نقطة صغيرة فى أوقيانوس الكون الفسيح . فتأمل فى عظمة الكون واتساعه !

ومما يجدر بالذكر أن فكرة الزمن انما وجدت بسبب دورة الكرة الارضية على محورها وحول الشمس . فلو كانت الكرة الارضية واقفة فى مكانها وأشعة الشمس تسقط على جزء معين منها باستمرار ما تعاقبت الايام والفصول والاشهر بل لبقى الزمان جامداً لا يتحرك ولم يستطع عقل الانسان اذ ذاك (لو فرضنا امكان وجوده على الارض) أن يتصور الزمن

اشعاع العناصر

المعروف أن لكل عنصر من عناصر المادة المعروفة اشعاعاً خاصاً يمتاز به ويميزه من غيره والعلماء يسمون هذا الاشعاع « النشاط الراديومى » ، وهو صفة طبيعية ملازمة لكل عنصر . وقد جاءت المجلات العلمية الاخيرة بنبأ مؤداه ان الاستاذ جوليو وزوجته السيدة آرين كورى جوليو (وهى ابنة مدام كورى مكتشفة الراديوم) قد تمكنا من احداث النشاط الراديومى بطريقة صناعية لاول مرة . وقد أحدث هذا الخبر تأثيراً عظيما فى الدوائر العلمية وشرع معمل كافنديش بجامعة كمبريدج (وهو أشهر المعامل الطبيعية فى العالم) فى القيام بتجارب دقيقة لتحقق صحة هذا الخبر . وقد سئل اللورد رذرفورد، وهو من أكبر علماء الطبيعة، عن رأيه فى هذا الامر فقال إن العمل الذى أنجزه الاستاذ جوليو وزوجته دليل على جهلنا لأسرار الجوهر الفرد وأسرار النشاط الراديومى

السكك الحديدية المقبلة

فى سنة ١٩٠٦ أتيح لكاتب هذه السطور أن يزور المتحف البريطانى اليابانى الذى أقيم فى مدينة لندن حيث رأى نموذجاً لقطار يسير على قضيب حديدى واحد لا مزدوج . وكان المظنون يومئذ أن ذلك الاختراع سيحل محل القطرات الاعتيادية لانه ادعى الى الاقتصاد وأسرع حركة

فضلا عن كونه بعيداً عن الاخطار . ولسبب من الاسباب أهمل الاختراع ولم يسمع عنه شيء فيما بعد ، الى أن جاءتنا اليوم إحدى المجلات العلمية الاميركية تقول ان الاهتمام بذلك الاختراع قد تجدد وإن عامل الخطر فيه قد نقص إلى أدنى حد ممكن . ومما يجدر بالذكر أن هـــذا الاختراع يقوم على مبدأ الدراجة والدوامة (النحلة) فان استدامة حركتهما في جهة معينة تحول دون ارتجاجهما وميلانهما الى جهة واحدة . وكما أن الدراجة كلما اسرعت في السير كانت أكثر ثباتاً وأقل تعرضاً للسقوط كذلك القطار الحديدي ، فان السرعة تكسبه قوة على الثبات . وعلى كل فانه لم يبلغ بعد حد الاتقان الذي يجعله صالحاً للاستعمال

الكساح وأشعة الشمس

المعروف أن مرض الكساح الذي يصيب الاطفال ينشأ عن سوء التغذية وعن عدم وجود الفيتامين (د) في المواد الغذائية التي يتناولها الطفل . على أن الاطباء قد لحظوا أن أولاد جزيرة بورتوريكو (من جزائر الانتيل) خالون من مرض الكساح مع سوء تغذيتهم، حتى ان بعضهم يكادون يتضورون جوعاً . وقد درس جمهور من الاطباء الاميركيين حالتهم ليعلموا سر عدم انتشار الكساح بينهم فوجدوا أن ذلك راجع الى معيشة أولئك الاولاد في الخلاء معرضين لأشعة شمس اقليمهم الحار ولا سيما الأشعة التي وراء البنفسجية . ولا يخفى أن هذه الأشعة عندما تقع على جسم الانسان تؤثر في المادة الدهنية التي في الجلد وتحدث فيه تفاعلا كيماوياً يتولد منه الفيتامين (د) وهو الفيتامين الذي يحول دون مرض الكساح

التوابل

التوابل هي ابزار الطعام أي ما يطيب به الطعام من الاشياء اليابسة كالفلفل والكمون والبهار والدارصيني والقرفة والقرنفل والكزبرة وغيرها من منبهات شهوة الطعام . ويقول العلماء إن استعمال هـذه التوابل باعتدال مساعد للهضم بخلاف الافراط فيها فانها تحدث تهيجاً في غشاء الجهاز الهضمي وفي هذا الغشاء حبيبات مكرسكوبية هي التي تتأثر بالتوابل وتساعد على الهضم

ويمكننا أن نحسب البصل والثوم والكراث والجرجير وما أشبه من قبيل التوابل إلا أنها أضعف أثراً منها . ولعل البصل أضعفها ولكن للبصل خاصة يمتاز بها وهي أنه منق للدم

أعلى درجات الحرارة

يؤخذ من أحدث المباحث العلمية التي قام بها بعض علماء الفلك وفي مقدمتهم السر آرثر ادنجتون الفلكي المشهور أن متوسط حرارة الشمس يبلغ اثني عشر مليون درجة بمقياس سنتجراد ، وان أقصى تلك الحرارة يبلغ واحداً وعشرين مليون درجة . وكان السر ادنجتون نفسه في سنة ١٩٢٤ قد وجد أن الدرجة القصوى لتلك الحرارة هي أربعون مليوناً بمقياس سنتجراد ، ولكن الارصاد الاخيرة جعلته ينقح ذلك الرقم

ويعتقد السر آرثر ادنجتون ان ٣٥ في المائة من جرم الشمس هو من عنصر الايدروجين والباقي من العناصر الأخرى وكلها في حالة غازية

قنفذ البحر

عثر الدكتور باورز من أعضاء معهد كرنجى بواشنطون على حيوان بحرى من نوع قنفذ البحر (اترسا) فى مياه فلوريدا . وهو كبير الحجم يبلغ قطرجسمه ست بوصات وطول كل شوكة على ظهره اثنتا عشرة بوصة. وهنالك مئات من هذه الاشواك يتخللها عند قواعدها بقع زرقاء مستديرة تشبه شكل العين كأنها فصوص قد رصع بها ظهر الحيوان . وقد نقل هذا الحيوان وحنط ووضع فى المتحف الطبيعى الأهلى بواشنطون وهو الوحيد من نوعه حتى الآن

سكان اليابان وسكان الولايات المتحدة

تدل الاحصاءات الموثوق بها على أن نسبة زيادة سكان اليابان هى أكثر من ضعفى نسبة الزيادة فى سكان الولايات المتحدة . فقد كانت تلك النسبة فى السنة الماضية ١٤ فى الألف فى اليابان و ٦ فى الألف فى الولايات المتحدة . وبلغت الزيادة العددية ٩٤٢٦٠٠ فى الأولى و ٧٩٧٠٠٠ فى الثانية مع أن عدد السكان فى اليابان لا يزيد على ٦٧ مليونا ونصف مليون وعدد السكان فى الثانية يزيد على مائة وستة وعشرين مليونا

ومما يجدر بالذكر أن الزيادة فى عدد سكان الولايات المتحدة منذ عشر سنوات كانت أكبر نسبياً وعددياً من الزيادة فى عدد سكان اليابان

أما نسبة الوفيات فهى أكبر فى اليابان منها فى الولايات المتحدة لانها ١٩ فى الألف فى الاولى و ١١ فى الألف فى الثانية

وليس امام اليابان أى قطر ترسل اليه من يزيد من سكانها سوى منشوريا . وعليه يرى علماء الاجتماع أن زيادة عدد سكانها بمثل هذه السرعة ستسبب لها مشاكل لايستطاع الأنباء بخطرها

من أساليب القتال القديمة

لا يخفى أن كتائب الجيش المقدونى فى عهد الاسكندر اشتهرت بهجومها على الأعداء بصفوف متراصة تحميها تروس فوق الرءوس متصلة بعضها ببعض . وكانوا يسمون تلك الكتائب « فلانكس » أى الفيالق المتراصة . وكان المؤرخون حتى عهد قريب يعتقدون أن ذلك الأسلوب من القتال من مستنبطات المقدونيين . ولكن علماء الآثار عثروا أخيراً على الواح فخارية فى مابين النهرين تدل على أن الاشوريين والبابليين جروا على ذلك الأسلوب من القتال قبل المقدونيين بأكثر من الفى سنة أى منذ أكثر من أربعة آلاف سنة

التجمل عند هنود اميركا

عثر العلماء الأميركيون على مقبرة لهنود أميركا القدماء بالقرب من مكان يدعى « مونت البان » ترجع الى أكثر من الف سنة وتمتاز جماجم جميع الذكور فيها بانها مسطحة عند مقدم القمة ، والأسنان الامامية كلها مخروطية محددة . ويؤخذ من بعض القرائن أن المدفونين فى تلك المقبرة كانوا من أغنياء القبيلة أو كبرائها وأن شكل جماجمهم واسنانهم دليل على ما كانوا يبذلونه من الجهد ويتحملونه من الآلام فى سبيل تجميل مرآهم الخارجى . أما النساء فلم يكن يعمدن الى التجمل بالطرق المذكورة مما يدل على أن التجمل كان من شأن الرجال فقط

من منشأ كل زيادة النسل

قام بعض العلماء الاجتماعيين بجمع احصاءات المواليد بين الشعوب البيضاء والسوداء وبين الطبقات التى تختلف فى مستوى تعليمها . فاتضح أن المتوحشين أكثر تناسلا من المتمدنين ، وأن البيض اخصب من السود والصفر ، وانه كلما تقدم الانسان فى العلم كان أكثر اهتماماً بتقييد نسله . وهذه الحقيقة تجعل الكثيرين من علماء الاجتماع يشعرون بخطر تقييد النسل لأنه يؤدى الى زيادة العناصر غير المرغوب فيها والى تناقص العناصر المرغوب فيها . ولا سبيل إلى تلافى الكارثة التى تهدد العمران إلا اذا تعلم الناس جميعهم فائدة تقييد النسل ، وهذا غير متيسر فى الوقت الحاضر لان الافكار غير مستعدة لقبول مبدأ التقييد

أشعة الشمس القاتلة

ثبت بالاختبار أن اشعة الشمس تقتل بعض أنواع الحيات - كالحية ذات الأجراس - اذا عرضت لها نحو عشرين دقيقة . وقد وضع بعضهم حية من ذوات الاجراس فى قفص من حديد فى أشعة الشمس مدة ربع ساعة فطفقت هذه الحية تبذل كل مافى وسعها للنجاة من تلك الأشعة . وبعد دقيقتين أخريين بذلت آخر جهدها للنجاة . وعند نهاية ثمانى عشرة دقيقة تماما توفيت وتمددت فى القفص

خلايا الجسم والراديوم

يؤخذ من أحدث المباحث العلمية أن خلايا نسيج الجسم الجديدة أشد تأثراً بأشعة عنصر الراديوم من الخلايا القديمة . وهذا هو سبب اختلاف تأثير الراديوم فى الاجسام

نيزك كبير

النيازك تتساقط على سطح الكرة الارضية من وقت الى آخر . وآخرها نيزك سقط على مقربة من بلدة هوبا بجنوب غربى افريقا ويقدر ثقله بستة وستين طناً

الذهب والفضة في مياه البحار

مياه البحار هى أغنى كنوز الكرة الارضية وفيها الكثير من المعادن الكريمة المعروفة ومن جملتها الذهب والفضة . ويقول علماء الكيمياء إن الموجود فيها من الفضة هو ألف ضعف الموجود فيها من الذهب

الاعلانات قديما

من جملة آثار مدينتى هركولانيوم وبومباى قديما اعلانات حكومية مكتوبة على جدران الابنية بحروف رومانية كبيرة ماتزال ظاهرة تقرأ حتى الآن

أعظم الزلازل التاريخية

الارجح أن أهول الزلازل التاريخية التى نكب بها البشر هى الزلزلة التى حدثت فى سوريا سنة ١١٥ قبل التاريخ الميلادى ، فدمرت مدناً كثيرة من جملتها مدينة انطاكية التى كانت زاهرة فى ذلك العهد وبلغ عدد الذين أهلكهم ذلك الزلزال أكثر من ربع مليون نسمة

الراديوم في العالم

الراديوم هو كما لايخفى من اندر عناصر المادة فى الكرة الارضية . ولا تزيد الكمية التى تستعملها اليوم جميع مستشفيات العالم منه على رطلين فقط

مقبرة قديمة

عثر بعض علماء الآثار الفرنسيين على مقبرة رومانية قديمة بقرب بلدة تسمى « بلواء » تشتمل على نحو خمسمائة قبر . وترجع هذه المقبرة الى العهد الذى كان الرومان القدماء يقيمون فيه بفرنسا مستعمرين وكانوا يسمونها « غاليا »

الحيوانات المنقرضة

ليس فى وسع العالم حصر جميع الحيوانات التى وجدت على سطح الكرة الارضية وانقرضت . والأرجح أن ماقد عرف من تلك الحيوانات لايزيد على واحد فى المائة مما لم يتصل خبره بأحد من العلماء . والمظنون أن الحيوانات البرية المنقرضة هى اضعاف امثالها من الحيوانات البحرية ، وأن ماانقرض من الدنيا منها أكثر مما انقرض من العليا

أزياء الشعر فى غينيا

ليس المتمدنون أكثر اهتماماً بأزياء الشعر من غيرهم . فاهالى غينيا الجديدة هم شديدو الاهتمام بتلك الازياء ، حتى إن الازياء عندهم تدل على أعمار الناس ، إذ كلما تقدم الانسان فى السن اختلف زى شعره . وكذلك تختلف أزياء الشعر عند الرجال عنها عند النساء . ولكل من الاطفال والاحداث والشبان والكهول والشيوخ أزياء معينة لايجوز مجاوزتها الى غيرها مراعاة للسن

من طرق التخاطب

من طرق التخاطب بين المتوحشين اذا فصلت بينهم المسافات الطويلة أن يقسموا تلك المسافات مراحل يضعون عند كل مرحلة منها طبالا يضرب على طبلة ضربات يفهمها الطبال الذى فى المرحلة التالية فينقلها بالطريقة عينها الى الطبال الذى يليه ، فلا تمر بضع دقائق حتى يكون الطبال الذى فى المرحلة الاخيرة قد وقف على الخبر المراد نقله اليه من المرحلة الاولى

فى أقدم مكتبة

أشرنا فى أجزاء سابقة من « الهلال » الى أعمال الحفر والتنقيب التى تقوم بها لجنة من علماء الآثار الفرنسيين فى سواحل سورية الشمالية بالقرب من رأس شمرا والمينا البيضاء ، والى الالواح الحجرية التى عليها أقدم كتابة كتبها الانسان بالحروف الهجائية . وقد وجد أولئك العلماء هنالك مجموعة من الالواح الفخارية هى كتاب فى أمراض الخيل يظهر أن مؤلفه بيطرى من الخبيرين بتلك الامراض

ثقل الدماغ

يختلف ثقل الدماغ باختلاف العمر والجنس والتعليم . ويظل الدماغ ينمو ويزيد ثقلا الى زمن الشيخوخة ، ثم يأخذ فى النقصان . وكلما تقدم الانسان فى العلم زاد وزن دماغه . ومتوسط وزن دماغ العاقل أكثر من متوسط وزن دماغ المجنون . ومتوسط دماغ الطفل المولود من والدين متعلمين أكبر من متوسط دماغ الطفل المولود من أبوين جاهلين

سمك غريب

فى مياه اميركا الوسطى نوع غريب من السمك لكل سمكة منه أربع أعين منها اثنتان لرؤية مافوق الماء واثنتان لرؤية ماتحت الماء !

الامانة الزوجية بين الحيوانات

ليست الحيوانات على شيء من الامانة الزوجية لانها تعيش على الفطرة . ولكن أحد العالمين بطبائع الحيوان يقول إن الاوز معروف بأمانته الزوجية وإن كل ذكر منه يلازم انثى معينة مدى العمر، وكثيرا ماتسير اسرابه اثنين اثنين هما ذكر وانثى وقلما يفارق احدهما صاحبه

الفضاء والسدم

يقول علماء الفلك إن الفضاء مملوء سدماً أكبر منه نجوماً . وبعض تلك السدم هي اجرام فلكية تدور فى الفضاء منذ الازل وسوف تدور الى الابد، وهى كبيرة جداً حتى إن بعضها هى أكبر من الشمس ملايين الاضعاف . وقد يظن البعض أن مادة السدم كثيفة، وفى الواقع انها لطيفة جدا وبعضها يكاد يكون ألطف من المواد إلا انها غازات ملتهبة تدور على محاورها وتتكاثف بمرور الزمن . ومتوسط البعد بين كل سديمين يعادل ملايين اضعاف قطر الشمس. ويدل على كبر حجم بعض تلك السدم أن فى بعضها الوف الوف الملايين من النجوم وبعض تلك النجوم هى من الكبر بحيث أن فى وسعك أن تقذف فى جوفها الف بليون بليون شمس كشمسنا فلا يظهر لها أثر . فسبحان الخلاق العظيم !

قصر السوفيات

لا يدع السوفيات فرصة تمر إلا انتهزوها لاظهار عظمتهم ومدى سلطانهم . وآخر ما عزموا عليه تشييد قصر فخم فى موسكو يسمى قصر السوفيات . وسيكون أعلى بناء فى العالم وقد تبارى ألوف من المهندسين الروس فى وضع الرسوم الهندسية لهذا البناء

رصف الطرق بالزجاج

تعددت المواد التى ترصف بها الشوارع فى هذا العصر . فمن شوارع ترصف « بالمكدام» الى شوارع ترصف بالقطران أو الاسفلت أو الخشب أو الكاوتشوك المقوى أو القطن أو غير ذلك . وقد جاءتنا احدى الصحف الاخيرة بنبأ مؤداه أن حكومة تشيكوسلوفاكيا تجرب الآن رصف الشوارع والميادين العامة بنوع من الزجاج الصلب لان مثل هذه الشوارع يمكن الاحتفاظ بنظافتها بسهولة فضلا عن متانتها، وهى لاتحتاج الى اصلاح أو ترميم إلا بعد مرور زمن طويل . ولا يخفى أن فى مصر وفى كثير غيرها من المدن الكبرى ترصف افاريز بعض الشوارع بالزجاج

المعارض الرومانية

كان من عادة الاباطرة الرومان أن يقيموا من وقت الى آخر فى الكوليزيوم أو الفوروم معارض يعرضون فيها مالديهم من التحف والآثار النادرة وما يمتلكونه من النفائس لكى يطلع عليها الجمهور

الغازات السامة قديما

كانت الغازات السامة معروفة عند هنود اميركا منذ أقدم الازمنة ولا سيما فى اميركا الجنوبية . ولما غزاهم الاسبان منذ نحو أربعة قرون ونصف قرن كان أولئك الهنود يحرقون شجيرات النبات المعروف بالفلفل الاسبانى فتنبعث منها غازات خانقة تجعل الاسبان يهربون منها مذعورين

كتب جديدة

شهر زاد

تأليف الاستاذ توفيق الحكيم

طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة . صفحاته ١٦٢

« شهر زاد » اسم اشتهر منذ وجدت « الف ليلة وليلة » ، واقترن هو بها أو اقترن اسمها به ، ونسب هو اليها ، لانها كما يقولون واضعته ، ولانها هي التي خلقته في عالم القصص . ويروى « الف ليلة وليلة » أنه كان في سابق الزمان وسالف العصر والاوان ملك يدعى شهريار رأى زوجته يوماً في أحضان عبد خسيس ، فقتله وقتلها ، ثم اقسم أنه كلما تزوج فتاة قتلها في صباح اليوم التالي حتى تزوج ابنة وزيره تدعى « شهر زاد » فاستطاعت أن تنسيه هذا القسم بما كانت تقصه عليه من الاقاصيص المتسلسلة المتتابعة ، فأمهلها في الليلة الاولى ، ثم في الثانية الى الف ليلة وليلة ، وفي كل ليلة تروى له قصة أو قصصاً تقتضبها لتتمها في الليلة التالية ، وهكذا استطاعت بهذه الحيلة أن تنجو من الموت

تلك خلاصة هذه القصة التي كانت سبباً في تأليف « الف ليلة وليلة » ، وهي تعطينا فكرة عن طبيعة الرجل وكيف تمتلكه الغيرة حتى تدفعه الى ارتكاب أقسى الاعمال . ثم هي من جهة أخرى تمثل المرأة كأي انسان يحتال في النجاة من الموت ، وقد فتح الله عليها بهذه القصص . ولكن الاستاذ توفيق الحكيم صاحب هذه القصة الجديدة (شهر زاد) يعمد الى هذه القصة فيشير اليها اشارة خفيفة ليبني عليها قصة جديدة تتفق في بعض اسماء ابطالها ولكنها تختلف في موضوعها . فهي على الرغم من الاشارة الى ابطال (قصة الف ليلة وليلة) قصة جديدة يكون الصراع فيها بين العقل ، والقلب والجسد ، ثم يتغلب العقل وتتغلب الفلسفة في النهاية ، ويظهر فيها بوضوح ان المرأة هي المرأة ، وان شهر زاد التي اصطفاها الملك ووهبها لهذه القصص الممتعة التي كانت تسليه طوال الايام ، لاتختلف عن زوجته الاولى التي أهاجت غيرته والتي من أجلها كان يقتل كل فتاة يتزوج بها في اليوم التالي . وان « النهاية تتلوها البداية في قانون الابدية والدوران »

ولذلك لم يعاقبها الملك كما عاقب زوجته الاولى ولم يقتلها ويقتل العبد الخسيس كما قتل الاولين ، لأن التجربة انتهت به الى فلسفة أصبح بها معلقاً بين السماء والارض أو اصبح بها بعيداً عن الارض « هذا السجن الذي يدور . انا لانسير ولا نتقدم ولانتأخر ، لا نرتفع ولا ننخفض . انما نحن ندور . كل شيء يدور . تلك هي الابدية . ياللهامن خدعة ! نسأل الطبيعة عن سرها ، فتجيبنا باللف والدوران »

ولايتسع المقام لتلخيص هذه القصة النفيسة وحسبنا الاشارة الى أن الاستاذ توفيق الحكيم وفق في قصة « شهر زاد » ، كما وفق في « أهل الكهف » ، وأجاد كل الاجادة في تنسيق القصة وتحليل الاشخاص . فلا شك أنه قد بلغ في هذا الفن غاية حسنة

مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام

تأليف الاستاذ محمد عبد الله عنان

طبع الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة . صفحاته ٢٥٦

هذه هى الطبعة الثانية من هذا الكتاب التاريخى النفيس الذى قام بتأليفه المؤرخ المجيد الاستاذ محمد عبد الله عنان . وهى تمتاز بعدة ميزات ، فقد أضاف اليها المؤلف فصلين كبيرين جديدين هما (بلاط الشهداء) و (سقوط طليطلة) وأعاد كتابة عدة فصول ونقحها تنقيحاً جيداً وانفق جهداً كبيراً فى تحقيقها ودرسها . وبوب كثيراً من فصولها تبويباً جديداً ، فضلا عن أنه أتقن طبعها اتقاناً مضاعفاً

ولا ريب أن الاستاذ محمد عبد الله عنان معروف بسعة اطلاعه وعنايته بالتاريخ ، ولهذا فلا تقرأ له فصلا من الفصول إلا رأيت آثار هذه العناية واضحة جلية تشوقك الى قراءة ما تتناوله له من كتابات أو مؤلفات

ديوان الماحي

تأليف الاستاذ محمد مصطفى الماحى

طبع بمطبعة الاخاء بحارة الرويعى بالقاهرة . صفحاته ٢٠٦

لم أقرأ للاستاذ محمد مصطفى الماحى قبل هذا الديوان كثيراً ، ولم اطلع من شعره إلا على نزر من المقطوعات ينفح بها قراء الصحف اليومية الفينة بعد الفينة ، وفى بعض المناسبات الخاصة . ولكنى كنت ألمح بين هذه الابيات التى كان ينشرها شاعرية مطبوعة ونفساً صافية وقريحة مواتية ، وسهولة فى الاسلوب ، لا تواتى إلا أديباً رقيق العاطفة مكيناً فى فنه ، لاتخونه موسيقى اللفظ ، كما لا ينقصه جمال المعانى ودقتها واشراقها وسمو الخيال فيها

ثم تناولت ديوانه الذى بين يدى الآن ، فاذا أنا أمام هذه المواهب كلها مجتمعة أو متفرقة فى قصائده ، واذا أنا أقف بشاعر لا يعرفه إلا القليلون ، وكان جديراً أن يعرفه الكثيرون

والحق أن الاجادة الفنية لا يصح ان تقاس بمقياس الشهرة ، بل ينبغى أن تقاس بمقياس الفن نفسه ، فرب مجهول أرضى الفن بما لا يرضيه كثير من المشهورين

وهذا هو الذى رأيته فى شاعرنا الماحى ، فهو على الرغم من انزوائه تحت استار الوظيفة ومن زهده فى كثرة الاعلان عن نفسه ، أرانى فى ديوانه من الكفاءة الادبية ما يخرجه من صفوف الموظفين الى صفوف الادباء العاملين والشعراء المجيدين

لقد فتنتنى منه حقاً هذه المقدرة فى الجمع بين القديم والجديد ، فديوانه قطعة فنية جمعت بين روعة الماضى ومتانته وجزالته ، وبين توثب الحاضر واشراقه وابتكاره . ولقد قرأت قصيدة « احس الأول » ، وهى قصة فى قصيدة ، و« احلام الشباب » ، وهى معارضة لنونية ابن الرومى ، فرأيت الشاعر فى خلالها يلهم إلهاماً عجيباً يدل على أن الشعر قطعة من نفسه ، وجزء من سليقته ، وتلك صفة الشاعر المطبوع . ومن الظواهر التى تبدو فى شعر الماحى - ولا سيما فى العتاب - صفاء النفس والتسامح وحب الغير . وقد شبهته فى عتابه بابن نباتة المصرى ، فقد كان طيب القلب اذا عتب ، فهو أدنى الى الاشفاق منه الى التقريع . ولا ريب أن مصرية الشاعرين طبعتهما على كرم النفس وحسن التسامح

مصطفى كمال

تأليف الكاتب الالمانى داجوبرت فون ميكوش
وترجمة الاستاذ كامل صموئيل مسيحة

طبع بمطبعة المكتبة الاهلية ببيروت . صفحاته ٣٦٨

كتب التراجم هي من خير الكتب التى تستحق العناية والدرس ، لانها تعطيك صوراً مختلفة من حياة القادة والزعماء والعظماء فى نواحى الحياة الانسانية العدة ، فالقارىء لها انما يعرض شريطاً مختلف الحلقات متعدد الجوانب فيه العظات والعبر ، وفيه العوامل المتعددة التى تطلع الانسان على ماخفى عنه من عظمة العظماء وزعامة الزعماء التى أهلتهم لان يكونوا على رءوس الجماهير ويصبحوا محل إعجابهم وقدوتهم

ولا شك أن « مصطفى كمال » من الرجال البارزين الذين فرضوا على التاريخ الاعتراف بهم ، وسجلوا لهم فيه صفحات باقية . وقد ألف الكاتب الالمانى الشهير داجوبرت فون ميكوش هذا الكتاب فاستوعب فيه حياة مصطفى كمال باشا منذ الصبى الى ما بعد الانقلاب الاخير . وقد قام بترجمة هذا الكتاب الاستاذ كامل صموئيل مسيحة ، وهي ترجمة تستحق الثناء على مابذل فيها من عناية واجادة فى الاسلوب وحسن الاداء . وقد زادها رونقاً عناية المكتبة الاهلية فى بيروت بطبعها طبعاً متقنا

تاريخ الوزارات

تأليف السيد عبد الرازق الحسنى

طبع بمطبعة العرفان بصيدا . صفحاته ٢٣٣

السيد عبد الرازق الحسنى من ادباء العراق المعروفين وله بحوث تاريخية مستفيضة تدل على سعة باعه وتوفره على خدمة التاريخ . وهذا الكتاب الذى تقدمه اليوم القراء هو مجهود سنوات عدة قام المؤلف اثناءها بجمع معلوماته وتحقيق حوادثه ووقائعه تحقيقاً تاريخياً دقيقاً . وقد تناول نشوء الدولة العراقية والادوار التى مرت بها فى خلال الوزارات التى قامت وتعاقبت على دست الحكم فى البلاد العراقية

وقد اعتمد فى ذلك كله على المستندات والوثائق الصحيحة واثبت فيه جميع المعاهدات والاتفاقات التى قامت بها الوزارات المختلفة .

وتكلم بالتعاقب عن الوزارة النقيبية الاولى ثم الثانية ، فالثالثة ، وعن الوزارة السعدونية الأولى ، فالوزارة العسكرية الأولى فالوزارة الهاشمية ، فالوزارة السعدونية الثانية وماتخلل ذلك من الحوادث الى ان وقعت النكبة الأخيرة بوفاة المغفور له جلالة الملك فيصل

الكتاب السنوي الرابع

للمجمع المصرى للثقافة العلمية

طبع بمطبعة الاعتماد . صفحاته ١٥١

منذ انشىء المجمع المصرى للثقافة العلمية وهو يقوم بخدمات جليلة فى نشر الثقافة العلمية بواسطة المحاضرات التى يلقيها اعضاؤه وهم من خيرة العلماء والادباء المصريين . وقد اصدر فى الاعوام الماضية الكتب الثلاثة السنوية التى تحوى جميع المحاضرات التى القاها حضرات الاعضاء فى خلال السنوات الثلاث . وها هوذا الكتاب السنوى الرابع وهو كسابقيه يضم طائفة نفيسة من المحاضرات العلمية التى القيت فى المجمع فى خلال سنة ١٩٣٣ . وقد افتتحت بخطبة الرئاسة لصاحب العزة احمد محمد حسنين ثم تليها محاضرة الدكتور محمد ولى عن « العربية

لغة العلم ، ومحاضرة الدكتور على حسن عن « الأدوية والعقاقير فى الامراض الطفيلية » ، ومحاضرة الدكتور حسن زكى عن « القناطر الخيرية من الوجهة الاقتصادية » ، والدكتور على مشرفة عن « فكرة اللانهائية » ، والدكتور كامل منصور عن « عناية الحيوان بنسله » ، والدكتور عبد العزيز بك احمد عن « اتمام المرحلة الأولى فى كهربة القطر المصرى » ، والدكتور احمد زكى ابو شادى عن « استغلال مصر كمحطة عالمية للنحل »

مراجع مانشر بعد الحرب العظمى

عن بلدان الانتداب فى الشرق الادنى

طبع بالمطبعة الاميركية ببيروت . صفحاته ٥٤٠

هو كتاب ضخم يدل اسمه على مسماه ، أصدرته الجامعة الاميركية ببيروت ، وهو فهرست لما نشر من المطبوعات فى العلوم الاجتماعية عن العراق وفلسطين وشرق الاردن ودول سورية من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٩ وهذا الفهرست مرتب بالنظر الى مؤلفى المطبوعات التى يشتمل عليها بحسب حروف الهجاء ، وهو ينشر تباعاً باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والايطالية والعبرانية . وقد قام الاستاذان ايلس فريحة والدكتور ستيوارت دود بجمعه ، فعانيا فى سبيل ذلك مشقة عظيمة لاسباب : منها أن الشرق العربى لم يقدر بعد قيمة ممارسة التدوين المنظم وحفظ السجلات . . . وقل ان ترى فيه داراً للنشر تحتفظ بقائمة لمطبوعاتها ومنشوراتها .

والكتاب يشف عن جهد عظيم عاناه جامعاه ليجيء وافياً بالغرض . وهو مطبوع باللغتين العربية والانجليزية

التعريفة الجمركية

من سنة ١٩١٩ - سنة ١٩٣٢

تأليف المستر نورمان برنز

أصدرته الجامعة الاميركية ببيروت . صفحاته ٣٣٦

هو مصنف كبير وضعه بالانجليزية المستر نورمان برنز أحد أساتذة جامعة بيروت الاميركية سابقاً . وقد تولى قسم النشر بالجامعة المذكورة طبعه . وهذا الكتاب يبحث فى نظام سورية التجارى فى عهد الانتداب الفرنسى وفى العلاقات الجمركية التى تربط سوريا بجميع جاراتها . وهو يتضمن وثائق وسجلات واحصاءات رسمية كثيرة يستطيع من يتتبعها تكوين فكرة عامة عن حالة سورية الاقتصادية . والكتاب يحتوى على تسعة عشر فصلا عالج بها المؤلف تاريخ العلاقات الجمركية بين سورية وجاراتها منذ سنة ١٩١٩ الى الآن ، ولا سيما بين سورية من جهة وتركيا وفلسطين والعراق ومصر وبلاد العرب وأوربا من جهة أخرى . وقد ختم المؤلف بحثه بايراد آراء الجهات والجماعات المختلفة فى نظام التعريفة الجمركية السورية

والكتاب حافل بالاحصاءات والرسوم البيانية لتبيان حقيقة الحالة الاقتصادية من وجهة التعريفة الجمركية ، وهو يشف عن مجهود عظيم يستحق المؤلف من أجله كل تقدير وثناء

بين الهلال وقرائه

نمو الجسم والعقل

(القاهرة ــ مصر) محمد فتحي السيد

ما هي السن التي يقف عندها نمو الجسم والعقل ؟

(الهلال) ليس من السهل تحديد تلك السن تحديداً دقيقاً لانها تختلف باختلاف الافراد . انما يمكننا القول بوجه الاجمال ان الكهولة هي السن التي يقف عندها النمو وان يكن هنالك أشخاص تظل أجسامهم تنمو الى ما بعد سن الكهولة . ولا يخفى أن لافرازات غدد الجسم وحالة تلك الغدد علاقة كبيرة بنمو الجسم . فاذا ظل نشاط الغدد طبيعياً الى ما بعد سن الكهولة استمر الجسم ينمو . وهنالك عوامل أخرى تؤثر في الجسم كنوع الغذاء ومقدار الرياضة البدنية والحالة النفسية وما الى ذلك

أما نمو العقل فقد يستمر حتى زمن الشيخوخة في بعض الاشخاص الذين يمتازون بسلامة البنية والحواس. والاختبارات التي يكتسبها الانسان كلما تقدم في السن تزيد في نماء عقله . ومن الاشخاص من يحتفظون بقواهم العقلية سليمة حتى الشيخوخة ومن هؤلاء السير أوليفر لودج الفيلسوف الانجليزي المشهور فقد جاوز الثمانين من عمره وما يزال في طليعة علماء هذا العصر وعقله في نمو واتساع

بين العقل والاخلاق

(القاهرة ــ مصر) ومنه

هل توجد علاقة بين العقل والاخلاق ؟

(الهلال) لعلماء النفس في ذلك رأيان مختلفان. فنهم من يقول إن بين العقل والاخلاق علاقة متينة وهم القلة . ومنهم من يقول انه ليس بين الاثنين علاقة وهؤلاء هم الكثرة . وفي الواقع ان منشأ العقل الدماغ ، ومنشأ الاخلاق الغدد التي في جسم الانسان . وهذا وحده يكفي دليلا على عدم وجود علاقة بين العقل والاخلاق . وكثيراً ما تجد رجلا عالماً متصفاً بالنزق وحدة الخلق مما لا يتفق وكرامة العلماء . على أن أكثر العلماء متصفون بالاخلاق السامية لان سعة مداركهم تقنعهم بفضل تلك الاخلاق على غيرها

انجيل برنابا

(العياط ــ مصر) يوسف ابراهيم الجبلاوي

في قصة النسخة السينائية من الانجيل المنشورة في في هلال مارس الماضي اشارة الى انجيل برنابا الذى اجمعت المجامع على عدم قانونيته والذى حذف من العهد الجديد . فهل لحضرتكم ان تفيدونا عن هذا الانجيل ؟

(وجاءنا سؤال آخر عن هذا الانجيل من الاستاذ باسيلي حنا الدب بالسلبلاوين)

(الهلال) الانجيل ــ ومعناه البشارة المفرحة ــ هو سيرة المسيح والاعمال والمعجزات التي قام بها . وقد كتبه أربعة من الحواريين الذين لزموا المسيح وشهدوا أعماله ورأوا معجزاته . ويخطىء من يقول ان هنالك أربعة أناجيل قانونية هي متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، فليس هنالك سوى انجيل واحد كتبه الاربعة الحواريون المذكورون، أى أن كلا منهم كتب الانجيل من وجه معين . ولأسباب يطول بنا شرحها اعتبر المسيحيون أن الانجيل الذي كتبه الحواريون المذكورون هو الانجيل القانوني وذلك تمييزاً له عن أناجيل كثيرة ظهرت بعد المسيح ، وكان اكثرها مزوراً أو غير قانوني كانجيل يعقوب وانجيل نيقوديموس وانجيل العبرانيين وانجيل المصريين وانجيل بطرس وانجيل توماس وانجيل الاثنى عشر وانجيل باسيليدس وانجيل كيرنتس وانجيل حواء وانجيل برنابا وعشرات غير هذه من الاناجيل والرسائل المزورة أو غير القانونية . أما انجيل برنابا فمنسوب الى رجل كان يسمى برنابا وقد عاصر الحواريين وكان من اصدقاء بولس الرسول

ومنذ أكثر من خمس وعشرين سنة ظهر في انجلترا كتاب بالانجليزية بعنوان انجيل برنابا وظن أنه كان مترجماً عن الايطالية . فعهدت مجلة المنار لصاحبها فضيلة الشيخ رشيد رضا ، الى الدكتور خليل سعادة في ترجمته الى العربية . وقد اطلعنا على هذه الترجمة فرأينا في الكتاب أموراً كثيرة مناقضة للتاريخ والحقيقة . وهو غير «انجيل برنابا» الذي اجمعت المجامع على اعتباره غير قانوني . والدلائل متوافرة على كونه مزوراً . والارجح أن مؤلفه هذا راهب عاش في القرن الخامس عشر . ولعله كان في الاستانة عند ما استولى عليها الترك بقيادة السلطان محمد الفاتح

جمال الشكل

(طهطا — مصر) طالب

كيف يحصل الانسان على لون بشرة جميل خال من العيوب ، وكيف يتسنى له الخلاص من حب الصبي والبثور التي قد تظهر في الوجه ؟

(الهلال) لون البشرة يتوقف على حالة الدم والمعدة . فاذا كان الدم نقياً والمعدة تقوم بوظيفتها بانتظام كان لون البشرة رائقاً صافياً ونجا الانسان من حبوب الصبي وغيرها من البثور التي تشوه الوجه . ولعل أفضل دواء للنجاة من هذه البثور هو « محلول فولر » الذي قوامه الزرنيخ . ولا يجوز ان يؤخذ الا باشارة الطبيب

أعضاء الجسم غير المتناسبة

(طهطا — مصر) ومنه

كثيراً ما تكون أعضاء الجسم البارزة كالانف والاذنين والذقن غير متناسبة . فهل يمكن اصلاحها لايجاد التناسب بينها ؟

(الهلال) يمكن ذلك بطرق الجراحة . ولكن ما قد يطلبه الانسان من الجمال قد لا يوازي ما يتحمله من الآلام في سبيله . وجمال النفس هو الجمال الذي يجب ان يطلبه ويفضله على جمال الشكل الظاهر

طول القامة

(دمشق — الشام) أحد المشتركين

قرأت في احدى المجلات ان الربع أي رفع المواد الثقيلة يحول دون نمو القامة . فهل هذا صحيح . وهل اذا أراد شاب ان يمنع قامته من الاسترسال في الطول يتسنى له ذلك بممارسة الربع ؟

(الهلال) أحدث النظريات في تعليل طول القامة أو قصرها ان الجسم خاضع لتأثير بعض الغدد الصماء في باطن الانسان . ولا نعتقد ان للربع أو لأي ضرب آخر من ضروب الرياضة البدنية تأثيراً في وقف نمو القامة . واذا كان ثمة أي تأثير فلا بد انه قليل جداً لا يشعر به صاحب القامة ولا الذين يرونه

ظاهرة غريبة

(كاليفورنيا — الولايات المتحدة) حنا المعلوف

غرق هنا في أحد الانهر ولد صغير لرجل ياباني واختفت جثته . فأعلن الوالد انه يعطي جائزة ٢٥٠ دولاراً لمن يأتيه بالجثة . فجاء رجل صيني يحمل قصعة كبيرة عليها ديك حي فوضعها على وجه الماء فحملها النهر قليلا . وما هي الا بضع توان حتى صاح الديك فغطس الصيني في ذلك المكان وانتشل جثة الولد وأخذ مائتين وخمسين ريالا من والد الغريق . فكيف تعللون ذلك ؟

(الهلال) مانظنكم كنتم من شهود هذه الواقعة . والارجح انكم قرأتم عنها أو سمعتم بها . وفي كلتا الحالتين لا يستطيع العقل ان يسلم بها لانها لا تخلو من عنصر الخداع أو الانخداع . وفي الواقع ان ما ذكرتموه من عمل الرجل الصيني أقرب الى الشعوذة منه الى الاسلوب العلمي الذي يقوم على التماس العلاقة بين العلة والمعلول ، وهذه العلاقة معدومة في الحادث الذي نحن بصدده اذ ليس بين جثة الغريق وصياح الديك اية صلة

دولة الاختراعات

(بورث ماريا — جامايكا) ب . عازار

أى الدول أتقدم في الاختراعات وأيها أغنى بالمخترعين ؟

(الهلال) ما رأينا أحداً تخرج في مدارس الغربيين الا يميل بجوانحه الى دولة من الدول الغربية فاذا تعلم في مدارس الفرير أو الجزويت مال بكليته

الى فرنسا والى كل ما هو فرنسي . واعتقد أن فرنسا هي أرسخ الشعوب كعبا في العلم والاختراع . واذا تعلم في المدارس الانجليزية كلف بالانجليز ونسب اليهم كل علم واختراع . وكذلك اذا تخرج في المدارس الاميركية أو الالمانية أو الايطالية فانه يتشرب حب الدولة التابعة لها تلك المدارس ، ونحن ان قلنا ان الانجليز أو الفرنسيين أو الالمان مثلا أعظم من غيرهم في الاختراعات فقد نستوجب غضب من قد تعلم في غير المدارس التي تنتمي الى الدول المذكورة . والعاقل يعلم ان العلم والاختراع لا وطن لها . أي ان وطنهما هو العالم أجمع وان تكن الاعتبارات الجغرافية تقضي بلسبتهما الى قطر معين من الاقطار هـذا من جهة . ومن جهة أخرى — اذا نظرنا الى الاختراعات المسجلة نرى ان عددها في الولايات المتحدة يزيد على مجموع عـدد الاختراعات المسجلة في جميع أنحاء العالم . ولهـذا سبب يطول بنا شرحه . ولا نزاع في ان الولايات المتحدة هي أغنى من غيرها بعدد المخترعين . على ان الاختراعات لا تقاس بعددها بل بما لها من الشأن وما هي عليه من النفع للمجتمع العمراني . فمن هذا الوجه نعتقد ان هنالك دولا أرسخ قدما من الولايات المتحدة في الاختراعات التي أحدثت انقلابات خطيرة في نظام الاجتماع . ولعل السبق في ذلك لانجلترا وفرنسا وايطاليا

الافاعي والتنويم المغناطيسي

(نيوجرزي — الولايات المتحدة) أحد المشتركين

قرأت في احـدى الصحف المحلية ان الافعى تستطيع أن تنوم فريستها تنويماً مغناطيسياً يسهل عليها الفتك بها . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) يقول العارفون بغرائز الحيوان ان الطيور كالعصافير مثلا اذا أبصرت أفعى أصيبت بشبه شلل يجعلها تثبت في اماكنها وتمتنع عن الحركة ، فكأن الافعى تنومها تنويماً مغناطيسياً يقعدها عن الحركة . ويعتقد العلماء أن الحية تلقي الرعب في فريستها من الطيور ، وهذا الرعب الغريزي ينشىء في تلك الفريسة شللا حقيقياً فتثبت في اماكنها ويسهل على الافعى اذ ذاك أن تفترسها . وهذا يحمل البعض على القول بان الافاعي تمارس التنويم المغناطيسي وليس في ذلك ما ينافي النظريات العلمية وان يكن العلم عاجزاً حتى الآن عن اثبات التنويم المغناطيسي للافعى

الافاعي والموسيقى

(نيوجرزي — الولايات المتحدة) ومنه

أصحيح أن للموسيقى تأثيراً في الافاعي ؟

(الهلال) يظهر أن للناى وبعض الآلات الموسيقية الأخرى تأثيراً في بعض أنواع الافاعي فانها اذا سمعت موسيقاها نصبت رءوسها كأنها تريد سماعها واستيعاب ألحانها . ولهذا نرى الكثيرين من الحواة يستعينون بالصفير وبعض الآلات الموسيقية لاستهواء الحيات

الطيور والجاذبية

(بغداد — العراق) ح . ك

هل للجاذبية الارضية تأثير في الطيور ؟ واذا كان لها تأثير فلماذا لا يسقط الطير من أعالي الجو بل يظل محمولا على أجنحة الهواء ؟

(الهلال) لاشك أن للجاذبية الارضية تأثيراً في الطيور بل في كل جسم مادي . ولولا أن الطير يحرك جناحيه في الجو ويكتنف الهواء الذي يحمله لسقط على الارض . وهو اذا أراد الهبوط أخذ يخفف حركة جناحيه ويطويهما بالتدريج الى أن يصل الى الارض ومما يساعده على البقاء في الجو أن عظامه خالية من النخاع ملأى بالهواء . ولو كانت ملأى بالنخاع ما تمكن الطائر من التحليق في الهواء

ثقل النور

(بغداد — العراق) ومنه

قرأت في احدى المجلات العلمية أن للنور ثقلا فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) ولماذا لا يكون صحيحاً ما دام النور مجموعة أمواج مؤلفة من ومضات مادية ؟ ثم ان نظرية النسبية لصاحبها الفيلسوف اينشتين تثبت أن للنور وزناً ولكنه قليل جداً بحيث أن ادق الآلات التي استنبطها عقل الانسان تعجز عن تبيان ذلك الوزن . ومع ذلك فقد تمكن العلماء من تحديده فقالوا انا اذا أخذنا مصباحاً كهربائياً قوته مائة شمعة وتركناه يضيء نحو مليوني سنة كان مجموع وزن النور المنبثق منه نحو اوقية واحدة

الصحافة الإنجليزية
بين الماضي والحاضر

بقلم الدكتور حافظ عفيفي باشا

« لم يحصل لشيء فى التاريخ أن انحطت أغراضه الاولى وتغيرت مراميه الاصلية كما حصل فى صحافة انجلترا » هذا تصريح خطير للصحفى الانجليزى المعروف وليام كربت (William Corbett) صرح به فى سنة ١٨٠٧ — فهو تصريح قديم مصدره انجليزى خبير بأمور الصحافة ، وهو مع قدمه هذا يكاد ينطبق على حال الصحافة الانجليزية الحاضرة . وهذا التطور الذى حصل فى اغراضها وهذا الانحطاط الذى حصل فى مراميها ، لم يحصل لغرض سياسى أو لمصلحة ذاتية مقصودة ، وانما هو تطور جاء وليد التقدم الاجتماعي والعلمى والاقتصادى والميكانيكى ، وحصل تحت ضغط تطورات الزمان كما حصل مثله فى أغلب المنشآت الاخرى . فقد كان الافراد ينشئون الجرائد فى القرن الثامن عشر لغايات سياسية محضة هى ترويج مبادىء اجتماعية أو سياسية معينة . وكانت تطبع اذ ذاك على مطابع صغيرة تدار باليد . وكانت نسبة المتعلمين الى عدد السكان ضئيلة وعدد المهتمين بالشؤون السياسية أو الاجتماعية صغير . فكان يطبع من هذه الجرائد عدد قليل ، ولذلك كان رأس المال الذى يلزم لتأسيس جريدة محدوداً يستطيع أن يقوم به فرد واحد . فقد ذكر كربت الذى نقلنا عنه رأيه فى مقدمة هذا الموضوع فى سنة ١٨٠٢ ان الجريدة المورننج بوست — وكانت تأسست قبل ذلك بثلاثين سنة وتجمع بين محرريها كبار كتاب العصر — كانت لا تطبع اذ ذاك أكثر من ١٢٠٠ نسخة كل يوم . وكانت التيمس التى تأسست بعد المورننج بوست بمدة قليلة لا تطبع أكثر من هذا العدد

ولم تكن قلة ذيوع الجرائد حتى نهاية القرن الثامن عشر ناشئة عن قصور فى تحريرها ، وانما نشأت كما قدمنا عن قلة القارئين وصعوبة المواصلات وما يترتب عليها من صعوبة وصول الاخبار ومن بطء التوزيع . وقد ساعد على قلة انتشار الجرائد فى ذلك الوقت ان الحكومة الانجليزية وضعت فى سنة ١٨١٢ ضريبة لمحاربة هذه الجرائد سمتها ضريبة التمغة (Stamp Tax) وكانت مقدرة فى أول الامر بنس ونصف على كل عدد ثم زيدت تدريجاً حتى وصلت الى أربعة بنسات على كل عدد فى سنة ١٨١٥ فكان صاحب الجريدة وقتئذ لا يستطيع — ليربح ربحاً معقولاً — أن يبيعها بأقل من تسعة بنسات

ولكن حصل منذ بداية القرن التاسع عشر تطور عظيم ، فقد ظهرت فى سنة ١٨١٤ مطبعة

كينج (Koenig) التي كانت تدار بالبخار بدل اليد وتطبع أربعة أمثال ماتطبعه المطبعة القديمة فى وقت معين . فبينما كانت مطبعة اليد لا تخرج أكثر من ٢٥٠ صفحة فى الساعة فان المطبعة الجديدة كانت تطبع ١٠٠٠ نسخة . واستمر التحسين سريعاً فى ما كينات الطباعة حتى وصلت فى زمن قصير الى طبع ٥٠٠٠ صفحة فى الساعة . كذلك شمل التحسين الميكانيكى فى هذا الوقت كثيراً من أدوات وأجهزة الطباعة الاخرى كأدوات سبك الحروف وغير ذلك . وحصل ارتقاء صناعى كبير فى الوقت نفسه كان له أثر كبير فى رواج الصحف عندما أمكن صنع الورق من لباب الخشب وبعد أن تحسنت وتقدمت آلات صناعة الورق

كان من شأن هذه التحسينات الميكانيكية السريعة المستمرة منذ بداية القرن التاسع عشر أن نزلت مصاريف الطباعة إلى حد كبير . وقد سارت هذه التحسينات الميكانيكية الخطيرة جنباً لجنب مع انشاء وسائل المواصلات الحديثة كالسكة الحديدية والبوستة والتلغراف . كذلك صحب كل هذه الاصلاحات ازدياد كبير فى عدد المتعلمين سنة بعد سنة ، فساعد كل ذلك فى انتشار الصحف بسرعة كبيرة، وما جاءت سنة ١٨٦٠ حتى ظهر اختراع ميكانيكى كان له أكبر الاثر فى سرعة انتشار الجرائد الى حد لم يكن ليتنبأ به أحد . ذلك هو ظهور الروتاتيف فان هذه الماكينة الحديثة لا تطبع بسرعة مدهشة فحسب ، بل هى تطبع جميع صحائف الجريدة مرة واحدة وهى تقطع فى الوقت نفسه الورق فتخرج الجريدة صالحة للبيع فى عملية واحدة

وقد كانت الاخبار فى بداية القرن التاسع عشر تأتى الى الجرائد من المراسلين الذين كانوا يرسلون أخبارهم بواسطة سعاة فيقطعون المسافات الشاسعة على الاقدام أو على ظهور الخيل، فتغير هذا الحال تغيراً كبيراً فى آخر هذا القرن فكانت المراسلات تأتى فى أيام أو ساعات أو دقائق وذلك بعد انشا السكك الحديدية والبوستة والتلغراف ،فزاد كل ذلك فى انتشار الجرائد انتشاراً عظيما فى نهاية القرن التاسع عشر

وأعظم من كل ما ذكرنا شأنا فى انتشار الجرائد وتقدمها هو ظهور الاعلان التجارى ، فانه لما تقدمت الصناعة الانجليزية ذلك التقدم العظيم فى القرن التاسع عشر واحتاج الصناع والتجار لتوسيع أسواقهم ولفتح أسواق جديدة استعملوا الاعلان فى الجرائد عن مصنوعاتهم وسلعهم كاحدى وسائل الترويج، فدر هذا الاعلان على الجرائد ايراداً وفيراً برر امام رجال المال استغلال أموالهم فى هذه الصناعة الجديدة ذات الربح الوفير، فزاد عدد الجرائد زيادة مطردة وساعد فى الوقت نفسه على هذه الزيادة أن ألغت الحكومة تحت تأثير الرأى العام ضريبة التمغة فى سنة ١٨٥٥ فتأسست على أثر هذا الالغاء وحده ١٠٧ من الجرائد الجديدة . وتدل الارقام الآتية على انتشار الجرائد السريع فى هذه الفترة :

فقد كان بانجلترا فى سنة ١٨٢٨ ٤٨٣ جريدة
وكان بها » » ١٨٨٦ ١٢٦٠ »
وكان بها فى سنة ١٩٠٩ ٢٣٢٢ جريدة منها ٣٨٦ كانت تطبع فى لندرة وحدها

حصل هذا الانتشار نتيجة للاعلان التجارى الذى لم يكن يدر على الجرائد قبل سنة ١٨٥٠ الا ايراداً ضئيلا. وقد كان الاعلان قبل ذلك العهد معروفا ولكنه كان يوضع فى أركان مجهولة من الجرائد ، فبعد ان اتضحت فائدته للصناع والتجار تفنن مديرو الصحف فى ابرازه بشكل واضح يستوقف نظر قرائها وتفننوا فى أشكال هذه الاعلانات وفى اختيار كلماتها وتصويرها الى حد كبير . وزاد من رغبة التجار فى الاعلان ان الغت الحكومة فى سنة ١٨٥٣ ضريبة خاصة كانت تحصلها على جميع الاعلانات بعد أن بقيت هذه الضريبة نحو ١٥٠ سنة . وقد ترتب على كثرة الاعلانات زيادة كبيرة فى ايراد الجرائد كما ترتب عليه زيادة كبيرة فى حجمها مما استلزم تكبير ماكينات الطباعة وزيادة سرعتها

وليظهر مادرته الاعلانات التجارية على الجرائد من الايراد الوفير نذكر بعض البيانات فى هذا الشأن

ذكر اللورد بيفربروك (Beaverbrook) أخيراً فى احدى خطبه أن ما تحصله جرائد لندرة وحدها أجراً عن الاعلانات التى تنشر فيها يصل الى ١٣ مليون جنيه فى السنة ،يصيب جرائد الصباح منه وهى كثيرة العدد نحو ٩ ملايين جنيه ويصيب جرائد المساء الاربعة الملايين الباقية . وقد كان هذا التقدير فى سنة ١٩٢٨ أى قبل أن تعمل الازمة الاقتصادية الاخيرة عملها ، ولكن المؤكد أن هذا التقدير لا يختلف كثيراً عن التقدير الحالى

وقد ذكرت الانسكلوبيديا بريتانيكا (Encyclopaedia Britannica) طبعة ١٣ تحت كلمة اعلان (Advertising) أنه فى سنة ١٩٢٦ كانت جريدة الديلى ميل (Daily Mail) وعدد قرائها إذ ذاك ١٧٠٠٠٠٠ تحصل ١٤٠٠ جنيه يومياً أجراً عن صحيفتها الاولى ، وأن جريدة نيوز اوف ذى ورلد (News of the World) ــ وهى جريدة أسبوعية وأكثر جرائد العالم انتشاراً اذ يزيد عدد قرائها على ثلاثة ملايين ــ تتناول أجراً قدره ٢٤٠٠ جنيه عن كل صفحة من صفحاتها فى كل عدد ، وان مجلة البنش (Punch) الفكاهية الاسبوعية ــ ولا يزيد عدد قرائها عن ٢٠٠٠٠٠ قارىء ــ تحصل من اعلاناتها على ٨٠٠٠ جنيه عن كل عدد . وقيمة الاعلانات فى الصحف تتراوح بين ثلاثة جنيهات وستة جنيهات على الانش من العمود ، وقد تتضاعف هذه القيمة فى بعض الجرائد الاسبوعية الواسعة الانتشار . وذكر بعضهم (١) أن العدد الواحد من الجرائد اليومية التى تباع الآن

(١) من كتاب (British Press)

بنس يكلف أصحاب هذه الجرائد فى تحريره وطبعه والاعلان عن الجريدة والمصاريف الاخرى كالمكافآت والجوائز المالية والتأمينات التى تعملها الجرائد الآن لزيادة انتشارها ، نحو بنسين ، فهى تبيع بنس ما كلفها اثنين ولكنها تعوض هذه الخسارة وتكسب بعد ذلك مكسبا وفيراً من ايراد الاعلانات (١)

***

ترتب على ماحصلت عليه الجرائد من ربح وفير على أثر الاعلان من جهة وعلى احتياجها لرأس مال كبير لاستطاعتها أن تسير مع التقدم الصناعي العظيم الذى وصلت اليه صناعة الطباعة من جهة أخرى أن أخذت ملكية الافراد للجرائد تزول تدريجاً وتحل محلها ملكية الجماعات والشركات المالية ذات رأس المال الكبير. وقد كانت بداية هذه الحركة فى سنة ١٨٩٦ بظهور جريدة « الديلي ميل » لمؤسسها اللورد نورثكليف الذى هو صاحب فكرة الصحافة الشعبية الرخيصة الثمن . وقد سارت الديلي ميل على هذه الطريقة الجديدة التى وإن كانت حديثة فى انجلترا إلا أنها بدأت قبل ذلك فى أمريكا بسنين عدة . وقد كانت تجربة «الديلي ميل» من أول الامر تجربة ناجحة ، وذلك لانها بدأت حياتها فى وقت مناسب من الوجهة السياسية ، فانها ظهرت وقت تلك الزوبعة التى قامت فى جنوبى افريقا على أثر حادثة جيمسون ريد (Jameson Raid) التى انتهت بالحرب بين البوير والانجليز ، فاستغلت جريدة « الديلي ميل » هذا الموقف أحسن استغلال وبدأت حياتها متطرفة فى الوطنية ومغالية فى الذود عن شرف بريطانيا فى وقت كانت الشهوات السياسية فى انجلترا شديدة . وقد ساعد فى انتشارها أن كان ثمنها نصف بنس وكانت تطبع أحسن طبع وعلى ورق جيد ، فلاقت من الاقبال ما اضطرها الى طبع نسخة أخرى من الجريدة نفسها فى منشستر ، لاقت هى أيضاً اقبالا عظيما ، فكان هذا بداية رواج هذا النوع من الصحف الشعبية الرخيصة الثمن

وقد قام اللورد نورثكليف قبل تأسيس الديلي ميل بتجربة صغيرة هى أنه اشترى فى سنة ١٨٩٤ جريدة الايفننج نيوز (Evening News) وكانت ملكا لحزب المحافظين بعد أن استنفدت هذه الجريدة من أموال الحزب مبلغ ٣٠٠٠٠٠ جنيه ، لانها كانت تخسر خسارة فاحشة مستمرة . فاذا بهذه الجريدة تحت يد اللورد نورثكليف تكسب سبعة جنيهات فى الاسبوع الاول ، واذا بها تأتى بربح قدره ١٤٠٠٠ جنيه فى نهاية أول سنة، وهذا ما شجعه على تجربته الجديدة بتأسيس الديلي ميل . وكان اللورد نورثكليف يجاهر بنظرية هى « أن قيمة الجريدة هى بمقدار ما تربحه من المال لا بمقدار الأثر السياسى الذى تنتجه » وقد اعترف مرة المستر كندى جونز (Kennedy Jones) وهو

(١) وزعت شركة (Associated Press) وهي احدى شركات روذرمير في السنوات الاربع التى تنتهي بسنة ١٩٢٨ مبلغ ٤٠٪ ربحا لمساهميها

أحد شركاء اللورد نورثكليف ان غايتهم من إصدار جرائدهم هي « مجرد تجارة »

وكان اللورد نورثكليف إلى آخر حياته يشرف بالذات أو بالواسطة على الجرائد الآتية :

التيمس ، الديلي ميل ، الايفننج نيوز ، الويكلي دسباتش . وكذلك كان يشرف على نحو سبعين مجلة وجريدة أسبوعية أو شهرية . فكان أول من فكر في تكوين الشركات المالية الصحفية ، وكان أيضاً أول من سعى إلى حركة ضم الجرائد وادماج بعضها في بعض تحت إدارة شركة أو شركات بعد أن كانت ملكا لافراد . ويلاحظ هنا أن جرائده جلبت اليه مالا أكثر مما جلبت اليه نفوذاً سياسياً .

فان هذا التطور الذي أحدثه كان من شأنه ترويج الجرائد ، ولكن كان من نتيجته في الوقت نفسه إضعاف أثرها ونفوذها السياسي في توجيه الرأي العام . وعلى أثر وفاة اللورد نورثكليف قام أخوه اللورد روذرمير (Rothermere) الذي انتقلت اليه ملكية الديلي ميرر (Daily Mirror) والسنداي بكتوريال (Sunday Pictorial) وبعض الجرائد الاخرى التي كانت تنشر في اسكتلندا ، كما انتقلت اليه أغلب أسهم الديلي ميل والايفننج نيوز ، بتأسيس شركات حديثة لهذه الجرائد ولغيرها مما استطاع ضمه من جرائد الاقاليم الكثيرة . كذلك قامت شركات أخرى تحذو حذوه في هذا الميدان

والواقع أن أغلب الجرائد والمجلات التي تطبع الآن في الجزيرة البريطانية أصبحت ملكا لنحو عشر شركات كبرى يزيد رأس مالها على مائة مليون من الجنيهات وهي التي تهيمن عليها سياسياً ومالياً

***

هذه هي حركة التطور الحديث الذي حول الجرائد الى شركات تجارية كان من أثرها ان حصل الاندماج الذي تكلمنا عنه والذي كان من شأنه ان قل عدد الجرائد في انجلترا ، التي يطبع فيها الآن نحو ٢١٠٠ صحيفة ومجلة بين يومية وأسبوعية وشهرية ـ يطبع منها في لندرة وحدها ٣٩٢ صحيفة . وذلك بنقص ١٨١ جريدة عما كان يطبع في سنة ١٩١٠ في أنحاء بريطانيا وبنقص ٢٢ صحيفة عما كان يطبع منها في لندرة . فاتت في السنين الاخيرة عدة جرائد يومية كالاستاندرد واليورننج ليدر والديلي نيوز التي اندمجت في الديلي كرونكل وصارت النيوز كرونكل والديلي ستزن والوستمنستر جازت والجلوب والديلي سكتش والبال مال جازت والديلي جرافيك

وكان من أثر هذا التطور أيضاً ان حصل التغيير الكبير الذي نوهنا عنه في مقدمة هذا الموضوع في أغراضها . فبعد ان كانت تؤسس في الماضي لنشر وترويج المذاهب الاجتماعية والسياسية ولا تعني بما ينشر فيها الا بما يوصل لهذه الاغراض ، وكانت تجاهد في هذا السبيل جهاداً عنيفاً قد يجر عليها غضب الجماهير كما كان يجر عليها أحياناً غضب الحكومات ، وكانت مصدر خسارة جسيمة مستمرة

لاصحابها وحلت محلها صحافة تجارية ذات لون سياسي باهت لايهمها الا نشر مايلذ الجمهور قراءته ، ولاغرض لها الاجذب أكثر عدد من القراء بتلمس أذواقهم وشهواتهم والعمل على ارضائها ، فاصبح ميزان أهمية موضوعاتها هو تقدير جمهور القراء . فقد يلقى رئيس الوزارة خطبة سياسية خطيرة فلا تجد منها في الجرائد الشعبية أكثر من عدة سطور ضائعة بين صفحات الجريدة المتعددة ،وقلما تجد فيها اشارة لاى خطبة فى البرلمان ، بينما تجد أخبار سباق الخيل وسباق الكلاب وأخبار السرقات والجرائم وقضايا الطلاق تنشر تحت عنوانات ضخمة فى أظهر مكان فى هـذه الجرائد . وقلت بذلك مادة الجرائد الانشائية لطغيان الاخبار على أغلب صفحات الجريدة . فاصبح لايشترط فى المحرر ما كان يشترط قبل من الكفاءة الادبية والقدرة على التحرير، بل أصبحت قيمة الصحفى بمقدار جريه وراء الاخبار ووضعها فى قالب يجذب أنظار الجماهير . وأصبحت القصص تأخذ من الجريدة ما كانت تأخذه في الماضى أخبار الجمعيات العلمية والادبية والاجتماعية المنتشرة فى هذه البلاد والتى لا يكتب عنها الآن الا نادراً . بل ذهبت هـذه الجرائد الشعبية فى سبيل السعى فى رواجها الى أبعد من ذلك ، فصارت تغرى القراء بالمكافآت المالية المختلفة جزاء فك أحجية تنشرها أو حل لغز تذيعه ، وأخذت تغرى الجمهور فى الزمن الاخير بما هو اسمن من هذا باعطاء تعويض مالى هو أشبه بتأمين على الحياة أو على أثر الاصابة بالحوادث لكل مشترك فيها أو قارىء مواظب على قراءتها . وقد انفقت فى هذا السبيل الملايين من الجنيهات . ولقد نشأ عن هذه الحالة نتيجة غريبة هى ان انتشار هذه الجرائد فى العشرين سنة الماضية وذيوعها بين طبقات الشعب بهذه الدرجة الهائلة لم يكن من شأنه كما كان ينتظر زيادة فى نفوذها السياسى فى الجماهير التى تقرؤها بل صحب زيادة الانتشار قلة فى هذا النفوذ. والسبب فى ذلك هو ماقدمنا من أن هذا الانتشار كان نتيجة لضعف المادة السياسية وزيادة فى أخبار الجرائم ومسابقات الخيل ونتائج العاب الكرة

فن المسلم به الآن أن مقدار نفوذ الجريدة السياسى لا يسير متوازياً مع عدد ما تطبعه والا لكانت جريدة « النيوز أوف ذى ورلد » ، وهى تطبع أكثر من ثلاثة ملايين نسخة ، أكبر الجرائد نفوذاً فى انجلترا ، ولكانت جريدة « التيمس » بجانبها كالقط بجانب الاسد . ومع ذلك فانه لايعرف كثيرون من الانجليز حتى اسم «النيوز أوف ذى ورلد »بينما لا يوجد انجليزى لايقدر رأى «التيمس» التى لم تشتهر من قديم الزمان فى انجلترا فقط بل فى العالم اجمع

فقيمة الجريدة السياسية واثرها فى تكوين رأى عام هو نتيجة لقيمة مادتها التحريرية واتجاهها فى الانتقاد أو التحبيذ خطة المصلحة الوطنية العامة مجردة عن كل اعتبار آخر ، وتخصيصها أكبر مكان فيها للاهتمام بمصالح الدولة الحيوية وعـدم اكتراثها بما يصيبها من مكسب أو خسارة مادية فى هذا السبيل

٭٭٭

وقد ترتب على هذا التطور أيضاً أن الجرائد المحترمة التى لاتزال تعنى بمركزها السياسى لم تبلغ من الرواج مابلغته الجرائد الشعبية فأصبحت فى مركز دقيق ، اذا هى سعت الى زيادة رواجها اضطرت لمجاراة غيرها ففقدت مركزها الادبى ، واذا بقيت على ما هى عليه من قلة الرواج سبقتها الجرائد التجارية الاخرى فى ميادين كثيرة مستعينة بزيادة ايرادها على ادخال تحسينات صحفية قد تضعف بها مركز جرائد الآراء . هذه هى المشكلة الاجتماعية السياسية الخطيرة التى تشغل بال الكثيرين من ذوى الرأى الآن فى انجلترا الذين يريدون الاحتفاظ بمركز جرائدهم ويخشون من خطر كبير يهددها اذا ما طغت عليها الشركات التجارية التى أصبحت فى يد أفراد وجماعات قليلة واصبحت أغلب الجرائد احتكاراً فى يد هذه الجماعات

وقد كتبت جريدة « الا كونومست » مقالة مشيرة الى هذا الخطر نقتطف منها ما يأتى : « نحن لا نعارض فى شىء يكون من ورائه تعميم اذاعة الاخبار بين الناس أكثر اذاعة ممكنة ونعترف أن تأليف الشركات الصحفية ذات رأس المال الضخم كان من نتيجته تعميم هذه الاذاعة . ولكننا فى الوقت نفسه نرى ان المصلحة العامة تقضى بان توضع حدود للسماح لهذه الشركات ، بوضع يدها على الكثير من الجرائد . فانه اذا فقدت استقلالها احدى الجرائد القليلة العدد التى بقيت مستقلة للآن والتى صارت وحدها مصدراً لتنمية الرأى فى هذه البلاد بان انضمت لهذه الشركات ، فان هذا يعتبر كارثة وطنية . واذا نجحت احدى هذه الشركات فى ابتلاع الشركات الاخرى أو فى ابتلاع بعض الجرائد المستقلة فان تدخل الحكومة واعلانها المراقبة الصحفية وهو مانبغضه جميعاً يصبح أمراً لا مفر منه اذ ذاك . اننا ما نزال بعيدين عن هذا العهد فان المنافسة بين الشركات الصحفية ماتزال شديدة كما انه ما تزال عصبة الجرائد المستقلة تدافع بشجاعة عن استقلالها . ولكن ماحصل للآن من سيطرة شركات قليلة على جرائد كبيرة يدعو الى القلق الشديد خصوصا بعد أن صارت هذه الجرائد تلجأ الى نشر مالا يروقها من الاخبار والوقائع الصحيحة فى أجزاء غير ظاهرة من صفحاتها وتخصص أكبر مكان فيها للتافه من الأمور لانه يستوقف النظر . ان هذه الطرق الصحفية قد تؤدى الى خطر هو إضعاف نمو الرأى السياسى الرشيد فى الامة وإضعاف تقدير الناس للاشياء تقديراً موزونا . . . »



هذا ماذكرته جريدة الاكونومست . وفى الواقع أن ما تتوقعه هذه الجريدة من خطر استيلاء عدد قليل من الاشخاص على الجرائد الانجليزية وهيمنتهم على سياستها ليس خيالا بل هو حقيقة ثابتة . بل قد حصل من الحوادث أخيراً ما يبرر هذا القلق الذى استولى على كثير من رجال السياسة فى انجلترا الذين لم يخشوا من سيطرة هذا الفريق على الصحافة فحسب بل من استعمال هذه الصحافة

وسيلة لكسب أغلبية فى الانتخابات والاستيلاء على الحكم فى البلاد . فاذا نجحوا فى هذه المحاولة كان الخطر على الحياة النيابية شديداً لانهم سوف يملكون فى وقت واحد أغلبية فى مجلس النواب ويسيطرون على الرأى العام خارج المجلس بواسطة هذه الجرائد فتضعف بذلك الحركة المعارضة داخل المجلس كما تتلاشى قوة الانتقاد فى الجرائد . وكل هذا يتنافى مع الاساليب النيابية المحترمة فى تلك البلاد

وقد حصلت فى السنين الاخيرة محاولات من جانب أصحاب الصحف تنم عما يخالج نفوسهم من هذه الاطماع

إزاء هذا الخطر الداهم سعت بعض جرائد الرأى التى استطاعت للآن الاحتفاظ باستقلالها وحريتها إلى تقرير ضمانات تؤمنها فى المستقبل من خطر فقد استقلالها فرأى المستر جون والتر (Mr. John Walter) والماجور جون آستر (Major John Astor) وهما اصحاب اكثر أسهم جريدة التيمس ان يعملا ما من شأنه ان يحول دون دخول أسهم هذه الجريدة فى حوزة شخص أو أشخاص قد يستأثرون بشؤونها ويحولون سياستها الوطنيـــة المستقلة الى مجرى آخر . فوافقا للوصول الى هـــذا الغرض على تأليف لجنة من رجال مستقلين لهم بحكم مراكزهم الاجتماعية المحترمة ووظائفهم العالية ما يكسب رأيهم وتقديرهم قيمة كبيرة . فألفت هذه اللجنة من رئيس قضاة انجلترا وعميد كلية من كليات اكسفورد وهى كلية (All Souls) ورئيس الجمعيـــة الملكية (Royal Society) ورئيس جمعية المحاسبين (Institute of Chartered Accountants) ومدير بنك انجلترا . ومهمة هذه اللجنة هى التصديق على بيع حملة أسهم هذه الجريدة . ويجب على اللجنة كما جاء فى قرار تأليفها : (١) ان تراعى وجوب احتفاظ الجريدة باستقلالهـــا السياسى والاجتماعى (٢) يجب عليها ابعاد الاشخاص الذين يريدون من الحصول على اسهم الجريدة الكسب المادى أو الجاه السياسى، فليس لهذه اللجنة دخل فى سياستها ، ولــكن وظيفتها هى منع تحول هذه الجريدة ــ التى تتمتع الآن بمركز سام لاستقلالها ولها أثر كبير فى الرأى العام ــ إلى جريدة تجارية تباع أسهمها فى الاسواق لا كبر مزايد . وأساس استقلال هذه الجريدة يرجع الى تقليد اتبعه أصحابها من قديم الزمان وهو يقضى بان مهمتهم هى انتخاب رئيس التحرير الذى يصبح بعد انتخابه مستقلا تمام الاستقلال فى تحريرها وفى تعيين الاكفاء من المحررين فى الوظائف التى تخلو فيها. ولادخل لاصحابها معه فى هذه الشؤون . على هذا التقليد سارت جريدة التيمس فى حياتها الطويلة ، فقد بقيت مدة أربعة أجيال فى يد عائلة والتر ماعدا فترة قصيرة حديثة وهى التى آلت فيها ملـكية جزء من أسهم هذه الجريدة إلى اللورد نور ثكليف ثم مرت هذه الاسهم بعد موته الى الماجور استر الذى وافق المستر جون والتر على ان تستمر التيمس على تقاليدها القديمة التى كان من أبرها ان تولى ادارة

تحرير التيمس فى القرن الماضى عدد قليل من كتاب ساسيين يشار اليهم بالبنان . فلقد بقيت بين سنة ١٨٤١ وسنة ١٨٧٧ أى مدة ٣٦ عاماً كاملا فى يد المستر دلينى (Delane) الذى كان يعتبر اكبر صحافيى العصر ، والذى استطاع ان يبنى لهذه الجريدة مكانها الحالى الذى تتبوأه فى عائلة الصحافة العالمية

وقد اتخذ أصحاب جريدة الاكونومست (Economist) احتفاظا باستقلال جريدتهم احتياطا من نوع الاحتياط الذى اتخذه أصحاب التيمس. فقد اتفقوا على تأليف لجنة مستقلة عن مجلس ادارة شركة الجريدة مهمتها تعيين رئيس التحرير وعزله ، كما اتفقوا على ان رئيس التحرير هو وحده المسئول عن تحرير الجريدة ويجب أن يتمتع بكامل الحرية فى تأدية وظيفته . فليس لاحد من الشركاء او أعضاء مجلس ادارة الشركة أو لاى شخص آخر أن يتدخل فى شؤون التحرير ،

ان حرية رئيس التحرير المطلقة تقليد انجليزى معمول به فى جميع جرائد الرأى ، بل فى بعض الجرائد التجارية الشعبية كذلك . لان هذه الحرية هى شرط أساسى يشترطه كل كاتب محترم لقبول مثل هذه الوظيفة الخطيرة، فجريدة المورننج بوست مثلا وهى جريدة تسير على سياسة المحافظين التقليدية وهى أقدم الجرائد اليومية التى تظهر الآن ، بقيت هذه الجريدة من سنة ١٨٤٧ الى سنة ١٨٧٧ وكانت فى تلك المدة ملكا لشركة صناعة ورق تدعى شركة كومبتن (Compton) فى يد رئيس تحرير واحد هو الكاتب المعروف بورثويك (Borthwick) وبعد ذلك تولى رياسة التحرير ابنه لمدة طويلة وكانا يتصرف كلاهما فى تحريرها طول هذه المدة بكامل الحرية وتمتع من تولاها بعدهما بهذه الميزة

وكذلك بقيت جريدة المنشستر جارديان فى يد عائلة سكوت من زمان بعيد وهى فى يدهم إلى الآن . وكانوا دائما يدينون بمبادىء الديمقراطية الحرة طبقاً لتعاليم مدرسة منشستر التقليدية وكانوا يتوارثون رئاسة تحرير الجريدة التى كانت تنتقل من الاب الى أكبر الابناء . وكان الاب يدرب ابنه طول حياته على هذا العمل ليحسن التصرف فى شؤون الجريدة التحريرية والمالية بعد وفاة أبيه . ولم تخرج عن هذا التقليد الا منذ سنتين فان المستر سكوت الحالى ترك تحريرها لغيره ولكنه فى الوقت نفسه احترم مبدأ حرية رئيس التحرير

كذلك الشأن فى رئاسة المستر جارفن (Mr. Garvin)لتحرير جريدة الابزرفر (Observer) الاسبوعية . وكذلك هو الشأن فى جميع الجرائد المحترمة كما قدمنا . . .

☆☆☆

هذا هو ملخص تاريخ الصحافة الانجليزية وتطورها فى القرن الماضى والمركز الذى تتبوؤه فى الحياة الانجليزية الحاضرة . ومع كل ماذكرنا من خطر تحول أغلبها إلى شركات تجارية فانه يمكن القول

بانها لا تزال فى مجموعها صحافة شريفة نزيهة تؤدى لبلادها أكبر الخدمات ولا يزال أثرها فى تكوين الرأى العام وتوجيهه عظيما وهي لاتزال كما قدمنا تتمتع بقسط وافر من الحرية والاستقلال الذى يزيد أو يقل بحسب مركز كل جريدة والاغراض التى أسست من أجلها . فهى غير خاضعة لتاثير الحكومة الانجليزية ولو انها جميعا تتحاشى أن تضعف من مركز الحكومة فى مشاكلها مع الدول الاخرى . وهذا تقليد محترم لا يشذ عنه أحد ولكن لايصل هذا التأييد أحيانا لحد الصمت التام عن أغلاط الحكومة حتى فى هذه الناحية ، فهناك جرائد محترمة تستطيع أن تنتقد تصرفات الحكومة حتى فى مثل هذا الظرف اذا كانت ترى ان فى هذه التصرفات محلا للانتقاد (١)

أما فى المسائل الداخلية فكل جريدة تدافع عن نزعتها بحرية تامة. ولكن يلاحظ دائما أن هذه الجرائد تمتاز على وجه العموم بعفتها عن الطعن الشخصى والانتقاد البذىء . فانه يندر أن تقرأ فى جريدة انجليزية ما تقرؤه أحياناً فى كثير من صحف البلاد الاخرى من فاحش القول وسفيه الكلام

وكما ان الجرائد مستقلة عن الحكومة فهى مستقلة عن الاحزاب فانه بعد ان احتاجت الجرائد إلى رءوس الاموال الكبيرة فتحولت الى شركات عجزت الاحزاب المختلفة عن امتلاك الجرائد فانقطعت علاقتها بها واكتفت الاحزاب بنشراتها ومجلاتها الاسبوعية أو الشهرية

وهناك تقليد آخر تحترمه جميع الجرائد الانجليزية ذلك هو تقديرها لواجب الزمالة الصحفية. فانه يندر ان تقرأ فى جريدة طعناً فى جريدة أخرى . فاذا انتقدت جريدة من جرائد الرأى مقالة صدرت فى جريدة أخرى فانه قلما تذكر اسم الجريدة، بل العادة أن ينتقد الرأى انتقاداً خالياً من كل تعريض بالزميلة الاخرى

والمعروف فى البلاد الاجنبية عن جريدة التيمس أنها تعبر دائماً عن رأى الحكومة الانجليزية. ولكن الحقيقة ان جريدة التيمس مستقلة تمام الاستقلال عن جميع الحكومات وكثيراً ما تنتقد التيمس الحكومة القائمة . ولكن يظهر ان هناك تقليداً قديماً تجرى عليه جريدة التيمس وهو أنها دائمة الاتصال بدوائر الحكومة المختلفة فهى دائماً تسعى للوقوف على جميع المعلومات الصحيحة قبل أن تنتقد أو تحبذ. وهى لا ترمى بالاتصال بالحكومة انتظاراً للوحى ولكن للوقوف على صحيح الاخبار ، وهي بعد ذلك حرة فيما تكتب. على ان الحكومة تسعى دائما للاتصال بالصحافة على اختلاف

(١) لقد انتقدت أخيراً جريدة المنشستر جارديان الحكومة الانجليزية انتقادا مرا فى تصرفها فى مسألة قبض الحكومة الروسية على بعض العمال الانجليز المقيمين فى روسيا والذين احيلوا بتهمة التجسس على محاكمها . وترى هذه الجريدة أن تصرف الحكومة الانجليزية بتدخلها فى الشؤون الداخلية لروسيا وطعنها فى قضائها كان معيباً . وقد كتبت هذه الجريدة ذلك والرأى العام فى انجلترا هائج ضد روسيا بتأثير أغلب الجرائد الانجليزية وبتأثير الاجتماعات والخطب السياسية المهيجة التى رتبت فى كل مكان بل والتى لم يخل منها مجلس النواب نفسه

ترعاها بواسطة مكاتب الصحافة المختلفة المنشأة فى أغلب الدواوين والمصالح لتزويدها بصحيح الاخبار لا للتأثير فيها . وبهذا تنتهى كل علاقة بين الحكومة والجرائد

* * *

يخطىء الذين يعتقدون ان الصحافة نالت حريتها فى انجلترا طفرة واحدة وبلا ثمن باهظ . فان رجال السلطة فى هذه البلاد كانوا فى عهد طويل من تاريخ انجلترا يكرهون الصحافة من أعماق قلوبهم . ولذلك فكثيراً ما قيدوا حريتها فى الماضى بكثير من القيود الثقيلة ، وكثيرا ماوضعوا العراقيل أمام انتشارها ، بل كثيراً ما عانى رجال الصحافة آلام السجن والتعذيب ثمنا لاستقلالهم وحريتهم

وقد امتاز عهد ملوك الاستوارت (Stuarts) وبنوع خاص عهد جيمس الاول وشارل الاول بقساوته بل بفظاعته فى معاملة رجال الصحافة . فقد كانت محكمة النجمة (Star Chamber) تتولى أمر عقاب العصاة من هؤلاء الصحفيين الجريئين الذين يرفضون التنويه بمناقب الحكام والتسبيح بحمد هؤلاء الملوك . فلم تكن عقوبات التغريم والحبس كافية بل كثيراً ما كانت توقع عليهم عقوبة الصلب (Pillory) والضرب بالسياط والتشويه الجسمى والكى بالنار (١)

وكانت هذه العقوبات تستند دائماً الى فتاوى المشرعين الذين كانوا يقولون ان انتقاد رجال السلطة هو انتقاد للملك لانه هو الذى يوليهم الحكم ، وانتقاد الملك جريمة لان الملك لا يخطىء

وبقيت الصحافة مقيدة بكثير من القيود الثقيلة حتى أول عهد الملكة فكتوريا . منذ ذلك بدأت الحكومات الانجليزية المختلفة تحس بضرورة الصحافة الحرة لتنوير الرأى العام وبضرورة تكوين هذا الرأى إذا أريد النجاح لأى حكم ديمقراطى ، فعدلت تدريجياً قانون القذف (Libel Act) الذى أصبح الآن دستور الصحافة القضائى . ولم يبق ما يحد من حريتها الا قانون الاعتداء على المحكمة (Contempt of Court) . وهذا القانون يقضى بمنع الجرائد من انتقاد أحكام المحاكم فى أثناء المحاكمة وبعد الحكم وانتقاد القضاة . ويعاقب أيضاً كل جريدة تنشر شيئاً يطلب القاضى عدم نشره وعقوبة هذه الجريمة غير محدودة فيباح للقاضى أن يحكم بغرامة غير محدودة وبالحبس لمدة غير معينة وبالعقوبتين معاً . ويمتاز قانون القذف الانجليزى بشدته فى الغرامة عند ثبوت التهمة وبتقرير الحبس عقوبة فى أحوال نادرة

وهكذا عانى الصحفيون الانجليز فى معركة الحرية كثيراً من الآلام ، ولكنهم وصلوا فى النهاية الى حرية واسعة يغبطهم عليها الكثيرون من زملائهم فى البلاد الاخرى . وقد استقرت الآن فى هذه البلاد بشكل ثابت نظرية سقراط من قديم الزمان الذى قال : « قد يستغنى الناس عن حرارة الشمس ولكن لا يمكن ان تعيش جمعية بدون حرية الكلام » ونظرية ديموستين الذى قال : « لا يمكن أن يصاب شعب بكارثة أكبر من فقد حرية الكلام »

حافظ عفيفى

(١) راجع كتاب The Press تأليف السير الفرد ربنز ص ٥٧

عبرة الحرب في الجزيرة

بقلم الاستاذ عبد الرحمن عزام

قامت الحرب في الايام الاخيرة بين عاهلى الجزيرة العربية الملك ابن سعود ، والامام يحيى ملك اليمن . وقد تشاءم الناس بوقوع هذه الحرب ، وأخذ كل يتكهن بنتائجها السيئة . وفي هذا المقال يتحدث الوطنى الكبير الاستاذ عبد الرحمن عزام عن العبرة من هذه الحرب ، وأنها في مصلحة الجزيرة العربية أكثر منها في ضررها

قبل ربع قرن كان فى الغرب رجل مبعد عن مقر الخلافة والسلطنة العثمانية ، ولكنه لم يكن يشاطر المنفيين من رجال تركيا الفتاة آلام الحياة فى فزان بل كان والياً على ملك يمتد من حدود مصر الى تونس. ذلك هو المرحوم رجب باشا الذى دعى من منفاه فى ولاية طرابلس الى منصب وزير الحربية عقب الانقلاب التركى سنة ١٩٠٨

كان رجب باشا رجلا فذاً غريب الاطوار بعيد النظر فوقع أثناء ولايته حادث جرالى حرب طاحنة بين قبائل الزنتان والرجبان وأولاد أبى سيف. وكان بين يدى رجب باشا من الوسائل المادية ما يمكنه من منع الحرب أو ايقافها على الاقل كما أن له من النفوذ الادبى ما يعينه على عمل ما يريد ، ولكنه أبى أن يتدخل وواجبه — فضلا عن آمال الناس فيه — أن يتدخل . فعجب الناس من أمره وألحفوا فى سؤاله وهو لا يجيب. فلما جاء دور الاجابة عمل لانهاء الحرب واقرار السلم . ثم همس فى أذن الناس أنه أراد أن تتعلم هذه القبائل صناعة الحرب وأنه لذلك يأمل أن يكون الزنتان والرجبان وأولاد أبى سيف أعصى القبائل على الطليان وأمنعها فى الدفاع عن البلاد يوماً ما. ولم يعش رجب باشا طويلا ليرى كيف تحققت نبوءته . فان هذه القبائل استمرت فى الكفاح ضد الطليان عشرين سنة حتى خرجت من أوطانها مهاجرة الى الجزائر فى سنة ١٩٣٠

☆☆☆

هذا المثل ومافيه من عبرة جعلنى من أقل الناس تشاؤما من حرب الجزيرة العربية فى الشهور الاخيرة . فكنت لا أشاطر الناس كل الحسرة التى يبدونها . وكنت أقول لأصدقائى إن الحرب صناعة ولا بد لهذه القبائل العربية من ممارستها

والحقيقة أن الحرب فى ذاتها شر ولكن أسوأ منها الركود الذى أصاب اليمن والذى كنت أخشى أن يصيب النهضة السعودية . إن ماوصل الى علمى عن حالة اليمن كاد يجعل قدرها محتوماً فالامام قدقنع بادارة — كما يقال — غايتها كنز المال ووسيلتها الرهائن وحصر همه فى المحميات السبع أو التسع

وبقايا الادارسة في عسير ، بينما العالم يتمخض بحوادث أكبر مما حول اليمن ، وبينما ينذره السنيور موسوليني بايطاليا الجديدة ذات الرسالة العالمية وعلى الاخص فى آسيا وافريقيا

استمر الامام بن حميد الدين غارقاً فى محياته وادارسته وحوله مسترزقة يعرضون له الجيش المتوكلي تحت قصره ويظنون أنه أحب الجيوش الى الله وأقدرها على عباده . فاراد الله بلطفه أن تكشف الحقيقة على يد بعض عباده العرب بدل أن تكون على يد المستأجرين من الجند الصومالى والحبشى ، وهم أحسن أنصار الرسالة الحديثة الايطالية . وكان خيراً للاسلام والعرب أن جاء النذير من «الرياض» ، لاعبر البحر من « مصوع »

والآن لاشك أن إمام اليمن قد أدرك ان تنظيم الجيوش وتدريبها وقيادتها شيء آخر غير عرضها تحت قصر الامام للمتاع والتفاخر وإرهاب الرعايا . كذلك لابد أن يكون إمام اليمن قد أدرك ان إجارة الجند لاجل أو غير أجل ودفع مرتباتها ضئيلة أو عدم دفعها وتسليحها ببقايا عدة قديمة كانت تفتك فى اليمن فيما مضى من الزمن ، لا يغنى شيئاً ضد الغارات الحديثة

وأخيراً لابد للامام أن يعلم أن حكومته اذا لم تكن محبوبة من رعاياه فان الجند المستأجر لايضمن له السلامة متى وجد من يطالبه بالاصلاح . وانا نحمد الله على أن المطالب فى هذه المرة لم يكن من رسل الحضارة الاوربية

ثم إنا لنرجو كذلك للملك عبد العزيز أن يكون قد أدرك بفطنته مواضع النقص فى عدته وأحس الحاجة إلى وسائل الحرب الحديثة ليعمل على استكمالها . كما أدرك المقام المحمود الذى له فى نفوس المسلمين والآمال الصادقة التى استودعتها اياه الأمة العربية

ذلك هو بعض الدرس الذى القته الحرب على عاهلي الجزيرة العربية والذى كان لابد منه لسلامة هذه البلاد من الناحية العسكرية . أما من الوجهة السياسية فقد وضح للفريقين أن مطامع أجنبية ترمقهما شزراً وأنه لولا التنافس الذى دفع بعض الدول إلى التسابق لمياه الحديدة لكانت النتيجة شراً على اليمن من كل مايتصور أهل اليمن ، ولوجد الملك عبد العزيز نفسه بين أمرين لاثالث لهما : اما أن ينسحب من تهامة ذليلا ، واما أن يقبل حرباً لانهاية لها

فالعبرة واضحة لمن يعتبر فقد ثبت أن الجيش المتوكلي بحالته الراهنة لا يضمن سلامة داخل اليمن وعاجز قطعا عن حماية تهامة . وثبت كذلك أن الفتح السعودى كان يصبح أثراً بعد عين لولا التنافس الذى ظهر جليا فى مياه الحديدة وعلى صفحات الجرائد الأوربية . واذن عبرة هذه الحرب هى أن العرب لا يصح لهم أن يطمئنوا على حرية الجزيرة ولا يجوز لهم أن يبنوا آمالهم على دولة فيها حتى يخرجوا من هذه الحرب بحالة غير التى كانت عليها اليمن والمملكة العربية السعودية

فاما أن تترك الحرب إلى مداها وألا تستقر السيوف فى أغمادها حتى يكون المسئول عن سياسة

الجزيرة ممثلا فى حكومة واحدة ، واما أن تضع الحرب أوزارها على أسس سليمة أولها وأهمها وحدة الدفاع عن بلاد العرب . يجب أن ينتهى الأمر إلى مسئولية مشتركة عن سلامة كل البلاد السعودية واليمنية . هذا من الناحية العسكرية ، أما من الجهة السياسية فقد ظهر أن أحوال العالم تستلزم من اليمنيين والسعوديين توحيد مجهودهم السياسى الخارجى . فالأولون فى أشد الحاجة لمعين فى هذا الميدان ، والأخيرون لن يأمنوا سلامة أملاكهم ولا استمرار حسن الجوار ولا حسن العلائق مادام لليمن سياسة خارجية تتضارب مع السياسة العربية السعودية. فواجب الطرفين بل ضرورة الحياة لهما تستلزم توحيد السياسة الخارجية . وكل صلح لا يتضمن المسئولية المشتركة عن الدفاع عن البلاد العربية ولا وحدة السياسة الخارجية هو صلح أبتر يؤخر الكارثة إلى أجل قريب

فعلى العرب بل على المسلمين — ومن أخص هؤلاء وفد المؤتمر الاسلامى — ألا ينصحوا للماهلين بسياسة غير هذه السياسة وأن يجتنبوا الاسترسال فى سياسة العواطف والكلمات المنمقة من اهراق دماء المسلمين الى لمنة الفتنة . فما كان المسلمون ليحجموا عن اهراق دمائهم فى سبيل الحق والمجد . وكل تسوية مؤقتة تحمل فى جنبها بذور الشر وتترك الجزيرة العربية عرضة لمطامع الرسالة الرومانية الحديثة أو غيرها ، فهى شر على المسلمين من اراقة الدماء ، بل ان تصفية مستقبل الجزيرة من الآن أحسن عاقبة من تأجيله لان فى ذلك على الاقل تحويل العرب عن وضع آمالهم فيمن لا أمل فيهم

لقد كاد الناس يلمسون الأمبراطورية العربية التى تحدثنا عنها فى « هلال » مارس الماضى . وأخذ يبدو للجميع أن رجل الساعة قد ظهر وان الدولة العربية التى نحلم بها جميعاً على وشك الميلاد. فلينهض العرب اذن لتحقيق الامنية العزيزة وهى تكاد توضع بين أيديهم . وليفهم أهل اليمن أن أحداً لايريد شراً بالامام يحيى فهو رجل صادق الاسلام كريم المحتد. ولكن ليعلموا كذلك أن الامبراطورية العربية التى نصبو لرؤيتها مرة أخرى قد كان أجدادهم من أكبر بناتها. فليضعوا أيديهم مرة أخرى فى اقامة دعائمها ، وليلزموا أنفسهم وغيرهم بأن تكون سياسة العرب واحدة. أساسها أولا الدفاع المشترك عن ارض العرب جميعاً ، وثانياً وحدة العلاقات الخارجية مع الاجانب، وغايتها احياء الرسالة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم فسوى بين الجميع وجعلهم متكافلين متضامنين فى داخل نظام واحد ووراء غاية سامية لا خلاف فيها

عبد الرحمن عزام

أحمد جمال باشا

وزير البحرية العثمانية وقائد الجيش الرابع

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

كتب الزعيم السوري الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر في العدد الماضي لمحة عن نشأة أحمد جمال باشا وتربيته العسكرية والوظائف التي تقلدها ، وعرض لبعض القضايا التي رفعت عليه والتهم التي وجهت اليه منذ دخوله الجيش في مكدونيا الى أن خرج من بغداد . وفي هذا المقال لمحة أخرى عن حياته بعد قدومه الى سورية

كان قائد الجيوش العثمانية فى سورية قبل مجيء السفاح اليها زكى باشا الحلبي ، فلم ترقه خطة الهجوم على مصر بل أظهر للحكومة خطأها فى تجريدها حملة لهذه الغاية ، وبين لها العقبات الكأداء التي تعتور هذا المشروع المحفوف بالمخاطر ، ولا سيما أن الابل التي قدرها لهذا العمل رئيس أركان الحرب تتجاوز سبعين الف بعير ، ناهيك بالحاجات الاخرى التي لم يكن الحصول عليها متيسراً لكن الجرمانيين وقد أرادوا مشاغلة الحكومة البريطانية لتخفيف الحمل عن عاتقهم أصروا على تنفيذ الخطة التي رسموها على الخريطة نزهة و شتوية ، وما زالوا يسهلون لفتيان الاتحاديين السبيل حتى ألقوا الجيوش العثمانية فى تيه من الرمال أضاعت فيه صوابها . وحاشوها بعد ما كانت بعيدة متفرقة كما تحاش الغزلان الى الحبالة لتكون فى متناول المقذوفات البريطانية من ترعة السويس . لاجرم أننا نرى الضباط الجرمانيين الذين جاءوا من بلادهم للمشورة الحربية يقدرون الابل الضرورية بأربعة آلاف بدلا من سبعين الفاً . أما زكى باشا فما زال مصراً على رأيه مصرحاً بما هداه اليه العلم حتى أخرج من سورية بحجة أن يكون معتمداً لدى الامبراطور غليوم ، وحل فى مكانه احمد جمال باشا حاملا لقب قائد الفيلق العثمانى الرابع وناظر البحرية العثمانية بعد ماستر بطول لحيته قصر جسمه وبحسن بزته سوء نيته . وحمل معه أعواناً واستصفى أذناباً لا يقلون عنه شراً . ومما يدل على عقم الحملة على مصر أن على فؤاد باشا رئيس أركان الحرب فى جيش جمال باشا لما رد على القيادة الالمانية فى تهمتها الشرقيين بالاحلام قال : « وهل هناك حلم أسخف من حلم هذه الحملة العقيمة ؟ »

هبط السفاح سورية فى أواخر سنة ١٩١٤ فتظاهر فى أول الأمر بتأييد النهضة العربية وما يستلزمها من الحقوق القومية حتى انه صرح من إحدى الشرف فى فندق « داماسكوس بالاس »

بأعلى صوته أنه لا يتنزل الى قبول القيادة فى بلاد لا يطالب أهلها بحقوقهم القومية

ثم عقدت له حفلة فى أحد الاندية فى دمشق فى أوائل سنة ١٩١٥ حضرها فيمن حضر من الرجال الشيخ عبدالعزيز شاويش . فصرح السفاح على رءوس الاشهاد بأنه الصديق الصدوق للعرب . ثم استطرد الى ذكر الحرب العالمية فقال انه هو الذى فاتح سفير ألمانيا بدخول الدولة العثمانية الى جانب الدولتين المركزيتين . وكثيراً ماردد فى أحاديثه الخاصة لبعض أصحابه من السوريين قوله انه هو الذى أصر على مصالحة فتيان العرب وعلى عقد تلك المعاهدة المعلومة معهم وارسال مدحت شكرى بك إلى باريس لمفاوضة أعضاء المؤتمر العربى الذى عقد فيها فى سنة ١٩١٣ برياسة السيد عبد الحميد الزهراوى

إنى لا أزال أذكر تلك الحفلة جيداً لانه كان من نصيبى أن أكون فيها خطيباً فأقدم للستمعين الشيخ عبد العزيز شاويش ، وهى حفلة كبراعة الاستهلال تدلنا بجلاء على شىء مما كان يدور فى خلده فى تلك الساعة ، لانه لما ظهر فيها فتياننا من صغار الضباط بالمظهر العربى اللائق وأنشدوا : « نحن جند الله شبان البلاد نكره الظلم ونأبى الاضطهاد » تنكر لهم فأمر فى اليوم التالى ببعثرتهم خارج دمشق فى « سينا » وفى غيرها من الجبهات الحربية ، ثم استدعانى اليه بواسطة « صديقه » الذى شنقه فيما بعد السيد عبد الكريم قاسم الخليل ، وأظهر لى رغبة أكيدة فيها شىء من الاحراج لأكون حاكما على العقبة « بالنظر الى خطورة موقعها الحربى » . فادركت حالا الدسيسة وهى اقصائى عن العاصمة العربية كما أقصى الضباط المذكورين . وزادنى قناعة أن الوالى خلوصى بك - وهو من أشرف الولاة الترك وأصدقهم - رآنى ورأى بعض اخوانى فى اليوم التالى فقال على سبيل المزاح : « أين جند الله ؟ » إشارة إلى ما عمله السفاح من إقصاء جنود العرب . فلو قبلت السفر لربما كان نصيبى أنه يمهلنى فى العقبة شهرين أو ثلاثة حتى إذا جرت ريح الحرب بما يشتهى الالمان وحلفاؤهم نشر فى الصحف مثلا أن الاسطول البريطانى ضرب العقبة بالتآمر مع حاكمها فأساق الى الديوان العرفى بهذه التهمة الكاذبة غير مأسوف على . ولكننى وقد نجوت من هذه الاحبولة تحتم على من بعد اعتذارى عن قبول تلك الوظيفة أن أقابله بالشكر على قوله : « إذن أنت طبيبى الخاص فستبقى معى فى المقر العام »

والذى لابد من لفت الانظار اليه هو أن السياسة النهائية التى أراد اتباعها لم تكن قد تقررت فى ذهنه بعد . فاذا كانت بعثرة تابور « الخدمة المقصورة » الذى أشرنا اليه ، ومحاولة اقصائى واقصاء اخوانى نذيراً من جهة واحدة ، فان الغارات التى كانت تشنها الاساطيل البريطانية على الدردنيل فتدك استحكامات قلعة « سد البحر » و « اتافورطه » كانت من جهة أخرى باعثاً عظيما يحمل السفاح - وهو من أشد المستفرصين - على التفكير العميق فى المصير . لانه من غير شك كان يطمع - فيما إذا اكتسح الاسطول البريطانى الدردنيل - فى نوع من الملكية على

سورية وجزء كبير من باقى الاقطار العربية والاناضول تحت حماية الحلفاء . وربما كان اطلاع عبد الكريم قاسم الخليل على هذه المؤامرة وتفرعاتها سبباً فى شنقه فى جملة من شنق من فتيان العرب فى شهر آغسطوس سنة ١٩١٥ ، وقد ذكر بعض الذين سمموا هذا الشهيد وهو ذاهب الى المشنقة انه قال : « ان من مصلحة جمال باشا الشخصية أن يقتلني ليدفن فى قبرى ما اعرف من أسراره » . وأشهد أن وحدة الحال التى كانت بين هذا الشهيد وبين السفاح شيء يتجاوز الصداقة الاعتيادية كما سيتبينه القارىء فيما بعد

ساق الجيوش العربية السورية إلى (سينا) بعدما استرضى بالوظائف بعض الأدباء والخطباء والكتاب من أبناء العرب واستصحبهم فى أسفاره ، ولما حصلت الغارة على (ترعة السويس) فى اليوم الثانى من شباط ـ فبراير ـ سنة ١٩١٥ صف وراء الجيوش العربية وعلى بعد منها فرقتى (أزمير) و (كركوك) وأمر قوادهما أن يرموا بالرصاص أبناء العرب إذا ما تراجعوا

صمد العرب فى موقفهم على الضفة الشرقية الى أن حصدتهم المدافع من الترعة ومن الضفة الغربية ، ومن بقى منهم حياً وقع فى الأسر وسيق الى (المعادى) على بعد أميال من القاهرة. فأحدث هذا الانكسار خيبة عظيمة من بعد تلك الآمال الكبيرة ، ثم اخذت الروايات المتنوعة تشيع على الألسنة بأن جمال باشا وقع تحت طائلة العقاب لتهاونه وأنه سيق الى الاستانة مصفداً بالاغلال . وهنا أستميح القراء عذراً فأذكر لهم هذه الحادثة الشخصية لما تم عليه ، فقد أثرت فى كبريائه هذه الاشاعات تأثيرا كلياً حرمه لذيذ النوم ، ولا يبعد أبداً أن يكون الوالى خلوصى بك قد بالغ فى رواياتها له لما فى قلبه من الحزازات من أعمال السفاح ، خصوصاً استبداده بالأمر واهماله الموظفين الملكيين وتدخله فى جميع الاعمال بما أساء الى البلاد وزرع الحفائظ فى قلوب الرعية ، واذ كان الحال كما ذكرت جاءنى الطلب من الوالى ، فقص على ما فى نفس جمال باشا من الهياج والغضب بسبب هذه الاشاعات ، وأنه اقترح عليه أن أعمل شيئاً لتهدئة الافكار . وفى اليوم التالى أخذت برقية من جمال باشا يطلبنى الى القدس حالا ، فقررت السفر وذكرت ذلك لصديقى « وصديقه » ! عبد الكريم قاسم الخليل فقال سأكون رفيقك فى هذا السفر فقلت على الرحب والسعة

وفى أثناء السفر بالقطار الى القدس فى أواخر الاسبوع الاول من شهر نيسان ـ ابريل ـ سنة ١٩١٥ التقينا بشكرى افندى الالوسى فقيه العراق ونعمان افندى الاعظمى والرئيس بكر بك فقصوا علينا خبر المهمة التى أرسلهم بها السفاح الى ابن سعود ليستنفروه الى الجهاد ويستميلوه الى جانب الدولة بانواع المغريات وكيف أخفقوا . ذلك ان ابن سعود أصر على موقفه فى اعتبار المتحاربين من الوجهة الدينية سواسية . بل قال انه يجوز له أكل ذبيحة الانكليز لانهم أهل كتاب ولا يجوز له أكل ذبيحة ملاحدة الاتحاديين لانهم مرتدون

بلغنا القدس فى نحو اليوم العاشر من نيسان ـ ابريل ـ فدخلنا على السفاح فى العمارة الالمانية المعروفة ـ اوغوسطا فيكتوريا ـ فوجدناه فى حالة ذهول واضعاً يده على خده والكآبة بادية على وجهه . فافتتح الحديث المرحوم عبدالكريم قاسم الخليل بقوله : « نه دوشونيورسكز باشا ؟ » وغير ذلك من الكلام الدال على وحدة الحال وزوال التكلف . وكانت الحال فى الدردنيل متقلقلة لا يستطاع الحكم على مصيرها ، وان كانت الضربة التى كالها العثمانيون للحلفاء قاسية من حيث المدرعات التى أغرقوها . ولكن الحلفاء كانوا عازمين على جعل الدردنيل حراً فى تلك الايام بما أذاعوه على الملأ من المنشورات التى أعلنوا فيها أن ابواب الدردنيل ستفتح فى خلال الاسبوع للبواخر . وقد تبين لى من مجرى الحديث أن السفاح كان فى حيرة لا يدرى ماذا يعمل ، غير أن الدعاية التى بثت عليه فى سورية ووصلت أخبارها اليه مبالغاً فيها أقضت مضجعه فأراد أن أساعده على إطفاء جذوتها . والمهم من جميع هذا الحديث أن إخفاق الحلفاء من بعد ما ملأوا الدنيا صياحاً بالاعلان عن عزيمتهم على فتح الدردنيل للملاحة الحرة غير فى الوضعة التى كان عليها السفاح ، فتنمر من بعد ذلك الهبوط والاعياء وأخذ يظهر على الدولة غيرة لا تتفق مع الاخبار التى ذاعت عن مطامعه الشخصية فى بلاد العرب وتشجيعه الناس فى سورية حيناً حل على المطالبة بحقوقهم ، وأنه يأبى أن يكون قائداً فى البلاد العربية إن هى لم تلاحق قضيتها وتطالب بحقوقها القومية المقدسة . وبدهى أنه عقب هبوطه دمشق فى دسمبر سنة ١٩١٤ واطلاعه على الاوراق التى سرقها الشنطى من حزب « اللامركزية » فى القاهرة وسلمها لسفير الدولة العثمانية فى أثينا ، ومعظمها صور رسائل تهويش بامضاء حقى بك العظم ومن غير اطلاع معظم أعضاء اللامركزية عليها ، وحصوله على الوثائق التى تركها القنصل الفرنسى فى بيروت (قصداً غالباً) ، كل ذلك دله على ما زعم أنه من المسائل السياسيـــة الجوهرية فى بلاد العرب . وما أخره عن الايقاع بالناس إلا غموض الحالة العامة . ونحن إذا استثنينا تشهيره نخلة باشا المطران فى شوارع دمشق ثم قتله إياه فى جهات (جرابلس) ـ وهو ما يفسر بنجاح الالمان فى البلجيك واكتساحهم شمالى فرانسة ـ نستطيع أن نقول إجمالا إن كل فتكه بالأحرار العرب وأمره بتعذيب أهلهم وذويهم ، وبطشه بالآمنين المطمئنين ، كان يسير مع انتصار الدولة حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل . فالقافلة الأولى من الشهداء ذهبت إلى عاليه مثلا عقب إخفاق الحلفاء فى الدردنيل ، والثانية ذهبت إلى المشانق عقب انكسار الانكليز فى العراق واستسلام الجنرال (تونزند) وجيشه فى كوت الامارة

(للكلام بقية) عبد الرحمن شهبندر

أقدم الرواد في العالم
هم المصريون أهل ايلفنتين

بقلم الاستاذ عبد القادر حمزة

كل من يقرأ تاريخ مصر القديم يجد ارتباط مصر بالسودان مستمراً فى جميع العصور. وذلك أن المصريين لم يكادوا يشعرون بأنهم نظموا شؤونهم الداخلية وأقاموا فى مصر العليا ومصر السفلى ملكا قوى الدعائم حتى تطلعت أنظارهم الى وراء حدود بلادهم. وكان من الطبيعى حينئذ أن يتجه تطلعهم إلى الاقطار التى يأتيهم منها النيل قبل أن يتجه إلى أقطار أخرى. ولهذا فتحوا النوبة وحكموها وكان من وزراء مصر فى بعض العصور وزير يسمى «حاكم النوبة».

ولم يكتف المصريون بان يفتحوا النوبة ويحكموها كما كانوا يحكمون إمارات فلسطين وسورية ونهر الفرات. بل لقد نزح اليها منهم من استعمروها ونقلوا اليها الديانة المصرية، والعادات المصرية، والأنظمة المصرية، حتى لم يكن يصح أن يقال إلا أنها جزء من مصر. وربما كانت النوبة هى البلاد الوحيدة التى مصرها المصريون هذا النوع من التمصير

وقراء التاريخ يعرفون أيضاً أن هؤلاء المصريين من أهالى النوبة أغاروا على مصر حينما ضعفت شوكة الفراعنة وحكموها حقبة قصيرة من الزمن

فارتباط النوبة بمصر لم ينقطع فى عصر من العصور، وأهالى النوبة هم من أصل مصرى. ولهذا لم يكن غريباً أن نجد لهذا الارتباط القوى أثراً - بل آثاراً - فى الدفائن التى يعثر عليها كل يوم فى مصر والنوبة معاً. ومن حسن الحظ أن من هذه الدفائن ما يكشف لنا عن الخطوات الأولى التى خطاها المصريون فى اتجاههم الى السودان. وهى خطوات لم يكونوا فيها فاتحين تؤيدهم فى فتوحاتهم الأسلحة والجيوش، بل كانوا رحالين رواداً يرودون الاقطار التى يأتيهم منها النيل، كما يرود العلماء الآن الأقطار المجهولة. وقد ترك لنا بعض هؤلاء الرواد المصريين قصصهم، وحكوا لنا ماذا فعلوا، وأى تجارة جلبوا، وقد عاشوا فى زمن الاسرة السادسة أى من نحو ٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد، فهم أقدم من يعرفهم العالم من الرواد طلباً للعلم والتجارة.

وهؤلاء الرواد هم من أهل ايلفنتين التى تعرف الآن باسم جزيرة أسوان. وقد وجدت قبورهم ووجدت فيها نقوش تدل على رحلاتهم فى النوبة. وأحدهم يسمى «هير كوف». وهو يقول لنا فى قصة حياته إنه كان يعيش فى عهد الملك ميتزوفيس الاول (هذا الملك يسمى أيضاً مرنرع)

ففى السنة الخامسة من حكمه جاء الى ايلفنتين فوفدت عليه وفود من القبائل الضاربة فى الصحراء وهى قبائل واوايتو ومازايو وايريتيت وقدموا له الطاعة فحفزه ذلك الى ارسال بعثة ترود البلاد المحاذية للنيل ، فوقع اختياره لهذا الغرض على هيركوف ووالده . وهنا يقول هيركوف :

« أرسلنى جلالة الملك مع والدى « ايروى » الى بلاد « امامى » لفتح الطريق اليها . فقمت بهذه المهمة فى سبعة أشهر وعدت من بلاد « امامى » بكل أنواع العروض فكوفئت على ذلك بالثناء العظيم »

وبعد ذلك بقليل عاد هيركوف الى الرحلة مرة ثانية . ولكنه رحل فى هذه المرة وحده . قال :

« خرجت من ايلفنتين فسرت الى بلاد «ايريتيت» ثم الى بلاد « ماخير » ثم « دار-ريزى » التابعة « لايريتيت » فامضيت فى ذلك ثمانية أشهر وحملت من هذه البلاد من عروض التجارة ما لم يسبق لغيرى أن حمله منها الى مصر . وسرت فى أراضى أمير «سيتو» التابعة لشعب ايريتيت فاجتزتها . وهذا عمل لم يتفق مثله لرئيس من رؤساء القوافل الذين خرجوا من قبل الى بلاد امامى »

ولم تنته بهذه الرحلة رحلات هيركوف لانه يقول لنا بعد ذلك :

« وأمر جلالة الملك أن أرحل مرة ثالثة الى بلاد امامى فخرجت من ايلفنتين الى الواحة فوجدت أمير أمامى يسير الى أرض « تيميهو » فى الزاوية الغربية من السماء ليحارب أهلها . فسرت معه الى أرض « تيميهو » ووصلت اليها وخدمته خدما جملته يشكر جميع آلهة فرعون ... وهكذا كسبت قلب أمير امامى وجبت بلاده من ايريتيت الى اطراف سيتو . فوجدت امير ايريتيت ، وسيتو ، واهل أواويت ، يعيشون فى سلام . وكنت امير ومعى ثلثمائة حمار محملة مواد ذكية الرائحة وابنوسا وعاجا وجلود وحيد القرن وجلود النمر واشياء اخرى كثيرة من أنواع العروض التجارية الثمينة »

ويقول هيركوف انه فى رحلته هذه كان معه حراس مصريون يحرسونه وكان معه مساعدون له من بلاد أمامى . أما الحمير التى معه فقد إشتراها من مشايخ بلاد ايريتيت كما اشترى منهم الثيران والمأكولات التى احتاج اليها هو ورفقاؤه فى أثناء رحلته

ولما وصل هيركوف الى حدود مصر احتفل الملك باستقباله احتفال من يقدر رحلته . قال هيركوف :

« وأرسل جلالته لمقابلتى السيد أونى على سفينة محملة حلوى وأشياء طيبة وجعة » (١)

(١) أول من عثر على هذه القصة فى قبر هيركوف وترجمها هو العالم الايطالى شيا باريللى E.Schiaparelli فى سنة ١٨٩٢ . ثم عثر من بعده العالمان مورجان M. Morgan وبوريان M. Bouriant على قبور أخرى فيها قصص دلت على أن اصحابها كانوا هم أيضا رواداً مثل هيركوف

ومما يجب ألا يفوتنا هنا أن قبر السيد أونى الذى يذكره هيركوف قد كشف وان صاحبه ترك فيه كتابات حكى فيها قصة طويلة لحياته وللمناصب التى تقلب فيها . وقد دلت هذه القصة على ان أونى صار مديراً لقصر الملك فى عهد بيبى الثانى الذى خلف ميتروفيس الأول . وهذا معناه ان أونى حينما كلف استقبال هيركوف كان من كبار الموظفين الملحوظين بعين الرعاية الملكية ، ولهذا رأى هيركوف فى اختياره لاستقباله شرفا عظيما ، ثم رأى ان يسجل هذا الشرف فيما يكتبه عن نفسه

وهذا الذى كتبه هيركوف ظاهر الدلالة على أن فراعنة مصر كانوا فى عصر الأسرة السادسة وقبل ذلك أيضا يعنون بايفاد البعثات الى النوبة ليكشفوا بلادها وناسها، ثم ليجلبوا منها عروض التجارة . وكان للمصريين شغف بعروض معينة يجلبونها من النوبة أهمها المواد ذات الرائحة الذكية والعاج والأبنوس وجلود الحيوانات المتوحشة . وكان الرواد المصريون يقضون فى هذه الرحلات أزمنة طويلة بدليل أن هيركوف قضى فى واحدة منها سبعة أشـــهر وفى أخرى ثمانية أشهر

ولا تعرف الآن هذه الاسماء التى ذكرها هيركوف للبلاد والقبائل . ولكن من المرجح انها لاتتجاوز دائرة النوبة الى الشلال الرابع . ويقول العالم ماسبيرو : إن «ارض تيمبهو» التى قال هيركوف انها «فى الزاوية الغربية من السماء» هى بعض واحات الصحراء (١) . وانما جعلت السماء هنا اساسا للتحديد لأن عامة الشعب كانت تعتقد إذ ذاك أن النيل يأتى من السماء

ويلاحظ أن هيركوف كان يستخدم الحمير ، ولهذا كانت قافلته مؤلفة فى رحلته الثالثة من ثلثمائة حمار وذلك لأن الجمل الذى يسمى «سفينة الصحراء» لم يكن معروفاً فى مصر والنوبة فى ذلك الوقت . ولم تكن الخيل معروفة فيهما أيضا

* * *

وهل كان هيركوف وأبوه أول الرواد الذين ارتادوا النوبة ثم عادوا منها بالمعلومات العلمية وبعروض التجارة ؟

كلا فان فيما كتبه هيركوف نفسه مايدل على أن رواداً مصريين آخرين سبقوه بنحو مائة سنة (فى عهد الاسرة الخامسة) واراد لهم حسن حظهم أن يعثروا بقزم كان يسمى « دانجا » فلما عادوا به الى مصر فرح به فرعون واتخذ منه مسلياً له فى مجالس انسه . وكان «دانجا» هذا بارعا فى رقص الزنوج وفى الاتيان بحركات مضحكة فكانت تسليته للملك تجعل من وجوده فى القصر قنية ثمينة . ثم مات فبقيت ذكراه عالقة بالفراعنة وصار العثور على الاقزام التى من نوعه من أهم اغراض الرواد المصريين الذين يرتادون النوبة

(١) كتاب Causeries d'Egypte ص ١٩

وشاء الحظ الحسن لصاحبنا هيركوف أن يرحل الى النوبة مرة رابعة فى عهد بيبى الثانى وان يعثر فى رحلته هذه بقزم كالقزم دانجا وان يقتنصه ويعود به الى مصر. فاسمع الآن ماذا يقول لنا هيركوف فى ذلك.

يقول لنا فى قصة طويلة انه أرسل الخبر الى الملك فجمع الملك وزراءه ثم اصدر امراً اسبغ فيه على هيركوف القابا وهدايا، ثم طلب منه أن يحضر اليه بالقزم على جناح السرعة. وخاف الملك ان يفلت القزم من هيركوف فى الطريق فاصدر اليه الأمر الآتى:

«وحينما يركب القزم السفينة معك اجعل عليه حراساً يقظين فى كل جانب من جوانب السفينة لئلا يسقط فى الماء. وحينما ينام فى الليل اجعل حراساً يقظين ينامون معه فى فراشه. وبدلهؤلاء الحراس عشر مرات فى الليلة»

وكانت هذه السفينة التى ركبها هيركوف والقزم سفينة أرسلها الملك لنقلهما. واصدر الملك أوامر الى جميع رجال الحكومة بأن يقدموا للسفينة وركابها المؤونة الكافية طول الطريق

* * *

فاهل اقليم اسوان هم على هذا اقدم من يعرفهم العالم من الرحالين الرواد. وفراعنة الأسرتين الخامسة والسادسة هم اقدم من يرى العالم فيهم ملوكا مشجعين على الرحلات العلمية والتجارية فلنعرف نحن ابناء مصر الحديثة هذا الفضل العلى لمصر القديمة

عبد القادر حمزة

شجر يمشي

ما نحن إلا شجر جذوعه مقطعه
يمشى لغير غاية وليس يدرى مصرعه

طاهر الطناحى

رواد النهضة الادبية الحديثة *

بقلم الاستاذ خليل مطران

سيداتى : سادتى

اللجنة التى دعوتكم باسمها ، قوامها فريق من الأدباء وفريق من المتأدبين

أدباء تبينوا أن لهذا الشرق رجالا عظماء ، طلعوا فى سمائه طلوع النجوم الزواهر فى المائة الأخيرة من السنين ، وكان منهم على الأخص أعلام للبيان ممن يتيه بهم زمانهم على كل زمان ، فتخرمتهم المنايا ، لم ينصف الاكثرون منهم فى حياتهم ولا بعد مماتهم ، وظفر الاقلون منهم ببعض ما يحق لهم من الرعاية ، إما قبيل رحيلهم من الدنيا ، وإما على أثر رحيلهم ، ثم أسدلت الحجب على أعيانهم وعلى آثارهم ، فما نطالع عنهم شيئاً إلا عرضاً ، وما نسمع عنهم شيئاً إلا عرضاً ، كأنهم لم يكونوا منا ، وكأن أناساً غيرنا هم المسئولون وهم المتفعون باحياء ذكرياتهم وتخليد صورهم وسيرهم

فعز على أولئك الادباء الذين أشرت اليهم ألا ينبرى أناس من أرباب الاقلام والالسنة المعاصرين لأداء هذا الواجب الذى أغفل عن غير بينة بما فى تركه من الاساءة الشديدة إلى الكرامة القومية ، ومن التفريط فى تنشئة الحاضرين والآتين على سجايا أمجادنا الماضين ، واتفقوا على أن يبدأوا بأعلام الادب ، فيجعل كل منهم واحداً من أولئك الاعلام موضوعاً لمحاضرة يلقيها فى هذا النادى

وأما المتأدبون من أعضاء هذه اللجنة فزمرة كريمة من خريجى مدرسة عنطورة ، تعاهدوا على تصريف شعورهم الوطنى الصادق فى هممهم الفتية النفاذة للقيام بكل ما يقتضيه من المجهود إعداد وسائل النظام والروعة للحفلات التى ستلقى فيها تلك المحاضرات

وانى باسم هذه الجماعة من الادباء والمتأدبين لأرى من الواجب بادىء ذى بدء أن أثنى أطيب الثناء على حضرات السادة الاماثل المضطلعين بادارة النادى الشرقى لما تفضلوا به علينا من المؤازرة القيمة التى ستمكننا من أداء مهمتنا فى أحب مكان وتحت أسمح رعاية

أما موقفى الآن للتحدث اليكم ، فما الغرض منه إلا أن أجعل نصب أعينكم البرنامج الذى وضعته للسلسلة التى ألمعت اليها آنفاً من محاضرات ستكون وسيلة متصلة لأمرين نحو نهما : الأمر الأول هو أن تعرض عليكم صور أكابر العاملين فى النهضة الأدبية العربية منذ بدئها فى هـــذا

---

* ألقيت هذه المحاضرة النفيسة في النادي الشرقي بالقاهرة

العصر ، أى منذ قرن على التقريب ، وبالطبع قدعنيت بالصور ترجمة الحال لكل منهم وبيان أعماله وآثار بيئته فيها وسائر ما يهم الوقوف عليه من شئونه الخاصة والعامة

والامر الثانى أن تسمعوا نخبة يصح أن نعدها من خيرة الخلف لذلك السلف يتعاقبون على هذا المنبر ويذكرون لكم بألسنتهم الفصيحة وأساليبهم المتنوعة كل مفيد ومفكه من أنباء أولئك العظماء

قلت إنى وضعت البرنامج ، ولكن أرجو ألا يسبق إلى أذهانكم من نطقى بضمير المتكلم ، أن لى أدنى فضل فيه أو فى الدعوة إلى المهمة المرتبطة به أو فى العمل لها بأكثر من أنى أجبت دعاء من دعا لالقاء هذه الكلمة التمهيدية ـ وانما الفضل الاكبر فيما نوينا وسنقوم به ، أنا وأولئك الزملاء ، يرجع إلى روح لطيفة نقية فياضة قوية متشبعة بحب الشرق الذى هى منه ، متفانية فى الاخلاص لكل من ينتمى اليه ، روح متمثلة لدينا فى أبرع مثال من الجمال ، ومحققة فى سيرتها بيننا غاية ما تتمناه من الفضائل للمرأة الادبية الحصيفة الحرة الشمائل . أفلم تتبينوا من هذه الاشارة أن الموصوفة بها هى « مدام خير » ؟ أجل هى مدام خير التى تفكر ليل نهار فى قومها ومفاخر قومها ، وتنفق ما يشاء الله من عزيمتها فى كل ما يجلب لهم عزاً أو يدفع عنهم ذلا ، وتنتهب من أوقات واجبها لاسرتها وواجبها لنفسها فرصاً تهبها لكل خدمة وطنية شريفة، مستمدة لذلك إرشاد قرين رصين حكيم ، ومعتزة بعون شريك لها فى الحياة يمنح المساعى الحميدة من عنايات شريكته ما يضن به سواه ممن يقدم الخير الخاص على الخير العام . فالى هذين الصديقين الكريمين أهدى ما هما حريان به من خالص الشكر

أما العلماء والادباء الذين ندبوا لاعداد هذه المحاضرات ، فانتدبوا بلا تردد لمعاناة تلك المشقة الكبيرة لا من أجل ما يصحبها من اللذاذة أو الفخر ، بل من أجل ما ينجم عنها من الفائدة الشاملة . فلعلهم بالعون مايريدون من سد تلك الثلمة الشائنة الواسعة المدى بين حاضرنا وماضينا القريب

عفواً يا سيداتى وسادتى اغتفروا لى خشونة اللفظ . إن تلك الثلمة لشائنة كما وصفتها . وانها بقدر ذلك لضارة . وأى ضرر أبلغ من أن تكون أمة لايكاد يتصل عتيدها بعهيدها حتى تنقطع الصلة ويصبح أمس الدابر كألف عام غابر

ان وشك النسيان وسرعة السلوان هما آفة آفاتنا فى الشرق . ومعاذ الله أن أقول انهما من أصل الفطرة . فلقد اذكر ولقد تذكرون ما كان من حرص العرب على مفاخرهم فى الجاهلية وفى صدر الاسلام الى أن بدأ عهد الانحطاط الطويل العريض الذى فعل بنا أفاعيله بعد ذلك فى مدى يناهز الف سنة :

فى الجاهلية كان لا يموت ميت من أبطالهم أو شعرائهم حتى يبعث الف بعث ويصور فى الف صورة فما تغفل جولة جالها وما تفقد كلمة قالها

وفى صدر الاسلام الى القرن الرابع أو مابعيده لم تضيع مفخرة ـ وان قلت ـ من مفاخر العهدين جميعاً . وربما ملكت الحماسة نفوس المعجبين بأبطالها وشعرائهما وأدبائهما فما تورعوا أن يضيفوا محامد الى محامدهم.وكثيراً ماباعدت هذه الحماسة بين الاصل والنقل لافى الوقائع المحكية بل فى الاقوال المروية . فلئن لم تزدها جمالا لقد أريد بها ولا مراء أن تزيدها فى النفوس عظماً وجلالا

وكان من دواعى الاسى لنا نحن أهل هذا الزمن أن الاسلوب الذى جرى عليه أولئك المتقدمون فى الترجمة للابطال والشعراء والادباء . لم يدركوا فيه معنى التحقيق والتدقيق فى امر المناشىء واثر البيئات وذكر العوامل المفرقة بين مقومات شخص ومقومات آخر ، كما ندرك ذلك فى أيامنا ، فاغفلوا شئوناً لم يخطر لهم تدوينها لظنهم أن مألوفاتهم فى السكنى والكساء والمعايشة والمعاشرة باقية على الدهر كما هى بلا تغيير ولاتبديل . وهذا الاغفال قد ترك لنا فراغاً واسعاً يصعب على الباحثين منا أن يصيبوا فى اشتات الكتب ما يسدونه به . ولو شئت لضربت لكم أمثالا لا تحصى على ما كان من شدة كلف العرب فى ذينك العهدين بحفظ أسماء الابطال والشعراء والادباء منهم، وبابقاء رسومهم حية فى قلوبهم وبترديد ما اثر عنهم سواء فى ذلك ماجل وما دق من الاعمال او الاقوال

على ان هذه المحادثة لا تتسع الا للعبارة الموجزة او الاشارة العاجلة . وانما اردت من بدئها ان اثبت لديكم بايجاز ان تناسى العظماء منا بعد مفارقتهم للدنيا فى امد قصير او طويل لم يكن خلقة فينا بل قد طرأ بعد عهد الانحطاط وقد اصبح بحكم التقادم شبيهاً بالخلقى ويا للأسف

فالآن يريد فريق من كهولنا اولى الروية ومن فتياننا ذوى الحية ان يتغلبوا على هذه الروبة المتغلبة على طباعنا، وان ينتصفوا من اثرها السيء لافذاذ ونوابغ من بنى هذه الحقبة الاخيرة احسنوا الى امتهم ايما احسان يبعثهم الادب العربى وتفانيهم فى اضافة مجد حديث الى مجده العتيق . ويعتقد اولئك الاخوان بحق ان ما فاتنا من قبل ينبغى ألا يفوتنا من بعد وهم مصدقون لقول من قال ان الانصاف بطىء ولكنه يجىء. فما اجدرهم ايها السادة باقبالكم عليهم وحسن مؤازرتكم لهم

لم يكد الربع الأول من القرن التاسع عشر ينقضى حتى بدأت حركة ادبية مباركة

بدأت متساوقة فى مصر وفى الشام ، ولكن المهيئات لها والممهدات لفلاحها كانت مختلفة اختلافا كبيراً بين الواحد والآخر من هذين البلدين بل بين الولايتين فى القطر الواحد على ما سترون

فاما فى مصر ، فالامة كما تعلمون كانت تتكلم العربية ، لم يكلفها حكامها من الاتراك تعلم لسانهم ولا هى وجدت من البواعث ما يحدوها على تعلم ذلك اللسان . ومعظم الذين ولوا الامور فيها كانوا يخاطبونها بلغتها وندر فيهم من يلجأ إلى التراجمة ، ولكن الأمية كانت فاشية الى اقصى حد ، وعز أن توجد ، إلا فى بعض المدن أو القرى الكبيرة ، كتاتيب يلقن فيها الاطفال شيئاً من الدين ويعلمون اوليات القراءة والكتابة والحسابة . وفيما عدا ذلك كان خريجو الازهر هم الذين يسمعون الناس فى صلوات الجمع أو مناسبات أخر،عظات وارشادات لا تتفوق بعباراتها إلا قليلا على العامية المتداولة .وتلك العامية لم أعد الحقيقة فى وصفها حيث قلت من خطبة سابقة: «ان العجمة والركاكة المتشبعة بخليط لاوصف له من الرطانات والكلمات المنحرفة بمدلولات جديدة عن أصل مدلولاتها ، كانت الاداة الغريبة التى يتفاهم بها القوم نطقاً وكتابة»

فلما استتب الامر لمحمدعلى الكبيرمؤسس الاسرة المالكة وشاع فى الامة شعور بانها أصبحت دولة مستقرة ، لا ولاية مستباحة ، وان لها وجوداً ذاتياً ظاهرته الاولى لغتها العربية ، وان المهيمن عليها قد شرع فى تبديد ماعم وتلبد من غياهب الجهل لتتبين تلك الجماهير التى شملها سلطانه انها بدأت تكون شعباً بمميزاته واستقلاله عن الشعوب الاخرى ، ولما أرسلت البعثات الى الغرب وشيدت دور للتعليم وبدئت الاعمال التى تجلب الرفاهة وتجلب معها شيئاً من النزوع الى التنور والتفقه ، دب دبيب الحياة فى النخبة القليلة من المتعلمين يومئذ وأخذت تباشير النهضة تظهر متتابعة فكل ما احاط بها من العوامل لم يخل من تنشيط لها وترغيب فيها

فاما الذين جاءوا فى طليعة أرباب الاقلام يومئذ فهم : الشيخ حسن العطار ، الشيخ حسن قويدر ، محمد سيد احمد باشا ، رفاعه بك رافع الطهطاوى ، رجال مدرسة الالسن ، ثم طرأت دون اطراد السير إلى الأمام وقفة لم تجاوز مدتها مدة عباس الأول وسعيد . فلما تولى اسماعيل استأنفت النهضة نشاطها وذاعت فيها اسماء الشيخ محمد شهاب الدين ، عبد الله فكرى باشا ، على مبارك باشا ، السيد على الدرويش ، ابراهيم بك مرزوق ، محمد فنى ، الشيخ على أبى النصر ، الشيخ عبد الخالق الزرقانى ، بين ناثرين وشعراء . على ان بعض هؤلاء ادرك زمن توفيق وفى عهده قويت النهضة . ثم اطردت الى اليوم بارزة بها - بين الذين توفوا الى رحمة الله - اسماء الشيخ محمد عبده ، محمود سامى البارودى باشا ، شفيق منصور ، عبد الله نديم ، الشيخ حمزة فتح الله ، عائشة التيمورية ، محمود واصف، الشيخ احمد مفتاح ، احمد سمير ، اسماعيل صبرى باشا ، محمد حفنى ناصف بك ، ابراهيم اللقانى ، ابراهيم المويلحى وابنه محمد المويلحى ، الشيخ عبد الكريم سلمان ، مصطفى بك نجيب ، الشيخ على يوسف ، قاسم بك امين ، محمد فتحى زغلول باشا ، الشيخ المهدى ، السيد توفيق البكرى ، مصطفى كامل باشا ، الشيخ مصطفى المنفلوطى ، الشيخ الخضرى ، أمين بك الرافعى ، سعد زغلول باشا ، محمد حافظ ابراهيم بك ، احمد شوقى بك ، محمد ابراهيم هلال بك ، وهبه تادرس بك

هذا فى مصر . واما فى الشام ولبنان ونهضتهما متصلة منذ الساعة الاولى بنهضة مصر وكتب الفريقين متداولة بين القطرين ، فقد كانت عوامل التنشيط والترغيب معدومة فى الولاية السورية او فى حكم المعدومة ، وذلك لحالة خاصة ينبغى من اجلها ان نفرق فى البحث بين ما جرى فى تلك الولاية وما جرى فى لبنان ومتصرفية بيروت . قال الاستاذ الكبير محمد كرد على بك : « وظهر الضعف فى الشعر خلال القرون الاخيرة وتسلت عليه القرون الى ان خلع فى اوائل هذا القرن الثوب البالى القديم ولبس ثوباً جديداً فيه من جلال الحديث ومن جمال القديم ما جمع فيه الجسم والروح . بدأ هذا من لبنان وبيروت ثم تناول مدن الشام » . على انكم ستجدون من الفذلكة التالية ان عدد الادباء المشاهير الذين اتحفت بهم الولاية السورية النهضة الادبية العربية لم يكن الا كبر بجانب الذين اتحفها بهم لبنان ومتصرفية بيروت . وذلك لان الحكم التركى فى دمشق وتوابعها كان اشد موقعاً فى النفوس وكان كبراؤها فريقين احدهما متصل بالولاة واعوانهم وانما يعنى بالتركية والآخر متجه إلى تملك المزارع او الى الاتجار ولم تكن لهم جميعاً ادنى عناية بلغة لا يرجى منها مغنم . هذا فى حين ان جماهير الاهلين كانوا رازحين تحت وقر التكاليف التى يسومهم اياها ذلك الحكم ، وقلما يجد اناس منهم مصلحة فى العناية بغير ما يكسبون ادنى ارزاقهم

فاذا انتقلنا الى لبنان وجدنا بلاداً عربية وحكومة عربية يكثر احياناً شعورها بالتبعية العثمانية ويقل فى الغالب تبعاً لدورات يدورها الزمن . ولكن اللغة العربية على كل حال لا ينفذ اليها شىء قهار مستغرق من عوامل الاستتراك . فاذا فاتها الفصاحة لكساد بضاعتها وندرة عارفيها فالاستعداد لقبولها موجود والحكومة قبل فتنة الستين لا تضن بصلاتها على الذين ينبغون فيها كما انها بعد فتنة الستين لا تغضى كل الاغضاء عن الذين يجيدونها

وكانت بيروت تلك المدينة الذكية ذات القابلية المرهفة لكل رقى . أشبه بالمصب الذى تفضى اليه الامانى اللبنانية فتجد منبتاً خصباً ومزدهراً صالحاً ، توطنها الشعراء والادباء النازحون اليها من الجبل واتسع فيها ميدان عملهم وتفكيرهم ، وزادهم نشاطاً وألمعية هبوب النخب من أبنائها لمنافستهم . فأتت من هذا الاشتراك المعنوى بين شطرى الشام تلك الطفرة المدهشة التى أبرزت فى أقل من مائة حول الشعراء والكتاب الذين سأتلو عليكم أسماء المتوفين الى رحمة الله منهم وهم : الشيخ ناصيف اليازجى ونجلاه ابراهيم وخليل وكريمته وردة ، مكسيموس مظلوم بطريرك الروم الكاثوليك ، بطرس كرامة ، المطران جرمانوس فرحات ، الخورى نقولا صايغ ، انطون مخلع ، كمال الدين الغزى ، الامير عبد القادر الحسنى الجزائرى ، رزق الله حسون ، عمر الأنسى ، أمين الجندى ، نقولا الترك ، نصر الله الطرابلسى ، ناصيف المعلوف ، بطرس وسليم وسليمان وعبد الله البستانى ، أبو الحسن الكستى ، عمر اليافى ، أحمد فارس الشدياق ، ابراهيم الحورانى ، أديب اسحاق ، مارون النقاش ، فرنسيس المراش ، خليل الخورى ، سليم وبشاره تقلا ، نقولا

توما ، نجيب وأمين الحداد ، عبده بدران ، الياس صالح ، عبد الحميد الرافعي ، أمين وشبلي الشميل ، بشاره زلزل ، فيليب جلاد ، جرجي زيدان ، يعقوب صروف ، الياس فياض ، طانيوس عبده ، جبر ضومط ، سليم سركيس ، وديع عقل ، سليم عنحوري ، داود بركات ، وبعض هؤلاء مدين لمصر باستكمال أدبه فيها

عددت من حضرتني أسماؤهم من الشعراء والكتاب مصريين وسوريين ولبنانيين وفيهم الشموس والاقمار وفيهم الكواكب الصغيرة الاقدار ، ولكن لكل منهم شأناً وأثراً يصح ان يعنى بهما أحد الذين سيحاضرونكم ليستخرج منه عبرة خاصة أو حكمة جامعة . فمن اطلاعكم على هذه الاسماء يتلخص فى اذهانكم برنامج الخطب القيمة التى ستسمعونها وليس مفروضاً أن يتناول البحث كلا من تلك الاسماء ، ولكننا وكلنا وسنكل الى كل من يساهم معنا فى هذا العمل من الادباء اختيار أى شاعر اشتهر أو كاتب ذى خطر ، يرى من نفسه قدرة على الترجمة له ، وتقصى سيرته واعماله ، وتلخيص شيء من مأثوراته ، بحيث يتسنى له بما لديه من الوسائل ان يصوره لنافى صورة ناصعة خالصة من شوائب الريب نقية من اعلاق الشبهات والظنون ، فيسلم تاريخ مجدنا الادبى مما اعتوره من ثلمات النسيان . وقد يقيض الله لنا ان ننشر تلك المباحث فى كتاب فيشيع تداوله ويصبح منها فى كل بيت من بيوتنا وبين أيدى كل رجل من رجالنا وفتى من فتياتنا ذخيرة تلتقى فيها ، من مظنات مشتتة ومطالب متباعدة ، مفاخر قومية هى أجدر شيء بأن نستفيد منه دروساً غالية وان نحرص عليه بقدر حرصنا على ألا يظن فينا أننا فئة من الناس لا حصة لها فى مفاخر البيان ، على حين أن لنا فيها حصة وأى حصة

ايتها السيدات وايها السادة تطالعون فى الصحف كل يوم ما يفعله الغربيون وما يبتكرونه احياناً من الذرائع لاحياء ذكرى عظمائهم ولتخليد سيرهم ولاستبقائهم بين الناس بمرأى منهم ومسمع فى كل آن . وما احسبكم تظنون ان تلك الامم الراقية نهاية الرقى الذى بلغته الانسانية الى الساعة ، تسرف فى اضاعة اوقاتها لاقامة حفلات او زينات اومشاهد ليس لها من المرمى السامى ما يعادل قيمة الوقت الثمين الذى تهبه لها

فنحن اليوم بعملنا هذا ـ وما اصغره من عمل ـ نحاول ان نقول لأولئك الموتى المستوحشين عودوا من قبوركم الى الانس باهليكم ومحبيكم وعارفى جميلكم . عودوا ولو لم يكن اللقاء الذى نعده لكم اقواس نصر فخمة ولامحاشد شعبية ضخمة . عودوا لتشهدوا ان البعثة الأدبية التى افنيتم فيها قواكم وارخصتم لها اعماركم قد ولدت فيهم بعثة خلقية لاتتم الابها حياة الامم فى معناها الاجمع ، ولا تبلغ الا بها غايات العزة القعساء والشرف الارفع

خليل مطران

شخصيات الشهر

الملك جورج الخامس

بمناسبة اعتلائه العرش من ٢٤ سنة

احتفل جلالة الملك جورج الخامس ملك بريطانيا العظمى فى ٦ مايو المنصرم بانقضاء أربع وعشرين سنة على اعتلائه العرش ، وفى ٣ يونيو الجارى يحتفل جلالته بعيد ميلاده وبلوغه التاسعة والستين من عمره

ولا يخفى أن جلالته لم يكن وارث الملك ادورد السابع بل كان شقيقه الأكبر ، وكان يدعى الدوق أوف كلارنس ، فلما توفى هذا على أثر مرض لم يمهله طويلا انتقل الارث إلى الملك جورج ، وعندئذ تجلت أخلاقه للشعب بأجلى مظاهرها اذ أعلن خطبته لجلالة الملكة مارى وكانت مخطوبة قبل ذلك لشقيقه الاكبر . فلما انتقل إلى جوار ربه شق على جدته الملكة فكتوريا أن يكسر قلب خطيبته فدعت اليها البرنس جورج وقالت له إن الانسانية تدعوه إلى جبر خاطر ذلك القلب الحزين ، فلبى الدعوة وفى ٦ يوليو سنة ١٨٩٣ عقد قرانه على الاميرة مارى الملكة الحالية

ومنذ اعتلى الملك جورج العرش فى ٦ مايو سنة ١٩١٠ إلى نشوب الحرب الكبرى لم يطرأ على بلاده ما يتيح له اظهار صفاته لشعبه ، غير أنه ما كادت الحرب تقع حتى وقف جلالته بجوار شعبه جنباً إلى جنب يشاطره سراءه وضراءه ، وقد كان أول من ضرب لرعيته المثل العليا فى التضحية والاقتصاد ، فأمر بعدم استعمال اللحم فى المطاعم الملكية الا مرة فى الاسبوع وأمر كذلك بألا يوقد فى السراى كل ليلة إلا موقد واحد

ولم يكتف بما تقدم بل زار ميادين القتال غير مرة متفقداً حالة جنوده . وكان فى كل مكان ينزله يقوى الروح المعنوى فى نفوس الجنود ويحثهم على المثابرة والاستبسال . وطالما حاول كبار القواد أن ينهوه عن هذه الزيارات التى كان يستهدف فيها لأعظم الأخطار فلم يفلحوا

وأبدى جلالته فى التحولات السياسية التى طرأت على انجلترا بعد الحرب العظمى كياسة برهنت على أن الصفات اللازمة للرجل السياسى والربان الماهر متوافرة فيه ، فانه لما أسفرت الانتخابات النيابية فى سنة ١٩٢٤ عن فوز حزب العمال بالاغلبية البرلمانية لم يتردد فى النهوض بواجبه الدستورى ، فدعا اليه المستر مكدونلد وعرض عليه تاليف الوزارة الجديدة بصفته زعيما للأغلبية . وتساءل بعضهم عما تكون عليه العلاقات بين الاثنين وهل ينجح كل منهما فى

مسايرة الآخر ، فلم يمض على تأليف الوزارة أيام حتى أثبت الملك جورج للملأ أنه ملك جميع الانجليز . وسرعان ما أصبح المستر مكدونلد من المقربين الى جلالته

وبهذه المناسبة يجدر بالكاتب أن يلقى ضوءاً من الحقيقة على أمر لا يعرف كثيرون حقيقته. فالشائع بين الناس أن ملك انجلترا لا يؤدى عملا سياسياً لانه ملك دستورى يترك لحكومته حرية التصرف فى كل صغيرة وكبيرة . أما أن الملك جورج دستورى فهذا أمر مسلم به وأما أن حكومته هى المسئولة عن كل شىء فهذا أمر مسلم به كذلك . ولكن جميع المطلعين على بواطن الامور فى انجلترا يعلمون أن لجلالته نفوذاً شخصياً عظيما فى الحكومة وأنه يندر ألا تستأنس الوزارة برأيه فى أى مسألة من المسائل الهامة

وقد ظل الملك جورج محتفظاً بقواه كاملة الى أن أصيب من سنوات بانفلونزا اقترنت بالتهاب فى الرئتين ، واشتد الخطر عليه حتى ان الجماهير كانت تمضى ساعات طويلة وهى واقفة أمام سراى بكنجهام فى انتظار النشرات الطبية للاطمئنان على حالة مليكها . وأخيراً من الله عليه بالشفاء فكان فرح الشعب البريطانى بذلك عظيما. وللحال شرع أفراده يكتتبون بالاموال لاهداء هدية فاخرة الى جلالته يعربون بها عما يكنونه له من حب وولاء ، وما كاد باب الاكتتاب يقفل عن نحو مائتى الف جنيه حتى كتب جلالته الى القائمين به يشكرهم على غيرتهم ويرجو منهم أن يوزعوا هذا المال على الجمعيات والمؤسسات الخيرية فاطاعوا أمره

المسيو بارتو

بمناسبة رحلته فى أوربا الوسطى

رأى الهر هتلر بعد تقلده زمام الحكم أنه لا يستطيع أن ينصرف الى تحقيق الاصلاحات الداخلية التى يريدها لالمانيا ما لم يكن واثقاً من أنها لن تخوض غمار حرب جديدة فى السنوات العشر المقبلة ، والتفت يمينا ويساراً فلم ير غير حدود (المانيا ـ بولندا) بركاناً قد تندلع منه نار الحرب التى لا يريدها ولو مؤقتاً على الاقل ، فاتصل بالساسة البولنديين وكان من نتيجة هذا الاتصال أن عقدت معاهدة بين المانيا وبولندا تعهدت فيها كل منهما باحترام حدود الاخرى وبعدم الاعتداء عليها ، وجعلت هذه المعاهدة نافذه لمدة عشر سنوات

وكان من البديهى ألا يقابل الرأى العام الفرنسى هذه المعاهدة بارتياح اذ عدها تقرباً بين بولندا والمانيا مع أن المعروف أن بولندا حليفة فرنسا ، بل هى مشمولة الى حد ما برعاية فرنسا لها وحمايتها ، فلم يكن من المنتظر ان تقدم على عمل كهذا بدون موافقة فرنسا عليه

ويظهر أن هذه المسألة أهاجت الرأى العام الفرنسى أكثر مما صورته التلغرافات الخارجية بدليل أن المسيو بارتو وزير الخارجية الفرنسية الحالى رأى وجوب زيارة وارسو عاصمة

بولندا للاجتماع باقطاب حكومتها واستطلاع حقيقة شعورهم نحو فرنسا ومدى المعاهدة التى عقدوها مع المانيا . وهنا تحسن الاشارة إلى أن وزراء الخارجية الفرنسيين لا يخرجون من بلادهم الا قليلا وما من واحد منهم زار بولندا بعد انتهاء الحرب العظمى

وقابلت بولندا كلها ، حكومة وشعباً ، المسيو بارتو بأعظم مظاهر الحفاوة والتكريم ، وخصصت الصحف البولندية اعمدة برمتها للتنويه بالصداقة البولندية الفرنسية وبما لفرنسا من اياد بيضاء على بولندا وقالت ان الفضل الأكبر فى تحقيق استقلال هذه الدولة الفتية يعود الى فرنسا. وصفوة القول ان بولندا انتهزت فرصة زيارة المسيو بارتو لتقيم الدليل على أن المعاهدة التى عقدتها مع المانيا لم تمس علاقاتها بفرنسا وعواطفها نحوها وانها انما عقدت المعاهدة مع المانيا لكى تامن خطر الحرب من جهة المانيا لأنه الخطر الوحيد الذى تخشاه

وبعد ما انتهى المسيو بارتو من زيارة بولندا عرج على تشكوسلوفاكيا فقوبل فيها بما قوبل به فى بولندا من حفاوة وحماسة ، وظلت الاعلام الفرنسية مرفوعة على الدور الرسمية والخاصة فى براج العاصمة طول مدة اقامته فيها

وقد نجح المسيو بارتو فى خلال اقامته فى براج فى ازالة أسباب الخلاف التى كانت قائمة من مدة بين تشكوسلوفاكيا و بولندا فأدى ازالتها الى تعزيز أركان السلام فى تلك البقعة من أوربا

السنيور سوفتش

بمناسبة رحلاته الأخيرة فى عواصم أوربا

اختط السنيور موسولينى لنفسه خطة واضحة منذ قبض على زمام الحكم فى بلاده . وهى ألا يذهب بشخصه الى جنيف ليمثل إيطاليا فى اجتماعات جمعية الأمم وألا يسافر الى أية عاصمة من عواصم أوربا لحضور مؤتمر أو للاشتراك فى مفاوضة . وكان من أثر هذه الخطة أن رأينا رئيس وزارة بريطانيا العظمى يذهب بنفسه إلى روما لأول مرة فى تاريخ أوربا السياسى ليفاوض زميله رئيس وزارة ايطاليا فى مشكلات أوربا الكبرى

وكان لا بد للسنيور موسولينى والحالة هذه أن يختار من ينوب عنه فى جنيف ، وفى المؤتمرات الدولية ، وفى المباحثات والمفاوضات التى تدور الآن بين حكومات دول أوربا العظمى على مسألة نزع السلاح وغيرها من المسائل الخطيرة ، فوقع اختياره فى بادىء الامر على السنيور جراندى فعينه وكيلا لوزارة الخارجية الايطالية وهو ما زال فى الثلاثين من عمره وأوفده الى جنيف فمثله أحسن تمثيل فرقاه الى مرتبة وزير وقلده وزارة الخارجية وصار يوفده الى المؤتمرات الدولية

ثم رأى السنيور موسولينى أن المصلحة تقضى بتعيين السنيور جراندى سفيراً لايطاليا فى

لندن فعاد هو الى تقلد وزارة الخارجية بنفسه واختار السنيور سوفتش وكيلا لها وأوفده فى الشهرين الماضيين الى جميع عواصم أوربا الكبرى ليمثله فى محادثات نزع السلاح وتعديل نظام جمعية الأمم وتعزيز استقلال النمسا وغيرها

والسنيور سوفتش شاب لم يتجاوز الاربعين الا قليلا وهو من الشبان النابهين الذين يصح أن يقال إن موسولينى اكتشفهم وجعل بلاده تستفيد بمواهبهم

الميجر فاى : رجل النمسا القوى

ثلاثة رجال يقودون النمسا فى الوقت الحاضر وهم : الدكتور دولفوس رئيس الحكومة ، وهو الذى يرسم سياستها الخارجية ، والبرنس ستار همبرج وهو الذى يتولى قيادة الجيش (الهايمفهر) ويتوسل بنفوذه الشخصى لابقاء الجيش مخلصاً للدكتور دولفوس ، والميجر فاى وكيل رئيس الوزارة وهو الرجل الذى يحكم حقيقة لأنه هو الذى يعنى بكل كبيرة وصغيرة فى الشؤون الداخلية حتى ان بعضهم يصفه بقوله : « الرجل الذى خلف دولفوس » . وهو لم يتجاوز الاربعين من عمره

وقد كان الميجر فاى ضابطاً فى الجيش النمسوى فى أثناء الحرب العظمى فامتاز باقدامه وشجاعته ، وهو ما زال إلى اليوم محتفظاً بالصفات اللازمة للقيادة . وقد قال عنه كاتب انجليزى عرفه شخصياً : « إنه يعرف كيف يقود ويعرف كيف يحمل غيره على طاعته »

ويقول العارفون إن الميجر فاى هو الذى وضع خطط مقاومة الاشتراكيين فى المدة الاخيرة فتغلب عليهم فى سنة ١٩٣٤ كما تغلب عليهم فى السنوات الواقعة بين ١٩٣١ - ١٩٣٣ لما أرادوا تحويل نظام الحكم فى النمسا إلى نظام اشتراكى محض ، ولذلك لما تخلى الدكتور دولفوس عن « وزارة السلامة » ليرأس الحكومة لم يجد من يحل محله فيها غير الميجر فاى فقلده إياها وهو محتفظ بها حتى يومنا هذا مع تقلده لمنصب وكالة الوزارة كلها . و « وزارة السلامة » هى الوزارة التى أنشئت فى النمسا دون غيرها من البلدان لحماية سلامتها من الاشتراكيين النمسويين ومن النازى الالمان

كريم ثابت

أثر الحضارة اليونانية في مصر



منظر عام للعمال والمنازل المكتشفة هذا العام في تونة الجبل

تونة الجبل ناحية بمركز ملوى بمديرية أسيوط كانت تعرف عند قدماء اليونانيين باسم «هرموبوليس» وبلغت في عهد الحكم اليوناني بمصر شأوا بعيداً من المجد والشهرة. وظلت من أشهر مدن مصر نحو ستة قرون أي منذ بدء الاحتلال اليوناني (في القرن الرابع قبل الميلاد) حتى أواخر القرن الثاني بعد الميلاد

ومنذ عهد غير بعيد شرعت الجامعة المصرية في القيام باعمال الحفر في الناحية المذكورة للبحث عن آثار « هرموبوليس » . فعهدت في ذلك الى بعثة برآسة الاستاذ سامى جبره . فوفقت البعثة في سنة ١٩٣٣ الى اماطة اللثام عن كثير من تلك الآثار . وفي الشتاء الماضي واصلت اعمالها في الجهة الغربية من « هرموبوليس » حيث كان معبد « توت » قديماً فوفقت للعثور على آثار كثيرة جلت طائفة من الامور التي كانت غامضة في تاريخ مصر — ولا سيما تاريخ المدة التي انتشرت فيها الحضارة اليونانية في وادى النيل والتي ابتدأت باحتلال الاسكندر ذي القرنين لهذه البلاد

وفي الواقع ان آثار تونة الجبل هذه تدل على مدى تغلغل المدنية اليونانية فى مصر في تلك المدة. يدل على ذلك ان المصريين في ذلك العهد كانوا يعرفون اللغة اليونانية وقصائد هوميروس ومنظومات غيره من الشعراء

ومن جملة الآثار التى عثرت عليها البعثة ضريح لكاهن معبد « توت » المشار اليه . واسم هذا

الكاهن « بيتوسيريس » وقد عاش قبيل الفتح اليوناني بقليل . وعلى جدران ضريحه من الداخل رسوم بارزة تمثل الكاهن وأفراد أسرته بالثياب اليونانية ، وبعضهم بالثياب المصرية ، أما الكاهن نفسه فان الرسوم البارزة تمثله يضحي بعجل على اسلوب الشعائر الدينية اليونانية . ويستدل من هندسة الضريح ان المصريين في ذلك العهد كانوا يميلون الى الهندسة اليونانية . فالضريح قائم على أرض مرتفعة قليلا وهو على شكل معبد له باب يرقى اليه ببضع درجات . وواجهة الضريح مزيج من الهندسة المصرية والهندسة اليونانية . وفي أعلاها ، من جهتي اليمين واليسار ، نافذتان صغيرتان أو كوتان مربعتا الشكل على كل منهما مشبك من طراز شرق

وقد كانت البعثة تسعى فى الشتاء الفائت الى اكتشاف الطريق الاصلي الموصل بين الأضرحة التي وفقت الى اكتشافها منذ سنتين (في الناحية الجنوبية من الساحة المقام فيها ضريح بيتوسيريس) وبعض البيوت ذات الافاريز التي يرجع بناؤها الى ما بعد زمن بيتوسيريس . ومن حسن الحظ ان البعثة وفقت الى اكتشاف ذلك الطريق وعثرت في أثناء عملها على ساحة كبيرة تحيط بها بيوت مبنية بالحجر الرملي ، وهي ذات طرز هندسية مختلفة . فبعضها ذات واجهة من الطراز المصري عليها افريز (كورنيش) وأعمدة تعلوها زهرة اللوتس، وكوى (نوافذ) ذات مشبكات . وبعضها ذات واجهة من الطراز المصري الممزوج بالطراز اليوناني . والبعض الآخر من طراز لا هو مصري ولا يوناني . وقد عثر الأستاذ جبره في أحد هذه المنازل على سرداب ضيق يبلغ طوله نحو ١٥ متراً ويوصل الى سرداب اوسع مبنى من الطراز المصري . وعثر ايضاً على تابوتين يظهر ان اللصوص



طراز من قبور المعابد على قاعدة مرتفعة وله نوافذ ذات عوارض متقاطعة وله شكل الابنية المحيطة بالهياكل المصرية

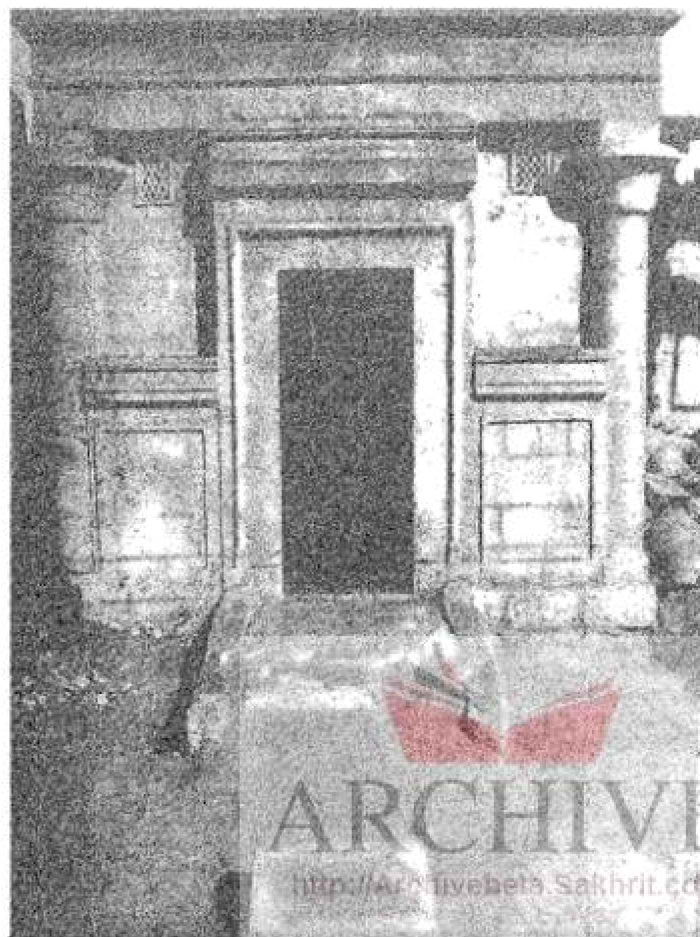
سطوا عليهما في العصور الماضية . وعلى التابوتين اسماء كهنة « توت » واسماء آبائهم واجدادهم في جيلين من الزمن

واعل العجب ماعثر عليه الاستاذ جبره مجموعة من التصاوير الملونة على جدران ناووسين مبنيين بالآجر غير المحرق ، وهذه الجدران مطلية من الداخل بالكلس الابيض الناعم وقد رسمت عليها صور غير متقنة لمشاهد مأخوذة من قصة اغا ممنون «من الاساطير اليونانية» وقصة اوديب . وعلى جدار آخر صورة ايلكترا ابنة اغا ممنون لابسة ثياب الحزن السوداء وجالسة امام محراب خاص بالجنائز كانت قد شيدته تذكاراً لأبيها ، ووراءها بطلان عاريان من ابطال اليونان يرجح ان احدهما هو اخوها هورستيس والآخر صديقه بيلادس . وفي غرفة اخرى صورة يبلغ عرضها نحو مترين وعلوها نحو تسعين سنتيمتراً ، وتمثل مشهدين من مشاهد حياة اوديب . ففي الجهة اليمنى صورة اوديب يحز عنق ابيه لايوس ملك طيبة ، وعلى كثب منهما امرأة تحاول الفرار وقد بدت عليها علامات الذعر ، واسم هذه المرأة « اجنوى » او الجهل . وفي الجهة اليسرى صورة اوديب واقفاً بباب طيبة المبني على شكل قنطرة وهو يجيب عن اسئلة توجهها اليه امرأة بصورة ابي الهول . وفي منتصف اللوح صورة امرأة هي على ما يظهر رمز الى مدينة طيبة

وجميع هذه التصاوير مرسومة على لون ازرق فاتح وفوقها افريز عريض . وتحتها صورة معطوبة لامرأة جالسة امام محراب هي على الارجح انتيجونة ابنة اوديب



معبد من الطراز اليوناني وله مذبح مستقيم وهو قائم الزوايا تماما وقد اكتشف في هرموبوليس ويدل على التحول التام عن فن البناء المصري القديم



معبد مردوج كان من بين الآثار الفرعونية التي اكتشفتها بعثة الجامعة المصرية هذا العام

وعلى بعد نحو ثلاثين متراً من « بيت » اوديب هذا « بيت » آخر في الطابق الاول منه بقايا إفريز تمثل على الارجح حكاية دخول الحصان الخشبي مدينة طروادة . ومن الغريب أن تجد مشاهد مأخوذة من الاساطير اليونانية القديمة على جدران مدينة من مدن مصر الوسطى تبعد نحو ٣٧٥ ميلا عن الاسكندرية إلى الجنوب . وأغرب من ذلك أن تلك المشاهد هى يونانية بحتة ولاعلاقة لها بالحياة المصرية

والخلاصة أن الاكتشاف الذي تم للاستاذ سامي جبره يدل دلالة قاطعة على مدى تغلغل الحضارة اليونانية في مصر في الخمسة القرون التى عقبت حكم بطليموس الاول في مصر . وكان انتشار هذه الحضارة بفضل انتشار المدارس اليونانية فى جميع انحاء وادي النيل . وكان المصريون في تلك المدارس يتعلمون الآداب اليونانية ويدرسون اشعار اليونان وأساطيرهم . وفضلا عن ذلك كان في البلاد مسارح يونانية تمثل فيها روايات من نوع التراجيديا

فاجعة الباخرة تشيليوسكين



الاستاذ شميت رئيس البعثة السوفيتية التي تحرجت في الثلوج القطبية

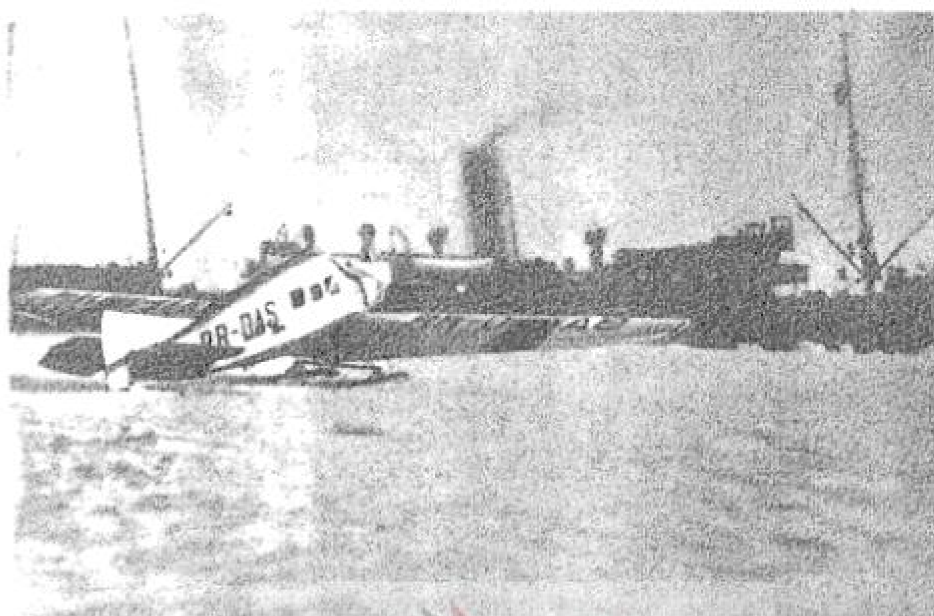
وافتنا الانباء البرقية بخبر غرق هـذه الباخرة في أواسط شهر فبراير الماضي . وكانت قد قصدت إلى بحار القطب الشمالي وعليها بعثة علمية غرضها جمع الارصاد العلميـة وفحص تلك البحار لمعرفة الطرق التي تستطيع البواخر غير المختصة بتكسير الجليد أن تسير فيها . وكانت الباخرة « كراسين » (وهي من بواخر تكسير الجليد) قد أعدت لتشق الطريق للباخرة تشيليوسكين إذا دعت الحاجة . ولندع رئيس البعثة بالباخرة المذكورة يروى لنا خلاصة ما حدث . قال :

في أثناء المرحلتين الاوليين من مراحل سفرنا تكاثرت علينا آكام الجليـد من جهتي الشرق والغرب ، ولكنا لم نطلب المعونة من الباخرة كراسين لانها كانت هي نفسها قد أصيبت بعطب في بحر « قارا » . ومع أنها رممت إلا أنها كانت منهمكة في فتح الطريق للبواخر الاخرى

ووصلت باخرتنا الى مضيق بيرنج من دون أية مساعدة ، أى أنها اجتازت مياه البحار الشمالية كلها وحدها . ولما كانت في مضيق بيرنج أحاطت بها آكام الجليد مرة أخرى

وقبل أن نصف كيفية غرقها نقول إنها منذ بدء رحلتها كانت تجاهد جهاد الابطال وتحاول التغلب على ما يحدق بها من الاخطار . وكان مصيرها معلقاً بميزان القدر . لذلك أخذنا أهبتنا واستعدادنا لجميع الطوارىء . وكنا كلما تقدمنا خطوة الى الامام زادت آكام الجليد المحيطة بنا حتى أصبح سطح البحر كله تقريباً مكسواً بتلك الآكام

ولما اشتد الخطر من كل ناحية لم نجد بداً من انزال كل مامعنا من زاد وذخيرة على آكام الجليد. ولـكن بعد قليل تفرقت تلك الآكام وخيل الينا أن الخطر قد زال . فأعدنا الزاد والذخيرة إلى الباخرة ، وفي الوقت عينه أخذنا نراقب حركات آكام الجليد بكل يقظة وانتباه خيفة ان تفاجئنا الطوارىء . وكان كل فرد منا ومن نوتية الباخرة يعلم ما يجب عليه ان يعمل ساعة وقوع القضاء واضطرارنا الى مغادرة الباخرة



(تشليوسكين) باخرة البعثة السوفيتية . وقد حصرتها الثلوج في اصقاع سيبريا

ولم تقف الباخرة عن سيرها ولم تنقطع رجال البعثة عن مواصلة عملهم وتدوين المعلومات العلمية التي كانت غرض البعثة . وكنا نرى آكام الجليد تدنو منا ثم تتراجع ثم تدنو وتقف حولنا كالجبال الشاهقة او كالاسوار المنيعة ، وكانت منتشرة على البحر الى مدى البصر . وبعضها يبلغ عدة امتار في الارتفاع . ولم يبق عندنا شك في انه لا باخرتنا ولا باخرة اقوى منها تستطيع الثبات امام تلك الجبال

وفي اوائل شهر فبراير دنت احدى تلك الآكام منا حتى اصبحت على قاب قوسين . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان آكاما اخرى دنت منها . وفي ١٣ فبراير عصفت بنا ريح شمالية شديدة وتساقط علينا ثلج يعمي الابصار . واشتد البرد حتى هبط الى الدرجة الثلاثين تحت الصفر ، وخشينا ان نؤخذ على غرة في تلك العاصفة الهوجاء وان تحدق بنا آكام الجليد من دون ان نراها ، فلم نجد بدًا من بث الارصاد في كل جهة على ظهر الباخرة مع اننا كنا نعلم ان مثل تلك المراقبة ما كانت لتفيدنا قلامة ظفر في ظلام الليل الحالك

وعند الظهر ابصرنا عن يسارنا جبلا هائلا من الجليد مندفعاً نحونا وارتفاعه لا يقل عن ثمانية

رجال البعثة يبحثون عن ملجأ بين الثلوج

امتار . فاصدرنا الاوامر بانزال الزاد والذخيرة في الحال ونفذت تلك الاوامر بكل نظام . وأخذ كل واحد منا مركزه بلا فوضى ولا ارتباك . وما هي إلا دقائق حتى انشق الجبل عن يسارنا واندفع نحونا واندفعت معه صخور الجليد الكثيرة الطافية على وجه الماء ، ثم صدم الجبل هيكل الباخرة صدمة عنيفة فتطايرت « الصواميل » وأخذت اضلاع السفينة تتفكك وتحدث اصواتاً مزعجة . وصدمنا الجليد صدمة اخرى فقذف بنا جميعاً الى الوراء . وعلمنا ان القضاء المحتوم قد نزل لان الباخرة أخذت في الغرق . وصار الماء يتدفق الى غرفها والى غرفة الآلات

ولم نستعمل سوى مرجل واحد من مراجل الباخرة الثلاثة لاننا كنا نريد الاقتصاد في الوقود وكان ذلك المرجل الى الجهة اليسرى من الباخرة — أي إلى جهة آكام الجليد . وصدمت هذه الآكام المرجل صدمة عنيفة ازاحته من مكانه وقطعت مضخات الانقاذ . ومن حسن الحظ لم ينفجر المرجل لأن شقوقاً حدثت به فانطلق البخار من محبسه . على أن الباخرة كان محكوماً عليها بالغرق لا محالة ولم يكن في الأرض قوة تستطيع إنقاذها . لذلك أخذنا ننزل منها بانتظام حاملين ما نستطيع حمله من زاد وذخيرة

وانفتحت في جميع جوانب الباخرة وفي مقدمتها ثقوب جديدة كانت السبب في التعجيل عليها لأن الماء اخذ يتدفق من كل جانب . وكان على سطح المقدمة طيارة تمكنا من إنزالها على الجليد قبل غرق الباخرة بدقائق قليلة . وفي تلك الدقيقة عينها كانت آلة الراديو تشتغل باستمرار طالبة المعونة من جميع الجهات

وأخذ مقدم الباخرة يغوص تحت الماء . وكان لا يزال في المؤخرة خمسة عشرة نوتياً يحاولون إنقاذ ما يحتمل أن يكون قد بقي في الباخرة من زاد ولوازم . وكان آخر من غادر الباخرة رئيس البعثة والقبطان وأمين الزاد والذخائر . وقضى سوء الطالع أن تجرف الامواج آخر هؤلاء الثلاثة وان يبتلعه اليم . فغرق وكان حزننا عليه عظيماً لاننا لم نستطع إنقاذه . وما هي الا ثوان اخر حتى ابتلعت الامواج الباخرة فغابت عن الانظار وبقينا نحن على آكام الجليد

وأقبل الليل بظلامه المفزع . فلبس كل منا الكيس الخاص بمثل هذه الاحوال للوقاية من البرد . وظل عمال الراديو الابطال يعملون بلا انقطاع طالبين لنا النجدة . وفي صباح اليوم التالي تمكنا من الاتصال بمحطة « كويلو » . وكنا قد نصبنا خياماً على الجليد لنقيم بها الى ان يأتينا الفرج . اما حالة رجالنا المعنوية فكانت باهرة مدهشة . وكان النظام مستتباً . وقد بقي كذلك الى ان اتاح الله لنا من انقذنا من ذلك الهلاك المحقق

متحف الشمع

أقيم في القاهرة متحف للصور والتماثيل الشمعية كان محل اعجاب كل من زاره من الفنيين وغيرهم ، وقد أخذ في الاستعداد لاقامته منذ سنتين الاستاذ فؤاد عبد الملك ، حتى استطاع أن يبرزه إلى حيز الوجود في هذه الايام . وهذا المتحف يحوي طائفة من الصور والتماثيل العصرية والتاريخية المصنوعة من الشمع ، منها ما يمثل الحوادث ومنها ما هو رمزي أو خيالي يرمي إلى فكرة اجتماعية . وقد اشترك في هذا المتحف عدد من الفنيين المصريين ، فاستطاعوا أن يبرهنوا على ما لهم من مقدرة فائقة في هذا الفن تلفت النظر إلى ما أبدعوه من صور وتماثيل لا تقل في اتقانها وروعتها عما يشاهد في متاحف الشمع في أوربا

وقد نشرنا هنا بعض مناظر من هذا المتحف . وكلها تشهد بما حواه من أمثلة فنية حسنة ، وتدل على أن الذين عنوا باقامته والذين اشتركوا في صنعه انما أدوا إلى الفن خدمة جليلة ، وبثوا في الجمهور روحا طيبة بما أهدوا اليه من ذكريات تاريخية مفيدة ، ومن آثار فنية تطبع في النفس أحسن الأثر

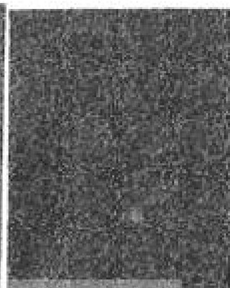


امرأة فرعون تنتشل (موسى الكليم) من اليم . وهي من أجمل مناظر متحف الشمع بالقاهرة





بائع عطور مع زبونة على الطريقة القديمة، في متحف الشمع





حفلة تكليل فى كنيسة قبطية قديمة تحت الارض — من معروضات متحف الشمع

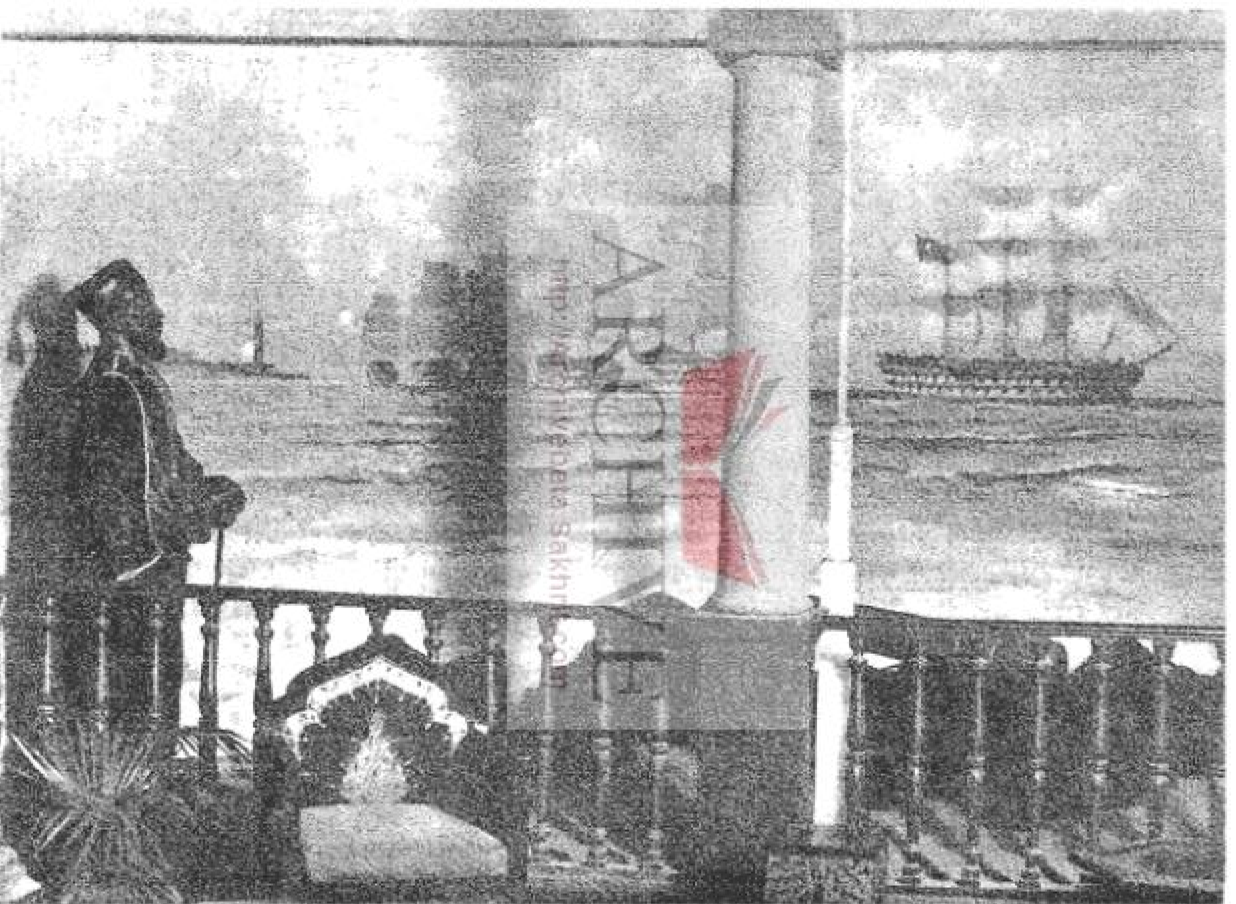


الامبراطورة أوجيني وقد وقف أمامها الاميرالاي باري

مشهدان من
حفلة افتتاح قنال السويس
في متحف الشمع



دي لسبس وخطيبته في استقبال المدعوين



عسكري من الباش بوزق وقد وقف ينظر الى الاسطول المصري راجعاً من عكا ـ متحف الشمع



كبير شعراء الالمان

جوته كبير شعراء الالمان . وترى في الصفحة المقابلة مقالا طريفاً عن رحلته الروحية الى الشرق وتقف على معلومات نادرة وافية عن مدى استغراقه فيه وتأثره به

« جوته على فراش الموت »

الهجرة الى الشرق *

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

هى هجرة الى الشرق القديم ، هاجرها من الغرب جوته اديب الالمان وشاعرهم العظيم

وجوته رجل نادر المثال ، لم يحصر فى نطاق ، ولم يستأثر به أسلوب ، ولم ينذر نفسه لمذهب ، ولم يكفه لون من ألوان الحياة . بل عاش منهوم الحس ظاهره وباطنه ، يستوعب كل ماصادفه ، ويضيف الى حياته كل ما أمكن إضافته ـ كأنما همه أن يتحقق فى شخصه « الانسان » بجملته ، بمعناه الأعم المطلق . وهذا النزوع الى «الانسانية» كان حافز حياته الطويلة من أولها الى آخرها .. ولقد أفلح الرجل الى حد كبير فى تحقيق هذا الحلم بالكمال . فكان الوطنى الالمانى وكان الاوربى وكان العالمى . وتقاسم تآليفه الثائر والمحافظ والصوفى . واجتمع فيه الشاعر الشادى والعالم الطبيعى والمفكر والفيلسوف

ونحن نقصر كلامنا هنا على جوته الشرقى

كان جوته منذ صباه يعنى بتاريخ الشرق وشعره . فدرس العبرية ، وأدمن مطالعة التوراة ، وكان يهتز لها ويجدها فى معظمها مفرغة فى حماسة جياشة تجعلها من عالم الشعر . وكان يخص بالذكر منها « كتاب راعوث » وهو عنده أشبه بقصيدة رائعة حية ، فى ايجازه البليغ وجماله المفرد وسحره الغلاب . وكذلك هو يتغنى « بنشيد الانشاد » ، ويعتبره نسيج وحده فى الرقة وحرارة الحب ، ويستروح من خلاله نسمة دافئة تهب من أطيب بقاع كنعان ، وتتراءى له فيه حياة الحقول الوادعة ومزارع الكروم والحدائق والعطور ، كما انه يستشعر شيئاً من زحمة المدن ، وفيما وراء ذلك جميعه يتخيل ديوان سليمان وأبهة ملكه

وينتقل جوته من العهد القديم العبرى ، الى عصر الجاهلية العربية ، حيث يقع فى مترجمات المستشرقين على الكنوز المذخورة فى المعلقات . وهى القصائد التى تكللت بالفوز فى ذلك النزال الادبى فى أسواق الشعر بين فحول الشعراء العرب ، فيتمثل مناهقوما من الرعاة أهل البداوة المقاتلين ، لا يبرح يستفزهم ما بين قبائلهم من ترات وخصومة . والمعلقات تحدثه بأقوى بيان عن العصبية التى تربط ابناء القبيلة الواحدة ، وعن روح الاقدام والبسالة ، وطلب المجد والتماس الفخار ، والتعطش الى ادراك الثأر . ويتقدم هذه الفضائل العارمة : النسيب ، فيلطفها بأسى الحنين ولوعة الحب والوفاء وحسن الصنيع . وذلك جميعه فى أريحية بالغة أقصى حد . ويزيد فى قيمة هذه القصائد المصاعدة

---

* اعتمدنا فى هذه الكلمة على جوته وليشتنبرجر وفيتكوب وغيرهم

أن لكل منها صفتها الغالبة التي يلبسها ولا ينكرها. فيرى مع المستشرقين من أهل زمانه ان معلقة «امرىء القيس» عذبة مرحة، مشرقة المعنى رشيقة اللفظ، ذات طلاوة وافتنان. «وطرفة» فيه اقتحام وحيوية وتوثب. ومعلقة «زهير» رصينة، مترفعة عن الزخرف، عفيفة المنطق، مهذبة مشذبة، جمة الامثال الراجحة والمواعظ الأدبية. ومعلقة «لبيد» لطيفة الوقع، صادقة الحكاية، أنيقة رقيقة يشكو فيها الشاعر من جفاء حبيبته ليتخلص من ذلك الى تعداد مناقبه هو والاشادة بقبيلته. وتبرز معلقة «عنترة» مفاخرة متوعدة، بليغة الدلالة، جزلة العبارة، حالية بمحاسن الوصف والاستعارة. وينشده «عمرو بن كلثوم» في قوة ورفعة وفخامة. ويحدثه «الحارث بن حلزة» غزير الحكمة ظاهر الحصافة، عالي الهمة وافر الكرامة

وقد استشهد جوته من ديوان الحماسة بقصيدة «تأبط شراً» التي مطلعها :

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيلا دمه ما يطل

وهو يعقب عليها شارحاً سياقها مبيناً مواقفها، وكيف اصبحت الحكاية فيها شعراً بحسن التصرف في سوق التفاصيل، وتدبير أوضاعها، واختيار مواقعها، مع البعد كل البعد عن زخارف القول بحيث يبقى على القصيدة طابع الجد والحدث الجلل

• على أن الذي شغل جوته أكبر الشغل هو شخصية محمد. وغير خاف أن العالم المسيحي كان من أيام الحروب الصليبية بطبيعة الحال سيء الرأي في صاحب الدين الاسلامي. وكانت الكنيسة تتجاهل القرآن وتحرم ترجمته، حتى جاء القرن السادس عشر والسابع عشر، فعمد بعض العلماء الى نشر تراجم له مشفوعة دائماً بالدحض والتفنيد، من قبيل التقية ودفع الشبهة، وحرصاً منهم على تزكية النفس والتكفير. ثم بزغ على الاثر مايسمونه عصر النور، وكان دعاته يحملون على الاديان حملتهم الشعواء، ولا يريدون أن يروا في أصحابها الا دجاجلة مغررين يزعمون للناس انهم ملهمون. الا أن الاحوال تعدلت، وانبرى بعض المحققين من جهابذة الغرب الى هدم التخرصات الشائعة عن محمد في العالم المسيحي، وكتبوا سيرته بروح عالية من الاستغراق في الموضوع والتنزه عن الهوى. فتجلى لهم محمد العابد، الثابت اليقين في الله الواحد الاحد، وعرفوا فيه أداة كريمة سخرها الله لنشر التوحيد من أقطار الهند الى ربوع اسبانيا. ولقد اطلع جوته وقتئذ على سيرة محمد، وحيا فيه النبي العظيم والروح القوي، حاطم الاصنام، الداعي الى دين الفطرة. ولم يقف عند ما زعموا به من شوائب البشرية

وقرأ جوته القرآن وطبع مختارات منه مأخوذة عن الترجمة الالمانية. وظل طويلا يمعن في درسه امعان الباحثين، وهو يقول اننا قد لا نحبه لاول قراءته ولكنه يعود فيجذبنا ويروعنا وأخيراً يلزمنا احترامه. ويستشهد جوته بآيات الكتاب العزيز : «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » . ويقول جوته : ان القرآن يردد قواعد هذا الدين ويكرر البشير والنذير سورة بعد سورة . وهو لا يرى فى هذا التكرار ما يراه النقاد الغربيون . لان النبي لم يرسل برسالة شاعر لمجرد التفنن فى ضروب الكلام ، وعرض الصور المتنوعة على الاهواء والاوهام ، واستحداث اللذة وادخال الطرب . بل هو بنص القرآن بعيد عن هذا الوصف . وانما هو نبي مرسل لغرض واحد مرسوم يقصد اليه بأبسط الوسائل وأقوم طريق . وهذا الغرض هو اعلان الملة وجمع الشعوب حولها وانضواؤهم الى لوائها . فكتابه المنزل يقتضى من الناس الخبوت والايمان لا مجرد المتعة والرضى . واذا ما عرض للقصص فالحكمة فيه ضرب الامثال والعبرة

وأراد جوته تأليف قصة تمثيلية عن محمد ، وشرع فيها من أيام شبيبته فنظم منها مناجاة للنبي وحده ليلا فى الخلاء تحت السماء الصافية السافرة النجوم . وقد اقتبس فيها هذه الآيات فى دحض الشرك : « واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ اصناماً آلهة ؟ انى أراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى . فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين » . ثم أدار جوته حواراً بين محمد ومرضعته حليمة ، كما أنه وضع نشيداً على صورة مقطعات يتناوب انشادها «على» وزوجه «فاطمة» بنت الرسول . وهو تصوير رائع لقوة هذا الانسان المبعوث من عند الله ووصف شعرى لفيض الاسلام وسرعة ذيوعه حتى انتظم النجاد والوهاد وبلغ الى المحيط الاعظم :

« على ــ أنظر الى ينبوع الجبل يتألق من البشر كأنه الكوكب الدرى !

«فاطمة ــ من وراء السحاب ، غذت الملائكة طفولته بين الصخور والادغال !

«على ــ انه لينحدر فى عنفوان صباه من السحابة متدفقا فوق صلد الجلاميد ، ويترنى متوثباً نحو السماء مهللا تهليل الفرح !

« فاطمة ــ وفى انحداره على الذرى يطارد الحصباء المجزعة

« على ــ وكالقائد الزميع الثابت الخطى يقود فى أثره إخوة من الجداول

« فاطمة ــ وثمة فى الوادى تتفتح الازهار تحت أقدامه وتحيا المروج من أنفاسه !

« على ــ ولكن «لاشيء» يستوقفه ، لا الوادى الظليل ، ولا الرياحين التى تطوق سيقانه وترمقه بلحاظها الوامقة . بل هو عجلان يتثنى متدفعاً الى الوهاد

« فاطمة ــ وعن محبة وسماح تتسلسل الانهار اليه مندمجة فيه . وها هو ذايدخل الوهاد خموراً بعبابه اللجينى

« على ــ والوهاد خمور به . وتستقبله أنهار الوهاد

« فاطمة ــ وجداول النجاد مهللة من الفرح متصايحة

« على وفاطمة معا ــ أخى ، يا أخى ، خذ معك اخوتك !

« فاطمة ــ معك ، الى ابيك الشيخ ، الى البحر المحيط الازلى الذى ينتظرنا باسطاً ذراعيه . لقد طال ما بسطهما ليضم بنيه المتلهفين شوقا اليه !

« على ــ فاننا فى هذه الصحراء الجرداء ، تبتلعنا الرمال الرمضاء ، وتمتص دماءنا الشمس الصالبة فى السماء ، ويصدنا الكثيب من الكثبان ، فنابث عنده غديراً راكداً من الغدران . ياأخى ، خذ معك اخوتك بالوهاد

« فاطمة ــ خذ معك اخوتك بالنجاد

« على وفاطمة معا ــ خذنا معك الى أبيك

« على ــ تعالوا جميعا . . ! وها هو ذا العباب يربو ويزخر ويزداد عظمة . هوذا شعب بأ كمله ، يحمل زعيمه الى أوج العلى . وفى زحفه الظافر يجتاز الممالك ويخلع اسمه على الامصار وتنشأ المدائن عند قدميه

« فاطمة ــ ولكنه لايلوى على شىء ، لا المدائن ، ولا الابراج المشيدة المتوهجة الذرى ، ولا صروح المرمر ، وكلها من آثار فضله وقدرته

« على ــ وإنه ليقل فوق منا كبه الجبارة منشآت السفن ، ترفرف قلوعها أفواجاً فوق هامته . وتخفق مشرعة الى السماء شاهدة على قدرته وعظمته . . . وهكذا يمضى باخوته

« فاطمة ــ بذخائره . بأبنائه

«على وفاطمة معاً ــ الى أبيهم الذى ينتظرهم ويضمهم الى صدره وهو يعج من الفرح »

ولم تزل فكرة هــذه الرواية ماثلة فى مخيلة جوته حتى وضع مشروعها . وعلى مقتضاه تبدأ الرواية بنشيد ينشده محمد وحده بالليل تحت السماء الساجية ويشعر بنفسه العا كفة على التأمل والتفكير تسمو صعداً الى الله تعالى الذى تستمد سائر الكائنات آية وجودها من وجوده . ويكاشف محمد بهذا الهدى زوجه خديجة فتؤمن به طواعية أول المؤمنين . ثم فى الفصل الثانى يقوم النبى بناصره «على» بالدعوة الى دينه بين قومه فيلقى منهم العطف أو المعارضة على حسب

جيانهم . ويقع الخلف بين القوم وتشتد الملاحاة ويضطر محمد الى الهجرة . وفى الفصل الثالث ينتصر على خصومه ويطهر الكعبة من الاوثان ، وتستوى دعوته ديناً مقرراً ، وتجتمع له أسباب الجهاد قولا وفعلا ، ويظهر الرجل السياسى الى جانب الرجل الدينى . وفى الفصل الرابع يتابع محمد مغازيه ، ويتخذ لها عدتها ويتوسل بوسائلها ، وتدس له السم امرأة من خيبر ثكلت زوجها. والفصل الخامس يبلغ فيه محمد أوج كماله وتتجلى عظمته الروحية ، ثم تعاوده عقابيل السم فينتقل الى جوار ربه . . . غير أن الرواية وقفت عند حد المشروع

ولا تسل عن فرحة جوته عندما جاز مدينة « فيمار » نفر من شعب البشكير الروس المسلمين على ظهور جيادهم ، ونزلوا بها ، واتخذوا أحد معاهد البروتستانت مسجداً للصلاة. وقد حضر جوته صلاتهم ، وسمعهم يرتلون آيات القرآن ورأى إمامهم ، وحيا أميرهم فى المسرح . وهو يذكر فى هزة المحبور أنهم اختصوه من رعايتهم بقوس وسهام لم يزل يعلقها فوق موقده تذكاراً باقيا . وكان جوته يعالج محاكاة الكتابة العربية ورسم حروفها ، ويغتبط وهو يقيمها ويسطرها من اليمين الى اليسار على عكس كتابتهم

فهل قنع جوته بهذه الرحلة فى هذا الشرق ؟

حقا ، ان فيها لمقنع وأى مقنع . ولكن جوته المفكر مثل جوته المحب لا يبرح متنقلا . ورحلته الى الشرق لا بد أن تجمع الشرق السامى والآرى كما يقولون . شرق العبريين والعرب ، وقد تقدم بالقارىء ، وشرق الهند والفرس . ومركب جوته فى هجرته الى هذا الشرق أو ذاك هو دائما كتب الرحلات ومترجمات الأدب

فهو اذن قد شهد الأوثان الهندية الهائلة الخيفة ، وتعرف الى المئات والمئات من آلهتهم واطلع على مطولات أساطيرهم ، واحتار بين أتاويه مذاهبهم ، وتعجب لاختلاط الشهوات والقداسات والتقاء الارض بالسماء . وقد تولدت فى هذه الرحلة إلى جانب « فاتحة فوست على المسرح » أساطير هندية رائعة نعرض منها هنا « الأله والراقصة » :

«هبط « مهاديفا » رب الارضين للمرة السادسة وجعل نفسه واحداً منا . وشاء أن يبلو أفراحنا وآلامنا ، فارتضى هذه الدنيا سكنا ، وخضع لكل شىء . وبعد أن استطلع المدينة استطلاع السائح، وترصد الاكابر ولاحظ الأصاغر ، غادر المدينة فى غبش المساء وابتعد . وفى ظاهر المدينة حيث تقوم المنازل النائية الأخيرة ، لمح صبية جميلة محمرة الخدين من الطلاء ، صبية من البنات الساقطات :

— سلامى اليك أيتها العذراء

— شكرا على هذا الشرف ! انتظر. سأخرج اليك فى الحال

— ومن تكونين ؟

ـــ راقصة ، وهنا بيت الحب

«ثم نشطت للرقص . ورننت صنوجها ، ودارت فى لطف ، ومالت ، وتثنت ، ومدت له باقتها خاطبة وده . وكانت فتانة ، فاجتذبته الى عتبة الباب ثم إلى خدرها

ـــ أيها الغريب الجميل ، لسرعان مابنير كوخى . أمتعب أنت ؟ إنى هنا رهينة بالتسرية عنك وتدليك قدميك الموجعتين . لك كل ماتريد ، من راحة أو نشوة أو مداعبة

« وأقبلت على الاوجاع المتصنعة تأسوها . وابتسم الاله ، مغتبطاً بأن يرقب هذا القلب الآدمى الممعن فى التلف . وطالبها بما تؤديه الاماء من خدمات ، فاذا هى تتهلل لها وتزيد ابتهاجاً بها ، واذا هذا الذى كان أول الامر فى الفتاة تطبعاً يصبح ــ وهى لاتشعر ـ طبعاً لها . وكما أن الزهرة تخلفها الثمرة فكذلك الاخلاص اذا تفتح فى القلب كان الحب غير بعيد . وقد شاء هذا القاضى الاعظم المتحكم فى الرفيع والوضيع أن يشتد فى ابتلائها باللذة والروعة والألم . فقبل خدها المطلى بالحمرة ، فأحست عندئذ لواعج العشق وهامت وجداً وفاضت دموعها للمرة الاولى وجثت عند قدميه . وماتجثو اليوم ــ واأسفاه ! ــ للشهوة أو للذهب ، ولكنها خذلتها أوصالها المتفترة . وأسبل الليل أستاره الكثيفة ، وفى جنحها تطيب الاعراس المسكرة فى فراش الغرام . وبعد موهن من الليل أخذها النعاس بين العناق والقبل . ثم تنبهت مبكرة بعد هجعة قصيرة ، فألفت مضيفها الحبيب على صدرها ميتاً . فولولت ، وانكبت عليه . ولكن هيهات لها أن توقظه . وسرعان ما حملوا الجسد الهامد الى المحرقة . وسمعت الكهان وتراتيل الجنازة ، فاجهشت وانطلقت مسرعة وشقت الجمع

ـــ من أنت ؟ وماذا جاء بك الى المحرقة ؟

«فانطرحت على النعش وملأت الفضاء بعويلها : زوجى ! أريد زوجى ! سأسعى اليه حتى القبر . أتراني مبصرة جماله الاسنى يتساقط رمادا ! لقد كان لى أكثر من كل امرأة سواى . واأسفاه ، ليلة نشوة واحدة !

«هذا والكهنة يرتلون: نحن نحمل الكهول بعد أن استنفدوا أيامهم وأملى لهم الاجل. نحن نحمل الشباب المختضر قبل أن يخطر الموت لهم فى بال » . ثم يقول الكهنة : « هذا الفتى لم يكن زوجك . انما أنت راقصة . وليس لك من حق . كلا ، لا يتبع الجسد الى ملكوت الموتى الصامت الا الظل وحده . لايتبع الزوج الا الزوجة وحدها . هذا واجبها وهذا فخارها معا . اعزفى أيتها الابواق لحن النعى المقدس . ويا أيتها الالهة الخالدون ادعوا لجواركم من جوف اللهب هذا الفتى ، فخر زماننا »

« كذا أنشد الجميع ، فزادوا قلبها التياعا غير راحمين . فاذا هى تندفع ممدودة الذراعين وتلقى بنفسها فى الضرم المودى . ولكن ، ها هو ذا الاله الفتى يرتفع من جوف اللهب معانقاً حبيبته . وكذلك يرفع الخالدون بأذرعهم الملتهبة الارواح الضالة الى عليين . وتبتهج الآلهة بندم الخاطئين »

والى هذه الاساطير العظيمة الرائعة المتصلة بالآلهة ، يتملى جوته حكايات «بيدبا» التي وضعها للملك «دبشليم» على ألسنة الحيوان. وقد لحظ جوته ان الفرس نقلوا هذه الحكايات دون غيرها عن الهند لعدم اتصالها بالوثنية الهندية الفظيعة ، ونفور أذواقهم المترفة من تذوق تلك الفلسفة الدينية المعوصة . أما حكايات «كليلة ودمنة» هذه فتقع موقع القبول عند الناس أجمعين، وقد صار لها شأنها الكبير عند الفرس والعرب لما تنطوى عليه من الخبرة بالحياة والحكمة العملية

والآن أوفى جوته على الستين ، ولكنه مجدد الشباب أبدا كالخالدين. وقد اختار لهجرته الاخيرة أرض الجنات والبساتين ، أرض الورد والبلابل ، والحب الحسى والوجد العلوى . ولقد استغرق فيها ونسى عالمه الخارجى، فتارة يستمع الى شاهنامة الفردوسى . تلك الملحمة الطويلة الفهلوية الناطقة بالروح القديمة القوية بين الاساطير والتواريخ . وتارة يبسم للأنورى وهو يتملق بأذيال الكبراء ينشدهم قلائد المديح والثناء . وأحياناً يشترك مع « النظامى » بعواطفه فى متابعة مقادير المجنون وليلى وخسرو وشيرين : وهما على الدوام الالفان العاشقان بحكم المقدور والحس الباطن والطبع والعادة والميل والاشتياق . غير ان العناد والاهواء والمصادفات العمياء والقهر والاكراه ، تعتورهما وتضرب بالفرقة بينهما ، ثم يعودان الى اللقاء فى ظروف شائقة عجيبة ، ولكن لينتزعهما الواحد من بين ذراعى الفه طارىء داهم من الطوارىء ، يفرق بينهما فراق الابد. عندئذ يلجأ جوته الى «السعدى» فحديقة ورده قطوفها دانية ، وحكمته نافعة هادية . أو الى «جامى» المعتدل المزاج بين الحس والروحانية . وقد يذكر «جلال الدين رومى » ذلك الروح الذى لا يأنس إلى أرض الواقع ويجدها معضلة ، فيلتمس حل هذه الالغاز القائمة فى الاحداث من ظاهرة وباطنة ، فتجىء معانيه نفسها الغازاً جديدة فى حاجة الى حلول جديدة . فيلوذ بمذهب التوحيد المطلق

وأما الذى اتخذه جوته مرشده الامين فى هذا الجو الشرقى المشبع بالمتعة والحنين ، فهو « شمس الدين محمد حافظ الشيرازى » أرق شعراء الفرس الغنائيين

وفى هذا الحين كانت أوربا تتزلزل تحت أقدام الجيوش . وقد دارت الدوائر وأصبحت الدول المغلوبة غالبة . وبات نابليون النسر العظيم مهيض الجناحين كالسجين . ولكن جوته كان بعيدا بفكره يتبع حافظاً ، ويترنم بنشيد الهجرة :

« الشمال والغرب والجنوب أقطارها تتناثر بددا . وعروشها تثل ، وممالكها تنهار . فهاجر ، وامض الى الشرق الطهور تستروح الطيب من الآباء الطيبين . وبالحب والنشوة والغناء يرد عليك نبع الحياة ريعان صباك »

والعجيب أن جوته كلما تقدمت به السن وآذنت شمس حياته بالغروب ، كان يزداد تطلعا الى الشرق . ولا غرو ، فقد قضى هذا الرجل العامر بالحياة نحبه وعيناه الى النافذة . وهو يتمتم بهذه الكلمة العليا والمطلب الاخير : المزيد من النور !

عبد الرحمن صدقى

البحث عن الثروة المعدنية بالقطر المصرى *

بقلم الدكتور حسن بك صادق
مراقب مصلحة المناجم والمحاجر

فى البلاد رغبة ملحة تظهر واضحة عند كل مناسبة، فى اجتماعات مجالسنا النيابية وعلى صفحات جرائدنا ومجلاتنا وفى الاسئلة التى توجه الينا من كل من يهتمون بشئون البلاد الاقتصادية للوقوف على ثروة مصر المعدنية والمدى الذى يمكن الاعتماد عليه عند تقدير الثروة الأهلية العامة

وللبلاد فى هذه الرغبة خير قدوة فى شخص مليكها العظيم فؤاد الأول الذى يحبو بعطفه الكريم جميع القائمين بشئون التعدين فى مصر. وقد أولاهم عام ١٩٢٧ شرف زيارتهم فى اماكنهم النائية والوقوف بنفسه الكريمة على مايبذلونه من جهود. وقد سن حفظه الله بتلك الزيارة سنة اتبعها من بعده الكثيرون من اولى الأمر فكانت لزياراتهم خير الثمرات

وليست هذه الرغبة للوقوف على ما قد يكون للبلاد من ثروة معدنية كمينة فحسب، بل هى مظهر من المظاهر التى تجلت فى السنين الأخيرة نتيجة ما نشعر به جميعاً من أن الزراعة وان كانت هى العماد الأكبر لثروتنا الأهلية والتى تتجه نحو انمائها اعظم جهودنا، فانه ينبغى الا تنفرد دون غيرها باهتمامنا، بل يجب أن تتجه جهود بعض ابنائنا نحو الصناعة والتجارة حتى تقوم مدنيتنا الحديثة على أساس استقلالنا فى كل مايمكن ان نستقل فيه من المرافق عن البلاد الأخرى

وللثروة المعدنية من خامات ووقود علاقة وثيقة بمختلف الصناعات فلا تقوم لهذه قائمة إلا إذا توافر لها كل مايلزمها من خامات فى داخل البلاد

تلبية لهذه الرغبة وإرضاء لجميع من يهتمون بمرافق الدولة الاقتصادية، رأينا أن نعرض بيانا مختصراً للجهود التى بذلت فيا مضى وما يبذل فى الوقت الحاضر وما يجب أن يبذل فى المستقبل للوقوف على كنه الدفين من هذه الثروة فى الأراضى المصرية وما يجب أن يتخذ من الاجراءات نحو استثمارها والاستفادة منها فى اقامة صناعات مصرية لسد حاجة البلاد وللتصدير

ولكى يقدر تقديراً صحيحاً عظم هذه الجهود التى يجب أن تبذل فى البحث، نذكر أن مساحة القطر المصرى تبلغ نحو ٢٤٠٠ مليون فدان، منها ٧ ملايين من الأراضى المزروعة أو القابلة للزراعة

* القيت هذه المحاضرة بمؤتمر المجمع المصرى للثقافة العلمية بالقاهرة

فى وادى النيل والدلتا أى مالا يزيد عن ٣ ٪ من مجموع المساحة . أما السبعة والتسعون الباقية فهى أراض صحراوية يعوزها الماء ، غير مأهولة إلا بالنزر اليسير من البدو الرحل . هذه المناطق الشاسعة لا أمل لها فى الحياة إلا بقدر ما قد يوجد فى بطون صخورها من ثروة معدنية دفينة . ولا شك أن المجهود الذى يجب أن يبذل فى فحص هذه القفار الشاسعة تحت هذه العوامل القاسية يجب أن يكون مجهوداً جباراً منظماً متصلا يستمر بغير كلل أو ملل عدداً كبيراً من السنين وبغير أن يكون لما يناله من نجاح أو اخفاق أى أثر فى استمراره

هذا المجهود يتطلب من القائمين به أن يكونوا شديدى الثقة والايمان فى المهمة التى القيت على عواتقهم وأن يكونوا قد تزودوا من علوم التعدين والجيولوجيا بأحدثها ، وأن يكونوا ذوى أناة وصبر على الشدائد ، راضين بما قسم لهم قانعين بما ينال عملهم من نجاح ، وان لم يعد عليهم بربح مادى ، فعلى الأقل بالشعور بأنهم يقومون نحو وطنهم بخدمة من أجل وأشرف الخدمات

ولا تقف صعوبة ظروف الصحراء عند حد عمليات البحث ، بل تلازم أيضاً عمليات الاستغلال ، فوسائل العمل والنقل وتدبير الماء والوقود والعناية بالعمال ، وتموينهم بحاجتهم من ماء ومأكل ، كل ذلك يتطلب ممن يقومون بتدبير شئون العمل فى المناجم المصرية حيلة واسعة لاستنباط وسائل تجمع بين القصد فى النفقات والكفاية للعمل . وقد يكون من ألذ الدراسات الاحاطة بما يبتدعه مهندسو المناجم المشتغلون فى الصحارى المصرية من وسائل للتغلب على الصعاب

أمام هذه الظروف القاسية وما يتطلبه التغلب عليها من نفقات كبيرة قد يتعذر على الفرد وحده أن يقوم بمجهود موفق فى البحث ، بل يجب أن يضطلع باعبائه بعض الجماعات أو الشركات أو الحكومة المصرية نفسها . والأخيرة بحكم ملكيتها للاراضى التى تستكن فى بطونها الخامات المعدنية وبحكم مالها من الهيمنة على انماء الشئون الصناعية فى البلاد ، يقع عليها قبل غيرها واجب البحث عن المعادن وتشجيع استثمارها

وقد كانت هذه هى الحال منذ أقدم عصور التاريخ المصرى فكان فرعون مصر هو الذى يوفد البعثات للبحث عن الذهب والنحاس والاحجار الكريمة فى مجاهل الصحارى . وفى خزائنه كانت تودع المعادن التى تعود بها هذه البعثات . وكان هو الذى يتولى توزيعها على اتباعه وحتى على من يدينون له بالولاء من ملوك البلاد الاخرى . وفى الخطابات التى تبادلها بعض الملوك الفراعنة مع ملوك الشام وآسيا الصغرى أصدق دليل على ما نقول

وإنا لنطأطىء الرءوس إجلالا للدقة التى كانت للمصريين القدماء فى البحث عن المعادن . فلسنا مبالغين إذا قررنا أنه فيما يختص بالذهب على الأقل لم يعثر الباحثون بعد على عرق واحد لم يقم المصريون القدماء بفحصه واستغلاله . ولا يختلف الحال عن ذلك كثيراً فى شأن المعادن الأخرى التى كانت لها قيمة عندهم كالمغرة (أوكسيد الحديد) والأحجـــار الكريمة (الزمرد

والزبرجد) والنحاس . كذلك كان هناك نشاط فى استغلال مناجم الذهب والأحجار الكريمة كالزمرد والزبرجد والفيروز إبان الحكم العربى الاسلامى . وكتب المقريزى والمسعودى وغيرهما تفيض بالشرح عن أخبار هذه المناجم وما كان يستخرج منها من كنوز . ولا شك أن استغلالها كان على يد بعثات حكومية كما كان فى عهد الفراعنة

تولت مصر بعد ذلك عصور ضعف واضمحلال اضطرب فيها الحال فى الصحارى واستوحش البدو القاطنون بها فحالوا دون أى توغل فيها ، فاسدل ستار كثيف عليها وأضحت الصحارى المصرية محاطة بظلام حالك من الأوهام الباطلة ومضى عليها فى ذلك بضعة قرون

على أنه فى القرن الثامن عشر كان يفد على مصر من وقت لآخر بعض الرحالة من علماء الفرنسيين والطليان والانكليز ، نذكر من بينهم Sicard عام ١٧١٧ و Donate ١٧٥٩ - ١٧٦٢ و D'auville عام ١٧٦٦ و Burce عام ١٧٩٠ وغيرهم

فكان من بين مازاروه ووصفوه وادى النطرون وبعض جهات الصحراء الشرقية وبخاصة جبل الزيت ومناجم الزمرد والزبرجد ومحاجر الالباستر قرب بنى سويف ، ولو أن أوصافهم كانت تعوزها الدقة العلمية التى امتاز بها من جاء بعدهم

وفى أوائل القرن التاسع عشر غزا مصر نابليون بونابرت واصطحب معه اليها جماعة من مشاهير العلماء الفرنسيين فكلفهم بدراسة علمية مستفيضة لمختلف الموضوعات الخاصة بمصر . فقام من بينهم Valentia عام ١٨٠٩ بفحص مناجم الذهب بوادى العلاقى بالصحراء الشرقية بين أسوان والبحر . و Quatremère عام ١٨١١ بفحص مناجم الزمرد بسكيت وزبارا على مقربة من شواطىء البحر الأحمر جنوب القصير

وامتاز من بينهم جميعا de Rozière بدقة ملاحظاته وواسع اطلاعه ، وله فى كتاب وصف مصر عام ١٨١٣ كتابات قيمة عن الجيولوجيا المصرية ووصف بعض الأحجار التى استغلها القدماء واستعملوها فى معابدهم وهياكلهم

ولما استعاد ساكن الجنان محمد على باشا الكبير لمصر وحدتها القومية ، واراد أن يجعل منها بلاداً حية قوية ، رأى أنه لتحقيق ما كان يصبو اليـــه من إقامة مختلف الصناعات لا بد له من الوقوف على ما فى البلاد من ثروة معدنية ، فاستعان بعدد كبير من علماء الأوربيين وأرسل منهم بعثات إلى مختلف نواحى الصحراء ، وكان يشرف بنفسه على تنفيذ خطته ويتتبع عن كثب النتائج التى وصلوا اليها ، وبهذا بدأت المرحلة الأولى فى البحث المنظم عن المعادن المصرية

وقد كان أظهر هؤلاء العلماء وأكثرهم اتصالا بالموضوع الذى نحن بصدده : Cailliaud ١٨١٥ - ١٨١٨ الذى قام بفحص مناجم الزمرد فحصاً دقيقاً . و Ruppel ١٨٢٩ وكانت جهوده موجهة نحو شبه جزيرة سينا حيث استكشف خامات النحاس والحديد .

و Sir J. Wilkinson ١٨٣٥ الذى زار جبل الزيت وفحص البترول الذى ينشع على مقربة منه ، ومواطن الكبريت فى جمسا ومحاجر الالباستر قرب تل العمارنة وأسيوط ، ومناجم الزمرد والرصاص وغيرها . و Brocchi ١٨٤١ - ١٨٤٣ أعاد فحص مناجم الرصاص والزمرد والذهب وزار محاجر الحجر السماق الامبراطورى بجبل الدخان

على أن Russeger ١٨٤١ - ١٨٤٨ كان أظهرهم جميعاً إذ كان أول من وضع خريطة جيولوجية للقطر المصرى مع تدوين أوصاف دقيقة عن بعض المناطق التى تحتوى رواسب معدنية

أما Figari Bey ١٨٤٤ فكان من أكثرهم تنقلا فى الصحارى المصرية وطبع خريطة جيولوجية كبيرة ، إلا أنه كانت تعوزه الدقة العلمية ، فقد أظهر البحث فساد الكثير من نظرياته . وكان يعتقد اعتقاداً راسخاً فى وجود الفحم الحجرى وقام ببحوث كثيرة عنه بينما كان يشك كثيراً فى وجود البترول . وقد ظهر أن الحال عكس ذلك فيما بعد

ومن الطليان أيضاً Forni الذى قام ببحوث بأمر والى مصر عام ١٨١٩ ولم تطبع بحوثه إلا عام ١٨٥٩ - تناول فيها وصفاً دقيقاً لأغلب المواطن المعدنية المعروفة

ومن أشهر هؤلاء العلماء Linant de Belle Fond الذى بعثه محمد على باشا فى بعثة نيلية إلى ما فوق أسوان ، فلما وصل إلى بلدة العلاقى عاق سير سفينته تيار شديد من جراء انحدار مياه السيول من وادى العلاقى ، فرسا بسفينته وفحص الحصى الذى قذفت به السيول فوجد بينه حصيات من الكوارتز الحامل للذهب فدعاه ذلك إلى ترك السفينة والقيام برحلة إلى أعالى وادى العلاقى فزار مناجم الذهب القديمة فى سيجع ودرهيب ووصفها جميعاً عام ١٨٦٨ وصف خبير دقيق . على أنه لم يصحب وصفه بخريطة تحدد مواضع المناجم التى زارها

هذا قدر مختصر يدل على المجهود الكبير الذى بذله محمد على باشا للكشف عن ثروة مصر المعدنية . وإذا لم توفق هذه البحوث الى استغلال المناجم فقد كان لها على الاقل الفضل الأول فى اماطة اللثام عن لغز الصحارى المصرية ، وكانت المعلومات التى جمعها هؤلاء العلماء والنتائج التى حصلوا عليها نوراً استضاء به من جاء بعدهم

ولم يكن المغفور له اسماعيل باشا أقل اهتماما بالمباحث المعدنية أو أقل تشجيعاً للقائمين بها من جده العظيم ، فساعد فيجارى ولينان دى بلفون على الاستمرار فى بحوثهم التى بدءوا بها قبل ولايته حكم مصر . كما أنه فتح الباب على مصراعيه لغيرهم من الوراد . وقد امتاز من بينهم Oscar Fraas الألمانى عام ١٨٦٧ بمباحثه فى سينا وعلى الطريق بين قنا والقصير . و Bauermann عام ١٨٦٩ الذى كان أول من لاحظ وجود خامات الحديد والمنجنيز بشبه جزيرة سينا . و Lartet ١٨٦٩ الذى كان اول من أعطى بيانا ضافياً عن الصخور المصرية من الناحية البتروجرافية

وكان من أشهر من جابوا الصحارى فى عصر اسماعيل Schweinfuell ١٨٧٥ — ١٨٧٨ الذى

ضمن بحوثه فى الصحراء الشرقية خرائط دقيقة ، وكانت لكتاباته أهمية فى مباحث البترول بجبل الزيت . وكذلك Karl Vonzittel الذى كان له الفضل عام ١٨٨٠ فى تبويب وتهذيب النتائج العلمية التى وصلت اليها بعثة Rhofs الشهير . . الى هنا انتهت المرحلة الأولى من مراحل البحث وهى التى قام بها الرواد بزيارات واسعة المدى لمختلف المناطق . فاذا لم تؤد مباشرة الى استغلال مناجم معينة فقد كان لها فضل تعبيد الطريق الى البحوث المنظمة فيما بعد

وبدأت المرحلة الثانية بانشاء قسم المساحة الجيولوجية عام ١٨٩٦ وكان انشاؤه على أساس مذكرة قدمها الكابتن (كولونيل) ليونز Lyons مدير المساحة إذ ذاك . وكانت عبارة عن مجموعة الادارات الفنية فى الحكومة المصرية . والمقدمة التى وضعها الكابتن ليونز لمذكرته توضح الغرض الذى من أجله أنشىء ذلك القسم وقد جاء فيها ما ترجمته :

« ان الغرض من انشاء قسم للمساحة الجيولوجية هو قبل أى شيء فحص الموارد المعدنية للبلاد وتدوين المعلومات عن مختلف الرواسب ، وبخاصة من بينها تلك التى لها قيمة اقتصادية كالفحم والعروق المعدنية ورواسب الأملاح وغيرها . يأتى بعد ذلك فى الأهمية تدوين هذه المعلومات بطريقة سهلة التناول كوضعها على خرائط وفى مذكرات وتقارير تفسيرية الخ. وبمجرد الوقوف على حقيقة التركيب الجيولوجى لأى منطقة تسهل معرفة الطبقات الصخرية التى يجب اختراقها فى أى نقطة وتقدير سمك كل منها بتقريب دقيق »

وقد عقب الكابتن ليونز على هذه المقدمة بتفصيل الخطة التى اتبعت فيما بعد وعادت بأحسن النتائج كما سنبينه . وقد استعان فى تنفيذ خطته الموضوعة بشبان من الانكليز الذين تخصصوا فى العلوم الجيولوجية قاموا بأجل الخدمات للجيولوجيا المصرية والبحث عن المعادن فى هذه البلاد . نذكر من بينهم الدكتور هيوم Hume المستشار الجيولوجى للحكومة المصرية . والدكتور بول Ball مدير قسم مساحة الصحارى والذى جعل من مساحة الصحارى فنا دقيقاً ذا قواعد علمية ثابتة . و Beadnell . وبارون Barron وغيرهم . فاختص كل واحد منهم بناحية من نواحى الصحراء الشاسعة استكشفوها استكشافا جيولوجياعاماً ودونوا مشاهداتهم فى تقارير مستفيضة هى عمدة معلوماتنا الجيولوجية المصرية . ثم قورنت النتائج التى وصلوا اليها جميعاً وبوبت ووضعت فى خريطة جيولوجية مقياس (١) فى المليون نشرتها مصلحة المساحة عام ١٩١٠

ويمكننا أن نقرر أن هؤلاء العلماء قد وضعوا بعملهم هذا الأساس العلمى الذى يجب أن يقوم عليه البحث المنظم للكشف عن الثروة المعدنية المصرية

ولم تكن بطبيعة الحال خريطة عام ١٩١٠ كاملة فى كل النواحى . على أن العمل المستمر بعد ذلك والذى اشترك فيه جميع من التحقوا بالقسم الجيولوجى قد مكن من سد الفراغ وتصحيح بعض المعلومات حتى ظهرت عام ١٩٢٨ الخريطة الجيولوجية الكاملة التى لا تقل دقة عن مثلها

فى البلاد الأوربية . وقد اعتبرها المؤتمر الجيولوجى خليقة بادماجها فى الخريطة الجيولوجية للعالم . وقد أثمرت هذه البحوث الجيولوجية ثمراتها المباشرة فأدت الى اكتشاف الفوسفات عام ١٨٩٧ ، ولو أن الاجراءات الخاصة بفحصه فحصاً تعدينيا تتطلب وقتا طويلا ، فلم يبدأ استغلاله فعلا إلا عام ١٩٠٨ بالمناطق القريبة من سفاجة على البحر الأحمر . كذلك اكتشف معدن المنجنيز عام ١٨٩٨ ثم بدأ استغلاله بعدذلك عام ١٩١١ . وهكذا كانت النتائج التى وصل اليها الجيولوجيون فى هذه المرحلة سبباً مباشراً فى بدء استغلال الكثير من المناجم المصرية الحالية

أما البترول فقد قدمنا أن وجوده كان معروفاً منذ القدم ثم زار مواطنه بعض المستكشفين ، كما أن الاعمال التى قامت بها احدى الشركات التى كانت تستغل معدن الكبريت بجمسا أثبتت عام ١٨٦٣ وجوده بكميات خليقة بأن تشجع الاعتقاد فى امكان انتاجه انتاجاً رابحاً

وقد اتخذت الحكومة المصرية خطة ايجابية فى شأن البحث عن البترول منذ عام ١٨٨٥ عند ما كلفت أحد المهندسين الاخصائيين فى حفر الآبار بحفر بئرين فى جمسا وأخرى فى جبل الزيت ، فوصلت آبار جمسا الى نتيجة ايجابية ، إذ وجد فى احداها زيت البترول على عمق ١٠٦ أقدام وبقوة ٣ر٥ طن فى اليوم ، وفى الثانية على عمق ١٣٧ قدماً وقوة ١٥٠ طناً يوميا . على أنها برغم ذلك وبحجة انها تكبدت نفقات طائلة فى بحثها قررت عام ١٨٨٨ تعطيل العمل وسد الآبار . وهكذا قضى على مشروع استغلال حكومى أن يقبر على أن يستأنف مرة أخرى فيما بعد وبنشاط أكبر على يد احدى الشركات الاجنبية التى تقدمت لاستغلال منطقة جمسا عام ١٩٠٨ . وبذلك بدأت مصر تتبوأ مركزها بين البلاد المنتجة للبترول

وكان النجاح الذى صادفته هذه الشركة فى جمسا مشجعا لشركات أخرى والحكومة نفسها على العناية الجدية بالبحث . فقامت شركات عديدة بفحص نقط متفرقة على مقربة من شواطىء خليج السويس وفى الجزائر الواقعة عند ملتقى ذلك الخليج بالبحر الأحمر . واذا كان قد أخفق أكثرها إلا أن واحدة من بينها وفقت فى النهاية الى استكشاف حقل الغردقة الذى يربو مجموع انتاجه فى العشرين سنة الأخيرة على ثلاثة ملايين طن من البترول

كذلك قامت الحكومة بنصيبها من البحث واستعانت على ذلك بآراء الاخصائيين فى شئون البترول . واذا كانت بحوثها أوقفت إبان الحرب العالمية الكبرى إلا أن هذه الحرب نفسها قد علمتها الأهمية الخاصة التى لمواد الوقود فى حياة الامم ، فاعادت البحث النشيط بمجرد زوال ضرورات الحرب . ولم تقف عند حد البحث العلمى بل تعدته الى عملية دق الآبار فوفقت الى انتاج صغير من حقل أبى دربة على شاطىء سينا قرب بلدة الطور وهو الحقل الذى أعطى امتيازه فيما بعد الى زكى ويصا بك . كذلك حفرت بئراً فى أبى شعر قرب حقل الغردقة ولكنها لم تصادف فيه نجاحاً

وللاخفاق فى البحث عن المعادن قيمته لمن يعلم كيف يستفيد منه . ذلك أن اخفاق الحكومة واخفاق الشركات كان نتيجة حالات جيولوجية خاصة يتطلب حلها الاستعانة فى البحث بوسائل علمية جديدة، هذه الوسائل هى المعروفة بالوسائل الجيوفيزيكية أى التى تعتمد على خواص الارض والصخور والمعادن، وهى التى أفردنا لها محاضرة فى المؤتمر الأول من مؤتمرات هذا المجمع

ومع أن هذه الوسائل هى حديثة الابتكار وتطبيقها فى البحث هو وليد الحرب العالمية نفسها، فان الحكومة المصرية لم تتوان فى الأخذ بها . وقد انتدبت للقيام بها فى مناطق البترول المصرية بعض الاخصائيين من الألمان . وكان للنتائج التى وصلنا اليها قيمة خاصة ولو انها لا تزال فى حاجة لمباحث تكميلية نرجو أن تزول قريبا الظروف المالية التى أدت الى العدول عنها

الى هنا قام البحث على أكتاف أجنبية وبأموال جلها أجنبية . على أن النهضة القومية التى عمت البلاد فى عهدها الحالى تدل على أن بقاء هذا الحال من المحال وأن كرامتنا القومية تقضى بان نقوم بأنفسنا بهذا الواجب . وقد أحست الحكومة افتقار البلاد للاخصائيين فى الجيولوجيا وعلوم التعدين ، فاوفدت بعثات عديدة من الشبان النابهين الى أمريكا للبترول والى انجلترا للجيولوجيا والتعدين والى المانيا للعلوم الجيوفيزيكية . وقد عاد أغلب هؤلاء بعد أن استكملوا عدتهم من العلم واشترك بعضهم فعلا فى البحوث التى قامت بها الحكومة فى السنين الاخيرة وهم جميعاً متحفزون لتسلم شعلة العلم والبحث ورفعها والنهوض بها لخير البلاد

وهنا ستبتدىء المرحلة الثالثة من مراحل البحث وهى مرحلة البحث التفصيلى الذى يقوم على أساس المعلومات التى وصلت اليها نتيجة المرحلتين السابقتين

هذه المرحلة هى أشقها جميعاً لانها تقتضى منا صبراً وأناة وتتطلب من القائمين بها دقة وعناية ومن المشرفين عليها ألا يصرفهم الاخفاق مرة وأخرى عن الاستمرار بها

وسيكون أساس البحث فى هذه المرحلة الاخيرة تقسيم الصحارى المصرية الى مناطق يقوم كل باحث بفحص منطقة معينة فحصاً يتناول كل دقيق فى التركيب الصخرى والمعدنى للمنطقة

وبودنا جميعا أن يمتاز عصر فؤاد الأول باتمام هذه المرحلة الى نتيجتها الموفقة وأن تمتاز المراحل الأخرى جميعاً فى أنها تقوم على أكتاف ابناء البلاد . ومن دواعى اغتباطنا أن حضرة صاحب المعالى وزير المالية قد لمس هذه الحاجة لاستعادة نشاط البحث فى رحلته الاخيرة لمناطق البحر الاحمر، فلم يتأخر عن مد يده باعتماد مبلغ من المال مخصص له ـ نرجو أن يكون أول الغيث

حسن صادق

النسيان

وظيفة عقلية لها أهميتها

بقلم الاستاذ محمد مظهر سعيد
استاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

تمهيد

لعل الناس منذ بدءوا يدرسون أنفسهم ويلاحظون عقولهم ، لم يسيئوا فهم وظيفة من أهم الوظائف العقلية ويقسوا فى الحكم عليها قدر ما أساءوا الى « النسيان » - فهم جميعا يعدونه نقصا فى العقل وضعفا فى الذاكرة ، بل قد يتوهم البعض فيعتبره مرضا من الامراض المعطلة للتقدم والارتقاء لايقل خطورة عن الصرع والشلل، لا لشىء إلا لمجرد انهم أصبحوا ينسون تجاربهم التى عفا عليها الزمن ومواعيدهم واسماء اصدقائهم أو كاتقول العامة «ما أكلوه بالأمس» وليس قدماء الفلاسفة وعلماء النفس والباحثون فى طبيعة العقل بأعدل حكما من سائر الناس . فهم فى الوقت الذى يجمعون فيه على أن الذاكرة هى أهم القوى العقلية الضرورية لتقدم العقل ونموه ، ويعدونها أصلح أساس للتربية والتعليم مادامت التربية تتضمن الانتفاع من الخبرة والتجارب الماضية ، ويقتلونها بحثاً وتنقيبا بحيث لايبقى فيها زيادة لمستزيد - اذا بهم يهملون النسيان ويقللون من شأنه ولا ينظرون اليه أكثر من نظرتهم الى اللص الخبيث الذى يتسلل خفية الى مخزن العقل فيسلبه أعز نفائسه

ويسخرون جميعاً من Ribot عند مايحاول أن يقنعهم بأنه وظيفة طبيعية لها من الاهمية البيولوجية ما للذاكرة تماما وله مالها من أثر كبير فى التعليم المنتج والخبرة النافعة

وفى الواقع قد يخيل الى الانسان أن الذاكرة والنسيان وظيفتان متعارضتان تشتركان فى عملية عقلية واحدة وهى الحفظ والتعليم وانما تعملان فى اتجاهين متضادين . فالاولى تجلب المعلومات من الخارج وتخزنها فى العقل وتحفظها هناك أمدا طويلا ، والاخرى تسطو على المخزون فتبدده كالحنفية والبالوعة ، الاولى تملأ والثانية تفرغ ، وما يبقى فى الحوض يترتب على مقدار غلبة احداهما للاخرى

الذاكرة ليست ملكة

ومعظم الخطأ فى هذا الرأى يرجع الى مادرج عليه العلماء ، منذ أن وضع افلاطون

مذهب الملكات الخاطىء الى الآن ، من اعتبار الذاكرة ملكة أو قوة طبيعية موروثة . من وهبها الله إياه كان جباراً فى الحفظ قوياً فى التذكر فيذكر كل شيء يقع تحت حسه وفى أى وقت يشاء ، ومن حرمها كان ضعيف الذاكرة بطيء الحفظ سريع النسيان لا يذكر ما يقال له بعد لحظات . أما المتوسط فيستطيع أن يقوى ذاكرته فى جميع النواحى بالتمرن على حفظ الشعر أو اللاتينية أو قواعد الهجاء حفظا صما كما تقوى العضلات بالجناز

وقد اثبتت التجارب الحديثة بالدليل العملى الذى لا يقبل النقض أنه ليست هناك لدى اى انسان ـ اللهم إلا فى بعض الحالات الشاذة ـ قوة للتذكر أو ملكة تكون قوية على وجه العموم أو ضعيفة فى جميع النواحى

أنواع الذاكرة

وانما هناك أنواع متعددة من الذاكرة لاعدد لها . كل منها يتطلب استعداداً خاصاً مستقلا عن غيره من الاستعدادات بحيث يصح أن يكون الانسان العادى قويا جدا فى بعضها ومتوسطا أو ضعيفا جداً فى البعض الآخر . فهناك الذاكرات البصرية والسمعية والشمية وغيرها ، لكل حاسة ذاكرة خاصة ، فيكون الانسان أكثر استعداداً لقبول ما يصل اليه عن طريق القراءة والبصر وحفظه وتذكره ان كان بصريا ، والسمعيات ان كان سمعيا . وفوق هذا كله فكل نوع من هذه الانواع ينقسم بدوره الى أنواع أخرى . ففى النوع البصرى نجد ذاكرات الحروف والالوان والاشكال والارقام والاسماء . فيذكر الانسان وجوه الاشخاص ولا يذكر اسماء اصحابها من غير أن يكون فى ذاكرته نقص أو فى عقله ضعف . وأكثر من هذا كله قد تنقسم كل من هذه الى فروع ثانوية . ومن يعلم فقد يوصلنا البحث الى أن لكل شيء ذاكرة خاصة به . فقد يذكر الانسان تواريخ الحوادث بالسنين ولا يذكر ارقام التلفون مع انها كلها ارقام . وقد وجدت من بحوثى الخاصة أن تذكر الالوان الحمراء يقتضى استعدادا آخر غير تذكر الزرقاء . وعبثاً يحاول الانسان أن يخلق فى نفسه عن طريق التمرين والحفظ نوعاً جديداً من التذكر ليس له استعداد طبيعى فيه . وكل مايفعله التمرين هو تقوية النواحى الموجودة بالفعل . أما النواحى الاخرى فتزول آثارها بسرعة وتندرج طى النسيان مهما كررت وحفظت . فالتمرن على حفظ الشعر لا يفيد غير القدرة على تذكر الشعر

فمن الطبيعى جداً أن ينسى الانسان بسرعة مايحفظه من الامور التى لايتوافر لديه استعداد خاص بقبولها وحفظها

النوع الاول من النسيان

وهذا النوع من النسيان ليس إذن ضعفاً طارئاً على الذاكرة وانما هو ضعف طبيعى فى

القدرة على الحفظ يقابله بالتحقيق تعويض فى القدرة على حفظ انواع اخرى قد لاتظهر لنا واضحة وضوح التى يخيل الينا اننا ضعفاء فيها .وهذا النوع بالضرورة لا علاج له

على اننا فى الغالب نجد الطبيعة قد عدلت للناس فاعطتهم نصف الذاكرات وحرمتهم النصف الآخر . فليبحث كل منا عن انواعه القوية فينظمها ويمونها ويقويها لينتفع بها على الوجه الاكمل وعن النواحى الضعيفة فيريح نفسه من عناء تموينها

تحليل الذاكرة

ونحن كذلك اذا نظرنا للذاكرة جملة من حيث هى وظيفة عقلية نجدها ليست شيئاً واحداً أو عملية عقلية واحدة ، وانما هى قوة أو استعداد طبيعى للاحتفاظ بالآثار التى تجد طريقها الى الذهن تسمى « الحافظة » وهى التى تخزن الآثار وتحتفظ بها وتظهرها وقت الحاجة لتذكرها - وعمليتان عقليتان : الاولى تستقبل الآثار من الخارج وتضمها وتربطها بغيرها وتقدمها الى الحافظة (ان صح استعمال هذا المجاز) وتسمى عملية « التحصيل » ، والثانية تخرج مافى الحافظة إلى مجال الشعور من جديد وتظهر ماتعلمه الانسان من قبل عن طريق الآثار المحفوظة فى الذهن وهى عملية « التذكر »

والقوة الطبيعية هى صفة فسيولوجية موروثة محدودة لاتتعدل ولاتتغير من حيث مداها وسعتها وقدرة احتفاظها بالآثار إلا فى حالتى الصحة والمرض . وتتطور بالضرورة مع السن ، فهى إذن حالة مخية ، وما دامت هذه تختلف عند الافراد المختلفين فمن الطبيعى أن يختلف الناس فى قوة حفظهم ومدى بقاء الآثار فى أذهانهم . ومع هذا فقد يتساوى بعض الافراد فى قوة الحافظة ويختلفون فى القدرة على التذكر خلافاً منشؤه طرق الحفظ وتنظيم المعلومات وربطها بغيرها

فبعض الناس يكدسون المعلومات فى اذهانهم تكديسا بدون ترتيب ولا نظام فتستنفد سعتها بسرعة وتمتلىء كما يمتلىء المخزن الواسع ويضيق بما فيه على سعته اذا وضعت فيه الصناديق بغير نظام ، بحيث لايستطيع صاحبه أن يجد صندوقا منها فى وقت الحاجة اليه ، كما يصعب الامر على التلميذ الذى يفاجئه الامتحان على غير استعداد فيحشى ذهنه بجميع العلوم من غير تنظيم ولا ترتيب فتصبح ذاكرته واسعة المدى كثيرة الآثار ولكنها عديمة الفائدة وغير مسعفة . وآخرون ينظمون عملهم ويرتبون معلوماتهم فتقبل حافظاتهم الكثير من غير ان تستنفد سعتها بحيث يسهل عليهم تذكر ماحفظوه . فالاستعداد الطبيعى للحفظ وحده لايكفى اذا لم تساعده طريقة منظمة للحفظ والتحصيل

النوع الثانى من النسيان

وبعبارة أخرى قد تكون الذاكرة قوية فى استعدادها ولكنها سريعة النسيان لتشويش

المعلومات فى الذهن وسوء نظامها . وهذا النوع على كثرة تفشيه بين الطلاب يمكن علاجه باتباع الطرق المثلى فى التحصيل

وما دامت عملية التذكر تعتمد كل الاعتماد على طريقة التحصيل فمن الواجب على كل متعلم أن يراعى العوامل التى تؤثر فى التحصيل على وجه العموم ، والطرق الخاصة التى يجب ان تتبع فى كل فرع من فروع العلم فلكل فرع خصائصه وطبيعته وطرقه التى توافقه

عوامل الحفظ الجيد

أول شرط من شروط الحفظ الجيد أن تتوافر الرغبة والميل لما يراد حفظه . فمن العبث ان يحاول الانسان حفظ شىء لا يميل ولا يرتاح اليه . ومهما بذل من جهد واستخدم من ارادة وأكثر من تكرار فانه لابد ينساه ولا يستطيع أن يحفظه فى ذهنه طويلا . فضلا على ما يحدثه هذا الحفظ من ملل وتعب . أما العلوم الأخرى التى لا مفر للطلاب من استيعابها وحفظها على كره لتأدية الامتحان ـ وما أكثرها فى المدارس ـ فلا حيلة لهم فيها ولكنهم يستطيعون تخفيف العبء بربطها بمعلومات أخرى تكون أكثر تشويقاً وترغيباً فيكسبونها شيئاً من السهولة. فاذا وجدت الرغبة وجب أن يتحين الانسان الفرصة التى يكون فيها مرتاح العقل والبدن فلا يحفظ أبداً شيئاً وهو مجهد ، وإلا أفسد عليه التعب ـ أو على الأقل الملل والسآمة ـ كل ما يبذله من جهد . ثم يجلس جلسة مريحة وفى نور جيد مناسب ويقرأ الموضوع الذى يراد حفظه على مهل، حاصراً كل انتباهه فى المعنى دون اللفظ ولو كان شعراً، حتى إذا اطمأن الى المعنى وفهم الموضوع واستوضح جميع النقط بحيث لا يترك نقطة واحدة غير مفهومة ولا واضحة، عمد الى الشر الذى لابد منه وهو التكرار فيراجع الموضوع بسرعته العادية مرتين أو ثلاثاً ثم يعيده من الذاكرة رأساً ، فاذا اتضحت له النقط الصعبة أعاد النظر اليها . ثم يترك الموضوع لفرصة أخرى فيحفظه على دفعات ويعطى نفسه شيئاً من الراحة بين كل مرة وأخرى ، ولا يجهد نفسه فى محاولة حفظ الموضوع دفعة واحدة مهما كان هاما . فقد اثبتت التجارب الحديثة أن الحفظ مع التسميع ومراجعة النقط الصعبة لا غير افضل من الحفظ المستمر لكل الأجزاء . وكذلك التكرار الموزع على فترات أفضل بكثير جداً من الحفظ دفعة واحدة . بل ان تكرار موضوع ما كل يوم اربع مرات لمدة خمسة أيام أفضل من تكراره عشرين مرة فى يوم واحد تتخلله فترات الراحة. وهذا بدوره افضل بكثير من تكراره عشرين مرة دفعة واحدة وفى جلسة واحدة ، فضلا عن أن التكرار بهذا النظام يسهل العمل ويريح العقل ، ولا يحتاج فى مرات التكرار الى ما يحتاج اليه التكرار المستمر والحفظ المتواصل . ومن هذا ترى ان تسعة اعشار المجهود الذى يبذله الطلاب فى الحفظ المستمر يضيع سدى، فلا توصلهم معلوماتهم لاكثر من يوم الامتحان ثم تتبخر فيضاعفون الجهد فى العام التالى لاعادة ما تبنى عليه

معلومات العام الدراسى المقبل . ولو اقتصدوا فى مجهودهم ونظموا طرق حفظهم لاراحوا انفسهم وانتفعوا بما حفظوه . ويحسن أن يكتب الطلاب مذكرات مختصرة بعد الانتهاء من التحصيل مباشرة. والكثير من الناس لا يتثبتون من الحفظ إلا اذا كتبوا الموضوع كله بأنفسهم، وكذلك يختلف الناس بطبيعتهم فى الطريقة الحسية التى تصل بها المعلومات اذهانهم. فمنهم البصريون الذين يعولون على القراءة والنظر والسمعيون الذين يفضلون السماع أو القراءة بصوت مرتفع والحركيون الذين يمثلون لأنفسهم المعانى بالحركة. فليتبع كل واحد نوعه فى الحفظ . وللتصور أثر كبير فى تسهيل التحصيل وسرعة التذكر فتصوير البصرى لنفسه المناظر التى يتضمنها الموضوع كأنه يراها بعين عقله، والسمعى مايجد من احاديث وأصوات كأنه يسمعها بعين عقله والحركى يتمثل الحركة حتى لكأنه يشعر بها تحدث فى عقله . كل هذا من أهم العوامل للحفظ

ولكل فرع من الفروع طريقة خاصة تناسبه . فالشعر وما هو فى حكم الشعر يسهل حفظه للصغار بالطريقة الجزئية فيحفظون كل بيت على حدة حتى يتثبتون منه ولكنهم مع هذا قد ينسون أوائل الأبيات ويجدون صعوبة فى ترتيبها . والكبار توافقهم الطريقة الكلية فتحفظ القطعة كلها جملة من أولها لآخرها وتكرر هكذا. وأفضل من هذا وذاك الجمع بين الطريقتين والحفظ بالطريقة المزدوجة التى وضعتها وجربتها فى انجلترا ومصر فأتت بأحسن النتائج - وذلك بأن نقسم القطعة إلى أجزاء كل جزء منها مستقل فى معناه على قدر الامكان ،ويحفظ الجزء الاول على حدة حتى يشعر الحافظ بانه قد بدأ يتمكن منه فلا يستمر فيه حتى يتم الحفظ وإنما يقرأ القطعة كلها مرة واحدة ثم ينتقل إلى الجزء الثانى فيكرره عدداً من المرات أقل من عدد مرات الجزء الأول بواحد فقط ثم يقرأ القطعة كلها مرة أخرى حتى ينتهى . وقد يحفظ القطعة كلها قبل أن يصل إلى آخر جزء فيها . ولا داعى للافاضة فى ذكر الأسس السيكولوجية التى تبنى عليها هذه الطرق

أما الكلمات الأجنبية ومقابلاتها بالعربية أو ماهو فى حكم الكلمات فتقرأ كل كلمتين معاً طرداً وعكساً ، ولا تقرأ مجموعة الكلمات متتابعة ، فهذا يسبب الخلط فى ربط الكلمات وما يقابلها . وفى الموضوعات الأخرى التى يعول فيها على المعنى يقرأ الموضوع حتى يفهم وتلخص نقطه وترتب . وبعدئذ يكرر فتأتى الألفاظ عفواً مكملة للمعنى

وظيفة النسياد الطبيعية

على أنه إن صح أن نعتبر النسيان من الناحيتين السابقتين ضعفاً فى الحفظ أونقصاً فى التذكر فان للنسيان على وجه العموم وظيفة طبيعية هامة يقوم بها العقل مباشرة منذ نشأته لمصلحته ولضمان بقائه مستعداً لاستقبال الآثار الجديدة وحفظها وتذكرها . فالطفل الصغير منذ أيامه الأولى تمر عليه آلاف المؤثرات ويتردد مرورها فتدخل آثارها إلى ذهنه قوية من غير تنظيم

ولا ترتيب ، الهام الضرورى منها يزاحم التافه الذى لا شان له . وهناك تجد مكاناً فسيحاً ومخزناً متسعاً لا حد له فتعسكر هناك بغير نظام ولا ارتباط كما تفعل الجماعة من الهمج والمتوحشين إذا اجتمعوا معاً فى صعيد واحد . ولذلك نجد الاطفال يتعلمون كل شىء ويذكرون كل شىء ويستطيعون حفظ الالفاظ مهما كثرت حفظاً صما ما دام الفراغ فى الذهن موجوداً ، أكثر مما يستطيعون تذكر المعنى الذى يحتاج إلى الفهم والادراك الصحيح . ولكن هذه المساحة الواسعة لاتلبث حتى تمتلىء وتضيق بما فيها على رحبها ، والطفل لم يتعلم بعد شيئاً جديرا بالحفظ أو مفيدا له فى حياته العملية ، وأمامه السنين الطوال تمده بآلاف التجارب الجديدة والأمور الهامة التى لا غنى له عن تذكرها . فاما أن يستمر العقل فى قبول كل ما يصل اليه حتى يفيض الاناء بما فيه فلا يبقى فيه غير القديم وهذا مستحيل، بل إن صح هذا لكان فى غير مصلحة الانسان لأن العقل الذى يحتوى كل شىء حتى يزيد عن طاقته لا يفضل العقل الذى لا يحتوى على شىء ما . وإما أن يعمد إلى الاقتصاد والترتيب والتنظيم والحكم على القيم النسبية . وبعبارة أخرى هو يقوم بعملية حذف ومراجعة فما كان هاماً لازماً للحياة أو متصلا بها مباشرة أبقاه فى المقدمة على أتم استعداد للظهور فى مجال الشعور بمجرد أية إشارة من المؤثرات والظروف الخارجية . ويليه مايتصل بالحياة الحاضرة من طريق غيرمباشر كحوادث الماضى القريب أوأمور الماضى البعيد التى يجعلها مركزها الممتاز فى تاريخ حياة الانسان دائما أبداً طلية محتفظة برونقها وشبابها . ثم الأمور التافهة من حياتنا العادية أو التى انقطعت الصلة بيننا وبينها منذ أمد بعيد وانمحى ما يذكرنا بها من جديد . وهذه السلسلة بأكملها تتزحزح إلى الخلف بالتدريج كلما ازدادت الخبرة واتسعت التجارب وجدت أمور هامة . وهكذا كلما ابتعد الشىء عن محور حياتنا تخلف عن السلسلة حتى ينتهى به الأمر الى الاندراج فى زوايا النسيان ، وهكذا يتسنى للعقل دائماً أن يحتفظ فى مخزنه بما يحتاج اليه فلا يزيد عن طاقته ، وما لا يحتاج اليه يلقيه فى خضم اللاشعور ويصبح من تراث العقل الباطن

ومن هذا نرى أننا لا ننسى الاشياء دفعة واحدة إلا فى الحالات اللاشعورية ، وإنما تضيع معالمها بالتدريج كالبناء تزول منه أبوابه ثم حوائطه وبعدئذ يندك أساسه . فنحن ننسى مما نحفظه من الكلام حروف العطف أولا ثم الظروف ثم الصفات وغيرها مما ليس من أساس الكلام ، وبعدئذ الأسماء النكرات فالافعال وأخيراً أسماء الاعلام . وهذا النوع الثالث من النسيان هو اذن وظيفة طبيعية للعقل لا تقل أهمية عن التذكر ، بل هى متممة لها وبغيرها يستحيل على العقل أن يستمر فى التعلم وكسب الخبرة والمعرفة

بقى نوع آخر من النسيان له أكبر اتصال بحيـــاة الانسان الوجدانية ، واخطر أثر فى الاضطرابات العصبية وحتى أمراض الجنون . ولأهميته سنفرد له مقالا آخر ان شاء الله

محمد مظهر سعيد

بعد رحيل بونابرت عن مصر

الفرنسيون الذين تمصروا وأسلموا

ساعدني الحظ في حياة المأسوف عليه شارل جلياردو بك مؤسس وصاحب « متحف بونابرت » بالقاهرة ، الذي نقلت محتوياته الآن الى باريس ، فجمعت طائفة من المعلومات والمذكرات استقيتها من الاوراق والملفات والوثائق التي كانت مكدسة في خزائن المتحف . وقد ساعدني بعضها على وضع أقاصيص نشرت في السنوات الماضية بمجلات « دار الهلال » ولكنني رأيت اليوم أن ألقي مع القارىء نظرة عامة على موضوع لا يخلو من الاهمية والغرابة ، وأن أستعرض معه فريقاً من الجنود الفرنسيين الذين لم يعودوا إلى وطنهم مع فلول حملة بونابرت الشهيرة . بل آثروا البقاء في الشرق واستعاضوا عن دينهم وقوميتهم بدين آخر وقومية أخرى

سألت المرحوم جلياردو بك ذات يوم :

— يقال إن أفراداً كثيرين من جنود نابوليون ظلوا مقيمين في مصر بعد رحيل القائد العظيم وانهزام خلفائه . وإن معظم أولئك الجنود قد اختلطوا بالشعب المصري وأصبحوا منه ، وإننا لو بحثنا لوجدنا في القاهرة والاقاليم كثيراً من الاسر المصرية يجري في عروق أبنائها دم أولئك الجنود . فهل عندك ما يثبت ذلك بالتفصيل ؟

لم يجب جلياردو على سؤالي ، بل نهض ودعاني الى اللحاق به ، وقادني الى خزانة كبيرة ألصقت على زجاج احدى دفتيها ورقة كتب عليها : « بعد رحيل بونابرت » وفتح الرجل الخزانة وتناول منها ملفاً ضخماً القى به الي وقال :

— ابحث بين هذه الاوراق تجد ما تنشده

فجلست وقضيت ساعة او أكثر اقلب تلك الاوراق القديمة ، وعدت حاملا معي التفاصيل الآتية :

كثر فرار الجنود الفرنسيين من الجيش على أثر نزول الانجليز في « ابي قير » في ١٧ سبتمبر سنة ١٨٠١ ، وأرسل القائد الفرنسي الجنرال «مونو» الى القائد الانجليزي يطلب منه تسليم أولئك الفارين إذا ما لجأوا الى الانجليز ، لانزال العقاب بهم

لكن القائد الانجليزي لم يجبه الى طلبه ، بل مهد السبيل أمام الفارين لكي يبتعدوا عن الجيش الفرنسي ويتوغلوا ما استطاعوا في داخلية البلاد

وأخيراً انتهى الامر بهزيمة الفرنسيين ، ورحل جيشهم عن مصر وبقي فيها عدد كبير من

أولئك الجنود الفارين ، الذين لم يلحقوا باخوانهم العائدين الى الوطن خوفا من العقوبة الصارمة التى كانت تنتظرهم

وجعلوا منذ ذلك الوقت يجوبون البلاد متنكرين ، وقد أصبحوا فى حالة من البؤس والشقاء يرثى لها

وجاء فى احدى الرسائل الخطية المحفوظة فى ملفات جليلاردو بك ، ان عدد أولئك الفارين بلغ المائة

حاول ثلاثة منهم ان ينضموا الى الحجاج المسافرين مع المحمل الى مكة المكرمة ، ولكن الحراس اكتشفوا أمرهم ، فحكم عليهم الوزير التركى محمد باشا بالاعدام ونفذ فيهم الحكم شنقاً فى ٢٧ شوال سنة ١٢١٦ هـ

وكان بعض رفاقهم عازمين على اللحاق بالمحمل مثلهم للخروج من مصر والسعى وراء الرزق فى قطر آخر ، لكن ما حل باخوانهم جعلهم يخافون على حياتهم ، فاختبأوا فى القاهرة عند اصدقاء من المصريين كانوا يعطفون عليهم ويحفظون لبونابرت جميل الذكرى

وعلم الحاكم التركى محمد باشا ان فى العاصمة فريقاً من اولئك الجنود ، فرغب فى استخدامهم فى جيشه لما كان يعرفه عنهم من الشجاعة والمهارة . فاطلق زبانيته فى أثرهم للبحث عنهم فى كل مكان

وعثر الجند على بعض أولئك اللاجئين فجاءوا بهم الى محمد باشا الذى طيب خاطرهم واغدق عليهم العطايا ، وعهد اليهم بتنظيم فرقة من المتطوعين السودانيين فقبلوا . وبعد شهر واحد كانت الفرقة السودانية قد انشئت . واطلق عليها محمد باشا اسم « النظام الجديد »

وما بلغ خبر الفرقة الجديدة مسامع بقية اللاجئين ، حتى خرجوا من مخابئهم مطمئنين وأسرعوا الى محمد باشا طالبين الالتحاق باخوانهم فضمهم الى الفرقة ورفعهم الى مصاف الضباط

ولكن محمد باشا لم يحسن استخدام تلك الفرقة السودانية الممتازة بجنودها الاشداء وضباطها المدربين . غير ان الجنود والضباط انقذوا حياة ولى نعمتهم ، فى أثناء الثورة التى نشبت فى القاهرة والتى كان يذكى سعيرها فى الخفاء داهية عصره محمد على باشا الكبير

فر الحاكم التركى من القاهرة فرافقه فى فراره المخلصون له من الضباط الفرنسيين وجنودهم السودانيين . وكان على رأسهم فى ذلك الوقت « الكابتن كومب » (Combes) وهو المعروف باليوزباشى « سليم » بعد ان اعتنق الاسلام

ومن أغرب ما يروى عن اليوزباشى سليم كومب هذا ، أنه قاد حملة مصرية على طرابلس الغرب فكان النصر حليفه وهزم الطرابلسيين فى موقعة حامية وأسر قائدهم . وعندما جيء اليه بذلك القائد ، عرف فيه سليم كومب زميلا قديماً ، كان مثله جندياً من جنود بونابرت ، وفر مثله

من الجيش بعد معركة أبى قير ، ولجأ الى طرابلس الغرب حيث اعتنق الاسلام وعهد اليه حاكم تلك الولاية قيادة جيشه بعد ان أطلق الرجل على نفسه اسم « زيد عبد الله الطولونى » نسبة إلى مسقط رأسه « طولون » فى فرنسا !

وهكذا التقى الزميلان الصديقان فى ميدان القتال ، وكل منهما فى ناحية ، بعد ان حاربا فى جيش نابوليون جنباً الى جنب

وكان المرحوم شارل جلياردو بك يقول إنه عرف فى سنة ١٨٨٠ رجلا من أسرة « الطولونى » الطرابلسية وإن ذلك الرجل هو حفيد زيد عبد الله الطولونى الفرنسى

وعند ما عاد سليم كومب الى مصر ، كان محمد على باشا قد استولى على مقاليد الامور فيها ، وقضى على المماليك وصفا له الجو ، فحار سليم فى أمره ، ولكنه تقرب من محمد على باشا بواسطة صديق له يدعى « دورو » وانتهى الامر بأن انضوى الضابط الفرنسى المسلم تحت لواء محمد على باشا

أما دورو فهو أيضاً احد أولئك الفرنسيين الذين اعتنقوا الاسلام بعد رحيل بونابرت وقومه ، فاتخذ اسم « عبد الله الدورى » وعهد اليه محمد على باشا قيادة فرقة من فرسانه

ويروى عن الدورى هذا انه كان ذات يوم سائراً فى معية محمد على باشا الى القلعة ، فوقف الباشا أمام منزل أحد أتباعه ، وجيء اليه بالقهوة ليشربها ، فتقدم عبد الله الدورى ووضع يده على كتف سيده وقال :

— لو كنت مكانك يا مولاى لما شربت القهوة الا فى القلعة !

فعمل محمد على باشا باشارته . واتضح له فيما بعد أن مضيفه كان قد وضع له فى القهوة سما زعافا مدفوعا الى ذلك من أعدائه الأتراك

ومما يسترعى النظر ان معظم الجنود الفرنسيين الذين بقوا فى مصر واتخذوها وطناً واتخذوا الاسلام دينا ، كانوا يختارون اسم « عبد الله »

وكان محمد على باشا يقدر شجاعة أولئك اللاجئين ويعجب بهم ويرغب فى استخدام مواهبهم . ومما يذكر بهذا الصدد أنه كان بين المماليك الذين دعاهم محمد على باشا الى القلعة للفتك بهم كما هو معروف مشهور ، عشرون فارساً من الفرنسيين . وقد أراد الباشا ان ينقذ حياة أولئك الابطال لانه لم يكن يخشى منهم شيئاً ، فأوعز الى أحدهم باستبقاء رفاقه فى احدى القاعات ، وهكذا انقذهم من الموت ، فما كادوا يستقرون فى القاعة حتى أطلقت النيران وعلا الصياح وقضى على المماليك

وقد عرف له المماليك الفرنسيون العشرون ذلك الصنيع وحفظوا له من أجله الجميل ، فانضموا اليه واخلصوا له الخدمة ، وظلوا طول حياتهم من أوفى الاوفياء للسيد الجديد وخاضوا غمار المعارك بقيادة أبنائه

وعنـد ما جاء الكولونيل سيف الى مصر ، وعهد اليه محمد على باشا تنظيم جيشه ، وجد الرجل بين الضباط والفرسان نحو ثمانين من أبناء وطنه ، فكانوا له عوناً كبيرا فى القيام بمهمته

والكولونيل سيف (Sèves) كما هو معلوم هو الذى صار فيما بعد «سليمان باشا الفرنساوى الشهير» وكان بعض أولئك الفرنسيين لايزالون محتفظين باسمائهم الفرنسية ، فحملهم سليمان باشا على ابدالها باسماء مصرية ، كما انه حمل من لم يعتنق الاسـلام منهم على اعتاقه . وهكذا أصبح جميع أولئك اللاجئين الفرنسيين فى مصر ، مصريين ومسلمين

والى القارىء الآن قائمة ببعض الاسماء التى عثرت عليها فدونتها فى مذكراتى مع أسماء أصحابها الفرنسية الأصلية :

١ ــ عبد الله مونو : الجنرال مونو القائد الفرنسى العام بعد مصرع الجنرال كليبر بيد سليمان الحلبى

٢ ــ سيف : سليمان باشا الفرنساوى . وهو أشهر من نار على علم

٣ ــ كومب : اليوز باشى سليم . وهو الذى جاء ذكره فى هذا المقال وقاد حملة طرابلس

٤ ــ تالبو : زيد عبد الله الطولونى . وقد اعتنق الاسلام فى طرابلس وجاء الى مصر مع زميله كومب الذى تغلب عليه كما جاء فى هذا المقال

٥ ــ دورو : عبد الله الدورى . وهو الذى أشار على محمد على باشا بالامتناع عن شرب القهوة فى طريقه الى القلعة

٦ ــ ماتيو : محمد الطوبجى . وقد عهد اليه محمد على باشا تنظيم الطوبجية . وكان سليمان باشا الفرنساوى من أشد المعجبين به ، وقال عنه مرة ان القنبلة التى يطلقها محمد الطوبجى لايمكن أن تخطىء المرمى ولو اخطأت لانتحر محمد غيظاً !

٧ ــ لوبو : عبد الله التولوزى . وقد أطلق عليه هـذا الاسم نسبة إلى مدينة تولوز مسقط رأسه فى فرنسا

٨ ــ سوليه : عبد الله الطرابلسى . وهو جندى بسيط فر بعد معركة أبى قير وذهب إلى طرابلس مع زيد عبد الله الطولونى ووقع فى الأسر معه وعاد بصحبته إلى مصر مع اليوز باشى سليم كومب

٩ ــ سولومياك : عبد الله السلاملك . ومما يروى عن هذا الضابط ان محمد على باشا سأله عن اسمه ، فأجابه : « سولومياك » فقال محمد على باشا : « اذن ، ستحرس السلاملك ياسولومياك فى هذه الايام العصيبة التى نجتازها ، فان اسمك نفسه يحدد مهمتك » وعرف الرجل منذ ذلك الوقت باسم « عبد الله السلاملك » وقد اشترك فى حروب الشام ويغلب على الظن انه قتـل فى معركة « الزراعة » الشهيرة

١٠ ـ فورينه : عبد الله النوبى . وهذا الضابط كان قد التجأ الى الجيش الانجليزى فاطلق سراحه وسافر إلى بلاد « النوبة » هارباً من العقاب فى عهد الجنرال مونو . ولم يعد الى مصر إلا بعد أن استقرت فيها الاحوال . وجاء ببعض المتطوعين من النوبيين وانضم معهم الى جيش محمد على باشا فاطلق عليه اسم « النوبى »

١١ ـ جوزيف : يوسف الفرنساوى . وكان المرحوم شارل جلياردو بك يؤكد ان أسرة هذا الجندى لاتزال باقية إلى الآن فى مصر وان بعض الذين يعرفون « بالفرنساوى » ليسوا من سلالة سليمان باشا وأسرته ، بل من سلالة « يوسف الفرنساوى » هذا

١٢ ـ دوكلو : عبد الله الدكلاوى . وقد قتل هذا الجندى فى حرب فتح السودان وترك ابناً وحيداً قتل مثل أبيه فى الحرب ، فى سنة ١٨٣٢

١٣ ـ اوزيس : عبدالله مالك . ولم اعثر على خبر عن هذا الجندى غير اسمه وكان جلياردو بك يقول ان أوزيس كان ماهراً فى صنع القنابل وان محمدعلى باشا قد استخدمه فى مصانع الاسلحة

١٤ ـ ريفير : عبد الله الجداوى . وقد أطلق عليه هذا الاسم لانه سافر فى مهمة الى « جدة » فى أثناء حرب الوهابيين . وقد أصيب بجرح اقعده عن العمل طول حياته . ويظهر انه مات فى سنة ١٨٢٩ تاركا أربعة أبناء . وكان قد تزوج سبع مرات

١٥ ـ سايل : احمد الغورى . وجاء فى احدى أوراق متحف بونابرت ما ترجمته : « عرف الغورى بهذا الاسم لأن جنود الحاكم التركى محمد باشا عثروا عليه مختبئاً فى جامع الغورى بمصر »

١٦ ـ كاديو : أحمد القاضى . وقد رحل هذا الجندى عن مصر وعاش فى لبنان فى عهد الامير بشير الشهابى

١٧ ـ جابير : سليمان جابر . وهو من رجال المدفعية الذين امتازوا فى حصار عكاء . وكان ياوراً لسليمان باشا الفرنساوى فى حروب الشام . ومات وهو فى السابعة والتسعين من عمره

١٨ ـ كاميل : محمد كامل . قتله الدروز فى ثورتهم على ابراهيم باشا . وكان مشهوراً بين الجنود بمهارته فى ضرب الرمح

وهناك أسماء أخرى كثيرة ، أضرب صفحاً عنها لانى لم أعثر على شيء من التفاصيل الخاصة بها ومن يطالع كتاب « رحلة إلى الشرق » للكاتب الفرنسى جيرار دى نرفال ، أو كتب الرحلات الاخرى التى قام بها بعض الفرنسيين فى القرن الماضى ، يقرأ الشيء الكثير عن أولئك الجنود الفرنسيين وأسرهم

وقد يكون أبناء بعض هذه الاسر الآن يجهلون ان الدم الفرنسى قد جرى فى عروق أجدادهم

حبيب جاماتى

الصداقة ترياق اجتماعي

بقلم الاستاذ محمد أمين موسى
استاذ علم النفس في دار العلوم سابقا

مما يلاحظه كل مهتم بالشؤون الاجتماعية فى مصر أن أواصر المودة بين الناس مفككة، وان ذوى القربى كثيراً ماينكبون بالخلافات التى تؤدى بأفراد العائلة الواحدة من اشقاء وأبناء عمومة وخؤولة الى المحاكم، وقد تؤدى بهم الى السجون. مثال ذلك أنك تنتقل من حى إلى حى، فلا يودعك جيرانك الذين عشت الى جانبهم سنوات، ولا يتجشمون عناء زيارتك عند ما يبعد مزارك. وأما جيرانك الجدد فلا يرحبون بمقدمك. وكل مايولونك من مظاهر الود انهم يبادلونك التحية ويقرئونك السلام من وراء قلوبهم. وهذا التقاطع الشائع بين الجيران هين العواقب اذا قيس بما يستفحل من شر واحقاد بين أفراد الاسرة الواحدة أو بين عائلة وعائلة. والصحف طافحة بأخبار اعتداء الابن على أبيه والاخ على أخيه. وقتل الاخت او الام كاد يكون من الانباء العادية. أما القضايا المدنية التى تثيرها الضغائن العائلية فيبانها عند المحامين ورجال القضاء

وهذا الذى تراه بين الجيران وبين أفراد الاسرة الواحدة، تراه فى المدرسة وفى مكان العمل، سيان فى ذلك مصالح الحكومة ودواوينها والمصانع والورش وحقول الريف. حتى تلاميذ المدرسة الواحدة لا يستحوذ عليهم شعور الصداقة، بل تجدهم شعباً متنافرة واحزاباً متناكرة

والموظفون كذلك جماعات تتألف وتتناثر كمجموعات الحبب فوق الكأس المترعة بالجعة. والعمال والفلاحون طوائف منعزلة عن بعضها، ويندر أن تجد فى المدرسة أو الديوان أو المصنع أو الحقل جماعة واحدة تخلص فى الصداقة للصداقة

ما سبب ذلك التنافر؟!! والى أى الاسباب ترد ذلك الفرار من الالفة؟!! ولأى شيء قل أن تدوم الصداقة بين اثنين أو اكثر مدى الحياة أو على الاقل فترة من العمر يجنى الاصفياء والخلان أثناءها ثمرات الوداد؟!

مرد ذلك الى عوامل عديدة، أهمها حب الذات. فالأغلبية الساحقة من الافراد فى شعبنا يعيش الواحد منهم لنفسه قبل أن يعيش لغيره. فرب العائلة، على مانشاهده، يضع مصالح ذاته فوق مصلحة الاسرة. يتمتع بالحياة كيفما اتفق وبأى ثمن، ويسعد على حساب اولاده. ونظرة واحدة إلى القهوات والاندية وأماكن التسلية واللهو، تدل على ذلك بابلغ بيان. فالاعيان يهجرون قراهم فى الاقاليم ويقضون فى القاهرة والاسكندرية أشهراً منفردين يبددون الاموال فى

رفيه أنفسهم ويبالغون فى حرمان عائلاتهم مادياً ومعنوياً . المتعلمون وغير المتعلمين فى العواصم يتركون دورهم ويقضون نصف اليوم تقريباً على القهوات وفى المنتديات ، حيث ينعمون بشطر لايستهان به من دخلهم

الولد الصغير يتخذ أباه قدوة ومثالا ، وحتى الطفل يتأثر بوالديه . والابناء المصريون معذورون اذا احتذوا أمثلة آبائهم ونسجوا على منوالهم فى الأنانية وحب الذات . والانانية مدرجة الخلاف وأصل القطيعة . فاذا انتقل الولد الى المدرسة لاتفارقه أنانيته . والأرجح ان حبه لذاته يباعد بينه وبين رفاقه ويحفر بينه وبينهم هوة سحيقة

هذا الى أن تقاليدنا وعاداتنا رجعية تضع الاغلال والقيود فى عنق الاولاد وتفرض على عواطفهم صنوفا من الكوابح والضواغط ، قد تسحق النفوس الصغيرة أو تحول العواطف البريئة عن مجراها الطبيعي الى اتجاهات شاذة . . . . . . مثال ذلك أن الولد الصغير والغلام اليافع بينما يلقى عليه أبوه دروسا فى الأنانية بليغة ، يجد نفسه حيساً فى المنزل ممنوعا من « الشجرة المحرمة » ونعنى بها شجرة الغرائز الجنسية . والقراء يعلمون الزواجر والنواهى التى تفرض على الاولاد والبنات والتى تشتد بعد البلوغ الى أن تعود كوابت قاسية ، تنهض سياجا غليظا بين الجنسين اللطيف والخشن . فالولد ينهرونه عن اللعب مع البنات ، وقد يزجرونه عن الألفة مع « فلان » من الاولاد و « علان » بحجة انهم خطر على أخلاقه ومفسدة لميوله . والبنت تمنعها النواهي عن اللعب مع الاولاد ، ولا يسمح لها بالتمادى فى صحبة أترابها بحجة خطرهن على آدابها وسلوكها ، أو بحجة الفوارق الاجتماعية والوراثية من غنى وفقر أو حسب وضعة . وظاهر ان هذه النواهي والزواجر تلقى بذور الفرقة بين الجنسين وتجعل الوفاق بين الزوج والزوجة فى المستقبل من أشباه المستحيلات

وعند ما يستحكم الخلاف بين الزوج والزوجة ، وعند ما يفر الزوج من الدار لاشباع رغباته وأسعاد ذاته ، وعند ما تشتد النواهي وتقسو الزواجر — عند ما يكون هذا هكذا ، يشب الولد انانيا يفضل نفسه على سواه ويفر من زملائه ، ويحب العزلة والانفراد . وكذلك البنت يشتد حبها لنفسها ولا تصبر على وداد لداتها ! وتضجرها الحياة بين جدران سجن يحجبها عن العالم ، فتنشىء لها من نفسها سجنا تلوذ به طوال حياتها وتظل تحلم بالسعادة وتكابد مضض الجوع العاطفى ، وتطفق تتوق الى الفردوس الموعود ، فردوس الحياة الزوجية

أما فى المدرسة ، فليس فى مناهج تعليمنا ما يشجع على الألفة ، وليس فيها ما يعمل على تقارب القلوب ، وان كنت لا انكر ان تلاميذ اليوم أوفر نصيبا من دواعى الالفة وأسباب التعاون من الذين تقدموهم . الا ان الرياضة البدنية لا يزال ينظر اليها اليوم كوسيلة لتربية الاجسام ، وليس كوسيلة فعالة لغرس روح التعاون وتوثيق عرى الصداقة . والرحلات المدرسية يتخذونها وسيلة للفرجة على المناظر والآثار ، لا وسيلة لانماء روح الجماعة وفناء الفرد فى المجموع . وليست جمعيات التمثيل والسينما

والتصور المنتشرة فى المدارس الا وسيلة للتسلية وقتل الوقت ، وليست وسيلة لترقية العواطف وتدميث الاخلاق وسكب إكسير الحنان والمودة فى القلوب

من أجل هذا ، يعانى الشباب أزمة خلقية نفسانية خطيرة ، سببها ما قدمناه من انانية وعزلة وجفاء عن الاهل والخلان . ومن أجل هذا أيضاً ، صار الخلاف والشقاق والفرقة من أبرز مظاهر الحياة الخلقية بين الرجال عندنا . بل ان هذا الشقاق وعدم التعاون ، دب الى الجماعات والهيئات والاحزاب ، فمزق شمل الوحدة القومية

فالمصرى فى حياته الخاصة والعامة منكوب بعدم الصداقة ، لا يتذوقها وهو صبى ولا يحسها وهو شاب ، ويفتقدها وهو رجل فلا يجدها . وما نقوله عن « المصرى » ينطبق على « المصرية » الى حد كبير . فالشاب الذى حرم الصداقة يشب منطويا على نفسه كثير الامانى جم الحياء ، يجزع من الحقائق ، ويهرب من الواقع الى الخيال ، مزعزع الثقة بنفسه ، وتلازمه هذه الخلال حتى يفارق دنياه

وهذه هى علة الترامى على الوظيفة الحكومية ، وعدم الاقدام على الأعمال الحرة ، وخيبة الامل قبل الشروع فى تنفيذ الخطط والمشروعات . وذلك لان الوظيفة الحكومية تدر رزقا مضمونا بلا عناء والترقى فيها تساعد عليه أخلاق الضعف وعجز النفوس

وعلى ضوء ما قدمنا ، تدرك الاثر الشنيع الذى ينشأ عن عدم استحكام أواصر الألفة والصداقة بين أفراد الشعب وجماعاته : من الاحجام عن الزواج استمرارا فى حياة العزلة ومغالاة فى الانانية ، والزواج غير الموفق فى غلب الاحوال ، والدسائس التى لا تنقضى ولا تنقطع فى جميع مرافق الحياة بسبب الاثرة وحب الذات وبسبب الخوف الناشىء من ضعف الثقة بالنفس

تلك ملاحظات موجزة ، يوافقنى كل مثقف عاقل على أنها صادقة ، وينادى معى باننا كشعب قد اطرحنا الصداقة من حسابنا . فيجب ان نبادر الى غرسها بكل قوانا فى نفوس الناشئة ونعالج أعراض اهمالها فى الشباب والرجال ، ان كان ذلك فى المستطاع

محمد امين مومى

استدراك على مقال

كتب السيد ابرهيم ميخائيل عطاء فى احد اعداد الهلال الماضية مقالة نفيسة عن العالم الالمانى تشندورف والنسخة السينائية . وقد جاء فى هذه المقالة ان تشندورف وجد مع النسخة السينائية « انجيل برنابا » الذى اعتمده المسيحيون فى القرون الاولى والذى حكمت المجامع فيما بعد بعدم قانونيته . والواقع أن تشندورف عثر على رسالة برنابا لا « انجيل برنابا » لان « انجيل برنابا » لم يعثر عليه احد حتى الآن . وما يسمى الآن « انجيل برنابا » (وقد طبع كتاب بهذا العنوان سنة ١٩٠٧ بمصر) هو تأليف حديث كما يتضح لكل ذى معرفة تاريخية

القس سيكورد كيلف الدانيماركى

امراض النوابغ

بقلم الدكتور عبد الرءوف حسن

لست من القائلين بأن العبقرية منشؤها العلل والامراض، جسمانية كانت أم نفسانية. إذ البحوث الجديدة كلها مجمعة على أن العبقرية لغز لا سبيل الى ادراك كنهه وسر سيبقى محجوباً عنا تفسيره أبد الدهر

فمثلا لا أسلم بالرأى القائل بأن الميكروب والجراثيم قد تلهب المخ وتنشط الاعصاب، فتتولد العبقرية. لاأسلم بهذا، واضحك ملء فمى من الذين اقترحوا حقن الاذكياء بجرثومة الزهرى، لكى تجنى الانسانية ثمرة العبقرية الحادثة بمفعول السموم التى تفرزها « الاسبيروخيتا باليدا » (١) هذه

إذ لو كان هذا الرأى صحيحا، لاستتبع أن يكون كل مصاب بالزهرى عبقريا. وهو عكس مايقع تحت أنظارنا وتجاربنا

لكن من جهة أخرى يمكن القول بأن الامراض المعدية، مثل الزهرى والسل والملاريا والسرطان، قد تؤثر على سلوك الشخص وتكيف عمله وتوجهه الى نواح معينة، وتجعله يفضل منهاجا فى الحياة على منهاج. ولا شك فى أن الميكروبات والجراثيم تؤثر على الجسم - خصوصاً المجموعة العصبية - عن طريق سمومها. ولا شك فى أن هذا التأثير يظهر جلياً فى تصرفات بعض النبغاء والعظماء. إلا أن جوهر العقل لا يتأثر، وطبيعة النفس لاتتحول. اللهم إلا أن يشتد مفعول هذه السموم الميكروبية فوق الحد المعتاد!! وحتى اذا اشتد فانه لايخلق من الغبى ذكياً، ولا من الذكى عبقرياً، ولا من الخامل عظيما

أنتقل بعد هذا الايضاح الموجز الى موضوعى فاقول:

كلما قرأت فى كتب السير عن عظيم أو عبقرى قضى نحبه فى ريعان العمر، ففكر فى شىء واحد، فكر فى السل. فانك اذا بحثت فى حياة الذين ماتوا قبل الاوان من عباقرة وأفذاذ ونابهين، لوجدت انهم شكوا من علة الصدر التى أعيت الطب والاطباء - ألا وهى السل

مات الزعيم الشاب مصطفى كامل مريضا بداء السل الرئوى. وكلنا يعرف أنه سقط فى الميدان منهوكا مكدوداً من العمل المتواصل، لانه كان رحمه الله شعلة متقدة أضاءت بقوة ثم خمدت

---

(١) الاسبيروخيتا باليدا هي الاسم العلمى للجرثومة المسببة لمرض الزهرى، وهي تسبح في الدم، ثم تستقر في الانسجة العصبية وغيرها، وتفرز سموما باستمرار

وهكذا حال الذين يصابون بهذا المرض الوبيل ، يشتد نشاطهم ويزيد بجهودهم عن المألوف ثم تحترق الشمعة وتتلاشى من الوجود

انظر كيف كان نشاط الشاعر الانجليزى « كيتس » ثم انظر كيف ذبلت زهرته فى العقد الثالث . وأغلب الظن أن « باسكال » الرياضى العظيم والمفكر المنقطع النظير مات مسلولا فى ربيع العمر . كذلك عندى يقين لا يتزعزع ، يجعلنى اعتقد أن « سافو » سيدة الشاعرات ، كانت مصابة بالسل ، لانها صنعت اشعاراً نارية عبرت بها عن عواطف واحساسات نارية . وقد قدمت أن المزاج النارى والنشاط الخارق من أعراض السل حيث لا تمهل الفريسة إلا وقتا قصيراً تستنفد خلاله قوى الانسان ويستنزف معين نشاطه

قالوا وكان الفيلسوف الالمانى « نيتشه » مصابا بالزهرى الوراثى ، الذى ابتلاه فى أخريات حياته بالجنون ، فمات ذاهلا لا يعى شيئاً . ونحن نعرف كيف شذ هذا المفكر بآرائه وكيف كانت قسوته على الضعفاء ومقته لمن يستحقون الاخذ بيدهم ويستأهلون الرفق الذى لم يذقه هو والحنان الذى احتاج اليه على سرير الموت فلم يظفر به . والذى لون تفكير هذا الفيلسوف بذلك اللون الدموى الوحشى ، هو ألمه الدخيل الناشىء من سريان الزهرى فى جسمه وضغطه على مخه وأعصابه . والمعروف الثابت هو أن جرثومة الزهرى تستمرىء الجهاز العصبى وتعيث فيه اتلافا وفساداً

وما كانت خاتمة حياة « موباسان » لتكون الانتحار ، لو لم يكن مصابا بالزهرى الوراثى . فهذا الكاتب الفنان قطع رقبته « بموسى » على حين لا داعى للانتحار بعد أن أحرز مجداً بين البلغاء وأصاب الغنى والشهرة ، ولم يكن فاشلا فى غرامه ! ! لكنه الزهرى ، الذى يطغى على الاعصاب فيوسعها ألما وتعذيباً فتحيد عن تأدية وظيفتها على الوجه الطبيعى ـ ويكون الاضطراب الملعون ويكون الشذوذ فى السلوك والفكر

ويخيل لى أن شذوذ « آل بورجيا » وشذوذ « نيرون » يعزى الى اصابتهم بالزهرى الوراثى . ويساعدنى على التصريح بهذا الرأى أن الحياة فى عهد هؤلاء كانت ملوثة غير شريفة وان الاخلاق انحطت وتدهورت فى أواخر الامبراطورية الرومانية وأواخر حكم البابارات ، كما ينبئنا التاريخ

هذا عن السل وعن الزهرى ، فاما عن الملاريا فأقول :

ان حمى الملاريا تظل تفتك بالدم وتؤذى الاعصاب ، دهراً طويلا . وهى اذا أزمنت صعب التخلص منها . وقد وصفها الشاعر العربى « أبو الطيب المتنبى » فاجاد . ولا شك فى أنه مرض بها ، ولا يبعد أنه بقى يشكو من تألبها عليه طوال الحياة ، خصوصا وعلاجها بالكينا لم يكن معروفا وقتذاك

وهذه الحمى المعدية ـ بواسطة الناموس ـ لها أعراض عصبية ثابتة ، لكنها لا تؤثر فى المخ والاعصاب تأثيراً سيئاً ، ولا تلون المزاج باللون القاتم ، ولا تلهب المصاب بها فيتضاعف نشاطه ويستفحل مجهوده . واذا أردت أن تعرف مفعول الملاريا المزمنة ، فى عقلية الرجل العظيم وتصرفاته ، فاقرأ حياة « جورج واشنطن » . فقد اشتكى من الدوسنطاريا والملاريا مدى عمره . ويظهر لى من تتبع حياته المرضية ومقارنتها باعماله ومساعيه ، أن الملاريا ساعدت على تقوية ارادته ، لأنه قاومها بعناد فقويت شكيمته وتفاقم ثباته ، إلا أنه كان دائم الشكوى من مضايقاتها ، كما كان لاينقطع عن علاجها بمعرفة حذاق الاخصائيين

فما تقدم يتضح أن الموت يسرع الى المصابين بالسل إسراع النار فى الهشيم ، بينما يدب ببطء شديد فى مرضى الملاريا المزمنة ، وأما فى الزهرى فتأتى المنية على دفعات ! !

بقيت كلمة عن السرطان نقولها استيفاء للبحث . فلا شك فى أن هذا الداء العياء ، ذهب بحياة عباقرة عديدين ، نذكر منهم الامام الشيخ محمد عبده وجمال الدين الافغانى وابقراط أبو الطب وجبران خليل جبران

ومما يلاحظ على ضحايا السرطان انهم من فئة المفكرين والمشتغلين بالشئون الفلسفية أو العقلية البحتة ثم يلاحظ أيضا ، انهم قضوا نحبهم بعد أن جاوزوا الثلاثين من العمر وقطعوا من العقد الرابع شوطا ليس بقصير ، فالشيخ محمد عبده مات فى نحو الستين وجمال الدين حوالى الستين أيضا ، وأبقراط مات وهو شيخ ملأ الدنيا علماً وحكمة وجبران مات فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره

وهذا يعزز النظرية الحديثة التى تقول : إن واحداً من كل عشرة أناس يصاب بالسرطان بعد الخامسة والثلاثين من عمره

***

يغنى الايجاز عن الاسهاب فى مواطن مثل هذه المواطن التى نحن بصددها . فاتم بحثى القصير بتقرير نقطة اساسية ، ألخصها فى ان الامراض المعدية لاشأن لها بالعبقرية ، وانما كل ماتفعله هو أن تؤثر فى اتجاه العبقرية ونوع عملها فى الحياة . فليس هذا عبقرياً وذاك فذاً ، لانهما أصيبا بالزهرى أو السل أو السرطان ، وإلا لاستتبع أن يرقى كل مصاب بهذه الامراض المعدية الى الاوج ويتخذ فوق جبين الشمس مقعده

دكتور عبد الرءوف حسن

التأمين الصحى البريطانى

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد
مدير مستشفى الملك

ليس غريباً أن تقوم الحكومات باجبار العمال من رعاياها على المساهمة فى أى مشروع للتأمين الصحى لان حسن الصحة من أهم الشئون الجديرة بعنايتها

وقبل قيام الحكومات بنصيبها فى التأمين الصحى على العمال أنفسهم بتأليف جمعيات للتعاون للقيام بهذا الغرض . وهذه الجمعيات لم تكن لتشمل جميع العمال ولا سيما تلك الطبقات الفقيرة التى لم تستطع توفير قيمة الاشتراك فى جمعيات التعاون . فاذا حل المرض بعميد العائلة وقف رزقه الذى كان جارياً وزاد فى الطين بلة احتياجه إلى دفع نفقات العلاج من أجر الطبيب وثمن الأدوية الضرورية

أساس المشروع

ولعل أول مشروع اجبارى للتأمين الصحى هو الذى ظهر فى المانيا فى سنة ١٨٨٣ . وحذت النمسا حذو المانيا فى سنة ١٨٨٨ ثم المجر سنة ١٨٩١

أما فى بريطانيا فصدر قانون التأمين الصحى فى سنة ١٩١١ ونفذ فى سنة ١٩١٢ . وهو يشمل كل عامل باليد سواء أكان ذكراً أم أنثى تجاوز السنة السادسة عشرة ، وكل عامل آخر لا يزيد إيراده السنوى عن ٢٥٠ جنيهاً

وكل عامل ينضوى تحت لوائه له الحق فى بعض الامتيازات . وأهم هذه الامتيازات ما سميته بامتياز التداوى ، وامتياز المرض ، وامتياز عدم القدرة على العمل

ويتلخص امتياز التداوى فى تيسير العلاج للعامل المريض يعالجه طبيب ممارس يستطيع أن يأمر بما يلزم من الأدوية وبعض أدوات طبية وجراحية معينة . ويحتم امتياز التداوى على الطبيب أن يحفظ سجلات للمرضى وأن يعطيهم شهادات باجازات مرضية . وهذا هو أساس التأمين الصحى

وليس من ينكر حق العامل الفقير فى أن يعالج فى وقت المرض علاجاً تاماً ، يعالجه الطبيب الذى يختاره بمساعدة حكومته ، ولا واجب الطبيب فى القيام بالعلاج خير قيام لأنه يأخذ أجراً على العامل سواء أكان مريضاً أم سليماً . ومن المعقول أن تدرك أن العامل إذا كانت صحته جيدة أصبح عمل الطبيب أقل بغير أن ينقص دخله وهو نظام ظاهر الوجاهة

مهمة الطبيب

وللطبيب تأثير مهم فى نفقات المشروع . فالأدوية والضمادات وغيرها مما يحتاج اليه المريض تصرف من الصيدليات بأذن كتابي من الطبيب . وكذلك امتياز المرض ، وهي الارزاق التى تحصل عليها المرضى من الجمعيات المعتمدة لايمكن الحصول عليها الا بشهادة من الطبيب . ومراقبة النفقات التى تصرف للمرضى بأوامر الاطباء هى سبب المتاعب والصعوبات التى تواجه المشروع . وعلى محور هذه النفقات يدور نقد المعارضين . ومن الحق القول بأن نظام التأمين الصحى الرسمى قد اضطرب اضطراباً عظيماً للاعتبارات المالية

وليس من الضرورى الكلام على تاريخ المشروع الاصلى وما ظهر حوله من المناقشات والاعتراضات مما أدى إلى تعديل القانون حسب الظروف ، ولا الكلام على الأنظمة المتبعة فى تنفيذه . ويكفي ذكر كلمة الدكتور دين (Dain) رئيس اللجنة الفرعية من الجمعية الطبية البريطانية لقانون التأمين الصحى فى مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب العلاج الطبى بالتأمين (Medical Insurance Practice) : « لشد ما يدهش كثير من الناس من أن مسألة علاج المريض بالطبيب وهي تلك المسألة العادية قد احتاجت الى كثير من الانظمة والقواعد . ولكن الاحوال الحاضرة هى نتيجة الخبرة والحاجة . وبقليل من التبصر نرى أن النظام المعقد المختلط نشأ عن أن خدمة الطبيب للمريض يقوم بها ويدفع أجرها فريق ثالث لا يحضر الخدمة فى أثناء تأديتها ، وعن شدة الالحاح على الاطباء بالانضمام إلى المشروع انضماماً اختيارياً ، وبحرية الاختيار لكل من الطبيب والمريض . فهذه الاصول الاولية هى سبب النظام المعقد المضاعف »

والمعتاد انضمام كثير من الاطباء بغير أن يتعرفوا جيداً هذه الأنظمة الكثيرة والقواعد المختلفة واستمرارهم فى العمل بغير أن يتمشوا معها . ولا شك أن ذلك مما يؤدى الى ارتباك شديد

المشروع والحرب الكبرى

لقد كانت الحرب الكبرى سبباً لكثير من متاعبنا الحاضرة . وليس غريباً أن تتهم هذه الحرب بالفوضى التى تلابس مشروع التأمين الصحى فى بريطانيا خصوصاً وأن المشروع لم يظهر فيها الا قبل الحرب بسنتين . وعلى ذلك تكون مدة الحرب ، ومدة التضخم المالى القصيرة التى أعقبتها ، والازمة المالية التى تلتها واستمرت الى وقتنا الحاضر ، كل أولئك له شأن فى هذه الفوضى

ومع تسليمنا بتأثير هذه الحرب وبما نشأ عنها من انحطاط الاخلاق انحطاطاً عم كل الطبقات ، ومن بينهم الاطباء ، فهناك صعوبات لازمت مشروع التأمين الصحى فى أثناء تنفيذه فى بريطانيا وهي صعوبات كان من الضرورى التنبه اليها لاتقائها لان أساس المشروع غير صحيح

وقد قال برند (Brend) فى كتابه « الصحة والحكومة » : « ان قانون التأمين الصحى هو أكبر مشروع للصحة العامة نفذ فى هذا البلد . فلم يسبقه مشروع له علاقة كبيرة بعدد عظيم من السكان ، واقتضى ميزانية كبيرة وادارة هائلة ، وادعى القوم له فى أثناء تنفيذه فوائد جسيمة ، ولم يتقدمه مشروع قد فشل فى تحقيق غرضه الاولى كما فشل هذا المشروع

« ان غرضه الاصلى هو تحسين صحة طبقات العمال . ومن الضرورى أن نحكم عليه من هـذه الناحية ، فالمشروع لم يحسن الصحة العامة ، أو على الاصح لم يحسن الصحة تحسيناً يتناسب مع نفقاته . وبذلك يمكن أن يقال إنه فشل فى تحقيق غرضه الاولى »

هذه العبارة وان ظهرت أنها خلاصة عصرية وضحت عيوب النظام الا أنها قد قيلت فى سنة ١٩١٧ قالها برند كما ذكرت فى كتابه « الصحة والحكومة » الذى نشر بعد ظهور القانون بخمس سنين . ولم يقتصر على ذلك بل استأنف قائلا فى المشروع الذى نقل عن المشروع الالمانى الذى نفذ فى سنة ١٨٨٤ :

« فى سنة ١٩١٠ أى قبل ظهور قانون التأمين الصحى كنا نثق ثقة عظيمة بالعلم الالمانى ونحسن الظن بالانظمة الالمانية . ولم يكن يليق أن نحتقر تقليدنا للانظمة الالمانية لتغير وجهة نظرنا فى الخلق الالمانى بعد ذلك تغيراً عظيما ، لكن النظام الالمانى لم يكن جديراً بالتقليد فى ذلك الوقت لعيوبه . ولابد أن بحث المشروع الالمانى كان سطحياً جداً لأن التعمق فى بحثه فى المانيا كان لاشك يوضح أن المشروع قد فشل من ناحية الصحة العامة كما ظهر فشله عندنا بعد ذلك

« وانه وان يكن القانون البريطانى قد نحا نحو الغرض الاصلى من المشروع الالمانى إلا أنه قد أدخل عليه كثير من التعديل فى التفصيل . فقد أخذنا من المشروع الالمانى نظام الالتزام وهو تيسير العلاج بواسطة الاطباء . وهذا النظام هو نفسه الذى أدى الى كثير من المشاحنات فى المانيا بين جمعيات التأمين وبين الاطباء ، مما أدى الى اضرابهم أو الى التهديد بالاضراب ، وأدى الى التمارض والى عيوب أخرى أصبحت ظاهرة الآن »

وما أعظم هذا الاعتراف . فهو فى الحق اعتراف كبير الشأن لصدوره منذ بضع سنين

المشروع والازمة الاقتصادية

وهناك مسألة غاية فى الاهمية وهى تأثير الازمة الاقتصادية من الناحية الخلقية فى الطبيعة البشرية سواء أكان هذا التأثير فى العمال أم فى الاطباء أم فى غيرهم . فظروف الاحوال تؤز كل انسان وهو سائر فى سبيله أزاً

قال ارمسترنج فى كتابه « بقاء الأصلح » ، وهذا المؤلف من الذين يعتقدون أن التأمين الصحى الاجبارى مشروع عقيم غير اقتصادى :

« كل الظروف التى تقتضى تعويضاً أو مكافأة تميل الى الازدياد والانتشار . فاذا أعطى المريض تعويضا أو مكافأة فى أثناء مرضه أو اذا أعطى العامل العاطل من العمل تعويضا أو مكافأة فى أثناء عطلته من مال الغير ، فلا بد من ازدياد المرض أو البطالة . أما اذا اعتمد الانسان على الحياة الصحية للصحة ، وعلى العمل للاجر ، وعلى الاقتصاد من اليوم الابيض لليوم الاسود ، فالحياة الصحية والعمل والاقتصاد كل أولئك لابد أن يزداد للحصول على الفائدة المادية . فاذا أمكن الحصول على الفائدة المادية بقليل من المجهود مع اهمال الصحة والعمل والاقتصاد فلا بد من ازدياد هذا الاهمال »

ومن المغالطة أن يعتقد الانسان أن فوائد التأمين الصحى ليست من باب المعونة والمساعدة بل من الفوائد الشرعية ، نتيجة اقتصاد العمال ما يدفعونه اجباريا من رسوم التأمين . ذلك لان التأمين الحقيقى لا يشترك فيه الامن توقع الانتفاع منه . أما هذا التأمين فيشترك فيه أصحاب الاعمال ودافعو الضرائب وعدد كبير من العمال الذين لا يتوقعون المرض أو البطالة . أما المستفيدون من التأمين فهم كالطفيليين يعيشون من جيوب غيرهم . فكل زيادة فى الهبة التى تمنح للعاطل من العمل ، وكل سهولة فى منحها من شأنها زيادة البطالة . وكل امتياز للتداوى ، أو للمرض أو لعدم القدرة على العمل ، وكل تسهيل للحصول على هذه الامتيازات يبعث على المرض أو التمارض

يزعم كثير من الناس فى هذا العصر أننا اذا قلنا ان الطبقات العاملة يجوز فى حقهم ما يجوز فى حق غيرهم من سائر البشر من صفات الضعف الانسانى ، فقد قلنا شططاً وشتمنا هذه الطبقات أو احتقرناها . وقد لا يغيب عن الذاكرة ما حدث قريبا فى البرلمان الفرنسى إذ قال المسيو بلوم M. Blum للوزير المسئول الذى قال فى جرأة ان الهبات والمكافآت التى تعطى للعاطلين من العمل اذا كانت كبيرة فقد تشجع على البطالة ، أقول لقد قال المسيو بلوم لهذا الوزير إنه قد أهان العامل الفرنسى اهانة عظيمة بذلك

وهى طريقة عصرية لاستهواء الجماهير لكنها طريقة ممقوتة . وخوف الخائفين من مقاومة هذا التيار مما يشجعها ، وهى دليل على فساد الاخلاق فساداً مؤلما

ومن هذا النوع ما ذكره الدكتور كوكس (Dr. A. Cox) وقد كان سكرتيراً للجمعية الطبية البريطانية فى مقالة قدمها لمؤتمر المعهد الصحى الملكى فى سنة ١٩٣٠ :

« أجمع كل مراسلى تقريبا على ان لنظام التأمين الصحى مع سائر الانظمة الاخرى التى للمساعدة الاجتماعية أثراً سيئا فى طبقات العمال . فهم يعتقدون ان ازدياد طلب امتياز المرض او امتياز البطالة بغير تضحية مالية كبيرة ناشىء عن توهم العمال توهما جديداً عاما بأن الخزانات العامة لا تفرغ ولا تفنى »

الادب الطبي والمشروع

ولقد اقتصر الدكتور كوكس فى كلامه على الجمهور من العمال والعاطلين من العمل ولم يقل شيئا عن الاطباء . ولعل رأيه فيهم هو رأى لو استراش (John St. Loe Strachey) إذ يقول :

« ما من صناعة أقرب لغواية الشيطان حتى لقد ينسى صاحبها الشرف والشفقة والانسانية ، كصناعه الطب . وهي كذلك أدنى الصناعات لاستغلال الآلام البشرية . لكنها فى الوقت نفسه هى أفضل الصناعات ، لان صاحبها أبعدالناس تأثراً بهذه الغواية وأشدهم مقاومة لها . فليذكر الجمهور ذلك وهم يتهكمون على الادب الطبي لانهم يعتقدون أنه لنفع الاطباء ذاتيا وماديا . وما الادب الطبي إلا خير وسيلة لانقاذ المريض وخلاصه »

أما السر ارثر نيوز هولم فاكثر جرأة على الاطباء اذ يقول فى كتابه « الطب والحكومة » ما معناه : « انى أعتقد أن مستقبل الطب يتوقف على المستوى الادبى للاشخاص ذوى الشان . وأكثر ما يكون ذلك فى عمل التأمين الصحى الذى يقتضى تحرير شهادات بعدم القدرة على العمل . فعيوب هـذا التأمين ناشئة على الاغلب من عيوب الطبيعة الانسانية التى لا يخلو منها المرضى ولا الاطباء . ولا تبرر هـذه العيوب الحكم على المشروع بالفشل التام الا اذا استعصت هذه العيوب على العلاج وأصبحت الادارة باهظة النفقات »

والواقع أن للطبيب نصيبا كبيراً من هذه الفوضى . اليس هو من البشر يجوز عليه مايجوز عليهم من العيوب ؟ فالعصمة للانبياء والكمال لله وحده . ألا يعتمد طبيب الالتزام فى معاشه وحياته على مرضاه وهم من البشر أيضا ؟ فاذا طلب المرضى من الطبيب شيئا لاحق لهم فيه ، فلاعذر للطبيب فى اجابة طلبهم لو أن الامور تسير سيراً طبيعيا

الطبيب والجمهور

ولا بد من موافقة الدكتور هاري روبرتس (Dr. Harry Roberts) فى رأيه ان الجمهور جاهل جهلا تاما بوظيفة الطبيب وبنفعه للفرد والحكومة إذ يقول :

« ان الضرر كل الضرر هو اعتماد كثير من الاطباء فى حياتهم على رأى الجمهور فيهم . وهم اكثر اهتماما بالحصول على ثقتهم وجمع أرزاقهم من المحافظة على كرامة المهنة »

ومتى كان الجمهور أو الاغلبية المطلقة على جهل تام بكل ما يتعلق بالصحة والمرض فلا بد أن يكون لحرية اختيار الطبيب بعض التأثير فى تكييف الاعمال الخصوصية لرأى الجمهور . ولزيادة الايضاح أقول ان الطبيب الذى يطاوع ضميره ويرفض وصف دواء لمريضه لعدم حاجته الى دواء لابد أن تنقص التحاويل المالية التى تصرف له كل ثلاثة أشهر نقصا تدريجيا . ومن ذلك يرى

الانسان ان نظام العمل بالالتزام ، والعمل الخصوصى أو العمل فى جمعيات التعاون القديمة ، كل أولئك سواء . فاعتماد الطبيب فى حياته على رأى مرضاه هو سبب هذا الضرر

واذا كان المثل الاعلى أن يسير نظام الالتزام على رأى بعضهم سير الاعمال الخصوصية بقدر الامكان فلا بد أن يأخذ الالتزام عيوب الاعمال الخصوصية

ففى الأعمال الخصوصية يريد المرضى أن يلاطفهم الاطباء وأن يجيبوا لهم طلباتهم . ولما كانت الحاجة المالية هى التى تقرر العلاقات بين الاطباء والمرضى فكثيرا ما نرى المرضى تنفر من التداوى عند الأطباء الذين لا يخاطبونهم على قدر عقولهم والذين لا يسايرونهم فى كل مايشتهون . فقد لا يرى الطبيب ضرورة لوصف دواء للمريض الذى يلح على تناول شىء من الدواء فاذا لم يساير الطبيب المريض تركه للتداوى عند غيره

واذا كانت الحاجة المالية هى رأس كل خطيئة ، وهى فى هذه الايام قد اشتدت بسبب الازمة المالية التى عمت كل الطبقات وكل البلاد ، وبسبب تكاثر الاطباء تكاثراً عظيما عقب الحرب العظمى ، وإذا استطاع الطبيب أن يخسر مريضاً أو أكثر فى الزمن القديم محافظة على تقاليد المهنة فهو فى هذا الوقت لا يستطيع أن يخسر مريضاً أو اكثر حتى من مرضى التأمين ممن يعالج الواحد منهم بما لايزيد عن بنسين فى الاسبوع

انحطاط المستوى الادبي

لقد انحط بكل أسف المستوى الادبى انحطاطاً كبيراً . ومما يدل على ذلك ما قاله وزير العمل فى مجلس النواب فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٢ اذ ذكر عدداً كبيراً من المقتدرين الذين استغلوا نظام إعانات العاطلين من العمل استغلالا كان من نتيجته حرمان بعض العاطلين ممن هم فى حاجة شديدة الى هذه الاعانات لانهم باعوا بعض لوازمهم . فقد ضرب مثلا برجل أعزب يملك مبلغاً موظفاً لا يقل عن ١٧٠٠ جنيه . وبرجل متزوج له فى بنك ٢٤٠ جنيهاً وله فى صندوق التوفير فى البريد ٢٤٠ جنيهاً وله أيضاً ١٠٠ر١ جنيه فى بنك آخر . فهذا الرجل قدم طلباً لاستمرار صرف الاعانة له بعد أن استولى على الحد الاعتيادى للاعانة

قصص وحوادث

أما فى نظام التأمين الصحى فيسعى كثير من المشمولين بلوائه للحصول على كل ما يمكن الحصول عليه سواء أسمح لهم التأمين بذلك أم لم يسمح . وهم يسوغون عملهم بتوهمهم انهم مضطرون للمساهمة فى هذا النظام بما يخصم اسبوعياً من أجورهم

واليك التفصيل :

ان الشهادات الالتزامية هى كالشيكات المالية وإن قلت قيمتها ولم تتجاوز بضعة شلنات بصفة امتياز للمرض (Sickness Benefit)

فقد ذكر طبيب فى الاجتماع الالتزامى السنوى فى سنة ١٩٣٠ حكاية رجلين أرادا أن يشهدا السينما ولم يكن فى جيبهما نقود . فخطر لهما أن يذهبا إلى طبيب الالتزام . وقد توجها فعلاوأخذا منه شهادة مرضية . وبتقديمها للصراف أعطاها خمسة شلنات

وذكرايضاً قصة طاهية أرادت أن تحصل على شيء من لا شيء ، فذهبت إلى طبيبها الالتزامى وقدمت له بطاقتهاوقالت له : « انى أريد دواء » واعترفت أنها ليست مريضة وانما تريد أن تأخذ شيئاً بدلا ما يخصم منها . ولما رفض قالت له : « اذن اذهب للتداوى عند غيرك »

ولا شك ان هذه الحوادث اعتيادية تصادف كل أطباء الالتزام فى أثناء أعمالهم

ومثل الوصفات الطبية الالتزامية الشهادات المرضية الالتزامية . فالوصفات الطبية أو التذاكر هى أوامر للصيدليات بصرف أدوية يختلف ثمنها من بنسات إلى شلنات يتقاضاها الصيدلى مضافا اليها أجر تركيب الدواء . وكثيراً مايطلب من الصيادلة أن يصرفوا أشياء أخرى غير موصوفةفى التذاكر بدلا ما هو مذكور فيها . يحكى ان سيدة طلبت من صيدلى أن يعطيها أحمر للخدود وطلبت أخرى أحمر الشفاه . وهذه المقايضة التى تحدث بين فريقين هما المرضى من ناحيةوالصيادلة من ناحية أخرى وزرها عليهما معا . وما اظن ان قوله تعالى فى كتابه الحكيم : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » أى لا تأثم آثمة اثم أخرى ، يخلى أطباء الالتزام من مسئولية المشاركة فى هذا الاثم فهم الذين يصفون أو يكتبون هذه التذاكر

فالاطباء متهمون امابالاسراف فى وصف الادوية اسرافا لايبرره المرض ، وإما بشهادة الزور بكتابة شهادات بغير حق

ومن متاعب صرف الادوية إلحاح المرضى على الاطباء بطلب زيت السمك والمالطين وسائل البارافين وغيرها من الادوية الغالية الثمن ليبدلوا بها غيرها من الاصناف التى يحتاجون اليها . وكثيراً ما تشجع الصيادلة هذه المقايضة لانهم يعطون مرضى الالتزام الذين تكثر تذاكرهم بعض الهدايا

وقد تتنافس الصيادلة كما يحدث فى بعض المناطق فيتسابقون الى اعطاء المرضى أصنافا ضرورية كالصابون وكالروائح العطرية لصرف التذاكر من عندهم . ومن الصيادلة من يعطى شيئاً من النقود على كل تذكرة يصرفها . وقد اتضح أن المناطق التى تكثر فيها هذه الرشوة تكثر عند أطبائها مرات التردد وتكثر فيها دعوة الاطباء للمرضى ليلا

ومن ظريف مايحكى أن صيدلياً قد دق جرسه دقا عنيفا بعد منتصف الليل . فقام الصيدلى من نومه مذعوراً وأطل من النافذة فرأى آنسة بملابس السهرة . قال : «ماخطبك ؟ (وهو يضع جلبابه

على معطفه) أمريض فى خطر ؟ » فأجابت فى شىء من الدلال : « لا ، ولكنى مضطرة للذهاب لحفلة ساهرة راقصةوقد افتقدت أحمر الخدود » فرد الصيدلى بشىء من البرود : « آسف جداً لانى لا أحفظ عندى من أحمر الخدود ما يكفى لصبغ خديك »

أإذا كان هذا الصيدلى فى احدى المناطق المذكورة وكانت هذه الآنسة من أفراد الالتزام أكان يستطيع أن يقابل فصلها البارد بمثل جوابه البارد ؟

متاعب الطبيب

ومن سوء حظ الطبيب أن كل ما يصرف للمريض سواء أكان نقوداً بصفة امتياز للمرض ام دواء للمرضى لا يصرف الا بموافقته واعتماده . نعم ليس للمريض حق فى شىء لا يستحقه قانونا وليس للطبيب أن يصف للمريض الا ما يستحقه مرضه . ولكنه يخشى غضبه مما يسوقه الى ابتغاء مرضاته باجابة طلباته من شهادات مرضية فى غير محلها ومن أدوية لا يقتضيها المرض

ولقد جد القوم لمعرفة سبب الزيادة فى طلبات امتياز المرض وامتياز عدم القدرة على العمل ، بتحريات حديثة أجراها مفتشو المناطق فى آخر سنة ١٩٣٠ . وقد حادثوا عدداً عظيما من أطباء الالتزام فى جهات مختلفة مما دلت الاحصائيات فيها على زيادة عدد المرضى المحالين على هؤلاء المفتشين ، فقال لهم بعض الاطباء إنهم لا يستطيعون أن يتمشوا مع ضمائرهم خوفا من ضياع مرضاهم

وادعى البعض أنهم يأبون أن يحرموا مرضاهم من فائدة الشك إذا اشتكوا من مرض أو من عدم القدرة على العمل

ولعل خوف الاطباء من ضياع مرضاهم هو السبب فى الاسراف فى وصف بعض المقويات وبعض المسهلات مما يعلم الاطباء أنه يستعمل لسائر أفراد العائلة . وكثيراً ما يمر المريض على طبيبه فيخبره أنه ليس مريضاً ولكنه محتاج الى شىء للتقوية ، حتى لقد قال كبير من كبار المفتشين فى شمالى ارلنده فيما قاله من الملاحظات على نظام الالتزام فى سنة ١٩٣٢ : « إذا طلب المريض مقوياً فطلبه لا يدل على أنه مصاب بالانيميا وأنه محتاج الى مركب حديدى » أليست هذه اهانة للطبيب ؟ وأليست هذه الملاحظة أو الاهانة دليلا على جهل بعض القائمين بعمل التأمين الصحى ؟ نعم ليس للمريض حق فى طلب المقويات . فاذا وجده طبيبه فى حاجة اليها فهو لا يتأخر فى وصفها له

ولئن كان الشىء بالشىء يذكر فلأذكر أن مرضى الالتزام يكرهون أن يحالوا على مفتشى المناطق ، ولذلك يخشى أطباء الالتزام احالتهم على المفتشين فى أحوال الاشتباه أوفى أحوال التمارض. وهنا يصح ان أقول إن هؤلاء المفتشين قد وضعوا فى النظام لمساعدة الجمعيات المعتمدة من جهة ولمساعدة أطباء الالتزام من جهة أخرى باعطائهم رأياً ثانياً فى أحوال الاشتباه . ففى الاحوال

النادرة التى يحيل فيها أطباء الالتزام المرضى على هؤلاء المفتشين يخشى الاطباء ان يعرف مرضاهم أنهم هم الذين أحالوهم . فقد حدث فى اجتماع لجنة الالتزام بلندن ان عرضت شكوى من طبيب خلاصتها أن الجمعية المعتمدة التى كانت إحدى أعضائها مريضة عندهذا الطبيب، عرفت من الجمعية أنه هو الذى أحالها على مفتش المنطقة . ومن الصعب أن يفهم الانسان ما يقصده المشتكي من شكواه . وأصعب من ذلك أن يفهم الانسان ما وجه اهتمام اللجنة بهذه الشكوى اهتماماً عظيما دفعها لتقديمها الى السير والتر كينير (Sir Walter Kinnear) بوزارة الصحة . وقد حدث فى اجتماع ورستر (Worcester) فى ابريل ١٩٣٢ ، من أطباء التأمين ونواب الجمعيات المعتمدة ، ان قدم الاطباء اعتراضاً على إخطار الجمعيات المرضى بأن أطباءهم هم الذين يرسلونهم الى مفتشى المناطق . فهلا يدل ذلك على خوف الاطباء من مرضاهم وأن هم الاطباء هو إدراك رضاهم ؟

وما هو عدد المرضى المحالين على مفتشى المناطق فى الايام الاخيرة ؟ إن العدد يتجاوز نصف مليون كل سنة . وإن الاطباء يرسلون من هذا العدد نحو الفين . فما عسى أن يخشى الاطباء ؟ إنهم يستطيعون أن ينشروا عدد الذين يحيلونهم بالدقة ثم يقولوا للمرضى إن الجمعيات المعتمدة لا تثق بهم وهى المسئولة عن الاحالات ، ومن مكر بعض الجمعيات تفهيم المرضى ان هذه الاحالات إنما يقصد منها زيادة العناية بامرهم كأنها استشارات طبية

ومن ذلك يتضح أن المشروع فى تنفيذه ينطوى على كثير من المخاوف والشكوك . وخير ما اختم به هذه المقالة تلك الجملة الذهبية التى سمعتها من زميلى الدكتور عبد الحميد افندى العرابى عن المستر استيد محرر مجلة المجلات الانكليزية وهى :

Doubts and fears lead always to failure and they can never accomplish anything

---

حول « مذكراتي في نصف قرن »

كنا نشرنا فى هلال ابريل الماضى مقالا عن الحياة الداخلية فى قصور اسماعيل ، بعث به الينا حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا من كتابه (مذكراتى فى نصف قرن) قبل أن ينشر . وقد أرسل الينا سعادة مصطفى باشا ماهر مدير المنيا سابقاً يصحح ما وردفى هذا المقال من أن المرحوم محمد بك الناغى كان سفرجى الخديو اسماعيل ، والحقيقة أن عبد الحق بك كان سفرجى الخديو . أما محمد بك الناغى فقد كان الشماشرجى الخصوصى للمغفور له الخديو اسماعيل

وقد عرضنا هذا التصحيح على سعادة شفيق باشا فاقره وأذن بنشره . وهو يشكر سلفاً كل من يرشده إلى خطأ أو ملاحظة فى الجزء الأول الذى أصدره من هذه المذكرات

الاذاعة اللاسلكية

وتأثيرها في اللغة والادب

وسائل الاتصال

قسم الاديب الانجليزى هـ . ج . ولز تاريخ الانسانية الى خمسة أدوار :

(١) قبل الكلام (٢) الكلام (٣) الكتابة (٤) الطباعة (٥) الميكانيكا والكهرباء

وليست هذه الادوار فى حقيقتها إلا الوسائل التى استطاع الانسان بها الاتصال بأخيه الانسان والتفاهم معه فى شئون الحياة المادية والفكرية . ولم يكتف الذين على قيد الحياة منهم بالاتصال والتعاون بل عملوا بواسطة الادب وبقية الفنون الرفيعة الاخرى على الاتصال بالاجيال اللاحقة فسجلوا أفكارهم وعواطفهم وأخيلتهم بل وطرائق معيشتهم. وبذلك ساعدوا تطور الانسانية كما حفظوا معظم تراثها على الاجيال والعصور . . .

ونحن إذا حاولنا تطبيق هذه الوسائل ، التى ذكرها ولز ، على حواس الانسان نجد الكلام يعتمد على السمع فى وصوله إلى العقل ونجد الكتابة والطباعة تعتمدان على النظر ، كما نجد بعض المخترعات الحديثة — فى عالم الفنون — تعتمد على الحاستين معاً كالسينما الناطقة التى تعرض على أبصارنا المناظر والاشخاص وعلى آذاننا الحديث والموسيقى . إلا أن المخترعات الاخرى تقوم على حدى الحاستين كالتلغراف اللاسلكى والسلكى والتليفون والراديو . . .

وكل مؤرخى الآداب متفقون على أن الكلام والالقاء كان لهما شأن كبير فى العصور القديمة . فأنت تعرف كيف كان ينشد هوميروس الياذته فى بداوة اليونان، وتعرف كيف كان العرب يجتمعون فى عكاظ يتنافسون فى القاء الخطب وإنشاد القصائد . ولعلك سمعت هؤلاء الشعراء الجوالين الذين يقصون على أبناء الريف أخبار الهلالية والزناتية وما اليها

واخترعت الكتابة وتطورت على الزمن من الصور إلى الرموز أو الحروف ونافست الكلام والالقاء وتغلبت عليهما لانهما يذهبان بذهاب قائلهما أو سامعهما ، فاذا وجد من يرويهما فان تنقل الرواية فى العصور يجعلهما عرضة للنقص والاضافة والتحريف . أما الكتابة فمحفوظة فى الاوراق والكتب ، باقية ما بقيت الاوراق والكتب ، يستفيد الناس منها ما ظلت اللغة التى كتبت فيها

وجاءت الطباعة فأظهرت الكلمة المكتوبة على الكلمة الملفوظة . فاذا بالخطباء والشعراء

والكتاب والعلماء وكل من له فكر من الافكار أو خلجة من الخلجات ... إذا بهؤلاء جميعاً يعتمدون على الطباعة ، بل إن الخطيب إذا ألقى والشاعر إذا أنشد والعالم إذا حاضر لا يقتصر الواحد منهم على جمهوره من السامعين بل يرسل كلمته الى الصحف أو يجمعها فى الكتب !

وكما ساعدت الميكانيكا والكهرباء والطباعة فى مضاعفة الانتاج وسرعته ، كذلك ساعدت فى الوقت نفسه فى سرعة الانتشار والتوزيع أو قل ساعدت الناس فى سرعة الاتصال الفكرى والمادى . فاذا كان الناس قد استطاعوا السفر بأجسامهم ومتاعهم من بلد إلى بلد ومن قطر إلى قطر فكذلك استطاعت أفكارهم أن تعبر المحيطات وأن تصعد الجبال وأن تنحدر فى الاودية والسهول

والمخترعات لم تساعد الكلمة المكتوبة أو المطبوعة وحدها وإنما ساعدت الكلمة الملفوظة أيضاً ، ساعدتها بتسجيل الاصوات فى الفونوغراف وانتقالها فى الاسلاك وطبقات الهواء

وعلى هذا فان أهم أثر للاذاعة اللاسلكية فى الادب سيكون من غير شك بمثابة النهوض بالكلام على حساب الكتابة والطباعة

اللغات والاذاعة

ولا يغرب عن بالنا أن الكتابة عند ما ظهرت حاولت تحطيم القيود التى كانت تفصل الجماعات الانسانية بعضها عن بعض ، لانها كانت — ولا تزال — من أكبر العوامل فى تعاطف الناس وتعاونهم . بيد أن المنافسة بين اللغات قامت واشتدت تبعاً لتنافس الجماعات ، فكان لابد من تغلب إحدى اللغات ولعلها كانت لغة السادة أو الحكام أو الفاتحين . ومهما يكن من شىء فقد كانت لغة المتغلبين تسود بسيادة أصحابها . مثال ذلك تغلب اللاتينية فى الكتابة والعلم فى الغرب ، وتغلب اليونانية ثم العربية فى الشرق ، إلا أن اللغات الاخرى لم تندثر وإنما انكمشت فى حدود البلدان التى تنطق بها . واللغات فى نضالها كالامم والافراد ، تؤثر كل واحدة منها فى الاخرى بالذات أو بالواسطة . وجرت العادة أن تكون اللغة الغالبة لغة الأدب والثقافة ، أو بعبارة أخرى لغة الكتابة والتأليف . كما تصبح اللغة المغلوبة لغة الكلام والحديث لغة الحياة اليومية فى المنازل والاسواق

ومن هنا نشأت هذه المشكلة التى لا تزال قائمة فى معظم الامم والتى تختلف قوة وضعفاً باختلاف البيئات والثقافات ، وهى الفرق الواضح بين لغة الكتابة ولغة الحديث أو كما نعرفها نحن فى مصر والشرق العربى ، الفرق الواضح بين اللهجة الفصحى واللهجة العامية

ومن البديهى أن الاذاعة اللاسلكية لا تقوم على اللغات المحلية وانما تقوم — فى أغلب الاحيان — على اللغات الغالبة الواسعة الانتشار وهى بعينها — كما أوضحنا — لغات الثقافة والأدب

ومن البديهى كذلك أن الراديو ينتشر بسرعة عظيمة جداً فلن يمضى طويل وقت حتى نرى أجهزة الراديو تتغلغل فى الريف كما تغلغلت فى المدن ، وسيكون لهذا نتيجته المنطقية المعقولة وهى

محو هذا الفرق ـ بالتدريج ـ القائم بين اللهجات الفصحى واللهجات العامية

وليس من شك فى أن ألسنة العامة ستقومها هذه الاذاعة لانهم سيعملون على محاكاة الراديو ـ راغبين أو كارهين ـ فى نطق الالفاظ ، كما أنهم سيأخذون منه الكثير من الجمل والتعابير ، وبهذا يتخلصون شيئاً فشيئاً من خصائص لغاتهم المحلية

أثر الاذاعة فى الخطابة

وكانت الخطابة فى دور الكلام ـ ولنأخذ تعبير ولز ـ هى الوسيلة الاولى فى الاقناع والتأثير ، وكان الوعظ الدينى لايقوم إلا عليها ، كما كانت المنافسة السياسية لاتجد ماتعتمد عليه سواها ، ولكنها بعد ظهور الطباعة والصحافة ضعفت شيئاً فشيئاً ، ولم تكن تنتعش إلا فى أوقات الثورات ، كما كانت تستيقظ فى زمن الانتخاب وما اليه من المناسبات التى تدعو العامة إلى الاجتماع . وقد فقدت مكانتها الرفيعة التى كانت لها بين الانواع الادبية ، فاذا ظهر الراديو قوى هذا النوع الادبى واشتد ساعده . فانت اذا قلبت الصحف اليومية تقرأ أن هتلر خطب أنصاره فى الراديو وأن لويد جورج تحدث الى الناخبين فى الراديو وأن ... وأن ... والخطب التى تلقى فى المؤتمرات الدولية الهامة تذاع على الملايين بواسطة الراديو . وليس علينا إلا أن ننتظر قليلا حتى نسمع ونحن جلوس على مقاعدنا الوثيرة المريحة وفى غرفنا الدافئة الهادئة ، خطباء موهوبين لا يقل الواحد منهم فى شىء عن ديموستين وشيشرون وسحبان !

وما نقوله عن الخطابة نقوله عن شقيقتها المحاضرة التى لم تصبح مقصورة على المعاهد والجمعيات العلمية ، بل اتسع نطاقها بفضل الراديو وأصبحت ربة المنزل تسمع المحاضرات فى التدبير المنزلى كما يسمع زوجها المحاضرات فى العمل والعمال ، بل كما وجدت السلطات التى تقوم على الصحة العامة وسيلة إيجابية نافعة فى نشر الدعوة الصحية

أثرها فى الشعر

وأثر الاذاعة اللاسلكية فى الشعر أكبر من اثرها فى الخطابة والمحاضرة ، ذلك لان الشعر كان قد أصبح فناً أثرياً قلما يعنى به الناس لغلبة التفكير المادى على العاطفة وسيادة الحياة الميكانيكية على الحياة الروحية ، ولكن كلما بعـد عهد الناس بالحرب الكبرى وآثارها ونتائجها عادوا الى المتاع الروحى يلتمسونه عند الفنانين من الموسيقيين والشعراء والرسامين . آية ذلك هذه الانتعاشة التى نشاهدها فى جميع ميادين الآداب والفنون حتى بات الذين كانوا يظنون أن دولة الادب قد دالت وأن العلم التجريبى المادى هو كل شىء فى هذا العصر ، يؤمنون بأن آثار الحرب الكبرى ـ كآثار كل حرب ـ وقتية تزول بزوال مؤثراتها ، وأن شعور الانسان هو شعور الانسان فى كل زمان لايمكن أن يصيبه التغير أو الفناء

عاد الناس يهتمون بالشعر اذاً فلم يكن بد للذين يقومون على الاذاعة اللاسلكية من أن يساهموا فى احيائه ، وقد قامت شركة الاذاعة البريطانية بالتجارب والتحريات ، فصح لها أن الناس على عهدهم فى الاهتمام بالشعر . ولما كان لابد من الالقاء والانشاد فقد ظهر الشعر الغنائى بمقطوعاته القصيرة ثم زاوجوا بين الشعر والموسيقى واختاروا ذوى الاصوات السليمة لالقاء الشعر

والشعر العربى سيتأثر بالاذاعة اللاسلكية ، ماقى ذلك شك ، فعلى الشعراء أن يوجهوا عنايتهم الى «الشعر اللاسلكى» — اذا صحت هذه التسمية — الذى يعتمد على التأثير والموسيقى والعاطفة . ونحن نميل الى أن شعراء المعانى لن يجدوا النجاح الذى سوف يجده شعراء العواطف والاخيلة والاوزان

الدرامة فى اللاسلكى

وتصر الاذاعة اللاسلكية على أن تغزو الدرامة وأن تخرج للناس لوناً جديداً من ألوان الادب الدرامى لايهتم بالمناظر والاضواء وانما يهتم بالحوار والموسيقى

والدرامة اللاسلكية تعتمد على الأذن وحدها . ومن هنا عمدت الى الاوبرات وقد نجحت فى إذاعتها من غير كبير عناء . وبهذا بعثت المسرحيات الغنائية الموسيقية بعد أن ظن البعض أنها ماتت ولن تعود

وكان المسرح فى أوائل هذا القرن قد تطور الى الدرامات الاجتماعية التى حمل لواءها أمثال «إبسن» و« برنارد شو » ولكن هذه الدرامات لم تلق على المسرح أول ظهورها النجاح الذى كان وقفاً على درامات الحركة والمفاجأة أمثال درامات « فكتوريان ساردو » . بيد أن الاذاعة اللاسلكية وجدت ضالتها المنشودة فى هذه الدرامات الاجتماعية لانها تقوم على الحوار وهو العنصر الاساسى فى الراديو

ومن هنا يحق للذين كانوا يتشاءمون من اتجاهات المسرح العربى فى اعتماده السابق على الضجيج والضوضاء لاثارة الغرائز ، أن يتفاءلوا لان اللاسلكى لا يمكن أن يعتمد الا على الدرامات الهادئة التى تسعى جهدها لتحليل نفسية غامضة والكشف عن نزعاتها ، أو حل معضلة اجتماعية عن طريق الحوار . ولن يكون للاشارات « والبانتوميم » أثرها القديم . ولذلك لن ينجح من الممثلين للدرامة اللاسلكية الامن صفا صوته وعرف كيف يتحدث بما يريد أشخاص الدرامة أن يتحدثوا

وقد نجح فى أوروبا وأمريكا نوع من الادب الدرامى لا نستطيع أن نصفه بالسمو ، ذلك لانه يعتمد على فكاهة الحديث ، أوبعبارة مصرية يعتمد على « النكتة » والتلاعب بالالفاظ . وهذا النوع الشعبي لو اتجه اليه الراديو المصرى نجح فيه نجاحاً لا حد له . واذا كانت السينما الناطقة قد دفعت بالمغنين والملحنين والمؤلفين والممثلين الى الاتجاه اليها فان أمامهم ميداناً جديداً عليهم أن يفتحوه وهو ميدان « الراديو دراما » ، كما ان على المخرجين أن يتجهوا الى اخراج هذا الفن الادبى وأن

يدرسوا دقائقه وتفاصيله ، فقد الفت الكتب الكثيرة فى هذا الباب باللغات الاوربية التى يحذقها الكثيرون من أبنائنا

القصة ونقد الكتب

وقد اهتم الاوربيون الذين يقومون على الاذاعة اللاسلكية ببقية الفنون الادبية الاخرى . فلم يغفلوا القصة واختاروا الاقصوصة الصغيرة الواضحة ذات المغزى التى لا يقصد بها المؤلف إشباع شهوة الكتابة فى نفسه وانما يقصد بها الوعظ الخلقى أو الدينى أو الاجتماعى . كما أذاعوا الاقاصيص الفكهة والصور الادبية « الكاريكاتير » الخفيفة المحببة الى النفوس

ووجدت الاخبار الصغيرة بذرة صالحة فى ميادين السياسة والاقتصاد ، كان الراديو لا يفتأ يشير كل يوم إلى الهابطين أو الراحلين أو المتوفين من عظماء السياسة ورجال المال والاعمال

وفى انجلترا باب يجب ألا ننساه فى مصر ، وهو باب التعريف بالكتب الجديدة ونقدها ، فان هذا الباب يساعد على نشر الثقافة ، ويعمل على التوازن بين القراءة والاستماع . فما لاشك فيه أن الاذاعة اللاسلكية قد قللت من عدد القارئين وأن الراديو قد أخذ يحل محل الصحيفة والكتاب

والنقد — إذا كان لابد من النقد — الذى يمكن توجيهه إلى الأدب اللاسلكى بصفة عامة هو بعينه النقد الذى وجه إلى الصحافة من زمن بعيد ، وهو أن الراديو شعبى لا يؤمن بأدب الخواص وأشباه الخواص وإنما يميل إلى أدب السواد ، أو بعبارة أدق ... يتجه الراديو إلى الأدب الديمقراطى الذى يعنى بالكم ولا يعنى بالكيف

* * *

ويجب علينا قبل أن نختم هذا البحث أن نطلب من القائمين على المحطة الحكومية الجديدة أن ينظروا فى هذه الاتجاهات وأن يحترموا الأدب فى برامجهم التى سوف يذيعونها كل يوم أو كل أسبوع . فمن حقى ، بل من حق كل مصرى متعلم ، أن يسمع قصائد الشعر التى تهز المشاعر كما يسمع الخطب التى تحرك القلوب ، بل وكما يسمع الدرامات الاجتماعية والموسيقية التى تؤثر فى النفوس وتهذب الاخلاق . عليهم أن يقتفوا آثار الغرب فى هذا السبيل مع العناية بدراسة نفسية الشعب المصرى ورغباته وميوله واحتياجاته ، فالاذاعة اللاسلكية لا تقوم على من يذيعها وانما تقوم أولا وقبل كل شىء بمن يسمعها ويحاول الاستفادة منها . . .

عبد الحميد يونس
احد اعضاء ترجمة دائرة المعارف الاسلامية

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربيـة

نابوليون الزنجي المجهول

[خلاصة مقالتين نشرتا في مجلة المصترتد
لندن نيوز . لاثنين من المؤرخين الانجليز]

جزيرة « هايتي » هي احدى جزائر الانتيل الكبرى الواقعة بين أميركا الشمالية وأميركا الجنوبية غرب الاوقيانوس الاتلانتيكي ـ استعمرها الفرنسيون مدة وكان لاحدهم فيها عبد زنجي يدعى هنري كريستوف ولد سنة ١٧٦٩ وانتظم في سلك الجيش الفرنسي الذي كان في المستعمرة فأظهر شجاعة ومقدرة فائقتين واخلاصاً للفرنسيين حمل هؤلاء على ترقيته إلى رتبة قائد (جنرال) على الجيش المستعمرة ، وذلك في مدة حكم « ديسالين » . وشبت نار الثورة في الجزيرة وقام الاهالي يطالبون بالاستقلال فطردوا الفرنسيين سنة ١٨٠٧ وأصبح هنري كريستوف رئيساً للجزيرة وقائداً عاماً للجيش . ثم أخذ يقتل سراً جميع منافسيه والذين كان يخشى بأسهم . وفي مارس سنة ١٨١١ نودي به ملكا واتخذ لنفسه لقب هنري كريستوف الاول

ولما استتب له الامر استبد بالرعية وأخذ يظلم الشعب ويحكمهم بالارهاب حتى بلغ عدد ضحاياه الالوف . ومع أنه كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة سن لرعيته الشرائع وأنشأ المدارس وقام باصلاحات كثيرة . ولم يكن غروره ليقف عند حد فكان يرتكب من أعمال الظلم والقسوة ما تئن منه الشياطين . وكان دائماً يخشى أن يعود الفرنسيون الى الجزيرة فينتقموا منه . ولذلك شرع في بناء قلعة حصينة لا تزال تعرف الى هذا اليوم باسم قلعة « لافيريه » (La Ferrier) وكان مغرما بتقليد نابوليون في ثيابه وحركاته وسكناته . ولذلك لقب في كتب التاريخ بنابوليون الزنجي

أما قلعة « لافيريه » المذكورة فواقعة في الجزء الشمالي من الجزيرة ولبنائها قصة لا يعرفها الا القليلون . قيل انه لم يفرغ من بنائها الا قبيل وفاة هنري كريستوف بقليل وانه هلك في بنائها عدد من العمال قدره بعض المؤرخين بعشرة آلاف وقدره غيرهم بعشرين الفا . ولا يتسع هذا المجال لوصف تلك القلعة ، وانما نقول انها من أمنع قلاع العالم ويزيدها مناعة موقعها الطبيعي . ووضع فيها هنري كريستوف ٣٦٥ مدفعـا ـ بعدد أيام السنة ـ وأكثرها من المدافع الفرنسية التي استولى

عليها عند الثورة . وكان بعضها مدافع ضخمة جداً جرها الى موقعها العالى ألوف من الجنود والاهالى . قيل ان هنرى كريستوف أبصر ذات يوم مائة رجل يحاولون عبثاً أن يجروا أحدها وقد أخذ منهم الجهد كل مأخذ فعجزوا عن تسلق الجرف . وألقى بعضهم بالحبال على الارض قائلين انهم عاجزون عن القيام بتلك المهمة . فما كان من «جلالته» إلا أن أطلق الرصاص على كل رجل رابع منهم وأمر الباقين بانجاز العمل . وعبثاً حاول هؤلاء أن ينجزوه فان أجسامهم كانت تتصبب عرقاً وهم يلهثون من شدة الاعياء . فصوب جلالته غدارته مرة ثانية اليهم وقتل كل رجل ثالث من الباقين . وتوعدهم بالحاقهم برفاقهم إن لم يقوموا بالعمل . ولا تسل عما بذلوه من الجهد لانجازه

وتروى عن هذا الرجل روايات تدل على أنه كان مجنوناً . فقد شيد لنفسه خلاف القلعة قصراً فخماً سماه « سان سوسى » وأحاط نفسه بالحشم والخدم والاعوان ومنح الرتب والالقاب الغريبة «كسمو أمير الضلع» و « فخامة كونت الكأس» و « دوق المارملاد » (المربى) و « دوق الليمونادة » وما إلى ذلك . وكان أثاث القصر من أفخر ما أخرجته معامل أوربا . وأرض جميع الغرف من المرمر النقى وخشب « الماهوجنى » . وتحت القصر جدول ماء جار لترطيب الجو وتبريده

ولا يزال القصر والحصن باقيين حتى الآن خاويين خاليين إلا من الوطاويط التى تملأ جوهما فى الليل . ويقال إن هنرى كريستوف جمع ثروة لا تقل عن ثلاثين مليون دولار لا تزال كنزاً مطموراً فى احدى غرف القلعة . ويميل الكثيرون من المؤرخين الى تصديق هذه الرواية

ومما يروى عن هذا الزنجى أنه كان يستخدم الكثيرين من الاوربيين فى الاعمال الهندسية وفى كل ماله علاقة بتدريب الجيش . فاذا أرادوا العودة الى بلادهم اتهمهم بالخيانة وبأنهم يريدون بيع الخرائط الحربية المتعلقة بمملكته للدول الاوربية فأمر بقتلهم سراً . وكان يطيب نفساً بقتل الابرياء ويلهو برؤية دمائهم . وكثيراً ما كان يأمر باجاعة أعدائه حتى يموتوا أو يوثق أيديهم وأرجلهم ويطرحهم طعاماً لكلاب البحر الشرسة . قيل ان أحد المهندسين قال له ذات يوم انه فرغ من بناء الغرفة السرية المخصصة لايداع كنوزه وأمواله . فما كان من الملك الا أن جرد سيفه وأغمده فى صدر ذلك المهندس البائس ثم دفعه يتدحرج على جرف هار ، لانه كان يخشى ان هو أبقاه حياً أن يبوح للناس بأمر الغرفة ويدلهم عليها . وأمر مرة أحد ضباطه أن يجرد سيفه ويغمده فى صدر زوجته وصدر أولاده ليلهو بموتهم . فلم يستطع ذلك الضابط المسكين أن يعصى أمره

وأخيراً طفحت كأس مساوى الرجل وظلمه . وكان قد أصيب بشلل جزئى . فشق الناس عليه عصا الطاعة وزحفوا على قصره يريدون تمزيقه . فلما رآهم هاجمين عليه تناول غدارتيه فصوب احداها الى دماغه والاخرى الى قلبه وأطلقهما فخر صريعاً ومات لساعته . وكان آخر أعماله الدالة على جنونه أن الرصاصتين اللتين أطلقهما على نفسه كانتا من ذهب لانه لم يرد أن يموت كما يموت الناس عادة . وكانت وفاته سنة ١٨٢٠ أى قبيل وفاة نابوليون بونابرت الذى أولع بالتشبه به بسنة

معجزات لورد

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
فورتنون . بقلم شاهد عيان]

فى مقاطعة « البيرينيه العليا » التابعة لفرنسا بلدة تسمى « لورد » مشهورة بما يقع فيها من العجائب . ويحج اليها المصابون بالأمراض المستعصية من جميع أنحاء العالم ويقدر عددهم بنحو مليون نفس فى العام . ويؤخذ من البيانات التى يعول عليهـا ان نحو ٩٩ فى المائة من هؤلاء الحجاج إنما يؤمون « لورد » طلباً للهدى الروحانى لا رغبة فى الحصول على الشفاء فقط . ويبلغ عدد المصابين بالأمراض الخطرة منهم نحو عشرة آلاف فى العام ، ينال نحو مائة وخمسين منهم الشفاء التام ، ويعطيهم أطباء لورد شهادات بانهم قد شفوا من أمراضهم . وتدل حكايات مرضهم وشفائهم على ان نيلهم الشفاء لم يكن سوى معجزة حقيقية . نعم ان الحوادث التى من هذا القبيل نادرة نسبياً ولـكن العبرة فى مثل هذه الحالات ليست بالعدد النسبى بل بالحادث فى حد ذاته

يبدأ الحجاج يفدون إلى لورد منذ منتصف شهر مارس قبل أن يذوب الثلج الذى يكسو قمم التلال المحيطة بسفح البلدة . ويجيء القوم من آسيا وأوربا وأميركا وبينهم الفرنسيون والاميركيون والانجليز والايطاليون والصينيون واليابانيون والسياميون وغيرهم من جميع أنحاء المسكونة

وعندما يصل الحجاج إلى لورد يستقبلهم عمال متطوعون بارشاد جمعيتين فرنسيتين كاثوليكيتين . وهاتان الجمعيتان تضمان أمراء ونبلاء وأشرافاً وأساتذة ومعلمين ومستخدمين . وبينهم ممرضات وطباخات وعاملات قد تطوعن للخدمة مجاناً

وتبدأ القطرات فى الوصول إلى لورد منذ الساعة الرابعة صباحاً وفى كل قطار بضع مئات من الحجاج . فيستقبلهم المتطوعون والمتطوعات وينقلون المرضى منهم فى مركبات خاصة إلى المستشفيات . ومما يجدر بالذكر أن المرضى يوضعون فى تلك المستشفيات معاً سواء أكانت أمراضهم معدية أم غير معدية . فترى المصدورين والمسلولين والمشلولين والمصابين بالامراض الزهرية ، ينامون فى غرف عامة معاً لا يفصل بينهم شيء ولا يخافون خطر العدوى . وقد تجد بينهم أشخاصاً هم أقرب إلى الخيال منهم إلى الحقيقة لان الامراض لم تبق منهم سوى أنفاس تتردد فى أجسام بالية . ومع شدة تعرض أولئك البائسين للعدوى فان أطباء لورد يؤكدون انه لم يقع هنالك أى حادث من حوادث العدوى . وقد كتبت مرة إحدى الممرضات الانجليزيات تقول : « اننا نسر هنا بدعابة الميكروبات . ولم يستطع أحد أن يثبت وقوع حادث واحد من حوادث العدوى عندنا »

يبدأ سيل الزوار فى الاتجاه الى كهف لورد (الجبلاية) منذ الساعة السابعة من صباح كل يوم .

وينقل كل مريض على لوح من خشب يسير على دواليب (عجلات) وعند الوصول إلى الكهف يقف القوم خارجاً يصلون وينشدون الاناشيد الدينية وأعينهم شاخصة إلى تمثال « سيدة لورد » الرخامى . ويطيل بعضهم التحديق إلى ذلك التمثال حتى يخيل اليهم انه يبتسم لهم ويحنى رأسه قليلا . وفى الساعة العاشرة صباحاً تفتح الحمامات أبوابها للمرضى . وهذه الحمامات ثلاثة : منها واحد للرجال واثنان للنساء . ولا يسع كل حمام سوى ثلاثة أشخاص معاً . ولا يغير الماء الا مرة فى اليوم

أما كنيسة روما فليس لها فى معجزات لورد رأى رسمى الا أنها تعترف بحصول تلك المعجزات وتعزوها إلى قوة مريم العذراء . وكهنة كنيسة لورد لا يفتأون ينصحون لجميع الذين يحجون ذلك المكان أن يلتمسوا نعمة الله والهدى الروحى لا المعجزات المادية . ومع ذلك فان حديث القوم هنالك لا يدور الا على محور واحد وهو المعجزات

وفى سنة ١٨٨٧ أنشىء فى لورد مجمع من كبار الاطباء لفحص المعجزات واصدار بيانات وشهادات بشأنها . ويضم هذا المجمع اليوم عشرة أو اثنى عشر من كبار الاطباء يساعدهم الكثيرون من العمال والاعوان من جميع النحل والاجناس ، ويطلع على تقاريرهم جماهير كثيرة من الاطباء . ويقف الاطباء عند الكهف (حيث يقال إن العجائب تقع) فكلما شفى مريض شفاء عجيباً خطفوه للحال وذهبوا به إلى المستشفى حيث يمتحنونه امتحاناً دقيقاً بجميع الوسائل الطبية الحديثة من أشعة « ايكس » وخلافها . وبعد الاطلاع على تاريخ مرضه وسيره والتدقيق فى جميع العوامل الملابسة له يصدر مجمع الاطباء شهادة رسمية على أحد الاوجه الآتية :

(١) فاما ان تثبت هذه الشهادة ان العليل كان مصابا بمرض هستيرى — وفى هذه الحالة لا يعتبر شفاؤه معجزة

(٢) أو أن الشفاء ليس تاما بالمعنى الطبى وانما هو تحسن محسوس

(٣) أو أن المرض الذى شفى منه كان قابلا للشفاء بالطرق الطبية فلا يصح القول بان الشفاء كان اعجوبة

(٤) أو أن المرض كان مستعصيا غير قابل للشفاء وقد زال زوالا تاما بطريقة خارقة للطبيعة . وفى هذه الحالة يطلب من العليل أن يعود بعد سنة ليفحصه الاطباء مرة أخرى فاذا اتضح لهم ان المرض قد زال نهائيا أصدروا شهادة رسمية بان الشفاء كان معجزة بالمعنى العلمى . وفى هذه الحالة يعلن اسقف « الابرشية » حدوث المعجزة بناء على شهادة الاطباء

ومما يروى من هذا القبيل أن فتاة تسمى اليزابيث ديلو ذهبت إلى لورد فى سنة ١٩٢٦ وكانت مصابة بسرطان فى المعدة قد سد البيلورا (فتحة المعدة السفلى) فتولدت عنه أورام فى الكبد . ولما فحصها الاطباء بأشعة اكس حكموا بالاجماع بانها غير قابلة للشفاء . إلا أنها لما استحمت فى لورد شعرت وهى فى المياه بآلام مبرحة عقبها راحة تامة . فلما خرجت من الماء كانت قد نالت الشفاء التام

ومن ذلك أيضا ان رجلا يدعى جبرائيل جرجام زار لورد فى سنة ١٩٠١ وكان مصابا بشلل فى وسطه ناشىء عن اصابته وهو مسافر بالسكة الحديدية ذات يوم ، اذ صدمت القاطرة وجرح الكثيرون من الركاب واضطرت شركة السكة الحديدية ان تعين له معاشا سنويا مدى الحياة على سبيل التعويض . وكان عموده الفقرى قد التوى بسبب تلك الصدمة وخرجت احدى الفقرات من موضعها . ولما زار لورد شفى من اصابته شفاء تاما . ولا يزال يزور تلك الكعبة فى كل عام وفاء لنذره أن يخدم المرضى الذين يذهبون الى هنالك

ومن أغرب معجزات لورد ان جنديا انجليزيا يدعى جون تراينور أصيب بالشلل والصرع فى الحرب العظمى الماضية ،فعينت له الحكومة الانجليزية معاشا يتقاضاه مدى العمر . الا أنه زار لورد ونال الشفاء التام . ومع انه نبه الحكومة الانجليزية الى كونه قد نال الشفاء فلا تزال الحكومة تدفع له المعاش المقرر . لانه لايزال فى نظرها من مشوهى الحرب !

والشهادات الرسمية المؤيدة لوقوع حوادث من هذا القبيل كثيرة متنوعة . وهذه الحوادث أقرب الى المعجزات منها الى أى شىء آخر . وقد رد الدكتور أوجست باليه مرة (وهو رئيس أطباء مجمع لورد سابقاً) على انتقادات المعترضين الذين لا يؤمنون بعجائب لورد فقال : « ان حوادث الشفاء التى تقع فى لورد هى بمنزلة وقف أو تعطيل موقت لنواميس الطبيعة بقوة خارقة هى فوق تلك النواميس . أما واضع الطبيعة ونواميسها فهو الله . وعليه فلا مناص لنا من التسليم بان القوة التى تعطل تلك النواميس مؤقتاً هى الله »

وكتب الكاهن جون لا فارج الاميركى فى مجلة اميركا يقول : « ان الذين يؤمنون بوجود الله لايحتاجون الى أى تعليل يشرح لهم كيفية وقوع تلك العجائب . أما الذين لا يؤمنون فلا يقبلون أى تعليل »

هل الحرب تجلب الرخاء

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة ذى كنترى هوم . للاستاذ جون فلين]

يفكر البعض فى هذه الازمة الاقتصادية الجائحة فيقولون لو أن حرباً وقعت غداً لزالت البطالة من البلاد ولوجد كل فرد من الناس عملا يدر عليه الارباح ولاشتغلت مصانع النسج والثياب والاحذية والمأكولات وغيرها فضلا عن معامل المؤونة والذخيرة والاسلحة . وإنك لتسمع كيفما توجهت حديثاً بهذا المعنى سواء فى مجتمعات العقلاء وفى مجالس العامة . وقد كتب أحدهم يقول :

« كيفما أدرنا الطرف نرى الملايين من العمال العاطلين . وليست شرور البطالة أقل من شرور الحرب . فانك اذا حادثت بعض الجنود الذين خاضوا غمار الحرب الماضية وهم اليوم عاطلون من الاعمال قالوا لك انهم يفضلون أن يخوضوا أوحال الخنادق وميادين القتال على أن يجلسوا فى عقر دارهم بلا شغل ولا عمل . نعم انهم لا يفضلون الحرب على السلام ولكنهم يفضلونها على البطالة »

وكتبت مجلة أميركية أخرى تقول : « لن يرفع أسعار القمح فى العالم الا الحرب »

أمثال هذه الاقوال تدل على أن الناس فى الازمنة العصيبة يتجردون من كرههم للحرب . ومن دواعي الأسف أن الذين بأيديهم مقاليد الامور ينتقلون من تجربة الى أخرى محاولين اصلاح الاحوال فيفشلون المرة بعد الاخرى ويستولى عليهم اليأس فيركبون متن الشطط ويحيدون عن جادة الحكمة والروية . ومثل هذه الحال شديدة الخطر جداً لانها تقوى فى صدور الناس الميل الى الحرب ، والعقلاء البعيدو النظر يعلمون ان الحرب لا تجلب الرخاء

ورب معترض يقول : « ان الحرب الماضية جلبت الرخاء . فلماذا لا تجلبه اذا وقعت مرة أخرى ؟ » . الجواب عن ذلك بسيط وهو : لما وقعت الحرب الماضية كانت دول أوربا غنية جداً وكان فى وسعها شراء جميع ما تنتجه المعامل من أسلحة وذخائر ومأكولات وملبوسات . ولم تنقض على تلك الحرب سنة حتى بدأت آثار الضعف المالى تبدو على الدول المتحاربة ومع ذلك استطاعت أن تستدين مئات الملايين من الجنيهات لمواصلة الحرب

وانضمت أميركا الى تلك الدول فيما بعد فراج دولاب الاعمال فى الولايات المتحدة رواجا منقطع النظير حتى اضطرت المعامل على اختلاف أنواعها الى استخدام النساء لسد حاجات الجيش والحلول محل الرجال فى مختلف الاعمال . واستدانت الدول من أميركا أموالا وفيرة وانفقتها فى أميركا نفسها ثمنا للمواد والاسلحة والذخائر والسلع التى اشترتها . ولقد انقضت اليوم الحرب ولم يبق فى أيدى الدول الدائنة سوى سندات هى أقرب شيء إلى « قصاصات أوراق » ويبلغ الدين الذى لاميركا على الدول بموجب هذه « القصاصات » نحو الفى مليون جنيه فضلا عن ديون دولية أخرى تطلبها أميركا . فاذا فرضنا وقوع الحرب مرة أخرى فهل فى خزائن الدول الاموال اللازمة لشراء ما يحتاج اليه المتحاربون من سلاح وذخيرة ومأكول وملبوس ؟ وإذا لم يكن عند الدول الاموال النقدية اللازمة فكيف يروج دولاب الاعمال وكيف يعود الرخاء ؟

ان معظم الدول هى اليوم على شفير الافلاس لا تستطيع ايفاء ما عليها من الديون ، وبعضها قد انكرت ديونها وأبت ايفاءها فقضى ذلك على سمعتها المالية وضاعت الثقة بها . فهل الحرب فى مثل هذه الحال تجلب لها الرخاء ؟ لا شك أنه إذا وقعت الحرب الآن زاد الضيق والخراب وكانت العاقبة وخيمة جداً . والشيء الوحيد الذى يمكن أن تسفر عنه الحرب والحالة هذه هو تراكم الديون والقضاء على البقية الباقية من الثقة بالدول وبوعودها المالية

البحر ينبوع الحياة وقبر الاحياء

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة لوزنجليس تايمس . بقلم الاستاذ رانسوم ستون]

هنالك باعثان يعللان ميل الانسان الى البحر واغتباطه بمرآه (أولهما) أن بين دم الانسان وماء البحر صلة وثيقة (وثانيهما) أن بين تتابع المد والجزر من جهة والفترات التي تقع فيها المواليد من جهة أخرى علاقة محسوسة . ولشرح ذلك نقول إن علماء البيولوجيا قد حللوا دم الانسان وماء البحر فوجدوا العلاقة وأوجه الشبه بينهما قوية جدا ونسبة الاملاح في كل منهما واحدة والأملاح نفسها متماثلة فاستدلوا من ذلك على أن ماء البحر هو أصل دم الانسان

أضف الى ذلك أن فترات التوالد عند البشر خاضعة لنواميس قائمة على تتابع حركتي المد والجزر . وهاتان الحركتان خاضعتان كما لا يخفى لحركات القمر الاسبوعية . وحياة المخلوقات الحيوانية البحرية المجاورة للسواحل خاضعة كل الخضوع للمد والجزر . فبيض تلك الحيوانات يوضع في الفترة التي تتخلل المد والجزر وتفقس عند حدوث المد التالي لاقبله ولا بعده . ولو تم الفقس في غير ذلك الميعاد ما تسنى للجنين أن يعيش . واذا لم يتسن للبيض أن يفقس بعد وضعه بأسبوع أطالت له الطبيعة المهلة فترة أخرى أو فترتين أو اكثر . وكل فترة هي مدة كاملة تقع بين المد والجزر بحيث إنه لا يحدث أي فقس قبل انتهاء فترة كاملة . ويقول العلماء إن الماء هو مصدر كل مخلوق حي . وبناء عليه تكون حركات جميع المخلوقات الحية خاضعة لنواميس حركات القمر لا لنواميس حركات الشمس . والقمر يتحكم في المواليد ومواعيدها بوجه عام

ولوجود العلاقة التي أشرنا اليها بين ماء البحر ودم الانسان ترانا نطرب دائما لرؤية البحر ولسماع عجيج أمواجه . ومنذ عهد قريب شرع العلماء في سبر مياه البحار ودرس الخلائق التي تسكن في أعماقها والاحراج والغابات والكهوف والجبال والاودية التي فيها . وقد ثبت الآن أن بعض تلك الغابات هي منذ العصر الجيولوجي المعروف بالكمبريان وان النباتات التي فيها لم تتغير حتى الآن لان مياه الاوقيانوس لم تتغير

ولعل أعظم تلك الغابات هي الكائنة في قاع المحيط الباسفيكي على كثب من سواحل كاليفورنيا . ويبلغ ارتفاع بعض أشجارها نحو مائة وثلاثين أومائة وأربعين متراً أي انها تشابه في ارتفاعها أعلى أشجار السوكويا التي توجد في كاليفورنيا . ولاغصان الاشجار البحرية المذكورة أكياس خفيفة تشبه فقاقيع الماء وهي ملأى بغاز لطيف جداً يجعل الاغصان منتصبة دائماً ومتجهة الى العلاء . ولو أتيح للانسان أن يمشي في قاع الاوقيانوس بين أشجار تلك الغابة الكثيفة لظن أنه في حلم مفزع

ولرأى من الحيوانات المائية الغريبة مالا يقع تحت الحصر وبعضها يرجع الى العصور الجيولوجية الخالية ولم يؤثر فيها ناموس التطور كثيراً لان بيئتها لم تتغير عما كانت عليه منذ ألوف الاحقاب

وقد اكتشف العلماء فى منتصف قاع الاوقيانوس الباسفيكى صحراء كبيرة جداً تمتد من خط الاستواء شمالا الى منتصف الطريق بين اليابان والولايات المتحدة . وليس فى هذه « الصحراء » أسماك أو حيوانات بحرية لان قلة المادة الفوصفورية فيها تبعد هذه الحيوانات عنها

وقد قام العلماء حديثاً بعدة تجارب علمية لمعرفة المدى الذى يصل اليه نور الشمس فى البحر . فوجدوا أن هذا النور لا يخترق ماء البحر الى عمق أكثر من مائتى قدم ، وأن البحر بعد ذلك العمق ظلمات بعضها فوق بعض الا ما ينبعث فيه من اشعاع بعض الحيوانات المائية الغريبة . وفى الواقع أن بعض تلك الحيوانات أشبه بمصابيح كهربائية تنبعث منها أنوار تجعل منظر البحر على ذلك العمق مخيفاً راعباً ، ومصدر تلك الانوار تيارات كهربائية تتولد فى أجسام الحيوانات . وبعضها يشع اشعاعاً عظيماً جداً بحيث يمكن قراءة أدق أنواع الكتابة على نورها . وبين تلك الحيوانات طائفة تنعكس عنها جميع الاشعة الضوئية من بنفسجية وزرقاء وخضراء وصفراء وبرتقالية وحمراء

أما ثقل ضغط الماء على ذلك العمق فمما لا يتصوره العقل . فهو يبلغ نحو خمسة أطنان لكل قيراط مربع . ومع ذلك فان فى قاع الاوقيانوس شبه سلة فيها مجموعة من الازهار وهى هائلة الحجم يبلغ قطرها بضع مئات من الاميال ، وهى من مادة قصمة سريعة العطب حتى إنه لو أمسك بها ولد لتفتت فى يده . ومع ذلك فان ثقل ماء البحر فوقها لا يكسرها لانها كثيرة المسام شبيهة بالاسفنج

والحيوانات المائية التى تسكن فى قاع الاوقيانوس لا تجرؤ على الصعود الى سطح الماء لان لها أشباه مثانات مملوءة غازاً لطيفاً فاذا صعدت الى السطح نقص ضغط الماء فتنفجر تلك المثانات أو الاكياس فتموت . واذا وقع ذلك وماتت تلك الحيوانات عادت وغرقت الى قاع اليم لان انفجار أكياسها يطرد الهواء الذى كان يساعدها على الارتفاع الى السطح . وحالما تصل الى القاع تلتقطها الحيوانات الاخرى وتبتلعها . ولما كانت درجة برودة الماء فى ذلك العمق شديدة جداً فالبكتيريا لا تعيش هنالك . وعليه فان المواد الغذائية التى تهبط الى القاع لا تفسد بل تحفظ مدة طويلة كما تحفظ الاطعمة فى الآلات المبردة

ويؤخذ من تجارب علمية كثيرة ان الذين يغرقون فى البحر تصل أجسامهم إلى القاع . فلا صحة اذن للاعتقاد القائل إن تلك الاجسام تظل معلقة فى منتصف العمق . وحال وصولها الى القاع أو الى المنطقة القريبة منه تصبح طعاماً للحيتان التى تكثر هنالك ولتنانين البحر العظام

أضف الى ذلك أن تلك الحيوانات هى من شر الانواع المفترسة فهى تأكل بعضها بعضاً وقلما تموت موتاً طبيعياً . وفى هذا حكمة سامية اذ لولا أنها تأكل بعضها بعضاً لانتن ماء البحر بما يتكدس فى قاعه من أشلاء الوف الملايين منها

الحزب الملكي في فرنسا

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة كرانت
هستوري . للسيدة شارلوت موريه]

لا بد لمن يزور فرنسا أن يخطر بباله هذا السؤال وهو : كيف نعلل بقاء فكرة الملكية فى فرنسا مع أنها لا تلائم طبيعة الشعب الفرنسى ومزاجه ؟

الحقيقة أن فكرة الملكية لم تزل من فرنسا قط زوالاً تاماً . وقد كانت البلاد منذ ستين سنة على وشك العودة الى الملكية لان الجمعية الوطنية التى تم انتخابها على أثر الحرب السبعينية كانت الكثرة فيها للحزب الملكى ، وكان هـذا الحزب على وشك تنصيب الكونت دى شامبور المطالب الشرعى بالعرش ملكا على فرنسا باسم هنرى الخامس ، لولا أنه أبى أن يستبدل راية أسلافه البيضاء بالراية المثلثة الالوان (التى كانت فى نظره رمزاً الى الثورة) وفى الواقع أنه لم يقم فى العالم من كان أقرب من هذا الرجل الى العرش لولا أن عناده أفقده اياه ، وكانت نتيجة عناده أن الحزب الملكى ضعف بعد ذلك كثيراً فلم يختتم القرن التاسع عشر حتى كان أعضاؤه يعدون على رءوس الاصابع

أما اليوم فان هذا الحزب يبدى نشاطاً عظيما . وأعضاؤه ليسوا سلالة الاعضاء الذين أسوه والذين كانت ميولهم وعواطفهم مع الملكية لاتصالهم شخصياً بها . بل هم رجال يفضلون الملكية على الجمهورية لاعتقادهم أن الملكية أفضل لفرنسا وأن الوطن فى أشد الحاجة الى ملك يتولى شؤونه

أما الفضل فيما للحزب اليوم من الشأن فعائد الى كفاية أساطين الحزب ومقدرتهم السياسية والادبية . فهنالك شارل موراس (ويلقبونه بفيلسوف الحزب) وهو من أبلغ الكتاب الفرنسيين ومن أقدر حملة الاقلام بينهم . وهنالك ليون دوده (ابن الفونس دوده الروائى الطائر الصيت) وهو أيضاً من أقدر حملة الاقلام فى فرنسا ومن أبلغ خطباء مجلس النواب فيها . وكثيراً ما يتغلب صوته فى المجلس على ضجيج النواب وصياحهم . وزعماء فرنسا السياسيون كلهم يخشون قلم ليون دوده وهجماته اللاذعة . وما أكثر السياسيين الذين قضى عليهم دوده بقلمه الفتاك

وهنالك جاك بنفيل وهو أيضاً من أساطين الحزب الملكى ومن أشدهم رزانة واعتدالا . ولعل اعتداله راجع الى كونه مؤرخاً قبل كل شىء ، والاعتدال من أبرز صفات المؤرخ . ومن أبلغ مؤلفات هذا الرجل كتاب ترجمة نابوليون بونابرت وتاريخ فرنسا

وقد كان فى وسع هؤلاء الاساطين الثلاثة أن يصلوا لو أرادوا إلى أرقى مناصب الدولة . إلا أنهم قد فضلوا خدمة وطنهم وحزبهم وهم بعيدون عن تلك المناصب غير متأثرين بما تفترضه عليهم من تبعات . ومما يدعو الى الاسف ان جميع هؤلاء الزعماء هم رجال نظريات لا عمليات وهم يخدمون

حزبهم باخلاص لا تشوبه شائبة ويبذلون فى سبيل ذلك شيئاً كثيراً

ويمتاز هذا الحزب باحترام الملكية ونظام الاسرة ويقول بضرورة الدين . وهذه المبادىء يرتاح اليها كل شعب معتدل غير متهور . ولهذا نجد الكثيرين من الشعب الفرنسى يعطفون على مبادىء الحزب الملكى ويوافقون على الانتقادات اللاذعة التى يوجهها الى الديمقراطية (الجمهورية) والحزب لا ينفتأ ينشر بين الفرنسيين أن الحكومة التى هى مدينة بمركزها لنواب الامة هى مقيدة برغائب أولئك النواب . ولما كان أولئك النواب من العامة فان تفكيرهم لايمتد بعيداً فهم من الجهة الواحدة قصار النظر ومن الجهة الاخرى ينفقون معظم الوقت فى الاحتفاظ بمراكزهم النيابية

ومما يجدر بالذكر أن مبادىء الحزب الملكى فى فرنسا تشبه مبادىء النظام الفاشيستى فى إيطاليا شبهاً عظيماً . وفى الواقع ان جريدة « الاكسيون فرانسيز » لسان حال الحزب نشرت مبادىء هذا الحزب قبل ظهور الفاشستية بعشرين سنة . ومن مقتضيات هذه المبادىء وجوب فناء الفرد فى الجماعة وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة . والدولة فى نظرهم هى أسمى مظاهر القومية والوطنية

وقد استهوت هذه المبادىء جماعات كثيرة من الشبان الفرنسيين فالتفوا حول الحزب ولقبهم الشعب « بباعة صحف الملك » (كاملو دو روا) ومعظمهم من طلبة المدارس والجامعات يدربون تدريباً عسكرياً . وعددهم ليس كبيراً ولكنهم ذوو جرأة واقدام . وكثيراً ما يتعمدون الاشتباك مع رجال البوليس فى الشوارع لاتفه الاسباب، وغرضهم من ذلك خفض شأن النظام الجمهورى والاعتداء على مظاهره كلما سنحت الفرص . ترى لماذا يعطف الشبان الفرنسيون اليوم على النظام الملكى ؟

الجواب عن ذلك أن من طبيعة الشاب أن يثور على القيود والتعاليم التى يفرضها عليه الجيل الذى تقدمه . فهو يأنف من التقيد بآراء أبويه لانه يحسبها عتيقة . والنظام الجمهورى الحالى مشبع بالروح السائدة فرنسا منذ أوائل القرن الحاضر والتى تجنح الى مقاومة رجال الدين . كذلك ترى الشبان المتحمسين ثائرين على هذه الروح طالبين ما هو جديد . ومن مقتضيات الملكية فى نظرهم حرمة السلطة والاديان . أضف إلى ذلك أن الجمهورية اليوم وقد مر عليها ستون عاماً لم تحقق الامانى التى كان الكثيرون من الفرنسيين يتعللون بها ، مهما يكن رأى عامة الشعب فى حسن النظام الجمهورى وملاءمته للاحوال الحاضرة . وقد كان هذا النظام يستهوى جمهور الشعب الفرنسى يوم كان قد سئم مساوىء الملكية . أما اليوم فقد نسى تلك المساوىء وصار لا يرى الا مساوىء الجمهورية

ولا يعزب عن البال أن فى النظام الملكى كما فى الفاشستية كثيراً من الابهة والمظاهر الخلابة وهى مما يستهوى قلوب الكثيرين ويستفز فيهم روح الفخر والاعجاب . أضف الى ذلك أن امام الجمهورية الفرنسية اليوم مشاكل داخلية تدل على فساد الادارة واضطراب النظام . والملكيون يستعينون بهذه المساوىء والاضطرابات لتشويه النظام الجمهورى فى نظر الشعب

مهد الانسان الاول

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
ميروار دوموند. للاستاذ بيد ديفو]

ما من عاقل الا ويخطر بباله هذا السؤال وهو : « أين كان مهد الانسان الاول ؟ » والمباحث الانتروبولوجية الاخيرة تدنينا من الجواب عن هذا السؤال . فآثار «انسان جاوى » و «انسان بكين» وغيرهما تثبت لنا وحدة أصل الانواع البشرية . واليوم يجيئنا العلماء ببرهان جديد على تلك الوحدة وعلى ان البشر نشأوا فى الاصل فى مكان واحد ، ومن هذا المكان تفرقوا على وجه البسيطة

فى جنوب الاوقيانوس الباسفيكى وعلى بعد نحو أربعة آلاف كيلو متر من سواحل شيلى جزيرة بركانية تسمى « جزيرة العيد الكبير » تكاد تكون اليوم مهجورة ولا ذكر لها إلا على الخرائط الجغرافية . وقد عثر علماء الآثار على نحو أربعمائة تمثال حجرى فى هذه الجزيرة ، وهى تماثيل كبيرة الحجم ولكنها من درجة منحطة فى الفن . وعثروا أيضاً على الواح خشبية (مع انه ليس فى الجزيرة شجر) قد نقشت عليها كتابات باحرف غريبة متناهية فى القدم ، وترجع — على ما يؤخذ من قرائن كثيرة — إلى الزمن الذى انتقل فيه الانسان من العصر الحجرى إلى العصر النحاسى

وفى وادى نهر الاندوس مدينتان متناهيتان فى القدم تسميان « هارابا » و « موهنجو دارو » وتدل الآثار التى فيهما على أنهما كانتا قائمتين منذ نحو خمسة وأربعين قرناً على الاقل . ومن تلك الآثار نقوش وكتابات تشبه النقوش والكتابات التى فى جزيرة العيد الكبير شبهاً تاما ، مما يدل على أنه كان بين « هارابا » و «موهنجو دارو » من جهة وجزيرة العيد الكبير من جهة أخرى علاقة متينة . ولا كتشاف هذه العلاقة شأن عظيم فى علم الانتروبولوجيا لانها تدل على أن الانسان الاول اجتاز الاوقيانوس الهندى على أرومات أشجار مجوفة وانتشر فى أنحاء مختلفة قادماً من المنطقة التى يطلق عليها علماء الجغرافية اليوم اسم « جاوى — الصين » وهى موطن حضارة « هارابا وموهنجو دارو »

ومما يجدر بالذكر أن الآثار التى عثر عليها العلماء فى هذه المنطقة هى أقدم الآثار البشرية على الاطلاق ، فهى ترجع إلى ما قبل العصر الحجرى بكثير — أى إلى عصر الحلقة المفقودة يوم لم يكن للارض عهد الا بالحيوانات و «بانسان جاوى » و « انسان بكين » وغيرهما من المخلوقات التى كانت وسطاً بين القرد والانسان والتى بدأ من بعدها العصر الحجرى . ولم يعترض أحد حتى الآن على القول بان العصر الحجرى هو أول عصور الحضارة البشرية . فوجود آثاره فى مكان دليل على أن ذلك المكان شهد الانسان الاول أى الانسان فى فجر حضارته

واليك بعض آثار الحضارة الاولى التى عثر عليها العلماء فى منطقة « جاوى — الصين » وهى

هي بعينها الآثار التي عثروا عليها في جزيرة العيد الكبير مع بعد الشقة بين المكانين ، مما يدل على أن الشبه بينهما ليس عرضاً واتفاقاً بل هو ناتج عن علاقة وثيقة بينهما :

فمن ذلك قصبة مجوفة يطلق منها الصياد نبالا مسمومة على الحيوان أو على العدو . فهذه القصبة بعينها كانت موجودة في كل من المكانين المذكورين . ومنها القذافة وهي آلة لقذف النصل أو الحربة الى مسافات بعيدة . ومنها حلقة مستديرة تبرز من محيطها شبه أسنان تجعلها أشبه بنجم ذي شعاع . وهذه الحلقة تستعمل عند القوم في الحرب لضرب رءوس الاعداء . ومنها آلة البومرانج والمقلاع والنشاب والجداف الشبيه بالعكاز والارماث المصنوعة من قصب مجوف والقوارب المصنوعة من أرومات الشجر مجوفة . والعرزال (وهو الكوخ المقام فوق الشجرة) . وعصى مستطيلة لحمل الاثقال بين شخصين أو اكثر

هذا قليل من آثار كثيرة وجدها العلماء متماثلة في مكانين يبعد أحدهما عن الآخر بعداً شاسعاً وتفصل بينهما بضعة آلاف من الاميال . ولا تعليل لهذا التشابه إلا أن نفترض أن تلك الاختراعات الخشنة نقلت من أحد المكانين الى الآخر منذ أقدم الاحقاب في أثناء النزوح أو المهاجرة . وقد جرى سيل هذه المهاجرة شرقاً وكانت أول مراحله جزيرة العيد الكبير . ثم استمر الى أن وصل الى أميركا الجنوبية والى النصف الجنوبي من أميركا الشمالية حيث ما تزال بعض تلك الاختراعات باقية

أضف الى ذلك أنك اذا فحصت التركيب الفسيولوجي لاجسام السكان الاصليين المقيمين بالبلاد التي كانت في طريق تلك المهاجرة تجد ذلك التركيب متماثلا ، مما يؤيد القول بأن سيل المهاجرة نشأ من منطقة « جاوى — الصين » واتجه شرقاً . ويقول الاستاذ كوريا ان هنالك قرائن تدل على أن سيل المهاجرة لم يكن واحداً بل متشعباً وأن من هذه الشعب خطاً عند من منطقة «جاوى — الصين» جنوباً شرقياً الى جزيرة اوستراليا ومنها الى اميركا الجنوبية عن طريق القطب الجنوبي . وقد كان القطب في إبان تلك المهاجرة (أي منذ نحو ثمانية آلاف سنة) ذا جو معتدل . أضف الى ذلك أن خطوطاً أخرى للمهاجرة اتجهت من المنطقة الاصلية الى أميركا الشمالية عن طريق بوغاز بهرنج ، وخطوطاً أخرى اتجهت غرباً وجنوباً غربياً الى افريقا . والدلائل على ذلك كثيرة متوافرة

هذه نظرية تشرح كيفية نشوء الانسان الاول وانتشاره على سطح الكرة الارضية . ونحن نجد اليوم آثاراً متماثلة لذلك الانسان في أنحاء كثيرة من افريقا وأميركا بل في أوربا نفسها . ويقول الاستاذ ريفيه وهو من كبار علماء الانثروبولوجيا ان طريق المهاجرين الاولين يكاد يكون محققاً اليوم، فقد تركوا في كل مرحلة من مراحل سيرهم آثاراً باقية حتى الآن. وتجد اليوم بعض اختراعاتهم منتشرة في أنحاء متفرقة من الكرة الارضية ، فيزعم الانسان أن وجودها هنالك — على بعد الشقة بين تلك الامكنة — إنما هو من قبيل العرض والاتفاق . وهذا الزعم خطأ فان جميع الاماكن التي توجد فيها تلك الاختراعات كانت مراحل أو محطات في خط السير الاصلي

الاحتيال على الكسب

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ريدرز دبجيست . بقلم الاستاذ راى جايلز]

يجد السائر فى شوارع المدن الكبرى محطات لبيع البنزين لاصحاب الاوتوموبيلات . وقد خطر مرة لأحد ملاحظى تلك المحطات أن يحمل أصحاب الاوتوموبيلات على شراء فوق ما يحتاجون اليه من البنزين . فكان كلما وقف به صاحب أوتوموبيل وطلب ثلاثة جالونات أو أربعة يتجاهل ذلك ويسأل : « هل أملأ الخزان كله يا سيدى ؟ » وفى أكثر الاوقات كان « الزبون » يجيب بالايجاب وبدلا من أن يدفع ثمن ثلاثة جالونات أو أربعة يدفع ثمن كمية أكبر — أى ملء الخزان . وقد أدت هذه الحيلة اللطيفة الى زيادة أرباح الشركة بمقدار عشرة فى المائة

وخطر لهذا الملاحظ بعد ذلك حيلة أخرى . ذلك أنه كان عند ما يمر به صاحب اوتوموبيل ويطلب بنزيناً يتجاهل الكمية التى يطلبها ويسأله : « كم سعة خزان الاوتوموبيل ياسيدى ؟ » فيجيبه كذا من الجالونات . فيشرع فى الحال ويملأ الخزان كله . وفى أكثر الاوقات كان صاحب الاوتوموبيل يخجل من منعه من ملء الخزان . وبهذه الطريقة زادت أرباح « المحطة » زيادة أخرى

ترى مما تقدم أن فى وسع كل عاقل أن يحتال على زيادة رزقه بقليل من التفكير . وكل زيادة فى الرزق تشجع على الاسترسال فى التفكير . وهذا هو التفنن فى الكسب وفى ترويج وسائل الرخاء ، وقوامه الابتداع . وكل ما يقتضيه الابتداع هو ترويض العقل على مواصلة التفكير والتماس وجوه التحسين فى جميع مناحى الحياة

ولبلوغ هذه الغاية يجب على المفكر أن يكثر من الاهتمام بالطبيعة وبمظاهرها المختلفة مهما تكن تلك المظاهر تافهة . وكثيراً ما أدى مثل ذلك الاهتمام الى اختراعات واكتشافات عظيمة . فمخترع الطيارة المعروفة باسم « طوبى » (Taube) والتى اشتهرت فى الحرب الماضية ، أتاه الهام على اختراع تلك الطيارة كونه رأى ذات يوم بزرة شجيرة كرمة فى الهند أوحت اليه شكل طيارته . وأمثال هذا الاختراع لا تقع تحت حصر . وفى وسع كل مفكر عادى — اذا روض نفسه على التفكير — أن يبتدع ويستنبط

قيل إن المستر هنرى فورد أغنى أغنياء العالم وصاحب معامل الاوتوموبيلات المعروفة باسمه، خطر له ذات يوم أن ينشىء مصنعاً للساعات الدقيقة يصنع كل يوم الفى ساعة . وقد حسب أن نفقات صنع ساعة كهذه من معدن النيكل لا تزيد على ٣٧ سنتاً (نحو سبعة قروش ونصف قرش بالنقود المصرية) ففى الامكان بيعها بنصف ريال بربح نحو ٢٥ فى المائة أو أكثر . على أن فورد لم ينفذ هذا

المشروع لسبب من الأسباب ولكن غيره اقتبس فكرته في أميركا ونفذها على نطاق ضيق

وانظر إلى الحيلة اللطيفة التالية : أعلنت إحدى شركات حفظ الفواكه في أميركا أنها في حاجة إلى عشرين الف شجيرة برقوق في خلال مدة لا تجاوز عشرة أشهر على أن تكون تلك الشجيرات صغيرة ورخيصة لكي يتسنى للشركة نقلها « وشتلها » في أراضيها . ولم يكن من الممكن في الظاهر إجابة طلب الشركة اذ لم يكن يوجد في ولاية كاليفورنيا كلها عشرون الف شجيرة برقوق ، فضلا عن أن الفصل لم يكن يصلح لزراعة البرقوق . إلا أن أحد الأذكياء المشتغلين بعلم النبات وبالزراعة حل تلك المشكلة بحيلة لطيفة . ذلك انه بادر إلى زرع عشرين الف شجرة لوز (وكانت زراعة اللوز ممكنة في ذلك الفصل) فما كادت الشجيرة تبرز فوق التربة حتى طعمها بالبرقوق . وبهذه الحيلة تمكن من بيع عشرين الف شجرة برقوق للشركة في المدة المعينة

وقد تم النجاح لذلك الزارع الذكي بفضل تفكيره وحزمه واقدامه . وهي صفات لاغنى عنها لمن يريد النجاح في العالم ، ويجب ترويض النفس عليها . وقد أثبت الاختبار في أحوال كثيرة أن هذه الصفات هي رأس مال من لا مال له

ومن الأدلة على صدق هذا القول ان مدير أحد المطاعم بمدينة نيويورك كان في حاجة إلى بضع فتيات (جارسونات) للخدمة عنده . وما كاد يعلن في إحدى الصحف عن حاجته هذه حتى انهالت عليه طلبات الاستخدام من عدة فتيات . ولما دعاهن لمقابلته رأى بينهن بضعاً من ذوات الشعر الاحمر فخطرت بباله هذه الفكرة وهي : « لماذا لا اختار جميع الفتيات من ذوات الشعر الاحمر لينال المطعم شهرة خاصة » . وما كادت الفكرة تخطر بباله حتى نفذها . وأدى ذلك إلى نجاح المطعم نجاحاً غير منتظر وظلت « ذوات الشعر الأحمر » حديث الناس في تلك المدينة مدة طويلة

فترى إذن أن الابتداع من مستلزمات النجاح في هذا العالم . والذين يكتفون بالسير على الأساليب القديمة لا يمكن أن يضمنوا النجاح باستمرار . بل لابد لهم من مواصلة التفكير والتفنن والاستنباط . وفي الواقع أن لكل فكرة جديدة قيمة وأثراً في تحقيق النجاح . فالتاجر يستطيع أن يروج تجارته بأن يعمد إلى وسائل جديدة ، ولكل جديد قيمة وطلاوة . فمن ذلك أن أحد باعة المظلات كان عنده كمية كبيرة منها قد كسدت ، فأخذ يعرضها في الايام الماطرة أمام باب دكانه وكتب عليها انها « للاجرة » ، وجعل الاجرة موازية للثمن ، فكان الكثيرون من المارة أمام دكانه في الايام الماطرة يستأجرون المظلات فنهم من يعيد المظلة ومنهم من لا يعيدها . وفي كلتا الحالتين يكسب التاجر . . .

ان خطأ الكثيرين ممن يفشلون في الحياة يرجع إلى كونهم يحملقون كثيراً الى الريال القريب منهم ولا يمدون بنظرهم قليلا الى كنز الذهب البعيد عنهم . فهم لايهتمون الا بالمكسب القريب لان المكسب البعيد مستور عن أنظارهم ويحتاج الى قليل من التفكير

حكومات مطلقة وحكومات حرة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة الاوسـتراسيون.
بقلم السنيور جوليلمو فريرو]

اذا أجلت طرفك فى المنطقة الواقعة بين سواحل البحر الابيض المتوسط والاوقيانوس المتجمد الشمالى رأيت طائفتين من الحكومات يختلف نظام الحكم فيهما كل الاختلاف . فمن الجهة الواحدة ترى ايطاليا والنمسا والمانيا وبولونيا وروسيا . ومن الجهة الاخرى ترى فرنسا وانجلترا والبلجيك وهولندا ودول السكندناف والولايات المتحدة . ويمكننا أن نصف دول الطائفة الاولى بقولنا انها دكتاتورية مطلقة السلطان ، والثانية ديمقراطية حرة . وكل منهما تدعى أنها تستمد سلطتها من الامة . فايطاليا والمانيا مثلا تدعيان أنهما تحكمان بارادة شعبيهما كما تفعل فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة . أما روسيا فتدعى أنها تستمد سلطتها من الكثرة التى يتألف منها شعبها وهى الطبقة التى تعيش من كدها ، وتعرف فى اصطلاح علم الاجتماع السياسى بطبقة « البرولتاريا »

وفى كل من طائفتى الدول المذكورتين تجرى انتخابات نيابية فى أوقات معينة — اما بطريق الاقتراع العام أو بطريق الاقتراع المقيد . ولكل منهما مجالس نيابية تسن القوانين وتهيمن على أعمال السلطة التنفيذية

والنفسية (العقلية) الغربية لا تعرف الا مبدأين اثنين يسوغان استعمال السلطة أو مباشرتها وهما الوراثة والانابة . وقد فقد المبدأ الاول (أى الوراثة) كثيراً من الشأن الذى كان له حتى أواخر القرن الثامن عشر ، فلم يبق الا المبدأ الثانى أى الانابة أو تخويل الامة حق الحكم عليها لشخص تضع فيه ثقتها

فالفرق اذاً بين نظامى الحكم ليس فى « شرعية » الحكم — اذ أن كليهما شرعى — بل فى أسلوب الحكم الذى يجب تطبيقه . ففى الحكومات الديمقراطية كانجلترا وفرنسا والبلجيك وسويسرا والولايات المتحدة يجرى الاقتراع العام لا بتسيير رجال الحكومة بل تبعاً لعوامل اجتماعية مختلفة لا تتعرض لها الحكومة ولا تسعى للتأثير فيها . فالأحزاب السياسية والنقابات الصناعية والشركات المالية والطوائف الدينية والمصالح العلمية والادبية والاقتصادية — جميع هذه العوامل تعمل بحرية تامة وتسير الانتخابات بدون تدخل رجال الحكومة

أما فى الحكومات المطلقة أو الدكتاتورية فان القوة التى تنظم الانتخابات النيابية هى الحكومة نفسها حتى ليصح القول بأن الحكومة ههنا ليست سوى قوة هائلة لتسيير الانتخابات والتحكم فيها هذا هو الفرق الاساسى بين طائفتى الحكومات المشار اليهما وهو فرق عظيم جداً سيتسع بمرور

الزمن حتى تصبح الطائفتان تختلف احداهما عن الاخرى لا فى العموميات فقط بل فى الجزئيات أيضا

ثم ان نتيجة الانتخابات النيابية فى الحكومات الديمقراطية الحرة غير معروفة ولا يمكن الانباء بها مقدما لانها خاضعة لعوامل كثيرة متضاربة . وقوى المعارضة نفسها تتمتع بأكبر قسط من الحرية. لذلك يحترم الجميع نتيجة تلك الانتخابات ويعتبرونها قانونية مهما تكن . نعم ان المعارضة قد تنكر مقدرة الحكومة التى تقوم على أثر تلك الانتخابات وقد ترتاب فى أهليتها وكفايتها . ولكنها تعتبرها حكومة قانونية من كل وجه . ولكل طائفة أو « هيئة » سياسية أو علمية أو دينية أواقتصادية حق اسماع صوتها وشكاويها وانتقاداتها بملء الحرية . وإذا أخطأت الحكومة أمكن تقويم عوجها

أما فى الحكومات المطلقة أو الديكتاتورية فان تسيير الانتخابات يكون بيد الحكومة منذ أول الامر . ونتيجة تلك الانتخابات معروفة قبل حدوثها لان الحكومة هى التى تعينها .والحكومات فى هذه الدول مسيطرة على الرأى العام بطريقة الصحافة أو دور العلم أو «الهيئات» الدينية أوغيرها. وكثيراً ما تلجأ الى الغاء الاحزاب السياسية وتقييد الحريات والى القضاء على كل ضرب من ضروب المعارضة مع ان المعارضة شرط لازم « لقانونية » الحكم « وشرعيته ». وفى الواقع أن وسائل الضغط والاستبداد التى تلجأ اليها اليوم بعض الحكومات المطلقة لا مثيل لها فى تاريخ الحكومات المطلقة الماضية . ومن دواعى الاسف أنه اذا أخطأت الحكومة المطلقة فليس ثمة من يجرؤ على ردعها فتستمر على خطئها

ترى كيف نعلل وجود حكومات مطلقة هذا عددها اليوم فى أوربا ؟

يدعى الذين بيدهم مقاليد هذه الحكومات أن النظام الذى يسيرون عليه جديد وأنه ثورة على النظم العتيقة البالية . وليس فى هذا القول شىء من الصحة ،فليس نظامهم جديداً بل هو تجربة قديمة جرت فى فرنسا والمانيا وغيرهما من الدول ثم فشلت . وفى الواقع أن هذه النظم التى يدعى القائمون بنشرها أنها جديدة — سواء أكانت فاشستية أم نازية أم بولشفية — ماهي الا عرض من أعراض العلل التى قد ابتليت بها النظم النيابية ولا سيما نظام الاقتراع العام . ومن دواعى الاسف أن البسطاء الذين تستهويهم الوعود الخلابة يثقون بكل ما يلقى عليهم من أقوال ناسين القوى التى أوصلت تلك النظم الديكتاتورية الى مقام السلطة المطلقة . وفى الواقع أن لتلك النظم علاقات وثيقة تربطها بنظم الملكيات المطلقة الاستبدادية التى كانت تسود أوربا حتى القرن الثامن عشر والتى لم تشب نار الثورة الفرنسية الا للقضاء عليها . ولكن الانسان سريع النسيان ضعيف الذاكرة وإلا لعلم انما يجرى اليوم فى بعض البلدان الاوربية المطلقة هو بعينه ما جرى فى فرنسا فى عهد الامبراطورية الثانية وما جرى فى غيرها فى عهد حكومات أخرى . وأن النظم المطلقة التى يدعون اليوم أنها جديدة وأنها « ثورة » على النظم العتيقة البالية ما هى فى الحقيقة سوى جهد اليائس المستميت تبذله الحكومات الملكية المطلقة لاستعادة سلطانها الذى قد قضى عليه قضاء مبرما الى ما شاء الله

تقدم العلم والعالم

مصدر جديد للقوة

فى بعض الانباء العلمية أن بعض المهندسين الايطاليين وضعوا خطة غريبة لاستخدام قوة البخار الطبيعى المتصاعد من الارض فى بعض أنحاء ايطاليا، لتسيير القطرات البخارية ولاسيما القطار الذى يسير بين رومة وفلورنسة. ويظهر أن فى ايطاليا منطقة تبلغ مساحتها نحو مائة ميل مربع يتصاعد البخار من شقوقها باستمرار. ومن ذلك ثغرة أو بئر يتصاعد منها نحو مائتى الف وعشرين الف رطل من البخار فى الساعة تحت ضغط تسعة وخمسين رطلا للبوصة المربعة. وهنالك بئران أخريان إذا أضيف ما يتصاعد منهما الى مايتصاعد من البئر الاولى تولدت من ذلك قوة تعادل عشرين الف كيلواط من القوة الكهربائية وستكون هذه التجربة من أغرب التجارب الهندسية الحديثة. وإذا نجحت فيكون العلم قد اهتدى إلى وسيلة جديدة من وسائل استخدام القوة

الحشرات في الشتاء

هنالك أنواع كثيرة من الحشرات تقضى فصل الشتاء فى شبه نوم عميق ولا تستيقظ منه إلا فى أوائل فصل الصيف. وهذا مايعرف عند علماء الحيوان «بالتشتية» وبعض تلك الحشرات تخرج من مخابئها قبل بدء فصل الصيف اذا اعتدل الجو وأشرقت الشمس. فاذا اضطرب الجو وعاد البرد فاشتد مرة أخرى عادت إلى مخابئها

وفى مقدمة الحشرات التى تفعل ذلك الذباب والزنابير والنحل والفراش على اختلاف أنواعها. وقد رتبت الطبيعة لهذه المخلوقات أن تتغذى بما تحتاج اليه فى فصل الشتاء بطرق مختلفة تلائم حالة كل منها. وهى دليل قاطع على عظمة حكمة الخالق

طيارة المستقبل

مايزال فن الطيران فى مهد طفولته والآراء مختلفة فيما سيكون من أمره فى المستقبل. وقد وضع بعض المهندسين الانجليز تصميما هو أقرب الى الخيال منه إلى الحقيقة، لطيارة تستطيع نقل الف وخمسمائة راكب وتقطع المسافة بين سوثمبتون (بانجلترا) ونيويورك فى أقل من خمس عشرة ساعة أى بسرعة مائتين وعشرين ميلا فى الساعة. ويعتقد واضع هذا التصميم أنه لن ينقضى العقد الحاضر من السنين حتى يتحقق هذا الحلم ويمتلىء الجو بالطيارات الهائلة لنقل ألوف الركاب بين أوربا والعالم الجديد

الاعاصير في الارض وفي الافلاك

كان الاعتقاد السائد عند العلماء حتى الآن أن جو بعض الأجرام الفلكية البعيدة هادىء لا زوابع فيه ولا أعاصير. ولكن الارصاد الفلكية الاخيرة التى قام بها العلماء مستعينين بالآلات الدقيقة قد أثبتت أن فى تلك الاجرام أعاصير ليست أعاصير الكرة الارضية سوى نفحات نسيمية بجنبها. وقد تمكن العلماء أيضاً من قياس سرعة الهواء فى أثناء تلك الاعاصير

ففي النجم المسمى ليبوريس مثلا ـ وهو من القدر السابع عشر ـ بلغت سرعة الريح أربعين ميلا في الثانية ! وفي النجم المسمى « ابسيلون اوريجيه » (ويسميه العرب ممسك الأعنة) بلغت السرعة اثنى عشر ميلا في الثانية . وفي النجم « الفا فرساوس » وهو من القدر الاول بلغت السرعة أربعة أميال في الثانية . أما في الكرة الارضية فقلما تزيد سرعة الاعاصير على ثلاثة أميال في الدقيقة الواحدة

مخدر جديد

يستعمل الاطباء الجراحون اليوم في انجلترا والمانيا مخدراً جديداً يسمى «ايفيبان» Evipan ويصلح لطائفة من العمليات الجراحية لا يصلح لها مخدر آخر . وهذا المخدر يحقن به العليل في عروق ذراعه فيجعله ينام نوماً طبيعياً هنيئاً في خلال ثلاثين ثانية وبعد انجاز العملية يستيقظ العليل ولا يشعر بشيء مما يشعر به المرء عادة في مثل هذه الاحوال

حبر غريب

اخترع أحد الاميركيين حبراً جديداً من أهم مزاياه أنه لا يمحى من الورق ولكن يمكن ازالة أثره اذا سقطت نقطة منه على الثياب أو غيرها من متاع البيت كالستائر والسجادات . وهذا الحبر يباع في زجاجات مختلفة الحجوم ولا يمكن قلب الزجاجة أبداً لان قاعدتها ثقيلة بالنسبة الى بقية جسمها

الحياة في الاجرام الفلكية

يعلم القراء الجدل القائم بين علماء الفلك بشأن وجود الحياة (أو عدم وجودها) في بعض الافلاك العلوية . والارجح أن هذا الجدل سيظل قائماً مدة طويلة وأن العلماء لن يتمكنوا من الاتفاق على قرار قاطع بهذا الشأن. فالقائلون بعدم وجود حياة في أي جرم من الاجرام العلوية يبنون حكمهم على القول بأن شروط الحياة هي هي سواء في هذا العالم وفي العوالم الأخرى . أي أنها تحتاج الى غذاء معين ودرجة معينة من البرودة والحرارة والى عناصر معينة كالأوكسجين والايدروجين وغيرهما . والذين يقولون بوجود الحياة في الاجرام العلوية الاخرى ينكرون ذلك ويقولون ليس من الحكمة تقييد الحياة التي في تلك الاجرام بشروط الحياة في عالمنا الارضي ، فقد يحتمل أن يوجد أحياء لا يحتاجون الى الاوكسجين أو الايدروجين ويحتاجون الى غيرهما من عناصر الطبيعة . وقد توجد مخلوقات تغتذي بغير المواد التي يغتذي بها البشر على هذه الارض . بل قد توجد مخلوقات حية تستطيع أن تعيش في درجة عالية من الحرارة لا تستطيع أن تعيش فيها المخلوقات الحية على هذه الارض . أضف الى ذلك أن هنالك ناموساً طبيعياً يعرف بناموس الاقتصاد الازلي ولا يتفق مع حصر الحياة في الكرة الارضية فقط ونفي وجودها في الاجرام الاخرى . فليست الكرة الارضية أحسن من تلك الاجرام بوجه من الوجوه ولا هي أكبر منها وليس لها أية مزية عليها حتى تختص بالحياة دونها . وليس من الحكمة أن يوجد الخالق الملايين منها (ومن جملتها الكرة الارضية) ويطلقها لتسبح في الفضاء قاصراً الحياة على واحدة فقط هي كرتنا الارضية

ومع ذلك فقد جاءنا الآن عالم من كبار علماء الفلك في اميركا هو الدكتور والتر أدمس مدير مرصد مونت ويلسون بكاليفورنيا يقول

انه بعد درس الارصاد الفلكية أعواماً طويلة قد انتهى الى هذه النتيجة : وهى أن الحياة لا توجد الا على الكرة الارضية وان القول بوجودها فى أجرام أخرى لا تؤيده القرائن . انما هنالك احتمال ضعيف : أن تكون موجودة فى المريخ والزهرة فقط ، والزهرة أكثر ملاءمة للحياة من المريخ مع أنه لم يستطع أحد أن يرى الزهرة حتى الآن بسبب ما يكتنفها من السحب الكثيفة الدائمة . وفوق هذه السحب طبقة كثيفة من ثانى أوكسيد الكربون يبلغ سمكها نصف ميل . وقد يكون وجود هذه الطبقة قرينة على وجود الحياة النباتية فى الزهرة والارجح أن جو هذا السيار أشد حرارة من جو الكرة الارضية . ولكن فوق طبقة ثانى أوكسيد الكربون المشار اليها طبقة من « الستراتوسفير » تشبه « ستراتوسفير » الكرة الارضية تماماً وتبلغ برودتها خمساً وعشرين درجة تحت الصفر . أما عنصر الاوكسجين الذى هو ألزم العناصر للكائنات الحية على الارض فلا أثر له مع جو الزهرة أو المريخ ، وانما يحتمل أن يكون الزهرة بين سطحها والغيوم التى تكتنفها قليل من الاوكسجين والبخار المائى اللازمين للحياة

مصابيح كشافة للقطرات

تنوى شركة اتحاد السكك الحديدية الباسفيكية أن تقوم بتجربة جديدة لاتقاء المصادمات التى تقع بين القطرات وما يصادفها فى طريقها . فقد جهزت احد قطراتها السريعة بمصباح كشاف قوى جداً له شعاعان ينبعث أحدهما عمودياً فى الجو فينير منه منطقة كبيرة الى ارتفاع عظيم . وينبعث الآخر افقياً امام القطار فيخترق سحب الضباب وينير الطريق فى الليل الحالك

الاحوال الجوية

يؤخذ من دروس الأرصاد الجوية منذ منتصف القرن الماضى حتى الآن أن متوسط درجة البرد آخذ فى النقصان ، أى ان حدة البرد تقص نقصاً تدريجياً . نعم إن هنالك مناطق على سطح الكرة الأرضية قد زاد فيها متوسط البرد عما كان عليه منذ منتصف القرن الماضى ، ولكن العبرة بمتوسط درجة البرد لجو الكرة الأرضية كلها

فمن سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٧٤ كان متوسط درجة البرد فى الشتاء فى تناقص مستمر ثم وقف ذلك المتوسط فى الاربع السنوات التى عقبت ذلك . ثم عاد الى التناقص بدرجة محسوسة . على أن علماء الطبيعة يتوقعون أن يعود البرد الى الاشتداد ردحاً من الزمن كما كان فى الماضى . وهكذا دواليك يتعاقب البرد والحر ويتدرج متوسطهما فى الارتفاع والانخفاض الى أن تنطفئ الشمس بعد ملايين القرون فيهلك بانطفائها كل مخلوق حى على وجه الكرة الارضية

خشب لايحترق

وفق أحد علماء الكيمياء الانجليز الى طريقة اذا عولج بها الخشب أصبح غير قابل للاحتراق . ومن مقتضى هذه الطريقة أن يوضع الخشب فى وعاء مسدود سداً محكماً بحيث لاينفذ اليه الهواء ، ويعرض لدرجة عالية من الضغط تحت البخار ثم يعالج بمحلول كيمياوى يسد جميع مسام الخشب بعد طرد الهواء منها ثم يوضع فى فرن خاص فيصبح بعد ذلك غير قابل للاحتراق

وتقول مجلة « بوبيولار ميكانيكس » التي نقلنا عنها هذا الخبر إن الحكومة البريطانية أمرت باستعمال هذا الخشب في صناعة السفن والطائرات

النوم والاحوال الجوية

يؤخذ من مباحث كثيرة قام بها جمهور من العلماء الأميركيين أن مدة نوم الأولاد تختلف باختلاف الحالة الجوية . فهي أطول في الايام الماطرة منها في أيام الصحو . والاولاد ينامون في الشتاء أكثر مما ينامون في الصيف. والذكور ينامون أكثر من الاناث . واذا حدث انقلاب فجائي في الحالة الجوية ظهر ذلك في مدة نوم الأولاد في الحال . فاذا استمر هذا الانقلاب طويلا عاد متوسط النوم الى مداه الاعتيادي

أما الاعتقاد بأن الطفل الرضيع ينام أكثر من الولد بين الثالثة والسابعة من عمره فلا يؤيده الاختبار

طعم السكر

قد يقع في ذهن المرء أن طعم السكر هو هو عند جميع الناس . ولكن التجارب العلمية التي قام بها بعض العلماء تثبت أن هذا الطعم يختلف باختلاف الاشخاص. وليس ذلك فقط بل إن جميع أنواع الذوق ـ من حلو ومر وحامض ومالح وهلم جرا ـ تختلف باختلاف الاشخاص لانها تتوقف على تركيب خلايا اللسان وكيفية اتصال هذه الخلايا بمركز الذوق في الدماغ

ولا حاجة الى القول بأن للحلاوة والمرارة والحموضة وغيرها درجات مختلفة . وهنالك خمس عشرة درجة لحلاوة السكر الاعتيادي

ورق لا يحترق

اخترع أحد اهالي مدينة بتسبرج باميركا طريقة كيماوية اذا عولج بها الورق والمنسوجات القطنية على انواعها وغير ذلك من المواد أصبحت غير قابلة للاحتراق . والورق المعالج بهذه الطريقة لا يفقد شيئاً من مزايا لونه أو نعومته أو متانته . واذا عم استعمال هذا الورق في صناعة الكتب قل الخطر من التهام النيران لها

مجموعة من النباتات

في جامعة مشيجان باميركا مجموعة نباتية ليست أكبر مجموعة من نوعها في العالم. ومع ذلك فانها تحتوي على مائتي الف وعشرين الف نوع من النباتات التي تنمو في جميع الاقطار . وقد بدىء بجمع نباتات هذه المجموعة منذ خمس وتسعين سنة واشترتها جامعة مشيجان من أصحابها منذ نحو ثلاثين سنة

الموز

لم يكن الموز من أنواع الفاكهة الشائعة بين المتمدنين قبل أوائل القرن التاسع عشر . ولم تكن أوربا تعرف هذه الفاكهة قبل ذلك الزمن إلا بالاسم . أما الآن فقد أصبح الموز منتشراً في جميع انحاء العالم وهو من أكثر أنواع الفاكهة غذاء

الفحم

قد يقع في ذهن بعض القراء أن استعمال الفحم الحجري حديث العهد . إلا أن مجلة بوبيولار ميكانيكس الاميركية تقرر أن الصينيين اكتشفوا الفحم الحجري في منشوريا واستعملوه منذ ثلاثة آلاف سنة

سرعة الطيور

ماتزال سرعة الطيور مضرباً للامثال . على ان ابطأ الطيارات هي أسرع من أسرع الطيور. واليك معدل سرعة بعض الطيور :

بعض أنواع العقبان ١١٠ أميال في الساعة
السنونو ١٠٦ اميال في الساعة
الخطاف ٦٨ ميلا في الساعة
حمام الزاجل ٦٠ ميلا في الساعة
الكروان الذهبي ٦٠ ميلا في الساعة
القطا ٥٧ ميلا في الساعة
الرخم ٥١ ميلا في الساعة
البط البرى ٥٠ ميلا في الساعة
الزرزور ٤٩ ميلا في الساعة
الغراب ٤٥ ميلا في الساعة
اللقلق ٤٥ ميلا في الساعة
البط ٤٤ ميلا في الساعة
اليمام ٣٧ ميلا في الساعة
الدراج ٣٢ ميلا في الساعة
الحسون ٣٠ ميلا في الساعة

فترى من هذا الجدول أن سرعة الطيور ليست شيئاً يذكر بجانب سرعة الطيارات التي قد تصل الى أكثر من مائتي ميل في الساعة

اسباب السمانة

يظهر ان آراء الاطباء في تعليل السمانة تختلف اختلافا كبيرا. فبينما ترى بعضهم يقول إن الافراط في الأكل ليس سبباً من أسباب السمانة وإن « استعداد » الجسم هو العامل الاكبر ترى اطباء آخرين يؤكدون ان الغذاء هو العامل الاكبر . وكل من الفريقين يقدم أدلة كثيرة لاثبات دعواه . ويؤخذ من آخر المباحث الطبية بهذا الشأن أنه وإن كانت بعض الاجسام لاتسمن مهما أفرطت في الاكل فان للغذاء علاقة بالسمانة لايمكن انكارها . والمواد الدهنية أكثر تأثيراً في الاجسام من غيرها فهي تؤدى إلى السمانة إلا في أحوال نادرة لايصح القياس عليها . وتلي المواد الدهنية المواد « النشوية » فان الاكثار منها يؤدى الى السمانة . ويقول الكثيرون من الاخصائيين إن محاربة السمانة بالوسائل الصناعية مضر بالصحة وان خير طريقة لتلافي السمانة هي السير على نظام خاص من الغذاء يستوفي جميع شروط التغذية ويجتنب المواد الدهنية والنشوية على قدر الامكان

المقاييس قديماً وحديثاً

كان الانسان في فجر المدنية يستعمل يديه ورجليه وجسمه لقياس الاشياء . وقد اخترع الشبر والفتر والاصبع والذراع والخطوة والقامة وهلم جراً، للدلالة على المقاييس وطبيعي أن تلك المقـــاييس كانت تختلف باختلاف الاشخاص . أما الآن فان العلم قد أوجد لنا مقاييس متناهية في الدقة والاتقان . وأى دليل أصدق على هذا من قولنا إن طول بعض أمواج الاشعة لايزيد على جزء من عشرة آلاف الف مليون من المتر ؟ . وقد كان هذا الطول منذ الازل وسيظل الى الابد هو هو لا يتغير ولا يؤثر فيه مرور الوقت

ارتفاع البنايات قديماً

لم يكن الاقدمون مغرمين بتشييد بيوت عالية للسكن إلا لاغراض معينة . فهم بنوا برج بابل مثلا خوفاً من الطوفان ، وكانوا يبنون أبراجاً عالية للدفاع عند هجمات الاعداد . وفيما

عدا ذلك كانت البيوت والمساكن منخفضة وقلما تزيد على طبقتين (دورين) ويظهر أن الامبراطور اغسطوس قيصر كان يكره البنايات العالية ، فانه ما كاد يصبح امبراطوراً على رومة حتى أصدر أمراً نهى به عن تشييد بنايات يزيد ارتفاعها على ٦٨ قدماً بمقاييس هذا الزمن ، أو نحو عشرين متراً وثلاثة أرباع المتر . وقد كان من السهل تنفيذ ذلك الامر فى ذلك الزمن فان العالم لم يكن قد ازدحم بسكانه كما هو اليوم ، وكان فى العاصمة الرومانية مجال يتسع لكل من يريد أن يشيد له بيتاً لسكناه

سمك لا ينمو

فى أعماق البحار ضرب من السمك لا ينمو ولا يكبر جسمه منذ ولادته إلى وفاته . فاذا كان طول السمكة منه بوصتين مثلا عند ولادتها بقى كذلك من دون أن يتغير . والغريب فى أمر هذا السمك أن اناثه أكبر جسماً من ذكوره بما لا يقاس . فطول جسم الذكر منه لا يزيد على بوصة واحدة وثلاثة أرباع البوصة ، حالة أن طول جسم الانثى قد يكون عشر بوصات ونصف بوصة

الصواعق والكرة الارضية

يبلغ عدد الصواعق التى تسقط من أعالى الجو على الكرة الارضية كل يوم نحو أربعة وأربعين الف صاعقة . ومن دواعى الارتياح أن أكثرها يتلاشى فى الفضاء . ولا يحدث أضرارا تذكر

جو القطبين

يقول علماء الجيولوجيا إن تربة القطبين تدل على أن الحالة الجوية فيهما قبل العصر الجليدى كانت معتدلة جداً تشبه الحالة الجوية فى أى إقليم معتدل فى الوقت الحاضر

هالة الشمس

كان العلماء حائرين حتى الآن فى ماهية العنصر الذى هو مصدر اشعاع هالة الشمس . وقد تمكن أخيرا اثنان من العلماء الاميركيين (وهما الاستاذ منزل مدير مرصد جامعة هرفرد والاستاذ بويس مدير معهد مساتشوستس الفنى) من معرفة ذلك العنصر فاذا هو الاوكسجين لا أكثر ولا أقل . وقد وضعا نبذة نفيسة ضمناها خلاصة اكتشافهما بهذا الشأن

أول عهد الاوتوموبيلات

لما اخترع الاوتوموبيل لم يشع استعماله كثيراً فى امريكا . ويؤخذ من الاحصاءات الرسمية أن عدد الاوتوموبيلات فى الولايات المتحدة كلها منذ أربعين سنة لم يكن يزيد على أربعة أوتوموبيلات فقط

خسائر الحرب الماضية

فى أحدث الاحصاءات الرسمية التى لدى عصبة الأمم أن مجموع الخسائر من الجنود المقاتلين فى الحرب العظمى الماضية ـ لجميع الدول ـ بلغ ثلاثة عشر مليونا ، حالة أن الخسارة من الاهالى غير المحاربين بلغت ثمانية وعشرين مليوناً

زيت الحوت

يحتوى لسان الحوت على ما يزيد على ثمانية فى المائة من مادة الزيت الموجودة فى جسمه كله . والاسكيمو يصطادون الحوت ويأكلون لحمه ويستضيئون بزيته

كتب جديدة

لندن

بقلم الاستاذ احمد عطية الله

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .
صفحاته ٣٦٨

«كان من حظي أن أطلعني مؤلف هذا الكتاب على كثير من أجزائه قبل تمام طبعه . تصفحت هذه الاجزاء في أقل من ساعتين ، وكنت في تلك اللحظات اللذيذة أشاهد شريطاً سينماتوغرافياً مفيداً

«صحبني المؤلف الى أغلب مشاهد لندن تلك المدينة الضخمة التي يزيد عدد سكانها عن سكان ممالك محترمة في أوربا والقارات الاخرى

«وليست لندن عظيمة بعدد سكانها فحسب بل هي عظيمة بما تحوي من ثروات هائلة : فنية وعلمية ومادية . انها عظيمة بقدمها ذلك القدم الذي كساها رداء من الجلال والهيبة ، عظيمة بتاريخها السياسي القديم ، عظيمة بمجهوداتها الحديثة للاحتفاظ بمركزها العالمي الرفيع

«بذلك أكبرت عمل مؤلف هذا الكتاب القيم ، فقد استطاع في زمن قصير أن يجوب معي أنحاء تلك المدينة المترامية الاطراف»

تلك فقرات من هذه المقالة القيمة التي كتبها في صدر هذا الكتاب الدكتور حافظ عفيفي باشا وزير مصر المفوض السابق في لندن . وقد شهد فيها بما قام به الاستاذ احمد عطية الله من مجهود في تأليف هذا الكتاب ، وبما يستحقه من ثناء وتقدير لقيامه بهذا العمل المفيد .

ولا ريب أن هذا الكتاب سيستفيد منه كل من زار هذه المدينة العظيمة وكل من لم يزرها . أما الاول فسيحتفظ من هذه الدراسة التي تضمنها (كتاب لندن) بعدة ملاحظات ومعلومات دقيقة فاته الاحتفاظ بها والعناية بملاحظتها . وأما الثاني فسيستفيد - الى ذلك - بالاطلاع على ما لم يسبق له الاطلاع عليه من حياة هذه المدينة الاجتماعية والادبية والتاريخية والعصرية ، وقد عرضها المؤلف عرضاً متقناً ، فالمتصفح لهذا الكتاب كأنه يشاهد - كما قال حافظ عفيفي باشا - شريطاً سينماتوجرافياً مفيداً يعطيك صوراً واضحة لمحاسنها ومباذلها ، ولكثير مما حوته من ألوان الرقي وأمثلة التقدم الذي بلغته لندن في المدينة الحاضرة

الاعشاب

تأليف الشاعر المصري محمود ابو الوفا

طبع بمطبعة الاخاء بحارة الروبي بالقاهرة .
صفحاته ١٢٧

آه يا يوم اللقاء ليتني كنت إلها
كنت صيرتك في الـ أيام يوما لا يضاهى
لامرت الشمس تبقى فيك لم تبرح سماها
ثم أمددتك شهراً رافلا تحت ضياها

تلك بضعة أبيات من إحدى قصائد هذا الديوان أو هذه الاعشاب الحية النضرة التي ازدانت بها صفحات الديوان الثاني للشاعر المصري المجيد الاستاذ محمود ابو الوفا . فقد

امتاز هذا الشاعر برقة العاطفة وسلاسة الاسلوب وحلاوة المعنى واقتداره على المزج بين التفكير والعاطفة ، وبين الفلسفة والخيال

وقد تصفحت هذه القصائد فاذا فيها من الاغراض الوطنية والاجتماعية والفكاهية ، وغيرها ما يتنقل فيه الذهن من روض الى روض ، ومن جمال إلى جمال ، ومن معان وجدانية إلى معان عاطفية ، ومن أفكار فلسفية إلى خواطر نفسية ، كلها ينم عن حياة مملوءة بألوان من الفرح والحزن ، والرضى والغضب ، والتفكير والخيال ، والأمل واليأس . ولقد ابدع الشاعر فى تصويرها تصويراً صادقاً جميلا . ولسنا فى مقام الافاضة فى تعريف الأستاذ محمود ابو الوفا للقراء ، فقد عرفوه غير مرة بآثاره البليغة التى نشرها فى كثير من الصحف . ولقد قرأوا فيه الشاعر المبدع الوثاب ، الذى قست عليه الحياة ، ولكن على الرغم من قسوتها وخطوبها ، لم تنل من جوهر نفسه الصافى وملكته الشاعرة ، بل استطاع أن يتخذ من قسوة الحياة موضوعاً لشعره ، ومن معاكسة الايام وسيلة إلى الاجادة فى فنه . كأنه أراد أن يديل منها بما يفيد الفن ويزيد فى ثروة الأدب

الملاح التائه

ديوان الاستاذ على محمود طه

طبع بمطبعة الاعتماد . صفحاته ١٥٨

لم يعهد الشعر العربى نشاطاً بين الشبان فى النهضة الاخيرة كهذا النشاط الذى يبدو من شعراء الشباب وأنصار الشعر العربى ومحبيه بعد وفاة المرحومين حافظ ابرهيم وأمير الشعراء شوقى بك . وقد كنا نظن أن الشعر سوف تدول دولته ويقضى عليه فى وقت أصبح للنثر فيه المقام الاول . غير أننا أصبحنا نرى تسابقاً إلى الاجادة فى الشعر العربى ورفع لوائه . وبرز الشبان يسعون بخطوات واسعة فى هذا الميدان ليعيدوا للشعر مكانته ودولته . ولقد كنت أقرأ للاستاذ على محمود طه بعض القصائد التى ينشرها فى المجلات الاسبوعية والشهرية ، فألمح فيها ثقافة أدبية ، وأجد فيها روحاً شاعرة تدفعنى الى الحكم بأن هذا الأديب شاعر بطبيعته ميال الى الافاضة والاجادة ، عاشق لفنه نشط مجتهد فيه ، شأن الفنان الذى يخدم الفن لذات الفن ، وهو فى ذلك يرضى ميله وهواه . ومن هذه الناحية تعرف كيف يجيد « شاعر الوجدان » كما سماه بعضهم ، وكيف يتخير الموضوعات الفنية الجديدة التى تسمو عن الابتذال ، وتعطيك لوناً من الشعر جديداً بأفكاره وخواطره ، قديماً بأسلوبه العربى المتين. وحسبنا من التجديد أن نكون متجددين فى أفكارنا وخواطرنا ، محافظين على قواعد لغتنا لقد أعجبت حقاً بهذا الشاعر الذى يحافظ على لغته وينحو فى موضوعاته وخلجاته ناحية جديدة ، وأطربنى عند تصفح ديوانه كثير من نفثاته ، كميلاد شاعر ، ورجوع الهارب ، وايتها الاشباح ، وعلى الصخرة البيضاء ، والاجنحة المتكسرة . والله والشاعر ، والشاطىء المهجور ، ورثاء حافظ وشوقى وعدلى يكن . وقصيدة البحيرة المترجمة عن لامارتين

ملوك الطوائف

ونظرات فى تاريخ الاسلام

للعلامة دوزى - ترجمها الأستاذ كامل كيلانى

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة . صفحاته ٤٤٦

لا أدرى كيف أصف نشاط الأستاذ كامل

كيلانى فى خدمة المكتبة العربية بما يصدره من الكتب المؤلفة والمترجمة والمهذبة والمشروحة. فبين آونة وأخرى نرى له كتاباً أدبياً أو قصة للاطفال أو ديواناً مهذباً أو مشروحاً لشاعر من الشعراء، أو قصصاً من روائع ما أنتجته قرائح الادباء الغربيين، أو كتاباً تعليمياً يهدى الناشئة الى صناعة الانشاء والاجادة فى فن الكتابة

وهذا الكتاب الجديد الذى أصدره أخيراً قام بتأليفه العلامة المستشرق (دوزى) وقد بحث فيه تاريخ الاندلس بعد ما زالت عنها الخلافة الأموية، وانقسمت إلى عدة ولايات متنافسة متنافرة، وتكلم بالتفصيل عنها وعن نشأتها وتاريخ الاسلام فى هذه البلاد، ثم عرض نظرات فى ديانة العرب فى الجاهلية ومعتقداتهم وأساطيرهم، ثم نظرات فى تاريخ الاسلام بعد وفاة النبى وفى عهد أبى بكر وعمر وعمر بن عبد العزيز. وأتى بفصول عن أسباب انتشار الاسلام، ومعجزة الاسلام وقواعد الاسلام الى غير ذلك

وقد أحسن الأستاذ كامل كيلانى باصدار هذا الكتاب مترجماً إلى اللغة العربية لأن هذه الترجمة ولا شك خدمة لقراء هذه اللغة الذين يهمهم أن يطلعوا على كل ما يدونه الكتاب الغربيون عن العرب وتاريخهم وحضارتهم. سواء أكان فى هذا التدوين ما يرضيهم ويرضى الحقيقة التاريخية أم كان فيه ما لا يرضيهم ولا يقنع المؤرخين

شمهورش

تأليف الاستاذ محمد فهمى يوسف

طبع بمطبعة الجامعة المصرية الحديثة . صفحاته ١٢٦

أخذت حوادث ملوك الجن فى مصر دوراً هاماً فى هذه الايام. وصار الناس يتحدثون عنها فى المحافل والمنازل بعد هذه الفضائح التى إكتشفها البوليس وقبض على أصحابها من الدجالات والدجالين الذين يغررون بالبسطاء، ويخدعون العامة بالاحتيال عليهم. ولقد كان للاستاذ محمد فهمى يوسف المحرر بجريدة الاهرام الغراء فضل اطلاع الجمهور على تفاصيل هذه الحوادث بحكم مهنته وبما طبع عليه من المهارة والنشاط فى الوصول إلى دقائق الحوادث واكتشاف أسرارها والوقوف على تفاصيلها. وقد جمع فى هذا الكتاب الممتع طائفة غريبة من حوادث ملوك الجان. وهى حوادث واقعية أغرب من الخيال. وقد حلى هذه المجموعة بصور فوتوغرافية لكثير من الحوادث التى وقعت فى مصر. فنثنى على نشاط الاستاذ فهمى وجده واجتهاده فى خدمة الجمهور بما يهدى اليهم كل يوم من معلومات مفيدة وحوادث طريفة

ابنة الشمس

تأليف الاديب فرنسيس سفنتشى

طبعت بالمطبعة الاميرية ببولاق . صفحاتها ١٦٥

هذه احدى الروايات الخمس التى فازت بجائزة وزارة المعارف المصرية فى مباراة سنة ١٩٣٢ . وهى رواية مصرية عنى الاديب فرنسيس سفنتشى بتأليفها تأليفاً تمثيلياً. واجتهد فى صياغتها بأسلوب سلس رقيق يناسب الجو المسرحى ويتفق مع فصاحة اللغة وأذواق الجماهير. وقد كان من هذه العناية التى بذلها هذا الاديب الشاب أن فازت روايته بهذه الجائزة بين كثير من الروايات التى قدمت للجنة التحكيم.

ولقد قالت هذه اللجنة فى خلال تقريرها عن الروايات الفائزة : « . . . ومنها ما تجلجل فيه البيان مبالغة فى تصوير العصر القديم ومحاكاة لهجاته فى أساليب القول كرواية ابنة الشمس »

فنهنىء الاديب فرنسيس بهذا الفوز ، وبهذا الظهور الذى أتيح لهذه الرواية فى ثوب من الطبع الجيد والورق الجميل

ليالى باريس

بقلم الاديب نزيه مسعد

طبع بمطبعة الاخاء بالقاهرة . صفحاته ٢٠٠

هذه مذكرات طريفة دونها الاديب نزيه مسعد عن رحلته إلى باريس وعن أهم ما لفت نظره فى هذه الرحلة منذ بدأها من مصر إلى أن عاد اليها . وقد تحدث فيها عما شاهده فى مرسيليا وباريس وجنيف وعن الصحافة الفرنسية وعن بعض المهاجرين من الشرقيين فى أوربا كالامير شكيب ارسلان ، وعن حياة الطلبة فى الحى اللاتينى وما فيه من مآس ، وعن المطاعم والملاهى ، وعن الجامعات وحى الفن واللهو (مونبارناس) وعن الجاليات الشرقية وعن مجلس نواب فرنسا ورئيس الجمهورية والمواصلات وغير ذلك من الموضوعات . وقد اختتمه بفصل عن ملكات الجمال فى الامم المختلفة . والكتاب مطبوع طبعاً جيداً ومزين بالصور . وقد كتبه المؤلف بلغة سهلة فصيحة . ولا ريب أن مثل هذا الكتاب مما يشتاق إلى مطالعته القراء لانه يعرض عليهم ألواناً مختلفة من الحياة الباريسية

كتب أخرى

(مثلنا الاعلى) رواية ممتعة بقلم الاديب عبد المجيد عباس المعلم بمدرسة تطبيقات المعلمين سابقا ببغداد . طبعت بمطبعة الحكومة . صفحاتها ٣٩

(شمم فتاة) رواية قيمة نشرت تباعاً بجريدة الاهرام الغراء . تأليف الكاتب الانجليزى ما كويل . وترجمها الى العربية ترجمة سلسة فصيحة الاستاذ عبد المنعم حسن . طبعت على نفقة مكتبة الوفد بالقاهرة . صفحاتها ٢٧٣

(مصير المدنية الاسلامية) فصل من كتاب « روح السياسة العالمية » للفيلسوف الامريكى هوكنيك . قامت بترجمته ونشره لجنة الثقافة فى ثانوية الموصل . طبع بمطبعة النجم صفحاته ٤٦

(فن الكتابة) أو كيف ندرس فن الانشاء . اقتباس وترجمة الاستاذ كامل كيلانى . صفحاته ٣٢ . طبع بمطبعة سعد بمصر بالفجالة

(الخط الكوفى) الرسالة الثانية ــ وفيها كلمة عن تحسينه وادخال الشكل والاعجام عليه بقلم الاستاذ يوسف احمد مفتش الآثار العربية سابقا . صفحاته ٣٢

(تاجر البندقية) قصة طريفة مترجمة من قصص شاكسبير للاطفال بقلم الاستاذ كامل كيلانى . طبعت بمطبعة المعارف ومكتبتها بالقاهرة . صفحاتها ٦٨

(المنقذ من الضلال) تأليف حجة الاسلام الغزالى . نشره وعلق حواشيه مكتب النشر العربى صفحاته ١٠١ طبع بمطبعة ابن زيدون بدمشق

السنوات العشر المقبلة

وكيف تكون حالة العمران فيها

ظهر في بلاد الانجليز كتيب يشتمل على طائفة من المقالات الشائقة بأقلام نخبة من أكابر الكتاب، فيما ستكون عليه حالة العالم فى خلال السنوات العشر المقبلة، من حيث بعض النواحي العمرانية كالطيران والبيولوجيا والطب والحرب والاكتشاف والصحافة وما إلى ذلك من الشؤون. وقد رأينا أن نورد فيما يلي خلاصة تلك المقالات لانها لا تبسط حالة الاجتماع فى جزء معين من أجزاء المعمور فقط بل تتناول كثيراً من الانحاء

فى الطيران

كتب المقالة الخاصة بالطيران رجل من كبار أهل الفن فقال: إن الطيران خطا فى السنين الاخيرة خطوات واسعة، ليس فى زمن السلم فقط بل فى زمن الحرب أيضاً، وسيستمر يرتقى حتى يبلغ درجة الكمال

فاما الطيران التجارى فان التقدم مرجو فيه فى كل من طائرات البريد وطائرات الركاب التى تحلق فوق الاوقيانوسات. ولا يخفى أن رجال الاعمال ينتظرون بفروغ الصبر ظهور الطائرات السريعة لنقل البريد. وفى الولايات المتحدة طائرات من هذا النوع لنقل البريد من الساحل الغربى إلى الساحل الشرقى فى مدة وجيزة. وليس للاحوال الجوية أى تأثير فى أسفارها

ومع ذلك فان العالم ينتظر أن يرتقى الطيران لنقل البريد فى خلال السنوات العشر المقبلة وان تتمكن الطائرات من نقل الركاب فوق الاتلانتيك والباسفيك وغيرهما من البحار

ويقول بعض المهتمين بشؤون الطيران إن مشكلة نقل الركاب فوق الاوقيانوسات لن تحلها إلا المناطيد — وتعرف عند أهل الفن بسفن الجو — وهي أخف من الهواء. ويزعم غيرهم أن هذه المشكلة لن تحلها الا الطائرات. ولكل من الفريقين حجج ليس هذا مجال نقدها. وعلى كل فان العالم سيرى فى بضع السنوات المقبلة تجارب كثيرة لتنظيم النقل الجوى عبر الاتلانتيك من جهة الشمال. وسيتوقف نجاح هذه التجارب على تحسين الطائرات وترقية عددها وأجهزتها

وهنالك مشاكل كثيرة تعترض إستنباط طائرات تحمل من الركاب أو البضاعة ما يسد نفقات طيرانها مسافات طويلة كالمسافة بين ارلندا ونيوفوندلندا مثلا، وهي نحو الف وتسعمائة ميل، وعلى

الطائرة أن تجتازها دون أن تقف فى الطريق . والارجح أن استنباط طائرات تستطيع الطيران البعيد هو فى حيز الامكان ،ولكن اضطرار الطائرات إلى حمل ما يلزمها من الوقود السائل لا يترك فيها مجالا كبيراً لنقل الركاب والبضاعة

ولكي تسوغ الطائرات نفقات صنعها يجب أن تستطيع الطائرة حمل عشرين راكباً على الاقل مع امتعتهم . فاذا أمكننا أن نقلل من ثقل الطائرة لنزيد فى عدد الركاب وفيما يجب أن ينقلوه معهم من أمتعة فقد حللنا المشكلة

لنفرض أن ثقل الطائرة أربعون الف رطل مثلا وان متوسط ثقل الراكب وأمتعته نحو مائتين وخمسين رطلا . فاذا أردنا أن نمكن الطائرة من نقل عشرين راكباً مع أمتعتهم وجب أن نقتصد ½ ١٢ فى المائة من ثقل الطائرة (أى خمسة آلاف رطل)

ترى هل بمكنتنا أن نوجد معدناً أخف بما يوازى ½١٢ فى المائة من المعدن الذى تصنع منه الطائرات فى الوقت الحاضر ؟

الجواب أن القرائن كلها تدل على امكان ذلك ، ولكن لابد من مرور الزمن لبلوغ درجة الاتقان وقد يقتضى ذلك أكثر من عشر سنوات . وعلى كل فان القرائن تبشر بالنجاح

ومن المحتمل أن يتخذ الطيران فى السنوات العشر المقبلة وجهة جديدة وهي التحليق فى طبقة الجو المعروفة « بالستراتوسفير » ، فقد أثبت الاستاذ بيكار منذ عهد قريب أن التحليق الى ذلك الارتفاع ليس مستحيلا . كما أن تحليق الطائرين الروس فى هذه السنة الى تلك الطبقة سيكشف لنا القناع عن حقيقة الاحوال الجوية فى تلك الطبقات . ومن المحتمل أيضاً أن يكون الطيران السريع فيها أسهل منه فى طبقات الجو السفلى . وفى هذه الحالة يقصر الطيران فى الستراتوسفير على الاسفار الطويلة لنقل البريد فقط

فى البيولوجيا

يبلغ قطر ذرة البروتايين — كذرة الهيموجلوبين — نحو أربعة أجزاء من المليون من المليمتر . وهذه الذرة ليست حية ولكنها جزء من جسم حى . وهى تختلف عن البكتيريا بكون هذه حية وطولها أقل من جزء من الف من المليمتر

ويعتقد العلماء ان سر الحياة هو بين هذين الحجمين . وعلم البيولوجيا يسعى اليوم لاستجلاء ذلك السر

والكيمياء العضوية تثبت لنا أن الخلية الحية تتألف من عدد لا يحصى من الذرات الحية ولكل ذرة منها عمل هو قوام الحياة

وعالم الكيمياء يجهل ترتيب هذه الذرات وعلماء البيولوجيا يتلمسون طريقهم فى الظلام لاستجلاء

ذلك السر مستعينين بالاشعة التى وراء البنفسجية وبأشعة اكس وغيرها . وهم يسعون أيضاً لاستجلاء حقيقة الذرات المعروفة عند علماء البيولوجيا بذرات الوراثة أو الكروموسومات . وقد ثبت الآن ان حجم كل كروموسوم لا يزيد على جزء من مائة الف جزء من المليمتر

وليس فى الوسع التنبؤ الآن بما ستسفر عنه مساعى العلماء فى هذا الشأن ، ولكن من المحتمل جداً أن يتوصلوا منها الى معرفة أسرار السرطان والشيخوخة

وما تزال الكيمياء الحيوية أو البيولوجية فى أوائل عهدها . وسنشهد فى السنوات العشر المقبلة عزل ذرات الفيتامين والهورمونات وجلاء سر الانزيمات وغيرها

وسيتقدم علم الوراثة فى العقد المقبل من السنين تقدماً محسوساً فينجلى سر الوراثة والتغير ويعرف العلماء سبب الاختلاف بين أفراد الجنس الواحد . وإذا عرفنا ذلك أمكننا أن نحكم مقدماً أن فلاناً مثلا من الاطفال معرض للوفاة بمرض الحصبة أو بغيره . وإذا توصلنا الى هذا العلم أمكننا أن نتلافى شوائب الوراثة وأن نصلحها

وقد تمكن علماء النبات فى خلال الاعوام العشرة الماضية من استنباط عدة أنواع جديدة من النبات بوسائل صناعية ، كما تمكنوا من ايجاد نبات قديم بوسيلة صناعية . وليس ما يمنع من استيلاد أنواع جديدة من الحيوانات أيضاً بتلك الوسائل

ومن المحتمل أن يعثر العلماء على كثير من الحيوانات المنقرضة « كالحلقة المفقودة » التى بين الاسماك والحيوانات البرية المائية والتى عثر عليها العلماء أخيراً فى جرينلند . و « كانسان بكين » وغيره

وسيوجه اهتمام خاص فى خلال العشر السنوات المقبلة إلى الحيوانات التى تكثر فى بعض البلدان دون غيرها . ولا يخفى أن تلك الحيوانات (كالارانب فى كندا) تتوالد بكثرة غير معتادة فى فترات معينة ، حالة أن غيرها تتناقص فى تلك الفترات تناقصاً محسوساً كأنها تصاب بالعقم، ومن المحتمل أن جلاء سر هذه الفترات سيجلو أيضاً سر ازدهار بعض الشعوب فى أزمنة معينة واندثار غيرها فى تلك الازمنة

وسيتقدم علم الفيسيولوجيا النباتية فى خلال الاعوام العشرة المقبلة تقدماً محسوساً يتمكن الانسان بفضله من اكثار خصب بعض النباتات لزيادة الانتفاع بها

ولا شك أن الولايات المتحدة فى مقدمة البلدان التى تعنى بالمباحث البيولوجية، على أن الازمة الاقتصادية العالمية قد وقفت عثرة فى سبيل تلك المباحث وهذا ما يدعو إلى أشد الاسف ، كما أن الاضطهاد الذى وقع أخيراً على بعض العلماء فى المانيا كان له أسوأ الاثر فى مواصلة المباحث البيولوجية هنالك. على أن العلماء الروس يقومون الآن بنصيب كبير من هذا العمل . ويقال إن نحو ربع المؤلفات التى تبحث فى العلوم البيولوجية فى العالم تصدر اليوم من روسيا . وليس فى وسع أى كاتب أن يتكهن بما سيبلغه علم البيولوجيا فى خلال السنوات العشر المقبلة

فى الطب

من تحصيل الحاصل القول بأن الطب الواقى سيزداد تحكما فى الامراض الوافدة فى خلال العقد القادم . فان انتشار المستشفيات فى جميع الانحاء كفيل بذلك . وفى الواقع أن كثرة المستشفيات المجهزة بأحسن العدد والآلات أمر لا مندوحة عنه إذا أريد أن يتحكم الانسان فى الامراض

وإذا نظرنا الى علم الطب نفسه وتتبعنا الخطوات التى خطاها فى بضع السنوات الماضية جاز لنا أن نعلل أنفسنا بأن تقدمه سيكون عظيما جداً فى خلال السنوات العشر المقبلة . والرجاء عظيم جداً بالتقدم فى معرفة خواص العقاقير ومعرفة علاقة البسيكولوجيا بالامراض . ومن الغريب أن هـذا العصر الموسوم بعصر المادة قد كان أقل العصور ايماناً بقوة العقاقير . ومما يجدر بالذكر ان العلماء عرفوا فى أوائل القرن الحاضر أن جسم الانسان يصنع فى الداخل العقاقير التى يحتاج اليها لاتمام وظائفه . وقد أثار هذا الاكتشاف اهتمام الناس بوظائف الجسم الكيمياوية . ومنذ عهد غير بعيد اكتشف العلماء مواد جديدة هى عامل التغذية فى المواد الغذائية وأطلقوا عليها اسم الفيتامين . وهى مواد نباتية الاصل لا غنى عنها للجسم لان نقصها يؤدى الى أمراض معروفة وهذه الامراض كثيرة وعدد ما يثبت منها أنه ناشىء عن ذلك النقص يزداد كل يوم

وقد ثبت منذ عهدقريب أن هنالك مواد كيمياوية تتولد فى الجسم «وتشرح للانسجة الرسائل التى تنقلها الاعصاب . وفى نهاية الاعصاب مادة تساعد على شرح تلك الرسائل او الاشارات » . ويظهر أن السموم عندما تدخل الجسم تؤثر فى تلك المادة . على أن بعض العقاقير إذا وصلت إلى تلك المادة حالت دون وصول السموم اليها فكأنها تقطع الطريق عليها . وقد يفضى درس خواص هذه العقاقير الى تقدم علم تركيب الادوية

وما زال علماء الكيمياء يسعون لمعرفة حقيقة الهورمونات والفيتامينات . وقد استطاع بعضهم تحضير بعض تلك المواد بالوسائل الصناعية وأفضى ذلك الى نتائج مدهشة أهمها ان المواد اللازمة للتوالد والنمو فى الاحداث ولنشوء السرطان هى « متحدة » معا كيمياوياً أى انها متشابهة ومن نوع واحد . وكذلك اتضح للعلماء ان بعض أمواج النور ذات الاطوال المعينة تستطيع انشاء الفيتامين (د) فى الدهن الذى تحت الجلد . وكأن هذا الفيتامين يلتقط أشعة الشمس التى تقع على الجسم ويخزنها ثم يستعملها لانارة الانحاء المظلمة من باطن الجسم

فالعلم اذن قد أثبت فائدة أشعة الشمس كما أثبت فائدة الهواء الطلق . وفى الاعتراف بفائدة الشمس والهواء عودة الى مبادىء اسكولابيوس اله الطب فى أساطير اليونان . على أن فى العودة الى تلك المبادىء عودة أيضاً الى علاقة النفس بالجسد والى سلطان البسيكولوجيا على أعضاء الجسم — ذلك السلطان الذى قد بدأ ينجلى للعلماء أكثر فأكثر منذ الحرب العظمى الماضية . وأى دليل

أصدق على ذلك من تأثير الطبيب فى نفس العليل ؟ فان العليل — سواء أظهر الشجاعة أم تكلفها — لا يخلو من قلق باطنى . وقد يكون هذا القلق هو كل مابه من داء . وفى الواقع ان بعض المرضى هم مرضى لانهم يشعرون بأنهم ليسوا سعداء . وبعضهم يشعرون بأنهم غير سعداء لانهم مرضى . وكثيراً ما يكون الشقاء الذى يشعر به الانسان ناشئاً عن عدم تطبيق معيشته على أحوال البيئة التى هو فيها فيتولد فى داخله خوف لا يزول الا باظهار العطف عليـه وبتفهيمه كيفية ذلك التطبيق

واذا نظرنا الى الجراحة رأينا أن التقدم فيها على أجلاه فى جراحة الدماغ والرئتين . على أن فى مقدمة مايعنى به الجراحون الآن مسألة التخدير . وقد توصلوا إلى طريقة يخدرون بها العليل فى سريره من دون أن يعلم . وفى هذا تخفيف كبير لما قد يستولى على نفسه من الفزع

فى الحرب

يعتقد سواد الناس أنه اذا وقعت حرب أخرى فى المستقبل ، فستكون فى الجو أكثر منها على البر . أما الرجال العسكريون فلا يرون هذا الرأى ، بل يعتقدون أن الحرب المقبلة ستكون مشابهة من أكثر الوجوه للحرب الماضية

ومما يجدر بالذكر أن جانباً كبيراً من قادة الحرب مايزالون يعتقدون أن العامل الاكبر فى المعارك هو الهجوم بصفوف متراصة وهو نظام وضعه نبوليون وقد جرى عليه قادة الجيوش من ذلك اليوم الى الحرب العظمى الماضية ، وهو سبب الفشل الذى منيت به الخطط العسكرية فى تلك الحرب ، ومع ذلك مازال الكثيرون من قادة الجيوش يتمسكون بهذا النظام ويقذفون بالمشاة (وهم الجيش الاكبر فى القتال) على الاعداء فتحصدهم المدافع السريعة حصداً قطيعاً . وقد حدث مراراً فى الحروب الماضية أن جندياً واحداً انتصر على بضع مئات من الجنود لانه أدار عليهم مدفعه السريع وأثخن فيهم قتلا وجرحاً

وتقع تبعة استمرار هذا النظام على رجال السياسة أيضاً فانهم مايزالون حتى الآن يقيسون قوة الجيوش بعدد الجنود الذين تتألف منهـم ، كما يقيس الانسان قوة السفينة بحمولها من عدد الاطنان

وقد تعددت المدافع السريعة منذ الحرب الماضية وتنوعت فى جميع الجيوش . وفى تعددها وتنوعها زيادة فى القوة الدفاعية فى البر . وبقدر زيادتها نقصت المدافع الضخمة لان الاختبار أثبت انها لاتتفق ومبدأ الاقتصاد ، فالفائدة المرجوة منها دون النفقات التى يتحملها الجيش . ومما يجدر بالذكر أن تحسيناً كبيراً قد طرأ على الدبابات منذ الحرب ، ومع أن فائدتها عظيمة جداً فما يزال عددها قليلا نسبياً فى جميع الجيوش

وللمدافعين مزية دائماً على المهاجمين اذ فى استطاعتهم أن يتحصنوا فى مواقفهم ، ولو أطلق

المهاجمون عليهم الغازات المختلفة فان فى الامكان اتقاء هذه الغازات بالكمائم المختلفة

ولعل غاز الخردل من أشد تلك الغازات فتكا. فهو ينتشر بسهولة على مسافات واسعة ومن خواصه أنه غاز غير منظور. ولاتقاء شره لابد للجنود من إلباسهم ثياباً خاصة أشبه بالثياب التى يلبسها الغواصون. ولكن هذه الثياب ثقيلة تعوق الجندى عن الحركة. فضلا عن أن هذا الغاز ينتقل من جندى الى آخر بالعدوى أى باللمس كما تنتقل جراثيم الامراض

واستعمال الغازات يقوى الميل الى تقوية وجوه الدفاع. ومن المحتمل أن يوجه كل جيش مقاتل همه الى اتخاذ خطة الدفاع فى جانب من ساحات القتال مع القيام بالهجوم فى ميادين أخرى

ثم ان الهجوم بصفوف متراصة يجعل مهمة الطائرات الحربية أسهل، اذ فى امكان هذه الطائرات أن تلقى قذائفها بسهولة وأن تصيب اهدافها أكثر مما لو كان الهجوم بصفوف غير متراصة. ولاشك أن عمل الطائرات فى أوائل الحرب سيكون ذا تأثير عظيم فان المطلوب منها عرقلة الجيوش عند التعبئة وانزال الاضطراب بها وتدمير مستودعاتها وذخائرها منذ أول الحرب

وفى الواقع إذا تمكنت الطائرات من تدمير مواقع العدو المركزية ومستودعات ذخائره فان ذلك يعجل بانهاء الحرب

ومن الحقائق المسلم بها أن عدد الطائرات الحربية متناسب مع الجيوش. فكلما كان الجيش كبيراً وجب أن يكون عدد تلك الطائرات كبيراً، ولكن كبر الجيوش وكثرة الطائرات والاسلحة مما يجعل الاشراف على تموين الجيوش وعلى المصانع التى تخرج الاسلحة والذخائر أصعب. والخوف كل الخوف من الجيوش الصغيرة العدد المستكملة السلاح الفنية فى الطائرات فان فى وسعها القاء الذعر فى جيوش الاعداء نظراً الى سهولة الاشراف عليها وتوجيه حركاتها مع تأمينها من مفاجآت العدو إلى أقصى حد ممكن

فى الاكتشاف

إن مستقبل الاكتشاف متوقف على اتساع نطاق الطيران. وقد كان هذا الاكتشاف يتم قديماً بتجشم أهوال الاسفار والاغتراب أعواماً كثيرة كما وقع لستانلى ولفنجستون اللذين اكتشفا مجاهل القارة المظلمة. وعلى كل فان القارات المجهولة لم يبق منها سوى قارة القطب الجنوبى إذ ما تزال أشبه بسر مستغلق لا نعلم شيئا من حقيقته. والعالم فى حاجة الى مغامرين أشداء البأس يواصلون جهود سكوت وشاكلتن فى هذا الشأن

وفى الواقع أن الطائرات ستواصل فى المستقبل تلك الجهود فتطير فوق مجاهل القطب الجنوبى وتمسحها وتصورها صوراً فوتوغرافية. ومثل هذا العمل لم يبدأ بداءة جدية حتى الآن وهو

متروك للذين سيجيئون بعدنا . ومع أنه أقل خطراً من الاعمال التى انجزها رواد المجاهل فى الماضى فانه يقتضى شجاعة وقوة وصبراً ورغبة فى المغامرة

وعلى كل فان الاكتشاف فى خلال السنوات العشر المقبلة سيكون موجها بالاكثر الى درس بعض الامور التفصيلية بالمجاهل غير المعروفة كمسح تلك المجاهل ودرس طبوغرافيتها وتصوير جبالها وسهولها وأوديتها . وستتجه الانظار الى مجاهل القارة الافريقية أكثر من اتجاهها الى مجاهل أية قارة أخرى . وقد بدىء فى الواقع بارتياد تلك المجاهل إذ توالت البعثات العلمية الى جبال الهملايا بقصد تسلق قمة افريست . ومع ان تلك البعثات لم تنجح النجاح التام حتى الآن فقد اسفرت عن جمع طائفة كبيرة من المعلومات النفيسة المتعلقة بطبوغرافية تلك الجبال وطبيعة حيواناتها ونباتاتها وغير ذلك من الامور ذات الشأن

وليست جبال الهملايا سوى حلقة واحدة فى سلسلة جبال آسيا . فهنالك جبال كثيرة ما تزال سراً مستغلقاً على علماء الجغرافيا حتى الآن كالجبال الموسومة على الخرائط الجغرافية بحرف (ك ٢) وهى واقعة على مدى بضع مئات من الاميال الى الشمال الغربى من سلسلة الهملايا . وقد تسنى لكاتب هذه السطور أن يصل إلى تلك الانحاء الا أنه لم يستطع أن يكتشف سوى ما مساحته نحو الف ميل مربع . ثم ذهب بعده الدوق دابروزى والدوق دى سبوليتو وقد أسفرت بعثة كل منهما عن جمع طائفة كبيرة من المعلومات الثمينة. ونحن الآن فى حاجة ماسة الى من يكتشف لنا سلاسل جبال «كارا كورام» و«هندكوش» و«كون لونس» و«تيان شان» وغيرها من الجبال الممتدة من تيبت الى الصين والواقعة فى انحاء أخرى من قارة آسيا . وكلها جبال تحيط بها مجاهل لا يعرف عنها العالم شيئا

وخلاصة القول أن جهود المكتشفين ستصرف فى خلال السنوات العشر المقبلة الى استجلاء أسرار آسيا وجبالها ومجاهلها ومجاهل قارة القطب الجنوبى . واكتشاف كهذا يقتضى عزماً واقداماً لا حد لهما فضلا عما يقتضيه من الاموال الوفيرة . على أن عهد الاكتشاف الفردى قد انقضى . فلن يقوم بالاستكشاف فى المستقبل سوى البعثات والجماعات المجهزة بأحدث الوسائل العلمية

فى الصحافة

يقول المستر بلومنفلد فى كتابه «الصحافة فى هذا العصر» إن صفات الصحفى اليوم أضعف مما كانت منذ عشرين سنة أو أكثر . ويرجع هذا الى عدة أسباب ، أهمها الميل الى ما يسمونه «بالتخصص» ، فالصحفى يعتقد اليوم أنه لايطلب منه أن يكون ملما إلا بشأن واحد من شؤون الاجتماع كالألعاب الرياضية مثلا أو كسوق الاوتوموبيلات أو ما إلى ذلك . وقد كان الصحفى منذ ثلاثين أو أربعين سنة إذا طلب اليه أن ينشىء مقالة فى اى موضوع ، كتبها باتقان لا مزيد عليه . أما

الآن فان الذي يحرر صفحة السينما مثلا قلما يحسن الكتابة فى غير هذا الموضوع . ونتيجة هذا الضعف فى صفة الصحفى أن الشبان المتعلمين الاذكياء لا يجدون فى الصحافة ما يستهويهم . وفى الواقع أن الصحافة فى هذا العصر هى أحط من الصحافة فى مستهل هذا القرن من الوجه العقلى . فاذا تصفحت أى صحيفة انجليزية تصدر اليوم فى انجلترا تجدها دون المستوى العقلى الذى كانت عليه منذ عشرين أو ثلاثين سنة . وفى الواقع أن الفرق يظهر على أجلاه اذا قابلنا صحف سنة ١٩٣٤ بصحف سنة ١٩١٤ وما قبلها . وليس ذلك راجعاً الى تغير أصحاب الصحف بل الى تغير نفسية الجمهور وذوقه . وقد كان قراء الصحف بالامس أرقى عقلياً من قراء الصحف فى هذا العهد ، ولهذا تجد القراء اليوم يميلون الى تصفح ما يطالعونه بسرعة كبيرة ويفضلون قراءة الخلاصات الموجزة ليتمكنوا من الالمام بمعظم ما يقع من الحوادث

ويعتقد المستر بلومنفلد أن مستقبل الصحافة زاهر وان صحف الغد ستكون أرقى من صحف اليوم عقلياً وعلمياً واجتماعيا ، وسيقل اهتمامها بالاخبار التافهة التى تشغل حيزاً كبيراً من صفحاتها . ولعل فى مقدمة الاصلاحات التى ستطرأ عليها زوال العنوانات الضخمة التى تنشر بأحرف كبيرة لاجتذاب نظر الجمهور وهى تشغل حيزاً كبيراً يذهب ضياعا . وفى الواقع أن الغرض الاكبر من استعمال تلك العنوانات الضخمة هو أن يكفى المحرر مؤونة ملء فراغ كبير وأن تجتذب أنظار القراء كما يفعل الذين يحشون مقالة جدية بسلسلة من علامات الترقيم ! وإذا كان الجمهور راقيا فى ادراكه ونفسيته فانه يفضل الاطلاع على الآراء الجدية أكثر من الاطلاع على الصور

على أن أعظم تغير سيطرأ على صحف المستقبل هو أنها ستقلل من حزبيتها وتصبح أكثر شبهاً بالمنبر العام تذاع من فوقه آراء الجميع على حد سوى . وليس معنى ذلك أن الصحف الحزبية ستزول بل أنها ستنظر الى الذين ليسوا من حزبها نظرة جد واحترام لان آراءهم جديرة بالاعتبار

ولا بد من تنقيح قوانين الصحافة والتشدد فى معاقبة من يشهر بغيره ويختلق عليه أموراً بقصد تحقيره . أما خوف بعض أصحاب الصحف من انتشار اللاسلكى من كونه سيؤثر فى الصحف فليس فى محله . وستنمو المجلات الاسبوعية وتكبر ويتسع نطاق قرائها . ولن يدهشنا ان نرى مجلة « كالسبكتاتور » مثلا تصبح فى خلال السنوات العشر التالية أكبر مما هى الآن وأن يهبط ثمنها الى بنسين (أقل من ثمانية مليمات) وأن يزداد عدد ما يباع منها الى مائة الف كل أسبوع . وإن مجلة اسبوعية لا يقل عدد صفحاتها عن الاربعين ولا يزيد ثمنها على بنسين ويحررها طائفة من مشهورى الكتاب لابد ان تحرز نجاحا عظيما فى عالم الصحافة . وأعتقد أن صحافة سنة ١٩٣٤ ستكون احسن من صحافة سنة ١٩٣٣

غرائب المطالعات

بقلم الامير مصطفى الشهابي

[طالع القراء في الاعداد الماضية بعض مقالات نفيسة بقلم العالم الجليل الامير مصطفى الشهابي . وقد تفضل في هذا الشهر فأتحفنا بهذا المقال الطريف ، الذي يتحدث فيه عن طائفة من غرائب العادات في بعض الامم مما شاهده أو طالعه . وهذه العادات جديرة بالمطالعة والدرس لما فيها من غرابة ، ولان كثيراً منها يرجع لاسباب اجتماعية وتاريخية واقتصادية]

إذا استحكمت العادات فى قوم من الأقوام وتوطدت دعائمها وتأصلت عروقها وورثها الأبناء عن الآباء ، ظن الناس أن هذه العادات أصبحت حقيقة من حقائق الكون الثابتة وأنها لا تتبدل ولا تتحور ، وأنه لا يجول في خلد أحد تبديلها أو تحويرها ، وأنه أيسر من ذلك أن تقف الشمس عن الدوران وان تزلزل الارض زلزالها . ولو مدَّ هؤلاء الناس أبصارهم إلى بعيد لرأوا أن ظنهم هذا لا ظل له من الحقيقة ، وأن هنالك أقواماً لهم من العادات ما يستنكره غيرهم أشد الاستنكار ، بل هنالك من المتناقضات فى العقائد والعادات ما يدعو إلى الهزؤ والسخرية. وهذا ما سأقصه عليك في بعض ماشاهدته أو طالعته من الغرائب ، وإن كان فيها ماتشمئز منه النفوس

ولنبدأ بالنظافة فهي في ديننا من الايمان ، لكنها لا وزن لها عند بعض الأقوام . ونحن إذا رأينا قملة في رأس أحدهم عمدنا إلى الكبريت والزئبق فكافحناها بهما مكافحة الأبطال ، والنفس أشد ما تكون تقززاً واشمئزازاً ، ولكن القمل ياصاح ليس عدواً لكل الناس ، فبعض سكان أستراليا الأصليين لهم رءوس محشوة قملاً ، والقمل من المآكل الشهية لديهم . فإذا التقى صديقان قدَّم كل منهما رأسه إلى الثانى فجعل يصطاد القمل فيه وراح يلتهم صيده بشراهة . . .

ولا يذهبن بك الظن إلى أن هذه الحشرة التى تعافها نفوسنا هى فريدة في هذا الباب ، ففى داخل أندونوسيا قبائل إذا عضها الجوع أكلت الدود الكبار والجراذين والخفافيش والجعلان وأضرابها من الحشرات . وكل هذا لا يستغرب ، فقد أكل الفرنسيون في حرب السبعين (سنة ١٨٧٠) أمثال هذه المآكل كما أكلوا الفيران حتى بيع الجرذ بفرنكين نقداً ذهباً ، والجوع قتال كما تعلم ، ولله در الكاتب الفرنسى (مربو) في روايته « جنة التعذيب »

فقد وصف كيف كانت حكومة الصين السابقة تعذب المجرمين بطرائق تقشعر منها الأبدان . منها وضع هؤلاء التعساء في أقفاص وتجويعهم حتى إذا نفد صبرهم وثب بعضهم على بعض فقتل القوى الضعيف وأكل لحمه نيئاً

وأكل لحم الانسان عادة ما برحت متبعة كما لا يخفى في كثير من القبائل الهمجية . ويقول الرواد إن بعض القبائل في سومطرة كانوا من أكلة لحوم البشر ، وإن الجديرين لديهم بأن يذبحوا فيؤكلوا هم أسرى الحرب والمعتدون على السابلة ولصوص الليل والزناة وغيرهم ، وإن عنـدهم شرائع وعادات في طرائق الذبح وفي تجزئة الذبيح واقتسام لحمه ، منها أنه يحق لزوج الزانية أن يختار أجود قطعة من لحم الزاني الذى فجر بامرأته . ولا تنس أن هؤلاء الناس كانوا يأكلون أقاربهم إذا أسنّوا وقعدوا عن العمل . وقد ذكرتني هذه الحال بجملة لأحد الكتاب الفرنسيين المشهورين ، خلاصتها أنه إذا ضاقت الأرض بسكانها واشتد التزاحم بين الناس فسنضطر الى الاستفادة من لحم الذين يتوفاهم الله من أقاربنا كأن نبيعهم بعد الوفاة من أرباب المطاعم حتى إذا جاء وقت الغداء دخل أحدنا المطعم وصاح : « يا غلام إليّ بصحن من نخذ ابن عمي » أو : «هات قطعة من عجيزة فلانة المغنية » . وبعد ، ما أدراك ؟ فلعل هذا اللحم يكون ألذ من لحم الضأن والمعز ولا سيما إذا كان صاحبه من السمان المباسير في هذه الحياة . . . ثم لقد أوصتك الأديان بالجار والقريب خيراً ، أفلست إذن أحق بأكل لحمهما من دود الأرض وجراثيمها ؟ . . وما عدم المنطق المقلوب كمياً من الكماة يحمى بيضته ويمنع حوزته

ولنعد بعد هذا الاستطراد إلى النظافة وهي موضوع حديثنا اليوم . فنحن نغتسل بالماء ، وعندنا خُرّد فواتن يغتسلن بالماء المعطر ، ولكن أتظن أن كل الناس على هـذا ؟ فالاسكيمو القاطنون على مقربة من القطب الشمالى تبدو لهم وجوه سمر لما يعلوها من الوسخ لأن الرجل لايغتسل إلا نادراً . وإذا اغتسلت المرأة استعملت البول لهذا الغرض في بعض الانحاء ولهذا تفوح منها رائحة كريهة مضافة إلى رائحة لباسها الملطخ بالدهن وبالسمك . . . وافرض ، حماك الله ، أنك علقت بحب واحدة من تلك السيدات فما أنت صانع بها ؟ إنك لاتتصور الحب إلا في قصر كالخورنق أو السـدير مع غانيـات كالحور العين مضمخات بالملاب والعنبر والند ، ورافلات بالدمقس وبالحرير ، فتنتشق من أجسامهن روائح الجنة وتمتع عينك وأذنك بما لا عين رأت ولا أذن سمعت من قدود هيفاء أو لفّاء وأصوات دونها أصوات الملائكة في جنـة الخلد التي اليها تبعثون !

ولكن يا أخي دنياك هذه ليست كلها كما تتصور أو ترى في روايات السينما الغنية بغاداتها وقصورها وملابسها وزخارفها. فلقد كنت البارحة أهبط جبل قاسيون الى مدينة دمشق فاسترعى نظري رجل وامرأة مستلقيين على قمة (مزبلة) أحد الحمامات يلقيان الزبل في أتونه وهما يتداعبان ويتمازحان ويتغازلان ويتحابان. وكأني بهما أسعد حالاً من صاحب « الحمراء » أو ممن قال: « حسد القصر فيكم الزهراء » . وقد أعاد منظرهما على بالي بعض نكات اميل زولا المصور الماهر لسفلة الناس وعامتهم . فهو إذا ذكر تعاشق الفلاحين رسمه لك على المزبلة أو القش أو بين البرسيم والفصفصة أو بجانب قطيع من الغنم. والعشاق بعد طربون لموسيقى شجية من خوار البقر وقُباع الخنازير ونبيب التيوس . واذا تحدث معك عن تحابب المعدّنين صور لك رجلاً وامرأة في قعر بئر يضربان الارض بالمعول لاستخراج الفحم الحجري من جوفها في حرارة تذيب الادمغة ورطوبة تزهق النفوس ومياه تغوص الارجل فيها. ومع هذا يجد العامل والعاملة في هذا المكان المخيف مجالاً للمغازلة والمداعبة والمهارشة واطفاء لاعج الغرام ، وأرجلها قد غيبت الى الركبة في الحمأ المسنون. ولله في خلقه شؤون

وهذه أسنانك فأنت في كل صباح تنحي عليها بالغسيل (الفرشة) والمعجون أخذاً ورداً وعكساً وطرداً حتى ينصع بياضها ويشرق ميناؤها . ولطالما تمثلت في مخيلتك كاعباً حسناء في غلالة النوم واقفة أمام المرآة تزين وجهها وتبرّق أسنانها المنضدة ، ولم يمر في خلدك وأنت غارق في تصوراتك هذه أن من أبناء آدم في سيام وجزائر ملايا وغيرها إناساً يرون جمال السن في تسويدها فتراهم يصبغون أسنانهم بالسواد أو يمضغون لهذا الغرض جوز مائل باستمرار حتى إذا اسودت تلك الاسنان يكون أجملها لديهم أشدها سواداً . . .

ونحن نستقذر الكلاب ولا نربيها في البيوت إلا للصيد أو للتحرش بالطرّاء . على حين أن الاوربيين يربونها مع الاولاد والنساء كالقطط والدواجن . وقد فتحوا لها أخيراً في باريز مطعماً يطعمونها فيه لذيذ المآكل ويسقونها سائغ الشراب . وفي التبت شمالي الهند سكان يقدسون الكلاب ويقدمون موتاهم زاداً لها . وأغرب من هذا قبيلة من قبائل أوقيانوسيا يعتقد أفرادها أنهم تحدروا من نسل كلب اسمه « بَنْ » وأميرة من الأميرات . ولذلك قدّسوا الكلب وحرموا قتله . فهل لمجالسنا البلدية أن ترفق بهذا الحيوان الاليف فلا تدس له السم كما تكاثر ممثلوه في الشوارع والأزقة وملأوا الهواء نباحاً وهريراً ؟ وهل من أديب ينبئها أن إحدى قبائل العرب الاقدمين كانت تسمى كلاباً وأنها كانت من أشد القبائل شكيمة ومن أقراها

للضيف وأمنعها للمستجير حتى قال الشاعر معرضاً بمجدها وسؤددها :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

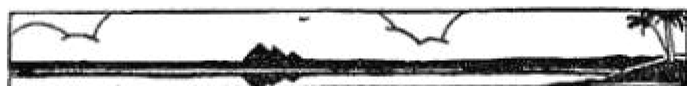
ولا حد لغرائب النـاس على الارض في معتقداتهم وفي أخلاقهم وعاداتهم . فنحن نسمي الأولاد بأسماء رفيعة تدل على الايد والقوة ومحاسن الصفات ، وفي « لاوس » يسمونهم بأسماء وضيعة خيفة أن يستولى الجن عليهم . فهذا طفل اسمه سلح الاوز، وذاك خثي البقر، وذلك روث الخنزير . ومتى كبر الاطفال قل تأثير الجن فيهم وتعرضهم لهم فجاز إذن تبديل أسمائهم بما هو أقل فظاعة مما ذكر، كمثل الارنب والجرذ والضفدع ... ولم تتصل بي أسماء الذين يبلغون الشباب هل تظل على حالها أو يقوم مقامها ما هو أصلح منها لانه يفرض في الشباب نزوع عن الخضوع لسلطان الجن وميل إلى مقارعة هؤلاء الطغام الاوغاد

ويذكرون أن القضاء في تلك البلاد كان بسيطاً سريعاً ، فالقاضي كان يحكم على المذنب في جلسة واحدة ، و إذا حكم عليه بالقتل قتله بيده . وقد تصورت لو كان عبد العزيز فهمي باشا قاضي قضاة مصر أومصطفى بك برمدا قاضي قضاة الشام يقومان بعملها في تلك البـلاد لرأينا عن يمينهما كتب القانون وفي شمالهما سيف ونطع ، حتى إذا حكما على مجرم بالقتل وثبا عليه فجندلاه على الارض « بطعنة رمح أو بضربة فيصل » ...

***

و بعد ليس الانسان متفرداً بهذه التعاجيب . في دوحتي الحيوان والنبات ما هو أغرب منها . وهذه استراليا فان فيها حيوانات لبونة لها مناقير كمناقير الطيور وفيها نحل لا حمات لها ، ولقالق سود ، وأشجار ترسل صفائح أوراقها صعداً إلى السماء ، واخرى تتعرى في الشتاء من قشورها لا من أوراقها ، وهنالك ثمار من الكراز لحمها ضمن النواة لا نواتها ضمن اللحم ... فأي حكمة في هذا ، واين الحقيقة المجردة في مختلف الآراء والمعتقدات ؟

دمشق مصطفى الشهابي



احمد جمال باشا

وزير البحرية العثمانية وقائد الجيش الرابع

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

عرض الزعيم السورى الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر في « الهلال » الماضي لسيرة جمال باشا في سورية وتظاهره في أول الامر بتأييد النهضة العربية . وعرض كذلك حملته على مصر إبان الحرب الكبرى والاشاعات التى انتشرت في البلاد عقب انتفاؤه . وقد سبق أن تحدث في « هلال » مايو عن حياته قبل قدومه سورية . وننشر هنا بقية سيرته وشهادة المارشال هندنبرج العرب

أما حال جمال باشا قبل الانتصارات الالمانية التركية التى طار لها لبه والتى عينت خطته الجنائية فى سورية نهائياً ، فهى حال المتربص تارة وحال المنقض على دولته الخائن لخليفته وسلطانه تارة أخرى ، كما تدل على ذلك الوثائق الآتية التى ذاع على السن الناس فى دمشق خبرها ، والتى كان الشهيد عبد الكريم قاسم الخليل عارفاً بتفرعاتها غالباً ، مما جعل وحدة الحال بينه وبين جمال باشا من الظواهر السياسية المستغربة ، وانتهت اخيراً بارساله الى سدة المشنقة لطمس معالمها واخفاء كل أثر من آثارها . لكن جمال باشا لم يحسب حسابا للدهر فظن ان خيانته سيسدل عليها ستار من النسيان بقتل من فاتحهم بشأنها ، ولم يدر فى خلده ان البولشفيك فى الروسيا سيدكون فى أحد الايام عرش (آل رومانوف) ويقتلون القيصر والقيصرة وأولادهما شر قتلة وينشرون على الملأ فضائح المعاهدات السرية الجنائية التى امضاها الحلفاء مما وجدوه فى سجلات وزارة الخارجية الروسية القيصرية ، وكان مما عثروا عليه ايضاً بين هذه المعاهدات وثائق من اغرب الوثائق تتعلق بتآمر احمد جمال باشا على الدولة العثمانية والتجائه الى ألد خصومها فى تحقيق مطامعه الشخصية من انشاء دولة بتأييدهم وحمايتهم يكون على رأسها ويتولاها من بعده ابناؤه واحفاده ، وان تكون حدودها حدود منطقة الجيش العثمانى الرابع الذى تولى قيادته من جبال (طورس) شمالا حتى رفح جنوبا وأن تتسع شرقاً وجنوباً وشمالا فتشمل العراق والحجاز واليمن وبعض الولايات الاناضولية

يبلغ عدد هذه الوثائق التى نشرها البولشفيك ثلاث عشرة وثيقة تاريخ الاولى منها ٢٦ اكتوبر سنة ١٩١٥ رقم ٦٣٩ وهى بامضاء المسيو سازانوف وزير الخارجية الروسية الى سفارتى باريس وروما ، وفيها الشروط التى يشترطها احمد جمال باشا على الحلفاء ليثور على السلطان وحكومته ، ثم رسالة بامضاء السفير الروسى فى بخارست المسيو بوكولونسكى وتاريخها ١١ دسمبر

سنة ١٩١٥ الى وزارة الخارجية فى بطرسبرج ، وفيها تأييد خبر الخلاف الذى نشب بين جمال باشا ورجال الحكومة المركزية ، وامكان استمالة جمال باشا الى الحلفاء ، وحمله على الثورة على حكومة استمبول . ورسالة من روما تاريخها ٢٨ دسمبر سنة ١٥ من السفير الروسى المسيو كريس الى وزارة الخارجية فى بطرسبرج ، وفيها موافقة السنيور سونينو على اثارة جمال باشا ، ورسالة تاريخها ٢٧ دسمبر سنة ١٩١٥ من السفير الروسى المسيو ايزوفولسكى الى وزارة الخارجية فى بطرسبرج وفيها أن المسيو بريان اظهر اهتماماً كبيراً بهذا الاتفاق ولكنه قال ان هذه الشروط لا تتفق ومطامع الانكليز المعروفة ، ولكن بعد الانقلاب الوزارى فى فرنسا عاد المسيو ايزوفولسكى فقال بتاريخ ٢٩ دسمبر رقم ٨٥٤ انه اجتمع بالمسيو بريان وباحثه فى الامر فوجد منه معارضة جدية لان الخطة الموضوعة للاتفاق وان كانت حسنة فى الظاهر إلا أن الفرنسيين يرونها محققة لرغبة روسيا وحدها بالاستيلاء على المضايق واستمبول ، فى حين انها تحرمهم من البلاد التى وعدوا بها كفلسطين وسوريا وقسم من كليكية ، وهى بلاد لا يمكنهم التخلى عنها ابداً ، وعدا ذلك فالحكومة البريطانية تفكر فى ايجاد حكومة عربية مستقلة ، ثم اعقب السفير هذه البرقية بملحق خصوصى رقم (٨٥٥) ذكر فيه الحدة التى اظهرها المسيو بريان وكيف ان الوزراء الفرنسيين عارضوا هذا الاتفاق بشدة جهراً ، لانهم لا يرون فى الاقتراحات المقدمة لمفاوضة جمال باشا إلا تحقيقاً لامانى الروس فى الاستيلاء على استمبول والمضايق دون أقل ضمان للسيادة الفرنسية المقررة على الشرق . وقال السفير فى ختامه : « فالذى اعتقده تحقيقاً لهذه الفكرة ان يبدل هذا الاتفاق بصورة تحفظ للفرنسيين حقوقهم المقررة على سورية وفلسطين وكليكية ، وفى هذه الحالة يمكن استئناف المفاوضات مع جمال باشا » . وفى اليوم التاسع عشر من يناير سنة ١٩١٦ حث وزير الخارجية الروسية المسيو سازانوف سفير روسيا فى باريس على الاسراع فى ارسال الوسطاء الى مصر لان هؤلاء الوسطاء قالوا ان البطء فى بدء المفاوضات يحول دون تحقيق الفوز المنتظر .

ولكن رفض هذه المفاوضات وصرف النظر عنها بتاتاً أتى من جانب الانكليز ، فقد ارسل السفير الروسى فى لندن المسيو بنكدورف الى حكومته فى ٢٧ يناير سنة ١٩١٦ يقول : « اجابنى نيكولسون ان الحكومة البريطانية بعد فحصها القضية من جديد وتقليبها اياها على جميع وجوهها ترى من الضرورى عدم اشتراكها فى هذه المفاوضات والتنازل عنها نهائياً لأن المفاوضات التى تدور مع العرب تدور فى جو صاف وبصورة ملائمة للعرب والانكليز معا ، وهى لا تؤيد المفاوضات مع جمال باشا بوجه من الوجوه » . وذكر المسيو ايزوفولسكى فى الختام فى يوم ١٣ مارس سنة ١٩١٦ ان المسيو بريان قابل (ظفرياف) أحد الوسطاء مقابلة حسنة « إلا انه لم يعده وعداً ثابتاً بل حاول التخلص من أى وعد قطعى » .

وقصارى القول أن الدولتين المعظمتين انجلترا وفرانسة قاومتا سراً مشروع المفاوضة مع

جمال باشا أشد مقاومة ووضعنا العراقيل فى سبيله ، وحسب السفاح عاراً انه ان لم يثر فى وجه الخليفة محمدرشاد ، فليس ذلك عن وطنية عثمانية وحمية اسلامية وصدق واخلاص، بل لأن نفس الذين اراد أن يخدمهم ويخون بلاده وحكومته بالانضمام اليهم ردوه رداً قبيحاً مستهجناً

ومن أغرب الظواهر الاجتماعية ان رجلا مثل احمد جمال باشا اقترف اعظم جناية فى تاريخ الاسلام الحديث بالمشانق التى نصبها فى سورية ، والتى لولاها ما استطاع ثائر من العرب ان يثور على الترك ويرفع السلاح فى وجوههم بصورة مؤثرة ، وهو مع ذلك لم يتورع ان يلجأ سراً إلى انكلترا وفرانسة لتساعداه على دك حصون الخلافة وتمزيق اوصالها ، إن رجلا كهذا الرجل ما يزال معدوداً فى بعض الأوساط الاسلامية بطلا من ابطال الاسلام ، فى حين أن رجلا مثل الحسين بن على وقد قام فى وجه اقبح الظالمين للدفاع عن نفسه وعن قومه وبذل تاجه فى سبيل فلسطين رداً للوطن القومى الصهيونى حتى انتهت حياته بالنفى والتشريد ، ما يزال متهما فى صدقه ووطنيته وعقيدته ! ومثل هذا الخطل فى الرأى والزلل فى فهم الحوادث مقياس لسهولة التضليل فى العالم الاسلامى ، وغنى عن البيان أن امماً تنقاد للاضاليل بمثل هذه السهولة لا تتمتع بالرأى العام السليم الذى لا بد منه للنهضة السياسية الصحيحة

ويخيل الى أن الدعاية التى بثها احمد جمال وزملاؤه الاتحاديون ، من أن الثورة العربية هى سبب انهزام دولة الخلافة وتغلب الحلفاء على المانيا ، أثرت فى بعض الاوساط الشرقية اثرها ، لبعد هذه الاوساط عن ارتشاف الملاحظات الصافية من منابعها الاصلية ، ولسرعة تأثر اهليها بكل ما عليه مسحة دينية ، مع أن تاريخ الحرب العامة دلنا من غير شك على ان معركة المارن الاولى التى حدثت فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٤ والتى انسحبت الجيوش الالمانية فى نهايتها كانت ذات معنى حاسم . قال الجنرال لودندورف فى مذكراته : « لقد دهشت للتفاؤل الذى كان منتشراً فى برلين فى اواخر اكتوبر سنة ١٩١٤ كأن الناس لم يقدروا الخطر المروع الذى كان محدقا بنا فى تلك الايام ! » (١)

وقال انور باشا للمارشال هندنبرج : « مهما حصل فى آسيا فان الفصل النهائى فى هذه الحرب سيكون فى اوربا ، لذلك اضع جميع الفرق العسكرية التى استطيع الحصول عليها تحت تصرفك » (٢)

ومن سوء حظ السفاحين من الاتحاديين الطورانيين ان أخص حلفائهم يحملونهم تبعة التفرقة التى حصلت بين الترك والعرب . وحسبنا ان نذكر هنا شهادة الجنرال لودندورف وهو رئيس اركان حرب الجيش الالمانى ، فقد جاء فى ذكرياته عن الحرب قوله : « ان الحكومة التركية استمرت على موقفها العدائى نحو الاقوام العثمانية الاخرى ، ومع كل ما بذلته بنفسى من

---

(١) My War Memories, Vol. I P. 70 (٢) Out of My Life, P. 181

الالتماس والاستعطاف فالترك لم يبذلوا سعياً واحداً جدياً لصرم حبال السياسة القديمة التي سلكوها مع العرب » (١)

بل ان رئيس اركان حرب جمال باشا وهو الميرالاى على فؤاد باشا لم يحجم ان يقول فى مذكراته عن هذا السفاح : « انه بالمظالم والمغارم التى ارتكبها اعطى الحسين بن على عذراً مقبولا يعتذر به امام المسلمين عن انتقاضه »

وتلخص سياسة السفاح فى البلدان العربية ، بعدما بهر بصره لمعان سيف النصر الجرمانى التركى فى اوربا وآسيا ، فى اطفاء الذهنية العربية المشتعلة وسحق من هم مظنتها ، وقد سلك فى ذلك طريقة شيطانية معروفة منذ بيلاطوس إلى اليوم ، وهى : أن يجمع المجرم والبرىء على صعيد واحد ، ويقيد الجاسوس والحر بصفاد واحد ، ويرفع اللص والشريف على مشنقة واحدة ، ليظهر للعالم الشرقى الساذج بهذه الطريقة الحقيرة احرار العرب بمظهر الخونة المأجورين لدول الاستعمار. وهذا غاية ماحاوله فى كتابه « الايضاحات السياسية » ، وأذكر جيداً اننى لما قرأت فى هذه «الايضاحات» الاسباب التى حملته على شنق عبد الوهاب بك المليحى مثلا ــ وهو من كبار الأحرار الذين انجبتهم البلدان العربية ــ وجدتها فى اتهامه بانه «لايحب الدولة العثمانية» ! فلو تنزل العدل فصار يحاكم الناس على الحب والبغض ويرسلهم الى المشانق لمجرد الهواجس فى نفوسهم فما أحلى العودة الى القرون الوسطى والمعيشة تحت ظل « ديوان التفتيش » ! وفى عقيدتى ان حرق (برونو) فى آخر القرن السادس عشر كان ابعد عن الظلم من شنق عبد الوهاب بك فى سنة ١٩١٦ ، لأن ذاك وضع لغماً من علم وفلسفة دك به عرش الاكليروس ، وأما هذا فتهمته كلها انه كان يبغض الدولة العثمانية او الاصح حكومة الاتحاديين ! . ومن أغرب ما اقصه على القراء من الحوادث التى تتعلق بى نفسى ــ وهو ما يدل على جراءة السفاح على الناس بالكذب والبهتان ــ اننى فى سنة ١٩١٥ جمعت نخبة منتخبة من ابناء بلادى ما يزال عدد منهم كبير على قيد الحياة ، فى منزل المرحوم شكرى باشا الايوبى ، وذلك للبحث فى تنظيم قوى البلاد لمقاومة الافرنج المستعمرين ومنعهم من دخول سوريا وتأييد الجيوش العثمانية فى الدفاع عن حوزة الوطن ، لكن جمال باشا لم يمتنع ان يقول عنى (فى الايضاحات) اننى كنت على اتصال برؤساء العشائر لتحريضهم على الانتقاض على الدولة

ولما ذكرت فى آخر مقالى فى « هلال » مايو الماضى عن السفاح أنه كان يسترشد بجنكيز وهولاكو وتيمورلنك ومن حذا حذوهم، لم أكن مبالغاً ولا ألقيت الكلام على عواهنه . وذلك للنص الآتى الذى سمعه ألوف الناس من فمه فى الجامع الأموى فى مساء السابع والعشرين من رمضان فى تلك السنة ، فقد حدث أن الامبراطور غليوم أهدى السلطان صلاح الدين الأيوبى

(١) My War Memories, Vol. I P. 256.

ثريا من الذهب أرسلها مع معتمده البارون اوبنهايم ، فكان من نصيبي أن أخطب فى الحفلة التى أقيمت لهذا الغرض مع من خطبوا على دكة أقيمت فى صحن الجامع ، فاغتنمت تلك الفرصة لأذكره بالموقوفين فى الديوان العرفى فى عاليه من أحرار البلاد ، ومما قلته : «إذا اراد احمد جمال باشا ان يحتفل الناس بذكراه على اختلاف نحلهم واجناسهم بعد مرور القرون العديدة - كما يحتفلون فى هذا المساء بذكرى صلاح الدين - فما عليه إلا أن يحذو حذوه فى اجراء العـــدل والبعد عن التنكيل ، وضربت على ذلك بعض الأمثلة من سيرة السلطان الكبير ، فما كان من السفاح الا أنه تخطى دور من تقرر ان يخطبوا قبله مثل الوالى خلوصى بك والبارون اوبنهايم ليقول لى : «ليس السلطان صلاح الدين الخليفة الوحيد فى الاسلام ، بل هنالك من يضارعونه فى العظمة والمجد مثل الخليفة السلطان سليم ، فقد قتل هذا فى سبيل المملكة اخوته وابناءه وزوجته وغيرهم ممن لا تحضرنى اسماؤهم » . فقلت للواقفين بجانبى عن الأحرار الموقوفين : « العوض بسلامتكم » ، وقلت فى نفسى مستهزئاً : « نعم المثل الاعلى للاحتذاء ! »

ومن بعد ظهور الثورة العربية فى أواسط سنة ١٩١٦ ، واخفاق الطاغية فى سحقها كما اوهم الاستانة ، ومن بعد الانهزام المتواصل الذى لاقته جنوده على الجبهة الجنوبية ، ومن بعد انتشار اخبار السوء عنه فى كل مكان وتحفز البلدان العربية فى كل جهة للانتقام للدماء الشهيدة التى أهرقت ظلماً وعدواناً ، كفت الحكومة المركزية يده عن العمل فى نوفمبر سنة ١٩١٧ ، وبعد حين غادر سورية مهموماً مكتئباً بعض الارم ويلقى احلامه الذهبية من نافذة القطار الى اعماق نهر (بردى) على جانب الطريق .

وعقيب الهدنة فى اكتوبر سنة ١٩١٨ غادر الاستانة على نسافة ألمانية فنزل بأودسا ثم قصد ألمانيا . فلما احتجت الحكومة العثمانية على ألمانيا لايوائها الاتحاديين قصد الى سويسرة وأقام فى احدى قراها باسم المهندس خالد بك ، وفيها دون مذكراته ، ثم سافر الى روسيا فأفغانستان ، وهنا دعته الحكومة لتنظيم جيشها . وروى لى صديقى أديب خان خال الملكة « ثريا » أنه بينما كان يقطع ظهور الجبال على الحدود الروسية هو واحمد جمال باشا على ظهور الخيل زفر هذا زفرة خرجت من اعماق صدره وقال فى ختامها : « لم يفلت من يدى الا رجل واحد ! » ، فقال أديب خان : « ومن هو ؟ » فقال : « الدكتور شهبندر »

وبينما كان ذاهباً الى ألمانيا لشراء السلاح للجيش الافغانى وزيارة أسرته فى ميونيخ مر بتفليس فتصدت له عصابة من الارمن اغتالته فى وسط المدينة هو وكاتبه وحاجبه ، وذلك فى اليوم الحادى والعشرين من تموز - يوليو - سنة ١٩٢٢ ، وكان رجال الاطفائية بجانب المغتـــالين فطاردوهم وأطلقوا عليهم النار ولكنهم لم يفوزوا منهم بطائل

وحدث على عهد الحكومة الوطنية فى سورية أن أرسل الكولونيل ايستون ضابط الارتباط

البريطانى الى الوزارة يقول : ان المندوب السامى للحلفاء فى الآستانة يسأل عن الحقائق الثابتة التى تؤيد التهم الجنائية الموجهة الى جمال باشا ، لان طلب تسليمه سيكون شرطاً من شروط الصلح . ومن حسن حظ التاريخ والعدل والوطنية أن هذا الشرط صرف النظر عنه فلم ينفذ . والا كان احمد جمال باشا شهيداً من شهداء الحرب العالمية كما هو فى نظر بعض السخفاء بطل من الابطال

ولا يفوتنى فى الختام ان اشير إلى شهادة من اكبر قائد المانى بحق العرب ، سأوردها هنا على سبيل التعزية لمن بقى من اخواننا الترك الصادقين على ولائه للعرب ، ولم يجار فتيان الاتحاديين السفاحين فى خططهم المشئومة الهدامة ، وأعمالهم الجنائية الدالة على قصر النظر ، قال المارشال هندنبرج :

« لقد أبغض العرب الترك فى تلك الديار — العراق وسورية — كما أبغض الترك العرب . ومع ذلك فالتوابير العربية بقيت تحارب تحت الاعلام التركية ولم تنهزم جماعات الى صفوف العدو ، وان هو لم يقتصر على وعدها بجبال من الذهب فقط ، بل أسرف فى تفريق الذهب عليها الذى هو ضالتها المنشودة . ووراء الجيش الانكليزى الهندى الذى ظن أنه يحمل الحرية المنشودة للقبائل العربية التى أرهقتها مظالم الترك قامت هذه القبائل نفسها فانقضت على هؤلاء المدعوين منقذين ، ولا بد ان هنالك قوة من القوى كانت رابطة الاتحاد بين العنصرين ، وهى قوة والحق يقال ليست نتيجة ضغط خارجى ، بل نتيجة التحام داخلى او شعور بالمصلحة المشتركة . ولا يجوز أن تكون السلطة بأيدى المتربعين على دست الحكم فى تركيا هى وحدها التى زودت المملكة العثمانية بهذه القوة الارتكازية . فالعرب كان فى وسعهم الافلات بسهولة من نطاق هذه السلطة ، اذ كان عليهم أن يرفعوا سلاحهم فقط ويتمشوا من خنادقهم الى جهة العدو أو أن يشعلوا نيران الثورة وراء صفوف الجيش التركى ، ولكنهم مع ذلك لم يعملوا شيئاً من هذه الاعمال » (١)

عبد الرحمن شهبندر

جرأة . . .

قالوا حرامٌ تلاقينا فقلتُ لهمْ ما فى التلاقِي ولا في غيرِه حَرَجُ
منْ راقَبَ الناس لمْ يظفر بحاجتِه وفاز بالطيِّباتِ الفاتك اللَّهِجُ

بشار بن برد

---

(١) Out of my Life P, 303

بعث الفن المصري القديم

وهل يقضى عليه بموت مختار

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

لست أدرى إن كانت مصر تزداد كل يوم شعوراً بالهوة الفسيحة العميقة التى دهمت الفن فيها بموت «مختار» المثال النابغة . أما أنا فشعرت بهذه الهوة منذ اللحظة التى نعى فيها مختار . وأنا أزداد بها كل يوم شعوراً . وليس يدفع هذا الشعور إلى نفسى ما كان لمختار من طابع ظاهر فى تماثيله . فمهما يكن لمختار من طابع ذاتى قوى غاية القوة فان هـذا الطابع الذاتى لم يكن هو الذى سما بفن مختار إلى مكانه الرفيع فى الحياة . إنما يدفع هذا الشعور إلى نفسى مذهب مختار فى الفن . هذا المذهب الذى جعل غرضه وغايته بعث فن النحت المصرى الفرعونى فى عصرنا الحاضر بعثاً ترى معه الفن المصرى الحديث أقرب ما يكون إلى فن الفراعنة ، وتراه مع ذلك أقوى ما يكون تعبيراً عن المعانى التى ينشر العلم ، والفن فى عهدنا ، وادقه فى الأداء وأقربه إلى النفس

وهذا المذهب هو الذى جعل تماثيل مختار تخضع لوحى الفن الفرعونى بالرغم من أن هـذا الفن المصرى القديم قد كان يعتبر إلى أن بعثه مختار فناً أثرياً وكفى ، ومن أن مختاراً فى دراساته للفن الجميـل سواء بالقاهرة أو باريس ، لم يدرس الفن الفرعونى على أنه حلقة متصلة بالفن الحديث اتصال الفن الاغريقى والفن الرومانى القديم ، وإنما درسه على أنه مظهر للوثنية المصرية القديمة ولعقائد أهل تلك الاجيال فى الحياة والموت . لكن مختاراً لم يلبث أن اتصلت روحه بهذا الفن المصرى القديم حتى لامس الفن جانب روحه المضىء ، وحتى استنارت أنحاء نفسه بوحى أجداده الذين عمروا وادينا من ألوف السنين ، وحتى رأى ما سوى الفن الفرعونى زخرفاً لهذا الفن القوى البسيط العظيم ، وحتى آمن لذلك بأن بعث هذا الفن ليس بعثاً لجانب أثرى من الحياة ، وإنما هو بعث للفن الصحيح فى أقوى مظاهره عظمة وأعظمها جلالا ، وحتى توفر لذلك بكل روحه ونفسه لتحقيق هذا البعث توفراً صادف أعظم النجاح بما خلف مختار من آثار خالدة . وصادف نجاحاً لا يقل عظمة بما أسبغ من طابعه على الفن الغربى الحديث من بساطة وقوة وعظمة ، بساطة لا تعرف زخرف الفن اليونانى وزركشته وإن لم تنكرها ، وقوة لا تعرف العواطف المشبوبة بحكم الشهوة المادية وحدها ، وعظمة لا تعرف المصانعة والمداورة ، بل عظمة يفوح شذاها من القوة والبساطة مجتمعتين

وليس أحد يقف أمام تماثيل مختار صغيرها وكبيرها إلا يلمح فيها هذه المعانى جميعاً أيا كان رأيه فيها من الناحية الفنية ، ويلمحها صريحة واضحة دالة على إيمان مختار بها واستلهامه وحيها فى علم وذكاء وموهبة فنية منقطعة النظير . ولقد اتيح لى يوماً أن ألمح إيمان مختار نفسه بهذه المعانى فى مختار نفسه لا فى أى واحد من تماثيله . ذهبنا جماعة قبل سنة ١٩٢٥ نزور سقارة ومختار أحدنا . وقد اتخذنا القطار وسيلتنا إلى السفر يومئذ فكان لابد لنا أن نمر بالبدرشين ممتطين الحمر ذهاباً وأوبة . وعند البدرشين تمثالا رمسيس ملقى احدهما على الارض مهشمة ساقه ، ملقاة إلى جانبه على الارض تجاهه ، تحيط بالآخر جدران تحول دون عبث الاطفال والعابثين به لأنه أحسن من صاحبه الاول حالا وأقل تحطيماً فهو أجدر بالرعاية . وعند البدرشين كذلك تمثال ابى الهول الباسم الجاثم فوق صخر تحيط به مياه نشع راكدة . ولقد وقفنا عند هذه التماثيل الثلاثة فى ذهابنا وفى أوبتنا ، وإن أطلنا وقوفنا حين الأوبة لما تلقى الشمس على التماثيل من ضياء انحدارها الى المغيب ما يزيد فى حيويتها وفى وضوح المعانى التى اراد المثالون المصريون القدماء أن تنم أجزاؤها عنها وتتحدث بها. أى إيمان هذا الذى ارتسم على وجه مختار حين كان يحدق بهذه التماثيل ! وأية قداسة كانت تفيض بها الفاظه وهو يحدثنا عنها وعما تنطق به من دقيق الفن . هذا وهو قد رآها قبل ذلك مرات وعشرات المرات . ويمسح بيده على ساق رمسيس ويحدث عن مبلغ دقتها الفنية واتفاقها على ذلك مع دقائق علم التشريح . وكف القدم وعظامها الكثيرة الصغيرة ، وموج الجلد من فوقها ، واصابع القدم . ثم ينتقل مختار الى الصدر والرأس ويحدث عن هذا الفن الذى بلغ غاية ما يستطيع الفن أن يبلغ من جمال . فأما أبو الهول الباسم الجاثم على صخرته فوق المياه ، فكان فى رأى مختار تحفة فنية تتوارى أمام ابتسامته ابتسامة الجيوكندة على نحو ما صورها ليوناردو دافنسى ، وتعنو أمام جبهته وأمام نظراته كل النظرات وكل الجباه . وهو مع ذلك يمثل ما أراد المصريون بفن أبى الهول أن يمثله : قوة الحكمة ، الحكمة القوية التى كان مختار يؤمن بها ويخضع لها ويثور فى سبيلها ، الحكمة القوية التى تأبى الطيش ولا ترضى الذلة وتعتصم بالأناة وحسن الروية ، حتى إذا لم يكن بد من أن تظهر القوة الباطشة برائنها دفعاً للمذلة من غير طيش لم يكن مفر مما ليس منه بد. وإن كانت الحكمة كفيلة أكثر الأمر بأن تتغلب على الطيش وعلى القوة الباطشة جميعاً

على أن هذا الاعجاب بالفن المصرى الفرعونى لم يجعل ايمان مختار به ايمان مقلد ينقل ولا يجدد ويستلهم آثار هذا الفن ولا يستلهم الحياة . انما استلهم مختار من هذا الفن روحه والأساس الذى يقوم عليه . أما فيما وراء ذلك فقد كان يستلهم حياة مصر الخالدة المتجددة فى خلدها والتى جعلت توحى اليه بهذا الفن كما كانت توحى به للاقدمين

أنظر الى تماثيله تجدها مختلفة كل الاختلاف عن التماثيل المصرية القديمة، متصلة أشد الاتصال

بالحياة المصرية الحديثة ، وهى مع ذلك تصدر عن وحى أزلى خالد أوحى بها وبالتماثيل القديمة على السواء . هذا الوحى يستطيع كل موهوب أن يستمده كما كان الفراعنة يستمدونه . وقد كان مختار يستمده من البيئة الطبيعية المصرية ومن العلم فى أدق ما وصل اليه العلم

ليجلس من شاء عند سفح الاهرام وليحدق ببصره إلى ناحية النيل ير السماء المهيبة الجلال فى صفوها تظل نطاقاً من الخضرة الباسمة تنفسح وراء صحراء تذهب مع البصر إلى الأفق حيث تتصل بالنيل أو يكاد يفصلها عنه نطاق من الخضرة أشد من النطاق الأول ضيقاً ، وليجلس من شاء بعد أن يتخطى المزارع الى تلال صقارة وليرسل ببصره من فوق تلك التلال تنفسح الصحراء من ورائهـــا فى نطاق الخضرة ، والى الصحراء تنفسح مرة اخرى أمام النطاق الأخضر وأمام التلال ، وليحدق من شاء من فوق جسر النيل فى مصر العليا بمنظر ما أشد شبهه بهذا المنظر ، وما اشد جلال السماء وبساطة الصحراء وقوة الخصب فى ذلك النطاق عنده ، وفى جلال السماء بساطة وقوة وفى قوة الخصب روعة وجلال وفى بساطة الصحراء المنفسحة عظمة ورهبة ، ومن خلال هذه المناظر تقع العين على المصرية الريفية الممشوقة القد البارزة النهـــد الجذاب لونها القمحى أو الأسمر وهى تارة تسير وجرتها فوق رأسها وأخرى بتثنى قوامها اللدن عند حافة النهر لتملأ الجرة وفى مرة ثالثة تستند الى جرتها لتنال اغفاءة جزاء تعبها ومشقتها من فجر اليوم الى مقيله . أى وحى يستمد الموهوب من هذا فى عصرنا الا ما استمد مختار ؟ وهذه تماثيله أمامنا ترسم تلك الصور جميعاً وترسم الى جانبها صورة عروس النيل واللقية فى بيبان الملوك وما اليها من مثلها وكلها متأثر بهذا الوحى المصرى السامى . لكن هذه الحياة التى كانت تلهم الأقدمين عظمة التماثيل التى ترك الاقدمون والتى تصور الخير والشر وقوة الطبيعة جميعاً لم تكن قد فضت كل سرها بعد لمختار . ولعل هذا السر كان فى بداية الافتضاض مصوراً فيما تشاهده على القاعدة الجبسية لتمثال سعد زغلول من صور الحصاد والزراعة وأنواع السعى فى الحياة مما يصل بين الانسان والطبيعة بصلة أقوى مما صورلنا مختار فى تماثيله التى سبقت تلك القاعدة . وأحسب أن مختاراً قد كان مقدراً له لو لم يتخطفه الموت من بيننا أن يفتض سر الطبيعة المصرية حتى يصل من ذلك الى التصوير الرمزى للحياة الروحية كما يفهمها عصرنا ليسجلها فى تماثيلها التى لا تقل قوة عبارة ولا بساطة مظهر ولا عظمة إلهام عما خلف الفراعنة الاقدمون

بعث مختار اذن ذلك الفن المصرى الفرعونى القديم مصوراً فى صور من الهام حياة مصر الحاضرة ، وبلغ من ذلك مقاماً يحسد عليه . ولكنه لم يعش ليصل الى ما تنطوى عليه الطبيعة المصرية من سر ليجلوه فى صور من هذا الفن القديم الحديث لا تقف عند تخليد جانب من صور الطبيعة المصرية ، بل تخلد هذه الصور وأسرارها جميعاً . وهاهو مختار قد ودع الحياة فى ريعان الحياة وفى بداية الهام الرجولة إياه رسالة الطبيعة للفن ورجاله . أفيقضى بموت مختار على بعث الفن الفرعونى؟

ليس التشاؤم من طبعى . لكننى أخشى أن ننتظر طويلا قبل أن يعود النشاط إلى هذا البعث على نحو ما كان فى حياة مختار . ذلك بأن هذا الفنان الذى غادرنا مغموراً فضله حتى من عارفيه والمعجبين به فى حياته ، كان يبلغ إيمانه برسالته حداً لا يقف عند إبرازها فى هذه التماثيل البديعة التى حازت الاعجاب فى فرنسا مهد الفن أكثر مما حازته فى مصر مهد الفنان ، بل كان يتخطى إلى الدعوة إلى هذه الرسالة دعوة حارة قوية صادقة تذر فى نفس من يدعوهم اليها أعمق الأثر وأقواه . لم يكن واحد من الصحفيين فى الصحف اليومية ولا فى المجلات الاسبوعية أو الشهرية إلا ويعرف مختاراً . وكان أكثرهم يمت اليه بشىء من الصداقة قل أو كثر . وكان مختار قل أن يكلمهم فى السياسة أو فى الاقتصاد أو فى الاجتماع ، وكثر ما يكلمهم فى الفن بوجه عام ، فى النحت والتصوير والرسم فى مختلف صوره وفنونه . وكان يدعوهم إلى مشاهدة ما يقام من المعارض للفن ويلح فى الدعوة إلحاحاً رقيقاً قوياً فيه دعابة وفيه عنف وفيه شىء من التوسل والتهديد معاً . وما أحسب أصدقاءه من رجال الفن المصريين والأجانب المقيمين بمصر إلا يشعرون بالخسارة الفادحة التى نزلت بالفن بموت مختار . وفى هذه المعارض كان الناس يرون القطع البديعة من تماثيل مختار . وكان هو يضن أكثر الأحيان بالتحدث إلى زائرى معارض الفن عنها إلا أن يكون لأصدقائه وأخصائه . لكن أصدقاءه من رجال الفن كانوا يتولون الحديث عنه ، وكانوا يقولون ما يريدهم أن يقولوا ، فكانوا يبعثون إلى النفوس دعوته إلى الرسالة التى يؤمن بها ويدفعون إلى نفوسهم إيماناً كإيمانه بالفن المصرى الفرعونى القديم وضرورة بعثه فناً مصرياً حديثاً . وبذلك ، وبهذا التمثال الذى أقامه لنهضة مصر فى أظهر مكان من عاصمة مصر ، نشر مختار فى الجو الفنى هذا الروح المصرى ودعا الكتاب ودعا الصحف والمجلات لتشاطره رأيه ولتدعو وإياه إلى مذهبه . وبذلك خطا هذا المذهب فى سنوات قليلة خطوات واسعة تأثر بها الفن فى الغرب ، ولعله تأثر بها أكثر مما تأثر بها الفن فى مصر

هل بين رجال الفن عندنا من ورث مذهب مختار وورث نشاطه وورث إيمانه إيماناً يدفعه إلى الدعوة إلى رسالته ؟ قد يوجد هذا الرجل او هؤلاء الرجال . لكنى أقرر هنا بأنى لا أعرفهم . ومن أجل ذلك قدمت أنى أخشى أن يطول الزمن قبل أن يعود هذا البعث للفن المصرى القديم إلى مثل النشاط الذى دفع به اليه مختار . فالخليفة الذى يدفع برسالة ما إلى الامام لابد أن يكون له من الايمان بها ما كان لابى بكر من إيمان برسالة محمد ، إيمان لم يتردد معه فى خوض حروب الردة برغم ما كان يخشى أكابر المسلمين من خطرها . ورسالة مختار فى الفن رسالة قوية متينة الأساس تدعمها البيئة المصرية القوية الخالدة فلا خوف لذلك عليها أن تموت . ولئن طال الزمن قبل أن تعود الى مثل نشاطها أيام رسولها الاول فانها يوم تعود ، ولعل هذا اليوم لا يكون بعيداً ، ستعود بقوة ونشاط مضاعفين . وستعود لتقر فى حياة الغد وفى العالم كله مذهبها وقواعدها

محمد حسين هيكل

الكتاب والقراء

بقلم الدكتور طه حسين

... القراء كل شيء بالقياس الى الكتاب ، ويوشك ألا يكون الكتاب شيئاً بالقياس الى القراء ...

... متى يتاح للكتاب ان يثأروا من القراء وان يقدموا انفسهم عليهم ، وان يؤثروها من دونهم بالعناية ؟ ...

وتستطيع أن تعكس العنوان فانى لم أرد تقديماً ولا تأخيراً ، ومن اوليات النحو أن الواو لاتفيد ترتيباً ولا تعقيباً . فينبغى الا يغضب القراء اذن لأن المصادفة ارادت لعنوانهم ان يتأخر فى اللفظ . فانا اؤكد لهم ان أشخاصهم مقدمون فى المعنى أو مقدمون فى حقيقة الأمر ، بل استطيع أن اؤكد لهم انهم فوق التقديم لأنهم كل شيء ، وليس الكتاب بالقياس اليهم شيئاً ، أو لايكادون يكونون بالقياس اليهم شيئاً . وآية ذلك أن الكتاب لايعيشون إلا للقراء وان القراء يستطيعون ان يعيشوا ، بل هم يعيشون ، لغير الكتاب ، يعيشون لأنفسهم كما يعيشون لغيرهم ، ولكن غيرهم هذا ليس كاتباً أو يجب ألا يكون كاتباً . وآية ذلك أيضاً أن الكتاب يفكرون فى القراء حين يقدمون على الكتابة وحين يمضون فيها وحين يفرغون منها . فأما القراء فلا يفكرون فى الكتاب إلا حين يقرأونهم ، ومن يدرى ؟ لعلهم يفكرون فيما يقرأون دون ان يفكروا فيمن كتبوه ! ومن يدرى ؟ لعلهم يقرأون فلا يفكرون فيما يقرأون ولا فيمن كتب لهم مايقرأون ، انما يمرون ابصارهم على هذه الحروف والسطور يتبينون ما فيها من الالفاظ ويلمون بما تدل عليه من المعانى الماماً خفيفاً جداً ، ويقفون اولا يقفون عند هذه المعانى لأنهم يريدون أن ينفقوا الوقت أو أن يتسلوا عن شيء بشيء أو أن يدعوا النوم الى جفون يستعصى عليها النوم

القراء اذن كل شيء بالقياس الى الكتاب ويوشك الكتاب ألا يكونوا شيئاً بالقياس الى القراء . ولو أن القارىء استطاع أن يدخل بين الكاتب وبين نفسه وأن يشهده حين يهم بالكتابة ثم حين يهجم عليها ويمضى فيها ، لرأى شيئاً عجباً ، لرأى أن الكاتب يصارع خصمين عنيدين ، أحدهما الموضوع الذى يريد أن يكتب فيه ، والثانى القارىء الذى يريد أن يكتب له ، ولرأى أن الموضوع فى أكثر الأحيان ليس أشد الخصمين عناداً ولا أثقلهما خصومة ، وإنما الخصم العنيف المخيف حقاً هو هذا القارىء الذى لا يعرفه الكاتب ولا يستطيع أن يحصى ميوله

وأهواءه وعواطفه ولا أن يتبين ذوقه ولا أن يستيقن بما يلائمه وما يخالفه ، وإنما هو خطر محقق واقع، ولكنه مبهم غامض شائع مختلف متناقض متفاوت لا سبيل إلى حصره ولا إلى تحديده ولا إلى العلم بالطريق التي يجب أن تسلك اليه

ومن هنا ينبغي للكاتب المصري أن يسأل نفسه : متى يتاح للكتاب أن يثأروا من القراء ، وأن يقدموا أنفسهم عليهم ، وأن يؤثروها من دونهم بالعناية ؟ . ولا أقول متى يتاح للكتاب أن يثأروا من القراء ومن أنفسهم وألا يفكروا إلا في الفن وحده ولا يعنوا إلا بالفن وحده . فقد يظهر أن هذا الأمد ما زال بعيداً أبعد من أن تطمح اليه أو نطمع فيه

ولكن السؤال الاول قريب المنال يمكن أن نقف عنده بعض الشيء وأن نلتمس له جواباً . فهل في مصر هؤلاء الكتاب الذين لا يفكرون في القراء أو الذين لا يسرفون في العناية بالقراء واستحضار أشخاصهم الخطرة دائماً حين يكتبون ؟ . والغريب أن كثرة القراء تظن بل تؤمن بغير هذا ، تؤمن بأن الكتاب لايفكرون فيها ولا يحفلون بها ولا يرجون لها وقاراً ، وإنما يقدمون اليها ما يخطر لهم في غير عناية ولا إطالة تفكير . وقد يكون هذا شأن جماعة من الناس لا أعرفهم ، ولكن الشيء الذى لا اشك فيه هو أني لم أستطع في يوم من الأيام ان اقدم على الكتابة إلا وانا احسب للقراء اشد الحساب واعسره . والشيء الذى لا اشك فيه ايضاً انى لا اعرف كاتباً مصرياً خليقاً بهذا الاسم تحدثت اليه الا رأيته يخاف من القراء مثل ما اخاف ، ويخصهم من العناية والتفكير بمثل ما اخصهم به او بأ كثر مما اخصهم به . ولكن القراء في حقيقة الأمر صعاب ليس الى ارضائهم من سبيل . فهم ينكرون بعض ما يقرأون لا يكتفون بالانكار ، ولكنهم يضيفون اليه شيئاً من الغضب والنقمة يظنون ان الكاتب لم يحفل بهم ، ولم يؤبه لهم ، ولم يجمع كل ما يملك من الجهد ، ولم يبذل كل ما يملك من القوة ليرضيهم ويقدم اليهم ما ينتظرون . كأنه يعرف ما يرضيهم ، او كأنه يعرف ما ينتظرون . ولايخطر للقراء ان الكاتب قد يعطيهم كل ما يستطيع ان يعطيهم وقد يبذل لهم جهد المقل على انه كل ما يملك والغريب ان القراء يعرفون لانفسهم الحق في ان تنشط للقراءة حين تواتيها الظروف او تفتر عن القراءة حين لاتواتيها الظروف ، وهم لا يعرفون للكتاب مثل هذا الحق ، ولا يقدرون ان نفوس الكتاب كنفوسهم تنشط حين تتهيأ لها اسباب النشاط وتفتر حين تجتمع عليها اسباب الفتور . والقراء معذورون فهم لا يضربون على ايديهم ولا يكرهونهم على الكتابة اكراهاً ، وانما يعرض الكتاب عليهم آثارهم ، فمن حقهم ان تكون هذه الآثار التي تعرض عليهم والتي يغرون بها ويرغبون فيها ، وقد يكرهون بالاعلان اكراهاً على شرائها وقراءتها ، ملائمة لما كانوا ينتظرون ، مكافئة او كالمكافئة لما يبذلون من نقد ولما ينفقون من جهد ، ولما يريدون ان يضيعوا من وقت . واذا كان الكتاب معذورين لأنهم لايستطيعون أن يأخذوا على أنفسهم عهداً بالاجادة

دائما ، واذا كان القراء معذورين لأنهم لايستطيعون أن ينفقوا مالهم وجهودهم ووقتهم فى غير غناء ، فمن يكون الملوم وعلى من تكون التبعة ؟ فقد يجب أن يكون هناك ملوم يحتمل التبعة ويتم على حسابه الصلح بين الـكتاب المظلومين والقراء المعذورين

هذا الملوم موجود من غيرشك ، ولعله ليس واحدا ، ولعله ليس اثنين ، ولعل احصاءه ليس بالشىء اليسير . فالقراء فى مصر قليلون ، هذا شىء لاشك فيه ، ولـكن الـكتاب أقل منهم الف مرة ومرة ، فاحصاء القراء يرقى الى الألوف بل الى عشرات الألوف ، واحصاء الـكتاب لايكاد يرقى الى العشرات . وهؤلاء القراء القليلون بالقياس الى مصر ، القليلون بالقياس الى حاجات الـكتاب والناشرين، الـكثيرون مع ذلك بالقياس الى طاقة الـكتاب ، هؤلاء القراء يختلفون فيما بينهم اختلافا شديداً موجباً لليأس من ارضائهم حقاً ؛ منهم المثقفون الذين لايعجبون إلا بمقدار . ومنهم انصاف المثقفين الذين يعجبون حين لايوجد مايعجب ويسخطون حين يجب أن يرضوا. ومنهم الذين لاحظ لهم أو ليس لهم إلا حظ يسير من الثقافة ، ولـكنهم كغيرهم محتاجون الى أن يقرأوا قادرون على أن يشتروا الصحف والـكتب والمجلات . وكل فريق من هؤلاء ينقسم فى نفسه الى طوائف ، هؤلاء تثقفوا فى المدارس المدنية العالية المصرية ، وهؤلاء تثقفوا فى الجامعات الأوربية ، وهؤلاء خرجوا من الأزهر بعد أن أعيوا الدرس فيه ، وهؤلاء ظفروا بالشهادة الثانوية المدنية أوهم يطلبونها ، وآخرون ظفروا بالشهادة الثانوية الأزهرية أوهم يطلبونها ، وقوم وقفوا عند الشهادة الابتدائية ، وقوم لم يجاوزوا ما تعلموا فى الـكتاب . وكل أولئك على ما بينهم من الاختلاف والتفاوت يريدون أن يقرأوا ويريدون أن يرضوا . وليس فى مصر إلا عدد يسير من الـكتاب لا يبلغ العشرات متقارب الثقافة ، وهو مكلف أن يقدم لهؤلاء جميعاً مايلائم طباعهم وأذواقهم وطاقتهم ومثلهم العليا

وشىء آخر يمكن أن يكون ملوما وهو انقطاع هذا العدد اليسير من الـكتاب الى الصحف على اختلافها ، وعجز أكثر هؤلاء الـكتاب عن أن يفرغوا لما يحبون من ضروب الادب وفنون الانشاء . ومن ذكر الصحف فقد ذكر النظام والاطراد . ومن ذكر النظام والاطراد فقد ضيق على الفن أشد التضيق وقال للاجادة والاتقان اذهبا فليست مصر لـكما بدار . وذلك أن الفن فى حاجة الى الحرية الواسعة وان الاجادة والاتقان فى حاجة الى راحة النفس وفراغ البال . استغفر الله فلست أريد من راحة النفس وفراغ البال هذا المعنى الواضح الذى يفهمه الناس جميعا والذى لايتاح للادباء ولو أتيح لهم لما صنعوا شيئاً . وانما أريد راحة النفس وفراغ البال من هذا النظام والاطراد وهذا الالحاح الذى يخضع له الـكاتب حين ينقطع لصحيفة يومية أو اسبوعية أو شهرية . فكيف اذا انقطع الـكاتب لهذه الصحف جميعا ؟ وكيف اذا ألحت عليه المطبعة فى كل يوم وفى كل اسبوع ، وفى كل شهر ، وكيف اذا

اجتمعت عليه هذه الضروب الثلاثة من الالحاح فى يوم واحد . فقيل له اكتب ليقرأ الناس اذا أصبحوا أو أمسوا ، واكتب ليقرأ الناس اذا كان يوم كذا فان المطبعة لا تستطيع أن تنتظر ، واكتب ليقرأ الناس اذا كان أول الشهر فان صدور المجلة لا بد من أن يكون منتظما مطرداً

هذا النظام الذى يهدر حرية الفن والذى يقطع الاسباب بين الكاتب وبين الاجادة والاتقان هو الملوم الاول حين يقصر الكتاب ولا يبلغون من ارضاء القراء ما يريدون ، لانه يدفع الكتاب الى الاسراع والعجلة . ومن ذكر الاسراع والعجلة فينبغى له ألا يذكر معهما الفن ، ولا أن ينتظر منهما اجادة أو اتقانا . وأمر النظام والاطراد لا يقف عند هذا الحد ، فلو انه يحول بين الكتاب وبين الاجادة فيما يقدمون الى الصحف من المقالات والفصول التى لم يقدر لها النضج ، لهان احتماله ، ولقيل للقراء لوموا الكتاب إن شئتم فى هذه الفصول واعرضوا عن قراءتها ان احببتم . وتعزوا عنها بهذه الكتب القيمة التى تقدم اليكم من حين الى حين ، ولكن الامر أعسر من هذا كله وأشد حرجا . فمن للكتاب بالوقت الذى يفكرون فيه ، ومن لهم بالقوة التى ينفقونها فى الدرس ، ومن لهم بالجهد الذى ينفقونه فى الانشاء ، ومن لهم بفراغ البال الذى يستعينون به على الاجادة ؟ من لهم بهذا كله والمطبعة من ورائهم تلهبهم الهابا ، ليقدموا لها من الفصول اليومية والاسبوعية والشهرية ما ينبغى أن يصدر فى نظام ودقة واطراد ؟ فالصحف المنتظمة المطردة لا تمنع الكتاب من الاجادة فيما يكتبون لها فحسب ، ولكنها تمنعهم من الاجادة فيما يكتبون لانفسهم وللناس . استغفر الله بل هى تمنعهم الكتابة لانفسهم وللناس . صدقنى أيها القارىء العزيز ان الكتاب الذين تضيق بهم وتقسو عليهم أبطال فى مصر حقاً يحتملون من العناء مالا تستطيع أنت أن تحتمل بعضه . وأى عناء يمكن أن يقاس الى هذا الحزن العميق الذى يجده الكاتب حين يخطر له الموضوع الطريف فيود لو يفرغ لدرسه والكتابة فيه ثم يصرف عن ذلك أشد الصرف واعنفه لان المطبعة تريد منه الفصل الذى يجب أن يظهر فى نظام واطراد

خطرت لى هذه الخواطر منذ ساعة حين فرغت من قراءة فصل فى النوفيل ليترير حول تحقيق يشتغل به بعض الناس فى فرنسا وموضوعه هذه المسألة : « أيستطيع الكتاب أن يكونوا صحفيين » ، وصاحب هذا الفصل يجيب : « نعم » فى شىء من الاحتياط . أما انا فاحب أن أعكس المسألة : « أيستطيع الصحفيون فى مصر أن يكونوا كتاباً ؟ » . ففى مصر صحافيون . فاما الكتاب بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة فاخشى ان اقول انهم سيوجدون ان شاء الله بعد زمن طويل أو قصير ، ولكنهم سيوجدون

طه حسين

فقرنا في الثقافة العلمية
لا يعوضه غنانا في الثقافة الادبية

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

تكاد مدننا حتى قرانا تغمرها أجهزة الراديو . ولا أظن أحداً ممن يجلسون لدى الجهاز ويسمعون الموسيقى التى تصدر من محطات قصية لا يدهش من هذا الاختراع الذى إذا فحصت جهازه تجده بسيط الأدوات . ولكن هل خطر لأحد فى بلادنا الشرقية أن يعمل أجهزة راديو أو أن يقتبس معملا من معامل أوربا لصنعها كما فعل اليابانيون؟ وإذا بحثنا عمن يفهمون منا سر الراديو هذا وأعنى نظريته العلمية فكم واحداً نجد منهم يا ترى ؟ لا أظننا نجد واحداً فى كل عشرة آلاف . أفليس عجيباً غريباً أن هذا الاختراع المدهش الشائع بيننا لا يثير فينا شهوة معرفة هذا السر واستطلاع كنهه ودرس نظريته ، هذا إذا لم يثر فينا الطمع باستغلاله كما تستغله الأمم الأخرى ؟

وهل الراديو وحده أعجوبة هذا العصر؟ ـ أين السينما الناطق ؟ أين التلفون الأوتوماتيكى . أين التلفون اللاسلكى . أين التلفزن . وأين وأين وأين ... ماذا أعد وماذا أحصى وقد امتلأ هذا العصر بعجائب الاختراعات ومدهشاتها . وأى متاع من الأمتعة التى نستعملها ليس من الاختراعات الحديثة العجيبة وليس مصنوعاً بآلة (فبركا) عجيبة ؟ ولماذا نبعد كثيراً ومن حولنا ومن فوقنا وتحتنا تعمل أعمال عجيبة غريبة عن علمنا وعن تصوراتنا وليس إلا النزر اليسير من ناسنا يفهمون بعض (لا كل) المبادىء العلمية التى نشأت تلك الاختراعات منها ؟

الآن العمل جار على ساق وقدم فى مشروع جر ينابيع البترول من العراق فى فرعى انابيب إلى طرابلس وحيفا . وأظن هذا العمل من أبسط الأعمال . ولكن كم واحداً فينا يعلمون كيفية جر تلك الينابيع فى بلاد جبلية من مستوى البحر الى مستواه الآخر ؟ مشروع كبير يعمل فى بلادنا ، وقلَّ من يدرى كيف يعمل . فكيف بنا اذا قيل لنا لماذا لم تعملوا هذا المشروع أنتم بأنفسكم ، بل تنتظرون أن تعمله أمة أخرى وتنازعكم القسم الأوفر من غلته ؟

* * *

أظن فيما تقدم من التمثيل كفاية لتصوير البون الشاسع بين تقدم الغرب وتأخر الشرق . هم فكروا ودرسوا وفهموا وعلموا ثم عملوا واستغلوا علمهم وعملهم . ونحن لم نشترك معهم إلا

باستهلاك الغلة فقط . وكانت غلة غالية الثمن كلفتنا القسم الأعظم من تعبنا وكدنا فى الاسترزاق وفى بعض الأحوال دفعنا استقلالنا قسما من ثمنها . فبيننا وبينهم مسافة طويلة فى مضمار التقدم العمرانى . هم يركضون ونحن نمشى الهوينا . فلا أدرى كيف نستطيع اللحاق بهم ونحن على هذه الحال ؟ إذا لم يكن فى وسعنا أن نستنبط ونخترع أفليس فى وسعنا أن نستغل اختراعاتهم كما يستغلها اليابانيون الآن ؟ واذا كنا الى اليوم لانستطيع أن نستغل شيئاً من اختراعاتهم بل مازلنا نعتمد فى الاسترزاق على استغلال الأرض والطبيعة على الأساليب القديمة لكى نقايضهم ثمرات اختراعاتهم بحاصلات مجهوداتنا العنيفة الشاقة ، فكيف يمكن أن نتوقع حياة قوية استقلالية ؟

لست مكتشفاً علة فينا خافية على أحد ، فكلنا يعلم ما نحن فيه من التقصير . ولكن لا بد أن يلوح فى بال القارىء أن يسأل : ما سبب هذا التقصير فينا ؟. وربما استغربه لعلمه أننا نحن من سلالة نشرت الحضارة على العالم ومن أرومة أسست المدنية التى يتمتع بها الجنس البشرى كله الآن . فلا يمكن أن يكون السبب ضعفاً فى العقلية الشرقية ، بل لا بد أن يكون السبب أخلاقياً اجتماعياً . فما هو ؟

***

لا يخفى أن الاختراع ثمرة العلم العملى . والعلم العملى وليد النظريات . مثلا : اللاسلكى (والراديو صنف منه) اختراع ماركونى بمعونة السير أوليفر لودج وغيره من العلماء ، ولكن هذا الاختراع هو ثمرة علم نظرى . ثمرة نظرية قال بها فارادى أولا منذ زمان . ثم حققها مكسويل وغيره من العلماء . وفى هذا المثل كفاية للتمثيل على أن كل اختراع منتج إنما هو نتيجة العلم . ولكن أى علم ؟ علم الطبيعة ـ المادة والقوة وميكانيكياتها ، والحرارة والنور والكهرباء والمغنطيسية . ثم الكيمياء الخ ، من ضروب العلم المنتجة مباشرة وغير مباشرة . فاذا لم يكن لأمة غرام بالعلم الطبيعى فلا ينتظر منها أن تستطيع استغلال الطبيعة بأخصر الوسائل الاقتصادية . ولا يرجى منها أن تكتشف من أسرار الطبيعة ما يمكن استغلاله

فأوربا كانت منذ بدء النهضة الى اليوم مغرمة بالعلوم الطبيعية . وكانت شهوتها لهذه العلوم تحرض فيها الشهوة الى استكناه أسرار الطبيعة . وكلما اكتشفت سراً توخت استغلاله لتنال مكافأة استكداد قرائحها فى الاستكناه . وبتلك الشهوة جرت هذا الشوط العظيم فى مضمار العمران وخلفت سائر أمم الشرق وراءها . فاذا اقتنعنا بصحة هذا التفسير لتقدم أوربا أدركنا فى الحال سر تأخرنا

لاأظن أنه بعد هذا القول يبقى عند القارىء شك بأن سر تأخرنا هو فقرنا الى الثقافة العلمية ـ وأى فقر ! ـ فقر مدقع ! ...

أعنى بالثقافة العلمية تحصيل علوم الطبيعة - لا الأدب - فتى خرجت من منطقة المدارس والكليات التى تجهز من الثقافة أساسها فقط لاتعود تجد للثقافة التى عنيتها أثراً . لا تعود تجد إلا ثقافة أدبية ، أدبية فقط ، والنزر اليسير من الثقافة فى الطب والحقوق وما اليهما من العلوم الفنية العملية

فاطنان الورق التى تمر يوميا فى آلات الطباعة عندنا لا تحشى بغير الأدب مع قليل من المباحث الاخلاقية والاجتماعية . والوف الكتب التى تصدر كل عام من مطابعنا ، إذا استثنينا منها الكتب المدرسية ، لا تحتوى الا على الادب والشعر واللغة وتاريخ الأدب وتاريخ العرب ونحو ذلك . والحكومة التى تتظاهر بانها تعنى بنشر الثقافة مشغولة من هذا القبيل باعادة طبع متقن للكتب العربية القديمة مثل صبح الأعشى والأغانى ونحوهما . وكبار كتابنا لايتبارون الا فى مضمار الأدب والتاريخ والنقد الأدبى والشعرى . واذا جئت تمحص تآليف كتابنا وكتاباتهم فلا تجدها الا تكراراً لمعلومات قديمة فى الادب والشعر والتاريخ باساليب جديدة . وزبدة القول لا تجد فى جونا الثقافى إلا بنود الادب والشعر خافقة فى كل ناحية حتى أصبح المتعلم الاعتيادى يعتقد أن العلم ، كل العلم ، هو الادب والشعر والتاريخ واللغة فقط . وكان من جراء هذا الاعتقاد أن أحد الناس قال يوماً من الأيام فى حديث : « إن فلاناً (لا أسميه) هو أعلم عالم على وجه الأرض » وأنت وأنا نعلم أن فلاناً هذا الذى يعجب صاحبنا به ضليع فى اللغة واصولها وعلومها فقط ، وما بعد ذلك لا يفقه شيئاً

ولا تقتصر هذه العقيدة على العوام بل تكاد تكون شاملة . فان من نعدهم علماءنا هم علماء الأدب والتاريخ . والى الآن لانعرف أحداً ممن نالوا لقب دكتور (بغير الطب) إلا دكاترة الأدب والحقوق (ما عدا نفرا قليلا جداً حصلوا على لقب دكتور فلسفة) . ولكن الى الآن لا نعرف بيننا عالما طبيعياً بالمعنى الذى اتضح فى هذا المقال . لا اعتقد أن أمتنا خلت من بعض علماء من هذا الصنف - علماء طبيعيين . وانما الثقافة الادبية كسفت الثقافة العلمية فاختفت أنوار هؤلاء . وما درى بهم إلا المحتكون بهم

* * *

ولكن على أى الثقافتين : الادبية أم العلمية ، يستند العمران ؟ وهل قامت المدنية الحديثة على الادب والشعر والتاريخ ام على العلوم الطبيعية ! وهل تستمد الامم فى تنازع البقاء أسلحتها وذخائرها من الادب والشعر أم من الكيمياء والكهرباء وما اليهما ! . واذا قامت قيامة حرب شعواء عامة يوماً من الايام وأصبحنا فى موقف ليس فيه إلا أحد أمرين : اما الفناء أو الدفاع حتى السلامة ، وجعلت الاعداء ترمينا من الجو بمفرقعات وغازات جهنمية ، فهل ندفع الويل عنا بمجلدات صبح الاعشى والاغانى . وهل نصد قنابل الاعداء بدواوين شعرنا وكتب ادبنا

منذ شرع الجنس البشرى يتحضر كان العلم الطبيعى العملى مرقاته التى يرقى عليها الى قمم النجاح العمرانى . ولم تكن الفنون الجميلة ـ ومنها الادب والشعر ـ الا حليا لعمرانه . وفى أى عصر من العصور لم تتغلب أمة على اخرى الا بما كان عندها من ثقافة علمية تقدرها على استنباط أدوات وأسلحة تكفل لها الغلبة . ويوم كان العرب يغزون اوربا كانوا متفوقين على اهلها بالعلم ، ثم بالصناعة التى أثمرها العلم . وما غلبوا أمة إلا محصوا علومها واقتبسوا الاصوب منها وأضافوه الى علومهم واستغلوه فى صناعاتهم وحروبهم . وكذا فعلت أمم أوربا لما جعلت دول العرب تدول

والآن نحن فى عصر اتسعت فيه دائرة العلوم الطبيعية اتساعا عظيماً جدا حتى اصبحت دوائر الادب والشعر ، حتى دوائر العلوم الاجتماعية والاخلاقية ، كجزر صغيرة جدا فى بحر العلوم الطبيعية الخضم . ولذلك فالامة التى لاتخوض غمار هذا البحر بسفن الثقافة العلمية الضخمة تبقى محتبسة فى تلك الجزر تحت رحمة أنواء البحر. فبالله فى أى جزيرة قاحلة نحن فى ذلك البحر ؟

فيما يكون علماؤنا متناقشين فى أصل لفظة من الفاظ لغتنا يكون علماء الغرب مكبين على بحث الوسائل لفلق الكهرب واستكشاف ما فيه من طاقة عظيمة (قوة) واستنباط الوسائل لاستخدام هذه القوة واستغلالها . وفيما يكون علماؤنا منشغلين فى تصفية تاريخ كتاب قديم مخطوط ووصفه وتلخيص فصوله وشرح الظروف التى أنشىء فيها وسيرة صاحبه الخ ـ ويغلب ألا تكون لهذا الكتاب قيمة إلا القيمة الأثرية ـ يكون علماء الغرب منهمكين فى البحث عن أسرار الاشعة الكونية ودرسها لاستكشاف ما يمكن من الاستفادة العلمية أو العملية منها . وفيما يكون علماؤنا لاهين فى اختلاق فلسفة لشاعر أو أديب قديم لم تدر الفلسفة فى خلده ، أو استخراج نظريات لمؤلف عتيق ليس له نظر إلا فى ظواهر الامور، يكون علماء الغرب مستغرقين فى اكتشاف أسرار العناصر الحيوية كالفيتامينات والهرمونات وعناصر الغدد الصماء الفعالة . وفيما يكون أدباؤنا سابحين فى بحار الخيال لكى يبلوروا الاوهام فى بلورات لفظية ،يكون علماؤهم سابحين فى الفضاء اللامتناهى بمراصدهم ليستكشفوا أقاصى الكون و يعلموا صلة الكرة الارضية به ونسبة الانسان إليه . وفيما يكون أدباؤنا متبارين فى أساليب الانشاء ومتنافسين فى النقد الادبى والشعرى ، يكون علماؤهم الفنيون متبارين فى استنباط الآلات والادوات اللازمة لتنازع البقاء والاسترزاق . من أسلحة حربية ومعامل صناعية لا تعد ولا تحصى . وفى ابان هذا التباين بيننا وبينهم فى الاعمال الحيوية نصيح ونصخب متشكين من اعتداء الغرب على الشرق وافتئاته على استقلاله متجاهلين أن عملية تنازع البقاء لا تزال حادة بين الامم وان كانت تتضاءل شيئاً فشيئاً بين وحدات الامة ليحل التضامن والتعاون محلها . فاذا جاز لنا أن نصخب فلنصخب ضد أنفسنا لان الذنب ذنبنا فى اهمالنا الثقافة العلمية

ه ه ه

ان استرسالنا فى الثقافة الادبية واعراضنا عن الثقافة العلمية لا يختلف عن لهونا بالترف والبذخ عن جهادنا فى حلبة التنازع الامى ، بحيث ينتهز منازعونا فرصة غفلتنا للاستحكام منا والتحكم بنا والاغتنام منا

الادب شيء جميل جداً . ولا بد منه حلية للثقافة العامة . ولكنه لا يغنى عن العلم العملى فى الجهاد الحيوى . فمثلنا فى الاقتصار عليه مثل من تأنق فى ملبسه وأسرف فى تأنقه ولكنه بخل فى مأكله فلم يقتت القوت المغذى المقوى لجسمه . فكان جميل المظهر ولكنه ضعيف الجوهر . فعند المزاحمة كان مغلوباً مسبوقاً الى الغنائم فلم ينل نصيبه

ترى ما الوسيلة الفضلى لتقوية ثقافتنا العلمية وتنشيطها بحيث تتناسب مع ثقافتنا الادبية ويكون لنا منها ما للامم الاخرى من قوى التفكير والبحث والاختبار والامتحان ومن النتائج العملية التى يمكن استثمارها واستغلالها والتى تؤهلنا للاستعداد الكافى لمنافسة الامم الاخرى ومزاحمتها وللدفاع عن كياننا ؟

لا ريب أن الوسيلة لهذا كله تبتدىء فى التعليم من أول درجاته الى آخرها . أعنى أن برنامج التعليم يجب ان يوسع فى العلوم الطبيعية والرياضية (لان الرياضة أصبحت مفتاح كنوز العلوم الطبيعية) وان يختصر ما أمكن فى علوم اللغة والادب والتاريخ . ويجب أن يدرس الطلبة العلوم الطبيعية باسلوب مشوق جداً ولاذ وأن يفهموا من نمط التدريس أن هذه العلوم أولية فى البرنامج وأن الادب وفروعه علوم ثانوية . هذا أولا

ثانياً : يجب أن تكون معامل الاختبار والامتحان والتجربة فى كل علم مستوفية العدد والآلات والادوات فى كل مدرسة وكلية علمية وأن تطلق أيدى الطلبة فى استعمالها

ثالثاً : يجب أن توجد معامل كبيرة ، غير معامل المدارس ، مستوفية جميع الادوات والعدد ، وأن تكون مفتوحة لجميع المتخرجين فى المدارس العليا ممن يريدون أن يبحثوا بحوثاً علمية وينقبوا ويمتحنوا ويختبروا ـ تفتح لهم مجاناً بلا مقابل مهما كلف ذلك الحكومة . لان ثمرات العلم الحديث فى الغرب تجنى من أمثال هذه المعامل

رابعا : يجب أن يكون الى جنب هذه المعامل مكاتب عمومية مفتوحة لجميع الرواد وطلاب العلم مجاناً . وان تحتوى على كل مستطرف من مؤلفات العلوم الحديثة باللغات الاوربية الغنية بالعلوم ولا سيما الانكليزية والفرنسية لان هاتين اللغتين أشيع اللغات الاجنبية فى الشرق . لايكفى أن يوجد فى العاصمة وغيرها من المدن الكبرى مكتبة واحدة . بل يجب أن يكون فى كل حى مكتبة صغيرة مستوفية الكتب الحديثة القيمة . وأما المكتبة الكبرى التى فى شارع محمد على فما هى الا متحف أثرى لمؤلفات العرب القديمة ، فتبقى لطلاب الأدب والتاريخ فقط لان مافيها من العلم الحديث الذى نحن بصدده لاينقع غلة ولا يشفى علة

خامسا : ينبغى ان يؤلف مجمع على بحث (غير المجمع اللغوى) يشترك فيه المثقفون ثقافة علمية . يلقون فيه محاضراتهم عن نتائج أبحاثهم ومطالعاتهم ودروسهم واختباراتهم العلمية ويتناقشون فيها . لابد من عضد الحكومة المالى لهذا المجمع لكى تقوم له قائمة . ومجمع كهذا إذا قام بوظيفته حق قيام لفت نظر مجامع اوربا اليه وبادلها نتائج أعماله . واذا ظهر فيه نابغة أو نوابغ برز بنظرياته ومباحثه واكتشافاته العلمية الى رحبة العلم الاوربية ، وقبله علماء أوربا كواحد منهم بناء على تقديم مجمعنا له . وبدون مجمع كهذا لا يمكن ان يلمع نابغة منا بحيث يبلغ لمعانه الى الغرب ، بل يبقى نوره خابيا وراء الغيوم الى أن ينطفىء من غير أن يدرى به العالم

سادسا : يجب أن تهتم الحكومة بترجمة أهم التآليف العلمية الحديثة الى لغتنا ونشرها على طلاب العلم . فنحن أحوج جداً الى كتب كهذه منا الى الاغانى وابن خلدون وغيرهما من كتب العرب مما طبع مراراً وفائدته العمرانية لنا ضئيلة جداً

سابعاً : يجب أن تساعد الحكومة المؤلفين فى العلم الذين لا نشك فى قيمة تآليفهم العلمية ، بأن تبتاع من نسخ تآليفهم ما يساوى نفقات الطبع على الاقل لكيلا يغرموا مع ذوب أدمغتهم ذوب مالهم ، وهم على الغالب قليلو اليسر والرخاء . وربما كانوا فى عسر . لا بد من اعانة الحكومة لان المطبوعات العلمية لا تصادف اقبالا كالمطبوعات الفكاهية ونحوها ولا سيما فى بدء النهضة العلمية حين يكون الميل الى المطالعات العلمية ضعيفاً

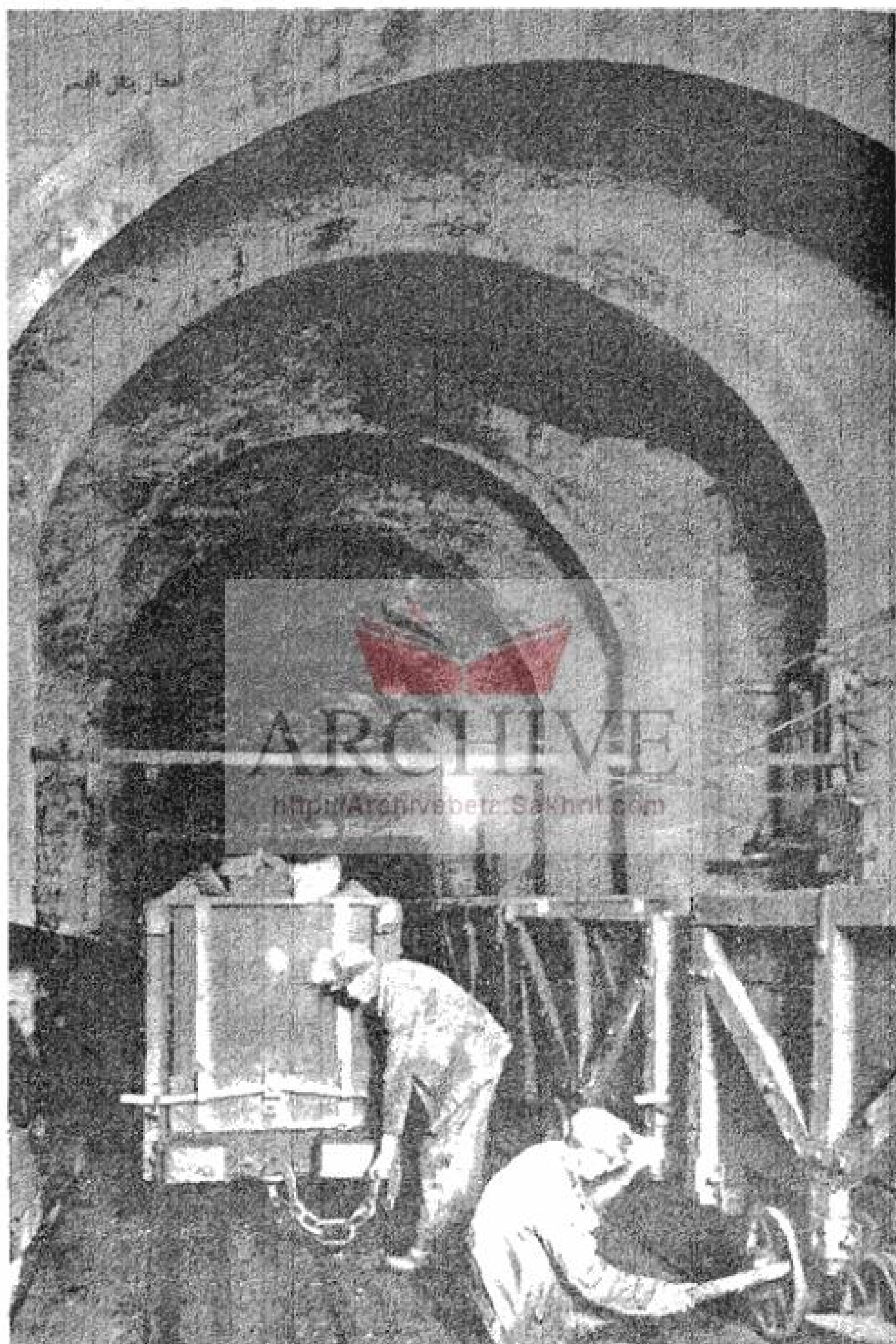
ثامناً : يجب أن تساعد الحكومة ماليا المجلات العلمية التى لم يبق شك فى خدمتها الجليلة للعلم بحيث يتسنى لهذه أن تجعل قيمة اشتراكاتها رخيصة جداً فيكون رخصها من وسائل انتشارها

هذه أهم الوسائل لتنشيط الثقافة العلمية وتحريض شهوة المتعلمين والمثقفين للاستمرار فى درسها ومطالعة كل جديد فيها واقتناء المؤلفات المستجدة بها . وعلى تمادى الزمن تتبوأ ثقافتنا العلمية مجلسها اللائق بها الى جنب الثقافة الادبية ، حتى اذا انصرفت الاذهان اليها كانصرافها الى الثقافة الادبية وتيسرت جميع الوسائل اللازمة للراغبين فى البحث والاختبار والاكتشاف ، قوى أملنا بأن نستغل العلم ونستثمره كما يستثمره الغربيون الآن فى كل شأن من شؤون الحياة . وليس بمستبعد أن تثمر الثقافات العلمية عندنا اختراعات ذات شؤون عظيمة القيمة تكون علة رقى الامة ووسيلة لاستقلالها

هذه قضية حيوية يعرضها العاجز كاتب هذا المقال على أهل التفكير الحر لكى يمحصوها ، حتى اذا استصوبوها ايدوها وسعوا الى تنفيذ الوسائل التى سردناها . وإلا فنبقى فى هواننا وتقهقرنا بالنسبة الى تقدم غيرنا الى أن ننقرض وتشغل مكاننا أمم أخرى نشيطة جديرة بالحياة والبقاء

نقولا الحداد

مصائب المناجم



في أواخر شهر مايو الماضي وقعت فاجعة مؤلمة في أحد مناجم الفحم بقرب بلدة لمبريشي بالبلجيك ، إذ حدث انفجار داخل المنجم أودى بحياة سبعة وخمسين عاملا

وحوادث الانفجار التي من هذا القبيل من أكبر المعضلات التي تشغل اليوم بال العلماء ، لأنهم وإن يكونوا قد وفقوا إلى تقليلها كثيراً جداً إلا أنهم لم يستطيعوا حتى الآن منعها أو تلافي أضرارها تلافياً تاماً

ولا يخفى أن أشد عوامل الانفجار التي يخشاها عمال المناجم هو الغاز الذي يتجمع في المنجم على مر الأزمان . وقد كانت الطريقة المتبعة منذ نحو قرن لاكتشاف ذلك الغاز بعيدة كل البعد عن مقتضيات الانسانية ، إذ كان يؤمر أحد المسجونين المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة بان ينزل الى المنجم وبيده مشعل مشتعل . فاذا كان في المنجم غاز انفجر وقتل ذلك المنكود الحظ فيعرف العمال أن النزول الى المنجم خطر . واذا عاد ذلك المنكود الحظ حياً وبيده المصباح ثبت ان المنجم خال من الغاز فلا خطر من الانحدار اليه

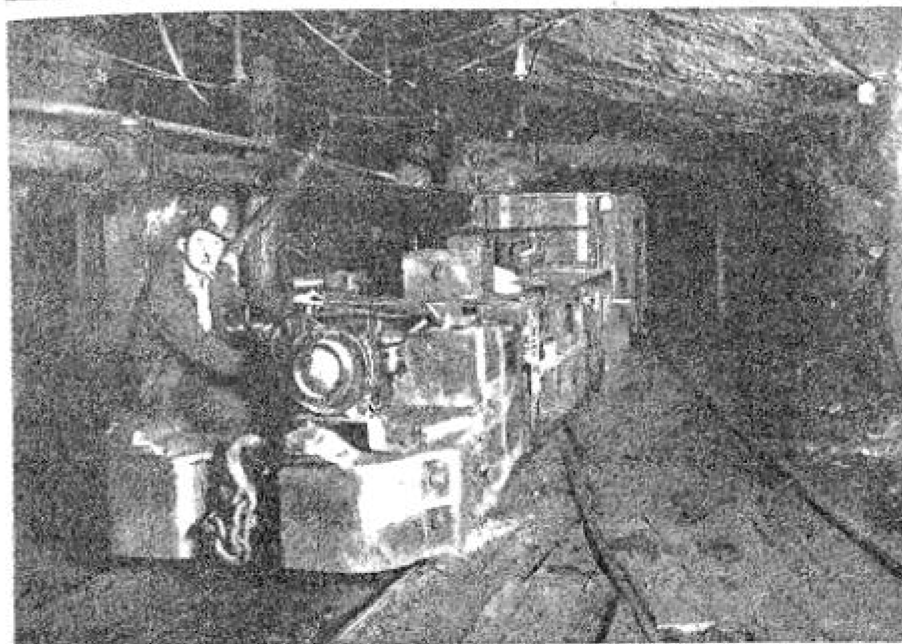
وفي أوائل النصف الثاني من القرن الماضي استعيض عن تلك الطريقة الهمجية بوسيلة علمية ، إذ أثبتت التجارب الكيمياوية أن غاز المناجم إذا امتزج بالهواء الاعتيادي بنسبة لا تزيد عن ستة في المائة (من الغاز) فلا خطر من انفجاره . ولذلك اتخذت الوسائل اللازمة « لتهوية » المناجم حتى يضعف الغاز ويزول خطر الانفجار



الى اليسار : في الممرات السفلى حيث يزحف العامل غير مستعين بأية آلة



غربال الفحم متنقلا



العربات مشحونة فحماً

إلا أن خطراً آخر ظهر للوجود وهو غبار فحم المناجم اذ اثبت الاختبار أن هذا الغبار اذا نشف وزالت منه كل رطوبة اصبح شديد الالتهاب والانفجار في حالات معينة . واذا انفجر لم يبق ولم يذر وتولد عنه غاز اوكسيد الكربون الذي يزيد في خطره

ومن وسائل السلامة المستعملة اليوم مصباح خاص يساعد على اكتشاف الغاز في المنجم . والمجال لا يسمح بوصف هذا المصباح وصفاً مسهباً ، وانما نقول إنه عند وجود غاز في المنجم تحيط بنوره هالة غير لامعة فيكون ذلك بمنزلة انذار . والمصباح المذكور دقيق الصنع سريع العطب يجب الاهتمام به وحفظه نظيفا نظافة تامة ، والا فانه لا يؤدي وظيفته بالتمام . ومما يدعو الى الاسف ان عمال المناجم قلما يعنون بمصابيحهم العناية التامة

ومما يجدر بالذكر ان المواد المنفجرة التي يستعملها عمال المناجم لنسف بعض الصخور الفحمية هي من نوع خاص يعرف بمفرقعات الامان لا تحدث انفجارا ولا خطراً في المنجم

وقد نقصت الاصابات الخطرة في المناجم نقصا محسوسا كما ترى من الاحصاء الآتي :

عدد الوفيات في كل عشرة آلاف عامل من عمال المناجم

	من سنة ١٨٨٠ — ١٨٩٠	من سنة ١٨٩٠ — ١٩٠٠	من ١٩٢٠ — ١٩٣٠
بسبب انفجار الغاز والغبار	٨ر٢٤	٠ر٩٢	٠ر٥٣
بأسباب اخرى	١٥ر٣٦	١٣ر٢٣	١٠ر٤٦



بعد انفجار صخور الفحم تصبح
هذه الصخور كتلا صغيرة تزيل

مدرسة للامومة

مهما تقدمت المرأة وزاحمت الرجل في مختلف الاعمال فلا تزال وظيفتها الاولى هي الامومة . فعلى المرأة قبل كل شيء ان تنتج للاسرة وللوطن أطفالا أصحاء أقوياء وان تربيهم وفق قواعد الصحة وعلى أساس من الخلق القويم حتى ينفعوا أنفسهم وبلادهم

غير ان تعليم البنات قد ظل ردحا من الدهر في أوربا كما هو في مصر الآن ، يهتم بالتدبير المنزلي وبالحساب واللغات وغير ذلك ويغفل أهم ما ينبغي للفتاة ان تعرفه ، وهو الامومة بما يتبعها من طرق تربية الاطفال والعناية بصحتهم والرقابة على نمائهم . وذلك لان المعلمين والمعلمات كانوا يحسبون ان الكلام في الامومة مما يجرح خفر التلميذات العذارى ، فكن يتخرجن في المدارس وهن جاهلات بأهم ما كان ينبغي لهن ان يتعلمنه ويدركن كنهه . ومن ثم نجد نساء كثيرات يجهلن الامومة ولا يعرفن طرق العناية بأنفسهن عند الحمل والولادة ولا العناية بأطفالهن بعد ذلك

وقد لاحظ ذلك ولاة الامور في المانيا وشق عليهم ان تبقى أولئك الامهات جاهلات أخص شؤونهن فأنشأوا لهن مدرسة وجاءوهن فيها بالمعلمات ، يعلمنهن طرق العناية بالطفل وتربيته ، ومعالجته ، وتغذيته . وكل ذلك وفق أحدث الوسائل الصحية

ولم يقف الاقبال على هذه المدرسة على النساء المتزوجات ، والامهات منهن فحسب . بل أقبلت عليها أيضاً فتيات في سن الزواج ، وأخريات لما يبلغن هذه السن ، علما منهن بأهمية الدروس التى تلقن بتلك المدرسة ، وتقديراً (للامومة) التى هي أهم وظائف المرأة ، بل هي الغاية من وجودها فى الحياة



منظر فصل دراسة في مدرسة الامومة. وترى المعلمة وهي تبين للامهات كيف يجب ان يحمل الطفل وكيف ينبغي وزنه بين حين وآخر



الطريقة المثلى للامساك
بالطفل أثناء استحمامه



حين تكون الام مصابة ببرد وزكام يجب ان تلبس كمامة حتى لا تنتقل اليه العدوى



كيف ينبغي ان يحمل الطفل الرضيع دون الاضرار به

في أسفل : قبل ان تحمل الام طفلها وهو عاري الجسد يجب ان تغسل يديها بعناية



البراكين والبعثات العلمية

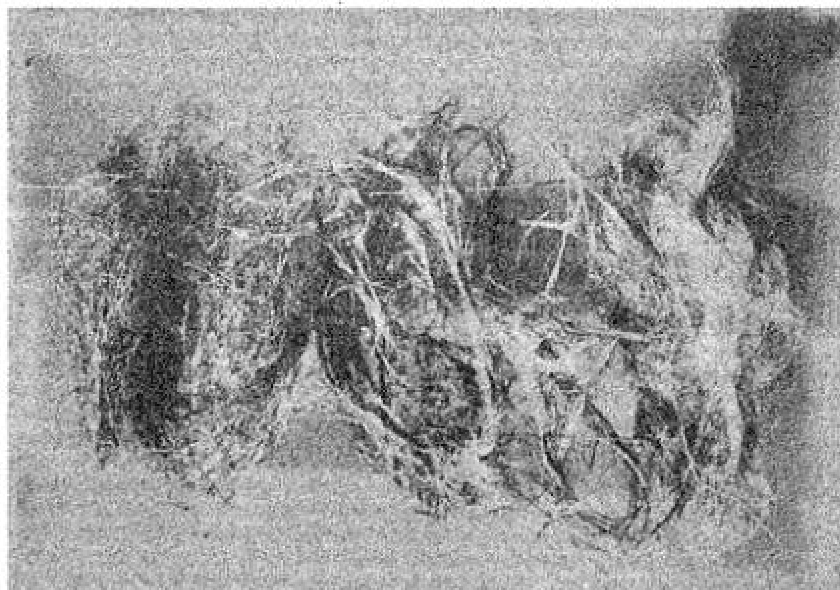
البركان (معرب فولكانوس باللاتينية) جبل ناري يقذف الحمم والمواد المصهورة من فتحة في أعلاه تسمى الفوهة . ويختلف قطرها باختلاف حجم البركان . وفي العالم براكين كثيرة بعضها منطفىء والبعض الآخر « عامل » أي مشتعل يقذف الحمم في فترات متقطعة وفوهته مكتنفة دائما بالادخنة وسحب البخار الغازي . وكثيراً مايظل البركان منطفئاً عدة قرون ثم يعود الى ثورانه فجأة

والحمم والمواد التي تقذفها فوهة البركان تختلف في مادتها وتركيبها ، فمنها المواد المصهورة السائلة ومنها سحب الادخنة والغازات ومنها شظايا الحمم المتطايرة . وكلها على درجة شديدة من الحرارة مما يثبت أن جوف الكرة الارضية مملوء مواد ساخنة شديدة الحرارة

ويعتقد فريق كبير من العلماء ان بين ثوران البراكين والزلازل علاقة وثيقة . ولهم في ذلك اقوال وادلة ليس هذا مجال شرحها . على أن فريقاً آخر منهم ينكر هذه العلاقة بحجة ان العلم لم يثبتها حتى الآن اثباتاً قاطعاً . وقد افضى انفجار البراكين في اوقات مختلفة الى فواجع كبيرة . ففي سنة ٧٠ للميلاد مثلا ثار بركان بزوف بايطاليا (بالقرب من مدينة نابولي) فدفن مدينتي بومباي وهركولانيوم تحت حممه واهلك خلقاً عظيما . ولعل اعظم فاجعة من هذا القبيل في الازمنة الحديثة هي ثوران بركان بربواتان بجزيرة « كراكاتوا » (الواقعة بين جزيرتي جاوى وسومطره) في سنة



مناظر حمم تشبه الاملاح المتجمدة



حمم تشبه خيوط الغزل أو الشعر الناعم ، ولا يكاد يصدق أن هذه الاشياء هي حمم قذفها بطن الارض

١٨٨٣ إذ غمرت الحمم ثلث الجزيرة تماما الى ارتفاع ثلثمائة متر ، وغمرت مياه البحر اربعين بلدة وقرية على السواحل الى عمق ثلاثين مترا ، وبلغ عدد الضحايا اربعين الفا من الاهالى وفى سنة ١٩٠٢ ثار بركان بيليه بجزيرة المارتنيك فدفن مدينة سان بيير كلها واهلك خمسة وثلاثين الفا من السكان

وقد اهتمت الحكومات والمعاهد العلمية في الازمنة الحديثة بدرس خواص البراكين لاستجلاء اسرارها ومعرفة كل ماله علاقة بها وللتوصل (اذا امكن) الى الانباء بمواعيد ثورانها قبل وقوع ذلك لاتقاء اخطارها . وفي مقدمة الحكومات التى تعنى اليوم بدرس احوال البراكين الولايات المتحدة وايطاليا واليابان وجميعها من الدول التى تكثر البراكين في بلادها ، وقد اصيبت بنكباتها اكثر من غيرها . وترى هنا صوراً لبعض المشاهد المأخوذة من بركان كيلويا بجزيرة هاياواى في اثناء ثورانه . وقد اوفدت حكومة الولايات المتحدة بعثة الى هنالك برآسة الاستاذ جاجار لدرس كل ماله علاقة بالبراكين . ولا حاجة الى وصف الاهوال التى تعانيها امثال هذه البعثات والاخطار التى تتعرض لها . ومما يروى من هذا القبيل ان بعثة علمية يابانية قضت منذ عهد قريب مدة طويلة فوق فوهة احد البراكين اليابانية وهي تجمع المعلومات وتصور بعض مناظر البركان غير مكترثة لما تتعرض له من الاخطار . ولا عجب فان ابطال العلم قلما يكترثون لما يتهددهم من مصائب الطبيعة



صورة للبركان كيلويا الثائر بجزيرة هاواى وهو من أكبر براكين العالم . وقد رسم هذه الصورة الاستاذ توماس جاجار رئيس البعثة التى اوفدتها الحكومة الاميركية لدرس احوال البركان المذكور . ويبلغ قطر فوهته نحو عشرة كيلو مترات



في اليسار : الاستاذ توماس جاجار يرسم مناظر بركان كيلويا الثائر وذلك بطلب من الحكومة الاميركية . ولا يخفى انه من الخطر أن يدنو الانسان من فوهة البركان الثائر . وفيما ترى الاستاذ جاجار هنا يرسم البركان عن بعد بواسطة جهاز للتصوير يعرف بالتليفوتو أو آلة التصوير عن بعد

في اسفل : العمل في المنطقة التي بردت من الحمم وقد مد سلك فوق فوهة البركان الثائرة وأرسلت عليها الآلات لقياس درجة الحرارة عند ثورة البركان



... لبس الشكلا
... وترى هنا ... سقطت
في أذربيجان ... فوق الأخرى حتى
... هذا الشكل الغريب

في أعلى قمم لبنان

رحلة الى القرنة السوداء

بقلم الاستاذ توفيق اليازجى

يلذ لى كلما ذهبت إلى لبنان أن أقصد إلى الارز وأقيم فى الفندق الحديث القائم فى ظلاله لانى اجد اللذة فى الهدوء والسكينة، لافى المصايف المكتظة. وانعم بالهواء الجاف المنعش الذى يبث فى الجسم حياة جديدة. وتسبينى المناظر التى يمتد فيها البصر مئات من الاميال وتجمع بين جبال يبلغ علوها الوفا من الاقدام وأودية تكاد توازى سطح البحر وهضاب مطرزة بالقرى وغابات خضراء تطغى على قمم جرداء. وهذه المناظر لا يستطيع ان يتمتع بها المرء إلا فى تلك الناحية من لبنان

وكنت ألهو كلما ذهبت الى تلك البقعة التى لانظير لها فى مصايف العالم الاخرى بتوقل الجبال والتصعيد فيها. فزرت مرة ظهر القضيب — تلك القمة التى تشرف من الشرق على سهل البقاع والجبل الشرقى وحرمون، ومن الغرب على البحر من بيروت الى اللاذقية، وعلى اطراف سهول عكار وجانب من بلاد العلويين. أما فى الصيف الماضى فانى عولت على الصعود الى القرنة السوداء التى هى أعلى قمم لبنان اذ يبلغ ارتفاعها ٣٦٠٠ متر عن سطح البحر فهى أعلى من فم الميزاب ومن ظهر القضيب (٣٢٠٠ متر)

وساعدنى الحظ وأنا فى فندق الارز بالاجتماع بالدكتور حنا رحمة بك حكيمباشى البوليس فى مصر فوجدته أعظم منى شغفا بحب الطبيعة هناك وبتوقل الجبال وأعظم خبرة ببأديها وخافيها. فلم يطل بنا الامر حتى عزمنا على الذهاب معا الى القرنة السوداء وقررنا ان يكون صعودنا اليها يوم ٢١ اغسطس فاعددنا للامر عدته ونهضنا فى نحو الساعة الرابعة من صباح هذا اليوم وجىء الينا بالبغال للركوب، وأعد لنا الفندق ما يلزم لنا من الزاد فى الطريق وأخذنا ما نحتاج اليه من الدثار لتقى البرد الشديد

سرنا فى بادىء الامر متجهين شرقا الى فم الميزاب. وكان الهواء شديد الجفاف والبرودة يلسع الوجه لسعا. وما زلنا سائرين نتوقل الجبل فى طريق لا تكاد البغال تحسن سلوكه لولا انها اعتادت السير فيه، حتى بلغنا فم الميزاب بعد ثلاث ساعات. وكان يخيل الينا فى خلال الطريق اننا كالسنور الذى يتسلق شجرة ضخمة عالية. وكنا على طول الطريق نسير فى خط معوج ذات اليمين وذات اليسار لكى نتمكن من ارتقاء الجبل. وعندما بلغنا فم الميزاب طلعت علينا الشمس مكسوفة وكان البرد قد أخذ منا مأخذه وجمدت اصابعنا عن الحركة من شدة البرد، وجفت شفاهنا وكادت السنتنا تنعقد.

فنزلنا عن مطايانا واسترحنا قليلا وتناولنا شيئاً من الطعام . ثم استأنفنا السير إلى القرنة السوداء . فاستغرق وصولنا اليها نحو ساعة ونصف ساعة من الزمن

تختلف طبيعة الارض والمناظر اختلافا تاماً فى الشقة التى بين غابة الارز وفم الميزاب عنهـا فى الشقة التى بين فم الميزاب والقرنة السوداء . ففى الاولى يمر المرء فى بادىء الامر ببعض الاراضى الزراعية التى ينبت فيها القمح أو الشعير بعد أن يغمره الثلج أربعة أشهر من السنة فيخرج من الارض هزيلا. وبعد أن يفارق المرء هذه المنطقة يدنو من منطقة جرداء لا أثر فيها لغير الصخور والحجارة وتقع العين فى بعض الاحيان على رعاة المعز الذين يقضون الصيف فى تلك المرتفعات وترعى مواشيهم ما ينبت من الاعشاب القليلة بين الصخور . ولـكن عندما يفارق المرء هذه البقعة يصل إلى البقعة الجرداء القاحلة التى لايستطيع غير الطير أن يطرقها . وتظل هذه البقعة ممتدة حتى فم الميزاب . وقد أثر الثلج فيها مع توالى العصور تأثيراً كبيراً ففتت الصخور وحولها الى حجارة متفاوتة الحجم ، وتألفت من هذه الحجارة طبقة يزيد سمكها على متر واحد فى بعض الاحيان . فلو وقف المرء فى رأس الجبل وحاول النزول لوجد أن الحجارة تنهار تحت قدميه فيقطع مسافة طويلة فى انحداره بدون أن يأتى بحركة لان الحجارة تتدحرج تحته فتجرى به كالعربة . وقد خبرت ذلك بنفسى يوم زرت ظهر القضيب فى صيف سنة ١٩٣٠ واخترت هذه الطريقة فى النزول من الجبـل بدلا من سلوك الطريق التى جئت منها فـكانت الحجارة تنهار تحت قدمى وأنا واقف وتنقلنى نحو ٢٠ أو ٣٠ متراً إلى أسفل . وعندما كنت اهدأ بفضل تراكمها بعضها على بعض كنت أنقل خطوة اخرى فتنهار الحجارة ثانية وتنقلنى معها . وظللت أستخدم هذه الطريق المبتكرة من طرق المواصلات حتى دنوت من أسفل القمة وبلغت المنطقة الصلبة فتحولت إلى الطريق العادية

وعند ما يجتاز المرء فم الميزاب يجد أنه أمام واد عظيم فى رأس الجبل تحيط به قمم عديدة من اليمين والشمال . وكثير من هذه القمم يكسوه الثلج الابدى أو يتراكم على جوانبه . ولا يكاد المرء يقطع أمتاراً قليلة حتى يرى ذات اليمين وذات اليسار ثغرات واسعة يحتوى بعضها على الثلج ، فيدرك عند ذلك كيف تتألف الينابيع فى لبنان . ويعلم أن الثلوج التى تتراكم فى الشتاء يبدأ ذوبانها وانسياب مياهها الى ذلك « الوادى » فى رأس الجبل فى مستهل الربيع فتفتح المياه ثغرات فى الارض وتنساب الى قلب الجبل وتخرج من جوانبه المتعددة ينابيع تذيب فى طريقها مافى باطن الجبل من المعادن وتخرج باردة نقية تحمل الشفاء للشاربين

وكنت كلما دنوت من ثغرة اقف الى جانبها واتأمل فيها فتمر امامى بسرعة البرق المراحل التى تجتازها المياه منذ تبخرها الى أن تسقط ثلجاً على تلك القمم وتملأ تلك الثغرات وتذوب فيها وتغوص فى قلب الجبل وتخرج ينبوعاً صافياً من أحد جوانبه مخترقة فى باطنه دهاليز سرية وسط كنوز من المعادن لايعرف الانسان شيئاً عنها الا ما يذوب منها فى المياه . ويتراوح قطر فوهة الثغرة

بين مترين وستة أمتار . وكلما عمقت ضاقت . ومتى نفد منها الثلج لايبقى فيها سوى الحصى والتراب

وجميع الصخور والحجارة التي مررنا بها وتأملناها من النوع الجيرى فلا أثر فى الجبل للحجارة البركانية . على أننا عثرنا فى قمة القرنة السوداء على حجارة فى شكل أصداف كبيرة ، فان لم تكن الطبيعة قد كونتها تكويناً خاصاً جاء صدفة فى هذا الشكل فمن المرجح أنها أصداف متحجرة . وهذه الفكرة تقودنا الى القول بأن ذلك الجبل الشاهق كان فى أحد الأزمنة الغابرة فى قاع البحر

وتطل القرنة السوداء على سهول حمص حتى تدمر وعلى بلاد عكار وبلاد العلويين كلها . ومتى التفت المرء جنوباً رأى صنين . ولكنه يهزأ لاول مرة فى حياته بصنين لانه يشعر أنه فى مكان يعلو عليه . ومن القرنة السوداء يرى المرء جميع الروابي الجاثمة على قمة الجبل وهى تكاد تكون سلسلة موضوعة فى شكل اهليلجى ذى حلقات متعددة. وبين كل رابية وأخرى وهدة صغيرة يتراكم الثلج على جوانبها . فالثلج فى تلك القمم ليس متصلا بعضه ببعض فى زمن الصيف لانه يأخذ بالذوبان منذ بدء الربيع . وكلما مرت الايام عظم ذوبانه حتى يصبح فى أول الشتاء بقعاً منتشرة هنا وهناك يزيد عددها على العشرين ، ويتراوح طول كل منها بين ٢٠ و ١٠٠ متر وسمكها بين متر وعشرة أمتار

ومن المناظر التى تسحر الالباب منظر « نساف » من الثلج الى جانب القمة المجاورة للقرنة السوداء يزيد طوله على ٢٠٠ متر ويبلغ عرضه نحو ٦٠ متراً . وقد رأينا المياه تذوب من جوانبه وتنحدر إلى أسفل القمة ثم تتحول الى أسفل النساف وتفتح فيه ثغرة تشبه مغارة واسعة وتظل متجهة غرباً الى أن تصل بعد ثلاثين متراً الى مكان منخفض فى الارض فتغور فيه . وقد حاولت أن أتتبع ذلك الجدول فسرت محاذياً له ودخلت المغارة فوجدتها متسعة يزيد ارتفاعها على أربعة أمتار وسعتها على ستة أمتار . ولما بلغت المكان الذى رأيت المياه تغور فيه مددت قدمى فشعرت بالتراب يغوص تحتها فسحبتها فى الحال . ولما كانت المغارة متكونة فى قلب « نساف » الثلج فان المياه تقطر فيها على الدوام من الداخل وتزيد مجرى الماء الوارد من الخارج قوة وغزارة

وقد جلسنا الى جانب المياه وتناولنا الغداء وشربنا من ذلك الماء الطبيعي العذب واسترحنا نحو ساعة من الزمن ثم استأنفنا السير راجعين . وبلغنا الفندق بعد أربع ساعات من السير المتواصل ووجدنا عند وصولنا أننا لم نشعر بالتعب العظيم الذى كنا نتوقعه لان جودة الهواء عوضت لنا كل مافقدناه من قوة فى الطريق . فوصلنا الفندق ونحن اعظم نشاطا مما كنا عند ما تركناه

وهأنذا أكتب وصفا وجيزاً لهذه الرحلة بعد ان مضى عليها نحو سنة من الزمن ، ولكن لم يبرح من ذهنى شئ من جمال تلك البقاع ، ولا من لذة تلك الرحلة ولا من جودة الهواء . وأظننى مازلت محافظا على جانب عظيم من النشاط الذى كسبته باقامتى بضعة عشر يوما فى ظلال الارز

توفيق اليازجي

الليالى الفاطمية

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

[في هذا الفصل يرى القارىء طرفاً مما انتهت اليه الحياة الاجتماعية المصرية في عصر الدولة الفاطمية من البذخ والترف والبهاء ، ويشاهد كيف كان الفاطميون يعنون بمواسمهم واعيادهم ويبالغون في الاحتفال بهذه المواسم والاعياد باقامة المآدب والحفلات الشائقة التي تنم عما كانوا عليه من ثروة ضخمة]

كان عصر الدولة الفاطمية بمصر من أزهر العصور ، يجتمع فيه كثير من أسباب القوة والعظمة والبهاء . وكانت هذه الدولة الشامخة التي قامت تمثل زعامة الاسلام والخلافة فى ظروف دينية وسياسية خاصة ، أشد الدول الاسلامية حرصاً على أن تطبع الشعب والمجتمع بطابعها الخاص ، وان تصوغ روح الشعب وعقليته وتفكيره وحياته العامة والخاصة وفقا لمناهجها الخاصة ، فنرى الحياة الاجتماعية المصرية فى العصر الفاطمى تتخذ صوراً ومظاهر خاصة ، وتتقلب بين ألوان من البذخ والترف والبهاء قل أن نجدها فى عصر آخر من عصور مصر الاسلامية . ونراها أحيانا تمتاز بألوان من الغرابة والشذوذ والاغراق المدهش . وقد كانت هذه الحياة الاجتماعية الباهرة الشاذة معاً فى ذاتها مرآة للدولة الفاطمية ينعكس عليها كثير مما امتازت به هذه الدولة من القوة والفخامة والبهاء والاغراق فى بعض مناهجها السياسية والدينية والعقلية . ويرجع هذا التطور العميق فى الحياة المصرية الاجتماعية فى العصر الفاطمى الى عصر المعز لدين الله ذاته مؤسس الدولة الفاطمية فى مصر وأول خلفائها فيها . فقد شهد الشعب المصرى يومئذ من قوة الخلافة الجديدة وفخامة رسومها وفيض بذخها ما بهره وأثار اعجابه . وكانت مواكب الخلافة الفاطمية ، وحفلاتها الرسمية والشعبية ، أياما مشهودة تثير فى المجتمع القاهرى كثيراً من الجلال والروعة وتمده بكثير من دواعى البهجة والسرور ، وحتى فى عصر الحاكم الذى امتاز بكثير من صنوف الاضطهاد والشذوذ . نرى أثر هذا الطابع الفخم المرح فى كثير من ألوان الحياة الاجتماعية المصرية

كانت الحفلات والمآدب والليالى الفاطمية مواسم وأعياداً شعبية حقة ، وكانت القاهرة أثناء هذه الحفلات والمواسم تبدو فى حلل بديعة من الزينة والانوار الفخمة . وقد نتصور ونحن نتلو ما كتبه مؤرخون معاصرون مثل ابن زولاق والمسبحى وابن المأمون فى وصف هذه المشاهد وجمالها وبذخها ، انها ليست من مشاهد العصور الوسطى وانها بالعكس خليقة بأعظم مشاهد العصر الحديث وأروعها (١) وكانت المواكب الرسمية الفاطمية فى مقدمة هذه المشاهد والمظاهر الباذخة ، فكان

---

(١) راجع شذوراً من وصف ابن زولاق للمواكب والحفلات الفاطمية فى كتاب « اتعاظ الحنفاء » للمقريزي حيث يقتبس كثيراً من كتاب ابن زولاق عن المعز لدين الله . وهو أثر لم يصل الينا . وأيضاً فى

ركوب الخليفة يوم الجمعة وفى الاعياد الرسمية كيوم رأس السنة الهجرية ويوم عاشوراء والمولد النبوى الكريم ومولد على بن أبي طالب ومولد ولديه الحسن والحسين ومولد السيدة فاطمة الزهراء التى ينتسب اليها الخلفاء الفاطميون وليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه ، وغرة رمضان ، وموسم عيد الفطر ، وموسم العيد الاضحى ، ثم الاعياد الرسمية الاخرى كفتح الخليج ويوم النيروز ، من المواكب والايام المشهودة التى يهتز لها الشعب ويعم فيها السرور والبهجة والعطاء والسعة . وفى عصر الحاكم بأمر الله ثالث الخلفاء الفاطميين بمصر ، بلغت المشاهد والليالى الفاطمية حداً كبيراً من الاغراق . وكان الحاكم مضطرب الاهواء والنزعات . فكانت هذه الاعياد والليالى التى أريد بها ان تكون للناس مواطن حبور ومتعة ، تغدو فى كثير من الاحيان نقمة على الشعب القاهرى . وبينا يتخذ الحاكم حينا من الليل موعداً لمجالسه وموعداً لركوبه وطوافه يشق خلاله أحياء القاهرة وشوارعها ، وبينا يجعل الشعب القاهرى كخليفته من الليل وقت العمل والتعامل . وتبدو القاهرة فى تلك الليالى شعلة من الانوار ، وتزدهر فيها مواطن السمر واللهو والعبث ، وتنفق فى أسواقها ومنتدياتها الاموال الوفيرة فى المآكل والمشارب وأسباب المتعة ، اذا بالحاكم ينقلب فجأة فيلغى الركوب فى الليل ، ويأمر بمنع السمر واللهو والغناء واغلاق دور اللهو ، ويمنع الناس من الخروج ليلا منذ العشاء الى الفجر . فتسود السكينة والظلام أحياء القاهرة وتبدو اذا دخل الليل كأنها مدينة محصورة . واذا به يمنع النساء من الخروج والسفور فتغيض البهجة من المجتمعات وتسود المدينة وحشة قاتمة . ثم اذا به يعود فجأة الى تنظيم المواكب الليلية ويبيح للشعب ما حظر عليه من قبل ، وهكذا (١) . على ان عصر الحاكم بأمر الله كان فترة غير عادية تميز بما كان يغلب على الحاكم نفسه من ألوان الاغراق والشذوذ . فلما انقضى عادت الايام والليالى الفاطمية الى سابق انتظامها وبهائها

وكانت الاعياد الدينية الرسمية فى عهد الدولة الفاطمية عديدة كما قدمنا . ومنها أعياد خاصة بالخلافة الفاطمية شرعت لغايات دينية وسياسية خاصة ، كالاحتفال بمولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومولد ولديه الحسن والحسين ، ومولد زوجه السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبى ، ويوم عاشوراء أو عاشر المحرم وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على فى كربلاء (سنة ٦١ هـ) . وكان الخلفاء الفاطميون يبالغون فى الاحتفال بهذه الاعياد باقامة المآدب والحفلات الشائقة ويكثرون فيها من البذل والعطاء .

خطط المقريزي حيث يقتبس منه في وصف الاعياد الفاطمية . وراجع شذوراً من تاريخ المسبحي (وقد ضاع أيضاً ولم يصل الينا) في الخطط ، وكذلك شذوراً من تاريخ ابن المأمون ، في وصف مشاهد الدولة الفاطمية وبذخها (الخطط – مصر – ج ٢ – ص ٢٥٥ وما بعدها من الفصول)

(١) راجع طرفا من تقلبات الحاكم بامر الله في مسائل الحظر والاباحة واصدار القوانين والاوامر الشاذة وتنظيم مواكب الليل ثم الغائها في خطط المقريزى – مصر – ج ٤ – ص ٦٨ وما بعدها

ويحتفل بها الشعب كله ويتخذها أيام حبور وبهجة الا يوم عاشوراء فقد كان يتخذ يوم حزن يعمل فيه سماط كبير يسمى سماط الحزن . ولم تكن غاية الخلافة الفاطمية أن تتخذ من هذه الاعياد الخاصة وسيلة لكى تغمر الشعب بوابل من الحفلات والمآدب الشائقة ، تبهره وتثير فيه عواطف الاعجاب والعرفان فقط ، ولكنها كانت ترمى الى غاية أبعد ، هي التأثير فى روح الشعب وعقليته وتوجيهه إلى مايلائم خطط السياسة الفاطمية وغاياتها ، وغرس المبادىء الشيعية في نفسه بوسائل عملية . وقد نجحت الخلافة الفاطمية فى تلك السياسة إلى أبعد مدى واستطاعت غير بعيد أن تطبع الشعب المصرى بطابع قوى من التشيع والولاء للدعوة الشيعية استمر زهاء قرنين

وكانت المآدب الفاطمية من الاحداث الاجتماعية الشهيرة فى هذا العصر ، وكان القصر الفاطمى يعنى بتنظيم المآدب والاسمطة الرسمية عناية خاصة ويبالغ فى تجهيزها وتنميقها . وكانت هذه المآدب تقام فى ليالى الاعياد الرسمية ، ومنها مآدب رمضان . ففى كل مساء من مستهل رمضان حتى السادس والعشرين منه تقام المأدبة الملكية فى البهو الكبير (الايوان) ويرأسها قاضى القضاة ويشهدها مئات من الامراء والكبراء . وفى يوم عيد الفطر ثم فى يوم الاضحى تقام مأدبة ملكية رسمية كبرى يشهدها ويرأسها الخليفة بنفسه . وقد وصف لنا ابن الطوير بعض مناظر هذه المآدب أو الاسمطة الفاطمية الشهيرة فى قوله : « فاما الاول (أعنى السماط) من عيد الفطر فانه يعبى فى الليل بالايوان قدام الشباك الذى يجلس فيه الخليفة فيمد مامقداره ثلثمائة ذراع فى عرض سبعة أذرع من الخشكنان والفانيذ والبسندود المقدم ذكر عمله بدار الفطرة . فاذا صلى الفجر فى أول الوقت حضر اليه الوزير وهو جالس فى الشباك ومكن الناس من ذلك الممدود فأخذ وحمل ونهب . . . » . وبعد ركوب الخليفة للصلاة والعود الى القصر يقام سماط الطعام على مائدة كبيرة من الفضة تمد طول القاعة الكبرى (الايوان الكبير) فى عرض عشرة أذرع وتجهز بآنية الفضة والذهب وتزين بالازهار ، وتجهز بأروع وأشهى الاصناف ويشهدها نحو خمسمائة من الامراء والكبراء . وهنا نحيل القارىء على ما كتبه ابن الطوير فى وصف تلك المآدب الباهرة ، وما كانت تمتاز به من البذخ والاناقة والبهاء مما لا يكاد يضارعه شىء فى المآدب الملكية أو الرسمية فى عصرنا (١)

ومن الليالى الفاطمية الشهيرة ليلة فتح الخليج أو وفاء النيل . وهو عيد قومى كان يحتفل به دائماً فى جميع الدول الاسلامية . ولكنه كان كباقى الاعياد فى هذا العهد يمتاز بكثير من الرونق والبهاء ، فيركب الخليفة الى الخليج فى موكب فخم ، وينصب هناك سرادق هائل تبلغ مساحته نحو الف الف ذراع ، وتنصب فيه قاعة الخلافة . وتوزع الكسوات والهبات الملكية ، وتصطف المشارى (السفن) الرسمية فى النيل . وتصطف الجنود على الشاطئين . وعند ما يعلن وفاء النيل الى الخليفة

(١) نقل المقريزي أقوال ابن الطوير في خططه — ج ٢ — ص ٢١٩ — ٢٢١

تقام عند المقياس مأدبة ليلية حافلة . ويحتفل الشعب القاهرى كله بهـذا العيد . وتقام المآدب وتنظم الملاهى ومجالس الانس والغناء فى كل مكان ويعم الحبور والمرح . ومنها ليالى الوقود الاربع وهى ليلة مستهل رجب وليلة نصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه، يخرج فيها الناس الى الجامع الازهر ، ويبدو الجامع فيها كأنه شعلة من النور . وتضاء على حافاته المشاعل والوقدات الساطعة ويعقد فى صحنه مجلس حافل من القضاة والعلماء برآسة قاضى القضاة ، ويبعث الخليفة اليهم بسلال من الاطعمة والحلوى . وتضاء المساجد الاخرى وتبدو القاهرة كلها فى حلل بديعة من الانوار الساطعة.

وكانت ثمة أعياد رسمية أو قومية أخرى كانت أحياناً تقام فى وابل من البذخ والمرح وأحيانا تفرض فى اقامتها قيود معينة ، ذلك لانها لم تكن أعياداً اسلامية أو خلافية . ومن ذلك عيـد النيروز (النوروز) القبطى وعيد الغطاس النصرانى . وقد فرضت فى أوائل الدولة الفاطمية قيود كثيرة على اقامة النيروز والغطاس . وكان يحظر فيهما الوقود أحياناً ثم رفع هذا الحظر فى أواخر الدولة الفاطمية فكان يحتفل بهما فى وابل من الوقود والنيران والضجيج والمرح

وكان الخلفاء الفاطميون يشهدون فى معظم الاحيان هذه الحفلات والليالى ، ويعقد الحفـل الخلافى فى احدى المناظر الملوكية الفخمة التى أقيمت فى عدة جهات بالقاهرة فى القصر الكبير والجامع الازهر وعلى شاطىء النيل وفى جهات أخرى . فكان حضور الخليفة بموكبه الرسمى الباذخ يبث فى هذه الحفلات والليالى كثيراً من البهاء والروعة ، ويبث فى نفوس الشعب كثيراً من الحماسة والابتهاج . وكان حضور الخليفة يقترن دائماً بوابل من البـذل والعطاء الذين امتازت بهما الدولة الفاطمية طوال عصرها

* * *

هذه لمحة سريعة فى وصف الاعياد والليالى الفاطمية . وقد نقل الينا المقريزى عن مؤرخى الدولة الفاطمية الذين شهدوا فخامتها وبذخها فصولا رائعة عن هذه الحفلات والليالى الباهرة وهى فصول تذكى الخيال الى الذروة ، وتبدو كأنها قصص مغرق مما نقرأ فى قصص « الف ليلة وليلة » . وقد كانت القاهرة بلد الفاطميين ومعقل دولتهم ودعوتهم يومئذ عروس الاسلام بحق ، وكانت تفوق فى الفخامة والعظمة والبهاء كل عواصم الاسلام فى المشرق والمغرب ، وكانت الدولة الفاطمية أكثر الدول الاسلامية يومئذ فتوة وقوة وغنى . وكان هذا البذخ الذى يتجلى فى كثير من نواحى الحياة الاجتماعية المصرية فى هذا العصر دليلا على ما انتهت اليه هذه الدولة من مراحل التقدم والحضارة والترف . وقد فقدنا كثيراً من تواريخ هذا العصر وآثاره ، ولكن القليل الذى انتهى الينا منها يكفى لتصوير ما انتهت اليه الخلافة الفاطمية من العظمة والروعة والبهاء

محمد عبد الله عنان
المحامى

المارستانات في التاريخ

وكيف كانوا يعالجون المجانين

البيمارستان أو المارستان كلمة فارسية مركبـة من « بيمار » (أو « مار ») أى مريض ، و « ستان » أى موضع . وتطلق على المكان الذى يعالج فيه المصابون بالأمراض العقلية . وقد كانت المارستانات فيما مضى أشبه بالسجون منها بالمستشفيات ، وكان الذين يحشرون فيها يعاملون بأشد ضروب القسوة والعذاب

ليست المارستانات حديثة العهد بل هى قديمة وجدت منذ أكثر من سبعمائة سنة ولكنها لم تصل إلى نظامها الحالى إلا منذ عهد قريب أى منذ منتصف القرن التاسع عشر . ولم يكن قطر من أقطار العالم فى العصور المتوسطة يخلو من مارستان أو موضع يحشر فيه المجانين . وكان الناس فى ذلك العهد - حتى العقلاء منهم - يعتقدون أن المجانين هم أشخاص حلت فيهم الأرواح الشريرة وتسلطت عليهم وصارت تسيرهم ، ولذلك كان الأطباء يعالجون أولئك المساكين طبقاً لما يقتضيه هذا الاعتقاد . أى أنهم كانوا يعذبون المجانين ويتفننون فى القسوة عليهم بحجة طرد الشياطين والأرواح الشريرة منهم . وكثيراً ما كان المجانين يطرحون فى غيابات السجون راسفين بالسلاسل والأصفاد

أما المصابون بضرب خفيف من الجنون فكانوا حتى أواسط القرن الثامن عشر يعاملون معاملة أدعى إلى الرأفة ، إذ كان يعهد إلى الجماعات الدينية فى العناية بهم والاهتمام بأمور معيشتهم ، وفى بعض الأحوال كان أولئك المجانين يتركون مطلقى السراح يعيشون فى القفار أو الغابات لا يخشى أحد أذاهم . بل لقد كان الناس ينظرون اليهم بعين الهيبة والخشوع ويعتبرونهم من أولياء الله . أما الذين يخشى شرهم فكانوا يقيدون ويزج بهم فى السجون . ولذلك كنت ترى معظم السجون فى تلك العصور غاصة بالمجرمين والمجانين معاً ، وكلا الفريقين راسف بالقيود والاصفاد . ولم يتم فصل إحدى الطائفتين عن الاخرى إلا بعد ذلك بزمن . فصار المجانين يرسلون الى الأديار التى كان الرهبان قد شرعوا فى الخروج منها . ومن أقدمها « دير بدلام » (بيت لحم) بانجلترا وكان قد أنشىء سنة ١٢٤٧ ديراً لرهبان « نجم بيت لحم » وراهباته وقد أعيد بناء هذا الدير سنة ١٦٧٦ وجعل مستشفى خاصاً بالمجانين

وفى أواخر القرن الثامن عشر قام طبيب فرنسى يدعى بينيل (Pinel) وأخذ يدعو الى الرفق بالمجانين فى جميع أنحاء العالم والى وجوب معالجتهم على وجه يتفق ومقتضيات الانسانية .

وكان قد زار المجانين فى مارستان سالبتريير وبيستر بباريس فرآهم يعـــانون أشد صنوف الاضطهاد ومعظمهم راسفون بالاصفاد الحديدية كأنهم شر أنواع المجرمين . ومع أن أوربا كلها بوجه عام وفرنسا بوجه خاص تأثرت بدعوته واشمأزت من وصفه لما كان المجانين فى ذلك العهد يعانونه ، فان حالة أولئك البائسين ظلت على ما هى عليه فى جميع أنحاء اوربا الى ان كانت سنة ١٨٣٨ اذ بدأت الحكومة الفرنسية تشعر بوجوب الاصلاح وازالة الظلم الواقع على المجانين . ومنذ ذلك العهد بدىء بنقل المجانين من السجون الى ملاجىء ومستشفيات بنيت لهم خاصة وكان ذلك فى الواقع بدء عهد جديد فى معاملة المصابين بالامراض العقلية . والفضل فى ذلك كله عائد الى فرنسا

وكان التحسن فى أساليب معالجة المجانين بطيئاً . وفى الواقع ان هذا التحسن لم يصبح محسوساً الا فى اواسط القرن التاسع عشر . فان تحويل السجون والملاجىء التى كان يحشر فيها المجانين الى مستشفيات خاصة بالامراض العقلية لم يتم الا حوالى منتصف ذلك القرن . وفى الوقت الذى بدأ فيه ذلك التحسن واتخذ وجهة جديدة أخذ ميل الاطباء والحكومات يتجه الى التمييز بين انواع الامراض العقلية بقصد التفرقة بين المصابين ، وانشاء ملاجىء أو مستشفيات خاصة بكل طائفة منهم . فنشأت فى انحاء اوربا المختلفة مستشفيات للمصابين بالجنون الحاد ، واخرى للمصابين بالجنون المزمن وغيرها للمصابين بالجنون الاجرامى أو للمترهين أو للمصابين بضعف العقل وهلم جرا . ثم ان هنالك مستشفيات للمجانين من الاغنياء وغيرها للفقراء . وبعضها شعبى والبعض الآخر تشرف عليه الحكومات او الجماعات الخيرية يساعدها فريق من مهرة الاطباء الاخصائيين

وقد وصلت المارستانات الحديثة الى درجة من حسن النظام هى من مفاخر المدنية الحاضرة وزالت شوائب العهد العتيق يوم كان المجانين يعاملون معاملة المجرمين فتقيد ايديهم وارجلهم بالسلاسل ويزج بهم فى غيابات السجون . واصبحت المارستانات تعتبر مستشفيات بالمعنى الحقيقى ، فيها الغرف المستوفية لجميع شروط الصحة ، وبعض تلك الغرف ينام فيها شخص واحد وبعضها ينام فيها غير واحد . وقد ارتقت فيها وسائل المعالجة حتى بلغت حداً بعيداً من الاتقان . وفيها عدا ذلك حدائق ومتنزهات ووسائل للرياضة والتسلية والراحة العقلية والجسمية

ولعل أقرب المارستانات الى الكمال هى الموجودة اليوم فى المانيا ، فانها قائمة على احسن النظم العلمية مقرونة بأرقى مبادىء الانسانية . وخير هذه المارستانات وافضلها من كل وجه مستشفيات صغيرة للمصابين بالامراض العقلية الحادة . وفى كل بلدة يزيد عدد سكانها على خمسين ألفاً مستشفى من هذا النوع فضلا عن مستشفيات خاصة للمصابين بالجنون المزمن . والاخيرة أشبه ببيوت قائمة فى وسط مزارع جميلة وحدائق غناء يجد فيها المرضى جميع وسائل الراحة والهناء ويراقبهم اطباء اخصائيون ـ ومع ان المرضى الذين يوضعون فى هذه المستشفيات هم من النوع

الذى لا يرجى شفاؤه فان الاطباء المعهود اليهم فى المعالجة يواصلون العمل كأنهم غير يائسين من شفاء أولئك المرضى ويبدون فى القيام بهذه المهمة جميع ضروب الرأفة والعناية والاهتمام

ومما يدل على اتجاه الافكار الى الناحية الانسانية من معالجة المجانين وضعاف العقول أنك تجد اليوم فى جميع انحاء العالم المتمدن ملاجىء ومستشفيات لا يعامل فيها أولئك البائسون الا بكل رأفة وتؤدة . ولمانشبت الحرب العظمى الماضية كان معروفاً من اول الامر أن بعض الجنود الذين سيخوضون غمرات الحرب ويخرجون منها سالمين قد يصابون بنوع من أنواع الجنون . لذلك قررت وزارة الحرب البريطانية منذ أول الحرب ألا تأذن بارسال أى جندى الى مارستان او ملجأ من ملاجىء الامراض العقلية الااذا ثبت على وجه لا يقبل الشك ان اصابته من النوع غير القابل للشفاء . أو إذا ثبت بعد معالجته اثنى عشر شهراً أنه لا أمل من شفائه . وقد اسفر هذا النظام عن احسن النتائج - الامر الذى حمل وزارة الصحة البريطانية على اعادة النظر فى نظام المارستانات من أساسه

ومما يجدر بالذكر أن بلدية لندن قد أنشأت مستشفى للامراض العقلية باسم « مستشفى مودزلى » وهو من أرقى المارستانات فى العالم ، والمعالجة تجرى فيه على أحدث النظم العلمية . وسبب تسمية هذا المستشفى باسم « مودزلى » هو ان طبيباً انجليزيا مثريا يدعى الدكتور هنرى مودزلى وقف مبلغا كبيراً من المال على بنائه من جيبه الخاص . وفى هذا المستشفى مائة وخمسون سريراً . وجميع المعدات اللازمة لايواء المصابين من الرجال والنساء . وهواليوم من المستشفيات التابعة لجامعة لندن . وتلقى فيه « محاضرات » طبية فى معالجة الامراض العقلية ويطبق فيه العلم على العمل

ثم ان لمعظم مستشفيات لندن اقساماً خاصة بالامراض العقلية الا أنها لاتقبل المصابين فى القسم الداخلى ، بل ترسلهم - اذا اقتضى الامر - الى المارستانات أو الملاجىء الخاصة بهم

* * *

ويمكننا ان نقول بوجه الاجمال ان جميع المارستانات فى بلاد الغرب تجرى اليوم على نظم متماثلة من حيث تقسيم الجنون الى أنواع - منها الخطر ومنها غير القابل للشفاء ومنها الذى يرجى شفاؤه . وأكثر هذه المارستانات خاضع لاشراف الحكومات . والصفة البارزة فى جميعها هى ناحيتها الانسانية

واذا نظرنا الى الولايات المتحدة نرى ان معالجة الامراض العقلية فيها تجرى فى الغالب فى مستشفيات خاصة غير واقعة تحت اشراف حكومى . ويتصل ببعض تلك المستشفيات مدارس خاصة لتعليم طب الامراض العقلية وتطبيق العلم فيها على العمل . على ان جمهور الشعب الاميركى

يميل اليوم الى انشاء مستشفيات مختلفة يختص كل منها بنوع من انواع الامراض العقلية . وقد أنشأت حكومات الولايات بعض المستشفيات العامة للطبقة الوسطى من الناس . أما الاغنياء فليس لهم مارستانات خاصة . على ان هنالك عدة مدارس طبية لتعليم الطب العقلى ولمعالجة الأمراض العقلية

• • •

والجنون كما لايخفى انواع ودرجات مختلفة وهو ينشأ عن أسباب متنوعة يصعب حصرها فى مثل هذه العجالة . وأهم تلك الانواع الآتية :

(١) السفه والعته

(٢) جنون الشيخوخة (الخرف) وهو الناشىء عن كبر السن

(٣) جنون السكر ـ وهو الناشىء عن ادمان المخدرات والمشروبات الروحية على انواعها

(٤) الجنون الناشىء عن شلل بعض مراكز الدماغ

(٥) الجنون الناشىء عن الصرع

(٦) الجنون الناشىء عن الوراثة

وهنالك انواع اخرى لايتسع لها هذا المجال . والاتجاه الحديث فى معالجة أمراض الجنون يقضى بانشاء مستشفيات خاصة لكل نوع من هذه الانواع . والظاهر أن بعض علماء الامراض العقلية ينكرون أن ادمان المخدرات والمشروبات الروحية سبب مباشر للجنون . ويقولون ان ذلك الادمان هو على الارجح عرض من أعراض الجنون أو ـ على الاقل ـ ان العلاقة بينه وبين الجنون ضعيفة فيجب ألا يبالغ فيها

ويعتقد آخرون أيضاً أن الجنون الوراثى قليل جداً لايعتد به إلا اذا شملت الوراثة كلا الوالدين أى إذا كان كل منهما من أبوين مصابين بضعف العقل

ومن الصعب جداً تعريف الجنون علمياً . فضعف العقل يتدرج حتى يصل الانسان الى حالة لا يستطيع معها أن يدرك الضار من النافع . وهذا دليل على ان ضعف العقل درجات . ومن الصعب جداً ان تقول أين ينتهى العقل ويبدأ الجنون مع أن هذا التمييز مهم جداً من وجهة القانون . وكثيراً ما اختلف المشترعون على تحديد الجنون

ومما يجدر بالذكر أن الاقدمين كانوا ينظرون الى المجانين بعين الهيبة والخشوع . ولا تزال بعض امم الشرق تنظر اليهم هذه النظرة وتحسبهم قديسين من « الأولياء » . ويقول بعض علماء البسيكولوجيا ان العبقرية والجنون كثيرا ما يلتقيان عند نقطة مشتركة بحيث يصعب التميز بينهما . وهذا هو السبب فيما نشاهده أحياناً من غرابة اطوار بعض العلماء . فديوجينس الفيلسوف اليونانى المشهور الذى عاش من سنة ٤١٣ الى سنة ٣٢٣ قبل الميلاد كان من أغرب الناس اطوارا إذ كان

يعيش فى برميل ويسير فى الشوارع حاملا مصباحاً فى رابعة النهار ، ويقول للذين يسألونه عن سبب ذلك إنه يبحث عن انسان . ولو كان عائشاً بيننا اليوم لحسبناه مجنوناً لا محالة . وأمثال ديوجينس فى التاريخ كثيرون تشف أعمالهم عن غرابة أطوار هى أقرب الى الجنون منها الى العقل . ولو اعتدى ديوجينس على أحد بالضرب مثلا لقيل انه مجنون لا محالة . فكأن الحد الفاصل بينه وبين الجنون هو الاعتداء على الغير . وهو حد غير صريح ولا يصلح للتفرقة بين حالتين متناقضتين هما التعقل والجنون

ولعلنا لانخطىء إذا قلنا إن تقدم المدنية وازدياد نسبة المجانين فى العالم يسيران معاً . وقد لايصعب أن ندرك العلاقة بين الاثنين . والاحصاءات التى يوثق بها تدل على أنه كلما ارتقت المدنية زادت نسبة الجنون . وليس فى الأمر غرابة إذا تذكرنا شوائب المدنية وازدياد مشاغلها واهتمام الانسان بجميع مظاهرها . ويقول بعض علماء الاجتماع إن الجنون الناشىء عن أسباب المدنية يصيب الرجال والنساء على حد سوى ويحدث غالباً ما بين العقدين الثالث والرابع من العمر . وهو يزداد غالباً فى البلاد الحارة حيث تنتشر الملاريا والدوسنطاريا والحميات المختلفة فتساعد على نهك قوى الجسم واضعاف العقل . ويقال انه عندما يصل المرء الى طور البلوغ تحدث داخل الجسم بعض التغييرات الكيميائية التى تعرض الانسان للجنون كما ان الوصول الى سن الشيخوخة يضعف قوى العقل ويرجع بالانسان إلى مستوى عقلى لايختلف كثيرا عن مستوى عقل الطفل . والملاحظ فى أكثر مارستانات العالم أن عدد من فيها من المجانين الطاعنين فى السن قليل جدا نسبياً

س .

ضرر القوة

الضعفُ أمجد نسبةٍ من قوةٍ ... تفضى إلى الإضرار بالمخلوقِ
كالحرب يوقدها الملوك طماعة ... في نهب أوطانٍ وسلْب حقوقِ
وإذا القُوى برزتْ لفتح ممالك ... سدّتْ على العمران كل طريقِ

مرسي شاكر الطنطاوى

أثر المدنية في تطور الغذاء*

بقلم الاستاذ عبد الله صدقي
أستاذ الكيمياء بمدرسة مشتهر

تطور الغذاء تطوراً عظيما منذ العصور القديمة التى كان يعيش فيها الانسان كالحيوان البرى يقتات بالثمار والحبوب والجذور ، ثم تنوع غذاؤه بالعثور على العسل والبيض ، وبالاتجاه إلى صيد الاسماك والحيوان الصغير . وتقدم الانسان فتوصل بذكائه ومهارته إلى تحسين سلاحه فأمكنه اصطياد الحيوان الكبير ، وشعر بحاجته للدفء فاكتشف طريقة اشعال النار . ولاحظ ان بعض الاغذية عند وضعها مدة فى النار تصبح أسهل تناولا وهضما فصار يتناولها مطبوخة

وقد استعان الانسان بآلاته الاولية البسيطة فى حرث الارض وزراعة النبات الذى يمده بالاغذية المحببة الى نفسه ، وبذا أصبح لا يعتمد فى غذائه على مجرد المصادفة ، بل أخذ فى اختزان بعض حبوبه للموسم التالى . وبدلا من أن يتكل على حظه فى الصيد للحصول فى كل مرة على اللحوم اللازمة له ، أخذ فى استئناس الحيوان وتربيته ليزوده بما يحتاج اليه من اللحم واللبن والبيض . وعندما لحظ ان محصولاته أنهكت الارض عمد الى الهجرة مع قطعانه ليفلح أرضا أخرى . وبهذه الطريقة أصبح المورد الغذائى للانسان أكثر ضمانا وازداد النوع الانسانى تكاثراً

على أن المورد الغذائى اذا كان مضمونا فى بعض المناطق ، فان الاقاليم الشمالية الباردة كان يضنيها الشتاء خصوصاً عقب الموسم المجدب . فأصبح من المتعذر إيجاد مرعى للحيوان أثناء تلك الشهور الزمهريرة ، ولهذا تحدد عدد الحيوان فيها واقتصر أهل تلك البلاد على تربية أجودها وأكثرها انتاجاً . وكانوا فى مدة الخريف يعمدون الى ذبح معظم الحيوان وتمليح لحومه أو تدخينها حفظا لها من التلف لاستهلاكها فى الشتاء . إلا أنهم لم يجدوا فى تلك الاغذية المملحة والمجففة الفائدة المرجوة ، فقد ظهر مرض الاسقربوط بكثرة بين الطبقات المتوسطة فى تلك البلاد وتفشى فى لندن حتى كانوا يسمونه أحيانا « بمرض لندن » أما علية القوم وأشرافهم فكان صيدهم كفيلا بتزويدهم بما يحتاجون اليه من اللحوم الطازجة طوال مدة الشتاء . ولقد كان من نتيجة تقدم طرق المواصلات ان نزح سكان بعض البلاد عن بلادهم واستوطنوا غيرها ، وشنت بعض الممالك الغارة على الاخرى فنشطت حركة الاستعمار . ثم قامت البعثات الاكتشافية تجوب المناطق المجهولة ، فساعد ذلك فى انتقال الاغذية

---

* اعتمدنا فى هذا البحث على ما كتبه بليمر وأولسن

وتبادلها كما ساعد فى انتقال العادات من بلد لاخرى. فاستوردت الممالك الشمالية مايلزمها من بذور النبات التى تزرع فى المناطق الدافئة لتجربة زراعتها ، وكان من حسن حظ هذه الممالك أن بعض تلك النباتات نمت فيها بنجاح . فلم تكن فى انجلترا مثلا عادة أكل السلاطة الخضراء حتى أدخلتها الملكة كاترين زوجة هنرى الثامن لاستخدامها بستانياً هولاندياً . كما أن البطاطس الذى كان غذاء للخنازير ولم يكن يتغذى به من الانسان الا طبقة الفقراء المعوزين ، أصبح من الاغذية الهامة الشائعة التى يستهلك منها العالم مقادير وافرة . وكذلك أدخل البرتغاليون زراعة البرتقال فى ممالك البحر الابيض المتوسط فى القرن السادس عشر ، وأصبحت هذه الفاكهة بعد ذلك من الفواكه الشهيرة

ويمكن القول بأن نوع الغذاء صار الى أحسن حالاته من منتصف القرن السابع عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر ، فقد تقدمت الزراعة تقدماً محسوساً حتى أصبح لكل مملكة مورد طيب من الاغذية المتنوعة المزروعة فى بلادها . وازداد تنوع أصناف الغذاء باستيراد بعض الاغذية والفواكه من الممالك الاخرى وكان معظم الغذاء يؤكل طازجاً دون أن تدخل عليه تلك المؤثرات الضارة التى أدخلها جيلنا الميكانيكى والكيماوى فى غذائه

وقد شهد القرن التاسع عشر عدة تطورات فى نوع الغذاء الذى كان يستعمل فى معظم أنحاء العالم . وقد حدثت هذه التغيرات تدريجاً من غير أن نشعر بها ، حتى إن شيوخنا المسنين لم يلحظوا مطلقا ذلك التعديل الذى حدث فى غذائهم طوال حياتهم . فاذا ما تحدثنا أمامهم الآن عن الغذاء والفيتامينات يجيبوننا فى تهكم وسخرية : ونحن لم تكن نهتم مطلقا بتلك الفيتامينات عند ما كنا صغاراً ، ومع ذلك كنا نستمتع بصحة جيدة بدونها ، وفاتهم أنها متطوية فيما كانوا يتناولون من أغذية طبيعية لم تفقد شيئا من عناصرها الحيوية ، ولم تتلفها أو تغيرها تلك العمليات التجارية . كما أن أطفالهم لم تكن ترضع من الزجاجات بل كانت ترضعهم أمهاتهم أو مرضعاتهم

وكان السكر حتى عهد ليس ببعيد جداً احد الكماليات النادرة الوجود . ولم تبدأ صناعة السكر إلا فى نهاية القرن الثامن عشر حيث أمكن استخراجه من البنجر فى المانيا . فلما تقدمت صناعته بسرعة وتحسنت انخفضت أسعاره فزاد استهلاكه زيادة عظيمة ، وما زال استهلاكه فى زيادة مستمرة فى جميع الممالك المتمدنة . ويعتبر الامريكيون من أكثر مستهلكى السكر فى العالم ، وذلك لكثرة ميلهم للحلوى . ولقد كان من جراء الاسراف فى أكل السكر ان زاد انتشار مرضين من أفتك أمراض المدنية وهما : السرطان والبول السكرى . وفيما مضى لم تكن ثمة علاقة للمصنع بالغذاء الذى نتناوله ، أما الآن فقد تدخلت العمليات الصناعية بين الانسان وبين غذائه من نبات وحيوان . فأصبحنا نرى حانوت بيع المأكولات الحديث حاشداً بالعلب والصفائح التى أخرجتها المصانع ، وأصبحنا نأكل ما بداخلها دون أن نعرف شيئاً عما أضيف الى غذائنا أو سلب منه . فاذا فحصنا تلك المستحضرات المختلطة نجدها صبغت بالالوان الزاهية كى تشابه الالوان الطبيعية لتلك المواد .

فالنبات المحفوظ يصبغ باللون الأخضر الزاهى ، وعصير الفواكه باللون الأصفر أو الأحمر، والزبدة باللون الذهبي وهكذا

وكذا أغذية الحبوب قد عانت الكثير من اختراع آلة الطحن . ففى قديم الزمان كان محصول الحبوب الاساسى هو الارز وكان يدق باليد قبل استعماله ، كما أن القمح فى معظم البلاد كان يطحن فى الطاحون المحلى ولا يبعد من « ردته » الا جزء يسير . وقد اشتهرت جنود ذلك العهد باعتدال قاماتهم وقوة بنيتهم وحدة نظرهم وسلامة اسنانهم ، الا أن ذلك الغذاء الذى كانوا يتناولونه لو رأيناه لاستبشعناه ولاشمأزت نفوسنا منه . فقد كان حسبهم فى اليوم قدر من الحبوب تؤكل صحيحة كما نتجت ، أو تدق اذا سمح الوقت وتعمل خبزاً خشناً ، وكانوا فى حروبهم يعتمدون على لحوم الحيوانات الصغيرة التى تصادفهم فى الجبال . أما الآن فاى بون شاسع بين غذاء اولئك الجنود البواسل وبين الدقيق الأبيض الناصع واللحوم والخضراوات المحفوظة التى يتزود الجنود فى معسكراتهم البعيدة

فالمطاحن الحديثة تتنافس اليوم فى استخراج الدقيق الناعم الناصع البياض من تلك الحبوب السمراء ، وهى تتوصل إلى ذلك بالامعان فى عزل « الردة » والاجنة عنها ، فأصبحنا لا نأكل من الحبوب الا اللباب القليل أو العديم القيمة الغذائية ، وفقدنا بعزل الردة والاجنة من الحبوب أهم المواد الغذائية التى تحتويها

وقد أخذ عدد سكان العالم يتزايد ابتداء من القرن التاسع عشر واخترعت الآلات فتحولت بعض البلاد من زراعية الى صناعية وأصبحت الاخيرة فى حاجة الى من يمدها بالمواد الغذائية اللازمة لها فاعتمدت على استيرادها من البلاد الزراعية . ولهذا السبب طرأت عدة تغيرات على طبيعة الغذاء . أما الحبوب فلم يكن ثمة كبير عناء فى تصديرها ، وأما المواد الاخرى السريعة التلف مثل الفواكه واللحوم والاسماك والخضر فكان لابد من حفظها بتجفيفها أو تمليحها ثم تعبئتها فى العلب ، كما كان يستعان بالكيماويات فى حفظ البعض منها

وكان لاكتشاف البكتريا وطرق انتقال الامراض المعدية فى أواخر القرن الماضى وقعه السيء فى النفوس ، فقد شعرنا بأننا مهاجمون من جميع الجهات بتلك الجراثيم والطفيليات اللدود . وكان معروفا أن أسهل وسيلة لانتقال البكتريا الى الجسم هى عن طريق الغذاء . فكنا نحترس من أكل المواد الخام الطازجة مثل السلاطة والفواكه . وأصبح لابيضاض لون أغذية الحبوب عندنا دلالة على النظافة والخلو من الجراثيم ، وصرنا ننظر الى الحبوب السمراء بشيء من التوجس والخوف

ثم لوحظ أن تعقيم اللبن فى المدن كان له أثر واضح فى تقليل نسبة وفيات الاطفال بمرض الاسهال ، فبدأ القوم تعقيم المواد الغذائية للوقاية من بعض الامراض الاخرى الا أنها كانت تفقد بتعقيمها أهم عناصر الغذاء

كان يدور محور التفكير فيما مضى على أى الاغذية يمكن اعتباره جيداً ومفيداً وأيها يمكن

اعتباره ضاراً أو عسر الهضم ، الا أنه لم يمكن الاهتداء إلى نتيجة محققة قاطعة ، إذ كان اختيار الاغذية وما يزال يعتمد فى أساسه على موافقته للشخص أو استطابته لذوقه . وقد تمكن الفلاسفة وعلماء الكيمياء الحيوية فى غضون السنوات الثلاثين الاخيرة من بحث موضوع الغذاء والتغذية فاصبح الآن علما يرتكز على حقائق وتجارب قياسية دقيقة ، وأصبحت النتائج التى استخلصها البحث العلمى قابلة للتطبيق العام . وعلى الرغم من أن هذه النتائج ما زالت ناقصة ، الا أن هناك حقائق كافية معروفة يمكن الاسترشاد بها فى اختيار الغذاء الصالح

ولقد اثبتت التجارب أن مقاومة الانسان للامراض واستكماله للنمو يتوقفان اساسياً على الغذاء الذى يتناوله أكثر من أى عامل آخر . فالجسم المتزن البنيان حصن منيع ضد الاصابة بالجراثيم أو بالطفيليات الكبيرة مثل الديدان المعوية . وللاحصائيات التى قد يسخر منها البعض أهمية عظمى فى استخلاص العوامل العدة التى لها علاقة بصحة الناس وغذائهم وعاداتهم فى جميع انحاء العالم ، وهى تلقى ضوءاً ساطعاً على منشأ الامراض الخاصة ببعض الامم المتمدنة

فالانسان المتمدن ليست له غريزة اختيار ما يصلح له من نوع الغذاء . فكونه يميل الى بعض الاغذية ولا يميل إلى البعض الآخر لايمكن اعتباره مرشداً يركن اليه ، وبخاصة بعد أن غمرته تلك المنتجات التى تقدم اليه فى شكل جذاب . ولو أردنا الآن أن نجد أناسا يتمتعون بصحة جيدة وتركيب جسمى متين وبنية قوية ، فعلينا أن نبحث عنهم فى تلك الاركان المنعزلة من العالم حيث اضطرهم الانعزال الجغرافى أو اضطرتهم التقاليد الدينية أن يثبتوا على غذائهم الأول الذى كان غذاء آبائهم وأجدادهم من قبل . فتراهم يأكلون الحبوب الكاملة والفواكه والخضراوات الطازجة مع كمية لابأس بها من اللبن والزبد ومع قليل من اللحم أو بدونه ، وتراهم قد اكتسبوا بهذا الغذاء الصحة الجيدة والعمر المديد . فهم لايشكون تلك الامراض التى تصيبنا الآن ، والتى يحق لنا أن نسميها أمراض المدنية . فلسنا نجد بينهم مثلا من يشكو الامساك أو عسر الهضم أو الالتهاب المعدى أو المعوى ولا من يشكو المغص أو الزائدة الدودية أو حصى المرارة أو الروماتزم أو السرطان أو البول السكرى . بينما هم يعيشون تحت وطأة ظروف قاسية ، وقد يتعرضون فضلا عن ذلك للرطوبة وللبرد القارس والقيظ الشديد . وقد شوهد أن الاوربيين الذين يستوطنون تلك الاصقاع يكونون أكثر اهتماماً بمسكنهم ونظافتهم ، ومع ذلك فهم يعانون فتك الامراض السالفة الذكر ويموتون بكثرة ضحية السرطان . ولقد استنتج الاطباء الذين قضوا عدة سنوات فى دراسة هذه المناطق أن حالة أهلها الجيدة والحالة المرضية للمستوطنين الاوربيين مرجعها اختلاف الغذاء . فالاوربيون هناك لا يقنعون بالغذاء المزروع فى بلادهم بل يستوردون الدقيق الابيض والسكر . ولو أن أهل تلك البلاد تحولوا إلى المأكولات التى يستوردها الاوربيون منهم لعانوا نفس الامراض ولما استمتعوا بعد ذلك بتلك الصحة المتينة والاسنان السليمة

عبد الله صدقي

حول البيت الحرام

بقلم الاستاذ حسن محمد الهوارى
الامين المساعد بدار الآثار العربية

في هذا العام زار الاستاذ حسن محمد الهواري مكة المكرمة وقام بفريضة الحج . وفي خلال زيارته قام ببحوث أثرية وتاريخية في الاماكن المقدسة التي مر بها . وقد بعث الينا بهذا المقال القيم عن البيت الحرام

تقوم مكة فى وسط واد منخفض تحيط به الجبال العالية . ولعل هذا الموقع كان من الاسباب التى دعت ابراهيم عليه السلام لبناء البيت العتيق أو الكعبة فيه . فانك اذا سرت من شاطىء البحر الى الشرق أو هبطت من الشام الى الجنوب أو صعدت من اليمن إلى الشمال أو قدمت من نجد قاصداً الغرب ، لرأيت مكة موطناً آمنا ، طوقته الجبال العالية وسورته الطبيعة باسوار منيعة ووقته بحصون وقلاع هى قمم الجبال . وإذا علمت ان الموقع لانخفاضه كان مجمعاً للسيول فطنت أول وهلة انه كان انسب موقع يلجأ اليه الهائم فى الفيافى والقفار

* * *

هبط ابراهيم برحاله وبنى البيت العتيق أو الكعبة ، وفجر جبريل عينا نبع منها الماء وقال لهاجر زمى زمى فسميت زمزم ، وترك ابراهيم ابنه اسماعيل وعاد إلى موطنه فى الشام ، وترعرع اسماعيل فى مكة أو بكة لانها تبك الماء بكا ، ولعل ذلك يزيدك ايضاحاً ويبين لك العلة فى اختيار هذا المكان . ثم تزوج اسماعيل من جرهم وجاء ابوه من الشام ليزوره فقابلته الزوجة مقابلة لم يرتح اليها ابراهيم ، وقال لها قولى لزوجك يغير عتبة داره . فطلقها وتزوج غيرها فاحسنت لقاء ابيه وشكرت حسن الحال والمآل وكان منها النسل الصالح الكثير . وكان اسماعيل وابوه يعبدان فى البيت العتيق الاله الواحد الاحد . وسمى البيت بالكعبة لكونه مكعبا . وشاءت بعض قبائل العرب أن تتخذ لنفسها كعبات أخرى ولكنها لم تبلغ مابلغته كعبة مكة من المهابة والاحترام . وكان العرب بطبيعتهم رحلا وكان لهم مركز عظيم ايام ان كان الجمل سفينة الصحراء ، فنقلوا المتاجر واشتغلوا بالتجارة واختلطوا بالامم التى طال عليها أمد الملك والحضارة ورأوا معابدها وما بها من أصنام ، فنقلوا إلى كعبتهم الكثير منها وصوروا على جدرانها صور الرسل والانبياء . ولما ضاقت الكعبة بما فيها نصبوا الاصنام خارجها وكثر عددها حتى بلغ ثلثمائة وستين صنما عبدوها من دون الله

ولم تكن مكة فى الجاهلية ذات منازل . وكانت قريش بعد جرهم والعمالقة ينتجعون جبالها وأوديتها ولا يخرجون من حرمها انتسابا الى الكعبة . وكان ذوو الرأى والتجربة منهم يتخيلون أن سيكون لهم شأن وانهم سيتقدمون العرب لما اختصت به الكعبة من المنزلة ، فحافظوا عليها فى الجاهلية . وأول من شعر بذلك كعب بن لؤى بن غالب وكانت قريش تجتمع اليه فى كل جمعة . وكان يوم الجمعة فى الجاهلية يسمى عروبة ، فسماه كعب يوم الجمعة . وكان يخطب فى قريش فيه ويخبرهم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم انتقلت الرياسة بعده الى قصى بن كلاب فبنى بمكة دار الندوة ليحكم فيها بين قريش ، ثم صارت لتشاورهم وعقد الالوية فى حروبهم . قال الكلبى فى كتاب « الاصنام » : « فكانت أول دار بنيت فى مكة ثم تتابع الناس فبنوا من الدور ما استوطنوه وكلما قربوا من عصر الاسلام ازدادوا قوة وكثرة عددهم حتى دانت لهم العرب »

وعمرت الكعبة فى الجاهلية والنبى فى الخامسة والثلاثين من عمره . وحكاية تحكيم العرب له فى حسم الخلاف فى وضع الحجر الأسود مشهورة معروفة ، وقد رأينا صورة خيالية لها من عمل الفرس فى جامع التواريخ لرشيد الدين يرجع عهدها الى سنة ٧١٠ﻫ (١٣١٠-١٣١١ م) (١)

* * *

كانت الكعبة وبقيت مقصودة من جميع القبائل بل من بعض الاقطار المجاورة لجزيرة العرب يحجون اليها ويقدمون لاصنامها الهدايا والفداء . وكانت الاصنام كثيرة ولها اسماء تعرف بها ، منها ماورد ذكره فى القرآن الكريم ومنها ماورد ذكره فى اشعارهم ، واشهرها اللات والعزى ومناة ، وكانت العزى اعظمها عند قريش خاصة والعرب عامة

وكان هبل صنما فى جوف الكعبة من عقيق احمر على صورة انسان مكسور اليد أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدآ من ذهب . وكانت عنده القداح التى يستشيرونها فى المعضل من الامور

* * *

رأى النبى عليه الصلاة والسلام أن قومه على غير حق فى عبادة هذه الاصنام ، وأوحى الله اليه بدين الفطرة دين الاسلام ، فآذاه قومه لان فى آرائه الجديدة ضياعا لمنزلتهم ودينهم وذهابا

(١) أكثر الفرس في القرنين الثامن والتاسع الهجريين من تزيين كتبهم وخصوصاً كتب التاريخ بالصور ، وصوروا النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة : منها بشارة جبريل للسيدة آمنة بميلاده عليه السلام ، وصوروه طفلا بعد أن وضعته امه وشابا وهو يضع الحجر الاسود في الكعبة ورجلا عندما رآه الراهب بحيرا الذي عرف فيه علامات النبوة ، وصوروه وهو يستمع الى الوحي من جبريل وفي غار حراء عندما هاجر الى المدينة ، وهو على البراق ، وفي الجنة ، وبين الانبياء حول العرش ، وغير ذلك من الصور الكثيرة في جميع مراحل الحياة . وقد جمعتها وهي تربو على أربعين صورة . وقد استأذنت احد العلماء في نقدها ونشرها تنويراً للاذهان فاذن بذلك . وسيطلع عليها قراء الهلال قريباً

لسطوتهم وجاههم ، فهاجر الى المدينة خوفا من اذاهم ، حتى اذا اشتد عضده عاد الى مكة ليسترجع بيت أبيه اسماعيل ويحطم ما به من الاصنام ويطهره من الرجس والكفر والالحاد ، فدخلها فى العام الثامن من الهجرة وأخذ قضيبا فى يده وصار يحطم الاصنام وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا »

وأمر النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يمحو الصور التى على الجدران فازالها وترك صورة ابراهيم عليه السلام فامره بمحوها وقال : « قاتلهم الله ! جعلوه شيخا يستقسم بالازلام »

أما صورة عيسى وأمه عليهما السلام فقد قال الازرقى انهما بقيتا حتى رآهما من اسلم من نصارى غسان

وكان على أحد عمد الكعبة تمثال مريم عليها السلام وفى حجرها ابنها مزوقا

* * *

وقد صور الفرس النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحطم الاصنام . ولكن أتدرى كيف صوروه ؟ . صوروه وقد رفع عليا على كتفيه ليتمكن على من تحطيم الاصنام التى كانت على رفوف علوية مثبتة فى جدران الكعبة . ولذلك معنى آخر يقصده الشيعة

* * *

وبعد أن حطم عليه الصلاة والسلام ما فى الكعبة من أصنام طاف حولها وحطم كل الاصنام التى كانت فى ساحتها . وقد قال انس يصف دخول النبى صلى الله عليه وسلم المدينة : « كأنى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وابو بكر ردفه وملأ بنى النجار حولهم وهم متقلدون سيوفهم »

وانى أرى أن هذا المنظر بعينه كان يعاد فى كل فتح وغزو وهو هو بعينه عند ما طافوا حول الكعبة وكسروا الاصنام التى حولها . وبعد أن فرغوا من ذلك ذهبوا الى الصفا والمروة ليشرفوا من مكان عال على الكعبة وليتأكدوا انها أخليت مما حولها من أصنام وليكسروا ما فى الصفا والمروة أيضا من أصنام . ثم اندرى ما الصفا والمروة ؟ هما موضعان فى سفحى جبلين من الجبال المشرفة على مكة ، كان يستطيع الواقف فيهما اذا أسند ظهره الى الجبل أن يرى الكعبة وما حولها أيام لم يكن بمكة أبنية غير الكعبة . فيغلب على ظنى أن الحجاج فى الجاهلية كانوا بعد زيارة الكعبة يصعدون الى هذين الموضعين ليمتعوا نظرهم بمنظر عام للكعبة وما حولها من اصنام . ولكن مع توالى الزمن نصبت الاصنام فى هذين الموضعين (الصفا والمروة) وجلس بجوارها سدنة وكهنة يصحبون الحجاج عند الزيارة فى نظير اتاوة مخصوصة ، كما تفعل نحن الآن بعد الانتهاء من الحج ونريد أن نمتع نظرنا بالكعبة والحرم فنصعد الى جبل أبى قبيس المشرف على

الحرم وهو أعلى من الصفا بكثير . وقد عرف أهالى مكة ذلك وأرادوا استغلاله لمصلحتهم فقالوا هنا المكان الذى انشق فيه القمر وهنا الموضع الذى أذن فيه بلال وهنا وهنا . ويصحبونك عند الزيارة ويلقنونك الأدعية فى نظير ما تجود به عليهم من صدقة . ولم يقتصروا على ذلك بل بنوا وشيدوا ليوهموا الناس صدق قولهم . وحسنا فعلت الحكومة الحجازية الآن فى هدم هذه المنشآت التى كانت كالأصنام بل أشد خطراً

* * *

أخليت الكعبة من الأصنام وبقيت فى وسط مكة كقوس النصر فى وسط الميدان . واصبحت قبلتنا التى نتوجه اليها فى صلاتنا اينما كنا وحيثما وجدنا . وكان اهل مكة يصلون فى الفناء الذى حولها ، فرأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يسور الفناء فبنى سوراً قصيراً . وكانوا لقصره يضعون عليه القناديل فى اثناء صلاة العشاء والفجر ، ولكن لم ينقض القرن الأول الهجرى حتى نصبت فى هذا الميدان الاساطين (الأعمدة من الرخام) و بنيت الجدران بالأحجار فأصبح الميدان مسجداً ، فى وسط صحنه (١) الكعبة ، وتحيط به الاروقة (٢) المسقوفة اشبه مايكون بجامع احمد بن طولون ، والكعبة كالقبة التى بوسط الصحن . وقد زين الوليد جدران المسجد بالفسيفساء الجميلة ، ولكن توالى الزيادات والاصلاحات والتعمير لم يبق من هذه الفسيفساء شيئاً يبين انها كانت جميلة مثل فسيفساء قبة الصخرة بيت المقدس وفسيفساء الجامع الاموى بدمشق المعاصرة لها

وإن لم يبق لنا من عهد الأمويين شيء ما فقد بقى من عهد العباسيين عدة اعمدة من الرخام عرفنا اربعة منها بزخارفها الجميلة والنصوص الكوفية التى عليها المتضمنة اسم المهدى وتاريخ عمارته للحرم وهى سنة ١٦٧ هـ . واصل هذه الاعمدة من مصر والشام . اما الكتابات والنقوش الجميلة فهى من عمل الكوفيين كما قرأنا ذلك فى النصوص الكوفية ، ولم يذكر مؤرخ انها من عمل الكوفيين ابداً ، حتى ان الازرقى وهو اول مؤرخى مكة وابن جبير وهو الرحالة الوحيد الذى دون فى رحلته بعض النصوص التاريخية اغفل فيما نقله من نصوص السطر الاخير الذى فهمنا منه ان هذه الاعمدة من عمل اهل الكوفة

* * *

توالت الزيادات والاصلاحات والتعمير على الحرم المكى بعد ذلك كما يستدل من الكتابات

---

(١) صحن المسجد جزؤه الأوسط المكشوف

(٢) الرواق هو أحد الاجزاء الاربعة المحيطة بصحن المسجد وتكون مسقوفة وسقفها مقام على اعمدة من الرخام أو اكتاف من البناء

الكثيرة التى بالحرم واقدمها من عهد المهدى ومؤرخ سنة ١٦٠ ﻫ وآخرها من عهد عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل فيصل السعود ومؤرخ سنة ١٣٥٢ ﻫ

وكثرة النصوص التى بالحرم المكى تدل على ظاهرة غريبة لم نرها فى غير الحرم المكى. نرى الملوك فى غير مكة يهدم اللاحق مافعل السابق وينسب المتأخرون لانفسهم ماليس لهم من عمل المتقدمين، كما فعل المأمون عندما أراد ان ينسب لنفسه قبة الصخرة التى ببيت المقدس فحا اسم عبد الملك بن مروان ووضع اسمه عوضاً عنه ولكنه ترك التاريخ من غير تغيير ففضح سره

وليست هذه البدعة خاصة بالخلفاء والأمراء المسلمين، بل ان الفراعنة فى مصر كثيراً ماغيروا ومحوا ونسبوا لانفسهم ما ليس لهم، وهاهو رمسيس قد وضع اسمه على كثير من آثار السالفين ليمجد نفسه ويوهم العالم أن الدنيا كلها من عمله

اما فى مكة وما اتصل بمكة من البقاع المقدسة فقد اخذت الروعة والهيبة والخوف من الله تعالى تدب فى نفوس كل من له ضلع فى التعمير والاصلاح، فلا يمحو اللاحق مافعل السابق ولا يهدم الخلف اعمال السلف، بل نرى ان الخليفة او الملك اوالامير إذا اراد تعميراً جمع النصوص التذكارية الدالة على عمل سابقيه ووضعها فى البناء بعد التعمير بجوار اسمه، بل رأينا فى الحرم المكى اكثر من ذلك، رأينا ان السلطان الغورى، واليه يرجع الفضل فى اصلاح الحطيم وحجر اسماعيل، امر فكتب على الحطيم فى سطحه العلوى اسماء جميع الملوك الذين سبقوه فى إصلاحه مع ذكر تاريخ كل عمارة ثم كتب اسمه بعدهم فى تواضع واتزان، وكذلك سلاطين آل عثمان فقد يبدأ السلطان منهم عمل الاصلاح ولا يتم ما نواه ثم تعاجله المنية، فيأتى السلطان الذى يتولى الملك من بعده ويتم العمارة، ولكنه يخصص جزءاً كبيراً من النص التذكارى للسلطان السابق صاحب الفضل فى البدء بالعمل

٭٭٭

أما الكعبة نفسها فقد شاهدنا فى داخل جدرانها سبعة الواح من الرخام تذكرنا بكل من كان له الشرف فى تعميرها. اولها مؤرخ سنة ٦٢٩ ﻫ. وآخرها مؤرخ فى سنة ١١٠٩ ﻫ. ولم تكن المنازعات الدنيوية سبباً فى ان يطمس احدهم اسم اخيه السابق له.. وارى ان ذلك يرجع إلى ما تلقيه الكعبة من روع وهيبة واحترام

حسن محمد الهوارى

عبادة الحية في التاريخ

الحية في الدين و في الاساطير

الحية من أقدم الحيوانات التى لفتت نظر الانسان فعرف شرها وسعى لاتقائها . ولا تخلو أساطير أمة من الامم من الاشارة اليها وإلى الرعب الذى تلقيه فى كلا الانسان والحيوان . وقد عزا اليها بعضهم قوى خارقة وزعموا فى جملة ما زعموه أنها تستهوى فريستها وتوقعها فى شبه سبات مغناطيسى ليسهل عليها الفتك بها

والحية أنواع كثيرة بعضها سام (ولا يزيد على السدس) والبعض الآخر غير سام . وقد اشتهرت بالمكر والدهاء والغدر والحكمة فى تجنب الاخطار . وأشير اليها فى الكتب المنزلة باسم الشيطان . وفى التوراة أنها كانت سبب سقوط آدم وحواء وخروجهما من الجنة . وفى أساطير آزردشت أن الشيطان بدا للانسان الاول فى صورة حية وأغراه أن يفعل الاثم . والصلة بين هـذه الاسطورة ورواية التوراة واضحة كل الوضوح

وكانت عبادة الحية شائعة بين الهنود وغيرهم من الامم القديمة . وكثيراً ما ترى على الآثار المصرية رسم انسان ببزة ملك وبيده رمح يطعن به رأس حية كبيرة . وترى على بعض الآثار الاخرى رسم كرة وحية . وكان ذلك من الرموز المقدسة عندهم . وفى التوراة أن بنى اسرائيل أثموا وتذمروا على الله وهم فى برية سيناء فارسل الله عليهم حيات سامة سميت بالمحرقة، وكانت لدغتها مميتة فاهلكت منهم الكثيرين . فتوسلوا الى موسى ليشفع لهم عند الله فأمر الله موسى بأن يصنع لهم حية من النحاس ويرفعها على راية فكل من لدغ ونظر اليها شفى . وفى برية سيناء حتى الآن أنواع سامة من الحيات

وفى أساطير الاقدمين أن الحيات والتنانين والزحافات المخيفة كانت دائماً تحرس الكنوز المقدسة . وكثيراً ما اتخذ الاقدمون من الحيات تعاويذ يتقون بها الشر . واتخذها بعضهم رمزاً الى الحب أيضاً . وفى الاساطير الهندية أن الغنى إذا مات بلا عقب عاد الى الارض ممسوخاً فى صورة حية لحراسة كنوزه وأمواله . وفى الاساطير الايطالية أن قيص الحية مجلبة لحسن الحظ . أما وصف الانجيل الحية بالدهاء فمأخوذ على الارجح من عقيدة شرقية قديمة . فقد كانت كلمة «الحية» عند الفينيقيين مرادفة لكلمة الحكمة . وكان العرب يصفون الرجل الحكيم أو الداهية بقولهم إنه حية الوادى أو حية البلد . وعزا « جارجا » الفيلسوف الهندى معرفة الحكمة والفلسفة الى « سيشا ناجا » أى « الحية الاله » وفى الخرافات الفينيقية أن حكمة الآلهة ومعرفة الغيب منقوشة على سبعة ألواح تحرسها حية هائلة . وفى

الخرافات البابلية أن « حيا » — أى الحية — هى ينبوع كل حكمة ومعرفة . ومثل ذلك فى خرافات هنود أميركا القدماء وفى أساطير كثير من الامم الغابرة

وليس المكر والدهاء أبرز صفات الحية بل هنالك ماهو أهم وهو قـدرتها (فى زعم بعض الاقدمين) على شفاء الامراض المستعصية. جاء فى بعض الخرافات أن الامبراطور ثيودوسيوس الذى كان مصاباً بالعمى استعاد بصره لان حية كان قد أحسن اليها وضعت حجراً على عينيه . وفى الخرافات الفينيقية أن الملك قدموس وزوجه مسخا حيتين كبيرتين لشفاء الناس من جميع الامراض. وما يزال أهالى قبرس يعتقدون الى هذا اليوم أن قرن الحية يشفى من الامراض المستعصية . ومما يذكر بهذا الشأن أن محكمة مدينة لارنكا (من مدن قبرس) حكمت فى سنة ١٨٩٩ على رجل من الاهالى بدفع غرامة ثمانين جنيها لانه أتلف قرن حية كان يملكه رجل يونانى ويستعمله لشفاء بعض الامراض. وكان قدماء اليونان يربون الحيات فى هياكل اسكولابيوس اله الشفاء ويعتنون بها. ونقل الامبراطور قسطنطين من مدينة دلفى الى القسطنطينية تمثال حية وجعله حارساً لمدينة القسطنطينية. وفى خرافات بعض الشعوب الافريقية ان المريض اذا لمس قيص حية شفى من مرضه . وبين هذه الخرافات وحكاية حية النحاس التى سبقت الاشارة اليها (والتى صنعها موسى لبنى اسرائيل) صلة لا تخفى

ومن عقائد اليونان الاقدمين أيضاً أن « بوزيدون » اله البحار والانهار كان حية هى سبب ما يحدث فى الارض من الزلازل . ومثلها « تيفون » اله الينابيع وكان مخلوقاً عجيبا نصفه تنين والنصف الآخر حية كانت تحـدث الزلازل فى العالم . وباسمها سمى اليونان نهر العاصى بشمالى سورية وكانوا يعتقدون أن قاع هذا النهر هو ظهر الحية « تيفون » المذكورة . ومن خرافات الفرس أن قوس قزح هو الحية السماوية قد صعدت الى الجو من الينابيع والانهار . وما يزال بعض الهنود يسمون المجرة « طريق الحية » ويعتقدون أن هـذه الحية هى سبب الكسوف والخسوف . فاذا كسفت الشمس أو خسف القمر أقاموا شعائر دينية يقومون فيها بضروب العبادة للحية

والقصص الشعبية (Folk-Lore) القديمة والحديثة تفيض بذكر الحيات ، ليس فى الشرق فقط بل الغرب أيضاً . ففى بعض تلك القصص أن لكل أسرة حية تحرس أفرادها . وفى بعض أنحاء الهند أن العقم هو عقاب المرأة التى تقتل حية البيت . وإذا قتل أحدهم حية غير متعمد وجب عليه دفنها باحتفال خاص واقامة الشعائر الدينية لها . وفى تاريخ الهند والصين واليونان اشارات متعددة إلى أن الملوك والسلاطين الذين حكموا العالم ولدوا من حيات

واذا رجعت الى أقدم عصور التاريخ رأيت قبائل كثيرة تنتسب الى الحيات وتدعى أنها تسلسلت منها . وقد تسمت عدة قبائل منها بأسماء الحيات ولا سيما فى أواسط أفريقا والهند . وما

يزال بعض الهنود يحرمون الى هذا اليوم ذكر اسم الحية لئلا يرتكبوا اثما عظيما . وبعض هنود أميركا يحرمون قتل الحية ذات الاجراس لانها مقدسة . وسكان النيجر (بافريقا الوسطى) يحرمون قتل الحية المعروفة بالكوبرا وهى من أشد الحيات فتكا بالانسان . ومما يجدر بالذكر أن فى معاهدة « خليج بيافرا » الواقع على سواحل افريقا الغربية مادة تنص على تحريم قتل الكوبرا مراعاة لشعور الاهالى . ويعتقد هنود اميركا الشمالية أنه اذا اعتدى انسان على الحيـة ذات الاجراس استنجدت هذه أخواتها من الحيات لتنتقم لها . وفى البنجاب بالهند قبيلة تعرف « بقبيلة الحيات » من عاداتها أنه إذا ماتت حية كفنوها ودفنوها باحتفال عظيم . وهنالك قبيلة أخرى إذا قتل أحـد أفرادها حية وضعوا فى فمها قطعة من النقود ودفنوها باحتفال عظيم . وهذه القبيلة تعتقد أن لدغة الحية لا تؤثر فى أفرادها . وكذلك يعتقد شعب البزيلى Psylli بافريقا . و « الاوفيوجنيون » Ophiogenes الذين كانوا يسكنون جزيرة قبرس قديما . ومعنى كلمة « اوفيوجنيين » مواليد الحيات . ومثلهم أيضا المارسيون Marsians من شعوب ايطاليا القـدماء . واشتهرت « قبيلة الحيات » فى كشمير بمعرفة علم الطب وهم يعزون هذه المعرفة الى أسلافهم « الحيات » .

ومما يروى عن شعب البزيلى المذكور أنه عند ما يولد لاحدهم طفل يضعه امام الحية فاذا عفت عنـه كان من الاولياء وأقيم لوالديه احتفال خاص ، وان فتكت به كان والداه من المجرمين . ومثل هذه العادة كانت شائعة بين يونانيى آسيا الصغرى وبين « الاوفيوجنيين » أيضا (وقد تقدمت الاشارة اليهم) وكان الغرض منها تحقق عفة الأم . وقـد ذكر « سترابون » اليونانى هذه العادة ، وقال ان الغرض الحقيقى منها كان تحقق نسب الطفل المولود وهل هو يونانى صميم أو فيه دم اجنبى . وماتزال هـذه العادة باقية حتى الآن فى « سنجامبيا » أيضا فى افريقا الغربية بين الساحل الغربى وغيانا حيث يعتقد الاهالى ان حية تزوركل طفل حديث الولادة قبل انقضاء ثمانية أيام على ولادته لتحقق نسبه

ومما ذكره بلوطرخوس المؤرخ أن قدماء اليونان كانوا يقرنون الحية بالـكثيرين من أبطالهم الخرافيين وذكر فوتيوس بطريرك القسطنطينية الذى عاش فى القرن التاسع أن اليونان كانوا يصفون البطل عادة « بالأرقط » أى المنقط كالحية . وفى أساطير معركة سلاميس ان البطل « كنجروس » برز لسفن الاعداء (الفرس) بصورة حية هائلة . وبمرور الزمن أصبحت سير أبطال اليونان متصلة بذكر الحيات . وكان الناس يحجون قبور أولئك الابطال ويتبركون بها . وقد أدرج بعضهم فى عداد الآلهة . وذكر المؤرخ كروك أن من عادات قبيلة الساتى أو السوتى بالهند انه اذا مات الرجل دفنت زوجته معه حية ووضع على قبرها تمثال حية مشرئبة بعنقها إلى ما حولها لتحرس القرية أو المدينة وتظل كذلك إلى أن تحل محلها حية أخرى تقام على ضريح امرأة أخرى موءودة

وكان لمدينة أثينا حتى القرن الثالث للميلاد حية تحرسها . وكانت هذه الحية تحفظ فى هيكل اريكتيوم المقام على قة الاكروبوليس بمدينة أثينا ، وكان لها كهنة خصوصيون يقومون بالعناية بها ويقيمون لها الشعائر الدينية فاذا ماتت بحثوا عن خليفة لها تحل محلها . وكان طعامها الكعك المصنوع بالعسل . وقد روى مؤرخو اليونان انه لما نشبت الحرب الفارسية فى القرن الخامس قبل الميلاد امتنعت تلك الحية عن تناول طعامها مدة طويلة فاستدل الكهنة من ذلك على أن الآلهة غير راضية عن أثينا

وما تزال الشعائر الدينية تقام للحيات فى أنحاء مختلفة من العالم حتى الآن . ففى ولاية بهار بالهند تقام أعياد الحيات فى شهر أغسطس من كل عام ويشترك فيها الهنود من جميع الطبقات وتخرج النساء (ويعرفن « بزوجات الحيات ») إلى الشوارع يستجدين اكف المحسنين لمساعدة أهل القرية . وفى ترافنكور بالهند تقتنى كل أسرة تمثال حية . وفى يوم معين تخرج كبرى بنات الاسرة الى الشوارع حاملة التمثال المذكور فى احتفال عظيم ثم تعود إلى دارها وتلزم العزوبة مدى العمر

وفى بلاد داهومى بافريقيا الغربية يعتبر الاهالى الحية إلهة الحكمة ويقيمون لها شعائر العبادة فى أيام معلومة من السنة ويزعمون انها مصدر كل خير وبركة وانها هى التى فتحت عينى الانسان الاول . والصلة واضحة بين هذه العقيدة وقصة سقوط آدم وحواء . وكهنة داهومى يقضون كل سنة سبعة أيام معتكفين فى معابدهم ملتزمين الصمت التام احتراماً للحية ، وهم خبيرون بمختلف ضروب الترياق وما يشفى منها من لدغات الحيات المختلفة . واذا لمست حية من حيات الهيكل ولداً حجزه الكهنة سنة كاملة فى الهيكل يلقنونه فى خلالها أسرار عبادة الحية وأناشيدها والرقص الدينى الخاص بها . واذا لمست الحية امرأة أصبحت فى نظرهم مقدسة وحلت عليها روح الاله وصارت زوجة للحية . « وزوجات الحيات » كثيرات فى الهيكل ولمعيشتهن نظام خاص يراعينه مراعاة دقيقة ولا يجوز لاحداهن أن تتزوج . وهنالك أعياد يتهتكن فيها فى الهيكل ويرتكبن جميع ضروب الفحشاء مع الكهنة علناً . فاذا ولد لهن أولاد قيل انهم « نسل الحية المقدسة » . وكلما مر امرؤ بتلك الحية حياها باحترام . فاذا قتلها — ولو عن غير قصد — أحرق حيا . أضف إلى ذلك أن هنالك أعياداً خاصة تقدم فيها الضحايا البشرية « للحية المقدسة »

وفى تاريخ اليونان أن بعض الشعوب الاغريقية كانت تقيم عيداً لفصل الزرع تحتفل به النساء فيلقين بالخبز وبلحم الخنزير طعاماً للحيات المقدسة فى المغاور والكهوف استجلاباً لبركتها . وهذا العيد من أقدم أعياد اليونان وكانوا يقيمونه فى أيام بداوتهم وقد حافظوا عليه مدة طويلة . وكانت كاهنات ديونيسوس أو باكوس يخرجن من الهيكل فى أعياد معينة وحول رقابهن الحيات المقدسة . وكن ينهمكن داخل الهيكل فى شر أنواع الخلاعة . وكان اليونان يقيمون مثل تلك الاعياد

على ضفاف نهر أوفيت (نهر العاصى) حيث كانت الكاهنات يلقين كسر الخبز أمام الحيات ثم يجمعنها ويوزعنها على الحاضرين والحاضرات

وفى تاريخ اليونان الخرافى عدة اشارات إلى معارك وقعت بين الابطال الخرافيين والحيات . من ذلك أن هرقل صارع حيات وتنانين وتزوج الحية المقدسة المسماة « اكيدنا » Echidna فصار جد السكيثيين الذين كانوا يعبدون الحيات . ومن تلك الخرافات أيضاً أن فورباس من أبطال اليونان قتل الحية «أوفيوزا» وأنقذ جزيرة رودز من الحيات . وفى أساطير الفرس اشارات كثيرة إلى معارك وقعت بين الحيات والابطال الخرافيين

وقد بقيت عبادة الحيـة شائعة فى بلاد الحبش حتى منتصف القرن الرابع للميلاد أى إلى مابعد وصول المسيحية اليها . وما يزال بعض الاحباش يعتقدون إلى الآن أن صلوات القديسين هي التى قتلت التنين الاعظم أو الحية عدوة الانسان . ومن الخرافات التى شاعت بين مسيحى فريجية بآسيا الصغرى أن الحواريين فيلبس ويوحنا قتلا الحية « أكيدنا » التى تقدمت الاشارة اليها . وكان أهالى جبال البيرينيه فى أوائل عهدهم بالمسيحية يقيمون فى كل عام عيداً يشتركون فيه مع رجال الدين فى اقتناص الحيات واحراقها رمزاً إلى انتصار الانسان على الخطيئة . وما يزال المسيحيون إلى الآن يصورون القديس جرجس (مارى جرجس) وهو يطعن التنين أو الحية رمزاً الى الانتصار على الخطيئة . ولعل أغرب الاحتفالات التى لايزال المسيحيون يقيمونها الى هذا اليوم احتفال أهالى كوكللوما بجبال أبروزى بايطاليا . وكان هؤلاء الاهالى من عبدة الحيات فى العصور الخالية . وفى أوائل القرن الحادى عشر نشأ بينهم راهب يدعى سان دومنيكو دى فولينو صومعة اشتهرت فيما بعد بحوادث الشفاء العجيبة التى كانت تتم فيها . وفى الخميس الأول من شهر مايو من كل سنة يقيم الاهالى عيداً يسمونه عيد الحيات ، فتسير طائفة منهم فى شوارع البلدة وكل منهم حامل عدة حيات ملتفة حول عنقه وبيده صورة القديس سان دومنيكو المذكور . وهذا العيد هو أثر باق من آثار عبادة الحيات فى ذلك المكان . والاهالى يدعون – إن صدقاً وان كذباً – ان الحيات لا تلدغهم واذا لدغتهم فان سمها لايؤثر فيهم . وفى بلاد البنغال عيد خاص بالحيات يسير فيه الرجال فى الشوارع والحيات ملتفة حول أعناقهم يتقدمهم زعيمهم راكباً جاموساً وحول عنقه حية هائلة من نوع البوا أو البيتون وهما أهول أنواع الحيات وأضخمها تقتلان فريستهما بسحق عظامها

س . ع .

المغامرون الاجانب في مصر

فى أوائل القرن التاسع عشر

ليس بين الذين أتحدث عنهم اليوم مصرى واحـد . ولكنهم جميعاً عاشوا فى مصر واختلطوا بالمصريين وقطعوا كل علاقة لهم بأوطانهم الاولى ، ولم تدون أسماؤهم إلا فى تاريخ مصر

كان الاوربيون فى القرن الثامن عشر ينظرون الى مصر نظرتهم الى قطر تكتنفه الاسرار وتكثر فيه الاخطار والمهالك ، فلا يفكر فى الشخوص اليه أحـد ولو كان من أشد المغامرين جرأة واقداماً

ولكن الحملة الفرنسية التى قادها الجنرال بونابرت الى الشرق فانتزعت مصر من قبضة المماليك الى حين ، وشقت لنفسها طريقاً الى سورية خـلال الصحراء ، تلك الحملة هدمت السور الذى ظل مدة من الزمن قائماً بين مصر والعالم الغربى ومهدت السبل لاستيلاء محمد على على مصر من ناحية ولتدفق العلماء وطلاب الرزق على وادى النيل من ناحية اخرى

فبعد رحيل الفرنسيين عن مصر ، أصبحت البلاد ملتقى جيش متنوع الاشكال والاجناس من التجار والمهربين والاطباء والعلماء والمرابين والمهندسين والدجالين والمغامرين

وحديثنا اليوم يتناول فريقاً من أولئك المغامرين وطائفة من الاشخاص الغريبى الاطوار وما كان أكثرهم فى تلك الحقبة من الزمن !

☆☆☆

« زانتى » جزيرة صغيرة على مقربة من سواحل اليونان ، كان سكانها فى ذلك الوقت خليطاً من الغربيين والشرقيين ، وكان يعيش فى زانتى ثلاثة شبان يعرفون فيها باسم « اخوان جايتا » Gaëta وكانوا يشتغلون فى صنع المراجل والمساخن « والحلل » وأدوات المطبخ على اختلاف أنواعها . ولكنهم كانوا يتوقون الى حياة أخرى ، ويتضايقون من قضاء أيامهم ولياليهم أمام الموقد والسندان

وخطر لاحدهم ذات يوم خاطر أفضى به الى أخويه . وهو أن يبيع الثلاثة دكانهم وما فيـه من أدوات ومعدات ، ويسافروا الى مصر ويعرضوا خدماتهم على « مراد بك » الذى كثيراً مايتحدث عنه البحارة والتجار العائدون فى المراكب الايطالية والفرنسية من ثغر الاسكندرية

ولقى هذا الاقتراح قبولا . وما هى إلا أيام حتى كان الاخوان « جايتا » فى طريقهم الى مصر

أدرك مراد بك ، سيد المماليك فى ذلك الوقت ، أن فى وسعه استغلال مواهب اليونانيين الثلاثة .

وعند ما اكدوا له أن فى استطاعتهم أن يصبوا له المدافع فى مصر بدل أن يبتاعها من الافرنج، لم يتردد الرجل فى ضمهم الى حاشيته ولكنه اشترط عليهم شرطاً أساسيا :

« يجب أن تعتنقوا الاسلام وهذا مالايكلفكم شيئاً ، فان أخى نفسه كان مسيحيا ثم اصبح الآن مسلما ولا يزال يتمتع بصحة جيدة ! »

لم يكن ذلك الشرط الدينى ليقف عائقا فى سبيل الاخوان الثلاثة الذين ما كانوا فى يوم من الايام شديدى التدين . فبعد أن خلعوا عنهم ثيابهم الرومية وارتدوا ثياب المماليك جحدوا بدينهم واعتنقوا الاسلام وعرفوا منذ ذلك الوقت باسماء ابراهيم وحسين واحمد

واشهر الثلاثة هو الاخير الذى سمى نفسه « احمد الزنتى » نسبة الى موطنه جزيرة زانتى

ماذا صنع ذلك الرومى المسلم ؟

اقنع مراد بك بوجوب الاستيلاء على دارفور واستثمار مناجم الذهب فى ذلك القطر ، وشد الرحال مع حاشية كبيرة حاملا معه أطيب التمنيات من مراد بك الى سلطان دارفور عبد الرحمن الرشيدى . ولكن مراد بك لم يلبث ان انهزم فى الميدان أمام بونابرت ، فحاول احمد الزنتى أن يكتسب ثقة القائد الفرنسى كما اكتسب ثقة القائد المملوك من قبل ، ولكنه لم يفلح . فاطلق آخر سهم من كنانته ، وتآمر على السلطان عبد الرحمن . وقام بمحاولة مدهشة ، وهى ضرب قصر السلطان بالمدافع وقتله والمناداة بنفسه سلطاناً على دارفور

غير أن المؤامرة فشلت ، ودارت الدائرة على احمد المغامر فراح ضحية مغامرته الطائشة

٭٭٭

ان قصة « جيوفانى جابتا » أو « احمد الزنتى » يقصها علينا « المسيو اوريان » فى كتاب طريف صدر أخيراً باللغة الفرنسية بباريس (١) وهو يرفع الستار عن شخصيات لعبت فى تاريخ مصر فى الشطر الاول من القرن التاسع عشر أدواراً من الغرابة فى مكان عظيم . فالكتاب لا يقتصر على قصة الاخوان جابتا فقط بل يتعداها إلى كثيرين غيرهم

٭٭٭

هذا « باسيل فخر » الذى قدمت أسرته الى دمياط مع من قدم اليها من السوريين فى القرن الثامن عشر . ومعظم تلك الاسر السورية ما تزال سلالتها الى الآن فى الثغر المصرى الجميل أو فى غيره من مدن القطر

كان باسيل فخر تاجراً بارعاً . وقد عرف كيف يتقرب الى المماليك ثم الى الفرنسيين ثم الى محمد على باشا ، ويظل طول حياته حائزاً ثقة الحكام . غير أنه كان يفيد ويستفيد وينفع وينتفع .

(1) Aventuriers et Originaux par Auriant, Gallimard, Paris

بخلاف زملائه المغامرين الذين يسود أعمالهم فى معظم الاحيان شيء من الانانية والاستئثار بالربح . وكان الرجل فوق هذا وذاك عالما فاضلا وباحثا مدققا . وليس أدل على ذلك من انصرافه فى سنى حياته الأخيرة الى درس اللغة الهيروغليفية والبحث فى الكتب القديمة والمخطوطات البالية والنقوش الفرعونية ، عن أسرار الحياة التى عرفها قدماء المصريين وجهلها العالم من بعدهم . ولو نجح باسيل فخر فى الوصول الى ضالته المنشودة لكان العالم الآن يسبح فى نعيم السعادة والهناء ! ولكنه لم ينجح ويا للاسف ! بل مات فى سنة ١٨٢٦ وهو مكب على مخطوطاته وأوراقه وكتبه ، ينقب فيها عن أسرار الحياة !

☆☆☆

وهذا « روايبه » Royer المسكين ، روايبه الذى كان يشغل فى الجيش الفرنسى وظيفة رئيس الصيادلة ، والذى أمره القائد العام نابوليون بأن يقتل فقتل . ثم حلت به لعنة اخوانه جميعا ونسيه نابوليون ولم يصنع شيئا من أجله . فقد أراد القائد قبيل عودته من حصار عكاء أن يدس السم لطائفةمن جنوده المصابين بالطاعون فى يافا . فطلب من الصيدلى « ديجنيت » ان يعد للجنود السم القاتل فأبى . وتوجه القائد بطلبه الى الصيدلى روايبه فأطاع الامر الصادر اليه وأعد السم المطلوب ومات ثمانية عشر جنديا فرنسيا مسمومين بيد روايبه

وجعل الفرنسيون منذ ذلك الوقت يشيرون اليه بانامِلهم ، ويتحاشون الاختلاط به ، ويتهمونه علناً بانه قتل مواطنيهم فى يافا . وعندما رحل الفرنسيون عن مصر ، بقى روايبه فى القاهرة ، وتقرب من محمد على باشا ، وبقى فى خدمته سنوات عديدة . ولكن ذلك لم يساعده على محو تلك اللطخة التى وسم بها نفسه ، فظل الناس يحتقرونه ويمتهنون كرامته ويذيقونه الوان العذاب . ولم يذرف أحد دمعة عليه عندما سقط عن جواده ، فى سنة ١٨١٨ ، ومات متأثراً بجراحه . فقد قال الفرنسيون حينذاك : « إن السماء تنتقم للجنود المصابين بالطاعون والذين قتلهم الرجل فى يافا ! »

أما اسماعيل بك ، فهو تركى ، ومن المغامرين الذين لا يشق لهم غبار . وكان من رجال البحر المعدودين فى ذلك الوقت . عهد اليه محمدعلى باشا فىقيادة إحدى السفن والطواف بهافى موانىء أوربا ، فراح اسماعيل يلقى مراسيه فى ثغور ايطاليا وفرنسا وانجلترا وبروسيا وأسبانيا وهولاندا وغيرها من الاقطار . وكان يتوغل فى داخل البلاد تاركا سفينته فى الموانىء ، ويقابل الملوك والوزراء والحكام والتجار والصناع ، ثم يعود إلى سيده وسفينته غاصة بالمصنوعات المتنوعة والمنتجات الغريبة والمواد الأولية التى كان محمد على باشا فى حاجة اليها . وقد عاش اسماعيل بك فوق أمواج الخضم ، ومات أيضاً فوقها . فقد فاضت روحه على ظهر سفينته ، فى سنة ١٨٢٦ ، وهو عائد إلى الاسكندرية من

رحلة طويلة موفقة ، وكانت السفينة قد أشرفت على الميناء المصرى ، ونظر اليه اسماعيل بك نظرته الأخيرة

وتوماس كيث Keith رجل اسكوتلاندى كان يحارب فى الجيش الانجليزى مع رفيقه ومواطنه وليم تومسون Thomson فوقع الاثنان فى أسر الارناءوط فى معركة الحماد فى سنة ١٨٠٧ واعتنقا الاسلام وابدلا اسميهما باسمى « ابراهيم آغا — وعثمان افندى ! »

أما ابراهيم آغا — توماس كيث سابقاً — فقد اشترك فى حروب محمد على باشا ودخل مكة فى سنة ١٨١٠ مع الجيش المصرى وقتل بعد ذلك بقليل فى إحدى المعارك التى دارت رحاها فى الحجاز بين المصريين والوهابيين

وأما عثمان افندى — وليم تومسون سابقاً — فقد عاش أكثر من رفيقه ، وربح ثروة طائلة ، وكان ينفق عن سعة ويكرم ضيوفه ويحسن إلى الفقراء . ومات فى أثناء انتشار الطاعون فى مصر ، سنة ١٨٤١

* * *

وهناك شخصية غريبة أخرى يقص علينا كتاب المسيو أوريان قصتها بالتفصيل : لوبرت بك Lubbert Bey

ولوبرت بك رجل فرنسى عرف كيف يعيش طول حياته عالة على الآخرين دون أن يترك لهم سبيلا للتذمر منه . فهو مثال رائع للطفيلى النابغة . جمع أموالا كثيرة انفقها جميعاً بلا حساب . وتمتع فى حياته بكل مايستطيع انسان أن يتمتع به من نعم وخيرات وملذات . وكان منزله فى القاهرة أشبه بقصور « الف ليلة وليلة » . ولم يكن له فى البلاد أعداء . وحصل لوبرت بك على ذلك كله بلا مشقة ولا عناء . فقد اكتفى الرجل بان يحتال على العظماء ويستلهم لحسابه . فنجح فى خطته هذه الى أبعد حدود النجاح . ولم يعرف الحزن والكآبة والانزعاج الا فى أواخر أيامه ، عندما اعرض عنه محمد سعيد باشا وأمسك عنه عطاياه . فمات فى سنة ١٨٥٩ بالقاهرة

* * *

أما « الشيخ » فاسمه « هين » Hein وهو فرنسى أيضاً . استخدمه محمد على باشا فى مصانعه الجديدة لان الرجل كان نابغة من نوابغ ذلك العصر ، ولكنه كان ثرثاراً إلى حد بعيد . وظل همه منصرفاً طول حياته الى تلقين الفلاحين والعمال مبادىء الثورة الفرنسية وتعاليمها ، على أمل أن يصنع المصريون فى الشرق ماصنعه الفرنسيون فى الغرب ، ويضرموا نيران الثورة من ضفاف النيل إلى ضفاف الكنج ، ويخلعوا ملوك الشرق عن عروشهم ويدكوا تلك العروش ويقيموا على انقاضها حكم الشعب. كل ذلك كان الشيخ هين يسعى اليه — بالقول فقط — وهو يعمل فى خدمة محمد على

باشا ! وكان محمد على باشا يعلم ذلك ويقول : « مادام هين يقوم بعمله فى المصنع بدقة وأمانة ، فليقل للعمال والفلاحين مايشاء . ولیندفع فى ثرثرته ما شاءت له أعصابه أن يندفع ! »

وأخيراً ، هذا « محمد افندى » وهو رسام ماهر كان قبل اعتناقه الاسلام يدعى « فيليب جوزيف ماشرو » لم يبتسم له الحظ فى باريس فسعى إلى الرزق فى مصر . وذاق من الحياة حلوها ومرها . وتقلب فى أكثر من حرفة واحدة . وانتهى الامر بان عينه محمد سعيد باشا مديراً لمسرحه الخاص

☆☆☆

هذه نظرة اجمالية الى محتويات الكتاب القيم الذى وضعه المسيو أوربان عن اولئك الاشخاص المغامرين الغريبى الاطوار فى مصر . وهو من الكتب القليلة التى يتناول فيها كاتب غربي بالبحث موضوعات تتعلق بمصر وترتبط بتاريخها ارتباطاً وثيقاً ، دون أن يتحامل على المصريين ، أو تفرط منه كلمة واحدة فى خلال كتابه ، يشتم منها رائحة التحيز أو تنم عن احتقار أو تعد افتراء على التاريخ . وهذا ما يجعل لكتاب المسيو أوربان فى نظرنا قيمة خاصة ويدعونا الى الكتابة عنه بالتفصيل ، فهو من أجود ما كتب الى الآن عن « زوايا التاريخ » فى مصر

حبيب جاماتى

مباراة القصة العصرية

النتيجة في العدد القادم

اجتمعت لجنة التحكيم المؤلفة من حضرات : الاستاذ خليل مطران والدكتور منصور فهمى والاستاذ مصطفى عبد الرازق ، لفحص القصص التى وردت الينا من قراء الهلال الذين اشتركوا فى مباراة القصة العصرية . وقد كادت اللجنة تنتهى من عملها الذى استغرق وقتاً غير قليل لكثرة القصص التى بعث بها حضرات الادباء للاشتراك فى هذه المباراة

ويسرنا أن نكرر أن العدد الذى ورد الى لجنة التحكيم من هذه القصص يدل على اتجاه جديد فى الأدب العربى ، وعلى رغبة قوية فى إجادة هذا النوع من الادب . وسننشر نتيجة هذه المباراة والقصة أو القصص الفائزة فى العدد الذى يصدر فى أول اغسطس القادم

شخصيات الشهر

الرئيس روزفلت

ومشكلة الدين بين الدول الكبرى

خاب أمل أوربا عند اطلاعها على رسالة الرئيس روزفلت التى وجهها الى مجلس الامة الامريكى، لانه لم يشر فيها الى مسألة الدين الكبرى لا تلميحاً ولا تصريحا ، وأدركت أن مغزى ذلك انه لا يريد أن يطرح هذه المسألة على بساط البحث فى الوقت الحاضر ، فقابلت انجلترا هذا الاعراض منه بابلاغه انها لا تدفع فى ١٥ يونيو القسط المستحق عليها للولايات المتحدة ، لا لرغبتها فى التخلص من الدين الذى عليها ، ولكن غرضها من هذا التأجيل أن تحل المسألة على قاعدة العدل والانصاف

وما كادت ايطاليا ودول أوربا الوسطى تعلم المسلك الذى سلكته بريطانيا حتى حذت حذوها وأبلغت الحكومة الاميركية بدورها امتناعها عن دفع الاقساط المستحقة انتظاراً لتسوية عادلة. أما فرنسا فكانت قد امتنعت عن دفع ماعليها من زمان طويل

والغريب أن الصحف الاميركية عطفت على موقف الحكومة البريطانية أكثر من عطفها على موقف المستر روزفلت ، وقالت إنه كان يجدر به ان يراعى حالة اوربا الاقتصادية ،وان يعلم ان مسألة الدين ليست من المسائل التى تحل بقرار حاسم كالقرارات التى يقررها فى صدد مشكلات اميركا الداخلية !

ويرى رجال الاقتصاد والاعمال فى اميركا أنه ليس فى مصلحة الاميركيين أنفسهم ان يشددوا كثيراً على الاوربيين لان تفاقم الأزمة الاقتصادية فى اوربا يقفل اسواقها فى وجه المنتجات الاميركية

اما حجة المستر روزفلت فهى انه اذا كانت ايرادات الحكومة البريطانية قد زادت فى الميزانية الجديدة على المصروفات بنحو خمسين مليون جنيه فهذا دليل على ان حالة الخزانة الانكليزية ليست سيئة كما تصفها الحكومة البريطانية

غير أن لعدم تأييد رجال الاعمال والاقتصاد فى اميركا للمستر روزفلت ظاهرة لها اهميتها وهى ، سواء أكان جنابه مصيباً فى رأيه ام مخطئاً ، دليل على ان الشعب الاميركى بدأ ينتقد اعماله وسياسته كما فعل مع كل رئيس سابق فى السنوات الست عشرة الاخيرة

البارون الوازي يحل مشكلة السار

فى المذكرات السياسية التى وضعها عن الثورة التشكوسلوفاكية المسيو ماساريك رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا ، أنه لما ذهب الى لندن فى أثناء الحرب العظمى لينشر الدعوة للقضية التشكية وفق الى مقابلة مدير مكتب السرادورد غراى وزير الخارجية إذ ذاك ، فطلب اليه أن يعد له مذكرة عن قضية قومه ، فاعتبر المسيو ماساريك هذه النتيجة خطوة كبيرة فى سبيل النجاح

ومن هذا يتبين للقارىء أهمية منصب مديرى مكاتب الوزراء فى أوربا ، فهناك يعد مدير مكتب الوزير أول مساعد للوزير ، ولذلك يعين مديرو مكاتب وزراء الخارجية مثلا وزراء مفوضين دفعة واحدة عند مايراد ترقيتهم . وذهب السنيور موسولينى الى أبعد من ذلك فى تقدير أهمية مدير مكتبه فأسند هذا المنصب منذ سنتين الى البارون الوازى ، وكان فى ذلك الحين سفيراً لايطاليا فى تركيا ، فكانت هذه أول مرة تقلد فيها رجل سياسى بمرتبة سفير منصب « مدير مكتب » ، غير أن المطلعين على نظام عمل السنيور موسولينى يعلمون أن البارون الوازى هو ساعده الايمن ومستشاره الخاص فى جميع الشؤون السياسية

ولما أريد أخيراً بحث مشكلة السار فى جامعة الامم للبت فى أمرها والفت لجنة محايدة لهذا الغرض برئاسة البارون الوازى شرعت فى معالجة هذه المشكلة الدقيقة بحكمة عظيمة ، إذ بدأت تثير نزاعاً خطيراً بين فرنسا والمانيا ، وكان محبو السلام يتتبعون أخبار هذا النزاع بقلق شديد ويخشون أن يتفاقم أمره ان لم تحل المشكلة حلا موفقاً يرضى الفريقين ويبدد الغيوم التى تلبد بها الافق السياسى الاوربى

وبينما الناس يتوقعون ألا تنتهى اللجنة المؤلفة برئاسة البارون الوازى من مهمتها قبل آخر يونيو ، وافتنا التلغرافات فى خلال الاسبوع الاول منه بان اللجنة رأت بعد الدرس والبحث الطويلين أن يجرى الاستفتاء فى « السار » فى شهر يناير سنة ١٩٣٥ وهو الاستفتاء الذى سيقول فيه سكان الوادى هل يريدون أن يكونوا شطراً من المانيا أو من فرنسا أو يريدون أن تظل بلادهم منطقة دولية تديرها جامعة الامم

وقد قابلت المانيا وفرنسا هذا الحل بارتياح ، وأبرق المسيو بارتو وزير الخارجية الفرنسية الى السنيور موسولينى يشكر له هذه الخدمة الجليلة التى اسداها البارون الوازى الى السلام العام

وينتمى البارون الوازى الى أسرة ايطالية كريمة . وقد استهل حياته العامة ضابطاً فى الاسطول الايطالى ثم اعتزل خدمة الاسطول وانتظم فى السلك السياسى فتقلب فى جميع مراتبه الى أن بلغ مرتبة وزير مفوض فامتاز بكياسته ومرونته وبعد نظره ، فعينه موسولينى سفيراً فى اليابان ثم نقله الى تركيا قبل أن يعينه مديراً لمكتبه

مرقص حنا باشا

عضو الوفد المصرى سابقاً والوزير الأسبق

توفى فى الشهر الماضى المغفور له مرقص حنا باشا عضو الوفد المصرى ونقيب المحامين سابقاً ووزير الاشغال والمالية والخارجية الأسبق

وسيرة الفقيد من أولها الى آخرها سيرة عصامى بلغ اسمى المراتب بذكائه وعلمه ونشاطه واخلاصه وطهارة ذيله

ما كاد رحمه الله يتخرج فى مدرسة الحقوق حتى طرق باب التوظف فى الحكومة فعين فى النيابة ، ولكنه لم يلبث حتى اختلف مع رؤسائه على مسألة من المسائل ، فاستقال ، ثم سافر الى اسيوط وزاول المحاماة فيها بعد ما تعاون مع المرحوم اخنوخ فانوس المحامى الشهير مدة غير قصيرة ، فلم ينقض زمن طويل حتى اشتهر بدقة « مذكراته » وقوة حجته وبلاغة لسانه ، فنصح له بعض اصدقائه بالقدوم الى العاصمة فقدم اليها . وماهى إلا سنوات حتى غدا من محامى القطر المعدودين . ويقول العارفون إن ايراد مكتبه فى أوج مجده لم يقل عن أربعة آلاف جنيه فى السنة

وهام مرقص بالسياسة منذ شبابه فكان من المتحمسين لمصطفى كامل باشا مقدماً الاعتبارات الوطنية على كل اعتبار آخر . ولما قام سعد زغلول باشا بحركته كان فى مقدمة الذين وقفوا جهودهم على خدمتها ، فقدر له سعد باشا هذا الاخلاص حق قدره وأضاف اسمه الى اسماء الذين رشحهم ليحلوا محل من ينفى أو يعتقل من أعضاء الوفد ، وكان ذلك ليلة نفيه الى سيشل ، ولما أريد ضم أعضاء جدد الى الوفد كان الفقيد الكريم فى طليعة هؤلاء ، ثم اعتقل بدوره وقضى مدة الاعتقال بين ثكنات قصر النيل وسجن « قره ميدان » والماظة

ولما الف سعد باشا الوزارة الدستورية الاولى اختار مرقص باشا وزيراً للاشغال ولم يقابل رحمه الله اختياره لهذه الوزارة بارتياح عظيم لأنه خشى ألا يستطيع أن يخدم فيها بلاده كما يريد أن يخدمها . ولكنه ما كاد يتقلدها حتى نشأ الخلاف الشهير بين الحكومة والمستر كارتر مكتشف قبر الملك توت عنخ آمون فدافع سعادته عن وجهة النظر المصرية دفاعاً مجيداً وقال : اما أن يذعن المستر كارتر لشروط الحكومة المصرية أو يكف عن العمل فى « وادى الملوك » فرفع المستر كارتر أمره للقضاء لحكم للحكومة المصرية

وبعد استقالة الوزارة السعدية عاد مرقص باشا الى الاشتغال بالمحاماة فانتخب نقيباً للمحامين

ولما الف المغفور له عدلى باشا يكن وزارته الائتلافية قلد الفقيد وزارة المالية فادارها بكفاءة وحزم عظيمين وقاوم بعض المطامع الانكليزية مقاومة شديدة اشار اليها اللورد لويد فى الجزء الثانى من كتابه عن « مصر من عهد كرومر » . . وتقلد الفقيد وزارة الخارجية فى وزارة ثروت

باشا الائتلافية فخلد اسمه بالمذكرة التي ارسلها الى الدول طالبا تعديل انظمة المحاكم المختلطة . وهذه المذكرة فى نظرى أول خطوة عملية خطتها مصر فى سبيل تعديل تلك الانظمة

وأصيب مرقص باشا على أثر ذلك بمرض عضال لم ينجح فيه دواء وظل يعانى آلامه بصبر ورباطة جأش الى ان وافاه القدر المحتوم فذهب مبكياً على نبوغه ونزاهته من المصريين قاطبة

السر جون سيمون بمناسبة احتمال استقالته

السر جون سيمون من نوابغ رجال القانون فى انكلترا ومن أشهر محاميها . وقد كان قبل تعيينه وزيراً يكسب من المحاماة أضعاف مرتبه الحالى . ومن النوادر التى تروى عن ذكائه أن رجلا رفع قضية على شركة الترامواى بدعوى أن قطاراً من قطراتها صدم ابنه صدمة قوية فأصيب برضوض نتج عنها أن أصبح عاجزاً عن رفع إحدى يديه

وكان السر جون سيمون المحامى عن الشركة فى تلك القضية ، فلما عرضت على المحكمة جيء بالصبي وطلب اليه أن يرفع يده فحركها قليلا ثم زعم أنه لا يستطيع رفعها أكثر مما فعل ، فاخذ السر جون يطرح عليه السؤال تلو السؤال عن ظروف الحادث بلهجة العاطف عليه ثم قال له فجأة : « الآن أرنى الحد الذى كنت تستطيع رفع يدك اليه قبلا » فلم يفطن الصبي ورفع يده « التى لا يستطيع أن يحركها » . . .

وفى الواقع أن احتمال استقالة السر جون سيمون ليس غريباً ، وقد كان الناس يتوقعون استقالته من يوم إلى آخر ، ثم قيل إنه سيرحل رحلة بحرية ترويحاً عن النفس فاذا لم يستفد منها استقال بعد عودته وإلا بقى فى منصبه . وبقاؤه فى منصبه إلى هذا اليوم دليل على أن احتمال استقالته لا يرجع إلى صحته ، بل الحقيقة هى أنه مختلف مع بعض زملائه فى الوزارة على السياسة التي ينبغى لانكلترا أن تتبعها فى كثير من المسائل السياسية الدولية ، وقد تجلى هذا الخلاف أخيراً فى الخطبة التى خطبها فى لجنة مؤتمر نزع السلاح فى جنيف ، فقد كانت خطبة مبهمة مضطربة بقدر ما كانت خطبة زميله المسيو بارتو واضحة جلية

والسر جون سيمون لايلقى تأييداً فى داخل هيئة الوزارة إلا من المستر مكدونلد . ولكن النفوذ الحقيقى فى هيئة الوزارة البريطانية ليس للمستر مكدونلد بل للمستر نيفل تشمبرلن وزير المالية والسر فيليب ستكليف وزير المستعمرات

ويقال ان الخلاف القائم فى داخل الوزارة البريطانية لا يمس السر جون سيمون وحده ، بل يتناول المستر مكدونلد كذلك ، بمعنى أن المستر بلدوين والمستر نيفل تشمبرلن والسر فيليب ستكليف ـ وهم أقطاب حزب المحافظين ـ يعملون على التخلص من المستر مكدونلد والسرجون سيمون معاً لكى تؤلف وزارة جديدة من المحافظين وحدهم

وقاية العقول

بقلم الدكتور محمد السباعي حسنين
استاذ الطب الوقائي بكلية الطب سابقاً

ساء رأى القدماء حتى أواخر القرن الثامن عشر فى أمراض العقل، نظنوا أن روحاً خبيثة أو شيطاناً يستحوذ على إنسان فيصاب بالجنون أو اللوثة أو الصرع أو المالبخوليا أو الهستريا. فلا غرابة إذا توهموا أن طرد هذه الروح الخبيثة أو ذلك الشيطان يأتى بالشفاء المحقق. وقد تفننوا فى طرد الشياطين والأرواح الخبيثة، فاستخدموا السياط والكى وصنوفاً من العذاب لهذا الغرض. وحبسوا المصابين فى السجون مكبلين فى الاصفاد أو مشدودين إلى الجدران بالسلاسل. وأغرب من هذا أن مستشفى «بدلام» فى لندن كان يتقاضى أجراً من المتفرجين الذين يحبون ان يتفكهوا برؤية المجانين والطرق التى يعاملون بها ويعالجون. وبلغ الأمر من الفظاعة أن بعض المتفرجين كان يدفع أجراً علاوة على رسم الدخول، ليشاهد الأرواح الخبيثة تخرج من بعض المصابين بواسطة المسهلات القوية أو نزف الدم غزيراً من العروق ؟؟!! والى الدكتور فيليب بينل Dr Phlippe Pinel يرجع الفضل الأول فى حسن معاملة المجانين، فقد عهد اليه فى ادارة بيمارستان السالبترين المخصص لقسم المجنونات بباريس، فراعته طريقة العلاج الوحشية. ذلك ان اولئك التاعسات كن يلقين بهن عاريات فى غياهب الزنزانات المظلمة الرطبة حيث كانت الفيران تقرض أرجلهن وحيث كن يقتلن أنفسهن تخلصاً من العذاب الأليم أو يقتلن التومرجية انتقاماً، فطلب من ولاة الامور أن تعامل المجنونات بالحسنى وينقلن الى غرف صحية، فاجيب بالرفض خوفاً من أذاهن. وظل الدكتور «بينل» يلح فى طلبه فلا يزداد ولاة الأمور إلا تمادياً فى الرفض. وأخيراً ثار على هذه القسوة وأمر بتحطيم السلاسل واطلاق المجنونات من الزنزانات ونقلهن الى عنابر يغمرها الهواء والنور. فلم يقع شىء مما خشيه ولاة الأمور! ووضع بينل بعمله هذا نواة المستشفيات الحديثة لمرضى العقل. وشتان بين الرأى الطبى اليوم ورأى القدماء.

ان الجنون بلا ريب من آفات العقل ولكن ليس مجنوناً كل مصاب بمرض عقلى. فالمجنون الذى يجب عزله وعلاجه فى المستشفى هو الذى يخشى على الناس من سوء تصرفه

أما اذا أخلد المجنون إلى السكينة واقتصر أمره على نفسه فعذبها وأرهقها أو نكل بها، فلا يجوز حجزه فى مستشفى الامراض العقلية وإن كان لا غنى عن علاجه. وللجنون أنواع لامحل هنا لذكرها، وعلى وجه العموم لايعدو الجنون ان يحدث عن شيئين لا ثالث لهما:

اولا ـ تغير فى مادة المخ والاعصاب ، كما هو الحال فى الشلل العام الذى يلين فيه المخ ويتحلل وكما هو الحال فى اورام المخ وفى تصلب الشرايين بالدماغ

ثانيا ـ اضطراب يلحق المخ فتختل وظيفته ، كما فى جنون الشباب الذى يدهم الفتيان فيما بين الثانية عشرة والخامسة والعشرين من العمر ، ولم يهتد الباحثون الى اليوم إلى تغيير فى المخ يصحب هذا الداء . وكما فى تلك الاحوال الجنونية التى تتراوح بين الكبرياء العنيدة وبين الاستسلام واليأس

وليس صحيحاً زعم القدماء ان الجنون ينتقل بالوراثة وحدها . فقد اثبتت البحوث الحديثة أن أنواعا معينة من الجنون تورث بينما أنواع اخرى يورث الميل اليها والاستعداد لها . فريض السل يورث ولده الاستعداد للاصابة به كما ان المجنون يورث ابنه الاستعداد للجنون

ونعود فنقول إن الجنون أشد الامراض العقلية واعصاها على العلاج . وفى الحق أن شفاءه التام مستحيل . وكل ما فى وسع الطب هو ترويض المجنون وكسر حدته واعادته شخصاً عاقلا

الوقاية خير من العلاج ! فهل من سبيل الى الوقاية من الامراض العقلية بانواعها الكثيرة التى تتراوح بين الخطر على الجماعة وبين ما يسمونه « المزاج العصبى » ؟

إن الوقاية من الامراض العقلية لم تكن معروفة للاقدمين بل هم لم يفكروا فيها قط . والعصر الحديث ـ أو بعبارة أخرى القرن العشرون ـ جدير بالمباهاة والفخر بما ابتكره من أساليب تلك الوقاية . وأرانى قبل إجمال هذه الأساليب مضطراً إلى توضيح المقصود بالأمراض العقلية

تشمل الامراض العقلية عدا الجنون ما يأتى :

١ ـ ضروب من الاضطراب فى الطوائف العقلية منشؤها نقص فى التكوين الجسمانى كالدمامة والتناهى فى قصر القامة أو طولها ، وكالعمى والعور والسمانة الفاحشة والهزال الملحوظ

٢ ـ مراتب ودرجات من ضعف العقل

٣ ـ شذوذ الشبان والتواء سلوكهم

٤ ـ عاهات اجتماعية كالبغاء والتشرد وحياة التطفل والعيش على اكتاف الغير

٥ ـ المزاج العصبى مثل ادعاء المرض المزمن واحلام اليقظة والشعور بالاضطهاد والخوف من الوحدة أو الأمكنة المزدحمة أو من الصراصير أو الفيران وسرقة أشياء بدون وعى

ولا شك أن الشطر الأعظم من الأمراض العقلية يرجع إلى عهد الطفولة . بل يردها بعضهم إلى ما قبل الولادة فيقول : « ان الوقاية من الامراض العقلية يجب البدء بها من الجد والجدة »

وبعبارة قصيرة : إن تربية الطفل على المبادىء الصحية العقلية ، يكفل لنا النجاح فى هذا الصدد . وقد بدأت المجهودات الخاصة بالوقاية حديثاً فى بعض الممالك الغربية وأمريكا بفضل القائمين بالشؤون الصحية ، وبفضل هيئات خاصة غير حكومية كان لها نصيب كبير فى هذه المجهودات ، إذ أنها قامت بكثير من الأعمال الجليلة فى هذه الشؤون

وطرق منع هذه الأمراض كثيرة : منها إنشاء العيادات الخارجية للأمراض العقلية فى أنحاء القطر الواحد لتكفى حاجة المرضى المصابين بالامراض العقلية الخفيفة والاضطرابات التى يطلق عليها اللفظ العادى وهو «عصبى المزاج» ، وغيرها من الاضطرابات التى أشرنا اليها

لكن يجب البدء بالطفل وهو جنين لأننا نعلم أن كثيراً من الأمراض العقلية ينتقل بالوراثة. لذلك قامت بعض الدول بسن تشريع خاص لتعقيم الرجال بعملية قطع الحبل المنوى ، وتعقيم النساء بعملية ربط «بوق فالوب» ، حتى لا يكون فى الامة أفراد مصابون بأمراض عقلية

يحتاج الطفل لعناية وتدريب من صغره حتى لا يكتسب صفات يحيد معها عن المستوى الطبيعى العقلى . وكانت أكثر الامم نشاطاً فى هذا الموضوع بريطانيا العظمى ، حيث أنشأت المدارس التدريبية Nursery Schools . وهذه المدارس تقبل الاطفال من سن ١٥ شهراً أو ١٨ شهراً إلى أن يبلغوا السن الملائمة لدخولهم رياض الاطفال . ويكون الطفل وقتذاك تحت رعاية ممرضة حازمة تدربه على النظافة واللعب وعدم إعطائه كل ما يريد ، لان الام تكون سبباً - فى بعض الاوقات بحنوها - فى تدريب الطفل على عادات تكسبه المزاج العصبى فيما بعد . مثال ذلك أنه إذا بكى حملته ودللته واسترضته ، وإذا طلب شيئاً يلعب به ولو كان خطراً عليه أعطته ذلك الشىء . كل ذلك من شأنه أن يغرس فى الطفل عادة الحصول على كل شىء يريده . ولكن الحال على خلاف ذلك فى المدارس التى قدمنا الاشارة اليها وهى المدارس التدريبية ، فالطفل تغرس فى نفسه منذ الصغر العادات الطيبة التى تهيئه فى المستقبل لان يكون رجلا عملياً يعرف ماله وما عليه ، وتهيء له ساعات النوم التى تكفيه والهواء الطلق والحمام اليومى

رعاية الاولاد

تنتقل بعد ذلك الى المدارس الابتدائية ، ففى هذه المدارس مجال آخر للطب الوقائى ، إذ من اليسير ملاحظة حركات الاولاد الفجائية مثل الخوف وعدم الانشراح والامراض المعدية . كل ذلك له تأثير فى اعصاب الغلمان . وان عدم دراسة عقلية الاولاد وقياس ذكائهم قد يكون سبباً فى إصابتهم بأمراض عقلية خفيفة ، ربما تستفحل مع مرور الزمن

وكثيراً ما نجد الاولاد الذين نرى بالعين المجردة وبدون فحص ، أنهم فى غير المستوى العقلى الطبيعى ، إذا دربوا حسب الانظمة الحديثة للطب الوقائى العقلى نشأوا رجالا عاملين وأدوا ما يعهد اليهم من الاعمال بكفاءة تامة . لذلك كان من الواجب عند الكشف الطبى لدخول المدارس أن ننتفع بخبرة طبيب من أطباء الأمراض العقلية فى منع دخول الأولاد الذين يرى أنهم ليسوا حائزين على الاستعداد العقلى لتلقى العلم

حماية المراهقين والشبان

وأما فى المدارس الثانوية فنرى أن فيها كل الخطر حيث يضاف إلى ما سبق ذكره فى

الكلام على المدارس الابتدائية ، نمو الأعضاء التناسلية . وهذه مسألة هامة إن لم تعالج بمعرفة طبيب اخصائى فى الأمراض العقلية ، كانت سبباً فى أن يصبح الطالب مريضاً باضطرابات عقلية

ننتقل بعد ذلك إلى طلاب المدارس العالية — ونرى هؤلاء الطلاب معرضين لكثير من الأمراض العقلية التى يمكن تفاديها مثل اضطرابات الجهاز التناسلى والنيروستانيا والهبوط العصبى الخ ...

وقد وجد أطباء الأمراض العقلية فى الممالك المتمدنة أنه من المفيد جداً عدم إجبار الطلبة على سماع المحاضرات ، وبعبارة أخرى — يترك للطالب الحرية فى حضور المحاضرة التى يراها مفيدة له ، أو عدم حضور المحاضرة التى يرى أن عقله لا يمكنه أن يستوعبها . كما وجدوا أنه من المفيد أن تقام المدارس العالية والجامعات فى أماكن زراعية بعيدة عن الغواية وأن تتوافر بها الألعاب الرياضية ، على شريطة ألا تكون هذه الألعاب على سبيل المسابقة المجهدة ، بل تكون جزءاً من نظام العمل اليومى ، ولا تقام أمام الجمهور حتى لا تصبغ بصبغة المسابقة . وعلى العموم فان هذه المدارس يجب أن تعلم الطالب النظام وتغرس فيه عادة الاعتماد على النفس والتواضع وتحمل المسئولية ، وتكسبه الأخلاق الفاضلة والصحة . فان نجحت المدارس فى بث هذه الروح فى النشء ساهمت بنصيب وافر فى إيجاد أمة حية قوية ، وقلت من المرضى المصابين بالأمراض العقلية

فى معترك الحياة

وأما البالغون فيحتاجون إلى معرفة درجة ذكائهم والعمل الذى يمكنهم أن يزاولوه . والانسان فى هذه الحياة يحتاج الى أربعة أشياء وهى : العمل ، اللعب ، الحب ، الدين

ويجب على الانسان أن يأخذ من كل من هذه الأشياء حظه بنسبة معتدلة ، ففى عمله يجب ألا يشتغل بما يفوق ادراك عقله وإلا كان نصيبه الفشل . واذا اضطلع بعمل دون كفايته كان نصيبه الاخفاق أيضاً . ولعبه يجب أن يكون لعباً بريئاً فى الهواء الطلق ، على أن يكون معتدلا فى ذلك وإلا أضر بجهازه العصبى . كذلك يجب ألا يكون متطرفا فى حبه فلا يصل إلى درجة الجنون ، ولا يميت عاطفة الحب فى نفسه ، فان ذلك يؤثر على جهازه العصبى . وهنا أرى الفرصة مناسبة لانصح الفتى والفتاة بعدم اطالة مدة الخطبة اجتناباً للمضار السيئة التى تنشأ عن ذلك مع اقامة أفراح بسيطة . كذلك الحال فى الدين ، يجب أن يأخذ الانسان بنصيب معتدل منه فلا يتغالى فى عبادته لدرجة أنه يصاب بالاضطرابات فى عقله . وفى ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق . إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » . وفى الوقت نفسه يجب على الانسان ألا يهجر دينه هجراناً تاماً ، إذ أنه بعمله هذا يكون قد أبعد نفسه عن التعاليم القيمة التى تردعه عن الغواية والشطط مما يضعف القوى العقلية فى الانسان باتيانه الافعال الشاذة . وعلى كل فرد من المجموع أن ياخذ بنصيب كاف من الراحة والسكون بعيداً عن المشوقات وخصوصاً السيدات فى زمن الحمل والحيض

دكتور محمد السباعى حسنين

اللعب ضرورة حيوية للصغار والكبار

بقلم الدكتور احمد محمد كمال

سيرميني البعض بالكفر الاجتماعي والخروج على تقاليد الجماعة إذا قلت للكبار: العبوا ثم العبوا.. ومن عجيب الامر أن هؤلاء «الكبار» الذين ينكرون نصيحتي ويذهبون يحرمون الصغار من اللعب إلا بقدر معلوم، يلعبون ويلعبون ويلعبون. ولاأغالى إذا قلت إنهم يلعبون أكثر مما يؤدون واجبهم أداء جدياً منتجاً

ولست أدرى منشأ تلك التقاليد الموروثة التي أصبحنا نجلها ونحترمها كما لو كانت من تعاليم السماء، لست أدرى منشأ التقاليد التي حرمت اللعب ونظرت اليه تلك النظرة الظالمة

فالذى قرأته في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ينافى ذلك تماماً، فقد كان اللعب رياضة يواظب عليها الخلفاء. ويستمرئها الصبية ولا يأباها العلماء المنقطعون للدرس والبحث

وهكذا كان الحال في سائر الحضارات، فالصيد والقنص ولعب الشطرنج والخروج للنزهة في البحر والبر والسمر ـ كل هذا كان يقبل عليه الملوك والخاصة. أما العلماء وأهل الفكر فكانت رياضتهم المناقشات والسفسطة والمشي مسافات طويلة في أحضان الطبيعة

وقد ساء الرأى في اللعب وانحطت أساليبه، حتى عاد مشغلة وحتى صار يعطل الناس عن العمل وعن الاستمتاع بالحياة. والدليل على ذلك قائم فيما نراه من لعب «النرد» ساعات من النهار وطرفا من الليل، والدليل على ذلك قائم في عبث الكثرة الساحقة من «الكبار» بسيرة المعارف وغيبة الاهل والنميمة بأقرب خلق الله اليهم، والدليل على ذلك قائم في انصراف المصيفين من الكبار الى الكسل عن البحر ومباهجه والى القال والقيل وأشياء أخرى تقتل الوقت!

«ان لبدنك عليك حقا» !!! هذا الحديث الشريف يحتاج في تفسيره الى ضوء المعلومات الطبية والبسيكولوجية الحديثة. فالجسم ليس آلة. وحتى لو فرضنا أنه آلة، لوجب أن نريح هذه الآلة وندهنها بالزيت وتتفقد أجزاءها ونلاحظ ما انحرف منها عن طبيعته أو وظيفته. فظاهر أن الجسم لاغنى له عن الراحة ... لكن الراحة لها في ذهن الطبيب معنى، ولها في حساب البسيكولوجى وزن وتقدير. فالطبيب ينظر الى الراحة كضرورة فسيولوجية، يتعب الجسم وفي تعبه عناء وكد وخطر، فالراحة تصلحه وتعيده الى سالف نشاطه وتزوده بالقوة ـ سواء في ذلك المجموعة

العصبية وما بقى من الاجهزة . وأما البسيكولوجى ، والبسيكولوجى الحديث نوع من الطبيب ـ بل هو لا يمكن أن ينجح إلا اذا كان طبيباً ـ ينظر الى الراحة من ناحية النفس . وللنفس معنى فى اعتباره قد يخالف المعروف ، فلنوضحه فنقول : ان النفس فى البسيكولوجيا الحديثة تشتمل على القلب والعقل الباطن والعقل المتنبه اليقظان . وهذه النفس تسأم وتصدأ وتمل ، اذا أرهقناها وضيقنا عليها الخناق فقد تثور وتتمرد ويركبها الشذوذ فتعوج ويكون من شأنها ما تفيض به الأخبار من إجرام وسوء سلوك

فلو أرحنا النفس ، وشغلناها وقت الراحة بانواع من اللعب ، اذن لجنبناها شروراً كثيرة ، ولعدلنا بها من طريق محفوف بالخطر والمخاطر الى الطريق السوى الحافل بالخير والبركات

وتسألنى عن لعب ـ أو العاب ـ الكبار ، فأقول إنهم فى الغرب يزاولون من صنوف اللعب ضروباً ، ويزاولونها بانتظام . . ولعلك قرأت فى التلغرافات أن مستر لويد جورج يلعب الجولف بانتظام ، ولا يتركه حتى فى أحفل أوقاته بالمتاعب والازمات . وقد قرأت أنه تصفح مذكرات خطيرة عن مؤتمر دولى له أهميته ، تصفحها بين فترات اللعب ، فترات لعبة الجولف . . . والمستر روزفلت رئيس الجمهورية الامريكية الكبرى ، من هواة التجذيف وركوب البحر ، وقد أنقذه حبه للرياضة من مرض « شلل الاطفال » الذى أقعده مدة ثم تغلب عليه بقوة العزيمة وقوة الجسم . والعلامة اينشتين يعزف على « الكمان » فى أوقات فراغه من إعنات عقله الجبار . وكان المرحوم المسيو بريان مغرماً بالتجوال فى الازقة والطرقات ، كما كان يدمن مطالعة الروايات لا يترك قراءتها الا وهو على باب مؤتمر أو باب مجلس النواب والوزراء . أما المسيو كليمنصو فقد أولع بتنسيق الحدائق ورعاية أزهارها ، كما كان مولعاً بأحاديث الصالونات وما فيها من « رغى ولت وعجن » . والمشهور عن مستر برنارد شو أنه « مشاءة » يقطع الأميال سيراً على أقدامه سيراً حثيثاً لايقوى عليه الا بطل فى المشى ، ثم هو مولع بالقفش والتنكيت طوال أوقات فراغه ، وله نوادر لطيفة وحكايات مأنوسة . وما من فنان او أديب فى بلاد الغرب ، إلا ويقضى شطراً من يومه وليله فى « اللعب » على الطريقة البوهيمية ، فبعضهم يناجى الطبيعة والبعض يجالس الناس وراء الجدران ، وقد يخالطون أهل الاجرام والفساد والفجور أملا فى دراسة النفس البشرية وكشفاً لمكنون القلب وبحثاً عن شتى الاهواء والبواعث . وقد اجمع الناس على أن الفنانين والادباء قوم طبيعتهم الكسل وإضاعة الوقت سدى ، وأنكر العلماء فى القرن الماضى حاجة الحضارة الى الشعراء والموسيقيين ورجال الادب ، وحملوا عليهم حملات منكرة . وقد كان الاعتقاد السائد عند علماء القرن الماضى أن الفنون الجميلة والادب لهو وعبث ولعب . أما فى القرن العشرين ، فقد انعقد إجماع البسيكولوجيين على أن الانسان لا يمكنه أن يعيش من غير لعب . وذهبوا يتحدثون عن اللعب وأنواعه للكبار والصغار

بسطنا لك من لعب الكبار صنوفاً ، وها نحن نزيد على ماسلف أن الهوايات كلها من ضروب اللعب : فثم هواية جمع طوابع البريد أو التحف الاثرية أو السجاجيد أو الأسلحة أو الحيوانات والحشرات بائدها وموجودها ، وهواية غرس الحدائق وتربية الطيور والدواجن والكلاب وخيول السباق ، وهواية الرحيل الى البلاد النائية وشواطىء البحر ، وهواية الاشتغال بفن من الفنون الجميلة ،وهواية السمر والحديث ذى الشجون ـ هذه وغيرها ضروب من اللعب لا غنى للكبار عن أحدها

فاما الصغار فشأنهم يقرب من حياة الطفولة فى الريف عندنا ، مع تعديل كبير يتصل بمقتضيات الحضارة ، وينهض على أسس بسيكولوجية أسفر عنها البحث ووثقتها التجربة

الطفل فى أوليات عهده بحاجة كبيرة الى اللعب « باللعب » . لكن يراعى فى اختيار اللعب أن تكون من النوع الذى يبث فى الطفل روح الميل الى البناء . فالطفل يريد بطبيعته أن يحطم اللعب ليعرف دخائلها . . . وهذا حسن ، إلا أننا اذا أنشأناه على الميل الى التحطيم ، شب وكبر غير صالح للبناء . ولهذا يحسن ـ بل يجب ـ أن نزوده باللعب التى تغرس فيه روح البناء ، كأن نعطيه قدوما من الخشب وبعض المسامير . وعلينا ألا نجزع ونخاف من أنه قد يدق أصبعه أو يجرح يده ، فانه سيتعلم بعد قليل وبعد جراح ومنغصات تافهة بالقياس الى الغاية المنشودة ، سيتعلم كيف ينشىء من الخشبة والمسامير صندوقا أو منضدة أو عربة

وفيما يتعلق بالبنات يمكن غرس الأمومة والحنان فى نفوسهن اذا أعطين عرائس ومنازل صغيرة ، مع تعليمهن كيفية العناية بالمنزل وترتيبه ورعاية « العروسة » كأنها ربة الدار

ويجب ألا يغفل اللعب فى الهواء الطلق تحت الظلال وبين الأزهار وعلى شواطىء الغدران والبحار ، مع مايصحب ذلك من لعبة مثل لعبة « استغماية » أو ماشا كلها . وليقضوا فى هذا اللعب أكبر وقت ممكن . وهنا نقول إن الغربيين انشأوا لهذه الغاية مدارس للصغار يدخلونها قبل دخولهم « رياض الاطفال » . ثم لابد لنا من الاشارة الى أن اطفال الريف فيما بين الثالثة أو الخامسة أسعد حالا من صغار المدن ، من حيث اللعب فى الهواء الطلق كيفما شاءوا ومتى أرادوا ، إلا أن لعبهم غير منظم ولا يتجه بهم نحو غاية سامية مشتركة

وفى السنوات الأخيرة بدأنا نهتم بلعب التلاميذ والطلبة ، فانشئت جمعيات الفنون الجميلة فى المدارس الثانوية وكثرت الرحلات ونظمت وتعددت الألعاب الرياضية ، وأخيراً أحرزت « الكشافة » رعاية مليك البلاد وتشرفت بزعامة أمير الصعيد . لكن هذه الحركة فى المدارس ليست واسعة النطاق ، ثم إنه يعوزها تعزيز وتشجيع وتعضيد فى البيوت وخارج البيوت

الدكتور احمد محمد كمال

أقدم كتاب في الجراحة

ملخص محاضرة للدكتور محمد كامل حسين

[ألقى الدكتور محمد كامل حسين الاخصائي في جراحة العظام محاضرة نفيسة ، عن أوراق البردى التي عثر عليها أدوين سميث المصرلوجي الامريكي ، على أعضاء الجمعية الجراحية المصرية ننشرها فيما يلي]

من عشر سنوات خلت سمعنا فى نفس هذه القاعة الاستاذ برستيد يحاضرنا عن أوراق البردى التى حصلت عليها جمعية نيويورك التاريخية من ورثة المرحوم ادوين سميث ، المصرلوجى الأمريكى الذى عاش فى الاقصر نحو عشرين عاما . وعلى رغم ما لقيه الاستاذ برستيد من عناء فى فض اغلاق هذه الأوراق واستكناه مدلولاتها الفنية ، فانه لم يتردد فى القول بانها تعتبر بدء مرحلة من مراحل التقدم الفكرى الانسانى

وقد استأنف برستيد دراسته لهذه الاوراق ، وكتب عنها بحثاً يدل على ثقافة واسعة ودقة فى تمحيص الحقائق ارتفعت ببحثه الى الذروة التى لاتنال والغاية التى لاتدرك . إلا أن العلامة برستيد اعترف أن تقدير هذه الأوراق واعطاءها ما هى أهل له من قيمة وخطر ، يستعصى عليه ولا يستعصى على طبيب له بموضوعها دراية . وقد جئت الى نداءه والقى دلوى فى الدلاء.

اشترى أدوين سميث هذه الأوراق من الاقصر فى سنة ١٨٦٢ ، لكنه لم يدرسها وان كان يعلم موضوعها بالضرورة . وظلت هكذا فى الظلام الى أن دفعت بها جمعية نيويورك التاريخية الى الاستاذ برستيد فوجد أن جزءاً من مقدمتها مفقود ، وأنها انتهت عند جملة لا يمكن أن تكون الخاتمة . وهذه الأوراق تولى أحد الكتبة ممن يجهلون الطب ، نقلها من نسخة قديمة يرجع العهد بها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، أى فى الوقت الذى بنى فيه الهرم الاكبر

هذه الاوراق عبارة عن سلسلة من الاصابات الجراحية تبلغ ثمانية واربعين ، اتبع المؤلف فى وصفها وعلاجها طريقة واضحة المعالم لا لبس فيها ولا ابهام

ابتدأ باصابات الوجه ، فالصدغ ، فالفك ، فالذقن ففقرات الرقبة ، فالترقوة فالساعد فعظمة القص . وقد توخى أن يتدرج من الاصابات البسيطة السطحية الاقل خطراً ، الى اصابات أعمق غوراً وأشد تعقيداً وأعظم خطراً ، مما يدل على أن طبيبنا المصرى القديم ، قد اختص بموهبة فذة مكنته من إجادة التقسيم وإحكامه

وسرد الدكتور كامل حسين الثمانى والأربعين حالة ، وعلق عليها بما تراءى له من الناحية الفنية الحديثة . ثم استنتج ماخلاصته :

أولا - أن هذا الطبيب مؤلف هذا السفر النفيس ، لا بد أن يكون على دراية طيبة بتشريح الجسم الانسانى ، ولا بد أنه حصل على تلك المعلومات من تشريح الجثث ومن عمل الصفة التشريحية (البوستمورتم) لا من عملية التحنيط . فهو يعرف عن المخ وأغشيته السحائية شيئاً لايستهان به ،وقدشبه تجاعيده بالنحاس الذائب (إشارة الى الطبقة السنجابية المتكرمشة فوق سطحه) وأما معلوماته عن الجهاز الدموى ، فتعتبر جيدة بالقياس الى ثقافة عصره . ومعرفته بالعظام لاغبار عليها . وكذلك معرفته بالقصبة الهوائية

وعن معلوماته الفسيولوجية أقول : إنه استقاها من مشاهداته الاكلينيكية (أى من فحص المرضى وتتبع أثر العلاج فيهم) فقد كان يجس النبض ليعرف حالة القلب ،وعرف أن بعض اصابات المخ تحدث شللا فى ناحية الاصابة

لكن معرفته بالباتولوجيا (علم الامراض) أغزر . فمن ذلك تقريره فى عرض الكلام عن « الحالة الثامنة » إنها تسببت عن اصابة خارجية ، وليس عن باعث شيطانى . وتلك حقيقة لها أهميتها ، إذ لايزال الاعتقاد قائما فى بعض نواحى مصر ، بأن القوى الخفية تسبب الاصابات ، وإن حججه التى وجهها الى مؤلفين مجهولين ، لتذكرنا بالمناقشات الحارة التى نقرأها فى « تآليف » أبقراط »

عرف هذا الطبيب ماهية الالتهاب ووصف علاماته . ولاحظ خطورة الكسور المركبة المصحوبة بحمى . وعرف « الانضغاط المخى » ، وميز بين الخطير منه وبين ما هو حميد العاقبة مأمون المغبة ، وقد جاء كلامه عن رضوض الركبة مطابقا لتعاليم الباتولوجيا الحديثة

وناهيك بمعلوماته الاكلينيكية فانها كنز ثمين . من ذلك أن حافظته أغنته عن الاحصائيات ومقارنتها بعضها ببعض . وقد تنوعت طرق فحصه لمرضاه وتعددت . فلقد كان يلقى عليهم أسئلة غاية فى السداد ، وكان يطلب اليهم أن يحركوا رقابهم وسواعدهم وينظروا الى صدورهم ليرى هل حركاتهم تؤلم أم تأتى بصعوبة . وكان يلاحظ حساسية المرضى ، ويجس الجروح ليعرف هل العظام التى وراءها قد أصيبت أم بقيت سليمة ، ولكى يعرف حالة النبض والحرارة ومقدار ايغال الكسور . ولست أدرى بأية طريقة كان يحصى النبض من غير ساعة ! وقد ذكر علامات وأعراضاً أخرى ، كتصلب الرقبة وسلس البول والنزف من الخياشيم وانطلاق المنى وغيرها مما يشهد له بطول الباع فى التشخيص ودقة الفحص والملاحظة

أما عن طرق علاجه . فمعقولة وفى بعض الاحيان وافية بالمرام ، تدل على خبرة محمودة بما يجب اتباعه . فهو يعيد المفاصل المخلوعة الى سابق حالها ، وكذلك الكسور . ويستخدم جبائر من الكتان . ويستعمل الكى ويخيط الجروح ويضمدها . ولا يسدها اذا كانت تحتوى على صديد

وانما يضع فوقها «المكمدات واللبخ». ولست أجد وصفا يوفى حذقه فى علاج الانف المكسور والترقوة المحطمة !!

ثانيا ـ نقض الدكتور كامل حسين رأى الاستاذ برستيد الذى ذهب الى ان مؤلف هذا السفر الطبي الجليل، هو أمحوتب إله الطب عند المصريين، أو هو كان كبير الاطباء وعميدهم ثم بمضى الزمن اتخذوه إلهاً كما هو الشأن عند القدماء. وقال الدكتور إن ما يحتويه الكتاب من اسلوب علمى ينافى طرق الكهنوت واساليبهم فى النظر الى أسباب الامراض

ثالثاً ـ يقول الاستاذ برستيد إن هذا السفر قد الف فى العهد الذى بنى فيه الهرم الا كبر، وذهب الى أن مؤلفه لابد أن يكون قد صحب جيشا. وأما الدكتور كامل حسين، فيفند رأى برستيد هذا، مستدلا بمادة الكتاب، ذلك أن الاصابات الواردة فيه تدل على ان المرضى سقطوا من أعلى الى اسفل، وهذا يتمشى مع فكرة انهم من العمال الذين اشتغلوا فى تشييد الهرم

رابعاً ـ أن الطب الاغريقى وقف حجر عثرة فى سبيل التقدم فى التشخيص والعلاج. ذلك أن الاغريق كانوا يضعون النظريات والتعميمات والقواعد، ثم يحاولون تطبيقها. أما المصريون فكانوا يجمعون الحقائق ثم يستنتجون منها بعد تقسيمها وتبويبها ما يصح الاعتماد عليه. وقد أخذ الطب الحديث بطريقة الفراعنة فى دراسة الطب، واطرح طريقة الاغارقة

في صيف القاهرة

أيها السائلون عنا بمصر
كيف نُضحى بها وكيف نَبيتُ
نحنُ فى هذه المدينة نحيا
حين نُمسي وفي النهار نموتُ

خير الدين الزركلى

الحروف العربية والضوابط

تعليق على مقال

طالعت فى الهلال الاغر مقالا شائقاً بعنوان الحروف العربية وهل يمكن اصلاحها بقلم الاستاذ طاهر الطناحي . وقد تناول البحث فى الضوابط العربية والطرق التى اقترحها بعضهم للتخلص منها أو للاستبدال بها طريقة أخرى تجعل الكتابة منطبقة على النطق . وقد أعجبنى من الاستاذ تزييفه لهذه الاقتراحات ، ورده لها بالحجة المرتكزة على المنطق الصحيح والاسلوب العلمى النزيه

وقد تتبع الاستاذ تاريخ تطور الخط العربى والاصول القديمة التى يرجع اليها ويشتق منها بايجاز ودقة . ولكن من أراد أن يعنى بأمر الضوابط فلا يكتفى باستعراض تلك السلسلة فقط ، بل عليه أن يرى هل كانت الضوابط موجودة فى تلك الاصول التى يعود اليها الخط العربى ويشتق منها ، أولا ؟ .وفى هذا أقول : إن من رجع الى اللغة العبرانية واللغة السريانية شقيقتى اللغة العربية وجدهما يستخدمان الضوابط والحركات على الحروف ووجد تشابها فى طرق استعمال هذه الضوابط وتأثيرها فى اللفظ . ويتجلى هذا التشابه بين العربية والعبرانية على الاخص . فاللغة العبرانية تستعمل الحركات الثلاث للفتح والضم والكسر . فبدلا من الضمة التى نستخدمها نحن ، لديها نقطة (.) ترسم فوق الجهة اليمنى من الحرف تدعى (حولم) ، وبدلا من الكسرة تستعمل نفس النقطة التى توضع الآن تحت الحرف وتدعى (حيرك) ، وبدلا من الفتحة تستعمل علامة هكذا (T) تدعى (قامتز) وتوضع تحت الحرف أيضا . وطريقة لفظ الحروف التى تدخل عليها هذه الضوابط كطريقة لفظ الحروف العربية التى تدخلها الضمة والكسرة والفتحة ، بدون أقل فرق فى الامالة أو اللهجة

وفى اللغة العبرانية غير هذه الحركات مثل السكون والتشديد أو التخفيف ، كما يوجد فى اللغة السريانية مثل هذه الضوابط أيضا . والغرض من هذا هو أن نشير الى وجود الحركات فى غير اللغة العربية من اللغات السامية ، مما يجعلنا نفكر فى أن لهذه الضوابط أصلا عريقا فى اللغة

وما استعمال هذه الضوابط الا نتيجة تفكير منطقى صحيح ، وقياس لغوى فذ . فالضوابط تقوم مقام أحرف العلة الثلاثة ، حتى انها تتخذ أشكالها فى بعض الاحيان . وفى ذلك اختصار يوافق أصول البلاغة كل الموافقة ، بالاستغناء عن حرف أو أكثر فى الكلمة ، فتبدو صغيرة هينة

فالضوابط أصيلة فى اللغة كما ذكرت سابقا . ويصعب علينا استبدالها أو تغير أشكالها لانها وضعت فى ألطف شكل يمكن أن توضع فيه

وديع تلحوق

☆ لعل حضرة الكاتب قد انتهى إلى موافقتنا على ماذهبنا اليه فى مقالنا السابق من أن البحث

فى مسألة اصلاح الحروف العربية مضيعة للوقت دون الوصول الى نتيجة تزيل الصعوبة التى تعترض القارىء . غير انه أراد أن يلفتنا إلى انه كان علينا أن نبحث عن هذه الضوابط فى الاصول التى اشتق الخط العربي منها ، وهل هي موجودة أولا . وفاته أننا بينا فى مقالنا ان الحركات والاعجام فى جميع اللغات التى بها حركات واعجام حادثة فى العصور المتأخرة وليست قديمة. وقلنا : « ولم يأخذ العرب الحركات والاعجام من الانباط والسريان كما اشتقوا الحروف عنهما ، فان الخط السرياني والنبطى وسائر الخطوط التى اشتق منها هذان الخطان إلى عهد الفراعنة لم يكن فيها إعجام ولا حركات ولم يكن ذلك الا حادثاً بعد الاسلام ، فكأن المصريين والفينيقيين والسريان والنبطين بقيت حروفهم طول حضارتهم خالية من الاعجام والحركات كما بقيت الحروف العربية خالية منهما حتى أوائل الاسلام»

على أن بحثنا لا يدور حول المقابلة بين الحركات فى اللغة العربية وشقيقتيها العبرية والسريانية كما ظن حضرته ، ولا على أن حركات اللغة العربية تشابه حركات اللغة العبرية . وانما أردنا فى البحث أن نعطى القارىء فكرة عن الوان التطور التى مرت بهذه الحروف حتى انتهت الى ما انتهت اليه

ونلاحظ انه يظن ان الحركات فى اللغة العبرية قديمة . والواقع ان عمرها لا يتجاوز ألفاً ومائتى سنة بالتقريب ، وقد نشأت فى طبرية . وليست الحروف العبرية المضبوطة والمستعملة الآن عند اليهود هي الحروف العبرية القديمة ، فان الأولى لم تستعمل الا منذعصر عزرا الكاتب . وكان يطلق عليها اسم الخط الاشورى أو المربع . أما الحروف العبرية القديمة فتخالف الحروف العبرية المعروفة الآن مخالفة تكاد تكون تامة . ولم يكن فيها حركات ولا اعجام . وقد ذكر حضرة الكاتب ان حركات اللغة العبرية تشابه حركات اللغة العربية، وليس كذلك . ويكفى أن تلقى نظرة فى التوراة أو فى الكتب العبرية لترى خلافاً ظاهراً بين النوعين . فالفتحة فى اللغة العبرية على أربعة اشكال : فتحة طويلة تسمى (قمص) لا (قمتز) . وفتحة طويلة ممالة وتسمى (صيرى). وفتحة قصيرة وهى(تخ). وفتحة قصيرة ممالة وهى (سجول) . وكل نوع من هذه الانواع لا يشابه الفتحة فى الضوابط العربية . وكذلك قل فى الضمة والكسرة والسكون والشدة . فهناك الضمة الطويلة (حولم جدول) وهى ليست كما ذكرها الكاتب نقطة فقط . والضمة الطويلة المشبعة (شورك) . والضمة القصيرة (حولم) .والضمة القصيرة المشبعة (كبوس) . وهناك الكسرة الطويلة (حيرك جدول) والكسرة القصيرة (حيرك) . والسكون أسمه شفا . والشدة اسمها (دغش) . وهناك حركات اعتورها القصر مثل (خطف قمص) و (خطف صيرى) و (خطف سجول) . كما ان هناك حركات يكون الحرف التالى لحرفها مشدداً . . وطريقة نطقها كلها ليست كما يقول الكاتب تشابه طريقة النطق بالضوابط العربية كما يظهر لك من هذا التنويع. ولولا ان حروف المطبعة لاتسعفنا لظهر للقارىء ظهوراً واضحاً مبلغ الاختلاف فى الصورة بين الضوابط العربية والعبرانية

طاهر الطناحي

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربيـة

القارة الغائرة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة الصحة رشد
لندن نيوز . بقلم الاستاذ ستانلي جاردنر]

سيظل اسم المرحوم السر جون مرى مقروناً بذكر رحلة الباخرة المسماة « تشالنجر » من سنة ١٨٧٢ الى ١٨٧٦ وهو مؤسس علم « الاوسيانوجرافى » الحديث . وقد مات وفى قلبه حسرة لان الباخرة « تشالنجر » لم تستطع استكشاف الاوقيانوس الهندى . ولذلك ترك من بعده وصية للقيام بهذه المهمة ، ومن هنا نشأت حكاية « بعثة السرجون مرى » . وقد كان لمصر نصيب يذكر منها لأن حضرة صاحب الجلالة الملك أمر باعارة الباخرة « مباحث » للاشتراك فى البعثة ، وجلالته مشهور باهتمامه بعلم البحار . وكانت البعثة بقيادة الكولونيل سيمور سيويل يعاونه ثلاثة علماء انجليز وعالمان مصريان وخبير من وزارة البحرية البريطانية . وكان معظم رجال الباخرة من المصريين . وقد شرعت الباخرة مباحث فى اسفارها فى شهر سبتمبر الفائت فاجتازت بحر العرب عدة مرات ومسحت قاعه وأخذت عدة نماذج من مائه وقاست درجة حرارته فى عدة مواضع وأخذت فى درس المواد الراسبة فى قاعه وآثار البقايا الحيوانية فيه

قامت الباخرة بثمانى رحلات رسمت فى خلالها خارطة عشرين الف ميل من قاع البحر . واتضح لها أن البحر الاحمر الى عمق مائة قامة مملوء بالحيوانات المائية المختلفة ، وما دون ذلك الى عمق الف ومائة قامة خال من تلك الحيوانات ، فهو اذن « بحر ميت » . ولا يخفى ان كلا البحر الاحمر وبحر العرب هو من البحور المرجانية وفيه جزائر وسواحل مرجانية كثيرة . إلا أن الساحل الجنوبى لبحر العرب خال من الحيوانات المرجانية . اما جزيرتا زنجبار وبمبا فهما مرجانيتان مرتفعتان تحدق بهما سواحل مرجانية وعرة . ومعظم النباتات فيهما هى اشجار غضة الاوراق وشجيرات من نوع التين الشائك . أما الجزائر الاخرى فقد اتضح أنها مرجانية حديثة العهد ماعدا جزيرة سيشيل

ودرس تاريخ نشوء الجزائر يثير جانباً كبيراً من اهتمام العلماء . فكم بالأحرى درس تاريخ القارات التى ظهرت واختفت فى العصور الجيولوجية البعيدة . وعلم النشوء والارتقاء يقول ان الارض كانت

مأهولة في العصور الجيولوجية الاولى بزحافات هائلة قد انقرضت اليوم ، وكان موطنها الاكبر قارة أطلق عليها علماء الجيولوجيا اسم « جونداوانا » وكانت تمتد من اميركا الجنوبية الى اوستراليا مارة بافريقيا والهند شاملة لجزء منهما . واذا درسنا آثار البلدان المذكورة — أي أميركا الجنوبية واوستراليا وافريقيا والهند — وجدنا « احافيرها » (أي بقاياها النباتية والحيوانية المتحجرة) متماثلة في كل عصر من العصور الجيولوجية ، وبعض تلك الاحافير يرجع الى العصر الذي كانت فيه جبال الالب والبيرنيه والهملايا والقوقاز لا تزال تتكون تحت سطح البحار ، ومعظم صخورها من بقايا هياكل حيوانات بحرية . ومن المحتمل أنه كان الى شمالي خط الاوقيانوس قارة أخرى عظيمة . والعلماء يسعون لمعرفة تاريخ هذه الجبال والقارات وكيف نشأت حتى وصلت الى حالتها الحاضرة وكيف خسف غيرها وغار . كما ان هنالك هضابا جديدة تحت سطح الماء في خليج عدن عثرت عليها بعثة مري ولا بد من درسها لمعرفة سر نشوئها . ثم ان هنالك سلسلة من الجبال المغمورة بمياه البحر محاذية لسواحل بلوخستان ، ودرس تاريخ نشوئها مهم جداً من الوجه العلمي . وهنالك سلسلة اخرى من الجبال تحت سطح البحر يبلغ متوسط ارتفاعها تسعة آلاف قدم وتمتد على قاع الاوقيانوس من شاجوس الى سقطرا وتشبه في تركيبها سلسلة الجبال الممتدة في منتصف قاع الاتلانتيك

ولا يخفى ان الاخاديد والهضاب والمرتفعات والمنخفضات في قيعان الاوقيانوسات هي سبب الزوابع الخطرة التي تثيرها الرياح والتيارات الشديدة . ويستدل من فحص نماذج الماء التي اخذتها الباخرة « مباحث » ان هنالك اربعة تيارات أو مجار تجري متعاكسة من سطح البحر إلى قاع الاوقيانوس . كما ان البقايا الحيوانية التي تم فحصها حتى الآن كانت انواعاً كثيرة جداً وبينها طائفة كبيرة من الحيوانات المرجانية الشبيهة تمام الشبه بحيوانات شرقي افريقيا المرجانية . وجميع هذه البقايا هي مما جمع من عمق مائة قامة فقط كما تقدم القول لان البحر بعد ذلك العمق ظلمات خالية من كل أثر للحياة

وخلاصة القول أن شكل الكرة الارضية في العصر الجيولوجي المعروف بعصر الزحافات الهائلة كان يختلف كل الاختلاف عن شكلها الحاضر فقد اكتشفت بعثة السر جون مري في الباخرة « مباحث » قارة واسعة الارجاء اطلق عليها اسم « جونداوانا » كما تقدم ، وكانت تمتد من اميركا الجنوبية الى اوستراليا مارة بقارتي أفريقيا « والهند » وهذه القارة مغمورة اليوم بمياه الاوقيانوس وقد كانت في العصور الجيولوجية الغابرة فوق سطح البحر يوم كانت جبال الالب والبيرنيه والهملايا والقوقاز في حالة النشوء . وبقايا الآثار النباتية والحيوانية في جميع اجزاء « جواندوانا » هي متماثلة وهذا دليل قاطع على أنها قارة واحدة متصلة الاجزاء والانحاء

أما تزال الفرص سانحة ؟

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة بوبيولار
ميكانكس . بقلم الاستاذ شنورماخر]

كثيراً ما يتساءل الشبان اليوم : هل ازدحمت ميادين الحرف والاعمال بطلاب الرزق بحيث لم يبق مجال لغيرهم أو لا تزال الفرص سانحة كما كانت من قبل ؟ وهل الاختراعات والآلات الحديثة تغنى عن العمال والمستخدمين وتضيق أبواب الرزق أو هى لا تؤثر ولا توصد أبواب العمل فى وجوه الشبان ؟

ان العلم والاختبار يؤكدان لنا أن الفرص ليست فقط سانحة كما كانت من قبل ، بل إن الذى ينتهزها يستطيع أن ينتفع بها ويبلغ النجاح على وجه أفضل مما كان يتاح له فى أحسن أوقات الرخاء

وفى الواقع أن المشكلة العظمى التى يواجهها الشاب المتعلم اليوم ليست هل الفرصة سانحة أو غير سانحة بل : أين توجد تلك الفرصة ؟

وللجواب عن هذا السؤال يجدر بنا أن نلقى حولنا نظرة اجمالية لنعلم ماهى المهن والاعمال الآخذ نطاقها فى الاتساع فى الوقت الحاضر ، وماهى المهن والاعمال الآخذة فى الانحطاط ، وما هو مدى التقدم فى تلك ومدى التقهقر فى هذه ؟

خذ الاعمال والصناعات الاساسية التى لا غنى عنها لأية أمة كالزراعة والفلاحة والاشتغال بالمعادن والمعامل . فالبحث فى تطور هذه الشؤون فى خلال العشرين سنة الماضية يدلنا على أن التقدم فيها قد كان بطيئاً جداً ومجال اتساعها ضيقاً . ويؤخذ من احصاءات كثيرة أن مدى ذلك التقدم لم يزد على ستة فى المائة مع أن الانتاج فيها زاد على ستة وثمانين فى المائة

ولكن لننظر الى المهن الحرة كالمحاماة والهندسة والطب وطب الاسنان وغيرها ، فما الذى نراه ؟

لقد زاد عدد أصحاب هذه المهن خمسين فى المائة فى الولايات المتحدة وخمسة وثلاثين فى المائة فى أوربا فى مدة العشرين سنة الماضية مع أن عدد السكان فى القارتين المذكورتين لم يزد بمثل تلك النسبة . ومعنى ذلك أن ميادين تلك المهن قد اكتظت باصحابها فمجال الفرص فيها إذن ضيق . وليس سبب هذا الضيق انتشار استعمال الآلات الميكانيكية التى تغنى عن الايدى العاملة بل عدم التناسب بين زيادة عدد الذين يزاولون تلك المهن وعدد السكان

بقى هنالك ميدان آخر لا شك أن الفرصة سانحة فيه كل السنوح ، ونعنى به ميدان التجارة . نعم إن العلم قد استنبط — وسيظل يستنبط — آلات تغنى عن الايدى العاملة وتحل محل العمال فى انتاج السلع والمصنوعات . ولكن توزيع هذه المصنوعات وترويجها بين الناس لايمكن أن يتم بالآلات

خذ الولايات المتحدة مثلا . ففى العقدين الماضيين من السنين زاد عدد المستخدمين فى الاماكن التجارية أكثر من خمسة ملايين شخص يقومون بالبيع والشراء وعرض السلع على الناس وهلم جرا . فالسلع قد تكثر بفضل الآلات ، ولكن بيعها (تصريفها) لا يمكن أن يتم بالآلات . وفى الواقع أن نسبة الزيادة فى عدد العاملين فى هـذا الميدان قد وصلت الى ثلاثة وثمانين فى المائة

ولشرح ذلك نقول : لنفرض أن صنع طن من ابر الخياطة يقتضى من الايدى العاملة أقل مما كان يقتضيه منذ مائة سنة مثلا — بفضل الآلات الحديثة التى تصنع تلك الابر — فان ضبط حساب هذه الابر وتوزيعها على التجار الباعة والمفاوضة بشأنها والسعى لترويجها — كل ذلك يحتاج الى عمال ومستخدمين ولايمكن الاستعاضة عنهم بالآلات الميكانيكية . وبعبارة أخرى ان عدد العمال الذين يشتغلون بانتاج هذه السلعة قد نقص بسبب حلول الآلات الميكانيكية محلهم . ولكن عـدد الذين يشتغلون ببيعها وترويجها قد زاد زيادة لا سبيل الى انكارها . وعليه فالفرصة فى هذا الميدان سانحة

ومع ذلك فالذين يعرفون هذه الحقيقة وينتهزون الفرصة قليلون . يدلك على ذلك تجربة قام بها جماعة من علماء الاقتصاد باميركا إذ وجهوا الى خمسمائة وثمانية من طلبة العلوم المختلفة بجامعة هارفرد هذا السؤال وهو : « ماذا تنوى أن تعمل بعد احرازك الشهادة الثانوية » فكان جواب ستة فى المائة منهم فقط أنهم سيشتغلون بالتجارة . وأجاب الباقون انهم سيدرسون الطب والهندسة والمحاماة وغيرها من المهن الحرة المختلفة

وما يصدق على الولايات المتحدة يصدق على أكثر بلاد العالم المتمدن . فالفرص تقل بوجه الاجمال فى ميادين المهن الحرة ولكنها سانحة فى ميادين التجارة . ثم ان فى ميادين المهن الحرة أيضاجانبا غير مطروق كثيراً وهو ما يعبرون عنه بالتخصص . فقد لا تكون الفرصة سانحة لمن يحاول مزاولة مهنة الطب بوجه عام . ولكنها سانحة بلا شك لمن يزاول ناحية معينة من هذه المهنة فيتقن عمله فيها . وقد قال مدير احدى الشركات الهندسية الكبرى فى اميركا : انه مع اشتداد الازمة فى السنوات الاربع الاخيرة كانت شركته تبحث عن مهندسين اخصائيين فلا تجدهم ، وكانت الاعمال متوافرة لهم

وفى الواقع أن ميدان الهندسة قد يكون اليوم مزدحما بالمهندسين فى العالم ، ولكن المهندسين الذين يحسنون نوعا خاصا من الاعمال ويتقنونه هم قليلون جداً . ولا يخفى أن بين الهندسة والتجارة علاقة متينة . فالآلات والمعامل التى تنتج السلع تحتاج الى المهندسين كل الاحتياج . وكلما اتسع نطاق الانتاج زادت الفرص أمام المهندسين الذين يتولون الآلات والمصانع ويشرفون عليها . ثم ان الآلات التى تغنى عن الايدى العاملة تحتاج الى أيد تصنعها وتعممها . واوتوموبيل النقل الذى يغنى عن الحمالين والعمال لابد له من أيد تصنعه . والمعامل التى تصنعه لا بد لها من عمال . فترى اذن ان الفرص اذا أفلتت من مكان سنحت فى مكان آخر

اليانصيب فى الدول المختلفة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة نيوأوتلوك
بقلم الاستاذ مارتن صومرز]

وصف أحد الكتاب الانجليز « اللوتريات » اليانصيب بقوله إنها ضريبة يدفعها الحمقى بلاتذمر . ولا يخفى أن فى العالم اليوم نحو ثلاثين دولة تبيح بيع أوراق « اليانصيب » وتأخذ حصتها من ثمنها. ولعل الشعب الفرنسى المحب للادخار أكثر شعوب الارض اقبالا على شراء تلك التذاكر

منذ عهد بعيد شعرت الحكومة الفرنسية بشدة حاجتها الى المال . فاقترح بعضهم انشاء « يانصيب » أهلى تأخذ منه الحكومة حصة كبيرة . واعترض بعض المحافظين على ذلك بحجة أن « اليانصيب » أسلوب عتيق لجمع الضرائب لجأ اليه الامبراطوران أوغسطوس ونيرون لموازنة الميزانية الرومانية ، فليس جديراً بالحكومة الفرنسية أن تلجأ الى مثل ذلك الاسلوب . ولكن أنصار اليانصيب فازوا ، وبلغت حصة الحكومة منه فى أواخر السنة الماضية نحو ثمانمائة مليون فرنك

وهنالك حكومات كثيرة غير فرنسا تبيح «اليانصيب» وتأخذ حصتها منه . فهنالك مثلا جمهورية بناما لها « يانصيب » تبلغ جوائزه عدة آلاف من الجنيهات وهو يسحب فى ليلة عيد الميلاد من كل سنة . وهنالك « يانصيب » السباق الارلندى ، ويبلغ متوسط ثمن مايباع من تذاكره نحو سبعة ملايين من الجنيهات فى جميع أنحاء العالم لمساعدة المستشفيات الارلندية . والغريب فى أمر هذا « اليانصيب » أن السباق الذى هو مبنى عليه يجرى فى انجلترا ومع ذلك « فاليانصيب » محرم هناك

والحكومة المكسيك أيضاً « يانصيب » سنوى يبلغ مجموع ثمن تذاكره نحو أربعة ملايين جنيه . وللحكومة الاسبانية يانصيب سنوى يبلغ مجموع ثمن تذاكره نحو خمسة ملايين جنيه ويسحب فى ليلة عيد الميلاد . وقد كانت هذه « اللوترية » فى وقت من الاوقات أكبر « يانصيب » فى العالم

ولحكومة كوبا « يانصيب » منظم تعنى به الحكومات المتعاقبة مهما تبدلت الاحزاب . والسنيور موسوليني يلجأ الى « اليانصيب » من وقت إلى آخر لمواجهة النفقات التى تتطلبها الاعمال الوطنية . ومنذ عهد قريب انشأ هتلر « يانصيباً » لمساعدة العمال العاطلين . ولحكومة اسوج « يانصيب » أهلى يلقى من الامة إقبالا عظيما وتأخذ منه الحكومة حصة كبيرة لمساعدة الجماعات التى تعنى بالآداب والفنون والموسيقى

ولعل روسيا السوفياتية هي البلاد الوحيدة التى لا يلقى فيها « اليانصيب » الاهلى أى اقبال . وسبب ذلك أن هذا « اليانصيب » متصل بسندات الحكومة فكل من اشترى سنداً (ويكاد شراء هذه السندات يكون اجبارياً) يعطى تذكرة « يانصيب » . وفى الواقع أن من امتنع عن شراء السند

عرض نفسه لفقدان البطاقة التى يأخذ «جرايته» من الحكومة بموجبها . وعند السحب تعلن الصحف وادارات الاخبار والاذاعات بيان النمر الرابحة . ولكن قلما يتقدم الرابحون لاخذ الجوائز إذ لا يرون أى نفع من ذلك مادامت الحكومة تتشدد فى انتزاع الربح منهم ، إما ببيعها لهم سندات الخزانة التى لاقيمة لها فى نظرهم أو بفرض الضرائب المختلفة عليهم

« واليانصيب » محرم فى كل من انجلترا وأميركا واليابان تحريماً باتاً . والشعب اليابانى أقل الشعوب ميلا الى كل ما تشتم منه رائحة القمار . وقد اتفق منذ مدة أن جرى سباق للخيل فى اليابان فكثر عدد المتراهنين على الجياد . وحدث ما أثار الشك فى نفوس المتراهنين فهجموا على راكبي الجياد « الجوكي » وقطعوهم ارباً ارباً وقتلوا الجياد التى وصلت اليها أيديهم . ومنذ ذلك اليوم أصدرت حكومة الميكادو أمراً بمنع جميع أنواع القمار والمراهنات لانها لا تتفق وطبع الشعب اليابانى

أما انجلترا فقد كان اليانصيب فيها مباحا حتى سنة ١٨٢٦ حين صدر قانون بتحريمه فى عهد الملك جورج الرابع . ومع ذلك لا يزال الشعب الانجليزى أكثر الشعوب اقبالا على شراء تذاكر سباق الخيل فى العالم وهو ينفق نحو أربعين مليون جنيه على شراء تلك التذاكر وكلها أجنبية . ومما يروى من هذا القبيل أن الدوق أوف أثول ، وهو من أكبر سراة الانجليز الاغنياء ، أصدر مرة تذاكر تشبه تذاكر « اليانصيب » ثمن كل تذكرة منها عشرة شلنات وعليها هذه العبارة : « إن الدوق أوف أثول سيتصرف بالاموال التى يجمعها كما يحسن فى نظره غير متقيد برأى أحد » . وتمكن الدوق من بيع ٣٣٧ الف تذكرة بمبلغ ١٦٨٥٠٠ جنيه فاعطى من هذا المبلغ نحو ستين الف جنيه للمستشفيات المحتاجة الى تبرعات المحسنين ، ووزع الباقى كله على ٧٤٨ من الاشخاص الذين اشتروا التذاكر من دون أى شرح أو تفصيل ، وكان عمله يستحق كل مدح وثناء الا أن اسكتلند يارد (ادارة الشحنة السرية) أقامت الدعوى عليه بحجة أنه خالف قانون « اليانصيب » . فدافع الدوق عن نفسه بقوله إن عمله لم يكن « يانصيبا » لانه لم يعد أحداً بأية جائزة . ومع ذلك حكمت عليه المحكمة بغرامة خمسة وعشرين جنيها فدفعها وهو يقول إنه سيعود الى مثل ذلك

وقد انشأت الحكومة الاميركية سنة ١٧٧٦ « يانصيبا » أهليا بلغ مجموع جوائزه خمسة ملايين دولار ، وكان جورج واشنطون أول من اشترى تذكرة من ذلك « اليانصيب » . وفى اميركا عدة مدارس جامعة قامت على الاموال المجموعة من بيع تذاكر « اليانصيب » وفى سنة ١٨٩٣ وقع مايدعو الى الريبة فى تصرفات بعض القائمين « بيانصيب » كبير معروف فى أميركا فاصدر مجلس الكونجريس قانونا حرم به « اليانصيب » بحجة أنه يعود الشعب الاعتماد على الحظ وهذه هى روح القمار بعينها . ومع ذلك لايزال الشعب الاميركى — بعد الشعب الانجليزى — أكثر الشعوب اقبالا على شراء أوراق « اليانصيب » الاجنبى

مصير الجنس الابيض فى آسيا

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة سكر بنر.
بقلم الاستاذ باول هتشنسون]

لا شك أن من أهم المسائل التى تشغل اليوم بال المفكرين من رجال السياسة مسألة احتمال وقوع حرب بين روسيا واليابان تجر اليها الولايات المتحدة . والعارفون بالشؤون الدولية يعلمون ان حرباً كهذه محتملة الوقوع وانها اذا وقعت فالارجح أن تقف فيها الولايات المتحدة بجانب الروس ، لا عطفاً منها على هؤلاء ، بل علماً منها بان حرباً كهذه ستكون صراعاً بين الحضارة البيضاء والحضارة الصفراء . على انك لو سألت أى أميركى لماذا يفضل الانضمام الى جانب الروس فى حرب كهذه ؟ أجابك جواباً مبهماً إما لانه لا يعرف السبب الحقيقى أو لانه لا يريد أن يعبر عن أفكاره بالصراحة

لقد قضى الجنس الابيض أكثر من مائة عام وهو يحاول نشر سلطانه على آسيا وشعوبها . ولن تدعو الحاجة الى مثل ذلك الوقت لهدم مابناه والقضاء على سلطانه . وفى الواقع أن الشعوب البيضاء هى اليوم على أهبة الرحيل من آسيا وان يكن الكثيرون يجهلون ذلك

ان اليابان تعتبر نفسها اليوم زعيمة النهضة التى شعارها : « آسيا للآسيويين » وهى مغتاظة من الصين لانها بطيئة السير ولانها لا تريد الانضمام اليها لتنفيذ خطتها . على أن الصين قلقة أشد القلق لانها ترى اليابان باسطة سلطانها على منشوريا ولن تحجم عن بسط نفوذها على وادى نهر اليانغتسى أيضاً وعن احتلال بعض المواني اذا دعت الحاجة الى ذلك . واليابانيون لا يدركون لماذا لا ينضم اليهم الصينيون اذا كان لابد من اخراج الروس والانجليز والفرنسيين من جميع البلدان الاسيوية التى قد بسطوا عليها نفوذهم كمنغوليا ووادى اليانغتسى ويوناث والهند الصينية والهند وغيرها . ان الصين نفسها غير قادرة على طرد الجنس الابيض من تلك البلاد ، فلماذا لا تؤيد اليابان فى تنفيذ تلك السياسة وهى تعلم أن اليابان زعيمة الشعوب الصفراء . ولماذا لا يستطيع الصينيون أن يدركوا انه خير للصين أن تطلق يد اليابان فى الشرق ، بل فى بلاد الصين نفسها لاحلال النظام محل الفوضى ، من أن تعرقل عمل اليابان فى كل مكان

وفى الوقت الذى يعتقد فيه رجال السياسة من اليابانيين ان فى وسع بلادهم أن تنهض باعباء الزعامة للامم الشرقية الصفراء ، يعتقد رجال الاعمال منهم أن فى وسع التجارة اليابانية أن تقضى على تجارة الغرب قضاء مبرماً . فتضمن للشرقيين بذلك استقلالهم الاقتصادى التام

ولا يخفى أن الازمة الاقتصادية التى عمت العالم فى خلال السنوات الاربع الاخيرة أضرت بتجارة جميع الامم ماعدا تجارة اليابان فقد زادت صادراتها فى خلال تلك السنوات واحداً وخمسين

فى المائة . ولما رأت بريطانيا العظمى أن اليابان تحاول غمر الاسواق العالمية ببضائعها ومصنوعاتها حاولت أن توصد فى وجهها أبواب المستعمرات البريطانية ،ولاسيما بلاد الهند،وان تقيم دونها أسواراً منيعة من المكوس (أى الضرائب الجمركية) . ولكن اليابان تهددت انجلترا بانها ستمتنع فى المستقبل عن شراء القطن الهندى . فسقط فى يد زراع القطن من الهنود وأخذوا يلحون على حكومة الهند بان تحاسن اليابان وتعقد معها شبه هدنة . فلم يسع هذه الحكومة الا الانقياد . فانقادت مكرهة وهى تعلم أن قضيتها خاسرة . وبريطانيا العظمى ــ وجميع دول الغرب ــ تعلل نفسها بان الخطة التى تسير عليها اليابان لنشر تجارتها فى العالم لا بد أن تعود عليها فى النهاية بالخراب

منذ مدة وجيزة ظهر فى أوربا وأميركا كتاب بعنوان « مشكلة الرجل الابيض » لكاتب يسمى « نثانيل بفيفر » وقد بسط رأيه فى مستقبل الحضارة الغربية . وخلاصته ان الرجل الابيض اما أن يحكم المستعمرات الخاضعة له بيد من حديد أو أن يتركها ويخرج منها . وهذا الرأى وان يكن فيه شىء من الشدة إلا أنه صحيح فى أساسه وهو يحل المشكلة التى تواجه الرجل الابيض الذى يحاول بسط سيادته على الشعوب الصفراء . وهذه المشكلة هى هى فى الهند والهند الصينية والهند الهولندية الشرقية والفيلبين والمستعمرات الأوربية فى الشرق الادنى وفى أفريقا بل فى كل مكان . ولذلك تجد المحافظين المتمتين من الانجليز يلحون على حكومتهم بالسير على السياسة التى جرى عليها اللورد كرزون فى الهند . وهم يقولون ان كل تساهل تبديه حكومتهم للهنود وغيرهم من الوطنيين يشجع هؤلاء على طلب المزيد . وهى حقيقة لا سبيل الى انكارها . ومع ذلك فان المعتدلين يرفضون العمل بمشورة المحافظين المتمتين لانهم يعلمون أن نفقات حكم بلاد واسعة الارجاء كالهند بحسب تلك الخطة ليست مما تستطيع حملها اليوم أية حكومة فى العالم . ولذلك تجد انجلترا نفسها مضطرة الى مواصلة السير على سياستها الحاضرة ، متنزلة للهنود عن « امتياز » بعد آخر . وهى راجية أن منحتها الاخيرة ستكون آخر المنح ، وهى فى الواقع ليست كذلك

أفليس مغزى ذلك كله واضحاً وهو ان سلطان الرجل الابيض على آسيا قد بدأ يتقلص ، وانه ليس للشعوب البيضاء فى القارة المذكورة الا أن تبحث لها منذ الآن عن منفذ تخرج منه محتفظة بكرامتها ؟ فليس هنالك أى نفع من الاستمرار على مواجهة الاخطار بقصد الدفاع عن سياسة الباب المفتوح فى الصين أو فى غيرها من بلاد الشرق فلا قيمة لذلك الباب تستحق اية تضحية

ترى هل يمكن أن يؤدى الاستمرار على السياسة الحالية الى سلام مستقر ؟ مامن رجل عاقل يستطيع أن يجيب بالايجاب . ولن يستقر السلام فى العالم اذا أصر الرجل الابيض على الاحتفاظ بسلطانه على الشعوب الاسيوية الى ماشاء الله . نعم ان السياسة فى الشرق مضطربة كل الاضطراب وقد تظل كذلك نصف قرن آخر أو أكثر . ولكن اصرار الرجل الابيض على مواصلة خطته لايمكن أن يؤدى الا إلى خسارة مؤكدة

أشد الحيوانات ذكاء

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة نيويورك
تايمز . بقلم الاستاذ جورج جراى]

يزعم الدكتور بلاير مدير حدائق الحيوانات بمدينة نيورك أن للحيوانات بوجه الاجمال ملكة التفكير وأن لأكثرها حواس أدق من حواس الانسان . فالنحلة مثلا دقيقة حاسة الابصار حتى انها ترى الاشعة التى وراء البنفسجية ،حالة ان الانسان لايستطيع رؤيتها. والكلب دقيق حاسة الشم حتى انه يشم رائحة صاحبه من مسافات بعيدة . والحية دقيقة حاسة الذوق حتى انها لتقذف بلسانها خارج فمها عندما ترى فريستها وتحس حقيقة بطعم تلك الفريسة

هذه أمثلة تدل على دقة حواس الحيوان . على ان الحيوان يشعر فضلا عن ذلك بالغضب والحسد والعطف والحنان وبغير هذه من العواطف التى يشعر بها الانسان . وليس معقولا ان تتصف الحيوانات بهذه الصفات وتكون مجردة فى الوقت ذاته من صفة التفكير

ويزعم الدكتور بلاير أن الحيوانات العشرة التى هى أشد ذكاء من غيرها هى الآتية :

(١) الشمبانزى (٢) الاورانج أوتانج (٣) الفيل (٤) الغوريلا (٥) الكلب (٦) كلب الماء (٧) الحصان (٨) اسد البحر (٩) الدب (١٠) القط

ويدل الاختبار على انه لو اتيح للشمبانزى أن يأنس بصحبة الانسان كما قد أنس بها الكلب ألوف الاحقاب لظهر ذكاء الشمبانزى ظهوراً واضحاً ولثبت تفوقه على جميع الحيوانات . نعم ان الكلب أسهل الحيوانات ترويضاً ولكن الشمبانزى أشد ذكاء منه ومن جميع الحيوانات . ومن أدلة ذلك ان انثى من اناث الشمبانزى تدعى « ايلين » كانت قد تعلمت الجلوس الى المائدة مع صاحبها واستعمال الشوكة والسكين وسائر أدوات المائدة كما يستعملها الانسان تماماً

ومما يروى عن ذكاء هذه الشمبانزى انهم علقوا لها مرة موزاً متدلياً من السقف ، واذ عجزت عن الوصول اليه جاءت بصندوق خشبي ووضعت فوقه كرسيا ثم اعتلت الكرسى حتى وصلت الى الموز

ويلى الشمبانزى فى الذكاء الاورانج أو تانج . ويعتقد البعض ان الغوريلا أذكى منه، ولكن نظراً الى نفورها من صحبة الانسان وكرهها للوقوع فى أسره لانعلم من أمرها الا قليلا . ويدل الاختبار على انها اذا وقعت فى أسر الانسان لا تعمر طويلا

ويجيء الفيل بعد ذلك فهو من أذكى الحيوانات وأشدها مهارة . ويسميه البعض « فيلسوف المملكة الحيوانية » . وهو يختلف عن جميع الحيوانات بسهولة انقياده لمروضه وسرعة تعلمه

ففي حديقة حيوانات نيويورك مثلا عندما تدخل الفيلة زرائبها لتنام توصد الباب إذا كان الجو بارداً وتتركه مفتوحاً إذا كان حاراً . ومما يحكى عن أحدها وهو فيل هندي أن حارسه وضع أمامه ذات يوم حفنة من الفول السوداني (والفيل مغرم به) وكان الفول بعيداً عنه لا يستطيع الوصول اليه ، فما كان منه الا أن مد خرطومه ونفخ نفخة قوية على الحائط . فانعكست عن الحائط موجة هواء دفعت الفول نحو الفيل فالتهمه بشراهة عظيمة

أما ذكاء الكلب فلا حاجة الى اقامة الدليل عليه ويليه الحصان وهو من أذكى الحيوانات . وقد اشتهر في المانيا منذ عهد قريب جواد يدعى « هانس ابرفيلد » كان يحسب ويحل « العمليات » الحسابية ويدل على الارقام بضرب الارض بحافريه . فاذا كان الرقم آحاداً ضرب الارض بحافر مقدمته اليمنى . واذا كان عشرات ضرب الارض بحافر المقدمة اليسرى . وقد فحص جمهور من العلماء هذا الحصان فرأوا أن صاحبه كان يومىء اليه باشارات خفية لكي يضرب بحافره . ومع انكشاف هذه الحيلة حكم العلماء بذكاء ذلك الحصان لانه كان يفهم اشارات صاحبه

أما كلب الماء — الجندباستر — فالدلائل على ذكائه متوافرة . وفي بعض الكتب ان الصيادين يقصدون هذا الحيوان وينزعون خصاه ، فاذا قصدوه ثانية وخاف ان يدركوه رفع رجله لكي يروا انه منزوع الخصى فيرجعوا عنه

وللحيوان المعروف بأسد البحر أيضاً ذكاء عظيم وهو في البحر كالفيل في البر سلس الانقياد سريع التعلم . ويليه الدب ، والمعروف عنه انه يحب الظهور أمام الناس ويقوم بالالعاب والحيل التي تطلب منه ولا يرفض الطاعة أمر مروضه . وعندما يسمع تصفيق الناس له يطرب وينظر حواليه كأنه يخامره شيء من الغرور . ومن عادة الدب القطبي أن يبحث عن طعامه في الماء فاذا تساقط الفتات في الماء ولم يستطع الوصول اليه عمد الى عود يحرك به الماء ليحدث فيه أمواجاً وهذه الامواج ترفع الفتات الى السطح فيلتقطه الدب ويأكله . ويروى عن دب من دببة « الاسكا » انه كان اذا أعطى خبزاً يابساً قصد الى غدير الماء ونقع فيه الخبز ليسهل عليه مضغه . فاذا كان الخبز طرياً لم يحتج الى بله

اما زعم البعض ان الود الذي تظهره بعض الحيوانات نحو الانسان دليل على الذكاء فغلط شائع . ولعل الاصح ان الحيوان الذي يبدي الغضب والحقد والاستياء أشد ذكاء من الحيوان الذي لايفعل ذلك . وتعليل هذا ان الحيوان انما يغضب ويحقد لعلمه بان حقوقه قد ديست وبان غيره — انساناً كان أو حيواناً — قد اعتدى عليه . وهذا دليل قاطع على ذكاء الحيوان

أما عاشر الحيوانات الذكية في نظر الكاتب فهو القط . وقصص القط الدالة على الذكاء اكثر من أن يتناولها العد

حينما تمطر السماء ذهبا

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة
ريكراك . بقلم الاستاذ روجيه سيمونه]

اذا جال الانسان فى السهول الواسعة الممتدة فى الجنوب الغربى من الولايات المتحدة يرى فى بقعة منها حفرة غائرة فى الارض إلى عمق نحو ١٧٥ متراً ومحيطها نحو ١٥٠٠ متر . وكان العلماء حتى عهد قريب يذهبون فى تعليلها مذاهب شتى. فزعم بعضهم أنها أثر فوهة بركانية وزعم غيرهم أنها شيء آخر . ولكن المباحث العلمية لم تكن تسلم بصحة شيء من تلك الفروض. واتفق أن فريقاً من علماء الجيولوجيا أعادوا فحص الحفرة فوجدوا أنها ليست غائرة عمودياً فى الارض بل عن جانب كأن جسما كروياً سقط على الارض مائلا ، فبدلا من أن يغوص فى قشرة الارض عمودياً كأنه متجه نحو المركز ، غاص مائلا عن ذلك المركز

ورأى العلماء فى هذا الوضع ، وفى خلو تلك الجهات من أى أثر للحمم البركانية ، أن افتراض كون الحفرة فوهة بركانية هو افتراض ضعيف لا يؤيده أى دليل . فلم يبق الا افتراض أن الحفرة هى أثر نيزك هائل الحجم سقط فى ذلك المكان وغار فى الارض

ومما يؤيد هذه النظرية أسطورة قديمة شائعة بين هنود قبيلة نافاجوس المقيمين بتلك الجهات وقد تناقلوها أباً عن جد منذ أقدم الازمنة . وخلاصتها أن « اله النار » ألقى على ذلك المكان منذ عدة ألوف من السنين قذيفة نارية من السماء فانقلب الليل نهاراً وامتلأ الفضاء بدوى هائل سمعه الناس فى جميع الانحاء وغارت القذيفة فى الارض وانبعث منها هواء ساخن أحرق النباتات والاشجار على مدى مسافات شاسعة

وما اطلع علماء الجيولوجيا على هذه الاسطورة حتى رسخت فى ذهنهم النظرية التى تقدمت الاشارة اليها أى أن الحفرة التى نحن بصددها هى أثر نيزك سقط على الارض وغار فيها . وبناء عليه عزم العلماء على تحقيق تلك النظرية . فأخذوا يبحثون عن آثار ذلك النيزك فى الجهات المجاورة وتحت سطح الارض . وفى الواقع انهم عثروا على شظايا النيزك فى أنحاء مشتتة فى أرض تبلغ مساحتها اكثر من ثلثمائة كيلو متر مربع حول الحفرة . وكان بعض تلك الشظايا صغير الحجم والبعض الآخر كبيره يزن بضع مئات من الكيلوجرامات . ومنذ ذلك اليوم لم يبق عند العلماء شك فى صحة النظرية التى ذهبوا اليها فى تعليل الحفرة فسموها «حفرة النيزك» Cratère du Météore الا أنهم أرادوا ألا يتركوا أى مجال للشك . فرأوى أن يحفروا هنالك لعلهم يعثرون على النيزك مطموراً فى جوف الارض . ولم يكن العثور عليه مهماً من الوجه العلمى فقط بل من الوجه الاقتصادى أيضاً

فقد قدر العلماء حجم النيزك بنحو عشرة مليارات من الكيلوجرامات من الحديد والنيكل والكوبلت والنحاس والبلاتين والاريديوم . وقيمة كنز عظيم كهذا لايمكن أن تخفى على أحد

وعليه شرع العلماء فى سبر الارض هنالك . وكادت نتيجة المباحث الاولى تلقى اليأس فى قلوبهم . وسبب ذلك أنهم حفروا الارض « عمودياً » بدلا من أن يحفروها وراباً (حفراً « مورورباً ») لان النيزك سقط مائلا لاعمودياً . فعادوا وحفروا فى اتجاه سقوط النيزك ، وماكان أشد فرحهم إذ عثروا عليه فى هذه المرة مطموراً فى عمق نحو ثلثمائة متر !

فأيدت نتيجة هذه المباحث نظرية أولئك العلماء تأييداً تاماً واستقر الرأى منذ عهد قريب على استغلال ذلك النيزك لأخذ ما فيه من المعادن النافعة . ويقدرون الوقت اللازم لذلك بنحو عشر سنوات . واليك كمية المعادن التى يتوقعون استخراجها :

تسعة مليارات كيلوجرام من الحديد

ستمائة مليون « « « النيكل

مائتا مليون « « « البلاتين والنحاس والكوبلت والاريديوم

فاذا لم يكن هنالك غلو فى هذا التقدير — وليس ثمة ما يحملنا على الارتياب فى صحته — كان هذا النيزك كنزاً بالمعنى الحقيقى لايستطاع تقدير ثمنه

* * *

وعلى ذكر هذا النيزك نقول ان الشهب والرجم والنيازك تكاد تكون شيئاً واحداً . فالشهب ترى فى الليل كانها كواكب تنقض من ناحية فى السماء وتختفى فى ناحية أخرى . والنيازك شهب كبيرة تنقض من الجو وتنفجر ويسمع لانفجارها دوى شديد ثم تختفى ، وكثيراً ما تستعمل النيازك بمعنى الرجم أيضاً (كنيزك آريزونا الذى تقدمت الاشارة اليه) وهى شهب تصل الى الارض كانها حجارة معدنية . وقد عرف الناس الشهب والرجم والنيازك جميعاً منذ أقدم الازمنة . وفى أساطير قدماء الصينيين واليونان والرومان اشارات متعددة اليها . وقد أثبت العلم الصحيح منشأها . وفى العالم اليوم ألوف من النماذج منها محفوظة فى المتاحف الجيولوجية المختلفة — بعضها كبير الحجم يزن بضعة ألوف من الكيلوجرامات . وهى فى الحقيقة شظايا أجرام فلكية تساقطت فى الفضاء فلما دنت من منطقة جاذبية الارض جذبتها هذه نحوها فاحتكت بهوائها فانصهرت

واذا فحصنا النماذج الموجودة فى متاحف العالم المختلفة وجدنا تركيبها يختلف اختلافا كبيراً ويمكن قسمتها نوعين : أولهما المعادن المصهورة المكتنفة بمواد ترابية . وثانيهما المواد الترابية المكتنفة بمعادن مصهورة . وأهم المعادن الموجودة فى كلا النوعين الحديد والكوبلت والنيكل والفضة والمغنزيوم والسيليسيوم والزنك والنحاس وغير هذه من المعادن المعروفة . ووجودها فى الشهب والرجم والنيازك دليل على تماثل عناصر المادة فى جميع الاجرام الفلكية

السموم التى نتعاطاها

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ويدرز ديجست . بقلم الدكتور مونتاج الامريكي]

ما أكثر العقاقير التى يعلن عنها أصحابها ويعزون اليها الخواص المدهشة ! فمن أقراص تشفى الصداع إلى حبوب تعالج الآلام الى أدوية تزيل الامساك إلى غير ذلك من العقاقير ذات التأثير العجيب ولعل أكثر العقاقير المعلن عنها هى لمداواة الامساك . والناس يتعاطونها من دون ان يبحثوا عن حقيقتها ليعلموا ماسبب تأثيرها ولماذا هي مسهلة

وفى الواقع أن العقاقير المسهلة أنما تقوم بوظيفة الاسهال لان الامعاء لاتقبلها فتحاول طردها إلى الخارج . ولا يخفى ان بعض تلك العقاقير هى ذات تأثير لطيف ولكن البعض الآخر قوى التأثير يحدث تهيجاً شديداً فى الامعاء ويفعل فيها فعل السموم . بل هى سموم بالمعنى الحقيقى ، وغريب جداً أن يعمد العاقل الى السم ليستعمله حادوراً

خذ العقار المعروف باسم فينولفتالين (Phenolphthalein) وهو مسهل كثير الاستعمال وقلما يعرف الذين يستعملونه أنه سم حقيقى . وهم يتعاطونه بشكل مئات من المستحضرات لان أصحاب مصانع العقاقير قد أدركوا شدة تأثيره منذ زمان طويل وعرفوا ان الجمهور لا بد أن يفضله على غيره إذ لا لون له ولا رائحة ويكاد يكون لا طعم له أيضاً . وذرة صغيرة منه تكفى لاحداث التأثير الكافى . وعليه فمن الممكن اخفاء تلك الذرة فى قطعة من « اللادن » أو الشكولاتة أو ما أشبه . ولا شك أن الفينولفتالين إذا أخذ بكميات صغيرة وفى فترات متباعدة لا يحدث ضرراً . ومع ذلك فان أجسام الناس ليست متعادلة فى قوة احتمالها لتأثير العقاقير . وقد وقعت عدة حوادث وفاة نشأت عن استعمال هذا العقار

ومما يجدر بالذكر أن طائفة كبيرة من العقاقير التى تؤخذ لازالة السمانة تحتوى على كميات ضئيلة من الفينولفتالين ، وكثيراً ما تنجم عن استعمالها حوادث تسمم تدعو إلى أشد الاسف . وقد ذكر أحد الاطباء أن سيدة استعملت بعض تلك العقاقير لازالة سمانتها . فنحف جسمها ولكنها اصيبت باسهال مستعص وبالتهاب كلوى حاد

ومما يدعو الى الاسف أيضاً أن كثيراً من العقاقير التى تؤخذ لمثل هذه الغاية أو ما يشابهها تكون فى صورة اقراص أو حبوب جذابة للنظر تستهوى الاطفال فيأخذونها وهم يحسبونها ضرباً من الشكولاتة أو ما اليها ، ونظراً إلى كون طعمها لذيذاً أو مقبولا يستمرون فى أكلها إلى أن يقع المحذور ويموت الولد

وعلى الحكومات واجب عظيم وهو مراقبة العقاقير المعلن عنها والتى تباع فى السوق مراقبة دقيقة ولاسيما ماكان خاصاً منها بمعالجة الاطفال والاولاد الصغار فان معد هؤلاء الصغار نحيفة لاتحتمل التأثير الشديد الذى قد تحتمله معد الاشخاص الكبار أو البالغين . أضف إلى ذلك أن العقاقير المسهلة التى تعطى للاولاد بشكل « ملبس » أو أقراص شكولاتة لاغرائهم بقبولها تنشىء فيهم عادة واسخة وهى الافراط فى تناول المسهل وخطرها عظيم جداً لان الذى يعتادها لايستطيع الاستغناء عنها فى المستقبل والا أصيب بالامساك

وكثيراً ما يقصد إلى الطبيب أشخاص مصابون بامراض جلدية وكلوية وغيرها . والطبيب الماهر يستطيع عزو أكثر تلك الامراض إلى الافراط فى استعمال الادوية المسهلة . والاطباء الاخصائيون يؤكدون أن ثمانين فى المائة من الاشخاص المصابين فى معدهم أو أمعائهم هم الملومون فيما يعانونه لانهم أهملوا استشارة الاطباء الاخصائيين وتولوا معالجة أنفسهم بأنفسهم مقتصرين على تعاطى العقاقير المسهلة . ولا شك أن كثيراً من حوادث التهاب القولون والزائدة الدودية تنشأ عن تعاطى عقاقير لم يصفها الحكيم بل وصفها اشخاص يدعون أنهم جربوها

ورب سائل يقول : إذا كانت تلك العقاقير سموماً فلماذا لا تقتل من يتعاطاها كما تفعل السموم عادة ؟ والجواب عن هذا أنها تقتل بلا شك وإنما الفرق بينها وبين السموم الاعتيادية أن تأثير هذه يظهر فى الحال ، وتأثير تلك يظهر بمرور الزمن . ولقد يصاب المرء بعلة يحار فى منشئها ويسأل نفسه من أين جاءت . ولو شحذ ذاكرته لتذكر أنه تعاطى ذات يوم عقاقير لم يصفها له الطبيب الاخصائى بل وصفها صديق ادعى بأنه جربها

ان انتظام وظيفة الامعاء أمر لا غنى عنه لمن يروم أن يعيش عيشة صحية . وهذا الانتظام يمكن ضمانه بتعويد الامعاء القيام بوظيفتها فى مواعيد معينة . وإذا أصر المرء على تحديد تلك المواعيد فلا بد أن تعتادها الامعاء مهما وجدت صعوبة فى أول الامر . ولاشك أن الاكثار من الفواكه والبقول يساعد على تعويد الامعاء تلك العادة . وإذا لم يكن بد من الاستعانة بالعقاقير بعد ذلك كله فليؤخذ قليل من زيت آجار المعدنى فان استعماله خال من الخطر

ومن الناس من يوصى باستعمال النخالة لتنظيم حركة الامعاء ولكن استعمالها ليس من الحكمة فى شىء لان النخالة تحدث تهيجاً فى غشاء الامعاء الداخلى . وهنالك عدة مواد تفضلها وتفوقها والاطباء الاخصائيون يستطيعون أن يصفوها من دون خشية أى ضرر

إن من عادة العجائز أن يصفن بعض العقاقير فى بعض حالات المرض ويدعين أن الاختبار قد أثبت فائدتها . وهن يقلن لك : « إذا لم ينفعك هـذا الدواء فعلى الاقل لايضرك » ولكن ما أكثر الذين يذهبون ضحايا جهل العجائز !

اذا اردت أن تعرف الانجليز

[خلاصة مقالة عن كتاب بعنوان « عالم خاص » . للاستاذ أندريه موروا]

اذا كنت مزمعاً السفر الى انجلترا فاعلم أنك ذاهب الى بلاد بعيدة عنك ، لا بما يفصل بينك وبينها من الفراسخ والاميال ، بل بما يفصل بينك وبين أهلها من العادات والافكار . ومتى وصلت اليها وجدت نفسك فى بيئة غريبة عنك . ولا ينقضى على اقامتك قليل من الزمن حتى تقول فى نفسك : « انى لن أفهم هؤلاء الناس ولن يفهمونى » . ولكن لا تيأس ، بل اعلم أنك اذا وقعت من نفس الانجليزى موقع الارتياح اتخذك صديقاً له مدى العمر وقد يبذل نفسه فدى عنك . وقد عرف عن الكولونيل لورنس المشهور أنه بعد أن اجتاز صحراء العرب فى زمن الحرب الماضية ولم يجد صديقاً كان يرافقه من العرب عاد يبحث عنه فى تلك الصحراء المحفوفة بالاخطار . وهذا مثل من أمثلة إخلاص الانجليز للاصدقاء

واعلم أن هنالك بضع قواعد ومبادىء إذا راعيتها فى بلادهم ضمنت لنفسك الراحة وتوثقت بينك وبينهم الصلات

إلبس كما يلبسون وتوخ فيما تلبسه البساطة مع حسن الذوق فذلك من مبادئهم الراسخة . ولا تفرط فى التأنق والهندام فانهم يكرهون ذلك ويحسبونه نبواً عن الذوق . ولا تكثر أمامهم من الكلام فان السكوت عندهم فضيلة لا يعاب عليها أحد . واذا لزمت الصمت بينهم قالوا : لله دره ! ما أسمى أدبه !

واجعل التواضع نصب عينيك فللمتواضع عندهم منزلة سامية . فقد يحدثك أحدهم عن محل سكنه ويوهمك أنه مسكن عادى . فاذا زرته بعد زمن وجدته قصراً يحتوى على ثلثمائة غرفة مستكملة جميع وسائل الراحة ، ومع ذلك يصفه صاحبه بانه مسكن عادى ! . . .

وقد يكون أحدهم من أبطال لعبة التنس أو الجولف ، فاذا سألته : هل تحسن تلك اللعبة ؟ قال لك بكل تواضع انه « يلعبها بمقدار » . وقد يجتاز أحدهم الاتلانتيك عشرين مرة ويجوب معظم أنحاء العالم ومع ذلك اذا سألته : هل ركبت البحر أو سافرت ؟ قال لك : « قد فعلت بعض ذلك » . وغرضه من ذلك أن تقف بنفسك فيما بعد على مقدار جهده فتقدره حق قدره

واذا عوملت معاملة سيئة أو بلا انصاف فهاجم خصمك بكل قوة . انهم يكبرون فى الرجل قدرته على الدفاع عن نفسه ويحترمون ذلك فيه كل الاحترام

ومن مبادئهم ألا تكثر من السؤال ولا تكون فضولياً محباً للاطلاع على أسرار غيرك . فقد

عشت مرة ستة أشهر مع صديق لى فى غرفة واحدة وكنا على أتم ما يمكن من المودة والصفاء . ومع ذلك لم يسألنى قط هل أنا عزب أم متزوج وما هى مهنتى وأين يقيم أهلى . واذا رغبت من نفسك فى اطلاع الانجليزى على أسرارك ، فقد يصغى اليك بكل تأدب ، ولكنه لا يعنى بموضوع حديثك . والانجليز أبعد الناس عن القال والقيل والتعرض لشؤون الغير

ولا تتوهم أن ما أنت عليه من علم وذكاء وفلسفة يرفعك فى أعين القوم . فالعامل الوحيد الذى له قيمة فى نظرهم هو الاخلاق . وليس فى العالم كله بلاد تحترم الاخلاق أكثر من احترامها للعلوم غير انجلترا . وفى الواقع أن الانجليز المتقفين أقل من غيرهم فى العالم ، ولكن ثقافة هؤلاء فوق كل مستوى ، والآداب الانجليزية من اسمى الآداب . واذا أردت اقناع الانجليزى بصحة ما تقوله فابعد ما استطعت عن المنطق ، فليس للمبادىء المنطقية عندهم أية قيمة اذا كان الواقع والاختبار يؤيدانهم . وكثيراً ما يرتابون فى الذين يحبون الجدل والمناقشة ، لاعتقادهم أن الحجة الصحيحة لا تحتاج الى المماحكات المنطقية والى السفسطة فى الكلام . لذلك يجدر بك اذا دخلت فى جدل مع أحدهم أن تطلق المنطق مؤقتاً لان الاختبار عندهم اصدق وأدعى الى الثقة

ومن عاداتهم ان الافراط فى العمل لا يؤدى الى نتيجة مجدية فلا تفرط فى إظهار الغيرة ولا تتكلف النشاط . ولا تبادر الى القيام بأى عمل مالم يطلب ذلك منك . وليس معنى ذلك ان الانجليز ميالون بطبعهم الى الكسل ، بل هم يرون فيمن يتكلف الغيرة على عمل ليس من شانه فضولا لامسوغ له

وانظر الى مشية الانجليزى الاعتيادى ، فهو يمشى بخطوات ثابتة لا هى بطيئة ولا سريعة . كذلك سيرهم فى العالم وفى وسط اعاصير الحياة . انهم يسيرون سيراً ثابتا نحو غايتهم لا يعوقهم عائق ولا تؤخرهم عثرة . وكأنهم لايريدون الابطاء عن بلوغ مصيرهم ولا هم يريدون استعجال ذلك المصير . ومن مبادئهم المأثورة قولهم : « لا تحاول عملا لم يطلب منك ولا ترفض عملا دعيت اليه »

وإياك وارتكاب جريمة فى انجلترا . لقد ترتكب جريمة القتل في فرنسا فتقف أمام منصة القضاء وأمام جماعة المحلفين . فان كان محاميك مدرهاً مفوهاقديراً على التلاعب بعواطف الغيرفقد يستطيع انقاذ عنقك من المقصلة . اما فى انجلترا فان أولئك الاثنى عشر محلفا قد يصغون الى محاميك وهو يدافع عنك بكل بلاغة وفصاحة وبعد الفراغ من سماع دفاعه البليغ يصدرون عليك حكمهم بكل تؤدة وهدوء فاذا هو يسلمك الى حبل المشنقة واذا ذلك الدفاع كأنه لم يكن . نعم انهم برءوا منذ بضع سنوات سيدة فرنسية قتلت زوجها ، ولكن زوجها كان اجنبياً . فاجتنب اذن المحاكم الانجليزية وابتعد عنها ما استطعت فان قضاتهم راسخون و « الاستجواب » عندهم فن بالغ حد الكمال فلا يستطيع المجرم الاصرار على الانكار طويلا . وليس فى العالم كله بلاد للقانون فيها الحرمة التى له فى انجلترا وللقضاء فيها المنزلة التى له فى بلاد الانجلو سكسون

تقدم العلم والعالم

قيمة الرجم والنيازك

قرأنا في احدى المجلات الاميركية العلمية خبراً مؤداه أن بعض الرجم يحتوى على شيء من المعادن الكريمة ، وهذا شيء يعرفه الكثيرون من فلاحي أميركا ولذلك تراهم اذا عثروا على نيزك أسرعوا ببيعه لعلماء الجيولوجيا. ويقال إن كثيرين من أولئك الفلاحين الذين قد تكون «اطيانهم» مرهقة بالديون ومرهونة ، يفرحون اذا وجدوا نيازك في أطيانهم إذ يستطيعون أن يوفوا بها ما عليهم من الديون

ولا يخفى أن الرجم والشهب والنيازك تتساقط على الارض باستمرار . ويقول علماء الجيولوجيا ان نحو عشرين مليون نيزك يصل الى جو الكرة الارضية في كل اربع وعشرين ساعة ، ولكن معظم هذه النيازك تصل مصهورة الى الارض بسبب احتكاكها بالهواء

قوس قزح

هي القوس المعروفة التي تظهر في الجو على أثر وقوع المطر وينحل فيها الطيف الشمسي الى الوانه السبعة الأصلية . ولا يخفى ان هذه القوس تظهر بشكل نصف دائرة في الجو ، ولكن الطيارين الذين يرتفعون الى الطبقات العالية يرون تلك القوس دائرة كاملة ذات الوان جميلة زاهية . وكان بعض الأقدمين يعتقدون في هذه القوس اعتقادات خرافية غريبة من جملتها ، أن القوس هي افعى هائلة تعيش في قعر البحر العظيم وتخرج رأسها في احوال معينة فوق سطح الماء لترى حالة الكون

ساعة كروية

اخترع أحد مهرة الصناع السويسريين ساعة غريبة تشبه الكرة الأرضية التي يستعين بها الطلبة على درس الجغرافيا . وهذه الكرة تدور داخل قفص معدني مستدير ، وقضبان القفص تدل على الوقت . فاذا كان القضيب الواقع على مدينة لندن مثلا يدل على الساعة العاشرة مثلا كان القضيب الواقع على مدينة القاهرة يدل على الوقت الذي يقابل تلك الساعة

طول اليوم في المستقبل

يبلغ طول اليوم أربعا وعشرين ساعة وهو الوقت الذي تستغرقه الكرة الأرضية في دورتها حول محورها . ولكن طول اليوم لن يظل الى الأبد كما هو الآن بل لا بد أن يزيد زيادة تدريجية حتى يعادل شهراً أو اكثر . وسبب ذلك تأثير المد والجزر في الارض فانه يعوق حركة دورتها بالتدريج . فبدلا من أن تستغرق أربعا وعشرين ساعة فقط في دورتها حول محورها ستستغرق أكثر من ذلك بالتدريج . وقد حسب علماء الفلك أنه بعد انقضاء عدة مئات من الملايين من السنين سيصبح طول اليوم معادلا لشهر واحد . وفي ذلك اليوم سيدور كل من القمر

والارض دورة واحدة على محوره مرة فى الشهر. ومعنى ذلك أن الجزء المعرض من الكرة الارضية لجهة القمر سيظل هو هو وكذلك الجزء المعرض من القمر للارض

فوضى الوقت والراديو

اذا استمعت الى محطة من محطات الراديو البعيدة عنك عدة ألوف من الاميال فقد تسمع صوتاً يقول لك: «اليوم الأحد حدث كيت وكيت». واذا رجعت الى نفسك علمت أن اليوم ليس يوم الأحد بل يوم الاثنين، ولكن بعد المسافة بين مكانك والمكان الذى توجد فيه تلك المحطة هو سبب هذا الاختلاف

من عجائب التصوير

اخترع أحدهم سائلا اذا بللت به صورة فوتوغرافية زالت الصورة واختفت فاذا أردت اظهارها مرة أخرى بللتها بالماء الاعتيادى بقطعة من نسيج

جو الزهرة

الزهرة هى أكثر السيارات شبها بالارض، ولذلك يعتقد الكثيرون من علماء الفلك أن من المحتمل وجود الحياة فيها. على أن جرم الزهرة محاط بغيوم كثيفة تحجب رؤيته عن الانظار، ولم يوفق أحد من علماء الفلك حتى الآن الى شق حجاب تلك الغيوم

مقاومة الحمى الصفراء

وفق معهد روكفلر الاميركى الى مصل اذا حقن به المرء انشأ فيه مناعة من الحمى الصفراء تدوم سنتين. وهذا المصل مأخوذ من مادة مستنبتة فى الفئران البيضاء. ويظهر أن الحقن بها لا ينشىء رد فعل ولا حمى. وجميع التجارب التى قام بها معهد روكفلر تدل على فعل المصل المذكور

وفى الانباء العلمية الأخيرة أن معهد باستور بباريس أيضا قد وفق الى ولقاح، واق من الحمى الصفراء مستنبت فى دم الخيل. والمناعة الناشئة عنه تدوم سنتين كالمناعة الناشئة عن اللقاح المستخرج من دم الفئران

المدافع البحرية

يظهر ان تنافس الدول البحرية موجه بالاكثر فى الوقت الحاضر الى استنباط صنف من المدافع التى لايزيد محيط قنابلها على ست بوصات بشرط ان تؤثر هذه القنابل فى اختراق الواح الفولاذ. وقد وفق الاميركيون الى صنع مدفع يتوافر فيه هذا الشرط، وهو فضلا عن كونه خفيف الوزن، يرسل مقذوفاته الى ابعاد شاسعة وتخترق هذه المقذوفات الواح الفولاذ التى تصفح بها السفن الحربية المدرعة. وتقول احدى المجلات الاميركية العلمية إن وزارة البحرية الاميركية قد قامت بتجربة المدفع المذكور فاسفرت التجربة عن نتيجة تدعو الى مزيد الارتياح

زجاج طبي جديد

لا يخفى أن الزجاج الاعتيادى لايصلح للاغراض الطبية لأن الأشعة التى وراء البنفسجية لا تخترقه. ولكن فى اخبار المجلات العلمية الاخيرة ان شركة وستنجهوس الاميركية وهى من اكبر الشركات الكهربائية فى العالم قد وفقت الى استنباط نوع من الزجاج الاعتيادى الرخيص الثمن، وهذا الزجاج تخترقه الاشعة

التى وراء البنفسجية . ففى الامكان استعماله بدلا من المصابيح المصنوعة من مادة الكوارتز التى تستعمل فى المعالجة بالأشعة

الخيل والكلاب في الحرب

للخيل والكلاب نصيب كبير من الاعمال التى تجرى فى ميادين الحرب . ولما كانت الغازات السامة قد أصبحت آلة من آلات القتال اتجهت انظار الدول لوقاية الجنود من فعل تلك الغازات ، ومن ثمة ظهرت الكمامات المختلفة . وقد عزمت وزارة الحرب الاميركية على تجهيز جميع الخيل والكلاب التى تخدم فى الحرب بالكمامات الواقية من تلك الغازات . وتلقى أحد المصانع الاميركية امرا بتجهيز خيل الجيش الاميركى وكلابه بما تحتاج اليه من تلك الكمامات

الراديوم فى العالم

لا تزيد كمية الراديوم الموجودة فى جميع مستشفيات العالم على رطلين يبلغ ثمنها مئات الألوف من الجنيهات . وفى الأنباء الأخيرة أن البلجيك عرضت على الولايات المتحدة أن تدفع لها جانباً من الدين الذى عليها « قمحة راديوم » !

الفيل والبرد

يضرب الناس المثل بجلد الفيل للدلالة على صفاقته وكثافته . ومع ذلك فقد أثبتت التجارب العلمية الأخيرة أن الفيل من أشد الحيوانات تأثراً بالبرد

لفائدة العميان

عزم بعض أفاضل الفرنسيين ممن يهتمون بتحسين أحوال العميان على طبع جريدة بأحرف « برايل » البارزة ، ليستطيع العميان مطالعتها والاطلاع على حوادث العالم فيخفف ذلك شيئاً من مصيبتهم

نوع الدم

يقول أحد العلماء الانجليز إن فى وسع العلم فحص الموميات المصرية القديمة التى ترجع الى أكثر من خمسة آلاف سنة ومعرفة نوع دم صاحبها . ولا يخفى أن العلم قد قسم دم الانسان الى أربعة أنواع فاذا أريد نقل دم من جسم رجل صحيح الى جسم رجل عليل وجب قبل كل شىء أن يكون دم المنقول منه ودم المنقول اليه متماثلين تماماً والا أدى نقل الدم الى خطر عظيم . ويظهر من المباحث العلمية الأخيرة أن دم الناس منذ خمسة آلاف سنة هو كدمهم الآن أى أنه على أربعة أنواع يستطيع العلماء تمييز بعضها عن بعض

بركان « مونالوا »

جزائر الهاواى مشهورة بكثرة البراكين التى فيها وبعضها منطفىء منذ اقدم الأزمنة والبعض الآخر ما يزال مشتعلا ثائراً . ومن تلك البراكين بركان يسمى « مونالوا » قد اشتهر بكثرة ثورانه فقد ثار منذ تسعين سنة الى اليوم ثلاثاً وعشرين مرة فضلا عن ثوران بعض القنن الواقعة على جوانبه

الشوكران

إن نبات الشوكران (وهو النبات الذى أرغم سقراط الفيلسوف على شرب مائه) ليس فى الواقع ساماً وهو يشبه من وجوه كثيرة نبات الجزر البرى . فالنبات نفسه ليس ساماً ولكن ساقه وجذوره سامة

متوسط العمر قديماً

كلما تقدمت وسائل الوقاية زاد متوسط عمر الانسان . وقد قام أحد علماء الآثار الأوربيين بدرس نحو ألفى سجل ومستند من التاريخ اليونانى القديم ، فاستخلص من ذلك أن متوسط عمر اليونانيين من القرن السادس قبل الميلاد الى القرن الثالث بعد الميلاد كان نحو تسع وعشرين سنة

البابيروس

يقول بعض علماء التاريخ إن القرائن التاريخية المختلفة تدل على أن ورق البابيروس الذى استعمله قدماء المصريين أدخل إلى بلاد اليونان ورومية بعد غزوة الاسكندر لمصر

كنائس اليهود قديماً

كان يهود فلسطين قديماً اذا أرادوا أن يبنوا كنيساً للعبادة جعلوه متجها نحو مدينة أورشليم (القدس) حيث كان هيكل سليمان الشهير

الاشعة التى وراء البنفسجية

من أحدث وجوه استعمال الأشعة التى وراء البنفسجية معرفة التماثيل الرخامية القديمة من التماثيل الحديثة المزورة . فقد تمكن العلماء من الاستعانة بهذه الاشعة على معرفة عمر الرخام وهل هو حديث أو قديم

الزواج في المانيا

تدل الاحصاءات التى لدى عصبة الأمم على أن نسبة عقود الزواج آخذة فى الزيادة فى جميع بلدان الشرق الاقصى ماعدا جزائر الاوقيانوس وانها آخذة فى التناقص فى معظم جميع انحاء أوربا ماعدا المانيا فقد زادت عقود الزواج فيها فى سنة ١٩٣٣ أربعين الفا على عقود الزواج فى سنة ١٩٣٢

وما يقال عن عقود الزواج فى العالم بوجه الاجمال يقال ايضا عن نسبة المواليد فهى فى ازدياد فى معظم انحاء الشرق ولكنها فى تناقص فى أكثر انحاء الغرب . ومما يجدر بالذكر أن علماء الاقتصاد يؤكدون أن المواليد تزداد بين طبقات الفقراء . وتتناقص بين الخاصة فكأن قلة النسل من مستلزمات رقى الاجتماع

المرضى في الطيارات

اخترع مصنع من مصانع الطائرات الاميركية مظلة للنجاة (باراشوت) للمرضى الذين ينقلون بالطائرات من مكان الى مكان . وقد جربت هذه المظلة غير مرة فاسفرت التجربة عن النجاح التام

لغة افريقية

لبعض القبائل الهمجية التى تعيش فى مجاهل افريقيا لغة غريبة تتألف من الفاظ قليلة . ومن مزية هذه اللغة ان لمعظم المفردات فيها معانى مختلفة وان معنى كل كلمة يفهم من نبرة الصوت فقط

السكر والمفرقعات

يستعمل السكر الذى يستخرج من اللبن الحليب فى صنع اقراص طبية . وفى الوقت عينه يستعمل هذا السكر فى صنع المواد المفرقعة

بجع يخاف الماء

فى جزائر هاياواى نوع من البجع يخاف من الماء ولا يقربه إلا عند مايعطش

لوقاية العيون

أصدرت ولاية ايلينويز الاميركية قانوناً يقضي بمعالجة عيون جميع الأطفال المولودين حديثاً ، بقطرة ، خاصة تقي من الرمد وكثير من أمراض العيون الأخرى

سبب ضعف البصر

المعروف أن سبب ضعف البصر المباشر هو ضعف اعصاب الابصار . وقد كان سبب ضعف هذه الاعصاب مجهولا حتى عهد قريب . إلا أن احد الاطباء الاميركيين قام حديثاً بمباحث واسعة النطاق اتضح له منها أن سبب ضعف الاعصاب هو نقص كمية الفيتامين (ا) من المواد الغذائية التي يتناولها الانسان عادة. ويقول الطبيب المذكور إن المباحث العلمية الاخيرة تكاد تجمع على أن ضعف معظم الحواس ناشيء في الأصل عن نقص الفيتامين

العلماء الروس

في روسيا علماء كثيرون يعملون بالصمت ولا يسمع العالم شيئاً عن اعمالهم لان الحكومة الروسية لاتذيع شيئاً منها إلا متى وصلت الى مرحلة يحسن الكلام عليها . وفي احدى المجلات العلمية الاميركية أن نحو الف عالم من أولئك العلماء يشتغلون الآن بالشؤون الزراعية ويعملون على ترقية وسائلها

انتشار الروماتزم

الروماتزم من أشد الامراض انتشاراً وبخاصة في البلاد الباردة والبلاد التي تكثر فيها الرطوبة . ولعل الروماتزم هو من الامراض المستوطنة في انجلترا وروسيا . وقد عقد الاطباء الروس مؤتمراً في شهر مايو الماضي حضره أكثر من الفي طبيب للبحث في أفضل وسائل العلاج لمرض الروماتزم لمنعه من الانتشار . وفي بعض الاحصاءات الطبية ان ضحايا هذا المرض أكثر من ضحايا أي مرض آخر في العالم

البناء بالحديد

أقيم في مدينة ريشموند بالولايات المتحدة بناء شاهق كله من الحديد ولم يستعمل فيه حجر او خشب أو أية مادة أخرى من مواد البناء ويقال إن هذا البناء يستطيع احتمال أشد الزلازل ولا يتأثر بها

البلح في الولايات المتحدة

البلح من أقدم فواكه البلاد الحارة أو الشبيهة بالحارة . وقد جرب الاميركيون زراعته في ولاية كاليفورنيا من الولايات المتحدة فأسفرت التجربة عن نجاح تام ، ثم سعى الاميركيون لتحسين هذه الزراعة فكان مدى التحسين الذي تم لهم في عشرين سنة أعظم بكثير من مدى التحسين الذي تم لزراعة البلح في بلاد الشرق في خلال الفي سنة

استنشاق الاوكسجين

الاوكسجين من الزم العناصر للحياة . ولا يستطيع الانسان أن يعيش بدونه . وقد اخترع أحد الاميركيين آلة أوتوماتيكية تعمل من ذاتها يستطيع الغريق الذي وقف تنفسه أن يستنشق بواسطتها حاجته من الاوكسجين من دون أن يبدي أي جهد في سبيل ذلك . ويسير الاستنشاق بواسطة هذه الآلة سيراً طبيعيا وبسرعة التنفس الطبيعي

كتب جديدة

١ ـ تفسير القرآن الكريم

٢ ـ الوحي المحمدى

تأليف السيد محمد رشيد رضا

طبعا بمطبعة المنار بالقاهرة

صفحاتهما ٥١١ و٣٥٣

لفضيلة العالم الجليل السيد محمد رشيد رضا اسلوب خاص فى تفسير القرآن الكريم . وهذا الاسلوب جرى فيه على هدى المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده حين كان يلقى بعض دروس التفسير فى الازهر الشريف . ويمتاز هذا التفسير بانه يتمشى مع وظيفة القرآن الكريم من أنه هداية عامة للبشر فى كل زمان ومكان ، وهو جامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول ، وتحقيق الفروع والاصول ، وحل المشكلات الدينية ، والرد على الماديين وغيرهم باسلوب محكم الأداء فصيح العبارة مستقيم التفكير . وقد اصدر سيادته أخيراً الجزء الحادى عشر من هذا التفسير وهو كسابقيه فى اجادة التأليف واتقان الطبع

أما « الوحى المحمدى » فهو خلاصة عامة من هذا التفسير ، فقد وجد الاستاذ السيد رشيد ان بعض المسلمين قد هجروا القرآن هجراً غير جميل ، وصاروا يجهلون مافيه من حياة روحية وأدبية واجتماعية وما تضمنه من ثروة وحضارة ، وما له من تأثير صالح فى حياتهم المعاشية والمدنية والسياسية ، فالف هذا الكتاب ليبين اعجاز القرآن للبشر بالدلائل العصرية التى يفهمها كل قارىء . وقد أصدر الطبعة الاولى فى العام الماضى ، فلاقت من جميع طبقات المسلمين تقديراً جميلا ، وقرظها كثير من كتاب الشرق ، واستأذن بعض العلماء الهنود والاتراك والصينيون فى ترجمتها الى لغاتهم . وهاهى ذى الطبعة الثانية من هذا الكتاب النفيس ، وهى تمتاز عن الطبعة الاولى بما أحدث فيها من زيادات وتنقيحات مفيدة

تحضير الميزانية المصرية

تأليف الدكتور محمد توفيق يونس

طبع بمطبعة الرغائب . صفحاته ١٩٨

هذه هى الرسالة التى قدمها الدكتور محمد توفيق يونس لنيل الدكتوراه فى الحقوق من الجامعة المصرية . وقد نوقشت امام كلية الحقوق فنالت الدرجة العليا وهى « جيد جداً » مع شرف الامتياز بتبادلها مع الجامعات الأجنبية . ولا شك أن هذه الرسالة جديرة بالاعتبار لانها تتناول احدى المسائل المالية الهامة التى تستحق الدراسة العلمية الصحيحة . فعندنا عدة مسائل فى الشئون المالية المصرية اذا محصت ودرست تألفت منها مكتبة سمينة يرجع اليها الباحثون فى هذه الشئون

وقد تناول الدكتور محمد توفيق يونس تحضير الميزانية المصرية ، فاستطاع أن يؤلف منها هذه الرسالة القيمة ، بعد مارجع الى جملة من المصادر الأصلية كالتقارير والمذكرات الرسمية ومضابط مجلس شـــورى القوانين والجمعية

التشريعية ومجلسي الشيوخ والنواب ومجموعات القوانين والمراسيم والاوامر الملكية ومجموعات الوثائق الرسمية والميزانيات والحسابات الختامية ومذكرات اللجنة المالية والمستشار المالي منذ صدرت والميزانية ، حتى الآن .. وقد قال المؤلف في هذا الصدد : « على هذا الاساس الواقعي بنيت رسالتي جاعلا نصب عيني أن أرى القارىء ، في تحضير الميزانية ، كيف تصبح مجموعة من التقريرات الأولية المبعثرة مجلدا ضخماً منسقاً ، وأن أصور له الميزانية المصرية تصوير الكائن المستقل له اجزاؤه ومميزاته ، مقدماً اليه بياناً عن جميع الأدوار التي تمر بها في مرحلة التحضير محدداً ومحللا المبادىء والقواعد التي تتصل بها وتقوم عليها »

ديوان القوصي

للمرحوم الشيخ احمد القوصي

طبع بمطبعة الجلالي بشارع محمد علي بالقاهرة

صفحاته ٢٦٤

المرحوم الشيخ احمد القوصي من أدباء الجيل الفائت اشتهر بخفة روحه ودعاباته وتناوله للشئون الاجتماعية والادبية باسلوبه الفصيح والعامي . ونظم أيام حياته عدة أزجال ، ومواويل وموشحات . وكان بعض هذه الأزجال مناظرات بينه وبين بعض كبار أدباء عصره كالمرحوم حفني ناصف وغيره . وقد تألف له من هذه الأزجال والمواويل والموشحات والاشعار الاخرى مجموعة نفيسة اهتم بطبعها ابن أخيه الاديب عبدالرشيد افندي القوصي في شكل انيق . ولا شك ان هذا العمل خدمة محمودة يهديها الى الأدب الشعبي

زردشت باستاني وفلسفته

طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة

صفحاته ٢١٢

ظهر هذا التاريخ النفيس أخيراً وهو كتاب دقيق في فصوله ممتاز في طبعه كتب بلغة فارسية عالية الأسلوب ، ويتناول الديانة القديمة الزردشتية التي كانت سائدة في ايران قبل الاسلام . وقد خصص المؤلف قسماً كبيرا من كتابه لتاريخ زردشت الذي كان في مقدمة المعلمين الدينيين ، والذي ما يزال يتبع تعاليمه عدد كبير من شيوخ هذا الدين في الهند وفي ايران . وقد أورد المؤلف الفاضل كل ما يتصل بتاريخ زردشت منذ نشأته وقيامه ودعوته ونشره لمذهبه ، وما كان بينه وبين الملوك المعاصرين . وتكلم عن وفاة هذا المعلم وعمن خلفه وكيف انتقل الكثيرون من اشياخ هذا الدين من ايران الى الهند وما كان من أثر ذلك في ايران

مهاتما غاندي

سيرته كما كتبها بقلمه

ترجمة الأستاذ اسماعيل مظهر

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة

صفحاته ٢٨٦

نشر مستر أندروز الانجليزي سيرة زعيم الهند الأكبر «مهاتما غاندي كما كتبها بقلمه عن نفسه ، فكانت لها قيمتها التاريخية لأنها من مصدرها الصادق الذي لا تشوبه عيوب الاختلاق والخيالات والاشاعات أو الظن والتخمين . ولما كان قراء اللغة العربية يتوقون الى معرفة سيرة هذا الزعيم العظيم ، فقد رأى الاستاذ اسماعيل مظهر أن يترجمها في هذا

الكتاب المفيد الذى نقدمه بين يدى القراء ، فجاءت الترجمة كما عرف عن الأستاذ اسماعيل مظهر بليغة العبارة حسنة الاداء وافية بالغرض المقصود

مؤتمر الموسيقى العربية

ألفته لجنة تنظيم مؤتمر الموسيقى العربية

طبع بالمطبعة الاميرية بالقاهرة . صفحاته ٤٤٣

فى سنة ١٣٥٠ الهجرية الموافقة سنة ١٩٣٢ الميلادية انعقد مؤتمر الموسيقى العربية بالمعهد الملكى للموسيقى بمدينة القاهرة مشمولا برعاية جلالة الملك فؤاد . وقد دعى إلى هذا المؤتمر طائفة من كبار الموسيقيين وعلماء الموسيقى فى البلاد الشرقية والغربية . وقد ألقيت عدة بحوث فى هذا المؤتمر تناولت كثيراً من نواحى الاصلاح الذى يجب أن يدخل على الموسيقى العربية فى الوقت الحاضر ، كما تناولت حالة الموسيقى فى مصر وسورية والعراق وبلاد المغرب وغيرها من البلاد العربية

وقد رأت اللجنة أن تسجل كل ما دار فى هذا المؤتمر من آراء واجتماعات وبحوث ، فألفت هذا الكتاب الضخم الذى تبلغ صفحاته ٤٤٣ من القطع الكبير عدا مجموعة من صور الموسيقيين والآلات الموسيقية القديمة والحديثة

علم الدولة

الجزء الأول

بقلم الأستاذ أحمد وفيق

طبع بمطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر
صفحاته ٤٩٢

يبحث علم الدولة فى تكوين الدولة وما يتعلق بها ، وهو قسمان خاص وعام ، فالأول ما يتناول دراسة حياة دولة معينة ودراسة أنظمتها ، والثانى ما يبحث فى نظرية الدولة وتكوينها بوجه عام . وهذا العلم بكلا قسميه من العلوم الاجتماعية الهامة ، وهو من أشق الموضوعات التى يتصدى لها المؤلف لأن مراجعه كثيرة متعددة ، ولذلك فان الأستاذ أحمد وفيق بتأليفه هذا الكتاب باللغة العربية قد قام بمجهود يحمد عليه . فقد توافر على دراسة هذا الموضوع دراسة وافية وعنى بالناحية العصرية منه وألم به فى مواطن متعددة . وقد نال هذا الكتاب اعجاب رجال القانون ورجال السياسة وقرظه غير واحد من كبار الكتاب والمحامين ، وقد تصدر بثلاث كلمات إحداها لصاحب السعادة محمد على علوبة باشا والثانية للاستاذ عبد الرحمن بك الرافعى والثالثة للدكتور محمد حسين هيكل بك . وكل هؤلاء قد وفى المؤلف حقه من الثناء على هذا الكتاب النفيس

وقد بدأ المؤلف كتابه بتعريف علم الدولة وتطور فكرة الدولة وآراء العلماء فيها وبحث فكرة الدولة قديماً وحديثاً ، وفيما وصل اليه الباحثون من أنها كانت وليدة الطبيعة ، وأتى المؤلف بأسانيد عدة على تطور فكرة الدولة فى الهند وفارس والصين ، وكيف كانت فكرة الدولة عند اليهود ، وفى آثار ظهور المسيحية فى الدولة ، الى آخر ما هنالك من البحوث القيمة التى تضمنها هذا الكتاب . وقد قال سعادة محمد على علوبة باشا فى تقريظه : « إن المطلع على مؤلف الأستاذ احمد وفيق وعلى ما انتهى اليه هو وغيره من المؤلفين الغربيين، يعلم أن أس الدولة وسياجها هو الخلق سياسياً كان أو اقتصادياً أو إدارياً ، وأن النظم التى أوجدها التاريخ فى مراحله سواء أكانت أوتوقراطية أم دستورية أم برلمانية أم

دكتاتورية لم تكن غاية لذاتها ، وإنما هى وسائل مختلفة ترتكز عليها الدولة دائماً فى تحقيق رفعة الامة وعلو شأنها ، وهى تدعى أنها تسعى إلى تحقيق المثل الأعلى ، ونعنى به الخلق الطيب الذى تنطوى عليه أعمال الانسان »

كتب أخرى

• (ما هو الكون) وهو يحتوى على نظريات جديدة فى الطبيعة وما وراءها . بقلم الأستاذ يوسف شهاب الفرزوزى . طبع بالمطبعة الحديثة ببيروت

• (الريفية الحسناء) مأساة مصرية غرامية بقلم عيسى جرجس . طبعت بشركة المطبوعات الوطنية بالاسكندرية

• (على أبواب الزواج) حوادث فى الحب والزواج بقلم احمد محمد حنفى . طبع بمطبعة النصر بشارع الامير فاروق بالقاهرة

• (علم الكيمياء العملى) الجزء الثانى . تأليف الاستاذ سليم كاتول مدرس الكيمياء فى الكلية العربية بالقدس . طبع بمطبعة بيت المقدس

• (عصمت باشا : خطبه وأقواله السياسية والاجتماعية) ترجمها الى العربية الاستاذ عبد العزيز الخانكى . وهى مجموعة نفيسة بجدر بكل مهتم بالشئون الشرقية عامة ، والشئون التركية خاصة أن يقتنيها . طبعت بمطبعة السعادة

• (أمراض الاطفال) . الجزء الاول ، وهو كتاب قيم عنى بتأليفه ثلاثة من خيرة رجال الطب . وهم : الدكتور ترابو أستاذ السريريات الطبية والعصبية بالمعهد الطبي العربى . والدكتور محمد محرم الاستاذ فى هذا المعهد . وعزت مريدن مساعد المخابر فى المعهد الطبى العربى . طبع بمطبعة الجامعة السورية

• (ديوان صردر) وهو ديوان طريف نظم الرئيس أبى منصور على بن الحسن الشهير بصردر . وقد طبعته أخيراً دار الكتب المصرية

• (القراءة الفريدة) الجزء الرابع . وهو كتاب مطالعة للمدارس الابتدائية يحتوى على مختارات وفصول طريفة . جمعه وشرح غريبه الاستاذ شريف النشاشيبى

• (التنويم المغناطيسى) تأليف الاديب ميشيل انطون مسك . طبع بمطبعة سابا بالقاهرة

• (علاج السرطان بالأشعة وبالراديوم) وضعه الدكتور عبد اللطيف سليمان . وهو كتاب علمى نفيس يحتوى على أحدث الآراء الطبية فى علاج السرطان . طبع بمطبعة المعارف بالفجالة بالقاهرة



بين الهلال وقرائه

الظفر والذنب

(الحصن – شرقي الاردن) فؤاد عصفور
لماذا زال الذنب من الانسان مع ان الظفر لا يزال ينمو في اصابع يده ؟

(الهلال) لان نمو كل عضو من اعضاء جسم الانسان (او ضموره) يتوقف على ناموس الانتخاب الطبيعي الذي يعمل في جميع الاجسام الحية ويكيف شكلها على مقتضى البيئة والاحوال التي تعيش فيها . وهذا المجال لا يتسع لشرح ناموس الانتخاب الطبيعي وكيفية عمله وعلاقة كل من الظفر والذنب به

لحوم الطيور والحيوانات

(جبل عجلون – شرقي الاردن) ابراهيم البيروتي

بعض الطيور والحيوانات – كالدجاج والخنازير وغيرها – تتغذى بالمواد والاطعمة القذرة الفاسدة . بل المعروف أن الخنزير قد يأكل الجيف الفاسدة فلماذا لا يمنع الطب اكل لحوم هذه الحيوانات ؟

(الهلال) ان المواد الغذائية التي يتناولها الانسان أو الحيوان تتحول بعملية الهضم الى مواد مختلفة يختص كل منها ببناء عضو من اعضاء الجسم وتنميته . وتعرف هذه العملية بعملية التحويل (assimilation) وهي بمنزلة تنقية أو تصفية للمواد الغذائية التي تدخل الجسم . وكثيراً ما تصاب الطيور والحيوانات بامراض وبائية بسبب ما تأكله . ولهذا تتشدد الحكومات المتمدنة في مراقبة لحوم الحيوانات التي تؤكل لكي تكون نظيفة وخالية من جميع جراثيم الامراض . وان النفس لتعاف اكل لحوم الحيوانات التي تمتاز بالقذارة وباكل جيف الحيوانات الاخرى ، مع أن الانسان نفسه لا يختلف عن الحيوان في كونه يقتنك بالحيوان الاليف الداجن ويأكل لحمه ولا يأكل لحم الحيوان المفترس المؤذي . وهي عادة ورثها عن أسلافه يوم كانوا ما يزالون في الطور الحيواني

أما اشارتكم الى ما تسمونه « كهربائية المعدة أو الحوصلة » فليست من العلم في شيء ولم نسمع من قبل أن للمعدة أو للحوصلة كهربائية تطهر المواد الغذائية عند دخولها جسم الانسان

القط والفأر

(جبل عجلون – شرقي الاردن) ومنه
المعروف ان الفأر من الحيوانات النجسة والقط يفتك به ويأكله ، ومع ذلك فالانسان لا يأنف من مداعبة القط وتقبيله ، بل كثيراً ما يقبل فم القط دلالة على ما يشعر به من المحبة له والعطف عليه . فهل الانسان مصيب في تعلقه بهذا الحيوان وتفضيله اياه على كثير من الحيوانات الاليفة الاخرى ؟

(الهلال) لا نفهم المراد من قولكم ان الفأر حيوان نجس ولا نذكر ان الشرائع الدينية تنص صراحة على انه نجس . نعم انه قذر والنفس تعاف رؤيته ، ولكن أكثر الحيوانات قذرة بطبيعتها اذا تركت وشأنها ولم يعن الانسان بنظافتها . وكذلك القط قذر جداً بطبيعته لولا ان الانسان يعتني به بعض الشيء . ومع ذلك فان مداعبته وتقبيله في فمه قد لا يخلوان من خطر . وكثيراً ما أدى تقبيل القط الى مرض معد يودي بحياة الانسان . فاحذروا مثل هذه العادة فانها شديدة الخطر

عمق البحر

(كنجستون – جامايكا) فريد حنا
قرأت في احدى الصحف الانجليزية ان العلماء

اكتشفوا سلسلة من الجبال في قاع المحيط الاتلانتيكي يبلغ ارتفاعها فوق قاع البحر نحو ثلاثة عشر الف قدم أي انها أقل ارتفاعاً من جبل « بلان » بسلسلة جبال الالب بنحو الفي قدم . فكم اذن عمق الاوقيانوس الاتلانتيكي ؟

(الهلال) ليس عمقه متعادلا في جميع الجهات ويقال ان عمق أعمق مكان فيه نحو ثلاثين الف قدم أو نحو خمسة أميال وثلثي الميل . والمحيط الباسفيكي أعمق منه ففيه جهات يزيد عمقها على اثنين وثلاثين الف قدم أو على ستة أميال

مقدار ماء البحر

(القاهرة — مصر) أحد القراء

يقول علماء الجغرافية ان مساحة مياه البحار في العالم كله تزيد على ثلاثة أرباع مساحة اليابسة (الارض) فهل عرفوا مجموع مقدار المياه التي في تلك البحار ؟

(الهلال) يقولون ان مقدار المياه في البحار كلها نحو واحد وثلاثين مليون ميل مكعب ، ولو وزع هذا المقدار على جميع أنحاء الكرة الارضية لغمرها كلها الى عمق ميل ونصف ميل بوجه التقريب ، والامطار لا تزيد في هذه الكمية ولا تنقص

سبب الامواج

(القاهرة — مصر) ومنه

ما هو سبب الامواج التي تحدث في البحار ؟

(الهلال) سببها الرياح فهي تهب على وجه الماء فتثير فيه تموجات لا تلبث أن تنقلب أمواجاً عظيمة . ومثل هذا يقع عندما تأخذ قدحاً أو وعاء مملوءاً ماء وتنفخ عليه فان رقراقا لطيفاً ينشأ على سطحه وهذا الرقراق هو الموج بعينه مصغراً

كبريت الأمان

(الاسكندرية — مصر) دسوقي خليل

ما الفرق بين الكبريت الاعتيادي « وكبريت الامان » ولماذا لا يشتعل هذا الا اذا حككناه « بالعلبة » المختصة به ؟

(الهلال) في الكبريت الاعتيادي تجد جميع المواد الكيمياوية اللازمة لاحداث الاشتعال مجموعة في رأس الثقاب . فاذا حككت هذا الرأس بأي مادة خشنة اشتعل الثقاب . أما في كبريت الامان فان المواد الكيمياوية المذكورة ليست كلها مجموعة في رأس الثقاب ، بل ان بعضها موضوع في أحد جوانب العلبة . ولاحداث الاشتعال لا بد من حك رأس الثقاب بذلك الجانب

نظرية النسبية

(الاسكندرية — مصر) ومنه

قرأت عدة نبذ ومؤلفات عن نظرية النسبية لصاحبها الفيلسوف اينشتين فلم أجد لها اية قيمة عملية . فهل انا مصيب في هذا الزعم أو مخطىء ؟

(الهلال) أما انكم لم تجدوا لهذه النظرية قيمة عملية فليس الذنب في ذلك ذنب صاحب النظرية أو ذنب النظرية نفسها . ولا نعلم كم فهمتم منها . والمظنون أنه ليس حتى بين جمهور العلماء كثيرون يفهمونها حق الفهم . على أن هذه النظرية ما تزال في دور الاختبار وان تكن اليوم أقرب الى النواميس العلمية منها الى النظريات . ومع أنها لم تحدث حتى الآن أي انقلاب عملي فان قيمتها عظيمة جداً في العمليات الرياضية الدقيقة التي يلجأ اليها علماء الفلك بوجه خاص . وربما أدت في المستقبل الى اماطة اللثام عن الكثير من الاسرار العلمية التي ما تزال مستعصية حتى الآن

الاشجار والجبال

(بيروت — سوريا) م . س

لماذا لا نجد أشجاراً على قنن الجبال ؟

(الهلال) لان قنن الجبال العالية باردة جداً ولا سيما في الليل ، وبردها القارس لا يتفق وشروط نمو النبات

قراءة الكف

(جنين — فلسطين) حنا سلامه

يقول البعض ان في الامكان قراءة اخلاق الانسان

بقراءة الخطوط التي في كفه. فهل هذا صحيح ؟ وما العلاقة بين تلك الخطوط والاخلاق ؟

(الهلال) علم قراءة الكف معروف منذ زمان قديم وقد حاول الكثيرون ان يرجعوه الى اسس ومبادىء علمية فلم يستطيعوا اذ لا علاقة بين خطوط كف الانسان واخلاقه أو مستقبله مهما غالى بعض انصار هذا العلم في الدفاع عنه

عيد الكرنفال

(سليمانية – العراق) حبيب سليمان بدريه

ما هو منشأ عيد الكرنفال الذي يتنكر فيه الناس ؟

(الهلال) الكرنفال عيد كان شائعاً عند الشعوب الوثنية القديمة من يونانية ورومانية وغيرهما. وكان يراد به الاسترسال في اللهو والسرور الى انهى حد . ولما جاءت المسيحية حافظت على هذا العيد وجعلت تحتفل به في يوم الميلاد ورأس السنة ويوم العنصرة . وكان الكرنفال على اشده رونقاً في ايطاليا حيث نشأت في اوائل القرن الثامن عشر المراقص التي كان الراقصون يتنكرون فيها بمختلف الازياء . ولما حدثت الثورة الفرنسية انتشرت اعياد الكرنفال في طول فرنسا وعرضها . ومع ان هذه الاعياد فقدت اليوم الكثير من بهائها فما تزال شائعة بين المسيحيين وبخاصة في اوربا . ولعل كرنفال نيس والبندقية اعظم عيد من هذا النوع في العالم

الكتب السياسية

(سليمانية – العراق) ومنه

لماذا تسمى الدول بعض الكتب السياسية التي تنشرها باسماء الالوان ؟

(الهلال) كان الانجليز أول من درج على هذه العادة فسموا مجموعة الوثائق السياسية الخاصة بمسألة من المسائل المهمة « الكتاب الازرق » لان لون غلاف هذه المجموعة كان ازرق . وما يزالون يصدرون من وقت الى آخر « كتباً زرقاء » و« بيضاء » وعنهم نقل غيرهم من الدول فظهرت الكتب الصفراء (في اليابان) والحمراء (في روسيا) والخضراء (في مصر) وهلم جرا . وهذه الالوان هي الالوان الوطنية المختصة بها كل دولة من الدول

البنج

(الكوفة – العراق) مشترك

ما هو البنج ؟ وكم من الزمن يدوم تأثيره في الجسم ؟ وهل في استعماله ضرر صحي ؟

(الهلال) جاء في قاموس الفيروزابادي ما يأتي :

« البنج نبت مسبت معروف غير حشيش الحرافيش مخبط للعقل مجنن مسكن لاوجاع الاورام والبثور ووجع الاذن ، وأخبثه الاسود ثم الاحمر وأسلمه الابيض » وما نظنكم تقصدون بالبنج الا هذا النبات ، واستعماله في الشؤون الطبية قليل جداً في هذه الايام لان هنالك أنواعاً أخرى من المخدرات أفضل منه من كل وجه وهي ضرورية لا مندوحة عنها للجراحين والاطباء . واذا استعملت بالحكمة وبموجب مشورة الطبيب كان نفعها أعظم من ضررها . ويختلف الزمن الذي يدوم فيه تأثيرها باختلاف انواعها واختلاف الكميات التي تستعمل منها

درجة الحرارة

(القاهرة – مصر) أحد المشتركين

هل تزيد درجة حرارة الماء اذا استمر غليانه ؟

(الهلال) من المعروف ان الماء يغلي عند الدرجة ١٠٠ بمقياس سنتجراد ، فاذا وصل الى هذه الدرجة وظل على النار فان درجة حرارة الماء لا تزيد وانما يزيد فورانه

أعلى درجات الحرارة

(القاهرة – مصر) ومنه

ما هي أعلى درجة من الحرارة اوجدها العلم بالوسائل الصناعية ؟

(الهلال) هي الدرجة اربعة آلاف بمقياس سنتجراد (نحو ٨٢٠٠ بمقياس فهرنهيت) وقد تولدت عن فرن كهربائي فيه عدة أقواس كهربائية . وهذه الدرجة من الحرارة تكفي لصهر جميع المواد تقريباً وبعضها يتحول بخاراً في الحال

مراحل الهلال

من الجزء السابع عشر والثامن عشر من السنة الرابعة ـ صدرا في مايو سنة ١٨٩٦

المهدوية في الاسلام

المشهور بين المسلمين من اوائل الاسلام الى الآن انه سيظهر رجل منهم يؤيد الدين وينشر لواء العدل ويستولى على الممالك الاسلامية يسمى المهدى ويسندون ذلك الى احاديث نبوية ، بحث كثيرون من علماء الاسلام في صحتها وفسادها وفي مقدمتهم العلامة ابن خلدون . ومن اوثق الاحاديث المروية من هذا القبيل رواية الترمذي وهي : « لاتذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي واسم ابيه اسم أبي » ورواية الحاكم وهي : « تملأ الارض جوراً وظلما فيخرج رجل من عترتي فيملك سبعاً أو تسعاً فيملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جوراً وظلما » ولم يرد في هذين الروايتين لفظ المهدي ولكنهم ذكروا احاديث اخرى ورد فيها لفظه انتقدها ابن خلدون انتقاداً طويلا في كلامه عن « أمر الفاطمي وما يذهب اليه الناس الخ . » في مقدمته الشهيرة . فمن أراد الاسهاب فليراجعه هناك

على أن ذلك لم يقلل شيئاً من اعتقاد الجمهور في مجيء المهدي . فما انفك المسلمون ينتظرون مجيئه ، وأدى ذلك الى ظهور جماعة كبيرة في ازمان مختلفة ادعى كل منهم انه المهدي المنتظر فالتفت حوله الاحزاب وأسس بعضهم دولا عظمى مايزال ذكرها باقياً الى الآن . على أن كثيرين آخرين لم يكونوا يظهرون بدعواهم حتى طوى الزمان ذكرهم لان الاحوال لم تكن ممهدة لقبولهم

على أن بين الشيعة والسنة خلافاً من قبيل المهدي وزمن ظهوره . فأهل الشيعة يعتقدون انه ظهر في اواخر القرن الثالث للهجرة في شخص ابي القاسم محمد ابن الحسن العسكري الامام الثاني عشر وانه سيظهر ثانية قبل انقضاء العالم من سرداب في سر من رأي بالعراق . وأما أهل السنة فيقولون انه لم يظهر بعد . وتتمة للموضوع نذكر الذين ادعوا المهدوية من أول الاسلام الى الآن

(١) محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية . ظهر في المدينة سنة ١٤٥ هـ في عهد الخليفة المنصور ثاني الخلفاء العباسيين فدعا الناس اليه وكان له أخ اسمه ابراهيم ، نصره وقام بدعوته ففتح البصرة والاهواز وفارس ومكة والمدينة وبعث عماله الى اليمن وغيرها . وكان ذلك في زمن الامام مالك فافتى له وشد أزره فكثرت دعاته حتى كاد يذهب بالدولة العباسية لو لم يستدرك المنصور امره ويتغلب عليه ويقتله (وترى تفصيل اخباره في الجزء السادس من تاريخ ابن الاثير)

(٢) عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب التي فتحت الديار المصرية في اواسط القرن الرابع للهجرة وبنت مدينة القاهرة على يد القائد جوهر . وقد اتسعت دولة الفاطميين وامتدت سلطتهم وطالت ايام حكمهم (وترى تفصيل اخبارهم في الجزء الاول من تاريخ مصر الحديث)

(٣) محمد بن عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدي المغربي ، ويكنى ابا عبد الله ، أصله من جبل السوس في اقصى بلاد المغرب رحل الى المشرق حتى انتهى الى العراق واجتمع بأبي حامد الغزالي وغيره فأخذ العلم عنهم واشتهر بالنسك والتقوى وساح في الحجاز وجاء مصر ثم سار الى المغرب واقام بمراكش وغيرها وتأسست على يده دولة عظيمة في اوائل القرن السادس

للهجرة هي دولة عبد المؤمن

(٤) العباس الفاطمي ظهر بالمغرب في آخر المائة السابعة للهجرة وادعى المهدوية فتكاثف الناس حوله وعظمت شوكته حتى دخل مدينة فاس عنوة وأحرق أسواقها وبعث العمال الى الانحاء لكنه قتل غيلة

(٥) السيد احمد ظهر في اوائل القرن التاسع عشر للميلاد في جهات الهند وحارب الاسياخ على حدود بنجاب الشمالية الغربية سنة ١٨٢٦

(٦) محمد المهدي السنوسي ابن الشيخ محمد السنوسي الذي ظهر في المغرب في اواسط هذا القرن وأصله من جبل سنوس بجزائر الغرب نبغ (والده) سنة ١٨٣٧ ولاقى من بعض اولي الامر الاسلامي ترحاباً نشر دعوته وايدها وكان مقامه الرئيسي في جربوب على مقربة من واحة سيوه نحو الغرب

(٧) محمد احمد المهدي السوداني وقد نحا في دعواه منحى الشيعة فقال انه الامام الثاني عشر الذي ظهر مرة قبل هذه . وفي تسمية اتباعه بالدراويش تأييد لرغبته في قول الشيعة لان لفظة درويش فارسية

بابوات رومية

من رد على سؤال :

(الهلال) كان البابوات في أول عهد النصرانية يقاسون اضطهاداً عظيماً من اباطرة الرومان قبل اعتناقهم الديانة المسيحية ، وأكثر بابوات القرون الاولى ماتوا قتلا ، وبالطبع لم يكن لهم سلطة زمنية . فلما تنصر الامبراطور قسطنطين الاكبر منح بابا رومية المعاصر له واسمه سلفستر سلطة زمنية على سبيل الهبة الوقتية سنة ٣١٤ م . أما السلطة الزمنية الرسمية فبدأت سنة ٧٥٥ على عهد البابا استفانوس الثالث ثم توسعت توسعاً حسناً سنة ١٠٦١ م على عهد البابا اسكندر الثاني ، ولم ينقض القرن الثالث عشر حتى صرح البابا بونيفاسيوس الثامن قائلا : « ان الله اجلسه فوق الملوك والممالك » وأخذت املاك رومية تتسع بغير حرب ولا كفاح بل بالتقدمات من الملوك الخاضعين للكنيسة الكاثوليكية بتلك الاعصر ، حتى دخلت سنة ١٨٦٠

وقد بلغت مساحة مملكة رومية البابوية ١٦ الف ميل مربع وعدد سكانها ٣٫١٢٥٫٠٠٠ نفس وفيها كثير من المدن والقرى لا فائدة من ذكر اسمائها

ومما يذكر من اعمال البابوات الدالة على مقدار ما بلغت اليه عظمتهم ونفوذهم في السلطة الزمنية أن البابا ادريان الاول ضرب نقوداً باسمه سنة ٧٨٠م وأن البابا غريغوريوس السابع اوقف هنري الرابع امبراطور جرمانيا سنة ١٠٧٧ م ثلاثة أيام عند باب قصر كانوسا حافي القدمين في زمهرير الشتاء يلتمس العفو . ومنها أن هنري الثاني ملك انكلترا امسك بالمهماز للبابا اسكندر الثالث وهو يركب فرسه سنة ١١٦١ م . والبابا سيليستينوس الثالث رفس تاج الامبراطور هنري السادس برجله وهو جاث امامه ، اراد بذلك بيان مقدرته على تولية الملوك وخلعهم . وقس عليه

أما أول من صرح للبابا بالسلطة الزمنية رسمياً فهو بيبين ملك فرنسا سنة ٧٥٥ م بعد أن وهبه عدة مدن وقرى ثم ايده جميع الملوك التابعين لكنيسة رومية

أما الراتب السنوي الذي اشرتم اليه فحقيقته ان مملكة ايطاليا لما توحدت وضمت رومية وملحقاتها اليها سنة ١٨٧٠ اقرت قراراً رسمياً بتاريخ ٩ اكتوبر من تلك السنة على عهد البابا بيوس التاسع ان البابا يعتبر رأس الكنيسة الاعظم مع بقاء رتبته وحقوقه كأنه ملك مستقل . واقرت قراراً آخر في ١٣ مايو سنة ١٨٧١ على راتب سنوي مقداره ٣٫٢٢٥٫٠٠٠ فرنك أي ١٢٩٫٠٠٠ جنيه تدفع لكل من يتولى الكرسي البابوي فضلا عن الاملاك التي تركت له وفي جملتها قصر الفاتيكان وقصر لاترن وعزبة كاستيل غوندولفو وغيرها . أما الراتب فان البابا لم يطلبه قط ولو لم يمض حق طلبه بمضي المدة (خمس سنوات) لبلغ دين البابا على حكومة ايطاليا الآن ٣٫٢٢٥٫٠٠٠ جنيه او لو قبل بذلك الراتب وتناوله في حينه لكانت ايطاليا الآن في حال من العسر المالي فوق ما تعلم بمقدار ما يؤثره خروج مثل هذا المبلغ من خزائنها

اللغة اليونانية واللاتينية

الفرق بين اللغتين اليونانيتين القديمة والحديثة كالفرق بين اللغة العربية الفصحى واللغة العربية العامية . فاللغة اليونانية القديمة تقابل اللغة العربية الفصحى من حيث تعدد أساليب الاعراب وانواع الاشتقاق ودقة التعبير . واللغة اليونانية الحديثة تشبه اللغة العربية العامية مشابهة كلية . ومن اوجه المشابهة ايضاً ان اللغة العربية الفصحى واليونانية القديمة من اللغات المرتقية القديمة واللغتين العربية العامية واليونانية الحديثة من اللغات الحديثة التي تشوشت الفاظها واعتلت تراكيبها بتنقلها على ألسنة العامة بلا ضابط حتى تطرق الخلل اليها فانحصرت فيها اساليب الاعراب وقل عدد المشتقات. ففي اللغة العربية العامية قد اهمل الاعراب واختلط المثنى بالجمع وتشابه جمع المؤنث السالم والمذكر السالم وغير ذلك ، وهذا هو حال اللغة اليونانية الحديثة تقريبا . وما اللغة اليونانية الحديثة حقيقة الا لغة عامة اليونان الا أنهم اهتموا بها فضبطوا احكامها وقوانينها والفوا الكتب في صرفها ونحوها واعرابها فصارت أقرب الى اللغات الفصحى من لغة عامتنا . فالمشابهة بين اللغتين اليونانيتين القديمة والحديثة اقرب من المشابهة بين الانجليزية والفرنسية لان هاتين اللغتين تختلف احداهما عن الاخرى في أصل منشئها وترجعان الى فرعين من فروع اللغات الآرية بينهما بون شاسع من حيث التركيب والاشتقاق والتصريف

أما ما نراه بينهما من المشابهة فهو عارض على الفاظهما نشأ عن تسلط الرومانيين على انكلترا وفرنسا معا فاقتبستا كثيراً من الالفاظ اللاتينية فظهرت متشابهة فيهما ثم اختلط الانجليز بالفرنسيين فأخذ بعضهم عن بعض والانكليز اكثر اقتباسا من الفرنسيين فظهرت هذه المشابهة في الالفاظ . واما في اصول اللغة وقواعدها فالفرق بينهما بعيد جداً كما لايخفى على العارف بهما

أما الفرق بين اللاتينية واليونانية فهو كالفرق بين اللغة العربية واللغة السريانية أو العبرانية فان بين اليونانية واللاتينية تشابهاً كليا من حيث القواعد والاشتقاق والالفاظ وكذلك بين العربية والعبرانية أو السريانية ففي اللاتينية مثلا (Pes) (قدم) فهي باليونانية (LLovs). وفي اللاتينية (Deos) الله وفي اليونانية (Oeoo) واكثر الالفاظ في هاتين اللغتين تتشابهان على هذه الصورة كما تتشابه الالفاظ في العربية والسريانية أو العبرانية . ومثل ذلك يقال في الاشتقاق والتصريف والتركيب. ولولا ضيق المقام لجئنا بامثلة عديدة في سائر هذه اللغات

سلق البيض في الفصح

من رد على سؤال :

للناس في أصل هذه العادة اقوال متضاربة معظمها لا تخرج عن حد التخمين والحدس . فمن قائل ان البيض رمز عن موت المسيح مع بقائه حياً لان البيضة ميتة بحسب الظاهر ولكنها تتضمن نفساً حية وقال آخرون غير ذلك . ولكن بعضهم كتب مقالة ضافية بشأن هذه العادة محص فيها حقائقها فوجد انها عادة صينية جرى عليها الصينيون في القرن السابع قبل الميلاد ولم تصل اوربا الا في الأجيال المتوسطة . اما الحكمة في هذه العادة أو سبب ظهورها فغير معلوم تماماً . ولكنها لم تكد تصل أوربا حتى انتشرت في سائر ممالكها وجرى عليها الناس خاصتهم وعامتهم وجاءت الشرق في القرون الأخيرة . وبعض امم اوربا تعتبر سلق البيض وتلوينه في عيد الفصح أمراً مقدساً ، فالايطاليون يجعلون البيض في وعاء كبير يحملونه الى الكنيسة فيباركه الكهنة ثم يعودون به الى منازلهم فيجعلونه على منتصف المائدة فاذا أكلوا البيض جمعوا قشوره وجعلوها على السطوح خوفا من أن تدوسها الاقدام اذا رميت على الارض . ومثل ذلك يفعل أهل اسكوتلاندا وغيرهم

أما الاسبانيون والجرمانيون فلا يعتبرون تلك العادة مقدسة على أنهم يحافظون عليها كل المحافظة ويعتنون بشأنها اعتناء زائداً فيتهادونها على التبادل ويتأنقون في زخرفة البيض وتلوينه . وأكثر الناس تفنناً في ذلك الانكليز فهم يموهون البيض بالذهب ويرسمون عليه رسوما جميلة ويعلقونها بشرائط ملونة ، الى غير ذلك مما لاحاجة بنا الى تفصيله

احدى القصتين الفائزتين

نداء الابوة

بقلم الاستاذ احمد عبد القادر المازنى

دبت الحياة فى الدار ، وسادت الحركة كل نواحيها ، فتطاير السكون من أرجائها وكان الخدم يجيئون ويذهبون ، والاصوات تنبعث من أغلب الحجرات ، والضحكات ترن من هنا وهناك ، وصوت الراديو يدوى فى حجرة الاستقبال ، و « عزيزة » فى غضون ذلك كالحركة الدائمة تتنقل بين الغرف ، وتحيي من تجد من ضيوفها بكلمات حلوة معسولة رقيقة ، تشفعها بابتسامة خفيفة عذبة ، ثم تهرول الى موضع الخدم فتلقى على هذا أمرها وتعدل من عمل ذاك ، وأخيراً تذهب الى مخدعها ، وتقف أمام نافذته المطلة على الحديقة والتى تستطيع أن تشرف منها على الباب الخارجى لدارها الكبيرة

وفى هذا المكان وبمعزل عن الناس ، تطلق « عزيزة » نفسها من اسار التكلف ، فتغيض الابتسامة من ثغرها ، ويعبس وجهها ، وينقطب جبينها ، وتبدو نظرة الألم فى عينيها ، وهى تحدق بهما فى الباب الخارجى ، حتى إذا سمعت بوق سيارة يدوى ، خفق قلبها خفقة شديدة ، ومالت الى الامام ، وتفتحت عيناها الى الطريق ، وأطلت روحها من هاتين العينين السوداوين الواسعتين ، وتمرق السيارة فى الطريق العام الواقع قبالة الدار ، فتتخذل فى وقفتها ، وتعود الى وجهها مظاهر الالم والشجو ، وتصدر من فيها زفرة منبعثة من أعماق القلب

واستندت عزيزة الى النافذة فى احدى هذه الوقفات ، وراحت تغالب العبرة التى ترقرقت فى ما قيها حتى لا تنحدر على وجنتيها ، خشية أن تتابعها اخواتها ، وخشية ألا تستطيع بعد ذلك أن تتمالك نفسها أمام ضيوفها

وطفقت تعجب كيف استطاع زوجها أن يخلف وعده معها وأن يحرجها هذا الاحراج الرهيب أمام أهلها ! ألم تبتهل اليه فى صباح اليوم أن يعجل بالعودة إلى الدار ليتناول الغداء مع أهلها الذين دعوا أنفسهم الى ضيافتها ؟ ألم تضرع اليه أن يغير من مسلكه فى الحياة معها ولو يوماً واحداً فيعود الى الدار ، ويقضى بعض الوقت مع أهلها ، ثم له أن يفعل بعد ذلك ما يشاء ، وأن يذهب الى حيث يريد ؟

يالله !! وماذا كان فى مقدورها أن تفعل خيراً مما فعلت ؟ لقد تكتمت آلامها جهدها ، ودفنت أشجانهـا فى أعماق قلبها ، وأقامت بين حقيقة أمرها وبين أنظار أهلها المتطلعة اليها سداً منيعاً

لا يستطيعون أن يستشفوا من خلاله ما تقاسيه فى حياتها من آلام مبرحة ، وما تعانيه من هذا الزوج العابث بحياته وحياتها ، والذى لا يحفل بها إلا بقدر ما يحفل بمخلوق آواه الى داره ، يكسوه ويطعمه لوجه الله

انقضت أعوام أربعة لا تذكر من أيامها يوماً سعيداً واحداً استمتعت فيه بالحياة مع زوجها أو نعمت فيه بعطف منه . وانها لتكاد تنسى ــ من فرط ما عانت وما لا تزال تعانى ــ شهر العسل الذى لم تنفرد بالسعادة فيه دون غيرها من بنات حواء ، والذى تستمتع به كل انثى يقسم لها الزواج

ولقد ناضلت ــ وما تنفك تناضل ــ لتسترد زوجها اليها ولترجعه عن غيه ، ولترية سواء السبيل . ولكنه ما يزال يركب رأسه ، ويتسكع فى غيه ، ويهمل زوجه وابنه وداره ، ويذهب فى ملذاته مذهباً بعيداً شائنا

ولكن ماعلة اهماله اياها وهجرانه لها هذا الهجران الطويل الامد ؟ أتراها دميمة غير جميلة ؟

وارتفعت أنظار عزيزة صوب المرآة وترددت لحظة قصيرة ثم تقدمت فى بطء الى المرآة ووقفت قبالتها

وطالعتها على صفحة المرآة صورة رائعة الحسن فتانة الجمال ساحرة اللحاظ ممشوقة القوام هيفاء القد ، وقد أبرز ثوبها الانيق كل محاسن جسمها البديع

وفتح الباب فجأة وهى تدير أنظارها فى صورتها ، فدارت على عقبيها وأرسلت نظرة عاجلة الى الباب ، ورأت أمها واقفة بالباب ، فتكلفت الابتسام وتقدمت الى أمها ، وقالت فى صوت تكلفت فيه الحبور :

ــ أنا سعيدة جداً بوجودكم اليوم يا ماما

وكانت أمها لا تنفك تطيل النظر اليها فى صمت . ثم ردت الباب بيدها من ورائها وهى لا تنفك تديم النظر اليها وقالت :

ــ ماذا تفعلين ؟

فظلت عزيزة مبتسمة الثغر وقالت :

ــ كما رأيت . كنت أرى ثوبى فى المرآة خشية أن يكون به عيب

ــ وأين عزت ؟

فخفق قلب عزيزة ، غير انها ظلت متكلفة ابتسامتها وهدوءها ، وقالت :

ــ انه قادم حالا

واستدارت الام إلى الباب فأغلقته . ثم قبضت على ذراع ابنتها ، وقالت وهى تجرها الى أريكة كانت موضوعة فى صدر الغرفة :

ــ أريد أن أحدثك قليلا

ووجف قلب عزيزة ، إذ كانت موقنة أن هذا الحديث سيدور حول زوجها ، بيد أنها استكانت الى مشيئة القدر

وافتتحت الأم الحديث حين استقرتا على الاريكة فقالت :

ــ والى متى يا عزيزة هذه الحياة الاليمة ؟

وكانت عزيزة جالسة على قتاد ، وقلبها سريع الخفقان ، ولكنها جاهدت حتى استطاعت أن تجمع شمل نفسها المبددة ، وأن تتمالك رباطة جأشها ، وتتكلف الهدوء والسكينة فى حديثها . وقالت :

ــ حياة من يا أماه ؟

فرنت اليها أمها فى دهشة وقالت :

ــ حياتك أنت ؟

ــ أنا ؟ ومن أخبرك أنها حياة أليمة ؟

فبدا على الأم نفاد الصبر وقالت فى صوت ارتفع قليلا :

ــ أتظنين انى غبية لا أفهم ؟ انى أمك اشعر بكل ما يختلج فى صدرك من فرح وشجو دون حاجة الى كلام منك يكشف لى عن حقيقة شعورك !

ــ ولكنى سعيدة يا أماه !

فقالت الام فى نبرة الجزم :

ــ وأنا موقنة أنك شقية تعسة فى حياتك الزوجية !

ــ أنت على خطأ فى هذا الظن

ــ كلا ، وليس هو بظن ، ولكنه يقين

فعبست عزيزة وقالت :

ــ ولكن ما داعية هذا الكلام يا أماه ؟ هل شكوت اليك ؟

فمطت الأم شفتها السفلى وقالت :

ــ انك لا تفضين الى بشيء مما فى قلبك كانى لست أمك ، ولكنى لست فى حاجة الى بثك لأعلم الحقيقة . انى شاعرة بشقائك

فطوحت عزيزة يدها وقالت :

ــ ولنفرض انى تعيسة فى حياتى ، فاذا تريدين أن يكون ؟

فاشتدت نظرتها الى ابنتها وقالت :

ــ أريد ؟ أريد ان تدافعى عن نفسك ، وأن تفعلى ما تفعله من تكون فى مركزك

فارتفع حاجبا عزيزة وقالت :

ـــ وماذا كانت تفعل ؟

ـــ اوه ! انك تضايقينني بمثل هذه الاسئلة السخيفة ! . .

فقالت عزيزة فى هدوء عجيب :

ـــ لا تنسى أنها أول تجربة لى من نوعها

فأطالت الأم النظر اليها وقالت :

ـــ طالما كنت لينة ضعيفة فهوجدير أن يستبد بك وأن يشتد فى طغيانه . ان الرجال مستبدون عاتون ظالمون ، ولكنهم إذا وجدوا من يستطيع أن يصدهم ويوقفهم عند حدهم وناضلهم نضالا عنيفاً ، لانوا وخضعوا واستكانوا . وقد رآك عزت ضعيفة فاستبد بك ، ورآك مستكينة فاشتد فى استبداده وطغيانه

وسكتت لحظة فقالت عزيزة :

ـــ وما علاج مثل هذه الحال ؟

فشامت الأم أملا وبادرت بقولها :

ـــ أن تستبدى به كما استبد بك ، وأن تثورى عليه ثورة ترد اليه عقله الذاهب . وإذا احتاج الأمر فلك أن تغضبي وأن تلوذى بدار أبويك حتى يعرف قدرك

فسكتت عزيزة لحظة ثم قالت :

ـــ وابنى محمود ؟

ـــ وما دخل ابنك ؟

ـــ ماذا يكون من أمره ؟

ـــ سيكون معك بطبيعة الحال

ـــ اعرف هذا ، ولكنى أسأل ماذا يكون من أمره اذا قضى الله بالفراق بين أبويه ؟

ـــ فراق ؟ انى لا أقصد فراقاً . انه ضرب من التهديد حتى يرعوى

ـــ من الرجال من يبعث التهديد فيهم روح العناد ، وعزت من هؤلاء . انى زوجه وقد استطعت ان أقف على طباعه ونزعاته . ولو انى وجدت ثمرة من وراء هذه الطريقة التى تشيرين على بها لأقدمت عليها بلا مراء . ولكنى أعلم علم اليقين أن العاقبة ستكون سيئة . واذا كانت هذه الوسيلة تنجح مع بعض الرجال ، فانى أؤكد لك فشلها مع عزت

فبدا التبرم على وجه الأم وقالت :

ـــ اذن فالذنب ذنبك انت لاذنبه . انت راضية بهذه الحال فلا غرابة اذا لم يغير من مسلكه

فظهر الالم على وجه عزيزة وقالت :

— إذا كان هناك ذنب فهو ذنبك أنت يا أماه ، ومعذرة اذا صارحتك برأيي لاول مرة . لقد تقدم إلى خطبتي كثيرون . وكان من بينهم العاقل الحازم الرضى الاخلاق . وكان من بينهم الوديع الهادىء الذى يعرف كيف يكون من خير الازواج . ولكنك أبيت زواجى من هذا وذاك وارتضيت عزت وحده زوجا لى لانه غنى واسع الثروة . ولو أنى تركت لرغبتى لكان من المحتمل ان أوثر عليه رجلا فقيراً يعرف للزوجية حقها وواجبها . والآن وقد تزوجت من عزت وأعقبت منه محموداً . وقضيت فى عشرته أربعة أعوام ، هل تريدين منى ان اقوض حياتى الزوجية بيدى ؟ . . .

فقاطعتها أمها على عجل بقولها :

— ليس هذا ما أعنيه

— سواء عنيته أم لم تعنه فان النتيجة واحدة فى الحالتين . انى لا استطيع ان اقوض هذه الحياة حتى تبلغ الروح التراقى ، وحتى يتملكنى القنوط

— اذن فانت تعسة

— لست انكر ، ولكنى لا أريد ان امكن الالسنة من أن تلوك قصتى . أنى أطوى اضالعى على جراحى حتى يأذن الله لها بالشفاء . وما جدوى الشكوى والبث والانين ؟ ستكون قصتنا مضغة فى الافواه ، يتسامرون بها ويتفكهون . وليس لى من وراء سمرهم نفع . وخير من الشكوى العمل على اصلاح الامور ، واعادتها الى نصابها . هذا خير وأجدى وأعود بالنفع على وعلى ابنى الذى أضحى اليوم بسعادتى وهنائى وراحتى من اجله

— ولكن يا ابنتى . . . .

فقاطعتها عزيزة بقولها :

— صبراً يا أماه . كان من نصيبى ان اتزوج من عزت . وكان من نصيبى ان اقاسى بعض الآلام معه ، ولكن من المحتمل — بل من المرجح — أن هذه الآلام لن تدوم . انك تطلبين منى ان اثور على زوجى وان اهجره حتى يعتدل ويسلك سواء السبيل . ولكنك نسيت انه شاب قد ورث ثروة عظيمة من أبيه . وللشباب حكمه وسلطانه . وللثروة اثرها السىء . . . .

فابتسمت الأم وقالت :

— انك فيلسوفة

— ان الشقاء خير معلم . وطالما فكرت فى أمرى وهجس فى خاطرى ان أفعل ماتشيرين على به وجال فى ذهنى الف خاطر غير ما تذكرين . ولكنى كنت أقلب الرأى فى ذهنى واقابله باخلاق زوجى ونزعاته وآرائه لأرى مايكون من نتيجته ، وقد سلكت بعض السبل ، واتبعت بعض ما جال

فى ذهنى من الآراء وفشلت فيها جميعاً . وما زال عزت سالكا سبيله . إنى أريد ان اسألك سؤالا

— نعم

— هل تسعين الى طلاق منه ؟

— حاش لله يا ابنتى

— اذن فرجائى اليك ألا تشيرى على بمثل هذه المشورة مرة أخرى . انها أسوأ مشورة يمكن أن تقدمها ام الى ابنتها . انما نبغى أن نصلح من أمره ، حسناً ، دعينى اذن اعالج الامر وحدى حتى اذا قنطت لجأت اليك ، ولك اذ ذاك أن تفعلى ما تريدين

— الامر اليك يا ابنتى . انى لا افكر إلا فى مصلحتك

— وطبعاً هذا ما افكر فيه كذلك . ورجائى اليك مرة اخرى ألا تفوهى بشىء مما دار بيننا من الحديث

قالت الأم على ابنتها وقبلتهـا فى حنان وقالت :

— لا تحزنى يا عزيزتى . انك عاقلة رزينة منذ حداثتك . ومن كانت كذلك فلن يكون مآلها إلا السعادة

وعادت فقبلتها ثم غادرت الغرفة

* * *

وظلت عزيزة مكانها وقد وضعت ساقا على ساق واستندت بمرفقها على ساقها واعتمدت ذقنها على راحة كفها ، وراحت تنظر أمامها نظرة شاردة ساهمة

وطنت كلمات أمها فى أذنيها « انك عاقلة رزينة . . . . » وما كان جدواها من هذا العقل وتلك الرزانة ؟ او ليس الجنون ، أحيانا ، اعود بالنفع على الانسان ؟ لولا رصانة لها لما عانت كل الذى عانته فى حياتها . ولو انها كانت حمقاء هوجاء لثارت على أهلها حين تقدم عزت طالباً الزواج منها ، وظلت فى ثورتها حتى يتخرج ابن عمها فى مدرسته العليا . نعم انها لم تعشق ابن عمها ، ولكنهـا تفضله بلا مراء على كل من عداه ممن تعرف ، فهو مثلها عاقل رزين . ومن كان كذلك كانت الحياة معه ملأى بالسعادة والهناء

ولو انها كانت حمقاء هوجاء لثارت على زوجها واخضعته لمشيئتها ، وطالبته بحقوقها منذ بداية حياتها معه ، ولـكنها عاقلة رزينة منذ حداثتها . فصبرت على الصبر يجدى ، وما أجدى . وتجلدت على مضض عسى أن يتبين فى تجلدها ماهي عليه من ولاء ووفاء ، ولكنه اغمض عينيه وسد اذنيه ، وانطلق فى سبيل غوايته غير حافل بها وغير مكترث لابنه الذى كانت تحسب أنه سيقرب بينهما

أى ذنب جنت ؟ وما موضع النقص فيها حتى يهمل امرها كل هذا الاهمال ويسعى وراء الراقصات وغير الراقصات ممن يسبين قلبه ؟ انها جميلة بل هي فاتنة فى حسنها وجمالهـا . وهي الى

جانب ذلك مثال الزوجة التى تسعى الى ارضاء زوجها ولو كان من وراء ذلك تضحية دعتها وراحتها. فماذا يطلب منها أكثر من هذا ؟ ألا يستطيع الرجل أن يفتح عينيه ويتبين البون الشاسع بين الزوجة الوفية العفيفة وبين المرأة الخليعة المستهترة الداعرة ؟

ووقفت على قدميها واتجهت الى النافذة ومرت أمام المرآة . فوقفت قبالتهـا لحظة تدير أنظارها فى صورتها التى طالعتها على صفحتها ، ثم تنهدت وسارت إلى النافذة فوقفت أمامها تنظر الى الطريق من خلالها

ومرت لحظات وهي فى وقفتها جامدة النظرات شاردة الذهن . ثم سمعت وقع خطوات تقترب من الباب . فدارت على عقبهـا واتجهت الى ناحيته وفتحته فى اللحظة التى همت فيها أمها بفتحه

وقالت الأم : « ان اباك يسأل عنك »

ـــ انى ذاهبة اليه

وسارت الى حيث كان أبوها . . ووقفت الأم مكانها ترنو اليها بانظار بادية الالم ، ثم هزت رأسها وتبعتها

* * *

انقضى اليوم دون أن يحضر عزت إلى داره

وكثر تساؤل القوم عن عزت ، حتى ضجت زوجته عزيزة ، وحتى كادت تبكى من فرط ألمها . ولم تجد مخرجا لها إلا أن تطلب من خادم غلام أن يأتى اليها فى غرفة الاستقبال ، ويبلغها أن رسولا جاء من قبل سيده ، ليبلغهم انه قد حدث عطل بسيارته استدعى ذهابه بها إلى الجراج لاصلاحها وانه قد يتأخر بعض الوقت لهذا السبب

وجاء الغلام إلى حجرة الاستقبال ، وأبلغ سيدته هـذا الاعتذار الـكاذب على مسمع من الضيوف ، وماكاد ينتهى الغلام من روايته حتى وقفت عزيزة ، باسمة الثغر ، مشرقة الوجه وقالت :

ـــ اذن هيا بنا نتناول طعام الغداء

فقال أبوها : « خير لنا أن ننتظر قليلا »

فابتسمت عزيزة وقالت :

ـــ لا فائدة من الانتظار لانى أعرف شدة حرصه على سيارته الجديدة ، فهو لن يدعها فى يد الصناع دون أن يشرف على عملهم بنفسه . تفضل يابابا

وبهذه الاكذوبة استطاعت أن تنجو من حرج موقفها ، وما استراب أحد ، عدا أمها ، فى هذا الاعتذار

بيد أن قلبها ظل كالمرجل يغلي ويفور ، فلم يغمض لها جفن ، وظلت ساهدة الطرف ملتاعة القلب ، ثائرة حانقة ، تفكر في كل خاطر حتى عاد زوجها في الثانية بعد منتصف الليل

وسمعت بوق سيارته يدوى في سكون الليل ليفتح له البواب . وبعد دقائق سمعت وقع خطواته في (الصالة) ثم في غرفته ، وكان يسير في خطوات ثقيلة غير متزنة ، فايقنت انه مخمور كعادته في كل ليلة . . وهبت عزيزة من فراشها وفتحت الباب الفاصل بين المخدعين ، ورأته يهم بخلع ثيابه ، فوقفت ترنو اليه بانظار حداد ، وعين ملتهبة ، وصدرها يعلو ويهبط ، ودماؤها تغلى في عروقها زاخرة فوارة . وقد فقدت في هذه اللحظة تمالكها ، فشعرت بمثل الرعدة تسرى في أعضائها ، وببرودة في أطرافها

ورآها عزت واقفة بالباب ، فتوقف لحظة عن خلع ثيابه ، ونظر اليها في صمت وسكون ، وكأنما شعر بهذه العاصفة فلم يفه بلفظ ، ثم عاد يستأنف في خلع ثيابه

وقالت عزيزة في صوت جهدت أن يكون هادىء النبرات : « أين كنت إلى الآن ؟ »

وعلى الرغم من استخفافه بامرها ، فقد شعر بجرمه وأحس برهبة الموقف ، فلاذ بقوله :

— كنت مع بعض الصحاب

— ألم اتوسل اليك أن تعود ظهرا ؟

— لم استطع

— ما الذى منعك ؟

فنظر اليها في حدة وقال : « الله ! أتريدين محاسبتى ؟ »

ولم تستطع عزيزة كبح جماح عواطفها ، فقالت في صوت اختلجت فيه نبرة الحدة :

— ان هذا من حقى . لقد احتملت كل عبثك واستهتارك بواجبك ، واعراضك عن دارك ، واهمالك شأن أسرتك . احتملت أن أراك تخرج من الدار في الصباح لتعود في صباح اليوم التالى مخموراً ثملا . احتملت أن أرى ابنى يبحث عن أبيه في أنحاء الدار ، ويناديه ليل نهار ، دون أن تقع عينه عليه الا في فترة قصيرة في الصباح . احتملت أن أعيش في دارك كمخلوقة تطعمها لوجه الله . وليست زوجة لها حقوق تستطيع أن تطالبك بها ، وترغمك على الاعتراف بهـا . صبرت وتجلدت راجية أن تتبين على مر الايام مبلغ ماحيق بى من ظلمك وعسفك ، ولانى كنت أخفى ما أعانى بنجوة عن الانظار . أما اليوم وقـد افتضح أمرى ، وأحرج موقفى ، واستطاع أهلى أن يتبينوا مبلغ استخفافك بشأنى واستهتارك بكرامتى . أما اليوم وقدم تحديتنى علنا وناصبتنى العداء جهارا ، فأبى حاجة إلى تكتم ماجهرت به ، والى احتمال ما كان سراً مطويا بينى وبينك . . . .

وهم عزت أن يقاطعها فرفعت يدها في وجهه وقالت في صوت علت نبراته دون أن تشعر :

ــ لا تقاطعني ودعني اتمم حديثي . لم احتمل ما احتملت ، ولم أصبر وأتجلد ضعفاً مني وخوراً، كلا ، فما كان هذا مني ضعفاً ولكني أملت أن يأتي يوم تتبين فيه عبث الحياة التي تحياها، وتتلمس ولائي ووفائي ، وترى رأي العين انك تبدد حياتك في باطل ليس يجدي ، وانك تبدد كذلك حياة زوجتك وابنك ظلماً وعدواناً . صبرت راجية . . . . .

وعاد عزت فهم بمقاطعتها مرة أخرى . وعادت هي الى رفع يدها في وجهه وإلى متابعة حديثها :

ــ اني اعرف انك ستدلي الي بمعاذير مختلفة كاذبة واهية . وقد استمعت الى مافيه الكفاية أربعة أعوام ، فلست أريد منها المزيد ، ولن أقبلها . لقد صبرت على عبثك راجية أن ترعوي يوماً ، وأن تعود الى عشك فتهنأ بأسرتك وتنعم اسرتك بوجودك بينها وبعطفك عليها ورعايتك لها . ولكنك ظللت سالكا سبيلك المعوج برغم كل جهودي وتوسلاتي . كأنك نصبت نفسك عدواً لي ولابني . وكأنك لست زوجا لي ولا أبا لابنك.وقد نفد صبري وضاق ذرعي . فلن أستطيع ان أظل على احتمالي لعبثك واستهتارك . وسادعك منذ الغد . وسأقضي أياماً أو شهوراً أو اعواما ، والامر موكول اليك ، حتى تستطيع أن تفكر في أمرك ، وأن تتبين اي الامرين أصلح لك ، وا كثر ملاءمة : الزواج أم العزوبة . وسأعود اليك راضية يوم تعرف لزوجك وابنك حقهما

ودارت على عقبيها وهمت أن تعود الى غرفتها فاهاب بها : عزيزة !

فاستدارت له وقالت :

ــ لم أحدثك بما حدثتك به لاني اريد جدلا وشجاراً . ولكني كشفت عن حقائق ، لك أن تفكر فيها وأن ترى سبيلك من خلالها . وقد تحسبني الآن مخطئة . ولكنك ستدرك إن عاجلا وان آجلا أني سلكت معك خير سبيل يمكن أن تسلكه زوجة مع زوجها العابث

وبارحت الغرفة واغلقت الباب وراءها . وظل عزت واقفاً مكانه وهو لما يتم خلع ثيابه

وكانت كلمات زوجته قد تغلغلت في اعماق قلبه وآلمته الحقائق المرة التي كشفت عنها وحزت في نفسه نبرة الالم المختلجة في صوتها

وتابع عزت خلع ثيابه ، وتناول سيجارة من علبته واشعلها وهو شارد الذهن يفكر فيما سمع منذ لحظات . وكانت الخمر ما تزال تلعب بعقله وتدور في رأسه . بيد ان كلماتها كانت لا تنفك تطن في أذنه . وذكر عزت قولها له : « . . . ابنك يبحث عن أبيه ويناديه » . . .

واختلجت عاطفة الابوة في قلبه ، فغادر غرفته وهو يسير وئيداً منحني الرأس يدخن سيجارته في بطء وشرود

ودخل غرفة ابنه ، وكان لها بابان ، احدهما كان مفضياً إلى (الصالة) والآخر إلى غرفة زوجته

ووقف قبالة المهد الذى يرقد فيه ابنه ، وراح ينظر الى ذلك الملاك الجميل

وابتسم الطفل فى نومته . وراقت الابتسامه فى نظر ابيه ، فتابعه فى ابتسامه ، وقذف بسيجارته على الطنفس ، ووضع قدمه على ماطئها سيجارته . ثم انحنى على المهد وطبع قبلة على جبين الطفل ثم اعتدل فى وقفته وظل لحظة ينظر الى ابنه . . وغادر الغرفة واوى إلى فراشه

☆☆☆

ودوى صوت مزعج رهيب فى سكون الليل

وهب عزت من فراشه مذعوراً وانتفض واقفا على قدميه وغادر غرفته الى الصالة

ودوى الصوت مرة أخرى . وتبين فيه صوت زوجته عزيزة . فانبعث من مكانه كالمجنون ، وفتح باب غرفتها . ورأى السنة النيران مندلعة فى غرفة ابنه وهى تطول وتقصر وقد سدت الباب الفاصل بين غرفة زوجته وغرفة ابنه . كأنما هى تحول دون دخول احد

وكانت عزيزة واقفة وسط غرفتها ، وهى ترى ألسنة النيران تمتد اليها ، وتطول وتقصر ، كما يداعب الحيوان فريسته بذراعه

وفى مثل سرعة البرق ، وفى غير وعى ، أندفع عزت فى داخل الغرفة ، ونحى زوجته عن طريقه ، ثم قفز الى غرفة ابنه قفزة قوية . واستقرت قدماه العاريتان على نيران حامية ، وشعر بألمها ، ولكنه اندفع الى المهد وقد أحاطت به النيران ، وكادت تمتد الى الطفل فتطويه

وانتزع عزت ابنه من مكانه وخرج به من الباب الآخر المفضى الى الصالة وهو يعدو عدو الظليم . وعلى الرغم من اشتداد النيران ، وتكاثف الدخان ، فقد وقفت عزيزة وسط غرفتها ، وقدسمرت مكانها ، ووجف قلبها ، وهى ترى زوجها مندفعاً الى انقاذ ابنه

ورأته يخرج به الى الصالة ، فاندفعت الى الخارج ، وتناولته منه بين ذراعيها ، وراحت تحتضنه الى صدرها فى حنان عظيم . . وبادر خادم ذكى الفؤاد الى التليفون فاستدعى رجال المطافىء

وخفت لهفة عزيزة على ابنها حين رأته سليماً ، ورفعت أنظارها الى حيث كان زوجها ، فالفته على أحد المقاعد وقد أغمى عليه من فرط الالم ، فهبت من مكانها على عجل ، وأعطت طفلها الى خادم ، وطلبت منها أن تخرج به الى الحديقة . واستعانت بخادمين ، ونقلت زوجها الى غرفة بعيدة عن مكان الحريق . ثم بادرت الى التليفون واستدعت طبيب الاسرة

☆☆☆

أطفئت النيران بعد أن أفنت أثاث المخدعين ، وخرج الكل منها سليماً إلا عزت . فقد أصيب بحروق شديدة فى قدميه وأخرى خفيفة فى وجهه

ولزم عزت فراشه ، وقد ضمدت حروقه وشدت الضمادات حول وجهه وقدميه

ونسيت عزيزة موجدتهـا عليه وحنقها وسخطها وآلامها وأشجانها ، ولم تذكر إلا فضله

العظيم عليها وصنعه الجميل معها حين أنقذ ابنها وفلذة كبدها من بين ألسنة النيران

ونسيت عزيزة أن محموداً ابنه كما هو ابنها . وأنه أنقذه لانه ابنه لا لأنه ابنها

بيد أن هذا الصنع الجميل قد أثر في قلبها أبلغ التأثير ورفع مكانته في نظرها وأفاض حبها له وإعجابها به وعطفها عليه . ولزمت مخدعه تخدمه وتمرضه وتسهر على راحته . وأبت أن تدع أحداً يقوم بخدمته ، وأبت إلا أن تلازمه ليل نهار

وكان عزت يرى منها هذا الولاء العجيب وذاك الوفاء الفذ . وعادت كلماتهـا الهادئة المتزنة الحكيمة الالية تطن في أذنيه . وتبين من ثناياها ما هي عليه من عقل راجح ولب رصين وولاء أنعم به من ولاء . وعجب كيف استطاع أن يغمض عينيه فلا يرى كل هذه المزايا الفذة . وعجب كيف فضل عليها نساء داعرات خليعات

وراح عزت ينظر إلى زوجته وهي تذهب وتجيء في الغرفة ، تقوم بشأنه وشأن ابنه في غير كلل أو ملل ، ويرى ما هي عليه من جمال فتان وحسن خلاب وأدب جم

ونظرت اليه عزيزة فجأة بدافع لا تدرى كنهه ، ورأته يتطلع اليها بأعين بادية الاعجاب ، فخفق قلبها خفقة الغبطة وابتسمت ابتسامة خلابة وقالت في رقة :

ــ ما بالك تنظر إلى هذه النظرة ؟

ــ أكاد أراك على حقيقتك للمرة الاولى

فاقبلت عليه خافقة القلب مسرورة ، وانحنت فوقه وقد استندت بيديها على فراشه وقالت :

ــ وماذا رأيت ؟

ــ رأيت أني كنت أعمى أحمق مخرفاً

فضحكت ضحكة ناعمة رقيقة وقالت : « إني لا أسالك عما رأيت في نفسك »

فابتسم وقال : « ورأيت أنك جديرة بكل حب . وأني أحبك وأعبدك »

فازداد انحناؤها وقبلته في فمه ثم ابتسمت وقالت :

ــ ألم تر كذلك أني أحبك ؟

ــ كان جديراً بي أن أرى ذلك منذ سنوات

ــ أحمد الله أنك استطعت أن تراه ولو بعد حين

ــ ولكن . . . .

وصمت لحظة فقالت : « ولكن ماذا ؟ »

ــ هل أرجو منك صفحاً وغفراناً ؟

ــ حسبي أنك عدت إلى والى ابنك ، فأغتفر لك ذنوب الدنيا والآخرة

« ابن الطبيعة »

القصة الفائزة الثانية

قطعة لحم

بقلم الدكتور بشر فارس

ـ هب يا مبروك !

ـ أهب ؟ لم ؟ ما الساعة ؟

ـ الساعة السابعة يا بليد . أولم أقل لك أدرك التلاميذ قبل دخولهم المدارس واعرض عليهم أوراق « يانصيب » ؟ إنك لا تصنع شيئاً فى عرض هذه الأوراق على الشيوخ والكهول . فعليك بالشباب ، ولا تنس أن تقول لهم إنك يتيم ، لا مأوى لك ولا عائل ، فانهم أرق قلباً وأخفض جناحاً

ـ أرق قلباً ! أخفض جناحاً ! ماذا تقولين ياخالتى ؟ هل تعلمين أنى كلما قصدت واحداً من هؤلاء التلاميذ انقبض عنى بل ردنى فى اشمئزاز وقسوة ، حتى الفتيات لا يعطفن على ؟

ـ معاذ الله ! إن الرحمة قد تساقطت من قلوب الناس . ألا يحنو الخلق على طفل مثلك مسكين ضئيل ؟ هب ! هب !

قالت هذا ثم بسطت يدها إلى مبروك وجذبته من حصيره وهزته هزة عنيفة . فتضور مبروك وهم أن يضج ، فصفعته ، فأخذ يفرك عينيه ويتثاءب ويتمطط

ـ يا مبروك إن تبع عشرين ورقة تأكل من اللحم ، وإلا فطعامك ما تعلم

ـ انى أسمع هذا منذ سنة ، ولا سبيل الى أن أبيع عشرين ورقة فى يوم واحد ، ولكنى اشتهى اللحم !

ـ اشتهاك الموت يا عقرب ! ثمن عشرين ورقة ثم اللحم ـ هذه كسرة خبز وقطعة «مش» ـ لا تحسن إلا الأكل يا لعين ، و زوج خالتك يكد صباح مساء من أجلك ، وأنت تعلم أن الحال لا يكاد يصيب الرزق . قطع الله تلك المدنية التى تحول بين الفم واللقمة ـ انطلق يا بليد واياك واللعب

دس مبروك « المش » وكسرة الخبز فى جلبابه . وياله من جلباب مقدود من ناحية مرقع من أخرى ، فوقه معطف افرنجى لا لون له ، إلا أن طائفة من البقع تزينه . وكان الجلباب

والمعطف لا يستطيعان جميعاً أن يسترا القذارة المنتشرة على أطراف مبروك وعنقه . وكأن القذارة أصابت هنالك مكاناً طيباً فاطمأنت به فتربعت

انطلق مبروك ثم عاد مساء ، وما انفك ينطلق ويعود ، ويبيع العشرين ورقة من وراء طاقته . وكأن هذه الورقات العشرين يلففن قطعة اللحم التي يشتهيها ، فلا بد له من تبذهن حتى يظفر بالقطعة . وكان يتفق له أن يبيع ست عشرة ورقة بل سبع عشرة ، فيتحسس قطعة اللحم تحت الاوراق الباقية ، فيجن جنونه ، فيطير إلى الناس يعرض الاوراق عليهم ، فان نظر اليهم لمع بعينيه ذلك البريق الذي يلمع بطرفي الغزال ساعة يخشى التلف ، وان لوح باوراقه كان كمن يلوح بمنديله وهو آخذ في الغرق

خاب مسعى مبروك الخيبة كلها ، ولكن هل يطمئن الطفل إلى ما يقع تحت حسه ؟ خاب أمل مبروك فلم يلبث أن انسلخ من جانب الحقيقة لينطلق إلى جانب الخيال في غير كلفة عليه . فجعل يتوهم عالماً يسد حاجة نفسه ، وما الحاجة التي بنفس مبروك سوى أكل اللحم ! فانه لا يطمع في جلباب قشيب ولا يرغب في مشاهدة صور متحركة ، فليس هذا مما يتمثل له في البيئة التي يعيش فيها ، ولكن الذي يراه ويقصر عنه في آن هو أكل ذلك اللحم الشهي

فكان العالم الذي توهمه مبروك واستطاب الانسراح في جنباته عالماً تتزاحم فيه اللحوم . وأي اللحوم يا ترى ؟ أأصناف الذبائح وألوان الجزور ؟ كلا بل صنف واحد ولون واحد : ذلك اللحم الذي يحمله زوج خالته قطعة قطعة على طبق الارز يوم الجمعة وأيام الاعياد . وكان هذا العالم المتوهم يقع عند مبروك موقع العالم الملموس ، وهل ثمة ما يفرق بينهما عند الطفل !

* * *

ـــ يا ولد

ـــ !

ـــ يا ولد

ـــ أطال الله عمرك يا سيدي . خذها مني . خذها انها الورقة الرابحة

ـــ لا حاجة بي الى ورقتك . بل هل لك أن تحمل حقيبتي الى داري ، فتظفر بالأجر ؟

اضطرب مبروك ساعة : أيحمل الحقيبة فيظفر ببضعة نقود ؟ ولكن أين هذا من عمله وأوامر خالته ؟ الا أنه خطر بباله أن النقود تهيء له اللحم ، فما أبطأ حتى نسي أوامر خالته وأعرض عن عمله . فتناول الحقيبة في أسرع من ارتداد الطرف وتبع صاحبها . وفيما هو يسير اذ عرض له أن صاحب الحقيبة ربما حرمه الأجر . أفلم تعده خالته في عيد الاضحى الذي مضى بقطعة لحم ثم لم تمكنه الا من سمكة . فان هي أخلفت وعدها فلم لا يخلف صاحب الحقيبة وعده ؟

عرض هذا لمبروك مم رسخ فى ذهنه حتى انه أراد أن ينهب الارض عدواً فينتهى الى بيت الرجل ، فيطمئن باله

بلغ الرجل المكان الذى أراده ، فاخذ الحقيبة من بين يدى مبروك مم دس فى يده قرشاً . فنظر اليه مبروك نظرة الذاهل . فظن الرجل أنه يستقل القرش ، فابتسم وسمح بآخر . فولى مبروك خشية أن يسترد الرجل القرشين ، وأخذ يركض حتى خفى عنه . فلما هدأت نفسه هرول الى مطعم من مطاعم السوقة :

— بعنى يا عم من اللحم الذى يأكله زوج خالتى

— الذى يأكله زوج خالتك ؟ هل لزوج خالتك لحم معين ؟

— لا أدرى ، ولكننى أريد الذى يأكله

— وما يأكل ؟

— اللحم ، سبحان الله !

— ولكن اللحم على أصناف !

— ماذا تقول ؟

— قاتلك الله أنت وزوج خالتك ! قل لى كيف تريد أن تأكل اللحم ؟

— أريد أن أجعله على الارز

— خذ من اللحم المسلوق اذن

— هات . وان لم يكن ذلك الذى يأكله زوج خالتى فلا بارك الله فيك

— ما أقصر عقلك !

سلك مبروك قطعة اللحم فى جيب من جيوب جلبابه ، ثم انزوى ناحية بحيث لا يراه أحد فاستل القطعة ، وجعل يتأملها كمن يتأمل امرأة امتنعت عليه ثم انقادت له ، ويقبلها ظهراً لبطن كالفنان الذى يدير بين يديه تمثالا صغيراً نحته بعد طول عناء . ويجلبها الى أنفه كطالب خريشتم شذاها قبل أن يحتسيها ويضمها الى صدره على غير وعى ويملأ منها عيونه

أبى مبروك أن يأكل القطعة لساعته ، مغالباً نفسه ، فسلكها ثانية فى جيبه حتى يجعلها قطعة قطعة على طبق الأرز الذى يتغدى به . وكان — وهو يسرع إلى بيته — يحرك شدقيه ويخرج لسانه فيمسح به شفتيه كأنه يتتبع طعم اللحم فيهما . وكانت يده تتقرى القطعة من حين إلى حين كمن يفيق من إغماء فيتحسس قلبه

دخل مبروك الدار وقد غافل خالته . وتلفت لعله يصيب مكاناً يخبىء فيه قطعة اللحم . فوقع بصره على طست صغير ، فرفعه بعض الشىء ثم دس تحته القطعة . وما فرغ من عمله حتى صاحت به خالته وأمرته باحضار خبز . فانطلق وما كاد ينطلق حتى هبت ريح شديدة نزعت عن النافذة

جانباً من « الخيشة » التى كانت تقوم مقام الزجاج . فتنبهت الخالة ، فبادرت الى النافذة ، وحاولت أن تسد الثغرة فلم تفلح ، فنظرت حولها ، واذا الطست يعرض نفسه ، فجذبته ، واذا قطعة اللحم تفتضح . فهوت عليها وجعلت تحدق اليها دهشة . ولما عاد مبروك استخبرته الخبر بغلظة . فأخذ مبروك يلفق قصة عجيبة ، أراد بها أن يجادل عن نفسه ـ قال :

« ان رجلا عملاقا تعرض لى وانا أجول ، فقال لى : انى افتش عنك من زمن ، صاحبنى قليلا فأبيت . فما زال بى حتى تبعته . وما كدت أسايره حتى غاب عنى فجأة كأن الارض انشقت من تحته لتخسفه . فتلفت باسطا يدى ابحث عنه . وإذا قرش يقع فى يدى . واذا صوت يهمس فى أذنى : أن اشتر قطعة من اللحم واذهب بها الى بيتك ، وادفعها الى خالتك »

سمعت الخالة هذا الحديث الذى لا يقدر على مثله سوى الاطفال ، وهى لا تشك أن مبروكا يعبث بها . فشتمته ودنت منه متوعدة . فحلف مبروك بأغلظ الأيمان انه صدقها الخبر . فهمت به تريد أن تضربه . فعاد إلى ايمانه يديرها على لسانه كما يدير الناسك خرزات المسبحة . فأمهلت الخالة لحظة وقد نال منها الصدق الذى فى لهجة مبروك فقنعت بلطمتين أو ثلاث ، ثم قالت له :

ــ ان جزاءك أن ترانى انا وزوجى نأكل هذا اللحم

فلما غابت قطعة اللحم فى بطون الخالة وزوجها ، دنا مبروك منهما . فدفعته خالته فى عنف ، وأغلظ زوجها له الكلام . إلا أن مبروكا تلطف وتضاءل ثم مال الى خالته وقال فى لهجة المستعطف : بالله خبرينى عن طعمها . قالت : « مالك وللحمة ، اليك الارز » ثم انصرف

انصرف مبروك كئيباً باكياً يجر قدماً ثقيلة . وما بلغ رأس الزقاق الذى يسكن فيه حتى رآه الشيخ « مرسى » ، ذلك الشيخ الذى يقضى نهاره عند رأس الزقاق ساكناً هائم الطرف ، كأنه يستوضح مشكلات الكون !

لمح الشيخ دمعة تبدر من عين مبروك ، فقال له :

ــ ما همك ؟

ــ لا هم لى

ــ وما بكاؤك إذن ؟

ــ أباك أنا ؟

ــ سبحان الله ! طفل ومكابر !

ــ بالله ياشيخ مرسى إن لى سؤالا ، فهل تستمع ؟

ــ هات يامبروك

ــ لاتظنى اسألك اهتماماً منى بالسؤال . غير أنى حلمت حلماً عجيباً ، وفيه ما أحب أن استفسر عنه

ــ هات سؤالك ثم ابسط حلمك

ــ هل طعم اللحم بعيد عن طعم السمك ؟

ــ ما هذا السؤال ؟ والله يا مبروك انى لم اذق اللحم من زمان ، فأنت تعلم انى فقير ، وفقير اليوم غير فقير أمس . إلا انى لا أشك ـ على ما اذكر ـ أنه شتان مابين طعم اللحم وطعم السمك .

ــ يالله ! هل الفرق عظيم ؟ ـ عظيم . . .

ــ عظيم جداً تعنى ؟

ــ اى والله . ان بين الطعمين مابين . . . مابين . . كيف أشبه ؟ . . مابين شارع فؤاد الأول وحارة درب المهابيل

ــ يارسول الله !

ــ ما حلمك الآن ؟ ــ حلمى ؟ دعه !

راح مبرك موزع العقل . أبين طعم اللحم وطعم السمك ما بين فؤاد الأول ودرب المهابيل ؟ اللحم ـ اذن ـ شيء عظيم !

راح مبروك وطعم اللحم يشغل حلقه . وبينما هو فى الطريق إذ عرضت له فتاة فى سنه

ــ مالك يامبروك تقبض وجهك كأنك تغديت ضفضعة ؟

ــ دعينى وشأنى يازينب ، فانى لا اريد اللهو اليوم

فضحكت زينب ، ثم اخذت تقرص مبروكا من هنا وهناك . فردها مبروك ، فلم ترتد فهزها فاذا جلبابها ينشق عن بعض ذراعها . فبصر مبروك بمفصل ريان ملفوفاً ، فجسه فاذا لحم غض يضطرب تحت أنامله ، فانقض عليه بعضه عضة مفترس ، فصوتت الفتاة ، فهرب مبروك ولسانه يمتص اضراسه

• • •

كرت الايام ، والعالم الذى كان أنشأه مبروك فى مخيلته أخذ ينزوى شيئاً فشيئاً حتى توارى . فعاود البشر قلب مبروك ، وراجعت الطمأنينة نفسه فاسترد طفولته وسذاجتها فجعل يبسم للحياة ويطلب اللهو ، وكان وقع اليه أن اللهو ـ فى المولد النبوى ـ لايترك غاية وراءه ، فظل يرقب المولد وهو يتنزى

ولما كان المولد باكر مبروك الميدان الذى تنصب فيه الخيام . فبات يطوف بينها ، وهو يصيب من كل لون من الوان اللعب ما شاء الله ان يصيب . وكان يلذ له ان يعبث بالخلق : فتارة يزحم هذا ، واخرى يصدم تلك . وفيما هو يلهو إذ رأى عصبة من الناس يسيرون منتظمين فتبعهم اندفاعاً ، وما زال يتبعهم حتى ولجوا خيمة فقبلوا يد شيخ اكل السجود جبهته ، مستو على كرسى ذهبى ، ثم دخلوا خيمة وراء الخيمة الاولى ، فاقتص مبروك اثرهم ، ثم جلسوا هنالك

حلقة حلقة ، فجلس معهم وهو لا يدرى ماذا يصنعون . وما كانت إلا ساعة حتى خرج شيخ من ورائهم ، على رأسه عمامة خضراء ، وبين يديه قطع لحم ومن خلفه مشايخ يحملون اطباق ارز . فوضع كلهم طبقاً وسط كل حلقة ، ثم أخذ الشيخ يوزع قطع اللحم

فما رأى مبروك هذا حتى اهتز وجعل يضرب بمعصميه على نخذيه ويصوت بلسانه وهو لا يتمالك فى مكانه . واذا العالم الذى انشأه فيما مضى ثم انزوى يبرز ثانية - امام عينيه - وضاء ملتهباً

كان مبروك يراقب الشيخ وهو يوزع قطع اللحم على غيره . وسرعان ماراى القطع نفدت من يدى الشيخ فغص بريقه ، غير ان الشيخ دعا بغيرها فاسترد مبروك أنفاسه ومالبث حتى تنبه الى أن المولد النبوى ليس بمجال لعب بل بمجال جد . فاخذ يفطن الى محاسن الدين لحلف لينقطعن الى العبادة

قدم الشيخ الحلقة التى فيها مبروك . وبينما هو يفضى بيده الى مبروك - وعيناه منصرفتان الى من بعده - هب الرجل الجالس بجنب الطفل - وكان اسود شديد السواد - فاختطف القطعة على حين غفلة من الشيخ فصاح مبروك بالشيخ فلم يعتد به . فقام اليه يجذبه من ثيابه فرده الشيخ فتشبث به مبروك بأنامله كما يتشبث المكروب بأمله فقال له الشيخ : مكانك يا ولد . فهم مبروك أن يشرح ماجرى له ، فقال الاسود - وفمه مشحون باللحم : لا تصدقه يا سيدى الشيخ إنه لئيم . فقال الشيخ : ما قصتكما ؟ فاخذ مبروك يتمتم ، وحلقه بالنشيج شرق ، فبادر الأسود الشيخ وقال له : انه يزعم - ما احقره ! - انى اختطفت القطعة من بين يديه ! فالتفت الشيخ الى رجال الحلقة لعله يصيب من يشهد لمبروك او عليه ، واذا رجال الحلقة يستبقون الارز وقد حصروا كل حواسهم فى افواههم . فمال الشيخ الى مبروك وقال له : لو كنت صادقاً لشهد لك هؤلاء الرجال

وقف الطفل ساعة مذهولاً به ثم ادار نظره الى الحلقة وطبق الارز ، فاحس بما يحس به الزاهد فى الدنيا عند زخارفها

صدمت الحياة مبروكا ذلك اليوم ، فأثارت الفتنة فى نفسه إذ جعلته يفطن الى أن الشقاء لم ينطو بين جدران بيته

ذهب عقل مبروك من جراء تلك الصدمة . والذى زاد فى ذهابه أنه كان طفلا لا يقدر أن يتبصر فيما دار له ، ولا يقوى على أن يميز بين الذى فى اعتقاده والذى فى الواقع

خرج مبروك من المولد وقد عرفت نفسه ما النقمة . فأخذت تتمثل الانتقام

فسار على وجهه ، وهمه مجانبة المولد ، إلا أنه لمح - عند منعطف طريق - تلك الخيام الناهضة . فشبه له انها شياطين عماليق . فنظر اليها ورأسه تشقه نزوة الحنق ، وصدره تأكله وقدة الوغر . ثم اتفق له أن يذكر أنه حلف لينقطعن الى العبادة ، فأخذ يعضض شفتيه وهو يميد ، كأنه يقول : ان الورع لمن مشاغل من امتلأ بطنه

٭٭٭

عزم مبروك - على غير تفكير - أن يتشفى من الشيخ ذى العمامة الخضراء . فعقد النية على أن يسرق قطعة لحم . أفلم يمنعه الشيخ اللحم ؟

عقد النية على ذلك وهو لم يحاول أن يجد صلة سبب بين صنيع الشيخ به ورغبته فى سرقة اللحم . وهل للطفل عهد بالمنطق ؟

جعل مبروك على نفسه أن يسرق قطعة لحم . فراح يدبر كيف يصنع . فما لبث أن خرج يوماً - وبين يديه أوراق « يانصيب » - الى ذلك المطعم الذى قصد اليه فيما مضى من الزمان فطفق يعرض أوراقه على الجالسين . فدفعه الواحد بعد الآخر . وكان ينظر تارة الى الجالس وأخرى الى طبقه وهو لا يدرى ما يصنع ، حتى صار الى شيخ ضرير يتلمس طبقه ، فأهوى مبروك بيده ليختطف قطعة لحم نحيلة غارقة فى مرق كثيف . فاذا يد الشيخ قد هداها الله - بعد طول ضلال - الى الطبق ، واذا اليدان تجتمعان على قطعة اللحم . فصاح الشيخ بصاحب المطعم : قاتلك الله ، اتسلبنى الطعام وأنا ضرير ؟ فهم مبروك بالفرار . فادركه صاحب المطعم ولطمه ثم جره الى شرطى مستند - فى الطريق - الى عمود من أعمدة المصابيح ناعس الطرف كأن الناس يسهرون عليه !

***

— ما اسمك ؟ — مبروك ياسيدى المأمور

— ما اسم أبيك ؟

— أبى ؟

— نعم . أبوك . أليس لك أب ؟

— أمن الواجب أن يكون لى أب ؟

— ما أحمقك أو ما أقبحك !

— تسألنى عما لاعلم لى به ؟ ألا انى اسمع اخوانى يحدثوننى عن آبائهم . وأما أنا فلا أب لى فاحدث عنه

— أين تقيم ؟

— أقيم مع خالتى

— وأين تقيم خالتك ؟ — مع زوجها

— وأين يقيم زوج خالتك ؟ — معى ومع خالتى

— هزه باشرطى ، لعله يدرك أنه ماثل بين يدى مأمور

— وا ذراعاه !

— أين تسكن ؟ — لقد أجبتك

— أقول لك : أين تسكن ؟ أعنى هل لك مسكن ؟

نعم لى مسكن . ثم لى حصير أزرق انام عليه . وبودى لو يكون لى حصير أصفر مثل الذى تحت قدميك فهل تعيرنى اياه ؟

— كف ياسفيه ! أين موقع مسكنك ؟

— فى « زقاق الجليس » عند شارع « كلوت بك »

— ما حرفتك ؟

— أبيع أوراق يانصيب ، هل لك فى ورقة يا سيدى ؟ مد الله عمرك !

— أمجنون انت ؟ خبرنى ما الذى حملك على سرقة اللحم ؟

— الشيخ ذو العمامة الخضراء !

— لاتمزح يارذيل ، وإلا فالعصا — والله لا امزح ياسيدى

— إذن . لم سرقت قطعة اللحم ؟ — سرقتها لأغيظ ذلك الشيخ

— قل الحق — الحق اقول

— اصفعه ياشرطى — اواه اواه !

— أكنت تشتهى اللحم ؟ — كثيرا كثيرا

— أما ترى عليك جناحاً ؟ — فيم ؟ فى اشتهائى اللحم ؟

— اعلم أن من يشتهى اللحم يعرف كيف يكد فى سبيل أكله . وكأنى اتوسم فيك الخبث ، ومن يطل النظر الى ملامح وجهك يدرك انك نزاع الى الشر ، ولا بد لنا أن تنفض عن المجتمع مثل هذا الغبار

— هل انتهيت ياسيدى ؟ انى ذاهب

— ماذا تقول؟

— نعم ، ذاهب . لانى لم ابع ورقة واحدة طوال يومى ، وانى لأخشى العقاب حين اعود الى خالتى

— ياشرطى أوسع هذا الغلام ضرباً . فانه ليعبث بالشرطة كلها ، ثم ألقه فى حجرة من حجراتنا فيبيت فيها ، حتى ننظر فى أمره . وكيفما كان الحال فانه لطفل أمار بالخبث ، والخير كل الخير أن نأخذه أخذ العنيف

* * *

لولا فزعة شديدة نالته عن سواد الحجرة ، ولولا تكسير فى نواحى جسمه ، لبات مبروك ليلته قرير العين ، مطمئنا الى غده ، لانه قام فى ذهنه أن ليس بينه وبين المأمور إلا سوء تفاهم . . ولو علم أن الذى بينه وبين المأمور مابين الفقير والغنى

« رقيب افندى »

الأزهار المداسة

بقلم الامير مصطفى الشهابى

كنت البارحة أنحدر الى دمشق من دارى فى سفح (قاسيون) فاسترعى نظرى جار يدوس أزهاراً ذابلة ملقاة فى الطريق منها ورد وخطمى وخشخاش ومرغريتا وغيرها تتخللها زهرات صغيرات من الفل ، وكلها قد حال لونها وفسدت رائحتها وزالت نضرتها وطاحت بهجتها . فتذكرت على الفور قصيدة مرقصة عنوانها « السجينة » لشاعرنا العربى الامريكى الرقيق « ايليا ابو ماضى » نشرها فى المجلد الخامس والستين من المقتطف ووصف بها زهرة كانت تعيش فى الحقل قريرة العين هادئة البال سعيدة بالتراب الغنى والهواء النقى والطل الندى ، ونور الشمس ودفئها وتراقص الاغصان على موسيقى الرياح وتطاير الفراش فى النهار وتهاوى النيازك فى الليل . فاذا بغاو من غواة الزهر يقطفها مغتبطاً بها فيضعها فى زهرية ويسجنها فى غرفة . فتألم وتتفجع وتستغيث من نظرات الفساق وأنوف النشاق وفجور الشاق . فلا رقص الكواعب فى القصر كرقص الفراش فى الحقـل ، ولا المصابيح المتلألئة فى الابهـاء كنور الحباحب الضعيف فى الدجى ، ولا الماء الغزير الذى تسقاه فى الزهرية كقطرات الندى فى منبتها ، ولا عطر الحسـان فى عبقه كريح التراب فى فغوته . ويشتد السجن على تلك الزهرة المسكينة فتصفر وتذوى وهى فى شرخ شبابها والفصل ربيع والهواء عليل ، حتى اذا ذهب رواؤها وعز شفاؤها طرحت خارج الدار فديست بالنعال

نظرت الى الجـار يطأ تلك الازهار دون أن يتعذر أو يتخشع فدنوت منـه وبدأت الحديث بتلك القصيدة العصماء ثم قلت : أو تدرى ياصـاح أن من الازهار الجميلة النـادرة نبتات يظل الزهارون يتعاهدونها سنين عديدة بالتنغيل تارة والتهجين أخرى ثم بالانتخاب والاصطفاء حتى تجيء كما يريدون من حيث تلونها وتزيينها وتبريقها وأنهم بعد هذا يبيعون النبتة الواحدة من الصنف الجديد بعشرات من الجنيهات ؟ وهل علمت أننى قبل بضعة أيام بينما كنت عازماً على زيارة أسرة من الاسر لاح لى ألا أدخل الدار فارغ اليدين فصرت الى زهار فوالله مارضى أن يبيعنى باقة حقيرة يحملها الطفل فلا تثقله بأقل من ليرة سورية والناس فى ضيق والازمة مستحكمة الحلقات تشد على أعناق الناس وتمنع الكسرة من الرغيف عن حلوقهم ؟ ! واذا استسهلت الليرة السورية فسل سهل بن هرون عنها يجبك بمثل ما أجاب الرجل الذى استعطاه درهماً وهو قوله : « لقد هونت الدرهم وهو طائع الله فى أرضه لا يعصى وهو عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف دية المسلم . ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذى هونته . وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم . . »

لقد عبد بعض المصريين الاقدمين اللوطس وتوهموا أن الاله (رع) يلد من زهرته . وقدسوا الجيزة وتخيلوا (هاتور) تخرج من بين أوراقها لتجعل الناس من الخالدين . وسمى العلماء بعض الازهار باسماء آلهة اليونان والرومان . واتخذ الناس كثيراً من أنواع الزهر علامات يدل كل منها على ضرب من النعوت المستملحة والصفات المستحبة ، فالبنفسج للحشمة والورد للجمال وهكذا. وشبه الشعراء أعضاء الحبيب بصنوف الزهر فجعلوا الخدود كالورد واللحظ كالنرجس والشفة كالشقائق . أما بعض الهواة من الشعوب والملوك فقد خص كل منهم نفسه بزهرة أو بنبتة فكانت شعاراً له ودليلا عليه كالنخلة شعار العرب ، والاقحوان والكاميليا شعار اليابان تراهما على نقودها وطوابعها ، كما ترى زهرة الآلام والزهرة الخالدة وعود الصليب على طوابع الصين . ولكم حفر النقاشون زهرة الزنبق على الاسلحة القديمة ، واعتز الانكليز بالوردة والارلنديون بالطرفيل واسبان غرناطة بالرمان وجمهورية البرتغال بالبرتقال

ولما رأيت الجار ساكتا يصغى الى حديثى الطويل الممل استرسلت فيه قائلا : —

هلا أنعمت نظرك فى أوراق هذه النبات التى تدوسها بنعالك وأدركت أشكالها العجيبة من بيضية وسنانية وسهمية ومستطيلة واهليلجية وكاملة ومفرضة الى عشرات من الصفات المختلفة؟ وهذه الزهرات التى تحركها بحذائك ، هلا علمت أنها أجمل الاشياء على هذه الكرة وأنقاها وأحبها الى قلب الانسان بألوانها الزاهية الانيقة وأشكالها المنتظمة الرشيقة وطرق ازهرارها المتفاوتة ؟ وهل جال فى خلدك أن تدخل قبة الصخرة فى القدس أو المسجد الاموى فى دمشق فترى تزاويق الزهر وتعاريج الورق فى زخرف عربى أخاذ ، ما برح ولن يبرح بهجة العين ودهشة المتأمل منذ ماصبغته اليد الصناع أيام كان الامويون ملوك الارض وسادة هذه الدنيا ؟ ثم هل عرجت على تدمر أو بعلبك فرأيت الازاهير كيف تنقش فى الصخر الاصم لشغف الناس بها ! أو جزت الصالحية على الفرات أو أفامية على مقربة من العاصى فالقيت بنظرة على تلك النباتات المزهرة التى كونوها من دقائق أحجار الفسيفساء ! ولكم نقش المصريون الاقدمون زهرة اللوطس وورقتها على هياكلهم وآنيتهم ونقودهم وحليهم . وكم سحرت أوراق الاقحوان فنانى اليونان والرومان فأوجدوها على أعمدة قصورهم وهياكلهم . ولم يكتف الاوربيون فى القرون الوسطى بهذا النبات بل نقشوا على جدران الكنائس زهر النيلوفر والسوسن والبنفسج وغيرها

ومالنا والناس نبحث عن حبهم للزهر فى الحقب الخوالى ؟ أفلسنا نرى فى أيامنا هذه رجالا متأنقين لكل منهم زهرة خاصة به لا تفارق معطفه البتة ؟ ونرى كواعب من فواتن النساء لا يستقبلن فى منازلهن إلا والزهر فى شعورهن أو فى نحورهن أو على أكتافهن حتى على خصورهن ؟! ولله در الذى قال إن الزهر يتبعنا من المهد الى اللحد . فاذا ولدت استقبلوك بالزهر واذا حننت كللوك بالزهر

واذا عيدت أهدوا اليك الزهر واذا أعرست غمروك بالزهر واذا انتقلت الى جوار ربك بعد عمر طويل حملوا الزهر أمام نعشك وفرشوا به قبرك أو نثروه عليه نثرا . وأي دار كبيرة تخلو من حديقة للأزهار يتولاها بستاني لبق ؟ وهل بهجة الدار غير أزاهيرها الفتانة ؟ ومهما حقرت الدار وكان صاحبها من ذوي الفقر والخصاصة فهي لا تخلو من زهرة في حوض أو في أصيص يبسم لها صاحب الدار كلما مر من أمامها وشاهد كأسها السندسية وتوجيها النضر وأسديتها المتوائبة ومدقتها المغمورة بمباهج الحياة . ورب بيت حقير في المزرعة الصغيرة عرشوا على جدرانه الياسمين أو الورد أو زهرة الآلام أو اللبلاب أو الظيان او أشباهها فكستها بأغصانها المتشابكة وأوراقها المخضلة وأزهارها الفتانة حتى صيرت البيت أروع في العين من جلال القصر المنيف . ثم لابد لي أن أحدثك عن الزهارين وفنهم في ايجاد الزهر المبكار والزهر المئخار . وعن أسواق الزهر في حواضر البلاد . وعن بائعات الزهر ومنهن الجميلات المغريات اللواتي تكاد تفضلهن على ما يبعنه . وعن أعياد الزهر وكيف تنتهك فيها حرمة هذه المخلوقات الملائكية ليلهو ابن آدم بشقائها . وعما يستعمل من الأزهار في عيد الفطر وعيد الاضحى وعيد الثمانين وغيرها من الاعياد . وكل هذا يحتاج الى وقت طويل . وانما نحن نتحدر الى دمشق وجاري الذي قصصت عليه هذا الحديث ساكت لم تتحرك له شفة . ولما هممت بالعودة الى تعنيفه على وطئه للازهار الملقاة في الطريق ما كان منه الا أن قدم الى زهرة من الفل كانت في يده وقال : « تمتع برائحتها اليوم وأعدها إلي غداً » ثم انصرف مايبدىء ومايعيد . فلما كان الغد قرع علي باب الدار باكراً وقال : « أين الفلة » فقلت : « ذبلت فألقيتها » قال : « ووطئتها أيضاً أو وطئها غيرك دون أن يتحرج أو يتأثم . فاعلم ياصاح أن هذا هو مصير كل حي في هذه الدار الفانية وان كل ما تحدثت الي به البارحة عن قداسة الزهر ولزوم رعايته كلام أجوف لا طائل فيه . فالزهرة لها عمر محدود متى استوفته عادت الى التراب فاندمجت به فاغتذت بها زهرة ثانية الى أن تهرم هذه فتموت فيكون مصيرها مصير الاولى وهكذا . فأما والازهار بالغة أجلها سواء أكانت في الحقل ام في غرفتك ام على رأس غادة ، حسناء فمن البلاهة بمكان ألا تتمتع بها على الشكل الاتم . وما برح الضعيف مسخراً للقوي والحياة عراك بين الاحياء مستديم . ولو ان الانسان اقتصر على الاضرار بالازهار وعف عن ايذاء ابناء جنسه لكان الخطب أهون والبلاء أيسر ، ولكن هيهات . . . »

دمشق مصطفى الشهابي

سقوط الدولة الاموية
وقيام الدولة العباسية

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

كانت الدولة الاموية دولة الامبراطورية الاسلامية الكبرى ، ففى ظلها امتدت الفتوح الاسلامية شرقا الى السند وغرباً الى المحيط واسبانيا ، ووصلت الامبراطورية الاسلامية إلى ذرى ضخامتها وقوتها ، متماسكة الاجزاء موحدة السلطان والادارة . ولكن فتوة الدولة الاموية ومنعتها ووحدتها لم تكن طويلة الامد ، ولم تأت فاتحة القرن الثانى للهجرة حتى كانت هذه الدولة التى لم تجز بعد طور فتوتها ، قد هرمت سراعاً وأدركها الانحلال والوهن ، وتصدع صرح وحدتها الشامخ . واختتم ثبت الخلفاء الاقوياء من بنى أمية بالوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان (٨٦ — ٩٩ هـ) . ثم بأخيهما هشام (١٠٥ — ١٢٥ هـ) . ومنذ عصر هشام أخذت عوامل الانحلال والتفكك تعمل عملها فى هذا الصرح القوى ، فلم يمض طويل حتى اضطرمت الاندلس بالفتن وخرجت عن حظيرة الامبراطورية ولم يبق للخلافة عليها سوى سلطة اسمية . واستقل الزعماء المتغلبون بحكم افريقية بعد أن خرجت أطرافها القصوى عن قبضة الخلافة . واضطرب سلطان الخلافة فى الولايات الشرقية النائية مثل خراسان وفارس . وأخذ ملك بنى أمية يهتز فوق بركان مضطرم من الدعوات الخصيمة التى لبثت قبل ذلك بنصف قرن تعمل عملها فى الخفاء ثم لاح لها أن الفرصة قد آذنت بالانفجار

ولهذا الانحلال الذى سرى الى الدولة الاموية قبل أن تستكمل أطوار نموها وتوطدها ، أسباب خاصة ترجع إلى الظروف التى قامت فيها ، والى الآثار الدينية والمعنوية التى أثارتها السياسة الاموية فى الجزيرة العربية ثم الى نتائج تلك المعركة الخالدة بين مختلف العناصر والعصبيات التى اشتركت فى بناء الامبراطورية الاسلامية . فقد انتزع بنو أمية الخلافة والملك خلال معركة اعتبرها فريق كبير من الامة العربية خروجاً على آل البيت ذوى الحق الشرعى فى الخلافة ، وبوسائل لم تكن دائماً نزيهة ولا عادلة . وكان لما ارتكبه بنو أمية خلال هذه المعركة من الاحداث المثيرة ، مثل الفتك الذريع بآل البيت وشيعتهم (١) واقتحام المدينة ومكة والعيث فيهما واستباحة الحرم

---

(١) كان مقتل الحسين بن علي في موقعة كربلاء عاشر المحرم سنة ٦١ هـ ومقتل عدة من ابنائه واخوته اشهر حوادث الفتك بآل البيت

المقدسة (١) اسوأ وقع فى نفس الامة العربية . وألفى الشيعة صحب آل البيت وحملة دعوتهم فى تلك الأحداث المثيرة غذاء للتشهير بالسياسة الاموية وأساليها . وأصيبت هيبة الخلافة الاموية من هـذه الناحية بصدع لم تنهض من بعده . وذكت عوامل السخط عليها . واستغل الشيعة هذه العاطفة لبث دعوتهم وتدعيم قضيتهم ، وحشد العناصر الساخطة فى صفوفهم . وكان اضطرام العصبية والخلافات القومية من جهة أخرى يعمل عمله لتمزيق روابط هذه الامبراطورية الشاسعة . ففى افريقية كانت ثورات البربر القومية تستنفد قوى الخلافة ومواردها بلا انقطاع . وكان الخلاف بين العرب والبربر فى الأندلس يهدد مصاير الاسلام والخلافة فى ذلك القطر النائى ، ويفت فى عضد الزعماء والقادة ، ويبعث الاضطراب والوهن الى صفوف الغزاة . وكان العرب أنفسهم قدوة سيئة فى تفرق الرأى والكلمة . فكانت المعركة الخالدة بين مضر وحمير ، وبين مختلف القبائل والبطون ، تمزق أوصال الوحدة العربية وتقوض دعائم هـذه العصبية القومية التى دفعت يوم اتحادها وتماسكها سيل الفتوح الاسلامية الى أقاصى المشرق والمغرب

كانت الخلافة الاموية تسيطر على دولة عظيمة مترامية الاطراف . ولكن سلطانها الحقيقى كان محدود المدى داخل هذه الامبراطورية الشاسعة . وكان فوق ذلك يقوم على دعائم مضطربة . وفى ذلك ما يفسر تلك الظاهرة التى يعرضها لنا سقوط الدولة الاموية . فبينا هى تبدو فى أوج قوتها وفتوتها ، اذا بها تنهار فجأة ، وتبدو فى الحال مظاهر ضعفها وتفككها ، ويبدو ما كان يحيط بسلطانها الشاسع من عوامل مصطنعة وما كان يهددها من عوامل الهدم الخفية — المعنوية والنفسية — وكانت هذه العوامل الخفية فى الواقع أخطر ما كان ينذر سلطان بنى أمية ، فان تلك الأحقاد المرة التى أثارتها السياسة الاموية فى نفوس خصومها كانت تسرى وتضطرم ، وتحيط ملك بنى أمية بسياج خطر من الحفيظة والبغض . وكانت هذه الخصومة الخطرة التى يغذيها ظمأ الانتقام هى عماد الدعوة الشيعية التى لبثت تشق طريقها منذ مقتل على ، ثم مقتل بنيه من بعده . ثم تأثلت وتوطدت منـذ أوائل القرن الثانى من الهجرة . واستطاع الشيعة أن يظهروا فى النواحى ولا سيما فى العراق وخراسان وأن يدبروا عدة ثورات محلية خطيرة . لكن هذه الحركات الاولى أخمدت فى سيل من الدماء ، بيد أن القمع كان يذكى النضال واراقة الدم تذكى ظمأ الانتقام . ولم تكن المعركة متكافئة من الوجهة المادية . فلم يك للشيعة جيوش منظمة أو موارد يعتد بها . ولكن خطر المعركة كان يجثم فى نواحيها المعنوية . واشتد هـذا الخطر حينما ضعف أمر العمال فى النواحى واتسع الامر على الحكومة المركزية . وانحل سلطانها فى الانحاء النائية ، وأضحى عرضة للانتقاض والانهيار

(١) فى سنة ثلاث وستين من الهجرة اعلن اهل المدينة خروجهم عن طاعة بنى امية . فبعث يزيد بن معاوية جنده الى المدينة بقيادة مسلم بن عقبة فافتتحها واستباحها الجند وارتكبوا فيها اشنع الا ثام . ثم سار جند بنى أمية الى مكة فحاصروها وضربوا البيت الحرام بالمنجنيق والنار

ولبث دعاة الشيعة زهاء نصف قرن ينظمون دعوتهم ويضعون لها الاصول والقواعد ويحشدون لها الصحب والانصار فى سائر النواحي . وكانت كغيرها من الدعوات الثورية تلقى فى الخفاء تأييداً كبيراً . وليس من موضوعنا أن نتحدث عن مبادىء الشيعة ورأيهم فى الامامة ومساقها . ويكفى ان نقول إن اختلاف الشيعة فيما بينهم على حق الامامة ومساقها فى ولد على ، لم يحل دون اجماعهم على خصومة بنى أمية ولا دون استمرار الدعوة الشيعية وتقدمها . وكانت امامة الشيعة قد انتقلت بعد مقتل الحسين الى أخيه محمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية (١) فلما توفى سنة ٨١ هـ قام بها ولده أبو هاشم عبد الله بوصية منه ، واستمر أبو هاشم أيام الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان قائماً بأمر الشيعة يفدون عليه ويؤدون اليه الخراج . ثم توفى مسموماً بتحريض سليمان بن عبد الملك (سنة ٩٨ هـ) وأوصى بالامامة الى ابن عمه محمد بن على بن عبد الله بن العباس كبير علماء الشيعة يومئذ . والعباس هو ابن عبد المطلب عم النبي (ص) . وتقدمت الدعوة الشيعية على يد محمد ابن على تقدما كبيراً . وظفرت فى ذلك الحين بأعظم دعاتها السياسيين ، ونعنى أبامسلم الخراسانى . وكان أبو مسلم فتى مغموراً أصله من مرو ونشأ بأصبهان واتصل ببعض نقباء الشيعة فى الكوفة ، فآنسوا فيه ذكاء خارقاً وحماسة تضطرم لآل البيت ودعوتهم . وسار معهم الى محمد بن على بمكة فأعجب بذكائه وعزمه واختاره داعية للشيعة فى خراسان (٢) ولما توفى محمد بن على وخلفه فى الامامة ابنه ابراهيم الملقب بالامام بعهد منه (١٢٦هـ) استمر أبو مسلم فى مهمته يبث الدعوة ويحشد لها الانصار . وكانت خراسان كما قدمنا اخصب ميدان للدعوة الشيعية لبعدها عن الحكومة المركزية وتعاقب الفتن فيها بين المضرية واليمانية ، وكان أميرها من قبل بنى أمية نصر بن سيار فى مأزق صعب يستنجد عبثاً بحكومة دمشق ويشهد تفاقم الحوادث عاجزاً ، وحركة الشيعة تشتد وتجتاح خراسان بسرعة . ويروى ان نصر بن سيار كتب الى مروان بن محمد الخليفة يومئذ هذا الشعر الفياض بالنبوءة والنذير يستنجد به ويستحثه للدفاع عن عرشه وتراث اسرته :

أرى تحت الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام

---

(١) وهو اخو الحسن والحسين من الاب فقط . ويعرف بابن الحنفية نسبة لامه خولة بنت جعفر بن قيس المعروفة بالحنفية

(٢) تختلف الرواية الاسلامية اختلافا كبيراً في أصل ابي مسلم ونشأته . فيقول البعض انه حر يرجع الى اصل فارسى رفيع وانه ولد باصبهان ونشأ بالكوفة . واسمه الحقيقي ابراهيم بن عثمان بن بشار . ويقول البعض انه مولى من اصبهان واسمه ابراهيم . وقيل انه عبد لبكير بن ماهان احد عمال السند وانه استصحبه الى مكة في زيارته لابراهيم الامام فاعجب بذكائه وفطنته واشتراه منه . واما تسميته ابا مسلم فيقال انه سمى نفسه عبد الرحمن بن مسلم واتخذ كنية ابي مسلم . وقيل ان ابراهيم الامام هو الذي سماه بأبي مسلم . ولما ظهر ابومسلم وقوى امره ادعى انه من آل البيت من ولد سليط بن عبد الله بن عباس (راجع ابن الاثير ج ٥ ص ٩٣ ـ ٩٥ وابن خلكان ج ١ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٤ وابن خلدون ج ٣ ص ١٠٠ و١١٧ ـ ١٢٠)

فان النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها الكلام
فان لم يطفهـا عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أميـة أم نيـام
فان كانوا لحينهم نياما ... فقل قوموا فقد حان القيام
ففرى عن رحالك ثم قولى ... على الاسلام والعرب السلام(١)

وكان ابو مسلم رجل الموقف يدبر الخطط ببراعة وقوة ، فلم يمض بعيد حتى الفى الفرصة سانحة للعمل الحاسم ووثب فى صحبه على نصر بن سيار وقوات بنى أمية ، وهزمهم فى عدة معارك (سنة ١٢٩ — ١٣٠ هـ) واستولى على مرو وسمرقند وخراسان ونيسابور وطرد منها عمال بنى أمية ، وفر نصر بن سيار الى العراق ، وبسط أبو مسلم سلطانه على خراسان وفارس ، ورفع فيها شعار الشيعة الاسود . ودعا لابى العباس عبد الله بن محمد بن على المعروف بالسفاح اخى ابراهيم الامام . وكان الخليفة الاموى مروان بن محمد قد هاله ماراى من تغلغل الدعوة الشيعية فقبض على ابراهيم الامام وهو يومئذ باحدى قرى الشام ، وزجه فى السجن حتى مات (سنة ١٣٢ هـ) وزعم أخوه عبد الله ابو العباس واصحابه انه أوصى اليه بالامامة من بعده . فدعا له ابو مسلم فى خراسان وفارس كما قدمنا . ثم سير أبو مسلم جيشاً الى العراق فلقيه أميرها ابن هبيرة فى قواته ، ووقعت بين الفريقين على ضفاف الفرات معارك شديدة هزم فيها ابن هبيرة وفر بفله الى الشمال . واستولى الشيعة على العراق ودعوا لابى العباس (ربيع الآخر سنة ١٣٢ هـ) ونزل ابو العباس عبد الله السفاح بالكوفة واستقر بها يرقب الحوادث (٢)

(١) تروى هذه الابيات بصور اخرى

(٢) من هو السفاح ؟ أهو ابو العباس عبد الله بن محمد بن على أول خلفاء بني العباس أم هو عمه عبد الله بن على ؟ تختلف الرواية الاسلامية في ذلك اختلافا كبيرا . فان الطبري (مصر ج ٩ ص ١٢٣) وابن خلكان (الوفيات ج ١ ص ٣٠٤) وابن الاثير (ج ٥ ص ١٥٤ و ١٥٥) وابن خلدون (ج ٣ ص ١٢٨ و ١٣١ و ١٧٣) يقولون ان السفاح هو أبو العباس عبد الله بن محمد أول خلفاء بني العباس . ويذكر لنا الطبرى وابن الاثير كيف ان ابا العباس هو الذي اطلق على نفسه هذا اللقب حين القى خطابه الاول بمسجد الكوفة على اثر مبايعته بالخلافة ، فقال للناس في ختام خطابه : « فاستعدوا فانا السفاح المبيح والثائر المبيح » الطبري (ج ٩ ص ١٣٢) وابن الاثير (ج ٥ ص ١٥٥) . ولكن هنالك روايات اقدم من هذه تذكر أن لقب السفاح لم يطلق على ابي العباس ولكنه اطلق على عمه عبد الله بن على . ومن اصحاب هذه الرواية ابن قتيبة الدينوري (راجع الامامة والسياسية ج ٢ ص ١٤٨) وصاحب اخبار مجموعة في تاريخ الاندلس (ص ٤٨) ، ولهذه الرواية ظاهر من الوجاهة فيما ارتكبه عبد الله بن على من الفتك الذريع ببني أمية . بيد اننا اخذنا بالرواية الاولى ، اولا لانها رواية جمهرة الاقطاب الثقات من المؤرخين ، وثانيا لان الذي اوصى بمطاردة بني امية والفتك بهم انما هو أبو العباس ذاته ، ولم يكن عمه عبد الله بن على سوى منفذ لارادته وامره

وكان مروان بن محمد بن الحكم أو مروان الثانى (١) فى ذلك الحين يتخذ الاهبة للدفاع عن ملك بنى أمية الذى تصدع صرحه سراعا . فحشد جيشاً ضخما وسار شرقاً حتى وصل الى ضفاف نهر الزاب وهو فرع أيسر من دجلة يتصل به فى الضفة الشرقية ، جنوب شرقى الموصل ، وسار للقائه قائد المسودة (الشيعة) فى الشمال ابو عون عبد الملك بن يزيد الازدى ، وأمده أبو العباس بجيش آخر بقيادة عمه عبد الله بن على ، وبلغت قوات الشيعة كلها زهاء عشرين الفاً وبلغت القوات الاموية زهاء مائة وعشرين الفاً . ولكن حماسة الشيعة كانت تغنى عن الكثرة ، وكان تعاقب الظفر يذكى عزائمهم ويضاعف قواهم ، وكان الجيش الاموى على ضخامته قد خبت عزائمه واختلت صفوفه . وغاضت قواه المعنوية . والتقى الفريقان على ضفة الزاب اليسرى ونشبت بينهما معركة شديدة حاسمة انتهت بهزيمة الجيش الاموى وتمزيقه ، وذلك فى الحادى عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٢ هـ (٢٥ يناير سنة ٧٥٠ م) وغرق فى النهر آلاف من جند الشام وعدة من زعمائه وقادته ، واستولى الشيعة على أسلابه . وفر مروان فى فل من صحبه صوب الشام فسار فى أثره عبد الله بن على وحاصر دمشق وافتتحها فى الخامس من رمضان . وفر مروان الى فلسطين ثم الى مصر . فبعث السفاح فى أثره جيشاً بقيادة عمه صالح بن على فلحق به فى مصر وظل يطارده من مكان الى مكان حتى ظفر به فى قرية بوصير على مقربة من الجيزة . وهنالك مزقت البقية الباقية من انصار بنى أمية وقتل مروان آخر الخلفاء الامويين بالمشرق وأرسل رأسه الى السفاح ، وذلك فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ

وهكذا انهارت دعائم الدولة الاموية بسرعة مدهشة وقامت على أنقاضها دولة بنى العباس . ولاريب أن أكبر الفضل فى تحطيم ذلك الصرح الشامخ يرجع الى جهود تلك الشخصية العظيمة ، ونعنى أبا مسلم الخراسانى . كان أبو مسلم احدى هذه العبقريات الشاملة التى تفتح فى معترك الانقلابات الحاسمة وتقوم على سواعدها الدول العظيمة . وكانت دعوة الشيعة وإمامة آل البيت مبعث هذا الانقلاب وروحه . ولكن بنى العباس ما كادوا يتبوءون ذلك الملك الباذخ حتى غلبت عليهم عصبية الاسرة . وألفوا فى أبى مسلم منافساً تخشى عواقبه وفى الدعوة الشيعية خطراً يجب القضاء عليه . فلم تمض أعوام قلائل حتى قتل أبو مسلم (شعبان سنة ١٣٧ هـ) قتله ابو جعفر المنصور أخو السفاح وخلفه . ثم تتبع زعماء الشيعة وولد على بن أبى طالب بالقبض والمطاردة حتى مزق شملهم وسحق دعوتهم . واستخلص بنو العباس تراث بنى أمية لانفسهم . وقامت تلك الدولة العباسية الباهرة تصل تاريخ الاسلام فى المشرق وتسير به الى عصر جديد من العظمة والبهاء

محمد عبد الله عنان
المحامى

(١) يعرف مروان بن محمد ايضا بمروان الجعدي ، وحمار الجزيرة ، او مروان الحمار



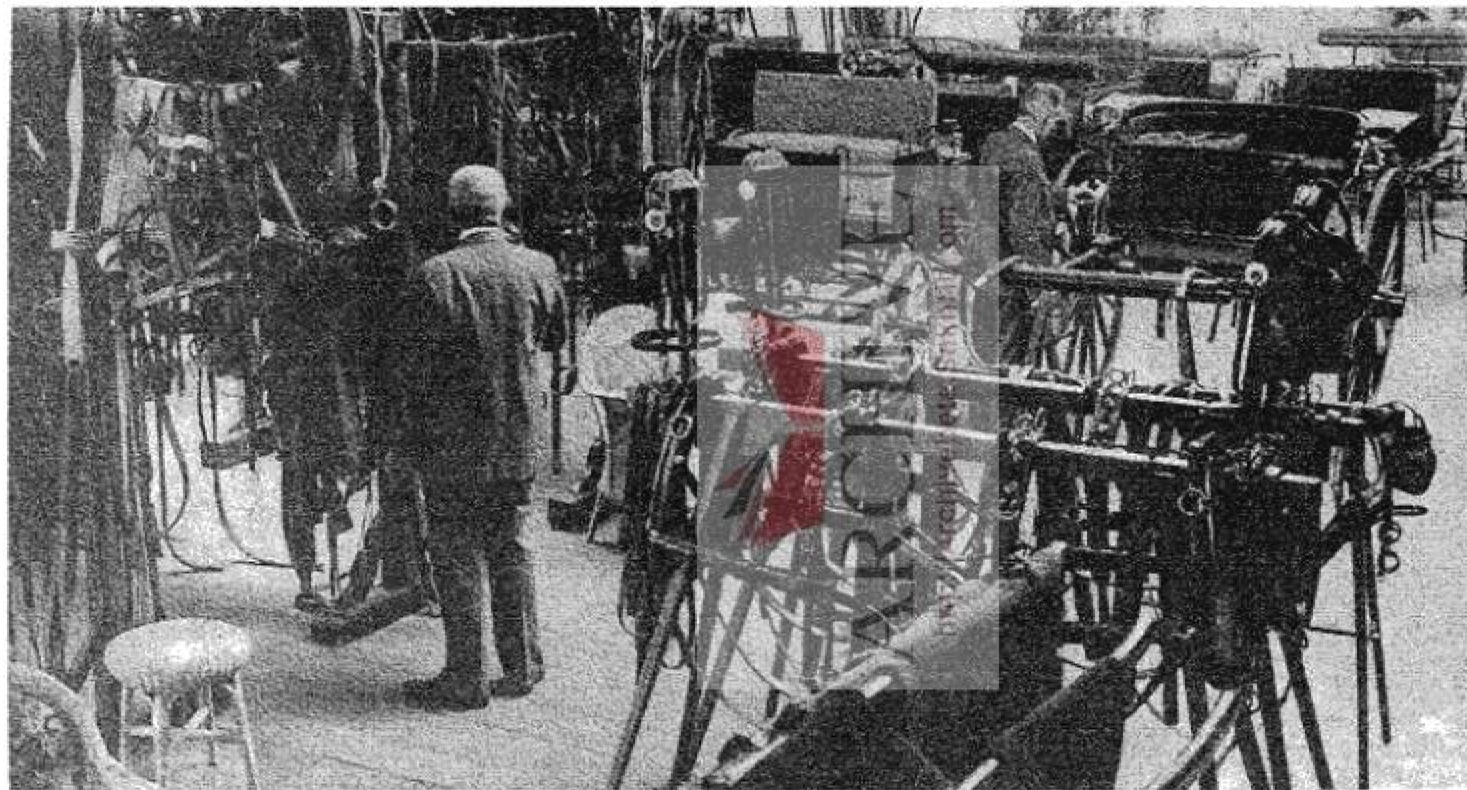
ركود بعد حركة
صورة في مخزن العربات القديمة في شارع [illegible] ، وهو المخزن الوحيد الباقي بعد طغيان السيارات على العربات

عصر العربات

وهل يعود من جديد

انتشرت السيارات وعم استخدامها . واذا شكت سكك الحديد في نواحي العالم من منافسة السيارات لها ، فان العربات العتيقة التي تجرها الجياد لم تشك تلك المنافسة . لان الذي يشكو لابد ان يكون له وجود . وتلك العربات تكاد تعدم الوجود !

نعم . إننا في القاهرة والاسكندرية والمدن المصرية الكبرى ما نزال نجد عدداً من تلك العربات . غير أن العواصم الاوربية لم تعد ترى في شوارعها عربة واحدة . وهي التي كانت منذ سنوات قليلة تملأ الشوارع حتى كانت السيارات إذ ذاك أمراً مستحدثاً يلفت الانظار إذا مرت واحدة منها



مخزن الأعنة

مجموعة الأعنة التي بمصنع العربات الوحيد الذي بقي في برلين ، وتحتاج هذه الأعنة الى زمن طويل حتى تنفد ، وذلك لقلة الاقبال على شراء العربات في هذا العصر الذي طغى فيه سلطان السيارات

وقد كان « شارع لويزه » ببرلين مملوءاً بالورش التي تصنع عربات الركوب على أنواعها المختلفة ما بين فيتون ولاندو وكاريت ودوكار الخ . حتى كان أهالي برلين يسمون ذلك الشارع « شارع العربات » . أما الآن فلم يبق هناك سوى ورشة واحدة يملكها رجل اسمه « ياكوب تسوندر » . ولما كانت نفقات صنع العربات قد أصبحت باهظة لقلة ما يصنع منها أو لندرته ، فان هـذا الرجل صار يشتري العربات القديمة ـ وبخاصة عربات الاسرة المالكة القديمة ـ ويصلحها ويجددها ثم يبيعها للمشترين القليلين

وهنا نقول إنه ما تزال في المانيا سوق لعربات الركوب برغم خلو المدن الكبيرة منها . وسوقها هو في الاقاليم حيث يفضلها كبار الزراع على السيارات لا سيما في المسافات الصغيرة . ولا يخفى ان الزراع في جميع البلدان هم محافظون على القديم بطبيعتهم ، فضلا عما لعربات الركوب من فخامة في المظهر وابهة لا تدانيها فيها السيارات مهما غلت

ولا يفوتنا ونحن نطرق هذا الموضوع أن نقول ان العربات لا يبعد ان تبعث من جديد وقد تتغلب على السيارات أو تنافسها منافسة شديدة . وذلك بفضل الضريبة الفادحة المقررة على السيارات والتي تزيد فداحة كل حين في مختلف البلدان . وقد نرى قريباً أثر ضريبة السيارات التي يعتزم تنفيذها في مصر ، فاذا بالعربات تكثر بعد قلة وإذا بالحوذية يستعيدون مكانتهم ورخاءهم بعد حين



طبيبان !

مقارنة طريفة بين طب العربات القديمة وطب السيارات الحديثة . ونظرة بسيطة الى حالة كل من الطبيبين تدل على أن اصلاح العربة ايسر من اصلاح السيارة ، ومع ذلك فقد اختفت الاولى واغتصبت مكانها الاخيرة في أوربا خاصة



اختبار

تمثل هذه الصورة أحد الزبائن القليلين جداً الذين يشترون عربة تجرها الخيل . وتراه هنا يختبر العربة للمقاومة في شرائها



مخزن العجلات

عدد كبير من عجلات العربات على اختلاف أحجامها ، وقد منيت سوق هذه العجلات بالكساد تبعاً لما أصاب العربات من جراء رواج السيارات



تحفتان من عالم العربات
يرى القارئ هنا صورة تحفتين الرجون
ظريفتين من عالم العربات ، أو على
الأصح الزحافات ، فى اليمين زحافة أمير
ألماني وفى اليسار زحافة روسية من
نوع قديم



بين العربة والسيارة

عربة من طراز خاص اضطر صناع العربات الى ابتداعه ويستعمل فيه بدل العجلات العادية بأخرى من المطاط



الوجاهة

كانت ملابس الحوذية في أيام انتشار العربات من المناظر التي تزيد العربات وجاهة ، وترى هنا أمثلة من القبعات الوجيهة التي كانت تزين رءوس الحوذية قديما

المرأة الفنانة

[illegible] أحد تحفها الفنية
فتاة من فتيات اليوم الآن أصبحت
يستطيع كل ميدان من ميادين الحياة
حتى ميدان النحت وقد استطاعت أن
تخرج من [illegible] البديع [illegible]
[illegible]

ازا

تحدثنا عن « امرأة اليوم » فانما نعني امرأة من طراز خاص لها ميزات كثيرة ، لم تكن لأمها وجدتها من قبل . فمثلا لا تجد النساء كلهن يباشرن ضروب الرياضة ، ولكن المرأة الرياضية هي امرأة اليوم . وليس كل النساء كواكب سينمائية ولكن ممثلة السينما هي امرأة اليوم . والمرأة التي تقص شعرها ، أو التي تشتغل بالبنوك والمكاتب ، أو التي هي عاملة في المصانع ، أو التي تتزوج من الرجل زواجاً قائماً على الزمالة والمساواة ، هي التي نسميها « امرأة اليوم » .

وحينما ظهرت المرأة في ميدان من ميادين الحياة العصرية اتسع معنى هذا الاصطلاح . فمنذ سنوات معدودة ، لم يكن أحد يتصور ان المرأة ستقود سيارتها بنفسها ، أو ستقوم بالرحلات الجوية البعيدة مجازفة بحياتها ، أو ستظهر في مختلف ألعاب الرياضة وضروب المسابقات الجريئة ، أو ستبدو في المشارب والمطاعم وهي تدخن سيجارتها علناً ، أو ستقف في المجتمعات والبرلمانات خطيبة مرشدة ، لم يكن أحد يتصور أن المرأة ستصبح هكذا على قدم المساواة مع الرجل



العمل

يدا الفنانة تعملان بجد في اتمام تمثال غادة عارية . وترى على اليدين مظاهر الخشونة من آثار النحت



الخام

من هـذه الكتلة الخشبية الشوهاء يجب أن تبدع الفتاة الفنية أثراً فنياً يروق الناظرين . وها هي قد بدأت العمل فراحت تزيل القشور لتعرف نوع الخشب قبل أن تشرع في العمل الجدي

في الحقوق والكفايات ، وهي مع ذلك لا تفقد أنوثتها ولا تقل فتنة عن نساء الاجيال الماضية بل تفوقهن رشاقة وجاذبية !

ولعل المرأة الفنانة هي أحدث طراز للمرأة الحديثة . وانك لتراها في مدارس الفنون وفي معامل الفنانين أو في معامل خاصة بها وهي تحمل أزميلها وتنحت الحجر أو تشكل الجبس لتصنع تماثيل لا تقل في شيء عن تماثيل الرجل الفنان

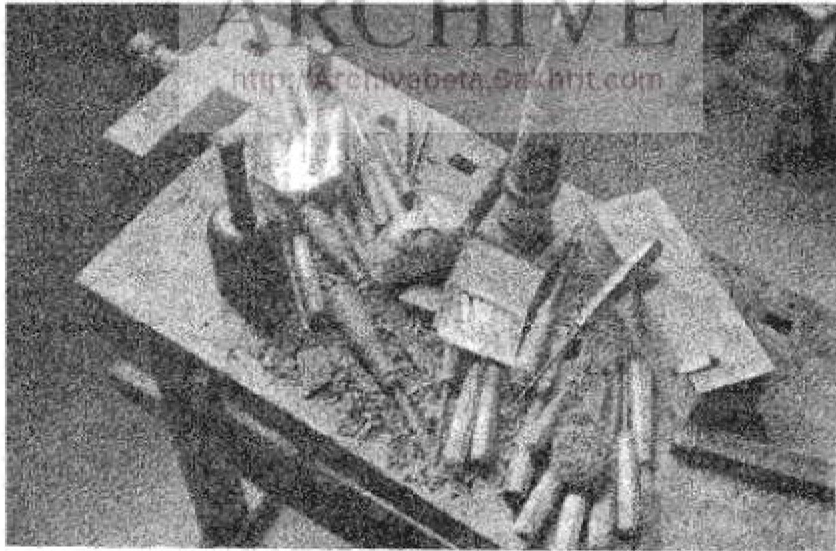
والمرأة المثالة أو الرسامة - أو الفنانة بوجه عام - لا تتخذ من فنها وسيلة للتسلية ، بل انها مثل زميلها الرجل تعيش من أجل الفن وتفنى حياتها فيه . ومن النساء من هن مثالات مطبوعات ، ورسامات موهوبات ، يعرضن منتجاتهن في معارض الصور والتماثيل فيحزن اعجاباً لا يقل عن نصيب أرق الفنانين من الرجال

واذا كانت المرأة المصرية قد بدأت تقبل على فن الرسم وتبدي فيه مهارة فائقة وفناً دقيقاً ، فانا لا نلبث حتى نراها تقبل كذلك على فن النحت مقتدية بأختها الغربية مترسمة خطاها في سبيل التقدم والحضارة



استغراق

الفتاة المثالة وقد جلست الى مكتبها صامتة تستوحى الخاطر فكرة ترسمها على القرطاس لتبرزها فيما بعد مجسمة



السكون

مائدة الادوات في استديو فتاة اليوم المثالة ، وقد خيم عليها السكون بعد طول ما تناولتها يد الفنانة



نحو النور !

الفنانة تعمل في هدوء وثقة في استديو النحت . وترى وجه التمثال والمثالة متجهين نحو النور ..



بدء التكوين

كتلة من الحجر تناولتها المثالة بأزميلها فبدأت الكتلة تتجلى عن تمثال في طور التكوين



علاج الفجوات

احدى الفنانات تعالج الفجوات التي بدت في أحد تماثيلها ، بأن تحشوها بقطع دقيقة من الخشب